

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي عامر عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فتاحي خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير - الإدارة العامة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٥٤٧٣ - ٩٩٨٥٦٣٨٢

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

حضارة التعليم
في
هذا الدين القيم

الحديث عن « الحضارة » يتناول قطاعاً غير هذا الذي يتناوله « التاريخ » . ذلك أن التاريخ يعنى بحركة الحوادث ، وأسبابها ، ونتائجها لدى كل أمة ، بينما تعنى الحضارة بمبلغ التقدم والرقي في حياة الشعوب . لذلك تتناول بحوثها - باستمرار - جوانب : الدين ، والعمران والتعليم والفن والأدب والقانون وما شابه ذلك من جوانب تضع بصمات ثابتة ، على مدارج نهوض أمة أو تخلفها . ومن هنا يتبع التاريخ الحضارة كجزء منها .

وإذا كان موضوعنا هنا يتناول التعليم الذي اعتبر خطوة أولى من لوازم هذا الدين تمثلت في أول آية نزلت من كتاب الله - تعالى - وأوحيت إلى سيدنا رسول الله ﷺ فقال ربنا

ـ جل شأنه ـ : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ فإن محو الأمية كان خطوة أولى فى السنة الأولى من هجرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان انتصار المسلمين علميا ـ أيضاً ـ فى الدرجة الأولى ، إذ تولى أسْرَى بدر تعليم أبناء المسلمين بالمدينة المنورة ، ولعلنا نعلم النتائج الباهرة لهذه الخطوة المجدية حين نقرأ أن مكة عند نشأة الرسالة المحمدية لم يكن بها إلا سبعة عشر رجلاً كاتباً قارئاً ليس غير ، بينما كانت الأمية تموج ضاربة أطنابها بأركان الجزيرة .

توالت الحركة التعليمية ، وبرزت آداب التعليم ، وتكونت ، ثم التزمت ، وحُقّ للمستشرق « روزنتال » أن يمجدها ويشيد بها فى كتابه : « مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى »(١) .

من أهم الجوانب العلمية بل فى مقدمتها « المعارضة » ويعنى المسلمون بها « مقابلة المادة العلمية على مصدرها » للتأكد من دقة المحصول العلمى من إنسان لآخر .

كانت الخطوة الأولى فى هذا السبيل على يد سيدنا جبريل ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ روى الإمام البخارى ـ رضى الله عنه ـ فى باب « ذكر الملائكة » من كتاب « بدء الخلق » يذكر عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ لقاء جبريل برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن » وروى فى كتاب « فضائل القرآن » عن فاطمة ـ رضى الله عنها ـ بنت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالت : أسرّ إلىّ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن جبريل يعارضنى بالقرآن كل سنة ، وأنه عارضنى العام مرتين ، ولا أراه إلا حضر أجلى » وكذا روى معناه عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال ـ بشأن جبريل ـ عليه الصلاة والسلام : كان يعرض على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ القرآن كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين فى العام الذى قبض فيه »(٢) .

وأصبحت « المعارضة » لازمة من لوازم التعليم فى الإسلام ، بها تتحقق المادة العلمية وتثبت صحتها بيقين ، وصارت متعينة وإلا هبط مستوى المادة العلمية ولم تحظ بالقبول ، ونظر إليها العلماء نظرة .. لايأمنون فيها السلامة من التحريف والتصحيف .

ويستمسك علماؤنا الأجلاء ـ فى هذا الباب بـ (حوار) داربين عروة بن الزبير بن العوام وولده هشام بن عروة ، وقد كتب الأخير كتاباً ، فقال له أبوه : كتبت ..؟ قال : نعم ..! قال : عرضت كتابك (أى على أصل صحيح) ..؟ قال هشام : لا ! قال عروة : لم تكتب . ويذهب الإمام الشافعى ، ويحيى بن كثير معاً إلى القول :

(١) طبعت هذا الكتاب القيم دار الثقافة ـ بيروت ـ ١٩٦١

(٢) صحيح البخارى ـ كتاب ـ فضائل القرآن ـ باب كان جبريل يعرض القرآن الكريم على النبى ﷺ .

«بأن من كتب ، ولم يعارض – أى يقابل على أستاذ أو أصل صحيح – كان كمن دخل الخلاء و لم يستنج » .

وإنما كانت المعارضة لتصحيح المادة وضبط الشكل فيما ينبغي أن يشكل ، ونقط ما ينبغي نقطه وتخليص بعض الكلمات التي يمكن أن تلتبس بغيرها تحقيقاً لها .. من هنا كتبوا – مثلاً – يقولون – عن كلمة ما : بضم أولها وكسر ثانيها ... إلخ .

وحظيت هذه الخطوة الأولى – فى التعليم الإسلامى بتقدير الأوساط العلمية مجتمعة ، وبخاصة حين اطلع الغرب على مؤلَّفين نادرين فى منهج التعليم والبحث العلمى للمسلمين هما كتابا : « المعيد فى أدب المفيد والمستفيد » للعلامة عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموى المتوفى بدمشق عام (٩٨١) هـ واحد وثمانين وتسعمائة هجرية ، وكتاب « تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم » الذى ألفه ابن جماعة عام ثلاثة وسبعين ومائتين بعد الألف من الهجرة .

كان لهذين المؤلفين دوى هائل فى تلك الأوساط العلمية حتى قال فرانتز روزنتال – ص ١٢ من كتابه سالف الذكر : « إنه لم يكن عند العلماء الغربيين سوى عدد محدود من الأفكار » بينما قال مرجليوث حاثاً تلامذة الغرب على الاقتداء بما فى الكتابين : « إنه لا مجال للشك فى قيمة هذين المؤلفين لمن ينشد الدقة والأمانة » روزنتال ص ٢٩ .

هدانا الله سواء السبيل

د. على أحمد الخطيب

كلمة الإمام الأكبر

في الهجرة فقه وقيم ومثل

بقلم: فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر الشريف

نستهل بهذا اليوم الأول من المحرم عاما جديدا في تاريخ الإسلام حيث اعتبر عام الهجرة سمة على قيام الدولة والأمة ، ولم تكن هجرة الرسول محمد ﷺ من مكة إلى المدينة حدثا من الأحداث العابرة التي تطوى في سطور الصحف ، أو تطمر في غمار الأحداث ولكنها أكبر وأجل وأعظم من كل حادثة أو حدث لأنها تمثل تحولا بالدعوة وتوسعا في مجالاتها ودعما لمقوماتها ، وحركة وحياة انبعثت تذكي الروح المعنوية لجماهير المسلمين المقيمين في المدينة ، والذين كانوا يترقبون بزوغ نور الإسلام على يثرب بقدوم رسول الله ﷺ إليها واتخاذها مقرا للدعوة الإسلامية .

كانت الهجرة بداية انطلاق إلى آفاق تتسع فيها الدعوة وتسعى وتنتشر وتعم الجزيرة العربية وما حولها ، ولتصبح المدينة قاعدة الدولة والدعوة .

في الهجرة برزت أخلاق ومبادىء ، كما كان فيها أمور خارقة لما اعتاده الناس . فقد أيد الله رسوله ﷺ في هجرته بجنود لم يبصرهم الناس كما قال في كتابه في سورة التوبة .

﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا .. ﴾ - آية ٤٠ .

وكان في الهجرة تلك الصداقة التي تخلت عن المال والأهل والولد في سبيل الصحبة ، تلك هي صداقة وصحبة أبي بكر - رضي الله عنه - وفداؤه لرسول الله ﷺ وترتيب وتدبير أمر الرحلة المباركة دعما لها من أولاد أبي بكر وأتباعه .



كانت كل تحركات « أبي بكر » حال رحلة الهجرة تشير إلى حرصه على سلامة صاحبه وبلوغه مقصده ، فهو يرتاد الطريق ويمشي مرة أمامه ، ومرة خلفه ، ومرة عن يمينه ، ومرة عن يساره ، ومن ثم فقد برزت في الهجرة قيم الإيمان العميق بمبادىء الحق والعدل والخير والوفاء النادر .

وذلك كله سمو في الخلق الإنساني وبعث للثقة في قدرة الإنسان متى استقام على طريق الله على النهوض بالأعباء التي أناطها الله به حين استخلف في الأرض ، وهي إقامة الدين الحق الذي يصون الأمن ويشيع الإخاء والمودة .

فقه التجربة برز ظاهرا واضحا في تحديد المهام لكل المعاونين في نجاح الهجرة ، ومن فقه الهجرة جواز الاستعانة بغير المسلم فيما يحسنه مما يلزم للمسلمين ، فقد اختير دليل الرحلة خبيرا يعرف دروب الصحراء . وكان غير مسلم ..

بهذه الهجرة نشأت الدولة ، بعد أن أقيم المسجد وعقدت المعاهدات وتوالت التشريعات ، وتتالى النصر والانتصارات حتى دخلت الجزيرة كلها في دين الله ، صار الإسلام دعوة ، ودولة ، ولحق الرسول ﷺ برحاب الله ـ تعالى ـ راضيا مرضيا .

وكان لابد لهذه الدولة من حفوتاريخ ، ولم يكن للمسلمين ثمت قرار باتخاذ حدث معين يعتبر تاريخا للدولة .

فقد نقلت كتب التاريخ ، أن التأريخ جرى على عهد رسول الله ﷺ بدء بعثته بهذا الدين .
حتى كانت إمارة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقد كتب أبو موسى الأشعري إليه : أنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ فلا ندري على أيها نعمل .

وروى ميمون بن مهران قال : رفع إلى أمير المؤمنين عمر صك محله « شعبان » فقال أي الشعبانين ؟ أ هو الذي مضى أو الذي نحن فيه أم الآتي ؟

وقال قرة بن خالد : كان عند عمر عامل جاء من اليمن فقال لعمر : أما تؤرخون ؟
إني رأيت باليمن شيئا يسمونه التأريخ ، يكتبون من عام كذا أو شهر كذا ، فقال عمر : إن هذا لحسن فأرخوا .

وقد كانت هجرة رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة في ربيع الأول ، فقال : بأي شهر نبدأ فنصيره أول السنة ؟

فقال عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ : أرخوا من المحرم أول السنة وهو شهر حرام ، وأول الشهور في العدة وهو منصرف الناس من الحج ، فلما عزموا على تأسيس التأريخ الهجري حسبما اقترح عثمان ، رجعوا ثمانية وستين يوما ، وجعلوا التأريخ من أول محرم هذه السنة ، ثم أحصوا من أول يوم في المحرم إلى آخر عمر النبي ﷺ ، فكان عشر سنين وشهرين ، وأما إذا حسب عمره في شهر الهجرة الحقيقية (ربيع الأول) . فيكون قد عاش في المدينة تسع سنين وأحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما .

وأقر عمر هذا الرأي وبهذا يعتبر : هو واضع التأريخ الهجري وموصله ولم يكن هذا التأريخ على عهد رسول الله ﷺ .

وهذا يدلنا على أن أصحاب الرسول ﷺ قدروا أثر الهجرة وما تلاها من نصر الإسلام . وانتشار ودخول الناس في دين الله أفواجا ، فكانت عزا دينا ، وحياة ، ودولة ، ولم تكن حدثا من الأحداث ، وإنما كانت نصرا من الله :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة التوبة

فخذوا أيها المسلمون من الهجرة والتأريخ بها ، فقها وقيما ، ومثلا عليا في فضل الصحبة والإخاء ، والفداء من الصغار والكبار ، خذوا منها فكر الإسلام وثقافته ولا تعدلوا عنه فتضلوا وتهلكوا ، واتخذوا القرآن إماما ، والسنة شرعة ومنهاجا ، فهما الطريق المستقيم .

ما أحوج المسلمين اليوم وقد أظلتهم هذه الذكرى أن يهاجروا إلى الله بالعمل ، فيهجروا ما نهى الله عنه من الخلافات والفرقة والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق والتهجم على الإسلام والتخلي عن آدابه ، وأن يعودوا إلى دعائم الإيمان من التراحم ، والتواصل والإخاء الوثيق ، والتعاون على البر والتقوى .

هذا من عهد الإيمان : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

الفتح : ١٠

إن الإسلام يفرض على المسلمين جميعا حكاما ومحكومين أن يتناصحوا ، وأن يرتفعوا فوق الشقاق والخلافات ، وأن يعفوا ويصفحوا عما كان ، أملا فيما يكون من وحدة الصف ، وجمع الكلمة دفاعا عن الأمة التي استهان بها غيرها ، وتخطفها الناس من حولها .

إن المتغيرات التي حدثت وتحدث في العالم المعاصر تنبيء عن أحداث جسام تقتضي الحذر واليقظة والإعداد والاستعداد ، واستشعار الأخطار المحدقة ببلاد العرب قاطبة وبالمسلمين عامة ، فقد سقطت الأقنعة وانحلت الصداقة واختفى الصدق وانكشف المستور الذي يراد بهذه الأمة ، فهذا الصمت من أقوياء العالم على الأحداث التي ألمت بالمسلمين في أوربا من قتل وتشريد ، وفي كل مكان ينادي هؤلاء جهارا نهارا اغتصاب ما بقي من أرض ، وامتهان الأمة عريقة الحضارة ، قدمت للإنسانية أسمى الأخلاق وأرقى العادات والأعراف ، وعلمت الجاهل ، وهدت الضال .

فلتقف الأمة وقفة صامدة صابرة في وجه هذا العدوان الآثم على أرض المسلمين حتى يرتد المعتدون على أعقابهم خائبين : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ ـ الشعراء ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ولتقف الأمة المسلمة ضد كل التحركات الغادرة التي لا تعمل إلا على انتقاص حقوق المسلمين واشعال الفتن فيما بينهم وصرفهم عن دينهم وعن وحدتهم .

وباسم الأزهر أدعو علماء المسلمين في كل أقطار الأرض أن ينصحوا الأمة ، وأن يفصحوا عن كلمة الله التي حملهم إياها حتى لا تكون فتنة بين المسلمين ويكونوا جميعا على قلب رجل واحد .

أسأل الله أن يجعل هلال شهر المحرم بشيرا لأمة الإسلام بالانتصار ليحل عليها السلام والوئام .. إن ربي لسميع الدعاء ، وإنه لغفور رحيم .

فكونوا أيها الناس على قدر هذا الحدث ، حدث الهجرة النبوية الشريفة التي تمر بنا ذكراها ، واستعدوا استعدادا واعدادا ووحدة واتحادا وفقها ونظاما .

أهنيء الأمة الإسلامية بالعام الجديد ، وأهنيء شعب مصر ، ولتكن تذكرة نأخذ منها دروسا نصلح بها حالنا ، وعلاجا لما شاع في بلادنا من سوء الفكر ، وتعصمنا بالإسلام عقيدة وشريعة .

﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ـ سورة محمد آية ٧

كلمـة فى القضايا الجاريـة

لابد من وقفة مع الأصدقاء

بقلم صاحب الفضيلة :
الإمام الأكبر شيخ الأزهر

تعالوا بنا نفكر مليًا فيما يجرى الآن فى عالمنا ، لنعرف من نصادق ومن نحييه إعجابا وإكبارا ونشد على يديه إصرارا على صداقته ، ونحية لعدله ووفائه ، ونتروبه فى الحكم احتراما لتاريخه وقيادته الإنسانية إلى مجالات الحرية التى ارتادها ، فازدهرت ، وأينعت على الأرض فلسفات وعلوما أشاعت الفكر وأيقظت المشاعر فاستيقظ العقل الإنسانى لدى شعوب دفعتها قدراتها المتنوعة فى العلم والصناعة ، وابتداع المخترعات ، حتى تبدلت أنماط الحياة الإنسانية الرتيبة الوئيدة وفقا لخطوات الإنسان ، فركب الماء وغاص فى طياته يسابق الحيتان وطار فى الفضاء يسابق الطير الآمن والجارح ، ويطأ سطح القمر بقدميه ومايزال يسعى ويمعن فى السباق إلى اللحاق بالنجوم السيارة والأفلاك الدوارة يريد أن يتعرف على ميكانيكيتها وأى وقود يغذيها ومن يمدها بقطع الغيار ويدفع عنها الغبار .



هذا الإنسان الذى علمه الله ما لم يكن يعلم (علم الإنسان ما لم يعلم) قاده هذا الشأو الذى بلغه من الحضارة المادية والقدرة على امتطاء بساط الريح وإلغاء المسافات طولا وعرضا وعمقا ، ومد وسائل الاتصالات حتى كأن العالم قرية واحدة تتنادى وتتسامر وتتحاور وربما تتشاتم ، وكأن هذه الملايين من البشر بل المليارات يتواجهون فى معركة الحياة لا بالتعاون على البر والتقوى ولكن على الإثم والعدوان ، ورفع شعارات الظلم « وكأنها العدل المطلق .

وها هى الشعوب المغلوبة على أمرها تُظلم وتُدق أعناقها وتُنتهب ثرواتها ، وتُقدّم خيراتها لأولئك الذين أقاموا حكومة هذا العالم بقاراته الرحيبة قانونها الظلم ، ومحكمتها الغدر والخيانة والاحتيال .

صار الجهر بالسوء والأذى للآخرين قانونا واجب النفاذ .

الأصدقاء الأعداء :

تعالوا : يا من رفعتم شعار العدل والإحسان ، وعرفتم من دين الله الإسلام ، كيف يكون تعايش بنى الإنسان ، وجعلتم هذا الشعار دينا وعقيدة وعلْما وعَمَلا ، كيف تحول حالكم وكان مآلكم إلى أن تتخطفكم الطير وكيف حظيتم بصداقة هؤلاء الأقوياء الذين تفوقوا بالعلم والصناعة وتخلوا عن الأخلاق قوام الإنسان وميزته على غيره من المخلوقات التى تزامله الحياة .

تعالوا : نفرز مواقف هؤلاء الأصدقاء (الألداء) كيف وقفوا فى قلب أوروبا يتنادون ــ بحقوق الإنسان ــ ويقيمون الدنيا فلا تقعد « والبوسنة والهرسك » و« الشيشان » ، وسكانها كلهم من بنى الإنسان تحرق وتهدم عليهم ديارهم ، ويطردون ويسحلون وتنتهك الأعراض ولم يعيروا حقوق هؤلاء اهتماما ثم يتحدثون عن حقوق الإنسان !!

ثم تعالوا لنرى الموقف فى « فلسطين » و« قدسها » والتزامات السلام يفى بها المغلوبون على أمرهم ــ العرب ــ يوفون بالوعد وبالعهد والآخرون لا يعرفون عهدا ولا ذمة « أفعالهم خيانة للعهد وللوعد « يقتلون ويغدرون ويهدمون ثم يجدون (الفيتو) نصيرا لهم مع أنه صديق حميم للعرب استودعوه أسرارهم وأموالهم ، فما رعى هذا حق رعايته ، وإنما تحكمت فيهم صداقته وَاستَغَلَتْ حقدا وخيانة وظلما ونكرانا للتكريم والتعظيم الذى يلقاه والكرم (الحاتمى) الذى يغشاه والتهليل والترحيب الذى يُستقبل به مع أنه قادم بالويل والثبور وعظائم الأمور .

تعالوا : أيها المغلوبون على أمرهم لنقول لصاحب (الفيتو) : كنا نتوقع عدلك ونتوخى ــ بصداقتنا ــ انحيازك على من تعرف دخائل نفسه وأنه ماكر مخادع لا يرضى حتى تتبع ملته ، وتذوب شخصيتك فى ظله وتكون ومن تصادق له زادا يزدردك !!

ذلك الذى وقفت شعوب الأرض تنتظر نظرته وكلمته فنطق كفرا بعد أن ظلم دهرا واستمرأ الظلم والعدوان ، واتهاب حقوق المستضعفين من الشعوب حتى تدور فى فلكه ويكفيها رضاه ، وإن لم تبلغ هى غايتها فى الحياة .

الصديقة الأسيوية :

وما بال اختنا (الصديقة الأسيوية) تهدم المساجد فى « جياوا » و« كشمير » وتقتل أهل الصلوات فى محاريبهم وتحرق عليهم دورهم ما بال هذه المواطنة التى نُعاتبها بالمودة ، وفضيلة حسن الجوار ونعاتبها عتاب الجار الذى لا يرد السيئة بالسيئة ، ما بالها قد أغمضت العين الساهرة على الأمن عن بنيها الذين لم يرعوا فى الله إلا ولا ذمة ، لم يرعوا حق مواطنيهم المسلمين ، فراحوا يهدمون المساجد على المصلين ، بل ويحرقون الدور على ساكنيها ، ولم يوقروا مضاجع الموتى فى قبورهم فاستعملوا النار التى وعد الله بها الظالمين سعيرا تأكلهم كلما نضجت جلودهم .

كانت لهم جلود أخرى يمن الله بها عليهم إمعانا فى لتعذيب جزاء افترائهم وظلمهم الآخرين فى هذه الحياة التى آلت بسبب ظلم الإنسان أخاه الإنسان وكاباً غابة فقدت مَلِكها .

مرة أخرى عتابا من الأزهر الشريف إلى الصديق اللدود الذى نخطب وده ونتدلله فيأبى إلا أن ينابذنا بحقده الذى يفصح عن سوء طويته وقصده ، ولكن الوفاء يقتضينا أن نستبقى صداقته وأن نناديه دائما بالصديق اللدود .

وعتابا ـ ثانيا ـ إلى جارتنا الآسيوية التى نحفظ لها حقوق الجار التى أوصانا بها الإسلام حتى وإن جار .

ونقول لكل من الصديقين : اتق غضب الحليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ونقول لقادة العرب والمسلمين وشعوب الأمة الإسلامية على اختلاف لغاتها ومواقعها ولمناصريهم بالقول والتعاطف : ماحك جلدك مثل ظفرك،فتول أنت جميع أمرك .

لابد أن نفكر ونقدر ونغير ، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

لابد أن توقف الحروب الداخلية فى : « افغانستان » و« الجزائر » وتلك الانشقاقات التى تبدو هنا وهناك ، واستْنفِروُا العزة فى نفوسكم تلك التى انزوت فارتفعت الغواية وانتكست الراية .

إن هذه المليارات من البشر بأرضها ، وعرضها ، وبناتها ، وأبنائها البررة الذين يواجهون هذه العواصف بالثبات . تأمل أن تنزاح عنهم الفردية والأنانية ، وأن يعملوا ويعلنوا أن يد الله مع الجماعة وليأخذوا من الصفوف فى الصلاة واستقامتها وتلاحمها مبدأ وغاية .

خذوا حذركم من الصديق قبل العدو .

ارفعوا الأذان، وأقيموا الصلاة ، وسدوا الفرج ، وسترون أن الله معكم ولن يتركم أعمالكم .

من أجل القدس :

ونقول لأصحاب الجلالة والفخامة ، والسمو الملوك ، والرؤساء ، والأمراء الذين كانت تنتظر الأمة لقاءهم حتى يستبين بقولهم الرشد من الغى فى قضية القضايا (القدس) كلها غير منقوصة ولا مستذلة وحتى تشد على أيديهم حين يقولون للآخرين المعتدين ومن يظاهرونهم قفوا وارحلوا فإن الأمة الإسلامية قد أخذت أمورها بيدها ، ونحن القادة فى المقدمة ولا يغتر أحد بهذا الموقف الجديد لإسرائيل وإعلانها تجميد قرارها مصادرة أراضى (القدس) فإن التجربة معها من خلفها الوعد وخيانتها للعهد تدل على أن الثقة بها موضع حذر .

وإن الأمة الإسلامية لتأمل من قادتها أصحاب الجلالة الملوك وأصحاب الفخامة الرؤساء ، وأصحاب السمو الأمراء أن تظل يقظتهم لهذا الأمر وغيره مما تقدم عليه إسرائيل حادة وجادة حتى يواجهوا بحكمتهم كل جديد تحدثه إسرائيل هضما للحقوق العربية والإسلامية فى (فلسطين) .

وهاهم علماء هذه الأمة يسددون خطاها ويُعبِّدون ممشاها دفاعا مشروعا عن الأرض وعن العرض ، وفى مقدمتها (القدس) وما حولها من الأرض التى باركها الله بالرسالات ، وبخطى الأنبياء وخاتمهم سيدنا محمد رسول الله ﷺ حيث كانت مسراه ومنها معراجه إلى السماوات العلا .
أما الأصدقاء الذين جاهدوا فى ميدان مجلس الأمن ، أما هؤلاء الأربعة عشر الذين يمثلون العالم كله إلا هذا الصديق المقامر بصداقتنا إياه والذى يتنكر الآن لمواقف أمتنا فى تأييده فيما تعرض له ، أما هذا الصديق صاحب (الفيتو) الذى لديه ثروات هذه الأمة وأسرارها فقد يأتى الموعد الذى لا يخلفه الله ولن تتخلف عنه هذه الأمة فإن الأيام دُول يوم لك ويوم عليك .

وصدق الله ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ .

٢٣ من ذى الحجة سنة ١٤١٥ هـ
٢٣ من مايو سنة ١٩٩٥ م

شيخ الأزهر الشريف
جاد الحق على جاد الحق

«القدس فى حديث للإمام الأكبر»

• مصادرة إسرائيل لأراضى القدس اجتراء على الحق العربى

• على الولايات المتحدة أن تقف ضد أية تغييرات تحدث فى القدس

• مصر تقف من القضية حفاظا للعرض والأرض

حديث اجـرته / سناء السعيد

● ● فى حديثه للمصور وصف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ـ الشيخ جاد الحق على جاد الحق قرار إسرائيل بمصادرة أراض عربية شرق القدس ، وقال : إنه اجتراء على القانون لا يمكن تمريره ـ وحمل على منظمة الأمم المتحدة متهماً إياها بالعجز وعدم التحرك لمجابهة عدوان إسرائيل على الحق العربى .

وقال : إن أمريكا بيدها خيوط اللعبة وعليها أن تمسكها حتى تنتهى المفاوضات وترد الحقوق إلى أصحابها . وحول معاهدة الحظر النووى قال فضيلته : بأنه على إسرائيل أن توقع على المعاهدة إثباتاً لحسن نيتها ، ذلك أن تحقيق السلام لابد أن تتوازى معه إقامة منطقة خالية من الأسلحة النووية ـ وحمل على أمريكا إعلانها الأخير بفرض حظر تجارى على إيران ووصفه بأنه قرار بغيض ، وأثنى على موقف الدول الأوربية التى رفضت تبنى مادعت إليه أمريكا ● ●

● فى محاولة جديدة لإسقاط الشرعية والاجتراء على القانون لجأت إسرائيل أخيراً إلى مصادرة أراض عربية شرق القدس من أجل الاستيطان اليهودى ؟

● ● إسرائيل هى إسرائيل ، منذ أن خططوا للوضع القائم ، والموقف العربى والإسلامى متهاون فى حق نفسه وأرضه وعرضه ، إن ما تفعله إسرائيل فى القدس وفى غير القدس لاسيما بعد

(*) نشر الحديث بمجلة المصور العدد (٣٦٨٣) ذو الحجة ١٤١٥هـ ، ١٢ مايو ١٩٩٥م .



توقيع اتفاق « أوسلو » الذى كان ينتظر أن توقف إسرائيل معه العدوان بأشكاله المختلفة على الأرض والناس ، لكن ماحدث هو العكس فلقد اشتد القهر وجرى طرد الناس من بيوتهم ، وهدمت دورهم وصودرت أراضيهم وأقيمت عليها مستوطنات رغم ما نص عليه اتفاق « أوسلو » ، وهو إرجاء موضوعها إلى المرحلة الأخيرة فى المفاوضات ، مما يعنى أن تظل القدس على الوضع الذى كانت عليه وقت الاتفاق . ومن ثم فما قامت به إسرائيل من إجراءات جغرافية وسكانية فى القدس لتغيير معالمها هى إجراءات باطلة . وعلى العرب عموماً وخاصة الفلسطينيين الذين وقعوا الاتفاق أن يبادروا إلى أخذ الإجراءات التى تمكنهم من وقف أى عدوان على أرض فلسطينية أو على الفلسطينيين وممتلكاتهم .

● قرار المصادرة اجتراء على الحق العربى قامت به إسرائيل لغياب المجتمع الدولى !

● ● نعم اجتراء على الحقّ والقانون وهو أمر يدعو إلى العجب ـ إذ كيف تكون المفاوضات جارية بينما يمتد اغتصاب الأرض ويشتد خاصة فى البقعة ذات الأثر فى النزاع ، إن اللوم لايوجه إلى إسرائيل لأنه لم يعد يجدى معها اللوم ـ ولكن يرد التساؤل ـ أين المجتمع العربى والإسلامى ؟ بل أين المجتمع الدولى ؟ وإذا كانت الأمم المتحدة وهيئاتها تقف عاجزة ولا تتحرك لمجابهة مثل هذا العدوان ولصيانة الحقوق ولردع المعتدى ولو أدبياً فما .. جدوى منظمة الأمم المتحدة ؟ ثم أين الجهد الجماعى للعرب والمسلمين ؟ ثم أين استنهاضهم هذه المنظمة كى تؤدى دورها فى الحفاظ على حقوق شعب سلب جهده ، وعطلت قواه فلم يعد يستطيع أن يدافع عن أرضه وعرضه إلا بجسده الإنسانى ، إننى أطلب من العرب والمسلمين سرعة التحرك لاستنهاض المنظمات الدولية لتقف ضد هذا العداون .

إن الجامعة العربية لمشكورة إذ بادرت فعقدت اجتماعاً فى السادس من ذى الحجة ١٤١٥ هـ الموافق ١٩٩٥/٥/٦ لبحث الموقف . ثم أين منظمة المؤتمر الإسلامى؟ وأين موقفها فى مساندة قضية القدس التى يحمل لها العالم كله ـ كل إعزاز ويحافظ عليها أدبياً ، إن الأمر يقتضى الحفاظ عليها واقعياً من هؤلاء الذين لا يرعون عهداً ولا وعداً ـ الذين نقضوا كل الوعود فى تاريخهم الطويل لاسيما منذ أن استوطنوا فلسطين .

إن الأمر جدّ أيها العرب والمسلمون وإن لم تهبوا للوقوف ضد هذا العدوان ، فإلى أن يأتى السلام لن تكون له أرض يستقر عليها .

● تبنت أمريكا موقفاً فاتراً من الإجراء الإسرائيلى وقالت مندوبتها الدائمة فى الأمم المتحدة : إن مجلس الأمن ليس الجهة المناسبة لمناقشة المصادرة ؟

● ● يجب على أمريكا وهى التى بيدها خيوط اللعبة كما يقال ، أن تقف ضد أية تغيرات تحدث فى القدس بحيث تبقى الحال فى القدس على ماكانت عليه وقت توقيع الاتفاق إلى أن يعاد التفاوض بشأنها مع الفلسطينيين ؛ وهذا ماينبغى أن تقوم به أمريكا حتى يثق بها الناس كراعية للعهود والوعود ، وعليها حين تحكم بين المتنازعين أن تتوخى العدل والإنصاف .

● أحجم المسلمون عن زيارة القدس أمام مواقف إسرائيل وتجاوزها للقانون ـ وتساءلوا : هل الذهاب إلى القدس فريضة ؟

● ● إن القدس هي غاية إسراء النبي ﷺ من « مكة » وموطىء قدمه في معراجه ـ وبها « المسجد الأقصى » الذي صلى فيه إماماً بالأنبياء ، وهو بهذا من المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ـ وإن أجر الصلاة فيه مضاعف ـ فهو ثالث الحرمين في « مكة والمدينة » ـ ولهذه الأسباب يكون للقدس منزلة عظمى في نفوس المسلمين لكنهم يحجمون الآن ويحجبون أنفسهم عن زيارتها والصلاة فيها ترقباً لتحريرها ، فإن مايقع فيها لايمكن للمسلم أن يطيقه من اختراق لحرمة المسجد ، وتعطيل للصلاة وحفريات حول المسجد وأسفله ـ الأمر الذي يوحي بأن إسرائيل تستهدف إزالته ـ وهذا أمر ينبغي أن يفكر فيه المسلمون طويلاً وكثيراً ، وأن يعملوا على حراسته بأجسادهم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

● إسرائيل تزمع الاحتفال بمرور ثلاثة آلاف سنة على القدس كعاصمة موحدة للشعب اليهودي ـ وهو الاحتفال الذي يبدأ مع السنة العبرية الجديدة في سبتمبر القادم ويستمر حتى سبتمبر ١٩٩٦ ؟

● ● أيضاً يجب أن يقترح على الجامعة « بعد منظمة المؤتمر الإسلامي » أن يواجها هذا الفكر المعتدي الذي يتجاهل كل الحقوق ويعتصم بالجحود ونكران الوعود والعهود « بإيضاح الحقوق العربية في فلسطين كلها وليس القدس فحسب . وأن يعرضوا على الأجيال المعاصرة في العالم كله ـ ولاسيما العرب والمسلمين ـ هذه الحقوق بأسانيدها التاريخية والعلمية حتى يوضع الأمر في نصابه ، وحتى يكون الفكر الصحيح الذي يبديه العرب والمسلمون ماحضاً لهذه الأباطيل التي كادت تثبت وتبقى .

● هناك من يرى أن الضرورات تبيح المحظورات ـ وأنه يمكن في الإسلام تجميد فريضة الحج إذا كانت تعطل فريضة الجهاد ؟

● ● هذه وجهة نظر غير صحيحة في الإسلام ، فإن العبادات لاتسقطها إلا الضرورات الشرعية التي نص عليها الشرع ، فالصلاة لم تسقط في الحرب ـ بل يؤديها المحاربون ، وقد نظم القرآن طريقة أدائها ، لاسيما وأنه أثناء الجهاد الحرفي لايشارك كل أفراد الأمة في الميدان ، وإنما الجزء القادر والمدرب على الجهاد ، أما الآخرون فعليهم ألا يعطلوا شرع الله .

● يتوقع صدور قرار بتجميد معاهدة الحظر النووي إلى أجل غير مسمى ـ وأتساءل ماذا عما يتعرض له العالم العربي من ابتزاز نووي إسرائيلي ؟

● ● إن الموقف الذي وقفته مصر في هذه القضية ، وانضم إليها الكثيرون هو موقف من يعرف قدر نفسه ومن يحافظ على عرضه وأرضه . والأمر يحتاج إلى الإصرار على التمسك بالحق ولو انفرد صاحب الحق به ، ولا ينبغي أن تفرط مصر وفقاً لقدرها ومكانتها في المنطقة في موقفها الدفاعي عن نفسها ، وعن الأمة العربية والإسلامية لأنها تدافع عن هذه الأمة وتقودها دائماً إلى النصر .

● إذا كانت النية لإسرائيل خالصة فإن تحقيق السلام لابد أن تتوازى معه إقامة منطقة خالية من الأسلحة النووية !

● ● نعم وهذا ماطالبت به مصر . ولاشك أن موقف إسرائيل يثير الشكوك والريب خاصة أن تصريحات مسئوليها تأتى معارضة لما طالبت به

مصر ودول المنطقة بأن يكون الجميع على قدم المساواة فى التوقيع على معاهدة الحظر النووى ،

فأى ضير فى هذا بالنسبة لإسرائيل إذا كانت تريد حقاً أن تعيش فى سلام ؟

● تتمسك إسرائيل بالسلاح النووى كضمانة أمنية ؟

● ● ضمانة أمنية ضد من ؟ لا أحد فى المنطقة يملك سلاحاً نووياً حتى يكون هناك مقابل رادع له ، ثم إن الأمن الحقيقى لإسرائيل يتمثل فى توافقها مع دول المنطقة وهو ما يتطلب أن تكون المنطقة خالية من الأسلحة النووية ، الكل أبدى استعداداً للتوقيع ، فلماذا تصر إسرائيل على أن تكون استثناء وترفض التوقيع ، ولماذا تريد التفرد بالسلاح النووى إلا إذا كانت سيئة النية وسيئة الغاية ، وهذا مايدعو الدول الأخرى وعلى رأسها مصر أن تحذر وتحاذر من الوقوع فى هذا الفخ وهو المد إلى أجل غير مسمى لمعاهدة الحظر النووى .

● إسرائيل تتذرع بأن دولة مثل إيران تعكف على تصنيع القنبلة النووية ؟

● ● أليست إيران من دول المنطقة ، بل إنها وقعت على معاهدة الحظر وتخضع منشآتها لرقابة وكالة الطاقة النووية، فلماذا لاتوقع إسرائيل مثلما وقعت إيران ؟ ولماذا تزداد حدة الهاجس الأمنى لدى إسرائيل، وكأن المنطقة ليس لها أن تبحث عن أمنها وأن إسرائيل هى الوحيدة المهددة فى أمنها ، إن إسرائيل بترسانتها من الأسلحة التقليدية والنووية تشكل أكبر تهديد للأمن القومى العربى .

● طالعتنا الولايات المتحدة أخيراً بفرض حظر تجارى على إيران بدعوى تطرفها وتطلعها إلى امتلاك أسلحة نووية .

ما هى رؤيتكم خاصة أن الحصار اليوم لا يطبق إلا على الدول الإسلامية مثل : العراق وليبيا وإيران ؟

● ● هذه هى السياسة اللعينة التى لا تعرف الحق ولا العدل ، وإنما تعرف الأنانية والمصالح الشخصية وتعادى الإنسانية ، هذه هى الديكتاتورية التى تعامل الناس وهى تزعم أنها قائدة الديمقراطية وراعيتها والمدافع الأكبر عن حقوق الإنسان ، ولو كانوا حقاً يعرفون الديمقراطية ويرعون حقوق الإنسان ماصنعوا مثل هذا الذى صنعوه بإيران أو بغيرها من دول العالم الثالث كما يقولون ، إن العنصرية التى زعموا أنها انتهت . انتهت لفظاً فقط ، ولكن مؤدى هذا اللفظ مازال سوطاً يهدد الدول التى تبتغى الحياة الهادئة النظيفة وتنمى وتبنى نفسها وتقود شعوبها لكى ينهضوا ببلادهم وحياتهم الأسرية والاجتماعية إلى مرتبة الإنسان الذى يؤدى واجباته نحو نفسه كإنسان .



إن هؤلاء الذين يتنادون بأنهم أصحاب عدل ومبادئ، يجب أن ينظروا تحت أقدامهم لأنهم سيجدون أنهم قد انحدروا بتصرفاتهم ضد الشعوب المستضعفة إلى درجة لا تصدق ؛ إن فرض الحصار على إيران وغيرها بدعوى التطرف أمر بغيض ــ وخيراً فعلت بعض الدول الأوربية حين أعلنت رفضها لهذا المبدأ وأنها لن تشارك فيه .

إن على دول العالم الثالث أن تنهض لتأخذ دورها فى هذه الحياة بالإعتماد على نفسها ، والتساند فيما بينها اقتصادياً واجتماعياً وصناعياً مادام العالم المتحضر ــ كما يقول عن نفسه ــ قد افتقد الإنسانية أو افتقدته الإنسانية .

● **رابين يتطلع إلى أن يتم التوصل إلى مسودة اتفاق حول « الجولان » خلال عام يتم الاستفتاء حوله قبل انتخابات الكنيست !**

● ● متى كانت أراضى الغير موضع استفتاء ، إنه لأمر غريب وعجيب ، ولم يكن ينتظر أن يصدر مثل هذا الفكر من إنسان عاقل ، إذ هل يستفتى ــ المغتصب والمعتدى ــ للتخلص من العدوان ؟ أم أنه ينبغى عليه أن يرحل مختاراً تنفيذاً لقرارات المجتمع الدولى ؟ إذا كانت إسرائيل تبتغى السلام فعليها أن ترحل دون أية شروط ودون تراخ حتى تثبت ــ وقد صار من حولها جيران لها ــ حسن الجوار من جانبها ؛ أما هؤلاء الجيران فهم مسالمون بطبيعتهم وبمعتقداتهم يعرفون حقوق الإنسان وحقوق الجوار ، وعليه فإن إسرائيل مطالبة اليوم بالانسحاب الكامل من « الجولان » .

بيان من الأزهر الشريف

بشأن اتجاه إسرائيل لضم القدس

تواترت الأنباء عن الإجراءات الاسرائيلية الخطيرة ضد « مدينة القدس » ، وإلى تفريغها من سكانها الفلسطينيين توطئة لإحلال آخرين دخلاء على أرضها .

ولا شك فى أن هذه الإجراءات تشكل انتهاكا خطيرا لاتفاق إعلان المبادىء الفلسطينى الإسرائيلى ، ويناقض العملية السلمية الجارية تنفيذا لذلك الاتفاق ، فضلا عن أنه يتنافى مع الشرعية والأعراف الدولية وقرارات الأمم المتحدة .

والأزهر الشريف ــ بجميع هيئاته ــ يستنكر هذه الإجراءات ويناشد المجتمع الدولى ، الوقوف بحزم ضد أى مساس بوضع مدينة القدس العربية والمقدسات على أرضها وصيانة حقوق أهلها العرب .

ويدعو الأزهر الشريف كافة الشعوب والحكومات الإسلامية وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى والأمم المتحدة بكافة أجهزتها أن تعمل على وقف هذا العدوان على مدينة القدس ومقدساتها بإجراءات حازمة حاسمة تهيىء الجو لمواصلة إرساء السلام على هذه الأرض المقدسة ومنعا لهذا العبث الذى يعوق الاستقرار فى المنطقة العربية .

ولتظل مدينة القدس كما كانت خالصة لأهلها حتى تتحقق الآمال فى وطن مستقر آمن عاصمته القدس .

شيخ الأزهر الشريف

(جاد الحق على جاد الحق)

شيخ الأزهر

وزيارة ناجحـــة للســـنغال

بقلم السـفير/محمد عبدالرحمن دياب
سـفير مصـر في الســنغال

شهدت السنغال حدثاً إسلامياً وسياسياً هاماً تمثل فى الزيارة الأخيرة التى قام بها فضيلة الإمام الأكبر «الشيخ جاد الحق على جاد الحق» ـ شيخ الأزهر ـ والوفد المرافق له بدعوة من الرئيس / عبده ضيوف ولمدة أسبوع من ٥ إلى ١٢ من إبريل . الموافق الخامس من شهر ذى القعدة ١٤١٥هـ .

وقد سعدت «السنغال» كلها حكومة وشعباً بهذه الزيارة التى اعتبرتها (تشريفاً وتكريماً ومباركة لها) على حد تعبير الرئيس / عبده ضيوف ، وحرصت على إحاطة الإمام الأكبر ووفده بأقصى مظاهر التكريم والترحيب الرسمى والشعبى ، وكان أحد مظاهرها مقابلة مع الرئيس عبده ضيوف ، الذى قلد فضيلته أعلى وسام سنغالى .

حققت الزيارة نجاحاً مطلقاً وعلى كافة الأصعدة ، وكان طوال مدة الزيارة بمثابة مظاهرة سياسية ودعائية لمصر والرئيس/ حسنى مبارك «والإسلام والأزهر ودوره فى العالم كله» وكانت موضع تغطية إعلامية مكثفة على مدى الأيام السبعة للزيارة من قبل كافة أجهزة الإعلام المسموعة والمقروءة والمكتوبة .

وقد أدى فضيلته صلاة الجمعة بالمسجد الكبير «بالسنغال» وسط حشد وحضور كبيرين .
كما أسفرت الزيارة عن تحقيق نتائج محددة للتعاون بين الأزهر والسنغال فى مجال تعليم اللغة

العربية أعلن عنها فى بيان رسمى مشترك وقعه كل من فضيلة الإمام الأكبر ، ووزير التعليم الوطنى السنغالى .

ويأتى على رأس هذه النتائج إنشاء «معهد إسلامى للأزهر» فى قلب العاصمة ، وقرار مضاعفة عدد المنح الحالية «وإقامة معارض للفنون والمخطوطات الإسلامية» وزيادة عدد مبعوثى الأزهر لتدريس اللغة العربية داخل المدارس العامة المملوكة للدولة .

وبخلاف المقابلات واللقاءات الرسمية العديدة «وزيارة المعاهد والجمعيات والاتحادات الإسلامية المختلفة بدكار» ، فقد غطى فضيلة الإمام خلال زيارته عدة مدن «سنغالية هامة» التقى خلالها بمختلف خلفاء الطوائف الإسلامية الأساسية فى «السنغال» من «تيجانية» «موريدية» «وقادرية» ... إلخ وبعض كبار المعاهد الإسلامية السنغالية التى يعمل بها ممثلو الأزهر .

وفى جميع هذه الجولات كان الموكب الرسمى لبعثة الأزهر يستقبل استقبالاً رسمياً وشعبياً حافلاً يشترك فيه أكبر القيادات الإدارية الرسمية ، وتتردد فيه هتافات الجماهير العريضة بحياة مصر وقائدها والأزهر «والإسلام» وحيث ألقيت طوال هذه اللقاءات كلمات الترحيب الحارة من قبل القيادات الدينية والشعبية ورد عليها فضيلته بكلمات مناسبة أشاد فيها بمكانة «السنغال» ودورها الرائد فى غرب أفريقيا ، كما أجاب فيها فضيلته على كافة الاستفسارات التى تلقاها من المسلمين «السنغاليين» عن بعض المشاكل التطبيقية للإسلام فى «السنغال» والتى حاول فضيلته من خلالها تصحيح بعض السلوكيات والتطبيقات الإسلامية الخاطئة الموروثة عن التقاليد الوثنية التى كانت سائدة فى عصر الاستعمار .

ولم تغفل الزيارة الجانب الدعائى الإعلامى حيث تضمنت محاضرة عامة بعنوان : «الإسلام دين التسامح والحوار» فضلاً عن مؤتمر صحفى فى ختام الزيارة ، بالإضافة إلى سلسلة مقابلات صحفية خاصة رتبتها «السفارة» له مع أهم صحف العاصمة .

وغادر فضيلة الإمام وقد تأكد بنفسه أن الإسلام بخير فى «السنغال» وأن مستقبل الإسلام بالقارة يعتبر واعداً ، كما أعطى سيادته جرعة روحية ضخمة لكافة المسلمين فى ربوع «السنغال» وسيتذكرون له هذه الزيارة دائماً بكل الإعزاز والتقدير .

(١) سُورَةُ الفَاتِحَةِ
مكية وآياتها سبع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣
مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦
صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

مع سورة الفاتحة

للأستاذ الدكتور
إبراهيم الدسوقي محمد يحيى*

هذه السورة بالنسبة لترتيب المصحف في أوله وأما بالنسبة لترتيب النزول فليست أول ما نزل على الصحيح ، وإنما أول ما نزل صدر سورة « اقرأ » ويقال : إنها نزلت مرتين مرة بمكة ، ومرة بالمدينة ؛ ولا مانع منه عند أكثر العلماء .

وعدد آيها سبع على الصحيح .

و « بسم الله الرحمن الرحيم » آية منها عند أكثر العلماء .

وللفاتحة أسماء كثيرة أوصلها بعضهم إلى ثلاثين : منها أنها « أم القرآن » و « فاتحة الكتاب » و « السبع المثاني » وتسمى أيضا القرآن العظيم . فقد أخرج ابن جرير عن أبي هريرة — رضي الله عنه عن رسول الله — ﷺ — أنه قال : هي أم القرآن وهي فاتحة الكتاب وهي السبع المثاني والقرآن العظيم .

● الكاتب أستاذ التفسير بكلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر

وإنما سميت « السبع المثانى » لقوله تعالى : فى سورة الحجر « **ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم** » .

وسميت سبعا : لأن عدد آيها كذلك .

وسميت : مثانى لأنها تثنى بسورة أخرى ، أو لأنها نزلت مرتين : مرة بمكة ومرة بالمدينة ، أو لأنها على قسمين : ثناء ودعاء .

وسميت بالقرآن العظيم ، لأنها جمعت مقاصد القرآن كله وما جاء بعدها من سور القرآن فهو تفصيل لما أجمل فيها .

ومقاصد القرآن هى : التوحيد ، والوعد ، والوعيد ، والعبادة والمنهج ، وقصص الأنبياء فالتوحيد فى قوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » والوعد والوعيد فى : الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين » والعبادة فى قوله : إياك نعبد وإياك نستعين ، والمنهج فى قوله : إهدنا الصراط المستقيم . وقصص الأنبياء السابقين فى قوله : صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

التفسير :

بسم الله الرحمن الرحيم تكلم المفسرون كثيرا فى معنى البسملة ، وفى علاقة بعضها ببعض ، وفى المقصود منها أول كل سورة ، ويتلخص ما قالوه فى أن : البسملة تعبير يُقصد به الفاعل إعلان تجرده من نسبة الفعل إليه ، فالقارىء إذا ابتدأ قراءته يبتدئها « باسم الله » كأنه يقول اقرأ بإقدارك وبأمرك يا الله ، وكذلك من يشرع فى طعام أو شراب أو بناء أو سفر أو نحو ذلك ، فإنه حين يسمى الله يطلب منه أن يعينه على إتمام ما بدأ ، وقد ورد الحديث الشريف بذلك ، قال ـ ﷺ ـ : « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع أو أجزم أو أبتر » . أخرجه البخارى .

والقصد فى افتتاح أوائل السور لفت أرباب العقول إلى أن هذه السور ، وما يتلى فيها من آيات إنما هى لله ، ومن الله ، وليس لأحد من خلقه شىء فيها ؛ فليست من قول محمد ـ ﷺ ـ ولا من تعليم بشر : « إن هو إلا وحى يوحى » « الرحمن علم القرآن » .

وكلمتا « الرحمن الرحيم » مقترنين تعبير غير مألوف عند العرب ، ولم يعرف عندهم إلا بعد أن نزلت البسملة على النبى ـ ﷺ ـ .

و « الرحمن الرحيم » صفتان لله ـ تعالى ـ وهما من الرحمة التى هى : رقة القلب ورقة القلب معنى مستحيل بالنسبة لله ـ تعالى ـ لأن رقة القلب من صفات الحوادث ، والله ـ تعالى ـ منزه عنها لقوله ـ تعالى : « ليس كمثله شىء » ولذا اختلف السلف والخلف فى المراد من الرحمن الرحيم :

فيرى السلف : أن لله رحمة تليق بذاته لا يدرك معناها أحد .

ويرى الخلف : أن المراد بهما أن الله محسن منعم متفضل ، وهى معان تنشأ من رقة القلب فيكون الاستعمال عندهم مجازى .

وقد اختلف المفسرون فى الفرق بين « الرحمن والرحيم » فيرى البعض أن الرحمن هو : المنعم بجلائل النعم ، والرحيم : المنعم بدقائقها ،

وبعضهم يقول : إن الرحمن هو المنعم بنعم عامة تشمل الكافرين مع غيرهم ، والرحيم المنعم بالنعم الخاصة بالمؤمنين .

ويرى الشيخ محمد عبده أن الرحمة صفة عارضة وأما الرحيم فهى صفة أصيلة ، والرحمن أثر من آثارها فلفظ الرحمن يدل على من تصدر عنه آثار الرحمة بالفعل ، وهى إفاضة النعم والإحسان ولفظ الرحيم يدل على منشأ الرحمة والإحسان فهما وصفان لا يستغنى أحدهما عن الآخر .

الحمد لله رب العالمين :

السور التى بدئت بالحمد خمسة : « الفاتحة ، والأنعام : « ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ » والكهف : « ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا » و « سبأ » : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ و « فاطر » : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾

وقد ذكر فى كل سورة حيثية الحمد ، ولكن الحيثية الأعم والأشمل جاءت فى سورة الفاتحة وهى : (لله رب العالمين) .

والحمد هو الثناء باللسان على الجميل الإختيارى .

والحمد لله رب العالمين تقرر ثبوت الثناء المطلق الذى لا يحد لله سبحانه وتعالى ، وتثبت أن الثناء مختص به ــ سبحانه ــ فليس لأحد أن ينازعه إياه وإذا حُمد أحد غير الله فبسبب حمده إجراء نعمة على يده .

واستحقاق الله العام الشامل للثناء المطلق سببه وحيثيته : أنه سبحانه ــ رب العالمين فليس شىء من الكائنات سماويها وأرضيها إلا والتربية الألهية قد شملته فى جميع أطواره ، ومن هذه الكائنات الإنسان فقد جعله الله ــ سبحانه ــ سيد هذا الكون كله فأسجد له ملائكته ، ونفخ فيه من روحه ، وأعلن أنه خليفته فى الأرض « وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة » .

ولله فى الانسان تربيتان : تربية خلْقية وأخرى تشريعية وقد جمعهما قوله : « رب العالمين » هذه الكلمة توحى إيحاء قويا بأن يُعمل الإنسان عقله فى هذا العالم ليدرك نواحى هاتين التربيتين اللتين جعلتا من حيثيات استحقاق الله ــ تعالى ــ للحمد واختصاصه بالثناء .

« الرحمن الرحيم » :

هذه هى الحيثية الثانية لتخصيص استحقاق الله بالحمد ، وقد يقول قائل : ما سر مجىء هذين الوصفين عقب (رب العالمين) وللجواب عن ذلك نقول :

إن ربوبية الله للعالم وملكه إياه وعلاقته به ليست علاقة قسوة وشدة ، وإنما هى علاقة رحمة ورأفة فبالرحمة يُوجدون ، وبالرحمة يُرزقون ، وبها يتصرفون ، وبها يوم القيامة يبعثون : ليأخذ كل جزاءه إظهاراً للعدل الإلهى ؛ فإذا استقر هذا المعنى فى نفوس العباد ، وأن الله يتحبب إليهم بصفة « الرحمة » كان ذلك أدعى إلى إقبالهم عليه واختصاص الحمد له دون غيره ، وما أحوج المؤمن إلى أن يتخلق بخلق الرحمة .

قال : ـ ﷺ ـ : « الراحمون يرحمهم الرحمن » وارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء أخرجه مسلم .

واتصافه سبحانه بالرحمة لا ينافى تشريع العقوبات على الجرائم ؛ لأن هذا التشريع يمنع الناس من أن يعتدى بعضهم على بعض فتشيع الرحمة فيهم ، فإن الآباء مع حبهم لأبنائهم حبا شديدا يقومون أثناء تربيتهم بضربهم والقسوة عليهم ، وقد يعطونهم الدواء المر بقصد شفائهم ، وكل رحمة بهم وحنوا عليهم . والشاعر يقول :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقس أحيانا على مـــن يرحـــم

« مالك يوم الدين » :

للدين معان كثيرة والمعنى المراد هنا : هو (الجزاء) وقد قرىء مالك ومَلِك بالمد والقصر ، والقراءتان تفيدان الملك ، ـ فى يوم الدين الذى هو يوم الجزاء والحساب ـ لله وحده وقد أعطى الله ـ سبحانه ـ فى الدنيا لبعض خلقه شيئا من مظاهر الملك أو الملك تنفيذا لما أراده فى هذا الكون من تصرفات ظاهرية لبعض عباده ، وانفرد ـ وحده ـ فى هذا اليوم بجميع التصرفات . لا يشاركه فيها أحد ممن خلق ولا يشفع أحد إلا لمن ارتضى ، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه .

قال تعالى : « مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ »

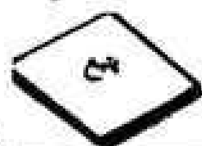
وقال : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾(٢)

« إياك نعبد وإياك نستعين » :

ما تقدم من الآيات فى سورة الفاتحة ثناء على الله سبحانه ، وبيانٌ لحيثيات استحقاقه للحمد وحده ، وتقرير لحقيقة الربوبية . وإذا ثبتت هذه الحيثيات وتلك الصفات لله كان حقيقيا بأن يُخص ويُفرد بالعباد والاستعانة ويجدر بالعباد أن يتجهوا إليه وحده بالخضوع والخشوع والالتجاء إليه فى طلب حوائجهم الدنيوية والتشريعية ، لا يتجهون إلى غيره لا استقلالاً ولا اشتراكا وهذا التخصيص قد أُخِذَ وَاسْتُفِيدَ من تقديم « إياك » على « نعبد » كما هو مقرر فى قواعد البلاغة . من أن تقديم ما حقه التأخير يفيد القصر . والعبادة ـ فى حقيقتها : خضوع ينشأ عن استشعار القلب بعظمة المعبود اعتقادا بأن لله ـ سبحانه ـ سلطانا أعلى لا يدرك العقل كنهه ، وهذا هو روح العبادة وسرها فإذا وجدت صورة العبادة خالية من هذا المعنى لم تكن عبادة وقد فرضت الشعائر التعبدية لتذكير الإنسان بذلك الشعور ولتقويم الأخلاق وتهذيبها

والاستعانة بالله لا تنافى الأخذ بالأسباب ولا تنافى مع تعاون الناس بعضهم مع بعض وبناء عليه ؛ فالمسلم مطالب بالأخذ بالأسباب لارتباطها بمسبباتها ، مع الاعتقاد بأنها لا تنشأ عنها مسبباتها إلا بإرادة الله ، وقد لا يوجد هذا الارتباط بينهما لعدم إرادة الله سبحانه ذلك فقد أعدت النار لإحراق إبراهيم عليه السلام ومع ذلك لم يصب منها بسوء قال تعالى « قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ »(٣) .



(٢) غافر ١٦ .

(٣) الأنبياء ـ ٦٩ .

رؤية مفتوحة فى تفسير:

غضب موسى الكليم.. وأثره فى ألواح التوراة

بقلم الدكتور عبدالفتاح أبوسنة

القرآن وحده ـ دون الكتب من قبله ـ هو الكتاب الذى لاريب فيه ، لا نشك أن كل حرف فيه من قول الله ، فلا تصحيف فيه ولا تبديل .

والتوراة بالذات من بين ما أنزل الله تعالى فيما نعلم من قول الله عز وجل ؛ هى الكتاب الوحيد الذى أنزله الله مكتوباً فى الألواح . قال تعالى :

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ الأعراف : ١٥٤

أى : إن لم تفعلوا كان مصيركم دار الفاسقين

(سفر الخروج ٣٢/٢٩) فلم تعد ثمة ألواح ، ولكن موسى نحت لنفسه بأمر الله لوحين من حجر مثل الأولين كتب الله له عليهما نفس الكلمات التى كانت على اللوحين اللذين كسرهما فى حُمُوِّ غضبه (خروج ١/٣٤) .

إن القرآن الكريم يجيء « بالألواح » على صيغة الجمع كما مر بك ، ويبين لنا أن الألواح لم تتحطم ولم يكسرها موسى بيديه ـ حاشاه أن يفعل ، مهما كان حمو غضبه ـ ولكنه (أخذ الألواح) أى التقطها لم يمسسها سوء ولم تمح منها كلمة مما كتب الله له فيها كما تفيد لفظة « أخذ » ولو أنه ألقى الألواح بمعنى رماها فتكسرت وتبعثرت لكان الأولى أن يقال : « ولما سكت عن موسى الغضب (جمع) كسور الألواح ولكنه ولكن بنى إسرائيل لم يفعلوا ، وتعللوا بأن الألواح التى جاء بها موسى من عند الله ألقاها موسى فتحطمت منه فى فتنة العجل ؛ بل تقول لك هذه التوراة المتداولة بأيدى الناس : إن الألواح لم تكن إلا لوحين اثنين ، كسرهما موسى فى حُمُوِّ غضبه .

* الكاتب عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

قال : (أخذ) أى أخذها من مكانها الذى وضعها فيه ليتفاهم مع أخيه هارون وقومه .

ولست أدرى من أين استقى المفسرون المسلمون المعلومات التى تفيد رمى الألواح وتكسيرها ؟ اللهم إلا تلك الإسرائيليات التى كتبت بأيدى كتبة استنسخوها بأيديهم إبان السبى لم يهبط عليهم بها وحى .

ناهيك عن تحريك الكلم عن مواضعه ودليلك فى هذا من التوراة المتداولة فهى تحيلك فى بعض مواضع إلى أسفار تسميها لك بالاسم ثم تفتش عنها فى هذا المجلد فلا تجد لها أثراً بين دفتيه . وسواء نسب السفر إلى نبى أو كاتب ، فسيان هذا أو ذاك ؛ إذ ليس فى التوراة سفر واحد خطه نبى بيده مع جودتهم للقراءة والكتابة ـ عدا النبى الأمى الغنى عن التعريف البعيد كتابُهُ الذى أنزل عليه عن التصحيف والتحريف والذى تولى الله ـ تعالى ـ حفظه إذ يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

وسائر الكتب من صنع الكتبة على التراخى حفظوا أم ضيعوا وماجاء القرآن فى بعض مقاصده إلا لهذا ، ومصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه .

قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

[الأعراف]

يقول صاحب الكشاف : (وألقى الألواح) : طرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضباً لله وحمية لدينه ، وكان فى نفسه حديداً شديد الغضب ، وكان هارون ألين جانباً ، ولذلك كان أحب إلى بنى إسرائيل من موسى .

و (رُوِىَ) أن التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباع وبقى منها سبع واحد . اهـ

ويقول أبو البركات النسفى فى تفسيره : ﴿ وألقى الألواح ﴾ ضجراً عند استماعه حديث العجل غضباً لله وكان فى نفسه شديد الغضب ، وكان هارون ألين منه جانباً ، ولذلك كان أحب إلى بنى إسرائيل من موسى فتكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقى سبع واحد ، وكان فيما رفع تفصيل كل شىء وفيما بقى هدى ورحمة . اهـ

أما الإمام القرطبى فينقل عن أبى الفرج الجوزى سؤاله الاستنكارى :

ـ من يصحح عن موسى عليه السلام أنه رماها رمى كاسر ؟ والذى ذكر فى القرآن (ألقاها) فمن أين لنا أنها تكسرت ؟ ثم لو قيل : تكسرت ، فمن أين لنا أنه قصد كسرها ؟ (تفسير القرطبى : ٧/٢٨٨) .

حول الحرف القرآنى (ألقى)(١) :

تأتى ألقى ـ بمعنى : طرح ، وقذف .

١ ـ معان حسية تدرك بالحس .

(أ) ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ١٩] ـ

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم (مجمع اللغة العربية) ـ لسان العرب لابن منظور .

أى : ارمها أو اطرحها على الأرض .

﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾ [طه : ٣٩]

أى : فليطرحه .

﴿ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ ﴾ [يوسف : ١٠] ـ أى : ارموه أو اطرحوه .

(ب) وتأتى بمعنى القذف .

﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ [القصص : ٧] ـ أى فاقذفيه فى ماء النهر .

﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [ق : ٢٤] ـ أى : اقذفا .

(جـ) وتأتى بمعنى دفع أو وصل .

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ [النمل : ٢٩] ـ أى : أوصل ودفع .

٢ ـ ولها معان عقلية مجازية

(أ) ﴿ ألقوا إليكم السلم ﴾ [النساء : ٩٠] ـ إلقاء السلم أى : الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار فى الدنيا .

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾ [طه : ٣٩] ـ أى : أسبغت عليك محبة منى فأحبتك القلوب أو ركزت فى القلوب محبتك .

﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ [الممتحنة : الآية الأولى] ـ أى : تظهرونها لهم أو توصلونها إليهم .

﴿ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢٣] ـ أى : يوجه الأفاكون سمعهم إلى الشياطين ، والغرض أنهم يصغون إليهم ويتلقون منهم مايتلقون .

﴿ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ [الحج : ٥٢] ـ أى فيزيل الله العراقيل التى يضعها الشيطان فى قلوب الأتباع لتستقر الآيات التى تأتى بها الرسل .

﴿ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ ﴾ [النساء : ٩١] ـ أى يعلنوا إسلامهم .

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾ [الحجر : ١٩] ـ أى : وضعنا وثبتنا .

وقفة متأنية :

يكاد يجمع المفسرون على أن موسى كان فى نفسه حديداً شديد الغضب ضيق الخلق(٢) ولابد لنا هنا من وقفة متأنية تليق بهذا الكليم الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه ، كما أنه واحد من أولى العزم من الرسل الخمسة الذين ذكرهم البعض فى قوله :

محمد إبراهيم موسى كليمه
فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

ومن البدهى أن غضب هذا الرسول لم يخرجه عن حلمه ووقاره كما أن حدّتهُ قد عرفها الله له ، كما أخبر بذلك جبريل الأمين رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج حين سأله عن موسى وقد علا صوته : من هذا يا أخى يا جبريل ؟ فقال : هذا أخوك موسى بن عمران قد عرف الله له حدته . وهى حدة نألفها جميعاً من المعلم المخلص صاحب القلب الرحيم حين يدفع تلاميذه لعلو الهمة أو يزجرهم حين يصدر منهم ما يسيئون به إلى أنفسهم فيقسوا عليهم أحياناً وفى هذا يقول القائل :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً
فليقس أحياناً على من يرحم

يقول ابن العربى : وكان موسى عليه السلام من أعظم الناس غضباً لكنه كان سريع الفيئة

---

(٢) المحرر الوجيز لابن عطيه : ٨٦/٦ ـ طبعة قطر .

فتلك بتلك . اهـ

قلت : من أين جاء ابن العربي بهذه المقولة وهو يعلم يقيناً - رحمه الله - أن المؤمن بطىء الغضب لما يتسم به من الحلم والأناة ، سريع الرضا لما يتسم به من كظم الغيظ والعفو عن المسىء بل والإحسان إليه . أفيكون هذا نصيب المؤمن ولا يحظى به صاحب الرسالة الذى جاء بهذه الأخلاق التى يعلمها الناس ويدعوهم إلى حسن التأسى والاقتداء به ؟ إن هذا الشىء عجاب !!

إن إلقاء الألواح بمعنى الرمى الذى يؤدى إلى الكسر يصل بنا إلى أمرين يتنزه عنهما كليم الله موسى الذى ألقى الله عليه محبة منه واصطنعه لنفسه

الأمر الأول : الاستهانة بما عظم الله كمن يلقى بالمصحف على الأرض رمياً أو طرحاً لحزن ألم به أو غضب انتابه ، وإذا كان هذا لا يليق بعامة المؤمنين فكيف يقع هذا من خواصهم بَلْهَ الأنبياء والرسل . ناهيك عن أولى العزم منهم ؟ فحاشا موسى الكليم أن يكون قد رمى بالألواح على الصورة التى ذكرها من ذكرها - غفر الله لنا ولهم - .

الأمر الثانى : أن التوراة المتداولة قد انتابها التحريف والتغيير والتبديل . وقد أخبرنا القرآن بأن هذا قد تم بأيدى المغالين والمغرضين من أهل الكتاب - فلو أن كليم الله موسى ألقى الألواح رمياً فانكسرتْ لكان هو أول من تسبب فى ضياع التوراة مما أدى بها إلى ماصارت إليه الآن وذلك مالا يكون .

وعليه فالذى تستريح إليه النفس أن كلمة « ألقى » بمعنى وضع كما جاء فى معنى قوله تعالى : ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى ﴾ وفى لغة (صعيد مصر) الذين يتكلمون العربية بفطرتهم يقولون لك إذا جئتهم بشىء : « لقحه » أى : ضعه وهى كلمة تفيد ألقه [بزيادة حاء وإسقاط ألف] .

كما أن رمى الألواح المؤدى إلى كسرها يتنافى مع قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى الَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ سورة الأنعام

حول الحسن والأحسن :

﴿ .وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ... ﴾

والحسن والأحسن هنا يتعلق بالجانب العملى والسلوكى على ماهو أرفق بالجانى وأكمل ثواباً للمجنى عليه كما ترى فى مثل قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ سورة النحل

وكقوله تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى اللَّهِ ﴾ الشورى : ٤٠

وذلك ماتفيده الآية الكريمة

﴿ وَاتَّبِعُوٓا أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ [الزمر : ٥٥] .

وبعد فإن ارضاض الألواح الذى ذكره المفسرون بناء على أن الألواح قد تكسرت ، وأنه من البقية التى ترك آل موسى وآل هارون لم يكن لهم فيه دليل مقنع ، وتكون البقية هى عصا موسى وثيابه ونعلاه وعمامة هارون عليهما السلام ، وكانت هذه الآثار الموضوعة فى التابوت بركة على المجاهدين فى سبيل الله كما كان قميص يوسف بركة على أبيه يعقوب عليهما السلام . نسأل الله الهداية والتوفيق

قبس من أنوار النبوة

الرسول يحذر أمته مزالق الشيطان

لفضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم

عن أم المؤمنين صفية بنت حيي ــ رضي الله عنها ــ قالت : كان النبي ﷺ معتكفا فأتيته أزوره ليلا ، فحدثته ، ثم قمت لأنقلب ، فقام معي ليقلبني فمر رجلان من الأنصار ــ رضي الله عنهما ــ فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال النبي ﷺ : على رسلكما ، إنها صفية بنت حيي .. فقالا : سبحان الله ، يا رسول الله ، فقال : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شرا ، أو قال شيئا »

«رواه الشيخان ، وأحمد ، وأبوداود ، وغيرهم»

المفردات :

(١) معتكفاً : ملازما للمسجد مع حبس النفس عما تعتاده ، والتفرغ للطاعة .

(٢) قمت لأنقلب : أى لأرجع إلى منزل

(٣) على رسلكما : أى إمشيا الهوينى وتمهلا فليس هناك ماتكرهانه .

(٤) يجرى مجرى الدم : أى بكثرة إغوائه وإضلاله بالإنسان كأنه دمه الذى يجرى فى عروقه والمقصود التسلط والوسوسة .

(٥) خشيت : خفت عليكما من مزالق الشيطان .

البيان :

كان رسول الله ﷺ ـــ المثل الأعلى في الكمال الإنساني جعله الله للناس إماما يقودهم إلى الخير ، ويدفعهم عن الشر ، ويهديهم إلى صراط الله المستقيم ، وكان رفيقا بأمته يتحسس لهم مواطن الخير فيدفعهم إليها وينأى بتصرفاتهم أن تشوبها ريبة ، أو تقرب منها شبهة ، فلم يترك للشيطان منفذا إلا أغلقه ، لأن الشيطان عدو حذرنا الله منه فقال ـــ تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾

فاطر ـــ ٦ .

وكيف لا يكون عدوا وهو الذى كاد لأبوينا آدم وحواء وغرهما ، حتى أخرجهما من الجنة ، ومن هنا كان تحذير الله ـــ سبحانه ـــ لبنى آدم من الافتتان به ، فقال : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾

الأعراف ـــ ٢٧ .

وكما كاد لأصلنا فهو لا يترك فرصة سانحة إلا كاد بها لبنى الإنسان ، فهو يأتى لابن آدم من كل جهة : من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن تحته ، ولا يأتيه من فوق لأن رحمة الله تنزل من فوق ، ويقعد له كل مرصد .

روى أحمد والنسائى وابن حبان : عن ابن الفاكه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، قعد له بطريق الإسلام فقال : أتسلم وتذر دينك ودين آبائك ؟ قال : فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال : أتهاجر وتذر أرضك وسماءك .. قال فعصاه فهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد ، فقال : هو جهاد النفس والمال فتقاتل وتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال ؟ قال : فعصاه فجاهد » ..

والشيطان لا ييأس من إلقاء الوسوسة لبنى آدم ومن أجل ذلك أمرنا الله أن نستعيذ بالله من الشيطان ، وكثر فى القرآن الأمر بالاستعاذة منه . والمتقون إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا . كما قال ـــ عز من قائل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ الأعراف ـــ ٢٠١ والمتقون يفزعون إلى الله ويلوذون به من وساوس الشيطان الذى لا يفتأ يزين السوء سوءا ويغرى بالشهوات ولهذا يشتد اللجوء إلى الله . كما قال الله :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ فصلت

وكم أغرى الشيطان بنى الإنسان فأقبل أكثرهم على إرضاء الهوى واتباع الملذات والجرى وراء الشهوات .

وحديثنا يذكر واقعة حذر فيها النبى أمته من مواقف الريب ، ودعا إلى إحكام الرقابة على الأفعال التى يجد الشيطان فيها سبيلا إلى الفتنة والإغواء فقد كان ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ معتكفا منصرفا عن مشاغل الحياة ، متفرغا للطاعة فجاءته زوجته أم المؤمنين صفية ـــ رضى الله عنها ـــ تزوره ليلا ، فحدثته . ثم همت بالرجوع إلى بيتها فقام النبى معها ليرجعها إلى المنزل فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا فى مشيهما حياء منه ﷺ وأدبا معه ومهابة له ، فناداهما أمرا بالتمهل فى المسير : « على رسلكما » فليس فى الأمر ما تكرهان وليس هناك ما يدعو إلى الحرج .

ثم أراد ﷺ أن يصون صاحبيه : أسيد بن حضير ، وعبـــاد بن بشر ــ من وساوس الشيطان ، حتى لا يقذف فى قلبيهما ما يكون سببا فى هلاكهما فإن من يظن بالنبى سوءاً يكفر ، وهو عليه الصلاة والسلام ــ حريص على أمته من مخاطر الشيطان . قائلا : إنها صفية بنت حيى ، وليس فى المشى معها ما يدعو إلى حرج ، وإنه ــ عليه السلام ــ يبلغ عن ربه ، وهو معصوم من الخطأ محفوظ من الشيطان .

والصحابيان يعرفان هذا ، ولذلك قد تعجبا من بيان الرسول ﷺ لهما ــ وقالا : سبحان الله ، يارسول الله ، وهل يُظن بك إلا خير .. كما جاء فى رواية أخرى .

فأنت الأمين الذى جاء بالهدى ، وليس لمؤمن أن يظن بك إلا الخير .

وقد كان ﷺ يعلم من صاحبيه قوة الإيمان ورسوخ العقيدة ، لكنه خشى عليهما وسوسة الشيطان . كما أراد أن يعلم الأمة فى شخصهما أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق لشدة وسوسته ، وعظم خطره ، وله قوة على ذلك بكثرة أعوانه ، ولذا وجبت الاستعاذة من هذا الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس . وأن على المؤمن أن يسد عليه المسالك وألا يترك له منفذاً إلى قلبه ، فهو شديد التسلط عليه إلا من أخلص لله الطاعة وأصبح مشمولا برعاية الله وعنايته ، فهو ــ سبحانه ــ القائل :

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾

لقد أراد الرسول ﷺ ــ أيضا ــ أن يعلم الأمة : أن على المؤمن ألا يعين على نفسه بالقيام بعمل فيه شبهة دون أن يبين ما يدفع الشبهة عنه ، ويبرر به فعله له .

إن النبى ﷺ قد حسم مادة الشر ، حين بين للناس ــ وهو أبعد ما يكون عن ظن السوء به ــ قد نفى عن نفسه التهمة بالبيان الناصع ــ أن التى تقف معه زوجه صفية ــ رضى الله عنها ــ .

فإذا كان الرسول ﷺ وهو من هو فى سمو المكانة ، وارتفاع المنزلة والبعد عن التهمة قد فعل هذا ، فإن على كل مؤمن أن ينأى بنفسه عن مواطن الشبهة وأن يبين ــ عند الحاجة إلى البيان ما يدفع عنه قالة السوء ؛ صيانة للدين والعرض والسمعة .

فعلينا أن نقف بالمرصاد لهذا الشيطان اللعين نستعيذ بالله من شره ومن همزه ولمزه .

روى الترمذى بسند صحيح عن معقل بن يسار عن النبى ﷺ أنه قال : « من قال : حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ الآيات الثلاث من آخر سورة الحشر » ٢٢ ــ ٢٤ .

وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى ، وإن مات ذلك اليوم مات شهيدا ومن قال ذلك حين يمسى كان بتلك المنزلة » وتلك فضيلة هذه الآيات .

روى البخارى بسنده إلى أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتى الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته » .

ولقد أمرنا الرسول ﷺ بالوضوء عند الغضب ليطفىء الماء جمرة هذا الشيطان ، ولنستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

الرجوع إلى الحق فضيلة

للدكتور/محمد عبدالوهاب عبداللطيف(*)

في مجلس علم ضم نخبة من العلماء : فقهاء وقانونيين ، دار حديث حول السؤال : هل يجوز الأكل في آنية الذهب والفضة ؟

فرأى فريق جواز الأكل في أواني الذهب والفضة ، واستدل لرأيه بأدلة ، بينما رأى الفريق الآخر عدم جواز الأكل في أواني الذهب والفضة ، وحشد من الأدلة والبراهين ما يؤيد رأيه ، وكعادة العلماء الفاقهين ، أنهم يريدون الوصول إلى الحق ، لا الانتصار للرأي ، من منطلق : « الرجوع إلى الحق فضيلة » وجريا على أسلوب المحاورة ، الذي يبتغي النصح والرشد .

والعلماء الذين يسيرون على هذا النهج لا يلجئون إلى الجدل العقيم ، وإنما يذعنون للرأي السليم .

ومن أقوال الإمام الشافعي ـــ رحمه الله ـــ : « لو جادلني ألف عالم لغلبتهم ولو جادلني جاهل واحد لغلبني » لأن مقصد العالم الوصول إلى الحق ، ولو خالف رأيه .. أما مقصد الجاهل والمكابر ، فهو الانتصار للرأي دون مراعاة للحق .

وقد جرى النقاش بين هؤلاء الأخيار من علماء الأمة الإسلامية ، في جو من المودة والمحبة ، والأنس والألفة .

طلب الفريق الثاني إلى الفريق الأول ، أن يقيم الأدلة على صحة دعواه ، من جواز الأكل في آنية الذهب والفضة فقال : « إن الله ـ عز وجل ـ أباح لنا الطيبات والقاعدة الأصولية تقول : « الأصل في الأشياء الإباحة » فهل نحرم الأكل في آنية الذهب والفضة ؟ والقرآن الكريم يقول : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ من آية ٣٢ سورة الأعراف .

ثم إن الحديث الوارد في النهي عن لبس الذهب بالنسبة للرجال ، كما ورد أن الرسول الكريم ﷺ « أمسك بالذهب والحرير وقال : هذان حرام على ذكور أمتي ، حل لإناثها » كما أن الرسول الكريم تختم بالفضة ، فكان مباحا للرجال لبس الخاتم من

(*) مدير عام منطقة وعظ الجيزة

الفضة فكيف تحرمون الأكل فى أوانى الفضة لو سلمنا جدلا بحرمة الذهب ؟

وإنا — مع ذلك — لنسلم بالتحريم إذ ائتيتمونا بالحديث الصحيح .

وانبرى الفريق الثانى يقيم الأدلة على صدق مقولته من حرمة الأكل فى أوانى الذهب والفضة فقال : « الاستدلال بالآية ، ليس على إطلاقه ، فطالما أن هناك نصًّا يحرم أو يمنع جزءاً بعينه ، أو حالا بعينها فلابد أن نأخذ به ، وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة تنهى عن آنية الذهب والفضة ، ثم إن استدلالكم بعمل الرسول الكريم — عليه الصلاة والسلام — أنه اتخذ خاتما من الفضة ، ليس مبررا للأكل فى أوانى الذهب والفضة ، فالجائز هو لُبس خاتم الفضة ، فعمل الرسول الكريم هنا محدد بالخاتم فقط فكيف تجاوزتم هذا إلى الأوانى ؟

إن الإمام الرازى يقول فى تفسيره : « مفاتيح الغيب » جـ ١٤ ص ٦٣ تعليقا على تفسيره لقول الله — تعالى — فى سورة الأعراف آية ٣٢ ما يوضح هذا كل التوضيح :

« القول الثانى » أنه يتناول جميع أنواع الزينة ، فيدخل تحت الزينة جميع أنواع التزيين ويدخل تحتها تنظيف البدن من جميع الوجوه ، ويدخل تحتها المركوب ، ويدخل تحتها — أيضا — أنواع الحلى ، لأن كل ذلك زينة ، ولولا النص الوارد فى تحريم الذهب والفضة والإبْرَيْسَم[1] على الرجال ، لكان ذلك داخلا تحت هذا العموم[2] اهـ .

ولا نريد أن نذهب بكم بعيدا فها هى أحاديث رسول الله ﷺ التى تنص على عدم جواز الأكل فى آنية الذهب والفضة .

روى الإمام البخارى — رضى الله عنه — فى كتاب الأطعمة — الباب التاسع والعشرين باب الأكل فى إناء مفضض عن أم سلمة زوج النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « الذى يشرب فى إناء الفضة إنما يجرجر — فى بطنه — نار جهنم » .

وروى عن حذيفة — رضى الله عنه — قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ، ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا فى صحافها ، فإنها لهم فى الدنيا ولنا فى الآخرة » .

وروى — رحمه الله تعالى — فى كتاب الأشربة — الباب الثامن والعشرين ، باب آنية الفضة — عن البراء بن عازب قال : أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع :

أمرنا : « بعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وتشميت العاطس ، وإجابة الداعى ، وإفشاء السلام ، ونصر المظلوم ، وإبرار القسم » .

ونهانا عن : « خواتيم الذهب ، وعن الشرب فى الفضة — أو قال : آنية الفضة وعن المياثر والقسِّىّ وعن لبس الحرير والديباج والإستبرق » . اهـ .

---

(١) الإبْرَيْسَم : أحسن الحرير .

(٢) ص ٦٣ من كتاب « التفسير الكبير » للإمام الفخر الرازى جـ ١٤ ط أولى ١٣٥٧/١٩٣٨ مطبعة أمين عبدالرحمن .



جاء فى كتاب « الأدب النبوى » للشيخ محمد عبدالعزيز الخولى ط/٧ سنة ١٣٨٥/ ١٩٦٥ ص ١٦٩ تعليقا على حديث البراء .. قال : ورواه مسلم فى كتاب « اللباس والزينة » ورواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وغيرهم .

وفى تعليقه على حديث حذيفة ــ رضى الله عنه ــ قال : من أجل ذلك ذهب الفقهاء إلى تحريم الأكل والشرب فى أوانى الذهب والفضة ، لا فرق فى ذلك بين الرجال والنساء ، إنما لهن التحلى بهما تزينا وتجملا . اهـ .

ولقد اتسعت روايات الإمام أحمد ــ بمسنده ــ فى هذا الموضوع طبع الْمَيْمَنِيَّة فى المجلدات : الرابع والخامس والسادس على النحو التالى :

أحاديث بالمجلد الرابع ص : ٩٢ ــ ٩٥ ــ ٩٩ ــ ٢٨٤ ــ ٢٨٧ ــ ٢٩٩ .

والخامس ص : ٣٨٥ ــ ٣٩٦ ــ ٣٩٧ ــ ٣٩٨ ــ ٤٠٠ ــ ٤٠٤ ــ ٤٠٨ .

والسادس ص : ٩٨ ــ ٢٢٨ ــ ٣٠١ ــ ٣٠٢ ــ ٠٤ ــ ٣٠٦ .

وقد نص كتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » على حرمة اتخاذ الآنية من الذهب والفضة[٣] والله أعلم .

وكعادة العلماء الفاقهين . اقتنع الفريق الأول بما أورده الفريق الثانى من حجج وأسانيد ، وأدلة وبراهين . واتفق الفريقان على قبول حكم السنة النبوية من حرمة الشرب والأكل من آنية الذهب والفضة .

وتبديدا للشبهة القائمة فى الأذهان . فقد ارتضى الفريقان إذاعة هذا الحكم ، ونشره بين الناس ، تبيانا للحقيقة .

والله يحق الحق ويهدى إلى صراط مستقيم .

---

(٣) جـ ٦١٢/١ ط دار الكتب المصرية ــ ط ثالثة

من وحى هجرة الرسول

صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ عبدالعزيز أحمد رضوان(*)

لايزال الاستعمار الثقافى يبث سمومه وهو يزحف على الشرق والعالم الإسلامى ، فيبعث بجنوده وحشوده من علمانيين والحاديين وغيرهم موهما إيانا أن الولاء والعصبية لقومية عرقية ، أو تراب أو وطن ، أو إقليم هنا أو هناك هو آخر مايتمناه ويطمح إليه المسلم !!

والحق أن حب الأهل والأقربين والأوطان ، عاطفة جياشة تجرى فى الدم والعروق كما بين ذلك القرآن الكريم « قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ »(١) .

كذلك فإن المسلم بطبعه ودود عطوف يحب الإنسانية كلها ويتمنى الخير والحب والوئام للناس جميعاً مع حبه لأهله وذوى قرباه .

فلا تعارض على الإطلاق بين حبنا لأوطاننا وأهلينا مع حبنا الجارف لديننا وعقيدتنا .

فما دام غيرنا لم ينل من ديننا ، ولم يحاربنا فى عقيدتنا ؛ فإنه إنسان يوجب علينا الإسلام إحسان جواره حتى ولو كان كافراً أو يهودياً أو نصرانياً .

فما سر هذه الغطغطة لأعداء الإسلام الذين يقولون : إن التمسك بالإسلام والدعوة إلى وصله وربطه بالحياة الشاملة يتعارض مع الولاء للوطن أو القبيلة ؟ ثم رتبوا على هذا أن دعوا لتنحية الدين وإبعاده عن كل مجال وزعموا أن هذا فيه الخير للناس أجمعين .

إنهم أول من يعلم أن هذا الزعم فاسد . لأن ديننا (الإسلام) هو كما صوره أمير الشعراء أحمد شوقى ــ رحمه الله ــ :

الديـــن عرض الله كل أبيـــة
بين النفـــوس حمى له ووقــاء

* الكاتب : مفتش أول وعظ كفر الشيخ

(١) سورة الشورى : من الآية : ٢٣

ولقد أخطأ خطأ فاحشاً كل من ينسب نفسه للعلم ثم يدعى أن الإسلام يهوى بالبشرية إلى الحضيض .

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(٢)

ولهذا السبب نجد أن رسول الله ﷺ ـ بالرغم من حبه الشديد لأعز وطن وأغلى وطن فى الدنيا كلها ـ هاجر منه إلى وطن آخر . وموطنه الأصلى ـ مكة ـ لايحمل ذكريات الطفولة والصبا فحسب ، ولكنه الوطن المبارك مثوى البيت الحرام المبارك ، مثابة الناس وأمنهم ..

والموطن الذى هاجر إليه رسول الله ﷺ ـ المدينة ـ كان محفوفاً بالأخطار . فحياة الاستقرار فيه مهزوزة ، والثارات والحروب الطاحنة أهلكت حيين من العرب هما : الأوس والخزرج .

والمهاجرون يحتاجون إلى القوت والسكن . يضاف إلى ذلك أنهم استوخموا المدينة بعد هجرتهم إليها ، واعتلت صحتهم .

ومع هذه المشكلات كلها تغلبت العزائم القوية وروح الإيثار وحب المسلم للمسلم . وراح رسول الله ـ ﷺ ـ بما أيده الله به من الوحى العظيم ، وبما وهبه الله من روح قوية ، راح يدعو لهم ويدعو للوطن الجديد ، ويؤصل فيهم هذا الحب حتى تكون المدينة المنورة هى وطن الإسلام وعاصمة الدولة الإسلامية قال رسول الله ﷺ :

(لايصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتى إلا كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة ، ولايدعها رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه)(٣) .

وتروى لنا أم المؤمنين السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة وعك : أبو بكر وبلال . قالت : فدخلت عليهما . فقلت : يا أبا بكر كيف تجدك ؟ ويابلال كيف تجدك ؟ وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرىء مصبَّح فى أهله
والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه ـ المرض ـ يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
بواد ، وحولى إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة
وهل يبدون لى شامة وطفيل(٤)

قالت : فأخبرت رسول الله ﷺ بذلك فقال :

(اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد . اللهم وصححها . وبارك لنا فى مدها وصاعها وانقل حماها واجعلها بالجحفة)(٥) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ :

(اللهم اجعل بالمدينة ضعفىْ ما جعلت بمكة من البركة)(٦)

---

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٩
(٣) مسلم وأحمد
(٤) جبال مكة
(٥) البخارى ومسلم وأحمد
(٦) البخارى ومسلم وأحمد

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله - ﷺ - إذا أتي بأول الثمر قال :

(اللهم بارك لنا في مدينتنا ، وفي ثمارنا ، وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة . اللهم إن إبراهيم عبدك ونبيك وخليلك ، وإني عبدك ونبيك ، وإنه دعاك لمكة وأنا أدعوك للمدينة بمثل مادعاك لمكة ومثله معه) .

ثم يعطيه أصغر من يحضر من الولدان[7] بهذه الروح القوية ، وبهذا الحب العظيم للمدينة والأنصار ، من رسول الله - ﷺ - والمهاجرين ، أقام لنا المسلمون الدليل الواضح والمثل الأعلى ، على أن العقيدة أغلى من الحياة نفسها فما بالك بالوطن والأهل والعشيرة ؟!!

وصدق الله العظيم :

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[8] .

لقد كان الأنصار يخشون أن يحن رسول الله ﷺ إلى وطنه الأصلي بعد أن يستقر الأمر للإسلام . وهم يريدون من رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - أن لا يترك المدينة ؛ لأنها آوت المسلمين وأعزتهم ونصرتهم .

ولقد بين لهم - عليه الصلاة والسلام - أنه يوافقهم فيما يحبون . روى ابن إسحاق - في المغازي - وهو يروي ماحدث في بيعة العقبة الكبرى ، أن أبا الهيثم بن التيهان قال :

يارسول الله إن بيننا وبين الرجال - يعني اليهود - حبالا وإنا قاطعوها . فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال : فتبسم رسول الله - ﷺ !! ثم قال : « بل الدم الدم والهدم الهدم . أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم »[9] .

ومن كلمته ﷺ - بعد (هوازن) :

« أفلا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفسي بيده ، لو أن الناس سلكوا شعباً وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار . اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » .

فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا : رضينا بالله ربا ورسوله قسما ثم انصرف وتفرقوا[10] .

هذا .. ولقد صدق رسول الله ﷺ وعده فعاش بالمدينة وصعد روحه الشريف إلى الرفيق الأعلى منها ، وضم ترابها جسده الطاهر ، فالوطن الحق هو كل أرض المسلمين ، ومعقد اللواء فيها ، حيث يعز الإسلام ، وإنه لعزيز إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(٧) مسلم وراجع أيضا فقه السيرة للغزالي ص ١٨٣ ، ١٨٤

(٨) سورة التوبة : الآية ١١١

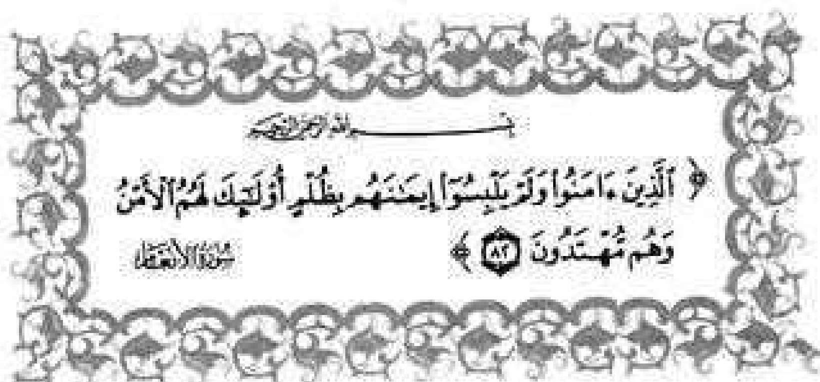
(٩) فقه السيرة ط دار الكتب الحديثة ص ١٥٩

(١٠) أحمد وابن هشام وابن جرير عن ابن اسحاق وراجع المصدر السابق ص ٤٢٩

التأمين عقده ومدى مشروعيته

دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي

للدكتور/ عبدالله مبروك النجار



تقديم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، أحمد الله تبارك وتعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، سبحانه هو القائل في محكم كتابه الكريم :
﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(١) .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وسيد الأولين والآخرين ، سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، الذي بعثه ربه بالهدى ودين الحق ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويأخذ بأيديهم نحو الأسباب الحقيقية لأمن القلوب ، واطمئنان النفوس ، لتتهيأ أمامهم مسالك الرقي ، ووسائل السعادة في الدنيا والآخرة ، فبلّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وترك أمته على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، صلى الله عليه وآله وأصحابه وأتباعه ، ومن سار على منوال شريعته ، واتبع منهاج دينه إلى يوم الدين .

(١) سورة الأنعام ـ آية ٨٢

وبعد :

فمنذ أن خلق الله الإنسان واستخلفه لعمارة هذه الأرض ، وهو لا يكف عن التماس الأسباب التى يستشعر بها الأمن والطمأنينة على حاضره ومستقبله ، ومن رحمة الله بخلقه : أنه - وهو خالقهم ، ويعلم ما تنطوى عليه أنفسهم - قد قدر فى نفوسهم هذا المعنى ، فشرع لهم من الدين ما يشيع فى قلوبهم معنى الأمن ، ويشيع فى نفوسهم أسباب الطمأنينة ، وجعل أعظم الأسباب التى توصل لذلك من أول ما طلبه من خلقه فى مجال التكليف ، ذلك أن أول ما طلبه الله من خلقه ، أن يؤمنوا به ، وأن يوحـــدوه ولا يشركوا معه فى العبادة أحداً ، قال تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾[2] ، ولا شك فى الإيمان بالله تعالى هو السبب الرئيسى لتحقيق الأمن ، لأن المؤمن - ومن منطلق إيمانه بالله تعالى - يحس بكل معانى التأمين على جميع ما يعنيه أن يأمن عليه ، ويطمئن فيه ، ولا عجب فإن دواعى الإيمان أن يذكر الإنسان ربه الذى آمن به إلهاً ، خالقاً ، رازقاً ، ضاراً ، نافعاً ، بيده الأمر وهو على كل شىء قدير ، قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾[3] ، وهو حين يذكر ربه يطمئن قلبه بالنسبة لنفسه ولمن يعنيه أمره ، قال تعالى : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[4] ، ومن ثم كان الإيمان بالله كفيلاً بتحقيق معنى الأمن فى قلوب الناس إذا حل بها ، فإذا دخل الإيمان فى القلب واستقر فيه لا يترك منه ذرة للخوف .

ولا يوجد خلاف بين فقهاء القانون وجميع فقهاء الشريعة حول مشروعية مقاصد التأمين وغاياته ، من جهة أنها تستهدف التكافل والتعاون فى مواجهة الأخطار وترميمها ، ولكن الخلاف منحصر حول بعض وسائل تحقيق تلك الغايات ، فبينما يرى فقهاء القانون ، وبعض الباحثين فى فقه الشريعة : أن وسائل التأمين ممثلة فى أنواعه كلها تعتبر مشروعة فى نظرهم ، فإن جانباً كبيراً من فقهاء الشريعة لا يسلمون بعموم تلك النتيجة ، ويرون : أن القول بمشروعية وسائل التأمين وإن كان يمكن قبوله فى التأمين التعاونى ، والتأمين الاجتماعى الذى تقوم به الدولة لقيامهما على التبرع وبعدهما عن قصد الربح ، إلا أنه لا يمكن التسليم به بالنسبة للتأمين التجارى ، وذلك لتضمنه معنى الغرر والقمار والربا ، مما يجعله غير مشروع فى نظر هذا الجانب من الفقه .

وبهذا يتحدد محل النزاع فى التأمين حول نوع واحد منه ، وهو التأمين التجارى ، الذى اشتد حوله الخلاف واحتد ، وكثرت حوله الكتابات ، وتقارعت الأدلة لدرجة تجعل من العسير على القارىء أن يصل إلى معرفة حكمه بسهولة ، كما تجعل من الصعب على الباحث أن يتتبع تلك الأدلة ويناقشها وذلك لكثرتها وتداخلها - وهو إن أراد - فليس أمامه إلا التذرع بالصبر الجميل والحرص الزائد ، والعناية الفائقة فى التعامل مع أدلة كل فريق وتتبعها ، وترتيبها ، وتحليلها ، ومناقشتها ، بغية الوصول إلى الحق فى تلك

(٢) سورة محمد - آية ١٩ .
(٣) سورة الفلق - الآيتان ١ ، ٢
(٤) سورة الرعد - آية ٢٨

المسألة ، ولعلّ ذلك جانباً مما عاناه الباحث في دراسة هذا الموضوع .

والهدف من تلك الدراسة : هو بيان مدى مشروعية عقد التأمين في الفقه الإسلامي ؟ لذلك !، ومن منطق هذا الهدف المحدد ، كان من الضرورى أن يلم القارئ بفكرة كافية عن عقد التأمين ونظامه تمهد لبيان حكمه في التشريع الإسلامي ، انطلاقاً مما تقضى به الأعــراف العلمية ، وقواعد المنطق ، من أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، وذلك ما راعيته في الباب التمهيدى الذى خصصته لبيان حقيقة التأمين كما تقررت في التشريع والفقه ، وبما يكفل إعطاء تلك الفكرة الضرورية العامة ، التى تكفى لأن يكون الحكم عليه عن بينة ، ومراعيا أن يكون التعرض لتفصيلات أحكامه من الناحية القانونية في ثنايا تلك الدراسة ، وفي موضعها من بحوثها ، لتسهل مقارنتها ، ويحسن فهمه ، مع عرض رأى كل فريق بأمانة ، والتعامل مع الأدلة بموضوعية وتجرد ، بغية الوصول إلى الحق في هذا الموضوع المهم ، ابتغاء وجه الله وحده ، مع التقييم ، والتقويم وتقديم ما أعتقد أنه بديل شرعى ، يتلافى ما أخذه الذين ذهبوا إلى تحريم التأمين التجارى ، عليه من ملاحظات حتى لا يكون القول بالتحريم خلوا من البديل ، فيشق على الناس تركه ، وإيماناً بأن الله إذا حرم أمراً أو جعله بديلا مشروعاً من جنسه .

أدعو الله تبارك وتعالى أن يتقبل منى هذا العمل ، وأن يجعله خالصاً لوجهه ، وأن ينفع به ، إنه سميع قريب مجيب الدعاء ، وهو سبحانه الموفق والمعين .

تمهيـــــد

جرت العادة لدى غالبية الفقهاء أن يقدموا لدراسة عقد التأمين بتمهيد يدور حول الفكرة التى يقوم عليها نظام التأمين ، إذ أن هذه العملية هى الأساس الذى يقوم عليه عقد التأمين ذاته .

فالتأمين ليس من العقود التى تم بناء على علاقة فردية بين شخصين ، بل يحتاج إلى تنظيم وأسس فنية لولاها لما أمكن ظهور التأمين ، ولما تميز عن غيره من التصرفات غير المشروعة التى تشتبه به كالرهان والمقامرة(*) .

أهمية التأمين وضرورته في نظر القانون :

والتأمين في فقه القانون يهدف إلى توفير نوع

(*) فالتأمين رغم أنه عقد بين طرفين ، هما : المستأمن والمؤمن ، إلا أن النظر إلى هذه العلاقة وحدها دون ملابسات التأمين ، من كثرة عدد المستأمنين ، وقيام المؤمن بدور الوسيط بينهم ، يجعل من عقد التأمين قماراً محرماً في الشريعة والقانون ، ولهذا حرص الفقه في مصر وفرنسا على إبراز الجانب الإحصائى أو الفنى في التعريف — ومن هؤلاء الأساتذة هيمار ، وشافان ، وبيكار وبيسون راجع :

HEMARD, Theorie et partique des assurances terrester, paris. 1924 -- 1925 vol. I.P. 73.

A. CHAUFTON, les Assurances, 1984 P. 347.

PICARD. et BESSON. les assurances, Terrstes, Tome le contrat d'assurance 5'eme edition, par. Besson, L G D T. 1982, No. 10.

وفي الفقه المصرى : د. أحمد شرف الدين — أحكام التأمين ١٩٩١ ص ١١ ، د. خميس خضر — العقود المدنية الكبيرة — ص ٣٥٠ ، دار النهضة العربيـــة ، ١٩٨٤م. د. سمير الشرقاوى — الخطر في التأمين البحرى — الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٦ ، د. نزيه المهدى — عقد التأمين ١٩٧٤ ، ص ٣٢ ، د. عبدالمنعم البدراوى — التأمين مكتبة وهبة ١٩٦٣ ، ص . ١٥ د. محمد حسام الدين لطفى — الأحكام العامة للتأمين — ص ١٠ ، ١٩٨٨ .

من الضمان للجماعة من نتائج الأخطار التى تهدد حياتها أو اموالها ، ذلك أن أشد ما يشغل بال الإنسان العاقل هو المستقبل والغد ، والحاجة إلى الأمان هى التى تدفع الإنسان لأن يعمل لحياته ومستقبله كما لو كان سيعيش أبد الدهر .

ولو كانت مبادىء الإيمان راكزة فى قلبه ما أقلقه الخوف من المستقبل ، ولكنه فى بحثه عن الأمان بعيداً عن ساحة تلك المبادىء ؟ يحاول أن يجد من يحميه ويؤمنه ، وهذا المؤمن تطور وتغير على مر العصور ، حيث بدأ بما يمكن أن يسمى بالتأمين الأسرى الناتج من تجمع أفراد تربطهم صلة القرابة بما تكفله من حق التناصر والحماية من المخاطر ، ثم ما لبث دور التأمين الأسرى أن تقلص مع بداية القرن الثامن عشر ، حيث حدث تطور هام فى مجال الأسرة ، فقد حلت المجتمعات الصناعية محل الأسرة بمعناها الضيق التى تقوم فقط على أساس الزوجية وتجمع الزوج والزوجة والأولاد القصر .

ولقد ساعد على ضعف التضامن الأسرى ، الأفكار الفلسفية التى سادت فى القرن الثامن عشر ، تلك الأفكار التى كانت تقدس الفرد وتوفر له أكبر قدر من الحرية ، فهى لا تقبل أن يذوب الفرد فى جماعة يخضع لتقاليدها وروابطها ، حيث أخذ قدراً كبيراً من الحرية والاستقلال تجاه أسرته .

كما ساعدت ظروف الحياة فى المدينة ، على تعرض الأفراد لمخاطر لم تكن تخطر ببالهم فى ظل المجتمعات الريفية التى كان يسود فيها نظام التأمين الأسرى ، يدل على جسامة المخاطر التى يمكن أن يتعرض لها الفرد فى المدينة ، الحريق الذى حدث فى لندن سنة ١٦٦٦ ، والذى استمر أربعة أيام من (٢ - ٥ سبتمبر) من هذا العام وأتى على ما يزيد على خمسة أسداس المدينة ، وقد كان هذا الحريق سبباً فى ظهور بوادر التأمين بصورته العصرية[٦] ، فى أنواعه المتعددة وميادينه المختلفة .

حيث ظهرت فى إنجلترا جمعيات مختلفة لتعويض الأضرار الناجمة عن الحرائق مثل شركة (Fire Office) التى أنشئت سنة ١٦٨٠ ، وشركة (Frie enadly Sociecty) سنة ١٦٨٤ وشركة (Hand in hand) سنة ١٦٩٦ .

وقد نشأت الصورة القديمة للتأمين فى إنجلترا سنة ١٣٠٠ ، حين كان التأمين ينصب على تغطية الخطر البحرى ، والخطر الناتج عن الأسر بواسطة القراصنة للإفراج عن الرهائن ، ومنذ منتصف القرن الخامس عشر بدأ التأمين على الحياة يظهر بعيداً عن مخاطر البحر ، ويتخذ شكل عقد يتم بصورة رسمية ، وكان التأمين على الحياة يتخذ فى ذلك الوقت صورة الرهان أكثر من التأمين ، فقد كان الناس يراهنون على حياة البابا أو الملك ، أو تحقق الزواج ، أو أن تصبح امرأة حامل ، وقد ساعد على عدم وجود التأمين بالمعنى الحقيقى فى تلك الفترة ، عدم التقدم العلمى الذى أدى فيما بعد إلى ظهور التأمين العلمى ، حيث عرف الإحصاء وإحصائيات الوفاة وغيرها[٧]

---

(٦) د. عبدالودود يحيى - أصول التأمين البرى الخاص ١٩٧٦ - ص ٧ ، د. عبدالرازق حسن فرج - عقد التأمين ١٩٨٥ - ص ١٠ د. أحمد شرف الدين - ص ١٧ ، وبيكار وبسون - فقرة ٢ وارجع :

H. j. Mazeaud, M. de juglae, le.con de deout civil, T.3 vol. 2. peincipaux contrats, paris, 1974, P. 771.

(٧) د. عبدالمنعم البدراوى - فقرة ١٠٧ .

وقد أدى قيام الثورة الصناعية والتقدم العلمي الحديث ، وما ترتب عليهما من زيادة الآلات الموجودة وانتشارها ، مثل السيارات والماكينات الصناعية ، ووسائل النقل البرى والبحرى والجوى ، إلى ظهور التأمين من المسئولية ، وهكذا فرضت ظروف الحياة التماس الأمان من خلال ما أسفر عنه التطور الحضارى من مخاطر أدت إلى وجود التأمين بأنواعه المختلفة[8] .

وسوف نلقى الضوء على حقيقة التأمين من الناحية القانونية والعملية فى فصلين نخصص أولهما : للتعريف بالتأمين ، وثانيهما : لبيان أركانه ، كما يلى :

الفصل الأول

التعريف بالتأمين فى القانون

نتناول التعريف بالتأمين فى القانون من خلال ثلاثة مباحث ، نخصص أولها : لتعريفـــه ، ونخصص ثانيها : لبيان خصائصه ، أما الثالث فنخصصه لبيان وظائف التأمين .

المبحث الأول

تعريف التأمين

عرفت المادة (٧٤٧) من التقنـــين المدنى المصرى الحالى التأمين بقولها : « التأمين عقد يلزم المؤمن بمقتضاه ، أن يؤدى إلى المؤمن له ، أو إلى المستفيد الذى اشترط التأمين لصالحه مبلغاً من المال ، أو إيراداً مرتبا أو أى عوض مالى آخر ، فى حالة وقوع الحادث ، أو تحقق الخطر المبين بالعقد وذلك نظير قسط أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها المؤمن له للمؤمن » .

ويتضح من هذا النص : أن المشرع قد أوضح عناصر عقد التأمين ، وأنه يبرم بين طرفين ، هما المؤمن والمؤمن له[9] ، وقد يوجد إلى جانب المؤمن

---

(٨) وقد شهد القرن العشرين ظهور أنواع جديدة من التأمين ، كالتأمين ضد السرقة والتأمين ضد الإصابات المدنية ، والتأمين ضد مخاطر الحروب ، والتأمين الجوى ، وتأمين المحاصيل ، وتأمين البترول ، راجع : بيكاروبيسود ـ السابق ، د. أحمد شرف الدين ، ص ١٧ ، د. حسام لطفى ـ السابق ص ١٧ ، وراجع : د. برهام عطا الله ، التأمين من الوجهة القانونية والشرعية ـ مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية ١٩٨٤ ، ص ١٥ وما بعدها .

(٩) تحظى هذه التسمية بمول جانب كبير من الفقه راجع : د. أحمد شرف الديـــن ـ الســـابق ص ١٤ ، د. حمدى عبدالرحمن ـ مذكرات فى عقد التأمين ـ فقرة ٤١ ، دار النهضة العربية ١٩٧١ ، د. جلال محمد إبراهيم عقد التأمين ـ ص ١٨ طبعة ١٩٨٠ د. خميس خضر ـ السابق ، ص ٣٥٠ ، د. حسام الدين كامل الأهوانى ـ المبادىء العامة للتأمين ، ص ١٣ ، دار النهضة العربية ١٩٧٥ ورسالة : محمد يوسف صالح الزعبى ـ عقد التأمين ، دراسة مقارنة بين القانون الوضعى والفقه الإسلامى ، من جامعة القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٣٢ وقارن ، د. عبدالحى حجازى ـ التأمين ـ ص ١٤٩ وما بعدها ـ طبعة ١٩٥٨ ، حيث يسمى المؤمن له فى مقابلة شركة التأمين بالمتعاقد ، بينما يرى البعض تسميته بالمستفيد ، راجع : د. محمد برهام عطا الله ـ أساسيات التأمين ـ ص ٢٠ ـ الدار المصرية الحديثة ١٩٨٢ ، د. عبدالودود يحيى ـ دروس فى العقود المسماة ـ ٣١٣ ، دار النهضة العربية ١٩٧٨ ، د. نزيه المهدى ـ السابق ـ ص ٣٢ ، ويرى الأستاذ الدكتور السنهورى : ـ أن المستأمن ـ طالب التأمين والمؤمن له : لقب للمستأمن بعد التعاقد ، الوسيط ، جـ ٧ / ٢ فقرة ٥٧٢ ، طبعة ١٩٦٤ ، دار النهضة العربية ويرى مجمع اللغة العربية : إطلاق لفظ المستأمن على طالب التأمين ، راجع : مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التى أقرها المجمع ، جـ ٥ ، ص ١١١ ، وراجع : د. عبدالرازق حسن فرج ـ السابق ـ ص ٥ ، د. محمد حسام لطفى ، ص ٩ ، حيث يقرر أن هذا التعريف يتسم بسهولته ويسره ، بيد أن إهماله لأهم جانب من جوانب التأمين هو الذى حال بينه وبين القبول التام له من الفقه

له شخص آخر يتقاضى مبلغ التأمين ، ويسمى بالمستفيد ، كما يتضح من التعريف : أن التأمين يقوم على أساس حدوث خطر يخشى وقوعه ، ويهدف المؤمن له إلى تأمينه منه ، كما أوضح التعريف أن المؤمن له : يلتزم بأداء قسط التأمين ، أو الاشتراك ، أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها للمؤمن ، كما يلتزم المؤمن بدوره ، بالقيام بدفع مبلغ التأمين للمؤمن له أو المستفيد ، إذا ما تحقق الخطر ، ويشمل التعريف ـ أيضاً ـ التأمين ضد الأضرار والتأمين على الأشخاص على حد سواء .

ورغم أن هذا التعريف يمتاز بإيضاحه للعلاقة بين المؤمن والمؤمن له ، وهى علاقة قانونية ، فهو مع ذلك لم يشر إلى اعتبار التأمين عقداً تعويضياً ، يراد به تعويض المؤمن له عن خسارة احتمالية ، كما أنه لم يوضح الأسس الفنية التى يقوم عليها التأمين ، لهذا فإن خير تعريف لعقد التأمين لدى معظم الفقهاء هو ما عرّفه به الفقيه الفرنسى (هيمار) بأنه : (عملية يحصل بمقتضاها أحد الطرفين وهو المؤمن له نظير دفع قسط على تعهد لصالحه ، أو لصالح الغير ، من الطرف الآخر وهو المؤمن ، بمقتضاه يدفع هذا الأخير أداء ، معيناً عند تحقق خطر معين ، وذلك عن طريق تجميع مجموعة من المخاطر وإجراء المقاصة بينها وفقاً لقوانين الإحصاء)[10] .

ومن المؤكد أن ذلك التعريف يعتبر جامعا لأبرز العناصر القانونية للتأمين ، وهى طرفا العقد ، والخطر المؤمن منه والقسط والمبلغ الذى يدفعه المؤمن عند تحقق الخطر ، كما أنه يصدق على نوعى التأمين من الأضرار ، والتأمين على الأشياء ، والتأمين من المسئولية والتأمين على الأشخاص ، كما يصدق كذلك بالنسبة للتأمين التعاونى وبالنسبة للتأمين ذى الأقساط الثابتة كما أنه لم يقف عند الحدود التى وقفت عندها المادة (٧٤٧) مدنى ، سالفة الذكر ، وإنما نظر إلى الناحية الفنية والطبيعية ، وإجراء المقاصة بينها وفقاً لقوانين الإحصاء[11] ، وإذا كان تعريف القانون المدنى المصرى لم يتضمن تلك الزيادة فإنها يمكن اعتبارها ـ فى نظره ـ مجرد احتراز فقهى .

المبحث الثانى

خصائص عقد التأمين

عقد التأمين هو الأداة القانونية التى يتحقق بها التأمين . ومن تعريف عقد التأمين وفقاً لنص المادة (٧٤٧) مدنى مصرى ، وما أضافه الفقه مما يبرز الجوانب الفنية والإحصائية فى التعريف يتضح أن

(١٠) راجع : مؤلف الأستاذ هيمار ـ السابق ـ ص ٧٣ ، وأنظر بصفة خاصة فى التركيز على الجانب الفنى فى عملية التأمين : الأستاذ شافان ـ السابق ـ ص ٣٧٤ .

(١١) د. حسام الأهوانى : المبادىء العامة للتأمين ص ١٤ ، د. عبدالرازق حسن فرج : المرجع السابق ص ٨ ، د. عبدالرازق السنهورى : الوسيط جـ ٧ ص ١٠٨٦ ـ المجلد الثانى ـ القاهرة سنة ١٩٦٤ ، وراجع : د. خميس خضر ، السابق ، ص ٣٥١ د. أحمد شرف الدين ، السابق ، ص ١٤ .

هذا العقد خصائص يمكن إجمالها فى أنه : عقد رضائى ، وهو عقد معارضة ملزم للجانبين ، كما أنه عقد مستمر ، واحتمالى ، ومن عقود الإذعان ، وحسن النية ، وهو قد يكون تجارياً كما قد يكون مدنياً ، ونشير إلى ذلك بشىء من التفصيل .

أولا : عقد التأمين ، عقد رضائى :

يعتبر عقد التأمين من العقود الرضائية ، فهو يتعقد فى الأصل بإيجاب وقبول ، ولا يلزم لانعقاده أى شكل خاص[12] .

ويرى بعض الفقهاء أن المشرع المصرى فى المادة (٧٥٥ / ١ مدنى) يستلزم الكتابة كركن لانعقاد التأمين على حياة الغير[13] ، وهذا الرأى محل نظر ؛ لأن النص صريح فى أن هذه الكتابة يجب أن تكون قبل العقد فهى لا تدخل فيه ، كما أن الغير المؤمن على حياته ليس طرفاً فى العقد[14] .

ثانياً : عقد التأمين من عقود المعاوضات :

يعتبر عقد التأمين من عقود المعارضات ، فيه يأخذ كل من المتعاقدين مقابلا لما أعطى ، فالمؤمن يأخذ قسط التأمين فى مقابل تحمل الخطر المؤمن منه ، فضلا عن أنه يقوم بدفع مبلغ التأمين إذا ما وقع هذا الخطر ويلتزم المؤمن له بدفع قسط التأمين مقابل الحصول على الأمان من الخطر .

ثالثاً : عقد التأمين ملزم للجانبين :

ينشىء عقد التأمين التزامات متبادلة على عاتق كل من المؤمن والمؤمن له ؛ فالمؤمن له يلتزم بدفع أقساط التأمين وبيان أوجه الخطر والإعلان عن تفاقمه ، ويلتزم المؤمن بدفع مبلغ التأمين عند تحقق الخطر المؤمن منه ، ويستفاد هذا مما تنص عليه المادة (٧٤٧) حين عرفت عقد التأمين بقولها : « يلتزم المؤمن بأن يؤدى إلى المؤمن له أو إلى المستفيد مبلغاً من المال أو إيراداً مرتباً أو أى عوض مالى آخر فى حالة وقوع الحادث أو تحقق الخطر وذلك فى نظير قسط أو أية دفعة مالية أخرى يؤديها المؤمن له إلى المؤمن»[15] .

رابعاً : التأمين عقد مستمر :

يعتبر عقد التأمين من العقود المستمرة ، لأن الزمن عنصر جوهرى فيه ذلك أن المؤمن يلتزم قبل المؤمن له ابتداء من تاريخ معين إلى نهاية وقت آخر معين هو وقت وقوع الحادث أو الخطر للمؤمن منه ويظل المؤمن ملتزماً بضمان الخطر على نحو مستمر طوال مدة التأمين ومن ناحية أخرى فإن التأمين بالنسبة إلى المؤمن له يعتبر أيضاً عقداً مستمراً فهو يظل ملتزماً منذ إنعقاد العقد بدفع أقساط التأمين سنوياً بل أنه يظل مستمراً بالنسبة له حتى ولو كان التأمين قد تم فى مقابل قسط واحد يدفع مرة واحدة ؛ لأن أداءه إنما يكون بالنظر إلى مدة معينة ، ويلتزم المؤمن بضمان الخطر طول مدة التأمين بشكل مضطرد مستمر .

---

(١٢) السنهورى ـ الوسيط ـ السابق ـ ص ١١٣٨ ، د. حسام الأهوانى ، ص ١٠٣ ، د. محمود سمير الشرقاوى ـ ص ١ ، د. عبدالرازق حسن فرج ، ص ١١٦ ، د. عبدالحى حجازى ـ ص ١٥٥ ، د. عبدالمنعم البدراوى ـ ص ٢٤٦ ، د. خميس خضر ـ ص ٤١٤ ، د. أحمد شرف الديـــن ص ٧١

(١٣) د. عبدالمنعم البدراوى ـ ص ٢٤٦ .

(١٤) د. أحمد شرف الدين ص ٧٢ .

(١٥) السنهورى ـ ص ١١٢٩ ، د. عبدالودود يحى ـ ص ١١٥ ، د. عبدالحى الحجازى ـ ص ١٣٥ ، د. أحمد شرف الدين ـ ص ٧٥ ، وبيكار وبيسود ـ ص ٦٨ .

خامساً : التأمين من العقود الاحتمالية أو عقود الغرر :

والعقد الإحتمالي : هو العقد الذي لا يستطيع فيه كل من المتعاقدين أو أحدهما وقت العقد معرفة مدى ما يعطى أو يأخذ من العقد ، فلا تتحدد مدد تضحيته إلا في المستقبل تبعاً لأمر غير محقق الحصول أو غير معروف وقت حصوله .

وعقد التأمين من العقود الاحتمالية ، لأن دفع العوض أو مبلغ التأمين معلق على تحقق الخطر ، وكذلك الأمر بالنسبة للمؤمن له في عقد التأمين فإن مدى ما يدفعه من أقساط هو الآخر متوقف على المصادفة المتعلقة بوقوع الخطر أو بتاريخ تحققه .

فالاحتمال هو من طبيعة التـــأمين بل من مستلزماته أيضاً[16] .

سادساً : عقد التأمين من عقود إذعان :

لم ينازع أحد في اعتبار التأمين من عقود الإذعان ، أي تلك العقود التي لا يملك فيها أحد المتعاقدين في شروط العقد إلا أن يقبلها كما هي أو يرفضها دون مناقشة أو تعديل ، وهذا ما عبرت عنه المادة (١٠٠) من التقنين المدني المصري الحالي بقولها : « القبول في عقود الإذعان يقتصر على مجرد التسليم بشروط مقررة يضعها الموجب ولا يقبل مناقشة فيها » .

ومن أجل هذا فإنه يجب حماية المؤمن له وهو الطرف المذعن ، وهذا ما اتجه إليه القضاء ، كما اتجه إليه المشرع في التقنين المدني المصري الحالي ، فنص في المادة (١٤٩) على أنه : « إذا تم العقد بطريق الإذعان وكان قد تضمن شروطاً تعسفية ، جاز للقاضي أن يعدل هذه الشروط أو أن يعفي الطرف المذعن منها ، وذلك وفقاً لما تقضي به العدالة ، ويقع باطلا كل إتفاق على خلاف ذلك[17] .

وأوضحت المادة (١٥١ / ٢) مدني : أن الشك يفسر لمصلحة المدين ، وأضافت في فقرتها الثانية قولها : « ومع ذلك لا يجوز أن يكون تفسير العبارات الغامضة في عقود الإذعان ضاراً بمصلحة الطرف المذعن » . ومؤدى هذا أن الشك يفسر لمصلحة المذعن ، وهو هنا المؤمن له دائناً كان أو مديناً[18] ، هذا ومن خصائص عقد التأمين أنه من

---

(١٦) د. أحمد شرف الدين – ص ٧٧ ، السنهوري – فقرة ٥٩٩ ، د. عبدالحي حجازي – فقرة ١٣٣ ، لامبير – ص ٧٠ ، بيكار وبيسون – فقرة ٤٢ .

(١٧) وتأكيداً لذلك نصت المادة (٧٥٣ مدني مصري) على أنه : « يقع باطلا كل إتفاق يخالف أحكام النصوص الواردة في هذا الفصل ، إلا أن يكون ذلك لمصلحة المؤمن له أو لمصلحة المؤمن له أو لمصلحة المستفيد » ، وطبقت محكمة النقض المصرية ذلك بصدد التأمين ضد الحريق ، واضحة في اعتبارها أن المادة (٧٦٧) تنص على أنه : « يضمن المؤمن تعويض الشيء المؤمن عليه » ، وقضت ببطلان شرط في وثيقة التأمين يقضي بعدم ضمان المؤمن للأضرار التي تلحق الشيء المؤمن عليه بسبب الاحتراق الذاتي إلا بنص صريح في الوثيقة ، راجع : حكم النقض المدني المصري في ١٩٦٥/١٢/٢٨ المجموعة : س ١٦ – ص ١٣٤٧ رقم ٢١١ ، وبتاريخ ١٩٦٠/٢/١٨ ، المجموعة س ١١ ، ص ١٧٤ ، وبتاريخ ١٩٦٦/١٢/٢٨ ، المجموعة س ١٧ ، ص ١٤٦٣ ، رقم ٣٠٤ ، وبتاريخ ١٩٧٠/١٢/٢١ ، المجموعة س ٢٢ ، ص ١٣٠٥ ، رقم ٣١٤ .

(١٨) أ.د. عبدالرازق حسن فرج – عقد التأمين ص ١٢٢ وما بعدها .. د. أحمد شرف الدين ص ٧٢ وما بعدها ، د. عبدالمنعم البدراوي – ص ٢٥٢ ، د. السنهوري – ١١٤١ .

عقود حسن النية ، كما أنه قد يكون مدنياً وقد يكون تجارياً[19] .

المبحث الثالث
وظائف التأمين

يقوم التأمين بعدة وظائف هامة فى العصر الحديث ، وهذه الوظائف تعود فائدتها على الفرد والمجتمع بأسره وتتمثل تلك الوظائف فيما يلى :

أولا : التأمين من عوامل الأمان :

من المؤكد بالنسبة لطالب التأمين على الأقل أنه يحقق له الأمان ، سواء بالنسبة للفرد أو على مستوى الجماعة ، فالتأمين يجعل الإنسان ينظر إلى المستقبل بثقة ، فهو يحميه ضد مخاطر الزمن التى قد تصيب الشخص فى جسمه ، وصحته ، وذمته المالية ، ولاشك أن إحساس الفرد بالأمان من أهم العوامل التى تدفعه إلى أداء دوره فى المجتمع على أكمل وجه ، وينتج بصورة فعالة ، والتأمين يحقق ذلك ، وهذه الوظيفة التى يكفلها التأمين نجدها واضحة فى تأمين الأضرار[20] ، وفى تأمين الأشخاص .

(أ) ففى التأمين من الأضرار ، قد يؤمن الشخص على منزل لا يملك غيره ضد الحريق . فإذا ما احترق هذا المنزل فى وقت ما ، فقد ذهب كل ما يملكه من حطام الدنيا ، وتحطمت آماله ، وعند هذه الحالة تدفع له شركة التأمين المبلغ المتفق عليه بشرط أن لا يجاوز مقدار الضرر الذى حدث[21] .

(ب) وفى التأمين من المسئولية : التى ازدادت حالاتها وكثرت فى عصرنا الحديث ، على أثر تقدم الصناعة وازدهارها ، وجدت إلى جانب المسئولية المبنية على أساس الخطأ الشخصى ، المسئولية التى مبناها تحمل المخاطر حيث يستطيع الشخص عن طريق التأمين أن يحصل على مواجهة الكوارث ، وبالتالى الإقدام على مباشرة نشاطه فى حرية واطمئنان ، ويتسع نطاق معاملاته مما يؤدى إلى زيادة الإنتاج الفردى والقومى .

(جـ) وفى التأمين على الأشخاص ، يؤمن الشخص على حياته لمصلحة أولاده مما يدعو إلى بث روح الأمن والطمأنينة فى النفوس ، ذلك أن كثيراً من الأفراد يعتمدون فى الكثير الغالب على ما يدره عملهم ، والإنسان معرض لعجز قد يقعده ، عن العمل ، أو مرض يهدده كما أن الموت مكتوب عليه ويخشى أن يترك من ورائه ذرية ضعافاً يخشى عليهم ، وعن طريق التأمين يستطيع أن يتقى[22] هذه المخاطر .

---

(19) د. محمد على عرفه ــ ص ٩٦ وما بعدها ، د. عبدالمنعم البدراوى ص ٢٥٠ ، د. أحمد شرف الدين ، ص ٧٤ ، وتكون صفة العقد مدنيا أو تجاريا بحسب صفة كل طرفيه ، إلا إذا نص القانون على خلاف ذلك .

(20) د. عبدالرازق حسن فرج ــ مرجع سابق ــ ص ٣٢ ، ود. حسام الأهوانى ــ ص ١٧ وما بعدها ، ود. نزيه المهدى ــ عقد التأمين ــ ص ٤٥ ، ود. عبدالناصر العطار ــ ص ٥ ود. عبدالودود يحيى التأمين على الحياة ــ ص ٤٢ ، وبيكار وبيسون ــ ص ١٣ .

(21) د. محمد حسام ــ ص ٣٣ وما بعدها ، د. خميس خضر ــ فقرة ٢٣١ ، د. عبدالمنعم البدراوى ــ فقرة ٧ .

(22) د. عبدالرازق حسن فرج ــ نفس المكان ، ود. حسام الأهوانى ص ١٧ ، ود. عبدالمنعم البدراوى ــ فى التأمين ص ١٥٣ ، ود. محمد على عرفه ص ٨٣ ، ود. عبدالحى حجازى ص ٨٣ ، د. محمد حسام ، ص ٣٤ ، د. عبدالناصر العطار ، ص ٦ ، د. نزيه المهدى ــ ص ٤٩ .

ثانياً : التأمين أداة لتنشيط الإئتمان :

يعتبر التأمين عاملا من عوامل تنشيط الإئتمان ، فمن ناحية يعتبر التأمين وسيلة لحصول الأفراد على ما يحتاجون إليه من قرض ، وذلك بتقديم مال من أموالهم ضماناً لهذا القرض فيقرر المدين للدائن رهنا على عقار من عقاراته أو منقول من منقولاته ، فإذا بقى هذا المال موجوداً ولم يتلف ، فإن ضمان الدائن يظل باقياً إلا أن هذا المال المرهون قد يسرق أو يحترق ، فيضيع ضمان الدائن ، ولهذا فإنه يكون للدائن مصلحة فى أن يؤمن على الشيء المرهون ضد السرقة أو ضد الحريق ، فإذا ما حدث حريق أو سرقة حل التأمين محل الشيء المرهون وانتقل حق الدائن المرتهن إلى التعويض المستحق للمدين ، وقد نصت على هذا المادة (٧٧٠ / ١) من التقنين المدنى المصرى .

وكثيراً ما يحتفظ الدائن لنفسه بالحق فى أن يدفع قسط التأمين إلى المؤمن إذا أهمل المدين أو امتنع عن ذلك ، على أن يكون له الرجوع عليه بها بعد ذلك .

بالإضافة إلى ذلك : فإن التأمين يساعد الدولة فى الحصول على ما تحتاجه من قروض إذ تحتفظ شركات التأمين باحتياطى كبير توظفه فى شراء السندات التى تصدرها هى والهيئات العامة ، وهذا يؤدى إلى تقوية الإئتمان العام حد كبير[٢٣] .

ثالثاً : التأمين وسيلة للإدخار :

كذلك يعتبر التأمين وسيلة لتكوين رءوس الأموال ، فمن خلاله يمكن تجميع مبالغ طائلة من الأقساط التى يدفعها المستأمنون والتى يغلب أن تكون أكثر من التعويضات التى تلتزم منه . وتحتفظ بجزء آخر بمثابة احتياطى ، ويستغل الجزء الباقى فى تمويل المشروعات الخاصة بالأفراد وبالدولة ، وهذه الأموال التى تجمعها شركات التأمين سواء أكانت أقساط أو رأس مال الشركة أو احتياطات تفيد المستأمنين وتعود على الاقتصاد القومى بالنفع[٢٤] .

رابعاً : التأمين من عوامل الوقاية :

يهدف التأمين إلى توقى المخاطر ، فإذا حاقت ، المؤمن له كارثة فإنه يجد من مبلغ التأمين ما يعوضه عما أصابه وهذا هو الغرض المباشر من التأمين .

وللتأمين فضلا عن هذا غرض غير مباشر ، وهو الوقاية من المخاطر والعمل على تقليل الحوادث ، وذلك بتلافى أسبابها وتجنب وقوعها ، ويتحقق هذا عن طريق جمعيات تكونها شركات التأمين فيما بينها فتقوم هذه الجمعيات ببحث أسباب المخاطر والعمل على توقيها ، وذلك كالعمل على توقى الحرائق وإصابات العمل وحوادث السيارات ، وهى تهدف من وراء ذلك إلى الحد

(٢٣) د. عبدالودود يحيى ـ العقود المسماة ـ ص ٣٠١ ، د. خميس خضر ، فقرة ٢٣٤ ، د. نزيه المهدى ـ ص ٥٢ ، محمد حسام ـ ص ٣٧ ، وبيكار وبيسون ـ السابق .

(٢٤) د. عبدالرازق السنهورى ص ١١١٤ ، د. محمد حسام ـ ص ٣٥ ، د. أحمد شرف الدين ـ ص ٢٧ ، وبيكار وبيسون ـ ص ١٥ .

من التعويضات التى تلزم شركات التأمين بدفعها .

وقد تلجأ شركات التأمين إلى اتباع الوسائل التى تشجع المستأمين على مراعاة الحيطة ، ومن ذلك تخفيض قسط التأمين الذى يدفعه المؤمن له بنسبة معينة ، أو إشراك المستأمنين فى الأرباح إذا قلت نسبة الحوادث فى السنة الماضية عن معدلها ، ومثل ذلك فى التأمين من حوادث السيارات إذ تقوم بتخفيض القسط السنوى عاماً بعد عام بنسبة معينة ، إذا لم يقع من المستأمنين حادثة فى العام السابق[٢٥] .

خامساً : الدور الدولى للتأمين :

ونظراً لتشابه المخاطر فى الدول المختلفة ، فإن مجال التأمين يتعدى حدود الدولة ويمتد إلى الدول الأخرى ، وذلك من خلال طريقتين :

الأولى : قيام الشركات الوطنية بإبرام عقود تأمين مباشرة عن أخطار وقعت فى الخارج ، وذلك بواسطة وكلائها وفروعها الموجودة هناك .

الثانية : قيام شركات التأمين بإعادة التأمين ، فهى بعد أن تتعاقد مع المؤمن لهم فى داخل الدولة تقوم بالتعاقد مع شركات أجنبية بقصد تحميلها بجزء من الأخطار بدلا من أن تتحمله الشركة وحدها إزاء عملائها فى الداخل ، فيمكن بذلك أن يتحمل معيد التأمين فى الخارج بجزء من الأضرار ، فتتوزع بهذا الآثار المترتبة على الكوارث بين شركات التأمين فى الدول المختلفة بدلا من أن تتحمل بها الشركات المحلية وحدها ، ويحقق هذا نوعا من التوازن والإستقرار العام ، كما أن هذا الطابع الدولى للتأمين قد يعين على توحيد أحكامه خاصة وأن المشاكل التى تثيرها تكاد تكون متشابهة فى الدول المختلفة[٢٦] .

سادساً : الجوانب الأخلاقية فى التأمين :

والتأمين ليس عملية مادية بحته لا صلة لها بالأخلاق ، ولا يقلل من ذلك أن الصفة الإحتمالية قد تجعله يبدو لأول وهلة وكأنه من أعمال المضاربة أو القمار الذى لا يتفق مع مبادىء الأخلاق ، إذا الواقع أن هناك أسسا أخلاقية يقوم عليها نظام التأمين ، مثل فضيلة التبصر للمستقبل والإستعداد له ، أو الإيثار لدى المؤمن له ، أو التعاون على البر والتقوى ، وقد وضع المشرع من القواعد ما يهدف من ورائه إلى منع الخروج على المبادىء الخلقية ومن ذلك :

١ ـ أنه قد وضع تنظيماً آمراً لعقد التأمين لحماية المؤمن له وهو الطرف الضعيف فى العقد ، وقد نصت المادة (٧٥٣) مدنى على أنه : « يقع

---

(٢٥) د. حسام الأهوانى ـ ص ٣٣ ، ود. عبدالمنعم البدراوى ـ ص ١٦١ ، د. عبدالرازق السنهورى ـ فقرة ١٠٨٧ ـ ، د. محمد كامل مرسى ـ العقود المسماة ـ جـ ٣ ـ عقد التأمين فقرة ١٤ ، ط ١٩٥٢ .

(٢٥) د. عبدالمنعم البدراوى ـ ص ١٧٤ ، ود. حسام الأهوانى ص ٢٠ ، ود. عبدالرازق حسن فرج ـ ص ٣٤ .

(٢٦) د. حسام الأهوانى ـ ص ١٩ ، د. أحمد شرف الدين ص ٣٤ ، د. عبدالحى حجازى ص ٦٠ ، د. أحمد شرف الدين ـ فقرة ٣ .

باطلا كل إتفاق يخالف أحكام النصوص الواردة في هذا الفصل إلا أن يكون ذلك لمصلحة المؤمن له أو لمصلحة المستفيد .

٢ ـ عمل المشرع على بسط رقابته على الهيئات التي تقوم بالتأمين حتى يمنعها من استغلال المؤمن لهم .

٣ ـ كذلك فإن مما يتفق مع قواعد الأخلاق ، ما يقضي به المشرع من عدم المسئولية عن الأضرار الناشئة عن الفعل العمدي الصادر من المؤمن له ، وبطلان كل شرط يخالف ذلك ، وإلا لكان في استطاعة المؤمن له أن يتسبب عمداً في وقوع الكارثة ليحصل على مبلغ التأمين ، ومثل ذلك أن يقوم بإحراق الشيء المؤمن عليه عمدا ، وقد نصت على هذه المادة (٧٦٨ / ١) مدني .

وكذلك فإن تأثير القواعد الخلقية في التأمين يبدو واضحاً في الصفة التعويضية لتأمين الأضرار ، ففي هذا النوع من التأمين يقتصر المؤمن على تعويض الخسارة وفي حدودها حتى لا يكون التأمين مصدر إثراء وكسب بدون سبب[٢٧] .

وقد وضع المشرع قواعد تهدف إلى مجازاة المتعاقد الغشاش والمدلس في عقد التأمين ، سواء أكان ذلك عند انعقاد العقد أم في أثناء تنفيذه أم عند وقوع الكارثة ، وهذا ما يعبر عنه بأن عقد التأمين من عقود حسن النية ، والمؤمن له يلزم بأن يدلي بكافة البيانات الصحيحة ، التي يكون من شأنها إحاطة المؤمن علما بقدر الخطر المؤمن منه وجسامته ، فإذا أخفى المستأمن الحقيقة عمداً أو دلّس على المؤمن بشأنها ، حرم من حقه في التأمين ، ومن المقرر كذلك أن حق المؤمن له يسقط إذا تعمد زيادة الخطر ، فهذه المبادىء وغيرها تبرز مقدار الجانب الخلقي في التأمين .

---

(٢٧) د. حسام الأهواني ـ ص ٣٣ ، ود. عبدالمنعم البدراوي ـ ص ١٦١ ، د. عبدالرزاق السنهوري ـ فقرة ١٠٨٧ ـ ، د. محمد كامل مرسي ـ العقود المسماة ـ ص ٣ ـ عقد التأمين فقرة ١٤ ، ط ١٩٥٢ .

تحذير المسلمين من الغزو الفكرى

للدكتور محمود محمد رسلان

يقال عن العصر الحاضر : عصر الكلمة ، عصر العلم ، عصر الثقافة ، ثم تبقى الحقائق فى النهاية بعد الغطغطة ، إذ البقاء للأصلح : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾(١)

بيد أن الثقافات الغربية تحاول السيطرة على الأمم وبخاصة المسلمين بكل ما أوتيت من أساليب المكر والدهاء لأن الأمة الإسلامية فى نظرها العقبة الكؤود أمام نجاحهم إذ للإسلام ثقافته الثابتة البنيان الراسخة الأصول التى تستمد من القرآن الكريم فلا تخطىء ، ومن السنة النبوية الشريفة فلا تزيغ ، ومن ثم لجأت هذه الثقافات إلى ميدان الكلمة — مقروءة أو مسموعة — مستخدمة أساليب لا يرضاها الخلق ولا مناهج العلم ، فقام المستشرقون والمنصرون ومن سار فى ركابهم وتبطن عباءتهم من الزائغين ، متخذين من ثقافاتهم هدفا لهز العقيدة الإسلامية فى نفوس المسلمين لكن الإسلام الحنيف لهم بالمرصاد ، يكشف علماؤه ألاعيبهم ، ويحذرون المسلمين مكرهم ودهاءهم ، وقد بين القرآن فى أكثر من آية أن أعداء الإسلام والمسلمين لن يملوا من إيجاد سبيل أو سبل ليطووا أمة الإسلام فكريا ، تحت غاياتهم وأهدافهم ، ويرغموهم على الدوران فى فلكهم من هذه الآيات المحذرة قول الله تعالى :

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾(٢)

وقوله — سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾(٣) وقوله — تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾(٤)

وحيث إن المسلم يعتمد على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد عمد المستشرقون والمنصرون

(١) الأنبياء : ١٨
(٢) البقرة : ٢١٧
(٣) آل عمران : ١١٨
(٤) آل عمران : ١٤٩

إبتداء ثم بواسطة تلاميذهم إلى النيل من الكتاب والسنة بتشويه صورتهما لدى المسلمين فعمدوا إلى ترجمة القرآن ترجمة ضالة ليشوهوه أولا ، ثم ليصلوا — من بعد — إلى أهدافهم ، وانطلق فى فلكهم من الزائغين من يتقدم باسم البحث العلمى ليجعل القرآن حديثا بشريا ينال منه النقد ما يشاء منطلقــا من حيث أراد المستشرق « جب » فى كتابه « المذهب المحمدى » حيث يقول : إن هذا الإسلام مذهب وليس بدين[٥] « كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا » سورة الكهف

إن الإسلام هو الدين الذى ارتضاه الله تعالى لعباده من قديم . قال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام » ويرد القرآن مفنداً مزاعم هؤلاء المبطلين مبينا أن محمداً ﷺ رسول الله إلى الناس كافة ، وللعالمين جميعا ، وأنه تلقى القرآن الكريم من ربه ، قال سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [٦]

وقال سبحانه لرسوله ﷺ « قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ »[٧]

وقال سبحانه « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »[٨]

وقال — عز وجل :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[٩]

وقال تبارك وتعالى :

« وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ »[١٠]

فالقــرآن الكـريم : هو وحـــى الله — سبحانه — إلى نبيه محمد ﷺ الذى أرسله رحمة للعالمين .

والسنة حجة ، وليس لحديثهم فيها أثر على إيمان المسلمين اللهم إلا من ضل فاتخذهم محرابا يحرق تحت أقدامهم بخور زيفة ، قال — تعالى :

« مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ » النساء — ٨٠ ، وقال — تعالى : « وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » النور ٥٦ .

ومصدر طاعة الرسول ﷺ إنما يعرف من قوله وفعله وإقراره أى : من سنته — عليه الصلاة والسلام — وهذا الجزء من عقيدة المسلم لن يتغير مهما قالوا بعدم حجية السنة .

وللأستاذ الدكتور محمد محمد أبوشهبة مواقفه العلميـة فى رد ترهــات أولـــئك الخصوم[١١] : مستشرقين وتابعين .

ومثله أيضا الأستاذ الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه : « السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى »[١٢] يقول الدكتور السباعـى

---

(٥) المذهب المحمدى : للمستشرق (جب) ص ٢٧ : ٣٨ بإيجاز ، وانظر د. محمد البهى : الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ص ١٧٨ وما بعدها باختصار .
(٦) النمل : ٦
(٧) الأنعام : ٥٠
(٨) سبأ : ٢٨
(٩) الأنبياء : ١٠٧
(١٠) الشورى : ٥٢
(١١) طبعة الأزهر سنة ١٩٦٧م
(١٢) طبع سنة ١٩٦٦م

ــ رحمه الله ــ في كتابه رداً على تلك المزاعم :

« لا نزاع بين العلماء في أن نصوص السنة على ثلاثة أقسام :

أولا : ما كان مؤيدا لأحكام القرآن موافقا له من حيث الإجمال والتفصيل ، وذلك مثل الأحاديث التي تفيد وجوب الصلاة والزكاة والحج والصوم .. الخ من غير تعرض لشرائطها وأركانها فإنها موافقة لآيات القرآن الكريم في ذلك مثل حديث : « بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا »[13] فهذا الحديث موافق لقوله سبحانه : « وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ »[14] وآيات الصوم ، والحج في القرآن الكريم .

ثانيا : ما كان مبيناً لأحكام القرآن من تقييد مطلق ، أو تفصيل مجمل ، أو تخصيص عام كالأحاديث التي فصلت أحكام الصلاة والزكاة والحج ، والبيوع والمعاملات التي وردت مجملة في القرآن الكريم ، وهذا القسم هو أغلب ما في السنة ، وأكثرها ورودا .

ثالثا : ما دل على حكم سكت عنه القرآن الكريم ، فلم يوجبه ولم ينفه كالأحاديث التي أثبتت حرمة الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ، وأحكام الشفعة ، ورجم الزاني البكر المحصن ، وتغريب الزاني البكر وإرث الجدة وغير ذلك[15] .

(ومن دليل حجية السنة) إجماع الصحابة رضي الله عنهم على الاحتجاج بالسنن والأحاديث ، والعمل بها ويشهد لذلك ما يلي :

إقراره ﷺ لمعاذ رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن قاضيا حيث قال له : « بم تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله ﷺ قال : فإن لم تجد ؟ قال أجتهد رأيي ، ولا آلو : فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي الله ورسوله »[16] .

لقد وضع الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ نصب أعينهم هذا الأمر موضع التنفيذ : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ ومن ثم أرجعوا كل ما جاءت به السنة إلى هذه الآية الكريمة .

وأما الأصوليون والفقهاء فقد اتفقوا على أن أدلة الأحكام هي : الكتاب والسنة ، والإجماع والقياس :

كتب عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ إلى شريح القاضي : انظر ما استبان لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحدا ، وما لم يستبن لك في كتاب الله فاتبع فيه سنة رسول الله ﷺ »[17] .

أهداف الأعداء

١ ــ فصل المسلمين ، وإبعادهم عن أصول دينهم بتشويه تلك الأصول وعزلها عن مصادرها ، وهدم المقومات الأساسية لمنهج الإسلام لدى الفرد والجماعة .

---

(١٣) البخاري : كتاب الإيمان : ١ : ١١ ، مسلم : كتاب الإيمان : ١ : ٤٥ باب أركان الإسلام .

(١٤) البقرة : ٤٣

(١٥) السنة ومكانتها في التشريع : ص ٣٧٩ وما بعدها

(١٦) سنن الدارمي : المقدمة : ١ : ٦٠

(١٧) المرجع السابق وأنظر الدعوة إلى الله على بصيرة ص ٢٥٠

٢ ـ الحيلولة بين الشعوب الغربية ، وبين الإسلام ، حيث عمل المستشرقون على تشويه الإسلام وحجب نوره ؛ لإقناع قومهم بعدم صلاحيته لهم ، وهذا الغرض هو ما بذل من أجله المستشرقون الجهد الكثير وبخاصة بعد الحروب الصليبية ، حيث عاد المحاربون إلى أوربا يحملون الصورة المشرقة للإسلام والمسلمين إلى أهليهم ومواطنيهم .

٣ ـ تأييد الغزو الاستعمارى لبلاد المسلمين والعمل على تحطيم المقاومة الإسلامية بالتأويل فى الجهاد ، وصرف أنظار المسلمين عن الشريعة الإسلامية وعن تطبيقها فى المجتمع الإسلامى ، وإحلال النظم الوضعية محل النظم الإسلامية فى البلاد التى تدين بالإسلام[١٨] .

وفى ذلك يقول ـ عز وجل : «

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[١٩] .

قال القرطبى فى : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم » ـ الإطفاء : هو الإخماد ، يستعملان فى النار ، ويستعملان فيما يجرى مجراها من الضياء والظهور ، والفرق بين الإطفاء والإخماد أن الإطفاء يستعمل فى القليل فيقال أطفأت السراج ، ولا يقال أخمدت السراج .

وجاء فى « نور الله » عز وجل ما يلى :

(أ) إنه القرآن يريدون إبطاله وتكذيبه بالقول ، وهذا عين ما ينادى به الملحدون والعلمانيون اليوم ، والتعبير بالفعل المضارع يفيد الحال والاستقبال .

(ب) إنه الإسلام يريدون دفعه بالكلام .

(جـ) إنه محمد ﷺ يريدون هلاكه أو النيل منه بالأراجيف .

(د) إنه حجج الله سبحانه ودلائله يريدون إبطالها بإنكارهم وتكذيبهم .

(هـ) إنه مثل مضروب بمن أراد إطفاء نور الشمس بفيه فوجده مستحيلا ممتنعا .

سبب نزول هذه الآية الكريمة : ما حكاه عطاء عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ أبطأ عليه الوحى أربعين يوما فقال كعب بن الأشرف : يا معشر اليهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد ﷺ فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم أمره فحزن رسول الله ﷺ فأنزل الله ـ سبحانه ـ هذه الآية .

وقال ـ سبحانه ـ « ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾[٢٠] والكتاب هو المبين لقوله سبحانه : « ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾[٢١] .

« تلك آيات الكتاب المبين »

فالكتاب حجة لكونه معجزا والحجة هى النور فالكتاب كذلك والرسول ﷺ نور وإلا لما وصف بكونه رحمة للعالمين إذ بواسطته اهتدى الخلق وبين للناس ما نزل إليهم .

كونه ﷺ نورا من وجوه منها :

(أ) أنه يدل على مكانة شأنه وعظمة برهانه .

(ب) لوصفه بالنور وإضافته إلى الذات الإلهية .

(١٨) أنظر أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى ص ٢١ ، ٢٢ وأنظر الدعوة الى الله على بصيرة ص ٢٥١ وما بعدها .

(١٩) الصف : ٨ ، ٩ .

(٢٠) النساء : ١٧٤ .

(٢١) المائدة : ١٥ .

(جـ) وكونه ﷺ نورا من أنوار الله تعالى أنه أشرق فى جميع أقطار العالم ومن ثم كان رسولا إلى جميع الخلائق لقوله ﷺ : « بعثت إلى الأحمر والأسود »

فما من دولة إلا وفيها من ينطق بالتوحيد نور الله المبين ، كما لا يوجد شخص من الجن والإنس إلا ويكون من أمته ، إن كان مؤمنا فهو من أمة الإجابة ، وإن كان كافرا فهو من أمة الدعوة .

وتؤكد آيتى الصف ؛ آيتا التوبة ، قال سبحانه :

« يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣) » سورة التوبة

كما أن شرح آيتى التوبة قريب جدا من شرح آيتى الصف لدى علماء التفسير ولذا يمكننا أن نستخلص ما يلى :

(أ) أن ما فعله الكفار والمشركون قديما فى الصد عن سبيل الله سبحانه ومحاولة إطفاء نور القرآن ، يفعله تلامذة أعداء الله اليوم .

(ب) ثمة محاولات مستميتة لطمس نور الله وشرعه فى قلوب المسلمين وعقولهم ، والقضاء على سنة نبيهم ﷺ بكل أساليب المكر والخديعة !!

(جـ) تحذير المسلمين من أعداء الله حتى لا يؤخذوا على غرة وفى تدبرهم لآيات الله سبحانه النجاة كل النجاة .

(د) إنما تذكر أعداء هذا الدين بأن الله سبحانه ناصر دينه ، ولو كره الكارهون .

(هـ) تذكر هؤلاء باجتماع معاصرى صدر الرسالة قديما على حرب رسول الله ﷺ من العرب والفرس والروم ثم انتصار رسول الله ﷺ ثم فتح المسلمين لبلادهم .

(و) تذكرهم بالنهاية للحروب الصليبية التى عاشت فى الشرق فسادا قرابة قرنين من الزمان ولكن الله ــ عز وجل ــ رد كيدها فى نحور من أججها ، وعاد الشرق لأهله يبنى ما هدمته قوى الشر والعدوان .

(ز) يظن أعداء الإسلام اليوم أنهم قادرون على الإطاحة به وبأهله ، ولا يعلمون أنه إنما جاء ليبقى ، وبقى ليقوى وليزيل عن هذه الأرض كيد الزائغين .

إن الإسلام باق ما بقيت السموات والأرض فإن الذى يمسكه ويحفظه هو الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ــ سبحانه الدائم الباقى .

لقد وعد الله ــ عز وجل ــ المؤمنين بالتمكين فى الأرض ، وَوَعْدُ الله ــ عز وجل ــ لا يتخلف ، ولن يتخلف ولا يأس من رحمة الله :

« إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ » يوسف ٨٧ .

قال ــ عز وجل ــ وقوله الحق :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾ سورة النور (٥٥)

وليعتبر من شاء ، أو يتجرع مرارة التاريخ هذا التاريخ الذى يستعيد دورته .

خلق المسلم

٢

صلة الأخلاق بالعقيدة والعبادات والمعاملات

بقلم الدكتورة/ فاطمة عمر نصيف (*)

إن صلة الأخلاق بالعقيدة والعبادات والمعاملات صلة قوية متينة ، فالأخلاق هي السمة البارزة الأصلية في كل جانب من جوانب هذا الدين ، ففي الجانب العقائدي ، أو الجانب التعبدي ، أو المعاملات ، وفي العلاقات الأسرية والاجتماعية ، وهي ما تسمى بالأحوال الشخصية ، وفي الجهاد ومحاربة الأعداء والعلاقات الدولية ، وأحكام الرقيق وفي القضاء وحتى إقامة الحدود والجنايات نجد الأخلاق هي الأصل والأصيل .

وبنظرة سريعة لهذه الجوانب يتضح ذلك تماماً :

أولا ـ العقيدة :

إن التشريعات والتوجيهات والأوامر والنواهي في دين الله تنبثق من أصل واحد وهو العقيدة الصحيحة التي هي أصل الأصول ، ومنبع الفضائل والخيرات ، والأخلاق جزء لا يتجزأ منها ، فمن الحقائق الثابتة أن الإسلام عقيدة وعبادة ونظام حياة ، فهو عقيدة تنبثق منها شريعة ، إنه الدين الذي يتمثل في العقيدة أولا ، وفي تشريعات الأحكام السلوكية ثانياً . ولقد جاء الإسلام مع العقيدة بنظام خلقي رفيع ونظام مادي لحكم المجتمع وتنظيم العلاقات بين أفراده .

فإذا تأملنا نصوص القرآن نجد أن الله ـ عز وجل قرن عبادته وحده لا شريك له بفضيلة خلقية راقية وهي الإحسان ، دلالة على أهمية الأخلاق في شرع الله ، فنجد أن الله ـ عز وجل ـ في الوقت الذي يأمرهم بتوحيده بالعبادة ، يأمرهم بالإحسان في كل شيء ، إلى كل أفراد المجتمع بأصنافهم وعلى رأسهم الوالدين .

والإحسان هو قمة العطاء والفضل والإيثار ..

قال تعالى :

(*) الكاتبة أستاذ مشارك بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، نشر الجزء الأول من هذا البحث بعدد ذي القعدة ١٤١٥ هـ ص ١٥٠٩ وما بعدها .

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾[٦٣] .

وكلمة الإحسان من الكلمات الجامعة المانعة (ففى اللغة العربية كلمات كثيرة كساها الإسلام معان سامية ثم خلع عليها القرآن الكريم من ثياب البلاغة فأصبحت ذوات جلال موجز وبيان معجز . من ذلك الحياء والإنفاق والبر والإحسان الذى أكثر الكتاب الحكيم ذكره .. والإحسان مصدر لأحسن أى نقـل ما هو أحسن[٦٤] وفى التنزيل العزيز :

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾[٦٥] .

وأحسن الشىء : أجاد صنعه ـ وفى التنزيل العزيز :

﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾[٦٦] .

وأتقنه ، ويتسع أفق الكلمة فتنتسب إلى الله سبحانه ـ وإلى عباده الصالحين ، وتمتد إلى العمل والعلاقة بين الناس وما أكثرها وأشد حاجتها إلى الإحسان وتزيد اتساعاً فتنال المحسنين وما أعظمهم على قلتهم ، ولا تترك المحسنات إحساناً يفرضه الإسلام ويوجبه الإيمان ، وإذا اجتمع العدل والإحسان فقد سمى الأخير بمعنى الأول ، ولذا قال الإمام على فى تفسير : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ .

« العدل : الإنصاف ، الإحسان : التفضل » وهذا على وجازته يفسح للإتقان والإجادة فى كل أمر فوق المجازاة بالمثلية ، والوقوف عند الحق وكفى[٦٧] .

وتوضح الأحاديث النبوية معنى الإحسان توضيحاً دقيقاً من ذلك قوله ﷺ : **(الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**[٦٨] .

والحديث الثانى قوله ﷺ : **(إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)**[٦٩] .

فالحديث الأول عرف الإحسان بأنه : مشاهدة الحق بالقلب ، فيستحضر العبد أن الحق مطلع عليه يرى كل ما يعمل ، وهذا يثمر خشية الله .

والحديث الثانى يفيد : أن الله أوجب على الإنسان أن يتقن عمله فى كل شىء فإذا تحقق المعنى الأول صدر عنه المعنى الثانى ، إتقان العمل .

---

(٦٣) سورة النساء ، آية ٣٦ .

(٦٤) أنيس إبراهيم وآخرون ـ المعجم الوسيط الناشر مجمع اللغة العربية ط٢ ١٩٧٢م مطابع دار المعارف بمصر .

(٦٥) سورة الإسراء ، آية ٧ .

(٦٦) سورة غافر ، آية ٦٤

(٦٧) النار ، محى الدين ، مقال ، القرآن الكريم ، كتاب الإحسان ، ص ٣٦ ، مجلة الهداية .

(٦٨) مسلم ، صحيح مسلم الشرح النووى ، جـ١ ، ص١٥٧ .

(٦٩) نفس المرجع السابق ، جـ١٣ ، ص١٠٦ .

وقد جاء فى تفسير الآية السابقة « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً » ، قول القرطبى[70] : (أجمع العلماء على أن هذه الآية من المحكم المتفق عليه ، ليس منها شيء منسوخ ، والآية أصل فى خلوص الأعمال لله تعالى وتصفيتها من شوائب الرياء وغيره . قال العلماء فأحق الناس بعد الخالق المنان بالشكر والإحسان والتزام البر والطاعة له والإذعان ، هما : الوالدان) .

كما دلت الأحاديث النبوية على ارتباط الأخلاق بالعقيدة ارتباطاً شديداً بجعل الخلق الكريم شعبة منه ، وجزءاً لا يتجزأ . عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ ، قال : (الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان)[71] .

فربط بين عقيدة « لا إله إلا الله » ، وبين فضيلة خلقية راقية « الحياء » ، وبين معروف صغير يفعله المسلم وهو تنحية الأذى من طريق الناس .

والشعبة هى الخصلة أو الجزء ، والحياء فى اللغة تغير وانكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به ، وفى الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق ، ولهذا جاء فى الحديث الآخر « الحياء كله خير »[72] ، فإن قيل الحياء من الغرائز ، فكيف جعله شعبة من شعب الإيمان ؟ أجيب بأنه قد يكون تخلقاً ، ولكن استعماله وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية ، فهو من الإيمان .. لهذا ، ولكنه باعثاً على فعل الطاعة ، وحاجزاً عن فعل المعصية[73] . فقد جاء فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال : (لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء)[74] ، بل نجد أن الحديث قد قرن بين هذه الفضيلة الخلقية ، الحياء والإيمان وجعلهما شيئاً واحداً .. قال ﷺ : (الإيمان والحياء قرناء جميعاً ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر)[75] .

جعل الرسول الكريم ﷺ ، الخلق الكريم علامة مميزة للمسلم يوم يعلن عن إسلامه ، وصفة يعرف بها بين الناس ، فيقول ﷺ : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[76] .

وهو تعريف شامل جامع لكل الفضائل الخلقية والسلوك الراقى فالمسلم الحق هو الذى لا يصدر منه أى أذى لا بالقول ولا بالفعل .

[قال الخطابى : المراد أفضل المسلمين من : جمع مع أداء حقوق الله تعالى ، أداء حقوق الناس ، ويحتمل أن يكون المراد بذلك أن يبين علامة المسلم التى يستدل بها على إسلامه ، وهى سلامة المسلمين من لسانه ويده ، وخص اللسان بالذكر لأنه يعبر عما فى النفس .. هكذا اليد ، لأن أكثر الأفعال بها ، ويحتمل أن يكون المراد بذلك الإشارة إلى الحث على حسن معاملة العبد مع ربه ، لأنه إن أحسن معاملة إخوانه فأولى أن يحسن معاملة ربه من باب تنبيه الأدنى على الأعلى ، وذكر المسلمين هنا خرج مخرج الغالب ، لأن محافظة

---

(70) الجامع لأحكام القرآن ، م3 ، ص 180 ، 182 .

(71) صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ 2 ، ص 6 .

(72) المرجع السابق ، جـ2 ، ص7 .

(73) ابن حجر ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، جـ1 ، ص52 .

(74) مالك ، الموطأ ، جـ1 ، ص 905 ، دار إحياء التراث العربى ، ط 1951م .

(75) الحاكم ، المستدرك ، جـ1 ، ص22 .

(76) ابن حجر ، فتح البارى ، جـ1 ص53

المسلم عن كف الأذى عن أخيه المسلم أشد تأكيداً)[77] .

ثانياً ـ العبادة :

ترتبط الأخلاق بالعبادات وبالعقيدة ارتباطاً وثيقاً ، فلا عبادة بدون عقيدة ، ولا عبادة إن لم يرافقها سلوك مهذب نظيف ، وأخلاق إنسانية راقية .. فالإسلام ليس عقيدة فحسب ولكنه عقيدة وعبادة ونظام حياة ، يشمل جميع شئون الحياة ، وسلوك الإنسان وأحكام الأخلاق والعبادات فى تناسق بديع ، وارتباط وثيق ، حتى أنه يصعب فصل أى جزئية عن الأخرى ، ويصبح العمل ببعضها دون الآخر ، نقص فى صفة الإسلام ، ولتأكيد ذلك سوف نلقى نظرة على العبادات المخصوصة بهذا الاسم :

١ ـ الصلاة :

تلك العبادة اليومية التى يؤديها المسلم خمس مرات فى اليوم فرضها الله على عباده لتكون لهم درعاً واقياً من الإثم والبغى والفحشاء والمنكر وسيئات الأقوال والأفعال ، وتكون بمثابة المصل الواقى من سوء الخلق مع الخلق ورب الخلق وهى وسيلة عظيمة لتزكية النفس . قال تعالى :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾[78] .

يقول ابن كثير[79] : (يعنى إن الصلاة تشتمل على شيئين . على ترك الفواحش والمنكرات ، أى مواظبتها تحمل على ذلك . وقد جاء فى الحديث من رواية عمران وابن عباس مرفوعاً « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعداً » فهذا حديث موقوف) .

فالمسلم إذا أقام الصلاة وأداها ، بأركانها وشروطها وواجباتها على كالها وتمامها بخشوع وإخلاص واستحضر مثوله بين يدى ربه ، قطع دابر العجب والغرور وقطع دابر المنكر ، وكانت له خير زاجر ومانع عن كل مايشين ، وخير وازع ومعين على فعل الخير ، فالصلاة تصل هذا العبد الضعيف بمصدر القوة والخير والعدل الذى له الحكم وإليه المصير .

(فالصلاة قوة خلقية ، وفى هذه القوة مدد ، أى مدد لضمير المؤمن ، يقويه على فعل الخير وترك الشر ومجانبة الفحشاء والمنكر ، ومقاومة الجزع عند الشر والمنع عند الخير ، فهى تغرس فى القلب مراقبة الله ـ تعالى ، ورعاية حدوده ، والحرص على الوقت والدقة فى المواعيد ، والتغلب على نوازع الكسل والهوى ، وجوانب الضعف الإنسانى)[80] .

وهكذا نرى كيف ارتبطت الصلاة بالأخلاق ، وكيف كان إيحابها على المسلمين لإحياء الجوانب الخلقية العظيمة فى نفس المسلم إحياء لعاطفة الأخوة ، وزيادة روابط الوحدة ، وإظهاراً للقوة .

٢ ـ الزكاة :

هذه الفريضة التى أوجبها الله فى أموال الأغنياء للفقراء ، وعالج بها مشكلة الفقر بنظام فريد ، وعالج فيه مشكلة المال بوجه عام .

---

(٧٧) المصدر السابق جـ١ ، ص٥٣ .

(٧٨) سورة العنكبوت ، آية ٤٥ .

(٧٩) تفسير القرآن العظيم ، جـ٣ ، ص٤١٤ .

(٨٠) القرضاوى ، العبادة فى الإسلام ، ص٢٢١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١٧ ، ١٩٨٥م .

فالزكاة طهارة للقلب والمال ، طهارة للقلب من الشح والبخل وطهارة للمال ونماء ، تجعل ما بقى حلالا طيباً ، وهى وسيلة من وسائل تزكية النفس ، لأن النفس مجبولة على الشح ، والشح رذيلة خلقية يجب تطهير النفس منها وتعويدها على البر والإنفاق .

والزكاة عبادة يشترط الشارع فى إخراجها ، أن تكون بكرم وطيب نفس مصحوبة بالخلق الرفيع والأدب الجم ، فيخرجها من أطيب وأحسن الملك ، من الجيد من المال والعروض والثمار والزروع ، ومن السليمة الجميلة والسمينة من السائمة والأنعام . قال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ﴾[81] .

وفسر ابن كثير[82] الآية إلا أن تغمضوا فيه بقوله : (لو أن أحدكم أهدى له مثل ما أعطى ما أخذه إلا على أغماض وحياء .

إن الآيات القرآنية التى حثت المسلمين على إخراج الزكاة والصدقة من أفضل الموجود كثيرة ، لأن الله ـ عز وجل ـ لا يقبل الردىء الخبيث ، ولذلك قال تعالى :

﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[83]

إن الحكم التى شرعت من أجلها الزكاة كثيرة ، فهى طهارة لنفس الغنى ، وطهارة لنفس الفقير ، وصيانة للمجتمع من الفقر ، وضمان اجتماعى ، وتأمين وتكافل للأفراد جميعاً ، فهذه كلها معان عظيمة تدخل تحت مكارم الأخلاق ..

كذلك حذر القرآن من الخلق السيىء الذى يتبع الصدقة والزكاة فيبطلها ويفقدها معناها ويحبط أجرها وثوابها . قال تعالى :

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ﴾[84]

وقيل المن : أى يستخدمه بالعطاء ، والأذى أن يعيره بالفقر . وقيل المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه ، والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة . (فيقرر أن الصدقة التى يتبعها الأذى ، لا ضرورة لها وأولى منها كلمة طيبة وشعور سمح ، كلمة طيبة تضمد جراح القلوب ، وتفعمها بالـــرضا والبشاشة ، ومغفرة تغسل أحقاد النفوس ، وتحل محلها الإخاء والصداقة ..

فالقول المعروف والمغفرة فى هذه الحالة يؤديان الوظيفة الأولى للصدقة ، من تهذيب النفوس وتأليف القلوب ، ولأن الصدقة ليست تفضلا من المانح على الآخذ ، وإنما هى قرض لله .. عقب عليه بقوله : ﴿ والله غنى حليم ﴾ غنى عن الصدقة المؤذيـــة ، حليم يعطـــى عبـــاده الـــرزق فلا يشكرون)[85] .

(81) سورة البقرة .

(82) العبادة فى الإسلام ، ص ٢٢٣ .

(83) سورة آل عمران ، آية ٩٢ .

(84) سورة البقرة ، آية (٢٦٣ ــ ٢٦٤) .

(85) تفسير القرآن العظيم ، جـ١ ، ص ٣٢٠ .

ولذلك نجد أن الله عز وجل يمدح عباده المنفقين ، الذين ينفقون فى سبيله ، فيخرجون الصدقات والزكاة بنفس طيبة ، وأدب جم وخلق رفيع ، فيعدهم بالثواب العظيم . قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(86)

بل اعتبر البخل (هذه الرذيلة الخلقية) سبباً للهلاك والبوار والخسران . قال تعالى :

﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(87) .

٣ ـ الصوم :

فرض الله الصوم وبين الحكمة من تشريعه .

فقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(88)

(فالصوم تقوية للإرادة ، وتربية على الصبر ، فالصائم يجوع وأمامه شهى الغذاء ، ويعطش وبين يديه بارد الماء ، ويعف وبجانبه زوجته ، لا رقيب عليه فى ذلك إلا ربه ، ولا سلطان إلا ضميره ، ولا يسنده إلا إرادته القوية الواعية ، يتكرر ذلك نحو خمس عشرة ساعة أو أكثر فى كل يوم ، وتسع وعشرين يوماً أو ثلاثين فى كل عام . فأى مدرسة تقوم بتربية الإرادة الإنسانية وتعليم الصبر الجميل كمدرسة الصيام)(89) .

فكان من إرشاداته ﷺ للصائم أن يلتزم بالآداب الإسلامية والأخلاق الحسنة ، والسلوك السليم ، وأن يمتنع عن كل قول أو فعل مخل بالأدب ، ومناف للأخلاق ، ومن كل تصرف فيه أذى للغير ، ولم يكتف بذلك بل يريد من المسلم أن يترفع عن ذلك ويستعلى عليه ، فيمتنع حتى عن رد الأذى بمثله .

٤ ـ الحج :

الحج هو الشعيرة الرابعة فى الإسلام فرضها الله على كل مستطيع ، وجعل تركه كفراً بالله ، يشترط المولى سبحانه عند أدائه الأخلاق الفاضلة والانضباط التام فى السلوك .

فقبول هذه العبادة مشروط بالانضباط الأخلاقى فى القول والفعل ، ويتضمن الحج معانى عظيمة كلها تدور فى دائرة النظام الأخلاقى فى الإسلام (فالحج تعويد للنفس على معانى من استسلام وتسليم ومن بذل الجهد والمال فى سبيل الله ، ومن تعاون وتعارف ومن قيام لله بشعائر العبودية ، وكل ذلك له آثاره فى تزكية النفس) .

٥ ـ الجهاد :

هو ذروة سنام الإسلام وهو قمة مكارم الأخلاق . إن المجاهد فى سبيل الله يمثل القمة الايمانية الحقة ، وهو المثل الأعلى الذى يجب أن يحتذى فى مكارم الأخلاق

يتبع

(86) سورة البقرة
(87) سورة البقرة ، آية ١٩٥ .
(88) سورة البقرة ، آية ١٨٣ .
(89) القرضاوى ، العبادة فى الإسلام ، ص٢٧٥ .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ/ عبد المنعم فوده

السؤال من السيد .. فضل أحمد صالح ..

١ - توفى رجل عن زوجة وأولاد ، وقبل انتهاء عدة الوفاة خرجت الزوجة معتمدة من بيت زوجها المتوفى عنها - فهل لها حق النفقة مدة عدتها ، وما حكم مهرها المؤجل ؟

٢ - مات رجل ثرى ، وقام أحد اخوته بمصاريف الدفن وما يلزم فى مثل هذه الحالة فهل له أن يأخذه من تركة هذا المتوفى ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد عن الأول بأن المتوفى عنها زوجها إذا كان لها بعض المهر مؤجلا فلها الحق فى أخذه من التركة .

وأما النفقة فلا تجب لها .

وعن الثانى بأن الذى يؤخذ من التركة هو مؤن التجهيز بالمعروف من أجرة غسل وثمن كفن وثمن قبر وأجرة حفرة وما زاد على ذلك فلا يلزم القصر منه شىء . وعلى من رضى به وأذن فيه ، من غير القصر دفعه .

والله تعالى أعلم ،،،



السؤال من السيد/ محمد عيسى عبده ..

هل يجوز للزوجة المتوفى عنها زوجها أن تطالب والد الزوج بمؤخر صداقها ونفقة لأولادها ولها أيضاً وما الحكم ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على

سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فنفيد بأنه لايجوز للمرأة أن تطالب والد زوجها المتوفى بمؤخر صداقها ولا نفقة لها ولكن من حقها أن تطالب بالإنفاق على أولادها إذا كان ليس لهم مورد للإنفاق .

والله تعالى أعلم ،،،



السؤال من السيد/ م . ح ..

هل يجوز للأب أن يجبر ابنته البالغة على الزواج من شخص لاتريده وهي كارهة له . ما الحكم ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : نفيد بأنه لايجوز للأب أن يجبر ابنته البالغة على الزواج من شخص لاتريده وهي كراهة له لأن الكراهة تعدم ركن الرضا في القبول ..

والله تعالى أعلم ،،،



السؤال من السيد/

ما هي حقوق الزوجة المطلقة قبل الدخول بها علماً بأن الزوج دفع المهر وقدم لها شبكة ذهبية قيمة / فما الحكم ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:فنفيد بأن حقوق الزوجة المطلقة قبل الدخول هي : نصف المهر جميعه مقدمه ومؤخره وكذلك نصف الشبكة لأنها جزء من المهر كما تستحق نفقة زوجية من تاريخ العقد عليها إلى تاريخ الصلاة والله تعالى أعلم ..



السؤال من السيد/ محمد على البتانونى ..

ماهو تحديد سن اليأس الوارد في الشريعة الإسلامية ، وهل هو معمول به الآن في المحاكم المصرية ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فنفيد بأن المعتبر في القضاء العدة بلوغ المرأة سن اليأس ثم مضي ثلاثة أشهر إذا ثبت أنها بلغت سن اليأس وهو على المختار خمس وخمسون سنة فإن لم يثبت ذلك اعتدت بثلاثة أقراء أو بمضي سنة من تاريخ الطلاق ، وهذا العمل في المحاكم الآن .

والله تعالى أعلم ،،،

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

« والله ما نسيتُ »

كان لعبدالله بن عتبة بن مسعود ، رقعة من الأرض تصرف فيها بالبيع وقبض ثمنها ، فقال له صديق : أنسِيَ عبدالله أن له ولداً هو أحوج ما يكون إلى أن يدخر له هذا المال ؟

فأجاب عبدالله بن عتبة :

والله ما نسيتُ ، ولكني أجعل هذا المال ذخراً لله – تعالى –

فقال الصديق : وولدك ؟

فقال عبدالله بن عتبة : أما ولدى فسأجعل الله ذخراً له .

« نصيحة »

للإمام علي – كرم الله وجهه – :

ميدانكم الأول أنفسكم ، فإن انتصرتم عليها كنتم على غيرها أقدر ، وإن خذلتم فيها كنتم على غيرها أعجز فجربوا معها الكفاح أولا .

« حقائق »

إذا استوت السريرة والعلانية فذلك العدل .

وإذا كانت العلانية أفضل من السريرة فذلك الجور .

وإذا كانت السريرة أفضل من العلانية فذلك الفضل .

« سخاء الإمام الشافعى »

لما قدم الإمام الشافعي – رضى الله عنه – إلى مكة كان معه عشرة آلاف دينار ، فقالوا له : تشترى بها ضيعة ، فضرب خيمته خارج مكة ، وصب الدنانير ، فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة ، فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شيء . ولما قربت وفاته ، قال : مُرُوا فلاناً يُغسِّلنى ، وكان الرجل غائباً ؛ فلما قدم أخبر بذلك فدعا بتذكرته ، فوجد عليه سبعين ألف درهم دينا ، فقضاها .

وقال : هذا غُسلى إيّاه .

« كلمات .. مضيئة »

للشاعر الكبير الأستاذ محمد عبدالرحمن صان الدين :

- ليس على البسيطة أضيع من إنسان يحيا مزعزع العقيدة ، فما بالك بفاقدها .
- أنت على دين ، فأنت على خلق قويم تركن النفوس إليك ، وترف الأرواح عليك .
- لا شمس بدون ضياء وحرارة ، ولا إيمان بلا عمل وطهارة .
- لا تستعن بظالم على ظالم ، حتى لاتكون فريسة لظالمَيْن .
- للشباب سكرة تورث الحسرة فتبصر كي لاتخسر .
- أنا على يقين من أن أولادى لايتعجلون موْتِى لأنه ليس عندى ما يورث .

« ما منعك .. منعنا »

كتب أحد الملوك يدعو زاهداً فأبى عليه إجابة الدعوة .

فقال الملك : وكيف لايجيبنا وقد دعوناه ؟

فكتب الزاهد يقول : أيها الملك ، إن الذى منعك أن تجيبنا منعنا أن نجيبك .

« وكيف .. ذلك ؟ »

أمر أحد الملوك بضرب رجل حتى أوجعوه .

فقال الرجل : أيها الملك إذا ضربت فاضرب ضرباً تقوى عليه .

قال الملك : وكيف ذلك أيها الرجل ؟

فقال الرجل المضروب : نعم إذا ضربت فاضرب ضرباً تقوى عليه ؛ لأنه لابد من القصاص .

« ســتة »

ستة لا يخلون من الكآبة : رجل افتقر بعد غنى ، وغنى يخاف على ماله الفقر ، وحقود ، وحسود ، وطالب مرتبة لا يبلغها قدره ، ومخالط الأدباء بغير أدب .

« أنا ابن أخت فلان »

سئل بعض الجند عن نسبه ، فقال : أنا ابن أخت فلان ، فسمعه أعرابى ، فقال : الناس ينتسبون طولاً ، وهذا الفتى ينتسب عرضاً .

« قول .. وفعل »

قال بعض حكماء الهند : لن يبلغ ألف رجل فى إصلاح رجل واحد يحسن القول دون حسن الفعل ، كما يبلغ رجل واحد فى إصلاح ألف رجل يحسن الفعل دون القول .



لكــل جديـد لذة غير أنــى
وجدت جديد الموت غير لذيـذ

« دعــاء »

اللهم يا هادى المضلين ، ويا راحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ، نسألك أن تلحقنا بعبادك الصالحين .



الأعلام المعاصرين

- ٢ -



شيخ الإسلام ....

مصطفى صبري

الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى

صرح الشر عن وجهه بعد عام واحد من إقامة شيخ الإسلام فى مصر، حيث أعلن الكماليون إلغاء الخلافة الإسلامية، وحل الجماعات الدينية، وإلغاء المحاكم الشرعية، وفرض القبعة والملابس المدنية، وإلغاء النص الدستورى القائل: بأن الإسلام دين الدولة، وإباحة زواج النصرانى بالمرأة المسلمة، ثم تحريم الأذان بالمساجد وتلاوة القرآن بالعربية! وهنا حق لمصطفى صبرى أن يخاطب خصومه بقول القائل:

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى   فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

لقد كان مناوئوه يعتقدون أن تقييد الخليفة فى دائرة ضيقة من المراسيم الدينية، لا يخفى تية شر لتعاليم الإسلام، وقوانين الشريعة، وهبوا يصيحون فى وجه شيخ الإسلام بأنه ذو غرض خاص، **فهو موتورٌ لانتزاع المشيخة منه، حتى قال قائلهم فى جريدة (المقطم) مخاطباً شيخ الإسلام**[1]:

لقد جردت من حكومة الكماليين شخصاً موهوما حكمت عليه بالردة، مع أنهم الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن بيضة الإسلام، وهل معنى الخلافة أنه لاينفذ الأحكام إلا الخليفة وحكومته وراثية لم تنزل على إرادة المسلمين، إذ يستبد الخليفة معهم بأمور الناس على رغمهم، **والله تعالى يقول: ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾[2] ويقول: ﴿ وشاورهم فى الأمر ﴾[3] اللهم إن الكماليين** قد اتبعوا الصراط المستقيم، والدين القويم، فلم يتركوك مع مولاك المخلوع تسترشدون وتأتمرون

---

(١) نقلا عن كتاب (الأسرار الخفية) للدكتور مصطفى حلمى ص ١٣٢

(٢) سورة الشورى : ٣٨   (٣) سورة آل عمران : ١٥٩

بإشارات الأجانب ، وتخون ظهور المسلمين لصعاليك اليونان ، وإن الكماليين قد رجعوا إلى قواعد الشرع الحنيفة فجعلوا اختيار أمير المؤمنين بآراء المسلمين ، لابالوراثة ، ولم يجعلوا الخليفة يتبع هواه فيوحي بإحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل » .

هكذا كان المخدعون من الكتاب في مصر يتوهمون أن الكماليين يدافعون عن بيضة الإسلام ، وأنهم اتبعوا الصراط المستقيم والدين القويم ، وتقيدوا بالشورى التي فرضها الإسلام ، أما الخليفة فمستبد يحل ما حرم الله ويحرم ما أحل ، وأما شيخ الإسلام فأداته في التحليل والتحريم ، والإذعان لإشارات الأجانب ، وقد رجع الكماليون إلى قواعد الشرع حين اختاروا أمير المؤمنين بآراء المسلمين ومشورتهم !!! هكذا نطمس الحقائق ، لأن المجلس النيابي الذي اختار أمير المؤمنين الجديد كان لايملك لنفسه شيئاً ، بل يأتمر بأمر شخص واحد ، يشير بالرأي فيسارع الاعضاء إلى الإذعان دون اعتراض ، ولا نحتاج إلى إيضاح هذه الحقيقة .

ولا ننكر أن فريقاً من علماء الإسلام في مصر قد آزروا شيخ الإسلام ، ووقفوا في اتجاهه أمام المخدوعين من كتاب جرائد المقطم والسياسة والأهرام ولكن الصوت الغالب كان مع المخدوعين !

على أن بشاعة الإلحاد والمروق عند أتاتورك ، قد دفعت من كانوا يؤازرونه من غير العلماء إلى مخاصمته وفضح سرائره ، وأضرب المثل المؤرخ الكبير الأستاذ محمد عبدالله عنان ، حيث كان من أوائل المتحمسين للحركة التركية الملحدة ، وظل بعد سقوط الخلافة ، يلتمس لها الأعذار ، ويخلق من التبريرات الموهومة مايعتصر به الأفكار اعتصاراً شاذاً لتثبت حروفها في عيون القراء ، دون اعتراض ، فلما طفح الكيل ، وبدا الشيطان الآثم بوجهه الكالح المقيت ، كر بالملامة على الكماليين منددا ، وأعاد بعد عشرة أعوام ما سبق أن كرره شيخ الإسلام مصطفى صبري في كتابه (النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة) بل زاد فكشف الدور الروسي في محنة الإسلام بتركيا ، وكيف احتذى أتاتورك حذو الثورة الماركسية في عداء الدين إلى درجة التلدد والغليان ، وسأنقل بعض ماقاله الأستاذ (عنان) لأنه سلط الضوء على ناحية خافية يتجاهلها الكاتبون إذ أغفلوا الدور الروسي ، وجعلوا التأثير خالصاً لفرنسا وانجلترا وعملاء الصهيونية ، يقول الكاتب من مقال حار نشره تحت عنوان : (حرب منظمة يشهرها الكماليون على الإسلام)[1] .

(1) مجلة الرسالة ـ العدد ٨٠ ـ ١٩٣٥/١/١٤

«إن تركيا الجمهورية تحذو فى تلك الحرب اللادينية حذو روسيا البلشفية ، وهى الدولة الغربية الوحيدة التى تشهر الحرب على النصرانية ، وتطارد كل مظاهرها ، ولم يقع الشبه عرضا بين الدولتين اللادينيتين ، ولكنه يقوم على نفس المبادىء والروح اللادينية المشتركة ، وقد كانت روسيا البلشفية أكبر عضد للكماليين فى حرب التحرير التركية ، ولم يبذل البلاشفة هذا العون للكماليين حبا لتركيا ، ولكنه كان قطعة من برنامجهم فى محاربة الاستعمار البريطانى ... وروسيا تشد أزر تركيا فى كل مظاهرة دولية ، وتركيا تعرف أنها مدينة بحياتها لروسيا ، وحكومة أنقرة مازالت حكومة ثورية على مثل حكومة موسكو ، وهى تحذو حذوها فى تطبيق مبادىء الهدم والإباحة إلى أبعد الحدود ، وكما أن النزعة الإلحادية تسود الثورة البلشفية ، فكذلك الثورة الكمالية تسودها هذه النزعة ، وإذن فإن هذا الإلحاد الذى يطبع كل تصرفات الكماليين ، وهذه الإباحة التى يغرقون فيها ، وهذه الحرب اللادينية المستعرة التى يشهدونها ترجع فى كثير من وجوهها إلى غريس أساتذتهم ومدربيهم سادة موسكو ، على أن الفكرة الثورية والإلحادية ليست كل شيء فى سياسة الكماليين ، فهناك بواعث أخرى تحفزهم إلى هذه البغضاء المتأججة نحو الإسلام ، ذلك أن الكماليين يجدون أن الإسلام كان سببا فى كل ما أصاب تركيا القديمة من المحن التى أودت بقوتها ، وأن صفتها الإسلامية هى التى أثارت الدول الغربية ضدها خلال العصور المختلفة» .

ثم قال الأستاذ (عنان) فى تفنيد هذا الزعيم : «لقد كان الإسلام ـ حقاً ـ من العوامل التى أثارت أوروبا النصرانية وجمعت كلمتها ضد الدولة العثمانية ، ولكنه لم يكن بهذا الاعتبار مسئولاً عما أصاب الدولة العثمانية من المحن وضروب الانحلال بقدر ما تسأل عنه السياسة الغاشمة والأساليب الهمجية المخربة التى سارت عليها هذه الدولة وعجز الترك المطلق عن أن يكونوا عاملاً من عوامل الإنشاء فى صرح الحضارة الحديثة» .

وإذا كان على المرء أن يسعى إلى الخير وليس عليه أن تتم المطالب ، فقد سعى شيخ الإسلام إلى خير الأمة الإسلامية ما استطاع ، ولم يضع جهاده الدائب ، وحسبه أن أثبتت الأيام سداد رأيه ، وسلامة منحاه .

ننتقل الآن إلى جهاده العلمى بعد أن ألمحنا إلى جهاده السياسى ، والحق أن الرجل فى مهجره بمصر ، وقد يئس من صلاح الحال بتركيا ، بعد أن بذل كل جهد فى كشف العوار لم يركن إلى الدعة ، بل جعله يرقب التيارات الفكرية المعاصرة ليواجهها بما يعتقد ، ولاننكر عليه حقه فى أن يقول ما يعتقد ، وأن يعارض الأعلام الأئمة من رجال الفكر فى عصره ، فهو لايقل عنهم فى ميدان البحث والتنقيب ، ولكنى أنكر عليه المجادلة بغير التى هى أحسن ، فقد غلا غلواً شديداً فى التهجم دون مبرر ، حتى رمى بالكفر الصريح أئمة من أئمة المسلمين المعاصرين حين خالف اتجاههم العلمى فى الشرح والتأويل ، ومثله فى مكانته العلمية لايجهل أن النقاش غير السباب ،

وأن الولوج إلى الضمائر المستترة ومحاولة استنطاقها بغير ماتكن مما يجب أن يبتعد عنه كل مسلم ناشيء فضلاً عن شيخ الإسلام فى دولة الخلافة ، وقد كان مصطفى صبرى مدرساً ناشئاً بجامع السلطان محمد الفاتح ، والإمام محمد عبده علم الأعلام فى العصر ، فهو بمثابة أستاذ كبير له ، وقد يخالف التلميذ أستاذه ، ويفتح الله عليه بما يصحح به بعض أخطائه ، فتلك سنة العلم منذ عرف الناس حيوات العلماء ، فكان عليه إذا خالف اتجاهه الفكرى ألا يرميه بالكفر وممالأة الغرب ، مع أن الشيخ الإمام ما نفى من بلده إلا لوقوفه فى وجه الاستعمار ، وماووجه المستشرقون فى افتراءاتهم الظالمة بسيف أقوى مقطعاً ، وأحد إثخانا من مقالات الإمام ، تلك التى فتحت الطريق لتلاميذه فعرفوا كيف ينتصرون للإسلام بسلاح لايفل ! وسأحاول أن أمر سريعا على مؤلفات الشيخ فى هذا المعترك العلمى معقباً بما أراه ، لقد ألف كتابه الثانى بعد كتاب «النكير على منكرى النعمة فى الدين والخلافة والأمة» وقد تحدثت عنه من قبل ، خاصة بترجمة معانى القرآن ، حيث اعتزم الإمام المراغى أن يقوم على إعداد ترجمة أمينة لهذه المعانى تكون بديلاً لترجمات ذوى الاستشراق ، فعارضة ملأ كثير ، ومنهم الشيخ مصطفى صبرى ، الذى أصدر حكمه الحزم المستفظع لهذه الترجمة ، وقد مرت الأيام فعلم المخلصون صدق اتجاه المراغى ، وقاموا بترجمة المعانى إلى اللغات الحية فى الغرب ، مع أن رئيس المحكمة العليا الشرعية حينئذ قد شن مع نفر من زملائه القضاة ناراً حامية فى الصحف ، وجمع ماقاله فى كتاب تحت عنوان : (حدث الأحداث فى الإسلام) وكان الأمر من الخطورة الفادحة يبلغ مبلغ حدث الأحداث فماذا نقول إذن عن سقوط الأندلس وهزيمة يونيو ، ومأساة البوسنة والهرسك ! فى هذا الاتجاه سار الشيخ ، وزاد فى غلوائه منكراً قادحاً هاجياً وهذا موضع المؤاخذة ! وقد بح صوت الداعين إلى الترجمة مؤكدين أنها ترجمة معان فحسب ، أما النص المعجز فلا يترجم فلم يستمع أحد لهم ، ثم أصدر الشيخ كتابه ، (موقف البشر تحت سلطان القدر) ليرد على مازعمه المغرضون من أن فهم المسلمين للقدرية بمعناها الجبرى كان مدعاة هبوطهم وانحطاطهم ، وليت الشيخ سار فى اتجاهه الصائب دون أن يلمز أو ينبز ، فقد تعرض لما قال الشيخ محمد عبده فى هذا المجال ، ورآه منحرفاً عن الصواب كى يرضى الناقد الغربى والمتفرنج الشرق ، وهذا خطأ لاصحة فيه ، لأن الإمام قد أتى بالمنطق المعقول حين أكد أن أقوال النبى ﷺ وسلوكه وتصرفاته تشهد كلها بما كان له من إيمان لايتزعزع بحرية الأفعال ، فهل نقل عنه أنه اتكأ يوماً على وسادته ، واكتفى بالاستسلام للقدر فى تمام دعوته قائلا : لقد كفل الله لى النصر فلا حاجة إلى التعب ، كلا ، بل لم تكن تزيده الوعود الصادقة إلا نشاطاً ، ولاتجد العصمة الالهية من نفسه إلا حزما واحتياطا ، بهذا الأسلوب الكاشف كتب الإمام صفحات تأتلق بالضياء ! فأين إرضاء الغربيين فيما قال !

وقد ألف الشيخ بعد ذلك كتابه الموجز تحت عنوان : (قولى فى المرأة) مقارناً بأقوال مقلدة الغرب ، وهو كتاب جيد فى بابه ، ومعارضته لخصومه سديدة موفقة ، كما أن خبرته الشخصية بما

انحرف إليه المجتمع الإسلامي من تهتك فى التبرج ، والابتذال فى شواطىء البحر ، والاختلاط الداعر مما تؤكد أنه كان قلقاً على هذا التطور المتهالك على الابتذال والنزق ، وتلا هذا الكتاب مؤلفه عن : (الذين يؤمنون بالغيب والذين لايؤمنون) وهو كتاب فى حاجة إلى تنقيح ؛ لأنه جعل ممن لايؤمنون بالغيب فضلاء المتحدثين عن الإسلام ، وهو خطأ سافر ، ويزيد من خطورته أنه اتهم أكبر مدافع عن عالم الغيب بإنكار عالم الغيب فقد ألف الاستاذ فريد وجدى كتاب : (على أطلال المذهب المادى) فى عدة أجزاء لينصر عالم الغيب ، ويهتك كفر الماديين ، فكيف تسلط عليه أقسى العبارات الظالمة ، وهو برىء ! كما أن عظماء الكتاب الذين كتبوا سيرة رسول الله من أمثال هيكل ووجدى لاينكرون المعجزة كما ألح (مصطفى صبرى) فى ذلك ، ولكنهم لايجعلونها وحدها دليل نبوته ـ ﷺ ، فكيف يؤاخذهم الرجل بما لم يقولوه ، كيف يرمى الأستاذ (فريد وجدى) بإنكار المعجزة وقد قال مانصه بعد أن أثبت قيام الإسلام على منطق العقل :(٥) .

وليس مؤدى هذا الكلام أن النبى ﷺ ، لم تصدر منه معجزات كسائر إخوانه الأنبياء ، ولكن مؤداه ، أنه لم يجعل المعجزات أساسا لدعوته ، أما معجزاته ـ ﷺ ـ فكثيرة شهدها عدد من الناس لايدع للشك مجالاً» أنقول ؛ إن الشيخ نقد دون أن يقرأ ؟وكيف !

ويجىء الحديث عن كتاب الشيخ (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين) ويقع فى أربعة أجزاء كبار ، ليشتمل خلاصة تجارب الشيخ عملاً وعلماً ، وليؤكد ما يلح عليه من الانصراف عن تقليد الغرب من ناحية ، وترك التقليد فى المسائل الدينية من ناحية أخرى ، وعيب الكتاب هو الهجوم الصارخ على مخالفيه من الأعلام ورميهم بالكفر الصريح ! وهو عيب يحتاج إلى اعتذار ، قد نراه فيما أصيب به الرجل من يأس قاتل من استقامة الأمر على مايريد من إصلاح ، وإلى ماكابده من خصومه فى السياسة الذين أزعجوه عن مستقره ، ورموه بالتأخر والرجعية ، وابتزاز أموال حملها من تركيا ، وهو من كل هذا برىء برىء !

قال الشيخ : إن دافعه إلى تأليف هذا الكتاب مارآه بتركيا من قبل من انصراف المتعلمين عن الدين ، ومايراه كذلك الآن فى مصر من هذا الانصراف ، وهو دافع حميد يشكر عليه ، غير أنه أكد أن التقليد الغربى فى مصر الذى يمارسه بعض الكتاب هو الذى يضعه فى بؤرة النقد الجرىء ، ولو اقتصر المؤلف الكبير على المقلدين من ذوى الاتجاه الفكرى إلى الثقافة الغربية لشارك إخوانه المجاهدين فى محاربة هذا التيار ، ولكنه جعل أئمة الفضل والعلم والإيمان من أمثال (محمد عبده) (ومحمد مصطفى المراغى) (ومحمد رشيد رضا) (ومحمد فريد وجدى) (ومحمود شلتوت) من الخصوم الألداء الذين أسهموا فى التقليد الغربى ! وكان المنتظر أن يقف الرجل فى جبهة واحدة مع هؤلاء الأفاضل ، لأنهم شركاؤه فى الحمية الإسلامية والغيرة الدينية وآلام الحاضر وآمال

---

(٥) من معالم الإسلامي للأستاذ فريد وجدى ص٢٦٣ ، جمعه وحققه الدكتور محمد رجب البيومى

المستقبل ، وإذا اختلف معهم فى الرأى فلن يكون اختلاف الخاصم اللدود الذى يرمى بالكفر والضلال ، بل اختلاف الأسرة الواحدة فى مسألة تتنوع فيها وجوه الرأى ، وكل عضو حريص على أن ينتهى الخلاف إلى العناق والاحتضان ، لا إلى المنابذة والعدوان ، وقد أكد أن علم الكلام بمنطقه الصارم هو باب الدفاع عن العقيدة ، ونسى أن الامام محمد عبده هو الذى قدم فى هذا العصر علم الكلام فى معرض مستنير حين كتب (رسالة التوحيد) فلخص المصطفى المختار من كتب السالفين فى هذا المجال وأضاف إليه من الأبواب الجديدة ما أمده بالحيوية والنماء حين تحدث عن نظرية النبوة ، والإرادة الإنسانية وانفساح مجال الحرية فى أفعال الإنسان ، ووظيفة الرسل فى المجتمع ، والعوامل الهامة فى انتشار الإسلام ، ولا أستطيع أن أنقد الرجل الكبير لحدة شططه فأنا أقدر جهاده وأعلم خلوص سريرته ولكنى أنقل سطوراً قليلة قالها الأستاذ الدكتور (أحمد فؤاد الأهوانى) فى نقد الكتاب أراها تعبر عن رأيى ، فقد قال[6] بعد أن عرض أسماء محمد حسين هيكل وفريد وجدى ورشيد رضا ومحمد عبده ولم يسلم أى واحد من هؤلاء من مطاعن المؤلف بل الذهاب إلى تكفيره بحجة إنكار الوحى والنبوة والمعجزة فهو يقول ص ٢٩ : وكان الأستاذ (فريد وجدى بك) من غلاة منكرى المعجزات بدعوى أنها مخالفة للعقل وسنة الكون ! كما ادعى هيكل باشا ، حتى إن الأستاذ (وجدى) ينكر البعث بعد الموت وينكر إعجاز القرآن !! وغير ذلك من الاتهامات المتناثرة فى صفحات الكتاب بأجزائه الأربعة ، وهى تخرج بهيكل ووجدى من الإيمان إلى الكفر ، ثم يقول الدكتور الأهوانى ، وقد قرأنا «محمد» هيكل ومقالات فريد وجدى فلم نجد فيها ما يستوجب الكفر بل هى على العكس دفاع مجيد عن العقيدة» .

ولعل القارىء يعجب حين يعلم أن الشيخ الكبير رمانى بالكفر فى الجزء الثانى من كتابه ، لأنى استشهدت بأبيات لمعروف الرصافى ، وكنت طالباً صغيراً بكلية اللغة العربية ، وأشهد لقد فرحت بالتفات الشيخ من أوجه إلى السفح الذى آوى إليه ، وكان خاطرى يردد قول : ابن الدمينة .

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة *** لقد سرنى أنى خطرت ببالك

رحمه الله وأكرم مثواه

(٦) مجلة الكتاب (يناير سنة ١٩٥٢) ص ٨٦

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

إلى أين؟؟ شاطىء النجاة

للشيخ محمد أبو المكارم

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبد الفتاح حسين الزيات

قامت دعوة الإسلام على الحق ، وهو لذلك يدعو إليه دائما وأبدا ، ولم يقصره على أمة بعينها ؛ لأن الحق قدر مشترك بين سائر الأمم ، والمرتكز الأساسي للحق هو العقل ، ولهذا فقد ورد ذكره في القرآن الكريم ، قرابة خمسين مرة ، وفي سنة رسول الله ﷺ الكثير .

والإسلام — هنا — يزاوج بين المادة والروح ، وبين العلم والدين ، دون نظر إلى لون أو جنس ، ولعل في القول المأثور : « الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها » أبلغ دليل على احترام الإسلام لكلمة الحق لأن الإسلام دين الحق .

قال الشيخ — رحمه الله :

توفر للدين الإسلامي من الإمكانيات الروحية والمادية ما استطاع بها أن يصهر القلوب المتنافرة ، والمصالح المتضاربة ، والقبائل المتناحرة ، ويكون من شتاتها جميعا قوة واحدة ، أوصلت نور الإسلام إلى جميع الأقطار في زمن قصير ، يقيمه المؤرخ المنصف برهانا على صدق الداعي إلى هذا الدين . والإسلام دين يربي معتنقيه التربية القويمة ، ويصوغهم على صفات الكمال الإنساني ، ويهيئهم لمواجهة مشاكل الحياة ، ويمكنهم من معالجة الأمور بما يناسبها .

استقر الأمر للدولة الإسلامية بعد أن انتشر الإسلام فى الشرق والغرب ، ودخل أهل البلاد المفتوحة فى هذا الدين القويم ، فرجع المسلمون الى عقولهم يستوحونها الحكمة والمعرفة ، وينطلقون بها فى ميادين البحث والعلم ، ويحلقون بها فى سماء النشاط الفكرى المادى والروحى ، فبحثوا فى العلوم الدينية والمعارف الإنسانية ، وفى الطبيعة وما وراء الطبيعة ، فى جميع ما أنتجته العقول البشرية السابقة من كلدانيين وهنود ويونانيين وفرس وغيرهم .

وإذا بدأت حركة البحث الفكرى دينية على عهد النبى ﷺ وعلى عهد خلفائه الراشدين فذلك أمر طبيعى اقتضته فطرة الوجود وسنة التدرج ، فالدين قد ملك على القوم قلوبهم ومشاعرهم ، فهو سبب وحدتهم ، ومنبع نهضتهم ، وسر وجودهم .

وقد أقبل كبار الصحابة الذين وزعوا على الأمصار ومن تتلمذ عليهم من التابعين الذين دخلوا فى الإسلام من الشعوب المفتوحة على القرآن والحديث بالتفسير والشرح والتمحيص ، يدونون المعانى ، ويستنبطون أحكام ما يعرض لهم من معاملات اقتصادية ، ونظم سياسية ، ومبادىء اجتماعية ، فى هذه الدولة المترامية الأطراف ، التى صاغت حضارتها فى إبداع على أكمل نظام .

وقد وسع الإسلام بأصوله الواضحة ، وقواعده السليمة ، وتعاليمه السمحة القويمة ، هذه الحركة الفكرية المتحررة من أغلال التقليد والتقييد ؛ ذلك لأن الإسلام يتسع لبحث الفكر ولا يضيق ذرعا بمبتكرات العلم ومبدعاته . كيف لا وهو الدين الذى أخذ بيد الفكر من مواطن الرعونة والغفلة والإهمال إلى أماكن الروية والعمل والاستبصار .

وإن ديننا من أعظم مزاياه أن النص المقطوع به لا يتعارض قط مع العقل فى اتجاهه السليم .

وإن ديننا لا يكتفى من معتنقيه بتصديق المقلد ، وإن ديننا يرى أن الحكمة فى متناول الإنسان ، وأنها من نصيب البشر ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ سورة البقرة

إن ديننا هذا شأنه لخليق أن يستمتع العقل فى ظلاله بالحرية الكاملة فى البحث والتفكير .

لذلك شق الإسلام طريقه إلى القلوب والعقول بالحجة والبرهان دون التجاء إلى السطوة والصولجان . فلا تجده يكلف الإنسان عقيدة من العقائد دون أن يتبعها الدليل الذى يأخذ عليه طريق المكابرة والعناد . فلا يسعه إلا التصديق والإذعان ، فكتاب الإسلام حين يلقى إليه بعقيدة التوحيد فى قوله : « وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ »[1] يقرنها بالدليل مباشرة إذ يقول :

« إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ »[2] .

ولو تتبعنا القرآن دستور الإسلام ، لوجدناه ينعى باللائمة المرة على من يهمل عقله ، ويعيش

(١ ، ٢) البقرة ١٦٣ ، ١٦٤ .

دون العناية بهذه الجوهرة الغالية ، وتلك الهبة الربانية السامية ، فقد أبرزه فى أبشع صورة إذ يقول : « إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ »[3] « وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ »[4] ، كما أوضح بالكثير من آياته شدة عنايته بالعقل وعظيم اهتمامه بشأنه .

استمع معى إلى بعضها وتأمل : « وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »[5] « الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ »[6] .

« أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ »[7] .

« لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ »[8] ، « قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا »[9] ، « أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ »[10]

« وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ »[11] .

إن هذه العناية بالعقل لأن العقل قد بلغ أشده فى ظلال الإسلام ، واستوى على عرش الفكر ، وتمكن من زمام البحث ، فلم يعد طفلا يكتفى بالتلقينات ويقنع بالمسلمات . لذا جاء الإسلام مؤسساً دعائمه على العقل ، متمشيا فى تشريعاته مع التطور الفكرى الذى وصلت إليه الإنسانية فى عصرها المديد ، فقد بلغت الإنسانية منتهى النضج الفكرى ، ووافاها الإسلام عند الكمال ، فهو لذلك دين الإنسانية الكاملة .

ومهما ارتقت وسائل البحث العلمى ، ونظم الحياة المادية ، ومهما ابتدع العلم الحديث من عجائب وأحدث من مبتكرات ، فإن الإسلام لا يمكن أن يجافيها بل هو يشجع الباحثين على التفنن فى الابتكار والإتقان لما فيه خير الإنسانية ورفاهيتها « عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ » « ويخلق ما لا تعلمون » .

أقول : لن يقف الإسلام مناهضاً لحركة البحث ، أو عقبة كأداء فى سبيل الفكر ، كما وقفت الكنيسة « الكاثوليكية » فى ماضيها أمام كثير من الحقائق والمخترعات .

فقد سجل التاريخ صورا قاتمة من الكفاح المرير بين رجال الكنيسة وجمهرة المكتشفين والمخترعين وأتباع كل مما أوجد العقدة النفسية بين الدين والعلم ، وأرث نار العداوة بينهما . ولا زلنا نصطلى نارها ونحاول تهدئتها حتى الآن . وهاك بعض هذه الصور المفجعة للعبرة والمقارنة :

---

(3) الأنفال ٢٢ .
(4) البقرة ١٧١ .
(5) النحل ٧٨ .
(6) الملك ٣ .
(7) الحج ٤٦ .
(8) الأعراف ١٧٩ .
(9) الأنعام ١١ .
(10) الأعراف ١٨٥ .
(11) العنكبوت ٤٣ .

لم تكتف الكنيسة بالمقاومة القولية ، والمصاولة بالحجة والبرهان ؛ لأنها تعلم أن قوتها ستنهار فى هذا الميدان ؛ لذا لجأت إلى طريق القسوة والعنف ، وتفننت فى أنواع التعذيب والتنكيل فى النفس والمال والأهل والأتباع ، وأوقعت المحكمة المقدسة بين الناس فى أوربا من الرعب ما خيل لكل من يلمع فى رأسه شعاع من نور الفكر أو بصيص من خواطر البحث ، أن رسول الشؤم يترصده ، وأن السلاسل والأغلال أقرب إلى عنقه ويديه من ورود الفكرة العلمية إليه .

حكمت محاكم التفتيش منذ نشأتها سنة ١٤٨١ ــ ١٥٠٨م على ثلاثمائة ألف وأربعين نسمة باسم مقدسات المسيحية : منهم مائة ألف حرقوا بالنار أحياء ــ يقول أحد مؤرخى أوربا مصورا الحالة النفسية الهالعة فى ذلك العهد « يكاد يكون من المحال أن يكون الشخص مسيحيا ويموت على فراشه » وحاربت الكنيسة كروية الأرض ، وكشف أمريكا ، والحقن تحت الجلد ، وتخدير النساء عند الولادة وغير ذلك ، والمؤلم أن تستند الكنيسة فى هذه المقاومة إلى نصوص من الكتب المقدسة ــ كأن الأديان إنما هى لعنة الإله على الإنسان وليست هداية الله للبشر يهدى بها من استنار بضوئها إلى تحقيق السعادة لنفسه ولبنى جنسه فى العاجلة والآجلة .

نكتفى بهذا الإجمال تاركين العقل الإنسانى فى غيابات سجون أوربا يرسف فى السلاسل والأغلال لنرى العقل الإنسانى فى ربوع الشرق وفى رحاب الإسلام ، وتحت ظلاله الوارفة ، وشمسه المشرقة .

ماذا وجد العقل فى الدين المحمدى ؟

وجد العقل فى دستور الإسلام منبها له من سباته العميق ، وحاثا إياه على العمل والتبصر ، ومهيئا له كل وسائل البحث والمعرفة ولا يسعنى للبرهنة على هذه الحقيقة ــ بعد ما قدمت من آيات دستور الإسلام ، وما نعلمه من سنة رسول الإسلام وقيادته للحركة العلمية ، وحضه أتباعه على التزود من العلوم والمعارف ــ إلا أن أضع أمام ناظريك الحالة العلمية فى ربوع الإسلام وتحت راية القرآن ، فهى الميزان الصادق ، والفيصل القاطع فى هذا المقام ؛ لأن الحالة العلمية هى النتيجة الطبيعية لحرية البحث الفكرى .

ازدهرت العلوم المدنية ، وأخذت حظها من النضج والبحث الفكرى والتجريبى تحت راية الإسلام ، لا فرق فى معاملة الباحثين والمفكرين بين مسلم وغيره ، وأول من توجه إلى هذا الميدان أبوجعفر المنصور وأوصلها هارون الرشيد إلى أوربا المظلمة ، فلما كان المأمون لم يبق شىء من الكتب والأبحاث العلمية باللغات الأخرى : إغريقية أو فارسية ، سريانية أو هندية ، إلا وترجم إلى اللغة العربية ، وبهذا وضع العرب المعارف البشرية منذ نشأتها بلغتهم تحت أبصارهم وبصائرهم .

وأقبل العلماء على هذه العلوم بالشرح والتحليل ، والاستنباط والتأويل ، واجتازوا دور الفهم والتقليد سراعا إلى دور الابتكار والتجديد . فأنشأوا المدارس والمراصد ، والبيمارستانات وألفوا الكتب والموسوعات وأودعوها جهودهم الجبارة فى خدمة المدنية والعلم ، وقدر الباحثون دور علماء الإسلام فى سلم التطور الفكرى بأنه حلقة الاتصال بين القديم والحديث ، وكذب أن

العرب حيلة على اليونان ، وإنما نظر المسلمون فى علوم اليونان فأكملوا الناقص منها وشذبوه من الأدران العالقة به ، وأخرجوا منه ومن غيره علما جديدا أنضجوه بعقليتهم الجبارة وفطرتهم العربية الإسلامية السليمة . فكتاب « القانون » الذى ألفه الرئيس ابن سينا كان شريعة الطب فى العالم طوال ستة قرون ، واستمر عمدة التدريس فى جامعات فرنسا وإيطاليا حتى منتصف القرن التاسع عشر . وهم أول من عين موضع إخراج الحصاة كآخر اكتشاف وصل إليه الطب الحديث . وما وصلوا إليه من معرفة فى الفلك والجبر والحساب ناطق بفضلهم ، فقد رصدوا الأفلاك وابتكروا آلات الرصد وقالوا باستدارة الأرض ودورانها حول محورهـــا ولا تزال المصطلحات العربية فى هذه العلوم حتى الآن ، وبحوثهم فى الحيوان والنبات والكيمياء أصول هذه العلوم . وأما النواحى الفكرية الفلسفيــة « الميتافيزيقية » فإن علماء الإسلام فيها هم الأعلام الذين لا يشق لهم غبار . وجدير بالذكر أن أبحاث ابن رشد أثارت ثائرة العالم المسيحى « الأوربى » آنذاك حيث كان غارقا فى بحر الظلمات .

وما كان هذا الإنتاج المادى والروحى إلا لأن الإسلام أطلق لمعتنقيه العنان فى هذه الأبحاث ، وشجعهم على الإجادة بما كافأهم من مكافآت مادية وأدبية .

وقد سجل التاريخ صورا رائعة تنطق بمؤازرة الإسلام للعلم والنهوض به ، ورفع مكانة العلماء والعناية بشأنهم وتقدير جهودهم ، وما نبأنا التاريخ مرة واحدة أن الإسلام حارب حقيقة أو قاوم اختراعا جديدا .

كيف والإسلام دين العلم ، ورسول الإسلام يقول عنه القرآن : « ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ » ودستور الإسلام يسمو بمكانة العلماء فى قوله : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وما رضى الإسلام بتشجيع معتنقيه فحسب ، وإنما وسع العلماء والباحثين من غير المسلمين كذلك . يقول المستر درابر : « إن المسلمين الأولين فى زمن الخلفاء لم يقتصروا فى معاملة أهل العلم من النصارى واليهود على مجرد الاحترام بل فوضوا إليهم كثيرا من الأعمال الجسام ، ورقوهم إلى أعلى المناصب فى الدولة » .

فالإسلام دين لا يعرف إلا الحق ، فهو يقدر العالم لعلمه دون اعتبار لنسب أو نشب أو دين أو جنس أو لغة ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها ــ يقول أحد خلفاء المسلمين : « العلماء هم صفوة الله من خلقه ، ونخبته من عباده ، لأنهم صرفوا عنايتهم إلى نيل الفضائل الإنسانية هم ضياء العالم ، ولولاهم لسقط العالم فى الجهل والبربرية » هذا تقديره الأدبى للعلماء أما المكافآت المادية فقد كان يعطى أحدهم وزن ما يترجم ذهبا .

وفى ظلال هذه الرعاية « أثمر العقل ثمراته التى حفلت بها الأرض فى ظلال القرآن وتحت راية السنة المطهرة ، وخلف العلماء هذا التراث الخالد الذى تعتز به وتعتز به البشرية قاطبة » .

ويقول درابر : « إن العرب فتحوا من مملكة العلم والفلسفة ما أتوا على حدوده أسرع مما أتوا على حدود مملكة الرومانيين » .

من كل هذا نقرر فى وضوح أن الإسلام كدين ودولة معا لم يعاد العلم ولم يحجر على الفكر . وإنما أطلق للعقل والبحث العنان وشجع العلماء

والباحثين على الابتكار والإتقان ، فما جمع المجامع العلمية ، وما استعدى السلطة الزمنية على إخماد الحركة العلمية وإنما بذلت الأموال ، وأغدقت الأعطيات على العلماء والباحثين .

فهل كان الدين آنذاك فى زوايا النسيان والإهمال ، أم كانت له الدولة والسلطان ، إن عصرا أنجب أئمة المسلمين المجتهدين والحكماء والعباقرة والمفكرين ، وكان من خلفائه من يغزو عاما ويحج عاما لا يمكن إلا أن يكون الحق فيه صاحب القهر والسلطان .

فالإسلام شريعة البشرية عامة ، نظم حياتها ووضع لها التشريعات القويمة وضعا بديعا متناسقا ، فلا عداء ولا صراع ولا تفريق ولا تضارب بين المادة والروح ، ولا بين العلم والدين ، ولا عبادة للمال ولا إنكار لقيمته ، ولا تخريب للدنيا كما لا جحود للآخرة ، بل توافق وتعاون وانسجام

« وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ »[١٢]

إن العلماء والمفكرين الإسلاميين قد ضربوا للعالم أصدق المثل العلمية على هذا التعاون بين العلم والدين ، ودونت أسفارهم مثلا رائعة للتضامن بين المادة والروح . وهاك مثلا طريفا ضربوه لإيضاح هذه الصلة :

« أعمى يحمل مقعدا ، يأويهما صاحب بستان ، ويبيح لهما أن يأكلا من ثماره ومشتهياته دون العبث بمحتوياته ، تحت مراقبة وإرشاد حارس البستان » فإن أطاعا وامتثلا دامت لهما حياة الرغد فى البستان ، وإلا استحقا الطرد والحرمان . هذا الأعمى هو المادة ، والمقعد هو النفس « الروح » وحارس البستان هو العقل ، والبستان هو الدنيا ، وثماره طيبات الدنيا ومشتهياتها ، وصاحب البستان هو الخالق العظيم — سبحانه وتعالى — وهم فى هذا يشيرون إلى أن المادة تستطيع أن تتعاون مع الروح فتنعم بثمرات الدنيا ومشتهياتها إذا هى استرشدت « العقل » وأطاعت الخالق « الدين » وبهذا تتحقق لها السعادة فى دنياها ، وتوفى جزاءها الكريم فى أخراها .

أما إن أهملت المادة الروح وعصت الخالق ، وخرجت على أوامره « الدين » فقد تخبطت فى تصرفاتها ، وأغضبت خالقها ، وحق عليها الشقاء ، وسارت كالأعمى خرج على المقعد وغافل حارس البستان ، فصار يعيث فى البستان فسادا ، وهو لايدرى أنفعا جلب لنفسه أم ضرا أصاب « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » .

وهكذا يتبين أمامنا ما ضربه أسلافنا من المثل العالية فى التضامن بين المادة والروح ، والتناصر بين العلم والدين . فهل نستطيع أن نضرب مثلا جديدة فى هذا السبيل ، دون تطاحن أو مروق ، فتمحى تلكم الصرخات المدوية وتتلاشى هذه الصور القاتمة التى تهدد البشرية بالفناء والدمار .

إن السير فى طريق المادة والخضوع لسلطانها مود بالعالم إلى الشقاء والفناء ، وإن الأمم التى أسست حضارتها على أسباب المادة تحتل المظاهر المادية عندها جميع نواحى النشاط الإنسانى ، أما

(١٢) القصص ٧٧ .

الأخلاق فمنزوية فى مكان مظلم من الحياة سحيق ، إن الفرد من رعاياها يعبد البنك ستة أيام فى الأسبوع وينطلق اليوم الباقى من حياته للانغماس فى الملذات والشهوات ، ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (١٣) .

لهذا ننادى العقلاء وبناة الأمة والناهضين بالشعوب الإسلامية مصرين ، أن انخلاع المسلمين عن تعاليم دينهم ، وبحافاتهم القيم الرفيعة التى أتى بها الإسلام ، وهجر الفضائل التى ورثتها البشرية ، ونبذ الآداب الخلقية السامية التى قررتها الفطر الإنسانية السليمة على مر الأجيال ، لا ينبغى أن تقام عليه مدنية المسلمين وحضارتهم فى القرن العشرين ، بل يجب أن تحرص على مقدسات الإسلام .

لسنا وإن كانت أوائلنا بنى
ونصنع مثل ما صنعوا

وكذب أن الدين مخدر للشعوب ومعوق للأمم عن النهوض ، فالإسلام قد أيقظ شعبا وأنهض أمة ، وأنشأ دولة وحضارة .

وأخيرا أقول : إن صوت الإسلام يدوى فى الآفاق ينادى أتباعه جميعا :

أيها الماديون جوسوا خلال المادة ، وتلصصوا بين خلاياها ، واخترقوا جدرانها ، وأميطوا اللثام عن خفاياها ، واهتكوا ستورها ، وابحثوا ما تهيأت لكم وسائل البحث ، وامتطوا الهواء وفتتوا الذرة وحطموها ، وأخرجوا للبشرية ماتستطيعون مما أبدع الخالق فى ملكوت السموات والأرض ، واستنيروا بهدى الروح ، واستضيئوا بضوء السماء ، وإياكم والتوجه بمخترعاتكم إلى إيذاء البشرية وضررها ، بل إلى ما ينفع الإنسانية ويبهجها ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (١٤) .

أيها الروحانيون ، يا سدنة الأخلاق ، ويا دعاة الفضيلة ، ويا عشاق المثل العليا ، ابذلوا الجهد ، وأنيروا السبيل ، وأحيوا القول بالعمل ، كونوا مثلا حية عملية لما تقولون ، فقول بلا عمل شجرة بلا ثمر ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ خذوا من الحياة المادية بنصيبكم ، واقتدوا بنبيكم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهذا دستور الإسلام ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (١٥) .

إنكم إن أجبتم جميعا الدعاء ، ولبيتم النداء تحقق لكم وعد السماء ، نصر من الله وحسن الجزاء ، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

« وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » .

---

(١٣) الروم ٧ .

(١٤) الزلزلة ٧ ، ٨ .

(١٥) التوبة ١٠٥ .



الشعر والشعراء

تقديم الأستاذ/ رشاد يوسف

مشاهد من الهجرة

للشاعر: رشاد محمد يوسف

النـــدوة عقـــدت واشـــتملت كل الكفـــار
والشـــر يعربـــد تحوتـــا مثـــل الإعصـــار
وتحـــدث شـــيخ نجـــدى فأقـــر .... قـــرار
تتخيـــر من كل قبيـــل شـــهما مغـــوار
وتحيـــط البيـــت وتحكمـــه بأشـــد حصـــار
فإذا ما أقبـــل فاجـــأه الســـيف البتـــار
رســـموا للغـــدر وما قـــدروا رب الأقـــدار

• • •

الهـــادى الصـــادق يتخطـــى كيـــد الأشـــرار
وثـــنايا يمشـــى فى ثقـــة بين الأخطـــار
والنـــور يـــواكب خطوتـــه يغشـــى الأبصـــار
يغشـــى أبصـــار من التفـــوا من حـــول الـــدار
وصحـــوا والخـــزى يجللهـــم وجنـــون العـــار
والله يتـــم النـــور ولو كـــره النـــور الكفـــار

• • •

النخـــلة شـــدت قامتهـــا ورنـــت خيمـــة
والبـــدر تســـلل مبهـــورا قلـــب الغيمـــة
ويهـــل نجـــم فى شـــوق عانـــق نجمـــة
وانســـاب ضـــياء علـــوى كشـــف الظلمـــة
والغـــار ســـرادق أضـــواء بعـــد العتمـــة
والهادى الصـــادق بســـمته يا للبســـمة
تســـمو تتـــألق إشـــراقا فـــوق القيمـــة
شـــلال ضـــياء وأمـــان جـــم الأنـــوار
وخيـــوط تنســـج وتعشـــش فيـــه الأطيـــار
والقـــوم أطلـــوا وأطالـــوا ويـــدور حـــوار

مـــاذا لو ينظـــر إنســـان فى جـــوف الغـــار
مـــاذا وهـــز أبـــا بكـــر تـــلك الأفكـــار
والهـــادى الصـــادق بســمته أمـــن وقـــرار
والله يـــارك خطوهمـــا بثنايـــا الغـــار

• • •

وســـرت كالنســـمة فى صـــمت ســـارت ، أسـماء ،
تدعـــو تـــرق فى خـــوف عيـــن الأعـــداء
تحمـــل للرحلـــة بعـــض الـــزاد وبعـــض المـــاء
وتشـــق نطاقيهـــا طوعـــا فتنـــال دعـــاء
وتـــير الرحلـــة آمنـــة عبـــر الصحـــراء
عيـــن الرحمـــن تباركهـــا والعـــزم مضـــاء

• • •

ويـــدور حـــوار مجنـــون ويثـــور طغـــاه
والركـــب الصـــادق منطلـــق برعـــاه الله
وســـراقة ســـهم مدفـــوع فى إثـــر خطـــاه
ودنـــا فكبـــا منـــه جـــواد غاصـــت قدمـــاه
وترجـــل بســـرع فانهـــارت خانتـــه قـــواه
وأثـــار محمـــد قـــم وانهـــض فأثـــار حجـــاه
وتقـــدم أســـلم مبهـــوراً برســـول الله
ويهـــل البـــدر بطلعتـــه فيعـــم ســـلام
وتصـــير مدينـــة أحمدنـــا أرض الإســـلام
منهـــا يتقـــدم جحفلـــه .. كـــل الإقـــدام
وبهـــا أرواح تتـــآخى فى الله كـــرام
ويظـــل محمـــد رائـــدنـــا عبـــر الأيـــام

العلم بين الخير والشر

للشاعر/ محمد عبد الرحمن صان الدين

من بديـع العصـر أن العـلم للأطـياف صَـوَّرْ
فغـدت بالعيـن فى الأوراق والشاشـات تُنظـر
يا لهـا ، من بعـد أن تخفـى عن الأنظـار تظهـر !!
منجـزات العلـم فوق الأرض مثـل السحـر تبهر
عـرشُ بلقيـس عليـمٌ .·. قبـل رَدِّ الطـرف أحضـر

• • •

كهربـاء الـروح فى الأجسـام تسـرى بالحيـاة
فـترى الأحيـاء منهـا .·. غاديـات رائحـات
تختفـى إن غادرتهـا .·. عن عيـون مبصـرات
لا تـرى إلا جمـادا .·. أو نثـارا من رفـات
بـل خفـاة تحت صمت .·. فى ديـاج موحشـات

• • •

قـد يصيـر العـلم شـرا .·. داهمـا يطغـى ، ونقمـة
ماحقـا فى الأرض من غيـر اعتبـار كـل نعمـة

---

(١) قطيز : غير ناضح :

إن غـدا حكـرا لعـقل .·. جاحـد من غيـر ذمـه
عن بنـى الإنسـان يخفـى .·. فى دجـى الكتمـان علمـه
إذ يـرى أن احتكـار العـلم والعرفـان حكمـه

• • •

وبـح أهـل الأرض من عـلم تبنـاه رجيمْ
كـل ما يـأتى بـه فى .·. هـذه الدنيـا ذميـم
كـم على الغبـراء من إنتاجـه شـاعت سـموم
إنـه فى قبضـة الإلحـاد رعـب وجحيـم
فى أيـادى الرشـد والإيمـان أمن ونعيـم

• • •

سـيقول البعـض من جهـل وخبـث فى الضمير :
أنت يا هـذا تعـادى العـلم فى العقـل المنيـر
حقـق الإنسـان حـلم الفكـر بالعـلم القديـر
وجـوابى : ما الـذى تحيـه من عـلم قطيـر(١)
يدفـع الأحيـاء فى حمـق إلى هـول المصـير

• • •

لم أعـادِ العـلم والعرفـان فى أيـد أمينـه
وعقـول فى يـد الإيمـان والتقـوى رهينـه
تجعـل الأحيـاء فـوق الأرض فى أمن مُصُونـه
من نزوق راح بالعرفـان يستـرضى مجونـه
معطيـات العـلم فى شـر وتدمـير لعينـه

حجاب

للشاعر/ السيد الصديق حافظ

لولاك يا «حواء» ما كان التراب سوى تراب !
يا أرضنا المعطاء يخطبها ويرجوها السحاب !
يبقى روابيها فيثبت فى جوانبها الشباب !

***

يابنتا .. ياأختا ... ياأما عند انتساب !
يا زوجة حفظت أمانتها وما جاءت بعاب !
إن الذى فرض الصلاة عليك قد فرض الحجاب !
ليصون ذاتك ـ وهى غالية مطهرة الجناب
عن أعين وحشية النظرات خائنة الرغاب !
تدمى الثياب وما بدا منها وما تحت الثياب !
فاقنى حياءك[1] واطلبى ستراً به يرجى الثواب !

***

داعى الرذيلة ناعب بالشر أشأم من غراب !
يدعو نساء المسلمين إلى مكاشفة الذئاب !
وإذا أردن تحصنا ذم التحصن والمتاب !
ويسره جمع العنادل[2] والعناكب فى جراب !

(١) اقنى حياءك : الزمى حياءك .

لاتركى الديوث يهزأ بالنبوة والكتاب !
يدعو إلى خطأ ويدأب فى معاداة الصواب !
زعم التقدم فى السفور وجد فى ذم الحجاب !
أخذ القشور من الحضارة عندما عز اللباب !

***

يانعمة الدنيا وخير متاعها هل من عتاب ؟!
لما هجرت البيت عاثت فيه فئران الخراب !
فقد الصغار أمان أنفسهم وسادهم اكتئاب !
واستوق الجمل الكبير وصار زوجاً من شراب[3] !

***

جر اختلاطك بالرجال عليك ألوان العذاب !
عمل النساء كرامة بين الصواحب لا الصحاب !
ويكون أكرم مايكون لنيل علم واكتساب !
فإذا كفيت مئونة ورزقت مَنْ صان الإهاب
فدعى مزاحمة الرجال فإنها هم وصاب !
عودى إلى بيت له سقف ونافذة وباب
وأبو الفوارس حارس لاتستخف به الكلاب
من حوله نبتت رماح تستظل بها كعاب !
حسناء مثلك جاء يخطبها ويمهرها سحاب !

(٢) العنادل : جمع العندليب طائر حسن الصوت .

(٣) زوجاً من شراب : الجوربان .

العلوم الكونية

البيمارستانات
في عصر الحضارة الإسلامية

بقلم أ. د أحمد فؤاد باشا

نشأت البيمارستانات (المستشفيات)[1] في جنديسابور بفارس قبل الإسلام بنحو ثلاثة قرون، وذلك على أيدى طائفة من الأطباء النسطوريين بعد أن هربوا من اضطهاد الرومان الشرقيين لهم. أما بعد الإسلام فقد أقيمت البيمارستانات، لتكون بمثابة دور لعلاج المرضى ومعاهد لتعليم الطب، ومنها ما كان ثابتا في المكان الذى أقيم عليه أو متنقلا من مكان لآخر[2] مع الخلفاء والأمراء في أسفارهم، أو مع الجيوش في الحرب، أو بحسب ظروف الأمراض والأوبئة وانتشارها في البلدان الخالية من البيمارستانات الثابتة.

البيمارستانات المتنقلة :

روى مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق (سنة ٥ هـ/ ٦٢٧م) رماه رجل من قريش ابن العرقة، رمى في الأكحل فضرب رسول الله ﷺ خيمة في المسجد يعوده من قريب. وقال ابن إسحاق في السيرة : كان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها رُفيدة في مسجده، كان تداوى الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وقد كان رسول الله قد قال لقوم حين أصابه السهم بالخندق : « **اجعلوه في خيمة رُفَيْدة حتى أعود أعوده من قريب** »[3].

ويفهم من ذلك أن أول « بيمارستان متنقل » في الإسلام هو « المستوصف الحربى » الذى أمر الرسول ﷺ بإنشائه أثناء معركة الخندق على هيئة خيمة في مسجد المدينة لعلاج جرحى الحرب.

وقد كانت « البيمارستانات » المتنقلة أو

(١) « بيمارستان » ـ بفتح الراء ـ كلمة فارسية مركبة من كلمتين هما « بيمار » بمعنى مريض أو مصاب و« ستان » بمعنى دار، أى أنها « دار المرضى »، وهى تناظر « المستشفى » في عصرنا الحاضر. وقد اختصر اللفظ بعد ذلك إلى « مارستان » وأطلق على ما يقصد به الآن « مصحة الأمراض العقلية والعصبية ».

(٢) « البيمارستان المتنقل » يناظر ما يعرف الآن باسم « المستوصف » أو المستشفى الصغير الذى يقتصر فيه على الخدمات الطبية اليسيرة، ويقابله بالانجليزية كلمة Ambulance .

(٣) د. فاطمة محجوب، الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية، مادة : بيمارستان، دار الغد العربى، المجلد الثامن، ١٩٩٣م.



المحمولة معروفة لدى خلفاء المسلمين وملوكهم وسلاطينهم ، وهى عبارة عن « مستوصفات » مجهزة بالأطباء والصيادلة ، ومزوّدة بكل ما يلزم لعلاج المرضى من دواء وغذاء وشراب وملبس ، وكل ما يعين على ترفيه الحال . ومن هذا النوع ذلك « البيمارستان » المتنقل الذى أنشىء فى عصر المقتدر بالله بناء على كتاب أرسله ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة يقول فيه :

« فتقدم مدّ الله فى عمرك بإنفاء متطببين وخزانة من الأدوية والأشربة يطوفون السّواد[4] ويقيمون فى كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة إلى مقامهم ويعالجون من فيه ، ثم ينتقلون إلى غيره ... » .

وذكر المؤرخون أن السلطان محمود السلجوق كان يستصحب فى معسكره (بيمارستان) يحمله أربعون جملا .

وكانت العادة فى دولة المماليك أن يخرج السلطان ومعه الأمراء والأعيان إلى القصور التى بنوها خارج المدن ؛ ليقيم فيها أياما ، ويصحب معه كل ما تدعو الحاجة إليه من وسائل العيش ، بما فى ذلك الأطباء والجراحين وما يلزم من الأشربة والعقاقير والمستلزمات المحمولة بما يكون « بيمارستانا » كاملا متنقلا فى ركاب السلطان[5] .

البيمارستانات الثابتة :

الخليفة الأموى الوليد بن عبدالملك هو أول من بنى دارا للمرضى (مستشفى) فى الإسلام سنة ٨٨ هـ/ ٧٠٦م ، وأمر بعزل المجذّمين لئلا يختلطوا بالناس ، فكان هذا أول « محجر صحى » فى الإسلام .

وكانت « البيمارستانات » الثابتة فى أول عهدها بسيطة ، ثم ازدهرت وتطورت تطورا كبيرا فى عهد العباسيين ، وانتشرت فى مختلف البلاد التى ضمتها الدول الإسلامية الكبرى ، وتزايد عددها فى الحواضر حتى أن مدينة قرطبة وحدها كان بها خمسون مستشفى فى أواسط القرن العاشر الميلادى .

وكان اختيار موقع البيمارستان يتم بعد بحث وتفكير لتحديد أفضل الأماكن صحة وجمالا ، فقد جاء فى كتاب « طبقات الأطباء » لابن أبى أصيبعة أن عضد الدولة استشار أبا بكر الرازى الطبيب المشهور ؛ ليختار له مكانا لبناء مستشفى يحمل اسمه ، فطلب الرازى أن يعلق فى كل ناحية من جوانب بغداد شقة لحم ، واعتبر الناحية التى لم يتغير فيها اللحم فأشار بإقامة المستشفى عليها . وعندما أراد الناصر صلاح أن يبنى المستشفى الناصرى فى القاهرة اختار لهذا الغرض أحد قصوره الفخمة البعيدة عن الضوضاء[6] .

نظام العمل الطبى فى البيمارستانات :

كان « البيمارستان » بوجه عام ينقسم إلى قسمين منفصلين : أحدهما للذكور والآخر

(٤) السواد من البلد : قراه ، ومنه سواد العراق : ما بين البصرة والكوفة وما حولهما من قرى .

(٥) الوجيز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، بإشراف : د. محمد كامل حسين ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بدون تاريخ للنشر .

(٦) سيجريد هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، أثر الحضارة العربية فى أوروبا ، الترجمة العربية ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م .

للإناث ، وكانت تخصص به قاعات لمختلف الأمراض ، فقاعة للأمراض الباطنة ، وقاعة للجراحة ، وقاعة للكحالة (أمراض العيون) ، وهكذا . كما كانت قاعة الأمراض الباطنة مقسمة هي الأخرى إلى أقسام خاصة بالمحمومين (أى : المصابين بالحميات) : وقسم للمبرودين (أى : المتخومين) ، وقسم للممرورين (أى : الذين فسد مزاجهم أو أصابهم هوس ، وهو ضرب من الجنون يتميز بالانفعال الشديد ويسميه الأطباء « مانيا » (Mania) ، وقسم لمن به إسهال ، وهكذا . وكان لكل قسم من هذه الأقسام خدم وفراشون وقوّام من الرجال أو النساء يشرفون على خدمة المرضى وإطعامهم وتقديم العلاج لهم[٧] .

أما العمل الطبي في « البيمارستان » فتقوم به طوائف الأطباء المتخصصين في فروع الطب المختلفة ، منهم الباطنيون والجراحون والكحالون (أطباء العيون) والمجبرون وغيرهم . وكان لكل طائفة من هذه الطوائف رئيس يحكم على أفراد طائفته ويأذن لهم في التطبيب . وكان رئيس الأطباء يتفقد أحوال المرضى ومعه معاونوه ، وإذا دعا الحال كان الأطباء والمتخصصون يدعون من قسم آخر غير الذى يقيم به المريض للاستشارة ، وكان جميع ما يكتبه الطبيب لكل مريض من المداواة والتدبير ينفذ ولا يتوانى في ذلك[٨] .

وعرف عن أطباء « البيمارستانات » نظام المناوبة في العمل ، فكان بعض رؤساء الأطباء تقع نوبته يومين وليلتين . وقد نشأ إلى جانب العمل بالأقسام الداخلية نظام للعلاج الخارجي ، إذ يذكر ابن أبي أصيبعة أن « الطبيب كان يجلس على دكة ، ويكتب لمن يرد عليه من المرضى للعلاج أوراقا يعتمد عليها (أى « روشتات ») ، ويأخذون بها الأدوية والأشربة من البيمارستان » ، وكانت « الشرابخانة » (أى بيت الشراب أو « الصيدلية ») جزء هام من مرافق البيمارستان ، يقوم عليها الصيادلة ، وتحتوى على العديد من الأدوية والأشربة والعطريات والمعاجين وغيرها من أصناف شتى[٩] .

ولم تكن وظيفة البيمارستانات مقصورة على المداواة ، بل شملت تدريس صناعة الطب عن طريق المرور مع التلاميذ على المرضى ، وعقد المباحث الطبية في قاعات مجهزة بالكتب والآلات ، فقد كانت المستشفيات الكبيرة بمثابة معاهد عالية للطب يقابل فيها الطلاب ما تلقوه نظريا بما يشاهدونه عمليا . ولقد كتب ابن أبي أصيبعه عن تجارب في سنى دراسته في دمشق فوصف كيف كان يدأب على مرافقة رئيسه في زياراته للمرضى ، وكيف كان مع زملائه يعملون على متابعة ما يقوم به حين يكشف على بعض المرضى ويصف الدواء لهم ، وكيف كانوا يتدافعون بالمناكب لتلقط كل ما كان الرئيس يقوله لزميل له شهير كان يأتي كلما استعصت حالة ما ليناقشا ويتباحثا ، الأمر الذى كان يجعل زيارة المستشفى ذات فائدة مزدوجة حين يعمد الاثنان

(٧) الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، مرجع سابق .

(٨) نفس المرجع السابق . راجع أيضا : د. أحمد فؤاد باشا ـ التراث العلمي للحضارة الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٣م .

(٩) المرجع السابق .

إلى مناقشة الحالات المختلفة فى حضور الطلبة وإشباع أمر معالجتها بحثا ونقاشة[10].

أما من ناحية الإدارة ، فقد كان « للبيمارستان » « ناظر » يشرف على إدارة الأموال والأوقاف المخصصة له ، وكان لكل قسم من أقسامه إدارة يتولاها قائم لتفقد أحوال المرضى . وكان تعيين الناظر يتم وسط مظاهر حافلة ، حيث أن نظارة البيمارستان كانت من وظائف الدولة السامية ، وكان يتولاها أحيانا السلاطين بأنفسهم أو يولونها أحد أمراء الدولة . وكثيرا ما كان الخلفاء والملوك والسلاطين والأعيان يتبارون فى إقامة « البيمارستانات » فى دور فسيحة ذات عمارة ممتازة تلحق فى كثير من الأحيان بمؤسسات : كالمساجد والقباب والمدارس ، وكانت رواتب العاملين فيها تدفع من ريع مخصص لهذا الغرض . وقد حدث أن قلَّ دخل إحدى المستشفيات الكبرى ، فأرسل رئيس الأطباء إلى الوزير المختص بتقرير خطى يصف فيه معاناة المرضى من شدة البرد وقلة الطعام وندرة العقاقير ، ولما قرأ الوزير هذه الرسالة تأثر تأثرا شديدا وكتب على ظهرها ما نصه : « إلى مدير الأملاك .. أنت أكرمك الله تقف على ما ذكره ، وهو غلط جدا والكلام فيه معك خاصة فيما يقع منك يلزمك وما أحسبك تسلم من الإثم فيه .. وكيف تصرفت الأحوال فى زيادة المال أو نقصانه ووفوره أو مقصورة ، لابد من تعديل الحال فيه ، بين أن تأخذ منه وتجعل « للبيمارستان » قسطا ، بل هو أحق بالتقديم على غيره ، لضعف من يلجأ إليه ، وعظيم النفع به ، فعرِّفنى ، أكرمك الله ، ما النكتة فى قصور المال ونقصانه فى تخلف نفقة « البيمارستان » هذه الشهور المتتابعة ، وفى هذا الوقت خاصة مع الشتاء واشتداد البرد . فاحتل بكل حيلة لما يطلق لهم ويعجل حتى يدفأ من فى « البيمارستان » من المرضى والممرورين بالدثار والكسوة والفحم ، ويقام لهم القوت ، ويتصل لهم العلاج والخدمة . وأجبنى بما يكون منك فى ذلك وأنفذ لى عملا يدل على حجتك ، واعْنَ بأمر « البيمارستان » عناية ، إن شاء الله تعالى ـ »[11] .

والواقع أن السجلات التى كانت تقيَّد فيها مصروفات مثل هذه « البيمارستانات » تنبؤنا عن مدى الاهتمام الزائد بالإنفاق عليها ، سواء من حيث قيمة رواتب الأطباء والعاملين ، أو الميزانيات المخصصة للعقاقير والتجهيزات والآلات الطبية وغيرها .

البيمارستانات الإسلامية كما وصفها المؤرخون :

أجمع المؤرخون على أن البيمارستانات الكبرى التى أنشئت فى عصر الحضارة الإسلامية كانت على أكبر جانب من التنظيم والرقى ، وكان نظام العمل والعلاج والنظافة والإشراف الطبى لا يختلف عما نجده اليوم فى أحدث المستشفيات ، اللهم إلا بقدر ما حدث من تقدم علمى وتقنى فى طرق التشخيص وصناعة الأجهزة الطبية .

(10) سيجريد هونكه ، مرجع سابق .

(11) ابن أبى أصيبعة فى « طبقات الأطباء » ، عن د. سيجريد هونكه ، المرجع السابق .

ويكفى أن نذكر من بين هذه « البيمارستانات » الكبرى ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ المستشفى المنصورى الذى أنشأه الملك المنصور قلاوون من أمراء المماليك البحرية عام ٦٨٢ هـ ، وسمّى أيضا « مارستان قلاوون »[١٢] ، وقد بنى على مساحة كبيرة تبلغ عدة أفدنة ، إلى جانب مسجد وقبة ومدرسة ، وتشهد آثاره الباقية حتى اليوم على ما كان عليه من روعة الزخرفة والبناء والتنظيم .

عرض « مسيو جومارا » Gomara ، أحد علماء الحملة الفرنسية على مصر ، وصفا تفصيليا لمستشفى قلاوون فى كتاب « وصف مصر » Description de L'Egypte ، موضحا ما كان عليه من شهرة وتنظيم ومستوى عال فى خدمة المرضى ، حتى إنه كان يقال : إن كل مريض ينفق عليه فى كل يوم دينار ، وكان له شخصان يقومان بخدمته ، وكان المؤرقون من المرضى يعزلون فى قاعة منفردة يشنفون فيها آذانهم بألحان الموسيقى ، أو يتسلون باستماع القصص . وكان لكل مريض عند خروجه من المارستان خمس قطع من الذهب حتى لا يضطر إلى الالتجاء إلى العمل الشاق قبل أن يستعيد صحته . وقد وصف « مارستان قلاوون » أيضا « بريس دافـــــــن » Prisse d'avennes فأضاف أن قاعات المرضى كانت تدفأ بإحراق البخور أو تبرد بالمراوح الكبيرة ، وكانت أرض القاعات تغطى بأغصان شجر الحناء أو شجر الرمان أو الشجيرات العطرية[١٣] .

وتقدم المستشرقة الألمانية « سيجريد هونكة » وصفا تفصيليا رائعا لإحدى المستشفيات الكبرى فى عصر الحضارة الإسلامية ، من خلال رسالة بعث بها أحد المرضى آنذاك إلى أبيه يقول فيها : « ... لقد سجلوا اسمى بعد المعاينة وعرضونى على رئيس الأطباء ، ثم حملنى ممرض إلى قسم الرجال ، فحممنى حماما ساخنا وألبسنى ثيابا نظيفة من المستشفى .. واليوم صباحا جاء كالعادة رئيس الأطباء مع رهط كبير من معاونيه ، ولما فحصنى أملى على طبيب القسم شيئا لم أفهمه ، وبعد ذهابه أوضح لى الطبيب أنه بوسعى الخروج قريبا من المستشفى صحيح الجسم معافى ، وإنى والله لكاره هذا الأمر !! فكل شىء هنا جميل للغاية ونظيف جدا .. الأسرة وثيرة وأغطيتها من الدمقس الأبيض والملاء بغاية النعومة والبياض كالحرير ، وفى كل غرفة من غرف المستشفى تجد الماء جاريا فيها على أشهى ما يكون . وفى الليالى القارسة تدفأ كل الغرف ، وأما الطعام فحدث عنه ولا حرج ، فهناك الدجاج أو لحم الماشية يقدم يوميا لكل من بوسعه أن يهضمه ... » .

وإذا كان هذا النص يعكس المستوى الحضارى الذى كانت عليه المستشفيات الإسلامية فإن الحال فى الغرب كانت على النقيض ، حيث أشار إليها « ماكس نوردو » فى وصفه لمستشفى « أوتيل ديو » Hotel Dieu ، وهو أقدم مستشفى فى

(١٢) أنشىء « مارستان قلاوون » فى منطقة بين القصرين ، فى المنطقة بين القصر الشرقى الكبير والقصر الغربى الصغير فى قاهرة الفاطميين ، وهى ما يعرف اليوم بشارع المعز لدين الله .

ولمعرفة المزيد عن « البيمارستانات » المختلفة فى بلدان العالم الإسلامى يرجع إلى : د. أحمد عيسى ، تاريخ البيمارستانات فى الإسلام ، دار الرائد العربى ، بيروت ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م .

(١٣) الوجيز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، مرجع سابق .

باريس في القرون الوسطى ، فقال : « ... كان ثمة قش كثير موضوع على الأرض ، تزاحم عليه المرضى ، وأقدام بعضهم إلى جانب رءوس الآخرين .. الأطفال قرب الشيوخ ، والرجال بجانب النساء بشكل يدعو إلى العجب .. وكان قرب المتوعكين توعكا بسيطا أناس ذوو أمراض معدية ، وأناس كثيرون ، منهم الحبلى التي تعانى آلام المخاض ، والطفل الذى يعانى سكرات الموت ، ومريض السل الذى مزق صدره السعال يبصق دما ، والمصاب بالمرض الجلدى يمزق جسمه بأظافره حكا .. والطعام سيء ويقدم لهم على فترات متباعدة بكميات ضئيلة جدا .. وكان المبنى الذى يضم المرضى يزدحم بأخطر الحشرات ، أضف إلى ذلك فساد الهواء في الداخل لدرجة لا تطاق ولا تحتمل ، وكانت جثث الموتى من المرضى تترك حتى يدب فيها الفساد ، فتفوح الروائح النتنة فى الأجواء ، وينقض البعوض ويهجم ممعنا نهشا وأكلا من اللحم العفن ، ويضطر المرضى الآخرون أن يشاطروا الجثث هذا المكان قبل أن تنقل ... »[14] .

ويشهد « مايرهوف » بأن المستشفيات الأوربية لم يبدأ مستواها فى التحسن إلا إبان الحروب الصليبية ونتيجة لها ، فالمستشفيات التى ظهرت في أوروبا خلال القرن الثالث عشر الميلادى كانت تقليدا للمستشفيات الراقية التى شاهدها الصليبيون فى الشرق أثناء الحروب الصليبية[15] .

---

(١٤) د. سيجريد هونكه ، مرجع سابق .

(١٥) د. أحمد فؤاد باشا ، مرجع سابق .

من أمراض الطفولة

فقر الدم الناجم عن تحلل الدم

أنيميــا الفــول

للدكتورة/جيهان أحمد مصطفى

تحدثنا في المقالات السابقة ، عن فقر الدم الناجم عن نقص أي من العناصر اللازمة لعملية تكوين خلايا الدم الحمراء ، واليوم نتحدث عن فقر الدم الناجم عن تحلل الدم ، وقبل أن نبدأ حديثنا فيما عزمنا عليه ، نلقي الضوء على مكونات الدم .

يتكون الدم من خلايا (تشكل حوالى ٤٥٪ منه) ، والبلازما (وتشكل حوالى ٥٥٪ منه) .

● خلايا الدم : *Blood Cells* وهي تشمل :

☐ كرات الدم الحمراء : Erythrocytes

☐ كرات الدم البيضاء : Leucoegtes

☐ الصفائح الدموية : Platelets

● البلازما : *Plasma* وتتكون من حوالى :

☐ ماء (٩٠٪) : Water

☐ الذوائب الكهربائية (٠,٩٪) Electrolytes وأهمها : الصوديوم والكلور .

☐ بروتينات البلازما (٧ جرام٪ - ٧,٤ جرام٪) Plasma Proteins .

☐ والباقي في صورة دهون Plasma Lipids .

فقر الدم الناجم عن تحلل خلايا الدم الحمراء : *Hemolytic Anemia*

ويحدث التحلل نتيجة لأسباب يجمعها نوعان : داخلي وخارجي

١ - النوع الداخلي : Intrinsic type

ويحدث نتيجة لوجود خلل في تكوين كرات الدم الحمراء ناشيء عن :

(أ) خلل في تكوين غشاء الخلية Cell membrane : مثل مرض تكسر الخلايا الكروية Spherocytosis .

(ب) خلل في تكوين مادة الهيموجلوبين الموجود داخل الخلية : وأهمه أنيميا البحر المتوسط Thalassemia ، وأنيميا الخلايا المنجلية Sickle Cell anemia

(جـ) نقص أحد الإنزيمات الهامة الموجودة في الخلايا الحمراء :



مثل أنيميا الفول Favism .

٢ ـ النوع الخارجي Extrinsic type .

وفيه تكون الخلية الحمراء طبيعية التكوين ويحدث تكسر الدم نتيجة عوامل خارجية مثل :

(أ) حالات نقل دم مخالف لفصيلة دم الطفل

incompatible blood transfusion

(ب) إصابة الطفل بخلل في جهازه المناعي مما يكون ـ عادة ـ مصحوباً بتولد أجسام مضادة لخلايا الدم الحمراء

Auto immune hemolytic anemia

(جـ) استخدام أحد العقاقير المؤدية إلى تكسر كرات الدم الحمراء مثل أدوية السلفا .

(د) إصابة الطفل بأحد الأمراض مثل الملاريا

malaria

• • •

وسوف نبدأ بإلقاء الضوء على أحد أنواع فقر الدم الناجم عن تحلل الدم وهو « أنيميا الفول » .

أنيميا الفول :

وهو مرض يحدث نتيجة لنقص أحد الإنزيمات داخل خلايا الدم الحمراء ، وهذا الإنزيم يعد مسئولاً عن حماية خلايا الدم الحمراء من العوامل المؤكسدة oxidizing agents التي قد تؤدى إلى تحلل الخلية ، ولهذا فإن نقص هذا الإنزيم يؤدى إلى تكسُّر كرات الدم الحمراء ، إذا تعرض الطفل لأحد هذه العوامل المؤكسدة ، التي لا تسبب أى ضرر للطفل الصحيح .

وهـذا المرض وراثى متنحٍّ مرتبـط بـ (الكروموسوم) الجنس إكس :

X- linked recessive disease

يصيب الذكور ونادراً جداً ما تصاب به الإناث .

● ونتساءل : ما العوامل المؤكسدة التي تؤدى لتحلل كرات الدم الحمراء للطفل المصاب بأنيميا الفول ؟ :

وتكمن الإجابة في :

١ ـ بعض العقاقير مثل :

● مخفضات الحرارة كالأسبرين Salicylates والفيناستين phenacetin وهذا يعد عقار الباراسيتامول Paracetamol هو العقار الوحيد الخافض للحرارة الذى يمكن للمريض استخدامه .

● الأدوية المستخدمة في علاج مرض الملاريا مثل عقار البرايماكوين Primaquine .

● الأدوية المستخدمة في علاج مرض الدرن مثل الستربتومـيسين Streptomycin وعقـار الأيزونيازيد isoniazide .

● بعض المضادات الحيوية مثل السلفـا ، الكلورامفينيكول .

● فيتامين (ك) المصنع Synthetic Vitamin K

٢ ـ رائحة النفالتين .

٣ ـ الفول بجميع صوره ومشتقاته ولهذا لُقِّب المرض بأنيميا الفول ، نظراً لتأثيره الضار على كرات الدم الحمراء للطفل المصاب حيث يؤدى إلى تحللها وبالتالي إلى حدوث فقر الدم .

● أعراض المرض :

تختلف شدة المرض من طفل لآخر حسب عدد الخلايا الحمراء المتحللة ويتوقف هذا على :

١ ـ درجة نقص الإنزيم داخل الخلايا .

٢ ـ كمية ونوع العامل المؤكسد الذى تعرض له الطفل .

ويبدأ المرض بعد التعرض للعامل المؤكسد حوالى (٨ إلى ٧٢) ساعة إذا كان عقاراً ، أو حوالى (يوم إلى ٩ أيام) إذا أكل الفول ، أو أحد مشتقاته ، أو فى خلال دقائق معدودة إذا استنشق حبوب اللقاح للفول . وتظهر الأعراض الحادة للمرض Acute hemolysis بعد التعرض للعامل الضار فى صورة :

١ ــ شحوب ، واصفرار لون الجلد والعين والأغشية المخاطية .

٢ ــ غثيان وقىء وصداع وألم فى البطن .

٣ ــ احمرار بول الطفل .

وتستمر الأعراض عدة أيام وفقاً لشدة المرض ــ كما سبق وذكرنا ــ ثم تختفى الأعراض تدريجياً ويلزم على الطفل التوقف عن التعرض للعامل المؤكسد الذى أدى إلى تحلل كرات دمه الحمراء ، وإلا استمرت هذه الأعراض .

وقد يتخذ المرض صورة مزمنة Chronic hemolytic Anemia

ويحدث هذا فى الحالات الشديدة حيث ينقص الإنزيم بشدة فى خلايا الدم الحمراء ويكون الطفل أصفر اللون ، شاحباً ، وقد يتضخم الطحال .

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن المرض قد يظهر عند الطفل المصاب بعد أيام قليلة من ولادته neonatal hemolysis وقد يحدث هذا تلقائياً بدون سبب وخاصة فى حالة نقص فيتامين (هـ) ، أو فى حالة تعاطى الأم لأحد العوامل المؤكسدة الضارة للطفل ــ كما سبق ذكره ــ يتم إفرازها فى لبنها ، وبالتالى تنتقل للطفل خلال الرضاعة ، حيث يصاب بشحوب واصفرار جلده وعينيه .

● تشخيص المرض :

١ ــ القيام بعمل صورة دم كاملة ، حيث يتجلى فيها :

● نقص نسبة الهيموجلوبين وعدد كرات الدم الحمراء مع وجود بقايا جلوبين متحلل بها Heinz bodies تختفى بعد ٣ إلى ٤ أيام .

● زيادة عدد الخلايا الشبكية .

٢ ــ زيادة نسبة البيلروبين غير المباشر فى دم الطفل indirect Serum bilirubin

٣ ــ قياس نسبة الإنزيم فى خلايا الدم الحمراء بعد ٦ أسابيع من نقل الدم .

● علاج المرض :

١ ــ لابد من التوقف عن التعرض للعامل المؤكسد الضار للطفل والذى أدى إلى تحلل خلايا الدم الحمراء .

٢ ــ نقل الدم Blood transfusion للطفل المريض فى صورة كرات الدم الحمراء إذا احتاج له الطفل .

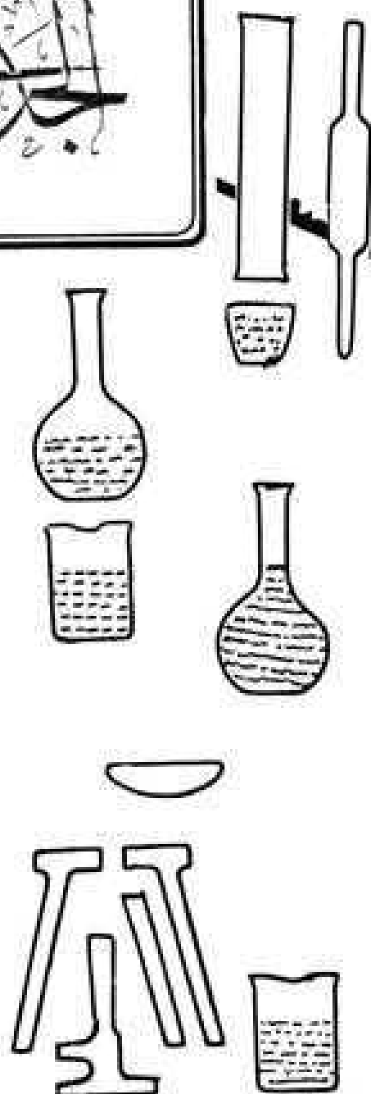
٣ ــ علاج المضاعفات إذا حدثت مثل إصابة الطفل بهبوط القلب نتيجة حدوث فقر دم شديد Anemic heart Failure .

وسوف نستأنف حديثنا عن فقر الدم الناجم عن تحلل الدم فى مقالنا التالى بإذن الله تعالى .

«وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد د/ محمود السيد أحمد *



البطاريات النووية :

صمم مجموعة من الخبراء في إحدى الشركات الأمريكية بطارية تعمل بطاقة إشعاع الجسيمات النووية ، ويقوم هذا التصميم الجديد على أساس التحويل المباشر للإشعاع المنطلق من وقود نووى سبق استخدامه في محطات القوى إلى كهرباء ، ويؤكد الخبراء إنه يمكن للبطارية النووية الجديدة أن تولد من الكهرباء ما يساوى مائة ألف ضعف الكهرباء التي تولدها الآن البطاريات التي تمد الأقمار الصناعية الفضائية بها .

النواقل الفائقة عالية الحرارة لفحص القلب :

تمكن فريق من العلماء في موسكو من استخدام النواقل الفائقة التي تعمل في حرارات مرتفعة في

* باحثة بالمركز القومي للبحوث ـ الدقي

قياس المجال المغناطيسي الدقيق الذي تولده نبضات قلب الإنسان ، فقد نجحوا في استخدام مادة تحتوي على عناصر الأيتريوم ، والباريوم ، والنحاس والأكسجين في صنع جهاز سمي « جهاز تداخل الكم الفائق الناقلية » ، وهو عبارة عن حلقة من مادة فائقة التوصيل الكهربي شديدة الحساسية للتغيرات الطارئة على الدفق المغناطيسي المار عبر الحلقة ، ويتميز هذا الجهاز بصغر حجمه وقلة تكاليفه وسهولة نقله .

تحويل الإشارات إلى كلمات :

يعمل علماء كنديون على ابتكار جهاز آلي يترجم حركات اليد إلى أصوات ويمكن تطويره ليحول هذه الأصوات لكلمات تساعد العاجزين عن النطق في التعبير ، ولتشغيل الجهاز يرتدي مستخدمه قفازا يتصل بأسلاك من الألياف الزجاجية متصلة بالجهاز ، ويقوم الجهاز بتحويل حركة الأيدي إلى أصوات تلائم كل حركة وتدخل هذه الأصوات إلى المسجل فيترجمها إلى كلمات .

الحاسب الآلي لتحليل النظام الوراثي في الإنسان :

يقول العلماء في أمريكا أن تقنيات الحاسب الآلي ستقوم سريعا بإجراء تحليل لمليارات المعلومات التي تشكل في جملتها المجموع الوراثي للإنسان ، حيث قام العلماء في أحد المعاهد التكنولوجية بتصميم اصطفاف لجذاذات حاسوبية لمسح وتفسير الأسس الكيميائية التي تكون المجموع الوراثي للإنسان ، وتتعامل الجذاذات مع تيار من المعطيات المتسلسلة ، ويستطيع هذا الجهاز أن يحدد التعاقبات في « د.ن.أ. » DNA بأسرع بكثير مما يفعل الإنسان ، ولقد برمج البيولوجيون أخيرا حواسيب تستطيع كشف التعاقبات الشاذة غير المعتادة .



السيارات الإلكترونية

يشهد عالم صناعة السيارات تطورا كبيرا حيث إن معظم السيارات ستكون مزودة بنظام إلكتروني متكامل يقوم بعمل كل شيء ، من رصد أصغر خلل في المحرك إلى منع الإطارات من التزحلق عند التوقف المفاجيء وستعمل معظم الأنظمة الميكانيكية في السيارة بمساعدة أنظمة إلكترونية وستكون السيارات الإلكترونية مزودة بمجسات تكشف كل ما لا يراه السائق وأنظمة خاصة لتعزيز الرؤية في الليل وأجهزة للحفاظ على سرعة السيارة المناسبة وستصبح السيارات أكثر سلامة وأمنا .

شاشات التليفزيون

بلورات سائلة أكثر سطوعا :

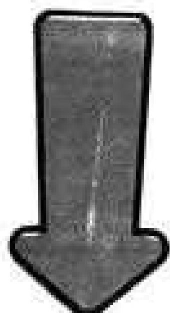
انتجت إحدى الشركات اليابانية للإلكترونيات شاشات التليفزيون الجديدة التي تسمى « المحولة اللونية الشعاعية » ، وتعتمد على تقنية هجينة من البلورات السائلة وحزمة من

الأشعة الإلكترونية ، وتعطى صورا أكثر سطوعا ، وهذه الشاشة عبارة عن شريحة إلكترونية متوجة بصفيحة شفافة مطلية بأشرطة فسفورية ملونة وعندما يسرى التيار الكهربى عبر شبكة من الأسلاك متصلة بالشريحة الإلكترونية تشع سحابة من الإلكترونات تتركز فى أحزمة ضيقة وتسقط على الصفيحة الفسفورية لتكون الصورة الملونة .

حاسب آلى

جديد !

أنتجت شركة يابانية للحاسبات الإلكترونية حاسب آلى جديد يمكن إدخال البيانات والأوامر بضغط الأصابع مباشرة على البيانات الخاصة بها على الشاشة ، ويمكن الاجابة عن الاستفسارات بالضغط على « نعم » أو « لا » المرسومتين أيضا على الشاشة ، كما أنه يمكن إظهار صورة للوحة المفاتيح على الشاشة والضغط على الأحرف المناسبة فيها ، ويعمل بشكل متواصل لمدة أربع ساعات ببطارية ضوئية قبل إعادة شحن بطاريته .



محطة هاتفية متحركة

قامت شركة فرنسية بتصنيع محطة هاتفية صغيرة تسمح بإرسال واستقبال المكالمات الهاتفية ورسائل الفاكس والتلكس من وإلى جميع بقاع العالم ، وتتميز هذه المحطة بأنها لا تتطلب أى عمل معين لبدء تشغيلها ، وهى تزن حوالى ٢١ كيلو جرام مما يعنى سهولة نقلها من مكان إلى آخر .

آلة تصوير رقمية مع جهاز تظهير

عرضت شركة يابانية أول نموذج لآلة تصوير رقمية تعتمد على تسجيل الصورة بطريقة رقمية عبر استخدام تقنيات الحاسب الآلى بدلا من التصوير الذى يعتمد على تعريض الأفلام الحساسة للضوء المنبعث من موضع الصورة ، وتتميز آلة التصوير الجديدة بأنها تقوم بتظهير وطبع الصور .

مضخة قلبية لإنعاش القلب

طورت جامعة كاليفورنيا مضخة قلبية تحسن من عمليات إنعاش القلب والرئتين ومحاولات إعادة التنفس للمصابين بحالات إغماء شديدة وتستعمل هذه المضخة من قبل التقنيين الطبيين فقط فيضغطونها على صدر المريض ثم يرفعونها بطريقة تسمح بدفع الدم إلى القلب والهواء إلى الرئتين .

الشواهد النحوية بين الدلالة اللغوية والمتعة الأدبية

ـ ٢ ـ

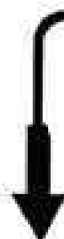
للشيخ: عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

قرأنا في مقال سابق أن الشاهد النحوى أو البلاغى ، لاينبغى أن يمر به قارئه مرور الكرام ويقف منه عند حد الاقناع بانطباق القاعدة عليه أو شذوذه عنها ، بل يجب عليه أن يتأمل في معناه ، ويفكر في مرماه ، فكم من شواهد تثير الذهن بمعناها ، وتفجر قضايا أدبية وفكرية تمتع النفس وتثير العقل وتشرح والصدر .

ولنقرأ مثلا قوله ـ تعالى ـ :

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ الروم ٤

فما من متعلم للنحو إلا ومرَّ على هذا الشاهد القرآنى ، وهو يذكر أن (قبل وبعد) هنا ظرفان مبنيان على الضم لأنهما قطعا عن الإضافة لفظاً ، وصارا متضمنين ما حذف معنى ، مخالفا تعريف الأسماء ، وأشبها الحروف في التضمين فبُنيا ، وخُصا بالضم لشبهما بالمنادى المفرد في أنه إذا نكر وأضيف زال بناؤه .



أحوال قبل وبعد :

ويذكر المتعلم مايقوله النحويون عن أحوال (قبل وبعد) وأن لها أحوالاً أربعة فى إحداها مبنية وفى سائرها معربة .

والحالة الأولى من أحوال (قبل وبعد) أنها تعرب على حسب موقعها إذا حذف المضاف إليه ونوى لفظه ، مثل قول الشاعر :

ومن قبل نادى كل مولى قرابة
فما عطفت مولى عليه العواطف

وهذا الشاعر مجهول النسب ، ومعنى بيته : من قبل ذلك الموقف نادى كل مولى قرابته ، ولكن هذا المولى لم يجبه أحد .

والشاهد فيه أن (قبل) أعربت ، ولم تُبن ؛ لأن المضاف إليه حُذف ، ولكن لفظه منوى .

والحالة الثانية أن يحذف مايضاف إليه ، ولاينوى لفظه ، وحينئذ تصبح (قبل نكرة وتنون ، ومن ذلك قول الشاعر :

فساغ لى الشرابُ وكنتُ قبْلاً
أغصُّ بنقطة الماء الحميم

وهذا البيت لشاعر جاهلى كان له ثأر أدركه ، فتحدث عن حالتيه قبل إدراك ثأره وبعده ، لقد كان قبل أن يدرك ثأره حزينا لايهنأ بطعام أو شراب ، ولكنه بعد ذلك ساغ له الشراب والطعام ، وسيأتى حديث مفصل عن هذا الشاهد .

والشاهد فيه أن (قبلا) قطع عن الإضافة لفظا ومعنى فأعرب ونُوّن ، وعلى ذلك قراءة من قرأ الآية السابقة «لله الأمر من قبلٍ ومن بعدٍ» بتنوينهما .

والحالة الثالثة من أحوال (قبل وبعد) هى أن تضيفهما إلى مفرد ، فتقول : جئت من قبل زيد .وتكون هنا معربة مجرورة بحرف الجر . أو جئت قبْل زيد فتكون هنا منصوبة على الظرفية .

أما الحالة الرابعة فهى أن يحذف المضاف إليه ويُنوىَ معناه ، وذلك ما أشرنا إليه فى صدر هذا الحديث .

مايشير إليه الشاهد من معان

التأمل فى هذا الجزء من الآية الكريمة يبعث فى النفس كثيرا من العبر والعظات . فهى إلى جانب ماتدل عليه من انفراد الله ــ تعالى ــ بالقدرة ، وأن مافى العالم من غلبة وغيرها ، إنما هى منه وحده ، وبإرادته وقدرته ، وأن له الأمر كله لا لأحد سواه ــ تشير إلى قصة ذات مغزى عميق ، أوردها الرواة فى كتب السيرة والتفسير ، وتتضمن معجزة للقرآن الكريم ، ومعجزة للنبى ــ ﷺ ــ ويقينا صادقا من أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ الذين بادروا بالإيمان به وآزروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ..

لقد أشارت القصة التي ذكرت حول هذه الآية إلى انتصار الروم على الفرس بعد أن كانت فارس قد انتصرت عليهم ، وإلى انتصار المسلمين - أيضا - على المشركين في الحروب الدائرة بينهم ، وكان ذلك قبل وقوع النصر لكل منهما على الآخر بسنين .

القصة كما رواها الرواة

جاء في تفسير القرطبي في تفسير قوله - تعالى -

﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾

الروم ١ - ٥

قال : كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم ؛ لأنهم وإياهم أهل أوثان ، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس ؛ لأنهم أهل كتاب ، فذكروه لأبي بكر ، فذكره أبو بكر - رضي الله عنه - لرسول الله - ﷺ - فقال «أما إنهم سيغلبون» أي : الروم .

وحين نزلت هذه الآيات خرج أبو بكر للمشركين فقال : أسركم أن غُلبت الروم ؟ فإن نبينا - ﷺ - أخبرنا عن الله - عز وجل - أنهم سيغْلبون في بضع سنين .

فقال له أُبيُّ بن خلف وأُميَّة أخوه ، وقيل : أبو سفيان بن حرب : ياأبا فصيل - يعرضون بكنية أبي بكر - فلنتناحب - أي نتراهن في ذلك فراهنهم أبو بكر ، وذلك قبل أن يحرم القمار ، وجعلوا الرهان خمس قلائص ، والأجل ثلاث سنين .

ثم أتى أبو بكر النبي - ﷺ - فأخبره ، فقال له : «فهلا احتطت ؟ فإن البضع مابين الثلاث والتسع والعشر ، ولكن ارجع فزدهم في الرهان واستزدهم في الأجل» .

ففعل أبو بكر ، فجعلوا القلائص مائة ، والأجل تسعة أعوام .

فغلبت الروم في أثناء الأجل . يقال إنهم غلبوا في أثناء الحديبية على رأس تسع سنين من نزول الآيات وحدوث الرهان - تفسير القرطبي -

طرائف حول القصة

● حكى النقاش وغيره أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - لما أراد الهجرة مع النبي - ﷺ - تعلق به أُبي بن خلف ، وقال له : أعطني كفيلا بالخطر - الرهن - إن غُلبت ، فكفل به ابنه عبدالرحمن .

فلما أراد أُبيُّ الخروج إلى أحد طلبه عبدالرحمن بالكفيل ، فأعطاه كفيلا ، ثم مات أُبيُّ بمكة بعد عودته من أحد بسبب جرح أحدثه به النبي - ﷺ - وأخذ أبو بكر مال الخطر من ورثته بعد انتصار الروم ، فقال له النبي - ﷺ - : «تصدق به» فتصدق به .

وربما اعترض على هذا الخبر بأن الهجرة كانت سرا ، وقد يجاب عنه بأن المشركين كانوا قد أحسوا بهجرة المسلمين بعد بيعة العقبة ، وأن عدد المسلمين قد أخذ يتناقص بمكة ، فخشي أُبيُّ أن يهاجر أبو بكر كما هاجر غيره دون أن يحس به ..

● وجاء في تاريخ الطبري جـ٤ ص ٥ - ١٠٠ أن سبب غلبة الروم من فارس أولا ، أن امرأة كانت في فارس لاتلد إلا الملوك والأبطال ، فقال لها كسرى : أريد أن استعمل أحد بنيك على جيش أجهزه إلى الروم .

فقالت : هذا هرمز أروغ من ثعلب ، وأحذر من صقر .

وهذا فُرّخان أحدُّ من سنان وأنفذ من نبل .
وهذا شهربزان أحلم من كذا .

فاختار كسرى الحليم وولاه ، فسار إلى الروم بأهل فارس ، فظهر على الروم .

ثم إن شهربزان لما غلب الروم خرب ديارهم حتى بلغ الخليج ـ فقال أخوه فرخان : لقد رأيتني جالسا على سرير كسرى .
وبلغ ذلك كسرى فكتب إلى أخيه شهربزان أن يرسل إليه برأس فرخان ، فلم يفعل .

فعزله كسرى ، وولى مكانه فرخان ، ثم كتب إلى فرخان يأمره أن يقتل أخاه . شهربزان . فاستجاب فرخان سريعا وهم بقتل أخيه .

فقال شهر بزان لفرخان : إن كسرى كتب إلى أن أقتلك ثلاث مرات ، وراجعته أبداً في أمرك ، أفتقتلني أنت بكتاب واحد ؟

فرد فرخان الملك إلى أخيه شهر بزان ، وكتب شهربزان إلى قيصر ملك الروم ، فتعاونا معا على كسرى . وبذلك غلبت الروم .

تعليق على قول الشاعر : فساغ لي الشراب

جاء في خزانة الأدب للبغدادي تعليقا على قول الشاعر :

فساغ لي الشراب وكنت قبلاً
أغصُّ بنقطة الماء الحميم

إن هذا البيت آخر أبيات خمسة ليزيد بن الصعق ، وهذه الأبيات هي :ــ

إلا أبلغ لديك أبا حريث
وعاقبة الملامة للمُليم
فكيف ترى معاقبتي وسعيي
بأذواد القصية والقصيم
ومابرحت قلوصي كل يوم
تكر على المخالف والمقيم
فنمت الليل إذ أوقعت فيكم
قبائل عامر وبني تميم
وساغ لي الشراب وكنت قبلا
أغصُّ بنقطة بالماء الحميم

وفي رواية :

..... وكنت قبلاً
أكاد أغص بالماء الحميم

وأبو حريث هو الربيع بن زياد العبسي :

معنى الأبيات

يقول يزيد : أيها الرسول أبلغ أبا حريث أن اللوم يقع على عاتق المتسبب فيه ، وقد بدأت بالعدوان ، فتلق عقابي وكري بأنصاري عليك وعلى قومك حتى أتمكن من أخذ ثأري ، وقد نتج عن إدراك ثأري أنني أصبحت أنام بعد أن

خاصمني النوم ، وأصبحت أستسيغ الشراب بعد أن كان الماء العذب يقف فى حلقى .

مناسبة الأبيات

قال البغدادى : حكي أبو عبيدة قال : كانت بلاد بني غطفان مخصبة ، فرعت بنو عامر بن صعصعة ناحية منها ، فأغار الربيع بن زياد العبسى على يزيد بن الصعق ، وكان فى جماعة من الناس ، فلم يستطعه الربيع ، ولكنه استاق سروحهم . وأحنق ذلك يزيد فحلف ألا يقرب النساء ، ولا يتطيب حتى يأخذ بثأره ، فجمع قبائل شتى من عامر وتميم ، ثم أغار على خصومه ، فاستاق أنعامهم ، وأصاب معها عصافير النعمان بن المنذر ، وهى إبل مشهورة معروفة به ، فقال فى ذلك يزيد أبياته السابقة .

رواية أخرى لبيت الشاهد

وجاءت للبيت ـ مواطن الشاهد ـ روايات أخرى منها : أكاد أُغصُّ بالماء الفرات ، ومنها أكاد أُغصُّ بالماء المعين . وكلها بمعنى ، على اعتبار أن (الحميم) من الأضداد يطلق على الحار والبارد .

كما جاء كلمة (قبلا) فى بعض الروايات بالضم والتنوين ، وقال الفراء فى هذه الرواية : هذا التنوين بالضم نظير تنوين المنادى المفرد إذ لحقه التنوين فى ضرورة الشعر ، كما قال الشاعر :

قدموا إذ قيل : قيسٌ ـ قدّمُوا
وارفعوا المجد بأطراف الأسل

أراد : ياقيس : فنوّنه ضرورة ، والأجود النصب .

نقول: ومثله قول الشاعر :

سلام الله يامطـــــــرٌ عليها
وليس عليك يامطر السلام

ويجوز نصبه كما قال الشاعر :

ضربت صدرهـــا إلى وقـــالت
ياعديّاً لقد وقـتك الأواق

لماذا لقب جد يزيد بالصعق ؟

ويزيد صاحب الشاهد هو يزيد بن عمرو بن خويلد بن نفيل الكلابى ، وخويلد هو الذى يقال له : الصعق . وسبب ذلك فيما ذكره ابن الكلبى أنه عمل لقومه طعاما بعكاظ ، فجاءت ريح شديدة بغبار ، فسبها ولعنها ، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته .

وقيل : إن سبب ذلك أن بنى تميم ضربوه على رأسه ضربة فأدمته ، فكان إذا سمع الصوت الشديد صعق وذهب عقله .

هذا بعض ماجاء فى كتاب «خزانة الأدب» تعليقا على شاهد من شواهد النحو : فانظر مدى الفوائد التى ذكرها ، والمعارف التى أشار إليها ..

وإن كان من إضافة نضيفها فهى أن إدارك الثأر له أثره الطيب فى النفس ، وأن الراحة النفسية المترتبة عليه لاتعادلها لذة أخرى ، ولعل الله يمن على المظلومين الذين يسومهم الظالمون العذاب والهوان فى أقطار الأرض بيوم يدركون

فيه تأثرهم ويشفون به غيظهم فيقولون مثلما قال الشاعر ، أو يقولون ماقال الله ـ وقوله الحق ـ:
﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ التوبة ١٤ ، ١٥

مؤلف خزانة الأدب

ومؤلف خزانة الأدب هو العلامة عبدالقادر بن عمر البغدادى ، نزيل القاهرة ، جاء إليها سنة خمسين وألف من الهجرة ،بعد مولده فى بغداد بعشرين عاما ، وتعلم فى الأزهر ، وتلمذ لشهاب الدين الخفاجى إمام وقته ، وتوفى البغدادى بالقاهرة سنة ثلاث وتسعين وألف .

وقد ألف هذا الكتاب فى أثناء إقامته بمصر بدأ فيه سنة ثلاث وسبعين وألف ، وفرغ منه بعد ست سنوات ، علق فيه على شواهد الرضى الذى شرح كتاب الكافية ..

من هو الرضى ؟ ماذا نعرف عن الكافية ؟

أما الكافية فهى كتاب فى النحو تحوى على وجازتها مقاصد النحو بأسرها ، قال فيها بعض الشعراء ـ فيما يرويه حاجى خليفة فى كشف الظنون :

صاغ الإمام الفاضل ابن الحاجب
دُرَراً فأخفاها كغمز الحاجب
لما تواتر حسنها بين الورى
قالت : أنا السحر الحلال فحاج بى

ولايخفى مافى البيتين من بديع جميل .

وابن الحاجب هو الشيخ جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمرالمعروف بابن الحاجب المالكى النحوى ، ولقب بابن الحاجب لأن أباه كان حاجبا للأمير عز الدين موسك الصلاحى بالقاهرة ـ وموسك هذا ـ هو الذى ينسب إليه شارع الموسكى المؤدى للأزهر الشريف .

وكما ألف ابن الحاجب الكافية فى النحو ألف الشافية فى الصرف .. وتوفى ابن الحاجب سنة ست وأربعين وستمائة .

أما الرضى فهو نجم الأئمة ، مشهور بلقبه ، وهو محمد بن الحسن الأستراباذى نسبة إلى استراباذ بفتح الهمزة ، وهى بلدة مشهورة أخرجت خلقا كثيرا من أهل العلم . ألف هذا الكتاب وفرغ منه سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، وتوفى بعد ذلك بسنة أو ثلاث حسبما ذكر السيوطى فى كتابه «بغية الدعاة فى أخبار النحاة» .

وقد قرظ السيوطى شرح الرضى فقال : «لم يؤلف على الكافية بل ولا على غالب كتب النحو مثل هذا الكتاب جمعا وتحقيقا ، فتداوله الناس واعتمدوا عليه» أهـ .

وجاء كتاب «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب» للبغدادى تتويجا لهذا العمل العلمى العظيم ..

وليس فى هذه العجالة يمكن استقصاء الحديث عما جاء فى هذه الخزانة من أسرار ولكن حسبنا ما أشرنا إليه ليرجع إليها من يريد ، ونرجو أن تمكننا الفرصة من حديث آخر عن بعض شواهدها الغنية بالجمال الحافلة بروائع الفكر والمتعة الأدبية ، وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى .



الدكتور عبد الوهاب عزام



وشاهنامة الفردوسى

بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

تُعدُّ « الشاهنامة » للفردوسى[1] من أعظم الملاحم[2] البطولية فى تاريخ الأمم .

ويذهب محمد على فروغى ـ أحد كبار أدباء الفارسية المعاصرين ـ إلى القول بأن الشاهنامة تُعتبر « أروع الأعمال العالمية .. ولولا حرصى لقلت : إنها أعظم عمل أدبى قام به إنسان ، وأنتجه فنان » . ويشاركه (نُولدكه) الرأى ، فى قوله عنها : « إنها ملحمة لا نظير لها عند أمة أخرى » ويظهر تأثر (فيكتور هوجو) واضحاً بالشاهنامة ، فى كتابه « مشرقيات « Orientales » .

---

(١) تتفق الروايات ـ التى محّصها الدكتور عزام فى مدخل الشاهنامة ـ على أن لقبه : الفردوسى ، وكُنيته : أبو القاسم .

ثم تختلف الروايات فى اسمه ، بين : منصور وحسن وأحمد ويرجح الدكتور عزام أنه ولد فى (طوس) ٣٢٩هـ ويذكر أنه فاق أقرانه فى التحصيل العلمى ، وكان شغوفاً بالاطلاع وبعد فراغه من نظم الشاهنامة وإهدائها للسلطان الغزنوى ، أمر السلطان له بستين ألف دينار ، إلا أن حاشية السلطان التى تَحسَّت على الفردوسى هذا العطاء الجزيل ، عملت على تقليله أو تعطيله ..

وحينما علم السلطان بذلك أمر بتعجيل إرسال العطاء ، مع الاعتذار للشاعر لكن جنازة الفردوسى كانت على الأعناق يوم وصول العطاء تتقدم من باب رزان ! ورفضت ابنته قبول العطاء ، بأنفة وترفع ، لما لحق والدها من غبن ومهانة . وتوفى الفردوسى عن سن الثمانين أو الثلاث والثمانين . (انظر مدخل الشاهنامة ص ٤٩ ـ ٦٦) .

(٢) الملحمة ـ اصطلاحات ـ جنس أدبى ، يقوم على مُطوَّلة من الشعر ، لتحكى عجائب الأحداث ، التى تتجاوز الواقع ، إلى الخيال المعن فى الغرابة ، وتتركز حول شخصية البطل ، أو الأبطال . كما يقول الدكتور عبد الحميد يونس : « والسيرة الهلالية تُعد فروسية شعبية ، بل هى من الوثائق البارزة ، فى تصحيح ما استقر فى أذهان بعض المفكرين ، من رأى يخالف الواقع ، وهو أن الأدب العربى لم يعرف الملحمة » انظر مجلة (عالم الفكر ، المجلد السابع عشر ١٩٨٦) .



والدكتور عبد الوهاب عزام هو أكبر أديب عربي في العصر الحديث ، تصدّى لدراسة (الشاهنامة) ومؤلفها أبي القاسم الفردوسي ، واتخذهما موضوعاً لرسالة الدكتوراه ، حينما علم أن الشاهنامة قد تُرجمت إلى العربية منذ قرون ، يقول : « وكنت أحسب ترجمتها من الآثار التي تذهبها الزمان ، وطوتها ظلمات القرون »[3] ودعم ظن الدكتور عزام ، ماذكره (البستاني) في مقدمته النثرية ، لترجمته للإلياذة شعراً :

« ثم إنه لا يخفى أن الشعر إذا تُرجم نثراً ، ذهب رونقه ، وبَهُت رُواؤه ، والظاهر أن هذا الحكم انطبق على تعريب (الشاهنامة) فأهملها الناس .. وإلا فما ذهبت ضياعاً ، وبقيت أثراً بعد عين ، يُقرأ عنها في كتب التاريخ ، وليس في الأدباء من روى لنا منها حديثاً مذكورا .. »[4] .

وقد فوجيء الدكتور عزام - أثناء قراءته لكتاب « تاريخ الآداب الفارسية لبراون - بأنه توجد نسخة من ترجمة البنداري للشاهنامة ، في مكتبة جامعة كمبردج ، فَسَرَتْ في نفسه هزة الفرح والظفر ، وقال : « لقد كُفيت ترجمة الشاهنامة وإنها لعبء فادح .. » .

فهل كان الأمر بهذا اليسر بالنسبة للدكتور عزام ؟ إن الذى تبين له بعد ذلك ، جعله يبذل جهداً شاقاً متواصلاً ، وعناءاً شديداً ، في سبيل بلوغ الغاية التي استهدفها من تحصيل مادة الكتاب كاملة ، وتحقيقه ، وَوَضْع الشروح والتفسيرات اللازمة له ، ثم لنشره . ومهما كانت المشقة ، فإن لذة البحث العلمي في حد ذاتها تعد مقابلاً فذاً لا يُقَدَّر بمال ، فيتقبل المعاناة بصبر ودأب عن طيب خاطر .

وقدّم عزام المثل الذى يحتذى للباحثين الجادين ، حينما شمّر عن ساعد الجد ، بعد اطلاعه على ترجمة « قوام الدين فتح بن محمد البنداري » الأصفهاني للشاهنامة ، بأمر من الملك « عيسى بن الملك العادل : أبي بكر أيوب المتوفى ٦٢٣هـ - ١٢٢٦م في دمشق . وتمت الترجمة ١٢٢٤م .

وبقراءة الدكتور عزام لهذه الترجمة - في عدة نسخ مختلفة لها ، استحضر صوراً لها من « كمبردج » بانجلترا ، «وجامعة برلين » بألمانيا ، « ومكتبة كوبريلي » بالآستانة ، بل قام بالسفر بنفسه إلى كل من انجلترا والآستانة صيف ١٩٢٩م للاطلاع على نسختي الترجمة بهما ، وتصويرهما .

تقول بعد قراءته لهذه الصور لترجمة البنداري ، عرف أن الكتاب ناقص ، يقول : « وتصفحت الكتاب ، فإذا آخره : « وهذا ماانتهى إلينا من أخبار رستم ، والحمد لله على التمام والكمال والله تعالى أعلم إلخ » ذلك لأن للكتاب بقية - في الأصل - بعد (أخبار رستم) .

---

(٣) انظر مقدمة (الشاهنامة) تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام ص ٣ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣ .

(٤) الإلياذة للبستاني ص ٦٧ ، وكان سليمان البستاني قد قام في عام ١٩٠٤م بإنجاز ترجمة الإلياذة - شعراً - عن اليونانية ، في مجلد ضخم ، يضم بين دفتيه (١٢٦٠) صفحة من القطع الكبير ، بعد أن تفرغ لنقل هذا السفر ثمانية عشر عاماً بالفراغ من الدكتور يعقوب صروف عام ١٨٨٧م وتشجيع من الداعية الإسلامي جمال الدين الأفغاني . وانظر كتابنا شعراء ودواوين ط الهيئة المصرية العامة للكتاب) ١٩٩٠ ص ٧٣ .

يقول الدكتور عزام : « وكنت أريد أن أقابل الترجمة كلها بأصلها الفارسى ، ولكن وجدت هذا متعذراً أو مستحيلاً ، فاكتفيت بمراجعة الأصل ، حين يضطرب سياق الترجمة ، أو يغمض الكلام ، وحين أجد معنى لا يشبه أن يكون من معانى الشاهنامة التى أثبتها كلها فى الحواشى ، وبالفهارس المفصلة فى (ترجمتى وَزْلْز ومُولْ) ، وبما أعرف عن الكتاب من قبل » .. إلى أن يقول :

« وقد أكملت الترجمة فى مواضع كثيرة ، فأثبتُّ فصولاً ، أو تبذاً حذفها المترجم (البندارى) كلما رأيت فائدة فى إثباتها ، وأثبت فى الحاشية ماترجمته ، إلا أن يكون فصلاً كاملاً ، فأثبته فى متن الكتاب ، بين قوسين كبيرين ، مبيناً هذا فى الحاشية أيضاً . وقد نظمت مما ترجمت فصولاً ، أردت أن تكون نموذجاً من شعر الشاهنامة »(٥) ويقول الدكتور عزام : « ورأيت الكتاب فى حاجة إلى التعليق ، لشرح غامضه ، أو لمقارنته بالأصل الفارسى ، أو لرد بعض أساطيره إلى أصلها ، أو تبيين مابين تاريخه والتواريخ الأخرى ، من اتفاق واختلاف .. وقد استلزم هذا مراجعة كتاب زردشت (الأبستاق) ، وكثيراً من المصادر العربية والفارسية والأوربية»(٦) .

ومن نماذج الترجمة الشعرية للدكتور عبد الوهاب عزام ، لبعض المواقف فى الشاهنامة ، الأبيات التى تصور فجيعة (أم سهراب) بعد سماعها بمقتله :

تئنُّ وتَجأرُ جَهْرَ الحزين ... وينتابها الغَشْىُ فى كل حين
تُلَفُّ أصابعها بالشعَرْ ... فتجتر من أصلها الطُّرز
وتُذْرى على الخد دمع الدم ... وتكبو .. وتنهض .. فى المأتم
تقول : بُنَىَّ وروحى ! تُرى ... بأيَّة أرضٍ طواك الثرى ؟

إلى أن تقول (بعربية عزام) :

مَنْ اليوم يُؤنس صدرى ؟ وَمَنْ ... يقاسمنى الغمَّ يوم الحزنْ
ومن ذا ، مكانك ، أدعو مجيبا ؟ ... ومن ذا أبثُّ الجوى والوجيبا

ويقول :

أطالت بكاء ابنها والنحيبا ... فأجْرَتْ ــ من الناس ــ دمعا سكوبا
وخرَّتْ على الأرض جمْراً خمَدْ ... كأنَّ بها ــ دَمُها ــ قد جَمَدْ(٧)

ويذكر الدكتور عزام أن مترجم الكتاب ــ البندارى ــ قد اختصر زهاء ثلث الكتاب ، وذلك ــ كما يقول الدكتور عزام ــ أنه أراد أن ينقل إلى قراء العربية ، حوادث الشاهنامة ، مجملة ، مجردة من أوصاف الشاعر المسهبة .. وقد أشار الدكتور عزام إلى موطن الاختصار بالتفصيل .

(٥) انظر مقدمة (الشاهنامة) ص ١٥ .
(٦) المصدر السابق .
(٧) المصدر السابق ص ١٤٧ ــ ١٤٨ .. ونلاحظ أن الدكتور عزام قد التزم نفس البحر الذى نظمت به أبيات الشاهنامة فى الفارسية ، وهو بحر : (المتقارب)

ومن المعلومات القيمة التي تفيد دارسي الشاهنامة ، أن هناك بعض الشعراء سبقوا الفردوسي إلى محاولة نظم (الشاهنامة) ، يقول : « وقد اقترن اسم (الدقيقي) باسم الفردوسي ، إذ كان السابق إلى نظم الشاهنامة فنظم ألف بيت ، ثم حالت المنية دون أمنيته ، وقد أدرج الفردوسي مانظمه الدقيقي[8] في الشاهنامة ، إجابة لرجاء الدقيقي في الرؤيا[9] إلا أن هذا لايمنع أن يكون الفضل الأكبر للفردوسي ، الذي نظم الشاهنامة في ستين ألف من الأبيات ».

وتفصيل الموقف بين الشاعرين : الدقيقي والفردوسي ، جدير بأن يروى .. وقد ذكره الفردوسي نفسه ، في مقدمة الشاهنامة بقوله : « فلما قرئت هذه القصص على الناس — عن الغابرين من الملوك والأبطال — أعارها الدنيا سمعها وقلبها ، وأولع بها العقلاء والحكماء .. حتى ظهر فتى فصيح اللسان ، حسن البيان ، ذكي الفؤاد ، فقال : سأنظم هذا الكتاب ، ففرح الناس به أي فرح .. ثم انقلب به جده ، فقتله أحد عبيده بعد أن نظم ألف بيت عن (كُشْتاسِبْ) و (أرْجاسبْ) ، ثم انتهى عمره ، فذهب والكتاب لم ينظم » .

« وسألت أناساً لايحصيهم العدّ ، وأنا أوجس خيفة من غير الزمان ، وأخشى ألا تمتد بي الحياة ، فأتركه لغيري » يقول الفردوسي : وكان في المدينة صديق لي ، كأني وإياه نفس واحدة ، فقال : لقد هُديت ، وسارت قدمك في سبيل السداد .. أنا كفيل بهذا الكتاب « الفهلوى » ، فلعلك لاتنام عنه » . فلما أحضر هذا الكتاب[10] » أضاءت روحي المظلمة الجناب » ويسترسل الفردوسي بعد ذلك ، قائلاً : « لما ظفرت بهذا الكتاب ، أتيح لي أحد الكبراء : فتى من ذرية الأبطال » عاقل حازم ذكي ، سديد الرأي ، شديد الحياء ، فصيح المنطق حلو الحديث . قال : « ماذا أفعل ليفرغ بالك للنظم ؟ سأواسيك بما تملك يداي ، ولا أقضي إلى أحد بحاجتك فلبثت في كنفه كالتفاحة الغضة ، يحاذر أن يمسني من الرياح ضر » يقول الدكتور عزام : « فهذا برهان على أن الفردوسي نظم من كتاب (أخبار الملوك) الذي بدأ الدقيقي نظمه » بل اعتمد الفردوسي أيضاً على غير الدقيقي ، إذ يقول الفردوسي في موضع آخر من الشاهنامة : « ختمت هذه الحرب — حرب كاموس أيضاً ، وما سقط منها — على طولها — قطمير .. ولوضاع من هذه القصة كلمة واحدة ، لقام عليها بنفسي مأتم ! » .

وقد أمضى الفردوسي خمساً وثلاثين سنة في نظم الشاهنامة وانتهى منها عام ٤٠٠هـ .

وبعد ، إن الأدب العربي الحديث مدين حقاً للدكتور عبد الوهاب عزام بهذا الجهد والفضل الكبير ، في إظهار شاهنامة الفردوسي إلى حيز الوجود مرة ثانية ، وهي أكثر تكاملاً وتحقيقاً وتفسيراً ، بعد أن قبعت في الظل ترجمتها العربية (البندارية) ، لعدة قرون ، لايكاد يعرف أحد عنها شيئاً . رحم الله الدكتور عزام رحمة واسعة ..

---

(٨) هو أبو منصور الدقيقي من شعراء القرن الرابع ، ومن الذين مدحوا السامانيين والصاغانيين وتوفي حوالي ٣٣٧هـ .

(٩) مقدمة الشاهنامة ص ٣٩ .

(١٠) كان كسرى أنو شروان ملك الفرس ، قد أمر أن تجمع شتات التواريخ المتناثرة في أنحاء أمبراطوريته ، وتثبت في كتاب ، وتم له ماأراد ، وعقب عليه في ذلك العمل الملوك الذين جاءوا بعده ، وبخاصة محمود بن سبكتكين الغزنوي (٩٩٨ — ١٠٣٠م) ، ومازال هذا العمل الكبير ينتظر من يخلده ، حتى صادفه في شخص : الفردوسي .

المجتمع السواحيلى أصوله ومجموعاته

بقلم الأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة

في شرق إفريقية إخوة لنا يؤمنون بالله ربا واحد، وبسيدنا محمد ﷺ نبيا ورسولاً، وبالقرآن الكريم إماما هادياً ونورا.

في تلك المنطقة في إفريقيا ـ كما في كثير من بقاع افريقيا المسلمة ـ يعيش هؤلاء المسلمون الذين يحكمهم التسامح وحب الجار، وخاصة الجار غير المسلم، ويتصفون بالكرم، هم في أغلبهم متصوفة. فمن هؤلاء القوم؟ وكيف انتشر الإسلام بينهم

أصول المجتمع السواحيلي:

إذا أردنا أن نتكلم عن أصول المجتمع السواحيلي فإننا ـ في الواقع ـ نتكلم عن أصول (البانتو) الذين اختلطوا مع العرب والإيرانيين والهنود المهاجرين إلى المنطقة، وكونوا هذا المجتمع الجديد المسمى بالمجتمع السواحيلي.

وقد اختلفت الآراء بشأن أصول (البانتو)، ولكن الرأى الأرجح أنهم نشأوا من اختلاط الزنوج بالحاميين[1].

ويمكننا أن نلخص التاريخ السلالى لهذا الإقليم[2] الذى يسكنه المجتمع السواحيلي على النحو التالي:

(١) يعتبر أجداد (البوشمن) أقدم جنس سكن هذا الإقليم.

(٢) وفدت إلى المنطقة هجرة حامية اختلطت بهم فنشأ عن هذا الاختلاط (جماعة الهوتنتوت).

(٣) تحرك أجداد البوشمن إلى الجنوب الغربي.

(٤) جاء إلى المنطقة زنوج البانتو (وهم الزنوج الذين يتكلمون لغة البانتو).

---

(١) أ. د. محمد عبدالغنى سعودى: افريقية ص ٣٠٥.

(٢) هى المنطقة الواقعة بين خطى الطول ٣٠، ٤٠ شرقا ومن خط عرض ٤ء٥ شمالا حتى خط العرض ـ ١٠ جنوبا وتضم دول كينيا وتنزانيا وأوغندا وبوروندى ورواندا وجنوب الصومال.



وهم ثلاثة أقسام :

أ ـ البانتو الشرقيون : ويضم هذا القسم جماعات « الجاندا » و« الباجندا » و« البانيورو » .

ب ـ البانتو الجنوبيون : مجموعتان كبيرتان في جنوب إفريقيا هما :

مجموعة « سوتو ـ شوانا » Suto - Chuana .

ومجموعة زولو ـ اكسوزا Zulu - Xhosa .

ج ـ بانتو الوسط والغرب الأوسط :

وهم يعيشون في المنطقة الممتدة من وسط (الكاميرون) حتى وسط (أنجولا) .

د ـ اختلط العرب بهؤلاء الزنوج البانتويين الشرقيين .

وقد نتج عن هذا الاختلاط « العرب السواحيليون » .

ليس المجتمع السواحيلي مجموعة واحدة ، ولكنه مجتمع متعدد المجموعات .

ومن أهم مجموعاته

١ ـ العرب السواحيليون والأفارقة ذوو الأصول العربية[٣] :

وهذه المجموعة تتكون من عدة فروع ، من أشهرها : (المزروعي ، وآل بوسعيد) وهم الذين وفدوا إلى المنطقة أثناء العصر العماني ، منذ القرن الثامن عشر الميلادي .

أما المجموعات السابقة للعصر العماني فمنها : آل شاتيري والمفازي .

ثم عدة قبائل كان لها تأثير إسلامي كبير ، وهم الأشراف (Washarifu) يقال : إنهم من سلالة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن بينهم سلالة الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما .

وقد أدت هذه العائلات دورا ملموسا في نشر الإسلام ، ومن بينهم : « آل حسين » و« آل جديد » و« باعلوي » و« وشاتيري » وغيرهم .

٢ ـ الشيرازيون :

وهذه التسمية نسبة إلى مدينة (شيراز) في إيران ، حيث وفدت إلى المنطقة هجرة فارسية مختلطة بالعرب ، استطاعوا تكوين إمارة على الساحل وبعض الجزر ، وحملت هذه الإمارة التأثيرات الآسيوية . ولكن الشيرازيين تخلوا بالتدرج عن ثقافتهم الآسيوية ، اصطبغوا بصبغة إفريقية عربية ، ومازالوا يحملون اسم « الشيرازيين » تمييزا لهم عن العرب السواحيليين .

نشأت هذه المجموعة ـ أصلا ـ على ساحل الصومال و« لامو » ، ثم امتدت إلى الجنوب ، ومنه إلى جزر « زنجبار » و« بمبا » حيث طرأ عليها بعض التغيير نتيجة لتأثير الثقافة الإسلامية والعربية ، وهم يشكلون الآن نسبة قليلة بين السواحيليين في المدن والقرى ؛ بل إن بعضهم ينسبون أنفسهم إلى العرب المهاجرين .

ومن أهم مجموعاتهم

١ ـ الخادميون « Wahadimu » :

وهم يسكنون القرى الواقعة على الساحل الشرقي من جزيرة (زنجبار) وأجزاء من المناطق

---

(٣) راجع في ذلك د. الراعد زرقانة : جغرافيا السلالات البشرية ص١٢٤ ، ١٢٥ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٥٧م .
د. يسرى الجوهري : إفريقيا الإسلامية ص١٠٩ دار المعارف ـ

(٤) راجع في ذلك : سبنسر ترمنجهام : الإسلام في شرق إفريقيا ص٧٣ : ص١٠٩ .

الوسطى وأقصى الشمال والجنوب من الجزيرة .

ب ـ التمباتيون ـ ، Watumbatu »

وهم يعيشون فى جزيرة « تمباتو » (جنوب بما) وفى جزيرة زنجبار .

ج ـ البمباويون ـ « Wapemba » :

وهم البانتو من سكان جزيرة « بمبا » .

٣ ـ السواحيليون الداخليون :

وهم يسكنون المناطق الداخلية ويعتنقون الإسلام ومن أشهرهم :

« البوكومو » pokomo ، ويعيشون على (نهر تانا) شمال شرق (كينيا) .

« الزارامــو Zaramo : وهــم خليــط من الشيرازيين والحاميين . وهم نحو ثلاثمائة أسرة ينتشرون فى مائة وثمانين قرية ، وقد شمل الإسلام معظم الزارامو .

٤ ـ الهنود : وهم يشكلون عنصرا هاما فى المنطقة وهم إما مسلمون ، أو (هنادكة) ، وينتمي المسلمون منهم إلى عدة مذاهب هى :

ا ـ الإثنا عشرية (الجعفرية أو الإمامية) .

ب ـ الإسماعيليون .

ج ـ المأمونيون (حنفيون) .

د ـ السنيون .

هـ ـ الأحمدية .

ومن هذا العرض للمجموعات التى يضمها المجتمع السواحيلى يتضح أنهم مجموعة من الناس تجمعهم ثقافة واحدة وهم فيما عدا الأحمدية ـ شكلتهم الهجرات الإسلامية المختلفة .

هذا وكلمة (سواحيلى) تستعمل كاصطلاح ثقافى للتعبير عن هؤلاء الذين انضموا تحت لواء حضارة الساحل .

ولعل الإجابة عن التساؤل الذى أثرناه فى بداية هذا المقال : من السواحيليون ؟ قد حملت فى طياتها إجابة أخرى عن : كيف انتشر الإسلام فى شرق إفريقيا ؟ إلا أن هناك وسائل أخرى ـ غير الهجرات ـ انتشر الإسلام عن طريقها ، نذكر منها :

أولا ـ الدعوة :

ودور الأزهــر فى هذا المجال واضح جلى ، فقد نزح إلى الأزهر طلاب العلم من شرق إفريقية والحبشة ، ينهلون من معينة الذى لا ينضب ، خُصِّصَت لهم الأروقة بالأزهر لإقامتهم والقيام على أمرهم ، وقد عاد هؤلاء الذين أتموا دراستهم إلى بلادهم ، حيث تولوا مناصب دينية رفيعة : كالقضاء والافتاء وعملوا على نشر الإسلام والثقافة الإسلاميــة بين مواطنيهم .

« ويسجل التاريخ وصول وفد من العلماء إلى الحبشة كان قوامهُ أربعة وأربعين داعيا عربيا وفدوا من (حضرموت) ونزلوا عند جبل بالقرب من مدينة « بربرة » أطلق عليه « جبل الأولياء » تخليدا لذكراهم حيث كانوا يجلسون هناك فى خلواتهم للعبادة ومن (بربرة) انتشروا فى بلاد (الصومال) داعين إلى الإسلام فى طول البلاد وعرضها »[5]

(5) R- F Burton: Firststepa in east Africa, pp. 76, 404 Longman, lavdon, 1856.



ثانيا ـ الطرق الصوفية :

وللطرق الصوفية فضل كبير في انتشار الإسلام انتشارا ملموسا ، حيث كانت هي الأسلوب الأكثر ملاءمة لانتشار الإسلام في إفريقيا ، ويشهد لذلك هذا العدد الكبير من الطرق الصوفية المنتشرة في شرق إفريقيا ، بل في القارة بشكل عام . ونذكر منها[6] : (الطريقة الرفاعية) في تنزانيا ، و(الطريقة الصالحية والسنوسية) في الصومال و(التيجانية) في الحبشة وشرق إفريقيا بصفة عامة ، و(الشاذلية) في جنوب تنزانيا ومناطق أخرى . ثم (الطريقة القادرية) وهي أقدمها وأوسعها انتشاراً .

ولسنا نشك فيما قدمت الصوفية بإفريقيا ـ شرقاً وغرباً ـ من خير : ـ ديناً وجهاداً ورداً لمطامع الاستعمار ـ . وكم نرجو أن يواجه أعلام الصوفية في إفريقيا الحبيبة دور الانتصار على النفس فينفضون قضاء مبرما على الخلافات الخطيرة فيما بينهم ، تلك الخلافات التي تلصق ظلما وعدوانا بالإسلام كاختلافهم الشديد في توقيت الصيام ، ونهي بعضهم عن الزواج من بعض الطوائف الصوفية الأخرى ، ورميها بالنقص في الدين .

كذلك ينبغي أن يتنهوا ما يقوم بين الأتباع من معالاة في شخص الخليفة لم يرضها رسول الله ﷺ لنفسه .

نسأل المولى ـ عز وجل ـ أن يهدينا سواء السبيل .

وبعد :

فلقد سجل التاريخ للعرب في شرق إفريقيا وجوداً نطيقاً ، حق لنا أن نباهي به ، ولم لا ؟ وهو تاريخ إسلامي ، يسعد الإفريقيون ويسبقون إلى روايته إخوانهم العرب .

---

(٦) د. أحمد عبدالله القيرة : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ـ ص١٥٦ .

بين المجلة والقراء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

بين يدى هذا الباب

تلقينا بمزيد من التقدير تعقيب الدكتور : عصام عزوز « المرصفى » ـ الحاصل على درجة الماجستير من كلية الطب وأحد أبناء قرية مرصفا ـ على سلسلة مقالات « الأزهر والمراصفة » التى نشرتها مجلة الأزهر ، وهو فى هذا التعقيب إنما يشكر المجلة على تجليتها لدور المراصفة فى الأزهر ، واهتمامها بهذه القرية التى أنجبت أجيالا من العلماء والأدباء وانتسب إليها عشرات من أعلام الفقه واللغة والحديث والتفسير والمعارف العامة .

ونحن بدورنا ننشر هذا التعقيب ونرى أن مجلة الأزهر إنما تقوم بدورها تجاه علماء الأزهر وقادة العمل الإسلامى ـ أياً كان موطنهم ـ إشادة بفضلهم ووفاءً لحقهم ، وترسيخاً لما كانوا ينشرونه من أفكار صالحة للاقتداء والتطبيق .

كما يضم هذا الباب كلمات عدة بأقلام القراء ، عن الأدب مع القرآن الكريم ، وأئمة الفقه والحديث النبوى ، وحسن المعاملة ، والفاروق عمر ، وغير ذلك من الكلمات ، حرصاً على تنويع الباب بنشر العديد من الأفكار والمعلومات والإبداعات التى يتلقاها عناية من المجلة باهتمامكم ومتابعتكم لمادتها ، غير أنه أمام كثرة الرسائل وقلة المساحة نضطر إلى تأجيل بعضها على أن تأخذ دورها مع الأعداد القادمة .

المحرر

نعم .. مرصفى مصنع العلماء

● تقع قرية « مرصفا » في الجنوب الشرقي من مدينة بنها عاصمة القليوبية ، وهي قرية أثرية قديمة ، إذ يرجع تاريخها إلى ما قبل الفتح الإسلامي لمصر ، بل قيل أن بها آثار تدل على أنها كانت عامرة قبل الإسلام ، حيث عثر بها على حجار كبيرة مخطوط عليها باللغة الهيروغليفية ، وبعد الفتح الإسلامي لمصر سكنت هذه القرية قبيلة عربية أطلقت عليها اسم (مرج الصفا) ، وهذا الاسم يتكون من كلمتين : كلمة (مَرْج) بسكون الراء ، وتعنى الأرض التي يكثر بها النخيل ، وكلمة (الصفا) وتعنى النقاء والطهارة والهدوء ، وهذا الاسم له دلالته على الموقع الجغرافي للقرية وما يمتاز به .. إلى أن خفف هذا الاسم وصار (مَرْصَفَا) .

من خصائص أهل مرصفا

– كان وجود (الأبَّارين) وهم الذين يقومون على خدمة النخيل وقطعه وتلقيحه وجزّه ، ولعل هذا يؤيد ما يقال عن اسمها « مرج الصفا » .

– يمتاز أبناء هذه القرية بأنهم يعتبرون القرية أسرة واحدة يتزاوجون ويتصاهرون فيما بينهم ، والقرية آمنة مطمئنة وأهلها أبعد الناس عن الكبائر والمحرمات .

– لما ضاق بالقرية أهلها نزح عدد كبير منهم طلبا للرزق والعلم ولم ينسوا خارج بلدهم لقب (المرصفي) معتزين بهذا اللقب مستبدلينه بأسماء أسرهم وأجدادهم ، وهم يعتبرون (المرصفية) أسرة واحدة جامعة ، وقد أنشأ أبناء مرصفا رابطة لهم بالقاهرة سجلت سنة ١٩٤٧ تحت رقم ٧١٥ بوزارة الشئون الاجتماعية .

– أيضا نزح من القرية قديما عدد من أهلها استقروا في بلاد أخرى قرية أطلقوا على أنفسهم (المرصفاوى) والمرصفي والمرصفاوى : كلاهما من قرية مرصفا .

– في مرصفا يتنافس الأهل في تعليم أولادهم في (الكتاب) أولا حتى يحفظوا القرآن الكريم ثم يخرجوا من القرية إلى الجامع الأزهر ليكملوا فيه تعليمهم ... ويجاز للبعض بالتدريس فيه .

– كان لقب (المرصفي) لا يطلق إلا على العلماء من أبناء هذه البلدة كأنه وسام يستحقه من يناله .. إلا أن هذا اللقب صار عاما .

لعل قرية « مرصفا » من أكثر القرى – في التاريخ – التي أنجبت من العلماء والأدباء ورجال الفكر والشريعة واللغة والأدب أكثر من غيرها ومن ثم أطلق عليها : (مصنع العلماء) و(بلد العلم والإيمان) . وقيل فيها : (لو كان العلم ينبع من الحيطان لنبع من حيطان مرصفا) ، ويكفى أنه في فترة من فترات تاريخنا الحديث شكل فيه المراصفة بأحرف من نور أسمى درجات العلم والأدب ، واعتلى المراصفة قمم العلم والدين :

وأخيرا وليس بآخر إذا كان نجم المراصفة قد لمع في فترة من الزمن ، فأننى أؤكد لكم بأن نجم المراصفة لم يفقل بعد .

دكتور : عصام عزوز (المرصفي)
أحد أبناء مرصفا

من أئمة الفقه والحديث النبوى

كتب الأستاذ : محمد إبراهيم الدمرداش هذه الكلمة عن الأئمة المجتهدين وعلماء الحديث :

أولا : أئمة المذاهب الأربعة فى الفقه .

١ ـ الإمام أبو حنيفة النعمان ، ولد فى الكوفة بالعراق عام ٨٠ هـ وتوفى ببغداد عام ١٥٠ هـ .

٢ ـ الإمام مالك بن أنس .. ولد عام ٩٣ هـ وتوفى بالمدينة عام ١٧٩ هـ .

٣ ـ الإمام الشافعى (محمد بن إدريس الشافعى) ولد بغزة بفلسطين عام ١٥٠ هـ وتوفى بمصر عام ٢٠٤ هـ .

الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ولد ببغداد عام ١٦٤ هـ وتوفى بها عام ٢٤١ هـ .

ثانيا : من أئمة الحديث النبوى :

١ ـ الإمام مالك بن أنس ، ومن آثاره الخالدة كتاب « الموطأ » وله شروح كثيرة ، وتتلمذ على يديه الإمام الشافعى .

٢ ـ الإمام أحمد بن حنبل ، ومن آثاره « المسند » وقد حققه الشيخ أحمد شاكر .

٣ ـ الإمام البخارى (١٩٤ ـ ٢٥٦ هـ) ولد ببخارى وتوفى بـ (خرتنك) إحدى قرى (سمرقند) وله مؤلفات كثيرة منها : صحيح البخارى ـ الأدب المفرد ـ التاريخ الكبير .

٤ ـ الإمام مسلم (٢٠٦ ـ ٢٦١ هـ) ولد بـ (نيسابور) إحدى مدن (خراسان) وتوفى بها ـ رحمه الله ـ وله صحيح مسلم وقد اعتنى به العلماء ، وله شروح كثيرة أهمها : شرح الإمام النووى ، ويسمى المنهاج .

٥ ـ الإمام أبو داود (٢٠٢ ـ ٢٧٥ هـ) ولد بـ (سجستان) ودفن بالبصرة بالعراق وله كتاب (السنن) .

٦ ـ الإمام الترمذى (٢٠٩ ـ ٢٧٩ هـ) ولد بـ (ترمذ) وله جامع الترمذى ، وهو الكتاب الذى أصبح به إماما فى الحديث النبوى وهو أشهر كتبه وأجلها .

٧ ـ الامام النسائى (٢١٥ هـ) ولد بمدينة (نساء) من بلاد (خراسان) وله كتب كثيرة منها : (السنن الكبرى والسنن الصغرى) .

٨ ـ الإمام ابن ماجة (٢٠٩ ـ ٢٧٣ هـ) ولد بمدينة (قزوين) وله كتاب مشهور هو (سنن ابن ماجة) .

حذار من رياء العبادة

وكتب الأستاذ شريف رشدى خليفة هذه الكلمة محذرا من عاقبة الرياء فى العبادة :

قيل فى معنى رياء العبادة : أن تعمل عملًا من مطلوبات الله عز وجل ـ وتشرك معه فيها غيره ، وعلى هذا فإن الذين يراءون الناس لا يخلصون عبادتهم ودينهم لله وقد ورد التحذير من مثل ذلك

في قوله تعالى : « فويل للمصلين الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » الماعون ٥، ٦، ٧ ، وفي الحديث الذي رواه أبوهريرة ـ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه » رياض الصالحين .

النجوم السارية والزوايا الثابتة

حقا ما أجمل إخلاص الصالحين الذين كانوا يسيحون في بلاد الله شرقا وغربا للتوعية الدينية ولسان حالهم يقول « لا نريد منكم جزاء ولا شكورا » فالزوايا التي بنوها تعتبر مراكز إشعاع ثقافية ودينية ففي رحابها كانوا يبينون للناس تعاليم دينهم فينتشر الحب والسلام لاجتماع الناس على محبة الله ورسوله ، وبإرشاداتهم كانت تتلاشى العصبيات والقبليات ويصبح الإسلام وطنا والمسلمون جميعا أهله ، فالصالحون في سماء الوطن الإسلامي كالنجوم السارية ، نورها يتخطى أهله ، ومن هؤلاء العارف بالله أحمد بن عمر الذي بنى زاوية بالقاهرة ، ثم بنى زاوية بدمشق ومن هؤلاء أيضا الشيخ : محمد الدمياطي تلميذ نورالدين الدمياطي صاحب الدمياطية .

فقد بنى أول مسجد في العريش منذ ٥٠٠ عام تقريبا بجوار قلعة العريش ، وفي عهد السلطان سليمان القانوني الذي بنى قلعة العريش ١٥٦٠م.

وسيم عبدالعليم عزب
شمال سيناء ـ العريش

لا يستويان مثلاً

قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ هود : ٢٤

إن التاريخ يعيد نفسه ، فلا زال فريق العمى والضلالة يعادي الإسلام وينطح برأسه الفارغة قلعته الصامدة ، هو لا ييأس ولا يمل من دعاويه الفارغة ومنطقه المعوج المتناقض مع أفكار الإسلام وتعاليمه .

إذ كيف يستوي الهدى مع الضلالة ، والعلم مع الجهالة ، والنور مع الظلمة ، أو كيف يتسنى للمسلم أن يستجيب لوعود الشيطان وقد حذره منه الرحمن « الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا » البقرة : ٢٦٨ .

نعمة عبدالدايم محمد صالح
القرايا ـ إسنا

هذا هو الفاروق

كتب الأستاذ : حمدي أحمد مراد ـ من إمبابة هذه الكلمة .

ـ ذات يوم أبصر عمر عجوزاً تحمل فوق رأسها حملاً ثقيلاً فتقدم منها وحمل عنها حملها .. وسار أمامها .. ثم ضحك ملء فيه ، وهو يسمعها تقول وهي لا تعرفه ..

أثابك الله الخير يابني .. والله إنك لأحق بالخلافة من عمر ..

ـ قال سالم بن عبدالله بن عمر :

سمعت رجلاً من الأنصار يقول : دعوت الله

أن يريني عمر في المنام فرأيته بعد عشر سنين .. وهو يمسح العرق عن جبينه ..!!

فقلت : يا أمير المؤمنين ما فعلت ؟!!!!

قال : الآن فرغت من الحساب .. ولولا رحمة ربي لهلكت !!

هذا هو عمر - رضي الله عنه - أحد ممن قال - تعالى - فيهم : « رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ »

(النور / ٣٧)

حسن المعاملة

قال الله تعالى

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ ﴾ سورة فصلت

يأمرنا الله تعالى بحسن المعاملة مع صنوف الخلق ، الصغير منهم والكبير فنكون ممن إذا أغضبهم أحد صبروا ، وإن جهل عليهم حلموا ، وإن أساء إليهم عفوا عنه ، وإن أذنب في حقهم ذنبا غفروه ، وأغضوا عن الهفوات وتجاوزوا عما صدر من الأخطاء ، فإن فعلوا ذلك صار العدو لهم صديقا ، والبعيد عنهم قريبا والمبغض لهم حبيبا ، حتى يصير كأنه ولي حميم ، ولا يقبل هذه الوصية ، ولا يعمل بها ، إلا من اتصف بالصبر ، وثبات القلب ، وقوة العزيمة ، لأنها من الأمور الشاقة على النفس ، التي لا يتحملها إلا من كان ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة .

عماد ميزار عبدالعظيم جابر
محافظة الفيوم - قرية الأعلام

شجرة الإخلاص

وكتبت القارئة / آمنة أحمد مكرم - بمعهد فتيات أسيوط الثانوي الأزهري - هذه الكلمة عن فضل الإخلاص وأهميته ، مشاركة منها في تحرير هذا الباب :

السنة شجرة والشهور فروعها ، والأيام أغصانها ، والساعات أوراقها ، والأنفاس ثمرها . فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرته طيبة ، ومن كانت في معصية فثمرته حنظل . وإنما يكون الجداد « أي قطف الثمر » يوم المعاد ، فعند الجداد يتبين حلو الثمار من مرها .

والإخلاص والتوحيد « شجرة » فروعها الأعمال وثمرها : طيب الحياة في الدنيا ، والنعيم المقيم في الآخرة .. وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك .

والشرك والكذب والرياء « شجرة » ثمرها : في الدنيا الخوف والهم والغم وضيق الصدر وظلمة القلب ، وثمرها في الآخرة الزقوم والعذاب المقيم . وقد ذكر الله هاتين الشجرتين في سورة إبراهيم في قوله تعالى : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار » .

الأدب مع القرآن الكريم

كتب الأستاذ/ محمد خيرى أبو ربيع - من يعقوب - البلينا - سوهاج - هذه الكلمة عن آداب التلاوة :

يؤمن المسلم بقدسية كلام الله - تبارك وتعالى - ، وشرفه وأفضليته على سائر الكلام وأن القرآن هو حبل الله المتين ، ولكن يزيد فى إيمان المسلم .

التأدب مع القرآن بالآداب التالية :-

أولا : أن يقرأه على طهارة ، واستقبال قبلة ، وأدب ووقار .

ثانياً :- أن يرتله ولايسرع فى تلاوته ، فلا يقرأه فى أقل من ثلاث ليالى ، لقوله ﴿ ﷺ ﴾ « من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث ليالى لم يفقهه » رواه أصحاب السنن وصححه الترمذى .

ثالثاً :- أن يلتزم الخشوع عند تلاوته ، وأن يبكى أو يتباكى إن لم يستطع البكاء . لقوله ﴿ ﷺ ﴾ : « اتلوا القرآن وابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا » متفق عليه ..

رابعاً :- أن يحسن صوته به ، لقوله ﴿ ﷺ ﴾ « زينوا القرآن بأصواتكم » رواه احمد وابن ماجه والنسائى والحاكم وصححه .

خامساً : أن يجتهد فى أن يتصف بصفات أهله الذين هم أهل الله وخاصته ، وأن يتّسم بسماتهم ، كما قال عبدالله بن مسعود « رضى الله عنه » ينبغى لقارىء القرآن ان يُعرف بليله إذ الناس نائمون ، وبنهاره إذ الناس مفطرون ، وببكائه إذ الناس يضحكون ، وبورعه إذ الناس يخلطون ، وبصمته إذ الناس يخوضون ، وبخشوعه إذ الناس يختالون ، وبحزنه إذ الناس يفرحون ، وكما قال ذو النون المصرى :

منع القرآن بوعده ووعيده
مقل العيون بليلها لاتهجع
فهموا عن الملك العظيم كلامه
فهماً تذل له الرقاب وتخضع

على سبيل المثال !!

تلقت المجلة من الأستاذ الكاتب : محمد مصطفى الغمرى - المدير السابق لادارة شبرا الخيمة التعليمية - نسخة من مؤلفه القيم « الأفكار الحرة » ، ذلك الكتاب الذى قام بتأليفه منذ سنوات عدة ، وعالج فيه بالرأى المستنير جوانب مهمة من الفكر والحياة والمجتمع ، كذلك تلقت المجلة صورة الكاشف لعدد واحد من مجلة الأزهر على سبيل المثال ، ومما جاء فيه قوله :

« الجزء الحادى والعشرين من السنة الهجرية - السابعة والستين عدد ذى القعدة حافلا بالآيات البينات كدأب مجلة الأزهر الغراء ،

خصوصا ما نشرته عن : مضامين كلمة السيد رئيس الجمهورية فى الاحتفال بليلة القدر ، ففيها إيضاح لأولى النهى من أجل الدعوة الإسلامية ، وكذلك كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى الاحتفال بليلة القدر ـ ليلة القرآن ـ وإيجاز هذه الكلمة زادها جمالا وجلالا ، كما نتوقف عند كلمة فضيلة الدكتور على أحمد الخطيب رئيس التحرير « أين التناقض ؟ » والعتاب فيها جاء بمحله ، والتذكير بحق العلم له أهميته ، وليت كل كاتب يعرف حق الكلمة عليه ويصون أمانته .

و « والحجاج والعمار وفد الله » ـ قبس من أنوار النبوة ـ عرضه فضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم عرضا نيرا ، وربطه ربطا قيمًا بالواقع فى ضوء الحديث النبوى .

و « ظاهرة التجاوز فى بناء الفكر » للدكتور عبدالله النجار أحسن فى عرض مظاهر التجاوز فى البناء الفكرى ، وفى التعامل مع الأفكار لا مع الأشخاص ، خصوصاً رَدُّه على الكاتب الذى زعم التناقض بين الدين والحياة ببيان مغالطاته ، وأخطائه الجسيمة ، وردُّه على زعمه الصراع بين النقل والعقل ، لأن زعمه فهم سقيم . وتعجبنى الإشارة إلى « أن عظمة الإسلام أنَّهُ لا يضيق ذرعاً بالمعاندين بل يشتد ويقوى إذا أثير أو اعتدى عليه » وتسير المجلة على هذا النحو الكريم ، وانتهى إلى هذا الحد خشية الإطالة .

من إبداعات القراء

فلسطين فى لسان أبنائها

للشاعر : هشام أبو عيشة(*)

لَيْلِى يصبح لَيْلَهْ — طالت يداه المجرمة
وطنى تأوه نخله — صارت بلادى مُعتمه
ليل تدفق سيله — فله الدُّنى مسلمة
ليل تكاثر خيله — والخيل ليست مسلمه

•••

باتت بقلبى العاطفة — وخيال شعرى غاضب
أحزان قلبى وارفه — والقلب أيضا عاتب
بينى وبينى واقفه — زوْغ بروحى ذائب
قالت دموعى الواكفه — أين الطريق الغائب

فالنار تعصف فى الرياح — والأرض تأكل من سقط
ردد معى حتى الصباح — هذى حروف والنقط
ردد معى حتى الصباح — الأرض تأكل من سقط

(*) مدرس بالتربية والتعليم

ردود وتعليقات

● القارىء : محمد إبراهيم الدمرداش ـ مجلس مدينة بركة السبع ـ منوفية .

نحن نخصص فى مجلة الأزهر بابا ثابتا عن أعلام الأزهر وفاء لحقهم وتقديرا لدورهم ، ونرحب بأية دراسة عن أحد هؤلاء الذين أثروا تاريخنا المعاصر بعلمهم وتآليفهم ومواقفهم ، متى استطاعت هذه الدراسة أن تحيط بتلك الشخصية وينبغى أن تكون شخصية أعلام الأزهر لها تآليف حتى يستفيد منها القارىء والدارس .

● القارىء : مسلم يحب السنة ـ كفر الدوار .

نشكركم على تحيتكم للأزهر وعلمائه ونتفق معكم فى أهمية الرجوع إليهم ، وأحقيتهم فى تصدر مجالس الافتاء ، علما بأننا لا نذكر أسماء أعداء الإسلام ـ عند الرد عليهم ـ حتى لا نمنحهم شرف ذكر الاسم فى مجلة الأزهر ، ويمكنكم الرجوع إلى مركز بيع كتب الأزهر بإدارة التوريدات خلف مدينة البعوث بالقاهرة للحصول على أجزاء فتاوى الإمام الأكبر ، والرجوع إلى فروع شركة صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات للحصول على شرائط الإمام الشعراوى .

● القارىء : يوسف حلمى ـ الشلاتون البحر الأحمر .

نشكركم على تحيتكم الرقيقة لأسرة تحرير المجلة ، ولعلم الشعر أوزان وبحور ينبغى الإلمام بها قبل نظم الشعر .

● القارىء : حاتم إبراهيم محمد سلامة ـ معهد منوف الدينى .

فيما يتعلق بفضيلة الإمام الأكبر الشيخ عبدالحليم محمود شيخ الأزهر السابق نود أن يتصدى للحديث عن شخصيته من أبنائه ومحبيه من يستطيع أن يسبر غورها ، ويفيد القارىء والتاريخ بها .

● القارىء : إبراهيم أبوسريع رشدى حسن ـ كلية أصول الدين بالقاهرة .

نأمل أن يتسنى لنا تزويدكم بهذه الكتب مستقبلا .

● القارىء : سيد حسن عطية الله ـ بنجيج حمادى .

فيما يتعلق بشيخ الإسلام الشيخ محمد مصطفى المراغى نقول فيه ما قلناه فى فضيلة الإمام الأكبر عبدالحليم محمود .

● القارىء : السيد مرسى البرعى ـ كلية أصول الدين بطنطا .

عسى أن تتاح لنا فرصة زيادة الكمية المطبوعة من المجلة فى وقت قريب ، وفيما يتعلق بكلمتكم عن الصيام فقد وصلت متأخرة عن مناسبتها .

● **بمشيئة الله ـ تعالى ـ يواصل الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعا .**

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين / عمر البسطويسي • مصطفى عبد المجيد

كلمة الإمام الأكبر فى ختام دورة الأئمة

فى ختام الدورة الثامنة والعشرين للأئمة والدعاة الوافدين من العالم الإسلامى وزع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف شهادات التقدير والتخرج لخمسة وعشرين داعية من : « غينيا كوناكرى وأثيوبيا وأرتريا والمالديف وألبانيا واستراليا » كما سلم كل منهم مكتبة إسلامية ، وقد ألقى فضيلته كلمة قال فيها :

« الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله :

السادة الحضور : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد :

فقد سعدنا بأن تكونوا طلاب علم فى رحاب الأزهر الشريف فى هذه الدورة التدريبية للأئمة والوعاظ ، وآمل أن تكونوا قد استفدتم وانتفعتم من محاضرات السادة الأساتذة الذين شاركوكم هذه الدورة زملاء كبار يقومون على نشر العلم والتعليم ، وآمل أيضاً أن تكونوا مع استيعابكم لما طرح عليكم من علم قد استفدتم من الحوار مع الأساتذة فيما غاب أو غمض عليكم ، وأن تعودوا إلى أوطانكم بعلم وفهم وفكر تنشرونه وتصححون به المعلومات لمواطنيكم ، عن القضايا التى تثار من حين لآخر ، فى وسائل الاعلام المختلفة لاسيما القضايا التى تخرج عن النطاق الصحيح فى الإسلام ، وآمل أن يكون كل ذلك قد كان ، وهذا هو العهد بكم وبالأساتذة الذين وكل إليهم مشاركتكم فى هذه المهمة ، ونحن العلماء ـ علماء المسلمين ـ فى كل مكان مطلوب منا أن تكون مع مواطنينا فى مساجدهم ، وفى مجتمعاتهم ، نبين لهم الرشد ، ونصحهم فى دينهم ودنياهم حتى تستقيم أمورهم ، أمور الأمة الإسلامية على دين الله ، وعلى كتاب الله ، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ سورة الأنعام

لم تدعوا إلى الأزهر الشريف لمجرد رياضة أو سفر أو تغيير موقع ، وإنما قدمتم لمهمة علمية ، ثم تعودون بحمد الله إلى أوطانكم تبلغون رسالة الله



فإن الرسول ﷺ عهد وقال : « **ألا هل بلغت اللهم فاشهد** » وهو قد أنابكم فى هذه المهمة فقال : « **بلغوا عنى ولو آية** » ، هذه المهمة هى مهمة عظيمة وشاقة فلابد أن يكون هناك تحمل لهذه المهمة وصبر فى أدائها حتى لا تخطئوا فى الإجابة فإن الرسول ﷺ حذرنا من الفتوى بغير علم فقال : « من أُفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه » .

أرجو أن تنصح لله وأن تنصح لرسول الله ، وأن تنصح للناس كما قال رسول الله ﷺ : « **الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** » .

والنصح لله كما تعلمون هو : العمل بكتابه وأوامره ، والنصح لرسول الله ﷺ هو : العمل بسنته وعقيدته وشريعته ، والنصح لأئمة المسلمين : أى لحكامهم ولعلمائهم بأن يبصروا بالحلال والحرام ، وبمهمتهم فى هذه الحياة فى توجيه الناس وضبط أمورهم ، وحسن معايشتهم وتوجيههم إلى طريق الصواب الذين يؤدون به حياتهم ، والنُصح لعامة المسلمين أن تقول لهم كلمة الدين الحقة ، كلمة القرآن ، كلمة رسول الله ﷺ وأن تبصرهم كذلك بما يحل وبما يحرم حتى تستقيم حياتنا على منهج الله سبحانه وعلى ما شرع .

كونوا أيها العلماء بين مواطنيكم هداة مهديين مهتدين حتى تصلح أمتنا ، أدْعو دائماً إلى التعايش بين طبقات الأمة مهما اختلفت ألوانها ولغاتها ومواطنها ، فإن الإسلام جمعنا على قبلة واحدة وعلى كتاب الله وحده ، وعلى سنة رسوله ﷺ ثم عرفنا الرسول أن الأمة كلها تشترك فى أسس الإسلام : « **بنى الإسلام على خمس** ... » إذا أقيمت هذه الخمس فى كل أوطان المسلمين هدى الله بها الأمة ، وزاد رزقها وكانت كما وصفها الرسول ﷺ : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

أقول لكم هذا : وأنصحكم وأنصح نفسى بالاستقامة على أمر الله وأرجو لكم عوداً حميداً إلى أوطانكم ، وأن تكونوا مأجورين إن شاء الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الإمام الأكبر وسفيرة الهند

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيدة السفيرة/أرونداتى غوز سفيرة الهند بالقاهرة ٨/٥/٩٥ .

وقد تناول اللقاء شكر السفيرة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وللأزهر الشريف على ما يقدمه من دعم وتأييد ونهوض بالعلاقات الثقافية والدينية للمسلمين فى الهند ، وطلبت من فضيلته أن يشكر شعب وحكومة مصر نيابة عنها لما وجدته من كرم ضيافة وحفاوة بين الأوساط الشعبية والرسمية فى مصر ، وقد أثنى فضيلته على جهود السيدة السفيرة فى استئناف العلاقات الثقافية والعلمية بين الأزهر والجامعات الهندية الإسلامية والعلمية حيث تم إيفاد عدد من الأساتذة هذا العام إلى جامعة (كيرالا) فى الهند .

الإمام الأكبر وسفير البوسنة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف السيد أفدبا حسن جادروفيتش القائم بالأعمال لسفارة جمهورية (البوسنة والهرسك) بالقاهرة، وقد تناول اللقاء حاجة شعب البوسنة المسلم للدعم الديني والتعليمي، وأعرب السيد القائم بالأعمال عن شكر وتقدير بلاده حكومة وشعباً للجهود الكبيرة التي يقدمها الأزهر الشريف لمساندة ودعم الشعب المسلم في (البوسنة والهرسك) في جهاده العادل أمام المعتدين الصرب.

اعتماد حركة الترقيات بالأزهر

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف حركة ترقيات ١٤ ألف، ٨٣٨ موظفاً بالأزهر الشريف.

شملت الحركة ترقية ٢٦٣ إلى الدرجة الأولى، ٤ آلاف و ١٠٩ للدرجة الثانية، ٧ آلاف و ١٩٦ للدرجة الثالثة، ١٥٥ للدرجة الرابعة، ٣ آلاف و ١١٥ للدرجة الخامسة.

كما اعتمد فضيلته حركة العلاوات التشجيعية للعاملين بالأزهر والتي يستفيد منها ١٠٧٣٠ موظف وتشمل الكادر التخصصي والفني والكتابي والعمالي.

الإمام الأكبر ووفد الفاتيكان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف الكاردينال فرنسيس أرنيز رئيس مجلس الأساقفة للحوار الديني بالفاتيكان، وبصحبته معالي سفير الفاتيكان بالقاهرة والوفد المرافق.

وقد شمل اللقاء بحث أوجه التعاون بين الأزهر الشريف والفاتيكان في الأمور المشتركة التي تسهم في تأصيل روح التعاون والأخوة الإنسانية بين البشر جميعاً.

وقد حث فضيلة الإمام الأكبر في لقائه بالوفد جميع زعماء ورؤساء العالم وفي مقدمتهم القيادات الدينية على تكثيف جهودهم لوقف نزيف المذابح التي يشهدها عالمنا المعاصر في أنحاء العالم، والعمل على نشر المحبة والإخاء بين البشر جميعاً حتى ترتفع راية السلام على ربوع العالم أجمع، كما وافق فضيلته على تمثيل الأزهر في لقاء الفاتيكان الذي سيعقد في ٢٣ يونيو القادم تمهيداً للتنسيق والتشاور قبل انعقاد مؤتمر بكين الذي ستنظمه الأمم المتحدة حول وضع المرأة ومكانتها في العالم.

الإمام الأكبر ومدير منظمة اليونسيف

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف السيد/محمد باقر نيازى مدير (منظمة اليونسيف) بالقاهرة والوفد المرافق له ، وتم فى اللقاء بحث دور الأزهر الشريف فى توعية المسلمين بأمور دينهم ، وأهمية دور الأزهر وعلمائه فى التوعية بالنظافة وترشيد استخدام المياه والمحافظة على البيئة من التلوث من الناحية الدينية والسلوكية وأشاد مدير المنظمة بدور الأزهر وعلمائه لدى (منظمة الأمم المتحدة واليونسيف) وأثره على المسلمين حيث يتبنى الأزهر قضايا الأمومة والطفولة والأسرة ، وإعلان رأيه فيها ويصدر مطبوعات إسلامية حول هذه القضايا ، ويتم توزيعها على العالم مما سهل وضع الحلول المناسبة لها .

التعليم وحق المرأة فى الإسلام

أكد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف فى افتتاح المؤتمر الدولى الثانى لكلية طب بنات الأزهر : أن تعليم البنات كان ضرورة بهدف إعطائهن الفرصة كاملة فى التعليم والثقافة ، ولذلك انتشرت المعاهد الأزهرية الخاصة بالبنات فى جميع المراحل التعليمية فى كثير من القرى والمدن ، ويوجد بجامعة الأزهر فرع خاص للبنات ، ناقش المؤتمر أكثر من مائة بحث علمى .



الإمام الأكبر ومندوبى طهران

كما استقبل فضيلته الدكتور/جعفر شهيدى رئيس أقسام اللغة العربية فى جامعات طهران وبرفقته السيد القائم بالأعمال لسفارة إيران بالقاهرة .

وقد تناول اللقاء أوضاع العالم الإسلامى والاعتداءات التى يواجهها المسلمون وقد صرح فضيلة الإمام الأكبر : بأن على المسلمين فى كافة أنحاء العالم أن ينبذوا الخلافات فيما بينهم وأن يمتنعوا عن تصدير المذاهب حتى يكون للأمة الإسلامية موقفاً موحداً وثابتاً أمام الآخرين .

على هامش المؤتمر الخامس للجامعات الإسلامية

إعداد الشيخ : عمر البسطويسى

عقد بجامعة الأزهر الشريف «بمركز الاقتصاد الإسلامى» المؤتمر العام الخامس للجامعات الإسلامية الدورة الخامسة ، واستمرت لأربعة أيام اعتباراً من يوم الأربعاء ٢٦ من ذى القعدة ١٤١٥هـ الموافق ٢٦ من أبريل ١٩٩٥م وشارك فيه رؤساء وممثلون عن (٧٠) سبعين جامعة وكلية ومركز بحوث من مختلف دول العالم .

وشهد حفل الافتتاح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف، والدكتور عبد الله عبد المحسن التركى وزير الإرشاد والدعوة بالسعودية ورئيس رابطة الجامعات والدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر الشريف ونائب رئيس الرابطة ، وناقش المؤتمر التحديات التى تواجه التعليم فى المستقبل .

ودعا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر إلى ضرورة النهوض بمستوى التعليم فى الجامعات الإسلامية فى دول العالم المختلفة ، وأشار الدكتور عبدالله التركى رئيس الرابطة إلى أن هذا المؤتمر سيكون بداية لتنفيذ برنامج عمل طموح يضع كل الإمكانات فى خدمة الجامعات الإسلامية ويجعلها تتواكب مع متطلبات العصر .

وأعلن الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر الشريف ونائب رئيس الرابطة أن انعقاد هذا المؤتمر بالقاهرة يأتى تقديراً لدور مصر الإسلامى وحرصها على نشر الفكر الدينى الصحيح ودعمها للتعليم الإسلامى الهادف ، ودعا إلى العمل على توحيد الثقافة الإسلامية التى تدرس فى الجامعات .

وصرح الدكتور جعفر عبد السلام نائب رئيس جامعة الأزهر الشريف ومدير مركز الاقتصاد الإسلامى بالجامعة أن المؤتمر ناقش الاتفاقات العلمية والمالية بين الجامعات الأعضاء وسبل دعم التعاون العلمى بين الجامعات ، وقال : إن المؤتمر عقد بمناسبة مرور ٢٥ سنة على إنشاء الرابطة ، وشهده عدد كبير من كبار الباحثين ورؤساء الجامعات منهم : الدكتور حسين حامد حسان رئيس جامعة باكستان الإسلامية ، والدكتور أحمد العسال نائب رئيس الجامعة والدكتور عبد العزيز التويجرى مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم ، والشيخ يوسف الحجى رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت ، والدكتور إبراهيم صالح النعيم مدير جامعة قطر .

وقد نظمت أمانة المؤتمر برنامجاً ثقافياً وإسلامياً زار السادة الضيوف من خلاله : القلعة ، وبانوراما حرب أكتوبر المجيدة ، ومدينة السادس من أكتوبر ، وقد سبق افتتاح المؤتمر اجتماع المجلس التنفيذى



للرابطة لمناقشة برنامج العمل في الدورة القادمة والتصديق على الاتفاقيات المبرمة بين الجامعات الإسلامية والهيئات الأخرى ومتابعة توصيات الندوات العلمية التي نظمتها الرابطة في عدد من الأقطار العربية والإسلامية وترشيح الأعضاء الجدد بعد الإقبال الكبير من الجامعات العربية على الانضمام للرابطة والمشاركة في أنشطتها .

وقد شهد المؤتمر حواراً مفتوحاً بين رؤساء الجامعات الإسلامية والجامعات العامة من خلال ندوة علمية عن « الجامعات الإسلامية وتحديات القرن الحادى والعشرين » .

وفي ختام أعمال رابطة الجامعات الإسلامية السبت ٢٩ من ذى القعدة ١٤١٥هـ الموافق ٢٩ من أبريل ١٩٩٥م تمت الموافقة على نقل مقر الرابطة الدائم من المغرب إلى القاهرة ، وذلك بمركز الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر الشريف لحين الانتهاء من إقامة مبنى مستقل للرابطة ، كما تم انتخاب د/ عبد الله عبد المحسن التركي وزير الشئون والأوقاف بالسعودية رئيساً للرابطة للمرة الثانية ، وا . د/ عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر الشريف نائباً للرئيس ، والأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام نائب رئيس الجامعة أميناً عاماً للرابطة ، وتم انتخاب خمسة عشر عضواً بالمجلس التنفيذى للرابطة ، منها جامعات : الأزهر وعين شمس والزقازيق من مصر ، والإمام محمد بن سعود والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وأم القرى من السعودية والجامعة الإسلامية بأوغندا وموافقة **المجلس على قبول ٢٩ عضواً جديداً للرابطة طلبوا الانضمام إليها منها ١١ جامعة مصرية : طنطا** والزقازيق والأسكندرية وحلوان والمنيا وعين شمس وقناة السويس وأسيوط والمنوفية والمنصورة ، ومعهد الدراسات الإسلامية والعربية ، فضلاً عن جامعتى الأزهر والقاهرة سابقتى العضوية .

وكذلك ضم جامعات آل البيت بالأردن والدعوة الإسلامية بسلطنة عمان ، والجامعة الإسلامية بأندونيسيا وأبو بكر بباكستان .

وبذلك يصل عدد أعضاء الرابطة إلى ٧٨ عضواً وقد وافق المؤتمر على تعديل نظام الرابطة بحيث يكفل تيسير اشتراك الجامعات والهيئات ومراكز الأبحاث بالدول الإسلامية في الرابطة وإعطاء فرصة للقيادات التي قادت الرابطة للاستمرار في موقع القيادة .

كما وافق المجلس التنفيذى للرابطة على عمل اتفاقيتين ثقافيتين وعلميتين بين الرابطة وكل من جامعة الأزهر الشريف ومنظمة اليونسكو ، كما وافق على تخصيص ميزانية كبيرة لأبناء الأقليات الإسلامية في العالم خاصة أبناء القوقاز وتشجيع التأليف في المناهج الإسلامية .

والجدير بالذكر أن فضيلة الإمام الأكبر ورؤساء الجامعات الإسلامية السبعين المشاركين في المؤتمر أدوا صلاة الجمعة بالجامع الأزهر ، وألقى خطبة الجمعة فضيلة الشيخ إسماعيل صادق العدوى إمام الجامع الأزهر الشريف وأكد في خطبته أن المؤتمر الذى يعقد في رحاب جامعة الأزهر عليه واجب كبير في وحدة مناهجه العلمية والعملية ؛ لبناء مستقبل هذه الأمة متفقاً مع كتاب الله والسنة النبوية المطهرة .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدي عبد الحميد بشير

القاهـــرة

مؤخراً من قضية (القدس) حيث قال سيادته في تصريحات (صحيفة للأهرام): إن استخدام تصريحات صحفية للأهرام: إن استخـــدام الولايات المتحدة لحق النقض لمنع مجلس الأمن من إصدار بيان يدين الممارسات الإسرائيلية العدوانية الاستفزازية أمر غير مبرر ولامقبول، وأن الاستيلاء بطريق المصادرة ونزع الملكية لأكثر من ١٤٠ هكتار من أراضي القدس الشرقية بحجة إقامة مستوطنات لليهود عليها هو فرض لسياسة الأمر الواقع الذي يهدف إلى تهويد القدس العربية وجعلها عاصمة لإسرائيل وأضاف سيادته: أن ذلك المسلك المتطرف خلق شعوراً عربياً وإسلامياً أكثر حدة وأشد احتداماً خصوصاً وأنه جاء بعد فترة قصيرة من الموقف الأمريكي في مؤتمر معاهدة حظر الانتشار النووي الذي استثنى إسرائيل من الانضمام للمعاهدة، والجدير بالذكر أن هناك اقتراح بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس، قدمه زعيم الأغلبيـــة الجمهوريـــة بالكونجرس، والمعروف أن أمريكا استخدمت الفيتو سبعين مرة وكان ثلث هذا العدد من المرات في خدمة أهداف صهيونية يهودية مما يسمح لإسرائيل أن تضرب عرض الحائط بكل القوانين والمواثيق والأعراف وهو مايؤكد سياسة النظام العالمي الجديد القائمة على المحاباة والكيل بمكيالين

جامعة الأزهر

بدأ السبت ٢٠ من ذي الحجة ولمدة ثلاثة أيام بمركز الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر المؤتمر الدولي الأول الذي عقد تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية لمناقشة ور البحث العلمي في الجامعات المصرية في خدمة قضايا التنمية والبيئة وناقش المجتمعون عدة أبحاث لخدمة قضايا الصناعة والإنتاج الزراعي والتنمية الاجتماعية والإدارة والاقتصاد والصحة.

وعقدت على هامش المؤتمر ندوات ترأسها الوزراء ورؤساء الجامعات والشخصيات العامة وذوو الخبرة في المجالات المتخصصة. صرح بذلك رئيس جامعة الأزهر ورئيس المؤتمر.

الشيشـــان

تستمر القوات الروسية الغاشمة في حربها البربرية ضد الشيشان المسلمين في جنوب الجمهورية الصامدة وفي الوقت الذي نفى فيه متحدث باسم أبطال الشيشان مزاعم القادة

الروس بالاستيلاء على قرية « شريورد » . اعترفت القوات الروسية بأنها تواجه مقاومة شرسة من جانب المقاتلين الشيشان فى المعارك الجارية جنوب شرق « جروزنى » .

تل أبيب

نشرت صحيفة الديلى تليجراف البريطانية المعروفة تقريراً مفاده أن تل أبيب فى طريقها الآن لأن تصبح أكبر بيت للدعارة فى الشرق الأوسط ونقلت الصحيفة عن أحد أعضاء بلدية تل أبيب قوله: إنه لايكاد يوجد شارع فى هذه المدينة لاتسيطر عليه العاهرات والسبب كما يؤكد هو وصول مئات الآلاف من اليهود الروس إلى إسرائيل وهم اليهود الذين لايستطيعون العثور على أعمال لهم مما دفع العديد من النساء إلى الاتجار بالدعارة وبيع العرض لأجل البقاء .

تركمانستان

يقوم الرئيس التركمانستانى صابر مراد نيازوف بزيارة لمصر فى الفترة من ٢٢ إلى ٢٥ من ذى الحجة سنة ١٤١٥هـ وتتركز محادثاته مع الرئيس حسنى مبارك حول سبل تنشيط التعاون بين البلدين فى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والقضايا الدولية محل الاهتمام المشترك وقد رحب وزير الخارجية بضيف مصر الكبير وصرح أنه سيتم توقيع إتفاقيات التعاون الاقتصادى والتجارى والثقافى فى إطار حرص مصر على دعم علاقاتها مع دول الكومنولث الجديد .

فى عيد الاعلاميين

وافق الرئيس حسنى مبارك على الوثيقة الخاصة بالبدء فى تصنيع أول قمر صناعى مصرى يسمى « NILE SAT » .

وصرح السيد وزير الإعلام بأنه يجرى وضع النقاط الأخيرة للمشروع الإعلامى الكبير الذى يشمل إطلاق القمر الوليد فى الربع الأول من عام ١٩٩٧م ، إلى جانب إقامة قمر صناعى احتياطى وبناء محطتين فضائيتين فى كل من القاهرة والأسكندرية ، جاء ذلك فى مؤتمر صحفى عقده سيادته قبل توجهه إلى دمشق لرياسة وفد مصر لاجتماعات المؤتمر الثالث لوزراء إعلام الدول الإسلامية الذى تقدم مصر فيه بورقة عمل للنهوض بالمستوى الإعلامى للدول الإسلامية .

ومن أهم ماتحويه هذه الورقة المشروع الإعلامى الكبير المسمى « إسلام ـ فزيون » وهى جريدة إسلامية عالمية مصورة تواكب الأحداث الجارية .

البوسنة والهرسك

دعا الرئيس البسنى على عزت بيجوفيتش مجدداً إلى رفع حظر السلاح المفروض على بلاده . كما كرر دعوته للصرب للاعتراف بالبوسنة لاستتباب الأمن فى كل شبه جزيرة البلقان . يأتى ذلك فى الوقت الذى دعا فيه زعيم صرب البوسنه الرئيس الصربى إلى عدم الإذعان للضغوط الدولية من أجل الاعتراف بالبوسنه وكرواتيا مصراً على رفض الصرب لذلك الأمر .

Selon Huzayla -- qu'Allah.soit satisfait de lui-le prophète (B.S.) a dit: "Rien n'ait plus agréable à Allah que de voir Son serviteur prosterné, le visage collé au sol".

Selon Abou Feras Raby'a Ibn Ka'b El Aslamy qu'Allah soit satisfait de lui-le serviteur du Messager d'Allah (B.S.) et l'un des vertueux a dit: "J'ai passé la nuit avec le Messager d'Allah (B.S.), je lui apportais de quoi faire ses ablutions et ce dont-il avait besoin. Il m'a dit une fois: "demande-moi une chose"; j'ai dit: "Je veux être ton compagnon au Paradis"; il demanda! "y a-t-il autre chose?" j'ai répondu: "Rien que cela" Fais» donc un effort dit-il pour m'aider en cela: multipliez les prosternations".

Le Messager d'Allah (B.S.) disait en se prosternant: "Ô Allah, c'est pour Toi que je me prosterne, c'est en Toi que je crois, à Toi que je me soumets. Mon visage se prosterne pour Celui qui l'a créé, l'a formé et m'a octroyé la vue et l'ouie. Gloire à Allah, le plus Parfait des créateurs.

«Ô Allah, nous cherchons refuge auprès de Toi contre l'infinité et la paresse, l'avarice et la vieillesse, et le supplice de la tombe. Ô Allah donne à nos âmes la piété et purifie-les. Tu es le meilleur purificateur. Tu es mon Seigneur et Maitre.

Ô Allah, nous cherchons refuge auprès de Toi contre un savoir inutile, un coeur qui ne s'humilie pas une âme insatiable et une invocation qui ne soit pas exaucée.

«Ô Seigneur, fais que nous nous contentions du gain licite, plutôt que de rechercher ce qui est illicite. Fais que Toi et personne d'autre, nous épargne le besoin. Nous Te demandons -- Ô Allah — de nous faire mériter Ta miséricorde et Ton pardon, de nous sauver de tous les péchés, de gagner la récompense de toute bonne action afin de mériter le paradis et d'échapper à l'enfer".

dis que son front et son nez touchent le sol et que nul autre qu'Allah ne l'entend. La prosternation a été mentionnée dans le Saint Coran pour exprimer la soumission absolue de toutes les créatures devant Allah, Celui qui les a créées.

Quand le croyant se prosterne en pleine nuit humblement en pleurant tout en ayant le coeur en état de soumission, il ressent la beauté de la foi et la tranquillité du coeur; alors ses soucis et ses peines disparaissent et son coeur s'apaise.

La prosternation de celui qui est soumis humblement à Allah, l'Unique, le Dominateur, est mentionnée dans le Coran dans la parole du Tout-Puissant "Voilà ceux que Allah" a comblés, parmi les prophetes, parmi les descendants d'Adam, et aussi parmi ceux que Nous avons portés en compagnie de Noé et dans la descendance d'Abraham et d'Israël, et parmi ceux aussi que Nous avons guidés et choisis quand les versets du Très Miséricordieux leur sont récités, ils tombent prosternés et pleurent".

Ma'dân Ibn Abou Talha — qu'Allah soit satisfait de lui — a dit: "J'ai rencontré Sowbane, l'affranchi du Messager d'Allah (B.S.) et je lui ai dit: "Enseigne-moi un acte qui me fasse entrer au Paradis, ou les actes qu'Allah aime le plus, comme il ne répondit pas, je renouvelai ma question, alors il se tut; je reposai ma question pour la troisième fois, alors il dit: "J'ai posé la même question au prophète (B.S.) et il m'a dit: "Je vous recommande de multiplier les prosternations, car à chaque fois que tu tombes prosterné devant Allah, Allah t'élève d'un degré et efface un de tes péchés.

Selon Ibada El Çani — qu'Allah soit satisfait de lui-il a entendu le prophète (B.S.) dire: "Tout serviteur qui se prosterne devant Allah, Allah lui compte à chaque prosternation une action louable, lui efface une de ses fautes, et l'élève d'un degré. Multipliez donc les prosternations.

«Si tu veux te rapprocher d'Allah prosterne-toi»

par Islam Abdel Raouf Mohammad

Quand l'être humain tombe prosterné devant Allah l'Unique, le Dominateur sur la terre d'où il a été créé, à laquelle il retournera et d'où il sera réssucité. L'être humain prosterné, tout en ayant l'ouie, la vue et le coeur dans un état de parfait recueillement, atteint de servitude devant Allah. Or lorsque l'être humain atteint de servitude devant Allah, il est donc arrivé à l'apogée de la foi. Or, dans l'apogée de la foi, le serviteur est aussi proche que possible d'Allah Seigneur des mondes.

L'être humain prosterné, est plein d'humilité et d'espoir dans ses louanges et ses implorations adresséesà Allah. A ce moment, il jouit d'un entretien confidentiel avec son Seigneur, où il murmure doucement tan-



Notons toutefois que si certains compagnons du Prophète (b.s.) sont morts en s'affrontant tels que Talha et Az-Zoubaïr, il ne faut pas voir dans cette confrontaion une division comme certaines versions tendent à vouloir l'affirmer. Ils agissaient toujours en une de sauvegarder la sécurité et l'unité des musulmans. Ils voulaient préserver l'Islam de toute modification. Il ne faut pas douter de la bonne foi des compagnons du Prophète (b.s.) à qui Allah à déjà accordé Son pardon et Sa satisfaction. Gare à celui qui réduit le mérite de l'un d'entre eux ou qui met en doute la foi des uns à l'encontre des autres. Celui qui ose insulter Ali pour défendre Aïcha, cette dernière se dressera contre lui le jour du jugement dernier. Le messager d'Allah (b.s.) a dit : "La meilleure des époques, c'est la mienne, puis celle qui viendra après, puis celle qui viendra après'" Hadith rapporté par Al-Bokhary. Il a dit également : "Craignez Allah en mes campagnons, ne les prenez pas pour cibles après moi" rapporté par Al-Tirmizi. Il a dit aussi : " N'insultez pas mes compagnons ! Je jure par Celui qui détient mon âme entre ses mains, que si l'un d'entre vous dépensait l'équivalent de la montagne d'Ohod en or, il ne saurait atteindre le poids de ce que peuvent contenir les deux mains de l'un d'entre eux ou de la moitié de cette quantité" rapporté par Al-Bokhary et Moslim. Cette image sert à souligner la valeur morale et le mérite de ces compagnons.

Talha est mort en martyr comme le Prophète. (b.s.) l'avait prédit. Nous implorons Allah, le Tout Puissant, d'accorder à Talha toutes les bénédictions, la réalisation de la prédiction du Prophète (b.s.) et le voisinage du Prophète (b.s.) au paradis. Le Prophète (b.s.) n'a - t - il pas dit : "Talha et Az-Zoubaïr seront mes deux voisins au paradis." Qu'Allah te comble, Ô Talha, de son approbation dans l'au-delà, pour tout le bien que tu fis dans ta vie.



Les jours s'écoulèrent et Othman fut nommé calife; puis l'insurrectin eut lieu. Talha se rangea du côté des opposants d'Othman et les appuya dans leur demande pour le changement et la réforme. Talha crut que le malentendu se dissiperait. Or, Médine se réveilla un jour sur l'assassinat de Othman (a.s.l.). Lorsque Talha apprit le crime, il éprouva un grand remords à cause de son attitude envers Othamn - (a.s.l.) Dès qu'il eut donné son serment d'allégeance à l'Iman Ali, à Médine, ils prirent congé, lui et Az-Zoubaïr, afin de partir pour la Mecque faire la visite pieuse. De la Mecque, ils emmenèrent avec eux Aïsha (a.s.e.) l'épouse du Prophète (b.s.), et se dirigèrent à Bassorah où se rassembla une foule qui cherchait à venger Otman (a.s.l.) or, Ali se trouva dans une situation critique. En tant que calife des musulmans, il ne pouvait être tolérant envers n'importe quelle rebellion contre l'Etat islamique .. Toutefois, en voulant écraser une rebellion de ce genre, il devait affronter ses fères, ss amis, ses compagnons et les adeptes de sa religion. Pour trouver une solution à ce dilemme, il se dirigea vers Bassarah. Quand il arriva, il fit appeler Talha et Az-Zoubaïr. Lorsque ces derniers furent tout près de lui, il dit à Talha : "Ô Talha, as-tu amené l'épouse du messager d'Allah pour combattre, alors que tu as caché la tienne à la maison?" Talha reconnut vite son erreur et se retira du combat; mais il paya sa vie pour prix de cette vérité. Un homme appelé Marwan Ibn Al-Hakam le suivit et lui lança une flèche qui le tua. En mourant Talha dit : "Ô Allah! prends aujourd'hui de ma vie pour donner le compte de Othman jusqu'à ce que tu sois satisfait." Lorsque Ali passa en revue les martyrs de la bataille, il se tînt immobile devant le corps de Talha; il pleura et dit: "Ô Abou Mohammad (le surnom de Talha) je suis trop chagriné de te voir mort sous ce ciel. Je ne me plains qu'à Toi Ô Allah." Il pleura ses amis et dit : "J'espère qu'Allah me ressuscitera avec Othman, Talha et Az-Zoubaïr, parmi ceux qu'Allah a ainsi décrits (nous enlèverons toute rancune de leurs poitrines, sous eux coulerons les rivières) Sourate Al-Araf le sens du verset 43. Ali pria pour tous les martyrs, ceux qui étaient avec lui et ceux qui étaient contre lui.



Le jour de Ohod, Talha était préoccupé à défendre le prophète (b.s.) Lorsque le cours de la bataille tourna en faveur des polythéistes, le Prophète (b.s.) fut blessé et tomba dans un fossé. Talha porta le prophète (b.s.) sur son dos et l'emmena à l'abri d'un rocher. Le Prophète lui dit alors : "Talha l'a mérité" (le paradis). Abou Bakr As-Seddik a raconté : "j'étais le premier à venir vers le Prophète b.s. - ; il me dit ainsi qu'à Abou Oubaïda Ibn Al Garrah. : "occupez-vous de votre frère." Nous regardâmes et nous vîmes Talha atteint de 70 blessures causées par les coups des lances et d'épées même son doigt était coupé. Nous prîmes soin de lui et l'emportâmes à Médine."

Lorsque le seigneur révéla dans la sourrate "Les Coalisés" : (Il est, parmi les croyants, des hommes qui ont été sincères dans leur engagement envers Allah. Certains d'entre eux ont atteint leur but, et d'autres attendent encore et ils n'ont pas changé leur engagement) le sens du verset 23, un bédouin vint et demanda au Prophète (b.s.) "Qui est celui qui a atteint son but ?" Le Prophète (b.s.) se détourna et ne voulut pas répondre. Le bédouin lui répéta la question et, à la troisième fois, comme Talha entrait dans la mosquée, le Prophète (b.s.) dit : "Voilà ! celui là qui a atteint son but."

Talha était riche et fortuné. Son épouse Sou'da Bint 'Owf a dit : "Une fois j'ai vu mon mari en pleurs; je lui demandai : "Qu'as-tu?" Il me répondit : "Cette fortune que je possède est devenue tellement grande qu'elle m'a causé des soucis". Je lui dis : "Partage-la avec les gens." Il sortit et distribua tout l'argent aux gens, sans garder aucun dirham.

Une autre fois, il vendit un terrain à un prix très élevé; il regarda l'amas d'argent et dit, les larmes aux yeux : "Un homme qui garde cet argent chez lui ne sachant ce qu'il adviendra, est un vaniteux qui se trompe de la vie terrestre." Puis il sortit avec ses compagnons, distribua l'argent et rentra chez lui, sans le moindre dirham. Le messager d'Allah (b.s.) l'avait surnommé "Talha de la bienfaisance", "Talha de la générosité", "Talha de la dépense", en vertu de sa générosité sans limites.

TALHA IBN AUBAIDALLAH QU'ALLAH SOIT SASTIFAIT DE LUI LE MARTYR VIVANT L'HOMME QUI MIRITA LE GRADE DU MARTYR EN ETANT VIVANT

par Hoda Hussein Chaâraoui

Le messager d'Allah (b.s.) dit un jour en désignant Talha : "Celui qui aime voir un martyr marcher sur la terre, qu'il regarde Talha." Rapporté par Ibn Magah. Talha était l'un des premiers à embrasser l'Islam et parmi les dix à qui le messager a annoncé le paradis, et parmi les six membres du conseil auquel Omar a confié de choisir le calife qui allait le succéder.

Talha s'est converti à l'Islam - grâce à Abou Bakr - à l'âge de 21 ans. Il appartenait à la tribu de Taîm celle d'Abou Bakr, c'est pour cela qu'il fut torturé avec lui. Un membre de leur tribu les attacha ensemble pour les empêcher d'accomplir leur prière; mais Allah les libéra et ils se levèrent pour la prière.

Dans tous les combats et les expéditions, Talha était aux premiers rangs, désirant gagner l'approbation d'Allah et luttant pour Sa cause. Talha émigra à Médine quand les musulmans reçurent l'ordre de le faire, puis il prit part à tous les combats avec le messager d'Allah (b.s.) à l'exception de l'expédition de Badr, car le messager l'avait envoyé dans une mission en dehors de Médine avec Saïd Ibn Zaïd. Une fois la mission accomplie, ils retournèrent à Médine et épruvèrent une grande peine parce qu'ils n'avaient pas combattu aux côté du messager d'Allah (b.s.) dans sa première expédition. Mais le Prophète (b.s.) les tranquillisa quand il leur garantit qu'ils auraient une récompense égale à celle des combattants; il leur donna même leur part du butin comme à ceux qui avaient combattu.

REVUE AL-AZHAR

Vol. 68 Part I

El-Moharam 1416 Higrah

Section Française

We all, as Muslims, must feel the ailments of the African horn and share with the African people their misery and their tragedy. We are no more in need for glittering promises that are actually hard to be fulfilled. Muslims must address the problems of the African continent and consider them their primary priority. They should resort to a United action and collective efforts so as to eradicate poverty, starvation and hunger from the African continent.

We here call upon the United Nations as well to have a vigorous response to the misery of the African continent. We ask the United Nations to adopt a people-oriented policy that must be geared more towards improving the lives of the African people rather than the overall conditions of the continent. We also call upon the United Nations, as being the principle custodian of our global human security, to exert its utmost effforts to help in freeing the world from the scourages of war and poverty.

Finally, we as Muslims should never forget that our primary task is to be always ready to offer our help to our Muslim brethern allover the world, whether in the East or West, with no discrimination for Allah Almight says;

وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

"Help ye one another in righteousness and piety, but help ye not one another in sin and rancour: Fear Allah : For Allah is strict in punishment."

(Al Maidah, Verse 2)
(Yusuf Ali, P. 244)

In addition, we must always remember as well that we should be merciful to our brethern on earth so that Allah be merciful to us in heavens.

increasing numbers of refugees and immigrants, in the light of the current events that are taking place in Africa we can easily admit that Africa can now be considered one of the major sources of violence and oppression. In fact, natural vicissitudes in addition to political upheavals, ethnic problems, economic callapse and civil wars, have greatly affected many African people and have turned many of them into miserable frustrated refugees living in very bad conditions and are concentrated in a very limited number of the neighbouring countries.

Some reports have indicated that more than 30 million people in more than 20 countries in South Africa are threatened with death due to the widespread of diseases, epidemics, malnuturition, hunger, starvation and drought. These refugees have no identity or entity; they are not recognized by anyone and they are not offered any effective help. The reports have indicated as well that hundreds of thousands of the Euthiopian and Eritrian refugees, who most of them are Muslims, are facing death in east Sudan because of war or because of drought and malnuturition. Moreover, hundreds of thousand of refugees from South Sudan have immigrated to the north so as to flee the civil war there.

In short, it can be said that the African horn, which is set on fire and which is witnessing bloody violence, is extremely suffering from the overflow and influx of refugees especially from Somilia, Ugadin and Euthiopia. In other words, the refugees problem in Africa can be viewed as a clear manifestation of the worldwide failure to safeguard humanity and preserve human rights. It is a flagrant reality that underlines the downfall of human solidarity.

Thus, we here call upon all Muslims to join their hands and offer their help to their brethern in the African continent.

Commissiner for Refugees had offered great and grand services to the European refugees. It had established for them settlements and provided them with food, clothing, and health care. It had even helped many of them to migrate to the countries which opened their doors for migration such as U.S.A, Australia, and West Europe. These countries, at that time, had been in bad need for labourers.

In contrast to the European scene, in Africa no one had suffered from such a problem. But as time had passed, colonialism had come to an end in most of the African countries after it had usurped their natural wealth, destroyed their infrastructures and Spread insurrection among their people. It is only then that Africa began to suffer from different calamities and drastic disasters the consequence of which were huge waves of migration and huge numbers of refugees having nowhere to live. The most astonishing thing regarding this issue is that the wealthy western countries lingered and refrained from offereing any help to the African refugees similar to the help they had offered to the European refugees. On the contrary, they calmly witnessed the sufferings, the humiliation and the extreme poverty of the African, people without taking any decisive measures. For example, the United Nations has allocated only one third of its aid to the African refugees in spite of their increasingly huge numbers. In other words, we can say that the United Nations has failed the poor refugees in Africa. In addition, it may be worhwhile to pointout here that the problems of the refugees in the African horn are worsening and many other problem are outbursting causing mass gigantic destruction in many African countries such as Somailia.

It goes without saying that the downfall of peace and security in any part of the world means but only one thing;

The Issues of the Hour
The ailments of the African Continent

By Nahed Mohamed Wasfi Ph.D.

No one can deny that the refugees problems all-over the world is a human burden that we all should shoulder, whether Muslims or non Muslims. the miserable sad reality which we have to face is that mass migration and resorting to a new land in search for a new life and security is the last step which anyone may take when he feels that he is completely defeated because of natural vicissitudes, wars, or political choas.

In fact, the African continent is no exception to this rule. Since the 1960's, Africa had witnessed continuous waves of migration in search for a secure peaceful life. However, many of those immigrants may have died before they reached to a host land in which they could live in peace. Meanwhile, this host land may have failed to provide them with the needed means of accommodation, or earning aliving or even having the due health care.

The historical background of the refugees problems goes back to the Second World War. In the wake of this war huge numbers of refugees scattered all over the world in order to escape the scourges of war, namely hunger, starvation, poverty and finally mass destruction. In response to this tragedy the United Nations in 1951 Founded what is known by the High Commissioner for Refugees (UNHCR). It is noteworthy to say in this context that the United Nations High

Arberry (651) :

"No indeed; surely Man waxes insolent."

On the other hand, Arberry introduces the following verse with the causal conjunction 'for' which has no actual existence in the original, yet, it can be understood between lines.

Arberry (651) :

"for he thinks himself self-sufficient."

By this interpretation, Arberry believes that Man is rebellious because het hinks himself independent.

However, in order to avoid any misunderstanding in rendering the above verses, it is believed that one should not use any clear causative linkage as Arberry did, because it might change the meaning of the original text. Instead, it is better to use any ordinary particle of linkage such as 'that', as Pickthall's renders in verse 7 : "That he thinketh himself independent!". The following version could be suggested to render verses 6-7, Sura 96, as follows :

Suggested Version :

'Yes indeed, surely Man is rebellious that he thinks himself independent.'

"Yet, surely man is contumacious,
when he considers himself in no need."

The same attitude applies to Y. Ali's and Pickthall's versions where they add the coordinator 'but' to the negative particle 'Nay':

Y. Ali (1673):

6. Nay, but man doth Transgress all bounds,
7. In that he looketh Upon himself as self-sufficient.

Pickthall (813):

"6. Nay, but verily man is rebellious
7. That he thinketh himself independent!"

Perhaps their attitude is due to the fact that it is not clear whether Man believes himself to be independent as a result of his being rebellious, or it is vice versa.

However, looking up the meaning of /kallä/ in Ibn Khalaweih's exegesis, (1989: 153), we find that it means /nacam haqq-an/ (yes, indeed) and not 'yet' or 'but'. In addition, the particle /läm/ in /la-yatgä"/ is an affirmative particle which asserts the fact, as Al-Muntakhab (1986:917) states, that Man indeed is rebellious as he thinks himslef independent and self sufficient. Translators should not, therefore, add any of the conjunctions 'but' or 'yet'. The reason is that such additions may not only affect the comunicative meaning of the original, but may also give the opposite meaning, as clearly illustrated in Khatib's, Y. Ali's and Pickthall's versions.

As for Arberry, he overcomes this difficulty by only using the affirmative words 'indeed' and 'surely' which suit the meaning of verse 6.

meaning of the source message. Second, in comparing the various translations under study. Third, in giving an assessment of each translation and finally, in giving a suggested version, based on Khatib's translation.

Syntactic Evaluation of translating Coordination :

It is realized that quality assessment of translation mainly distinguishes between Syntax (or merely grammar) and semantics. Therefore, our judgement of the four tranlations in question in dealing with Coordination will first be focussed on the syntactic analysis which, together with the semantic analysis, leads ot the communicative value of the original text.

As mentioned above, syntactic evaluation of translation is mainly represented in formal and lexical aspects such as additions, repetitions and deletions of coordinators as well as changes in the conjoined structure.

Additin of Coordinators :

Translators may sometimes add a coordinator in the TL which does not actually exist in the SL text. The result is a change in both structure and meaning of the original. An example for illustration is :

كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾

Sura 96, Verses 6-7 : 166.

"Kallä? inna-l-insän-a la-yatgä in raä-hu-stagnä"

Translators adopt different attitudes in rendering both verses. Khatib, for instance, introduces verse 6, with the adversative conjunction 'yet', although it has no apparent equivalent in the original text except for the negative particle /kallä/.

Khatib (814):

thirty seven suras, most of which were revealed in Mecca. These short Meccan suras, including the earliest revelations of the Qur'an, are described by Muslim as well as non-Muslim scholars, such as Tritton (1968: 16) states, "a vigorous imagination and considerable mastery of language and sound, while the moral and religious enthusiasm cannot be mistaken."

Syntactic and Semantic Evaluation of Translating Coordination :

The first step towards the quality assessment will be concerned with syntactic mismatches. These are mainly represented in formal and lexical aspects such as additions, repetitions and deletions of coordinators as well as changes in the structure of coordination (i.e. change in the position of conjoined elements). The second step towards the analytic approach of translation assessment will be concerned with semantic mismatches which are mainly represented in functional and communicative aspects such as wrong selection of coordinators. Semantic mismatches may also result from the substitution of one coordinator for another. In other words, by substitution, the translator usually slects a coordinator or any other conjunction that can replace or substitute the original one in the text. The coordinator or the conjunction used may suit the meaning of the original or is even identical without significant changes in the conceptual content of the utterance. However, we may sometimes find deviations or slight changes in meaning as a result of this substitution.

In the quality assessment followed, the four translations in question are judged with the help of different exegeses like those of Abu Hayyan, Al-Zamakhshari and Ibn Khalaweih. These exegeses play a major role in; first, judging the exact

Difficulties in Translating Coordination in Qur'anic Verses

Part I

By Maha Yousry El Tagoury Ph.D.

THE Qur'an, the earliest surviving written corpus is not distinguished by virtue of its highly eloquent rhetorical style but by its particular cohesive nature and its characteristic features on the morphological, syntactic and semantic levels. Another distinctive feature, manifested in the style of the Qur'an, is repetition. These features, however, may sometimes turn out to be quite problematic as far as translation is concerned. Coordination, the focus of attention in the following study, constitutes one of these problems. Therefore, the assessments of the four translations rendered by M.M. Pickthall 1930, A.J. Arberry 1971; 1st ed. 1955, M.M. Khatib 1984 and A.Y. Ali 1993; 1st ed. 1934 will be based on the syntactic and semantic characteristics of coordinators, as discussed by Arab grammarians and as represented by Muslim exegets. This study will hopefully illustrate whether the four translators in question have succeeded in transferring the communitive and functional effect of these characteristics or not.

Translation of Coordination in 'Amma' Part:

The different approaches in translation is applied to the last part of the Qur'an, 'Amma Part', rather than to the whole text due to its style, ambiguity and liability for different interpretations. As we all know, this part consists of

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Muharram, 1416 - June, 1995

بسم الله الرحمن الرحيم

VOL. 68 Part 1

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب

آل عمران / ٨

" Our Lord ! " (They say)
" Let not our hearts deviate
Now after Thou hast guided us,
But grant us mercy
From Thine own presence;
For Thau art the Grantor
of Bounties without measure .

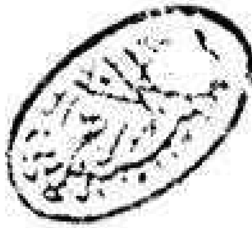
(Ali Imran v.8)

EDITORS : Dr TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary ,
Al Azhar Magazine .

الفهرس

٣٢٠



الأزهر يدين العدوان

على السيد الرئيس حسنى مبارك

نحمد الله سبحانه، ونسجد لجلاله شكرا، أن شمل السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وحماه برعايته، وحمى المرافقين له، ولهم الشكر فردا فردا على مبادرتهم، ومواجهتهم المسئولية بشجاعة وثبات فائقين، وسلمت ياسيادة الرئيس لمصر قائدا، وللأمة الإسلامية رائدا.

وباسم الأزهر الشريف وباسمى أهنئكم بالسلامة، وبسلامة الوصول، بعد أن رد الله كيد الحاقدين، فلم ينالوا ما ابتغوا من عدوان آثم ، وقد كان السيد الرئيس فى طريقه إلى متابعة ما بدأه من مشروعات خيّرة لأفريقيا فى رياسته للقمة الأفريقية فى دورتين سابقتين كآلية المنازعات وغيرها من المشروعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وسيقول العالم كلمته كشاهد على أولئك الآثمين الذين لن ينالوا خيرا هم ومن وراءهم ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾ ﴿ وكان الله قويا عزيزا ﴾ .

شيخ الأزهر الشريف

جاد الحق على جاد الحق

دعوة
إلى صلاة الشكر

قال الله تعالى ﴿ وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ﴾ .

حمدا لله وشكرا على ما أنعم به على مصر بنجاة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ـ حفظه الله ورعاه ، وأيد على طريق الحق خطاه . وإن رعاية الله ورحمته وحمايته الرئيس من يد الغدر تفرض على شعب مصر أن يسجد لله شكرا طلبا للمزيد من رضوانه ﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ . إبراهيم ـ ٧

ولقد علمنا القرآن الكريم هذا الدعاء المبارك ، وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه » .

والأزهر الشريف، يدعو شعب مصر لأداء صلاة الشكر مرضاة لله وحمدا على نعمائه عقب صلاة الجمعة المقبلة ليكون الجمع أوفى، والرجاء فى الاستجابة والقبول أوفر ـ إن شاء الله.

وعلى السادة أئمة صلاة الجمعة أن يؤدوا سجدة الشكر عقب صلاة الجمعة، وهى عبارة عن سجدة واحدة، وإن اشتهرت باسم صلاة الشكر ـ تؤدى عند حدوث نعمة أو اندفاع نقمة، وتكون خارج الصلاة، وقد ورد فى حديث لأبى بكر «أتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمرٌ فسُرَّ به فخر ساجدا» .

شيخ الأزهر الشريف

الشيخ جاد الحق على جاد الحق

والعاملون بمجلة الأزهر ـ جميعا ـ يستنكرون هذه المؤامرة الدنيئة. شاكرين المولى ـ عز وجل ـ أن أبقى لمصر زعيما سليما ليتابع واجبه الكريم.

برقيـــة جامعـــة الأزهـــر

السيد الرئيس محمد حسني مبارك .

رئيس الجمهورية

في مؤتمر النجباء بجامعة الأزهر المنعقد الآن بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وبحضور فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة والسادة الأساتذة نواب رئيس الجامعة وعمداء الكليات والأساتذة والطلاب والعاملين .

وقد وقعت تلك المحاولة الآثمة بالعدوان على ركب الرئيس مبارك في أديس أبابا ..

نحمد الله ونشكره أن حمى السيد الرئيس وحقق وعده ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾ .

السيد الرئيس حفظكم الله من كل سوء ووفقكم للمزيد من الجهد في نشر السلام وعشت داعيا إليه، وحفظ الله مصرنا الغالية ـ مصر السلام والأزهر ـ من كل سوء وبلاء إنه سميع مجيب الدعاء .

رئيس الجامعة	شيخ الأزهر
أ . د / عبدالفتاح الشيخ الحسيني الشيخ	جاد الحق علي جاد الحق

تهنئة الأزهر للسيد الرئيس

التقى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك قبيل ظهر الأربعاء ٣٠ من المحرم ١٤١٥ ، بوفد يمثل رجال الدين بمصر من المسلمين والنصارى ، يتقدمه فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، وفضيلة وكيل الأزهر الشيخ سيد سعود وفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

● تحدث الإمام الأكبر فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم »

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله .. السيد الرئيس .. سلمت وسلمت بك مصر بل سلم بك العالم الإسلامى .. دائماً فى حفظ الله ورعايته .. نسأل الله أن تكون بك الهداية ، وبك السلامة لهذا الشعب الذى يلتف حولك .. شكرا وسلامة لك .

● كلمة الشيخ محمد متولى الشعراوى :

بسم الله أحمده وأستعينه وأصلى وأسلم على خير خلقه سيدنا محمد وبعد ..

فإن إذن الراعى قلما تهيأ للسان الرعية فمن أعطاه الله أذن راع فليحسن ما يقوله له ، وأن يدعو الله له فإن بدعائه له يصلح الله خلقاً كثيرا .. وأنا أستعير من المتنبى ما قاله لسيف الدولة :

ولا أخصك فى منجى بتهنئة إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وإنى يا سيادة الرئيس أقف على عتبة دنياى لأستقبل أجل الله .. فلن أختم حياتى بنفاق ، ولكن أقول كلمة موجزة للأمة كلها : أريد منهم أن يعلموا أن الملك كله بيد الله يؤتيه من يشاء ، فلا تآمر لأخذه ، ولا كيد للوصول إليه فإن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ قال : ﴿ يؤتى الملك من يشاء ﴾ فلا تآمر على الله لملك ، ولا كيد على الله لحكم ، لأنه لن يحكم أحد فى ملك الله إلا بمراد الله .. فإن كان عادلاً فقد نفع بعدله ، وإن كان جائراً ظالماً بشع الظلم وقبحه فى نفوس الناس فيكرهون كل ظالم ولو لم يكن حاكماً .

ولذلك أقول للقوم جميعاً : إننا ـ والحمد لله ـ قد تأكد لنا صدق الله فيك بما جاء من الأحداث .. فكيف كنا نفسر قول الله : ﴿ ويمكرون ويمكر الله ﴾ .. وقوله : ﴿ إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً ﴾ ؟

الله يريد أن يثبت قيوميته على خلقه فأنا أنصح كل من يجول برأسه أن يكون حاكماً أنصحه بألا يطلبُه ، بل يجب أن يُطلَب له ، فإن رسول الله ﷺ قال:«من طُلب إلى شىء أعين عليه .. ومن طلب شيئاً وكل إليه ، يا سيادة الرئيس إن آخر ما أحب أن أقوله لك : إذا كنت قدرنا فليوفقك الله وإذا كنا قدرك فليُعنك الله على أن تتحمل .

.. أيها الشعب ، أيتها الرعية : قدر الله لا يأتى إلا بخير ، وسترون قريباً آثار هذه الهزة : حكماً سديداً رائداً آخذاً بأيدينا إلى منهج الله .





الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فهمي خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

حضارة التعليم



هذا الدين القيم

٢

ونخص هذه الكلمة بآداب تحصيل العلم التي يُطالب بها التلميذ ، وعليه أن يمارسها إلى أن يصير أستاذاً يجب عليه أن يتولى نفس المهمة ، أي ينشر العلم على فقه ونبوغ .

وهي آداب لا تزال - والحمد لله - قائمة بين المسلمين ، فالحديث عنها ليس من باب الفخر بالماضي ، بل الفخر المستمر بماض مجيد إلى حاضر مرموق - بمشيئة الله - تعالى .

حصَرَ الإمام سفيانُ بنُ عُيَيْنَة هذه الآداب في أربع تليها النتيجة .. فقال :

« أوَّلُ العلم الاستماع ، ثم الإنصات ، ثم الحفظ ، ثم العمل ، ثم النشر » .

(حِلْيَةُ الأولياء) ٤/٧ وتعني هذه الآداب :

أنّ واجب الطالب ـ إذا التحق بصف العلم ـ أن يجمع رغبةً ونشاطه للاستماع ، ومَا السَّمع إلا إحساس الأذن بالصوت ، وإدراكه جُمْلَةً ، والسمع ـ وحده ـ لا يكفى ، فينبغى الإنصات ـ وهو حسن الاستماع الذى يدرك به الطالب كلمات أستاذه وحروفها ، فلا تصل إلى أذنيه مُجَرَّد ضوضاء ، ويعنى الأمران معا : أن يجلس بين يدى أستاذه متفرغاً له ، لا يعبث بشىء ، ولا يتحدث إلى زميله ، ولا يقوم بمشاغبة ... إلى آخر ما هنالك من آداب الاستماع والإنصات .

كذلك نجد السمع مع الإنصات يؤديان إلى « حُسْنِ الفهم » فيما يمر على أذنيه بغير معرفة ، فيتمكن حينئذ من سؤال أستاذه عما لم يفهمه ، ويستوضحُهُ إياه ، وهاتان مرحلتان ـ أو أمران ـ يُيسِّران عليه الخطوة الثالثة : خطوة التحصيل ، فلا يحفظ بغير فهم ؛ فيصير مَثَلُهُ كمثل « شريط التسجيل » يحفظ المادة ولا شأن له بالوعى بها ، فمثل هذا الحفظ لا يُخرِّج عالما ولا متعلما .

إن الحفظ عن وعى وإدراك يَمُدُّ العلم بعالم متفوق يتمكن من الملاحظة فالاستنباط والاختراع : الاستنباط فى العلوم النظرية ، والاختراع فى العلوم المادية ، فالتحصيل عن وعى وإدراك طريق العبقرية ، ولا تعرف العبقرية ـ فى العالم وعلى مدى تاريخ الإنسانية ـ عالما بلا تحصيل ، قد حَصَّل عن وعى عميق .

ثم تأتى الخطوة الرابعة . خطوة « العمل » سواء فى الميدان النظرى ، أو الميدان المادى . والعمل ـ هنا ـ يتبع نوعية العلم الذى تلقاه الطالب .

فإذا كان عِلْماً من علوم الدِّين : فِقْهاً أو حديثا شريفا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فينبغى للطالب أن يمارس ـ بِفْلا ـ ما قرأهُ ، عِلْماً ، ويُتَمِّمُ سلوكَهُ بما عرف من عِلْم ، وأيما علم من هذا الباب لم يُعْقِبْهُ ممارسة فهو لا شىء . ومن العجيب أن نجد ـ فى تاريخنا ـ نساءً يُنَبِّهْنَ أبناءَهُنَّ إلى هذه الحقيقة ، هذه أُمُّ سفيان الثورى تقول له :

يا بُنَىَّ ، إذا كتبت عشرة أحرف ، فانْظُرْ : هل ترى فى نفسك زيادة فى خشيَتِكَ وحلمك ووقارك ، فإن لم تر ذلك فاعْلَمْ أنها تضرك ولا تنفعك .

وأما إذا كان العلم أحد فروع المادة ؛ فإن الطالب تنمو فيه قوة « الملاحظة » واستخدام « التجربة » وهاتان هبتان بهما تتقدم الإنسانية في هذا العالم ، وكانتا محور إعجاب الغرب بعلماء المادة وعلماء النظر المسلمين ، وقد سجل « فون كرايمر » إعجابه هذا كتابة فقال :

إن أعظم نشاط فكرى قام به العرب يبدو لنا جليا في حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم ، فإنهم كانوا يبدون نشاطا واجتهادا عجيبين حين (يلاحظون) ويمحصون ، وحين يجمعون ويرتبون ما تعلموه من (التجربة) أو أخذوه من الرواية [الرواية ـ في جانب العلوم الشرعية والعربية] ثم يقول : وبصفتهم أصحاب ملاحظة دقيقة ، وبصفتهم مفكرون مبدعون فإنهم قد أتوا بأعمال رائعة في حقل : الرياضيات والفلك ، وللسبب ذاته نجح العرب في التشريع ، وفي وضع قواعد اللغة من صرف ونحو في شكل شامل مُحكَم « روزنتال ص ١٥ .

وواضح أن المعنى بعلماء العرب علماء المسلمين ؛ لأن مَنْ تحدث عنهم في هذه الفقرة كانوا علماء من أجناس مسلمة مختلفة .

وما من شك أننا ننتهي إلى الأستاذية :

حين نجد أنفسنا بين يدى عالم سَمِعَ وأنصت وحفظ وعمل ؛ فصارت له قدمٌ راسخة في ميدان تخصصه ، قد جمع تفوقا علميا وأدبا جمًّا ؛ فمثله فقط يكون أستاذا نتقبل منه وندعو له .. والله الموفق .

د. علي أحمد الخطيب

سياسة وأدب العقاب في التشريع الإسلامي

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر الشريف

اشتهر السجن كموضع للعقاب في كثير من الجرائم ، والسجن كعقوبة ..

يقول أهل اللغة : إن السجن ـ بكسر السين ـ الحبس وبفتحها المصدر يقال : سجنه ويسجنه سجناً أى حبسه، والسجن الحبس، وهو فى هذه الحالة اسم، وفى قراءة لقوله ـ تعالى ـ فى سورة «يوسف» : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾[1] بكسر السين على أنه الحبس ، وقراءة أخرى بفتحها المصدر أى الفعل ذاته .

وفى الحديث الشريف[2] : « ليس شىء أحوج إلى طول سجن (بفتح السين) من لسان » ..

والسجان : صاحب السجن ورجل سجين ومسجون ، والأنثى كذلك .

وقد وردت هذه المادة فى القرآن الكريم فى سورة «يوسف» فى الآيات : ٢٥ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ١٠٠ وجاءت فى سورة «الشعراء» فى الآية ٢٩ وجاءت فى سورة «المطففين» فى الآيات :

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴾ ..

قيل : إن معناه أن كتاب هؤلاء الفجار فى حبس لخساسة منزلتهم عند الله ـ تعالى ـ فما بالك بمنزلتهم : هم أنفسهم وقيل : إن سجين موضع فيه كتاب الفجار وهو الديوان الذى سجلت فيه أعمالهم .

وقال ابن كثير : والصحيح أن سجيناً مأخوذ من السجن وهو الضيق .

وجاءت مادة الحبس فى الآية ١٠٦ من سورة «المائدة» والآية ٨ من سورة «هود» .

والسجن كموضع للحبس وعقوبة أمرهما قديم فقد سجن سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ وقد كان معاصراً لفراعنة مصر وتعرف فى السجن على صاحبيه اللذين وردت قصتهما فى القرآن الكريم .

وتروى كتب التاريخ[3] أن السجن عند الأقدمين كان على أخشن مايتصوره العقل ، فقد كان إما سراديب تحت الأرض ، أو قلعة حصينة أو مكاناً مخوفاً تعافه النفس ويهابه الرائى لاتمييز فيه بين

(١) من الآية رقم ٣٣ .
(٢) غاية المأمول شرح التاج الجامع للأصول شرح أحاديث الرسول جـ ٥ ص ١٨٢ ط دار الفكر .
(٣) دائرة المعارف جـ ٥ مادة سجن ـ لفريد وجدى .

السجناء ، فالقاتل والمزور والخائن للوطن ، والعالم الذى جهر بكلمة حق أو دعا إلى ترقية حال الشعب دينياً أو سياسياً أو علمياً كل أولئك سواء فى السجن .

والعقوبة فى الشريعة الإسلامية قسمان : حد ، وتعزير ، والحد ماجاءت فيه العقوبة مقدرة بنص صريح فى القرآن الكريم أو فى سنة رسول الله ﷺ كحد الزانى محصناً وغير محصن ، وحد السرقة ، وحد القذف ، وحد الشرب .

والتعزير يقع على الجرائم التى لم ترد فيها عقوبة محددة ، وهذا النوع أيضاً ثابت بوجه عام بالقرآن الكريم مثل قوله ــ تعالى ــ : ﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ... ﴾[4] وبالسنة الشريفة فعلاً وقولاً وبإجماع الأمة على وجوبه فى كل كبيرة لاتوجب حدًّا أو جناية لا توجب الحد كذلك ، ويكون التعزير بالحبس وبالضرب وباللوم والتوبيخ ، وبأخذ المال على خلاف بين الفقهاء فى هذا الأخير .

والتعزير بالحبس موضع اتفاق بين فقهاء المسلمين فقد أثر عن الرسول ﷺ[5] أنه حبس رجلاً بالتهمة ، وقد ردد الفقهاء فى كتبهم جرائم أجازوا فيها الحبس فقالوا : إن من يتهم بالقتل والسرقة وضرب الناس يحبس ويخلد فى السجن إلى أن يظهر التوبة ، ويحبس كذلك المجتمعون على نية الشرب وإن لم يشربوا والمغنى والمخنث ، والنائحة ومَنْ قَبَّلَ أجنبية أو عانقها أو لمسها بشهوة ، وكذلك من قذف إنساناً بما يعتبر قذفاً عرفاً ، والمسلم آكل الربا كل أولئك يعزرون بالحبس وليس فى الحبس مقدار محدد بل أمر تحديد مدته مفوض لولى الأمر أو للقاضى حسب الأحوال .

والحبس فى فقه الشريعة الإسلامية كما يكون فى الجرائم أجازه الفقهاء أيضاً فى نظير الديون . فقال فقهاء الحنفية : إن سبب وجوب الحبس هو الدين قل أو كثر ، ويشترط فى الدين أن يكون حالاً فلا حبس فى الدين المؤجل لأن الحبس لدفع الظلم المتحقق بتأخير قضاء الدين ولم يوجد من المديون لأن الدائن هو الذى أخر حق نفسه بالتأجيل ، ولايمنع المدين من السفر قبل حلول أجل الدين سواء بعد محله أو قرب ، واشترطوا لحبس المدين ثبوت قدرته على قضاء الدين حتى ولو كان معسراً لايحبس لقوله ــ تعالى ــ : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾[6] ومنها المطل وهو : تأخير قضاء الدين لقوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ[7] : « مطل الغنى ظلم » وقوله ــ عليه السلام ــ[8] : لىُّ الواجد يُحل عرضه وعقوبته » أى امتناع المدين الموسر يجيز عرضه على القضاء وعقوبته والحبس من

---

(4) الآية ٣٤ من سورة النساء .

(5) كتاب أدب القاضى للخصاف ــ باب الحبس فى الديون وغيره ص ١٣٤ .

(6) من الآية ٢٨٠ من سورة البقرة .

(7) رواه البخارى ومسلم .

(8) رواه ابن حبان والحاكم .

العقوبات المقررة شرعاً ولكن لايحبس أحد الوالدين بدين لولده لقول الله ـ سبحانه ـ : ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[9] ومع هذا فإذا امتنع أحد الوالدين مع يساره عن أداء نفقة ولده يجوز حبسه ، وفى هذه الحال يقول الفقهاء : إن الحبس تعزير فى نظير الامتناع عن أداء دين النفقة خاصة باعتبارها صوناً للحياة .

هذا ولا يكون الحبس فى الديون إلا بطلب الدائن أما فى الجرائم فإن ذلك شأن الحاكم مع العقوبة المقررة مقابل كل جريمة .

والحبس قد يكون بمعنى الملازمة ، وذلك لايتأتى إلا فى حبس المدين أو من لم تثبت عليه التهمة بعد فيأمر القاضى الدائن بملازمة مدينه إكراهاً له على سداد الدين أو ارتقاباً لبينة قريبة ، والأصل فى شرعية الملازمة هو ضمان حضور الخصم إلى مجلس القضاء لأن بعض فقهاء المذاهب لايجيزون سماع الدعوى ولا القضاء فيها على غائب .

وقد يكون الحبس فى منزل المحبوس وسكنه وهو يقابل التعبير فى عصرنا « بتحديد محل الإقامة » كما يكون بوضع الجانى أو المدين فى السجن على ماأورده فقهاء الحنفية فى كتبهم وتحدث به سائر فقهاء المذاهب فى كتبهم أيضاً إذ الحبس كنوع من أنواع الجزاءات العقابية تعزيراً أمر متفق عليه ذو سند صحيح فى السنة الشريفة وعمل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ .

وإذا كانت الشريعة الغراء قد أجازت الحبس عقاباً فإنها بقواعدها الهامة قد أحاطت هذا العقاب بما أحيط به غيره من وجوب الرفق والامتناع عن إيذاء المسجون ومن هذه القواعد ماجاء فى الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال[10] : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » .

أرأيت إلى هذه القاعدة الشريفة : إن الله كتب الإحسان على كل شيء .. أى أن الله سبحانه أمرنا أن نحسن كل شيء حتى العقوبات ، فإذا كانت العقوبة ـ القتل ـ فالإحسان ... أن يستعمل السلاح الذى ينهى حياة الجانى قصاصاً دون تعذيب له ، وإذا كان القصاص فى عضو أو جزء عضو فإن المتتبع لأقوال الفقهاء فى شروط تنفيذ هذه العقوبة بالقطع قصاصاً يتراءى له عياناً تصويرهم لحرص الإسلام على تحقيق العدالة فى المماثلة مع الرحمة فى المعاملة فهم يقررون أنه متى ثبتت السرقة تقطع يد السارق وتحسم لينقطع نزف الدم لقول الرسول ﷺ فى شأنه : «فاقطعوه واحسموه» والمقصود حسم نزف الدم أى وقفه ولايتعين أن يكون بالكى كما كان معروفاً وقتذاك ، بل كل ما يوقف النزف رحمة ورفقاً بالجانى بعد إنزال العقاب به فشرع الله عقاب ورحمة ، حزم وعزم ، إصلاح وتهذيب وتأديب توقف به الجرائم .

---

(9) من الآية 15 من سورة لقمان .

(10) رواه مسلم .

ووفقاً لتطوير الإنسان وصلاحية الشريعة الإسلامية لاحتواء كل جديد سواء فى عالم المعاملات أو العقوبات أو حتى طريق توقيع هذه الجزاءات لم تحمل النصوص تحديداً لا مرونة فيه لوسائل التنفيذ بل : « إذا قتلتم فأحسنوا القتلة » أحسنوها بأى أداة لاتحوى تعذيباً ولا إذلالاً إلا فى حال الحرابة وقطع الطريق فإن لذلك حكماً خاصاً قصد به الشارع ردع المجاهر بالسب والنهب وترويع الناس وزجراً لغيره ممن قد تحدثه نفسه اتخاذ ذات هذه السبيل صناعة وبضاعة .

ومن هنا لم يكن للسجن معالم خاصة فى شريعة الإسلام وإنما ترك تحديد معالمه وفقاً لتطور الإنسان واتساع العمران وانحسار الإيمان من القلوب وانعدام مراقبة الله جرياً وراء المادة والمادية ففى عصر الرسالة كان الحبس فى المسجد فقد حبس[11] رسول الله ﷺ رجلاً فى تهمة فربطه فى سارية المسجد ، وكان هذا الفعل كافياً فى امتثال هذا الرجل واحتباسه نفسه وجسده حيث وضعه الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - فلا يمكن أن يخطر ببال هذا المحبوس الخروج على حكم الرسول فَلِمَ إذاً السجن والسجان وقتئذ ؟ وجرى هذا أيضاً فى عهد عمر - رضى الله عنه - .

ثم بدأ فى العصر الأموى اتخاذ أماكن للسجن ، كانت جُبّاً يحفر فى الأرض يستقر فيه المسجون ولم تكن مدد السجن موضوع تحديد ، لأن هذه العقوبة كانت فى الأغلب من اختصاص الولاة لا القضاة ، وكان لأولئك سجن ولهؤلاء سجن ، وكما هو مشروع معروف فقد نزل هذا العقاب بعدد من الفقهاء المجتهدين أصحاب المذاهب كالإمام «أبى حنيفة» وكالإمام: «أحمد بن حنبل» فى فتنة خلق القرآن ، كل هذا فى العصر العباسى .

هذا وتاريخ العقاب فى الإسلام لايعرف نظام السجن المؤبد أو الأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة والمثل الواضح لهذه النزعة الإسلامية فى تقصير أمد الحبس يتجلى فيما يراه الإمام مالك من أن عقوبة الحبس تكون سنة مع الدية لجريمة القتل إذا انتفى فيها القصاص، وفى الفقه الحنفى أمثلة لذلك أيضاً ، ومدة الحبس القليلة تحدث أثرها فى نفس الجانى ولاتحدث أضراراً مؤبدة فى الأسرة أو الجماعة .

ومما سلف نستبين ملامح السجن مكاناً للعقوبة فى الإسلام الذى يدعو إلى الإحسان فى كل شىء ، بل ينبغى أن يعامل فيه الإنسان معاملة لائقة بآدميته التى كرمها الله سبحانه فى قوله - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ .. ﴾[12] .

فقد نص الفقهاء على أن المسجون إذا مرض فى السجن كان دواؤه من بيت المال وكذلك نفقاته وأنه إذا لم يوجد من يقوم على تمريضه وتطبيبه أعيد إلى بيته ليلقى عناية أهله .

ثم ماذا يفعل بالسجين فى سجنه : يقول الكاسانى فى « بدائع الصنائع » ، وهو من أعلام الفقه الحنفى: المحبوس ممنوع من الخروج إلى أشغاله ومهماته وإلى الجُمع والجماعات والأعياد وتشييع

---

(١١) رواه أبو دواد .

(١٢) من الآية ٧٠ من سورة الإسراء .

الجنائز وعيادة المرضى ، والزيارة والمضايفة ولايمنع من دخول أقاربه عليه لأن هذا لايخل بما وضع له الحبس ولايمنع كذلك من التصرفات الشرعية من بيع وشراء وهبة وصدقة لأن الحبس لا يوجب بطلان أهلية التصرفات وسلطة ولى أمر المسلمين فى عقوبات التعزير ليست مطلقة ، بل مقيدة بأمور استقاها الفقهاء من قواعد الشريعة العامة وهى :

أولاً : أن يكون الباعث على تحديد العقوبة وتقديرها حماية المصالح الإسلامية المقررة .

ثانياً : أن تكون العقوبة ذات فعالية فى القضاء على الفساد دون إهدار لآدمية الفرد وكرامته .

ثالثاً : أن يكون هناك تناسب بين الجريمة والعقوبة المقررة لها .

رابعاً المساواة بين الناس فى تطبيق العقوبة التعزيرية بحيث يسرى حكمها على جميع من تساوت مراكزهم القانونية دون استثناء .

وإذا كانت هذ القيود مفروضة فى ذات عقوبة الحبس فإنها أيضاً واردة فى الحبس أى السجن فلا يكون السجن لمجرد التعذيب ، بل لحماية المجتمع من الأشرار الخطرين على الأموال والأعراض .

* * *

هذا : وهدف سياسة العقاب فى الشريعة الإسلامية حماية المصلحة العامة وحماية الفضيلة ، ودفع الفساد ، ومن أجل ذلك فإن العقوبات الشرعية يستتبع توقيعها :

أولاً : الزجر : بمعنى ردع ومنع الجناة من العودة إلى ارتكاب الجريمة وكذلك منع الغير من اقتراف ذات الجرم ، وهذا يتمثل على وجه خاص فى الحدود الشرعية .

ثانياً : تحقق العدالة إذ أن العقوبة تنزل بالجانى ألماً تراه الجماعة المجنى عليها ومقابلاً لذات الجرم فتهدأ النفوس وتطهر نفس المجرم ، ويعود إلى الاستقامة مقلعاً عن جريمته ، ذلك لأن إصلاح ذات الإنسان المنحرف المرتكب للخطيئة أهم أغراض العقاب فى الشريعة .

ومن أجل تهذيب النفوس وإصلاح حال الخطائين نرى أن العقوبة تقع على جسد الخاطىء بالجلد والضرب وعلى داخل نفسه بشهود جمع من الناس توقيع هذا الجزاء : ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٣) فى حد الزنا لغير المحصن وهو الذى لم يتزوج بعد .

وهذا لاشك أدخل فى العقاب وأدنى ثمرة فى الإصلاح وزجر الغير والابتعاد به عن مجرد التفكير فى اقتراف مثل هذا الجرم .

وإذا كان هدف العقوبة دائماً الردع والإصلاح ، فالأولى أن نعود إلى النظر فى كثير من الجزاءات المقررة فى قانون العقوبات لتستبدل بالحبس الجلد أو الضرب العلنى حتى تجدى فى الزجر ، لأن أساس العقوبة فى الشريعة هو الجلد ، لا السجن ولا الحبس .

---

(١٣) من الآية ٢ من سورة النور .

والجلد عقوبة بدنية مؤقتة بساعات لاتهدر آدمية المستحق لها وتتيح للمذنب فرصة التوبة والأدب والصلاح وخدمة الأسرة والجماعة ، بل وخدمة النفس بالسعى المشرف والعمل النافع ، إذ أن الحبس أو التغريم أو هما معاً لايردعان الكثير من الخاطئين .

وسنرى أن السجون وقتئذ قد قل روادها وانحسرت كثرتهم الحالية عن فئة المحترفين وعتاة المجرمين الذين اعتادوا الجريمة على اختلاف صنوفها واستمرءوا كسبها ، وهؤلاء نرى أن فقهاء الإسلام قد قالوا فى شأنهم ـ على ماجاء فى « الأحكام السلطانية » للقاضى أبى يعلى الحنبلى ـ : « أنه يجوز للأمير فيمن تكررت منه الجرائم ولم ينزجر عنها بالحدود أن يستديم حبسه إذا استضر الناس بجرائمه حتى يموت ، بعد أن : يقوم بقوته وكسوته من بيت المال ليدفع ضرره عن الناس » .

ومن أجل هذه السياسة العقابية فى الشريعة الإسلامية لم تكن السجون بهذه الكثرة التى نشهدها فقد كانت عقوبة الحبس فى الأعم الأغلب إما حبس تهمة استظهاراً واحتياطاً كما فعله الرسول ﷺ .

فقد روى الحاكم فى « المستدرك » عن عراك بن مالك عن أبيه عن جده عن أبى هريرة ـ رضى الله عنهم ـ : أن النبى ﷺ حبس فى تهمة يوماً وليلة استظهاراً واحتياطاً ، وهذا الوجه من الحبس يقابل فى نظامنا الآن الحبس الاحتياطى على ذمة التحقيق ـ وإما حبساً مستديماً للخطرين الذين اعتادوا الإجرام والذين يتضرر الناس من جرائمهم ، ويروعون الآمنين فى الأموال والأنفس والأعراض والثمرات .

والمتتبع لأقوال الفقهاء المتناثرة فى مواضع كثيرة من كتب الفقه الإسلامى فى شأن السجون يجد أنها فى نطاق القول الجامع الصادر من الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء ..» فهم يوصون بتوفير الإنسان المحبوس والامتناع عن إهدار كرامته التى حفظها الله وأوصى بها ، وبتوفير الرعاية الصحية له ، والقيام على أمور معاشه داخل السجن ، وأمور أسرته من : زوج وولد ووالد واستدامة زياراتهم له واستقباله إياهم صلة للرحم واستعانة بهم على إصلاح ذات نفسه وانتزاع الشرور من بين جنبيه ، كما يوصى الفقهاء ـ إعمالاً لتلك القاعدة الجامعة ـ بأن يكون فى السجن العلاج من داء الإجرام ، باشتغال السجين بما يعود عليه نفعه مادياً كعمل يدر عليه كسباً أو مهنة يتعلمها ليحترفها تعطيه ربحاً طيباً ، ولذلك يجب أن يتوسع فى إلحاق مصانع بالسجون يتدرب فيها المسجونون ويعملون وتصرف لهم أجورهم أو إلى المستحقين لها عنهم أو تدخر لهم ، وأن تلحق بها كذلك مدارس ابتدائية وإعدادية وثانوية وللنظر فى إدخال عقوبة الجلد وحدها أو مع الحبس فى بعض الجرائم ، وفى حالة الجمع بينهما يكون الحبس عقوبة تبعية ولنعمل على وضع النماذج الصالحة من البشر أمامه تزكوا برؤيتها نفسه ويلين قلبه ، ونعنى بهذه النماذج نفراً من المستقيمين فى دينهم ودنياهم عظة وقدوة .

ومع هذه الوصايا من فقهاء الإسلام فإنهم قد احتاطوا لئلا يكون السجن مدرسة خطرة تؤلف بين قلوب المجرمين فقالوا : بوجوب تصنيفهم والبعد بذوى المروءات الذين زلت أقدامهم عن طريق

الحق والفضائل في مكان قصيّ عمن ساءت دخائلهم وصارت الجريمة كسبهم ومأواهم ، ومن هنا كانت عقوبة التعزير سواء بالجلد والضرب أو الحبس أو بالتغريم أو بالعظة والنصح واللوم مختلفة باختلاف الناس وماجبلوا عليه وهم في ذلك جد مختلفين .

وبعد :

فإن عقوبة الحبس أو السجن بالمصطلح السائد قانوناً قد صارت غالبة ، وقد أوجزت فيما سبق خطة السجن والسجون كما أوصت بها نصوص الشريعة الإسلامية ..

وآمل ـ ونحن نعمل على مراجعة القوانين ونشر الاصلاحات في مجتمعنا تشريعاً وسلوكاً وقضاء واقتضاء ـ أن تتعدل سياسة العقاب وفقاً لنصوص الشريعة حداً وتعزيراً ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .. وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .. ويشرق نور الإسلام وقوة اليقين في قلوب الآثمين ، فيخشون الله وتحيا ضمائرهم ، فإنها لاتعمى الأبصار .. ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

« اللهم اهدنا الصراط المستقيم .. صراط الذين أنعمت عليهم .. غير المغضوب عليهم ولا الضالين» آمين .

مصادر هذا البحث

- القرآن الكريم .
- لسان العرب لابن منظور .
- بدائع الصنائع للكاسانى .
- البحر الرائق لابن نجيم .. فقه حنفى .
- الدر المختار وحاشيته رد المحتار لابن عابدين .
- منهج الطلاب وحواشيه .. فقه شافعى .
- حاشية الدسوقى على الشرح الكبير للدردير .
- تبصرة الحكام لابن فرحون .. فقه مالكى .
- فتاوى الشيخ عليش .
- الروض المربع .
- المغنى لابن قدامة .. فقه حنبلى .
- الأحكام السلطانية للماوردى .
- الأحكام السلطانية للقاضى أبى يعلى .. فقه عام .
- أدب القاضى للخصاف .
- دائرة المعارف لفريد وجدى .

فتوى للإمام الأكبر

بيان

أولى الأمر :

واجبهم نحو الرعية وواجب الرعية نحوهم

المسجد الأقصى وزيارته

هل تجوز الموادعة أو الصلح المؤقت أو الدائم مع غير المسلمين ؟

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ـ وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كتاب من المواطن عادل السنهورى بجريدة « العرب » يطلب الإفادة عن الحكم فى الأسئلة التالية :

أولا ـ : بيان حدود طاعة أولى الأمر فى الإسلام ؟

ثانياً ـ : هل يجب على المسلمين العمل بالقول بزيارة المسجد الأقصى ، والقدس الشريف وهو أسير الآن بين براثن اليهود ؟

ثالثاً ـ : هل إقامة سلام دائم مع من يغتصب أراضى المسلمين ويشرد أولادهم يتفق مع الشريعة ؟

والجواب عن السؤال الأول :

بيان حدود طاعة أولى الأمر فى الإسلام . من هم أولى الأمر ؟

هم : كل من ولى أمراً من أمور المسلمين ولاية عامة ابتداء من رئيس الدولة وحتى أدنى مرتبة فى الولايات ، كما يشمل العلماء باعتبار أنهم ولاة حفظ الشريعة وبيان ما يجوز وما لا يجوز[1]

أو هم : أهل النظر الذين عُرفوا فى الأمة بكمال الاختصاص فى بحث الشئون ، وإدراك المصالح ، والغيرة عليها ، وطاعتهم هى : الأخذ بما يتفقون عليه فى المسألة ذات النظر والاجتهاد أو بما يترجح فيها بقوة البرهان أو بقدرة المجتهدين من أهل الاختصاص فى كل أمر عام يطرأ على الأمة بما يدخل فى الولايات العامة .

(١) تفسير روح المعانى (الألوسى) جـ ٥ ص ٦٥ ، ٦٦ ط المطبعة المنيرية بدمشق .

وليس من شك فى أن شئون الأمة متنوعة بتنوع عناصر الحياة ، وأن الله ـ تبارك وتعالى ـ قد وزع الصلاحيات على الأفراد حسب تنوع الشئون ، وصار لكل شأن بهذا التوزيع رجال هم أهل معرفته ، ومعرفة ما يجب أن يكون عليه ، ففى الأمة جوانب : القضاء ، والمال ، والاقتصاد ، والسياسة ، والاجتماع ، والحلال والحرام ، وغير ذلك من الجوانب التى تتطلبها الحياة .

ولكل جانب رجال عُرفوا فيه بنضج الآراء ، بطول الخبرة والمران ، وهؤلاء الرجال هم أولو الأمر فيما برعوا فيه ، وصاروا منه خبراء وهم بهذا :

الذين يجب على الأمة أن تعرفهم بآثارهم ، تمنحهم ثقتها وتنيبهم عنها فى وضع نظمهـــا وتشريعها ، وتوجيه حياتها ، وهم الوسيلة الدائمة المتجددة فى نظر الإسلام لمعرفة ما تسوس به الأمة أمورها وتصويب مسيرتها فيما لم يرد فيه نص فى القرآن أو السنة أو هما معاً ، أو إجماع مستقر أو قياس صحيح .

وأولو الأمر كذلك هم : ـ أهل الإجماع ـ الذين يكون اتفاقهم حجة يجب الأخذ بها ، والعمل بمقتضاها وذلك بشرط الإجماع المقرر فى علم « أصول الفقه » .

ماذا يجب على الرعية لأولى الأمر ؟

الطاعة :

فقد دلت النصوص من القرآن والسنة على وجوب طاعة أولى الأمر وإن معصيتهم حرام وهذه الطاعة ليست مطلقة ، وإنما هى طاعة فى حدود الشرع .

وقد جاء أمر الله تعالى بطاعة أولى الأمر فى القرآن كما فى قول الله ـ عز وجل ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[2] .

وقد وضع بعض العلماء هذه الآية تحت عنوان (آية الأمراء) .

والطاعة بهذه المثابة أمر أساسى لوجود الانضباط فى الدولة .

والطاعة : امتثال الأمر ـ وهى مأخوذة من أطاع إذا انقاد .

ووجوب طاعة الله وطاعة رسول الله ﷺ مستفاد من قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ... **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾ لأن (أطيعوا) أمر ، والأمر يتعين للوجود إذا حفت به قرينة تصرف إليه ، وقد تضمن النص قرينة جازمة تصرف الأمر إلى الوجوب ، وذلك بربط الطاعة بالإيمان بالله واليوم الآخر أى : حقيقة[3] .

والله سبحانه أمر بالطاعة ، طاعة مطلقة غير مقيدة ، ثم جاءت السنة فقيدت هذه الطاعة بما لا يكون معصية .

---

(2) من الآية رقم ٥٩ من سورة النساء .

(3) تفسير الطبرى جـ ٥ ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، وأحكام القرآن لابن عربى جـ ١ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ ، والقرطبى جـ ٥ ص ٢٥٩ ، ٢٦١ ، وروح المعانى للألوسى جـ ٥ ص ٦٥ ، ٦٦ ، وحاشية رد المحتـــار جـ ١ ص ٥٥٩ ، جـ ٣ ص ٣١١ ، جـ ٤ ص ٣٤٤ ـ والأحكام السلطانية للمـــاوردى ص ٢١٧ والأحكام السلطانية لأبى يعلى ص ٣٠ .

فعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : (على المرء المسلم الطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)[4] .

وعن النبى ﷺ ـ أنه قال : (لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق)[5] .

وروى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ، ومن عصانى فقد عصى الله ومن عصى أميرى فقد عصانى)[6] .

ويقول الطبرى : إن الذين أمر الله ـ تعالى ـ بطاعتهم فى الآية ﴿ وأولى الأمر منكم ﴾ هم :

١ ـ الأئمة ، ومن ولاه المسلمون دون غيرهم من الناس[7] .

٢ ـ أن يفوضوا الأمر إليهم وإلى أهل العلم بالدين وأهل الخبرة ويكلوه إلى تدبيرهم ، حتى لا تختلف الآراء[8] ، قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾[9] .

٣ ـ النصرة لأولى الأمر فى غير المعصية .

٤ ـ النصح لهم : قال رسول الله ﷺ[10] : (الدين النصيحة ، لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم)[11] .

ما يجب على أولى الأمر :

يجب عليهم التصرف بما فيه المصلحة العامة للمسلمين ، كل فى مجاله وبحسب سلطته وفى هذا جاءت القاعدة الشرعية (التصرف على الرعية منوط بالمصلحة) .

وبالتفصيل ما يلى :

١ ـ حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة ، فإن زاغ ذو شبهة عن هذا أوضح له الحجة ، وبين له الصواب ، مع أخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود إذا لم يلتزم ليكون الدين محروساً من الخلل ، والأمة مصونة من الذلل .

٢ ـ فصل الحقوق بين المتشاجرين وقطع الخصام بينهم حتى يظهر العدل فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم .

٣ ـ حماية الدولة والدفاع عن الحوزة ليتصرف الناس فى المعايش ، وينتشروا فى الأسفار آمنين .

٤ ـ إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى من الانتهاك وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك .

٥ ـ تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا يظفر الأعداء بثغرة ينتهكون بها محرماً ويسفكون فيها دماً لمسلم أو معاهد .

٦ ـ جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل فى الذمة .

---

(4) أخرجه البخارى ـ فتح البارى جـ١٣ ص ١٢١ ، ومسلم جـ٣ ص ٦٩ ١٤ .

(5) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد جـ٥ ص ٢٢٦ بلفظ (لا طاعة فى معصية الله تبارك وتعالى) وقال : رواه أحمد بألفاظ والطبرانى وفى بعض طرقه : (ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق) ورجال أحمد رجال الصحيح .

(6) أخرجه البخارى ـ فتح البارى جـ١٣ ص ١١١ ـ ومسلم جـ٣ ص ١٤٦٦ .

(7) فتح البارى جـ١٣ ص ١١١ ، ١١٢ ، وحاشية رد المحتار على الدر المختار جـ١ ص ٥٥٩ ، جـ٣ ص ٢٣٤ ، جـ٣ ص ٣١٠ ـ وشرح المنهاج جـ٤ ص ٢١٧ ، وتفسير الطبرى جـ٥ ص ٤٩٥ وما بعدها .

(8) الأحكام السلطانية لأبى يعلى ص ٣١ .

(9) الآية رقم ٨٣ من سورة النساء .

(10) أخرجه مسلم جـ١ ص ٧٤ .

(11) الأحكام السلطانية لأبى يعلى ص ١٢ ، ٣١ ، والأحكام السلطانية للماوردى ص ١٧ .

٧ ـ قتال أهل البغى والمحاربين وقطاع الطريق وتوقيع المعاهدات وغير هذا مما فيه صالح الأمة[١٢] .

٨ ـ تعيين الوزراء وولايتهم عامة فى الأعمال العامة لأنهم يستنابون فى جميع الأمور من غير تخصيص .

٩ ـ تعيين الأمراء (المحافظين ومن يلونهم من الحكام حتى آخر درجة محددة فى النظم القائمة المعترف بها فى الدولة) للأقاليم ، وولايتهم عامة فى أعمال خاصة لأن النظر فيما خصوا به من الأعمال عام فى جميع الأمور المرتبطة بهذه الأعمال .

١٠ ـ تعيين القضاة وأمراء الحج ورؤساء الجيش وولايتهم خاصة فى الأعمال العامة لأن كل واحد منهم مقصور على نظر خاص فى جميع الأعمال وكذا تعيين الأئمة للصلوات الخمس والجمعة ولكل واحد من هؤلاء شروط تنعقد بها ولايته .

١١ ـ تقدير العطاء وما يستحق من بيت المال (الميزانية العامة) من غير سرف ولا تقصير فيه[١٣] .

١٢ ـ استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال وما يكله إليهم من الأموال ، لتكون الأعمال مضبوطة والأموال محفوظة .

١٣ ـ أن يباشر بنفسه أو بأعوانه الموثوق بهم مشارفة الأمور ، وتصفح الأحوال لينهض بسياسة الأمة[١٤] والمقصود بهذا فى مصطلحات الإدارة العصرية أجهزة الرقابة ـ المحاسبات والتفتيش أو التوجيه) .

١٤ ـ مشاورة ذوى الرى :

وتعتبر المشاورة مبدأ من أهم المبادىء الإسلامية ، وقاعدة من أهم القواعد الأساسية فى الولايات العامة وقد جاءت الدعوة إلى الشورى صريحة فى القرآن الكريم فى آيتين منه :

الأولى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾[١٥]

والثانية قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[١٦] .

السؤال الثانى :

هل يجب على المسلمين العمل بالقول بزيارة المسجد الأقصى والقدس الشريف وهو أسير الآن بين يدى براثن اليهود ؟

إن مصطلح الواجب فى الفقه الإسلامى هو ما طلب الشارع فعله فى سبيل الحتم والإلزام ، وكان

(١٢) الأحكام السلطانية لأبى يعلى ص ١١ ، ١٢ ، ١٣ وما بعدها ـ والأحكام السلطانية للماوردى ص ١٥ ، ١٦ ، ٣٠ ، ٣٥ وما بعدها وحاشية رد المحتار على الدر المختار جـ٣ ص١٥٨ ، ٢١٢ ، ٢١٨ ، ٣١١ وجواهر الإكليل جـ١ ص٢٦٩ ، جـ٢ ص ٢٨٦ ، وشرح المنهاج جـ٤ ص ١٧١ ، ٢١٧ ، والمغنى لابن قدامة جـ٢ ص ٢٥٢ ، ٣٦١ ، ٣٤٧ ، وجـ٨ ص ٢٨٧ .

(١٣) الأحكام السلطانية للماوردى ص ٦٥ ، ١٠٨ ، وحاشية رد المحتار على الدر المختار جـ٤ ص ٢٩٧ ، ٣٠٨ ، وشرح المنهاج جـ٤ ص ٢٩٥ والمغنى لابن قدامة جـ٩ ص ٣٨ ، ١٠٦ ، والأحكام السلطانية لأبى يعلى ص ٧٨ ، ٩٢ .

(١٤) الأحكام السلطانية لأبى يعلى ص ١٢ والأحكام السلطانية للماوردى ص ١٦ .

(١٥) من آية رقم ١٥٩ من سورة آل عمران .

(١٦) الآية رقم ٣٨ من سورة الشورى .

ثبوته بدليل ظني فيه شبهة ، وحكمة مثوبة فاعله وعقوبة تاركه ، بلا عذر ، ولا يكفر جاحده ، بل يحكم بتفسيقه .

وزيارة المسجد الأقصى ، والقدس الشريف ، ليست من الأمور الواجبة بهذا المعنى أصلا ، وإنما هي من الأمور المباحة التي خير الله فيها المكلف بين الفعل والترك ، وحكمه مضاعفة ثواب الصلاة فيه ، ولا عقاب على ترك الصلاة فيه على ما يشير إليه حديث رسول الله ﷺ الذي حصر فيه شد الرحال للصلاة في المساجد الثلاثة ونصه كما رواه الإمامان البخارى ومسلم « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » ، وواضح من أسلوب النهى الذى اشتمل عليه هذا الحديث الشريف المنع من شد الرحال إلى أى مسجد قصداً مع وجود غيره من المساجد ثم استثنى من هذا استحباب شد الرحال للصلاة في كل من المسجد الحرام بمكة ومسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة ، والمسجد الأقصى بالقدس في فلسطين مع المفاضلة بينها في ثواب أداء الصلاة في كل منها على ما ورد في الأحاديث المعتمدة عن رسول الله ﷺ(١٧) .

وإذ كان ذلك كانت زيارة المسجد الأقصى والصلاة فيه وشد الرحال إليه من المستحبات حيث يضاعف ثواب الصلاة فيه على اختلاف في مقدار هذا الثواب وبالتالى فليست زيارة المسجد الأقصى من الواجبات .

وإذ كانت الأحوال القائمة في فلسطين عموماً وفي القدس خاصة من احتلال إسرائيل لهذه الديار وكان المسجد الأقصى بهذا في حكم الأسير كان الإقدام على زيارته من غير أهل دياره من قبيل الإقرار بالرضا من الوافدين إليه بهذا الأمر وباحتلال القدس وسائر فلسطين من الإسرائيليين وهذا ما لا يرضاه أحد من المسلمين الذين لم يسلموا لإسرائيل بشرعية اغتصابها لهذه الأرض ومن بينها ساحة ومساحة المسجد الأقصى الذى باركه الله وبارك حوله .

لما كان ذلك كان الأولى بالمسلمين من غير أهل فلسطين والقدس خاصة أن ينأوا عن التوجه إلى القدس - في غير حاجة للدفاع عن المسجد وحمايته - حتى تتطهر المدينة من دنس المغتصبين وتعود إلى أهلها العرب آمنة مطمئنة يرتفع فيها ذكر الله والنداء إلى الصلوات في أمن وسلام وعلى المسلمين في كل مكان أن يعملوا على تحرير القدس ومسجدها الأقصى الذى كان الإسراء برسول الله ﷺ إليه موثقاً بأول آية في سورة الإسراء كما كان العروج برسول الله ﷺ إلى السماوات العلا من ذات الموقع فأولى بالأمة الإسلامية أن تعمل على تحريره ورفع شأنه والإصرار على ألا يدخلوا القدس كلها إلا إذا تطهرت من دنس الغاصبين ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٨) .

---

(١٧) انظر في ثواب المفاضلة بين المساجد الثلاث - المسجد الحرام والمسجد النبوى بالمدينة والمسجد الأقصى في القدس في ثواب الصلاة في كل منها - كتاب إعلام الساجد بأحكام المساجد الباب الثالث ما يتعلق بالمسجد الأقصى في فصل بيان أحكامه من ٢٨٧ - ٢٨٩ .

(١٨) من الآية رقم ٨ من سورة « المنافقون » .

هل إقامة سلام دائم مع من يغتصب أراضي المسلمين ويشرد أولادهم يتفق مع الشريعة ؟

كان الإسلام ولايزال دين الأمن والأمان والسلام والسكينة والصفاء والمودة والإخاء وليس دين حرب أو شحناء أو بغضاء لم يستخدم السيف للتحكم والتسلط إنما كانت حروبه وسيلة لتأمين دعوته ، أو هي تلك الحرب الوقائية بمنطق العصر .

وقد أمر القرآن الكريم المؤمنين بالامتناع عن القتال إذا لم تكن هناك ضرورة ، ففي كتاب الله قوله ـ سبحانه ـ : ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾[19]

وقوله : ﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ...** ﴾[20] .

ومن تعاليم الإسلام للمسلمين أن يردوا كل ما يختلفون على معرفة أحكامه إلى الله ورسوله ، قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾[21] .

وأكد الله سبحانه هذا المبدأ بوجوب الإذعان لحكمه وحكم رسوله في قوله في القرآن الكريم :

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾[22] .

إننا إذا نظرنا في كتاب الله قرآنه الكريم نجد أنه قد قرر أن العلاقة الأساسية بين الناس جميعاً هي السلم ورد هذا واضحاً في قوله ـ تعالى ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[23]

وقوله ـ سبحانه ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾[24]

ويقول ـ سبحانه ـ : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ... ﴾[25]

هذا حكم الله أنزله إلينا وهو يجيز لنا أن نتعاهد ونقيم المعاهدات مع غير المسلمين إبقاء على السلم أصلاً أو رجوعاً إليه بوقف الحرب وقفاً مؤقتاً بمدة أو وقفاً دائماً كما يجيز أن تتضمن المعاهدة مع غير المسلمين تحالفاً حربياً وتعاوناً على رد عدو مشترك .

قال القرطبي : إن كان للمسلمين مصلحة في الصلح لنفع يجتلبونه أو ضرر يدفعونه فلا بأس أن يبتدىء المسلمون إذا احتاجوا إليه ، وقد صالح رسول الله ﷺ أهل خيبر على شروط نقضوها فنقض صلحهم ، وهادن قريشاً عشرة أعوام حتى نقضوا عهده ثم قال : ومازال الخلفاء والصحابة على هذه السبيل التي شرعناها سالكة وبالوجوه التي شرحناها عاملة ـ ثم نقل قول الإمام مالك

(١٩) من الآية رقم ٩٠ من سورة النساء .
(٢٠) من الآية رقم ٦١ من سورة الأنفال .
(٢١) من الآية رقم ٥٩ من سورة النساء .
(٢٢) من الآية رقم ٥١ من سورة النور .
(٢٣) من الآية رقم ١٣ من سورة الحجرات .
(٢٤) من الآية رقم ١ من سورة النساء .
(٢٥) الآيتان ٦١ ، ٦٢ من سورة الأنفال .

ـ رضي الله عنه ـ فقال : « تجوز مهادنة المشركين السنة والسنتين والثلاث وإلى غير مدة[26] » وفي التعقيب على تفسير الآيتين ٨٩ ، ٩٠ من سورة النساء حيث انتهت الأخيرة بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ ـ قال القرطبي[27] : في هذه الآية دليل على اثبات الموادعة بين أهل الحرب وأهل السلام إذا كان في الموادعة مصلحة للمسلمين .

وفي « فتح الباري » لابن حجر العسقلاني بشرح صحيح البخاري في باب الموادعة والمصالحة مع المشركين تعليقاً على الآية الكريمة : ﴿ **وإن جنحوا للسلم** ... ﴾ إن هذه الآية دالة على مشروعية المصالحة مع المشركين .

وفي منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار وشرحه « نيل الأوطار » للشوكاني[28] : في غزوة الحديبية بعد أن نقل الأحاديث في شأنها : إن مصالحة العدو ببعض ما فيه ضيم على المسلمين جائزة للحاجة والضرورة دفعاً لمحظور أعظم منه .

وإذا تتبعنا سيرة الرسول ﷺ وأصحابه من بعده نجد أنهم قد تعاهدوا مع غير المسلمين ولم ينقضوا عهداً عقدوه إلا أن يُنقض من الغير ولعل فاتحة عهود الرسول ﷺ ومعاهداته كان العهد مع يهود المدينة وتحالفه معهم ثم تعامله وصحبته اقتصادياً ، ولقد ظل وفيا بهذا الوعد والعهد حتى نقضه اليهود فانتقض ، وصلح الحديبية وشروطه مشهور واعتراض الصحابة عليه ، كل ذلك فعله رسول الله ﷺ ولنا فيه القدوة ولأنه فعل ما فيه المصلحة للمسلمين ، ولقد عاهد خالد بن الوليد أهل « الحيرة » وصالحهم ، وصالح عمر بن الخطاب أهل « إيلياء » وكان يستدعي الزعماء من غير المسلمين ويشاورهم ويستأنس بآرائهم كما فعل عندما أراد تنظيم الطرق بعد فتحها ، وكما استشار المقوقس عظيم القبط في مصر بعد الفتح .

وقد عقد الفقهاء المسلمون على اختلاف مذاهبهم الفقهية أبواباً في كتبهم أبانوا فيها أحكام المهادنة والمصالحة مع غير المسلمين ، واتفقت كلمتهم على أن لرئيس الدولة المسلمة أن يهادن ويصالح محاربيه من غير المسلمين ويوقف الحرب معهم مادام في هذا مصلحة للمسلمين ، واستندوا في هذا إلى قوله الله ـ سبحانه ـ : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾[29] وإلى صلح الرسول ﷺ مع أهل مكة عام الحديبية وأضاف الفقهاء قولهم : ولأن الموادعة جهاد معنى إذا كان خيراً للمسلمين لأن المقصود هو دفع الشر الحاصل بالحرب[30] .

بل إن فقهاء الشريعة الإمامية صرحوا بهذا في كتبهم ، ففي كتاب « المختصر النافع » في فقه هذا المذهب[31] في كتاب الجهاد : وإن اقتضت المصلحة المهادنة جاز لكن يتولاها الإمام ومن يأذن له .

---

(٢٦) الجامع لأحكام القرآن جـ٨ ص ٣٩ ـ ٤١ في تفسير سورة الأنفال .

(٢٧) جـ٥ ص ٣٠٩ .

(٢٨) جـ٨ ص ٣٩ .

(٢٩) من الآية ٦١ من سورة الأنفال .

(٣٠) كتاب البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم الحنفي ص ٧٨ وما بعدها جـ٥ وبدائع الصنائع للكاساني الحنفي جـ٧ ص ١٠٨ وما بعدها ـ ومجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر فقه حنفي جـ١ ص ٦٤٥ وما بعدها ، والمغني لابن قدامة الحنبلي جـ١٠ ص ٥١٧ وما بعدها ، وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير فقه مالكي جـ٢ ص ٢٣٩ ، وحواشي تحفة المحتاج بشرح المنهاج جـ٩ ص ٣٠٤ وما بعدها ، وكتاب قواعد الأحكام في مصالح الأنام لسلطان العزبن عبدالسلام الشافعي جـ١ ص ١٠٣ .

(٣١) جـ١ ص ١١٢ .

ويقول الفقيه ابن القيم فى كتابه « زاد المعاد »[32] : ولما قدم النبى ﷺ المدينة صار الكفار ثلاثة أقسام : قسم صالحهم ووادعهم على ألا يحاربوه ولا يظاهروا عليه ولا يوالوا عليه عدوه وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم .

وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة .

وقسم تاركوه فلم يصالحوه ولم يحاربوه بل انتظروا ما يئول إليه أمره وأمر أعدائه فقابل كل طائفة من هذه الطوائف بما أمره به ربه - تبارك وتعالى - .

ثم قال[33] فى فقه صلح خيبر : وفى القصة دليل على جواز عقد الهدنة مطلقاً من غير توقيت بل ماشاء الإمام ولم يجىء ما ينسخ هذا الحكم البتة فالصواب جوازه وصحته ، وقد نص عليه الشافعى فى رواية المزنى ونص عليه غيره من الأئمة .

ويقول العلامة ابن تيمية فى كتابه « الاختيارات »[34] فى باب الهدنة : ويجوز عقدها مطلقاً ومؤقتاً ، والمؤقت لازم من الطرفين يجب الوفاء به ، ما لم ينقضه العدو ، ولا ينقض بمجرد خوف الخيانة فى أظهر قولى العلماء ، وأما المطلق فهو عقد جائز يعمل الإمام فيه بالمصلحة .

أسس المعاهدات فى الإسلام :

وحينما نطالع أقوال علمائنا فى تفسير آيات القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ فى شأن الحرب والصلح ، ونطلع كذلك على ما نقله الفقهاء فى هذا الشأن نرى أنهم قد استوجبوا توافر الأسس التالية لقيام المعاهدات مع غير المسلمين شرعاً :

الأول : مادل عليه قول الرسول - عليه الصلاة والسلام - : (... مابال رجال يشترطون شروطاً ليست فى كتاب الله ؟ من اشترط شرطاً ليس فى كتاب الله فهو باطل ، شرط الله أحق وأوثق)[35] وهذا مفاده أنه يتعين على ولى أمر المسلمين الذى يتعاهد مع غير المسلمين ألا يقبل شرطاً يتعارض صراحة أو دلالة مع نصوص القرآن الكريم ، محافظة على سمة الشريعة العامة واحتفاظا بعزة الإسلام والمسلمين قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[36]

ومثال الشروط الباطلة أن تتضمن المعاهدة التحالف مع غير المسلمين ضد المسلمين أو التعهد بمقتضاها بالقعود عن نجدة المسلمين عند الاعتداء على ديارهم وأموالهم .

الثانى : تحديد الشروط فى المعاهدات بينة واضحة على مثال المصالحات التى عقدها الرسول - عليه الصلاة والسلام - فقد كانت محددة فى الحقوق والالتزامات المتبادلة بين المتعاقدين وذلك حتى لا تكون وسيلة للغش والخداع واستلاب الحقوق .

الثالث : أن تعقد المعاهدة فى نطاق التكافؤ بين طرفيها فلا يجوز لولى أمر المسلمين أن يعاهد

---

(32) جـ ٢ ص ١٨٤ .

(33) ص ٢٠٠ .

(34) ص ١٨٨ .

(35) جزء من حديث رسول الله ﷺ الذى رواه البخارى عن عائشة - رضى الله عنها - وعن غيرها عدة من فتح البارى بشرح صحيح البخارى الأحاديث أرقام ٢٥٦٠ ، ٢٥٦١ ، ٢٧٢٩ ، ٢٧٣٥ وذلك فى كتاب « المكاتب » ترقيم وتخريج محمد فؤاد عبدالباقى - محب الدين الخطيب ط مؤسسة مناهل العرفان بيروت ومكتبة الغزالى دمشق .

(36) من الآية رقم ٨ من سورة « المنافقون » .

وبصالح تحت التهديد ، لأن مبدأ الإسلام التراضي في كل العقود ، ومسالمة المسلمين لمخالفيهم في الدين أمر يقره الإسلام ، فمن المبادىء العامة التي قررتها الشريعة في معاملة أهل الكتاب تركهم وما يدينون ، والمنع من التعرض لهم متى سالموا بل والتسوية بينهم وبين المسلمين في الحقوق والواجبات العامة ، وأجازت مواساتهم وإعانة المنكوبين وأباحت الاختلاط بهم ومصاهرتهم ، وما أباحت قتالهم إلا رداً لعدوان قال ـ تعالى ـ :

﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ﴾ سورة التوبة

وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾ سورة المائدة

وكان من أوامر الإسلام الوفاء بهذه المعاهدات إذا انعقدت بشروطها داخلة في نطاقه غير خارجة على أحكامه وحافظ عليها الطرف الآخر ولم تتغير ظروف انعقادها وهذا هو القرآن الكريم يقول :

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ سورة التوبة

ويقول في شأن توقع الخيانة من المعاهد دعوة إلى اليقظة والحذر . ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ سورة الأنفال

ذلك حكم الإسلام في التعاهد والمصالحة ، بل والمخالفة مع غير المسلمين يقر المعاهدات التي تضمن السلام المستقر وتحفظ الحقوق ، وهو في ذات الوقت ينهى عن خيانة العهد ويأمر بالوفاء بالوعد ، فالعلاقة بين الناس في دستور الإسلام علاقة سلم حتى يضطروا إلى الحرب للدفاع عن النفس أو للوقاية منها ومع هذا يأمر الإسلام بأن يكتفي من الحرب بالقدر الذي يكفل دفع الأذى ويأمر كذلك بتأخيرها ما بقيت وسيلة إلى الصبر والمسالمة ولم يجعل الإسلام الوفاء بالعقود والعهود من أعمال السياسة التي تجوز فيها المراوغة عند القدرة عليها ، بل جعله أمانة من الأمانات واجبة الأداء يكاد الخارج عنها أن يخرج عن الإسلام بل ويخرج عن آدميته ، ويصبح بهذا في عداد السائمة .

قال تعالى :

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ سورة النحل

وبعد :

فإن الإسلام صاغ الحياة البشرية في نطاق قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ سورة الإسراء

هذا التكريم للإنسان ، أي إنسان ، بغض النظر عن لونه أو دينه أو جنسه أو وطنه أعاد إلى فكر الإنسان وقلبه أن الناس جميعاً بنو آدم وحواء جعلهم الله شعوباً وقبائل ليتعارفوا ، وأرسل إليهم الرسل لهدايتهم من الضلال حتى كان الإسلام خاتماً لجميع الرسالات يحوي كتابه ما حملته الكتب السابقة عليه منقياً عقيدته وعبادته وتشريعه مما لم يعد ملائماً لدين الله الخالد إلى يوم الدين .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

مع الإمام الأكبر في حديث صحفي

وثيقة الزواج الجديدة

أجرى الأستاذ/ هشام العجمى المحرر بالأخبار الحديث التالى مع فضيلة الإمام الأكبر .

- ليس فى هذه الوثيقة جديد .
- الزواج ليس عقد بيع أو إجارة .
- الزواج عقد حمله الله بعنايته ، وقرر حقوقه وواجباته ، لتشمل الأسرة والأبناء جميعا .
- أغلقوا ملف هذا العقد ، فإنه شر مستطير يزيد أزمة الزواج فوق ما هى عليه .

السؤال الأول :

ما رأى فضيلتكم فى وثيقة الزواج الجديدة ؟

الجواب :

قلت - أكثر من مرة - أن مشروع هذه الوثيقة قد طلبته من السيد المستشار وزير العدل - شخصيا - أكثر من مرة ، ولم يرد ، ومعلوماتى عن هذا المشروع مما ينشر فى الصحـــف ، والمشروع على نحو ما قرأت لا يفيد جديدا ، بل يضر أكثر مما ينفع ، فهو يحتوى قيودا وأغلالا وإهدارا لأحكام شرعية ، وخير أن يغلق ملف هذا الموضوع حتى لا تبدأ الحياة الزوجية بمقتضاه ، وكأنها عقد بيع ، أو إجارة ، أو مزارعة ، أو غير هذا من العقود التى تدخل تحت المساومات ، فى حين أنه عقد قد حمله الله - تعالى - بعنايته ورعايته فأصَّل قواعده وفصَّل آثاره ، وقرن الحقوق بالواجبات لكل من الزوجين ، وجعل العمل قسمة بالعدل والإحسان ، ووجَّه كلا من الزوجين إلى مهامه ، ونشأت الأسرة المسلمة فى نطاق هذا العقد الذى يجب أن يصدر قوليا بإيجاب وقبول من طرفيه شخصيا ، أو من وكيل عن كل منهما ، أو من ولى كل منهما حسب مقتضيات الأحوال .

ولقد عبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أن هذا العقد فى ظل كلمة الله - عز وجل - حين قال - عليه الصلاة والسلام - موجها الحديث إلى الرجال فى خطبة الوداع : (.....

واستوصوا بالنساء خيرا ؛ فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله .....) .

ويشير القرآن الكريم إلى هذا فى قول الله تعالى :

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ ﴾ سورة النساء

وهذا كاف لأن نترك هذا العقد كما شرعه الله ، ونتفاعل بذلك ؛ فلا نجعله موضع مساومة ، أو خروج على شرع الله .

مرة أخرى أغلقوا ملف هذا الموضوع فإنه لا يأتى بخير ؛ بل إنه الشر المستطير .

ولعله قد ازدادت بالتفكير فيه والنشر عنه أزمة الزواج أكثر مما كانت .

السؤال الثانى :

هل هذه الوثيقة أية إيجابيات ترونها ؟

والجواب :

أعتقد أن فى الإجابة السابقة عن السؤال الأول ما يهدى إلى الإجابة عن هذا السؤال .

وبالجملة فهذا المشروع ــ مشروع الوثيقة ــ تغلب أضراره ولا يبدو فيه نفع .

السؤال الثالث :

هل تركت شريعة الإسلام شيئا يتعلق بالزواج بدون توضيح فاقتضت ظروف العصر وتطورات الحياة ــ حاليا ــ توضيحه من خلال وثائق أو قوانين أخرى ؟

الجواب :

أساس الحكم ــ قضاء ــ فى مسألة الأحوال الشخصية هو القواعد المقررة فى المادة ٢٨٠ من المرسوم بقانون ٧٨ لسنة ١٩٣١ .

تصدر الأحكام وفقا لأرجح الأقوال فى فقه مذهب الإمام أبى حنيفة ، وللمدون فى هذه اللائحة ، ولما يصدر به قانون للمحاكم الشرعية .

وهذه القواعد تستند إلى القرآن والسنة ، ففيهما الكليات التى تتناول كل ما يحدث فى أى العصور .

وقد صدرت القوانين الإصلاحية متلاحقة متعاقبة بدءا من القانون ٢٥ لسنة ١٩٢٠ ، و٢٥ لسنة ١٩٢٩ ، ٧٨ لسنة ١٩٣١ ، ثم أخيرا القانون ١٠٠ لسنة ١٩٨٥ الذى جاء بالجديد المفيد فى بعض المشكلات الزوجية . أما أنه توجد أى وثائق يقتضيها الأمر فواقع ما جرت به العادة والعرف فى الزواج فى البيئات الإسلامية ــ لا سيما فى مصر ــ أن الزواج يحاط بالرحمة والمودة طبقا لنص القرآن[1] الكريم :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] .

---

(١) الآية ٢١ سورة الروم .

ويجرى توثيقه فى النموذج القائم ـ حاليا ـ منذ مئات السنين ، وهذا النموذج يعتبر ورقة رسمية فى خصوص انعقاد الزواج فقط،وفيما عدا هذا من بيانات يعتبر **ورقة عرفية يجوز إثبات عكس ما ثبت فيها بكافة الطرق فى نطاق أحكام المرافعات الشرعية والقانونية** وقد استقرت المبادئ القضائية على ذلك فأى شروط تضاف إلى هذا النموذج يكون بها النموذج فى حكم الورقة العرفية التى لا حجية لها عند الجحود والإنكار .

ومن هنا فلم يفكر أحد فى أن يستظهر فى وثيقة الزواج مشارطات أو قيود أو حدود ، وإنما العقد يتم بكلمة الله ـ كما سبق ـ وكفى بالله وكيلا .

أما القوانين التى نظمت العلاقة الزوجية فهى مستقاة من شرع الله الذى شرحه فقه المذاهب الإسلامية ، وفيها السعة والغناء عن كل استعارة لأنظمة تخرج عن بيئتنا وعقيدتنا وعرفنا وعاداتنا التى نبتت فى ظل الإسلام ، ألا مَرَّةً أخرى أغلقوا هذا الملف .

السؤال الرابع :

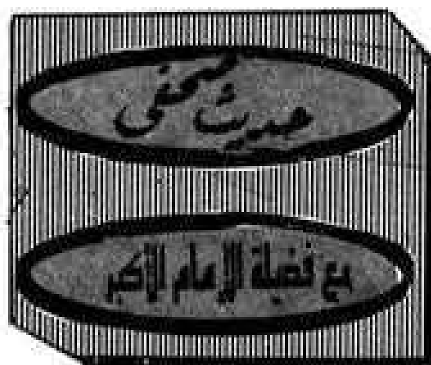
أرجو توضيح بنود وثيقة الزواج كما وصلت إلى سيادتكم وتعليق فضيلتكم فى كلمات بسيطة على كل بند منها ..؟

الجواب :

سبق فى أول الحديث أن قلت أن مشروع هذه الوثيقة لم يعرض على الأزهر بالرغم من طلبه أكثر من مرة من السيد المستشار وزير العدل شخصيا .

شيخ الأزهر الشريف

(جاد الحق على جاد الحق)



الإيمان والعمل بالتشريع
وموقف الإسلام من الحوادث الحاضرة

أجرى الحوار : الصحفي الإيطالي « جيوفاني فيرو » محرر مجلة الأسرة المسيحية .

- الإسلام والإيمان .
- العلمانية مرفوضة لأنها تعزل الدين عن مجريات الحياة .
- الشريعة تواجه كل جديد بأحكام .
- الجماعات بين الإرهاب والسياسة .
- التنسيق بين المسلمين والمسيحين لمؤتمر بكين عن المرأة .
- وثيقة عقد الزواج الجديدة ..
- الحوار بين الأديان ينبغي أن يكون في نقطة التعايش بينها .

س : بصفتكم أعلى سلطة دينية في العالم الإسلامي السنى . فهل تتفضلون بتوضيح ما يجب أن يكون عليه الإيمان الحقيقى وتأثيره في الحياة اليومية للمسلم ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

الإسلام تصديق باللسان ، واعتقاد بالقلب ، وعمل ، وحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنى الإسلام على خمس : « شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » ، يدل على أن هذه هي أصول الإسلام ، وأسس الإيمان ، والإيمان معناه : الاعتقاد القلبى بالعقيدة ، والإيمان بالعمل بشريعة الإسلام في كل ما جاء به .

والإيمان ـ في مفهومه العام ـ هو : إخلاص تام وأداء بإخلاص مقارن لكل عمل أمر به الله ـ عز وجل ـ في القرآن وفى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

س : ما رأى فضيلتكم في العلمانية ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

العلمانية ـ كما تقول عن نفسها ـ مؤداها الفصل بين الدين والسياسة ، والدين والدنيا ، وهى بهذا تعزل الدين ـ أى دين ـ عن مجريات الحياة ، وهذا يرفضه الإسلام ، فالإسلام كما نظم الصلة بالله في عباداته ؛ نظم الصلة في الحياة بدءا من خلق الإنسان المفرد « آدم » وانتهاء بتكوين

الأسرة فى تاريخ البشرية ، ثم المجتمع ثم الدولة ، ثم الدول جميعا ، فالإسلام فى نظامه – عقيدة وشريعة – ينظم كل هذه الحياة ، فهى حياة متصلة متواصلة وليست مختلفة ولا مفترقة ، فالدين والدنيا يجمعهما الإسلام .

س : هل فضيلتكم فى جانب التطبيق الحرفى للشريعة الإسلامية للنظم التشريعية الحالية فى الدول الإسلامية وهل تعتقدون أن الحكومة الحالية هى حكومة إسلامية جيدة ؟

فضيلة الإمام :

أولا : كلمة « التطبيق الحرفى » أمر غير وارد ، إنه تطبيق للنص بلفظه وروحه ، وللتطبيق مجالات فى الفهم بحسب مفاهيم اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم ، والتى هى لغة رسالة الإسلام ، ولغة النبى – صلى الله عليه وسلم – والقرآن ، يقول : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ التغابن/١٦ .

والرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول « إذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه »[١] .

فأساس أداء الأوامر فى القرآن والسنة – وفى الإسلام بوجه عام – هو أن يؤدى المسلم ما استطاع من هذه الأوامر ، وأما النواهى والأمور المنهى عنها المحرمة فيجب أن ينتهى المسلم عنها ؛ المسلم الفرد والأمة ، وبتطبيق هذا على واقع المسلمين الآن نرى أنهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ، وأن يستقيموا على الإسلام – كما أمر الله – والحكومات الآن – وهى تطبق بعض أحكام الإسلام – هى حكومات إسلامية ينقصها أن تستكمل الباقى ، كما وصف القرآن ، وكما قلت آنفا : خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم وأن يستقيموا على الإسلام .

س : إذا ما ظهرت مشكلة أو وضع جديد لم يرد له ذكر فى القرآن أو السنة فكيف تتعاملون معه بما يتفق مع الشريعة ؟

فضيلة الإمام :

النصوص التشريعية فى القرآن والسنة فيها نصوص خاصة ، ونصوص عامة ، تحوى كل ما حدث وما يحدث سواء للفرد أو للأمة . والقرآن يقول : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ النساء ٨٣ ويقول فى آية أخرى :

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ التوبة ١٢٢ .

هذه النصوص تضع الأمور الاجتهادية فى الوقائع الجديدة التى حدثت – أو التى تحدث – وليس لها نص ظاهر أمام العلماء الذين تخصصوا فى استنباط الأحكام من قواعدها الأصلية فى القرآن والسنة ، فالمسائل التى تحدث وليس لها نص لها فئة خاصة من علماء المسلمين الذين تأهلوا لدرجة الاجتهاد ، ويُوكَل إليهم بيان أحكام هذه الوقائع الجديدة ، وهذا ما يسمى فى علم أصول الفقه وعلم الفقه (**بالاجتهاد فى بيان الأحكام**) .

---

(١) راجع نص الحديث بسنن ابن ماجه – أول باب .

س : ماذا ترون فضيلتكم فى هذه الجماعات الإسلامية التى تستخدم العنف لتحقيق أهدافها الإسلامية التى يزعمونها ؟ وهل جماعة الإخوان المسلمين تدخل فى إطار هذه الجماعات المتطرفة ؟ .

فضيلة الإمام الأكبر :

أولا : الإسلام ـ عقيدة وشريعة ـ يمنع الإكراه فى العقيدة ، وفى العمل بالشريعة لغير المسلمين فيما يتعلق بالعقيدة كالأحوال الشخصية فيقول الله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ ﴾ البقرة ٢٥٦ .

ويقول سبحانه ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ آخر (الكافرون) .

فهذه الفئات التى تسمى نفسها (جماعات إسلامية) وترتكب العدوان ضد الناس لأى سبب إنما هى مخالفة لحكم الإسلام ولا تعمل بالإسلام ، لأن الإسلام إنما يكون عن طواعيه ورضا كعقيدة ، فإذا دخل فرد الإسلام التزم بأحكامه ، وكان ملزما بها أمام الله ـ سبحانه ـ وليس أمام البشر ، وكان عليه أن يتبع الأوامر والنواهى ، وأن يُوعَظ إذا أهمل أو فرط فى هذا الالتزام .

والإخوان المسلمون هم فئة سياسية تنتهج خطا ينتسبون به إلى الإسلام ، طلبا للحكم ، فهى أشبه (بحزب سياسى) وأن لم تعلن هذه التسمية الحزبية ، واتخذت الدعوة إلى الإسلام عنوانا لها ، أما أنها تنتمى إلى تلك الجماعات المتشددة ، أولا تنتمى ، فالحكم عليها بما يصدر عنها من أفعال ، فإذا ثبت أنها تنتهج خط هذه الجماعات ، وهو : إكراه الناس على أمر ما كانت فى صفها ، وإن كانت تنتهج خطا مسالما فى الوصول إلى أغراضها السياسية فشأنها شأن أى حزب سياسى .

س: ما الدور الأشد خطورة على الإسلام ـ من وجهة نظركم :

هل هو دور الجماعات الإرهابية المتطرفة ؟

أو هو الدور الذى يلعبه بعض المفكرين الذين يفصلون بين الدين والدولة ؟

فضيلة الإمام :

كلاهما خطر : على أنفسهم أولاً : ثم على المسلمين ـ وليس على الإسلام ـ .

ثانيا : وهذا الخطر يوجد نوعا من الخلاف والاختلاف الفكرى والعملى ، فتلك الجماعات التى تتخذ الإكراه والعنف مبدءا إنما تحدث نوعيات من الجرائم لم تكن مألوفة من قبل ، وقد تُحدِثُ فى البلاد التى تظهر فيها ذعرا وارتباكا وخوفا فى صفوف الناس ، أما هؤلاء الذين ينادون بالفصل بين الدين والحياة ، أو السياسة ، فضررهم كبير ؛ لأنهم يحدثون حدثا ليس من الإسلام فى شىء ؛ فالإسلام دين شامل يحكم كل تصرفات الإنسان فردا وجماعة ودولة ، بل ودُوَلاً ، فهو كما يحكم العلاقة بين المسلمين ، يحكم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين فى تشريعه ، وهو يقوم على التعايش السلمى بين المسلمين وغيرهم ، ونصوص القرآن واضحة فى ذلك ، وتعامل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين غير المسلمين المعاصرين لدعوته كان تعايشا سلميا ، حتى إذا ما بدت منهم الخيانة والعدوان عاملهم بالمثل .

س : لقد التقيتم بالكاردينا اريــنز ـ من الفاتيكان ـ منذ فترة قصيرة وأعتقد أنكم ناقشتم معه موضوع المرأة الذى سيطرح فى (مؤتمر بكين) فى سبتمبر القادم إشراف هيئة الأمم المتحدة .. ما النقاط الرئيسية التى اتفقتم عليها ؟

فضيلة الإمام :

لم يحدث نقاش مفصل فى الموضوع ، وإنما اتفقنا على أن يحضر مندوبون عن الأزهر فى لقاء روما يوم ١٩٩٥/٦/٢٣ بعد افتتاح المركز الإسلامى الذى أنشأته المملكة العربية السعودية بالاشتراك مع غيرها من الجماهير الإسلامية الذى سيتم افتتاحه بحضور مندوبى الأزهـر يوم ١٩٩٥/٦/٢١ ، وسيكون اللقاء مع (الفاتيكان) استظهارا وتنسيقا بين رأى المسلمين والمسيحيين فيما هو معروض بمؤتمر بكين الذى ينعقد فى ظل الأمم المتحدة ، فلم يتطرق لقاؤنا إلى تحديد نقاط عليها وفاق وأخرى عليها خلاف ، وإنما سيكون ذلك فى لقاء روما يوم ١٩٩٥/٦/٢٣م

س : ما رأى فضيلتكم فى موضوع وثيقة عقد الزواج الجديدة التى اقترحتها رابطة المرأة فى مصر ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

لقد أجبت عن أسئلة صحفية فى هذا الأسبوع وقلت : إنها لاضرورة لها ؛ لأنها لاتضيف جديداً ، ولكنها توجد اختلافات كثيرة فى المحيط الإسلامى فى مصر ؛ لأن عقد الزواج عقد شرفه الله تعالى بأن يتم باسم الله ـ عز وجل ـ وليس باسم أحد ، ولقد فصل القرآن وأصّل حقوق الزوجين وواجباتهما كل منهما قبل الآخر ، والقرآن ساوى فى الجملة بين الرجال والنساء على ماهو مفصل فى القرآن وفى سنة رسول الله ـ ﷺ ـ وقد طالبت (بإغلاق ملـف هذا المشروع) وعدم طرحه مرة أخرى .

س : ما رأى فضيلة الإمام الأكبر فى عملية الختان ، وهل هو واجب فعله هذه الأيام ؟

فضيلة الإمام ؟

ختان الإناث أمر مشروع فى الإسلام ينبغى تنفيذه ، وكثير من أطبائنا المسلمين قد أبدوا الموافقة عليه التزاما بحكم الشرع الإسلامى ، وبالضوابط التى فصلها وعلمها رسول الله ـ ﷺ ـ لبعض النسوة المحترفات لهذا العمل فى عصره ، وهو عبارة عن أخذ جزء يسير يعلو موضع الختان من الأنثى ليحفظ على الأنثى كرامتها دون أن يهدر حظها أو حظ زوجها ، فنفس اللفظ الذى قاله الرسول ـ ﷺ ـ للمرأة المحترفة التى كانت تسأله فى ذلك : «أشمّى ولاتنهكى» أى اقطعى الطرف الأعلى دون قطع للعضو ذاته من جذوره كما قد يقع خطأ ؛ ومن هنا فعلى القائمين من الأطباء أو الطبيبات أو المحترفات أن يفعلن ما شرعه الإسلام ، فإذا وقع خطأ فى التطبيق فليس هذا شأن الإسلام ، وإنما شأن من ينفذ هذا العمل بطريقة خاطئة .

س : مارأيكم فى موضوع الحرية الدينية المثار فى الغرب هذه الأيام ، بمعنى أن لكل فرد أن يختار لنفسه الدين الذى يرتضيه ؟ وهل المسيحيون فى مصر لهم نفس الحقوق والواجبات التى للمسلمين ؟

إذا كانت نصوص القرآن تقول : «لا إكراه فى الدين» و«لكم دينكم ولى دين» ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ العنكبوت ٤٦ .

وتقر نصوص القرآن والسنة التعايش السلمى بين المسلمين وغيرهم وقد تعايش الرسول ـ ﷺ ـ والمسلمون معه من المهاجرين والأنصار فى بدء الهجرة إلى المدينة مع من كانوا يسكنون فيها ، أو قريباً منها ، من اليهود وغيرهم ، فكانت التجارة والزراعة مشتركة دون تفرقة بين مسلم وغيره حتى إذا مابدرت الخيانة من اليهود بالانضمام إلى أعداء الدعوة كانت الحرب معهم ؛ فالإسلام مبدؤه فى القرآن والسنة هو التعايش السلمى مع الآخرين دون التعرض لديانتهم ، ودون أن يتعرضوا للإسلام ، ومنذ أن دخلت مصر الإسلام لاتوجد أى اختلافات بسبب الدين فى مصر أو اضطهادات لغير المسلمين ، على العكس يحدث للمسلمين اضطهادات بسبب الدين كما حدث فى عصور فائتة ، وقد كانت الحروب الصليبية التى قادتها أوروبا مجتمعة ؛ موجهة ضد المسلمين ، وتمت إبادة المسلمين فى الأندلس ، ثم الحروب المعاصرة الموجهة ـ أيضا ـ ضد المسلمين فى البوسنة والهرسك وفى الهند ، وكشمير ، وفى الشيشان ، وغيرها من أجزاء العالم .. لا أقول بتحريض من المسيحية ، فالمسيحية دين من الله ـ تعالى ـ ولكنها بتعصب فئات مسيحية لاتريد للإسلام وجوداً بجوارها كما يتنادى بعض الناس فى بعض البلاد الأوروبية .

إن الإسلام والمسيحية مستقران فى الشرق الإسلامى ، حيث لايوجد فيه اضطهاد باسم الدين إطلاقاً ، وقد تحدث جرائم ولكنها جرائم بسبب التنافس فى التجارة أو الزراعة أو الصناعة أو مايحدث بين إنسان وإنسان من أهل دين واحد .

مرة أخرى أقول : لايوجد فى مصر اضطهاد بسبب الدين ، فالمسلمون يسكنون ويتعايشون ويتجاورون مع المسيحين فى العمارة الواحدة وفى الزراعة وفى الصناعة وفى كل مجالات العمل دون تفرقة بين مسلم ومسيحى ولاتوجد فى مصر ولاأى بلد إسلامى حقوق لمسلم ؛ وغيرها لمسيحى فالكل سواء أمام القانون ، إنهم موظفون فى الدولة وتجار وصناع وأصحاب شركات ومزارع وعقارات ، والضرائب فى الدولة واحدة وتعامل الدولة مع أفراد الشعب جميعاً تعاملاً بريئاً من النظرة إلى الدين ، أو إلى اختلاف الدين فالكل مواطنون .

فضيلة الإمام الأكبر :

س : ما رأى فضيلتكم فى الحوار بين الأديان ، وهل يمكن لديانة ما أن تأخذ من ديانة أخرى أو تتعلم منها ؟

هذا أمر وارد ، لكن سبيل الحوار السهل الميسر أن يكون هناك حوارا فى التعايش بين الأديان المختلفة كما هو مبدأ الإسلام . إنما التصادم بين الأديان قد يقع بسبب العقيدة ؛ فهذا هو الخطر المميت .. وهذا هو الواقع فعلا فى أوربا ، حيث يضطهد المسلمون فى عقيدتهم فى البوسنة والهرسك ، وكذلك فى الشيشان ، وكذلك فى كشمير ، وفى الهند ، وليس العدوان من

المسلمين ، وإنما بكل أسف ممن يتنادون بحقوق الإنسان وهم الذين يظلمون الإنسان المسلم .

س : لقد صرح سكرتير عام حلف شمال الأطلنطي (الناتو) بأنه قد تم القضاء على الشيوعية والانتهاء منها ، وأصبح عليهم مواجهة الإسلام والمسلمين . فما تعليق فضيلتكم على هذا التصريح ؟

فضيلة الإمام الأكبر :

إذا كان قد صدر فاعتقد أن هذه هي العصبية المقيتة التي لا تعرف حقوق الإنسان .

إن حقوق الإنسان كما عبر عنها القرآن :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ الحجرات ١٣ .

فلم يقل الإسلام لتتحاربوا ، أو ليفنى القوى منكم الضعيف وأنما أرجع بنى الإنسان جميعا — بغض النظر عن اختلاف اللغة أو الجنس أو اللون أو الدين — إلى أصلهم الواحد إنهم أبناء رجل وامرأة تفرعوا عن هذا الأصل ويجب أن يتعايشوا على هذا الأصل ، فإذا قال حلف الأطلنطي : إنه يجب أن يتفرغ للمسلمين ، فأين هى حقوق الإنسان التى يتنادون بها ويتحدثون عنها ؟ .

نعم هى لدينا فى الشرق فقط ، ولا يعرفونها فى غربهم ، وفى قوتهم ، لأن العنف مبدأهـــم ، والتعصب هدفهم وبَادٍ فى أفعالهم « قد بدت البغضاء من أفواههم » فماذا يقولون بعد ؟

حضر اللقاء وترجمه وسجله
الأستاذ أحمد عبدالخالق محمد
المترجم بمكتب شيخ الأزهر



مع سورة الفاتحة

للأستاذ الدكتور

إبراهيم الدسوقي محمد خميس (*)

(١) سورة الفاتحة
مكية وآياتها سبع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

يقول الله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ هذا الدعاء هو القسم الثانى من سورة الفاتحة ؛ فقد ذكر العلماء أن الفاتحة قسمان : ثناء ودعاء . وفى الآيات السابقة ذكر الثناء ، وفى هذه الآيات ذكر الدعاء ، وقد أخذ هذا التقسيم من قول الله ـ تعالى ـ فى الحديث القدسى .. فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل . وسيأتى الحديث بطوله فى آخر البحث إن شاء الله .

والدرس الذى نتعلمه من هذه السورة هو : أن الداعى قبل أن يدعو يثنى على الله بما هو أهله وذلك بذكر بعض أسمائه الحسنى وصفاته العلا . قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ الأعراف .. ويختم الدعاء بالصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ فإذا فعل ذلك كان أرجى لقبول دعائه .

والهداية فى اللغة : الدلالة بلطف على ما يوصل إلى المطلوب ، ولا تستعمل إلا فى الخير ، فإذا استعملت فى غيره كان المقصود بها التهكم والسخرية قال ـ تعالى ـ : ﴿ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ .

(*) أستاذ التفسير بكلية أصول الدين جامعة الأزهر .

والهداية تتعدى إلى مفعولين : إلى الأول بنفسها ، وإلى الثانى باللام أو بإلى ، وقد تتعدى إلى الثانى بلا واسطة كما فى هذه الآية : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ .

وهدايات الله كثيرة لا تعد ولا تحصى حيث إنها نعم والله – تعالى – يقول : ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ وأمهاتها هى : هداية الإلهام ، هداية الحواس ، هداية العقل ، هداية الدين ، هداية التوفيق والمعونة .

فهداية الإلهام يعطيها الله للإنسان والحيوان منذ ولادته ؛ فالطفل عندما يولد يشعر بألم الجوع والحاجة إلى الغذاء ، فيصرخ طالباً له بهذا الإلهام ويلهم كذلك التقام الثدى وامتصاص اللبن ، وهداية الحواس متممة لهداية (الإلهام) ويعطيها الله للإنسان والحيوان بل يكون الحيوان فيها أكمل من الإنسان . فإلهامه وحواسه يكملان بعد ولادته بقليل ؛ أما فى الإنسان فيكمل فيه ذلك بالتدريج فى زمن غير قصير . فالطفل عقب ولادته لا يدرك من الأصوات والمرئيات شيئاً ، ثم بعد مدة يبصر ولكن لا يدرك تحديد المسافات ، فيحسب البعيد قريباً ، أما هداية العقل فهى أعلى من هداية الحس والإلهام ، وهى خاصة بالإنسان لأن هداية الحس والإلهام لا تكفيان الإنسان ؛ لأنه اجتماعى بطبعه فحباه الله العقل يميز به بين الخير والشر ، وبين الحسن والقبيح ، حيث إن العقل يصحح غلط الحواس والمشاعر ويبين أسبابه ، ولذا وجه الله الإنسان إلى استعمال عقله فى التدبر والتفكر فى آيات كثيرة من القرآن الكريم ، منها قوله – تعالى – : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الجاثية/١٣ . ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ النحل/١٢ .

وقد يخطىء العقل كما تخطىء الحواس وذلك حين ينغمس الإنسان فى شهواته وأهوائه وملذاته فيحتاج إلى هداية أخرى تصحح خطأ العقل وتلك هداية الدين .

فقد يهمل الإنسان استخدام حواسه وعقله فيما فيه سعادته ويسلك بهذه الهدايات مسالك الضلال فيجعلها مسخرة لشهواته وملذاته حتى توردِه موارد الهلكة ، وحينئذ يكون فى حاجة إلى هداية تضبط مشاعره وأهواءه وتمنعه من الاعتداء على حقوق الآخرين .

وقد أودع فى غريزة كل إنسان الشعور بسلطة غيبية تسير الأكوان وتنظم حركتها فى الحياة وينتسب إليها كل ما لا يعرف له سبب ، وتوحى إليه بأن له حياة وراء حياته الدنيا المحدودة ولن يستطيع بتلك الهدايات تحديد ما يجب عليه نحو صاحب هذه السلطة الذى خلقه وسواه ووهبه هداياته فى الدنيا وما فيه سعادته فى حياته الثانية .

إذن فهو فى أشد الحاجة إلى هداية الدين وقد منحه الله إياها فأرسل الرسل وأنزل الكتب وذكرها فى كثير من آيات القرآن الكريم ، منها قوله – تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ البلد/١٠ أى طريق السعادة والشقاوة والخير والشر وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ .. ﴾ فصلت/١٧ . أى دللناهم على طريقى الخير والشر . وهذه الهدايات التى مر ذكرها لا يحتاج الإنسان أن يسأل الله إعطاءها

فهي منحة منه سبحانه - وتعالى - لكل إنسان ولكنه في حاجة إلى أن يسأل دوامها، ويسأل نوعاً آخر من الهداية هي: هداية المعونة والتوفيق للسير في طريق الخير دائماً، وهي المقصود من قوله - تعالى: ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾.

وأصل صاد الصراط سين قلبت صاداً لتطابق الطاء في الإطباق. قال الراغب في مفرداته السراط الطريق المستسهل أصله من سرطت الطعام وزردته. أي ابتلعته.

فقيل سراط، تصوراً أنه يبتلعه سالكه، أو يبتلع سالكه ص٣٣٧ المفردات في غريب القرآن.

والمعنى: دلنا دلالة تصحبها معونة غيبية من لدنك تحفظنا بها من الضلال والخطأ. هذا فهي هداية خاصة يراد بها الإعانة والتوفيق للسير في طريق الخير دائماً ويعبر عن هذا المعنى أيضاً بقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ الأنعام/ ٩٠.

وأما الهدايات السابقة فهي بمعنى الدلالة وهي بمنزلة إيقاف الإنسان على رأس طريق أحدهما مهلك والآخر منجي مع بيان ما يؤدي إليه كل منهما ليختار الطريق المنجي الموصل إلى السعادة وقد عبر المفسرون عن هذه الهدايات بهداية البيان والإرشاد، ومما ذكر يتبين أن للهداية في القرآن الكريم معنيين:

الأول: البيان والإرشاد وهي بهذا المعنى تسند إلى الله وإلى النبي وإلى الوعاظ والمرشدين قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ الشورى/ ٥٢.

الثاني: التوفيق والمعونة للسير في طريق الخير دائماً وهي بهذا المعنى لا تسند إلا إلى الله. قال - تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ القصص/ ٥٦.

والهداية المنفية عن النبي هنا هي: هداية التوفيق والمعونة. والهداية المثبتة له هي: هداية البيان والإرشاد فلا تناقض ولا تعارض بين الآيتين.

وإنما قال: ﴿ اهدنا ﴾ ولم يقل اهدني بياء المتكلم رمزاً إلى أن المسلمين جميعاً متعاونون فلا ينبغي أن يدعو أحدهم لنفسه دون أن يدعو لغيره من هذه الأمة.

والمعنى الأصلي للصراط: هو: الطريق الحسي يذكر ويؤنث، فتقول الطريق سلكته وسلكتها، وفي المراد منه أقول: فقد روى أنه كتاب الله. عن الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «الصراط المستقيم. كتاب الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم» وقيل هو الإسلام. وعن ابن الحنفية أنه دين الله الذي لا يقبل غيره.. وعن النواس بن سمعان عن النبي ﷺ قال: «**ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا. وداع يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه. فالصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم**» ابن كثير بتصرف. ص٤٣ جـ١.

وعلى ضوء هذا الحديث نستطيع أن نقول الصراط المستقيم هو جملة ما يوصلنا إلى سعادة الدنيا والآخرة من عقائد وآداب وأحكام وتعاليم من جهتى العلم والعمل وهو بهذا المعنى يشمل كل ما ورد من كلام المفسرين .

والمستقيم .. صفة لـ « الصراط » وهو الذى لا اعوجاج فيه ولا انحراف ، والوصف بالاستقامة لا ينطبق إلا على وحى الله ومنهجه ، فمناهج الأرض كلها منحرفة لا توصل إلى سعادة الدنيا والآخرة . وقد بين الله هذا الصراط المستقيم بقوله : ﴿ **صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ .

فصراط الذين .. بدل من الصراط المستقيم وليس ذلك بتكرار ، لأن الصراط الأول : بيان للمكان المهيأ للسلوك ، والثانى بيان للسالكين ، وفى هذا بيان لطوائف الناس أمام قبول الحق والعمل به : منعم عليهم ، ومغضوب عليهم ، وضالون . فالمنعم عليهم هم : الذين اتبعوا منهج الله وأخذوا بتعاليمه كلها من شعائر تعبدية وشرائع عملية وأخلاق . وهم المقصودون بقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ النساء/٦٩ . وأما المغضوب عليهم فهم : الذين حادوا عن الحق بعد علمهم به والذين بلغهم شرع الله سليماً من التحريف والتبديل فرفضوه ولم يتقبلوه .

وأما الضالون ، فهم : الذين لم يعرفوا الحق ألبتة أو عرفوه محرفا مبدلا .

وقد جاء فى التفسير بالمأثور أن المغضوب عليهم هم : اليهود ، والضالون : هم النصارى .

قال ابن كثير : فعن أبى ذر - رضى الله عنه - قال سألت رسول الله ﷺ عن المغضوب عليهم قال : اليهود قلت والضالين ، قال : النصارى .. ص٤٦ جـ ١ وجاءت روايات كثيرة بهذا المعنى . ولكن الصحيح ما ذكر فى المراد بالمغضوب عليهم والضالين ، ويدخل فيهم : اليهود والنصارى دخولا أوليا ، لأن كل الكفار مغضوب عليهم وضالون .

وبعـــد :

فقد تبين لك أيها القارىء أن سورة الفاتحة جمعت مقاصد القرآن الكريم كله ، أجملها الله فى سبع آيات قصار . فكانت هذه السورة جديرة بأن تقرأ فى كل ركعات الصلاة ولا تصح بدونها صلاة .

وقد ورد فى صحيح مسلم من حديث العلاء ابن عبدالرحمن عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال من صلى صلاة لم يقرأ فيها أم القرآن فهى خداج - الخداج - الناقص - ثلاثاً غير تمام ، فقيل لأبى هريرة : إنا نكون وراء الإمام قال : إقرأ بها فى نفسك . فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

قال الله - عز وجل - قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل ، فإذا قال العبد « الحمد رب العالمين » قال الله حمدنى عبدى ، وإذا قال : « الرحمن الرحيم » قال الله أثنى علىّ عبدى فإذا قال « مالك يوم الدين » قال : مجدنى عبدى وقال مرة : فوض إلى عبدى ، فإذا قال : « إياك نعبد وإياك نستعين » قال : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فإذا قال : « إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل .

ولفظ « آمين » ليس من الفاتحة ، ومعناها استجب .

قواعد السلوك الاجتماعي في سورة الحجرات

بقلم الفريق / يحيى عبد الله المعلمي*

لقد أنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ على نبيه الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام قرءاناً هادياً ومبشراً ونذيراً ومعلماً ومؤدباً وحاثاً على مكارم الأخلاق ناهياً عن مساوئها .

وقد كنت في كل مرة تخطر على بالي آية من سورة الحجرات أو أقرأ هذه السورة في أثناء قراءتي للقرآن الكريم أقف عندها متأملاً ما اشتملت عليه من قواعد السلوك الاجتماعي التي ينبغي أن يتأدب بها الناس في تعاملهم وتحاورهم .

وكنت أعجب ممن يظن أن (الإتيكيت) أو قواعد السلوك الاجتماعي من مبتكرات الحضارة الغربية الحديثة ومن مظاهر تقدمها .. فإذا هذه القواعد موجودة من قبل في القرآن الكريم وقد قرأها المسلمون وعملوا بها منذ أنزل القرآن على سيد الخلق ﷺ ، فمازال أفاضل الناس يلتزمون بها .

وقد عزمت بعون الله ـ تعالى ـ أن أسجل مايفتح الله به عليّ من هذه القواعد مستمداً من سورة الحجرات مايتضمن مكارم الأخلاق ومقتضيات الأدب .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ الحجرات

يخاطب الله ـ سبحانه وتعالى ـ المؤمنين من عباده ويؤدبهم ويعلمهم مايجب عليهم اتباعه من قواعد السلوك الاجتماعي القويم في حضرة نبيه الكريم بما يتفق مع ماينبغي لمقامه ﷺ من توقير واحترام وتبجيل وتعظيم .

أولاً : ينبغي أن لايأخذ أحد منهم زمام المبادرة في تناول أي أمر من الأمور بالحديث مالم يبدأ الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالحديث فيه أو السؤال عنه ؛ أو التوجيه فيه بما يراه ، وأن لا يفتأتوا على الرسول ﷺ بالفتوى في أمر من أمور الدين أو المشورة في أمر من أمور الدنيا . فهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ سيد المجلس ولا يتكلم أحد في مجلسه إلا بإذن منه .

* عضو مجمع اللغة العربية

وقد قرن الله ـ سبحانه وتعالى ـ الالتزام بهذا الأدب بالتقوى ، فجعله أمارة من أماراتها ، وأخبر عباده بأنه سميع لما يقولون ، عليم بما يدور فى نفوسهم وما يسرونه من أحاديثهم ونياتهم فهم تحت رقابة الله ـ سبحانه وتعالى .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾

ففى هذه الآية نهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يرفعوا أصواتهم بالحديث فى نبرة تعلو على صوت النبى ﷺ ، وإذا خاطب النبيُّ ﷺ أحداً منهم سراً فيتعين إن لا يجهر بالجواب ، إذ لو أراد النبى ﷺ منه الجهر بالجواب لجهر ﷺ بالسؤال ، وإن الإجابة علناً عن سؤال مهموس دليل الحماقة والطيش ، وهو لا يحسن بين الناس بعضهم بعضاً وبخاصة عند مخاطبة الرؤساء أو كبار القوم .

وينهى الله ـ سبحانه وتعالى ـ المؤمنين عن الجهر فى خطاب الرسول ﷺ كما يجهر بعض الناس لبعض ، بل أن يخاطب المرء من هو أعلى منه درجة أو أكبر سناً بهدوء وأدب وبصوت معتدل لا يكون خفيضاً إلى درجة لا يعرب عما يريد قوله ، ولا يكون عالياً حتى يزعج من يستمع إليه أو يلفت انتباه من يكون قريباً منه .

وقد جعل الله ـ سبحانه وتعالى ـ إساءة الأدب فى المخاطبة سبباً فى إحباط العمل من حيث لا يشعر الإنسان .

فقد روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أنه لما نزلت هذه الآية :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ... ﴾ الآية كان الصحابى ثابت بن قيس بن الشماس رفيع الصوت فقال : أنا الذى كنت أرفع صوتى فوق صوت رسول الله ﷺ : أنا من أهل النار ! حبط عملى ، وجلس فى أهله حزيناً ففقده النبى ﷺ فانطلق بعض القوم إليه فقالوا : تفقَّدك رسول الله ﷺ ... مالك ؟ فقال : أنا الذى أرفع صوتى فوق صوت النبى ﷺ وأجهر له بالقول ، حبط عملى ، أنا من أهل النار .. فأتوا النبى ﷺ فأخبروه بما قال . فقال لهم النبى ﷺ : « لا بل هو من أصحاب الجنة » قال أنس رضى الله عنه : فكنا نراه يمشى بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة : فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكسار (أى الانهزام) فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد تحنط ولبس كفنه وقال : بئس ما تعودون أقرانكم .. فقاتلهم حتى قتل ـ رضى الله عنه .

وذكر ابن جرير الطبرى رحمه الله أن النبى ﷺ قال له : « ألا ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة ؟ فقال : رضيت ببشرى الله ورسوله ﷺ لا أرفع صوتى أبداً فوق صوت رسول الله ﷺ .

وكما التزم المؤمنون بعدم رفع أصواتهم بحضرة رسول الله ﷺ فقد التزموا أيضاً بخفض أصواتهم عند قبره ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأنه معظَّم حياً كما هو معظَّم فى (مقامه) .

وقد كره العلماء رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان الصحابة يكرهون ذلك فى حياته .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

وأثنى الله ـ سبحانه وتعالى ـ على من يخفضون أصواتهم بحضرة رسول الله ﷺ وجعل ذلك علامة على عمران قلوبهم بالتقوى .

وقد التزم صحابة رسول الله ﷺ بهذا الأدب وندم من كان منه خلاف ذلك على فعله وتاب إلى الله منه .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ [الحجرات]

وفي هاتين الآيتين الكريمتين ذم القرآن الكريم من ينادون رسول الله ﷺ وهو في داره ، أو وهو مشغول عنهم ، وكان بعض الأعراب يفعل ذلك فهم قد تعودوا على نداء بعضهم بعضاً برفع أصواتهم وفي خطاب بعضهم بعضاً وكان ينادون بعضهم بعضاً بأسمائهم المجردة دون ألقاب ، وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده وابن جرير الطبري في تفسيره أن هذه الآية قد نزلت على أثر قيام (الأقرع بن حابس) وهو أعرابي من سادة بني تميم بمناداة رسول الله ﷺ وهو في بيته قائلاً : يا محمد يا محمد !! وفي رواية : يا رسول الله . فلم يجبه رسول الله ﷺ فقال الأقرع : إن حمدي لزين وإن ذمي لشين فقال رسول الله ﷺ : « ذلك الله عز وجل » .

وقد أرشد الله ـ سبحانه وتعالى ـ عباده المؤمنين إلى ما ينبغي إتباعه عند رغبتهم في متابعة النبي ﷺ أو التحدث إليه ، فأوصاهم بأن ينتظروا حتى يخرج إليهم من بيته ، أو يفرغ من شغله ، أو ينفتل من صلاته ؛ فذلك خير لهم من أن يزعجوا النبي ﷺ بندائهم ، وأخبر ـ سبحانه وتعالى أنه غفور رحيم فهو يغفر برحمته لمن غفل عن الالتزام بهذا السلوك قبل أن يعرف وجوب الالتزام به .

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۝ ﴾

يوجه ـ الله سبحانه وتعالى ـ عباده المؤمنين إلى وجوب التبين والتثبت من حقيقة ما يبلغهم من أخبار ، وما يصل إليهم من إشاعات ؛ فلا يتسرعوا في البناء على هذه الأخبار أو ترديد هذه الإشاعات قبل التأكد من حقيقتها وصدقها حتى لايتصرفوا تصرفاً خاطئاً مبنياً على الظن السيء فيندموا على تصرفهم .

وقد أخرج الإمام أحمد وابن جرير الطبري وابن أبي حاتم وقتادة أن رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط إلى بني المصطلق ليصدقهم (أي ليجمع صدقاتهم) فلما أقبل عليهم تلقوه بالصدقة فظن أنهم جاءوا ليهاجموه فرجع إلى النبي ﷺ فقال : إن بني المصطلق جمعت لك لقتالك ، وأنهم قد ارتدوا عن الإسلام : فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إليهم وأمره أن يتثبت ولا يعجل ، فانطلق حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه فجاءوا إليه وأخبروه أنهم متمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم ، فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى مايعجبه .. فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره الخبر فنزلت هذه الآية الكريمة .

قال تعالى :

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾

وبعد أن أوصى الله ـ سبحانه وتعالى ـ المؤمنين بالتثبت والتأكد من حقيقة الإشاعات والأخبار أخبرهم بأن فيهم رسول الله ﷺ وهو يرشدهم ويدلهم على الصواب بما يلهمه الله ـ سبحانه وتعالى ـ أو بما يوحى إليه وأن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لو أطاع صحابته فى كثير من الأمور التى قد يظنون فيها خيراً لسبّب لهم ذلك العنت والمشقة ، ولا أرهقهم بالالتزامات التى قد تترتب على مايظنونه .

وامتن الله ـ سبحانه وتعالى ـ على عباده بعد ذلك بأنه لطف بهم فحبب إليهم الإيمان وزينه فى قلوبهم بما يدعو إليه من التثبت والصبر والتحلى بمكارم الأخلاق ، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان لما فيها من نزق وتمرد وعجلة .

ثم قال ـ تعالى ـ بعد لك :

﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

أى أن ما بينه لهم الله من التثبت واليقين هو فضل من الله عليهم ونعمة أولاهم إياها فهو عليم بأحوالهم حكيم فى مايقدره عليهم .

قال تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾

يرشدنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى ماينبغى عمله عندما تحتدم الخلافات بين المسلمين وتشتعل الفتن بينهم حتى تؤدى إلى اقتتالهم فدعانا إلى أن نسعى بالصلح بين الفئتين المتقاتلين والعمل على وقف إطلاق النار .. ليتم التفاهم والتباحث فى موضوع الخلاف فى جو سلمى وبعد بحث موضوع الخلاف يحكم المحكمون فيه بما يرونه محققاً للحق والعدل .

ويجب على الطرفين المتقاتلين قبول الحكم والالتزام به ؟ ؛ فإن بغت إحدى الفئتين وأبت أن تذعن للصلح فينبغى فى هذه الحالة على الوسطاء أن يقاتلوهم حتى يذعنوا للصلح ويلتزموا به .

وفى هذه الآية بيان عوامل ما ينبغى عمله فى حسم الخلافات والقضاء على أسباب المنازعات .

فأولاً : يبدأ العمل بالسعى للإصلاح بين الطرفين المتنازعين قبل استفحال الخلاف بينهما .

ثم إذا تطور الخلاف إلى قتال وجبت المبادرة إلى وقف إطلاق النار .

ثم بعد ذلك يكون العمل على حل الخلاف واتخاذ قرار فيه يكون متسماً بالعدل وعدم التحيز

ولذلك أوجب الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يكون الصلح متسماً بالعدل .

. وبعد أن يتم الصلح العادل ينبغى أن يلتزم به الطرفان المتنازعان بصدق وإخلاص وحسن نية وتصميم على حفظ السلام والوئام ، فإذا انتكس أحد الطرفين يتعين إلزامه بالرجوع إلى الحق والعودة إلى الصواب وإلى الصلح المتفق عليه بقوة السلاح إن لم يُجد معه النصح والإرشاد .

لو اتبع المسلمون مانصّ عليه القرآن الكريم فى حسم الخلافات بينهم لما رأينا ما تشب من حروب بين الدول الإسلامية ، أو بين الدول والشعوب ، ولما نتج عن هذه الحروب خسائر فادحة فى الأرواح والأمــوال والعتـاد ، والنـكسات الاقتصادية واستمرار الخلاف والاضطراب فى أنحاء العالم الإسلامى .

(للحديث بقية)

حرمة المساجد وصيانتها

أ.د/ محمود سالم الخطيب (*)

● روى أبو داود قال :

حدثنا عُبَد الله بن عُمر الجُشَمي ، حدثنا عبد الله بن يزيد ، حدثنا حَيْوة ـ يعني ابن شريح ـ قال : سمعت أبا الأسود ـ يعني محمد بن عبد الرحمن بن نوفل ـ يقول :

أخبرني أبو عبد الله ـ مولى شداد ـ أنه سمع أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« مَنْ سمع رجلًا ينشد ضالَّةً في المسجد فلْيَقُلْ : لا أدّاها الله إليك ، فإن المساجد لم تُبْنَ لهذا »(1)

● وروى ابن ماجه ـ بسنده إلى سليمان بن بُرَيْدة ، عن أبيه قال : صلّى رسول الله ﷺ ، فقال رجل : مَنْ دَعَا إلى الجمل الأحمر ؟ فقال النبي ﷺ :

« لا وجدتَهُ ، إنما بُنِيَتْ المساجدُ لما بُنِيَتْ له »(2).

● وروى ابن ماجه بسنده إلى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه : أن رسول الله ﷺ نهى عن إنشاد الضالة في المسجد .

(1) سنن أبي داود ١١١/١ ط . مصطفى الحلبي سنة ١٣٧١ .

(2) سنن ابن ماجه ٢٥٢/١ ط. عيسى الحلبي ١٣٧٢ .

(*) الكاتب : أستاذ مساعد بأصول الدين ـ طنطا ـ جامعة الأزهر .

اللغــة :

ينشُد ضالة : يطلبها من النشيد ، وهو رفع الصوت بطلب ما يريد .

الضالة : الضائعة من كل ما يقتنى من الحيوان وغيره يقال : ضلَّ الشيء إذا ضاع - وهى فى الأصل فاعلة - وتقع على الذكر والأنثى - والاثنين والجمع - وتجمع على ضَوَالّ - والمراد بها فى الحديث الضالة من الإبل والبقر مما يحمى نفسه ويقدر على الإبعاد فى طلب المرعى والماء وليس الغنم . [النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير] .

هدى نبوى كريم يربى رسول الله ﷺ أتباعه من المسلمين عليه ، ويؤدبهم بآداب الإسلام ويرشدهم إلى آداب المساجد - خاصة - مبيناً لهم - عليه الصلاة والسلام - أن المساجد ليست لإنشاد الضالة ولا للإعلانات التى يريدها أى إنسان لنفسه ، وإلا خرجت عما بنيت له ، وأقيمت من أجله ، فالمعروف فى الإسلام أن النبى ﷺ حين هاجر إلى المدينة كان أول ما عمله هو شراء أرض لتكون مسجداً لإقامة الصلاة التى هى الركن المهم فى الإسلام ، والركن الفارق بين المسلم والكافر بربه .

وحثَّ ﷺ على الصلاة ، وكان - من آخر وصاياه - عليه الصلاة والسلام : « الصلاة ... الصلاة ، وما ملكت أيمانكم » .

[أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس ، وكذا الإمام أحمد] .

ولذلك دعا النبى - صلوات الله وسلامه عليه - من يغدو إلى المسجد أن يحرص على آدبه من طهارة ونظافة ثوب ونظافة بدن وتطيب واستياك ؛ حتى لايتأذى منه أحد ، ولكى ينتفع بما فى المسجد من صلاة أو عظات أو خطب أو دروس ينتفع بها أو حلقات تناقش ما فيه خير الإسلام .

ومن يخرج عن هذه الآداب ، ويتخذ من المسجد مكاناً يعلن فيه أو منه على عرض دنيوى يريده كإنشاد ضالة مفقوده من إبل أو بقر أو غنم أو إعلان عن بضاعة من ثياب أو أموال أو ذهب أو خلافه أو أى أمر دنيوى يهمه الإعلان عنه فقد خرج عن رسالة المسجد الذى بنى من أجلها ؛ ومن ثم استحق الدعاء عليه بألا يحقق الله طلبه ، فلا يجد ما ينشده .

وفى الحديث : « أيها الناشد غيرك الواجد » والحديث وإن لم يكن قوياً ، فإنه يعمل به فى فضائل الأعمال .

وفق الله المسلمين للسير على كتاب ربهم والتمسك بآداب دينهم - فيعطوا للمساجد حقها من الوقار والسكينة والبعد عما يتعلق بغير وظيفتها .

ويؤخذ من هذا الحديث حرص الإسلام على آداب المساجد وعلى أن يؤدى المسجد رسالته التى بنى من أجلها - والواجب على كل مسلم أن يعنى بحق المساجد ؛ فإنها بيوت الله - كما قال تعالى **﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾** [سورة الجن] .

فى الحديث القدسى : « **إن بيوتى فى الأرض المساجد وزوارى عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى ، وحق على المزور أن يكرم زائره** » .

حقيقة التأمين.. وأركانه.. وأنواعه

المبحث الأول
أركان التأمين

للدكتور/ عبدالله مبروك النجار

ومن خلال تعريف التأمين يتضح لنا أنه يقوم على أركان أربعة، ربما يعبر بعض الفقه عنها بالشروط، وهذه الأركان هي:

أولا : الخطر

ثانيا : القسط .

ثالثا : مبلغ التأمين .

أي ما يلتزم به المؤمن عند تحقق الخطر المؤمن منه وسوف نعرف بكل منها في مطلب على حدة .

المطلب الأول
الخطر في عقد التأمين

وبيان الخطر في عقد التأمين يقتضي تعريفه وبيان عناصره، ثم بيان أنواعه، والشروط الفنية للخطر، ونخصص لكل موضوع فرعا .

الفرع الأول
تعريف الخطر وبيان عناصره

يعتبر الخطر أهم عنصر في التأمين، وهو محل التزام كل من المؤمن له والمؤمن، فالمؤمن له يلتزم بدفع الأقساط في مقابل تأمين نفسه من الخطر، والمؤمن يلتزم بدفع مبلغ التأمين لتأمين المؤمن له من الخطر .

ويعرف الخطر بأنه : « كل حادث محتمل الوقوع لا يتوقف وقوعه على محض إرادة المؤمن أو المؤمن له، أو المستفيد من التأمين »[1] .

ويتضح من هذا التعريف أن للخطر في التأمين معنى خاصا يختلف عن معناه العام في فقه

(١) د. عبدالمنعم البدراوي — فقرة ١٣٩، د. محمد كامل مرسي، فقرة ٢٥، د. عبدالودود يحيى — ص ٣٣، د. محمد علي عرفـة ص ٢٧، د. أحمد شرف الديـن — ص ١١٥، د. عبدالرازق فرج — ص ٤٠، د. توفيق فرج — ص ٢٠، د. نزيه المهدي — ص ١١٣ — الوسيط للسنهوري — السابق فقرة ٥٦١، د. محمد حسام — ص ١٨٢، وبيكار وبيسون — فقرة ٢٢، وسارو — فقرة ١٥٤٦، وقارن : د. عبدالحي حجازي، فقرة ٣٢ ويلاحظ أن فكرة الخطر في مجال التأمين أوسع من فكرة الخطر في القانون المدني بصفة عامة، فالخطر المؤمن منه لا يتمثل في الهلاك بقوة قاهرة فحسب، ولكنه يتمثل — أيضا — في الهلاك لأي سبب آخر، د. محمد كامل مرسي — فقرة ٢٧ .

القانون المدنى ، حيث يقتصر الأخير على مايهدد الإنسان من أحداث تعتبر ضارة به ، بينما هو فى التأمين يشمل مع ذلك التأمين ضد حادث سعيد كالزواج ، وفيه يتقاضى المؤمن له مبلغا إذا ماتزوج قبل بلوغه سنا معينة ، وهناك تأمين المهر ، ويكون المستفيد فيه أحد أولاد المؤمن له إذا عاش إلى تاريخ معين وهو غالبا ما يكون سن الزواج ، وهناك التأمين لحال البقاء ، وهكذا كان الخطر فى التأمين شاملا لكل تلك الأنواع[2].

عناصر الخطر :

ومن تعريف الخطر تبدو عناصره متمثلة فى أنه : حادث محتمل الوقوع ، ولا يتوقف وقوعه على محض إرادة المؤمن أو المؤمن له أو المستفيد من التأمين ، ويشترط أن يكون المحل الذى يمكن أن يرد عليه الخطر مشروعا .

العنصر الأول : الخطر حادث محتمل الوقوع :

والاحتمال فى الخطر يفترض أن يكون الحادث المكون له مستقبلا ، وأن يكون غير محقق الوقوع[3].

أولا : الخطر حادث مستقبل :

يجب أن يكون الخطر المؤمن منه حادثا مستقبلا ، بمعنى أنه كان الخطر قد وقع عند إنعقاد العقد ، أو كان قد زال فإن عنصر الاحتمال يتخلف ويكون التأمين قد ورد على غير محل ، ومن ثم يكون عقد التأمين باطلا ، مثل أن يؤمن شخص على حياة شخص آخر يكون قد مات قبل عقد التأمين ، أو يقوم بالتأمين على منزل من الحريق ويكون ذلك المنزل قد احترق بالفعل .

الخطر الظنى :

وقد ثار تساؤل فى الفقه عما إذا كان يجوز التأمين من الخطر الظنى ، وهو ذلك الخطر الذى يكون قد تحقق بالفعل دون أن يعلم به كل من المتعاقدين أو أحدهما ، فهل يجوز التأمين فى تلك الحالة ويقع صحيحا[4].

بالنظر فى المادة (٢٠٧) من التقنين البحرى المصرى نجد أن هذا النوع من التأمين لا يكون باطلا إلا إذا كان المؤمن له عالما وقت العقد بهلاكها من قبل . تقول المادة : كل (سيكورتاه) أى تأمين « عملت بعد هلاك الأشياء المؤمنة أو بعد وصولها ، تكون لاغية إذا

---

(٢) راجع فى معانى الخطر بصفة عامة ، والخطر فى التأمين بصفة خاصة : د. محمود جمير الشرقاوى ــ المرجع السابق ــ ص ١٠ وما بعدها ، د. أحمد شرف الدين ص ١١٥ وما بعدها ، د. عبدالمنعم البدراوى ص ٢٠١ ، السنهورى فقرة ٥٥٩ ص ١٢١٩ .

(٣) ويسمى ــ أيضا : حادث غير محقق الوقوع ، راجع : نزيه المهدى ، ص ١١٤ ، د. عبدالمنعم البدراوى ــ فقرة ٤١ ، د. محمد كامل مرسى ، ص ٢٢ ، د. محمد على عرفة ــ ص ٢٨ ، د. أحمد شرف الدين ــ السابق .

(٤) د. عبدالرزاق حسن فرج ــ ص ٤١ ، د. حسام الأهوانى ص ٤٤ ، د. محمود جمير الشرقاوى ــ محاضرات فى عقد التأمين ص ١٢ ــ طبعة ١٩٦٨ م .

ثبت أن المؤمن له كان عالما بهلاكها أو ثبت أن المؤمن كان عالما بوصولها أو إذا دلت قرائن الأحوال على أنهما يعلمان ذلك قبل وضع الإمضاء على مشارطة « السيكورتاه » أى التأمين[*].

ومفهوم المخالفة لهذا النص يدل على أن المؤمن له إذا لم يكن عالما بهلاك الأشياء المؤمن عليها ، فإن التأمين يقع صحيحا حتى ولو كان الخطر المؤمن منه قد وقع وقت إبرام عقد التأمين .

ذلك بالنسبة للتأمين البحرى ، أما التأمين البرى فإن الأمر فيه مختلف فقد كانت المادة « ١٠٣٨ » من التقنين المدنى تنص على أنه : يقع عقد التأمين باطلا إذا تبين أن الخطر المؤمن منه كان قد زال أو كان قد تحقق فى الوقت الذى تم فيه العقد ، وكان أحد الطرفين على الأقل عالما بذلك ، ولكن لجنة المراجعة إتجهت فى مشروعها النهائى إلى حكم مخالف ، فحذفت عبارة : « وكان أحد الطرفين على الأقل عالما بذلك » وأصبح نصها فى المادة « ٨٧٢ » من المشروع النهائى مقتصرا على أنه : « يقع عقد التأمين باطلا إذا تبين أن الخطر المؤمن منه كان قد زال ، أو كان قد تحقق فى الوقت الذى تم فيه العقد » .

وقد وافق مجلس النواب على ذلك ولكن لجنة القانون المدنى فى مجلس الشيوخ قد حذفت هذا النص لتعلقه بمسائل تفصيلية يحسن أن تنظمها قوانين خاصة[٦].

ولا شك أن الخطر المؤمن منه هو أحد أركان التأمين الأساسية وإذا وقع الخطر قبل إبرام العقد يكون التأمين قد فقد ركنا من أركانه الأساسية وبالتالى يقع باطلا .

ولايسوغ قياس الخطر هنا على نظيره فى التأمين البحرى ، حيث يجوز فى قانون التجارة البحرى ، التأمين من الخطر الظنى كما رأيناه ، لأن الجواز هنا لا يعدو أن يكون استثناء من قاعدة عامة . والإستثناء لا يقاس عليه ولا يتوسع فيه .

وقد أبيح هذا الاستثناء فى تلك الحالة لعلة خاصة تتمثل فى أن السفينة فى الغالب تكون بعيدة عن الطرفين عند إبرام العقد ، وهى فى عرض البحر أو المحيط يصعب مع بعدها معرفة وقوع

(*) وقد ألغى هذا النص بالمادة (٣٥٠/١، ٢) من قانون التجارة البحرى المصرى بما لا يخرج عن هذا المعنى ، حيث تنص الفقرة الأولى من المادة المذكورة على أنه : « يقع باطلا التأمين الذى يبرم بعد هلاك الأشياء المؤمن عليها ، أو بعد وصولها إذا ثبت أن نبأ الهلاك أو الوصول بلغ قبل إبرام العقد إلى مكان توقيع العقد أو إلى المكان الذى يوجد به المؤمن أو المؤمن له » ، والمشرع هنا يفترض أن مجرد وصول نبأ الهلاك أو الوصول ، قبل إبرام العقد إلى مكان توقيع العقد ، أو المكان الذى يوجد به المؤمن له أو المؤمن ، أفترض علم الأول بوقوع الخطر أو علم الثانى باستحالة وقوع الخطر بحسب الأحوال ، فيقع العقد باطلا فى هذه الحالة ، أما إذا عقد التأمين على شرط الأنباء السارة أو السيئة ، فقد نصت الفقرة الثانية من المادة (٣٥٠ بحرى مصرى) : « على أن العقد لا يبطل إلا إذا ثبت يقينا علم المؤمن له شخصيا بهلاك الشيء المؤمن عليه أو علم المؤمن شخصيا ، بوصول هذا الشيء ، وذلك قبل ابرام العقد فى الحالتين » ، ويستفاد من هذا النص أن العقد ينعقد صحيحا حالة تضمنه شرط الأنباء السارة أو السيئة ، إذ كان المؤمن له لا يعلم بوقوع الخطر ، أو كان المؤمن لا يعلم باستحالة وقوع الخطر وقت إبرام العقد ، وفى هذه الحدود يقع التأمين من الخطر الظنى صحيحا » ، راجع : د. عبدالحى حجازى ــ فقرة ٣٥ ، د. أحمد شرف الدين ــ ص ١١٧ وما بعدها والوسيط ــ فقرة ٥٩٨ ، د. محمد على عمران ، ص ٢٤ ، وما بعدها ، د. توفيق فرج ــ ص ٢١ ، د. عبدالمنعم البدراوى فقرة ١٣٢ ، د. عبدالرازق فرج ص ٤٢ .

(٦) مجموعة الأعمال التحضيرية ــ جـ ٥ ــ ص ٢٢٣ بالهامش ، وراجع : د. عبدالرازق فرج ــ المكان السابق .

الخطر أو عدم وقوعه ، والأمر يختلف فى التأمين البرى الذى يسهل معه معرفة ما إذا كان الخطر المؤمن منه قد زال أوتحقق فعلا وقت إبرام العقد[7].

ثانيا : الخطر حادث غير محقق الوقوع :

وهذا يعنى أن الخطر يجب أن يكون وقوعه غير محتم ، بمعنى أنه قد يقع أو لا يقع ، أو أن يكون وقوعه محتما ولكنه مضاف إلى أجل غير محتم ، بأن كان وقت وقوعه غير معروف ، مثل التأمين على الحياة لحالة الموت ، فالموت محقق ولكن وقت وقوعه غير معروف .

ويترتب على ذلك أن الخطر إذا كان مستحيل الوقوع ، فإن التأمين يقع باطلا سواء كانت الاستحالة مطلقة أو نسبية ، والاستحالة المطلقة تتعلق باستحالة تحقق الخطر بحكم قوانين الطبيعة ، كالتأمين ضد سقوط كوكب من الكواكب ، والتأمين فى مصر ضد خطر الجليد ، وأما الاستحالة النسبية ، فهى تعنى عدم استحالة الخطر فى حد ذاته وإنما يكون محتملا طبقا لقوانين الطبيعة والمشاهدات والتجارب فى حالة معينة وفى فرض معين ، مثل أن يمتنع وقوع الخطر لهلاك الشىء المؤمن عليه ، أو وقوع الخطر قبل التأمين ، أو وصول البضاعة سالمة بالفعل[8].

العنصر الثانى : عدم توقف وقوع الخطر على محض إرادة أحد طرفى العقد :

إذا كان تحقق الخطر متوقفا على محض إرادة أحد الطرفين فإن عنصر الاحتمال ينتفى ، ويصبح تحقق الخطر رهنا بمشيئة هذا الطرف ، ولهذا فإنه لا يجوز التأمين من الخطر العمدى ، لأن تحقق الخطر فيه مرجعه إرادة المؤمن له ، والعمد يعدم الخطر وبالتالى تنتفى فكرة الاحتمال الذى هو أساس الخطر .

هذا بالاضافة إلى أن منع التأمين من الخطأ العمدى يقوم على اعتبارات تتعلق بالنظام العام والآداب ، إذ لو أجاز المشرع هذا النوع من التأمين لكان فيه تسهيل لسبل الغش والتدليس لكل مستأمن وتيسيرا لاعتداء الأفراد بعضهم على بعض من جراء هذا المسلك ، وقد نصت على عدم جواز التأمين من الخطر العمدى المادة (٢/٧٦٨)

---

(٧) د. أحمد شرف الدين — ص ١١٨ ، د. عبدالحى حجازى — ص ٤٥ ، السنهورى — الوسيط السابق — فقرة ٥٩٩ ، د. محمد على عرفة — ص ٢٩ ، د. عبدالمنعم البدراوى — فقرة ١٣٢ ، د. عبدالودود يحيى — ص ٢٨ طبعة ١٩٧٠ ، د. محمد كامل مرسى ، ص ٣٢ ، د. عبدالرزاق فرج — ص ٤٣ .

(٨) د. محمد على عرفة ص ٢٩ ، د. عبدالمنعم البدراوى — ص ٣٠ حيث يرى أن : القول باجازة التأمين من الخطر الظنى يسهل دخول التحايل والغش فى عقد التأمين حين يلجأ شخص ما إلى ابرام العقد بالرغم من سبق تحقق الخطر ويدعى وقت العقد أنه كان يجهل تحقق الخطر وليس من السهل إثبات صحة كلامه فى هذه الحالة .

وراجع : د. أحمد شرف الدين — ص ١٦ ، السنهورى — فقرة ٥٥٩ ، د. عبدالمنعم البدراوى فقرة ١٢٣ ، وبيكار وبيسون — فقرة ١٢٣ ، د. عبدالرزاق فرج — ص ٤٤ .

مدنى بقولها : « أما الخسائر والأضرار التى يحدثها المؤمن له عمدا أو غشا فلا يكون المؤمن مسئولا عنها ولو اتفق على غير ذلك » ، ونص على ذلك المشرع فى المادة (١/٧٥٦) مدنى والتى تقضى ببراءة ذمة المؤمن من التزامه بدفع مبلغ التأمين إذا انتحر الشخص المؤمن على حياته .

فالتأمين ضد الخطأ العمدى غير جائز ، وهو أمر يتعلق بالنظام العام[٩].

التأمين من الخطأ العمدى غير جائز أصلا :

الأصل أن التأمين من الخطأ العمدى غير جائز حيث يرجع الخطر فيه إلى إرادة المؤمن له والعمد يعدم الخطر ، وكذلك فإن منع التأمين على الخطأ العمدى يتعلق باعتبارات تتصل بالنظام العام والآداب ، فلو أبيح هذا النوع من التأمين لكان للمؤمن له أن يحصل على مبلغ التأمين وفى ذلك تسهيل لسبل الغش والتدليس لكل مستأمن ، كما أن فى إجازته - أيضا - تيسيرا لاعتداء الأفراد بعضهم على بعض وإقبالا على إبرام التأمين وهم فى إطمئنان من الناحية المدنية على الأقل .

لهذا : وتطبيقا لما تقدم جاء نص المادة (١/٧٥٦) مدنى فقرر أنه « تبرأ ذمة المؤمن من التزامه بدفع مبلغ التأمين إذا انتحر الشخص المؤمن على حياته ، ومع ذلك يلتزم المؤمن أن يدفع لمن يؤول إليهم الحق مبلغا يساوى قيمة احتياطى التأمين » .

ثم تضيف الفقرة الثانية من هذه المادة : « فإذا كان سبب الانتحار مرضا أفقد المريض إرادته بقى إلتزام المؤمن قائما بأكمله ، وعلى المؤمن أن يثبت أن المؤمن على حياته مات منتحرا ، وعلى المستفيد أن يثبت أن المؤمن على حياته كان وقت انتحاره فاقد الإرادة » .

وعلى هذا فإن الانتحار يعد عملا عمديا تنتفى معه فكرة الاحتمال ومن ثم فإن حق المؤمن له فى مبلغ التأمين يسقط بسببه .

وفى نفس هذا المعنى ، نصت المادة (١/٧٦٨) من التقنين المدنى فى التأمين من الحريق فقالت : « أما الخسائر والأضرار التى يحدثها المؤمن له عمدا أو غشا ، فلا يكون المؤمن مسئولا عنها ولو اتفق على غير ذلك »[١٠].

ومن ثم كان التأمين من الخطأ العمدى غير جائز ، وعدم الجواز فيه يتعلق بالنظام العام ، حيث إن من شأنه التشجيع على ارتكاب الحوادث والتحريض على ارتكاب الجريمة ، والنص وإن كان واردا فى التأمين من الحريق إلا أنه يشمل غيره من أنواع التأمين لاشتراكها مع التأمين من الحريق فى المبدأ[١١].

---

(٩) د. عبدالمنعم البدراوى ص ٢٠٤ ، د. عبدالحى حجازى ص ٦٠ وما بعدها ، د. محمد على عرفة ص ٣١ ، د. أحمد شرف الدين ص ١٢٠ .

(١٠) د. عبدالرزاق السنهورى ص ١٢٢٣ ، د. عبدالمنعم البدراوى ص ٢٠٥ وما بعدها ، د. أحمد شرف الدين ص ١٢١ وما بعدها .

(١١) ويقصد بالعمد الذى تكلم عنه المادة (٢/٧٦٨) مدنى مصرى : إرادة الفعل الضار وإدراك نتائجه ، بمعنى أن يتعمد المؤمن له تحقيق الخطر عن طريق فعل إرادى يقع منه ، مع إدراكه أن فعله هذا ، يؤدى مع وقوع الحادثة إلى النتائج الضارة المؤمن ضدها ، راجع : د. أحمد شرف الدين - ص ١٢٣ ، د. عبدالحى حجازى - فقرة ٤٠ ، والوسيط للسنهورى - السابق .

جواز التــأمين من الخطــأ العمــدى (استثناء) :

وإذا كان التأمين من الخطأ العمدى غير جائز بحسب الأصل لاعتبارات قدرها المشرع فإنه قد أورد حالات يجوز فيها الخروج على هذا الأصل وتعتبر بمثابة استثناء عليه ومن تلك الحالات :

جواز التأمين على الحياة بسبب الانتحار بشرط وقوعه بعد سنتين على الأقل من تاريخ العقد :

وقــد نصت على تلك الحالــة المادة (٣/٧٥٦) مدنى بقولها : « إذا اشتملت وثيقة التأمين على شرط يلزم المؤمن بدفع مبلغ التأمين ولو كان انتحار الشخص عن اختيار وإدراك . فلا يكون هذا الشرط نافذا إلا إذا وقع الانتحار بعد سنتين على الأقل من تاريخ العقد ، وفى هذه الحالة يلتزم المؤمن بدفع مبلغ التأمين كاملا » .

والحكمة فى جواز التأمين فى تلك الحالة ، أن الحرص على الحياة أمر طبيعى فطر عليه كل إنسان ، ولا يفرط فيه إلا من وقع تحت ظروف إنسانية خاصة ، وفى مرور السنتين ما قد يغير الظروف التى دفعت بالشخص إلى التفكير فى الانتحار ، ومن ثم أجازه المشرع فى تلك الحالة[١٢] ليكون مع هذا الشرط قليل الوقوع وجدير بالذكر أن الانتحار محرم فى الشريعة الإسلامية .

الخطأ العمدى الواقع من الأشخاص الذين يكون المؤمن له مسئولا عنهم :

وقد نصت على هذه الحالة المادة (٧٦٩) من التقنين المدنى وهى بصدد الكلام عن التأمين من الحريق فقالت : « يسأل المؤمن عن الأضرار التى تسبب فيها الأشخاص الذين يكون المؤمن له مسئولا عنهم ومهما يكون نوع خطئهم ومداه » .

وبمقتضى هذا النص فإن المؤمن يكون مسئولا عن الأضرار التى تقع من فعل الغير الذين يكون المؤمن له مسئولا عنهم ، مهما كان نوع الخطأ الذى وقع منهم ومداه ، حتى ولو كان خطؤهم هذا عمديا ، وكذلك فإن ممثلى الشخص المعنوى يسألون عن الخطأ العمد الواقع منهم ، ويعتبر خطؤهم خطأ الشخص المعنوى نفسه .

ويلاحظ أن نص المادة (٧٦٩) عام فيشمل التأمين من المسئولية والتأمين على الأشياء ، فإذا وقع الضرر بفعل من المؤمن له ولو كان عمديا أو بفعل أحد تابعيه فإن هذا لا يحول دون قيام مسئولية المؤمن ، فيظل مسئولا عن الأضرار التى تقع بفعل الغير الذين يكون المؤمن له مسئولا عنهم ، وهذا حكم آمر لا يجوز الاتفاق على الخروج عن أحكامه ، وإلا كان هذا الاتفاق باطلا إلا أن يكون ذلك لمصلحة المؤمن له أو المستفيد (م ٧٥٣) مدنى[١٣] .

---

(١٢) د. أحمد شرف الدين ــ ص ١٢٨ ، د. محمد حسام ــ ص ١٩٢ وبيكار وبيسون ــ فقرة ٦٧ .

(١٣) د. عبدالرازق حسن فرج ــ ص ٤٨ ، د. عبدالمنعم البدراوى ص ٢٠٤ والوسيط للسنهورى جـ ٧ مجلد ٢ ص ١٢٢٤ .

والخطأ العمدى الممنوع تأمينه ، هو الخطأ الواقع من المؤمن له نفسه ، وبناء على ذلك فإنه يجوز التأمين ضد خطأ الغير ولو كان عمديا حيث يعتبر هذا الخطأ العمدى فى حالة صدوره من الغير، من قبيل القوة القاهرة أو الحادث الجبرى ، كما لو سرق الغير مال المؤمن له أو أصابه بضرر ، فإنه يجوز التأمين ضد هذا الخطأ ، لأن هذا الخطأ لا يتعلق بإرادة المؤمن له بل ضد إرادته ، ومن باب أولى يجوز التأمين من الخطأ غير العمدى الصادر من الغير سواء كان يسيرا أم جسيما[١٤].

ارتكاب الخطأ العمدى أداء لواجب إنسانى أو حماية لمصلحة عامة :

فإذا صدر الخطأ العمدى من المؤمن له نفسه ووجد من الظروف ما يبرر ذلك جاز التأمين عنه ، وتتحقق مسئولية المؤمن ، ويجب عليه أن يعوض المؤمن له، كما لو ارتكب المؤمن له الخطأ عمدا أداء لواجب إنسانى أو حماية للمصلحة العامة ، كأن يعرض المؤمن له حياته للموت إنقاذا لحياة غريق فيغرق هو أو أن يقوم المؤمن له بإتلاف بعض منقولاته لمنع امتداد الحريق إلى الأجزاء الأكثر قيمة ، أو أن يلقى صاحب الشأن بجزء من بضاعته فى اليم إنقاذا للسفينة من الغرق كما يحصل فى التأمين البحرى ، ففى هذه الحالات يمحو الواجب الانسانى مظنة الغش[١٥].

وفى غير تلك الحالات الثلاثة لا يجوز التأمين من الخطأ العمدى وإنما يجوز التأمين ضد الخطأ غير العمدى الصادر من المؤمن له سواء كان يسيرا أم جسيما ، حيث لا يتوقف الخطر فى تلك الحالة على إرادته وحده ، وإنما يتوقف على عوامل أخرى تسهم فى وقوعه بجانب إرادة المؤمن له ، وقد نصت على ذلك المادة (١/٧٦) بقولها : « يكون المؤمن مسئولا عن الأضرار الناشئة عن خطأ المؤمن له غير المتعمد ، وكذلك يكون مسئولا عن الأضرار الناجمة من حادث مفاجىء أو قوة قاهرة .

العنصر الثالث : مشروعية الخطر :

يشترط فى الخطر المؤمن منه أن يكون مشروعا بمعنى أن تكون المصلحة أو المحل الوارد عليه التأمين قابلا له من الناحية القانونية وغير مخالف للنظام العام والآداب العامة ، فلا يجوز التأمين ضد المسئولية الجنائية ، أو ضد النتائج المالية لهذه المسئولية ، أو ما يترتب عليها من عقوبات مالية كالغرامات ، وسبب ذلك أن مبدأ شخصية العقوبة من النظام العام ، ومن ثم فلا يجوز أن ينتقل عبؤه من المؤمن له إلى المؤمن ، كما لا يجوز التأمين من الأخطار المترتبة على عمليات التهريب لعدم المشروعية ، وكذلك لا يجوز التأمين من الأخطار الناجمة عن الاتجار فى المخدرات أو ممارسة الدعارة ، لنفس السبب كما لا يجوز التأمين على منزل يدار للدعارة أو للمقامرة ، ولا يجوز التأمين على الحياة لمصلحة الخليلة ، كما لا يجوز التأمين إذا لم تكن المصلحة المؤمن عليها إقتصادية

(١٤) د. خميس خضر ــ المرجع السابق ص ٣٨٩ .

(١٥) د. أحمد شرف الدين ــ ص ١٢٩ ، أو إذا ارتكب المؤمن له الخطأ العمدى على سبيل الدفاع الشرعى ، مثل أن يقتل شخص حيوانا مؤمنا عليه بعد أن أصبح يهدد حياته ، راجع : د. عبدالمنعم الحجارى ــ فقرة ٤٦ ، السنهورى ــ فقرة ٦٠٠

مشروعة ، وقد نصت على ذلك المادة (٧٤٩) مدنى بقولها : « يكون محلا للتأمين كل مصلحة إقتصادية مشروعة تعود على الشخص من عدم وقوع خطر معين[١٦] ».

الفرع الثانى
الشروط الفنية للخطر

استبان لنا أن للخطر شروطا قانونية ، أو عناصر ، تتمثل فى كون الحادث المؤمن منه محتملا ، وألا يتوقف على محض إرادة المؤمن له ، وأن يكون مشروعا[١٧] وبالاضافة إلى تلك الشروط القانونية أو العناصر ، فإن هناك شروط فنية تتمثل فيما يأتى :

١ ـ أن يكون الخطر متواترا .
٢ ـ أن يكون موزعا .
٣ ـ أن تكون المخاطر متجانسة .

ونشير إلى تلك الشروط بالتفصيل الذى تقتضيه الدراسة على النحو الآتى :

أولا : أن يكون الخطر متواترا :

والمراد بالتواتر فى هذا الصدد أن يكون الخطر المؤمن منه قابلا للتحقق بدرجة كافية تسمح لقوانين الاحصاء أن تحدد احتمالات حدوثه .

ونظرا لأن التأمين يقوم بصفة أساسية على فكرة المقاصة بين المخاطر التى هى من نفس النوع ، فلهذا يشترط أن يكون الخطر متواترا ، والتواتر إنما ينظر فيه إلى مجموع المستأمنين مع بقاء عنصر الاحتمال فيه قائما بالنسبة لكل فرد منهم ، والتواتر لا يتنافى مع شرط الاحتمال فى الخطر إذا كان نادر الحدوث أى غير متواتر ، فإن التأمين منه لا يجوز وذلك مثل التأمين فى مصر ضد خطر الصقيع أو خطر البراكين[١٨] .

ثانيا : أن يكون الخطر موزعا :

كما يشترط فى الخطر أن يكون موزعا ، فالأخطار التى تصيب عددا كبيرا من الناس فى وقت واحد ، لا يجوز التأمين منها ، وكذلك الأمر بالنسبة للمخاطر التى تصيب عددا كبيرا مع الأشياء فى وقت واحد ـ أيضا ـ فإنها لا يجوز التأمين منها .

وليس معنى كون الخطر موزعا ، أنه يجب أن يصيب عددا كبيرا من المؤمن عليهم ، بل يعنى ألا يصيبهم جميعا فى وقت واحد ، حيث يؤدى ذلك إلى تعذر قيام المؤمن بإجراء المقاصة بين تلك المخاطر ، وإجراء المقاصة من الأسس الفنية التى يقوم عليها التأمين[١٩] .

ومن ثم فإن الكوارث الطبيعية التى إذا حدثت عم بلاؤها جميع الناس لا يجوز التأمين عليها ، وذلك مثل التأمين ضد الزلازل ، أو البراكين أو الأزمات الاقتصادية ، أو الحروب أو الثورات الأهلية .

---

(١٦) الوسيط للسنهورى ٧ ـ ١٢٢٨ ، د. عبدالمنعم البدراوى ص ١٣٩ ، د. خميس خضر ، ود. عبدالرازق حسن فرج ص ٥٢ ومابعدها ، ود. حسام الأهوانى ص ٦٧ ، ود. أحمد شرف الدين ص ١٣٦ ومابعدها ، ود. عبدالغنى حجازى ، ود. عبدالودود يحى ص ٤٤ .

(١٧) د. محمود سمير الشرقاوى ص ١٣ ، د. عبدالرازق حسن فرج ص ٦١ ، د. أحمد شرف الدين ص ١٣٥ ، د. عبدالغنى حجازى ص ٦٥ .

(١٨) د. المنعم البدراوى ـ فقرة ١٤٠ ـ د. عبدالرازق حسن فرج ـ ص ٢١١ .

(١٩) د. عبدالمنعم البدراوى ـ السابق ـ فقرة ١٤١ ، د. عبدالرازق فرج ـ السابق .

ثالثا : أن يكون الخطر المؤمن منه متجانسا :

والمخاطر المتجانسة : هي التي تكون من طبيعة واحدة ، أو هي التي تتماثل فيما بينها ، فإذا لم تكن كذلك فإنه لا يجوز إجراء المقاصة بينها كما أنه بدون التجانس لا يمكن تحديد نسبة إحتمال الخطر المؤمن منه ، ولهذا تنوعت فروع التأمين بقدر تنوع المخاطر ، فهناك التأمين من الحريق ، والتأمين من السرقة ، والتأمين من الحوادث والوفاة والمسئولية ، وداخل كل نوع من هذه الأنواع نجد فروعا متعددة .

والتماثل بين المخاطر يقوم على تناسبها في القيمة ، بحيث لا يترتب على اختلافها الاضطراب بين ما يلتزم به المؤمن وبين دخله ، كما يقوم على تناسبها في المدة ، فلا يجوز في التأمين على الحياة الجمع بين تأمين لمدى الحياة ، وتأمين لمدة محدودة ، أو تأمين لمدة عام وتأمين لمدة عشرين أو ثلاثين عاما .

ومن المؤكد أن شرط التجانس في الأخطار المؤمن فيها إنما يساعد على تحديد ومعرفة احتمالات وقوع الخطر المؤمن به[20].



---

(٢٠) د. عبدالمنعم البدراوى ــ فقرة ١٤٢ ، د. محمد على عمران ــ ص ٣٥ ، د. عبدالرازق فرج ص ٦٣ .

﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٣٨) سورة الشورى

المنهاج الإسلامي في صنع واتخاذ القرار

بقلم لواء ٢ . ح / فوزي محمد طايل

يكتب تاريخ الأمم من خلال تتبع القرارات المصيرية التي يتخذها أولو الأمر ، فبالقرارات يغير الأقوام ما بأنفسهم فيغير الله مابهم :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[الأنفال : ٥٣]

﴿ ... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ... ﴾ [الرعد : ١١] .

وبرغم أن القرارات تصنع بواسطة القلة ممن يسمون « بالصفوة » ، أو « النخبة » ، وتسميهم في فقهنا الإسلامي « أهل الحل والعقد » .

وتتخذ القرارات بواسطة فرد واحد ، هو من يتولى منصب القيادة أو الرياسة « فإذا عزمت ... » ، إلا أن آثار القرار تنعكس على المجتمع (دولة ـ شركة ـ جمعية ... إلخ) ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

إن مسئولية القرار على المجتمع أمام الله ـ تعالى ـ تتحدد بناء على موافقتهم الضمنية على ذلكم القرار وموقفهم منه ، لذا نعى القرآن الكريم على المواقف السلبية ، فقال الله ـ تعالى ـ :

﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾

[الزخرف : ٥٤] .

فصفة الفاسقين على طائعي فرعون من المجتمع ، ولم يوصف بها متخذ القرار وحده .

ولكم نحن فى حاجة للتذكرة بالمنهاج الإسلامى فى اتخاذ القرار ، إذ لم يعد خافياً على كل ذى بصيرة أن أحد أهم أسباب تخلف الأمة الإسلامية إهمالنا علم « الإدارة » بصفة عامة ، وضعف أسلوب اتخاذ القرار بصفة خاصة ، ونسيان مايذكرنا به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فى هذا المجال .

لقد جاء ـ فى كتاب الله الكريم ـ آية جامعة يستفاد منها الأسلوب الصحيح لاتخاذ القرار ، يقول الله ـ تعالى ـ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران

وقد بينت سنة رسول الله ﷺ ، بطريقة عملية ، كيفية وضع هذه الآية الكريمة موضع التطبيق ، قبل وبعد نزولها . وقد يتضح هذا جلياً من دراسة قرارات رسول الله ﷺ فى غزوات «بدر» ، «وأحد» ، «والحديبية» ، وغيرها . وقد اتبع الخلفاء الراشدون هذا المنهاج بإحسان .

فإذا عدنا إلى الآية الكريمة نهتدى بما جاء فيها نجد أن اتخاذ القرار يمر بثلاث مراحل :

١ ـ مرحلة ماقبل « العزم » : أى ماقبل حسم الأمر ، وهذه قد نطلق عليها مرحلة صنع القرار من خلال تمحيص البدائل وترتيب الخيارات المتاحة .

٢ ـ مرحلة « العزم » أى مرحلة اتخاذ القرار ، وفيها يحسم الأمر بتحديد الخيار الأفضل من بين الخيارات المطروحة .

٣ ـ مرحلة مابعد « العزم » : وهى مرحلة تنفيذ القرار الذى يكون مصحوباً بالتوكل على الله .

قال ـ تعالى ـ :

﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾

ـ المرحلة الأولى :

هى مرحلة مشورة بالدرجة الأولى ، وفيها يأمر الله تعالى نبيه ﷺ ، وكل من ولى أمراً من أمور المسلمين (صغر موقعه أو كبر) أن ينزل إلى مستوى مستشاريه ، إلى درجة إشعارهم بأنه مجرد واحد منهم ، فيسمح لهم بطرح آرائهم وتمحيص البدائل ، ومقارعة الحجة بالحجة .

وفى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ومنزلة رسول الله ﷺ وأدب الخطاب معه لا تحول بينهم وبين حرية الفكر ومناقشة الأمور بأمانة ، وبذل أقصى الجهد لسوق الحجة والدفاع عنها .

يقول ابن كثير فى « تفسير القرآن العظيم » : إن فى هذا تأليفاً وتطييباً للقلوب ، ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه . ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ .. فإذا ماشاع هذا الجو ، كان مناسباً للسير قدماً فى المشاورة ، فيقوم كل عضو فى المجلس بعرض ماعنده ، وإقامته الحجة والدليل ، وإبداء المبررات ، وطرح التصورات وبدائلها ، والخيارات وأولوياتها .

وهذا موقف يظن فيه كل صاحب رأى أنه الأقرب إلى الصواب ، بما لديه من علم وخبرات ، وبما يستشعره فى نفسه من أمانة وإخلاص وغَيْرة على المصلحة .. وهو موقف ، برغم سلامة النية ، يستوجب العفو والاستغفار ، لما قد يقع فيه المستشار من كِبْر ، أو من لغو القول ، دون قصد .. ويأتى هذا فى ختام مجلس الشورى وقبل

أن يعلن القرار ... وحرف « الواو » بين الاستغفار والمشاورة لاتفيد الترتيب ، إذ تأتى الشورى أولًا يتبعها العفو والاستغفار .

ـ المرحلة الثانية :

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ ﴾ ... روى ابن مردويه عن على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ قال : سئل رسول الله ﷺ عن العزم ؟ قال : « مشاورة أهل الرأى ثم اتباعهم » .

روى الإمام أحمد : أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما : « لو اجتمعتما فى مشورة ماخالفتكما » .

و(العزم) هنا يعنى فى النهاية « اتخاذ القرار » وهو لايتم إلا بمعرفة من يحمل المسئولية ، ماضياً ـ فى اتخاذ القرار ـ على ماتقدم من خطا نزل بها القرآن الكريم . وعلى ذلك مضى الصدر الأول . وذاك ما ينبغى أن يكون عليه عمل الأمة من بعده ﷺ .

إن القرار عمل فردى ، يقوم به القائد أو الرئيس ، على كل المستويات ، بعد أن تستبين له الأمور ، وتضاء أمامه كل زوايا المسألة التى يتخذ القرار لحسمها .

وفى المرحلة السابقة كان يتخذ القرار رأياً لعضوية من أعضاء مجلس الشورى ، وكان يعرض لوجهة نظره ويدافع عنها ، كأى عضو آخر فى المجلس ، فإن وافق الرأى الراجح فى المجلس رأيه لم تكن هناك مشكلة ، أما إذا لم يكن الرأى الراجح موافقاً لرأيه ، فإن عليه أن يقنع أعضاء المجلس بوجهة نظره .

أو يقتنع بضعف حجته ومبررات وجهة نظره ، فيتخذ القرار على مقتضى الرأى الراجح فى مجلس الشورى ... ويقبل مسئوليته عنه .

ـ المرحلة الثالثة :

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ... وهى مرحلة لايسمح فيها على الإطلاق بإعادة فتح باب الشورى ، ولا بإعادة تحليل الموقف ، وإلا كان التردد ، أو مايطلقون عليه « الشلل الفكرى الناتج عن التحليل » ، فبعد اتخاذ القرار لايكون سوى التوكل على الله ـ تعالى ـ فهذه المرحلة هى مرحلة التوجه لتنفيذ القرار .. ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] .

وقد لايتسع المقام هنا إلا لعرض تطبيق واحد من وحى السنة النبوية الشريفة ، وهو : « اتخاذ القرار فى غزوة أحد » :

لما علم رسول الله ﷺ بمسيرة قريش لقتاله ، وبلوغهم مسافة خمسة أميال من المدينة ، بعث من يتنطس الأخبار ، كى لايتخذ القرار إلا على معلومات مؤكدة أو راجحة ، ثم استشار أهل الرأى فانقسموا إلى قسمين :

ـ رأى يقول : بالتحصن بالمدينة وقتال العدو فيها ، وكان رسول الله ﷺ ممن يميلون إلى هذا الرأى .

ـ رأى يقول : بالخروج إلى العدو ؛ لأن فى الخروج ردعاً له وإظهاراً لشوكة المسلمين . وكان هذا هو الرأى الذى تغلّب فى النهاية ، فاتخذ رسول الله ﷺ القرار على مقتضاه بعد مراجعات ومناظرات .. وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ للمعركة، وأوصاهم بالصبر، فإن النصر معه، ظل البعض يتحاورون ، ويحللون الموقف ، بعد انصراف رسول الله ﷺ ، فقال أسيد بن حضير

وسعد بن معاذ ، وكانا ممن أشاروا بالتحصن بالمدينة ، للذين رأوا الخروج منها : « لقد رأيتم رسول الله يرى التحصن بالمدينة فقلتم ما قلتم واستكرهتموه على الخروج وهو له كاره ، فردوا الأمر إليه ، فما أمركم فافعلوه » . فلما خرج عليهم رسول الله ﷺ لابساً درعه متقلداً سيفه أقبلوا عليه فقالوا : « ماكان لنا يارسول أن نخالفك ، فاصنع مابدا لك ، وما كان لنا أن نستكرهك ، والأمر إلى الله ثم إليك » ... وهذا يتضمن الدعوة إلى الرأى الأول ، واتخاذ قرار جديد فى أمر قد حسم .

أبى رسول الله ﷺ هذا الموقف وقال : « قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم . وما ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه . انظروا ما آمركم به فاتبعوه . والنصر لكم ما صبرتم » .

وقد يكون مناسباً أن نوضح فى هذا المقام عدداً من الأمور لايمكن التوجه إلى اتخاذ القرار مالم نحسن ترتيبها وإعدادها ، وعلى قدر مانبذله من جهد فى سبيل إعدادها يكون القرار ، إن شاء الله ، أقرب إلى الصحة :

أول هذه الأمور ـ المعلومات :

فأى قرار لابد له من وضوح للرؤية ، وتبين لأبعاد المسألة التى يتخذ القرار فيها . ولايكتفى فى هذا المجال بمجرد الأنباء ، أو الأخبار ، وإنما يجب تأكيدها من عدة مصادر حتى ترقى إلى مستوى المعلومات ، وقد كان هذا هو مايفعله رسول الله ﷺ قبل اتخاذ أى قرار ، فكان يبعث من يتطلعون الأخبار ، ثم يبعث من يؤكدون هذه الأخبار .

ولعل فى كتاب الله تعالى مايؤيد هذا المنهاج السليم ، فحينما جاء الهدهد لسليمان ـ عليه السلام ـ قائلا :

﴿ .... أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل : ٢٢] .

كان رده ـ على ـ نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ :

﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة النمل

فلم يتخذ سليمان ـ عليه السلام ـ قراره على الأنباء ، مهما كان وصفها ، وإنما سعى لتأكيدها .

والأجدر بنا الآن ألا نتأخر عن « الثورة التقنية الثالثة » ، وهى « ثورة المعلومات » ، بل علينا أن نسهم فيها ، وأن نبرز من أبنائنا من يتفوق فى هذا المجال ، حتى تأتى القرارات على كل المستويات مبنية على معلومات تتيح لصناع القرار ومتخذه وضوح الرؤية .

ثانى هذه الأمور ـ حسن اختيار مجموعة صنع القرار :

مجموعة صنع القرار هم : « أهل الحل والعقد » فى المسألة التى سيتخذ فيها القرار ، وعلى قدر خطورة عملهم فإن التدقيق فى اختيارهم يعد مسئولية خطيرة وهامة يحتملها متخذ القرار نفسه .

ولم يترك الله ـ تعالى ـ أمر الاختيار هذا إلا وجعل له معياراً ثلاثى العناصر هو ؛ أن يكون المستشار : عالماً ، أميناً ، ذا كفاءة ، وهى صفات جاءت على لسان يوسف ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ نعلمها بوضوح

من قوله ـ سبحانه ـ وتعالى ـ حاكياً اختيار يوسف ـ عليه السلام ـ مستشاراً للملك فى الشئون الاقتصادية : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ ﴾ سورة يوسف

هل يقتضى الأمر عدداً بعينه : ؟

ذلك ، وقد يسأل سائل عن عدد أعضاء مجموعة صنع القرار وعن وضعهم الوظيفى ؟ إن العبرة ليست بالكثرة ، ولكن العبرة بتوافر شروط العلم والأمانة والكفاءة على معناها الجامع ، وأقل عدد هذه المجموعة هو اثنين ؛ لقول رسول الله ﷺ : « لو اجتمعتما فى مشورة ما خالفتكما » (رواه الإمام أحمد) . ولانكون إزاء شورى إن قل العدد عن اثنين ، ولكننا نكون فى موقف استنصاح .. يقول رسول الله ﷺ : « ... ثلاث لا يغل عليهم قلب المؤمن ؛ إخلاص العمل ، والنصيحة لولى الأمر ، ولزوم الجماعة ، فإن دعوتهم تحيط من ورائه » (رواه الإمام أحمد والترمذى) .

ويجب ألا يزيد عدد مجموعة صنع القرار من أهل الشورى ـ فى أمر ما ـ عن خمسة عشر ، حتى يمكن لكل منهم أن يتحدث ويدافع عن رأيه فى نفس المجلس فى نظام ودون إرهاق شديد للمجموعة أو لمتخذ القرار .. فإن احتاج الأمر لأكثر من هذا ، فعلى كل من أعضاء مجموعة صنع القرار أن يتخذ له مستشارين ، أو مساعدين ينوب عنهم فى مجلس صنع القرار .

وقد كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يستشير ، فإنه يسأل من ينوب عن المهاجرين ، ومن ينوب عن الأنصار ، من يمثل المشيخة ، ومن يمثل الشباب ... إلخ .

وفى زماننا هذا ، قد يكون مجلس صنع القرار هذا مكوناً من رجال يشغلون مناصب ثابتة ، فيستشارون لعلمهم وخبرتهم فى مجالات أعمالهم ، وقد يتم انتقاؤهم بهدف مؤقت لحسم مسألة بعينها ... والأفضل أن يكونوا مزاجاً من الصنفين .

ثالث الأمور ـ مرجعية صنع القرار :

إن الله ـ تبارك وتعالى ـ لم يترك الإنسان سدى ، بل أنزل معه مايهديه ويصحح تفكيره فقال تعالى : ﴿ ... فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ... ﴾ [طه : ١٢٣ ـ ١٢٤] .

لذا فقد ضل فرعون وملؤه عند اتخاذهم القرار مستندين إلى مرجعية مفادها أن فرعون إله من دون الله ، وأن موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ ساحر ماجاء إلا ليخرج أهل البلاد منها بسحره وبنا رأى حكومة سبأ عندما استندوا إلى أنهم أولوا قوة وأولوا بأس شديد ، وإلى مرجعية الأغراء بالمال .

إن اختلاف منظومة القيم من أمة إلى أخرى يؤدى بالتالى إلى اختلاف منهاج صنع واتخاذ القرار . وقد حدد لنا كتاب الله ـ تعالى ـ مرجعية صنع القرار فى قول الله ـ تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦١ ـ ١٦٣] .

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

ثم بعد :

فإن صنع القرار ماهو إلا اجتهاد جماعي تختلف فيه الآراء ، لأنه يتعامل مع مسائل قد لاتجد فيها ــ دائماً ــ نصوصاً قطعية الدلالة من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة ، لذا يجتهد صناع القرار بالرأى لمعرفة الأصلح والأرجح مما تشهد له نصوص الكتاب والسنة جملة :

﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء : ٥٩] .

أما إذا كان هناك نص قطعى الدلالة فى المسألة ، فما على المؤمنين إلا الاتباع ، ولا يكون القرار إلا ما أراد الله وحكم .

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)﴾ [النور] .

ردود خاصة بقراء المجلة

■ إلى الأخوة والأخوات طالبى تزويدهم بالمجلة (مجانا) نرجو أن تتاح لنا فرصة الإعداد لهذا العمل بافتتاح قسم خاص لإجابة هذه الطلبات ، فأما (حاليا) فإن القدر المطبوع لا يفى بهذه المطالب .

■ وأما بالنسبة لطالبى الاشتراك بالمجلة ، فإن الاشتراك فيها يعد بحساب سنة كاملة ومن الأفضل أن تكون هجرية ، والاشتراك على التوالى ــ بنسخة واحدة شهرية ــ على مدى العام .

(أ) داخل جمهورية مصر العربية هو ثمن النسخة الواحدة مضروبا فى اثنتى عشرة نسخة .

(ب) وفى منطقة البريد العربى (٥٠) خمسون (دولار) فى السنة .

(جـ) خارج منطقة البريد العربى (١٠٠) مائة (دولار) فى السنة .

ونفيد الأخوة طالبى الاشتراك أن عليهم أن يتصلوا بمؤسسة الأهرام ــ قسم الاشتراكات ــ شارع الجلاء ــ القاهرة ــ ج.م.ع .

وعليهم الكتابة إلى هذا العنوان ، ذلك لأن إدارة المجلة لا شأن لها بالاشتراكات إطلاقا .

محمد الأمين الكانمي

زعيم "برنو" المجاهد

د. عبد الله نجيب محمد

لكل أمة رجال تعتز بهم وتفخر ، وممن يعتز بهم أهل « برنو » ويفخرون الزعيم والقائد المجاهد « محمد الأمين الكانمي » .

منذ عام ١٠٠٠ م تقريباً ، بدأ الإسلام يتسرب إلى منطقة بحيرة « تشاد » حيث حمله التجار والرحالة المسلمون إلى هذه المنطقة وكانت مملكة « برنو » تضم بحيرة « تشاد » واشتهرت بأنها مركز تجارى هام ، يرتاده المسافرون الوافدون إليها عبر الصحراء الكبرى من مصر وبلاد العرب وشمال إفريقيا ، حاملين منتجات بلادهم إليها ، وراحلين منها محملين بأنواع أخرى من السلع الإفريقية التي ترد إليها من جميع الجهات .

وكان سلطان « برنو » و « كانم » ـ الذى كان يطلق عليه « ماى » Mai ـ شخصية لها وزنها الكبير فى العالم الإسلامى منذ العصور الوسطى ، وقد أسس « علىّ الغاجى Ghagi » ـ وهو من أعظم مايات « برنو » ـ عاصمة جديدة لبلاده سُمّيت « نجازارقامو Ngasargamu » تعاقب على عرشها عدد كبير من « المايات » ، الذين قاموا بالجهاد ونشر الإسلام فى طول البلاد وعرضها ، ومن هؤلاء « إدريس ألوما » (١٥٧١ ـ ١٦٠١) الذى كانت « برنو » فى عهده مملكة قوية مرهوبة الجانب ، وكان مسلما متحمسا للجهاد ونشر الإسلام ، وظلت « برنو » بعد وفاة « إدريس ألوما » تحتل مركز القيادة فى المنطقة ، وتدفع لها القبائل المحيطة الجزية ، وتدين لها بالولاء ، ومن بين هذه القبائل مجموعة قبائل « الهوسا » الشهيرة التى تقطن الآن فى شمال نيجيريا ، وتحولت إلى الإسلام . ثم ضمت « برنو » منطقة « الفزان » Fezzan ، وكان أهلها يتكلمون « الكنورية Kanuri » ، والهوسا » ثم تعلموا اللغة العربية .

وفى عام ١٧٧٨ م وفى الفزان ، ولد واحد من أعظم القادة فى « برنو » وهو (محمد الأمين الكانمى) ، وكان أبوه الشيخ « لانغا Langa » من « كانابو » وأمه سيدة عربية من منطقة « زوآئيلا Zoai la » فى المنطقة التى تعرف اليوم باسم « طرابلس » ، وقد حرص أبوه على تعليمه ، فأرسله إلى مصر فى طفولته فتعلم فى مدارسها فى القرن الثامن عشر ، وجاء معه إلى القاهرة وعمل بها ، حتى نما الفتى وترعرع ، وتزود بالعلم وتغذى بنور المعرفة .

ولما أدرك الوالد أن ابنه قد أصبح على قدر كاف من العلم بالدين ، اصطحبه إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج ، حيث مكثا هناك عدة سنوات ، استمتع فيها « الكانمى » بالاستماع إلى علماء الحجاز ، وتزود بزاد جديد من المعرفة وأصبح شابا تلوح عليه مخايل الشجاعة والذكاء .

ولما استعد الشيخ « لانغا » للعودة إلى بلاده مرض ومات قبل مغادرته الديار المقدسة ، فعاد « محمد الأمين إلى مسقط رأسه « كانم » وحيدا ، حيث انضم إلى قافلة متجهة إلى القاهرة ، ولما وصلها مكث بها بعض الوقت لزيارة أصدقائه وزملائه القدامى ، ثم تجهز لرحلة العودة الطويلة الشاقة عبر الصحراء الكبرى إلى « كانم » فسارت بهم القافلة عبر « سيوة » و« أوجيلا » ثم إلى « بوركو » فاستراحوا قليلا فى واحاتها الوارفة ذات الظلال والخيرات الكثيرة ، ومنها رحل إلى « برنو » .

وحين عاد « محمد الأمين الكانمى » إلى بلاده أصبح شيخاً على مقاطعة « برنو » نائباً عن « الماى » فى حكم « الكانيمبو » والكانيمبو : عرب رحل ، يشتغلون برعى الماشية .

عمد « الكانمى » بنشاط وعزيمة إلى تعليم الكانيمبو تعليماً إسلامياً ، وتربيتهم على المبادىء الدينية والأخلاق الحميدة ، فكان يجالسهم ويؤمهم فى الصلاة ، ويعقد لهم حلقات الدروس بنفسه ، وكان كثير من الناس يؤمون مجلسه ،

ويحضرون دروسه . وكان ـ أيضاً ـ رجــلاً عطوفاً يعود المرضى ، ويقدم لهم العلاج ويساعد كل من يحتاج إلى مساعدة .. وكذلك كان صارماً لا تأخذه رحمة فيمن يرتكب المعاصي ويسيء إلى الناس .

حرص « الكانمي » ـ أيضاً ـ على تدريب رجال « الكانيمبو » تدريبا عسكريا متقدما ؛ فاستقدم لذلك بعض الضباط من الأتراك وأوكل لهم تدريب رجاله ، حتى صار له من أهله وعشيرته جيش قوى مدرب ومسلح تسليحاً جيداً ، بهذا الجيش استطاع الكانمي أن يحمى « مشيخته » وأن يتدخل لحماية (برنو) نفسها عندما هاجمها (الفولانيون) أيام الماى « أحمد بن على » بعد أن كتب إلى الزعيم الفولاني المشهور « عثمان دان فوديو » يطلب منه عقد معاهدة سلام على أن يغادر الجيش الفولاني « برنو » ، ولكن القائد « غونى مختار » لم يرض بالسلام ، ودارت المعركة بين الجيشين ، وانتصر محمد الكانمي ، وأخرج الجيش الفــولاني من بلاده ، وتم له تحريرها ، وبذلك تدعم سلطانه ، وحمى الدولة مرة أخرى عام ١٨٠٨ عندما هاجم القائد الفولاني « إبراهيم زكى » العاصمة « نغازارقامو » وتحقق له النصر ، وتحرير المدينة .

ومنذ ذلك التاريخ صار الأمر والنهى للكانمي في « برنو » وكان الحكم الفعلي في يده بينما كان صوريا في يد المايات .

ابتنى الكانمي بعد ذلك مدينة جديدة عاصمة للدولــــــة سماهــــــا « برنين كابيلا » « Pernin Kabela » وحول إليها مقر الحكم ، أما مجلسه العلمي ، فقد تحول بدوره إلى مدينة كبيرة سماها « كوكاوا » مستعيرا لها اسم شجرة (الكوكا) التي كانت بجوار منزله .

ظل « محمد الأمين الكانمي » طوال حياته يدافع عن وطنه ويعلم تلاميذه ، ومع ذلك كان يعيش عيشة بسيطة لا إسراف فيها ولا ترف برغم ما كان يحمل إليه من أموال ، وعلم تلاميذه كيف يتحلون بالزهد والجلد والصبر ، ودفع الكثير منهم للقيام بالدعوة إلى الإسلام في ربوع البلاد ، حتى انتشر فيها ، وتدعمت الثقافة الإسلامية تدعيماً قوياً في كل المنطقة .

ومما يؤسف له حقاً أن (برنو) ـ وقد تعاقبت عليها الأيام ـ قد فقدت سلطانها ، ثم أصبحت أخيراً جزءا من جمهورية نيجيريا الإسلامية النـــاهضة ، ومما يؤسف له ـ أيضاً ـ أن « كوكاوا » قد أصبحت أثراً بعد عين ، وتخربت بعد وفاة زعيمها ومعلمها « محمد الأمين الكانمي » ولكن الناس مازالوا يذكرون زعيمهم ومعلمهم بكل اعتزاز وفخر ؛ لأنه كان جزءا من تراثهم وتاريخهم وتقاليدهم وحياتهم .

وبالله التوفيق

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون



تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

السؤال من السيد أ. ح. ص

● أعمل فى جهة خاصة بإصدار التراخيص ، ويقوم بعض أصحاب الوحدات المرخص لها بتقديم مايسمى بالإكراميات أو المكافأة وذلك بعد إتمام العمل . فهل هذه الإكرامية أو المكافأة حلال أم حرام ؟

● عند القيام بمأمورية خارج القاهرة نسافر مسافات بعيدة لمعاينة بعض الوحدات فيقوم أصحاب هذه الوحدات بتقديم قيمة أجرة السفر وزيادة رغم صرف بدل سفر بسيط من جهة العمل .

فهل هذا حلال أم حرام ؟
أفيدونا أفادكم الله .

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وبعد :

فإن البر والخير فى ما اطمأنت إليه النفس ، والشر والإثم ماحاك فى الصدر وخاف الإنسان من الاطلاع عليه ، والحلال بيّن ، والحرام بيّن وبينهما أمور مشتبهات لايعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، والمكافآت والإكراميات وغيرهما من المسميات التى تقدم للموظف فى الدوائر الحكومية نظير قيامه بواجبه الوظيفى تعد من الأمور التى اشتبهت على كثير من الناس ولكنها لاتخفى على أهل العلم والورع .

والمسلم إذا ترك ما اشتبه فيه فقد طهر دينه وعرضه ، وصلاح القلب يأتى من أكل الحلال ، ومن طهارة النفس من دنس المعاصى فالواجب على السائل أن يأخذ من الحلال ما استبان رشده ، ويترك من الحرام مابثبت غيّه ، ويتوق المشتبهات إبراء لدينه وطهارة لعرضه وصيانة لشرفه والله الموفق .

****

السؤال من السيد ع. ح. ف

يقول الرسول « ﷺ » — « لانكاح إلا بولى وشاهدى عدل »

ونحن نعلم أن بعض شبابنا يسافر إلى بلاد مثل : أوروبا الغربية ، وأمريكا ويتزوج بكتابية فمن هو ولى هذه المرأة الكتابية ؟

ومن هما شاهدى العدل فى هذه البلاد ؟

وهل يصح الزواج بشهود كتابيين وولى كتابى ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ وبعد :

فنفيد إجابة على السؤال والمدون عاليه أن المسلم إذا أراد أن يتزوج بأمرأة كتابية فإن وليها هو قريبها سواء كان هذا القريب أبا أو جدا أو ابنا أو أخا أو عما أو ابن عم على أن يقدم الأقرب فالأقرب ، ويشترط فى ثبوت ولاية القرابة شروط أربعة فى الولى وهى : أن يكون ولى الزوجة عاقلا بالغا حراً بينه وبين المولى عليه حق التوارث على فرض موت أحدهما ، فلا ولاية لمجنون أو معتوه ولا صبى ولاعبد على غيرهم وأيضا لا ولاية لغير المسلم على المسلم ، ولا لمسلم على غير مسلم لأنه لايرث غير المسلم من المسلم ، ولا المسلم من غيره لأن الاختلاف فى الدين من موانع الإرث والولاية كالإرث كلاهما مستند إلى القرابة .. فإذا كان المولى عليه غير مسلم (كتابية) كان لقريبه غير المسلم ولاية تزويجه لثبوت التوارث بينهما وبتوضيح أكثر إذا كانت المولى عليها مسيحية ولها أخوان أحدهما مسيحى والآخر مسلم وليس لها أب ولا جد فالولاية عليها لأخيها المسيحى ، وفقهاء الأحناف لايشترطون فى الولى أن يكون عدلا ، فالفاسق يصح أن يكون وليا يتولى تزويج موليه ، والولاية تعتمد على الشفقة ورعاية المصلحة ، وقد اشترط فقهاء الشافعية والحنابلة عدالة الولى استناد لحديث النبى ﷺ «لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل» وقوله «لا نكاح إلا بولى مرشد» والأحناف لم يعتمدوا فى فقه هذه المسألة على هذا الحديث بل عندهم عقل الولى وشفقته وحرصه على مايصلح لابنه وبنته أو قريبه كاف فى ثبوت الولاية ويقدم الأصلح فالأصلح .

وحكم زواج المسلم بكتابية كما يلى :

أولا : لابد لصحة هذا العقد من توافر نصاب الشهادة عليه .

ثانيا : أجاز الإمامان أبو حنيفة وأبو يوسف زواج المسلم بالكتابية بشهادة رجلين كتابيين وعللا صحة ذلك بأن شهادة الشهود هى شهادة للزوج على الزوجة ، فيراعى جانب المشهود عليه وهو الزوجة ، فإذا كانت الزوجة المشهود عليها مسلمة لم تصح شهادة «غير المسلم عليها ، وإن كانت كتابية صح أن يشهد عليها شهود من أهل الكتاب سواء أكانوا من أهل دينها أم من أهل دين آخر وقد خالف الإمامان محمد ، وزفر ، من الأحناف فقالا بلزوم إسلام الشهود كما هو الحال فى زواج المسلم بالمسلمة وعلل ذلك بأن الشهادة على العقد هى شهادة على كل من الإيجاب والقبول ، فليست إذا شهادة على المرأة الكتابية وحدها ، وإنما هى شهادة عليها وعلى الزوج المسلم .

والخلاصة أن زواج المسلم بكتابية يصح بولاية قرابتها كما تقدم وبشهادة الشهود ويصح ـ أيضا ـ أن يكونوا من أهل الكتابيين ، فالشهادة لازمة ولايجوز الإخلال بها ، ولاتترتب آثار العقد عليه بدونها .



ومما سبق يعلم أنه يصح الزواج بشهادة كتابيين وولى كتابى أخذا من مذهب الإمام أبى حنيفة وصاحبه أبى يوسف والله الموفق .

السؤال من السيد ى. م. أ. ع

● **أنا رجل بالمعاش تزوج إبنى الصغير وأمكن مساعدته ببعض من المال لتوقفه فى الحصول على زوجته وتقف هى ــ أيضا ــ بجانبه فى الجهاز ، وأخيه الكبير طلب الزواج وأخاف أن يكون زواج أخيه قبله قد أثر فى تغيير بعض سلوكه ، وسوف أحصل على مبلغ من المال ــ إن شاء الله ــ قريبا فهل أساعد به فى الزواج ، أم أحج أنا بهذا المال .**

الحمد لله والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد

فنفيد بأنه إذا أمكن للأب أن يوفق بين مساعدته لابنه وتأدية فريضة الحج يكون هذا أفضل والا فإن الحج يكون مفضلا لأن الوالد حين يكون مستطيعا لتأدية الفريضة فإنها تجب عليه ومساعدته لابنه ليست واجبة عليه فيقدم الحج مالم يسبق له تأدية الفريضة والله أعلم .



● **هل يجوز احتساب الضرائب من زكاة المال وما الحكم ؟؟**

لايجوز احتساب الضرائب من زكاة المال لأن الزكاة حق الله توزع للفقراء ومن ذكر معهم فى الآية القرآنية : «إنما الصدقات للفقراء والمساكين» إلى آخر الآية .

أما الضرائب فهى أمر تقدره الدولة فى نظير خدمات تقدمها للناس من بناء مدارس ومستشفيات وشق طرق وعمل مواصلات ، وغير ذلك من المنافع العامة . ولها قواعد مختلفة عن قواعد الزكاة المفروضة . فلا داعى للخلط بين هذين الأمرين الضرائب والزكاة .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الراعي والرعية

كان الرشيد في بعض غزواته فألح عليه الثلج ليلة ، فقال له بعض أصحابه : يا أمير المؤمنين ، أما ترى ، ما نحن فيه من الجهد والنصب ووعثاء السفر ، والرعية قارة وادعة نائمة .

فقال : اسكت فللرعية المنام وعلينا القيام ، ولابد للراعي من حراسة الرعية وتحمل الأذية .

« حقاً »

نريد أن لانموت حتى نتوب ، ونحن لا نتوب حتى نموت .

« نصيحة »

قال بعض الحكماء لابنه : يابني خذ العلم من أفواه الرجال ، فإنهم يكتبون أحسن مايسمعون ، ويحفظون أحسن مايكتبون ، ويقولون أحسن مايحفظون .

لك جواب إذا أمنتني

لبس سليمان بن عبد الملك أفخر ثيابه ، وتضمخ بالطيب وركب أفرة خيله ، وتقدم إلى المرآة فأعجبته هيأته ، فقال : أنا الملك الشاب ، والتفت إلى جارية له ، وقال : يا جارية ، ماذا ترين في هيئتي وفي شبابي ؟

فقالت الجارية : لك عندي يا أمير المؤمنين جواب إذا أمنتني ، فقال سليمان : لقد أمنتك ، فما جوابي عندك ؟ قالت الجارية :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى
غير ألا بقـــــاء للإنسان

أنت خلـو من العـيب ومما
يكـره النـاس غير أنك فاني



كتب سيدنا عمر - رضى الله عنه - إلى سعد ابن أبى وقاص :

إن الله - عز وجل - إذا أحب عبداً حببه إلى خلقه ، فاعتبر منزلتك من الناس .

وقال الشاعر :

البشر يكسب أهله
صدق المودة والمحبة
والتيه يستدعى لصا
حبه المذمة والمسبة



مدح رجل هشام بن عبد الملك ؛ فقال :

يا هذا إنه قد نُهى عن مدح الرجل فى وجهه ؛ فقال : مامدحتك ؛ ولكن ذكّرتك نعم الله عليك لتجدد شكراً .

فقال هشام : هذا أحسن من المدح فوصله وأكرمه .

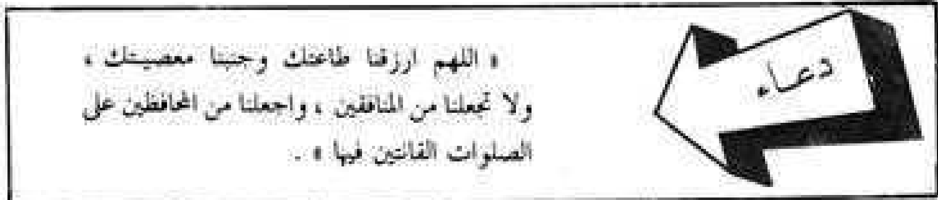


قال رجل لأبى الفضل يحيى بن خالد وزير هارون الرشيد يا أبا الفضل : ماذا تقول فى الدنيا إذا أقبلت ؟ فقال الفضل بن يحيى بن خالد : إذا أقبلت الدنيا فانفق فإنها لاتفنى .

قال الرجل : وماذا تقول فيها إذا أدبرت ؟ فقال الفضل بن يحيى بن خالد : وإذا أدبرت الدنيا فانفق فإنها لاتبقى .



قال ابن خارجة : لا أرد سائلًا فإنما هو كريم أسد خلته ؛ أو لئيم اشترى عرضى منه .



« اللهم ارزقنا طاعتك وجنبنا معصيتك ، ولا تجعلنا من المنافقين ، واجعلنا من المحافظين على الصلوات القانتين فيها » .

من أعلام الأزهر

الدكتور محمد محمود فرغلي

الفقيه المجتهد



(١٩٣٢ - ١٩٩٤م)

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

تلك دراسة عن شخصية إسلامية نادرة تذكرنا بأولئك الصفوة من المسلمين الذين حفل تاريخنا الإسلامي العظيم بسيرهم وجهادهم بما ضربوه من أروع الأمثال في قوة الإيمان، وعمق العلم، وصفاء النية، وسمو الجهاد، وصدق الأخوة، والاستمساك بمبادىء البذل والإيثار والوفاء والفداء، حتى صنعوا ـ بفضل الله تعالى، ثم بإخلاصهم وطهارة نفوسهم ـ أنموذجا طيبا للأمة الإسلامية الرشيدة، إنه الأستاذ الدكتور محمد محمود محمد فرغل ـ العميد السابق لكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر ـ بالقاهرة.

بدأت صلتي به عندما كنت أطلب العلم في كلية اللغة العربية بالقاهرة ـ بمرحلتي الليسانس والدراسات العليا ـ في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات، وكان اسم فضيلته يتردد في قاعات البحث والدرس ـ بجامعة الأزهر ـ كأحد العلماء العاملين الذين نحسب شعارهم ـ ولا نزكي على الله أحداً ـ قول ـ ربهم:

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾

سورة الأحزاب

تملكنى الإعجاب به ، وتتبعت بعض كتاباته فتكشفت لى أبعاد موهبته وشخصيته ، وأيقنت أن الرجل جدير بالدراسة لما اتصف به علمه — لا سيما فى مجال الفقه وعلوم الشريعة — من مظاهر الدقة ، ولما اتصفت به شخصيته من حلاوة المودة ورقة الطبع وقوة الفراسة .

وقد زادنى تعلقا بفضيلته ما وجدته من تشجيع وتأييد أستاذى الدكتور/على أحمد الخطيب — رئيس تحرير مجلة الأزهر — للكتابة عنه ، فى سلسلة أعلام الأزهر — وهو باب يذكر لهذه المجلة العريقة بكل تقدير . فعظم إكبارى له وشرح الله صدرى لهذه المهمة ، ومن ثم فقد تناولت فى هذه العجالة جوانب من نشأته وحياته وأخرى عن فكره وعلمه ومآثره ؛ بما يتناسب مع المساحة المتاحة .

فالحق أنه جدير بأكثر من بحث وبأكثر من دراسة .

ولعل الغرض من تناوله فى هذا الباب هو الوفاء بحقه وذكر مآثره من جهة ، وتجلية سيرته كواحد من العلماء البارزين الذين يتأسى بهم علميا فى آرائهم ، وخلقياً فى الصبر والإخلاص وإيثار الدين على الدنيا ، تلك المزايا التى لازمته طالبا ثم مدرساً ، فأستاذا ، وعميدا فى موقع المسئولية .

بيئته ودراسته

ولد الدكتور/محمد فرغلى فى قرية « بنى زيد التابعة لمركز أبنوب محافظة أسيوط » فى ١٩٣٢/١/٢٥م ، وإذا أردنا أن نلقى ضوءا على « أسيوط » فهى الإقليم الذى ينتسب إليه علامة القرن التاسع الهجرى الإمام جلال الدين السيوطى ، وهو نفس الإقليم الذى سبق أن خرج منه المئات من العلماء البارزين فى العلوم العربية والإسلامية ، حتى إنه لكثرة علمائه ومعاهده الأزهرية سمى « بالأزهر الثانى » .

وتحفل محافظة أسيوط بالعديد من المساجد الحديثة والقديمة ، وفيها مسجد عريق تجدده الآن وزارة الأوقاف ، وهو ينسب إلى رجل صالح يطلق عليه الأستاذ الفرغل ، كان معاصرا للحافظ ابن حجر — من رجال القرن التاسع الهجرى — وقد ذكره النبهانى فى كتابه « جامع كرامات الأولياء » ، والشعرانى فى « طبقاته الكبرى » واسمه بالكامل « محمد بن أحمد الفرغل » توفى سنة ٨٦٠هـ وله شهرة مدوية فى أنحاء القطر[1] .

ويعتبر هذا الرجل الصالح أحد الأجداد الأوائل للدكتور/فرغلى ، فقد كان آباؤه على درجة — من الصلاح والعلم والتقوى — تشجعه على طلب العلم وترغبه فى مجالسه .

كان والد صاحبنا يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، وهو الذى تعهد ابنه « محمد فرغلى » منذ طفولته حتى حفظ القرآن الكريم ولما يبلغ العاشرة بعد وهكذا كان الدكتور/فرغلى خير خلف لخير سلف .

وليس من شك فى أنه تأثر بهذه البيئة الثرية بالعلم والحديث والفتاوى ، فسرعان ما نمت مواهبه فى ظلها ، وقويت ملكاته ، بالسماع تارة وبالدراسة أخرى ، ثم التحق بمعهد أسيوط الدينى كبقية أترابه ، وكان هذا المعهد يطلق عليه « معهد فؤاد الأول الدينى » لأنه هو الذى أنشأه على أحسن طراز ، ليس فى الوجه القبلى له نظير ، وذلك بعد أن كان طلاب الأزهر فى أسيوط يطلبون العلم فى « الجامع الكبير » .

يقول معاصره الأستاذ عبدالحفيظ القرني :

« في هذا المعهد تعلمنا جميعا في قسميه : الابتدائي والثانوي[١] على أيدي أساتذة أجلاء وأوفياء يعرفون للعلم قيمته وللدين حرمته ، يعملون بعلمهم ، فكانوا مصابيح هدى ونجوم علم ومعرفة ، كان شيخ المعهد إذ ذاك من أسيوط ، واسمه : الشيخ أحمد حميده ــ رحمه الله وكان حجة في الفقه الحنفي وأصبح ــ فيما بعد ــ شيخا لهذا المذهب ، وكان من قبله شيخا لهذا المعهد الشيخ/أحمد فرغلي الريدي[٢]

أنهى الشيخ فرغلي دراسته الابتدائية والثانوية ثم نزح إلى القاهرة لإتمام دراسته في جامعة الأزهر فتتلمذ على يد أساطينها في ذلك الوقت ، حتى رُزق ــ على أيديهم ــ التبحر في الدراسات العربية والاسلامية .

نبوغـه :

وفيما أعتقد أن الشيخ/محمد فرغلي لم يترك بابا من أبواب العلوم والمعرفة في عصره إلا طرقه ، وأخذ منه بنصيب كبير حتى أنه نال ليسانس حقوق بجانب مؤهلاته من جامعة الأزهر .

بهذا حدثنا ابن عمه الدكتور/علي أحمد الخطيب ، غير أن عنايته كانت أكبر وأوفر بعلوم الشريعة الإسلامية ــ لاسيمـا مادة الفقـه وأصوله ــ حيث كانت له مع أربابه وطلابه صولات وجولات ومساجلات ملأت أسماع قاعات البحث والدرس في حياته بمصر والحجاز .

فقد كان له تلاميذ كثير بمصر والمدينة المنورة ، حيث أعير إلى هناك لمدة بعثة واحدة ، وها هم تلاميذه ــ الآن ــ هنا وهناك ينتشرون في كل مكان ، يعملون بعلمه ، ينشرون فتاويه في المسائل والواقعات .

ونقدم فيما يلي بيانـا بما حصل عليـه الدكتور/فرغلي من مؤهلات علمية ، وما تدرج إليه من وظائف قيادية ، فضلا عن بعض أنشطته العلمية والثقافية بالأزهر ووزارة الأوقاف .

مؤهلاته وأنشطته :

أولا : المؤهلات :

١ ــ حاصل على شهادة الإجازة العالية من كلية الشريعة والقانون عام (١٩٦٠) بتقدير (جيد جدا) .

٢ ــ حاصل على العالمية مع تخصص التدريس من كلية اللغة العربية عام (١٩٦١) .

٣ ــ حاصل على الماجستير شعبة أصول الفقه عام (١٩٦٧) بتقدير (جيد جيدا) من كلية الشريعة والقانون .

٤ ــ حاصل على شهادة العالمية (الدكتوراه) في أصول الفقه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى عام (١٩٧١) من كلية الشريعة والقانون .

ثانيا : الوظائف التي شغلها :

١ ــ عين مدرسا بالمعاهد الأزهريـة من (١٩٦٢/١٩٦٤) .

٢ ــ عضوا فنيا بمجمـع البحـوث من (٦٤/١٩٦٧) .

٣ ــ عين معيدا في قسم (الفقه المقارن) بكلية الشريعة والقانون في (٢٥/٢/١٩٦٨م) .

٤ ــ عين مدرسا مساعداً في قسم (أصول الفقـه) بكليـة الشريعـة والقانـون في (٢٩/١١/١٩٧١م) .

(١ ، ٢) مجلة الأزهر : عدد رجب ١٤١٣ ص ١٠٢٤ من أعلام الأزهر : الدكتور مصطفى يونس ، للأستاذ / عبدالحفيظ القرني .

٥ ـ عين مدرسا بقسم (أصول الفقه) بكلية الشريعة والقانون فى (٣١/١/١٩٧٢م) .

٦ ـ عين أستاذا مساعدا بقسم (أصول الفقه) بكلية الشريعة والقانون فى (٩/٣/١٩٧٧م) .

٧ ـ عين رئيسا لقسم (أصول الفقه) بكلية الشريعة والقانون فى (٢٤/١٠/١٩٨٣م) .

٨ ـ عين أستاذا بقسم (أصول الفقه) بكلية الشريعة والقانون فى (٧/١٢/١٩٨٣م) .

٩ ـ عين عميدا لكلية الشريعة والقانون بالقاهرة اعتبارا من (٢٣/١٠/١٩٩٠م) .

ثالثاً : النشاط العلمى والثقافى :

١ ـ أشرف على مركز الدراسات الإسلامية الحرة بالجامع الأزهر الشريف التابع لجامعة الأزهر .

٢ ـ كان عضوا بهيئة الرقابة الشرعية بالمصرف الإسلامى الدولى للاستثمار والتنمية التابع لمركز الاقتصاد الإسلامى للبحوث والدراسات والاستشارات والتدريب .

٣ ـ أنتدب عضوا بالمؤتمر العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف (الموسوعة الفقهية الإسلامية) .

٤ ـ أشرف على الدراسات الإسلامية بكلية التربية للعام الجامعى (١٩٨٧/١٩٨٨) .

٥ ـ أشرف على الدراسات الإسلامية بكلية (الهندسة) للعام الجامعى (٨٩/٩٠) و(١٩٩٠/١٩٩١م) .

ثناء العلماء عليه :

وكان لابد من إجراء بعض المقابلات القصيرة مع بعض الذين كان لهم حظ العمل مع الدكتور فرغلى ، والاحتكاك به عن قرب ، حتى نصل فى النهاية إلى رسم صورة واضحة الملامح لشخصية هذا العلم الإسلامى ، فالتقيت أولا **بالأستاذ الدكتور/على أحمد مرعى** القائم بعمل عميد كلية الشريعة والقانون بالقاهرة خلفا للدكتور/فرغلى .

قال فضيلته .. عن الجانب الانسانى فيه : إن الدكتور/فرغلى كان مطبوعا على فعل الخير وسعة الصدر للخلق ، ويكفى أنه كان مسارعا فى الخيرات وما سأله أحد فى خير قط إلا فعله مهما كلفه ذلك ، وكان يخدم من يعرف ومن لا يعرف .

يضيف الدكتور/على مرعى عن الجانب العلمى فى شخصية الدكتور/فرغلى : إن شخصيته العلمية كانت تتسم بالموضوعية وعدم التعصب فلم يعتقد أن رأيه ـ وحده ـ هو الجامع لجزئيات الحقيقة ، ومن ثم كان ينظر إلى آراء العلماء الآخرين وجهودهم بعين الإنصاف والنزاهة .

كما التقيت **بالأستاذ الدكتور/عبدالحكم أحمد شرف** الأستاذ بقسم القانون الخاص بالكلية وهو أحد من عاصروا الشيخ فرغلى وزاملوه مدة طويلة ، فكان شديد الصلة والارتباط به ـ رحمه الله ـ فيقول عن الجانب العلمى : إن الشيخ فرغلى كان يقوم بمحاضراته بنفسه لا يوكل أحدا عنه ، كما يفعل الكثير ممن زادت أعباؤهم ، وذلك مراعاة لحق الطلاب عليه ، هؤلاء الطلاب الذين كان يرغبهم فى الاجتهاد بشروطه ، وكان يدربهم على طرق البحث ووسائل الاستنباط والاجتهاد للوصول إلى رأى طيب وحكم سليم ، وإلى جانب دوره الريادى فى الكلية كأستاذ وعميد ، كان له دوره المتمم لرسالته فى البيت والمسجد المجاور له

وكان بيته مفتوحا لكل راغب علم أو فتوى ، أو لكل ضيف حلّ به .

وقد بلغ احتفاؤه بأهل قريته وقرابته من أهل الصعيد أنه خصص لهم شقة ــ مواجهة لشقته ــ وزودها بما يلزمها من المنافع والكماليات التى لا يستغنى عنها مقيم ، رغبة فى راحة ضيوفه وزواره ، إلى أن يبلغوا مقصدهم منه أو من القاهرة .

ويواصل الدكتور/عبدالحكم شرف حديثه عن دور الشيخ فرغلى فى خدمة بيئته ومجتمعه قائلا : لقد كانت له لقاءات شبه يومية بـ « مسجد الرحمة » المجاور لمسكنه بشارع النعام ــ منطقة المطرية ــ القاهرة ــ يؤم بالناس فى الصلاة ويجلس إليهم ــ بعد العشاء ــ للدرس والإفتاء . كذلك ذكر لى ابنه الأكبر الأستاذ ياسر : أنه كانت ترد عليه الاستفتاءات فى أى وقت ، وأن الهاتف كان وسيلة ميسرة للاتصال به بشأن القضايا الفقهية والمسائل العلمية التى اختلفت فيها الآراء ، وضرب المثل بالأستاذ الدكتور/على الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر الذى كان كثيرا ما يتصل هاتفيا بوالده بعد الفجر مباشرة وهذا ما أكده الدكتور على الخطيب نفسه ، معترفا بعلمه وفقهه ومهارته فى المقارنة بين رأى وآخر لدرايته الموسعة بالأحكام .

زهده فى الدنيا

ويتفق الدكتوران عبدالحكــم شرف ، ومحمود على أحمد ــ والأخير أستاذ بكلية الشريعة والقانون وأحد الأصدقاء المقربين للدكتور فرغلى ــ على أن شخصية هذا الرجل كانت أبعد ما تكون عن طلب الجاه والمال والرياسة ، فلم يتهافت على شىء من هذا ، ولا على العمــل بالخارج ، إلا لمدة اعارة واحدة وكانت عن إلحاح من مسئولى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ــ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ــ فيما بين عامى (١٩٧٨ ــ ١٩٨٢) أستاذا للدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ولعل مما يسر قبوله لها ، جوار رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وكان إذا قابله أحد المعارف هناك أكرمه على أنه ضيف رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم .

ثم بعد ذلك رفض العمل بالخارج ، وعندما عوتب مرة من أحد أولى الأمر فى دولة عربية : لماذا لم تأت وقد أعددنا لك العدة قال له : ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ [يوسف : ٨١]

كما يرى د/محمود على أنه لم يكن ــ أيضا ــ متهافتا على المناصب الدنيوية أبدا .

أولاده :

رزق الدكتور فرغلى بأربعة أولاد ، ولدان هما : ياسر وأسامة ، تخرج الأول فى كلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر ويعمل وكيلا للنيابة ، وتخرج الثانى فى نفس الكلية ، وهو مجند حاليا ، وبنتان هما : دعاء ، وقد تخرجت فى كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر ، وشيماء وهى طالبة فى الثانوية الأزهرية .

من سماته الشخصية :

وكان فى شخصيته جانب من النقد الساخر أحيانا ، ويبدو والله أعلم أنه اكتسب هذه الصفة كما اكتسبها غيره من تلامذة الأستاذ الدكتور مصطفى مجاهد عبدالرحمن ــ عليهما رحمة الله .

وتتميز تعليقاته بأنه لم يكن يتحفظ إزاءها من شخصية من توجه إليه مهما بلغت مكانة تلك الشخصية .

فقهه وإنتاجه :

قلت : كان الدكتـــــور فرغلي رحمه الله متخصصا في الفقه ، ومن ثم كان لهذا التخصص أثره على اتجاهه في التأليف ، فلم تخرج المواضيع الرئيسية التي تدور حولها مؤلفاته عن : الفقه الإسلامي وأصوله ، وعلوم الحديث والسنة النبوية .

وهكذا اتجهت همته - فيما ألف - إلى الفقه والحديث ، إذ أولاهما عناية كبرى وألف فيهما مسائل مهمة تدور حول هذين الموضوعين ، وهي :

١ - حجية الاجماع وموقف العلماء منها .

٢ - النسخ بين الإثبات والنفي .

٣ - بحوث في السنة المطهرة - جزآن - .

٤ - بحوث في القياس .

٥ - بحوث في أصول الفقه تشتمل على الأدلة المختلف عليها .

٦ - بحوث في أصول الفقه تشتمل على الدلالات .

٧ - دراسات في أصول الفقه بالاشتراك مع الدكتور جلال الدين عبدالرحمن الأستاذ بقسم أصول الفقه .

ونأمل أن نقدم دراسات وافية عن مؤلفاته بـ (باب اللغة والأدب والنقد) بمشيئة الله تعالى :

ونكتفي هنا بدراسة موجزة لكتابه : « بحوث في السنة المطهرة » :

بحوث في السنة المطهرة :

نشرته دار الكتاب الجامعي بالتوفيقية القاهرة عام ١٤٠٢ هـ في جزأين يقع الأول في ٤٧٩ صفحة ، والثاني في ٣٦٥ صفحة من القطع الكبير ، وهو سفر علمي ضخم له وزنه وقيمته العلمية ، وهو يكتسب أهميته في دفع شبهات المعاندين والحاقدين والمغرضين التي أثاروها حول السنة النبوية المطهرة ، بدعاوى الاكتفاء بالقرآن وإغفال السنة بحجج واهية .

يقول الدكتور فرغلي في مقدمة هذا الكتاب ص٦ :

« ولما لم يجد هؤلاء الحاقدون طريقا لما يريدون للقرآن من دسيسة ووقيعة وشبهات ، حيث وجدوا حياضة مصونة ، وحراسة أقوياء فكروا وفكروا ، وبئس ما فكروا ، فكروا في النيل من المصدر الثاني ، بعد ما فشلوا في النيل من قداسة المصدر الأول ، وهو القرآن الكريم .

فعمدوا إلى السنة المطهرة ، ينقصون من قدرها ويحطون من قداستها ، ويوجهون سهامهم المسمومة نحوها ظانين أنهم بفعلهم هذا يمكنهم أن يصلوا إلى غرضهم الخبيث ، وهدفهم الذميم من هدم لهذا الركن الركين ، والنيل من هذا الطود الشامخ ، فأخذوا بكل قوة يثيرون الشبهات على السنة المطهرة المصونة ، لينالوا من حياضها ، فيضل المستمسك بها .

وهنا يترك الناس هذا المصدر الثاني ، وينفضوا أيديهم منه ، وحينئذ يكونون قد وصلوا إلى

غرضهم الخبيث وهو العود على القرآن بالتشكيك فيه ، لكن من طريق آخر غير مباشر ، إذ أن من السنة ما هو مؤكد للقرآن ، ومنها ما هو مفسر ، ومنها ما هو موضح ومبين لما فيه ، ومنها ما هو مخصص لعمومه ، أو مقيد لمطلقه إلى غير ذلك مما هو معلوم لعلماء الشريعة وحراسها .

وعندها يفقد الناس ما بين لهم كتابهم فيضلون عن الطريق السوى ، ويصبحون كالسوائم تهيم من غير ضابط ولا قائد ، وعندها فقل على الدنيا العفاء .

كذلك أخذ هؤلاء المغرضون يتفننون فى النيل من السنة ، وألقوا كل ما فى جعبتهم من سهام ، وأسلحة ، عمدوا بتلك الأسلحة وهذه السهام لتقويض هذا الطود الشامخ ، وذلك البناء المتين ، ولكن هيهات هيهات .

ثم يكشف الدكتور فرغلى عن بدء محاربة السنة المطهرة ، وأنها ليست وليدة وقتنا الراهن ، فيقول :

« منذ قام الإسلام بالدعوة إلى الهدى ودين الحق قام أعداؤه بمحاربته ، ولم يكد ينتهى العصر الثانى حتى وجد من يشكك فى السنة ، وأول من تصدى لهؤلاء فيما نعلم الإمام الشافعى – رضى الله عنه – ومع ذلك لم يستطع أشد الناس دهاء ، وأكثرهم مكرا وعداء أن يقنع المسلمين بالانقطاع عن سنة نبيهم ﷺ لأن الدين يؤخذ دائماً عن رسول الديانة ، قوله وفعله وتقريره ، فلجئوا إلى أسلوب آخر هو : التشكيك فى الحديث الشريف ، وإثارة الغبار حول الرواة والناقلين عنهم ، والطعن فى إيمانهم ، وصدقهم ، والتوسع فى تدمير هذا التراث الهائل بفنون ظاهرها البحث العلمى ، وباطنها الإفساد والتخريب ، وعلى هذا الغرض ، التقى أعداء الإسلام قديما من اليهود والنصارى والزنادقة والموالى ، وغيرهم فى عصور الحضارة الإسلامية الزاهرة ، مع أعداء اليوم من المستشرقين ، وهم يهود أو مسيحيون استعماريون ومن لف لفهم من تلاميذهم المفتونين بالحضارة الغربية ، فهى سلسلة متتابعة من الجهود لم تنقطع منذ أربعة عشر قرنا وستظل قائمة مادام للحق أعداء يغشى أبصارهم ضوؤه الباهر » .

وتمضى أبواب الكتاب وفصوله ومباحثه الممتدة فى جزأين عن السنة ورتبتها وأقسامها وحجية خبر الآحاد وشروطه ، فى ثراء متكامل وإقناع علمى منطقى يؤكد حجية السنة كمصدر ثان للإسلام ، ويكشف زيف المنحرفين وبطلان دعاويهم .

وفــاتــه :

إثر مدة مرض لا تتجاوز الأسبوعين لحق الدكتور فرغلى بالرفيق الأعلى فى السابع والعشرين من شهر يونيو سنة أربع وتسعين وتسعمائة وألف ، تاركا خلفه هذا الرصيد العلمى القيم الذى يعد مفخرة للمكتبة الإسلامية سواء فى قيمته العلمية أو التأليفيه ، فضلا عما أودعه من العلم فى صدور تلاميذه .

جزى الله الأستاذ الدكتور/ فرغلى عن إخلاصه لله تعالى فى خدمة الشريعة الإسلامية ، شرحا وتفسيرا ودراسة وبحثا وتعلما وتعليما ، دون أن يشوب ذلك غرض دنيوى ، وهذا ما ينبغى توفره فى كل عالم حتى لا تضيع قيمة العلم أو تتعطل وظيفته ، فقد قال تعالى :

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾



الشعر والشعراء

تقديم الأستاذ/ رشاد يوسف

الملك لك

للشاعر : إبراهيم عيسى

الفجـرُ في مهـد الأفق يحْبو ويلهـو بالألَـق
ويُعَبـِّرُ الضـوء النـدىُّ علـى الوجـود .. فينطلـق
وتثـاءبتْ ، حتـى البـرا عمُ .. فالشـذا .. قلـبٌ خفق !
وصَحَتْ على غُصْـن الحيـا ةِ مُنَـى ترقـرق فى الحدق

***

وتـرف أجنحـة الضيـا ءِ علـى الرُّبـى والمنحنـى
والطيـر تسـخـو بالغنـا ءِ ، لمـن أسـاءَ وأحسنـا
وتهِيـم فى تسـبيحهـا وتعـودُ تلتقـط الجنَـى
صلـواتُهـا تغريـدةٌ سـجدتْ بمحـرابِ السَّنـا

***

و (تتملّـق) الإنسـان فـى خطْـو يـدبُّ علـى الثـرى
يلْقـى أخـاه ببسـمـةٍ بيضـاءَ .. تُخفـى الخنجـرا !
ويمُـدُّ كفًّـا للسـلا مِ خـوتْ عـداءً ممْطـرًا
ويجـرُّ ذيـلَ الكبريـا ءِ منمَّقـاً ومُعطَّـرا

***

آثامُـه ليـلٌ يـنـو خُ ويرتمـى .. كالجَـدول
وبـداه كـم خنقتْ مُـنًى عاشتْ بصـدر الليـل
وكـأنـه مَلَـكُ الزمـا نَ .. وتحكَّـمُ بالمستقبـل !؟
ويقـول فى جبروتـه : ـ المُلْـك لى ! الملـك لى !

***

حتـى إذا أرخـى المسـا ءُ علـى الوجـود ستائـره
والنجـم أيقـظ جَفْنـه والليـلُ حـلَّ ضفائـره
ضـمَّ الوجـود جناحـه وطـوى الفـؤاد سرائـره
وغفـا السَّنـا .. والكـونُ مـدَّ إلى الصبـاح نواظـره
والطيـر عـادت للعشـا ش ، تجـرُّ أستـار الحَلَـك
تغفـو علـى تسبيحـه التغريـد ، تشـكـر من مَلَـك
وربابـهـا ترنيـمـة : ياربنـا ... ما أكمـلك
وتقـول فى تغريدهـا : المُلْـك لـك .. الملك لـك

أرى مـــولاى

للشاعر/ لطفي محمد متولي[*]

أرى مولاى فى الدنيا كفيلى ... وركنك ربنا .. أبهى مقيل
وعزى أنه قد طاب عيشى ... وفاض عبيره وزها قبولى
فلاشك يؤرقنى حياتى ... وعايشت الحقيقة فى مثول
ومارست العلوم وعارفيها ... فلم أر غير ربى من دليل
نعيم الله لايحصيه عقل ... ولاحصر له فى كل جيل
عطاء من كريم ليس يحصى ... وهل لعطاء ربى من مثيل ؟

***

محبة خالقى نور بقلبى ... على هدى الضيا ألقى وصولى
وشوقى فى إلهى لايبارى ... وهذى نعمة الله الجليل
وإن الورد يذبل بعد قطف ... وورد السالكين بلا ذبول
يظن الناس أن الماء رى ... وأصل الرى فى نهج الرسول
وهذا النهج للقيوم قرب ... وليس القرب بالشيء القليل
أهيم بربنا شوقاً ووجداً ... ومظهر ذاك باد فى نحولى
ولى وجد يفوق الوجد وجداً ... ولست مع المهيمن بالعليل
وأصل الفضل معرفتى لربى ... ومن يعرفه يسعد بالقبول

في حب النبي ﷺ

الشاعر/ محمدى حسن الشافعى

هزّهُ الشّوق فأنشد   هائماً في حبّ «أحمد»
.. شاعر - كالبلبل الصّدّاح فوق الأيك غرّد -
.. إنّه في حبّ خير الخلق هيمان .. مسهّد ..
ينظم الحبّ قصيداً   يشبه الدّرّ المنضّد
قام - من فرط اشتياق   - يمدح الهادى «محمد»
قائلاً : ياليت شعري   - إنّ قلبي قد توقّد
في هوى «المختار» عشقي   .. وهيامي ليس ينفد
إنّ من يعشق «طه»   خير خلق الله يسعد



إنّه حبٌّ اتّباع   للهدى .. والله يشهد
فرسول الله يهدي ..   - ليس بالسّيف المهنّد
إنّما بالحبّ والإقناع يهدي من تمرّد
- دعوة المختار حبٌّ   - وجوارٌ يتجدّد
- ربّ قلبٍ قد تناءى   .. ومن الحبّ تجرّد
إنّنا بالحبّ دوماً   سوف نبلغ كلّ سؤدد
- حبّذا حبّاً لخير الخلق .. قدوتنا «محمد»

أيها المسلم :

أتدري من أنت ؟

للشاعر/
محمد عبد الرحمن صان الدين

تيقظ أيها الغافي الحزينْ ... ففي الغفلات تزنبغ الشجونْ
وحدّق فالطريق بها وهاد ... وشوك بل أخاديد تخون
لتبصر ما الذي في الأرض يجري ... إذا سلمت من الرمد العيون
وتحيا في مناكبها عزيزا ... وتعرف أنت فيها : مَنْ تكون ...؟
فإنك بين خلق الله نجم ... يهيبز ضوءَهُ الحق المبين
وإنك في رباط مستديم ... تموج بك المفاوز والحصون
فدينك يا أخا الإسلام وحي ... ووحي الله للدنيا معين
ورب الكون قد أعلاك قدراً ... رفيعا لا تزعزه القرون

* * *

أجل أنت الذى قد حِدْتَ حِيْنَا ... فتهت ، وعنك قد غاب اليقين !!
ونور الوحى زايل منك قلبا ... فعينك فى الدجى لا تستبين !!
قمت على جراحات وضيم ... وصرت لكل باغ تستكين !!
ولو كان البغاث بدا صقوراً ... بأجنحة مزورة تبين
فهل يرضى حياة الذل حر ... وهل من يَغْذُهُ البارى يهون ؟!
تنبه يا جليل القدر وانهض ... فقد خلعت من الرق القُيُون
فإنك خير خلق الله طراً ... فأنت بكل إجلال قمين
وإنك فى حمى الإسلام ليث ... وهل يخلو من الأسد العرين ؟
بعلمك أو بخيرك قد تسامى ... وأمسك مقود الدنيا مهين
وبين يديك أرض ذات رِفْد ... وفى وجدانك المَخْتُوم دين
فكيف عن الشريد الوغد تُغضى ... وفى وجدانك الغِلُّ الدفين ؟!
وكيف يجوس بين حماك ذئب ... وتحسب أنه البر الأمين ؟!
فمن رام السلام لدى عدو ... لدود فالذى فعل الجنون
إذا الإنسان سار بطبع وحش ... فلا يندى له خجلا جبين
أيا من أنت تسجد فى خشوع ... بربك فى الشدائد تستعين
وقوفك صامداً فى وجه غاشٍ ... لتردعه هو الحصن الحصين
فنصر الله لا يأتيك عفواً ... ولكن بالذى تعطى رهين
حمى الجبناء تهب مستباح ... وجار البأس مرهوب مصون
على هذا طباع الناس كانت ... على الأزمان تقسو أو تلين
فما حفظ البرية غير دين ... سماوى به كانت تدين
ومن عرف الحياة مضى حثيثا ... بكل الفول فيها يستهين
فما نال الخلود بها عظيم ... يُؤَمِّن عينه عرش مكين
وما فى الكون إلا الله رب ... فلا نامت على ضيم جفون

العلوم الكونية

الحسن بن أحمد الهمدانى

عالم موسوعى لم ينصفه المؤرخون

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا*

يعتبر الحسن بن أحمد الهمدانى من أكثر علماء الحضارة الإسلامية عمقاً وموسوعية وثراءً فكرياً ، لكن المؤرخين لم ينصفوه حق الإنصاف عندما ركزوا على جانب واحد من عبقريته ولقبوه « بلسان اليمن » ، ثم أهملوا جوانب أخرى أكثر أهمية تتعلق بمنهجيته العلمية ، وإنجازاته التقنية وآرائه الرائدة فى مجالات الفلك ، والرياضيات ، والفيزياء ، والكيمياء وعلوم الأرض وغيرها .

وسوف نعرض فى هذا المقال – إن شاء الله تعالى – لبعض مآثر الهمدانى فى مجال العلوم الكونية ، وندعو غيرنا من الباحثين أن يحذو حذونا فى تقييم أعمال علماء الحضارة الإسلامية بلغة معاصرة ، مع تركيز الاهتمام على العلماء المغمورين ، أو الذين تأخر اكتشاف أو تحقيق مخطوطاتهم .

نبذة عن حياته :

هو : الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود ابن سليمان الأرحبى الهمدانى ، لقبه قومه « لسان اليمن » اعتزازاً به وافتخاراً لبلاغته ومعارفه ، وأحياناً يرفعه بعض المؤرخين إلى جده يعقوب بقولهم : قال ابن يعقوب ، أو يذكرونه باسم « ابن الحائك » ولا ندرى لذلك سبباً .

وقد ولد الهمدانى سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م ، واشتغل بالجمالة ، حرفة أجداده ، وهو فى شرخ شبابه متنقلاً بين « صنعة » و « مكة » لنقل الحجيج والتجار وفى حوالى عام ٣٠٥هـ استقر الهمدانى « بمكة » لأكثر من ست سنوات ، جاور فيها الحرم والعلماء ، وتفتحت له آفاق المعرفة ، واقتنى أمهات الكتب فى مختلف الفنون ، وعرف الكثير من وفود الحجيج الذين كانوا يحملون معهم كل جديد عن أخبار بلادهم وأحوالها ، فانفتحت له بذلك آفاق المعرفة ، واتسعت بسطته فى العلم وأفاد منه فى فنون كثيرة .

* أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

وفى حوالى سنة ٣١١هـ رجع الهمدانى إلى « اليمن » ونزل « صعدة » فأضافت إقامته فيها رافداً جديداً من روافد ثقافته لما كانت تتمتع به من استقرار وازدهار فى ذلك الوقت ، وأسهم بنصيب وافر فى ازدهار الحركة الأدبية ، والفكرية والعلمية ، ووُسم بالعلم بين أهلها . وعندما انتقل الهمدانى بعد ذلك إلى مسقط رأسه « صنعاء » لم تكن إقامته بها إقل أثراً فى تشكيل ثقافته وإثراء معارفه .

وتختلف الروايات حول تاريخ وفاة الهمدانى عام ٣٣٤هـ ، وربما ٣٣٦هـ ، وهناك من يرى أنه عمّر ثمانين عاماً وعاش إلى سنة ٣٦٠هـ ، ولكن الدليل على هذا الرأى ليس قاطعاً ، ولا يزال تحديد تاريخ الوفاة بدقة أمراً متعذراً[1] .

وتجدر الإشارة إلى أن « جامعة صنعاء » قد عقدت فى أكتوبر عام ١٩٨١م ندوة عالمية لتكريم الهمدانى ولتعريف الأجيال بأثره فى تراث الحضارة الإسلامية ، ليس فقط فى ميادين الشعر والأدب والسياسة ، والأخبار والأنساب ، ولكن – أيضاً – فى « مجالات العلوم الكونية وتقنياتها »[2] .

جملة مؤلفاته :

تبلغ مؤلفات الهمدانى بضعة وعشرين كتاباً ، معظمها ضخم وفياض بالمعارف وأكثرها مفقودة . وهذه الكتب هى :

١ – كتاب « سرائر الحكمة » المحتوى على ثلاثين مقالة فى التعريف بعلم الهيئة ، ولم يُعثر منه إلا على « المقالة العاشرة » المنسوخة فى ١٩ من المحرم سنة ١٠٩١هـ ، والموجودة فى « الجامع الكبير بصنعاء » ، وتحوى ثلاثة وثلاثين باباً ، عرض فيها لعلوم السابقين فى الفلك والفلسفة ، ومقادير حركة الكواكب والنجوم[3] .

٢ – كتاب « الإكليل » ، وهو موسوعة علمية ألفها الهمدانى سنة ٣٣٠هـ فى عشرة مجلدات تتناول التاريخ والإنسان والثقافة فى اليمن القديم ، ولم يظهر إلا أربعة أجزاء من هذا الكتاب .

٣ – كتاب « صفة جزيرة العرب » ، وموضوعه الرئيسى : « دراسة الملامح الطبيعية والأجناس ، والقبائل والحيوانات ، والثروة المعدنية فى شبه الجزيرة العربية »[4] .

---

(١) د . يوسف محمد عبد الله ، ترجمة الهمدانى ، مجلة الإكليل ، العدد الأول ، السنة الثانية ، وزارة الإعلام والثقافة « صنعاء » صيف ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص ٥٥ .

(٢) أتيح لكاتب المقال أن يحضر هذه الندوة ، وأن يطلع على أعمالها ، وخاصة فيما يتعلق بالآراء والنظريات العلمية الرائدة التى أسهم بها الهمدانى فى بلورة « أصول المنهج العلمى التجريبى للعلوم الكونية فى عصر النهضة الإسلامية » . (راجع : د . أحمد فؤاد باشا ، « التراث العلمى للحضارة الإسلامية » ، ط ٢ ، ص ١٥٦ ومابعدها ، القاهرة ١٩٨٤م) .

(٣) قام محمد بن على الأكوع بتحقيق « المقالة العاشرة » من كتاب « سرائر الحكمة » للهمدانى ، والتى من نسخها والتعليق عليها فى عام ١٩٧٨م ، ثم نشرت بدون تاريخ . وقد لاحظنا وجود أخطاء كثيرة فى هذه النسخة بالنسبة لبعض أسماء الأعلام أو بالنسبة لبعض الحروف المستخدمة فى حساب الجمل وما يقابلها من أرقام .

لهذا نرى ضرورة إعادة طبع هذه المقالة لتصويب أخطائها وتقديم شروح تفصيلية واضحة لما فيها من مصطلحات علمية ونقدية .

(٤) حققه « مولّر » ونشره فى طبعة ليدن عام ١٩٨٤م ، وصدرت منه فى البلاد العربية طبعتان :

الأولى تحقيق : محمد بن بليهد النجدى ، القاهرة ١٩٥٣م .
والثانية تحقيق : محمد بن على الأكوع ، الرياض ١٩٧٤م .

٤ – كتاب « الجوهرتان العتيقتان المائعتان من البيضاء والصفراء » (الفضة والذهب) ، وكان لظهوره حديثاً فضل كبير فى إلقاء مزيد من الضوء على سيرة الهمدانى والتعرف عليه كعالم موسوعى ملك ناصية العلم والتقنية مثلما كان مؤرخاً ولغوياً ورحل فكر ، وسياسة ، وأدب[٥] .

٥ – قصيدة « الدامغة » .

٦ – شرح « القصيدة الدامغة » .

٧ – كتاب « الوشى المرقوم » .

٨ – كتاب « المطالع والمطارح »[٦] .

أما باقى كتبه التى ذكرها فى مؤلفاته أو ورد ذكرها فى مؤلفات من ترجموا له ولا تزال مفقودة فهى : « السير والأخبار » « المسالك والممالك اليمنية » « اليعسوب » فى القسى والرمى والسهام والنضال » « الأيام » « الزيج » ، وكان عليه اعتماد أهل اليمن « القوى فى الطب والصيدلة » « الحيوان » « الحرث والحيلة » « مفاخر اليمن ووقائعها » « أخبار الإبل » « أخبار الأوفياء » « أسماء الشهور والأيام » « ديوان شعر » « ست مجلدات » .

منهجه العلمى :

تدلنا مؤلفات الهمدانى على الأسلوب العلمى الذى اتبعه فى تحصيل معارفه ، حيث عكف فى البداية على دراسة مؤلفات من سبقوه ، ووقف على أوجه الاتفاق والاختلاف بينها ، ثم احتكم إلى الاختبار والرصد والحساب والقياس ، وانتهى إلى رأى يرجح صوابه ، ولا يستبعد أن يستدرك فى نتائجه على طول الزمان مثلما استدرك هو على غيره .

يقول الهمدانى فى « المقالة العاشرة » : « ولما رأينا ذلك من اختلافهم وضاقت أيامنا عن الاعتبار برصد بعد رصد ، وكنا نرى اقتران الكواكب المتحيرة مع الكواكب الثابتة لا ينتظم فى زيج بعينه ، جردنا العناية وأعملنا الفحص برهة من الدهر فى طلب مايؤدى الصواب مما اتفقت عليه الحكماء فوجدنا مايوافق التجربة ويصدق الاعتبار ويصح على الامتحان ... مع استلحاق تعديل أبعاد الكواكب من الأرض ... »[٧] .

وعندما يفند الهمدانى آراء السابقين ويرى فى بعضها رأياً مخالفاً ، فإنه يحتكم إلى التجربة العلمية ولايحيد عن الروح الإسلامية للتفكير السليم ، مثال ذلك ماجاء فى كتابه « الجوهرتان العتيقتان » عن نشأة الذهب : « ... وقال بعض الحكماء : يكون الذهب أول مانشأ أبيض ثم تطبخه الأرض وتلك البخارات المتجددة عليه فيأخذ اللون فى أدوار من الزمان كثيرة ، فكيفما عتق كان أكثر لحمرته وأقل لفضته . وليس الأمر كما ذهبوا إليه ولكنه يتكون بتقدير العزيز العليم أحمر ويخالطه من جنس الفضة شىء يكثر ويقل على قدر طباع تلك الأرض .....»[٨] .

(٥) حققه المستشرق السويدى « كريستوفر تول » وترجمه إلى الألمانية عام ١٩٦٨م ، طبعة جامعة « أوبسالا » .

(٦) توجد فى مكتبة الأسكندرية نسخة من هذا الكتاب .

(٧) المقالة العاشرة من « سرائر الحكماء للهمدانى ، تحقيق محمد بن على الأكوع الحوالى ، بدون تاريخ للنشر ، إلا أن كلاً من المقدمة والخاتمة تشيران إلى الفراغ من نسخه فى ابريل ١٩٧٨م .

(٨) كتاب (الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء) (الذهب والفضة) للهمدانى ، إعداد وتحقيق محمد محمد الشعيبى ، من التراث اليمنى الإسلامى ، بدون تاريخ للنشر .

ولم يكن الهمدانى ممن يعتقدون فى صناعة التنجيم ، رغم أنها حظيت باهتمام العرب ، سواء فى الجاهلية أو بعد الإسلام ، بل إنها سادت بلاد الشرق والغرب مدة طويلة من الزمن ، ولايزال أثرها حتى أيامنا . ولقد كان الهمدانى على بينة من فساد هذه الصناعة ، ولم يذهب إلى ماذهب إليه فلكيو « السندهند » من الربط بين قران الكواكب وفساد العالم أو نهايته[9] ، فذكر فى معرض حديثه عن صحة تقويم الكواكب : « ثم الله بعد ذلك أولى إن أحب أن يديم الخراب أو يدو، ما مثل ذلك الدوران فله الخلق والأمر ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب »[10] . وهو بهذا يؤكد إيمانه بما جاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[11] .

وإذا ما أردنا أن نستدل على عمق الجانب الإيمانى فى منهجية الهمدانى العلمية لوجدناه حريصاً على إظهار روحه الإيمانية فى افتتاحيات كتبه وبين سطور مؤلفاته . مثال ذلك : ماذكره من أسباب لتأليف كتاب « الجوهرتين العتيقتين » عن الذهب والفضة ، مستشهداً بما جاء بشأنهما فى كتاب الله ـ عز وجل ـ ، وفى الأخبار عن رسول الله ﷺ ، فيقول[12] :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله خالق الخلق ، وباسط الرزق ، وقاسم المعيشة بين عباده بأحسن تقدير ، وأتقن تدبير ، فلم يعل عليه صغير ، ولم يعزب عنه حقير ، حتى عم الجميع بلطفه ، ووسعهم بفضله ، وأغناهم بحصاة من أرضه ، أخرجها لهم من بين حجر ومدر ،، لا ينهشها الكلب ولا يبتلعها الظليم (أى ذكر النعامة) ، ولا تؤدى شماً ولامذاقاً ، فجعل بها نظام دينهم ودنياهم ، ومتزودهم إلى معادهم وأخراهم ، فأحل بها الفروج ، وملك بها الرقاب ، ورأب بها الصدوع ، وسدّ بها الثغور ، وأرقأ بها الدماء ، وفك بها الأسرى ، وستر بها الحاج ، وقضى بها الفروض ، فقال لنبيه محمد ﷺ :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[13] .

وقال تعالى :

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ

---

(٩) قران الكواكب يعنى وجوده مع الشمس فى خط نظر واحد ، وقد احتوى كتاب « السندهند » على مقدمة فى تحركات الأجرام السماوية وطلوع ومغيب البروج محسوبة على أساس دورات زمنية تقدر بألاف السنين ، حيث يعتقد أن الشمس والقمر والكواكب كانت فى بداية العالم مجتمعة على خط واحد ، وأنها سترجع إلى نفس الوضع فى نهاية العالم .

(١٠) المقالة العاشرة ، مرجع سابق .

(١١) سورة الرعد : ٤١ .

(١٢) كتاب « الجوهرتان العتيقتان » ، مرجع سابق .

(١٣) سورة التوبة : ١٠٣ .

﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾(١٤)

وقال تعالى :

﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾(١٥)

وفى مجال التأليف يسلك الهمدانى مسلكاً علمياً يدعو إلى الإعجاب والتقدير ، سواء بالنسبة لموضوعات الكتب ، أو بالنسبة لتبويبها وتصنيفها ، ويكفى أن ندلل على هذا الاتجاه المنهجى عند الهمدانى بأن نشير إلى ماذكره هو عن منهجه فى تأليف « ثلاثية » ذات معنى عن المال بأشكاله الثلاثة المتباينة : الأرض ، والحيوان ، والنقد ، حيث يقول : (فقد بوّبنا عن الأرض كتاب « الحرث والحيلة » ، وعن الحيوان كتاب « الإبل » ، ولم نحب أن نخل بأعظمها خطراً وأعتقها جوهراً ـ يقصد بذلك النقد وتبويبه لكتاب « الجوهرتان العتيقتان ، الذهب والفضة »)(١٦) .

وهكذا نرى أن الهمدانى ينتمى بكل شموخ إلى جيل الرواد من علماء القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) اللذين تبلورت على أيديهم أصول المنهج العلمى التجريبى واصطنعوه طريقة للتفكير والبحث والتأليف فى مجال العلوم الكونية ، فكان من أهم الأسس التى قامت عليها النهضة العلمية والتقنية فى عصر الحضارة الإسلامية الزاهرة ، ثم قامت عليها بعد ذلك نهضة أوروبا الحديثة التى أدت بدورها إلى حضارة العصر الذى نعيشه .



(١٤) سورة الزخرف : ٧١ .
(١٥) سورة الإنسان : ١٥ ، ١٦ .
(١٦) كتاب الجوهرتان العتيقتان ، مرجع سابق .

برامج الحاسوب في مجال العلوم الشرعية

ضوابط ومحاذير

بقلم / نبيل صلاح محمود العربي

الحمد لله الذى علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير وبعد :

دخل الحاسوب إلى المنطقة العربية فى أوائل الستينيات ، وكانت التطبيقات السائدة منذ ذلك الوقت تكاد تنحصر فى المجالات المحاسبية والإدارية والإحصائية ، ولم يتجه التفكير إلى خدمة العلوم الشرعية إلا بعد ذلك بوقت طويل .

لقد كان على تطبيقات العلوم الشرعية أن تنتظر تطوير لغات وأنظمة مناسبة لطبيعة الدراسات والأبحاث الشرعية ، ومن جهة أخرى ، فقد تأخر التعريب ـ فى شكله العمل الواسع الانتشار ـ إلى الثمانينيات ، وهذا هو الوقت الذى بدأ فيه ظهور برامج حقيقية لخدمة القرآن الكريم والسنة ، ومع ذلك فقد كانت البداية مترددة حيث ارتبط الحاسوب بتطبيقاته التقليدية فى أذهان أغلب الناس وبخاصة المهتمين والمشتغلين بالعلوم الشرعية .

ولكن مع استمرار تطور تقنية الحاسوب وانخفاض تكلفة اقتنائه وظهور أنظمة حديثة قوية لإدارة قواعد البيانات « Data Base Management » ولغات برمجة مرنة وسهلة الاستخدام ، فضلاً عن انتباه الباحثين فى مجال العلوم الشرعية للقدرات الكامنة فى تقنية الحاسوب ، أعلن عن عدد من المشروعات الطموحة ، ومن أمثلة هذه المشروعات[1] .

* « مشروع موسوعة الحديث النبوى » (د . يوسف القرضاوى) .
* « مشروع مكتبة الحديث الالكترونية » (د . مصطفى الأعظمى) .

---

(١) بعض هذه المشروعات وُضعتْ نواته منذ سنوات طويلة ولكن لم يظهر إلى النور إلا مؤخرا وأرجو القارئ، إذا تيسرت له معلومات موثقة عن هذه المشروعات أو مشروعات مشابهة أن يتفضل بإرسالها حيث نهتم بعمل مراجعة هذه البرامج والتعريف بها وتبين أمرها .

• « مشروع برنامج القرآن الكريم ، وبرامج الكتب الثمانية » (شركة العالمية ــ صخر) .

• « مشروع مشكاة السنة النبوية » (مسجد نور الإسلام بالإسكندرية مصر) .

• « مشروع موسوعة الحديث النبوي الشريف » (مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي ، الأردن) .

وغير ذلك كثير .

على أن بعض هذه المشروعات والبرامج تجارية ، بمعنى أنها تباع في السوق وتنطوي على هامش ربح ، بينما بعضها الآخر غير تجاري أي : لا يهدف إلى الربح ، وفيه معنى الوقف لله ــ تعالى ــ **والملاحظ أن بعض هذه المشروعات التي اكتملت وطرحت لجمهور المستخدمين فعلاً افتقرت إلى بعض العناصر الفنية ، بل وأحياناً إلى بعض الضوابط الشرعية ، ولذلك كان لابد من طرح هذا التساؤل :**

ماهي الضوابط والمعايير التي يتعين أخذها في الاعتبار عند تصميم وتنفيذ برامج تخدم العلوم الشرعية ، حتى يمكن الاعتماد عليها كمراجع حقيقية أكثر كفاءة من المراجع التقليدية ؟.

إن البرنامج الشرعي (البرنامج المحوسب في مجال العلوم الشرعية) عبارة عن شقين :

الشق الأول : هو مجموعة الوظائف والبرامج الفرعية والنماذج والتقارير ، وهذا الشق هو مسئولية مصمم النظام والمبرمجين ، والمعايير المتعلقة به هي معايير تقنية أو فنية .

والشق الآخر : هو المادة العلمية التي يتناولها البرنامج وهي مسئولية الباحث أو مجموعة الباحثين المتخصصين في الموضوع (تفسير ، حديث ، أصول ، لغة ... إلخ) والمعايير المتعلقة بهذا الشق هي معايير الإنتاج العلمي في المصنفات التقليدية من حيث التوثيق والدقة والموضوعية والأمانة العلمية والضبط الأصولي ... ألخ .

ومع هذا فجوانب التقنية تتداخل مع الجوانب العلمية في كافة مكونات البرنامج ولذا فإن إعداد البرنامج الشرعي يتطلب تعاوناً مستمراً بين مهندس البرامج والباحث الشرعي في كل مراحل العمل .

إن البرنامج في النهاية هو منتج لاستخدام معين . ومن وجهة النظر الهندسية فإن تطوير منتج معين ينقسم تقليدياً إلى خمس مراحل :

١ ــ وضع المواصفات .
٢ ــ التصميم .
٣ ــ التنفيذ .
٤ ــ اختبار المنتج .
٥ ــ صيانة المنتج .

أما في مجال هندسة البرامج « Software Engineering » فإنه تتبع نفس الاستراتيجية لإنتاج منظومة برامج بواسطة متخصصين في كل مرحلة من المراحل الخمس ، ولأن هذه المراحل تمثل الحياة الكاملة للمنتج يطلق عليها غالباً دورة حياة البرنامج « Software Life cycle » وفيما يلي نعرض للمراحل الخمس بشيء من التفصيل والبيان :

المرحلة الأولى : وضع المواصفات « Specifications »

في هذه المرحلة توضع المواصفات الفنية للبرنامج ، وهذه المواصفات تكون مبنية على تصور كامل للجوانب التالية :

• نوعية المدخلات والمعطيات التى سيتم تغذية البرنامج بها : (نصوص ، أقوال ، بيانات تاريخية ، مادة صوتية ، ... الخ) .

• شكل التقارير والإحصائيات والمخرجات الأخرى التى يتعين أن ينتجها البرنامج .

• عدد الوظائف التى سيقوم بها البرنامج للوصول إلى المخرجات المطلوبة والخصائص التفصيلية لكل وظيفة .

• مستويات الأفراد المتوقع أن يتعاملوا مع البرنامج من حيث الدرجة العلمية (أستاذ متخصص أم طالب علم أم مجرد مسلم من العوام) ومدى الخبرة فى التعامل مع أنظمة محوسبة وكذلك الخدمات التى يحتاجها كل منهم .

وتعتبر مرحلة وضع المواصفات ـ بحق ـ أهم المراحل جميعاً ، والتقصير فيها يصعب تداركه فيما بعد ، ولذلك يبذل فيها جهد كبير من جانب : اخصائى تقنى يطلق عليه محلل النظم « Systems Analyst » وباحث متخصص فى العلوم الشرعية ، إلا أن الأخير يتحمل مسئولية أكبر فى هذه المرحلة ، لأنه يحدد الإطار الذى يعمل من خلاله البرنامج المنشود .

البرنامج الشرعى : هو إنتاج فكرى يشبه فى بعض الجوانب المصنف المطبوع ـ كما سلف ـ ومقتضى هذا أن اقتراح مشروع برنامج فى موضوع ما يجب أن يأخذ بعين الاعتبار المصنفات الأخرى فى نفس الموضوع حتى تكون الفائدة المرجوة من البرنامج أكبر ما يمكن ، فالعمل فى موضوع التصنيف فيه قليل أو لا توجد فيه مصنفات يكون أكثر فائدة ـ من حيث الإضافة العلمية ـ من موضوع آخر قتل بحثاً على أيدى السابقين .

فمثلاً إعداد برنامج لمجرد عرض « صحيح البخارى » على شاشة الحاسوب لا يحقق إضافة تذكر ، بل فى هذه الحالة قد يكون الكتاب أفضل لأن العين تصاب بالإجهاد من طول النظر إلى شاشة الحاسوب ، بعكس الحال بالنسبة للكتاب المطبوع .

ومن جهة أخرى ، يجب الحذر من الانبهار بإمكانيات أنظمة الحاسوب : « معدات Hardware » وبرمجيات « Software » والانشغال بكم الإحصائيات وتنوع طرق عرض المعلومات التى توفرها عادة الأنظمة المحوسبة ، على حساب قيمة وفائدة المحتوى العلمى .

المرحلة الثانية : تصميم البرنامج Design

المرحلة الثانية : هى ترجمة المواصفات إلى تصميم ، وهدف مصمم النظم هو تحويل المواصفات المتفق عليها إلى ما يسمى : « برموجات Program Modules » وهى الوحدات البنائية لنظام الكامل ، حيث تحدد وظيفة كل برموجة والعلاقات بين البرموجات المختلفة .

إن الوصول إلى تصميم محدد انطلاقاً من المواصفات المعرفة فى مرحلة سابقة ينطوى على تحليل من أعلى إلى أسفل « Top-Down » حيث نبدأ بوظيفة النظام الكامل ثم نقوم بتقسيم النظام إلى أنظمة فرعية جزئية وكل منها له وظائفه التفصيلية ، ثم يعاد تقسيم الأنظمة الفرعية إلى أنظمة أصغر وهكذا إلى أن نصل إلى نقطة عندها

تكون كل وظيفة بسيطة (أى غير مركبة) ومحددة (أى غير مشتبهة) .

وعلى سبيل المثال منظومة برامج « مشكاة السنة النبوية » تقوم بمجموعة وظائف تتعلق بدراسة الأسانيد والأحاديث وتمييزها ، فضلاً عن جوانب أخرى متعلقة بعلم الحديث وعلم الرجال .

فى مرحلة التصميم هذه يتم تقسيم المهام المتشابكة إلى أنظمة فرعية أهمها : المصنفات فى علم الحديث ورواة الحديث والحديث الشريف .. الخ .. **ثم قسم كل نظام فرعى إلى وحدات أصغر** (مثل إدخال البيانات وحساب الإحصائيات وطبع التقارير) وهكذا .

وبالتأمل فى العرض السابق يتضح أن هذه المرحلة تعتمد أساساً على خبرة وجهد محلل النظم أى أن لها طابع تقنى « Technical » إلا أن الأمر لا يخلو من الحاجة إلى مشاورة فريق البحث فى العلم الشرعى لضبط بناء المنظومة على نحو متماسك ومقبول ، وبحيث يكون تدفق البيانات وتسلسل العمليات منسجماً مع منطق العمل لدى المستخدمين الفعليين للنظام بعد إتمامه ، فهذا هو المقياس الحقيقى لنجاح النظام .

المرحلة الثالثة : بناء البرامج « Building » .

بعد الفراغ من التصميم نحتاج إلى صياغة هذا التصميم فى شكل تعليمات يستطيع الحاسوب أن ينفذها ، وهذا ما يطلق عليه كتابة البرنامج أو التشفير « Coding » ولكتابة البرنامج تستخدم إحدى لغات البرمجة « Programming Languages » ، وعلى الرغم من ظهور عدة آلاف من لغات البرمجة خلال الثلاثين سنة الأخيرة إلا أن عدداً قليلاً منها فقط مما يمكن اعتباره لغة جيدة واسعة الانتشار .

وهناك اتجاهان فى اختيار لغة البرمجة . فبعض المبرمجين يفضلون استخدام إحدى اللغات العامة مثل « البيسك BASIC » أو « السى C » أو « الباسكال Pascal » أو « فيجوال بيسك Visual BASIC » ، وكل منها له خصائصه الفريدة .

بينما يتجه البعض الآخر من المبرمجين إلى إحدى لغات إدارة قواعد البيانات مثل : « DBASE » أو « FoxPro » أو « Clipper » ، ومؤخراً « Access » على أساس أن هذه لغات متخصصة وتتميز بالقوة والسهولة وملاءمتها لطبيعة مشاكل ملفات البيانات كبيرة الحجم .

وعلى كل حال فالعبرة أساساً بالمبرمج وليس بلغة البرمجة المستخدمة ، ولا داعى لإثارة جدل حول ماهية اللغة المستخدمة فى بناء تطبيق « Application » معين وليكن السؤال عن كفاءة وفاعلية التطبيق (أى البرنامج) .

ومع هذا فهناك عدد من الضوابط التى يوصى بالاسترشاد بها أهمها ما يلى :

١ - البرنامج الذى يعمل فى بيئة تشغيل واسعة الانتشار (مثل : « دوس DOS » أو « وندوز Windows ») أفضل من البرنامج الذى يرتكز على بيئات تشغيل أقل شيوعا .

وفى هذا السياق يذكر أن الشركة العالمية (صخر لبرامج الحاسب) قد أسهمت بالفعل بعدد من البرامج فى خدمة الشريعة الإسلامية واللغة العربية ، إلا أن أهم المآخذ على هذه البرامج هو إصرار الشركة على تشغيل برامجها تحت نظام غير

شائع أعدته هى بسمى « النوافذ العربية » وهو مجرد تعريب لأحد إصدارات « وندوز البلاتيني » بتصريح من الشركة الأمريكية « ميكروسوفت » التى لا يتوقع أن تجدد الترخيص للعالمية لأن ميكروسوفت قامت بتعريب نظام وندوز بواسطة فريقها الخاص وعلى نحو أفضل من العالمية .

٢ ـ يفضل دائماً البرنامج الذى يحتاج إلى موارد « Resources » قليلة من نظـــام الحاسوب . وبعبارة أخرى يفضل البرنامج صغير الحجم الذى يشغل حيزاً صغيراً على القرص وفى الذاكرة وهذا البرنامج يكون عادة ملفاً تنفيذياً قائماً بذاته « Standalone EXE File » يتم إنتاجه بواسطة أحد المترجمات Compilers .

٣ ـ يفضل البرنامج المتكامل الذى يغطى جوانب متعددة بحيث يلبى كافة احتياجات المستخدم فى مجاله .

المرحلة الرابعة : اختبار البرنامج Testing

تحتاج إلى اختبار النظام بعد إتمامه ، وذلك بالرجوع إلى المواصفات الموضوعة فى المرحلة الأولى للتأكد أن النظام يلبى الاحتياجات المطلوبة .

ولكن للأسف يتعذر اختبار أى برنامج جاد لكل احتمالات الإدخال والمعالجة التى يمكن أن تحدث فى الواقع العملى ، ولذلك يتم اختبار بعض عمليات الإدخال والمعالجة الأساسية وتجربتها على النظام .

ويعتبر النظام قد نجح فى الاختبار إذا استجاب للعمليات التجريبية بالطريقة المتوقعة ، وبعبارة أخرى ، يتم إدخال بيانات نعرف النتائج التى تتمخض عنها مقدماً ، فإذا جاءت النتائج الفعلية للنظام موافقة للنتائج المتوقعة ، يكون النظام قد نجح فى الاختبار .

وفى هذه المرحلة تستفيد من خبرة الباحثين فى العلوم الشرعية ، حيث يتسلمون نسخاً تجريبية من البرنامج ، ويقومون بتشغيلها باستخدام بيانات فعلية ، واستخراج التقارير مع نقدها ومراجعتها ؛ لاكتشاف أى خطأ محتمل استناداً إلى خبرتهم الطويلة فى التخصص .

المرحلة الخامسة : صيانة البرنامج Maintenance

بعد تسليم البرنامج لمجموعة المستخدمين بصفة نهائية وبدء التشغيل الفعلى ، يحتاج البرنامج إلى الصيانة . ومفهوم الصيانة هنا يختلف عن الصيانة فى المفهوم الهندسى التقليدى ؛ فالبرنامج لا يبلى مع الزمن ولا تتدهور وظائفه .

تحتاج إلى صيانة البرنامج بسبب التغيرات فى بيئة العمل مثل : تغيير مواصفات الأجهزة التى يركب فيها البرنامج أو إضافة أفكار جديدة لتحسين أداء البرنامج ، أى : تغيير بعض المواصفات . ومن جهة أخرى قد تظهر بعض المشاكل فى تشغيل البرنامج (مايسمى bugs) والتى تعذر اكتشافها فى مرحلة الاختبار مما يستلزم إعادة النظر فى البرنامج لضبطه وتنقيحه .

وأخيراً نعود فنؤكد أن بناء أنظمة برامج لخدمة العلوم الشرعية مسئولية كبيرة ومطلب ضرورى وعاجل . فاليوم توزع صحف ومجلات الكترونية على أقراص مدمجة (CDROM) توفر معلومات تفصيلية ووافية ومركزة فى حيز صغير ، وبالمثل نجد كافة الموسوعات الشهيرة اخرجت إصدارات

البقية ص ٢٣٢





أمراض الطفولة

٢ - أنيميا ازدياد الخلايا الكروية في الدم

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى

بدأنا الحديث عن فقر الدم الناجم عن زيادة تحلل كرات الدم الحمراء ، وقمنا بإلقاء الضوء على أحد أنواعه وهو مرض « أنيميا الفول » . واليوم نقوم بإلقاء الضوء على نوع آخر من ذلك المرض وهو مرض « أنيميا ازدياد الخلايا الكروية في الدم » .

● **ما أنيميا ازدياد الخلايا الكروية في الدم ؟ Spherocytosis .**

من المعروف أن خلية الدم الحمراء عبارة عن قرص مستدير ، ذي سطحين مُقعَّرين يتراوح قطره بين ٦,٧ إلى ٧,٩ (ميكرون)[1] (المتوسط هو ٧,٢ ميكرون) ويكون سُمْكها حوالى ٢ ميكرون ، ولا توجد بها نواة ، وتكون ممتلئة بالهيموجلوبين ، فيما عدا منطقة مركز الخلية ، وتكون مدة حياتها حوالى ١٢٠ يوم .

وفي هذا النوع من « فقر الدم » تكون خلايا الدم الحمراء أصغر حجماً ، ولكنها أكثر سمكاً .. فتكون بهذا كروية الشكل ، وبالتالى تكون أكثر عرضة للتحلل ، وتقل فترة حياة الخلية عن مُعدّلها الطبيعى (١٢٠ يوم) .

● **سبب المرض ؟ :**

يحدث المرض نتيجة خلل في تكوين الغشاء الخلوى لكرات الدم الحمراء ، وبالأدق نتيجة خلل في البروتين الموجود تحت الغشاء الخلوى (ربما السبكترين Spectrin) وهذا يجعل الخلية أكثر نفاذية لعنصر الصوديوم ، ولكى يتم إخراج هذا العنصر من الخلية ، فإن ذلك يستلزم كمية أكبر من الطاقة لضخ الصوديوم ، خلال المضخة الخاصة به Sodium Pump خارج الخلية .

---

(١) الميكرون يساوى $\frac{١}{١٠٠٠}$ من المليل .

وعندما تمر هذه الخلايا فى الطحال Spleen ، يتم احتجازها داخله ، وتتعرض هذه الخلايا المحتجزة إلى قلة نسبة (الجلوكوز) وزيادة نسبة الحموضة Acidosis ، فى الطحال ، ونظراً لقلة الطاقة (حيث إنها تستغل فى عملية ضخ الصوديوم – الموجود بكمية كبيرة داخل الخلايا – إلى خارج الخلايا) فإن الخلية تجبر على فقد جزء من غشائها الخلوى ، بواسطة الالتهام Phagocytosis وتصبح الخلايا كروية صغيرة الحجم Microspherocytes ، قابلة للتكسر .

ومن الجدير بالذكر أنه فى أغلب الأحوال من (٧٥٪ إلى ٨٠٪) يورث المرض كصفة ذاتية جسدية سائدة Autosomal Dominant (أى يكون (الجين) الخاص بالمرض محمولاً على الكروموسومات الجسدية ، ويكون سائداً .. أى يكفى أن يكون أحد الجينَيْن هو (جين) المرض . لكى يتجلى ظهور هذا المرض على المريض) . أما فى النسبة الباقية ، فيحدث المرض نتيجة لحدوث طفرات أو تحولات جينية جديدة : New gene mutation .

* * *

● أعراض المرض :

• قد يظهر المرض مبكراً فى الشهر الأول من عمر الطفل ، فى صورة فقر دم شديد ، مع زيادة نسبة مادة الصفراء فى الدم : Hyper bilirubin anemia نظراً لزيادة تكسر خلايا الدم الحمراء ، وربما يحتاج الرضيع لنقل الدم وعلاج زيادة نسبة البليروبين إما بالعلاج الضوئى Phototherapy أو بتغيير دم الطفل Exchange transfusion ، فى الحالات الشديدة .

ثم يتجلى المرض بعد ذلك فى صورة :

١ – فقر دم شديد : حيث يصاب الطفل بالشحوب مع الضعف العام ، والشعور بالتعب وضيق التنفس ، عند بذل أدنى مجهود .

٢ – اصفرار الجلد وبياض العين ، والأغشية المخاطية .

٣ – تضخُّم الطحال – وفى الحالات الشديدة – قد يزداد نشاط الطحال Hypersplenism ويؤدى هذا إلى تكسُّر جميع خلايا الدم : (الخلايا الحمراء والبيضاء ، والصفائح الدموية) .

٤ – عندما يكبر الطفل قد يعانى من حدوث حصوات مرارية ملونة متكررة Pigmented gall stones .

٥ – قد يعانى الطفل من حدوث عدة نوبات Crisis وهى تشمل :

(أ) نوبة توقف تصنيع خلايا الدم : Aplastic Crisis .

وتحدث نتيجة إصابة الطفل بأحد الفيروسات Human Parvo Virus .

فيحدث الآتى :

● فقر دم شديد مفاجىء نظراً لقلة عدد الخلايا الحمراء .

● قلة عدد الخلايا الشبكية ونسبة الصفراء ، نظراً لقلة عدد الخلايا الحمراء المتحللة .

● قد يصاحب هذا قلة كرات الدم البيضاء فيصاب الطفل بحدوث الالتهابات ، أو قلة الصفائح الدموية . فيصاب الطفل بالنزف .

(ب) نوبة تحلل الدم : Hemolytic Crisis

حيث يزداد معدل تحلل الخلايا الحمراء فيحدث الآتى :

● زيادة فقر الدم ، وزيادة نسبة الخلايا الشبكية والصفراء .

● احمرار لون البول (نظراً لوجود مادة « الهيموجلوبين » الناتجة عن تكسر الخلايا الحمراء به) .

● يزداد حجم الطحال ويصبح مؤلماً عند الفحص .

ومن الجدير بالذكر أن نوبة ازدياد تحلل كرات الدم الحمراء Hyperhemolytic Crisis .

فتحدث إذا كان الطفل يعانى من (أنيميا الفول) أيضاً علاوة على إصابته بهذا المرض .

(ج) نوبة زيادة نسبة الخلايا الضخمة : Megaloblastic Crisis .

حيث تزداد نسبة الخلايا كبيرة الحجم المحتوية على نسبة كبيرة من (الهيموجلوبين Megaloblast وقد يصاحب هذا أيضاً قلة عدد الخلايا البيضاء ، والصفائح الدموية . ويحدث هذا إذا كان الطفل يعانى من نقصان حامض الفوليك .

* * *

● كيفية تشخيص المرض

١ ــ القيام بعمل صورة دم كاملة :

ويتجلى فيها الآتى :

● قلة عدد كرات الدم الحمراء والهيموجلوبين ، وتكون الخلايا الحمراء صغيرة الحجم ، كروية الشكل (أكثر سمكاً) ، وممتلئة كلياً بالهيموجلوبين بحيث تختفى الشحوب المركزى Central Pallor .

● زيادة نسبة الخلايا الشبكية :

(٢) زيادة نسبة « البيلروبين » غير المباشر .

(٣) القيام بعمل اختبار التكسر الأسموزى : Osmotic Fragility Test

وهذا الاختبار يثبت زيادة معدل تكسر الخلايا الحمراء عند المريض ، ويتم بإضافة كميات صغيرة من دم المريض ، إلى تركيزات متزايدة ، من محلول الملح ، ثم تقاس نسبة تحلل الخلايا الحمراء عند كل تركيز ، ويكون متوسط تكسر الخلايا Mean Corpuscular Fragility هو تركيز محلول الملح الذى يسبب تكسُّر (٥٠٪) من خلايا دم المريض المضافة ، ويكون هذا المتوسط حوالى (٤, ــ ٤٥,) عند الشخص غير المريض ، ويزداد هذا المتوسط عند المريض بأنيميا زيادة الخلايا الكروية .

● علاج المرض :

١ ــ يتم نقل الدم للمريض ، إذا كان يعانى من فقر دم شديد ، مع إعطائه حامض الفوليك ، فى شكل دوائى ، إذا كان يعانى من نقصانه .

٢ ــ استئصال الطحال :

وذلك سوف يمنع حدوث زيادة تكسر الخلايا الحمراء ، وبالتالى منع حدوث أعراض المرض ، ولكن الخلل فى تكوين الخلايا سوف يظل موجوداً . ويستحسن أن يتم هذا عند سن ٥ سنوات وليس بعد هذا ، حتى تتفادى حدوث

نوبات المرض ، وفقر الدم الشديد ، الذى يؤثر على نموّ الطفل ، وأيضاً لمنع حدوث الحصوات المرارية .

وأيضاً ، من الأفضل عدم استئصال طحال الطفل قبل خمس سنوات ـ إلا فى حالات المرض الشديد الوطأة ـ لمنع حدوث المضاعفات الشديدة التى تعقب استئصال الطحال وهى :

(أ) حدوث الالتهابات الشديدة بواسطة البكتريا ذات الكابسول Capsule (مثل الالتهاب الرئوى ، والالتهاب البكتيرى السحائى ، والالتهابات العظمى الحاد) وتحدث الإصابة بهذه البكتيريا ، بعد استئصال الطحال ، لأن هذا العضو يقوم بتصنيع مادة (الأوبسونين) (Opsonins) وهى أجسام مضادة تساعد فى عملية التهام الجراثيم .

(ب) زيادة نسبة الصفائح الدموية Thrombocytosis وقد يؤدى هذا إلى حدوث جلطات دموية ، ويمنع هذا بإعطاء الطفل الأدوية المانعة لحدوث الجلطات : Anti Coagulants .

بقية ص ٢٢٨

محوسبة (Computerized) من انتاجها ، فمتى يلتفت علماؤنا ومؤسساتنا إلى أهمية هذا الموضوع ويتم إرساء مفاهيم للتأليف والتصنيف وإعداد الأبحاث [illegible] على نحو يتفق مع هذا الاتجاه الجديد .

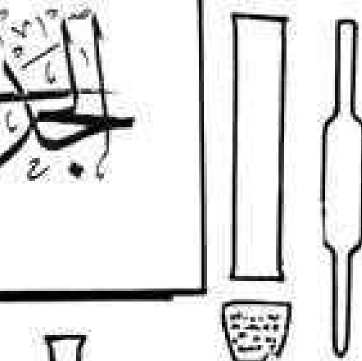
إن ما يحدث الآن فى هذا المجال عبارة عن اجتهادات فردية من شركات البرامج أغلبها يرتكز على أساس تجارى يهدف إلى تحقيق الربح ، وطريقة حصول هذه الشركات على تصاريح لإصدار برامجها تماثل طريقة الحصول على تصاريح لإصدار مواد مطبوعة رغم البون الواضح بين المادة الألكترونية والمادة المكتوبة على الورق ، ولذلك يجب على المؤسسات الكبرى فى العالم الإسلامى وعلى رأسها الأزهر الشريف محاولة بحث معايير وضوابط جديدة لتصنيف وتقييم مشروعات البرامج الإسلامية ، ليكون القبول أو الرفض على أساس متكامل شرعى وتقنى وعلمى فى آن واحد . فهل نطمع أن يكون هذا قريبا ؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

«ويخلق ما لا تعلمون...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ نجوى السيد أحمد(*)

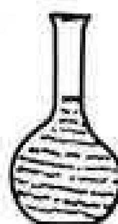


«جهاز نسخ جديد»

صممت إحدى الشركات «الفرنسية» جهاز نسخ جديد يكبر النصوص والرسوم إلى حجم معين في دقيقة واحدة ، ويحتوى الجهاز على ماسح يقوم بتحليل الوثيقة الأصلية ويحدد درجة الطبع الحرارى على الورقة . وهذا الجهاز عبارة عن نقلة نوعية في مجال التكبير .



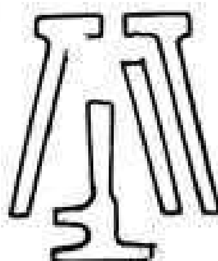


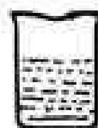


«حاسب شخصي للجيب»

انتجت شركة يابانية «للألكترونيات» حاسب شخصى بحجم الجيب ، بجميع مميزات الحاسب الشخصى المكتبى ويمكن أن يستوعب كميات كبيرة من المعلومات ، كما يمكن توصيله ببطاقات برمجة لخزن أكبر كمية ممكنة من المعطيات ، ويقوم بجميع العمليات الحسابية تقريبا وبوظيفة مفكرة شخصية .







(*) باحثة بالمركز القومي للبحوث ـ الدقي

«الدفع المغناطيسي لتسيير السفن»

قامت مؤسسة «يابانية» لصناعات السفن ببناء سفينة تسير بقوة الدفع المغناطيسية بدلا من الرفاصات ، ويعتمد عمل السفينة على سحب ماء البحر في أنابيب تحت جسم السفينة ، ويتم شحنه بالكهرباء ، ثم يندفع هذا الماء المكهرب في الأنابيب بواسطة مغناطيسات كهربية ذات موصلات بالغة القوة فينتج عن هذه العملية قوة دفع تحرك السفينة على سطح الماء ، وعند عكس تدفق التيار الكهربائي في المغناطيسات ينعكس تدفق الماء في الأنابيب فتتحرك السفينة للوراء ، وعند إبطائه تتحرك السفينة ببطء .

«ملابس جديدة لحماية قاطعي الأخشاب»

أنتجت شركة «فرنسية» مجموعة جديدة من الملابس لحماية قاطعي الأخشاب الناجمة من آلات تقطيع الأخشاب . وتتميز هذه الملابس الحامية بأنها خفيفة ومتينة ومريحة ومصنوعة من طبقات من «البوليستر» وتستطيع أن توقف المنشار المسنن وآلة التقطيع السريعة في أقل من الثانية .

«تقنية جديدة لحماية المحاصيل أثناء التخزين»

اكتشف العلماء في «استراليا» طريقة جديدة للتخزين تخلص صوامع الحبوب من الحشرات بفعالية أكبر من الطرق التقليدية . وتقوم هذه الطريقة على ضخ تركيزات منخفضة من غاز الفوسفين الممزوج إما بالنتروجين أو بثاني اكسيد الكربون عبر الحبوب بمعدل ثابت بواسطة مروحة صغيرة ويؤدى تدفق الغاز المستمر إلى الانتشار في كل أنحاء أكوام الحبوب ، كما أن هذه التقنية تحتاج إلى تركيزات من المبيد الحشري الفوسفين أقل بكثير وتوفر حماية أطول من الطرق التقليدية .

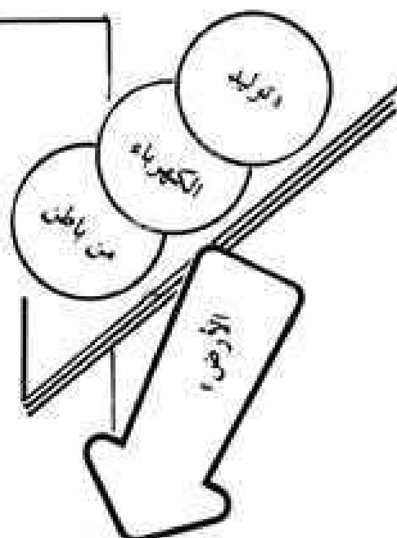
«اختبار سريع لمعرفة مستوى الكولسترول»

أعلن مجموعة من العلماء في أحد المعاهد الطبية «بموسكو» عن اكتشاف طريقة جديدة وبسيطة لتقدير مستويات «الكولسترول» في الدم تعتمد على مستويات «الكولسترول» في الجلد ، وتتألف مجموعة التشخيص من كاشف يرتبط «بالكولسترول» ومحلول يتغير لونه بوجود «الكولسترول» ، ويضع العلماء ثلاث قطرات من الكاشف بتركيزات مختلفة على راحة اليد يغسلونها بعد فترة بسيطة ، وبعد ذلك يضيفون قطرات من المحلول إلى المواقع نفسها على اليد فيتغير لون المحلول تبعا لمستويات «الكولسترول» في الجلد .

«خزف ياباني جديد لترميم العظام»

تمكن الباحثون اليابانيون من اختراع خزف جديد أقوى من مادة العظام وناشط حيويا ويمكنه أن يحل محل العظام في عمليات الترميم العظمى .

والخزف الجديد عبارة عن زجاج مصنوع من الكالسيوم الفسفورى ومسحوق السيليكون ، ويمكن قطع هذا الزجاج وتشكيله في أى شكل كان وحتى في شكل الفقرات العظمية .



تمكنت اليابان من استخراج البخار من باطن الأرض وتوليد الكهرباء منه ، وتعتمد هذه الطريقة على أنه فى عمق كبير من سطح القشرة الأرضية تزداد درجة حرارة طبقات الصخور بشكل كبير وتتجمع مياه الأمطار التى تمتص داخل الأرض فى شقوق غائرة وتختلط بالأملاح المعدنية التى تأتى من الحمم البركانية التى بداخل الشقوق ، ويتم استخراج الطاقة من باطن الأرض بواسطة ضخ كميات كبيرة من الماء فى بئر عميق على هيئة خزان حيث يمكن استغلال الضعف الموجود فى بعض الطباقات الصخرية وتكوين شق غائر صناعى من المياه ، وبعد ذلك يتم حفر بئر آخر يصل حتى خزان الماء الذى يكون قد زادت حرارته بفعل الصخور المحيطة به فيستخدم البخار الناتج فى توليد الكهرباء .



اكتشف العلماء «الاستراليون» أن «القنفذ» آكل النمل يحمل مستقبلات كهربائية فى خطمه ، مثل الحيوان الآخر المسمى «بخلد الماء» ، وهما الثديان الوحيدان اللذان يتوالدان بوضع البيض وليس بالحمل .

وأكد الفريق «الاسترالى» أن هذه المستقبلات تتحسس التيار الكهربى سواء كان مستمرا أو مترددا ، وأظهرت الدراسة التى أجريت أن استجابة المستقبلات اللمسية لاتتحقق إلا بتيارات تبلغ ألف ضعف تلك التى تعرض المستقبلات الكهربائية .



صمم مجموعة من جراحى الأسنان فى «أمريكا» آلة على شكل حقنة تقوم بالتقاط الأدوات الجراحية الملوثة لنقلها إلى حوض التعقيم وتسمى «الحقنة الممغنطة للأدوات الجراحية» ، وتتألف من أنبوب مركزى من الألومنيوم أو ألياف الكربون تحمل فى طرفها مغنطيسا صغيرا أسطوانى الشكل فعند الضغط على الآلة بالأصابع يبقى ظاهرا ليلتقط الأدوات الجراحية الملوثة وينقلها فوق حوض التعقيم دون أن يلمسها الطبيب .





الدكتور عبد الوهاب عزام

في كتابه

(التصوف وفريد الدين العطار)

بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

تُعين دراسة اليوم على اجتلاء مَلْمَح جديد من مُكَوِّنات شخصية الدكتور عبد الوهاب عزام وثقافته – رحمه الله – ونظرته إلى التصوف الإسلامي، بصفة عامة، في أصله العربي، وإطاره الفارسي.. خاصة إذا لاحظنا الاتجاه المشترك بينه وبين: (فريد الدين العطار)، في شغفهما بالسياحة والرحلة؛ للتنقل في آفاق الأرض، وللتبحّر في العلم، ومقابلة العلماء الأعلام الأفذاذ[1]، وقد استمر العطار في تطوافه زهاء ثلاثين عاما، زار خلالها: الرَّيّ، والكوفة، ومصر، ودمشق، وتركستان، والهند.. وبعد عودته إلى نيسابور، مَرَّ ببغداد، حيث التقى بالشيخ مجد الدين البغدادي، الذي ألبسه: (خرقة التصوف).. ويصف العطار ذلك كله – في كتابه: (مختار نامه) –، بقوله: «لقد طوَّفنا عُمْرًا في كل ناحية، وطِرْنا كالريشة حول رجال كالجبال.. » إلى أن يقول: «تركنا دارنا بسائلين، ورجعنا.. ملوكا!».



ولكي تزيد الرؤية وضوحا، نذكر أن الدكتور عزام نفسه، كان ذا اتجاه صوفي، يستمد مقوماته الأولى، من نشأته الدينية، وفطرته النقية، التي عَبَّدت الطريق أمامه، للاطلاع على أمهات كتب التصوف وغيرها، وحرصه على تتبع سير كبار المتصوفة، في مجاهداتهم، وأذواقهم، ومواجيدهم.. ووقف طويلا عند:

فريد الدين العطار ، وجلال الدين الرومي في القدامى ، والدكتور محمد إقبال ، في المعاصرين .. وهكذا : لايعرف الشوق إلا مَن يكابده ولا الصبابة إلا .. مَنْ يُعانيها .

● ● ●

والنزعة الصوفية المعتدلة ، لدى الدكتور عزام ، تبدو ـ أوْضح ما تكون ـ في إحدى خواطر كتابه : (الشوارد) ، تحت عنوان : (صُوفي في حلة مُذهَّبة)[1] يقول فيها :

« قلت لنفسي ـ وقد لبست حلة رسمية ، مُوشَّاة مُحلاة مزركشة ـ : ما أبْعد هذا مما تدَّعين من التصوف !

أين من التصوف هذه الزينة ، وهذه الأبهة ، وهذه الخُيلاء ؟

قالت (أى نفسُه) : ـ إنها زينة ، ومن حَرَّم زينة الله التى أخرج لعباده ؟ ، وليست خيلاء .. فما اختلْتُ بها ، ولا زهيت ، ولا داخلني العُجْب » .

إلى أن يستطرد مُبْدِيًا رأيه في الصوفي الحق ، وتعريفه له ، بأنه هو :

« مَنْ ينل من الدنيا مالًا وجاهاً وسلطاناً ، فيصرف ما نال بالعدل والحق والإحسان ، لايبطر ولايطغى ، ولا يبغى ، ولايختال ولايغتر ، يملك الدنيا .. ولاتملكه ، وتصرفها يده ، ولاتتصرف هي .. في قلبه .. »

وينتهى الدكتور عزام ـ بيان تعريفه للصوفي ـ إلى قوله :

« إنما الصوفي الحق ، الذى يتصوف في المُعْترك ، بين الفتن والأهواء ، لامَنْ يقْبع في صومعته ، لايمتحن قلبه ولايده ، بمال أو سلطان ، ولايُفْتن بمجاملة الناس ، ولاتُحيط به الشهوات » .

ويعود في خاطرة أخرى ، بذات الكتاب ، لإعطاء المزيد من تأملاته ، حول هذا الموضوع ، بقوله :

« كم قرأنا في كتب الصوفية عن الذكر والدُّعاء ، بالصباح والمساء ، وعن إخلاص العبادة لله ، والتوجّه إليه وَحْده ، لايريد العابد إلا وَجْهه .. وعن دَأْب السَّالك وصبْره ، ومُضيِّه على الطريق ، لاتشغله الشواغل ، ولا تفتنه الفتن ، ولا تحيد به الشهوات .. » إلى أنْ يقول : « وقد قرأنا القرآن الكريم وحَفظْناه ، وعرفنا من آياته وعظاته .. ولكننا لم نستبر غوْره ، ولم ندرك قراره ، ولم نُعطه حقَّه من التأمل والتدبر ، فبدا لنا بعضُه ، وخفى أكثره .. وسمعتُ قارئا يقرأ من سورة الكهف ، الآية :

---

(١) وقد طاف عزام ـ كما قدمنا ، بعدد سابق من مجلة (الأزهر) ـ بالشرق والغرب ، طواف باحث سواء أيام تلقيه للعلم في لندن (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧) أو في العالم العربي والإسلامي ، والهند والباكستان حتى وُصف بأنه (إدريسي) العصر الحديث . ويقول في وصف رحلاته : « أتاحت لى الأسفار رؤية كثير من البلاد التى قرأت عنها ، ومكنتني من التوسع في درس اللغات والآداب التى عرفتها من قبل . أنظر كتاب (الكتاب المعاصرون) للأستاذ أنور الجندى .

(١) ص ١٩٩ .

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾

سورة الكهف

فتأملت ، فإذا هى جُماع ما قرأنا فى التصوف وَوَعيْنا ، وإذا هى ملاك ما سمعنا عن الصوفية وأدركنا » .



ويستهل الدكتور عزام ، بعد ذلك ، كتابه عن (فريد الدين العطار) ، بمقدمة متأنّية ، عن نشأة التصوف الإسلامى ، ينفى فيها تأثره أو أخذه من أمم أخرى ــ كالهند أو الفرس أو فلاسفة اليونان ، ــ يقول :

« والذى يراه المدقق فى تاريخ الصوفية ، أن تصوف المسلمين وَجَد مبادئه فى (الكتاب والسُّنّة) ، ومن منابعه الأولى : من تصوُّف الحسن البصرى ، وسُفْيان الثورى ، ورابعة العدوية ، وبشر الحافى ، ومعروف الكرخى ، والجنيد ، وأبى يزيد البسطامى ، وغيرهم .

وللعقاد ، فى هذا المجال ، رأى سديد ، أبداه فى مَعْرض حديثه عن (تصوُّف إقبال) ، مفنّدا زَعْم المستشرقين أنّ التصوف غريب عن طبيعة الإسلام ، لأن سليقة العربى لاتقبل التصوف : « لأنه ــ كما يقولون ــ نشأ فى بلاد صحراوية ، تحت سماء صافية ، بين مناظر مكشوفة ، لاتُخفى شيئا .. ولاتُغريه بالغوص على سِرٍّ من الأسرار .. وهذا بعكس الأمم التى تنشأ بين الغابات المتشابكة ، والأغوار السَّحيقة ، والجبال السامقة ، فى جوٍّ غائم ، قلّما ينكشف عما فوقه من الكواكب والنجوم ، حتى : الشمس والقمر ! » .

وينفى العقاد هذا الزعم ، بعد ذلك ، لخلْط المستشرقين ، بين الطبيعة العربية ، وطبيعة الإسلام .. « فالإسلام بمعزل عن هذا كله ، فهو الذى يُشكل الطبائع ، وليس العكس ؛ لأنه من لدن الخلّاق العظيم ، وليس كالأثر الأدبى ، مثلا .. الذى يتكون فى ظروف معينة ، يتأثر بها .. (أنظر كتابه مذاهب أدبية واجتماعية ص ١٩١) وينتهى العقاد ــ كما انتهى عزام ــ إلى أن التصوف ليس بغريب عن طبيعة الإسلام ، وأن المسلم يستطيع أن يستمد أصوله من آيات القرآن الكريم ، قبل أن يلتفت إلى مصادر التعليم من الكتب الإسلامية الأخرى ، أو من الكتب الأجنبية .. وهو يرى ــ أى العقاد ــ أنّ من الآيات القرآنية الشريفة ، التى تجمع التصوف فى أصوله ، قوله ــ تعالى :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

الإسراء : ٤٤

وقوله ـ تعالى :

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ سورة النور

وقوله ـ تعالى :

﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾

ق : ١٦

وقوله ـ تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾

البقرة : ١١٥

وقوله ـ تعالى :

﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

الحديد : ٣

وقوله ـ تعالى :

﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾

الذاريات : ٥٠

ثم يسوق العقاد قصة موسى مع الخضر ـ عليهما السلام ـ مبينا أنها هى خلاصة القول ، فى علم الظاهر وعلم الباطن « وفى إعداد المؤمن المجتهد ، لفهم أسرار الأمور ، قبل الحكم على ظواهر الحياة » .

وينتهى العقاد ، فى بحثه الفذ ، إلى مقطع الرأى فى تمييز التصوف : بنوع من نوعيه المعروفين ، وهما : « التصوف الذى يرفض الحياة ، والتصوف الذى يقبل الحياة .. أو ، هو ـ على الأقل ـ لا يحسب رفضها شرطا لازما ، من شروط الخلاص والنجاة » .



ويمضى الدكتور عزام فى كتابه ، متأبطا ساعد قارئه ، للتعريف بالعطار ، فيقول : مهّد هؤلاء[2] الطريق للشاعر العميق الفياض ، شاعر الحب الإلهى ، الذى كانت أقواله تسمى : « سوط السالكين »[3] ، وأن اسمه هو : أبو طالب ـ أو أبو حامد : محمد بن إبراهيم ، واشتهر باسم

(٢) يعنى المتصوفة الكبار : أبو سعيد بن أبى الخير (٣٥٧ ـ ٤٤٠ هـ) وعبد الله الأنصارى (٣٩٦ ـ ٤٨١ هـ) ومجد الدين سنائى الغزنوى المتوفى سنة ٥٤٥ هـ ، أنظر كتاب (قصة الأدب فى العالم) للدكتورين : أحمد أمين وزكى نجيب محمود جـ ١ ط سنة ١٩٥٥ ص ٤٨٣ ـ ٤٨٤ وقد ذكر المصنفان فى مقدمة كتابهما هذا ، أنهما عرضا الأدب الفارسى القديم على الدكتور عزام ، فزاد فيه ، وكتب فصل (الأدب الفارسى فى العصور الوسطى) أنظر ص ٤٣٨ .

(٣) بمعنى أنه : يدفعهم دفعا فى (الطريق) ، ويحثهم على لذة السّير قُدُما فى مراحله المختلفة ، كما كان الجامى يُسمّى (العطار) : بـ (سيد الطائفة) .

(العطار) ، لوراثته مهنة العطارة عن والده ، فى حانوت له (بنيسابور) ، وقد ولد سنة ٥١٣ هـ فى قرية تسمى (كدكن) قرب نيسابور فى العصر السلجوقى ، وحفظ القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وتبحّر فى دراسة الأدب والفقه والتاريخ ، ثم انصرف للتبحر فى علوم التصوف ، وعرف الصوفى ، بأنه :

« مَنْ إذا نطق ، كان كلامه عين حاله ، فهو لا ينطق بشىء .. إلا إذا كان هو : ذلك الشىء » .

وقد نظم العطار زهاء أربعين منظومة ، طويلة وقصيرة ، أشْهَرُها ـ كما يقول الدكتور عزام : (بندنامه) ـ أى كتاب النصائح ـ و (منطق الطير) .. والكتاب الأخير هو الذى ضمن للعطار الصيت والخلود .. والمنظومة فيه تتألف من أربعة آلاف وستمائة بيت ، من بحر (الرَّمل) ، والقافية المزدوجة : (المثنوى) .. لها مقدمة فى التحميد والصلاة على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومدح الخلفاء الراشدين ، تستغرق ستمائة بيت ، ثم يقص الشاعر قصته فى خمس وأربعين مقالة وخاتمة[4] .

وقد أثر عن العطار ، قوله : « كُنْ كالبحر ، والْخبأ جواهرك فى نفسك » .

وقوله : « عالمك وعالمى .. وراء الإدراك » وهذا يذكرنا بقول ابن سهل التسترى :

قلـــوب العـــارفين لها عيــــون ترى ما لا يراه الناظرونـــــــا[5]

وقوله : « أيتها الروح ! جئت من العالم الذى لا يُحَدُّ ، فريدة فى جمالك ، ولبثت فى حجاب المادة .. فلا قرار لك حتى ترجعى .. أيتها الروح ! كيف أنت .. مسلوبة كل عظمتك وجمالك ؟

ويخلص الدكتور عزام فى نهاية كتابه ـ بعد ذكر الكثير من أحاديث كبار المتصوفة وأقوالهم ، فى شتى مناحى المعرفة ، وموازنتها بآراء العطار ـ إلى حقيقة واضحة ، مؤداها : أن العطار فى عامة قوله : « **سُنّى متشدِّد ، يلحُ فى تبين الاتفاق بين الشريعة والتصوف ، ويُوصى باتباع الشرع فى كل شىء ، ويتكلم كثيراً عن الاتصال بين الشريعة والحقيقة ، ويرى ـ كما يرى غيره من الصوفية ـ أنَّ الرسول صلوات الله عليه ، هو المثل الأعلى : لصاحب الشرع ، وللصوفى .. معا** » .

(يتبع)

---

(٤) وهى منظومة رمزية ، تتناول بحث الطيور عن الطائر المعروف باسم (العنقاء) ، أو كما يُسمّيه الفرس (سيمرغ) ، والطيور هنا : ترمز للسالكين من أهل التصوف ، وأما (العنقاء) فهى ترمز لغاية الوصول والمجاهدة ، للقرب لذات الله العليّة .. وتقطع الطيور فى سبيل الوصول إلى غايتها : وديانا سبعة ـ كما قسمها العطار ، وهى ما اتفق أغلب رجال الصوفية على تسميتها بالمقامات أو الأحوال ـ تحت زعامة (الهدهد) ، الذى أجمعت الطيور على مبايعته زعيما وقائدا ومرشدا ، لأنه رسول سليمان ، الذى جاء من سبأ بنبأ يقين . (انظر مجلة (الإخاء) .. عدد ٧ ابريل سنة ١٩٧٧ ص ١٥ ، من مقال للأستاذ محمد عبده الحجاجى عن العطار وتصوفه .

(٥) وينسب هذا البيت أيضا إلى السيدة (ميمونة) زوج إبراهيم بن أدهم .

نظرات وكتاب

شيخ أدباء مصر سيد بن علي المرصفي

للأستاذ . سيف النصر الطلخاوى

بقلم / ثريا محمد مصطفى

اطلعنا ـ فى حينه ـ على مقالات « الأزهر : والمراصفة والأدب » ، التى خطها الأستاذ أحمد مصطفى حافظ ، فى أعداد متوالية ، من « مجلة الأزهر » ووقفنا على المعلومات القيمة ، التى قدمتها لنا هذه الدراسة لقرية (مرصفى) ، وما قدمته هذ القرية من رجالات أفذاذ ، فى حقل الأدب العربى الحديث ، استأثرت أسماؤهم بها ..

وقد طالعت ، حديثا ، كتابا للأستاذ سيف النصر الطلخاوى ، يحمل عنوان مقالنا هذا ، قدّم فيه المزيد من المعلومات والطرائف ، عن شيخ أدباء مصر : « سيد بن على المرصفى » ، بتفصيل وافٍ عن : حياته ، ومنهجه فى دراسة النص الأدبى ، ونقده ؛ ونعرض فيما يلى طرفا منه ، تمام الفائدة :

أولا : بالنسبة لمحاولة تحديد تاريخ ميلاد الشيخ سيد المرصفي ، ذكر المؤلف أنه يستطيع أن يصل إلى معرفته بإحدى طريقتين وكلتاهما تُعرفنا ذلك بحساب تقريبى ، لا تحديدى ..

فالطريقة الأولى : توصلْنا حينما نُدرك بما ثبت لدينا أن (الشيخ سيد) قد نال شهادة الإجازة ، على شيخه (الشيخ الشربينى) سنة ١٣١٠ هـ ـ ١٨٩٢ م . وإذا عرفنا أن طالب العلم بالجامع الأزهر ، كان يقضى فيه ـ ليستطيع أن يحصل على مثل هذه الشهادة ـ خمس عشرة سنة على الأقل ، وأن قانون (الرُّواق) ، وتسجيل الأسماء فيه ، لم يكن يسمح لأقل من خمسة عشر عاما ، يقضيها الطالب فى حفظ القرآن الكريم وتجويده ، وحفظ المتون .. يعنى ذلك ، أن السن المعتبرة والمعتادة للحصول على الإجازة ، تصل إلى ثلاثين عاما ، وقد تزيد قليلا ، أو كثيرا ، وفقا للظروف التى يمرُّ بها الطالب ..

فإذا اعتبرنا أن « سيد بن على » قد نال الإجازة ، بعد ثلاثين سنة من مولده ، فإن عام ولادته ـ على هذا ـ يكون هو عام ١٢٨٠ هـ الذى يوافق ١٨٦٢م . ويُقوِّى هذا أن « سيد بن على » قد اشترك فى الثورة العرابية ، وهو فى سن العشرين ، وهى سِنٌّ يتدفق فيها الشباب : ثورة وحيوية ..

والطريقة الثانية : ترتكز على ما ذكره المؤرخون من أن المرصفى تولَّى تدريس الأدب فى الأزهر ، إلى أن نالت منه الشيخوخة ، وكُسرتْ ساقهُ .. يقول المؤلف بعد ذلك (فإذا كانت وفاة (سيد بن على) سنة ١٩٣١م ، فإن مولده يكون على هذا الاعتبار عام ١٨٥١م .

والطريقة الثانية : تفارق الأولى بعشر سنوات ، فيمكن أن نقول : إن مولده كان بين عامى ١٨٥١م ، و١٨٦٢م ، أى فى بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر .. ولعل فى هذا البيان ـ محاولة لتحديد تاريخ ميلاده ـ مما يفى بالغرض ، ويقرّ الأستاذ أحمد مصطفى عَبَّا ، حين تساءل فى مقاله بالأزهر عن ميلاد سيد المرصفى : ..وإننا لنعجب لأن أحدا من تلاميذه العديدين ، لم يفكر فى سؤاله ، عن تاريخ ميلاده : يوما وسنة ..

* * *

وبالنسبة لقصيدة (سيد المرصفى) التى مَدَحَ بها أستاذه الشيخ الشربينى بمناسبة تعيينه شيخا للأزهر . وسمَّاها المرصفى (ثامنة المعلقات) ، معارضا بها معلقة طرفة بن العبد ، فإن الأستاذ الطلخاوى ذكر استهلالها الذى يقول فيه سيد المرصفى :

أبت عزمتى أن آخـذ الحمـد هيّنـا   بغير سنـــان ، أو لسان محددْ

ومن شعره فى وصف تقلبات الأصدقاء :

عاشِر صديقك واحـذرْ من تقلبـه   ولا يروقك منـــه بَرْقُ خُلَّبِــه
ولا تكـنْ واثقـاً من صفـوِ مَشْربِـه   أعـدى عدُوك أدْنى من وثـقت به

ومن شعره فى وصف ليلة عرس :

لله ليلــــة أنس فى ملاحتها   وحُسْن بهجتها أقصى مُنـــى نفسى
يريك منظرهـا من لطـف رونقهـا   رَوْضا تنـوّر زَهْـرًا طيبَ الغـرس
أقارن البـدر فيها ـ وهـو مكتمـل ..   فى دارة العـز والإينـاس ـ بالشمس

* * *

وهناك جانب هام عرض المؤلف له فى الفصل الرابع من كتابه عن : (القصيدة العربية والمرصفى) « ص١٧٣ » أوضح فيه أن (سيد بن على) فى دراسته للنص الأدبى ونقده ، أخذ يهتم بضرورة (وحدة القصيدة) العربية ، باعتبارها بناءً متماسك اللبنات والقُوَى ، تتحد أبياتها وعباراتها لإبراز مُراد الشاعر .

يقول المؤلف « إن وحدة القصيدة حَدَتْه إلى أن يُكمل ما نقص من أجزائها ، ويأتي بها في صورة متكاملة .. ثم يدرسها بعد ذلك ألفاظا ، وعبارات متصلة بأصولها ، لا منقطعة عنها ، فتتضح معاني العبارات ، من خلال الرؤية النافذة لمعناها العام .

ثم يلاحظ المؤلف أن المرصفي في شروحه على (الحماسة) لأبي تمام (والكامل) للمبرد كان يأتي بما نقص من النصوص ، كقوله في دراسته لقول الشاعر :

يرجون عثرة جَدّنا ..

إن الضمير عائد على الحُسّاد ، في بيت أسقطه أبو تمام ، هو :

ساء الأقارب يوم ذاك ، وأصبحوا بمهانة .. سُرَّتْ بها الحساد

فقد أوضح المرصفي ، من خلال إتيانه بما سقط من أبيات ، أن القصيدة متصلة الأجزاء ، مرتبطة المعاني والأفكار ، تتضح معاني عباراتها ، بإكمال الناقص منها ..

ويستطرد المؤلف الفاضل في إيضاح هذا الاتجاه الهام من دراسة المرصفي للقصائد التي يعرض لها ، فيقول : « .. وإذا كان المرصفي يأتي بما نقص في أولها ، وبما سقط في أثنائها .. فإنه كذلك يأتي بما يُكمِلها ، فكثيرا ما رأيناه ـ إذا ذكر أبو العباس المبرد شاهدا من كلام العرب ، أتى ـ أي المرصفي ـ بالقصيدة متكاملة ، ثم يَتْبعه بالدراسة والتحليل .. والأمثلة على ذلك كثيرة ، في كتابه : « رغبة الآمل من كتاب الكامل » .. و« كذلك يهتم المرصفي ، بنفي مازاد على أبيات القصيدة ، ممّا ليس منها ، سواء كانت هذه الزيادة في كلمة ، أو عبارة ، أو بيت من الشعر .

كما يهتم المرصفي بالانتقالات في القصيدة العربية ، إذ يجب أن تكون ـ من وجهة نظره ـ مناسبة لما قبلها ، مرتبطة ببعضها .. وينقد الشعراء إذا خرجت عباراتهم عن المعنى الكليّ المطلوب للقصيدة ، أو جاء بعضهم ببيت لا يتصل بسابقه ، ولا يرتبط به ..

والمرصفي في ترتيبه للأبيات ، يراعي المعاني الذهنية ، وتداعيها في الخواطر ، إذ يجب أن تأخذ المعاني بحجز بعضها البعض ، فإذا تقدمت أبيات ، أو تأخرت ، وَهَتْ المعاني ، واختلّت الأفكار ، وتهلْهَلَ النسج ، وصارتْ بحاجة إلى مَنْ يُصلح شأنها ، ويَسُدُّ فرجتها ، كما يقول مؤلف الكتاب .

ونكتفي بهذا القدر ، عن وحدة القصيدة ، فقد وفّى الأستاذ أحمد حافظ هذا الموضوع حقه من الشرح والبيان ، في في العديد من المقالات التي نشرها تباعاً « بمجلة الأزهر » طوال العام الماضي ، بعنوان : (الوحدة الموضوعية في الشعر العربي) .. والمعلومة الأخيرة التي أحرص على إضافتها ـ في ختام هذا المقال ـ هي تكريم الدولة لسيد المرصفي ، بعد رحيله .. بمنحه جائزة الدولة التقديرية في أبريل سنة ١٩٨٣ ، أثناء الاحتفال بالعيد الألفي للأزهر .

تغمده الله برحمته ، فما عنده ـ سبحانه ـ خير وأبقى

ثقافة المجتمع السواحيلي

بقلم د/ عادل رفاعي خفاجة

يذهب البعض إلى أن « السواحيلي » ـ عرقا وثقافة ـ ينتمي إلى العنصرين الإفريقي والعربي ، ومن بين الكتاب الغربيين أمثال Jan Knappert « جان كنابرت » من يغالي في وصف الجانب العربي الإسلامي في الثقافة السواحيلية ، بصورة تثير حفيظة بعض السواحيليين . فيذهب إلى أنها ثقافة عربية إسلامية أساسا وأنه يصعب تحديد أي عناصر إفريقية خالصة لا نزاع عليها في هذه الثقافة .

وهناك من بين الكتاب الأفارقة المعاصرين من يبالغ في الاتجاه الآخر فينكر الأثر العربي جملة ، مثال الباحث « ف . مادوشي » F. Madoshi الذي يحاول أن يبرهن على أن كلمة « سواحيلي » ـ التي تصف اللغة والثقافة السواحيلية ـ لاترجع إلى الكلمة العربية « سواحل » جمع (ساحل)[1] كما يذكر : أنه في الوضع الحالي ـ المفتقر للدراسات اللغوية الجادة ـ لايوجد مايقطع بصورة جازمة إلى أن كلمة سواحيلي وغيرها من الكلمات المستلفة لاتأتي أصلا من لغة البانتو[2]

(١) في هذا القول بهذا الجمع نظر ... مجلة الأزهر

(٢) د / سيد حامد حريز : المؤثرات العربية في الثقافة السواحيلية في شرق أفريقيا ، ص ٤٠ ، ٤١ ، دار الجيل بيروت .

ومن هنا ، فقد قدمنا مقالات عدة[٣] ناقشنا فيها جوانب شتى تتعلق بالثقافة السواحيلية ، تمثلت في : نشأة المجتمع السواحيلي ، ونشأة اللغة السواحيلية ، وبعض قضايا أدب هذه اللغة ، ظهر منها : أن الثقافة السواحيلية ثقافة إفريقية ارتوت من أصول (بانتوية) واحتضنتها البيئة الإفريقية الحانية وأنها تأثرت بشكل كبير بالإسلام وتعاليمه ؛ بحكم نشأتها باحتكاك المسلمين بأهل الساحل الشرقي لإفريقيا . ومن الساحل انطلقت تلك الثقافة تحملها اللغة السواحيلية إلى البلدان المجاورة ، ثم داخل القارة حتى شملت بلدان : تنزانيا وكينيا وأوغندا وبوروندى ورواندا وجزيرة مدغشقر ، وجنوب الصومال وغيرها ، فغطت المنطقة الواقعة بين «خط عرض ٥٤° شمالاً حتى خط عرض ١٠° جنوباً ، كما تمتد بين خطى الطول ٣٠° و٤٠° شرقا أى لمسافة (١٢٢٠) كم من الشرق إلى الغرب»[٤] .

وفي هذا المقال نتكلم عن بعض العادات والتقاليد التي تعتبر الوعاء الأمين والمرآة الصادقة المعبرة عن المجتمع ، وثقافته اللصيقة به .

القرية :

تعتبر القرية أكثر الوحدات أهمية في المجتمع السواحيلي ، وهي تتميز بملامح عامة ، مثل : المسجد ، ساحة السوق ، المحلات التجارية الصغيرة ، ساحة الرقص ، المقهى ، منزل شيخ القرية الذي كثيرا ما يميزه علم أحمر .

والسواحيليون متحضرون ، وسمات الحضارة تبدو واضحة عليهم بصفة عامة ؛ بسبب تأثير استغلال البحر والإقبال على الوسائل الحضرية ، واكتساب الخبرات الفنية وممارسة التجارة .

إن نظرة على الأدوات التي استخدمها السواحيلي القديم لتفصح لنا عن مدى مهارة هؤلاء القوم ، ففي «المتحف الوطني بكينيا» مايزيد على أربعمائة أداة جمعت من جزيرة بمبا Pemba والجزر المجاورة لها ، كانت تستخدم في أغراض الصيد والزراعة .

بالإضافة إلى ستة وخمسين نوعا من الأواني الفخارية للأغراض المنزلية المختلفة من إعداد الطعام وتخزين المياه والغلال ... الخ»[٥] .

هذا ، بالإضافة إلى المصنوعات الجلدية والخشبية والأدوات الموسيقية المختلفة المصنوعة من جذوع الأشجار .

وتبدو أخلاق القرية ـ بشكل واضح ـ بين السواحيليين ؛ فإذا وجد شيخ في حاجة إلى مساعدة يتسابق إليه الشباب ، ويهرعون لتقديم المساعدة . وسلطة الرجل ورئاسته للأسرة حق مستقر لا نزاع فيه ، وله ـ أيضاً ـ الحق في الزواج بأكثر من زوجة ، وتقر الزوجة له بهذا الحق الذي شرعه الله سبحانه وتعالى له . ويتميز المجتمع السواحيلي بقوة الروابط الاجتماعية بين أفراده ، ويتمثل ذلك في كثرة التزاور بين الأصدقاء والجيران ، وكرم الضيافة من المظاهر الواضحة في المجتمع السواحيلي .

---

(٣) راجع مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة ١٤١٥ هـ ومابعدها .

(٤) د. محمد عبدالغني سعودي : إفريقيا ـ دراسة في شخصية القارة وشخصية الأقاليم ص ٣٠٥ مكتبة الأنجلو المصرية .

(٥) Irere Mabaabu: New horizons in Kiswahili, Nairobi, Kenya.

وهم يستخدمون التقويم العرفي ـ بالإضافة إلى التقويم الميلادى ـ وإن كان يلحقه بعض التغيير ؛ فالسنة عندهم تبدأ بـ Mfunguo moja وتعنى الشهر الأول ثم يليه Mfunguo Pili وتعنى الشهر الثانى وهكذا حتى الشهر التاسع ثم يأتى رجب (Rajabu) يليه شعبان Shaabani ثم الأخير رمضان Ramadani وبنهاية شهر الصوم يستطلع هلال الشهر الأول من السنة ؛ للاحتفال بعيد الفطر وبداية السنة الجديدة . فى حين يحتفل السنيون والشيعة ببداية السنة فى شهر «المحرم»[٦] .

العادات والتقاليد :

أما عن العادات والتقاليد فنحن نتصور ما فيها من فضائل فى ضوء ملاحظاتنا التالية :

ففى حالة انتظار العائلة لمولود جديد نجد جميع أفرادها يحرصون على راحة السيدة الحامل ، وتغذيتها تغذية جيدة ، وتكتب لها (تميمة) Hirizi لحمايتها من الحسد والغيرة ، وهى عبارة عن قطعة من الجلد تكتب عليها بعض الآيات القرآنية . وبعد الولادة ، تدهن الأم بالزيت ، وترتدى الـ Mkaja[٧] وتنام وسط البخور ؛ لمنع الأرواح الشريرة ، وفى اليوم الثامن يقام «احتفال العقيقة» فتذبح ذبيحة إذا كان المولود أنثى ، أو ذبيحتان إذا كان المولود ذكرا ، وتقدم لحوم الذبائح للحاضرين مع عسل النحل ، وتدفن العظام لاعتقادهم أنها ستتحول إلى جمل يحمل الطفل إلى الجنة ، فإذا لم تتم تلك الإجراءات فإن الطفل يؤديها عندما يكبر ونلاحظ هنا اختلاط السنة الشريفة بعادات غير إسلامية . نرجو أن يتخلص منها المجتمع السواحيلى .

تسمية الأطفال :

أما عن تسمية الأطفال فلا تتم تسميتهم بعد الولادة مباشرة ، وإنما تسبق أسماءهم الدائمة أسماء تدليل فقط مثل : Babu أى الجد ، أو Mwataabu أى المتعب أو المتعبة ـ لمن يولد أثناء المطر مثلا ـ أو Panya أى الفأر الصغير ، يحمل الأطفال أسماء الولادة هذه لمدة أسبوع ، ثم تحل أسماء الطفولة كمرحلة ثانية فى التسمية ، فتظل حتى أربعين يوماً ، ثم يُسمَّوْن بالأسماء الدائمة وهذه الأخيرة تكون فى الغالب أسماء إسلامية ، ويحتفظ الأبناء ـ عادة ـ باسم الطفولة مع بداية الاسم الدائم[٨] .

التعليم :

أما عن التعليم ، فـ (للكتاتيب) دور هام فى إرساء أصوله ؛ إذ يرسل الأطفال إليها فيبدأون المرحلة الأولى وتسمى «لم يكن» ، فإذا أتموها انتقلوا إلى مرحلة «إقرأ باسم ربك» ثم تأتى المرحلة الأخيرة وهى «والسماء ذات البروج» ، ومن خلال تلك المراحل يتعلم الأطفال : القراءة والكتابة ، والصلاة والصيام والتعاليم الإسلامية المناسبة لكل مرحلة ، ويدرسون بعض القصائد مثل : «مولد البرزنجى» وهى قصيدة فى مدح رسول الله ـ ﷺ ـ .

(٦) راجع : سبنسر ترمنجهام : الإسلام فى شرق إفريقيا ص ١٦٨

(٧) عبارة عن قماش تلفه حول بطنها .

(٨) د. عبدالله نجيب محمد : دراسات فى الأدب السواحيلى ص ٩٣ ـ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٨٧م .

(٩) Ireri Mabaabu: New Horizons in Kiswahili P. 18



بالإضافة إلى كل مايراه المعلم مناسباً ؛ حيث لاتعترف الكتاتيب بمقررات دراسية ؛ فالعلم لا حدود له .

وفي أوقات الزراعة ، يقوم الأولاد بمساعدة المعلم في الزراعة ، وتقوم الفتيات بمساعدة زوجة المعلم في الأعمال المنزلية ، وفي نهاية كل مرحلة يعد الآباء احتفالا بنهايتها ، واستقبال المرحلة الجديدة ، ويشترك فيه الأولاد ، فيرقصون رقصة الـ Kirumbizi وهي تشبه التحطيب[9] .

ونظراً لتحول الكتاتيب إلى حضانات ومدارس حديثة ؛ فإن الآباء يحرصون على التأكد من أن الذين يديرون هذه الحضانات والمدارس مسلمون ؛ خوفا من تنصير أبنائهم .

ويقول سبنسر ترمنجهام :

«ومن المعالم الإسلامية في شرق إفريقيا كذلك (الحلقات الدراسية) التي تلقى فيها المحاضرات وتسمى Darasa ويقصد بها تدريس اللغة العربية ، وتفسير القرآن ، والفقه لعامة الناس ، وتتم هذه الحلقات بواسطة الشيوخ بعد صلاة المغرب سواء في المساجد أو في المنازل»[10] .

فإذا عدنا إلى وصف Ireri Mababu للحياة السواحلية نجده يقول :

من عادات السواحليين أنه إذا بلغت الفتاة سن الرشد ، فلا يحق لها الخروج ، ولايسمح لها بالذهاب إلى زميلاتها من الجيران إلا بإذن ، ثم تؤخذ إلى سيدة من أهل الثقة تدعى Kungwi ؛ لتبصرها ببعض الأمور التي تتعلق بهذه المرحلة ، ومايجب عليها من احترام لزوجها إذا تزوجت ، وتستمر عند هذه السيدة لمدة ثلاثة أيام تعود بعدها للبيت لمدة غير طويلة ، ثم ترجع إليها مرة أخرى لمدة سبعة أيام ، بعدها تحجب في البيت ، ولايسمح لها بالخروج إلا في الاحتفالات ـ عند البدء في قراءة «المولد» ـ ولكن يجب أن تخرج مرتدية الـ Buibui وهي عباءة تغطي كامل الجسم ، كما يسمح للنساء ـ عامة ـ في شهر رمضان أن يحضرن صلاة التراويح ، ولكن عليهن أن يعدن سريعا بعد الصلاة ، لإعداد الـ daku أي : السحور[11] .

عادات الزواج :

تتضح هذه العادات عندما يريد أحد الشباب الزواج ، فيطلب من أحد الأقارب أن يلقى والد الفتاة وأن يقوم بعرض رغبته في الزواج من ابنته وعادة تكون العروس بنت عم أو بنت عمة ، فإذا تمت الموافقة يذهب أهل العريس للاتفاق على المهر ، ثم تقام «احتفالات القهوة» في بيت العروس ، وكذلك في بيت العريس لعدة أيام ، وكلمة (قهوة) مجرد تسمية للاحتفالات فقط وإلا فإن مايقدم في تلك الاحتفالات يعم مختلف الأطعمة والمشروبات ، ويتبع ذلك احتفالات المسجد ، وتكون بقراءة «المولد» ، ثم يعقد القران . ويقوم القاضي بتوثيق العقد الرسمي ، يلي ذلك العودة إلى بيت والد العريس ؛ لتناول [illegible] العرس ، وعلى العريس قبل الدخول أن يقدم بعض

(10) سبنسر ترمنجهام : الإسلام في شرق افريقيا ص ١٦١

(11) Ireri Mababu : New Horizons

الهدايا أو المال لإخوة العــروس وكـــذلك لـ (الماشطة) وبذلك تنتهى احتفالات الزواج وتنتقل العروس إلى بيت الزوجية لاتبرحه لمدة سبعة أيام، يقوم فيها الأقارب بتقديم الطعام لهما[12].

الاحتفالات الدينية :

(أ) الاحتفال بالعيد :

وهى احتفالات لاتختلف فى جوهرها عن الاحتفالات بالأعياد فى مناطق العالم الإسلامى المختلفة، فتبدأ بصلاة العيد، يتبعها تبادل التهانى والزيارات، وتقديم الولائم، مع الحرص على ارتداء ملابس جديدة.

(ب) الاحتفال بالمولد النبوى :

والاحتفال بالمولد النبوى يبدأ بإنشاد «مولد» البرزنجى فتقرأ الفقرات التى تتحدث عن النور الإلهى، ثم بدء الخلق، ثم الحوادث الرئيسية فى حياة الرسول ـ ﷺ ـ وهى أكثر أجزاء الإنشاد مهابة.. فعندما يقول المنشدون (ولد نبينا) ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإن الجميع يقفون قائلين: (يانبى.. السلام عليك). وفى نهاية الاحتفال يلقى كبار الحاضرين بعض كلمات فى مدح الرسول ﷺ.

الاحتفال بالإسراء والمعراج :

وفى الاحتفال بالإسراء والمعراج تنشد قصيدة Miiraji «المعـراج» بـدلا من «المولـد».

ويصاحب تلك الاحتفالات بعض الرقصات الشعبية مثل الـ Goma «جوما» وهى رقصة يؤديها الرجال من كبار السن، يحملون العصى ويؤدون بها ضربات متزامنة مع دقات الطبول، وكذلك رقصة الـ Uta أوتا، الـ Kirumbizi «الكيرومبيزى» وهى تماثل التحطيب كما أسلفنا.

وهكذا نجد أن الحياة السواحيلية ذات ثقافة إفريقية خالصة أخذت الطابع الإسلامى فى كثير من أوجه الحياة[13].

ونلمح هناك بعض خلافات تتعلق بمسائل دق الطبول فى الأذكار، ويثير البعض شبهات حول شرعية أكل لحم فرس النهر؛ إذ يرى أن التحاليل أثبتت مشابهته لحم الخنزير. ثم الخلاف حول رؤية هلال رمضان، وهو أمر يثور حوله الجدل كل عام، فبينما يرى البعض اتباع الحساب الفلكى، يصر البعض الآخر على الأخذ بالرؤية البصرية، وهى الغالبة، إلى حد أن (تنجانيقا) ترسل طائرة عمودية فى محاولة استطلاع الهلال الجديد[14].

وبعد، فلعلنا نكون قد وفقنا إلى إيضاح أن الثقافة السواحيلية ليست منبتة الصلة بالثقافة العربية الإسلامية، ولاهى عربية لاتعرف لها منبعا إفريقيا كما يذهب المغالون هنا وهناك. وإنما هى ثقافة إفريقية خالصة تشربت روح الإسلام وتعاليمه عن حب واعتقاد فأظهرت منه الكثير.

«والحمد لله رب العالمين»

---

(12) سبنسر ترمنجهام: مرجع سابق ص 239 : 244.

(13) سبنسر ترمنجهام: المرجع السابق ص 170.

(14) د/ عبدالله نجيب محمد: مرجع سابق.

ابن حنبل

تأليف
فضيلة الأستاذ
الدكتور محمد رجب البيومى

السنة السادسة والعشرون ـ الكتاب الثانى
١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م

سلسلة البحوث الإسلامية

عرض الأستاذ
عبد السلام ناصف

هذا هو الكتاب الثانى من سلسلة كتب البحوث الإسلامية فى سنتها السادسة والعشرين لمؤلفه الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى أحد العلماء الباحثين المدققين وهو يتميز بأسلوبه المترسل وبحثه الوثيق وكتاباته الواقعية ـ وقد قدم له فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الأزهر فى مقدمة موجزة موضحا فيها : أهمية الكتاب الذى يصور حياة الإمام بصورة واقعية تنبض بالحركة ليكون عبرة وعظة وقدوة يقتدى بها .

أما المؤلف فقد أوضح فى مقدمته أسباب اهتمامه بسيرة الإمام والكتابة عنه رغم كثرة ما كتب عنه بتسليط الضوء عليه من نافذة التحليل والنقد ليكشف عن مشاعره وخلجاته وأفكاره ومذهبه .

والكتاب من القطع المتوسط ويقع فى خمس وثمانين ومائتى صفحة يسرد فيها قصة حياة الإمام الجليل ونشأته وتلمذته وآرائه وخلافاته فى الرأى مع من عادوه ، وتعرضه للنقد والتجريح والتعذيب والسجن والتشريد وتحديد آثاره العلمية وبيان كتبه ومخطوطاته التى سوف تبقى ذخرا للمسلمين تحت عناوين متنوعة تناسب المقال .

وقد بدأ المؤلف كتابه القيم بفصل عنوانه : « عطر يفوح » فى هذا الفصل عرف بالإمام الجليل الذى ولد ببغداد فى ربيع الأول عام ١٦٤ هـ لأسرة عربية خالصة من شيبان ذات تاريخ مجيد ـ وقد مات عنه أبوه ، وكان جده المثنى بن حارثة الشيبانى بتاريخه وفتوحاته

وانتصاراته ـ المثل الأعلى له .

ولقد حفظ القرآن الكريم ونهل من حديث رسول الله ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ إلى جانب قواعد اللغة العربية وآدابها ـ ولقد سلك فى حياته مسلكا صارما عرف عنه فى شبابه وكهولته وشيخوخته ـ إذ كان التحصيل هو هدفه الوحيد ـ وكان مبدؤه : « عليكم بالسنة وإياكم والجدل » .

اختلف مع المعتزلة برغم ما قدموه للإسلام وقتئذ ، ولم يهتد معهم إلى صواب .

وفى فصل (سلطان يتحكم) عرض المؤلف باقتدار صورة حية لما كان عليه عصر المأمون ثم فى عصر المعتصم ثم فى عصر الواثق بالله وأخيراً فى عصر المتوكل حيث كان الجو مهيئاً للجدل والمناقشة التى اتسع نطاقها حتى انقلبت إلى فوضى وصراعات سمحت بما عرف بمحنة (خلق القرآن الكريم) وما دار حولها من مناقشات وانقسم العلماء بين مؤيد ومعارض لها ـ وكان الإمام ـ رضى الله عنه ـ ممن أصر على أن القرآن الكريم كلام الله ـ تعالى ـ وليس مخلوقا ـ واشتغلت عقول الناس بهذا الجدل وانصرفوا إلى المطاحنات التى ورثت الإرهاب والضغائن ـ وكاد أحمد بن دؤاد للإمام عند الخليفة المعتصم بالله حتى أدخله السجن وعذب وضرب وأوذى حتى أشرف على الموت ـ وعاش بعد ذلك عليلا من جراء هذا التعذيب حتى وافته منيته .

كان الإمام ـ رحمه الله ـ قوى الذاكرة والاستيعاب ـ فاهتم بالإسناد اهتمامه بالمتن فكانا عنده سواء ، أما منهاجه فينحصر فى أنه كان إمام أهل السنة ، واشتهر بالصلاح والتقوى فى الفقه والرواية والمسلك ـ وكان لا يتكلم عن هوى بل إن ميزان الترجيح عنده كان هو الكتاب والسنة ـ فقوله كان قول الشرع ـ وقد حفظ آلاف الأحاديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد كان يخلط الحفظ بوجدانه ويمزج به ، مشاعره وأحاسيسه ـ فإذا قال فعن هديه وإذا فعل ففى ضوئه .

ومن ثم فقد كان يتدبر الأثر ويتأمله ويرى طاعته واجبة بل مقدرة لا تجوز الحيدة عنه .

وكان يرى فى مخالفة السنة خطب جلل وحادث خطير ـ وكان ـ رحمه الله ـ يحب الوحدة ويركن إليها ليجمع خواطره ويرصد تأملاته وكان مبدؤه « ترك ما تهوى لما تخشى » أى الانتصار على الأهواء والنزوات إذ كان يصلى أكثر من ثلثمائة ركعة فى اليوم الواحد .

فلقد كان إمام أهل السنة الذى حفظها وحافظ عليها ونهض بتعاليمها وكان له فى صاحبها القدوة الحسنة ـ مما حدا بالمسلمين أن يجلوه ويعظموه ويصفونه (بالإمام) .

وتحت عنوان : (مصباح يضىء) يرى المؤلف أن من يقرأ مسند الإمام أحمد يعلم أنه قد عكف على الكتاب والسنة وآثار السلف ينهل منه ويغترف .

ثم انتقل المؤلف إلى عنوان (أمواج) الذى يصف فيه مدى انتشار الفوضى والفتن والاضطرابات التى كانت نتيجة حتمية لظهور مدارس الجدل والفلسفة بين المذاهب المتضاربة ـ لكنه كان يلجأ إلى النصوص القرآنية ليضحض مهاترات ومغالطات من خالفوه من المعتزلة والخوارج حتى أصبح أحمد المحدّث فقيها وإماما

صاحب منهج ـ أما سلوكه فكان مسلك الأئمة والفقهاء فى الثبات على الحق ومجابهة الباطل .

ثم ينتقل المؤلف إلى عنوان جديد هو : (جبهة عالية) يوضح فيه أن المحنة التى التهمت مئات العلماء والأئمة ، والفقهاء قد قضى عليها المتوكل فقد أبطل الكلام فى « خلق القرآن » ثم رغبة منه **فى إرضاء الإمام قدم له الهدايا والمنح التى قبلها مرغما ووزعها على المحتاجين .**

أما عنوان : (الكنز الثمين) الذى يرمز به المؤلف إلى « مسند أحمد » ، الذى يمكن اعتباره أعظم مدونة جامعة بعد أن هيأ الله له مَنْ فَهْرَسَهُ ورقمه ؛ ليصبح مرجعا يشتمل على أكثر من أربعين ألف حديث متنا وإسنادا ـ فقد انفق كل عمره فى جمعه ـ وقدمه للناس ؛ ليقول : هذا هو ما صح فى رأيى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكل ما دونه مختلق موضوع ، فقد كان ينظر إلى الحديث متنا وإسنادا ثم يحكم عليه فى ضوء ما علم من الكتاب والسنة فإذا وجد تعارضا رفضه ، وإذا لم يجد تعارضا قبله على ضعفه ، إذا لم يخالف أصلا متبعا ـ مع دقته المتناهية فى معرفة أهواء الرواة قبل النقل عنهم ـ ولذا فقد سلم مسنده من تجزئة الحديث وإن كان البحث عنه تبعا لمن رواه شاقا وصعبا ـ وهو ما يؤخذ عليه .

وللإمام كتب أخرى غير مسنده الشهير ككتاب « العلل » وكتاب « الفرائض » وكتاب « التعبير » وكتاب « الناسخ والمنسوخ » وكتاب « الزهد » وكتاب « الإيمان » وكتاب « الأشربة » وكتاب « الفضائل » وكتاب « طاعة الرسول » وكتاب « المناسك » وكتاب « الرد على الجهمية » .

وهى كلها ثروة لا تنفد ـ وحسبه كتاب « المسند » الذى جمعه ولده عبدالله وبوبه وأخرجه

وتحت عنوان « حقل يزرع » يرى المؤلف أن ثروة الإمام الفقهية لا تنفصل عن الحديث فى شىء ؛ فكانت إجابته عن أى مسألة عن حكم شرعى إنما تكون بحديث شريف ـ ولقد تكفل تلاميذه من بعده من تدوين ما قال وما أفتى ـ فقد كان فى فتاويه فقيها أصيلا استنباطاً وتعليلا وتدليلا ، حيث كان فقهه يعتمد على الحديث

فإذا اختلط فقهه بالحديث فهو اختلاط الشىء بأصله ، والتقاء الحكم بدليله ـ فلقد اتجه إلى البذور الصحيحة من السنة فغرسها وتعهدها حتى أثمرت ما عرف « بالفقه الأثرى » ولقد ظلمه البعض حين اتهموه بالجمود والتشدد ـ فهم بذلك يخلطون بين حياته وبين فقهه ـ فهو لم يلزم أحداً بما ألزم به نفسه ـ وقد أفتى بما اتسع له الكتاب والأثر من تسامح وسعة خلافا لما كانت عليه حياته من زهد وتقشف ، ولقد شهد له العلماء والفقهاء بأن فقهه لا يفترض الفروض العقلية ولا يجعل الأقيسة ضوابط ملزمة فهو الفقه المرن الخصيب ، وفتح على الفقه أبوابا متسعة إذ جعل الأصل فى الأشياء فى باب المعاملات الإباحة ـ فكان بذلك أوسع المذاهب فى إطلاق حرية التعاقد .

ولقد خلفه وسلك سبيله أئمة أجلاء درسوا منهجه وساروا على هديه وتابعوا مسيرته وكل جاهد فى موطنه ؛ لتخليص الدين مما لحق به من بدع وخرافات ، والالتزام بما جاء فى الكتاب والسنة فسلكوا سبيل التنزيه وابتعدوا عن التأويل ـ متبعين منهجه وسائرين على خطاه .

فأضافوا إلى الفقه الحنبلي باب التجديد وعدم التقيد بأقوال الفقهاء المقلدين . وكان لهم الفضل في انقاذ المجتمع الإسلامي مما كان يعاني منه من فوضى وفتن واضطراب ، بل وخصومة وسلب ونهب وتقتيل في بعض العهود نتيجة للفتن الطائفية والعقائدية والاختلافات الجافة ، والعكوف على النصوص الجامدة دون اجتهاد أو تجديد ، وهو ما أطلق عليه المؤلف « ثمر ناضج » .

ويختم المؤلف كتابه بعمل مقارنة بينه وبين الإمام أبي حنيفة الذي اكتسب من حياته التجارية خبرة بنفوس الناس وشئون معيشتهم ، فقد حذق أساليب الاستدلال العقلي ـ فجاءت رسالة استنباطية قياسية ، تقرن المجهول بالمعلوم وتلبي حاجة العصر .

أما الإمام مالك ـ فقد نشأ بالمدينة وحفظ أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخذ يفتي بما يعرض عليه من المسائل بكتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان لا يلجأ إلى الاجتهاد بحكم ضيق الحضارة في المدنية في عصره ـ فحافظ ـ رضي الله عنه ـ على تراث النصوص النبوية .

أما الإمام الشافعي فقد درس ثقافة عصره دراسة تخصصية إلى جانب إلمامه بالطب وولعه بالرماية والفروسية ـ فقد اهتدى إلى وضع قانون كلي لأحكام الفقه هو ما تسميه بـ « علم الأصول » فأصبحت الأمور الجزئية تندرج في أحكام كلية ، كما كشف عن وسائل الاستنباط ، وعلل الترجيح ،ومسائل القياس ، وأوجه الرد ؛ فصار للفقه فلسفته وأصبح علما يستند إلى قواعد ثابتة .

أما إمامنا فقد نشط لجمع الأحاديث النبوية من مختلف البقاع ، ليقدم لطلاب الفقه مستنده للرجوع إليه في التشريع ـ ويصدر أحكاما مشبعة بروح الحديث ، فيخلف ثروة فقهية لها دعامتها الثابتة .

وبذا قرب الإمام أحمد من الإمام مالك أكثر من قربه من الإمام الشافعي ، ولما سئل عمن يأخذ ؟ قال : حديث ورأى مالك .

ومما لا شك فيه أن كثرة النصوص توسع مجال الاستنباط والقياس ـ وتعدد روافد التعليل والتشريع وكأنه قد فتح ميدان القياس ؛ فرسالته إذن امتداد لرسالة مالك .

وهكذا يتضح للناس رسالة كل من الأئمة الأربعة الذين نفعوا التشريع الإسلامي متفقين ومختلفين ـ فهم قد اتفقوا على ما لا يقبل النقض واختلفوا على ما أوسعوا فيه المجال لرواد البحث الفقهي . فكان تنافسا شريفا يدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

وأخيرا وتحت عنوان (غروب) يوضح المؤلف في هذا الفصل رغبة الإمام في العزوف عن الدنيا ومباهجها وكيف أنه كان يتمنى أن يعيش في شعب بمكة لا يعرفه به أحد ـ لكن الوفود من كل صوب كانت تتجه إلى داره فتغص بهم الطرقات والدروب ـ وكان حين يمشي تتوقف عجلة الحياة تماما لملاحقته حيث أصبح مهوى الأفئدة ومراد النفوس فراعت شهرته وانجذب الناس إليه وازداد انخراطا في العبادة حتى وهنت صحته وكان يقوم الليل ويصوم النهار وقد لا يفطر بعد ثلاثة أيام فخارت قواه وتهالك جسمه وأصبح قاب قوسين من لقاء الله .. تعالى .

وفى أول ربيع الأول عام ٢٤١ هـ مرض بالحمى وضيق التنفس ـ وتجمهر الناس على باب داره مما حدا بحاكم بغداد أن يقيم الحراس على باب بيته وأن يمنع الدخول إلا للأطباء ـ وكان الإمام لا يئن ولا يتألم ولا يتوقف عن الصلاة ؛ ولم يسمح لأمير بغداد بزيارته ـ حتى حانت الساعة الرهيبة فجلل بغداد أسف كئيب وهرع الناس إلى المساجد والطرقات واجمين ذاهلين ـ ولم يبد الموت عظيما فى نفوس الناس كما بدا يوم أحمد ـ لقد كان للقضاء معنى مؤثر قاهر ـ إذ عصف بطود أشم أصله ثابت وذروته فى السماء .

ولما جاء أمير بغداد لتجهيزه وتكفينه ـ حالت وصية الإمام دون ذلك ـ فاكتفى بالصلاة عليه ـ وقد سار طوفان الجنازة يتدافع ويتراكب حتى غمر الأرض وغص الفضاء وفتحت أبواب المنازل لمن يتوضأ للصلاة عليه ـ وقد ظل الناس فى تدافعهم وتزاحمهم نحو القبر بصورة لا يمكن تصديق وصفها .

وبعد فقد سجله التاريخ فى سجل الخالدين على أنه إمام عُذّبَ فصبر ، ومحدث روى فصدق ، وفقيه غرس فأثمر ، وزاهد عاف الحياة فدانت له الحياة .

ثم جاءه اليقين فضجت عليه الأرض وائتلقت به السماء .

ـ رحمه الله ـ

وبعد :

فلنا ملاحظات عدة ، مع الكاتب المحب للإمام أحمد :

أولها : كتب الدكتور المؤلف صفحة ١٨٨ نصا بلسان الإمام أحمد نفسه لابنه عبدالله وفى هذا النص يبين مااختاره فى المسند من حديث مشهور وغيره ، كنا نود ـ علميا ـ أن نعرف منهج الإمام أحمد الذى على ضوئه اختار ـ ولا سيما اختياره فى « الصحيح » وترك المؤلف هذا الجانب يوحى بتسرب الشك فى ذهن القارىء ـ لا سيما إذا كان دارسا ـ إلى « ضعف » وربما « وضع » بعض أحاديث « المسند » للإمام أحمد ـ ولو أن المؤلف وضع بيانا علميا يحدد اختيار الإمام لنفع الدارس والقارىء على سواء ، ولأطاح بالشك أن يلم بالقارىء .

ثانيها : يقول المؤلف ـ ولا عليه ـ أى الإمام ـ إن كانت بعض آرائه تتناقض مع بعضها فلم يسلم من ذلك إمام من الأئمة ـ أقول له ـ مجادلا : للأستاذ الكاتب بنفس الطريقة العامة : لا ، ليس هناك تناقض فى آراء الإمام .

أليس كان الأجدر ـ بعيدا عن الطروحات العامة ـ أن تضع مثالا أو مثالين لهذا التناقض ـ فينتهى الإشكال .

ثالثها : ما أقوله ـ بشأن التناقض أقوله بشأن صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ـ رضى الله عنهم ـ فإن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنزلهم منزلتهم التى لا يجوز لنا بعدها أن نتناولهم بهذه الطريقة التى تناولهم بها فضيلة الأستاذ الكاتب

رابعها : ان المؤلف لم يكتب عام وفاة الإمام ـ .

ولقد أثبتناه من طبقات الشعرانى الكبرى ص ٥٦ ، وفيها أنه توفى عام ٢٤١ هـ بعد أن استكمل سبعا وسبعين سنة ـ رحمه الله ـ .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

هل نحن اليوم أمة ! ! ؟

حين خاطب القرآن الكريم أتباعه ؛ ربط – في آيتين – بين الأمة والوحدة ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ الأنبياء ٩٢

وقال أيضاً : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ المؤمنون ٥٢

وفي ذلك من التلازم بين الأمة والوحدة مالايخفى ، وكأن الأمة لاتنهض بصفة «الأمة» إلا في إطار الوحدة .

وباستقراء التاريخ الإسلامي نعلم كيف استوفى عصر صدر الإسلام والخلفاء الراشدين موجبات هذه الوحدة ، فكان الراعي والرعية على قلب رجل واحد ، تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم ، وبذلك سادوا العالم – في وقت قصير – وحققوا وحدة الأمة .

ثم ماكانت قوى البغي والعدوان لتدع المسلمين يتفيئون ظلال وحدتهم ويجنون ثمار قوتهم ؛ فعملوا على اختراق عالمهم وبثوا الفتن ، حتى نشأت الخلافات ، فالمشكلات ، وكشفت القوى الاستعمارية عن وجهها الكالح فشاعت عوامل التجزئة والتمزيق ، وبالرغم من هذا الأثر السيء إلا أنه لازال للمسلمين إسهامهم الحضاري وصوتهم المسموع وقدرتهم على تلبية وسائل العيش في كرامة بين الأمم ، ومن ثم يكون لزاما على مسلمي اليوم استقراء أوضاعهم تمحيص عناصر القوة والضعف ، فيزيدوا جوانب القوة ، ويزيلوا ما اعتراهم من ضعف .

حول معنى الأمة الواحدة وموقعنا منها ، تلقى الباب إسهامات ثلاثة ، كذلك تلقى كلمات أخرى من قرائه تجد صداها منثورا على صفحات هذا الباب ، إلى جانب زاوية الإبداعات للشعر والردود والتعليقات والإجابة على الاستفسارات .

المحرر

كتب الأستاذ يحي السيد النجار ـ دمياط ـ في هذا الموضوع :

الذي يوحد الصفوف ـ بين المسلمين ـ كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة الرسول ـ ﷺ ـ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ سورة ق

والأخذ بالعلوم سمة من سمات الإسلام تحقق به الأمة دورها الحضارى والريادى ، وبخاصة ، والنظم الوضعية تتهاوى ، وما على المسلمين إلا أن يلتزموا بمنهجهم القرآنى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ سورة محمد ﷺ ـ ٢٤ ، وسنة نبيهم ﷺ ، ويستعيدوا الأسباب المفقودة التى تهيئوهم ليكونوا « خير أمة أخرجت للناس » .

* * *

وكتب السيد/ محمد على البلجيى ـ أويش الحجر ـ المنصورة ـ الدقهلية ـ فى نفس الإطار يقول :

إن الدين الإسلامى جعل المسلمين أمة واحدة ، وجعل منهم دولة واحدة ، فإلههم إله واحد ، وهو المعبود الواحد رب كل شيء ومليكه ولهم كتاب واحد ، لقد أقام الإسلام الوحدة على دعائم إيمانية ثابتة ودائمة حتى لايتغلغل إليها الخلل ماداموا متمسكين بمبادىء دينهم وأصوله .

كما أوصى الإسلام المسلمين بالوحدة وعدم التفرقة والالتفاف حول راية واحدة .

* * *

وكتب فضيلة الشيخ خيرى محمد أبو الروس . خطيب مسجد بكفر الجرايدة يقول :

إن الإسلام هو صانع الوحدة حيث جاء بجمع القوى المتنافرة فى ظل وحدة قوية سكت معها صوت الثارات القبلية ، وتلاشت أمامها الأحقاد الموروثة ، فتجمع الصف المسلم تحت لواء الوحدة والترابط والتراحم والتآخى معتصما بحبل الله مستجيبا لأمره ـ عز وجل ـ قال ـ تعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

آل عمران ١٠٣

إن على الأمة أن تجرب العيش فى ظلال الوحدة بعد أن ذاقت مرارة التفرقة وذل الانقسام ، عليها أن تعتصم بحبل الله وتلبى دعوة الإسلام إلى التضامن والتراحم والتلاحم .

ومما يؤسف له حقا أن الدولة الأوروبية تسعى جاهدة فى إنجاز وحدة سياسية داخلية وخارجية يحكمها نظام اجتماعى واحد ، وذلك فى مرحلة تنتهى بإعلان أوروبا عن إتمام هذه الوحدة ؛ فكيف لاتأخذ أمتنا طريقها إلى وحدة عربية إسلامية ؟ والتاريخ خير شاهد على إمكان ذلك .

* * *

ذكر الله شفاء

وكتب الأستاذ/ نجاح عبدالقادر سرور المدرس الثانوى بكفر بولين ـ كوم حمادة ـ البحيرة ـ هذه الكلمة القيمة عن وجه أفضلية ذكر الله ـ عز وجل :

ذكر الله شفاء من كل داء .. ذلك لأن الشفاء من الأدواء لايتحقق إلا بإرادة الله تعالى .

فمن شاء أن يشفيه الله .. فعليه بذكر الله .. يقول سبحانه :

﴿فاذكرونى أذكركم﴾

البقرة ١٥٢

وفى الحديث القدسى الصحيح : «من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملأه» .. إن ذكر الله هو الأفضل بين الأعمال .. لأنه يدخل فى كل عمل صالح .

روى البخارى قوله صلى الله عليه وسلم . «ألا أخبركم بأفضل أعمالكم وأرفعها فى درجاتكم ، وأزكاها عند مليككم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون رقابهم ويضربون رقابكم ؟ قالوا : بلى يارسول الله قال : ذكر الله عز وجل» .. إن الصلاة ذكر .. والحج ذكر .. والصوم ذكر .. والزكاة ذكر .. والثناء على الله تعالى ذكر .. وتلاوة القرآن ذكر .. وكل عمل صالح ذكر لله - عز وجل - لأنه لايتم إلا باستحضار اسم الله العظيم .

ولهذا كان طبيعيا أن تطمئن قلوب المؤمنين بذكر الله :

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾

الرعد ٢٨

كان رسول الله ﷺ إذ حزبه أمر فزع إلى الصلاة - وهى ذكر لله - وقال : أرحنا بها يابلال .

من عظمة الإسلام

كتب الأستاذ/ محمد سعدى المقدم - المحاسب القانونى - عابدين - القاهرة - هذه الجزئية للدلالة على جانب من جوانب عظمة الإسلام تذكرة لمن كان له قلب :

«أتشرف بأن أرسل لسيادتكم ما يأتى فقد تجدون فى نشره إفادة للبشرية ، وحتى يعلم العالم ماهو الإسلام .

جاء فى كتاب «المغازى» للواقدى (محمد بن عمر بن واقد المتوفى سنة ٢٠٧ هـ) تحقيق الدكتور مارسدن جونس الجزء الثانى عند الكلام عن غزوة الغابة ص ٥٤٧ مايأتى :-

«ولما انتهى رسول الله - ﷺ - إلى بئرهم قالوا : يارسول الله ألا نُسَمِّمُ بئرهم ؟ فقال النبى - ﷺ - لا ، ولكن يشتريها بعضكم فيتصدق بها . فاشتراها طلحة ابن عُبيد الله فتصدق بها» .

وهكذا رفض رسول الله ﷺ منذ خمسة عشر قرنا أن يُسَمِّمَ البئر على عدوه ، فليس أغلى من الماء فى الصحراء ، ثم بخاصة فى ميدان القتال ، ويأبى رسول الله ﷺ أن يحصل على النصر الرخيص .

ولنا أن نقارن بين هذا الموقف العظيم وبين موقف أمريكا مثلا فى القرن العشرين حينما توصلت إلى القنبلة الذرية فألــقت بها على (هيروشيما ونجازاكى) لتحصل على النصر الرخيص!!!

حقا إنك تستحق يارسول الله أن يصفك الله سبحانه وتعالى فى قرآنه العظيم بقوله :

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ القلم ٤

صدق الله العظيم

من إبداعات القراء

« هَوْلُ الرَّدى » للشاعر أشرف السيد الصعيدى

مَالِي عَصِيُّ الدمع فى هَوْل الردى ... وَجُمُودُ دَمْعي هَلْ لَهُ مِنْ بَلْسَم
سَهْمُ المَنِيَّة إنْ أصابَ فلا تَرى ... لِلسَّهْم عَنَّا آهٍ مِنْ سَهْمٍ عَم
المرء كالطَّيرِ المُحَلِّق بالمدى ... لابُدَّ يَوماً أنْ يَحُطَّ وَيَرتمى
والبدرُ يُمْسِي بالضِّياء مُفاخِراً ... فيَغيب ضوؤه بالصَّباح المُقْدِم
عُمْرى لَئِنْ طالَ الزّمان بمَنْ وعى ... لا بُدَّ أنْ يَأْوى لِجُبٍّ مُعْتم

****

ردود وتعليقات

● القارىء/ مهندس عادل طه ـ الزهراء ـ القاهرة :

نشكركم على إعجابكم بالمجلة ومايطرأ عليها من تجديد وتطوير ، وبإذن الله ـ تعالى ـ يستمر اعجابكم بما ينشر بيانها الثابت اللغة والأدب والنقد .

● القارىء/ محمد فوزى الخولى ـ بكالوريوس طب ـ طنطا :

ليتكم تستقرءون التاريخ وتخرجون لنا بدارسة ترون فيها الرد على تجاوزات هذا المسلسل .

● القارىء/ عماد ميزار عبدالعظيم جاد ـ الفيوم ـ قرية الاعلام :

رجاء الاهتمام بتخريج الأحاديث التى تستدلون إليها .

● القارىء/ مصطفى كمال عيسى مصطفى ـ كلية التربية ـ جامعة أسيوط :

ليس فى الإمكان تزويدكم بماقاتكم من المجلة أو هداياها ، ففى الغالب يتم توزيعها بدون مرتجعات ، أما عن « بيان للناس » فهو يباع بثمانية جنيهات بإدارة توريدات الأزهر ـ خلف مدينة البعوث ـ جوار مصنع تاكى ـ القاهرة .

● القارىء : م حلمى صلاح بيومى ـ أنشاص الرمل ـ بلبيس ـ شرقية :

سنعمل بمشيئة الله ـ تعالى ـ على زيادة المساحة المخصصة للفتاوى ، ولكن بالنسبة لخطب الجمعة فإن كثيرا من الموضوعات التى تنشرها المجلة يصلح لهذا الغرض بعد إضافة المقدمة اللازمة .

● القارىء : محمد يوسف الزقزوق ـ مقيم شعائر بدمياط :

لعلك تجد فى « مؤمن آل فرعون » وتفويضه الأمر إلى الله ما يكون فيه درس نافع لكل إنسان تعترضه عوائق الحياة بشىء .

● القارىء : عاطف كريم عبداللاه ـ خلف نادى الصيد ـ القاهرة :

يمكنكم مراجعة مكتب المجلة بالأزهر ـ ميدان الإمام الحسين بالقاهرة . فنزودكم به كهدية متى تيسر ذلك .

● القارىء : أحمد عبدالستار طه ـ من مناوهله ـ الباجور ـ منوفية :

نعم .. أجدر بالعاقل وقد علم أن الدنيا حفت بالشهوات وتزينت بالمكاره أن يتقى شرها ولا يأمن مكرها ، ويحرص على ألا يكون من أبنائها .

● القارىء : محمد حامد مصطفى حامد ـ أبشواى العجمين ـ الفيوم :

نتفق معكم فى ارتباط العلم بالإيمان ، على اعتبار أنه الأداة المادية إليه والدالة عليه ، وتكريما للعلم جعل الله العلماء أخشى الناس له تعالى ، فقال : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ، بل إننا نستطيع أن نقول فى ارتباط العلم بالإيمان : إن كل علم لا يدل فى نهايته على الله ـ عز وجل ـ فلا بركة فيه ولا ثمرة منه .

● بمشيئة الله ـ تعالى ـ يواصل الباب اهتمامه بالرسائل التى تلقاها ويلقاها تباعاً .

رجاء

ترجو مجلة الأزهر من السادة الكتاب أن يكتبوا أسماءهم الثلاثية وعناوين أعمالهم على المقالات التى يوافون الإدارة بها . وأن تكون كتابتها على الماكينة أو بخط واضح ، وأن يرسلوا إلينا الأصل فى الحالتين ويحتفظوا بصورة منه لأن المجلة ليست ملزمة برده .

كما ترجو مراعاة حداثة الانتاج وألا يكون قد سبق نشره فى صحيفة أو كتاب ، وكلما كان الانتاج مستندا إسنادا علميا كان ذلك أدعى لصلاحية نشره ، والله تعالى من وراء القصد

إعداد الأستاذين/
عمر البسطويسي
مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يفتتح كلية ازهرية

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ـ يرافقه أ.د. عبدالفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر والمستشار عبدالرحيم نافع محافظ دمياط ، وأ.د. جعفر عبدالسلام نائب رئيس جامعة الأزهر ، وأ.د. أحمد البساطى عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط ، وعدد من أساتذة الجامعة والقيادات التنفيذية والشعبية ـ كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بمحافظة دمياط ، بلغت تكاليف الكلية حوالى خمسة ملايين جنيه ، كذلك تم وضع حجر الأساس لبناء كلية للبنات الإسلامية ومعهد دينى أزهرى بدمياط الجديدة .

وفى حفل الافتتاح ألقى الإمام الأكبر كلمة قدم فيها الشكر على حفاوة اللقاء ، كما توجه بالشكر للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية وللدولة حكومة وشعبا على الاهتمام بالتعليم الدينى والتوسعة فيه ، حتى امتدت معاهد الأزهر فى قرى ونجوع مصر ، وأصبح للأزهر معاهده وكلياته حتى فى خارج مصر بإشراف الأزهر ، وبذلك يكون الأزهر هو منبع العلوم العربية والإسلامية فى مصر والعالم الإسلامى ، بفضل الله ـ تعالى .

وتناولت كلمة الإمام الأكبر تذكير الأساتذة والمدرسين وطلاب الأزهر برسالتهم الإسلامية ومسئوليتهم فى طلب العلم والإخلاص فى تحصيله وبذله ونشر الأحكام الصحيحة وعدم الإفتاء بغير علم حتى يتسنى الاحتفاظ بموقع الريادة فى هذه العلوم التى تبناها الأزهر منذ أكثر من ألف عام ، ذلك لأن خدمة الإسلام ورفع رايته هى مهمة علماء الأزهر .

كذلك تحدث الدكتور عبدالفتاح الشيخ عن المشروعات الجديدة لمنشآت الأزهر عن رسالة الأزهر ودوره فى خدمة المسلمين ، مبينا أنه ليس وقفا على أبناء مصر فقط ، فقد بلغ تجاوز عدد الدارسين فيه من أبناء العالم الإسلامى تسعة آلاف طالب وطالبة من أربع وثمانين دولة ، وما هذا الإقبال إلا نتيجة لرسالة الأزهر التى تنبنى أساسا على حرية الرأى والفكر وعدم التعصب لمذهب معين .

وتحدث كذلك السيد المستشار محافظ دمياط محيياً فضيلة الإمام الأكبر ، ومشيدا برسالته ورسالة علماء الأزهر فى خدمة الإسلام ، ومؤكداً استعداده لدعم رسالة فرع الأزهر الشريف فى دمياط خدمة للعلوم العربية والشرعية التى يضطلع بها ، وتحدث عميد الكلية المفتتحة عن دور فضيلة الإمام الأكبر فى خدمة المسلمين فى داخل مصر وخارجها ، وعن هذا الحدث التاريخى فى تاريخ دمياط ، ذلك الحدث الذى يترجم تعاون أهل المحافظة مع الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يستقبل مفتي استراليا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر سماحة الشيخ تاج الدين الهلالي مفتي « استراليا » صباح السبت الموافق ٢٧ من ذي الحجة ١٤١٥ هـ الموافق ٢٧ من مايو ١٩٩٥ م بمكتب فضيلته بالأزهر .

وقد تناول اللقاء تقديم الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على عنايته ورعايته الدائمة لمسلمي « استراليا » وعلى بعثات الدعوة التي يرسلها الأزهر في رمضان من كل عام .

هذا وقد وجه سماحة المفتي الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة « استراليا » وتفقد أحوال المسلمين هناك .

الإمام الأكبر ينتقد وثيقة الزواج الجديدة

انتقد فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر ـ مشروع وثيقة الزواج الجديدة مؤكدا على أن المسلمين ليسوا في حاجة إلى مثل هذا المشروع ، بل يجب أن يعدم ويغلق ملفه من الآن إلى الأبد .

وأعلن فضيلته أن ما نشر بالصحف حول الوثيقة يحمل في طياته دعوة لكساد سوق الزواج في حين يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

سورة الروم

وأضاف فضيلته أن عقد الزواج ليس عقد بيع ولا تجارة وليس عقد شركة مالية حتى تحيطه بهذه الشروط والقوانين التي تنفر الشباب من الزواج .

إن الزواج عقد له طبيعته الخاصة ، وهو : عقد ينعقد على وجه التأبيد رغم قدرة أصحابه على الانفصال لو تعذرت الحياة .

أدلى فضيلته بتلك التصريحات أثناء زيارة فضيلته لمحافظة « دمياط » لافتتاح بعض المنشآت الجديدة لمعاهد الأزهر وجامعته .

الإمام الأكبر يستقبل وزير الأرجنتين بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتب فضيلته السيد السفير / دومنجو كولين بمناسبة توليه منصبه كسفير لجمهورية « الأرجنتين » بالقاهرة .

في بداية اللقاء نقل السيد السفير إلى فضيلة الإمام الأكبر تحيات وتقدير رئيس « جمهورية الأرجنتين » وحكومته ، على ما يقدمه الأزهر وجامعته لخدمة الشعوب الإسلامية في العالم أجمع .

وقد أشاد السيد السفير ببيان فضيلة الإمام الأكبر الصادر مؤخرا بشأن « القدس » والأوضاع المتردية في عالم اليوم

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير وتمنى له إقامة طيبة في القاهرة سفيرا لبلاده لدى مصر ، كما تمنى له التوفيق في دعم العلاقات الوطيدة والتعاون المشترك بين مصر والأرجنتين .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر فى افتتاح الدورة ٢٩،
للأئمة والدعاة من العالم الإسلامى

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

السادة الضيوف ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أرحب بكم أيها الأخوة والأبناء من العلماء العاملين فى مجال الدعوة والإرشاد وأنتم فى هذا المجال مكلفون بإبلاغ رسالة الإسلام .

والأزهر الشريف إذ يرحب بكم فى هذه الدورات إنما يرحب بعلماء يقومون بإبلاغ الدعوة ، يفدون إلى الأزهر ليعرفوا على ما غاب عنهم من علم ومعلومات يبلغونها للناس ، فإن العلماء ورثة الأنبياء ، يقدمون للناس علما صحيحا مصفى ، يتلون كتاب الله ويبينونه للناس ، ويصححون عباداتهم ومعاملاتهم ، فهى مهمة شاقة ومهمة مأجورة من الله ـ تعالى ـ لأن إبلاغ الدين والرسالة أمر يتوقف عليه صحة العبادة والديانة ، وأن يكون الناس فى دين الله اخوة متعاونين .

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ سورة المائدة : آية ٢

ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله ، وسنتى) أما مذاهبنا الفقهية فهى : مذاهب تعلمنا ونتعلم منها كيف تستنبط الأحكام ، فعلينا ألا نفتى الناس بغير علم ، فمن أفتى الناس بغير علم كان إثمه عظيما ، ومهمة الفتوى مهمة عظيمة القدر جليلة الشأن .

فإن هذه الأمانة العلمية ، أمانة فى الدين ، والفتوى الخاطئة يترتب عليها عمل خاطىء ، وأنت يا من أصدرت الفتوى مسئول أمام الله عما تفتى به .

ومسئوليتنا نحن الدعاة : أن نرشد الناس إلى الحق وبالحق فلا نميل إلى الهوى ولا نتحايل ، بل نقول الحق والله يهدى إلى الحق .

نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يفتح لنا أبواب فضله ورحمته وأن يعلمنا من لدنه علما ﴿ الإنسان ما لم يعلم ﴾ .

كما أسأله ـ عز وجل ـ أن يوفقكم فى ظل العلم ومعكم الأساتذة يوضحون لكم ما غمض أو غاب عنكم حتى تعودوا إلى أوطانكم بعلم نافع تؤدونه للناس .

وفقكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الإمام الأكبر يرأس اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين

ترأس فضيلة الإمام الأكبر اجتماع « المجلس الأعلى للآباء والمعلمين » الذى عقد بقاعة الاجتماعات الكبرى بإدارة الأزهر الشريف حيث ناقش خطة قطاع المعاهد الأزهرية وكان من أهمها :

- اعتماد خطة الأنشطة والخدمات الطلابية للعام المالى الجديد ١ / ٧ / ١٩٩٥ وحتى ٣٠ / ٦ / ١٩٩٦ .
- الموافقة على زيادة مكافآت تكريم أوائل الشهادات الأزهرية .
- الموافقة على تكثيف دورات التدريب على « الحاسب الآلى » لدورتين متتاليتين .
- مطالبة وزارة الإعلام (تليفزيون - إذاعة) بإتاحة الفرصة أمام طلاب المعاهد الأزهرية لنيل قسط وافر من المواد الثقافية سواء المرئية أو المسموعة حتى يكون هناك مساواة بين طلاب الأزهر ، والتربية والتعليم فى هذا الجانب .
- بحث استخدام أبنية المعاهد الأزهرية لتحفيظ القرآن الكريم للجمهور بما لا يتعارض وأوقات الدراسة مع وضع الضوابط اللازمة لهذا الاقتراح بمعرفة قطاع المعاهد الأزهرية .
- استكمال النقص من مدرسى التربية البدنية من الجنسين حيث تم تخريج أول دفعة من « كلية التربية » جامعة الأزهر هذا العام .

تبادل ثقافى بيـن الأزهـر والجامعة الإسلامية «بماليزيا»

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق - شيخ الأزهر الشريف - بمكتب فضيلته الأستاذ الدكتور / عبدالحميد أبوسليمان رئيس الجامعة الإسلامية « بماليزيا » .

تم خلال اللقاء بحث سبل دعم العلاقات الثقافية والدينية بين الأزهر الشريف « وماليزيا » من حيث إيفاد مدرسين من الأزهر الشريف وزيادة المنح الدراسية لطلاب « ماليزيا » وإمداد « ماليزيا » بالمناهج والكتب المدرسية .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر - ببحث كافة الاحتياجات التى تقدم بها السيد رئيس الجامعة والعمل على تلبيتها فى أقرب وقت ممكن

الأزهر يشارك فى «مؤتمر الإسلام والتفاهم بين الأديان بموسكو»

وافق فضيلة الإمام الأكبر على إيفاد السيد الدكتور / على جمعة محمد عبدالوهاب الأستاذ المساعد « بكلية الدراسات الإسلامية والعربية » - جامعة الأزهر إلى « موسكو » نائبا عن فضيلته للمشاركة فى مؤتمر الإسلام والتفاهم بين الأديان والشعوب فى العالم المتغير .. الذى عقد فى مدينة « موسكو » عاصمة روسيا الاتحادية فى المدة من ٢٥ - ٣٠ / ٥ / ١٩٩٥ .

وقد ألقى الدكتور / على جمعة كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أمام المؤتمر وكانت بعنوان : (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) .

أعضاء جدد للجنة الفتوى بالأزهر الشريف

أصدر فضيلة الإمام الأكبر قرارا بضم أعضاء جدد للجنة « الفتوى » بالجامع الأزهر الشريف وهم : ـ

فضيلة الشيخ / محمد يوسف عفيفي ـ الأمين العام المساعد للدعوة بمجمع البحوث الإسلامية سابقا .

فضيلة الدكتور / علي جمعة محمد عبدالوهاب ـ أستاذ أصول الفقه المساعد بكلية الدراسات الإسلامية .

فضيلة الشيخ / محمد طه أبوالفرح ـ مدير عام التعليم النوعي بقطاع المعاهد الأزهرية سابقا .

فضيلة الشيخ / سيف النصر عبدالعزيز الجمل ـ مستشار مادة لقطاع المعاهد سابقا .

فضيلة الشيخ / علي الشيخ الخولي ـ مدير عام شئون القرآن سابقا .

فضيلة الشيخ / محمود أحمد فرج ـ مفتش مادة بقطاع المعاهد سابقا .

فضيلة الشيخ / معوض عوض إبراهيم ـ مفتش الوعظ بالأزهر سابقا .

فضيلة الشيخ / فهمي عبداللاه سيد علي ـ مدير مكتب فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية سابقا .

الإمام الأكبر يستقبل وزير الأوقاف الكويتي

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه معالي الدكتور علي الزميع ـ وزير الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت ـ ، والوفد المرافق لسيادته .

أكد الوزير على دعم التعاون بين الأزهر والكويت بصفة عامة ، وبين الأزهر ووزارة الأوقاف بالكويت بصفة خاصة ـ لا سيما ـ بالنسبة للمشروع الخاص بالطلبة الممتازين ، وإقامة مشروعات مباني عشرة معاهد أزهرية أضيرت في الزلزال .

وأضاف أنه قد بدأ فعلا في إصلاح هذه المعاهد ، وستسلم في أغسطس القادم استعدادا للعام الدراسي المقبل . ـ ان شاء الله ـ .

كما جرى التشاور في المشروعات الإنشائية لمؤسسات الأوقاف بالكويت والتي مازالت تحت الدراسة ، حيث تم عرض بعض هذه المشروعات لدراستها .

الأزهر يفتتح مسجدا بروما

أوفد فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر الشريف ـ الأستاذ الدكتور محمد محمد أبوليلة الأستاذ المساعد بكلية « اللغات والترجمة » جامعة الأزهر الشريف والأستاذ الدكتور علي جمعة محمد عبدالوهاب الأستاذ المساعد بكلية « الدراسات العربية » بجامعة الأزهر الشريف إلى « إيطاليا » لتمثيل الأزهر الشريف في احتفالات افتتاح مبنى المسجد الكبير والمركز الإسلامي بالعاصمة الإيطالية (روما) .

كما يشاركان في الندوة الدولية لبحث « حقوق المرأة في الإسلام » ، والتي تشارك فيها عدة جهات عالمية استعدادا لبحث هذا الموضوع في « المؤتمر الدولي للمرأة » المقرر عقده في العاصمة الصينية (بكين) في سبتمبر ١٩٩٥ م .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ محمد عبد الحميد بشير

جامعة الأزهر

أعلن رئيس جامعة الأزهر أن الرئيس حسني مبارك يولي اهتماما خاصا لكليات جامعة الأزهر التي بلغ عددها ٥٤ كلية بعد أن كانت لا تزيد عن ١٥ كلية فقط عام ١٩٨١ ،وأضاف سيادته أن الدولة خصصت لجامعة الأزهر كل الاعتمادات المالية التي طلبتها لتأدية رسالتها في خدمة المجتمع الإسلامي .

البوسنة والهرسك

قال علي عزت بيجوفتش «رئيس جمهورية البوسنة والهرسك الإسلاميـــة»: إن القـــوات الحكومية المسلمة لن توقف حملتها ضد صرب البوسنة المحاصرين «لسراييفو» ما لم يرفعوا حصارهم عن العاصمة ، جاء ذلك في رده على رسالة من الاتحاد الأوربي يدعو فيها إلى ما أسماه ضبط النفس ، وذلك بعد يومين من القتال الضاري حول (سراييفو) وقال سيادته:إن على الصرب سحب أسلحتهم الثقيلة والسماح بفتح الطرق أمام مواد الإغاثة وقبول المشروع الدولي لتحقيق السلام في البوسنة وهـــو ما يرفضه الصرب .

تقرير هام

أكدت وكالة الأنباء الإسلامية الدولية (إينا) في تقرير لها من « جوهانسبرج » أن أنشطة الدعوة الإسلامية تشهد نشاطا كبيرا في جمهورية جنوب افريقيا التي يبلغ عدد المسلمين فيها نحو المليون نسمة ، وفيها نحو ستين (٦٠) مدرسة ومعهدا إسلاميا ، بالإضافة إلى مئات المساجد التي يرعاها مجلس القضاء الإسلامي المكون من نخبة من علماء المسلمين الذين يدافعون عن قضايا المسلمين هناك .

وأكد الرئيس أنه لن يقبل شتاء رابعاً على جمهوريته في ظل الحصار المفروض عليها منذ ثلاث سنوات بعد أن تأكد للمسلمين عدم اكتراث المجتمع الدولي بقضيتهم .

الأرجنتين

يجري حاليا الإعداد لإنشاء أكبر مسجد بقارة أمريكا الجنوبية في (بيونس أيرس) (بالارجنتين) بتمويل من الدول العربية . أعلن ذلك السفير

السعودى بالأرجنتين وقال : إن الاتصالات جارية مع سفراء الدول الإسلامية المعتمدين هناك لإنشاء ذلك الصرح الإسلامى الذى وافق على إنشائه الرئيس الأرجنتينى « كارلوس منعم » .

أسبانيا

قام « المركز الإسلامى » فى مدريد بأسبانيا بتنظيم مؤتمر للحوار الإسلامى وذلك بالمشاركة مع « رابطة العالم الإسلامى » وأقيم على هامش المؤتمر مسابقة لحفظ القرآن الكريم بين مسلمى أوربا لحثهم على حفظ الكتاب العزيز والالتزام بتعاليمه .

مشروعات إسلامية

اعتمد البنك الإسلامى للتنمية بجدة ٤٥٨ ألف دولار للنهوض بالمجتمعات الإسلامية . وذلك لبناء مدرسة إسلامية بمدينة (هرارى) عاصمة (زيمبابوى) ومدرسة ثانوية بـ (تنزانيا) ومركز للتدريب المهنى لخدمة الطلبة المسلمين بولاية (كيرلا) الهندية .

الشيشان

أمرت السلطات الروسية بإيقاف كل العمليات الحربية والشروع فى المفاوضات فى العاصمة « جروزنى » لتسوية سائر القضايا المعلقة بين الجانبين . يأتى ذلك بعد فشل القوات الروسية مرتين فى اقتحام المستشفى المحاصر .

الكويت

عقدت بالكويت فى الفترة من الاثنين ٢٢ من ذى الحجة لمدة ثلاثة أيام الندوة الفقهية الثامنة التى نظمتها المنظمة الإسلامية الطبية العالمية وتم فيها مناقشة عدد من الأبحاث التى تناولت رؤية الإسلام لبعض المشاكل الصحية ، وشارك فيها من علماء مصر الدكتور/ عبد الله النجار الأستاذ بجامعة الأزهر ، حيث ألقى كلمة شيخ الأزهر فى الندوة وقدم بحثاً فى موضوع بنوك الأعضاء البشرية وحكم الإسلام فيها .

اليابان

أقيم مؤخراً فى طوكيو العاصمة اليابانية مخيم لتدريب الدعاة ، شاركت فيه ١٤ منظمة وجمعية إسلامية باليابان حيث نوقش عدد من القضايا التى كان من أهمها دحض المفتريات البوذية والرد على مايسمى بجماعة الحقيقة السامية المزعومة التى ادعت العلم بيوم نهاية العالم ، حيث أكد الباحثون المتخصصون فى التراث الإسلامى أن يوم القيامة من الأسرار الغيبية التى لايعلمها إلا الله ، والمعروف أن الطائفة المذكورة قد تم القبض على رئيسها ، وهى المسئولة عن الحوادث الأخيرة فى محطات مترو الأنفاق اليابانى التى راح ضحيتها الكثير .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

في مؤتمر التحديات المعاصرة للاقتصاد المصري من المنظور الإسلامي

إعداد الأستاذ / محمود عبدالجواد الفشني

● الاقتصاد من منظور إسلامي : « كان موضوع المؤتمر الذى عقد «بكلية البنات جامعة الأزهر» فى غرة المحرم ١٤١٦ هـ

● شارك فى المؤتمر لفيف من علماء الفكر الاقتصادى ، والعاملين بنفس المجال فى مصر وتحدث فضيلة الإمام الأكبر فى افتتاحه بكلمة موجزة عن الاقتصاد الإسلامى .

ثم تحدث فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر ـ أيضاً ـ بإيجاز عن قواعد الاقتصاد فى الإسلام .

● نوقشت ـ فى المؤتمر ـ مجموعة أبحاث اقتصادية ذات أهمية فى تحسين الاقتصاد المصرى ، والأوضاع الاقتصادية عامة .

● دعا المؤتمر إلى تجربة اقتصادية تستقى محاورها من أسس الاقتصاد الإسلامى .

● تناول المؤتمر دور الزكاة فى تضييق الفوارق بين طبقات المجتمع .

كلمة الإمام الأكبر

بسم الله الرحمن الرحيم . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فإن هذا المؤتمر ينبغى أن يقوم بدراسة الإصلاح الاقتصادى من منظور إسلامى ، ونحن فى عصر تتلاحق فيه الأحداث وتتصارع فيه الأفكار والشرائع حتى إننا نُغزى فى فكرنا الإسلامى بكل أنواع الأسلحة ، وليس بغريب علينا بما تطالعنا به الصحف والإذاعات من هجوم دائم على الإسلام والمسلمين ، ورمينا بالتخلف والرجعية .

نريد أن نبرز علمنا وأصولنا وقواعدنا .

إن لكل أمة قواعد وشعارات ، ونحن أمة قد يصل تعدادها إلى نحو خمس سكان العالم ــ على الأقل ــ فلابد أن نحتفظ بوجودنا وأصولنا وما استقيناه من إسلامنا .

لا ندعى أن لدينا قانونا ممهداً لمواد محددة ، وإنما جاء الإسلام بقواعد حقيقية لم يعرض تفصيلا لها إلا لمسائل محدودة تتعلق بالأسرة والميراث والوصية . لكنه ــ فى شئون الحياة ــ وضع قواعد عامة ، فمثلاً جاء فى الاقتصاد قوله ــ تعالى ــ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾

سورة النساء ــ آية : ٢٩

وهذه الآية تتسع لأكثر من واقعة فى صورة التعامل الجارية كذلك أورد الكتاب الكريم قاعدة احترام التعامل بالعقود بأركانها وشروطها قال ــ تعالى ــ :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾ سورة المائدة ــ آية : ١

وفى القرآن الكريم حديث عن عقد البيع ، وقال ــ تعالى ــ :

﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ **سورة البقرة ــ آية : ٢٧٥**

وشدّد ــ سبحانه وتعالى ــ فى تحريم الربا ، وأنذر بأنه إذا لم يمتنع الناس عن التعامل بالربا فإنهم سيعيشون فى ضنك وغلاء ، وعبر القرآن عن ذلك بقول الله ــ تعالى ــ :

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾

سورة البقرة ــ آية : ٢٧٩

هذه القواعد العامة التى جاء بها القرآن والسنة إنما هى مبادىء تشير إلى الحلال والحرام فى المعاملات . ولقد استمرأ الناس التعامل بالربا ، واختزنوا الأموال فى البنوك نظير فوائد محددة سلفا ناسين أن تحريك الأموال للاستثمار الفعلى فى المشروعات الصناعية والزراعية والتجارية وغيرها مما استحدث فى هذا العصر ــ فيه عائد يفوق الفوائد المحددة سلفا ، ويفتح أبواب العمل للمتعطلين وبهذا تنمو الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ويجد الناس أرزاقهم مفتحة الأبواب تستوعب المتعطلين وغيرهم .

● القواعد العامة يجب أن ندرسها لصالح الأمة .

لقد أكدت الدراسات على هذا ، وما ينبغي أن نحافظ عليه هو تطابق العدالة وسريانها إلى التوزيع .

ولقد علمنا من التاريخ أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة ومعه أصحابه الفقراء الذين حرموا أموالهم وفقدوا أعمالهم آخى ﷺ بينهم وبين الأنصار ، ووجدنا من بين المهاجرين من يقول لأخيه الأنصارى :

« اسبق مالك وأهلك ودلنى على السوق » أى ليعمل ولم يرض أن يعيش عالة على أخيه .

نحن نريد أن نأخذ حظنا فى هذه الحياة ، والعصر عصر العلم وعصر العمل ؛ بكل أسف لدينا العلم وينقصنا العمل وأقصد بالعلم : "العلم التجريبى القابل دائماً للتغيير والتقويم ـ فلا نقتصر بأن نتلقى عن الآخرين : (الترف) .

لدينا أموال فى البنوك ولدينا عمالة ـ ولكن ... أين المشروعات الاستثمارية التى توجد عملاً وتأتى بنتيجة ؟ .

نحن نعيش ظروفاً صنعناها بأنفسنا مع أن لدينا أراضى واسعة ، وصلاتنا بالعالم مفتوحة ، ومركز مصر الجغرافى يمكنها أن تكون كمركز مرموق .

أنتم ـ يا علماء الاقتصاد ـ : عليكم أن تفكروا وتدبروا حلولاً لهذه المشكلات لنجد حلّاً لكل ما نحن فيه .

يجب أن يعلم الناس أن هناك اقتصاداً إسلامياً .

آمل أن نعود إلى التراث فى الفقه الإسلامى وسوف نجد حلولاً كثيرة وعلماً ثابتاً له قواعده وليس مجرد نظريات إنما هى قواعد وحقائق تنفى الأباطيل .

أدعوكم إلى البحث عن حقائق علم «الاقتصاد الإسلامى» بدءًا من القرآن والسنة إلى علومها الوفيرة التى بين أيدينا ، ولا نقف عند العناوين التى تلقيتموها فى الدراسة أو التى تدرسونها للطلاب .

إنه قيل : لا مشاحة فى الاصطلاح ـ فلكل علم مصطلحاته .

(وفى الختام) دعا فضيلته إلى عقد هذا المؤتمر سنويا للتوصل إلى حلول ومعالجات موضوعات الساعة ، وإصلاح شئون الأمة والعمل على رفعتها ومصالحها الاقتصادية .

وتحدث الأستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ ـ رئيس جامعة الأزهر ـ فقال :

أود أن نتمكن من نقل تراثنا الإسلامي بنظرياته وأفكاره إلى كل بقاع العالم بكل السبل والوسائل بعد دراسة لغاته وثقافاته ـ حتى يمكن نشر مبادىء ديننا الحنيف ؛ وقواعده في الاقتصاد قد بنيت على أن المال هو عصب الحياة ؛ ولذا فقد دعت الشريعة إلى تحصينه ورسمت مناهجها مشروعية تحصيله وتنميته فقال ـ تعالى ـ :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾

سورة الجمعة ـ الآية : ١٠

كما أمر الإسلام بالمحافظة عليه وعدم تبذيره ونهى عن استغلال حاجة المعدم إليه ـ وجعل فيه حقا معلوماً للفقير والمسكين والمصلحة العامة حيث يقول :

﴿ وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ سورة الإسراء ـ الآية : ٢٦

ونادى الإسلام بالوسطية حتى لا يضار الفقراء من التقتير ـ ولا يفسد المجتمع بالإسراف ـ فلو تأصل « الترف » في أمة قضى على أخضرها ويابسها قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ سورة سبأ

وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴾

سورة المؤمنون ـ اية : ٦٤

فقد حرم الإسلام الترف حتى لا ينقسم المجتمع إلى مترف وحاقد ـ حرم الشح حتى يجد الفقير مورداً يحقق له العيش الكريم .

وحرم الإسلام الاحتكار : (من احتكر الطعام أربعين يوما برىء من الله وبرىء الله منه) .

— Un autre point à remarquer c'est que à chaque fois l'on trouve les fruits mentionnés, nous sommes devant une description du paradis. Donc, ces fruits aimés sont un moyen par lequel Allah incite les hommes à faire le bien qui leur fera mériter ce Paradis où se trouve la félicité.

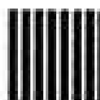
— D'après les versets où est mentionné l'ensemble de la flore, on déduit qu'il y a une emphase sur l'eau dans le Coran puisqu'elle a été mentionnée dix fois.

— L'eau est essentielle pour la vie des plantes mais elle a aussi d'autres rôles: elle sert comme boisson pour les hommes et les animaux. Allah le Tout Puissant dit: "C'est lui qui a fait descendre du ciel l'eau qui vous sert de boisson et qui fait croître les plantes dans vous nourrissez vos troupeaux". (le sens du verset 10, sourate El Naml).

— Donc, l'eau est aussi l'un des bienfaits d'Allah puisqu'elle est l'élément essentiel dans la croissance des plantes qui servent à leur tour comme nourriture principale pour l'homme. Allah le Tout Puissant dit : "Il y a sur la terre des parcelles voisines les unes des autres, des jardins plantés de vigne, de céréales et de palmiers disposés en touffes ou bien dispersés, ils sont tous arrosés avec la même eau".

— Donc, le Coran accorde à l'eau la même importance qu'elle avait chez les Arabes qui vivaient dans un désert où était la source de vie. Les points d'eau étaient les places où se trouvaient les bedouins.

— D'après tout ce qui a précédé, on peut conclure que les plantes mentionnés dans le Coran, le sont en fonction de leur utilité pour l'homme. Donc, l'allusion est faite seulement à leur utilité, ni à leurs formes ni à leurs couleurs.





— De même, il y a des plantes qui ont été signalées dans un récit comme le palmier dattier qui est mentionné dans l'histoire de Marie. Allah le Tout Puissant dit : "Les douleurs la surprirent auprès du tronc du palmier. Elle dit "Malheur à moi! que me suis déjà morte, totalement oubliée! "Le sens du verset 23, sourate Mariame). Il y a aussi des plantes qu'Allah a présentées dans la description du Paradis qui est la récompense réservée aux croyants qui obéissent les ordres de leur créateur. Allah le Tout Puissant dit : "Vous y trouverez des fruits abondant et vous en managerez". Le sens du verset 73, sourate Al Zokrof).

— Donc, les plantes occupent une place importante dans l'ensemble du Coran; elles ont été mentionnées soixante fois dans trente sept Sourate. Dans ces 37 Sourates il y a dix genres de plantes mentionnées à savoir la figue, l'olive, le grenade, le raisin, le palmier dattier, les fruits les cultures et les arbres.

— D'après cette énumération, on peut dire que les deux catégories fréquemment mentionnées sont: les fruits et les graines.

— On peut remarquer aussi que ces genres de plantes n'occupent pas la même place mais plutôt il y a une différence entre elles du point de vue importance accordée à chacun de ces genres. Cette importance varie d'une catégorie à l'autre.

— 'A la tête des fruits apparaît le palmier dattier qui est un fruit principal chez les arabes et d'une grande valeur nutritive. De même, les raisins qui occupent la deuxième place parmi les fruits, poussent dans les pays chauds, ainsi que d'autres fruits connus dans les pays chauds tels que les figues et les grenades.

— Donc, Allah a choisi les variétés de plantes qui conviennent à l'environnement où vivaient les Arabes à qui le Coran a été envoyé en premier lieu. Ces Arabes vivaient dans un lieu désertique, c'est pour cela qu'Allah leur a donné en exemple les variétés de plantes qu'ils connaissent afin que le Coran leur soit accessible à leur raison.

«Les plantes dans le Coran»

par GHADA ABDALLAH

— Le Coran est le message d'Allah pour l'être humain. Il contient toutes les instructions que doit suivre le croyant. En plus de ces instructions, Allah a mentionné la récompense donnée aux croyants dans la vie future. Par contre, il a également nommé la punition réservée aux incrédules qui n'obéissent pas à Ses ordres.

— Pour tous les hommes, Allah a donné dans le Coran beaucoup de leçons qui servent à leur montrer les bienfaits qu'Allah leur a octroyés. Mais ces bienfaits sont également donnés aux croyants ainsi qu'aux incrédules, mais la récompense de la vie future est reservée pour les croyants uniquement.

— Parmi ces bienfaits, il y a l'ensemble de la fréquemment mentionné dans le Coran dans plusieurs occasions.

— L'ensemble de la flore n'est pas le seul bienfait d'Allah, mais il sera le sujet de notre étude.

— Bien que l'ensemble de la flore soit un des bienfaits d'Allah, il n'est pas mentionné seulement comme signe de ces bienfaits.

— En fait, les plantes ont été mentionnées. Comme on l'avait signalé dans de plusieurs occasions. Quelques une ont été mentionnée comme signe de la toute puissance divine. Allah, le Tout Puissant dit: "N'est ce pas lui qui a créé les cieux et la terre et qui pour vous, a fait descendre des cieux une eau grâce à laquelle nous faisons croître des jardins remplis de beautés dont vous ne sauriez faire pousser les arbres (le sens du verset 60) sourate Al Nahl. D'autre ont été avancées dans le Coran comme parabole donnée à l'homme afin que celui-ci puisse en tirer des leçons. Allah le Tout Puissant dit :
"Propose - leur la parabole de la vie de ce monde: elle est semblable à une eau, Nous l'avons fait descendre du ciel pour qu'elle se mélange à la végétation terrestre mais celle-ci devient un herbage desséché que le vent disperge" (le sens du verset 45, sourate Al Kahf).



pour les combattre mais pour empêcher une effusion de sang entre les musulmans (1). Quand il aperçut Talha et Az-Zoubaïr, les deux apôtres du Messager d'Allah (b.s.) parmi les rangs de l'armée, il les appela. Lorsque Az-Zoubaïr fut tout près de lui, il lui dit: "Ô Zoubaïr, je te conjure par Allah, te rappelles-tu du jour où le Messager d'Allah (b.s.) a ri et tu as ri en disant que Ali n'abandonne jamais son orgueil; et qu'il t'a répondu, il n'est pas orgueilleux? Ô Zoubaïr par Allah, tu me combattras en commettant une grande injustice!" Az-Zoubaïr répondit: "oui, je me rappelle maintenant, mais j'avais oublié je ne te combattrai plus". Il refusa de participer à la guerre civile et rebroussa chemin vers Médine. Durant son voyage, il s'arrêta pour accomplir sa prière c'est alors qu'un lâche nommé Ibn Garmouz le tua pendant qu'il priait. Le meurtrier se présenta devant l'Imam Ali croyant qu'il lui portait la bonne nouvelle du meurtre d'Az-Zoubaïr en lui présentant l'épée qu'il lui a prise après avoir excuté son crime. Mais lorsque Ali sut que le meurtrier d'Az-Zoubaïr était à sa porte, il dit: "annonce au meurtrier du fils de Safia qu'il ira en enfer. Lorsqu'on lui apporta l'épée d'Az-Zoubaïr, l'Iman Ali la baisa et pleura abondamment et dit: "Par Allah! le propriétaire de cette épée l'a tant utilisée pour dissiper la peine du Messager d'Allah".

Az-Zoubaïr, ce chevalier vaillant, à l'âge de 65 ans fut tué lâchement de son dos car personne n'osait confronter le brave conquérent.

Il jouissait des meilleures vertus et d'un noble caractère. Son courage et sa générosité se valaient car il dirigeait un commerce fructueux et sa fortune était abondante, mais il dépensa tous ses biens pour l'Islam et mourut endetté. Au moment où il rendait l'âme, il demanda à son fils Abdallah de payer ses dettes, en lui disant: "Si tu n'arrives pas à payer une dette aie recours à mon Seigneur". Abdallah lui demanda: "De quel Seigneur parles-tu? Il répondit "Allah le meilleur maître et le meilleur défenseur" Abdallah dit plus tard: "Par Allah chaque fois que je souffrais d'une dette, je disais: "Ô maître d'Az-Zoubaïr acquitte ma dette et elle était acquittée". Salut à Az-Zoubaïr dans sa mort, salut à l'homme généreux et vaillant à l'homme qui fut tué injustement car Allah lui réservait la dignité du martyr.

---

(1) Cette bataille fut nommée la bataille du chameau car la mère des croyants Aïcha (a.s.e.) était portée dans son palanquin sur le dos du chameau.

Mohammad. Je donnerai donc à mes enfants les mousdes martyres afin qu'ils meurent en martyrs à leur tour".

Ainsi, il appela son garçon Abdallah comme le compagnon du Prophète mort en martyr "Abdallah Ibn Gahch". Il appela un autre fils "Almounzer", comme martyr "Almounzer Ibn 'Amr'. Il appela les autres: Hamza", "Ga'afar" Mouss'ab", "Khaled" souhaitant qu'à leur tour, le jour de leur mort, ils seront des martyrs. Az-Zoubaïr n'était pas seulement le cousin du Prophète (fils de sa tante paternelle), ni l'époux d'Asma la fille d'Abou Bakr, mais il était en plus le chevalier renommé, le fort fidèle, celui qui a sacrifié sa vie et son argent pour la cause d'Allah, le Seigneur des mondes. Il n'accepta jamais de prendre le commandement, ni "aucune charge. Sinon celle de combattre pour la cause d'Allah.

On raconte que le jour d'Al Yarmouk, Az-Zoubaïr était à lui seul aussi vaillant qu'une armée de combattants. Quand il a vu la plupart des guerriers qu'il commandait se replier devant les byzantins qui déferlaient comme des vagues, il lança son cri "Allah est grand" et s'élança seul dans les troupes ennemis, frappant de son épée et tuant avec son épée à droite et à gauche.

Les jours s'écoulèrent, le calife Othman fut tué et les musulmans prêtèrent acte d'allégeance à Aly Ibn Abou Taleb. Médine était encore pleine de comploteurs qui faisaient régner la zizanie entre les musulmans et poussaient les gens à demander vengeance pour l'assassinat du calife Othman.

A côté de ceux-là, il y avait des musulmans sincères affectés par la mort de Othman et qui demandèrent la permission de quitter Médine et partir vers Bassorah pour se rejoindre à ceux qui demandaient justice pour le sang de Othman en vue de tuer les assassins.

Parmi ces personnes figuraient les deux compagnons du Prophète: Talha et Az-Zoubaïr (Qu'Allah soit satisfait d'eux) ainsi que la mère des croyants:. Aïcha (a.s.e.) Ali consulta ses compagnons, ils lui dirent qu'il devait intervenir dans cette crise pour mettre à ce désordre de peur que le peuple d'Al Châm (qui ne voulait pas reconnaître l'autorité de Ali) ne les rejoigne et se révolte contre lui. Alors Ali se rendit vers eux, non

fer. Il lui disait en le torturant "Nie le Dieu de Mohammad et je l'épargne cette torture". Az-Zoubaïr qui était en ce temps là un jeune garçon aux os encore délicats, répondait avec fierté: Non, par Allah, je me reviendrai jamais à l'incroyance". Az-Zoubaïr émigra en Ethiopie la première fois puis il retourna pour participer aux combats et expéditions avec le Messager d'Allah (b.s.) sans rater aucun des combats. Un de ses compagnons qui l'avait accompagné durant le grand pélerinage a dit: "Je jure par Allah que lorsque je vis son corps, il était tailladé par les épées et, sur sa poitrine, il y avait des cicatrices - comme des yeux enfoncés - causées par les coups d'épées et de lances". Je lui dis alors: "Par Allah, j'ai vu sur ton corps ce que je n'ai jamais vu sur personne". Il me répondit: "Je les ai toutes reçues ces blessures, alors que j'accompagnai le Messager d'Allah (b.s.) en combattant pour la cause d'Allah".

Lorsque les juifs de Banou Houraiza rompirent leur pacte avec les Musulmans, le Prophète (b.s.) reçut l'ordre de son Seigneur de les combattre. L'Etat de siège dura longtemps et la tribu de Banou Qouraiza refusa de se rendre. Alors le Prophète (b.s.) envoya Al Zobaïr avec Ali Ibn Abou Taleb; ils se présentèrent devant la forteresse et répétèrent: "Par Allah, nous sommes prêts à subir le même sort que Hamza, ou bien nous aurons leur forteresse". Puis tous les deux foncèrent et avec une force inouie et ouvrirent les portes aux musulmans. Il jouissait de l'amitié et de l'estime du Messager d'Allah (b.s.) qui dit un jour: "Chaque Prophète a ses apôtres; le mien est Az-Zoubaïr Ibn Al A'wam".

Lorsque le Messager d'Allah (b.s.) fraternisait entre ses compagnons à la Mecque avant l'émigration, il fraternisa entre Talha et Az-Zoubaïr.

Le Messager d'Allah (b.s.) avait mentionnait souvent leur nom en disant: "Talha et Az-Zoubaïr seront mes deux voisins au paradis". Tous les deux (Talha et Az-Zoubaïr) subirent presque les mêmes épreuves et eurent le même train. Tous les deux étaient parmi les premiers musulmans qui faisaient partie des dix hommes à qui le Prophète a annoncé le Paradis Tous deux étaient parmi les membres du conseil auquel Omar avait confié la charge de choisir son successeur. Même leur sort fut identique. Az-Zoubaïr disait: "Talha Ibn Oubaïdallah donne à ses enfants les noms des Prophètes en sachant qu'il n'y aura plus de Prophète après

«Az-Zoubaïr Ibn Al-A'wam» 'L'apôtre du Messager d'Allah'

par Hoda Hussein Chaaraoui

— Az-Zoubaïr Ibn Al A'wam est l'un des dix promis pour le Paradis. Il se convertit à l'Islam à l'âge de 15 ans et reçut ainsi très tôt la bonne direction, la lumière et le bien. Vaillant chevalier malgré sa jeunesse il posséda la première épée brandie pour la cause de l'Islam. Mais comment cet évènement eut-il lieu, bien que les musulmans n'avaient pas envore reçu l'ordre de combattre

— A l'aube de l'Islam, les musulmans étaient peu nombreux et ils se cachaient dans la maison d'Al Arquam. Un jour, une rumeur circula, disant que le Messager (b.s.) était tué. Az-Zoubaïr, malgré son jeune âge, prit son épée et s'élança dans les rues de la Mecque comme un ouragan. Il partit en premier lieu s'assurer de la nouvelle, avec l'intention que si la mort du Messager (b.s.) s'avérait vraie, il allait combattre toute la tribu de Qoraïch jusqu'à les exterminer tous ou jusqu'à sa propre mort. Sur les hauteurs de la Mecque, il rencontra le Messager d'Allah (b.s.) qui lui demanda ce qu'il avait? Alors Az-Zoubaïr lui raconta la nouvelle, c'est alors (b.s.) que le Prophète (b.s.) invoqua le Seigneur afin qu'il lui accorde le plus grande bien.

— Cet homme moble avait de biens de parenté avec le Messager. Sa mère Safia était la tante paternelle du Messager (b.s.) que son père, Al A'wam Ibn Khouwaïlid, était le frère de Khadiga l'épouse vénérée du Messager d'Allah (b.s.)

Malgré la noblesse de son rang parmi son peuple, il endura la torture et la persécution de Qoraïch. Son oncle paternel le roulait dans une natte de paille, allumait du feu et lui en envoyait la fumée pour l'étouf-

REVUE AL-AZHAR

Vol. 68 Part II

Safar 1416 Hijrah, July 1995

Section Française

Pickthall (812) :

"1. By the fig and the 'Olive'.
2. By Mount Sinai,
3. And by this land made safe;"

Notice that Pickthall has inserted the coordinator 'and' only before the last conjoined element, whereas the second 'and' in verse 2, is replaced by a comma. Therefore, his translation of the three verses is considered a good one.

Regarding Coordination in example (b), the four translators in question should have dispensed with the coordinator 'and' inserted before the word 'tongue'. Their versions are represented as follows :

Khatib (808) :

"Have we not assigned to him two eyes, and a tongue, and two lips".

Y. Ali (1651) :

8- Have we not made
For him a pair of eyes?-

9- And a tongue,
And a pair of lips?-

Pickthall (807)

"8- Did We not assign into him two eyes
9- And a tongue and two lips."

Arberry (645) :

Have we not appointed to him two eyes.
and a tongue, and two lips,

The suggested version of the above verses is, therefore, believed to be as follows :

Suggested Version :

Have we not assigned to him two eyes, a tongue and two lips.

These are only few examples illustrating the syntactic mismatches which the translators have faced in translating the /wāw/.

To Be Continued

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩

/?a lam najcal la-hu cayn-ayn-i wa lisān-an wa safat-ayn-i/.

According to Ibn Khalaweih (1989 : 144-45), Sura 95 in example (a) starts with several conjoined oaths : by the two plants, figs and olives which are useful to man, by Mount 'Tur' in Sinai and by Mecca. These four symbols in Syndetic Coordination refer to Allah's Revelation which offers Man the highest destiny if he will follow His way.

Khatib, in his version, transfers both meanings of oath and coordination by using the sequence 'and by' to link the conjoined elements together.

Khatib (813) :

"By the fig and the olive, and by Mount Tūr of Sinai, and by this safe land,"

However, Khatib should have dispensed with the two particles 'and' and 'by' in the second verse in order to avoid repetition.

Arberry and Y. Ali, similar to Khatib's attitude, resort to the repetition of 'and' in the second verse, in addition to ignoring the oath particle 'by' in the last conjoined element.

Arberry (650) :

"By the fig and the olive
and the Mount Sinai
and this land secure!"

Y. Ali (1669) :

1 By the Fig
And the Olive.

2. And the Mount
Of Sinai,

3. And this City
Of Security -

Pickthall is the only one who succeeds in translating the three verses. He maintains both meanings of oath and the coordination in the three verses.

<u>Pickthall (786)</u> :

6. Have We not made the earth an expanse.
7. And the high hills bulwarks ?
8. And We have created you in pairs.
9. And have appointed your sleep for repose.
10. And have appointed the night as a cloak.
11. And have appointed the day for livelihood.
12. And We have built above you seven strong (heavens).
13. And have appointed a dazzling lamp.
14. And have sent down from the rainy clouds abundant water.

Perhaps the use of the capital 'And' in the above verses gives the feeling that the /wāw/ used in Arabic is that of inception, not of coordination.

The suggested version is, therefore, believed to be as follows :

Suggested version :

> Have we not made the earth spread out <u>and</u> the mountains as pegs ? Have we not created you in pairs, made you sleep for repose, made the night an enwrapping, assigning the day for living, building above you seven strong heavens, assigning an incandescent lamp <u>and</u> sent down from the clouds plentiful water ?

Where the number of coordinators is reduced from eight, as mentioned in the above translation, to two and the others are replaced by commas.

In addition to the above example, there are more illustrations of translating the /wāw/ in 'Amma' Part which reveal the mismatches made by translators. In particular, their literal use of the coordinator 'and' whenever they find the additive /wāw/ in Arabic, no matter what the English rules say, can be illustrated as follows :

Sura 95, verses 1-3 : وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾
2.
/wa-t-tīn-i wa-z-zaytūn-i wa ṭūr-i sīnīn-a wa hāza-l-balad-i-l-?amīn-i/.
b- Sura 90, Verses 8-10 :



Notice from the above versions that the number of 'and', used by Khatib and Y. Ali to link one verse with another, is eight, coresponding to the exact number of /waw/ in Arabic.

The excessive use of 'and' is also adopted by Arberry and Pickthall in their versions;

Arberry (626) :

> Have We not made the earth as a cradle
> and the mountains as pegs ?
> And We created you in pairs,
> and We appointed your sleep for a rest;
> and We appointed night for a garment,
> and We appointed day for a livelihood.
> And We have built above you seven strong ones,
> and We appointed a blazing lamp
> and have sent down out of the rain-clouds water cascading.

Moreover, notice the inconsistency of Arberry in his use of 'and', sometimes with a small letter 'a' and other times, with a capital 'A'. This mainly depends on the inconsistency in the use of punctuation marks, at the end of verses, commas as in verses 3, 5 and 7, semi-colons, as in verse 9 and stops, as in verse 11. However, he does not use punctuation marks at all in verses, 6, 13 & 14. Although punctuation marks play a major role and have a great effect in the process of Coordination in English, yet they do not exist in the Qur'an. Had they been there, there would be less confusion amongst translators in rendering conjoined structures. However, due to their absence, the translator may replace a comma by a semi-colon or by a stop when linking two sentences together.

Although Pickthall, on the other hand, sticks to the use of commas except for verse 11 in order to separate one verse from another, yet the 'and' following these commas is usually written with a capital 'A', as illustrated from his version as follows :

1.

/?a lam najcal-i-l-?ard-a mihad-an wa-l-jibal-a ?awtad-an wa xalaq-na-kum ?azwaj-an wa jacal-na nawm-a-kum subat-an wa jacal-na-l-lay-l-a libas-an wajacal-nan-nahar-a macaš-an wa banay-na fawq-a-kum sab-c-an šidad-an wajacal-na siraj-an wahhaj-an wa-?anzal-na min-al-mucsir-at-i- ma?-an Θajjaj-an/.

In the above group of verses, we may notice that the /waw/ is the only coordinator which links one verse with another; yet the method adopted to use this coordinator as regards frequency, differs from one translator to another. Both Khatib and Y. Ali are criticized for the excessive use of 'and' as equivalent to the /waw/ in Arabic. This means that whenever they find any /waw/ of coordination in the original, they render it as 'and', despite the ungrammaticality this repetition may be in English.

Khatib (787) :

Have We not made the **earth** spread out and the mountains as pegs? And We created you in pairs. And We made your sleep for repose. And We made the night an enwrapping. And We assigned the day for living. And We have built above you seven strong (heavens). And We assigned an incandescent lamp. and We sent down from the clouds plentiful water.

Y. Ali (1585-86) :

6. Have we not made
The earth as a wide
Expanse,
7. And the mountains as pegs ?
8. And (have We not) created you in pairs.
9. And made your sleep
For rest,
10. And made the night
As a covering.
11. And made the day
As a means of subsistence ?
12. And (have We not)
Built over you
The seven firmaments.
13. And placed (therein)
A Light of Splendour?
14. And do We not send down
From the clouds water
In abundance.

Difficulties in Translating coordination in Qur'anic verses

Part II

By Dr. Maha Y. El Tagouri

In the previous edition, the discussion of the evaluation of translating coordination started to deal with the syntactic aspect. In this edition the discussion is carried on with respect to the syntactic aspect of repetition and deletion of the /wāw/.

Syntactic Mismatches with the /wāw/ :

Repetition and Deletion :

Perhaps one of the commonest mismatches which, as realized through our quality assessment, lies in the path of translators and always waits to trap them, is the repetition of coordinators; that is to say, the excessive use of coordinators when not necessary. 'And', for instance, as a coordinator, may be resorted to by many translators whenever they find the /wāw/ in the original text. In order to solve the problem of translating a series of conjoined elements into English, Huddleston (1988 : 196) suggests that this series is usually written with a comma following each element, except the last when it is preceded by only 'and' or 'or', connecting the final two elements. A further approach is that instead of just listing one element after another by repeating the coordinator used, Daiker, Kerek & Morenberg (1979 : 143) suggest that they can be grouped into pairs. However, translators, in some cases, may ignore the above English rule and resort to the excessive use of 'and', or they may completely delete it in their versions. Examples of repetitions and deletions are illustrated as follows :

Sura 78, Verses 6-14 :

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾
وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾

preparation and planning. In other words, we can say that the Muslims fought against their enemies according to both correct and scientific principles. Another lesson, is that right has to be supported by might and fierceness can only be confronted with fierceness. Moreover, if war breaks out, no one should retreat before achieving victory or die in the sake of his cause.

Another lesson, also, is that the decision for or against the battle was the result of an open debate among the Muslims and this confirms the democracy of the Islamic society. We have seen how the superme commander of war; i.e. the prophet (P.B.U.H), has consulted his soliders in every matter regarding the war and every decision was taken by unanimous agreement.

The extraordinary bravery which was shown by Muslim believers, is another important lesson which should not escape our attention. These believers had a strong faith which was much greater to them than their family relations. Muslims were fighting for the justification of Allah and the victory of his religion. Thus we have seen a lot of Muslims killing their close relatives who were pagans, at 'Badr' such as Abu Obaida Bin Al Jarrah who killed his father.

After this battle, the idolaters began to take into consideration the strength of the Muslims, in addition a lot of the idolaters accepted the new religion after they had seen how such a small group of Muslims was able to defeat a much greater group of the idolaters, even though they were better armed than the Muslims.

The faith of the Muslims became stronger after they had achieved the victory at 'Badr'', also their love of their prophet became much stronger. Moreover, the Muslims after 'Badr' were ready to fight, struggle and die for the sake of their religion. In this respect, the Glorious Qur'an says :

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ آل عمران

''Allah had already given you the victory at Badr, when ye were contemptible. So observe your duty to Allah in order that ye may be thankful''. (Aali Imran : 123)

It seems more reasonable, regarding this controversial issue, to say that the angelic support meant good tidings for the Muslims. We all know that the angels are spirits who could, by the means of inspiration strengthen the determination of the Muslims but, more, they could throw fear into the hearts of the idolaters. We can say that this interpretation is based on Allah's saying :

إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ

"When thy Lord inspired the angels, (saying): I am with you. So make those who believe stand firm. It will throw fear into the hearts of those who disbelieve". (Spoils of war : 12)

Now if come to analyse the battle of 'Badr', it is quite obvious that the Muslims victory against the idolaters was extraordinary, because the Muslims only counted one third of the number of idolaters whereas, Quraish counted between 900-1000 fighters. However, the battle did not last more than half of that day and the Muslims were able to kill many of the prominent leaders of Quraish such as Abu Jahl, Otba, Nawafal Bin Al Harith, Hanzala Bin Abi Sufian and many others.

If we look deep into the battle, we will find that the great victory achieved by Muslims, which some believe that it was unexpected victory, is, in fact, an expected one. It goes without saying that all the Muslims who took part in this battle, were faithful believers who not only fought against their enemy armed with their weapons; but were also armed with a strong faith which made them certain of Allah's support.

The battle of 'Badr' was a turning point in which the truth had overcome falshood. It also represented the never ending and continuous lessons which will always enlighten the lives of Muslims in their endless struggle against their enemies who are also the enemies of Allah.

From the strategic and tactic point of view, it can be easily said that the battle of 'Badr' has its great military significance and from it many military lessons can be derived. One of these lessons is that Islam has introduced a new method of war characterized with good

After achieving a great and an overwhelming victory, the prophet (P.B.U.H) sent Zaid Bin Haritha and Abdullah Bin Rawaha to Medina to inform the people there of the Muslim great victory. The believers were very happy to hear the glad tidings. Then the prophet (P.B.U.H) consulted his companions regarding the future of the idolaters who had been captured on the battlefield. In this respect, many suggestions were made, but the one which the prophet (P.B.U.H) appreciated was that of Abu Bakr. Abu Bakr was of the opinion to exchange the captives for ransoms to strengthen Islam and disgrace the idolaters. In fact, the prophet (P.B.U.H) approved Abu Bakr's suggestion not only for his mere appreciation but because it gained the agreement of the majority. In addition, he said that no prisoner would be freed without a ransom and those who could not afford to pay the ransom and knew how to read and write would be called upon to teach ten Muslim children to read and write.

In this context, i.e. when talking about the battle of 'Badr", one important fact should not be ignored; namely that Muslims were supported by angels. In this respect, the Glorious Qur'an says :

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ سورة الأنفال

"When ye sought help of your Lord and He answered you (saying) : I will help you with thousand of the angles, rank on rank". (Spoils of war : 9)

A lot of research has been made concerning this angelic support, some of which considers that this support was perceived, which means that the angels really descended and participated in the fighting. Other researches say that the angelic support was directed only at strengthening the morale of the Muslims, in this respect the Glorious Qur'an says :

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

"Allah appointed it only as good tidings, and that your hearts thereby might be at rest. Victory cometh only by the help of Allah. Lo! Allah is mighty, wise". (Spoils of war : 10)

capture them. In other words, the two parties wanted to fight each other. In this respect the Glorious Qur'an says:

وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا
كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ سورة الأنفال

"And when He made you (Muslims), when ye met (them), see them with your eyes as few, and lessened you in their eyes, (it was) that Allah might conclude a thing that must be done. Unto Allah all things are brought back". (Spoils of war: 44).

On Thursday morning, Ramadan 17, the second year of Hijra, the Quraish proceeded arrogantly with its large force armed with their shields and spears. The fighting started with due lists from both sides confronting each other. The prophet (P.B.U.H) stood among the ranks of his followers urging them to remain steady and advising them not to launch a comprehensive attack until they were ordered to do so. He told them to shoot their arrows when the enemies start to rush against them and not to raise their swords unless they come too close to them.

Moreover, the prophet (P.B.U.H) urged his followers to be patient and fight bravely in this decisive battle, assuring them that whoever was going to be killed while he was fighting was going to be raised to paradise by Allah.

The two armies clashed together. It was not too long, before the idolaters found that there was a surprise awaiting them, namely, the prophet (P.B.U.H) had organized his followers to fight according to a style of ranks which was unfamiliar to the Arabs before this battle. The Arabs used to follow a style of attacking and then retreating. Because of the steadfastness shown by the Muslims, their skill in shooting at the idolater's horses and heads with their arrows, made it possible for the Muslims to win the battle. It did not take the Muslims more than half that day to kill 70 idolaters and capture another 70 in a battle which was considered the first military duel between the two sides during that battle, the lands of 'Badr' witnessed the death of many pagan idolaters from the swords of a unified poor people.

It did not take long before the news reached the Muslims informing them that the caravan would arrive at 'Badr'[1] the next day or the day after. At that time, further news reached the Muslims confirming that Quraish was on its way to protect its trade, so the prophet (P.B.U.H) hurriedly summoned his companions to discuss with them the matter in order to decide what to do. After some debate all the believers agreed to fight against the idolaters.

Abu Sufian and his caravan did not follow the usual route but, instead they followed the road along the seashore, there by successfully avoiding the danger from the Muslims. In the meantime, Abu Sufian sent a message to the leaders of Quraish asking them to return to Mecca, but they refused. Thus, the pagan army marched on until it reached the seashore of the valley 'Badr', where the road was smooth and easy and they camped behing a sandhill. Meanwhile, the Muslims camped on the opposite side of the seashore along the valley, where the land was dusty and full of clay.

Someone might ask why the prophet (P.B.U.H) had chosen this particular spot, i.e. the valley of 'Badr', to camp in. Has Allah guided him to this place? or have he chosen this place due to war tactics? Certainly, the prophet (P.B.U.H) has chosen this place due to the strategy of war. He knew well that water was plentiful in this place and so the Muslims built a reservoir and filled it with water, then they destroyed all the unestablished wells. By doing this, the prophet provided the Muslims with drinking water and prevented the idolaters from doing so, because the other wells were situated beyond the well they were going to use.

Before, fighting broke out, the Quraish sent Omair Bin Wahab Al-Jomahi to reconnoiter the Muslim camp. When he returned to his fellows he told that the Muslims counted around 300 men. After Quraish heard what he had said, some of its leaders thought of returning without necessairly launching a war against the Muslims, but Abu Jahl insisted on war. Many idolaters were, like Abu Jahl, tempted by the small number of the Muslims and they believed that they would crush them easily. On the other hand, Allah Almighty had lessened the number of the idolaters in the eyes of the Muslims, so that they could

(1) 'Badr' is a place between Mecca and Medina known for its numerous wells.

themselves to encounter them in the battlefield. Otherwise, they would expose themselves and their new religion to defeat. Moreover, when Muslims resorted to wage wars against the idolaters they were adhering to the teaching of the Glorious Qur'an which ordains believers to meet hostility with hostility. It also urges them to fight against tyranny whenever they meet it and strive off the necks of the oppressors, in order to prevent them from distrubing the peace of others. In this respect Allah Almighty says:

وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ سورة الشورى

"And whose defendeth himself after he hath suffered wrong - for such, there is no way (of blame) against them". (Counsel: 41)

The tribe of Quraish used to carry on its trade through Medina, carrying supplies and great riches, escorted by a strong guard and experts in buying and selling. Quraish, as one of the greatest tribes at that time, was too proud to think that the Muslims could attack its caravans, considering that the Muslims were too weak to launch attacks against its trade and to confront challenge with challenge. But, Muslims with the power of their belief, began to launch attacks against the caravans of Quraish. The first force to attack these caravans, was that led by Hamza Bin Abd El-Muttaleb, followed by another force led by Ubaida Bin Al-Hareth and another led by Sa'd Bin Abi-Waqqas. Later, the prophet came to hear that Quraish organized its largest caravan to be sent to Damascus and that it was led by Abu Sufian Bin Harb one of Makkah's most wealthy tyrants and a great enemy of Islam at that time. Henceforth, the prophet decided to attack the caravan and capture it on its way back from Damascus. He prepared his troops which consisted of 317 men who only had two horses and 70 camels between them. He ordered his troops to camp outside Medina. Abu Sufian knew that The prophet (P.B.U.H) was on his way to attack the caravan, so he sent one of his men to warn Quraish. After Quraish had received the message, they organized an army which included 950 men, 100 horses with 100 shields and 700 camels. In fact, the prophet (P.B.U.H) was not informed of the idolaters preparation.

The Great Battles of Islam
The Battle of 'Badr'

by Nahed Mohamed Wasfi, Ph.D.

The First important Fact for all people, Muslims and non Muslims, to understand is that Islam is the religion of peace and that it is neither imposed nor forced on anyone. We all know that history does not record one episode in which the prophet (P.B.U.H) compelled any single human being to convert to Islam. But, instead the prophet (P.B.U.H) accepted people as they were, considering that their hidden feelings were the concern of Allah Almighty. In fact, nobody, dares to say that people who became Muslims were subject to pressure or that they were compelled to believe in Islam. On the contrary, the prophet (P.B.U.H) continued steadily during the years of prophecy, to urge people to believe in Allah Almighty, and to lead them gradually to truth by using wisdom and spiritual councils, in order to enable humanity to regain its innate character and dignity.

This peaceful attitude of Islam is quite evident in that Muslims were ordered not to fight unless they were attacked for as Allah says :

وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

"Fight in the cause of Allah those who fight you but do not transgress limits, for Allah loveth not transgressor". (Al Baqarah 190)

It is clear from this verse that there is neither compulsion nor transgression in Islam except against the oppressors who harass and fight the Muslims. In other words Muslims are ordered to fight, to defend themselves but they should not be transgressors for transgressors are hated by Allah.

Thus, when talking about the great battles of Islam, we should look deep into them in the light of this fact; namely that Muslims were not transgressors but they only fought against oppressors.

It is a well known fact that the battle of 'Badr' is the decisive battle that took place between Muslims and idolaters. When Quraish continued to escalate its enemity against Muslims, it became necessary for the Muslims to use the same language as their enemies and prepare

AL-AZHAR MAGAZINE

Safa1416 - July1995

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

Vol. 68 Part II

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, who hath guided us to this (felicity): never could we have found guidance, had it not been for the guidance of Allah: Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary ,
Al Azhar Magazine .

الفهـــــرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فاضل خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير - الإدارة العامة للأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٦٣٨٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

الأزهر والثقافة الجنسية

طلب الأستاذ الزميل سمير عبد القادر كلمة في هذا الموضوع ، وقد أجبته شاكراً له اهتمامه بنشرها كاملة في الأخبار ، كما أهتم الأهرام المسائي بنشر مقدمتها في ١٩ من المحرم ١٤١٦ هـ ، وتثبت الكلمة هنا - بمجلة الأزهر حجة لنا أو علينا ، راجياً توفيق المولى - عز وجل - إذ كان ثمة اتجاه إلى تدريس هذه الثقافة أن تكون في هذا الإطار الإسلامي الذي يجده القارىء بين يديه ، والذي يمارسه الأزهر بين طلبته من البنين والبنات كل في معهده .

إن هدف التعليم هو إيصال حقيقة علمية ، أو نظرية بواقعها إلى ذهن الطالب في وضوح .

وهدف التربية إحاطة المعلومة بسلوك خلقي رفيع يمارسه الطالب عن قناعة .



وقد استعاذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من علم لا ينفع » ونصح المسلمين بقوله : « سلوا الله علما نافعا » .

في هذا الإطار كان تدريس الجنس في الأزهر ، وذلك بإعطاء كل شيء عن «حقيقته» في إطار « أحكامه الشرعية » . سواء في ذلك الطالب والطالبة . بداية من سن الأولى الإعدادية .

ونقدم هنا جانبا مختصرا للغاية عن بعض هذه الدراسة .

أولا : لكي يتعرف الطالب والطالبة .. بدقة على الوضوء ، ينبغي أن يعلما : ـ أولا ـ نواقض الوضوء عند الرجل والمرأة على سواء ، وبالتالي يتعرفان على كل ما يخرج من « السبيلين » لديهما مما ينقض الوضوء .. فيعرفان ألوان الماء الخارج من الرجل ، ومكان خروجه صراحة ، ويتعرفان على خصيصة هذا الماء من : بول ، ومذى ، وودى ومنى ، ووقت خروج كل من هذه الثلاثة الأخيرة ، وسبب خروجه ، ثم كيفية الطهارة منه ، ومتى يكون خروج أى من الأربعة ناقضا للوضوء ، أو موجبا للغسل ، ومتى لا يوجب وضوءا ولا غسلا ..؟

وتقتضى دراسة خروج المنى معرفة أسبابه ، وما كان منها حلالا ، أو حراما ، أو مكروها ، وأحوال كلٌ .. وما يقتضيه خروج المنى شرعا من وجوب الغسل ! ويتعرفان .. كل من الطالب والطالبة على ألوان الخارج من قبل المرأة صراحة ماء أو دماء : وأسبابها ، ومتى تمنع هذه الدماء مباشرة الرجل لزوجته ، ومتى لا تمنع مع وجودها ، ويعتبر الطالب الأزهرى ، ومثله الطالبة ، على علم دقيق بالتفريق بين دم الحيض والنفاس ، ودم الاستحاضة ، ودرجات هذه الدماء كثافة ورقة ، وماء المرأة الذى يعقب الحيض تماما ، وهذا الأخير لا تعلمه أكثر النساء ، ثم هما : الطالب والطالبة ـ أيضاً ـ على علم في هذا المقام ـ بحال من ابتدأت الحيض ، ومن اعتادته ، وما ينبغي لكل منهما ـ حيال هذا الخارج منها .

ثانيا : وإذا درسا الغسل كان عليهما أن يدرسا موجباته الخمس ، وفي مقدمتها المباشرة الزوجية ، وكيف تتم ، فيدرس كل منهما أمرها ، وواجب المرأة حيالها ، وواجب الرجل أيضاً ، وآداب هذه المواصلة حتى لا يقع الرجل على زوجته كما تقع البهيمة على أنثاها .. الخ .

وبعد .. هذه لمحة سريعة لبعض ما يدرسه الطالب الأزهرى والطالبة في معهديهما ، فيتثقفان ثقافة جنسية في إطار الأحكام الشرعية لكل حالة من حالات كثيرة جداً تنير لهما سبل المعرفة مع دين صحيح سليم .

د. على أحمد الخطيب

مع

الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

فى

ذكرى ميلاد الرسول

صلى الله عليه وسلم

كان فى آدم سر وجود الإنسانية

وكان فى محمد سر كمالها

بقلم : صاحب الفضيلة الإمام الأكبر
جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف

فى شهر ربيع الأول لسنة ثلاث وخمسين قبل الهجرة كان استهلال وليد عربى فى مكة ؛ ليس ككل الولدان الذين تواثبت به أرحام الأمهات فى هذا البلد الآمن ولا فى غيره .

لقد طلع كما تطلع الشمس بأنوارها فتفجّر النهار المنير .

لقد ولد النبى فكان بولادته نور البصيرة ؛ ألا وهو الدين .

وما النهار إلا يقظة الحياة تدب سعياً إلى آمالها وابتغاء لأعمالها ، وما الدين ـ كذلك ـ إلا يقظة النفس ، وفطنة القلب تطلعاً إلى نوال الفضائل .

وهذه الشمس أودعها الله ـ سبحانه ـ طابعاً به تتحول المادة وتتغير ، وهذا النبى « الذى ولد » يرسله الله بالدين الذى به ترتق الأرواح وتتهذب وتسمو .

هذا النبي والنبوة إشراق إلهي على الإنسانية ، يتقوم به السلوك وتنهض به الأخلاق ، ويوجهها إلى الكمال في ترابط ونظام لا يختل إذا ما استكانت إلى وحي الله واستشعرت خيره .

ومن هنا كانت مهمة النبي الأولى : إخلاص العقيدة ، وتطهير القلوب ، وتصفية النفوس مما ران عليها من أدران دورات هذه الحياة .

لقد كانت ولادة النبي محمد ﷺ والعالم الإنساني يكابد في هيكله عوامل البلى .

وكانت الولاية على الدنيا في ذلك الحين لأخلاط من الروم أوهنهم الترف والفسوق ، وأخلاف من الفرس هزمتهم الخيانة والطمع .

وكان بين هؤلاء وأولئك شعب أبي نبيل اعتصم بالصحراء فلم يتبع أياً منهما ، فنجا من ذلك الفساد الشامل ، ولم يعبث بضميره سلطان ، وما مس خلقه أحد من أولئك الطغاة ، وكأنما كانت جفوة الصحراء وشدتها منعة وسياجاً له من أن تفسد لغته أو يختلط نسبه .

وإنما كانت هذه الأمة العربية القابعة في جزيرتها تتلاحق بالغزو المتواصل بين قبائلها ، فأودى هذا بالضعيف مبقياً على القوى صاحب السيف الصارم والفارس الشجاع ، فانبثق منها أمة وسطاً تحمل مع قوة الحيوية وكمال الرجولة وصفاء الحس ونباهة الذكر المثل الأعلى للإنسان .

تلك هي الأمة العربية التي انبعث منها هذا الوليد محمد ﷺ صاحب الذكرى ، وهي التي اختارها الله لقيادة الشعوب المغلوبة على أمرها واختصها الله بهذا الرسول ورسالته الأخيرة الخاتمة .

ولد الرسول محمد ﷺ وبعث بالرسالة والعرب أشتات دون رابط ، وأحياء من غير هدف ولا غرض ، حمل رسالة الله إلى هؤلاء لا يسانده سلطان ولا يناصره جيش ولا يغريهم أو يستميلهم بمال ، فقابلوه بالعناد وآذوا رسول الله ﷺ في نفسه وأهله وصحبه ، فما وهن عزمه وإنما قابل الأذى بالصبر ، والسفه بالحلم .

ذلك لأن ذات هذا الرسول محمد ﷺ تحمل في مجموعها جماع ما حملت به الأنفس الإنسانية من كمال وجمال ، ولو اجتمعت فضائل أهل الحكمة والعلم جميعاً منذ كانت الحياة وجعلت في إنسان واحد ما بلغت مثل نفسه ﷺ ، وكأنما هذه النفس الزكية بخلق الله قد تفردت حتى صارت هي النفس الإنسانية الكبرى ، ولا يعرف التاريخ غير محمد ﷺ رجلا كمله ربه وجمله ، وأدبه ، فإذا الإنسانية به تتحول وتنمو ، وكما قيل :

« كان في آدم سر وجود الإنسانية وكان في محمد سر كمالها » .

وكان دين هذا النبي ﷺ الإسلام : لأنه إسلام النفس إلى واجبها ، فهي إذا أسلمت كانت في سلام مع الله ، وفي سلام مع ذاتها وفي سلام مع مجتمعها الإنساني ، بل ومع العالم وما فيه من خلائق .

وكأن المسلم بهذا يتكر ذاته فيسلمها إلى الإنسانية ، تصرفها فى كلها وعلوها ، فلاحظ للمسلم فى نفسه ولكن للإنسانية السهم الأحظ من حياته ، وذلك بعد الإيثار الذى امتدحه الله فى صحابة محمد ﷺ ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الحشر / ٩ .

فلينظر أتباع هذا النبى ـ اليوم ـ ماذا فى نفوسهم من هذا الدين « الإسلام » وماذا فى أخلاقهم من خلقه ، وماذا فى أيديهم من تراثه ، فإن وجدوا أن هذا الإسلام قد أصبح رسماً فى نفوس الخاصة وأثراً شائهاً مضمحلا فى نفوس العامة ، وأن أخلاقهم قد افتقدت يوم أن تخلوا عن خصائصهم التى أقامهم عليها القرآن وأكدتها سنن صاحب الذكرى رسول الله ﷺ ، إن كان هذا فلا يلومون إلا أنفسهم .

ألا فلينظر أتباع هذا الوليد الرسول ﷺ لم غابت شمسهم وغامت سماؤهم وطال ليلهم ، مع أن الإشراق الإلهى على الإنسانية ، كان بولادة هذا النبى الذى اصطفاه الله من بينهم .

لقد ولد يتيماً لم ير أباه ، ولكن الله هو الذى آواه ورباه : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝ ﴾ سورة الضحى

لقد سعى إلى اكتساب رزقه بالعمل المشروع فرعى الغنم ، وقد كان هذا تمهيداً لرعى الأمم ، واشتغل بالتجارة فخالط الناس وأقام الوزن بالقسط ، فكانت المثابرة والمصابرة فى إبلاغ الرسالة .

ألا فليذكر المسلمون كيف تفرقت بهم السبل ، وصاروا غثاء كغثاء السيل ؟ ، ذلك أنهم أخضعوا عقيدة الإسلام للحياة ، مع أن الأساس فى الإسلام إخضاع الحياة للعقيدة ، فتصبح العقيدة أقوى من الحاجة ، وبهذا يكون الفقير المسلم متعففاً ، والغنى المسلم متصدقاً ، والبخيل الشره كريماً سمحاً .

رسالة هذا الوليد الذى تحتفى أمته بذكرى ولادته ، قادت السلف إلى القوة والعزة فى غير بطش ولا جبروت ولا ظلم ، وإنما نشروا العدل والعلم ، إذ اعتصموا بما جاءهم به من قرآن وسنة ؛ فكانوا فى الصلاة صفاً واحداً إلى قبلة واحدة يتلون آيات محددة من كتاب الله ، وكانوا فى الصوم على ميعاد واحد ، وهكذا جمعهم الإسلام فى كل عبادة وكل عمل للدين وللدنيا .

فما بال هذه الأمة قد انفرط عقدها وطال ليلها وتوزعتها الأهواء، واجتاحتها المحن وهى مع هذا فى يأس وقنوط ، بأسهم بينهم شديد وقلوبهم شتى ، مع أن معهم كتاب الله : القرآن الكريم ، وسنة رسول الله ﷺ الذى قال : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى » ألا إن الأمر جلل والخطب عظيم ولا منجاة مما وقعت فيه الأمة إلا إذا صار أمرها إلى وحدة الكلمة والصف ، وإلى التخلى عن كل ما أدى إلى هذا التفكك والتشرذم والعودة إلى دين الله ، ففيه الدواء وبه الشفاء .

فلتفق شعوب الأمة من النوم ، ولتكف عن اللوم ، فإن الله لا يظلم الناس مثقال ذرة ؛ ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

ومن عاند الحياة ، فقتل فى نفسه الطموح ، وقعد حيث تركته النوائب ، توالت عليه مواكب المصائب ، وصار كالأثر فى المتحف يشير إلى ملك قد باد ، وشعب انقرض ، يتحسر على المجد المفقود ، ويتعلل بكواذب الأمانى .

ألا إن الرقاد قد طال ، والعالم من حول أمة هذا الوليد صاحب الذكرى يتكامل ويتوحد ويتواصل ، وهذه الأمة تتلاعن وتتدابر تتذاكر الأخطاء ، وتوصل الأحقاد ، ولا تتلاقى على كبح جماح الباغى وردع الظالم ، والأخذ بأسباب تجاوز المحنة .

هل لهذه الأمة أن تعتبر بالحوادث المعاصرة ، وتوقن أن يد الله مع الجماعة فتسعى إلى الوفاق متجردة من النفاق ، وتتعاون على البر والتقوى وتتباعد عن الإثم والعدوان .

وإلى هذه الأقلام التى باغتت الرأى العام المسلم ، ببغيها على كتاب الله : القرآن الكريم ، وعلى سنة رسول الله ﷺ بالإنكار والافتيات .

إلى تلك الأقلام التى حادّت الله ورسوله فسطرت بهتاناً وكذباً ، وغاض الحياء من وجوه حملتها ، فأومأت إلى القرآن بغير اسمه ، وأضفت عليه ما لم يسمه به الله الذى أنزله ، وافترت على رسوله الكذب ؛ حين دعت إلى التخلى عما جاء به من رشد فى الدين والدنيا ، وعلا صوتها النكير بالإثم الكبير الخاط بالصحيح الشبيه بالطبل الأجوف ، وغفلوا عن أنهم سيلقون ربهم ، ويومئذ لا تسمع أصواتهم إلا همساً من فرط ما رأوا من صدق ما توعد الله به المكذبين بآياته المحادّين لأوامره .

فهل لهؤلاء الذين مردوا على النفاق والشقاق وابتعاث الفتن من مرقدها تحت الكلمة البراقة (حرية التعبير) ؛ أن يكفوا عما أقدموا عليه واستغرقوا فى الإلحاح على عرضه على الناس وهم له كارهون ؛ بل وناقمون لتضييع الوقت والجهد فى صرفهم عن دين الله ، ولاجترائهم على ازدراء كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وتحريف الكلم من كلّ عن مواضعه . ومحاولة التضليل للناس وصرفهم عن عقيدتهم وكتاب ربهم : القرآن ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ .

سورة النور : ١٥

ألم يأن لهؤلاء الذين اجترأوا على الخوض فى القرآن والسنة بغير علم أن يتوبوا ، وأن يعودوا إلى رشدهم ، وأن يحترموا - على الأقل - الأمة التى يخاطبونها بما يأفكون ، ويرفعوا عنها هذه الأضرار التى يعدونها أمراً هيناً لأنها فكرهم وغفلوا عن أن هذا وزر عند الله عظيم .

وإذا كان الله قد صان القرآن عن ألا يمسه إلا متطهر فقال : ﴿ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ؛ فكيف بهم يخوضون فيه ويتناولونه بغير علم ..

سورة الواقعة : ٧٩

ألا إن هذه الذكرى ، ذكر مولد الرسول ﷺ وقد انبثق نورها أولى ، ثم أولى أن يستثمروها لإعلان كلمة حق يمحون بها ما صدر بغير حق .

ذلك أن حياة صاحب الذكرى محمد ﷺ قانون إلهي خالد ، وكتابه مازال بحول الله وقوته يُتلى ، وفيه صلاح الدين والدنيا ، وإن من أساس الإسلام أن نطيع الله في كتابه ، ونطيع الرسول ﷺ في سنته وآدابه ، فهل مع هذا النبع الإلهي الصادق يظل المسلمون في مراغة الخمول ويقنعون بالدون ، ويتخلون عن مكان الصدارة في هذا الوجود ؟ بل إنهم يلوون ألسنتهم بالكتاب (القرآن) ليحسبه الناس من الكتاب ، وما هو من الكتاب في شيء ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .
سورة آل عمران : ٧٨

أما لو أنهم اتخذوا من أحكام ربهم منهاجاً ، ومن كلام رسولهم علاجاً ، ومن حياة وسيرة الأولين من رجالهم قوة ، وقدرة ، وتجربة ، وعتاداً – لو فعلوا هذا – لرفع الله عنهم هذا الإصر وأنعم عليهم بما لا يقع من النعم تحت الحصر ، ومن أصدق من الله قيلا :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ الأعراف : ٩٦

في ذكرى ولادة الرسول ﷺ الذي جمع العرب من شتات ، وأيقظ بديه العالم من سبات ، وأقام للسماء دينا في الأرض ، وأسس لأهل الأرض حياة في الآخرة في السماء يراها الناس ويدخلها أهلها يوم الجزاء .

في هذه الذكرى أدعو كل النفوس الذاكرة الشاكرة الحرة ، أن تخشع إجلالا لذكرى رسول الوحدة والتوحيد ، وأدعو زعماء العالم الإسلامي إلى : محاولة جادة لتوحيد الأمة من جديد ، وأن يتخذوا منهاج هذا الوليد سبيلا إلى هذا العمل المجيد ..

وأهنيء الأمة الإسلامية شعوباً ، وحكومات ، وملوكاً ، وأمراء ، ورؤساء ، بهذه الذكرى المشرقة .

وأسأل الله أن لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، وأن يجمع القلوب ، ويؤيد المخلصين ويهدي الضالين ، وبالله التوفيق ومنه التأييد .

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ آل عمران : ١٢٦

فتوى للإمام الأكبر

فى ثبوت إسلام المتوفى بإقراره قبل وفاته فى ورقة رسمية وآثاره

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله :

وبعد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب المواطنة / ف ـ أ ـ م وقد جاء به :

أنــه بموجب عقــد عرفى تزوجت بالسيد / ك .. ت بعد اعتناقه الإسلام والذى تسمى باسم / و .. عبدالله ، وقد تم الزواج على يد فضيلة العالم / م . أ المدرس بكلية أصول الدين ، وقد استوفى الزواج أركانه الشرعية ، ووقع والدى المرحوم / أ ـ م ـ ى على العقد بالموافقة وكشاهد ، وخلال الحياة الزوجية تبطأ الزوج فى إسباغ الرسمية على عقد الزواج ، الأمر الذى حدا بى إلى إقامة الدعوى رقم ... أحوال شخصية ، كلى أجانب الجيزة ، ، وقد أقر الزوج أمام هذه المحكمة بجلسة .. باعتناقه الإسلام وبالزواج . وقد رزقت منه على فراش الزوجيــة بالطفــل ه . و . عبدالله البالغ من العمر أحد عشر عاما .

وبتــاريخ ... توفى إلى ـ رحمة الله ـ زوجى .. و . عبدالله وعندما تقدمت بطلب تعيينى وصيا على القاصر طلبت النيابة تقديم شهادة من الأزهر الشريف بإسلام زوجى المرحوم رغم تقديم صورة طبق الأصل من حكم محكمة الجيزة الابتدائية دائرة الأحــوال الشخصية .

لذلك

حرصا على القاصر والزواج الشرعي الذى تم بينى وبين المرحوم / و . عبدالله ، والذى كان يسمى قبل اعتناقه الإسلام ك .. ت ـ القبرصى الجنسية نلتمس من سيادتكم التكرم باعتماد حكم محكمة الجيزة الابتدائية بشأن إشهار إسلام المذكور ، ومرفق طيه المستندات الدالة على صحة ما ورد بهذا الطلب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مقدمته لسيادتكم

ف . أ . م

وقدمت صورة مصورة من محضر جلسة القضية رقم ... لسنة ١٩٨١ محكمة الجيزة الابتدائية أجانب المرفوعة من ف . أ . م يونس ضد و .. عبدالله .

وقد جاء بهذا المحضر أن طرفى هذه الدعوى قد حضرا ، وقرر المدعى عليه أنه مسلم الديانة ، ونطق الشهادة أمام المحكمة قائلا : وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله» ، وتصادق الطرفان على الزوجية بينهما وأنها استوفت عاجل صداقها ؛ وقررا بترك الخصومة .

كما أرفقت بأوراقها صورة مصورة لحافظة مستنداتها وفيها أن من مستنداتها عقد الزواج العرفى المحرر بينهما فى ... على يد الشهود وبمعرفة المرحوم فضيلة الشيخ م . أ. الذى كان أستاذا بكلية أصول الدين .

(والجواب)

أنه لما كانت صاحبة الشأن هذه قد التمست فى ختام خطابها اعتماد ما جاء بالمحضر فى القضية المرقومة من إقرار زوجها المذكور أنه مسلم ، وكان الثابت بصورة ذلك المحضر أن الزوجين حضرا بالجلسة أمام المحكمة ، وقرر المدعى عليه أنه قد أسلم وأنه مسلم الديانة ، ونطق بالشهادتين ، وتصادق مع الزوجة ـ المدعية ـ على زواجهما ، والدخول بها ، والمعاشرة ، وأنها استوفت عاجل صداقها ، وكان هذا الإقرار من طرفى الدعوى فى محضر جلسة المحكمة ، وفى القضية المرقومة التى هما طرفاها صريح فى ثبوت زواجهما بعد اعتناقه الإسلام على ما تشير إليه بيانات حافظة أوراقها ، وأكد هذا بالنطق فى ذات الجلسة ـ على ما هو ثابت بصورة المحضر المرافق ـ بالشهادتين ، وهما كلمة الإسلام التى يدخل بها غير المسلم دين الإسلام ، ويعتبر بها فى عداد المسلمين ، ما لم يصدر منه ـ حال حياته ـ ما يعتبر به مرتدا عن اعتناق الإسلام دينا .

ولما كان محضر جلسة المحكمة من الأوراق الرسمية وفقا للمادة العاشرة من قانون الإثبات فى المواد المدنية والتجارية رقم ... لسنة ١٩٦٨ التى جرى نصها بأن :

المحررات الرسمية هى التى يثبت فيها موظف عام أو شخص مكلف بخدمة عامة ما تم على يديه ، أو ما تلقاه من ذوى الشأن ، وذلك طبقا للأوضاع القانونية ، وفى حدود سلطته واختصاصه .

وأضافت المادة الحادية عشرة من ذات القانون أن :

المحررات الرسمية حجة على الناس كافة بما دون فيها من أمور قام بها محررها فى حدود مهمته ، أو وقعت من ذوى الشأن فى حضوره ما لم يتبين تزويرها بالطرق المقررة قانونا .

ونصت المادة الثانية عشر من هذا القانون على أنه :

إذا كان أصل المحرر الرسمى موجودا ، فإن صورته الرسمية خطية كانت أو (فوتوغرافية) تكون حجة بالقدر الذى تكون فيه مطابقة للأصل .

وتعتبر الصورة مطابقة للأصل ما لم ينازع فى ذلك أحد الطرفين وفى هذه الحالة تراجع الصورة على الأصل .

وإذ كان هذا : وكانت صورة محضر القضية رقم .. لسنة ١٩٨١ كلى أجانب فى ... قد حوت إقرار طرفيها أمام المحكمة بزواجهما ، وبالدخول وبالمعاشرة ، وبقبض معجل الصداق ، وبأن الزوج مسلم ، وأنه نطق بكلمة الإسلام — أى الشهادتين — أمام المحكمة .

وكان محضر جلسة القضية ورقة رسمية وحجة فيما دون به على هذا الوجه كان حجة — كذلك — فى إثبات إسلام الزوج المرحوم / و .. عبدالله الذى كان يسمى قبل اعتناقه الإسلام — ك .. ت — قبرصى الجنسية — وتجرى عليه من بعد وفاته أحكام الإسلام .

وهذا إذا كان الحال كما ورد فى هذه الأوراق .. والله سبحانه وتعالى أعلم ..

بيان

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

بشأن صيانة المقدسات الإسلامية من العبث

لقد جاء الإسلام محرراً للإنسان من كل لون من ألوان العبودية إلا لله وحده . ودعا الناس إلى التفكير واستخدام عقولهم من أجل خير البشرية وعمارة الكون مادياً ومعنوياً ، وجعل القرآن الكريم الكون كله مجالاً للتفكير البشرى ، كما جاء فى قوله ـ تعالى :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[الجاثية : ١٣] .

وعاب القرآن على هؤلاء الذين يعطلون قواهم العقلية والحسية عن أداء وظيفتها حين قال :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

وهكذا فتح الإسلام الباب على مصراعيه أمام الإنسان لاستخدام كل قدراته الإدراكية من أجل خير الإنسان وبناء الحضارة الإنسانية . فلا حجر على عقل ، ولا مصادرة لفكر يبغى خير الإنسان ، أنى كان وأينما كان .

وقد كفلت الشريعة الإسلامية صيانة عقل الإنسان من محاولة الاعتداء عليه أو إفساده أو الانحراف به بأى شكل من الأشكال ، وجعلت من ذلك أحد المقاصد الشريفة للشريعة الإسلامية التى تشمل : حفظ النفس والعقل والدين والمال والنسل .

ومن المعلوم أن لكل أمة مقدسات تعتز بها ، وعقائد تسرى فى كيانها ، وقيماً تلتف حولها . والعقل السليم والمنطق الرشيد يجعل هذه المقدسات والعقائد والقيم فى أرقى منزلة ؛ وبخاصة إذا كانت هذه المقدسات نصوصاً موحى بها من عند الله لفظاً ومعنى ؛ كالقرآن الكريم ، أو بالمعنى فقط دون اللفظ كما فى السنة النبوية الصحيحة .

وإذا كانت مساحة حرية التفكير والتعبير التى كفلها الإسلام ، تشمل الكون كله فإن دائرة المقدسات الدينية ينبغى أن تصان من كل عبث ، وتنأى عن كل تجريح ، فالمقدسات الدينية تمثل شرف الأمة وعرضها ودينها وعقيدتها . وينبغى احترام شعور جموع الناس الذين يعتزون بها ، ولا يجوز بأى حال من الأحوال التجرؤ عليها أو العبث بها بأى شكل من الأشكال . وإلا أصبحت حرية الفكر والتعبير لوناً من ألوان الفوضى ، وسبيلاً للهدم لا للبناء ، وللتدمير لا للتعمير .

إن الاجتهاد فى أمور الدين حق مكفول لكل عالم مسلم متى توافرت له شروط الاجتهاد ؛ ولكن هذا الاجتهاد - كما هو معروف - مقصور على دائرة الفروع . وحرية البحث العلمى لا تعنى بأى حال من الأحوال التجرؤ على الأصول الدينية فى محاولة لتغييرها ، أو تبديلها أو إلغاء العمل بها . فهذا من شأنه - ليس فقط - الاعتداء على مقدسات الأمة ، بل يعد محاولة لطمس هوية الأمة وتذويب كيانها وإلغاء شخصيتها لمصلحة تيارات فكرية معينة أو أيديولوجيات غربية .

والأزهر - الذى ظل يسهر على حماية مقدسات الأمة طوال أكثر من ألف عام - يناشد المفكرين والعلماء والأدباء ، وكل صاحب قلم أن يتقوا الله فى دينهم وأمتهم وأن يكونوا لها - لا عليها - حراساً أمناء فى الحفاظ على مقدسات أمتهم ، وحمايتها من محاولات تذويب معالمها ، وطمس هويتها ، وضياع شخصيتها فالمتربصون بالأمة الإسلامية كثيرون وجراح الأمة كثيرة ، والفترة التى تمر بها اليوم فترة عصيبة ، تعد من أحرج الفترات التى مرت بها فى تاريخها . ومن هنا فهى فى أشد الحاجة إلى كل جهد يبذل فى سبيل الخروج بها من محنتها ، والأخذ بيدها إلى بر الأمان . والأمل معقود على أبنائها العقلاء فى حمايتها من عبث العابثين وتضليل المضللين ، والله يقول الحق ويهدى السبيل .

مجلــة في جنـوب افريقيـا

إعداد الأستاذ عادل رفاعي خفاجة

الأزهر

SHUKRUL MUBEEN:
LANSDOWNE: CAPE TOWN
Tel: 762-1237, 737-380, 761-2350, 732-485
P.O. Box 24549 Lansdown

READERS ARE REQUESTED TO OBSERVE THE FOLLOWING VERY CAREFULLY:

1. This magazine contains the Qur'anic verses and prophetic sayings of our beloved Muhammad S.A.W. Do not put in places not worthy of the Holy Qur'aan.
2. Do not go into the toilet with this magazine or use it as waste paper.
3. Most articles will be in serial format and it will be easy to refer back to articles. To facilitate this, articles may be filed

دأب الأزهر على إرسال مبعوثيه فى شهر رمضان المبارك إلى كافة أنحاء العالم الإسلامى ، مشاركة منه فى إحياء ليالى الشهر الفضيل بالذكر وتلاوة القرآن الكريم ، استجابة إلى ما يهدى إليه هذا الشهر من رحمة ومغفرة ، ولما يدخل على قلوب المسلمين من البهجة والسرور ، تبوءا لمكانة هو أهل لها .

ولقد وفق الله ـ تعالى ـ فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ؛ فأوفد فى شهر رمضان عام ١٤١٤ هـ مبعوثين إلى جنوب إفريقيا للوعظ والإرشاد ؛ فبدأت أنوار الهدى تشع فى أقصى الجنوب من «كيب تاون» .

ولعله يحسن بنا أن نبدأ الحديث بشيء عن جمهورية جنوب إفريقيا ، نتبعه بحديث عن النشاط الإسلامي في هذه البقعة الفريدة :



الموقع الجغرافي لجمهورية جنوب إفريقيا :

تقع جمهورية جنوب إفريقيا في أقصى جنوب القارة يحدها من الشمال (بتسوانا) ومن الشمال الشرقي (موزمبيق) ومن الشمال الغربي (ناميبيا) ، ويحيط بها المحيط الهندي من الجنوب الشرقي حتى الجنوب الغربي .

المساحة :

تبلغ مساحة البلاد حوالي ١,٢٢١,٠٠٠ كم٢ ، وتعداد السكان : ٢٨,٥٣٣,٠٠٠ نسمة (حسب تعداد ١٩٨٠)[١] ، فإذا اعتبرنا قاعدة الزيادة السكانية فإن العدد سيفوق الـ (٣٤) مليون نسمة .

لمحة تاريخية عن جنوب إفريقيا :

يعتبر قيام (دولة الزولو) بزعامة (شاكا Shaka) أكثر الحوادث أهمية في تاريخ جنوب أفريقيا في القرن التاسع عشر ؛ فقد كانت قبائل « الزولو » و « الناتال » تنتظمها مجتمعات صغيرة حيث كانت هذه المجتمعات لا تزيد عن كونها عشيرة وكان كثير منها لا يقوى على الدفاع عن نفسه ضد جيرانه الأقوياء ، إلا أنه كان هناك أكثر من مائة وحدة سياسية واجتماعية مستقلة برغم ضعفها العسكري وكان يحكم كلا منها زعيم يساعده نائب له ، ومستشارون، ولعل وفرة الأرض هي التي ساعدت على ذلك .

وفي حوالي القرن التاسع عشر زاد عدد السكان في بلاد (الزولو ، والناتال) مما أدى إلى حدوث نزاعات بقصد الاستحواذ على الأرض اللازمة للتوسع ، مما أدى إلى غياب الأمن وشيوع الحروب ، وأدى ذلك بالتالي إلى ضرورة وجود مؤسسات سياسية وعسكرية أفضل ، وكانت الوحدة السياسية الرئيسية بين هذه الوحدات هي « الميثوا » (Methethwa) أو « الأباتتوا » (Abatetwa) التي كان على رأسها « دنجسوايو » (Dingeswayo) تأتي بعدها « الندواندوى » (Ndwandwe) وعلى رأسها « زويدى » (Zwide) و « النجوين » (Ngwane) برئاسة سوبهوزا (Sobhuza) .

كل هذه الوحدات السياسية ظهرت تدعم وجودها بالوسائل العسكرية ، واستطاع

(١) أ.د. محمد عبدالغني سعودي : إفريقية دارسة في شخصية القارة وشخصية الأقاليم ص ١٤٤ مكتبة الأنجلو .

« شاكا » ـ أخيراً ـ إعادة تنظيم كل زئاسات الزولو لتصبح إمبراطورية موحدة قوية[2] .

في سنة ١٧٩٥م هاجمت القوات البريطانية مستعمرة الكيب ، غير أن الاستعمار البريطاني للكيب لم يستمر لأبعد من عام ١٨٠٢م . ثم استولت بريطانيا على الكيب مرة أخرى سنة ١٨٠٦هـ .

الوحدات السياسية[3] :

في سنة ١٨٥٧ كان في جنوب إفريقيا ثمان وحدات سياسية يحكمها الأوروبيون ، ومن بين هذه الوحدات خمس جمهوريات (للبوير) وهي : دولة الأورانج الحرة ، وجمهورية جنوب أفريقيا ، وليدنبرج Lydenburg ، وزتبانسبرج Zoutpansberg ، وأوترخت Utrecht ، أما بقية الوحدات السياسية فكانت مستعمرات بريطانية ، كمستعمرة : الكيب ، والناتال ، وكفراريا البريطانية British of Kaffraria وهي ولاية الأميرة أديلادى السابقة Province of Queen Adelaide .

في عام ١٨٥٨ تم اتحاد جمهوريتي : ليدنبرج وأوترخت وقبلت زوتبانسبرج (Zoutpansberg) دستور جمهورية جنوب افريقيا (الترنسفال) وأعقب هذا اتحاد الجمهوريات الصغيرة مع جمهورية جنوب إفريقيا سنة ١٨٦٠ .

وفي مايو ١٩١٠ أصبحت جنوب افريقيا كياناً واحداً تحت حكومة مركزية واحدة لها برلمان واحد وعلم واحد .

السكان : يشكل الأفريقيون الأصليون أو زنوج « البانتو » أغلبية السكان ، وهم ينتمون إلى الشعبة الجنوبية للبانتو ، ثم العناصر البيضاء ، وغالبيتهم من الهولنديين والأفريكانرز ، ثم الملونون : وهم العناصر التي نتجت عن اختلاط الأوروبيين بنساء الهوتنتوت ، ثم الآسيويون وأغلبهم من الهند .

انظر الجدول التالي للمقارنة بين نسب كل مجموعة وتطورها بين عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٧٠[4] .

نشاط السكان : ويتناول :

١ ـ الزراعة حيث تجود بالبلاد زراعة قصب السكر والذرة العريضة والقمح والشوفان والبطاطس والكروم والزيتون والقطن .

٢ ـ الرعي : حيث يصلح بالبلاد أكثر من إقليم لرعي الأغنام والماشية مثل : إقليم المرتفعات الشرقية ، والسهل الساحلي الجنوبي وإقليم (الكارو) الذي كان يشتهر بتربية النعام .

السنة	البيض	الملونون	الآسيويون	البانتو	المجموع
١٩٦٠	١,٥٠٠,٠٠٠	٥٤٦,٠٠٠	١٦٦,٠٠٠	٤,٧٠٠,٠٠٠	٦,٩٠٠,٠٠٠
١٩٦١	٢,٠٠٠,٠٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠	٤٧٧,٠٠٠	١١,٩٠٠,٠٠٠	١٦,٠٠٠,٠٠٠
١٩٧٠	٣,٧٥٠,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	٦١٠,٠٠٠	١٥,٠٠٠,٠٠٠	٢١,٥٠٠,٠٠٠

(٢) أ.د. جديون. س. وير : تاريخ جنوب افريقيا ترجمة د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ ص ١٠١ ، ص ١٠٣ (بتصرف) دار المريخ ـ الرياض ١٩٨٦ م .

(٣) المرجع السابق .

(٤) أ.د. محمد عبدالغني سعودي : مرجع سابق .



٣ ـ التعدين : حبا الله ـ جل شأنه ـ هذه البلاد بالعديد من المعادن التي في مقدمتها : الذهب والماس ثم القصدير والكروم والحديد والنحاس والمنجنيز . بالاضافة إلى كميات كبيرة من الفحم مما جعلها أغنى دول القارة ، ففي حين نجد أن متوسط نصيب الفرد من الدخل القومي في أفريقيا ١٦٠ دولار في العام ، نجده في جمهورية جنوب أفريقيا يبلغ ٧١٧ دولار(*) .

٤ ـ الصناعة : تتمتع الجمهورية بنهضة صناعية كبرى فيها صناعة الحديد والصلب والمنسوجات ويكفى أن نقول إنها تقدم ٤٠ ٪ من الإنتاج الصناعى لأفريقيا .

الأزهر في جنوب أفريقيا :

ويشاء الله ـ عز وجل ـ أن يطأ أرض هذا البلد الذى حباه الله بهذا الخير شيخان أزهريان ؛ للوعظ والإرشاد والتعليم بين صفوف المسلمين ، وهناك زارا عدداً من المساجد والمستشفيات في « كيب تاون » (Cape Town) ، وقد أوضح أحدهما وهو د. على فرج(*) ـ بتوفيق من الله ـ لفضيلة الإمام الأكبر رغبة المسلمين هناك في أن يكون لأبنائهم معهد أزهرى لتدريس الدين واللغة العربية . وبعد لقاء تم بين فضيلة الإمام وبين المسلمين من جنوب أفريقيا شاءت إرادة الله ـ تعالى ـ أن يتم إنشاء (معهد كيب تاون الأزهرى) في السابع عشر من يناير ١٩٩٥م ،



فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

الذى ضم في البداية سبعين طالبا وطالبة ، ازدادوا إلى مائة وستة عشر طالبا وطالبة .

مع ميلاد هذا المعهد الأزهرى ولدت ـ أيضاً ـ مجلة الأزهر ـ في (كيب تاون) تحمل نفس الاسم الذى تحمله هذه المجلة ، ويعد هذا المقال احتفاء بميلادها . وقد وددنا أن يطلع قراء « مجلة الأزهر » الأم على هذه المجلة التي تخطو خطواتها الوليدة في عددها الأول .

صدرت مجلة « الأزهر » في كيب تاون تحمل نفس صورة غلاف « مجلة الأزهر » التي تصدر بالقاهرة ؛ لتؤكد هذه الصلة الطيبة ، وبها مقالات

(*) الدكتور على محمد حسن فرج من مواليد عام ١٩٥٧ حصل على الثانوية الأزهرية محتلا المركز الأول على مستوى الجمهورية وتخرج في كلية طب الأزهر سنة ١٩٨١ بتقدير جيد جدا وحصل على الماجستير سنة ١٩٨٧ والدكتوراه سنة ١٩٩٣ ، كما حصل على ليسانس الدعوة مما أهله للحصول على الماجستير من كلية أصول الدين .

(*) المرجع السابق ص ٣٨٢ .



فضيلة الإمام الأكبر يوقع عقد إنشاء المعهد الأزهرى - فرع - كيب تاون من اليسار إلى اليمين : الشيخ شهيد عيسوى ، والشيخ جاميت جابر من الـ (إم. جي. سي) وفضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ثم الدكتور على فرج مسئول المعهد الأزهرى بكيب تاون .





Sheikh Al-Azhar Gadul Haq Aly Gadul Haq signing the contract of Al-Azhar branch Cape Town. From left to right: Sheikh Shaheed Esau, Sheikh Gamiet Gabier (M.J.C.), Sheikh Fawzy Fadel (General Secretary - Al-Azhar), Dr Ali Farag (Principal of Al-Azhar Institute Cape Town)



The Al-Azhar Institute, Lansdowne, Cape Town.

المعهد الأزهـرى فى لانس دون - كيب تاون .

عدة ، فتحمل افتتاحية العدد عنوان The Illustrious Azhar « الأزهر الشريف » ، متناولة تاريخ إنشائه ، وسبب تسميته (الجامع الأزهر) ونسبة التسمية إلى السيدة فاطمة الزهراء - رضى الله تعالى عنها - ابنة رسول الله محمد ﷺ ، ثم حديثا عن نظام الدراسة فى الأزهر قديماً ، وحلقات التعليم ، وعنه حديثاً وما يضمه

من كليات مختلفة تخصصت فى العلوم الشرعية والعربية ، وأخرى لتدريس علوم الطب والزراعة والهندسة واللغات .. الخ .

وإن هذه الكليات تمنح الدرجات العلمية المختلفة : البكالوريوس والماجستير والدكتوراه .

ثم عرج المقال إلى المعاهد الأزهرية التى تنتشر فى قرى مصر والتى بلغ عددها ٥,٧٠٠ معهد





مناقشة مشروع كيب تاون الأزهرى بالقاهرة .

Discussing Al-Azhar Cape Town Project in Cairo.



: علي فرج يلقي كلمته في اجتماع الآباء والمدرسين .

Dr Ali Farag (Egyptian) addressing the Parent - Teacher Meeting at M.J.C. offices.

يدرس فيها الطلاب العلوم الشرعية والعربية . وأوضح المقال أن الأزهر يخصص معاهد للفتيات . كما يخصص معاهد للوافدين من الدول الإسلامية وغير الإسلامية .

وتناول المقال التعريف بمجمع البحوث الإسلامية والإدارات التابعة له .

ثم تناول المقال الثانى فى الحديث عن معهد « كيب تاون الأزهرى » الحاجة الداعية إليه



(Knowledge from early age).
Dr Ali Farag conducting an Arabic lesson to the first group of Al-Azhar pupils.

د/ على فرج يشرح درساً فى اللغة العربية لأول مجموعة من تلاميذ الأزهر .

والظروف التى أدت إلى مولد هذا المعهد بفضل الله وحده ـ عز وجل ـ واختتم المقال بحديث عن الطموحات والآمال المقبلة حتى يتمكن فرع الأزهر فى (كيب تاون) من خدمة أبناء المسلمين فى البلاد المجاورة مثل : « زيمبابوى » ، و « زامبيا » و « ليسوتو » .

وقد أشاد المسئولون عن إصدار المجلة بالجهد الواضح للدكتور على فرج .

حفلت المجلة بموضوعات إسلامية عدة كان منها كلمة عن آداب الاستئذان ص٣ ، بقلم السيدة ميمونة سولومون ـ خريجة كلية الشريعة ، جامعة الأزهر ـ بالقاهرة ـ تناولت فيها قول الله ـ تعالى ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ بالشرح مستشهدة بحديث نبوى شريف عن



الشيخة ميمونة سولومون .

By
SHEIKAH
MAIMONA
SOLOMON
(Hon B.A.)

الاستئذان وأتبعته بتعريف عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ راوى الحديث .

ثم مقال عيد الأضحى المبارك وأحكام الأضحية ص ٣ .

وأشاد الشيخ إمام حسن موسى ص (٤) بالإنجاز لهذا المعهد الذى يعد النواة التى تنطلق منه

(The children practising the Islamic Aqeedah)

Al-Azhar pupils making Thoer salaah led by principal Dr Ali Farag in Shukrul Mubeen Masjid.

د / علي فرج يؤم التلاميذ في مسجد « شكر المبين »

الدعوة الإسلامية بإذن الله ـ تعالى ـ في هذا القطر .

كذلك حوى العدد مقالاً بعنوان « مصر بلد الأزهر الشريف » تناول فيه كاتبه تعريفاً بموقع مصر الجغرافي وعدد سكانها والأماكن الأثرية بها عبر عصورها المختلفة ، وأشاد بذكر مصر الوارد أكثر من مرة في القرآن الكريم ، والأنبياء الذين كان لهم وجود في مصر ـ عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

ومقال عن «أهمية المعرفة في حياة المسلم» ساق عدداً من الآيات استشهاداً على رفعة أولي العلم ، وحث المسلمين على طلب العلم .

ويعتبر مقال « المعجزات العلمية في القرآن » ص ٥ من أمتع المقالات التي تناول فيها الكاتب ـ بشيء من التفصيل ـ شرح مكونات « الخلية الجنسية » لكل من الذكر والأنثى وما تحمل من (كروموسومات) .

ويحيل القارئ إلى قول الله ـ عز وجل ـ

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ القيامة

ثم نطالع مقالاً : عن تاريخ « القرآن الكريم » تكلم عن جمع القرآن وفضله ، وأنه معجزة الله الخالدة التي لم تتبدل ولم تتغير .

أما درس تعليم اللغة العربية .

فقد اقتصر على التعرف على الأبجدية العربية .

وفي صفحة ٧ حوت المجلة . ترجمة عن الفصل الأول من كتاب للدكتور مصطفى محمود .



Historical photo of the first pupils, principal and teachers of Al-Azhar Cape Town
(one of the International Islamic activities of Sheikh Al-Azhar)

صورة تذكارية للمجموعة الأولى من الطلاب مع المدرسين والدكتور على فرج بمعهد كيب تاون الأزهرى (أحد النشاطات العالمية لفضيلة الإمام الأكبر) .

وتختم المجلة موضوعاتها على غلافها الأخير بحديث عن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق . وبعض الفتاوى التى يجيب عنها فضيلته .

ومن أجمل ما اهتمت به المجلة فى صدر صفحتها الأولى تنبيه رقيق للقراء يلفت أنظارهم إلى محتويات المجلة من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة مما يجب معه عدم الدخول بها إلى أماكن الخلاء والحمامات .. أو استخدامها كورق مهمل.. وإرشادهم إلى المقالات التى تتابع أجزاؤها ويمكن وضعها فى النهاية من كل عام مثلا – فى ملف ليسهل الرجوع إليها .

وبعد :

فتلك بداية نسأل الله – سبحانه – أن يؤيدها قوة ودواما لتؤتى ثمارها الطيبة – بإذن الله تعالى .

مع سورة «يس»

للأستاذ الدكتور إبراهيم الدسوقى محمد خميس

زمن نزولها ومكانه

نزلت بمكة قبل الهجرة ، قيل : إلا قوله ـ تعالى ـ : ﴿إنا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ فمدنية ، نزلت فى (بنى سلمة) . كانت بيوتهم بعيدة عن مسجد الرسول ﷺ فأرادوا أن ينتقلوا قريباً منه ؛ فمنعهم الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ من ذلك وقال : « إن آثاركم تكتب » ونزلت الآية .

والصحيح أن هذه الآية مكية وحادثة بنى سلمة لا تدل على مدنيتها ، ولكن استشهد بها النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ على عظم ثواب كثرة الخطا إلى المساجد .

سورة « يس » هى : الحادية والأربعون فى ترتيب النزول ، نزلت بعد « قل أوحى » ، وقبل سورة « الفرقان » ، وهى ثلاث وثمانون آية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة ، وثلاثة آلاف حرف .

مناسبتها لما قبلها :

لصلة هذه السورة بما قبلها مناسبات كثيرة تظهر للمتأمل أذكر منها :

أولا : جاء فى سورة « فاطر » قولـه ـ تعالى ـ : « وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ » ٣٧ وقولـه ـ تعالى ـ : « وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ » ٤٢ .

وفى سورة « يس » بيان ذلك النذير ـ وهو محمد ﷺ ، وبيان إعراضهم عنه وتكذيبهم له ، وقد افتتحت السورة بالقسم على صحة رسالته ، وأنه على صراط مستقيم ، وأنه أرسل لينذر قوماً ما أنذر آباؤهم .

ثانياً : كلتا السورتين ذكرت بعض أدلة القدرة الإلهية الكونية ، وإن اختلفتا فى عرضها بما يناسب السياق .

أسماء السورة :

مما ينبغي التنبيه إليه أن أسماء السور توقيفية بلّغها جبريل – على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام – للنبي ﷺ ، وأن السورة تسمى بأغرب شيء فيها ، والاسم الذى اشتهرت به هذه السورة « يس » ، وسيق لها أسماء أخر بأدلة واهية ، إن لم تكن موضوعة ، منها (المعمة) ، و (الدافعة) و (القاضية) . وكلها لا تثبت .

فضل سورة « يس » :

هذه السورة وقع متميز فى نفوس المسلمين ورث الخلف عن السلف . فكثير منهم يقرؤها فى الصباح والمساء ، وتقرأ على المريض للشفاء وعلى المحتضر لتيسير خروج الروح ، والقائلون بهذا يستدلون على زعمهم بأحاديث لم ترق إلى درجة الصحة ، ولكن كثرتها تجعلها من قبيل الحسن ، وإليك بعض هذه الأحاديث :

روى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن « يس » ».

وعنه أيضاً عن النبى ﷺ « من قرأ « يس » فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له فى تلك الليلة » وإسناده فى صحيح ابن حبان هكذا .

وعن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال : « يس » قلب القرآن ، لا يقرؤها عبد يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له ما تقدم من ذنبه فاقرءوها على موتاكم .. » أى عند الاحتضار .

وعن ابن عباس قال : قال النبى ﷺ فى سورة « يس » « لوددت أنها فى قلب كل إنسان من أمتى ».

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « من داوم على قراءة « يس » كل ليلة ثم مات مات شهيداً » .

وعن ابن عباس قال : من قرأ « يس » – حين يصبح – أعطى يسر يومه حتى يمسى ، ومن قرأها فى صدر ليلته أعطى يسر ليلته حتى يصبح .

وأرى أنه لا مانع من الأخذ بهذه الأحاديث ؛ لأن المسلم إذا قرأ القرآن كان ذلك أرجى أن يستجاب له .

الموضوع الرئيسى لسورة « يس » :

موضوع هذه السورة كغيرها من السور المكية ، وهو : بناء العقيدة بعناصرها الثلاث : وحدانية الله ، وإثبات رسالة الرسل ، وحقيقة اليوم الآخر .

وقضايا العقيدة – وإن تكررت فى السور المكية كلها – إلا أنها تعرض فى كل سورة من زاوية معينة تحت ضوء معين مصحوبة بمؤثرات تناسب جوها وتتناسق مع إيقاعها وصورها .

« وللفيروز بادى » كلام جيد فيما احتوته السورة من موضوعات يحسن ذكره هنا ، قال – رحمه الله – :

معظم مقصود سورة « يس » تأكيد أمر القرآن والرسالة وإلزام الحجة على أهل الضلالة . وضرب المثل بأهل (قرية أنطاكية) فى قوله – تعالى : « وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ » ، وذكر قصة (حبيب النجار) الذى جاء من أقصى المدينة يسعى ، وبيان البراهين المختلفة فى إحياء الأرض الميتة ، وإبداء الليل والنهار ، وسير الكواكب ودوران الأفلاك ،

وجرى الجوارى المنشآت فى البحار ، وذلة الكفار عند الموت ، وحيرتهم ساعة البعث وسعادة المؤمنين المطيعين ، وشغلهم فى الجنة ، وتمييز المؤمن من الكافر فى القيامة ، وشهادة الجوارح على أهل المعاصى بمعاصيهم ، والمنة على الرسول ﷺ بصيانته من الشعر ونظمه ، وإقامة البرهان على البعث ، ونفاذ أمر الحق فى (كن فيكون) ، وكمال ملك ذى الجلال على كل حال فى قوله ـ سبحانه : « فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » .

بصائر ذوى التمييز جـ١/٣١٠ بتصرف .

التفسير :

يقول الله ـ تعالى ـ : « **يس . والقرآن الحكيم** » .

أقوال العلماء فى المراد من الأحرف المقطعة فى أوائل بعض سور القرآن الكريم . السور التى بدئت بالأحرف المقطعة هى :

البقرة ، آل عمران ، الأعراف ، يونس ، هود ، يوسف ، الرعد ، إبراهيم ، الحجر ، مريم ، طه ، الشعراء ، النمل ، القصص ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة ، يس ، ص ، غافر ، فصلت ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف ، ق ، ن . وكلها مكية إلا سورتى : البقرة ، وآل عمران فمدنيتان ، وقد اختلف المفسرون فى المراد من هذه الأحرف اختلافاً كبيراً ، وقد ألفت فى هذا الشأن كتب مستقلة ، وهذه الأقوال على كثرتها ترجع إلى أمرين هما : هل هذه الأحرف من المتشابه أو من المحكم ؟

يرى سلف هذه الأمة أنها من المتشابه الذى استأثر الله بعلم معناه ، ولم يُطلع عليه أحداً من خلقه ، لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلا ، وينسب هذا القول إلى الخلفاء الأربعة .

وقال عامر الشعبى وسفيان الثورى وجماعة من المحدثين هى : سر الله فى القرآن . ولله فى كل كتاب من كتبه سر . فهى من المتشابه الذى انفرد الله ـ تعالى ـ بعلمه ولا يجب أن يتكلم فيها . ويستفاد من هذا أن حروفاً من القرآن سترت معانيها عن جميع العالم اختباراً من الله ـ عز وجل ـ وامتحاناً ؛ فمن آمن بها أثيب وسعد ، ومن كفر وشك أثم وبعد .

وقال الخلف : إن هذه الأحرف من المحكم الذى يمكن الوصول إلى علم معناها .

وقد اختلفوا فى ذلك على أقوال عديدة نقدم منها الخلاصة فى قول : أكثر العلماء وعلى رأسهم « الزمخشرى » فى « كشافه » يرون أن هذه الأحرف تنبيه إلى التحدى والإعجاز وإثبات أن هذا القرآن من عند الله ـ تعالى ـ لا من عند محمد ﷺ .

قال « قطرب » و « الفراء » ، وغيرهما هى : إشارة إلى حروف الهجاء أعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف هى التى فيها بناء كلامهم ليكون عجزهم عنه أبلغ فى الحجة عليهم إذ لم يخرج عن كلامهم .

وقال « قطرب » : كانوا ينفرون عند استماع القرآن فلما سمعوا « الم » و « المص » استنكروا هذا اللفظ فلما أنصتوا له ﷺ أقبل عليهم بالقرآن

المؤلف ليثبته فى أسماعهم وآذانهم ويقيم الحجة عليهم .

القرطبى حـ١ ص١٧٣ .

وهذا القول أجدر بالقبول ؛ لأنه ما من سورة بدئت بهذه الأحرف إلا ويأتى بعدها الحديث عن القرآن ، ومن الأقوال التى ذكرت فى المراد من هذه الأحرف أنها : أسماء للسور .

قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : إنما هى أسماء للسور المبتدأة بها .

وقال مجاهد : إن هذه الأحرف فواتح افتتح الله بها القرآن ، وهذا القول مردود ؛ لأن من شأن العلم أن يعين مسماه وهو غير حاصل ، لأن ذكر هذه الأحرف لا يعين مسمى السورة .

وجاء عن ابن عباس فى معنى : « الم » أنا « الله أعلم » ، وهذا مردود ـ أيضاً ـ لأنه يؤدى إلى أن فى القرآن ألغازاً وأحاجى ، وليس من أهداف نزول القرآن أن يكون كذلك بل هو قرآن بين .

قال ـ تعالى ـ : « حم . **والكتاب المبين** »

وقال ـ تعالى ـ : « **ولقد يسرنا القـرآن للذكر** » ، ومن الأقوال المردودة أن هذه الأحرف بيان لعمر النبى ﷺ ومن قال بهذا أبعد النجعة .

ويرى بعض العلماء أن معنى : « يس » يا إنسان فى لغة طىء ، وأصله يا أنيسين فاقتصر على شطر لكثرة النداء به وهو مردود كذلك ؛ لأن هذا يؤدى إلى اشتمال القرآن على الأحاجى والألغاز ، وقد أبطلنا ذلك فيما سبق .

وقال آخرون : إن « يس » اسم من أسماء النبى ﷺ ويستدل صاحب هذا القول بحديث : « إن الله سمانى فى القرآن بسبعة أسماء : محمد ، وأحمد ، وطه ، ويس ، والمزمل ، والمدثر ، وعبدالله » .

وهذا باطل ـ أيضاً ـ لأنه يؤدى إلى تصغير اسم النبى والأسماء المعظمة لا تصغر .

هذا والحديث الذى استدل به على هذا القول ضعيف بل قال :

ابن العربى فى « أحكام القرآن » عن ابن عباس هذا الحديث لا يصح .

ومهما يكن من شىء فما ذكرته فى المراد من الأحرف المقطعة قليل من كثير .

(يتبع)

إنما الحَلِف حنث أو ندم

للأستاذ الدكتور : محمود سالم الخطيب

ينابيع الهدى :

روى ابن ماجه ـ رحمه الله تعالى ـ قال :

« حدثنا علي بن محمد .. حدثنا أبومعاوية ، عن بَشار بن كِدام ، عن محمد بن زيد ، عن ابن عُمر قال .. قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« إنما الْحَلِف حِنْثٌ أو ندم » .

ورواه ابن حبان ـ رحمه الله تعالى ـ في صحيحه فقال : « أخبرنا الحسن بن سفيان قال : حدثنا أبو الشعثاء هو علي بن الحسين الواسطي قال : حدثنا أبو معاوية » .. إلى تمام السند فالحديث الشريف بنصه .

وجاء في « شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير » للعلامة العزيزي في المبدوء بـ « إنما » نصه .. قال شارحه : قال الشيخ : حديث صحيح .(1)

عبدالله بن عُمر ـ رضي الله عنه ـ :

هو عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ولد سنة ثلاث من المبعث النبوي ، من السابقين في الإسلام ، شهد مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ غزوة الخندق وما بعدها ولم يقبل في (بدر) ولا في (أحد) لصغر سنه إذ ذاك ، وكان من زهاد الصحابة وعبادهم وأعلامهم وأجوادهم وعقلائهم ، ومن المكثرين في رواية الحديث ، أخذ بفقهه أهل المدينة ، وتفرع عنه مذهب الإمام مالك ـ رضي الله عنه ـ وتوفي ـ رضي الله عنه ـ سنة ٧٣ هـ ، وكانت سنه ٨٧ سنة .

اللغـة :

الْحَلِفُ : هو اليمين ، حَلَفَ يحلِف حَلِفاً وحَلْفاً ومَحْلوفاً ، و (محلوفا) بزنة المفعول مصدر هنا ، فهو أحَدُ ما جاء من المصادر على (مفعول) مثل : المجلود والمعقـول والمعسور والميسور .

والمراد : اليمين ذات العقد بالعزم والنية ، إذ اليمين غير المصحوبة بالعزم والنية لغو ، لا شيء فيها قال ـ تعالى ـ :

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ﴾

سورة المائدة ـ آية : ٨٩

---

(1) سنن ابن ماجه ٦٨٠/١ ط عيسى الحلبي ١٣٧٢/ ١٩٥٢ ، وانظر بلبان الفارسي : الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٢٧٧/٦ ـ دار الكتب العلمية ط أولى ١٤٠٧/ ١٩٨٧ . هذا وبشار بن كدام ضعفه أبوزرعة فقط ، وليس هو من الوضاعين ، وقد قبلوا حديثه واعتبروه صحيحا .

حَنِثَ : الحِنْثُ فى اليمين نقضها والنكث فيها ، يقال : حَنِثَ فى يمينه : إذا لم يفعل المحلوف عليه ، وكأنه من الحنث : الإثم والمعصية .

ندم : ندم يندم ، كتعب يتعب : أسف لما فعله(٢) .

وبعد :

فإن هذا الحديث يتعلق باليمين التى يعزم عليه المسلم أو المسلمة قاصدا مضمونها بنية أن يفعل شيئا ، أو لا يفعله ، وهى اليمين المنعقدة المقابلة ليمين اللغو التى سبقت الإشارة إليها .

كذلك نغني عن البيان الحديث عن اليمين الفاجرة التى يحلف فيها المرء بالله ـ تعالى ـ على أمر ، وهو يعلم أن الحق خلافه ، وهى اليمين الغموس التى تغمس صاحبها فى النار بسبب ما تؤدى إليه من أذى جسيم للناس فى أموالها وأملاكها فتـدر الديـار بلاقـع ـ أى خراب ـ بما فيها من زور وبهتان .

روى البخارى ـ من حديث ابن عمر :

جاء أعرابى إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يا رسول الله : ما الكبائر ؟ فذكر الحديث ، وفيه : « اليمين الغموس » وفيه : قلت ـ : ما اليمين الغموس ؟ قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : الذى يقتطع بها مال امرىء مسلم هو فيها كاذب .. الحديث .

والحديث الشريف الذى معنا هو ـ والله أعلم ـ يتناول فيما يتناول اليمين المنعقدة التى ذكرها المولى ـ سبحانه ـ فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

سورة المائدة

فى الحق أن اليمين المنعقدة لا تصدر عن مسلم أو مسلمة ، وهما على حال سويّة ، إنما تصدر فى حال انفعالى ما .. انفعال قد يملك المرء معه زمام نفسه ، أو تنفلت منه السيطرة عليها ، فهو انفعال متفاوت الدرجات ، بما يحمله من غضب وسخط أو رضا وغبطة ، وربما تجاوز أمره إلى إحداث أثر مادى قد يكون ضارا كمن يضرب زوجه ، أو يثور فتمتد يده إلى تخريب أداة منزلية ، وقد يكون سارًا كأن يحمل يمينه وعدا بأداء هدية أو مكافأة .. الخ .

كل ذلك يصدر من الحالف فيلزم نفسه ـ مقسما ـ بالله سبحانه ـ بعمل شىء أو الامتناع عن شىء ، وهو على حاله هذه يسير عليه جدا أن يقسم بالامتناع عن خير ، وما أكثر الأزواج الذين يحلفون على زوجاتهم بالامتناع عن زيارة آبائهن وذوى أرحامهن ، أو يحلف نفس اليمين بألا يزور أخاه أو أخته وما إلى ذلك فإن أمضى يمينه أثم ، لما فى ذلك من قطيعة رحم ، أو تخالف زوجه مقتضى يمينه فتزور أهلها ، ويقع الطلاق .

وقد يكون آخر طلقة لا تجد لها حلا ، ويعقبها ما يعقبها من أذى بليغ للأبناء يلازمهم العُمر كله ،

(٢) راجع فى اللغويات المواد بـ : بالنهاية لغريب الحديث ، والقاموس المحيط ، والمصباح والوسيط .

ويمتد أثره النفسي إلى حياتهم من بعد ، وكم في ذلك من ندم مرير .

كذلك لن يمر إلزام الحالف نفسه بعمل ما من ضيق وألم وندم حين يعسر عليه أداء ما حلف عليه ، وإذا الحالف - في النهاية - حانث إن فعل ما حلف ألا يفعله ، أو نادم إن أصر على ألا يفعل ما أقسم ألا يفعل من خير .

قال العلامة العزيزي في شرحه للحديث :

الظاهر أن المراد : حِنْثٌ إن فعلت ، أو ندم إن لم تفعل .

ولا شك أن بعض الأيمان خير للحالف بها - رجلا أو امرأة - إن أراد الخير أن يفعله ما حلف على تركه ويكفر عن يمينه - قال الله - تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ .

سورة البقرة - آية : ٢٢٤

وفي الحديث الشريف المتفق عليه قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« والله لأنْ يَلَجَّ أحدُكُمْ بيمينه - في أهله - آثم له عند الله مِنْ أن يُعطِي كفارته التي افترض الله عليه » رواه أحمد عن أبي هريرة .

تعني الآية الكريمة : « لا تجعلوا الله حاجزا - لأجل حلفكم به - عن البر والتقوى والإصلاح بين الناس ، وكذلك يعني الحديث الشريف ، إذ معنى « يَلَجّ بيمينه » أي يصر على تنفيذها ، وفي ذلك ما فيه من ضرر أو قطيعة رحم ففي إصراره إثم ، ولئن فعل ما حلف ، على تركه وكفَّر عن يمينه لكان خيرا له .

وقال رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - :

« إذا حلفت على يمين ، فرأيت غيرها خيرا منها فأْتِ الذي هو خير ، وكَفِّرْ عن يمينك - عن عبدالرحمن بن سمرة ، رواه النسائي وأبوداود .

* * *

ولا يخلو الحلف من خطر ؛ وخير للمسلم والمسلمة ألا يحلف إلا مضطرا ، وهو وَاعٍ محتاط لما يقول ، مستش في يمينه ، فيخرج سليما من كل مأزق ، وأيضا فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - يرشد من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد رسولا ونبيا أن لا يحلف بغير الله .

قال - عليه الصلاة والسلام - فيما رواه ابن عمر .. « سمع عمر يحلف بأبيه فقال : إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو يصمت » . رواه البخاري ومسلم .

وعن أبي هريرة قال رسول الله - عليه الصلاة والسلام - : (لا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون) رواه النسائي .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله) رواه البخاري ومسلم .

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

(من حلف بغير الله فقد كفر) أخرجه أبوداود والترمذي والحاكم .

وبعد أن علم المسلم بهذه الأحاديث التي تحذره الكذب في يمينه ، أو الحنث فيها ، أو ما يترتب عليها معصية الله ، أو ندم على فعله ، فإن عليه أن ينزجر عن الحلف وكثرة الأيمان جزافا احتياطا لدينه ، وتقوى لله في إيمانه .

وفق الله المسلمين الأخذ بكتاب ربهم والسير على نهج سنة نبيهم - عليه الصلاة والسلام .

قبــس
من أنوار
النبــوة

كيف نشكر الله على نعمائه ؟

لفضيلة الشيخ على حامد عبدالرحيم

عن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سئل عن صوم يوم الاثنين ، قال : « ذلك يوم ولدت فيه ، ويوم بعثت فيه ، أو يوم أنزل عليَّ فيه »
رواه مسلم . .

إن لله ـ عز وجل ـ نعماً كثيرة لا تعد ولا تحصى ، ولا يحيط بها العد ولا الحصر ؛ فالله ـ سبحانه :

له منــن لا منتهى لكبارهـــا ومنته الصغرى أجل من الدهــر

وقد أوجب الله على العباد أن يشكروه بأفضل القربات ، وأنواع الطاعات ، لكن الإنسان كثيرا مايتحرف عن الفطرة السوية ، يقابل النعمة بالكفران والجحود ، فتراه عندما يُعطى نعمة من نعم الله عليه ؛ يقيم الأفراح التي تدق فيها الطبول ، وتحتسى فيها الخمور ـ كما فعل أبو جهل عندما طلب إليه الرجوع إلى مكة بعد نجاة قافلة أبي سفيان فقال : « والله لا نرجع حتى نرد بدرا فننحر الجزور ، ونشرب الخمور وتغنى لنا القيان . . »

كثير من الناس يقابلون نعم الله عليهم ـ بمنطق الجاهلية الأولى كما جاء في الحديث القدسي ـ الذى رواه الشيخ الشنقيطى فى كتابه : « زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم » من قول الله ـ تعالى ـ : إنى والجن والإنس فى نبأ عظيم ، أخلق ويعبد غيرى ، وأرزق ويشكر سواى ، خيرى إلى العباد نازل ، وشرهم إلى صاعد ،

أتحبب إليهم بنعمتى ، وأنا الغنى عنهم ، ويتبغضون إلىّ بالمعاصى ـ وهم أحوج شىء إلىّ .. » .

كثير من الناس ينسى أو يتناسى شكر من خلق ورزق ، وأعطى ومنح ؛ فيفعل الخير رياء ومظهرة . أو لهوى فى النفس ، أو غيرهما مما يضيع ثواب الأعمال الصالحة .

وما أروع قول سليمان ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فى دعائه : ﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ﴾ سورة النمل ١٩ .

فليس كل عمل صالح مقبول ، إنما للقبول أسبابه ودواعيه .

روى الطبرانى عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ . قال : « إذا كان آخر الزمان صارت أمتى ثلاث فرق : فرقة يعبدون الله خالصا .

وفرقة يعبدون الله رياء .

وفرقة يعبدون ليستأكلوا به الناس . فإذا جمعهم الله يوم القيامة قال ـ للذى يستأكل الناس : بعزتى وجلالى ما أردت بعبادتى ؟ فيقول : وعزتك وجلالك أستأكل به الناس .

قال : لم ينفعك ما جمعت ، انطلقوا به إلى النار .

ثم يقول ـ للذى كان يعبد رياء : بعزتى وجلالى ما أردت بعبادتى ؟

قال : بعزتك وجلالك رياء الناس . قال : لم يصعد إلىّ منه شىء . انطلقوا به إلى النار . ثم يقول للذى كان يعبده خالصا : بعزتى وجلالى ما أردت بعبادتى ؟ قال بعزتك وجلالك أنت أعلم بذلك من أردت به . أردت به ذكرك ووجهك . قال : صدق عبدى انطلقوا به إلى الجنة .

إن رسول الله ـ ﷺ فى حديث المقال ـ يعلم أمته كيف يكون شكر الله على نعمه ، وأن كل نعمة من نعم الله ـ سبحانه وتعالى ـ لها شكرها من نوعها .

ومن هذه النعم : يومان هما من أعظم النعم التى أنعم الله بها على الإنسان عامة ، وعلى الأمة الإسلامية خاصة . حيث سعد الوجود بسيد الوجود ﷺ ، وحيث أرسله الله رحمة للعالمين .

إن يوم الاثنين حدثت فيه نعم جليلة جعلت له منزلة رفيعة ميزته على غيره من سائر الأيام ، فكان صيامه تكريما وتمجيدا لما ارتبط به من الذكريات الغالية ، وقياما بمزيد من الطاعة فيه شكراً لله على نعمه وسابغ فضله . روى عن طريق عائشة ـ أم المؤمنين ـ وأبى هريرة ، وأسامة بن زيد : أن النبى ﷺ : كان يتحرى صيام يوم الاثنين ، ولما سئل عن ذلك قال : ذاك يوم ولدت فيه وأنزلت علىّ فيه النبوة .

كما كان ﷺ يصوم الاثنين والخميس . ولما سئل عن ذلك ؛ قال ـ فيما رواه الترمذى ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه : « عرض الأعمال يوم الاثنين والخميس ؛ فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم » .

كذلك كان ﷺ يرغب فى صيام الأيام الفاضلة التى تجدد فيها النعم ، روى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ : قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء ، فقال لهم : ما هذا اليوم الذى تصومونه ؟ فقالوا هذا يوم عظيم نجى الله فيه موسى وقومه ، وأغرق فرعون وقومه ؛ فصامه موسى

شكرا ، فنحن نصومه . فقال ﷺ : نحن أحق وأولى بموسى منكم ، فصامه وأمر بصيامه .

ومثل هذا ترغيبه ﷺ فى صيام شعبان وما تيسر منه ، فقد سأله أسامة بن زيد - رضى الله عنه - فقال : قلت يارسول الله ، لم أرك تصوم من شهر من الشهور ، ما تصوم من شعبان ؟ قال : ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » رواه النسائى .

نعم الله على عباده

إن الرسول - عليـــه الصلاة والسلام - يعلمنا : أن أجل نعم الله على عباده نعمة الإسلام ، فهى نعمة التوحيد ، روى ابن أبى الدنيا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد : « وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » ، قال : « لا إله إلا الله » فهى نعمة ظاهرة وباطنة ؛ لأنها اعتقاد بالقلب ونطق باللسان . ومن وفق إلى الإيمان الصحيح فقد حاز أجل النعم . ولقد كان هدى رسول الله واضحا جليا . فى : « أن لكل نعمة ولكل جارحة شكرا » .

قال رجل لأبى حازم - فيما رواه ابن أبى الدنيا - ما شكر العينين ؟ قال : إن رأيت بهما خيرا أعلنته ، وإن رأيت بهما شرا سترته .

قال : فما شكر اليدين ؟ قال : لا تأخذ بهما ما ليس لهما ، ولا تمنع حقا لله هو فيهما .

قال : فما شكر الأذنين ؟ قال : إن سمعت بهما خيرا وعيته ، وإن سمعت بهما شرا دفنته .

قال : فما شكر البطن ؟ قال : أن يكون أسفله طعاما وأعلاه علما .

قال فما شكر الفروج . قال : كما قال الله - عز وجل - ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ (٧) ﴾

سورة المؤمنون

قال : فما شكر الرجلين ؟ قال : إن رأيت حيا غبطته - أى وجدت له عملا صالحا أحببت أن يكون لك مثله - وإن رأيت ميتا مقته - أى أبغضت أعمالا سيئة يقوم بها - وأنت شاكر لله - عز وجل .

فأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه . فمثله كمثل رجل له كساء ، فأخذ بطرفه ولم يلبسه . فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد .

عن المغيرة بن شعبة - رضى الله عنه - قال : فيما رواه ابن أبى الدنيا : قام النبى ﷺ حتى انتفخت قدماه ، فقيل له : يا نبى الله تكلف هذا وقد غفر لك ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . واجعلنا من عبـــادك الذاكريـــن الشاكرين .

الخطبة الجامعة في حجة الوداع

لفضيلة الشيخ / محمد زين العابدين العدازى

فى السنة العاشرة للهجرة ولخمس ليال بقين من شهر ذى القعدة أخذ رسول الله ﷺ فى التجهز للحج ، وأذن فى الناس بذلك ، فصادفت الدعوة هوى فى نفوس المسلمين ، وجاء الناس من كل فج وصوب من القرى والبوادى ، والوديان والصحارى ، مشاة وركبانا ؛ تدفعهم الرغبة الصادقة فى حج بيت الله ، مهوى القلوب ومثابة الناس ، والحرص على أن يحظى كل منهم بشرف مصاحبة سيدنا رسول الله ﷺ ، والنظر إليه ، والسماع عنه ، جاءوا جميعا ، وقد وحد الإسلام بينهم ، بعد أن كانوا متفرقين ، أعداء متنابذين .

وفى هذه الألوف المؤلفة سار الرسول ﷺ ، والمسلمون معه وهم يلبون، ويكبرون ، يهللون ، لا ينفكون عن ذلك ، كلما علوا شرفا ـ مكاناً عالياً ـ ، أو هبطوا وادياً ، وقد شهدت الصحراء هذا المشهد الرائع الذى دوت أصوات المسلمين فيه بالتهليل والتكبير والتوحيد لله ـ عز وجل ـ ، ثم دخلت هذه الوفود ، وتلك الحشود مكة نهاراً جهاراً ، فلما رأى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ البيت قال :

« اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، فحينا ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفاً ، وتعظيماً ، وتكريماً ، ومهابة وبراً ، وزد من حجه ، أو اعتمره تكريماً وتشريفاً وتعظيماً وبراً » رواه البيهقى .

ثم طاف بالبيت ، وهو راكب ناقته يستلم الحجر الأسود بمحجن(1) فى يده ، كى يراه الناس فيقتدوا به ، ويسألوه ، وطاف المسلمون بطوافه ، فلما انتهى من الطواف اتى مقام إبراهيم وهو يتلو قول الله ـ تعالى :

﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ سورة البقرة (125)

فصلى ركعتين ثم خرج إلى الصفا وهو يقرأ قوله ـ تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ سورة البقرة ـ اية ١٥٨

---

(١) المحجن : عصا معقوفة من آخرها .

أبدأ بما بدأ الله به ، فصعد عليه حتى رأى البيت فاستقبله قائلاً : « لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله ، أنجز وعده ، وصدق عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

ثم نزل إلى المروة ، حتى أتم سبعة أشواط .

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة ، خرج النبي وأصحابه إلى منى ، فصلى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر .

وبعد شروق الشمس في اليوم التاسع ، خرج ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى عرفات ، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة ، فلما دنت الشمس ركب ناقته القصواء حتى أتى بطن الوادي ، وهناك خطب خطبته الجامعة ، والتي جمعت ما في كتاب الله وبيّنت للناس أحكام دينهم وأوضحت لهم التعاليم القويمة التي تأخذ بأيديهم إلى الطريق المستقيم ، وحثتهم على تقوى الله ، والتمسك بخصال الخير ، والبعد عما يؤدي إلى الزلل ، والتي أعلن الرسول الكريم فيها مبادىء الحرية والمساواة والإخاء ، وبين للناس ما لهم من حقوق ، وما عليهم من واجبات .

وهذه الخطبة الجامعة تواكب كتاب الله العزيز ، فقد جاء في الكتاب الكريم :

(أ) الأمر بتقوى الله ـ سبحانه ـ في أكثر من موضع ، منها قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] .. وغير ذلك كثير ؛ فقد وردت التقوى في القرآن الكريم في أكثر من (٢٤٢) آية .

وقال رسول الله ﷺ في خطبته : بعد أن حمد الله ـ تعالى ـ وأثنى عليه :

● **أوصيكم بتقوى الله .**

● **أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .**

(ب) وفي حرمة الدماء قال تعالى :

● ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٢٩] .

● ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ﴾ [النساء : ٩٢] .

● ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣]

● ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ... ﴾ الآية [المائدة : ٤٥] .

● ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ﴾ الآية [الأنعام : ١٥١] .

● ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الإسراء : ٣٣] .

وفي خطبة رسول الله ﷺ حرمة الدماء . قال عليه الصلاة والسلام : « أيها الناس : اسمعوا قولي ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا

بهذا الوقت أبداً ، أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ، اللهم فاشهد ، فمن كانت عنده أمانة ، فليؤدها إلى من ائتمنه عليها .

وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وأول دم أبدأ به دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب .

والعمد قود ، وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

وللمال حرمة ، وهي حرمة عظيمة ، ماكان منه لله ـ تعالى ـ له حرمته ، وماكان منه للعباد له حرمته : سواء كان هذا الأخير قرضاً ، أم أمانة ، أو غيرهما ، ثم ماينبغي أن يكون عليه كسبه من عمل حلال يشتغل فيه الناس ، وليس من ربا ، وأياً كان موقعه فله حرمته .

يقول الله ـ تعالى :

● ﴿ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ [الإسراء : ٦] .

● ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر : ٢٠] .

● ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ سورة البقرة

● ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء : ١٠] .

● ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

● ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم : ٣] .

● ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ [البقرة : ٢٨٣] .

● ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء : ٥] .

وجاء في خطبة رسول الله ﷺ وقد قرن ـ عليه الصلاة والسلام ـ المال بالدماء ـ كما تقدم فقال صلوات الله وسلامه عليه :

● **« أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت . اللهم فاشهد .. وجاء فيها :**

● **أيها الناس ، إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه . ألا هل بلغت ، اللهم اشهد . فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فإني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنة نبيه .**

● **ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع وربا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب .**

وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية .

● وقال رسول الله ﷺ فى الحث على الأمانة :
فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها .

(د) وفى القرآن المجيد قول الله ـ سبحانه وتعالى:

● ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

● ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الإسراء : ٥٣]

● ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾
[فاطر : ٦] .

● **وقد تلتقى هذه المعانى بقول رسول الله ﷺ فى خطبة الوداع :**

« أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك ، مما تحقرون من أعمالكم » .

(هـ) فى حرمة الأعراض قال الله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٣٢] .

وفى رواية البخارى ـ باب العلم ـ من هذه الخطبة :

فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، ليبلغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه .

(و) وعُنِىَ الإسلام بضبط الوقت بدقة ، وللإسلام ـ وحده ـ فضل الإعلان عن ضبط الزمن بعد الذى لحقه من تغيير فى العصر الجاهلى بسبب التقديم والتأخير فى الشهور الحرام بين الحُمْس تارة ، والحِلّ أخرى ، فبينا الأولين يجعلون الشهور الحرم أربعة ، يجعلها الحِلُّ ثمانية ، كما أدخلت القبائل اليهودية على العرب الزيادة فى الشهور ، وكان من هذا الاضطراب زحف النسىء إلى الشهور العربية ، مما أفسد التوقيت تماماً .

قال تعالى :

● ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [التوبة : ٣٦] .

● ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ [التوبة : ٣٧] .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى خطبته :

● **أيها الناس ، إن النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله .**

● **وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق الله السموات والأرض منها أربعة حرم : ثلاث متواليات ، وواحد فرد : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذى بين جمادى وشعبان . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .**

(ز) وفى الوصاة بالنساء وحقوقهن قال ـ تعالى :

● ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾
[النساء : ٤]

● ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ

مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ١٩] .

● ﴿ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾ [النساء : ٣٢] .

وغيره ذلك كثير .

وقال رسول الله ﷺ فى خطبته :

● أيها الناس إن لكم على نسائكم حقاً ، ولهن عليكم حقاً . لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم فإن فعلن فإن الله أذن لكم أن تعظوهن ، وتهجروهن فى المضاجع ، وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

● واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن ، عوان عندكم لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء ، واستوصوا بهن خيراً ، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد .

(ح) فى الميراث أورد الكتاب العزيز حقوق المستحقين : رجالاً ونساء ، أصولاً وفروعاً ، قال الله ـ تعالى :

● ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ الآية [النساء : ٧] .

● ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ .. ﴾ الآية [النساء : ١١] .

وآيات ذلك كثيرة .

وقال رسول الله ﷺ فى خطبته :

● أيها الناس : إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، وإنه لا وصية لوارث ، ولا تجوز وصية فى أكثر من الثلث .

● « والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، ومن ادعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ويقلبها على الناس : اللهم اشهد، اللهم اشهد ـ اللهم اشهد ، والسلام عليكم ورحمة الله » .

وبعد أن فرغ الرسول ﷺ من هذه الخطبة الجامعة أذن بلال ثم أقام فصلى بالناس الظهر ، ثم أقام فصلى العصر جامعا بينهما جمع تقديم ولم يصل بينهما شيئا ، ثم ركب ناقته القصواء حتى جاء الصخرات التى فى أسفل جبل الرحمة ، فوقف عندها مستقبلا القبلة ، حتى غربت الشمس ، وقال : « وقفت ههنا ، وعرفات كلها مواقف » ، وأكثر من الدعاء لأنه فى هذا اليوم العظيم الذى تسكب فيه العبرات ، وتستجاب الدعوات ، ذلك الموقف الرائع الذى يقف فيه الحجاج عراة الرؤوس ، ولباسهم إزار ورداء فى صحراء قاحلة ، خلت من مظاهر الترف والرفاهية خاشعين خاضعين متضرعين متجهين بقلوبهم نحو رب الأرباب مالك الرقاب ، مالك الملك والملكوت ، صاحب القوة والجبروت ـ ملبين قائلين :

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

هناك تنخلع القلوب هيبة وإكبارا ، وتتطامن الرؤوس ذلة وانكساراً ، هناك يتفضل الحق - تبارك وتعالى - برحمته وفضله وكرمه وإحسانه على عباده بالعفو والغفران ويتجلى الله فيه على عباده فيباهي بهم الملائكة ويقول : « يا ملائكتي ، هؤلاء عبادي جاءوني شعثا غبرا ؛ يرجون رحمتي ، ويخافون عذابي ولم يروني ، فكيف لو رأوني ، أفيضوا عبادي مغفورا لكم ولمن شفعتم فيه » .

فكانت حجة الوداع هذه هي الأولى والأخيرة ، وكانت خطبة الوداع أو البلاغ جامعة رائعة ، أبرأ فيها رسول الله ﷺ ذمته ، ولذلك كان يشهد الناس في كل فقرة على أنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة وأشهد الله على الناس ، ولم يسأله أحد إلا أجابه » .

وفي هذا اليوم العظيم نزل عليه قوله - تعالى :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾

وفي الحقيقة نقول :

إن هذه الخطبة في عرفة جمعت كل شيء في كتاب الله من الأحكام الدينية والمبادىء الإنسانية التي تعد نبراسا مضيئا ومنهجا قويما في تاريخ البشرية جمعاء ، وستظل وثيقة أبدية لحقوق الإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ..

وبعد ، فهذه ذكريات كريمة تهفو إليها النفوس وتحن إليها الأفئدة ، تتجدد بتجدد شهر ذي الحجة فما أحوجنا إلى أن ننتفع بها ونتخذ منها العبرة والعظة !

نسأل الله - سبحانه - أن يجعلنا من المتمسكين بكتابه الكريم وبسنة نبيه - عليه أفضل الصلاة والتسليم .

ولاية عقد النكاح في الشريعة الإسلامية

للأستاذ/ أحمد مصطفى عبد الحميد (*)

اتفق الفقهاء على أن عقد النكاح كأى عقد من العقود، لا يصح إلا إذا توفرت له مقوماته الشرعية وهى : أركانه وشروط صحته .

وقد أجمع الفقهاء على أن عقد النكاح إذا خلا من الصيغة أو العاقد أو المعقود عليه يكون باطلاً لا وجود له ولا يتعلق به أى أثر شرعى .

وأنه إذا خلا من الشهود يكون فاسداً والفاسد كالباطل ــ عند جمهور الفقهاء ــ سواء كان ذلك فى العبادات أو المعاملات .

أما عند الحنفية فالأمر يختلف فى العبادات عن المعاملات، ففى العبادات الباطل والفاسد سواء ، أما فى المعاملات فالباطل ما لم يشرع بأصله ولا بوضعه، وذلك يتعلق بفقد ركن العقد ، أما الفاسد : فهو ما شُرع بأصله دون وصفه ، وذلك يتعلق بشروط صحة العقد[1] فإذا تخلف الركن كان العقد باطلاً أمّا إذا تخلف الشرط كان العقد فاسداً والباطل لا يمكن تصحيحه بحال ولا يترتب عليه أثرٌ شرعىٌ، والفاسد يمكن تصحيحه ويترتب عليه بعض الأثر ، وعلى ذلك فالعقد الذى خلا عن الشهود فى النكاح إذا تم الدخول به يثبت المهر والنسب ويمكن تصحيحه بالإشهاد عليه قبل الدخول[2] .

ـ من هو الولى فى النكاح ؟

اختلف الفقهاء فى الولى فى النكاح من هو ؟

فقال جمهور الفقهاء الولى فى النكاح هو العصبة أى عصبة المرأة التى تنسب إليهم ويعصبونها من جهة النسب وهم الرجال . وعلى ذلك فولى المرأة فى النكاح هو الأقرب من عصبتها دون ذوى أرحامها فليس للخال ولا والد الأم (الجد لأم) ولا الأخوة لأم وما ماثلهم ولاية فى النكاح، وذلك لما رُوِىَ عن علي أنه قال : الإنكاح إلى العصبات .

وإلى هذا ذهب الإمام مالك والشافعى والثورى والليث بن سعد وغيرهم .

وأما الحنفية : فإن ولاية النكاح تثبت عندهم لعصبة المرأة الذكور كما تثبت لذوى الأرحام ؛ لأنهم يعدون من الأولياء للمرأة فى النكاح، ولكن عند عدم العصبة فإذا لم يوجد أحد

(*) مدرس مساعد بكلية اللغة العربية بالزقازيق ــ جامعة الأزهر .

(1) مباحث فقهية فى مسائل الأحوال الشخصية المتعلقة بنظام الأسرة والأمور الزوجية للدكتور نصر فريد محمد واصل ـ الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م ــ ص ٧٦ .

(2) المرجع السابق .

من العصبة كان لذوى الأرحام من الرجال ولاية عقد النكاح .

وليس العصبة كلهم سواء فى ولاية النكاح، بل أقربهم عصبة هو الأحق بها ، فإذا تولاها الأبعد بدون إذن الأقرب فتعتبر ولاية غير صحيحة عند الجمهور، لأن الحق للأولى فلا يعتاب عليه فى حقه .

ـ هل الكفاءة مشترطة فى النكاح ؟

للفقهاء فى اشتراط الكفاءة رأيان :

ـ **الرأى الأول** : رأى بعض الفقهاء كأبى الحسن الكرخى والجصاص من الحنفية ، وسفيان الثورى ، والحسن البصرى .

وهؤلاء لم يشترطوا الكفاءة أصلاً ، لا شرط صحة ولا شرط لزوم ، وأدلتهم :

١ ـ قول الله تعالى :

﴿ أن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾(٣).

٢ ـ قوله تعالى :

﴿ وهو الذى خلق من الماء بشرا ﴾(٤).

فهذه أدلة على المساواة المطلقة بين الناس ..

٣ ـ إن الرسول ﷺ قد أمر « بنى بياضة » أن يزوجوا أبا هند وكان حجاماً فقال النبى ﷺ : « يا بنى بياضة انكحوا أبا هند وأنكحوا إليه » .

٤ ـ (إن بلالاً ـ رضى الله عنه ـ خطب إلى قوم من الأنصار فأبوا أن يزوجوه فقال له رسول الله ﷺ : قل لهم إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوجونى) .

وهنا أمرهم النبى ﷺ بالتزويج مع عدم الكفاءة، ولو كانت معتبرة ما أمره، لأن التزويج من غير كفء غير مأمور به .

٥ ـ كما استشهدوا بأحكام الجنايات ، لأن الدماء متساوية فيقتل الشريف بالوضيع والعالم بالجاهل ، فيقاس عليه عدم الكفاءة فى النكاح ، فإذا كانت الكفاءة غير معتبرة فى الجنايات ففى النكاح من باب أولى .

الرأى الثانى : اشترطوا الكفاءة فى النكاح : وهم جمهور الفقهاء ، على خلاف بينهم فمنهم من اعتبرها شرط للزوم النكاح ، ومنهم من اعتبرها شرط لصحة النكاح ، لكن الحنابلة ـ الرواية الصحيحة عندهم ـ أنها لا تشترط ، وأدلة أصحاب هذا الرأى فى شرط الكفاءة :

١ ـ ما رُوِىَ عن أحمد بن حنبل بإسناده عند الخلال أنه قال : فى الرجل يشرب الشراب المحرم ماهو بكفء لزوجته يفرق بينهما(٥).

---

(٣) سورة الحجرات ـ الآية : ١٣ .

(٤) سورة الفرقان ـ الآية : ٥٤ .

(٥) المغنى لابن قدامة ٦/٤٨٠ .

وقال : لو كان المتزوج حائكاً فرقت بينهما لقول عمر ـ رضى الله عنه ـ لأمنعن فروج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء »[6].

كما استدلوا ـ أيضاً ـ بما رواه إسحاق الهمدانى قال : « خرج سلمان وجرير فى سفر فأقيمت الصلاة فقال جرير : تقدم أنت ، قال سلمان : بل أنت تقدم فإنكم معشر العرب لا يتقدم عليكم فى صلاتكم ، ولا تنكح نساؤكم ، إن الله فضلكم علينا بمحمد ﷺ وجعله فيكم »[7].

كما استدلوا من جهة العقل : بأن التزويج مع فقد الكفاءة تصرف فى حق من يحدث من الأولياء بغير إذنه فلم يصح عقد النكاح مع انعدام الكفاءة ، كما لم يصح إذا زوّجها الولى بغير إذنها وكانت بالغة عاقلة[8].

تقول الدكتورة / فاطمة عمر نصيف : كما استدلوا بالمعقول فقالوا : « إن انتظام المصالح بين الزوجين يكون عادة بين المتكافئين، لأن الشريفة تأبى أن تكون فراشاً للدنىء ، وكذلك أولياء المرأة يأنفون من مصاهرة مَنْ لا يناسبهم فى جاههم ونسبهم فيعيرون به فتختل روابط المصاهرة أو تضعف ، ولأن الزوج لا يتأثر بعدم الكفاءة عادة ، وللعادة والعرف سلطان أقوى وتأثير أكبر على الزوجة[9].

كما استدلوا بما رُوى عن النبى ﷺ أنه قال : « لا تنكحوا النساء إلا من الأكفاء ولا تزوجوهن إلا من الأولياء »[10].

ـ والذى نميل إليه فى الترجيح ـ والله أعلم ـ ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من أن الكفاءة ليست بشرط لصحة عقد النكاح وذلك لقوة أدلتهم »[11].

وتقول الدكتورة / فاطمة عمر نصيف : « أما استدلالهم بالمعقول فيعتمد على العرف، ولكن متى يكون العرف معتبراً أو غير معتبر ؟ ومتى يكون للعرف سلطة التشريع ؟ من المعلوم فى أصول الفقه أن العرف إذا كان موافقاً للشرع أخذنا به وإذا كان مخالفاً لأصول الدين ومبادئه فلا يجوز اعتباره . فقد جاء فى كتب الأصول « فالعرف الصحيح هو ما تعارفه الناس ولا يخالف دليلاً شرعياً ولا يحل محرماً ولا يبطل واجباً . أما العرف الفاسد فهو ما تعارفه الناس ولكنه يخالف الشرع ويحل المحرم أو يبطل الواجب[12].

---

(6) المرجع السابق .

(7) المرجع السابق .

(8) المغنى 6/408 .

(9) مجلة الأزهر ـ رمضان 1413 هـ / مارس 1993 م ص 1377 .

(10) رواه الدارقطنى وقال فيه ابن عبدالبر : ضعيف ولا أصل له ولا يحتج بمثله .

(11) مباحث فقهية فى مسائل الأحوال الشخصية المتعلقة بنظام الأسرة والأمور الزوجية للدكتور عمر فريد محمد واصل ص 143 .

(12) مجلة الأزهر ـ رمضان 1413 هـ مارس 1993 م ص 1378 .

صيغة الأخرس فى عقد النكاح :

والأخرس إذا تولى عقد النكاح بنفسه فصيغته إن كان يعرف الكتابة تكون بالكتابة أمام العاقد الثانى والشهود مع إشارته المُفْهمة أى التى يعرفها العامة والخاصة ، لأن الإشارة المفهمة فى حقه كالنطق فى حق المتكلم، وأما الكتابة فهى لزيادة التأكيد والتوضيح لإشارته، أما إشارته غير المُفْهمة فتعتبر فى حقه صيغة غير صريحة ولا يصح بها عقد النكاح، لأنها كناية فى حقه، والنكاح لا ينعقد بالكناية لأن الشهود لا يطلعون على ما فى الباطن بل يشهدون على الظاهر . والإشارة غير المفهمة لا يعرفها إلا الخواص وعليه أن يوكل بإشارته غير المفهمة هذه من يعقد له عقد النكاح من المتكلمين . وإذا أضيفت كتابة الأخرس إلى هذه الإشارة غير المفهمة يمكن اعتبارها صيغة صريحة إذا كانت الكتابة أمام الشهود والعاقد الثانى وبشرط ألا تكون له إشارة مفهمة وأن يتعذر عليه توكيل من ينوب عنه لعقد النكاح .

فإذا لم يعرف الأخرس الكتابة فلا يصح عقده إلا بإشارته المفهمة التى يعرفها العامة والخاصة وبشرط أن يفهمها العاقد الثانى والشهود جميعا لأن الشهادة لابد منها فى عقد النكاح وهى لا تحصل إلا إذا كان الشاهد فاهماً ومدركاً لما يشاهده[13] .

ويقول الشيخ السيد سابق « ويصح زواج الأخرس بإشارته إن فهمت كما يصح بيعه ، لأن الإشارة معنى مفهم ، وإن لم تفهم إشارته لا يصح منه ، لأن العقد بين شخصين . ولابد من فهم كل واحد منهما ما يصدر من صاحبه »[14] .

رأى الفقهاء فى الولى الذى يصح منه عقد النكاح :

ومذهب جمهور الفقهاء أنه لا يصح عقد النكاح إلا من جائز التصرف، وهو المكلف البالغ العاقل الذكر، وذلك لأن النكاح عقد معاوضة وعقد المعاوضة يترتب عليه التزام ، والصبى والمجنون ليسا من أهله لرفع التكليف عنهما لحديث « رفع القلم عن ثلاثة : عن الصبى حتى يبلغ وعن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى يستيقظ » ولأن فاقد الشيء لا يعطيه[15] .

كما لا يصح عقد النكاح من المحجور عليه لسفه إلا بإذن الولى، لأن النكاح عقد مستحق به المال والسفيه ممنوع من التصرف إلا بإذن فإن أذن صحّ النكاح، لأن الولى لا يأذن إلا فيما يرى أنه مصلحة له[16] .

---

(١٣) ٤٣٠/٧ ، والاقناع للمقدسى ١٦٨/٣ ، ونهاية المحتاج ١٦٣/٥ وحاشية القليوبى على شرح جلال الدين المحلى على المنهاج ٢٣١/٣ .

(١٤) فقه السنة للشيخ السيد سابق ص ١٢٨ المجلد الثانى ـ الطبعة العاشرة والشرعية ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م .

(١٥) المهذب ٣٣/٢ .

(١٦) المرجع السابق نقلا من مباحث فقهية فى مسائل الأحوال الشخصية المتعلقة بنظام الأسرة والأمور الزوجية للدكتور نصر فريد محمد واصل ص ٧٧ .

مكونات عقد النكاح وشروطه عند الفقهاء :

عقد النكاح كأى عقد من العقود الشرعية لا يتم ولا يظهر له أثر شرعى من الناحية العملية إلا إذا توفرت له مكونات وجوده الرئيسية صحيحة معتبرة فى نظر الشارع .

ويتكون العقد من عناصره الأساسية التى تكوّن جميع أجزائه وهذه العناصر هى التى يعبر عنها عند الفقهاء « بالأركان » لأن العقد فى نظرهم مثله كأى كائن مادى يتكون من عدة عناصر أو أجزاء ، أما الأحناف طبقاً لنظريتهم فى العقود الشرعية فإن العقد عندهم يتكون من عنصر واحد وهو الصيغة .

أما الجمهور من الفقهاء فيتفقون على أن أركان عقد النكاح ثلاثة وهى :

العاقدان ، والمعقود عليه ، والصيغة .

وأما الشافعية فيرون النكاح يتكون من خمسة أركان رئيسية وهى :

الصيغة ، والزوجة ، والولى ، والزوج ، والشاهدان .

ويمكن اعتبارها عندهم أربعة باعتبار الولى والزوج يكونان ركناً واحداً يعبر عنه « بالعاقدين » وبذلك تكون هذه الأركان الأربعة هى : المعقود عليه وهو الزوجة والعاقدان وهما الزوج والولى والشاهدان والصيغة وبهذا يكون الزوج والولى شركاء فى صحة الصيغة وهذا ما ذهب إليه الإمام « الغزالى » من الشافعية[(١٧)] وإن كان يتفق مع علماء المذهب فى حد الولى والزوج ضمن أركان العقد ولكنه يعتبرهما ركناً واحداً يتحقق فى العاقدين، وبذلك يكون الخلاف بين « الغزالى » وبين علماء المذهب شكلياً فقط وليس جوهرياً أى الخلاف فى العدد دون المضمون[(١٨)] .

وذهب بعض المالكية إلى أن أركان عقد النكاح هى :

الولى ، الصداق ، والزوج ، والزوجة ، والصيغة .

وبذلك تكون الأركان عند هذا البعض خمسة كالشافعية، ولكن الخلاف بينهما ظاهر وحقيقى حيث لم يعتبر الشافعية الصداق ركناً من الأركان ، مع أن المالكية اعتبروه ركناً لا يتحقق العقد بدونه ، وبينما اعتبر فقهاء الشافعية الاشهاد على النكاح ركناً فيه ولا يتصور تحققه شرعا بدونه مهما يعتبره هذا البعض من المالكية بل يعتبرونه شرطاً فى صحته مطلقاً عند تمام العقد أو بعده ولو قبل الدخول ، وهم يتفقون على ضرورة أن يكون الزوج والزوجة والولى والصيغة من الأركان .

ولكن الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية ، فمع اختلاف الفقهاء فى عدد أركان النكاح إلا أنهم يتفقون فيما بينهم على أن عقد النكاح لا يعتبر صحيحاً فى نظر المُشرِّع إلا إذا وجدت : صيغته عقده ، والعاقدين ، والزوج ، والزوجة ، والشهود .

---

(١٧) الوجيز ٢/٣ .

(١٨) مباحث فقهية فى مسائل الأحوال الشخصية المتعلقة بنظام الأسرة والأمور الزوجية للدكتور نصر فريد محمد واصل ص ٥٢ .

محبة الله ورسوله سبيل المؤمنين الصادقين

لفضيلة الشيخ / محمد فتحي عبد الصادق*

يقول الله ـ سبحانه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(1)

روى أن رسول الله ـ صلوات الله ، وسلامه عليه ـ وقف على المشركين ، وهم في المسجد الحرام يسجدون للأصنام ، فأنكر عليهم ذلك ، وقال لهم : لقد خالفتم ملة إبراهيم ، فقالوا : إنما نعبدها حبا لله ، فنزلت الآية الكريمة للرد عليهم .

وروى أن اليهود كانوا يقولون : « نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ » فنزلت الآية(2) .

وروى أن نصارى نجران قالوا : إنما نعظم الأصنام حبا للمسيح، فنزلت(3) .

وأيا كان من نزلت في شأنهم ، فهي تدل في وضوح على أن محبة الله تستلزم محبة رسوله ، واتباعه في كل قول وفعل ، وإلا كان عاصيا لله وليس محبا له .

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

معنى محبة العبد لله : الاعتقاد بوحدانيته ، والاعتماد عليه، والثقة به ومراقبته في السر والعلن، ومجاهدة النفس والهوى والشيطان، والرضا بما قسم الله والقناعة بما أعطى، ومحبة رسوله، واتباعه في كل ما جاء به والاقتداء به في جميع أحواله .

وعلى من يحب الله ورسوله أن يقدمهما على كل عزيز حتى على نفسه ، يقول ـ سبحانه ـ : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾(4)

نزلت هذه الآية الكريمة في قوم أسلموا ، ولم

---

* مدير تعليم بالتربية والتعليم (سابقا) .

(1) آل عمران ـ 31 ـ .

(2) سورة المائدة ـ 18 ـ .

(3) مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي .

(4) سورة التوبة ـ 24 ـ .

يهاجروا من مكة ؛ خوفا على ذويهم من أذى المشركين، فآثروا البقاء معهم على تنفيذ أمر الله وأمر رسوله بالهجرة، فجاءت الآية تهددهم بعذاب أليم .

٢ ـ معنى محبة الله للعبد ـ أن يرضى عنه ، وأن يوفقه إلى فعل الخير ، ويرشده إلى بذل المعروف ، ويحببه فى صفات البر والفضل .

٣ ـ تفاوت المحبين فيها : ليس المسلمون على درجة واحدة فى هذه المحبة ؛ لأنها تكتسب بقدر صلة المرء بربه، فمنهم من يحب الله ورسوله ؛ طمعا فى حسن ثوابه ونعيمه وخوفا من عقابه وناره، ومنهم من ارتقى فى هذه المحبة، ووصل إلى درجة أسمى وأعلى ، وهم الذين لا يرجون من طاعتهم جنة ولا يخشون عذابا، وإلا اعتبروا أنفسهم كالأجراء إن أعطوا رضوا وإن لم يعطوا سخطوا، يقول الإمام على ـ كرم الله وجهه ـ يخاطب رب العزة : « كفى بى فخرا أن أكون لك عبدا، وكفى بى شرفا أن تكون لى ربا، اللهم إنى قد وجدتك إلها كما أردت فاجعلنى عبدا كما أردت » .

ورائدة هذا المذهب صاحبة العشق الإلهى السيدة رابعة العدوية التى كانت تقول :

إلهى إن كنت أعبدك طمعا فى جنتك فحرّمها علىّ .

وإن كنت أعبدك خوفا من نارك فاحرقنى بها

كلهم يعبدوك من خوف نار
ويرون النجاة حظا جزيلا
ليس لى فى الجنان والنار حظ
لست أبغى عن الحب بديلا

٤ ـ ثمرة هذه المحبة :

(أ) إذا صدق العبد فى محبته منحه الله فيضا من علمه ، فيعلم ما لم يقرأه فى كتاب ولم يتعلمه على يد معلم ، وهذا هو نبى الله وكليمه موسى عليه وعلى نبينا ، وجميع الأنبياء الصلاة والسلام يطلب من ربه أن يرحل إلى الرجل الصالح الخضر ؛ ليتعلم منه ومعه فتاه :

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝ ﴾ سورة الكهف

(ب) **إنه سبحانه يمده قوة من قوته** ، فلا يرهب أحدا سواه، ولا يخشى أحدا إلا هو سبحانه ، لأنه يوقن أن كل ما سواه عاجز ضعيف ، وهل أتاك نبأ ذلك الفارس الملثم الذى كان يصول ويجول فى غزوة حنين، وقد فرّ المسلمون من المعركة حين اغتروا بكثرتهم، ولم يبق مع رسول الله سوى نفر قليل كان منهم ذلك الفارس الملثم، الذى أظهر شجاعة وبطولة نادرة ، ويسأل عنه رسول الله فلم يعرفه أحد ، وانتهت المعركة بنصر المسلمين ، وعاد ذلك الفارس إلى رسول الله وكشف عن وجهه ، فإذا به امرأة ، وإذا هى أم سليم ـ رضى الله عنها ـ ، ويعجب زوجها فيقول : والله يارسول الله لقد تركتها فى دارى وهى تحمل جنينا فى أحشائها .

(جـ) **إنه ـ سبحانه ـ يشرح صدره، وينير قلبه** ، فيرى ما وراء الحجب والأستار، وتتكشف له الأمور الخفية على حقيقتها، يدخل رجل على الخليفة عثمان ، فيفاجئه بقوله : أما يستحى الرجل أن يدخل علينا وأثر الزنا بين عينيه ؟ فيقول الرجل متعجبا : أوحى بعد رسول

الله ؟ فيقول له : لا ، ولكنه فراسة المؤمن ، وقد سمعت رسول الله يقول : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله .

(د) إن المحب يجد لذة في الطاعة ، ومتعة في العبادة ، وسعادة لا يشعر بها أحد سواه ، حتى قال أحد المتصوفين : « لو يعلم الملوك ما نحن فيه من السعادة لقاتلونا عليه بالسيوف » ، تراه لا يشعر بالمحن التي تنزل به مهما جلّت ، بل يفرح بها وإن عظمت .

جاء في البخاري : أن أنسا ـ رضي الله عنه ـ قال : غاب عمي أنس بن النضر عن أول قتال حدث بين المسلمين والمشركين، فلما كانت غزوة أحد ، ورأى المسلمين قد انهزموا لمخالفتهم أمر رسول الله ، حتى جُرح ، وشجّ وجهه ، قال أنس : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ المشركين ـ وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ المسلمين ، وأسرع إلى ملاقاة الأعداء ، غير عابىء بسيوفهم وضرباتهم ، ويقابله سعد بن معاذ منهزما ، فيفاجئه أنس بحقيقة رآها وأحس بها تكشف عن حقيقة إيمانه وقوة يقينه، فيقول له : ياسعد الجنة ورب النضر إني لا أجد ريحها من دون أحد ، يقول سعد لرسول الله حين رأى انسا يصول ويجول وسط المعركة ، فوالله ما استطعت أن أصنع ما صنع يارسول الله ، وقد وُجد بعد انتهاء المعركة أن المشركين قد مثّلوا بجسمه شر تمثيل حتى لم يعرفه أحد سوى أخته عرفته بأطراف أصابعه ، وفيه وفي أمثاله نزل قول الله :

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾(٥)

فالسعادة الحقيقية إنما تكون بالعمل بكل مايرضي الحق ، وإن أغضب الخلق ، إنما تكون بالسير في طريق الله المستقيم وإن كشرت له الأيام والليالي عن أنيابها ورضي الله عن السيدة رابعة العدوية فقد قالت :

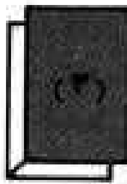
فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك تصفو والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر
وبينى وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هيّن
وكل الذى فوق التراب تراب

---

(٥) الأحزاب ـ ٢٣ ـ .

خُلُق المسلم

في ضوء
الكتاب
والسنة



الفصل الثالث القيم الخلقية لبناء المجتمع المسلم

بقلم الدكتورة/ فاطمة عمر نصيف

تابع ما نشر بالفصل الثانى

قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾(٩٠)

هذه الآية تحدد خطة الإسلام والمسلمين فى الجهاد ، فقتال المسلمين مبنى على خلقين عظيمين لازالت المدنيات الحديثة فى حاجة إليهم :

الأول : العدل

فالقتال مقصور على المقاتلين ، فلا تقتل النساء ولا الأطفال ولا الرهبان لأنهم لم يقاتلوا ولم يعتدوا فكان من توجيهاته ﷺ لأمير الجيش (اغزو باسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً)(٩١) .

هذا هو القتال المحاط بسياج من الأخلاق الإنسانية والمبادىء والمثل العليا ، فلا يباح للمقاتل المسلم أن يغدر أو يخون أو يخدع ، ولا يتعرض للمسالم من الأعداء ولا يسمح له بأى حال من الأحوال أن يمثل حين يقتل ، ولا أن يتجرد من إنسانيته فيترك للنفس هواها من حب للانتقام ، أو من رغبة فى التشفى حتى ولو كان ذلك الإنسان عدواً . وهذا يمثل القمة الأخلاقية السامقة التى تحلم بها البشرية حتى اليوم .

الثانى : الإحسان فى القتل :

فلا يكون تعقباً ولا تمثيلا ، بل يجهز عليه دون أن يعذبه أو يتعرض لخلقة الله بالتشويه والتمثيل – فإنما سمح له بقتل العدو لأنه عدو الله وللحق – فأمر بالإحسان فى قتله . قال عليه الصلاة والسلام : (إن الله قد كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)(٩٢) .

لقد اخترع إنسان حضارة اليوم ما يبيد المدن ويدمر القرى ويهلك الحرث والنسل ويقضى على الخير فى هذه الأرض ؛ بل ويحولها إلى حلبة

(*) أمام ضغط المادة المقالية وقلة المساحة اضطرت إدارة التحرير إلى حذف بعض الفقرات اختصاراً للبحث – فى غير خلل بخطة البحث وتقسيمه – وذلك حتى يتسنى للمجلة نشر بقية مباحثه على طولها ..

« مجلة الأزهر »

(٩٠) سورة البقرة/ ١٩٠ .

(٩١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٢ ص ٣٧ .

(٩٢) المرجع السابق ج ١٣ ص ١٠٦ .

مصارعة وساحة قتال ، بل غابة يأكل فيها القوى الضعيف .

إن الاعتداءات السافرة على المدنيين الآمنين العزل بلغت من الفظاعة ما تقشعر من هوله الأبدان . فأين الأخلاق التى يدعيها دعاة الحضارة والمدنية اليوم ؟!

إن حضارة اليوم نستطيع أن نسميها الحضارة الممجية أو الحضارة المتوحشة والعدو الأول للإنسان فأين هى من أخلاق الإسلام ؟!

ثالثاً ـ المعاملات :

إن من أعظم مميزات النظام الإسلامى أنه نظام أخلاق تقوم تشريعاته وتنظيماته وكل معاملاته على أساس خلقى متين ، فلا يوجد عمل واحد فى الإسلام صغر أو كبر خارج عن نطاق الأخلاق ، أو قائم على غير ذلك الأساس الأخلاقى الشامل الذى يشمل كل تصرفات الإنسان ويجعلها علاقة بين الإنسان وربه قبل أن تكون علاقة بين فرد وفرد .

فالباحث فى فقه المعاملات يرى بوضوح أن الخلق القويم والنهج المستقيم هو الأصل وأن العدل والإحسان هو القاعدة . وهذا ما سأوضحه عند استعراضى لأنواع من المعاملات :

(أ) النظام الاقتصادى :

يقوم أصلا على قاعدة خلقية كبيرة وهى قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا ﴾(٩٣) ، فلا ربا ولا استغلال ، ولا احتكار ولا غبن ولا غرر ولا غش ولا خبث فى الاقتصاد الإسلامى ، بل تجارة قائمة على تبادل المنافع ، وعلى التراضى . قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ ﴾(٩٤)

(ب) نظام الأسرة :

إن من أبرز العلاقات الاجتماعية التشريعات الخاصة بالأسرة فالعلاقة الزوجية بين الزوجين فى شريعة الإسلام تقوم على ثلاث أسس خلقية عظيمة (*) :

١ ـ المعروف والإحسان :

فوصف الله عز وجل التعامل بين الزوجين على أنه تعامل بالمعروف لأن السمة الأصلية الثابتة لكل المعاملات هى أن تكون بالمعروف ، وقد تكرر ذلك فى القرآن الكريم .

٢ ـ العدل :

بتحقيق المساواة وهى المعاملة بالمثل قال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾(٩٥) .

٣ ـ الشورى :

فالإسلام يجعل العلاقة بين الزوجين قائمة على مبدأ الشورى ، فلا تحكم ولا تسلط فالتفاهم على أمر من الأمور يتعلق بهما ، يجب أن يتم بالتشاور قال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾(٩٦)

(جـ) القانون الدولى :

وهو ما يسمى العلاقات الدولية بين الدولة الإسلامية وغيرها من الأمم ، إن هذا القانون قد

(٩٣) سورة البقرة/٢٧٥ .
(٩٤) سورة النساء/٢٩ .
(٩٥) سورة البقرة/٢٢٨ .
(٩٦) سورة البقرة/٢٣٣ .

(*) إن الضوابط الأخلاقية التى وضعها الشارع للطلاق كثيرة ، جاء تفصيل معظمها فى سورتى « البقرة والطلاق » وحماية لحقوق النساء ، فليرجع إلى ذلك من أراد الاستزادة .

حدد هذه العلاقات تحديداً حاسماً ، يعالج علاقاتها مع الدول والمجتمعات الأخرى بكل أشكالها في حالتي السلم والحرب ، وهو في مجموعه يعطينا صوراً مضيئة للأخلاق الإنسانية والمبادىء السامية ، ومن ذلك الوفاء بالمواثيق ، فلقد كان الوفاء بالعهود والمواثيق من أعظم ما تمسك به المسلمون ، بينما نجد الأمم قديماً وحديثاً تبرم المواثيق والعهود ، حين تراها صفقة رابحة ، أو حين تضطر مقهورة إلى إبرامها ، ثم تنقضها كلما رأت في نقضها مصلحتها .

(د) القضاء :

إن أهم ما يميز القضاء في ظل الشريعة العدل والمساواة أمام القانون ، ولأهمية الناحية الخلقية في منصب القضاء نهى الشارع الحكيم أن يحكم القاضي وهو غضبان أو متأثر بمرض أو جوع أو عطش أو حر أو برد أو سآمة أو كسل ، فقد ورد في الحديث عن عبدالرحمن بن أبي بكرة قال : كتب أبي وكتبت له إلى عبيد الله بن أبي بكرة وهو قاضي السجستان أن لا تحكم بين اثنين وأنت غضبان فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان)(٩٧) .

لقد التزم القضاة بآداب الإسلام وأخلاق الشرع في الرعيل الأول ، وسطر لنا التاريخ القصص العجيبة التي كانت أغرب من الخيال ، كقصة علي ـ رضي الله عنه ـ والدرع واليهودي ، وقصة عمر بن الخطاب وابن القبطي ، وهذا يدل على أن الأمة الإسلامية قد طبقت العدل في عالم الواقع ولم ترفعها شعارات خاوية ، ولم تناد بها كمثل عليا .

(هـ) الرقيق والخدم :

لقد حظي الرقيق والخدم في ظل الشريعة الإسلامية برعاية فائقة ومعاملة فريدة من نوعها ، فقد أمر الله عز وجل المسلم أن يعامل خدمه ورقيقه معاملة خاصة تقوم على العدل والرفق .

وكان من توجيهاته ﷺ للإحسان في معاملتهم أن يشاركوهم في مأكلهم وملبسهم وأن يساعدوهم فيما شق عليهم من عمل ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق)(٩٨) .

وكان من وصيته ﷺ في الإحسان إلى الخدم أنه قال (إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم) والخول هم : الخدم سموا بذلك لأنهم يتخولون الأمور أي يصلحونها(٩٩) .

بل إن الإسلام ارتقى في معاملة الخدم إلى مرتبة عليا فلم يسمح للمسلم أن يحقر رقيقه أو خدمه أو حتى يجرح مشاعرهم ، بل حافظ على كرامتهم ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام : (ولا يقل أحدكم عبدي ، أمتي ، وليقل فتاي ، فتاتي ، غلامي)(١٠٠) .

---

(٩٧) صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٢ ص ١٥ .

(٩٨) ابن حجر ، فتح الباري ج ٥ ص ١٧٣ .

(٩٩) المصدر السابق ص ١٧٧ .

(١٠٠) المصدر السابق ج ٥ ص ١٨١ .

وهكذا ضمن الإسلام للرقيق حقوقه الإنسانية ، وعامله كفرد داخل الأسرة المؤمنة لا كطبقة ثانية مكلفة بالخدمة مهضومة الحقوق كما هو الحال في المدنيات القديمة والحديثة .

كما أن نظام المكاتبة خير شاهد على كرامة الرقيق في ظل الشريعة الإسلامية .

القيم الخلقية الأساسية لبناء المجتمع المسلم :

إن القيم الأساسية لبناء المجتمع كما جاءت في الكتاب ، والسنة هي قيم ثابتة منبثقة عن عقيدة صحيحة وتستند على أساس متين هو الإيمان بالله ، الذي جعل اعتناقها دينا يثاب فاعلها ويعاقب تاركها ، لتجعل من الفرد المسلم الملتزم بتلك القيم نموذجا للفرد الفذ والإنسان الاجتماعي التقي النقي الخلوق المهذب ، ولتبني مجتمعا إسلاميا فريدا من نوعه .

ومن أهم هذه القيم الثابتة التي لا تتبدل باختلاف الزمان والمكان ما يلي :

١ ـ العـدل :

إن موضوع العدل في الإسلام من المواضيع الأساسية التي لا يمكن التهاون فيها فالآيات الكثيرة التي أمر الله فيها بالعدل تتسم بالجدية والحزم ، فيأمر الله ـ عز وجل ـ عباده المؤمنين بإقامة العدل فيقول ـ عز وجل ـ

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ **النحل/ ٩٠**

والعدل أن تعطى الآخر حقه كاملا غير منقوص ، فالحكم بين الناس يحتاج إلى عدل والتعامل مع الناس يحتاج إلى الإحسان ، ولذا فإن الله ـ عز وجل ـ أمر بالعدل والإحسان

وبمقدار التطبيق الحقيقي للعدل يقاس رقي المجتمعات وتخلفها وصلاحها وفسادها ، فالعدل أخطر قيم المجتمع على الإطلاق .

والعدل في الإسلام معناه العدل مع الجميع مع الصغير ، والكبير ، والعدو ، والصديق ، والغني والفقير والمسلم ، وغير المسلم . العدل حتى مع الكراهية والبغض وهو قمة العدل قال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ المائدة/٨

أي لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم ، بل استعملوا العدل مع كل أحد صديقا كان أو عدوا[١٠١] .

ومما وعاه التاريخ وقفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بجانب خصمه اليهودي الذي سرق درعه أمام القاضي الذي لم يمنعه إكباره وإجلاله لأمير المؤمنين أن يطلب منه البينة على سرقة اليهودي درعه ، ولما لم يجد أمير المؤمنين البينة حكم القاضي لليهودي على أمير المؤمنين[١٠٢] .

والتاريخ الإسلامي حافل بأمثال هذه الأخبار الدالة على سيادة الحق والعدل في المجتمع الإسلامي وحرية القضاء واستقلاله في المحكمة الإسلامية .

ويدخل تحت العدل استخدام قاعدة التحكيم بين المتنازعين وهي إجراءات عملية وضعها القرآن الكريم لمواجهة ما يقع في المجتمع من خلاف وفتن وقلاقل تخلخل كيانه لو تركت بغير علاج . قال ـ تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ الحجرات/٩

---

(١٠١) ابن كثير ج ٣ ص ٣٠ .

(١٠٢) وكيع محمد ابن خلف بن حيان ، أخبار القضاة ج ٢ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، عالم الكتب ـ بيروت .

٢ ـ المساواة :

من القيم الكبرى التى جاء بها الإسلام وقررها القرآن المساواة وهى مبدأ أصيل من مبادئ هذا الدين العظيم ، مبدأ منبثق من وحدة الأصل والمنشأ ـ قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ① ﴾ النساء/١

فالإسلام ينظر إلى الناس بمختلف أجناسهم وشعوبهم ولغاتهم بنظرة الوحدة الإنسانية المنبثقة من وحدة الأصل والمنشأ ، فما خلق الله ـ تعالى ـ هذه الألوان والأجناس لكى يتدابروا ويتقاطعوا بل لكى يتعارفوا ويتعاونوا قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ⑬ ﴾ الحجرات

فالآية تؤكد حقيقة عظمى لو استقرت فى النفوس لزالت كل الحزازات والعصبيات القبلية والعنصريات البغيضة والتمايز الطبقى .

فإن مزية الإسلام الجوهرية هى الدعوة إلى المساواة فهذا الدين يقوم على التوحيد والوحدة فهما صنوان لا يفترقان (فأبناء هذه الأمة : المسلمون كما قال ﷺ تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم)[١٠٣]

وكان من توجيهاته ﷺ المستمرة فى هذا الباب لتصحيح مفاهيم الصحابة من موروثات الجاهلية وتصحيح الموازين التى يقيم بها الناس بعضهم بعضا ما رواه البخارى بسنده : (عن سهل بن سعد الساعدى قال : مر رجل على رسول الله ﷺ فقال : ما تقولون فى هذا ، قالوا : حرى إن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يشفع وإن قال أن يسمع ، قال ثم سكت ، فمر رجل من فقراء المسلمين فقال : ما تقولون فى هذا قالوا : حرى إن خطب أن لا ينكح ، وإن شفع أن لا يشفع ، وإن قال أن لا يسمع ـ فقال رسول الله ﷺ : هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا)[١٠٤] .

وهكذا استطاع ـ عليه الصلاة والسلام ـ بتلك التوجيهات أن يرسم للإنسانية معالم المدينة الفاضلة ويقضى على النعرات والعصبيات .

فحقق المسلمون معنى المساواة على حقيقته حين جلس بلال الحبشى وصهيب الرومى وسلمان الفارسى جنبا إلى جنب مع أبى بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ فى القمة من العرب ومع العباس وعلى فى القمة من قريش .

٣ ـ الإخاء :

يتميز المجتمع الإسلامى بسيادة شعور المحبة والإخاء فيه ذلك أن رابطة الأخوة فى الله تقوم على عقيدة إيمانية راسخة ـ قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ الحجرات/١٠

فالأخوة فى الله من أوثق روابط النفوس وأمتن عرى القلوب وأسمى صلات العقول والأرواح ، لأن الأخوة الإيمانية جزء لا يتجزأ من العقيدة التى تربط بين قلوب معتنقيها بأواصر لا تنفصم .

قال تعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ

---

(١٠٣) الآبادى ، محمد شمس الحق . عون المعبود ، شرح سنن أبى داود ج ٢ ص ٢٦٠ ، المكتبة السلفية ط ٢ المدينة المنورة

(١٠٤) ابن حجر ـ فتح البارى ج ٩ ، ١١٠ ـ ١١١

﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ آل عمران/١٠٣

لقد تحولت هذه المعاني إلى حقائق ذهنية استوعبها الذهن والقلب فصدر عنه سلوك عملى من صحابة رسول الله ﷺ حينما بلغوا هذه الدرجة من المحبة الأخوية ، وهى درجة الإيثار فامتدحهم بقوله :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩ ﴾ سورة الحشر

والأحاديث فى هذا الباب كثيرة لا يتسع المقام لذكرها ، اختار منها هذا الحديث الذى يوضح قيمة هذا الحب الأخوى فى الله .

الحديث الذى رواه مسلم : (قال رسول الله ﷺ إن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال أريد أخاً لى فى هذه القرية قال : هل لك عليه من نعمة تربها قال : لا غير أنى أحبه فى الله ـ عز وجل قال : فإنى رسول الله إليك أبشرك أن الله قد أحبك كما أحببته)(١) .

فالمجتمع الإسلامى الذى أسس على المحبة والأخوة فى الله مجتمع سعيد قوى غنى لأن المحبة هى أنجع وسيلة إلى تهذيب الأخلاق وتكميل النفوس وهى سر الله المخزون الذى تشفى به الأدواء والرياق الذى تذهب به سموم الأمراض الاجتماعية وهى أنجح وسيلة لاقتلاع شجرة الشر من النفوس ، وإبادة أنواع الفتن من العالم ، وإذا تأكدت بين قوم أحلتهم محل الصفاء وسارت بهم أسرع ما تكون فى طريق الارتقاء .

كما ورد فى التحذير من التشاحن والتفرق وكل ما يؤدى إلى قطع هذه الصلة الأخوية أو إفسادها أو إضعافها ما لا يحصى من الآيات والأحاديث الصريحة الصحيحة ، وكأنما مرمى الدين الذى لا يريد غيره .

فقد جاءت سورة الحجرات بقواعد الأدب النفسى الذى يحكم المسلمين فى المجتمع ، قواعد قائمة على المحبة والاحترام والمحافظة على حقوق الآخرين فالمجتمع الفاضل الذى يقيمه الإسلام مجتمع له أدب رفيع ، ولكل فرد فيه كرامته التى لا تمس .

بعد ذلك يأتى النهى عن الغيبة ، وهى ذكر الإنسان أخاه المسلم فى غيبته بما يكره سواء كان الذكر صراحة أو كناية أو إشارة أو رمزاً وسواء كان ما يذكره متعلقا بدينه أو دنياه وخلقه أو خلقه .

البذل والإنفاق :

من الحقائق الثابتة فى الإسلام أن الأخوة الإيمانية ليست شعارات ترفع إنما هى رابطة مقدسة لها التزاماتها وتكاليفها وحقوقها ومنها البذل والإنفاق (الواجب والمستحب) الذى لا يستغنى عنه المجتمع المسلم وذلك لتحقيق التكافل والتضامن والتعاون بين أفراده فقد جاءت الآيات التى تتحدث فى هذا الموضوع فى مواضع شتى من القرآن الكريم ولكن يجدها القارىء كوحدة موضوعية فى أربعة عشر آية متتابعة فى سورة البقرة لتعطينا تصورا كاملا عن هذه القيمة الأخلاقية الهامة فى بناء المجتمع المسلم الفاضل ممثلة فى الزكاة والصدقات .

(يتبع)

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

السؤال من السيد : م . ع . ح

١ ـ ما معنى هذه العبارات التي ترد في آخر كل حديث وهي :

رواه الخمسة ـ رواه الجماعة ـ أخرجاه ـ متفق عليه ـ وهذا رأى الجمهور .

٢ ـ بعض الناس وخاصة المؤذنين يتغنون في الأذان واللحن بحيث تؤدى إلى تغير كلمات الأذان ، أو خروجها عن معناها مثل :

آكبار ـ أجير ـ أشهدو ، فهل هذه حرام أم مباح ، أم حلال ؟

٣ ـ ما معنى هذا الحديث : ليس الواصل بالمكافىء ، ولكن الواصل من إذا قطعت رَحِمُهُ وصلها ؟ أفيدونا أفادكم الله .

جـ ١ : المقصود من عبارة رواه الخمسة : البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

ورواه الجماعة : جل رواة الحديث الشريف .

وأخرجاه : يعنى الشيخان البخارى ومسلم .

متفق عليه : يعنى رواه الإمامان البخارى ومسلم .

وهذا رأى الجمهور : معظم الفقهاء أو المحدثين .

جـ ٢ : إذا ترتب على التغنى بالصوت في الأذان تحريف : (مثل ـ آكبار ، أجير ـ أشهدو) فهذا من المكروهات ، وينبغى على من يفعل ذلك أن يلتزم بالصحيح .

جـ ٣ : المعنى الإجمالى لحديث : ليس الواصل بالكافىء ، ولكن الواصل من إذا قطعت رحمة وصلها .

هذا الحديث يحث الناس على صلة الرحم ، وأن المرء إذا أراد أن يكافىء أحدا أو أن يصله ببره فإن أولى الناس بذلك هم رحمه وذووا قرباه ، وقد وردت فى ذلك عدة أحاديث شريفة ، وعلى المسلم التخلق بالخلق الإسلامى السامى لا ينتظر على صلته هذه أن يكافأ بمثل فعله ، فهو واصل دوما لرحمه وذوى قرباه ، وَصَلُوهُ أم لم يصلوه والأرحام هم الأقارب الذين يرتبطون مع الإنسان بنسب سواء كانوا يرثونه أم لا يرثونه حتى يصل أرحامه ، ولو كانوا غير مسلمين .

السؤال من السيد ع.ح.ب من أدفو أسوان :

ما حكم استقبال أهل البيت للمعزين أثناء قراءة القرآن كلما دخل داخل .

وهل المقصود بآية « فاستمعوا له وأنصتوا » العموم ، أم أثناء الصلاة فحسب ؟

وهل من يستقبل ضيوفه أثناء القراءة يكون حاله كحال الكافرين الذين قال الله ـ تعالى ـ فيهم : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ فصلت ٢٦

أفيدونا أفادكم الله .

جـ : حكم استقبال أهل البيت للمعزين أثناء قراءة القرآن الكريم كلما دخل داخل مكروهة ؛ لأن من المواضع التى يكره فيها إلقاء السلام إذا دخل الإنسان إلى مجلس علم أو قراءة . والمقصود بآية « فاستمعوا له وأنصتوا » العموم لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

أما من يستقبل ضيوفه أثناء القراءة فلا يقاس ذلك على حال الكافرين كما ذكرت فى السؤال .

والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد : ع.م.م

رجل له ولد وأربعة بنات ، تزوجوا جميعا فى حياته ، الأولى توفيت فى حياة أبيها وأنجبت ولدا وبنتا ، توفى الولد بعد أمه وفى حياة جده ، بعد وفاة البنت تزوج زوجها أختها الصغرى ، وبعد وفاة الأب فوجئنا بالزوج يطالب بإرث زوجيه الأولى المتوفاة وولدها قبل أبيها ، والأخرى التى (على) ذمته ، وصعد الخلاف حتى وصل إلى طلاق الزوجة ، ثم ردها إلى عصمته مرة أخرى . والسؤال هل ترث هذه المتوفاة فى حياة أبيها ؟ أم لا .

علما بأن التركة المتنازع عليها مساحتها ستة قراريط وربع القيراط ، وكم نصيب كل من الأخ وإخوته البنات الثلاث الباقيات على قيد الحياة ورابعتهم المتوفاة وابنها فى حياة أبيها ؟

أفيدونا أفادكم الله .

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فنفيد بأن فى تركة هذا المتوفى وصية واجبة لبنت البنت المتوفاة قبل والدها ، بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة فى حدود الثلث طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس لسنة ١٩٤٦ م ، وبشرط ألا يكون الجد قد أعطاهم شيئا حال حياته بدون عوض يساوى نصيب أصلهم . فتقسم التركة ستة أجزاء ؛ جزء منها وصية واجبة لبنت البنت والباقى وهو : خمسة أجزاء هو الميراث للابن والبنات الثلاث الأحياء تعصيبا يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى والله ـ تعالى ـ أعلم .

حوار مع :



نائب رئيس جامعة الأزهر

الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام

اعداد الأستاذ نظيم سلامة

الأستاذ الدكتور/ جعفر عبد السلام على .. هو نائب رئيس جامعة الأزهر لشئون الطلاب والتعليم ، وهو يعد واحداً من أعلام القانون الدولى العام ؛ فقد اختير ضمن أحسن سبعة أساتذة فى القانون الدولى العام فى العالم ، وقد أتيح لى إجراء حوار مع سيادته عن : علاقة القانون الدولى بالتشريع الإسلامى ، وظاهرة الإرهاب الدولى ، والقضية الفلسطينية ، والعلاقات العربية الإسرائيلية ، والمؤتمرات العلمية التى حضرها فى الداخل والخارج ، كما أتسع الحوار ليشمل أنشطة مركز الاقتصاد الإسلامى بجامعة الأزهر بوصفه مديراً له .

ولنبدأ بإلقاء الضوء على نشاطاته ومؤهلاته العلمية ، وتدرجه الوظيفى .

المؤهلات العلمية :

- ليسانس حقوق ـ جامعة القاهرة ١٩٦٢م .
- دبلوم القانون العام ـ جامعة القاهرة ١٩٦٣م .
- دبلوم العلوم الإدارية ـ جامعة القاهرة ١٩٦٤م .
- دبلوم « أكاديمية لاهاى » للقانون الدولى (هولندا) ١٩٧١م .
- دكتوراه فى القانون الدولى العام ـ جامعة القاهرة ١٩٧٠م .

التدرج الوظيفى :

- معيد بكلية الحقوق جامعة القاهرة لعدة أيام ١٩٦٢م .
- وكيل نيابة عامة ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧م .
- عضو بعثة من ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠م .
- مدرس بقسم القانون العام / كلية الشريعة ـ جامعة الأزهر ـ ١٩٧٠ ـ ١٩٧٥م .
- أستاذ مساعد من ١٩٧٥ ـ ١٩٨٠م .
- أستاذ من ١٩٨١م حتى الآن .

● رئيس قسم القانون العام بكلية الشريعة والقانون ١٩٨١ ـ ١٩٩٣م .

● نائب رئيس جامعة الأزهر لشئون التعليم والطلاب من ١٩٩٣ حتى الآن .

● مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي التابع لجامعة الأزهر من عام ١٩٩٠ حتى الآن .

● مقرر لجنة « ترقية أستاذ القانون العام » بكلية الشريعة من ١٩٨٢ حتى الآن .

وهناك أعمال عامة مسندة إليه بحكم وظيفته فهو :

● رائد شباب الجامعة ، يساعد رؤساء لجانها في مختلف الاستشارات القانونية ، والتحقيقات ، وكل ماله صلة خارجية للجامعة مع الجامعات الأخرى .

● يعتبر تجميع كل رسائل جامعة الأزهر على وسيط « ميكروفيلم » أعظم أعماله التى أشرف عليها ، لما لهذا العمل من أهمية علمية قصوى ويتصل ـ بهذا العمل ـ مشروعه لوضع الرسائل على قاعدة بيانات يمكن تداولها في كل مراكز المعلومات في العالم .

مع مشيخة الأزهر الشريف :

● شرفه فضيلة الإمام الأكبر بتمثيله في العديد من المؤتمرات واللقاءات العلمية في مصر وخارجها .

● كذلك شرفه بعضوية اللجنة الاقتصادية المنبثقة من لجنة الفقه الإسلامي ، وكلفته اللجنة بإعداد الكثير من الأوراق العلمية حول شهادات الاستثمار والتأمين .

● كذلك هو عضو لجنة تعيين القيادات الإدارية والفنية بالأزهر الشريف ، وعضو المجلس الأعلى للأزهر بحكم وظيفته .

● تشرف بعضوية الوفد الذى سافر إلى الاتحاد السوفيتى سابقاً ، والوفد الذى سافر إلى السنغال برئاسة فضيلة الإمام الأكبر في إبريل من العام ١٩٩٥م .

عضوية المؤسسات والجمعيات العلمية :

● انتخب أميناً عاماً لرابطة الجامعات الإسلامية في شهر أبريل الماضى بالإجماع من ممثلى ثمانين جامعة في مختلف أنحاء العالم الإسلامى ، وانتخب عضواً بمجلس إدارة الجمعية المصرية للقانون الدولى منذ عام ١٩٦٩م ، وعضواً بمجلس إدارة الجمعية المصرية للأمم المتحدة منذ عام ١٩٧٣م ، وعضواً بجمعية الحقوقيين الدوليين ، والجمعية المصرية للاقتصاد والتشريع ، والجمعية الأفريقية ، وعضواً بمركز التحكيم التجارى الدولى (أبو ظبى) .

● واختير ضمن موسوعة أبرز الشخصيات المصرية التى أصدرتها الهيئة العامة للاستعلامات ـ الإصدار الأول .

أهم المؤلفات :

١ ـ دروس في الجنسية ومراكز الأجانب ـ كلية الشريعة عام ٦٩/١٩٧٠م .

٢ ـ المنظمات الدولية ـ عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٧١م .

٣ ـ الوجيز في القانون الدولى العام ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٧٣م .

٤ ـ الوسيط في القانون الدولى العام ـ

جزءان ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة عام ١٩٧٥م .

٥ ـ النظم الدبلوماسية والقنصلية . دار النهضة العربية ـ القاهرة عام ١٩٧٥م .

٦ ـ قضية فلسطين أمام القانون الدولى ـ مركز البحوث والتنمية جامعة الملك عبد العزيز ـ جدة ١٩٧٦م .

٧ ـ النظام الإدارى السعودى ـ الدار السابقة بالقاهرة عام ١٩٧٧م .

٨ ـ الإطار القانونى للنظام الاقتصادى الدولى الجديد ـ جدة عام ١٩٧٧م .

٩ ـ المدخل لدراسة التشريع السعـودى بالاشتراك مع أ . د . عبد الناصر العطار ، أ . د . محمد عمر مدنى القاهرة ١٩٧٨م .

١٠ ـ معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية على ضوء أحكام القانون الدولى ـ دار النهضة المصرية ـ القاهرة عام ١٩٨٠م .

١١ ـ قواعد العلاقات الدولية فى القانون الدولى والشريعة الإسلامية . مكتبة السلام العالمية القاهرة عام ١٩٨١م .

١٢ ـ قانون العلاقات الدولية ـ دار الكتاب الجامعى ـ القاهرة ١٩٨٣م .

١٣ ـ الإطار القانونى للنشاط الإعلامى ـ دار النهضة ١٩٨٨م .

١٤ ـ القانون الدولى لحقـوق الإنسان ، والقانون الدولى الإنسانى مقارنة بالشريعة الإسلامية ـ دار النهضة ١٩٨٨م .

١٥ ـ من أوراق القضية الفلسطينية ـ دار النهضة ١٩٩١م .

فضلاً عن البحوث العلمية التى قدمها فى العديد من المؤتمرات التى شارك فيها .

ونبدأ حوارنا مع فضيلته :

● أ . د . جعفر عبد السلام . هل نجحت فى تقريب المسافة بين القانون الدولى العام والتشريع الإسلامى ؟

● ● فى الحقيقة أن جمعاً كبيراً من فقهاء القانون الدولى يرون أن كثيراً من فقراته مصادرها الشريعة الإسلامية الغراء ، والحقيقة كذلك أن كل الموجود فى تفسير المعاهدات حينما تقرؤه تشعر كما لو كنت تقرأ فى أصول الفقه الإسلامى .

وعندما تقرأ . كتاب (فاتيل ـ ١٨٩٩) أحد فقهاء القانون تحس كأنك تقرأ فى تفسير قواعد الفقه ، فمن فقرات القانون الدولى مثلاً : (إعمال النص خير من إهماله ـ عند الشك خذ بالأقل ـ استخدام المعنى العادى الشائع بين الناس فى التفسير) .

وأعتقد أن (سيرايز) ومدرسته الأسبانية فى القانون الدولى تأثرت بالدراسات فى الأندلس الإسلامية ، كما أعتقد أن هناك صلة بين هذه المدرسة والمدارس الفقهية القديمة ، فكلها تأثرت بالدراسات الإسلامية ، وإننا إذا أردنا أن نفهم القواعد القانونية كمبدأ فعلينا أن ندرس تأثير هذه القواعد الثلاثة على تطوير القانون الدولى وهى (الدين ـ العلم ـ الاقتصاد) .

● كنت أحد المفاوضين فى قضية فض الاشتباك بين مصر وإسرائيل بعد حرب ٧٣ ، فما حقيقة شعورك وأنت تشارك فى إنهاء قضية من أهم القضايا العربية فى العصر الحديث ؟

● ● القضية الفلسطينية والعلاقات العربية الإسرائيلية . هى قضية كل مصرى مفكر وقد ركزت كل اهتمامى بهذه القضية ، وقدمت العديد من الدراسات ، منها : كتاب (معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية) ـ كتاب (من أوراق القضية الفلسطينية) ـ وكتاب (فلسطين أمام القانون الدولى) ـ وكتاب (الأساس القانونى لتسوية النزاع العربى الإسرائيلى) .

كنت أشعر أثناء التفاوض أننى أمام تحدٍّ حضارى ، وعدو قوى تؤازره القوى الكبرى فى العالم ، متظاهراً بأنه يعمل فى واحة للديمقراطية والحرية بينما هو يجاهد حتى فى (كلمة) تكتب ، أو يتم التفاوض بشأنها لكى يحصل على مزايا ومكاسب عديدة .

لذلك كان عندى إحساس بالتحدى وبالرغبة فى الحصول على مزايا لوطنى ، ومصارعة هذا العدو كما صارع هو أبناء مصر والإسلام والعرب فى ميادين القتال ، وهذا الإحساس وتلك الرغبة هما فى الحقيقة ما ينبغى أن يُتسلَّح به فى أى حديث أو عمل تجاه إسرائيل .

● اختارتك أعلى هيئة قضائية فرنسية ضمن أحسن سبعة أساتذة فى القانون الدولى العام فى العالم . فما تلك الهيئات العالمية ، وما أهم المؤتمرات التى شاركت فيها ؟

● ● كان من حظى أن أذهب إلى « لاهاى » وأشترك فى برامج بحثية ، وأن أذهب كذلك إلى مجمع القانون الدولى فى بلجيكا ، وأن أقدم أبحاثاً للجمعية الأمريكية للقانون الدولى .

أما عن المؤتمرات ؛ فقد حضرت فى الشهر الماضى مؤتمراً عن (ديون العالم الثالث) فى إيطاليا ، حيث قدمت دراسة موسعة عن مدى شرعية هذه الديون على ضوء أحكام الشريعة والقانون الدولى .

وفى هذا العام حضرت مؤتمراً فى ألمانيا كنت أمثل فيه الأزهر ودار حول وثيقة (إنشاء الدولة الإسلامية فى المدينة المنورة) .

كما حضرنا مؤتمراً فى بلجيكا ـ العام الماضى عن : (السلام والعلاقات الدولية) .

وهناك العديد من المؤتمرات التى تنظمها ـ ليس فقط التى نحضرها ـ داخل جامعة الأزهر . إلى جانب عشرات الندوات والمحاضرات فى كل شئون العالم العربى والإسلامى . والقانون الدولى داخل الجامعة .

● قضية الاعتداء على شخصية الرئيس مبارك . يتعلق بها الكثير من القوانين الدولية التى تحافظ على حياة الرؤساء والملوك فهل لنا أن نطلع على دورها ..؟

● ● رئيس الدولة ذو مركز ينظمه القانون الدولى ، وله صلاحيات واسعة بحكم أنه يمثل الدولة ، وأنه المتحدث باسمها أمام العالم الخارجى .

وهناك ضمانات واسعة نص عليها القانون الدولى لرئيس أية دولة ، ابتداء من طريقة مخاطبته بالتبجيل والاحترام لشخصه مثل : (سيادة الرئيس ـ أو فخامة الرئيس ـ أو جلالة الملك ـ إذا كانت الدولة مملكة) . إلى جانب الحماية الكاملة التى تنص عليها هذه الضمانات مثل : الحصانة الشخصية ، والحصانة القضائية ، وحصانة المسكن ، وحصانة السيارة .. إلخ .

وكلها تقتضي فرض حراسة مشدّدة على شخصية رئيس الدولة ومنع أى منفذ للاعتداء عليه ، والعقوبة المشدّدة على من يحاول ذلك .

لقد كان من تكريم الرئيس أو الملك عندما ينتقل إلى دولة أخرى أن ويعتبر كأنه على أرض من امتداد دولته ، حتى سُمى هذا الوضع بـ« عدم التواجد الإقليمى »وإمعاناً فى تطبيق هذا المبدأ لا يخاطب بقوانين الدولة المضيفة ، ولا يخضع لأنظمتها ، ولا لقضائها .

لذلك فى تصورى القانونى أن إثيوبيا لم تحافظ على حياة « الرئيس مبارك » بما يمكن أن يعتبر تطبيقاً لقواعد القانون الدولى .

أما العدوان الذى تعرض له الرئيس نفسه فهو (جريمة وطنية) فى القانون الأثيوبى و(جريمة دولية) تمثل جريمة إرهاب بحكم أن كل عدوان على رئيس الدولة لايقصد به شخص الرئيس فقط ، وإنما هو أيضاً عدوان بالدرجة الأولى على الدولة التى يمثلها .

● فى عام ١٩٣٧م اغتيل « الكسندر الثانى » ملك يوجوسلافيا ، وكان فى زيارة لدولة مجاورة ، وسرعان ما تكاتفت الدول لعقد مؤتمر « دولى » فى فرنسا للتصدى لظاهرة الإرهاب ، وكان من أهم توصيات هذا المؤتمر :

● عدم حق اللجوء السياسى لمرتكبى هذه الجرائم .

● ثم وجوب تتبع الجناة وتسليمهم لجهة الاختصاص لمحاكمتهم .

فهل هذا الإجراء يكفى للقضاء على ظاهرة خطيرة كهذه الظاهرة .؟!

● ● إن ظاهرة الإرهاب وضعت فى جداول المؤتمرات الدولية منذ عام ١٩٣٦م ، وأضيف إليها غيرها من الجرائم والأسباب التى تجعل الأشخاص يضحون بحياتهم من أجل قضايا معينة ، والإرهاب جريمة ، ذات قصد خاص ليس منه السلب والنهب ، لذا كان الإرهابى مجرماً غير عادى بل مجرم له قضية تتصل بتغيير نظام الحكم ، وتلبية لبعض المطالب التى ينادى بها ، ومن ثمّ يرتكب جريمته .

هذا ثم إنها جريمة موجهة إلى مسئول ، ففئة الحكام هى المستهدفة لهذا اللون من الجرائم ، ظناً من أصحابها أن هذا هو طريق الاستجابة لمطالبهم عن طريق : (ارهب عدوك وانشر قضيتك ، أو استخدام أقل قدر من التعب للوصول إلى نشر قضية والإعلام بها فى كل وسائل الإعلام وهى أيضاً قضية ضد النظام السياسى .

وهناك جوانب أخرى لهذه الظاهرة منها القضية الاقتصادية ؛ لأن الإرهابى يستغل أوضاعاً اقتصادية معينة لكى يلعب على أوتار الجماعة .

وقضية مثل هذه لا تعالج كقضية عادية ، وإنما يجب أن توجد تدابير عسكرية شديدة للقضاء عليها ، ولابد من دراسة الظروف التى تدفع لارتكاب هذه الجريمة كما ذكرت الأمم المتحدة ، ولابد أن تشارك الدول بكافة هيئاتها فى إصلاح الأحوال الاجتماعية والسياسية حتى لا يستغل - الطرف الإرهابى - سوء الظروف السائدة فى بعض الدول ، فتكون مرتعاً خصباً للعمل الإرهابى.

● سيادتكم - باعتباركم علماً من أعلام القانون الدولى العام فى مصر والعالم - ماذا

ترون فى القضية الفلسطينية ، وقضية لبنان ، وقضية البوسنة ، والشيشان ؟

● ● **أولاً : القضية الفلسطينية :**

القضية الفلسطينية هى قضية صراع حضارى بين العرب والمسلمين واليهود ، وفى تصورى لم تهزم حضارتنا أبداً ، ولن تهزم - إن شاء الله - فى الجولة الفاصلة . مع أن إسرائيل ستكون أقوى لفترة ، إلا أن الاسترداد للعرب والإسلام سيأتى من غير معادلة ، وسيكون لنا - إن شاء الله - الغلبة . ولن يكون عنصر التفوق المادى حاسماً لصالح إسرائيل فى المرحلة المقبلة .

ثانياً لبنان :

لبنان جزء من العالم العربى الإسلامى .. وقد حرص لبنان على أن ينهى كافة التناقضات العربية . وهو فى طريقه إلى الإصلاح . وإن كان صراع العالم العربى لازال باقياً فى داخله ولكنه سينتهى فى الأيام القادمة - إن شاء الله - وسيظل لبنان داخل الصف العربى و الإسلامى فى السنوات القادمة .

ثالثاً البوسنة :

صراع دموى حضارى بكل المقاييس وبسبب البوسنة تأججت نار الحرب العالمية الأولى فقد قتل صربى متعصب من البوسنة ولى عهد النمسا ، وكان ذلك من أسباب قيام الحرب العالمية الأولى .

والبوسنة هى البلقان ، وهى المسألة الشرقية التى أثيرت منذ سنوات عدة ، وستظل تحدياً ومحكاً لقضية رئيسية .

فهل سينجح المسلمون والعرب فى إدامة الوجود الإسلامى فى القارة الأوربية ، أم أن التعصب العرقى الأوربى سينجح فى القضاء على فكرة قيام دولة إسلامية فى قلب أوربا ؟

إنها مسألة أثيرت فى بداية وأواخر القرن الحالى بعد أن ضعف الرجل المريض (الدولة العثمانية) وتجدد الصراع فى إطار دموى رهيب وإن كانت المقاومة الإسلامية ، والحركة الإسلامية يعتبران أيضاً فى إطار هذا الصراع .

رابعاً الشيشان وروسيا :

هى دول شمال القوقاز وهى تمثل الفردوس المفقود فى هذه المنطقة الهامة من العالم ؛ فهى من أجود مناطق العالم زراعياً ، وأهلها الذين أقاموا فى ستة أقاليم استقلوا بالحكم الذاتى وهم مسلمون .

ولقد قاد (شامل) صراعاً دموياً رهيباً غير متكافىء من شمال القوقاز استمر حوالى ١٠٠ مائة عام تحت راية الإسلام ثم انتصرت روسيا على هذا التجمع الاسلامى ونكّلت بالمسلمين لذلك صار عددهم الآن نحو ستة ملايين بعد أن كانوا مائة (١٠٠) مليون ، وهكذا يبدو الصراع غير متكافىء وغير طبيعى بين مسلمى الشيشان وبين روسيا وترسانة قوية من الأسلحة والعتاد . ولكن المسلمون هنا يبدون مقاومة فريدة ، ولا يجعلون الصراع يخضع لحساب القوة والضعف .

ثم انتقل الحديث إلى محيط الجامعة :

● **وماذا قدمتم لطالب جامعة الأزهر من أجل إعادته على ما كان عليه من مكانة علمية وأدبية ؟**

● ● إننى دائماً فى اتجاهاتى للدراسات المتخصصة والأبحاث - أحيط أولادى علماً بموقف الشريعة الإسلامية ، هذا سبيل فى عملى الجديد كى يتفوق طالب الأزهر ، ويكون على دراية بمصادر الشريعة حتى نعيد للأزهر مكانته العريقة .

ثم - باعتبارى نائباً لرئيس الجامعة لشئون الطلاب والتعليم - أبذل قصارى جهدى فى تطوير كل مناهج الدراسة لكى تحقق أصالة العلم الدينى من ناحية ، ثم ما تم دراسته ، من ناحية أخرى بحيث يكون الطالب متفقهاً وعالماً بما يدور حوله فى العالم من تغيير .

كذلك أريد أن تكون الدراسة ذات هدف ذاتى يتمثل فى إحساس الطالب بأنه يمثل حضارة إسلامية ومدنية ، وعلينا دائماً أن تسهل امتداد الحضارة حتى تبقى فى ضمير الطالب وحياته ، وتتحول إلى سلوك لينال أفضل المناصب فى حياته ، ويقوم بالأعمال التى يتطلبها دينه وعقيدته ، وذلك إعمالاً لقول الحق - سبحانه وتعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور : ٥٥] .

● ما أنشطة المركز الاقتصادى الإسلامى فى الجامعة باعتبار سيادتكم مديراً له ؟

● ● هذا المركز يعتبر منارة للعلم والتطور فى الجامعة . ليس فقط بما يعقد فيه من مؤتمرات وندوات وأبحاث علمية كل يوم ، وإنما أيضاً باعتباره مركزاً للبحوث والدراسات والمجلات العلمية .

وسلسلة الدراسات والبحوث التى تصدر عنه متعرضة لكل مشاكل المسلمين ، والمشاكل المصرية فيما يتصل بالزوايا الاقتصادية والاجتماعية .

مركز دراسة السنة النبوية الذى يقوم على جمع كل الأحاديث من ستة وثلاثين مسنداً ومصنفاً ، ويحققها عن طريق علماء السنة فى الجامعة مستهدفاً فى النهاية - عمل موسوعة للسنة المطهرة مصدرها ليس فقط الكتب الستة ، وإنما حوالى ستة وثلاثين مسنداً محققة جيداً حيث قد درس كل راوٍ بتاريخه وعلاقة الأحاديث بالعلوم الدينية ، فضلاً عن المصنفات المعروفة فى كتب السنة .

وقد استخدمنا أحدث مخترعات العصر الحديث (الحاسوب الآلى) فى مجال هام فى الشريعة (المصدر الثانى للتشريع) أعنى السنة النبوية ونأمل أن ينتهى مشروعنا فى أعوام قليلة .

وقد تم تسجيل الرسائل الجامعية على « الميكروفيلم » خلال الثلاث سنوات الماضية وإن شاء الله سنوجد (مكتبة ميكروفيلمية) يستطيع الباحث من خلالها الحصول على كل المعلومات التى يريدها بسهولة ويسر .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« حقـا »

للشاعر الصحابي الجليل حسان بن ثابت :

تالله ما حملت أنثى ولا وضعت
مثل الرسول نبي الأمة الهادى
ولا برى الله خلقا من بريته
أوفى بذمة جار أو بميعاد
من الذى كان فينا يستضاء به
مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد

« بين المهدى ورجل »

تقدم رجل للمهدى وقال له : لك عندى نصيحة يا أمير المؤمنين ؛ فقال له المهدى : وهل نصيحتك هذه لنا ، أم لعامة المسلمين ، أم لنفسك ؟

قال الرجل وهو مأخوذ : إنما هى نصيحة لك خالصة يا أمير المؤمنين ؛ فأجاب المهدى :

إعلم يا هذا بأن الساعى ليس بأعظم عورة ، ولا أحرج موقفا ممن قبل السعاية ، فأنت لا تخلو من أن تكون حاسد نعمة ؛ فلا نشفى غيظك ، أو عدوا ؛ فلا نعاقب لك عدو ، ولا يتصنع لنا ناصح إلا بما فيه لله رضا وللمسلمين صلاح ؛ فالظاهر لنا والباطن ليس لنا ، ومن استتر عنا لا نكشفه ، ومن بادأنا طلبنا توبته ، ومن أخطأ أقلنا عثرته ، فإنى أرى أن التأديب بالصفح أبلغ منه بالعقوبة ، والسلامة مع العفو أكثر منها مع المعاجلة ، والقلوب لاتبقى لوال لا يتعطف إذا استعطف ، ولا يعفو إذا قدر ، ولا يغفر إذا ظفر ، ولا يرحم إذا استرحم ، فأين أنت مما سمعت ؟

« حين علينا تقدمون »

قيل لبعض المجانين ، وقد أقبل من المقبرة ، من أين جئت ؟ فقال : من هذه القافلة النازلة ، قيل : ماذا قلت لهم ؟ قال : قلت لهم : متى ترحلون ؟ فقالوا : حين علينا تقدمون .

« حق النعمة »

أن تحسن لباسها ، وتنسبها إلى وليها ، وتذكر ما تناسى عندك منها .

«أعلى قميصك .. تبكى؟»

يروى أن عبد الله بن العباس ـ رضى الله عنهما ـ ، وكان من الأجواد ، أمر لسائل سأله بعشرة آلاف درهم ، فصبّت فى حجره ، فتخرق ثوبه فبكى .

فقال له : أعلى قميصك تبكى ؟ فقال : لا ، ولكن على ما يأكل التراب منك !

فقال : شكرك أحسن من صنيعنا ، يا غلام : أعطه مثلها .

«كيـف»

نريد بأن تكـون الخلـد مأوى
لـنـا ونكـون أصحـاب اليمين
ونعلـم أن ما نصبـو إليـه
يكـون بصدق إيمان وديـن
ونحن فلا نطيـع ولا نبـالى
ونـعصى ربـنـا فى كل حين
فكيـف إذن تتم لـنـا الأمـانى
ونحن نغـوص فى وحـل وطين

«السـرف»

قيل للحسن بن سهل : وقد كثر عطاؤه على اختلال حاله : ليس فى السرف خير ، فقال : ليس فى الخير سرف .

«يطلقون الكلاب ويربطون الحجارة»

دخل أعرابى قرية لأول مرة ، فهاجمته كلابها ، وكادت أن تنال منه ، فانحنى ليأخذ حجرا من الأرض ، يدافع به عن نفسه ، فاستعصى عليه الحجر من شدة البرد .

فقال : لعن الله أهل هذه القرية ، يطلقون كلابهم ويربطون الحجارة .

احذروا الشيطان

حدَّث عون بن موسى ، قال : سمعت بكر بن عبدالله المزنى يقول : « ينزل بالعبد الأمر ـ أى المصيبة ـ فيدعو الله ـ عز وجل ـ فيصرفه عنه ، فيأتيه الشيطان فيُضعف شكره فيقول : إن الأمر كان أيسر مما تذهب إليه .

قال : أو لا يقول العبد : كان الأمر أشد مما أذهب إليه ، ولكن الله صرفه عنى .

«حقيقـة»

قال الحسن ـ رضى الله عنه ـ : إنكم لن تنالوا ما تحبون إلا بترك ما تشتهون ، ولا تدركون ما تؤملون إلا بالصبر على ما تكرهون .

«دعـاء»

يارب اجعل لى رزقا واسعا ، واجعلنى به قانعا ، وهب لى من غناك ما لا يقدر عليه سواك ، وأعِذْنى من بَطر الغنى ، ومذلة الفقر .

الشعر والشعراء

تقديم الأستاذ/ رشاد يوسف

ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم

للشاعرة
نجاة
شاور
ربيع

كان الظلام مخيما يجتاح أركان الجزيره ...
والنفس غرق فى ظلام الكفر خاسئة حسيره
والناس يغترفون من لذاتهم غصصا مريره
ساد التعصب بينهم يتخبطون بلا بصيره
وأد البنات شريعة من غير ذنب أو جريره
اللات والعزى وغيرهما تماثيل ... حقيره
تأتى لها الأقوام ضارعة إليها .. مستجيره
ترجو الرضا عنها وتلك عماية النفس الضريره
إنّ الجماد إلهكم يا قوم لا يدرى مصيره

***

يا رب أين النور إنّ القوم قد ضلوا الطريق
ابعث إليهم مرشدا بالنور فى الليل السحيق
أرسل رسولا هاديا بالنور بالخير الوريق
ليثبت الإيمان فى كل القلوب لكى تفيق
فترى الحقيقة تنجلى وتعبّ من طيب الرحيق

***

كسرى غدا فى عرشه يقضى الحياة تخوفا
من بعد تأويل المنام غدا كئيبا متلفا
والنار أخمد صوتها ولهيبها العالى انطفا
وإذا السماء ازينت وأتى الضياء مرفرفا
فى بيت آمنة أتاها الدهر يمشى منصفا
بدر الهداية (أحمد) رمز السعادة والوفا
بشرى لأمة بخير العالمين المصطفى

يا رحم

شعر : رشاد محمد يوسف

سعدت بك الدنيا وزاد سناها ... لما حملت إلى القلوب هداها
وزهت أسارير الحياة بهجة ... وتخففت من شجوها وشجاها
واخضر قلب الأرض حين تسمعت ... آى الهدى وتشربت تقواها
اليد والفلوات أشرق وجهها ... والشمس سبح ضوؤها وضحاها
عانقت أنسام الحياة مُدثّرًا ... بحنان ، آمنة ، وظل رضاها
حتى إذا رحلت بريعان الصبا ... والنفس يثقلها عميق أساها

***

واجهت أعباء الحياة مجهزاً ... بأجل ما تسمو به دنياها
نفس مطهرة تفيض وضاءة ... سبحانه من بجلاله زكاها
قلب يحب الخير ينبض والتقى ... ضم القلوب بحبه ورعاها
خطو على النهج القويم مسدد ... ما حاد عن درب الهدى أو تاها
صدق إذا اختلف الرواة فأنت فى ... صدق الرواية واليقين فتاها
عزم وإصرار ورأى صائب ... وطوية بيضاء ما أنقاها
حققت أحلام العشيرة كلها ... مترفعا عما يشين خطاها
ما خنت عهدا أو نقضت وثيقة ... أو قلت فحشا أو جفوت هواها

ة الرحمن

زكاك ربك بالفضائل كلها ... لعظيم فضلك لا نرى أشباها
قد حكموك غداة طال خلافهم ... والحرب توشك أن تدور رحاها
فجمعت أبناء العمومة وحدة ... وحقنت بالرأى السديد دماها
فى كل عام خلوة تلقى بها ... هول الصحارى فى هجير لظاها
يظما لأنوار الهداية رملها ... يشتاق لمزيد الغزير حصاها
ويحار فكرك فى الوجود وما به ... من أبدع الأكوان من سوّاها
من رب هذا الكون من ملكوته ... هذى الحياة بأرضها وسماها
هذى الحياة بنجمها وفضاها ... هذى الحياة بعمقها ومداها
حتى إذا شاء الكريم تدفقت ... آيات ربك فى بديع لغاها
وأضاء قلبَ الغار فيضُ هداية ... غمرت مشارف مكةٍ ورباها
جبريل ضمك ضمة فتشربت ... بالنور نفسُك واستار حجاها
« إقرأ » وفاض النور يغسل قلبها ... ويزيل عنها غيمها ودجاها
« إقرأ » فإنك قد بعثت معلما ... لتلقن الدنيا صحيح هداها
يا رحمة الرحمن أى بلية ... نزلت بنا أرزاؤها وأذاها
كنا هداة العالمين تقدما ... نحتل من قمم الحياة ذراها
واليوم تنكرنا الفتوح مهانة ... ويفج من عثراتنا أدناها
أعداؤنا ملكوا زمام أمورنا ... ملكوا النفوس وخيرها وقواها
رخص الدم الغالى وهانت أمة ... أحْكَمْتَ بالنهج القويم عراها
ياسيدى المختار هل من نفحة ... تصحو على أضوائها وسناها
ونعيد للإسلام سابق مجده ... ونعيد للدنيا بديع رؤاها

القطة الواعظة

للشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين

قطة عجفاء ماءت .. في رجاء عند بابي
كل إنسان رحيم القلب يسخو للثواب
لكن الإلحاح منها .. كاد يُودي بصوابي
ففتحت الباب مرفوع العصا قصد العقاب



حينما شامت عصا قد .. هددتها في بشاعة
حدجتني بعيون .. ناطقات بالضراعة(٢)
عند أقدامي ترامت .. في انزعاج والتياعة
فوق طفل من بنيها .. في بواكير الرضاعة
يا له من منظر قد .. هز وجداني وراعه



إنها أمٌّ، وقلب الأم فيض من حنان
عن بنيها لا تبالي .. أن تضحي بالكيان







لا جـلا ترتجـى جـدواه فى عقبـى الزمـان
وانتظـاراً لجـزاءٍ .·. غامـر عمـا تعانـى
إنـه الإيثـار عنـد الضيـق فى أسمى المعانى



مشهـد قد ظل محفـورا بأعمـاق الفـؤادِ
لم يـبارح خاطـرى مُذ كان حتـى فى الرقـاد
حيـوان أعجـمٌ من غير فكـر أو مُراد
بـه إحساس ونـبض .·. فوق فهمـى واعتقـادى
حكمـة البـارى تجلت .·. فى بعيـد عن رشاد



أيها الإنسان أبصِرْ .·. لست فوق الأرض وحـدك
لاتجاوز ـ فى غرور .·. ياضئيـل العلـم ـ حدك
أحقـر الأحيـاء خلـقٌ .·. عنـده ما ليس عنـدك
تقتفيـه فى سلـوك .·. بزّ فى الإتقـان جهـدك
لست عنـه فى غنـاء .·. حين لايحتـاج رفـدك



صار أهـل البـيت خدَ مًا لـتلك الشـقـاء
تلك تأتى بطعـام .·. ذاك يأتيهـا بمـاء
بعـد حين لم يجدهـا .·. حيث كانت فى رفـاء
آثـرت أن تنتحـى .·. ركنـا قصيـا فى انـزواء
كل حى فيـه طبـع .·. هو أولى بالـولاء





من روائع الماضي بمجلة الأزهر

ذكرى المولد النبوى

للأستاذ محمد فريد وجدى

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبدالفتاح حسين الزيات

ستظل ذكرى ميلاد سيد الأنام محمد ﷺ باقية فى نفوس المؤمنين ما بقيت الحياة ؛ تذكرهم بالعزة والكرامة ، وتحثهم ـ دوماً ـ على الأخذ بأسباب الرقى الإنسانى ، وتعطيهم من الزاد ما يعينهم على العطاء المتواصل ، فضلا عن استلهام العبرة والعظة من سيرته ﷺ ولعل فى قدوم هذه الذكرى كل عام ما يوقظ منا النوام ، وينبه فينا الغفلان ، وينشط كل متواكل كسلان ، حتى نكون ـ بحق ـ خير أمة أخرجت للناس . فينا ومنها الخير . ولنا تكون القيادة ومنها تكون الريادة ، وإليها يرجع طلاب الحق والحقيقة ، قال الأستاذ ـ رحمه الله :

فى مثل هذا الشهر من كل عام يحتفل المسلمون فى جميع أقطار الأرض بمولد النبى ﷺ ، قياماً بحقه فى هدايتهم ، واعترافاً بفضله فى بناء جماعتهم ، وتحقيق سعادتهم .

تقوم فى العالم الإنسانى ذكريـــات كثيرة لرجالات يرى الناس أنهم مدينون لهم بعقيدة دينية ، أو بقاعدة فلسفية ، أو بحقيقة علمية ، أو بخطة سياسية ، أو برابطة اجتماعية ، أو بإصلاح فى مذهب ، أو بتجديد فى أمر من الأمور ، وقل أن تجد رجلا واحداً منهم جمع بين شأنين أو ثلاثة من هذه الشئون الإنسانية ، إلا محمداً ﷺ فقد جمع بينها جميعاً ، فهو مؤسس الديانة العامة التى تسع الخلق كافة ، ومقوِّم الحكمة ، وواضع أكمل أساليب العلم ، وأعدل طرق السياسة ، وأرق ربط الاجتماع ، ومصلح جميع المذاهب ، ومجدد كل الأمور التى تهم الإنسانية . فالأمة التى تحتفل بذكرى ميلاده اليوم مدينة له بوجودها ، وبعقيدتها ، وفلسفتها ، وعلمها ، وسياستها ،

وروابطها ، ومذاهبها ، وكل أمر من أمورها وعشر معشار هذه المزايا كلها فى الأمم السابقة كانت تحملها على تأليه مصلحيها ، ولكن لم يفت محمداً هذه النزعة البشرية ، فاحتاط لها أيما احتياط بأقواله وأعماله ، حتى حمى أمته من أن تلتاث بهذه الخرافة ، فكان ذلك مما يضاف إلى مناقبه ، ويزاد على مآثره ، ويستنزل التعجب من بُعد نظره ، وثقوب فكره .

كان بعض من أرسل محمد إليهم يطلبون إليه أن يحدث لهم الآيات ، وقد غاب عنهم أنه هو نفسه أكبر آية لله فى خلقه فكل آية بعده قليلة الخطر ، تخفى فى جانبه كما تخفى الكواكب بجانب القمر .

لقد عاشت على سطح الأرض أمم ، ونبغ فيها رجال من كل صنف ، وحُفظت عنهم ذكريات لا تزال الأمم تعترف بحقهم عليها ، فهل تصادف واحداً منهم يمكن أن توازن مناقبه مناقب محمد ، أو تقارن أعماله بأعماله ؟ اللهم لا ، ولا كرامة !

لندع الأنبياء والمرسلين ، فقد أمرنا أن نؤمن بهم ، وأن لا نفرق بينهم ، وهات لى المصلحين المقدّمين ، والعباقرة المعدودين ، ممن سبقوا محمداً وأتوا بعده إلى يومنا هذا . واعرض أمثلهم طريقة ، وأبعدهم صيتاً ، ووازن بين عمله وعمل خاتم النبيين لتدرك أنك لا تستطيع إلى ذلك سبيلا . وهل يوازن الدرهم بالقنطار ، أو البحر بالجدول ؟

استعرض أولا كبار الفلاسفة والمشترعين عند اليونانيين الأقدمين ، واختر من انتهت إليهما الحكمة والزعامة منهم: (أفلاطون وأرسطو)، فأنا لا أريد أن أذكر لك سقوط فلسفتيهما ، وأنهما أصبحتا من قبيل الأمور الأثرية فى تاريخ العقلية الإنسانية ، ولكنى أريد أن أذكرك بأن هذين العبقريين كانا يقرران فى شريعتيهما أن العمال والصناع والموالى يجب أن يحرموا من الحقوق المدنية ، لانحطاط ما يمارسونه من الأعمال اليدوية ، فقارن بين هذا الأصل المبنى على قاعدة بعيدة القرار فى الإجحاف ، وبين الديموقراطية الإسلامية التى جعلت التمايز بالمزايا لا بالمال ولا بطبيعة الأعمال ، وساوت بين الكافة فى الحقوق بصرف النظر عن الألوان والأجناس واللغات ، حتى ارتفع تحت ظلها إلى منصات الزعامة : العبيد السود وأصحاب المهن من كل صنف ، ومن كانوا لا يملكون بيت ليلة : « لا فضل لعربى على أعجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو بعمل صالح » الحديث .

وهات من العباقرة الغربيين (ديكارت)، فلا أود أن أحدثك عما صادفته فلسفته من النقد ، ولكنى أذكر لك من مقرراته أنه كان يعد الحيوان آلة محضة ، مقودا بالفطرة الطبيعية ، وأنه مجرد من كل تعقل وإدراك . قابل هذا بما ورد فى الإسلام عن الحيوان قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ سورة الأنعام

وفى الحديث الشريف : « **عاتبوا الخيل فإنها تعتب** » . فأين الحكم بأنها آلات لا تعقل من الحكم بأنها أمم أمثال الأمم الإنسانية ، وأن لها عقلا تعقل به العتاب وتتجنب بسببه ما أوجبه ؟

وأما ما بقى قائماً إلى اليوم من مذهب (ديكارت)، وهو تقديم الشك أمام كل بحث، فقد

سبقه الإسلام إليه ، فإنه حرم التقليد وحث على البحث وتعقل الأمور ، وجعل عمادها الدليل ، وهذا كله لا يمكن أن يكون إلا بتقديم الشك قبل الحكم على شيء .

ومن العباقرة المحدثين (بيكون) واضع الأسلوب العلمي ، فقد اشتهر بتفرقته بين ما هو علم وما هو رأي ، وقرر بأن المعلوم لا يجوز رفعه إلى درجة العلم الحق إلا إذا قام عليه دليل محسوس ، وما عدا ذلك فهو رأي . والرأي يُتمسك به حتى يقوم الدليل المحسوس على صحته فيضاف إلى المقررات ، أو على فساده فيقذف به إلى عالم الأوهام والظنون .

وقد سبقه الإسلام إلى وضع هذا الأسلوب العلمي : فقرر أولا أن أكثر ما عليه الناس أكاذيب وظنون ، فقال تعالى : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾(١) وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾(٢) . فكل ظن لا يسمى في الإسلام علماً ، لأن العلم في اصطلاحه هو ما يكون دليله الحس أو ما تتصل مقدماته بالحس .

ومن كبار المجددين في العهد الحديث (أجوست كونت) مؤسس الفلسفة الوضعية ، وواضع علم الاجتماع . فأما الفلسفة الوضعية فقد سبقه إلى أصولها علماء كثيرون تقدموه من أول أرسطو إلى (بيكون) فليس له فيها من فضل إلا صبها في قالب مذهب . وأما علم الاجتماع فكسابقه – أيضاً – درس موضوعاته علماء كثيرون كان من أمثلهم : ابن خلدون من مؤرخي المسلمين في القرن السابع الهجري حتى عد أنه واضع هذا العلم . ولكن الواضع الأول لعلم الاجتماع البشري الحق هو محمد ﷺ بوحي من ربه . وهذا العلم يقوم على أساس أن جميع الحوادث البشرية تابعة لنواميس طبيعية مقررة لا تتخلف . وقد سبق الكتاب الكريم الناس كافة إلى تقرير هذا الأساس الذي بني عليه علم الاجتماع ، فقال تعالى : ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾(٣)

وقال تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾(٤)

وقد عيب على (أجوست كونت) وضعه حداً لما يمكن أن يصل إليه الإنسان من المعارف الكونية ، وعد مما لا يستطيع الإنسان أن يبلغه إدراك نوع المادة التي تتألف منها الكواكب ، فلم يمض على وفاته خمس سنين حتى اخترعت آلة « السبكترسكوب » وهي آلة تحليل الأشعة التي تصل إلينا من الأجسام المختلفة ، والاستدلال بها على المواد التي تنعكس علينا تلك الأشعة منها ، وبتطبيقها على الأشعة التي تصل إلينا من الكواكب عرف أنها مؤلفة من مواد لا تختلف في شيء عن المواد الأرضية ، ففيها حديد ونحاس وقصدير إلخ ، فكان في هذا الاكتشاف دحض للأصل الذي وضعه (أجوست كونت) . ولكن الإسلام لم يضع للمعلومات التي قد يكشفها الله للإنسان حداً ، فإذا سئل مسلم عما يمكن أن ينتهي

(١) الأنعام

(٢) يونس آية ٣٦ .

(٣) الإسراء آية ٧٧ .

(٤) فاطر آية ٤٣ .

إليه علم الإنسان وما لا يمكن ، لم يستطع أن يضع لذلك حداً لقوله تعالى :

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٥]

هذا قصور أكبر العباقرة حيال التعاليم غير المحدودة التي أفيضت على قلب محمد ﷺ نسوق مقتضياته على سبيل المثال لا الحصر ، إذ لو عنينا بالأمر الثاني لما كفانا فيه مجلد ضخم .

ومن ناحية أخرى لو نظرنا إلى الذكريات التي يحتفل بها تمجيد كبار العقول وأصحاب العبقريات ، لوجدناها نشراً لصفحات مطوية من التاريخ ، لا دخل لها في الحياة الراهنة . فهم أصحاب آراء ومذاهب اعتبرت في زمانها طريفة ، وكانت مقدمة لآراء ومذاهب أرجح منها ، فعاشت هذه وذهبت تلك ، فنوه بالأولى وبأصحابها باعتبار أنهم أول من أتى بمبادئها أو بمقدماتها ، لا على أنها حقائق مطلقة تبقى على الدهر ولا يبليها الزمان .

فمحمد هو الإنسان الوحيد الذي يحتفل بذكراه على أن ماجاء به « حق مطلق » لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن تعاليمه هي التي تقود حركات الجماعات البشرية ، وتكيف كيانها على النحو الذي كان يدعوه إليه ويقرره . فإن في الأرض أربعمائة مليوني مسلم[٦] يرون حياتهم في العمل بالتعاليم المحمدية ، وليس في العالم أمة ترى مثل هذا الرأى في مصلح بينها وبينه أكثر من ثلاثة عشر قرناً .

ومن خصوصياته ﷺ أن يعتقد الناس أن الخير كل الخير في أن تؤخذ تعاليمه بغير تعديل ولا تنقيح ، ويرون أنها بالغة أقصى درجات الكمال إلى حد أن كل إصلاح فيها يحط من قيمتها ويطمس من لألائها . وهذه مكانة لم تسم إليها أية تعاليم في الأرض . فكل فيلسوف أو مصلح تحفظ عليه سقطات قضت بها عليه الأحوال المحيطة به ، ودرجة علمه في المهد الذى كان عائشاً فيه ، مما يجعل تعاليمه تستدعى الإصلاح والتهذيب إلى حدود بعيدة . لهذا السبب سقطت جميع الفلسفات القديمة والتعاليم الإصلاحية ، واستبدل الناس بها فلسفات جديدة ، وتعاليم من طراز حديث يلائم ما وصل إليه الكافة من الثقافة العلمية ، إلا التعاليم المحمدية ، فإنها لا تزال جديدة كأنها صيغت في هذا العصر ، بل يُرى فيها ما لم تنضج العقول للعمل به ، وإن كانت تدرك أنه سام السمو كله ، فمن من الأمم المتمدنة اليوم تستطيع أن تسوى بين الأبيض والأسود ، وبين المواطن الصميم والأجنبى الأعجم ، وأن تبتعد عن العدوان في الحرب على غير المحاربين ؟ وأنت تراها تعد العدد لإهلاك النساء والولدان والهرمى والمرضى بالغازات السامة ؟ إن كنت تعجب من الفرق بين هذين المذهبين ، فأزيدك عجباً في هذا الموطن بأن الإسلام يحرّم على الغزاة أن يقتلوا خدمة أعدائهم في ساحة الوغى . أترى أبعد من هذا مدى في احترام الحياة الإنسانية ، وأرق مذهباً في حصر نار الحرب في أضيق الحدود حتى لا ينقلب الأمر إلى جاهلية جهلاء ، تنكر فيها المبادىء الأدبية ، وتهدر الكرامة البشرية ؟

ومن خصوصيات سيدنا محمد ﷺ أن يرى أجانب عن هذا الدين في القرن العشرين ، وهم من

(٥) سورة النحل آية ٨ .

الرجال الآخذين بأوفى حظ من العلوم الاجتماعية أن العالم كله لا ينتعش من كبوته إلا إذا أخذ بتعاليم الديانة الإسلامية ، وأنه لابد منتهٍ إلى هذه النتيجة فى نحو قرنين من الزمان . قال بذلك كثير ، منهم : (برناردشو) الفيلسوف الانجليزى ، وقد دوناه فى مقالة سابقة هنا . فهل رأيت فى كل مارأيت مثل هذه الخصوصية لواحد من أصحاب المذاهب الإصلاحية ؟ .

هذا عجيب كل العجب ، وأعجب منه أن يوحى إلى محمد ﷺ وهو فى صحراوات بلاد العرب بأن التعاليم التى جاء بها ستزداد ظهوراً على مر الأجيال ، بتوالى الآيات الدالة على صلاحيتها لكل زمان ومكان ، وعلى بلوغها أقصى غايات الكمال ، فقال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾(٦) .

أو ليس من العجب العاجب أن يطلب طالب بعد هذه الآيات البينات كلها دليلا على نبوة سيدنا محمد ﷺ ؟ فأى دليل يبلغ فى القوة والإقناع مبلغ هذا الدليل : رجل نهض فى بقعة قاصية من الأرض لا عهد لأهلها بإصلاح اجتماعى ، ولا بكتاب سماوى ، فأخذ يدعوهم إلى دين وصفه بأنه دين الإنسانية كلها ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

إنه خاتم الأنبياء وما جاء به آخر ما يتفضل به الله على الناس من الوحى . فاستهزأ به قومه وسخروا منه ، فلم يأبه باستهزائهم ، فاشتدوا عليه واضطهدوه ، فلم يقم لاضطهادهم وزناً ، فهددوه بالقتل فلم تلن له قناة ، ولم تنثن لهم عزيمة ، واتبعه نفر من قومه فلقوا من عمالأتهم له ما يلقى أهل الحق من شيعة الباطل ثم هاجر إلى قوم آخرين وهاجر معه من آمن به ، فتألب عليه خصومه واستثاروا معهم من استثاروه من أحلافهم ، وتقصدوا القضاء عليه وعلى من معه دفعات متوالية ، فنصره الله عليهم ، ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ القمر آية ٤٥ .

ثم ماهى إلا سنون معدودة حتى عمت دعوته جزيرة العرب كلها ، فلم يستهوه التفرد بالسلطان ، ولم تستغوه فواتن الملك إلى أن يغير من بساطته ، وطرز معيشته ، واستمر داعياً العالم كله إلى دينه ، مبشراً قومه بأن الله سيعطيهم خلافة الأرض ، وزعامة الأمم ، ماداموا عاملين بكتاب الله وسنته : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(٧)

فما هو إلا سنون معدودة حتى تحقق هذا الوعد ، وإذا بالعرب الذين كانوا بالأمس مضرب المثل فى الجاهلية والفرقة قد أصبحوا للعالم سادة ، ولشعوبه وأممه قادة ، فنظر الناس إلى الدين الذى أبلغ أهله هذه المرتبة فإذا : به مطمئن النفوس ، وسكن الأرواح ، وبلسم القلوب ، ونور العقول ، فدخلوا فيه أفواجاً أفواجاً ، بل ملايين وملايين ، فلم يمض عليه جيل واحد حتى كان

(٦) فصلت : آية ٥٣ .

(٧) النور : آية ٢٤ .



المؤذن في مسجد المدينة يقول : حي على الفلاح ، فيتابعه زميله عند أسوار الصين بمثلها .

ثم تمادى الزمان ، وتطاولت الأيام ، وإذا بالأمم الإسلامية التي بليت بالفتور أجيالاً ، تهب مذعورة على أبواق المدنية الأوروبية وطبولها ، ففتحت أعينها فإذا هي حيال علوم ، وفلسفات مغرية ، وآلات عجيبة ، ومخترعات مدهشة ، فوجمت برهة ، ثم أخذت تلقي بنظرها على ما تركته وراء ظهرها من تراث الآباء ، فإذا ماحيرها الساعة وأضاع رشدها ، وليد ما خلفه أولئك الآباء وثمرة جهودهم ، فإن زيد عليه شيء فما اقتضاه الفرق بين العصرين ، والتباين بين العهدين ، فأصبحت لديهم العقيدة التي كادت تتزعزع ، يقيناً لا يعتريه شك ، في أن الفتور الذي كانوا فيه هو نتيجة لتعاميهم عن التعاليم التي أورثوها ، فأقبلوا عليها أيما إقبال ، ورأوا نجاتهم في العود إليها على كل حال . وشجعهم الأجانب على هذه العقيدة بما كتبوه من تاريخ أسلافهم ، وما تبينوه من دراسة دياناتهم .

أيريد الطالب دليلاً أسطع من هذا على النبوة ؟

ألا سقياً ورعياً (لكارلايل) المؤرخ الفيلسوف الإنجليزي الكبير ، فلقد قال في كتابه الأبطال وديانة الأبطال : « أتريد دليلاً ممن يدعي لك أنه بناء أقوى من أن يبني لك داراً تسع الملايين الكثيرة من الناس وتدوم قروناً طويلة ، لا يعتريها تصدع ، ولايعتورها أقل تداع ؟ كذلك هل يطلب طالب إلى مدعي النبوة دليلاً أقوى من أن ينشر ديناً بين ملايين من البشر يستمرون عليه قروناً طويلة ويتحمسون له تحمساً كبيراً ؟ فمحمد قال بأنه رسول من عند الله وبرهن على صدق قوله بدين نشره في الناس ، أخذ به مائتان من الملايين ومضى عليهم فيه اثنا عشر قرناً[8] ، وهم يحبون دينهم هذا ويتحمسون له أكبر تحمس ، فماذا يراد من الأدلة على نبوته بعد ذلك ؟

« ألا فليعلم الناس أن التعاليم كأوراق البنك نوت ، فالحقيقة منها تتداول بين الناس ولا تثير أقل شبهة ، والزائفة منها تخدع بعض الناس مرة أو مرتين ثم يفتضح أمرها وتعرف أنها زائفة فتمزق كل ممزق » . انتهى .

هذا حق ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

محمد فريد وجدي

المجلد السادس

١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٦م

---

(٨) يزيد الآن على مليار ومائتي مسلم ـ مجلة الأزهر .

العلوم الكونية

الحسن بن أحمد الهمدانى

٢

عالم موسوعى لم ينصفه المؤرخون

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا*

مآثره العلمية :

عاش أبو محمد الحسن بن أحمد الهَمْدانى[١] جُلّ عمره فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) الذى بلغت فيه النهضة العلمية أوْج ازدهارها فى عصر الحضارة الإسلامية ، وأسهم بنصيب وافر فى مختلف فروع المعرفة بتمكن واقتدار .

ويشهد على تعدد مشاربه وغنى معارفه وأثر إسهامه فى إثراء التراث العربى الإسلامى ، بما يرفعه إلى مصاف علماء المسلمين البارزين ، قول محمد بن نشوان بن سعيد الحميرى لأحد مريديه : « ... سألت - أكرمك الله بأنواع كرامته ، وأعاذك من صرعة الباطل وندامته - أن أوضح شيئاً من أنساب حِمْير وأخبارها وما حفظ من سيرها وآثارها ، فأجبتك إلى ما سألت وأشفعتك منه بما طلبت ، مؤتماً بما ذكره الشيخ الفاضل المؤتمن ، لسان اليمن وفائق من كان فيه من الزمن ، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى - رحمه الله - مما صححه من علمه الجليل وحققه فى كتابه المعروف بالإكليل . وكان - رحمه الله - بمنزلة فى العلم والفضل ومعرفة بالفروع والأصل لا ينكرها إلا مكابر جاهل متعاط ما ليس له بأهل ، فتصنيفه فيه وفى سائر مصنفاته كتاب الأيام ونحوه - يدل على غزير علم وقوة فهم وشدة فحص على أخبار الأمم ومعرفة باهرة بأخبار العرب والعجم . وتصنيفه فى كتاب صفة جزيرة العرب كذلك ، ونحوه فى كتاب المسالك والممالك دليل على علمه الجم بأخبار العرب والعجم وإحاطته بأنساب الكافة وأخبارها ومعرفة أوطانها وديارها ومسافة طرقها ومسايل أوديتها وأنهارها ... وتصانيفه فى علم الطب والنجوم شاهده له

---

* أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

(١) أخبر الهمدانى نفسه بنسبة وسلسله إلى قبيلة همدان - بفتح الهاء وسكون الميم - التى لها بقية حتى اليوم . وقد لاحظنا أن البعض يخلط فى التسمية والنسب بين قبيلة همدان اليمنية وبين مدينة همذان الفارسية (أنظر على سبيل المثال : د. حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، الجزء الأول ، الطبعة التاسعة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٩ م ، ص ٥٩٦) . ولذا لزم التنويه .

في العلم بالحظ العظيم الذى فاق به علماء الطب والمنجمين ، وبرّز فيه على علماء الكفار والمسلمين مع ما كان فيه من شدة الورع والفضل المشهور في عصره لا يجارى أحد في أمره »[٢] .

وسوف نعرض فيما يلي بإيجاز لأهم مآثر الهمداني في بعض مجالات العلوم الكونية .

(أ) العلوم الفيزيائية :

سبق الهمداني إلى تقديم أساس مقبول لتفسير السقوط الحرّ للأجسام على أساس الجاذبية الأرضية ، فقد أكد حركة الأرض ودورانها حول نفسها ، وردّ على المعتقدين بأن الأرض لو دارت لطارت من فوق سطحها الأحجار واقتلعت الأشجار ، فأوضح لهم أن الأرض تجذب ما فوقها نحو مركزها ،وذلك بنص قوله : « فمن كان تحتها ـ أى الأرض ـ فهو في الثبات في قامته كمن فوقها ، ومسقطه وقدمه إلى سطحها الأسفل كمسقطه إلى سطحها الأعلى ، وكثبات قدمه عليه ، فهي ـ أى الأرض ـ بمنزلة حجر المغناطيس الذى تجذب قواه الحديد إلى كل جانب ، فأما ما كان فوقه فإن قوته وقوة الأرض يجتمعان على جذبه وما دار به فالأرض أغلب بالجذب »[٣] .

ويتضح جليا من هذا النص أن الهمداني قد ربط لأول مرة ظاهرة الجاذبية بالأرض التى تجذب الأجسام في كل جهاتها ، وهذا الجذب إنما هو قوة طبيعية مركّزة في الأرض وتظهر آثارها في مجال فعّال حول الأرض أشبه بذلك المجال الذى يتمتع به « حجر » المغناطيس ، ولولا هذه الخاصية لكانت كروية الأرض ودورانها سببين أساسيين في تطاير كل ما على سطحها . وبهذا المفهوم يكون الهمداني قد أرسى أول حقيقة جزئية في فيزياء ظاهرة الجاذبية ، وهى ما يعرف حاليا باسم « طاقة الموضع » أو « طاقة الكمون » الناتجة أصلاً عن ارتفاع الأجسام عن الأرض . وأضاف البيروني والخازني والبغدادى وغيرهم من علماء الحضارة الإسلامية ـ تباعاً ـ حقائق أخرى جزئية على طريق استكمال التصور الإنساني لظاهرة الجاذبية ، وبلورة مفاهيم فيزيائية جديدة ساعدت علماء النهضة الأوروبية بعد ذلك على صياغة النظريات والقوانين العلمية لحركة الأجسام على الأرض ، أو حركة الأرض والكواكب والنجوم في الفضاء الكوني .

(ب) علوم الفلك والرياضيات :

اهتم الهمداني بمختلف القضايا والمسائل العلمية المتداولة في عصره ، وتضمنت مؤلفاته مناقشة الكثير منها ، فقد تحدث ـ على سبيل المثال ـ عن زاوية الميل الأعظم بين المستوى المار بخط الاستواء الأرضي والمستوى المار بمدار الأرض حول الشمس ، وظهرت أثناء ذلك درايته الفائقة بهيئة الكرة السماوية ودوائرها . كذلك ناقش الهمداني أنواع الأخطاء التى تقع بين علماء الفلك في

---

(٢) راجع « المقالة العاشرة من سرائر الحكمة » للهمداني ، تحقيق محمد بن على الأكوع ، بدون تاريخ للنشر .

(٣) د. أحمد فؤاد باشا ، العلوم الفيزيائية في التراث الإسلامي ، دراسة تحليلية في الموضوع والمنهج ، أعمال ندوة التراث العلمي العربي في العلوم الأساسية ، طرابلس ليبيا ، ١٧ ـ ٢٠ ديسمبر ١٩٩٠ م .

أرصادهم ، وتناول التقاويم المختلفة عن العرب والروم والفرس والقبط ، وبحث في تصحيح الفرق بين مسارات الكواكب وحركاتها الظاهرية المنتظمة وبين حركاتها الحقيقية التي تختلف من موضع لآخر في المدار . ومن المعروف أن فهم هذه المسائل الفلكية يتطلب مهارة عالية في استخدام علوم الرياضيات ، وخاصة بعض نظريات حساب المثلثات الكروية(٤) .

كذلك يحتاج الفلكيون إلى معرفة جيدة بأجهزة الرصد والقياس ، فقد ذكر الهمداني مختلف أسماء « الأسطرلاب » الذي يستخدم لرصد أوضاع الأجرام السماوية وقياس ارتفاعاتها ، ويعتبر « زيج الهمداني » من أهم مؤلفاته الفلكية ، وكان عليه اعتماد أهل اليمن(٥) .

(جـ) علوم الأرض : الجغرافيا والجيولوجيا :

يعتبر الهمداني من أهم الذين أثروا التراث الإسلامي بمؤلفات جغرافية تمثل مرحلة النضج والاستقلال في تاريخ البحث الجغرافي . فقد تجلت رؤيته النقدية في كتابه « صفة جزيرة العرب » عندما تعرض لنظرية الفصول وقال رأيا مخالفاً لبطليموس عن لون جلد سكان المناطق الاستوائية وعن تقسيم العالم إلى أكثر من سبعة أقاليم . واعتمد الهمداني في تقريراته على ملاحظاته الشخصية مع اعتبار آراء السابقين ونقدها بموضوعية ، وكانت الرحلة الميدانية في أنحاء الجزيرة العربية مصدراً رئيسياً لجمع البيانات التي استخدمها لتصوير الواقع الجغرافي تصويراً مقبولاً في ذلك الوقت المبكر الذي عرف لأول مرة أهمية تسجيل الحقيقة الجغرافية .

وفي مجال الجيولوجيا يعتبر « كتاب الجوهرتين العتيقتين » للهمداني دليلا لتاريخ علم المعادن والتعدين دونته يد مؤرخ وعالم له دراية أكيدة بالتطبيقات العملية ، فقد سرد فيه مناجم الذهب والفضة المعروفة في جزيرة العرب وبلاد الأعاجم وأرض النوبة والحبشة ، واهتم بوصف مناجم اليمن وتهامة ونجد . كذلك عرض الهمداني في هذا الكتاب لتفسير بعض الظواهر الكونية تفسيراً علمياً مقبولاً ، فقد ذكر في تفسير حدوث الزلازل والبراكين ، وما يصحبها أحيانا من خسف Taphrogenesis على هيئة حركات رأسية إلى أسفل يصاحبها تصدع كبير الزاوية على نطاق واسع ، ما نصّه : « ويكون مما بطن من الأرض من تلك البخارات الجواهر المعدنية ... بعد أن يظهر ما تلطف حتى يصير إلى أجزاء سطح الأرض ، فإن لم يجد ما تلطف وما غلظ من تلك البخارات العميقة مخرجاً ولا منفساً اضطربت الأرض وتحركت لذلك فكان منها الزلزلة في جانبها الذي وقع فيه التأثير ، كالرطوبة الغليظة التي تولد في عضو من البدن فيحدث في ذلك العضو الاختلاج والارتعاش ، وكقراقر المعدة التي يضطرب لها البدن دون حركة الإنسان ، وإن كانت تلك

(٤) المثلث الكروي هو مثلث مرسوم على سطح كرة بحيث تكون أضلاعه على شكل أقواس من دوائر عظمى ، ويعبّر عن طول ضلع المثلث الكروي بقيمة الزاوية المقابلة له عند مركز الكرة .

(٥) الزيج ـ وتجمع على أزياج ـ يعني في اللغة : خيط البناء ، وهو المطمر (أنظر لسان العرب) ، واللفظ معرّب من اللغة البهلوية (أي الفارسية القديمة) ويعني السدى الذي ينسج فيه لحمة النسيج ، ثم أطلقه العرب على الجداول الرياضية المشابهة خطوطها الرئيسية لخيوط السدى .

الرياح وتلك البخارات المحتقنة المحتبسة فى بطون الأرض غليظة كثيرة بقيت الزلزلة أياما كثيرة ، وإن كانت قليلة رقيقة تحللت سريعاً وسكنت الزلزلة . وربما جلجلت الأرض فوقع الخسوف ، وربما خرج من موضع الخسف رماد كما ذكر أرسطو وذلك على قدر ما فى تلك الأرض من النارية الملتهبة والكبريتية القابلة لتلك النار الملتهبة »[٦] .

(د) العلوم الكيميائية :

ظهر عبر التاريخ القديم نوع من الكيمياء الخرافية سيطرت على المشتغلين بها فكرة إمكانية تحويل المعادن الخسيسة كالنحاس والرصاص والقصدير إلى معادن نفيسة كالذهب والفضة ، وحلم المهتمون بهذه الصنعة باكتشاف إكسير الحياة الذى يطيل العمر ويعيد الشباب ، وسرى تيار هذه الصنعة الفاشلة إلى بعض علماء العرب فى العصور الوسطى وبعض الأوربيين فيما بعد ، وتاجر بها المحتالون والمشعوذون ، مستغلين ضعف العامة وأنصاف المتعلمين أمام إغراءات الثراء والسعادة والصحة وطول العمر .

لكن الهمدانى لم يفكر أبداً فى تحضير الإكسير أو حجر الفلاسفة ، وخصص من كتاب الجوهرتين جزءًا كبيراً لمعالجة عمليات استخراج الذهب والفضة وتنقيتهما من الشوائب ، وشرح خطوات هذه العملية نظريا وتقنيا ، ابتداء من الحصول على المادة الخام من مناجمها وانتهاء بصبّ قوالب الذهب أو الفضة الخالصتين ، وإيضاح استخدامها فى صناعة الحلى وأغراض الطلاء وترصيع التيجان وتزيين صفحات القرآن الكريم .

كذلك قدم الهمدانى وصفاً تفصيلياً لعمليات كيميائية من قبيل الطبخ والتملغم بالزئبق والتصعيد والتقطير وغيرها ، واستخدام الميزان فى التقديرات الكمية ، وامتدّ اهتمامه فى مجال الكيمياء والتعدين إلى صناعة السبائك ومعالجة معادن أخرى غير الذهب والفضة ، مثل معالجة الحديد الخام والحصول على الفولاذ اللازم لصناعة السيوف وبعض أنواع الأسلحة .

وهكذا كان الهمدانى عالما موسوعيا مُلمًّا بالعديد من فروع المعرفة المعروفة فى عصره ، ونحن ندعو إلى تكثيف الجهود للبحث عن مؤلفاته المفقودة ، فإن فى الحصول عليها خيراً كثيراً .

---

(٦) كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء : للحسن بن أحمد الهمدانى تحقيق محمد محمد الشعيبى . بدون تاريخ للنشر .

مشكاة السنة النبوية

بين أصابعك

بقلم / نبيل صلاح محمود العربي*

الحمد لله الذى علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم

والصلاة والسلام على معلم الناس الخير سيدنا محمد رسول الله خاتم المرسلين ـ عليه الصلاة والسلام وبعد .

فلقد عنى المسلمون بحفظ السنة النبوية المشرفة على مر العصور ، وذلك لكونها الأصل الثانى لدين الإسلام بعد القرآن الكريم ، وقد أخذت هذه العناية اتجاهين :

تمثل الاتجاه الأول فى حفظ الأحاديث والآثار فى الصدور ؛ لتنقل بدقة وأمانة من السابقين إلى اللاحقين ، ثم تتابع العلماء على تدوين ما سمعوا وترتيبه وتبويبه ، فكُتب الموطأ والمصنفات والجوامع والسنن والمسانيد وغيرها ، ثم تتابعت الأعصر فنجد ما يُعرف بالمستخرجات والمستدركات ، ثم ظهر فى عصر تال محاولات متعددة لجمع وترتيب السنن بدأت بظهور كتب الأطراف والزوائد ، ثم تأسست الصورة الأولى للموسوعات الحديثية من خلال بعض المصنفات كالجامع الصغير وجمع الجوامع وغيرهما .

أما الاتجاه الآخر فظهر فى استنباط الضوابط والمعايير لتمحيص الآثار ، وتمييز ما يصح نسبته إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عما ليس كذلك ، فظهرت مباحث الجرح والتعديل ، وألفت كتب عديدة فى معرفة الصحابة مثل : أسد الغابة ؛ وكتب الطبقات مثل : الطبقات الكبرى لابن سعد ، وكتب فى رواة الحديث بصفة عامة مثل «التاريخ الكبير» للبخارى . هذا وقد لقى رجال الكتب الستة عناية خاصة فاشتهر كتاب «الكمال فى أسماء الرجال» وتهذيباته ومختصراته .

---

* ماجستير فى اقتصاديات تقنية المعلومات . مدرس مساعد بكلية التجارة ـ جامعة الأسكندرية .

وظهرت مصنفات في (الثقات) فقط وأخرى في (الضعفاء) بخاصة . وهكذا يتضح مدى عناية السلف الصالح بالنسبة للسنة النبوية وضبط طرق الرواية وتمييز الرجال ، فماذا بقي للمتأخرين ؟

لقد توجهت عناية أغلب الباحثين المعاصرين في العلوم الشرعية عامة إلى تحقيق المخطوطات ، وعزو المقالات ، وشرح المتون . وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسات إلا أنها ليست كل شيء .

فمع انتشار « الحاسوب Computer » وبروز إمكاناته الهائلة في حفظ المعلومات وسرعة استرجاعها كان على الباحثين أن يهتموا بتوظيف القدرات الهائلة لهذه الأداة ، وتمثل هذا الاهتمام في ظهور عدد من المشروعات البحثية .

بعض المشروعات أخذ الاتجاه الأول وهو حفظ الأحاديث والآثار - أو بالأحرى تحويل مصنفات السنن والآثار المخطوطة والمطبوعة إلى (مصنفات إلكترونية) - بينما أخذت مشروعات أخرى الاتجاه الآخر وهو الخاص بمباحث (الجرح والتعديل وتمييز الرجال) وهناك مشروعات قليلة أخذت على عاتقها المساهمة في الاتجاهين معا ، من بينها المشروع الذي نعرض له هنا ، وهو :

مشكاة السنة النبوية :

مشكاة السنة النبوية نظام متكامل يغطي جل أبواب علوم الحديث الشريف . ويقوم على إعداد المادة العلمية للنظام عدد من الباحثين في العلوم الحديثية[1] ، وقد بدأ العمل في هذا المشروع منذ مايو ١٩٩٣ م وظهر حتى الآن العديد من الإصدارات التجريبية ، ويرجى أن يظهر الإصدار الرسمي الأول قريبا ، علما بأن القائمين على المشروع يعتزمون توزيعه مجانا (بتكلفة قرص التخزين فقط) .

المواصفات الفنية لبرنامج مشكاة السنة

Technical Specifications

١ - يرتكز البرنامج على نظام التشغيل (دوس DOS) وينفذ على مستوى نظام التشغيل مباشرة ، مما يعني السرعة العالية في التنفيذ ، والكفاءة في استغلال الذاكرة الداخلية ، ووحدة التخزين الخارجية .

٢ - ينطوي البرنامج على نظام تعريب داخلي أصلي خاص به يتميز بعرض النص على الشاشة بأربعة خطوط مختلفة ، مع دعم مختلف الطابعات النقطية وطابعات (الليزر) وهذا فضلاً عن توفر إمكانية استخدام نظام تعريب خارجي مثل : مساعد العربي ، وصخر ، ونوافذ حسب رغبة مستخدم البرنامج .

٣ - السهولة التامة في التشغيل هي واحدة من أبرز سمات النظام حيث يتم تنفيذ كافة العمليات من خلال قوائم أنيقة بتحريك المؤشر بواسطة مفاتيح الأسهم ثم ضغط مفتاح الادخال Enter عند الاختيار المطلوب أو يمكن ضغط الحرف المميز مباشرة كما يمكن الخروج من أي موقف باستخدام Esc .

٤ - يمكن استخدام المفاتيح المباشرة Shortcut Keys لاستدعاء بعض العمليات دون الحاجة للتحرك داخل القوائم على الإطلاق ، وهذه الخاصية تناسب المستخدمين المحترفين .

(١) مدير المشروع والمشرف العلمي هو الدكتور أحمد عطية إمام وخطيب مسجد نور الإسلام بباكوس .

٥ ـ توجد وظائف عديدة تتاح فقط من سطر الأوامـــر *Command Line* ، وللتعـــرف على الخدمات المتاحة من سطر الأوامر تكتب الأمر التالي على مستوى نظام الدوس ? *Sonna* .

٦ ـ أثناء تشغيل البرنامج نلاحظ أن السطر الأخير من الشاشة يبين المفاتيح التي يمكن استخدامها للعمليات المختلفة ، كما أن هناك عداداً يظهر مثل الشريط المضيء « ليبين ما تم انجازه في العمليات التي تستغرق وقتاً . هذا فضلا عن ظهور رسائل تقريرية في نهاية معظم العمليات تنبه المستخدم إلى اتمام العملية المطلوبة .

٧ ـ توجد مساعدات فورية يمكن طلبها بضغط *(F1)* وذلك في عديد من المهام التي قد تحتاج إلى شرح .

٨ ـ عند إدخال أو تعديل البيانات يتابع البرنامج عملية الإدخال حيث يقدم قوائم فورية *Look Up Menus* لمعظم حقول البيانات مما يوفـــر على المستخدم مجهود كتابة البيانات ، كما أن مفاتيح الوظائف توفر مجموعة كبيرة من العبارات كثيرة الاستخدام مثل لفظ : « النبي صلى الله عليه وسلم » .

٩ ـ الطباعة منسقة تماماً بصورة أوتوماتيكية ، ولا تبدأ أي عملية طباعة إلا بعد أن يتأكد البرنامج أن الطابعة على اتصال بالحاسوب وجاهـــزة للعمل ، وإلا فإنه يعطى رسالة للمستخدم ليجهز الطابعة ويستأنف العمل .

ويمكن إلغاء هذه العملية بضغط *(Esc)* حتى بعد بدء عملية الطباعة ، هذا فضلاً عن إمكانية الطباعة في ملف ، وبالتالي إمكانية إعادة تنسيق الملف بمعالج كلمات خارجي .

١٠ ـ تتميز عمليات البحث بالمرونة التامة حيث توجد عدة طرق للبحث :

أ ـ البحث الفوري :

نظام خاص للبحث في متون الأحاديث يتميز بالسرعة الفائقة ويكون على مستوى الكلمة بلواصقها ، أو بدون لواصق ، أو على مستوى الجذر .

ب ـ البحث بالفهرس :

نظام سريع للبحث باستخدام بدايات الحقول .

ج ـ البحث في ملف :

نظام للبحث عن أي جزء من كلمة أو جملة في أي حقل بأي ترتيب ولكنه بطيء نسبياً .

د ـ الاستفسار :

نظام مركب للبحث عن عدد من المعلومات بأي (توأليف)(٢) من التركيبات المنطقية ويمكن حفظ فئة البحث واسترجاعها فيما بعد .

١١ ـ الانفتاح الكامل : حيث يمكن تصدير أي مجموعة (سجلات بيانات) إلى ملف خارجي للتعامل معه بواسطة أي برنامج آخر ، ومن جهة أخرى يمكن استيراد الملفات النصية *Text Files* (المكتوبة بالكود *CP711*) ودمجها في المذكرات سواء في بيانات الرواة ، أو الحديث ، أو اللغة ، أو بيانات مصنفات علم الحديث . كما يمكن تصدير محتويات المذكرات إلى ملفات خارجية للاستفادة منها في أي غرض آخر .

---

(٢) في الأصل (توليفة) بمعنى تجميع أشياء عدة بعضها إلى بعض لتكوين شيء متناسق . ولفظ (توألف) مصدر للفعل (توالف) الشيء : ائتلف . بعضه إلى بعض .

١٢ ـ نظام الحماية : هذا النظام يستفاد منه في حالة استخدام البرنامج من قبل عدد من الأفراد ويراد لبعضهم أن يتاح لهم الاستفادة من خدمات البحث والعرض والطبع دون إمكانية تعديل ، أو حذف البيانات بينما يتاح للبعض الآخر «المؤهلين» أن يعدلوا البيانات بالإضافة والحذف .

ولهذا الغرض يخصص لكل فرد (أو مجموعة أفراد) رقم هوية *User ID* و كلمة مرور *Password* تطلب دائماً في بداية التعامل مع البرنامج ، وبعد الإدخال تتاح الصلاحيات المناسبة لهذا الفرد (أو مجموعة الأفراد) ويكون تحديد أسماء الأفراد وصلاحيتهم من مسئولية رئيس مجموعة العمل .

١٣ ـ يوجد نظام متابعة يعمل تلقائيا بمجرد الدخول إلى البرنامج ويسجل في ملف دائم أسماء الأفراد الذين يتعاملون مع البرنامج ، وتاريخ وساعة دخولهم وخروجهم ، والعمليات التي قاموا بها فيما بين ذلك ، ويمكن الاطلاع على هذا الملف ومعرفة الأعمال التي تمت .

المحتوى العلمي لبرنامج مشكاة السنة النبوية

يحتوى البرنامج على خمسة أقسام :

١ ـ المصنفات في علم الحديث :

٢ ـ رواة الحديث (علم الرجال) .

٣ ـ الحديث الشريف .

٤ ـ دراسات .

٥ ـ خدمات مساعدة .

أولاً : قسم المصنفات :

يتضمن معلومات تفصيلية عن كافة الكتب والمراجع الحديثية التي تم اعتمادها في إعداد المادة العلمية للبرنامج ، فضلاً عن الكتب الأخرى ذات الأهمية الخاصة للمشتغلين بعلوم الحديث .

ويتضمن هذا القسم ـ أيضاً ـ جمعاً وافياً لأنواع الكتب المصنفة في علم الحديث مع التعريف بكل نوع بالإضافة إلى بعض الفوائد الأخرى المتعلقة به . وإلى جانب ذلك توجد معلومات عن أشهر المصنفين في علم الحديث بما في ذلك أعيان شيوخ المصنف وتلاميذه وبعض المعلمات الأخرى .

ثانيا : قسم الرواة :

يتضمن بيانات تفصيلية وافية عن رواة الحديث النبوى الشريف مستقاة من أشهر وأهم ما صنف في هذا الباب . وتشمل هذه البيانات : رقم الراوى الخاص ببرنامج مشكاة السنة ، واسم الراوى ونسبه وكنيته ولقبه ، وبعض المعلومات المتعلقة به ، ويعد بمثابة تعريف مختصر للراوى . ثم تاريخ المولد ومكانه وأماكن الإقامة وتاريخ الوفاة ومكانها وطبقة الراوى وفق ما نص عليه ابن حجر في (تقريبه) فيما يتعلق بالرواة المذكورين في «التهذيب» . ويحتوى البرنامج على تعريف لهذه الطبقات . فضلا عن هذا تجد بيانات مفصلة عن شيوخ الراوى وتلاميذه ورتبه الراوى عند كل من ابن حجر والذهبي ومعلومات أخرى .

ويهتم البرنامج بوضع تعريفات دقيقة لكل المفاهيم والمصطلحات وتجد هذا في كافة أقسام البرنامج .

وتنوّه هنا ببيان أن قسم الرواة ينطوى على وظيفة خاصة بدراسة وتحليل الأسانيد بحيث يمكن إدخال أى إسناد من أى مصدر ويقوم البرنامج بدراسة وتمييز الرجال ، ونظرا للأهمية الكبرى لهذه الوظيفة نعد بشرحها في مقال مستقل إن شاء الله .

ثالثا : قسم الحديث الشريف :

يتضمن هذا القسم بيانات وافية عن (خَلّ) ما يخص الأحاديث الواردة ببرنامج مشكاة السنة النبوية . وتشمل هذه البيانات : رقم الحديث ، والمصنّف والكتاب ، والباب ، والسند ، والمتن ، ودرجة الحديث ، وأقوال العلماء فيه ، وتصنيف الحديث بمعايير مختلفة ، ومعلومات أخرى منفصلة تتعلق بالفوائد الأصولية والفقهية واللغوية للحديث .

ونشير هنا إلى وظيفة البحث الفورى فى متون الأحاديث وهى وظيفة مبتكرة فى هذا البرنامج تسمح بالوصول إلى الأحاديث بمعرفة أى كلمة بلواصقها ، أو على مستوى الجذر فى أجزاء من (الثانية) .

رابعاً : قسم الدارسات :

ويشمل : غريب الحديث ، وإحصائيات الرواة ، وإحصائيات الحديث . فضلا عن جزء خاص بالطب النبوى .

خامساً : الخدمات المساعدة :

هذا القسم يتضمن وظائف فنية خاصة بـ : أغراض صيانة الملفات ، فهرستها ، وتوصيف أماكن وجودها على القرص ، وإعداد الملفات المؤقتة وغيرها ، بالإضافة إلى بعض الوظائف الأخرى كعرض الملفات النصية الموجودة على القرص ، والبحث خلالها عن كلمات أو عبارات معينة ، وكذلك نظام للمتابعة خاص بالمستخدمين للبرنامج ، ومفكرة شخصية ومعلومات حول البرنامج .

لقد كان هذا عرضا سريعا لأبرز جوانب العمل الكبير «مشكاة السنة النبوية» ولكن الأمر يستحق التوقف عند بعض النقاط ، وهذا ما نأمل أن نفعله فى مقالات أخرى .

---

* تم اختيار قسم المصنفات التالية : تهذيب الكمال للمزى والكاشف الذهبى وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب وتعجيل المنفعة لابن حجر .

من أمراض الطفولة

٣ - أنيميا الخلايا المنجلية

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى

تحدثنا في المقالين السابقين عن فقر الدم الناجم عن زيادة تحلل كرات الدم الحمراء ، وقد قمنا بإلقاء الضوء على مرض « أنيميا الفول » وأنيميا زيادة الخلايا الكروية في الدم ، واليوم نستأنف الحديث عن هذا النوع من فقر الدم بإلقاء الضوء على مرض أنيميا الخلايا المنجلية .

● **ماهية مرض أنيميا الخلايا المنجلية Sickle cell anemia :**

هو فقر دم وراثي ، ناجم عن خلل في تكوين البروتين (الجلوبين) ، المكون (للهيموجلوبين) حيث يستبدل بالحامض الأميني « جلوتامين » Glutamine حامض أميني آخر وهو « الفالين » Valine ، ويحدث هذا في المكان السادس من نهاية سلسلة الأحماض الأمينية « بيتا » B-chain ، المكونة للهيموجلوبين ، ويسمى هذا الهيموجلوبين المصاب بخلل في تكوينه : بالهيموجلوبين « إس » Hemoglobin S وهو يتميز بقلة الذوبان ، قياساً بالهيموجلوبين صحيح التكوين : (هيموجلوبين أ) Hemoglobin A ، وفي حالة قلة نسبة الأوكسجين في دم الطفل ، يترسب هذا الهيموجلوبين المختل التكوين ، في كرات الدم الحمراء ، وتصبح « منجلية الشكل Cresent or Sickle Shaped » أي أشبه بمنجل الحصاد ، ويؤدى هذا إلى انسداد الأوعية الدموية ، خصوصاً الصغيرة ، مع قلة كمية الدم ، التي تصل للأنسجة ، التي تغذيها تلك الأوعية الدموية . وقد تصاب هذه الأنسجة بجلطة Infaraction ، وأيضاً بعد فقدان جزء من الغشاء الخلوي ، وتصبح الخلايا كروية الشكل ، سهلة التحلل ، في طحال الطفل . داخل أوعيته الدموية أيضاً .

* * *

صور المرض :

إذا كان أحد الجينين الخاصين بتكوين سلسلة الأحماض الأمينية « بيتا » للهيموجلــوبين ، مصاباً ، والآخر صحيحاً .. فإن الطفل يكون حاملا للمرض Sickle cell trait ، ويكون لديه نسبة قليلة من الهيموجلوبين « إس » (حوالى ٣٥٪ ـ ٤٥٪) ولا يعانى هذا الشخص من حدوث فقر دم ، أو تحلل فى كرات دمه الحمراء ، إلا فى حالات التعرض لقلة الأوكسجين . أما إذا كان الجينان مصابَيْن ، فإن الشخص يكون مصاباً بمرض أنيميا الخلايا المنجلية : Sickle cell disease ، وتتجلى عليه أعراض المرض بوضوح فى خلال النصف الثانى من العام الأول من عمر الطفل وتشمل الآتى :

(أ) أعراض ناجمة عن تحلل كرات الدم الحمراء وهى :

* شحوب الطفل مع شعوره بالتعب والصداع والخفقان عند بذل أدنى مجهود .

* اصفرار العين والجلد والأغشية المخاطية للطفل ، وقد يصاب بحصوات مرارية متكررة : Gall stone .

* تضخم الطحال ، ولكن نظراً لإصابة الطحال بجلطات متكررة Repeated Splenic infaractions ، يحدث ضمور للطحال عند سن (٥) إلى (٦) سنوات ، وكأن جسم الطفل قد قام باستئصال الطحـال ذاتيـاً autosplenectomy ، ونتيجة لهذا ، فإن مادة « الأوبسونين Opsonins » التى يكونها الطحال ، تقل فى الكمية ، وحيث إنها تساعد فى عملية التهام (البكتريا) ذات المحفظة المحاطة بها Capsule ، فيؤدى هذا إلى إصابة الطفـــل بالالتهابات الشديدة الوطأة ، خاصة التهاب غشاء المخ ، والتسمم الدموى بـ (البكتريا) المكورة الرئوية Pneumoco ccal meningitis and septicemia وأيضاً الالتهاب العظمى البكتيرى بالسالمونيـلا Salmonella Osteomyelitis .

● قُصُور وظائف الكلى المطرد ، نتيجة تحلل أنسجتها glomerulo tubular necrosis وأيضاً قد يصاب الطفل بـ (أوديما) كلوية Nephrotic Syndrome .

* * *

(ب) إصابة الطفل بنوبات حادة acute crisis وتشمل :

١ ـ نوبـة انسداد الأوعيـة الدمويـة : Vaso-occlusive crisis

وقد تحدث تلقائياً بدون سبب مباشر ، أو نتيجة لإصابة الطفل بأحد الالتهابات ، وقد يؤدى هذا إلى :

● إلتهاب عظام اليد والقــدم hand foot syndrome ويؤدى هذا إلى حدوث تورُّم مع ألم شديد فى يدى الطفل وقدميه ، وقد يحدث التهاب مع تورم وألم شديد فى أحد المفاصل الكبيرة : Sickle cell arthritis .

● ألم شديد فى البطن ، وقد تحدث جلطات فى أحشاء الطفل .



● قد يحدث خلل فى جهاز الطفل العصبى ، نتيجة انسداد أحد الأوعية الدموية المغذية لمخ الطفل .

● ألم شديد فى الصدر نتيجة حدوث جلطة فى رئة الطفل أو قلبه .

٢ ـ نوبة تجمع كميات كبيرة من الدم فى طحال الطفل : Sequestration crisis

ويصبح الطحال متضخما ومؤلماً ، مع قلة كمية الدم فى الأوعية الدموية ، وقد يؤدى هذا إلى وفاة الطفل .

* * *

٣ ـ النوبة اللاَّتكوينية : Aplastic crisis

حيث يصاب النخاع العظمى فجأة بعدم القدرة على تصنيع كرات الدم الحمراء ، نتيجة للإصابة بأحد الفيروسات : human parvo virus ويؤدى هذا إلى حدوث فقر دم شديد ، مع قلة نسبة الصفراء فى الدم وعدد الخلايا الشبكية .

٤ ـ نوبة الزيادة المفاجئة فى تحلل الكرات الحمراء : Acute Hemolytic and hyperhemolytic

ويحدث هذا نتيجة لإصابة الطفل بأحد الالتهابات ، أو إذا كان مصاباً بأنيميا الفول ، علاوة على إصابته بهذا المرض ، ونتيجة لهذا ، يصاب الطفل بالشحوب الشديد ، مع احمرار لون البول ، وزيارة نسبة مادة الصفراء فى الدم ، مع زيادة عدد الخلايا الشبكية

* * *

● طرق تشخيص المرض :

١ ـ القيام بعمل صورة دم كاملة ويتجلى فيها :

قلة نسبتى الهيموجلوبين ، وعدد كرات الدم الحمراء ، مع زيادة نسبة الخلايا الشبكية ، وقد تظهر الخلايا الحمراء المنجلية الشكل .

٢ ـ زيادة نسبة الصفراء فى دم الطفل .

٣ ـ القيام بإجراء اختبارات خاصة لتشخيص المرض :

(١) اختبار التحليل الكهربائى لهيموجلوبين الطفل : Hb electrophoresis

وهو أدق اختبار لتشخيص المرض ، ومعرفة نوع الهيموجلوبين ، حيث يشكِّل (الهيموجلوبين إس) المختل التكوين ، حوالى ٩٠٪ من هيموجلوبين المريض ، وحوالى (٣٥٪ ـ ٤٥٪) من هيموجلوبين الطفل الحامل للمرض .

(٢) إجراء الاختبار لقياس الميل لتكوين الخلايا المنجلية فى دم الطفل Sickling test .

ويؤدى هذا الاختبار ، بإضافة مادة ميتابيسلفات الصوديوم : Na metabisulfite إلى دم الطفل ، وهى مادة مختزلة للأوكسجين ، فإذا كان الطفل مصاباً بالمرض فإن جميع خلايا الدم الحمراء ، تصبح بسرعة منجلية الشكل ، أما إذا كان الشخص حاملا للمرض ، فإن جميع خلايا الدم الحمراء أيضاً تصبح منجلية الشكل ، ولكن ببطء .

(٣) الاختبار المحدد لمدى قابلية الهيموجلوبين للذوبان : Hb Solubility test

حيث ان هيموجلوبين المريض (إس) يكون غير قابل للذوبان ، في مادة الفوسفات ، فيحدث تعكُّر به .

* * *

● علاج المرض :

ويتم هذا فقط ، أثناء إصابة الطفل بإحدى النوبات ، ويفضل تجنب حدوثها ، بالعلاج الأمثل السريع للالتهابات ، التي تصيب الطفل ، وتمنع إصابة الطفل بالجفاف – أما إذا حدثت هذه النوبات ، فإن علاجها يتم كالآتي :

● **نوبة انسداد الأوعية الدموية :**

* يتم إعطاء الطفل سوائل بكميات كبيرة عن طريق الحقن .

* وإعطائه مُسكنات للألم : Analgesics .

* تمهل وتجب المسارعة بغير تقاعس بعلاج الالتهابات الحادة الطارئة إذا أصيب بها الطفل .

* قد يحتاج الطفل لنقل الدم أو تغيير جزئي للـــدم Partial exchange transfusion حتى تقل نسبة (الهيموجلوبين إس) ، عن ٤٠٪ لانتهاء تلك النوبة .

● **نوبة زيادة تحلل الدم ، أو قلة تكوين كرات الدم الحمراء ، أو نوبة احتجاز الدم في طحال الطفل :**

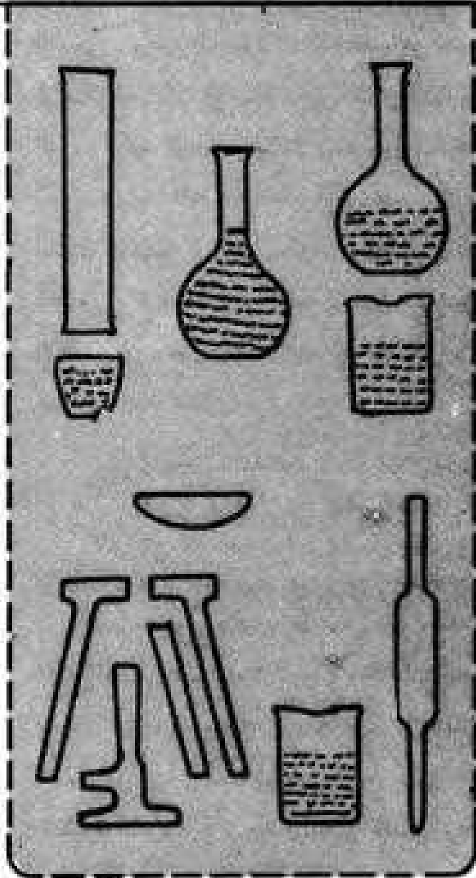
وتعالج تلك النوبات بنقل دم للطفل المريض ، ومن الجدير بالذكر أن استئصال الطحال قد يتم في حالة زيادة نشاط الطحال ، مع تكسير خلايا الدم ، أو إصابة الطفل بنوبات احتجاز الدم في الطحال المتكررة .

وسوف نستأنف حديثنا عن فقر الدم الناجم عن زيادة تحلل كرات الدم الحمراء ، في مقالنا التالي – بإذن الله تعالى .

﴿ ويخلق ما لا تعلمون ... ﴾

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ نجوى السيد أحمد (*)



● خط اليد لتحديد الشخصية

نشرت إحدى الصحف البريطانية تقريراً عن تمييز خط يد كل إنسان بثلاثمائة ملمح ينفرد بها عن غيره من بني الإنسان ، ويمكن لخبير علم الخط من خلال فحصها التوصل عملياً إلى معلومات مفصلة حول جميع جوانب شخصية الإنسان وقدراته العقلية ، فإذا ما قدم لخبير الخط خطاب لا يزيد عدد سطوره عن خمسة عشر سطراً مكتوبة بخط اليد يمكنه معرفة : مدى أمانة الشخص وسلامة ذهنه ، وتوفر خصال القيادة في شخصه ودرجة ولائه واستعداده للتعلم ، وقدرته على الإبداع والابتكار ، وتستخدم هذه الطريقة لتحديد صلاحية الشخص من عدمه لشغل بعض الوظائف في الشركات البريطانية .

* باحثة بالمركز القومي للبحوث ـ الدقي

● الهندسة الوراثية لعلاج مرض السرطان

يقوم الباحثون الفرنسيون بإجراء التجارب على نوع جديد من العلاج لمرضى السرطان باستخدام تقنية الهندسة الوراثية ونقل « الجينات » ، فقد قاموا بتصميم ما يمكن وصفه « بالمركبة » التي يمكنها حمل ونقل هذه الجينات التي تم إعدادها بأحد مراكز الأبحاث في باريس إلى قلب الخلايا المريضة ، حيث تقوم هذه الجينات بالقضاء تماما على الخلايا السرطانية . وهذه « المركبة » عبارة عن نوع معين من « الفيروسات » يمكن ترويضه والتحكم فيه وتجريده من أية عوامل ضارة .

أسلاك الكهرباء تسبب سرطان الدم

اكتشف الباحثون في السويد أن حالات الإصابة بمرض « اللوكيميا » أي : « سرطان الدم » قد زادت بين الأطفال الذين يتعرضون للمجالات المغناطيسية التي تولدها خطوط القوة الكهربائية ، حيث ثبت أن أسلاك الكهرباء سواء داخل المنزل أو مقر العمل أو عند خطوط الإرسال يمكن أن تسبب كافة أنواع السرطان ، وخاصة سرطان الدم ، وكلما زاد التعرض لهذه الأسلاك كلما زاد خطر الإصابة .

● دم صناعي جديد يحافظ على معدل الأكسوجين في المخ

توصل الباحثون في جامعة « تكساس » بالولايات المتحدة إلى إنتاج دم صناعي جديد ؛ لاستخدامه في عمليات نقل الدم بدلا من الدم الطبيعي ، وأعلن الباحثون أن الدم الصناعي يجنب الإنسان احتمالات الإصابة بمرض الإيدز وفيروس التهاب الكبد الوبائي ، وذلك أثناء عمليات نقل الدم . ويتميز الدم الجديد بأنه لا يتطلب شرط انطباق الفصيلة والتماثل اللازمين في نقل الدم الطبيعي . كما تمتد مدة صلاحيته إلى ١٢ شهراً على الأقل ، أي أطول بنسبة عشر مرات من فترة صلاحية الدم البشري .

التنفس يحدد مرض الطفل :

أكد باحثون بريطانيون أن قياس معدل تنفس الطفل المريض يعتبر عاملا ضروريا وحاسماً لتحديد ما إذا كان الطفل مصاباً بالتهاب قوي في جهازه التنفسي ، أم أنه مصاب بأمراض أخرى أقل خطورة كالبرد ؛ لأن معدل تنفس الطفل يزداد عندما يكون مصاباً بالالتهاب الرئوي ، ويوصف بالتنفس السريع .

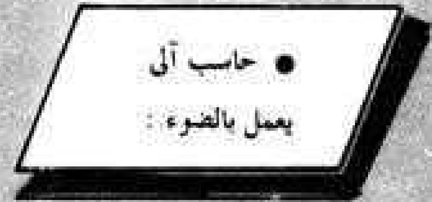


أعلن أساتذة جامعة « نورث ويسترن » بشيكاغو - فى دراسة علمية نشرت مؤخراً - توصلهم لاكتشاف طبيعة فيروس الإنفلونزا، وطريقة اقتحامه لخلايا جسم الإنسان مما يعد كشفاً خطيراً سوف يؤدى إلى تطوير الأدوية التى تستخدم فى علاج الإنفلونزا، كما أنهم توصلوا إلى اكتشاف جميع مراحل إصابة الفيروس لخلايا الجسم وتكاثرها، حيث تبين أن الفيروس يشكل قناة داخل الخلية تسمح له بالتحرك بسهولة، ثم التكاثر إلى عدة فيروسات تصيب باقى الخلايا، مما يؤدى فى النهاية إلى إصابة الإنسان بالمرض .



تقوم إحدى الشركات اليابانية للصناعات الإلكترونية بتصنيع حاسوب صغير فى حجم الجيب، يمكنه تخزين ما يعادل من ٣ آلاف صفحة من الكتابة فى قرص بلاستيك قطره ٧ سنتيمترات .

يتكون الجهاز من شاشة صغيرة ومجموعة مفاتيح يمكن استخدامها لاختيار أى صفحة أو معلومة معينة فتظهر على الشاشة، ويتميز هذا الحاسوب بسهولة حمله فى أى مكان وتوفير المعلومة للقارىء بسهولة .



أجرت إحدى الشركات الأمريكية للالكترونيات تجربة ناجحة لاستخدام الضوء بدلا من الإشارات الإلكترونية فى تشغيل الحاسب الآلى باستخدام منشورات زجاجية وعدسات وأشعة الليزر وترانزستورات ضوئية . ويؤكد علماء الشركة أن استخدام الضوء بدلا من الإشارات الإلكترونية يجعل الأجهزة أسرع بحوالى ١٠ آلاف مرة فى إجراء العمليات المطلوبة .

غـايـة شـوط

بقلم الفريق / يحيى عبدالله المعلمي

غايةُ الشوط بحصنِ الخالدينْ   معقل الإبداع والفن الرصينْ
بعد كدٍّ وكفاحٍ لا يلينْ   تبلغ الذروة آمال السنينْ
عِشقُنا الفصحى بوجد الوالهينْ   قد رعيناها بشوق وحنينْ
وعذارى الشعر حيناً بعد حينْ   تتراءى كطيوفٍ للعيونْ
كفراشات بأعماق الكونْ   حالمات عن يسار ويمينْ
تُمشي .. صيّرتني في شجونْ   كي أنال القرب .. قُربَ العاشقينْ
وتأبّتْ بدلال وفُنونْ   تنشد الإغداق رقراق المعينْ
مهرها الديباج والخز الثمينْ   لمعانٍ .. تنشر اللفظ المبينْ
بوشاح بُحتريّ (الياسمينْ)   وقد ازدان بوشي الملهمينْ
بلوغ الأوج من ذا يستهينْ ؟   بحياكم صِرْتُ وضاء الجبينْ

● ● ●

كم تجافى الجنبُ في المهد الوثيرْ   في ليالي السعد والعهد النضيرْ
كانت (الأسفار) كالكنز الأثيرْ   تُترع الوجدان بالعلم الغزيرْ
كل سفر بشهيق وزفيرْ   كان دنياي ومصباحي المنيرْ
أشهد الأفلاك ما بين السطورْ   في ائتلاف منذ أعماق العصورْ
أي صعب هو في عزمي يسيرْ   «والأماني حينما برتْ.. تسيرْ»
وعشقت الشعر في شَخْبٍ غضيرْ   لا يعاق من (زِحاف) أو كسورْ
وجفوت (النّبط) أنّى فطيرْ   يرمق الفصحى بصمت لا يحيرْ

أين لفظ دارج المبنى حميز ... من فصيح اللفظ ذى المعنى العزيز
لغة القرآن للفذ العميز ... نبع إثراء إلى يوم النشوز

• • •

بين أقلامى وأوراقى عهود ... كنت فيها عن شموز لا أحيد
أنشد التوفيق بالجهد الجهيد ... كان نبل القصد لى بيت القصيد
وكتاب الله لى نعم المفيد ... كان مشكاتى إلى الرأى السديد
وحديث المصطفى حبل الوريد ... صار زادى فى صدور، وورود
وشؤون الأمن فى الإسلام بيد ... صرت فيها صاحب الشأو البعيد
بعد تصنيفىَ للجمّ العديد ... كان إقدامى بإخلاص شديد
ما قصدت الزهْوَ والفخر المديد ... بل كجُنْدِىٍّ مشى بين الجنود
لابتغاء الأجر من رب مجيد ... كان كَدْحِى .. لا لسَبْقٍ أو صعود
سد الخطو إلى منحى يُشيد ... برجالاتٍ هم نهج رشيد
تذكر (الأعلام) منهم بالمزيد ... من دراسات تشوق المستزيد

• • •

إيه يا نخبة أقطاب البيان ... أوَ حقاً ما يراه الناظران
ما بدا فى الحفل من رأى العيانْ ... أشخوص أم (عقود من جُمَانْ)
كنت قبلاً فى بعاد وافتتان ... وحدا بى للطموح الحَرَمانْ
(مَجْمَعُ الضاد) دواماً فى الجَنَانْ ... واختيارى فيه لى عزٌّ وشانْ
كنت بالأمس بسيف وسنانْ ... وأنا اليوم يَراعٌ ولسانْ
كنت طوداً فى نزال وطعانْ ... وبِدَاىَ اليوم كم ترتجفانْ
فأعينونى بتدعيم الكيانْ ... أنا فى البدء جدير باحتضانْ
لغة الضاد ستبقى فى أمانْ ... لا انحلالٌ يعتريها أو هوانْ
بل شموخ بابتكاراتِ (اللجانْ) ... أنتم الحُرَّاس فى هذا الزمانْ
أتقنوا التنقيب فى شتى المظانْ ... لازدهارٍ فى زمان أو مكانْ

• • •

الشواهد النحوية بين الدلالة اللغوية والمتعة الأدبية

٣

للشيخ عبدالحفيظ فرغلي القرني

حول اسم المصطفى ﷺ :

استشهد النحاة بقول حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ في مدح النبي ﷺ :

وشقَّ له من اسمه ليُجلَّه فذو العرش محمودٌ وهذا محمد

وعلة استشهادهم بهذا الشاهد أنه يجوز لمح الوصف مع العلمية ، أي يمكن أن يلاحظ بعد العلمية الوصف الذي كان قبلها ـ بالنسبة للعلم المنقول من صفة .

والوصف في هذا العلم (محمد) واضح ، وقد وضع ـ كما يقول العلامة الرضيُّ في شرح الكافية علماً لنبينا ﷺ بملاحظة معناه في اللغة ، كما قال صاحب العباب[1] وغيره : الذي كثرت خصاله المحموده ـ كما قال الأعشى في مدح النعمان المنذر :

إليك ـ أبيت اللعن ـ كان كلالها إلى الماجد الفرع الجواد المحمَّد

وبعد أن صار علماً يجوز أن يلحظ معناه اللغوى كما لحظه حسان بن ثابت في بيت الشاهد .

اشتقاق اسمي محمد وأحمد :

وتعليقاً على تعليق البغدادى في « خزانة الأدب » نذكر ما قاله السهيلي في كتابه « الروض الأنف »[2] حول هذا الاسم :

قال : إن اسم (محمد) منقول من الصفة ، فالمحمَّد في اللغة هو الذي يُحمد حمداً بعد حمد ، ولا يكون مُفَعَّل مثل مُضَرَّب ومُمَدَّح إلا لمن تكرر فيه الفعل مرة بعد مرة .

---

(١) العباب الزاخر في اللغة ـ للإمام حسن محمد الصغاني ت ٦٥٠هـ .

(٢) الروض الأنف : للفقيه المحدث أبي القاسم عبدالرحمن السهيلي ت ٥٨١ ـ شرح فيه سيرة ابن هشام .

وأما أحمد فهو اسمه ﷺ الذى سمي به على لسان عيسى وموسى ـ عليهما السلام ـ وإنه منقول أيضاً من الصفة التى معناها التفضيل ، فمعنى (أحمد) أى أحمد الحامدين لربه ، وكذلك هو فى المعنى ؛ لأنه تفتح له فى المقام المحمود محامد لم تفتح على أحد قبله ، فيحمد ربه بها ، ولذلك يُعقد له لواء الحمد .

سبب تسميته بهذين الاسمين :

قال السهيلى : أما محمد فمنقول من صفة أيضاً ، وهو فى معنى محمود ، ولكن فيه معنى .

المبالغة والتكرار ، فاسم محمد مطابق لمعناه ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ سماه به قبل أن يولد ، فهذا علم من أعلام نبوته ؛ إذ كان اسمه صادقاً عليه ـ فهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ محمود فى الدنيا بما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة ، وهو محمود فى الآخر بالشفاعة ؛ فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضى اللفظ ..

ثم إنه لم يكن محمداً حتى كان أحمد ؛ حمد ربه فنبأه وشرفه ، فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذى هو محمد ، فذكره عيسى ـ عليه السلام ـ فقال فيما يحكيه القرآن : « اسمه أحمد » الصف[٦] .

وذكره موسى ـ عليه السلام ـ فيما ورد فى الأخبار حين قال له ربه : « تلك أمة أحمد » فقال : « اللهم اجعلنى من أمة أحمد » .

فبأحمد ذكر ﷺ قبل أن يذكر بمحمد ؛ لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له ، فلما وُجد وبعث كان محمداً بالفعل .

حمد الشفاعة :

قال السهيلى : وكذلك فى الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التى يفتحها عليه ، فيكون أحمد الحامدين لربه ، ثم يشفع فيحمد على شفاعته . ومن هنا تظهر الحكمة الإلهية فى تخصيصه بهذين الإسمين ، وقد أنزلت عليه سورة « الحمد » وخُصَّ بها دون سائر الأنبياء ، كما خُصَّ بلواء الحمد ، وخُصَّ بالمقام المحمود .

وانظر كيف شُرع لنا سنة وقرآناً أن نقول عند اختتام الأفعال وانقضاء الأمور : « الحمد لله رب العالمين » قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ـ الزمر ٧٥ ـ وقال تعالى : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يونس ١٠ . تنبيهاً على أن الحمد مشروع لنا عند انقضاء الأمور .

وقد سنّ النبى ﷺ لنا الحمد بعد الأكل والشرب ومختلف الأعمال المشروعة ، وقد قال عند انقضاء السفر : « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون » جامع الأحاديث للسيوطى جـ ١ ص ٢٧ .

ثم انظر لكونه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، فكانت بعثته مؤذنة بانقضاء الرسالة وارتفاع الوحى ونذيراً بقرب الساعة ــ مع أن الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الأمور ــ تجد معنى اسميه جميعاً وما خص به من الحمد والمحامد مشاكلاً لمعناه مطابقاً لصفته ، وفى ذلك برهان عظيم وعَلَم واضح على ثبوته وتخصيص من الله ــ تعالى ــ بكرامته ، وأنه قدم له هذه المقدمات قبل وجوده تكرمة له ، وتصديقاً لأمره ﷺ وشرفاً وكرماً .

تعليق البغدادى على بيت الشاهد :

قال البغدادى : وهذا البيت أول أبيات ثمانية مدح بها حسان بن ثابت النبى ﷺ وهذه الأبيات هى :

وشـق لـه من اسمـه ليجلّـه ... فذو العرش محمود وهذا محمد
نبـى أتانـا بعـد يـأس وفتـرة ... من الرسل ، والأوثان فى الأرض تعبد
فأمسى سراجـاً مستنيرا وهاديـا ... يلـوح كما لاح الصقيـل المهنـد
وأنذرنـا نارا وبشر جنـة ... وعلمنـا الإسـلام فالله نحمـد
وأنت إله العـرش ربـى وخالقـى ... بذلك ما عُمِّرتُ فى النـاس أشهـد
تعاليت ربَّ الناس عن قول من دعـا ... سـواك إلهـا أنت أعلى وأمجـد
لك الخلق والنعماء والأمـر كلـه ... فإيـاك نستهدى وإيـاك نعبـد
لأن ثـواب اللـه كل موحـد ... جنـان من الفـردوس فيهـا يخلـد

رواية أخرى فى بعض الأبيات :

وهذا هو المثبت فى ديوان حسان برواية أبى سعيد السكرى ، ولكن جاء فى المواهب اللدنية للقسطلانى(٣) : ثم إن فى اسمه ﷺ خصائص منها أنه ــ تعالى ــ شقه من اسمه المحمود كما قال حسان :

أغـر عليـه للنبـوة خاتـم ... من اللـه من نـور يلـوح ويشهـد
وضـم الإلـه اسم النبى إلى اسمـه ... إذا قـال فى الخمس المؤذن أشهـد
وشـق له من اسمـه ليجلـه ... فـذو العرش محمود وهـذا محمـد

(٣) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية فى السيرة النبوية للإمام شهاب الدين أبى العباس أحمد بن محمد القسطلانى المصرى ت ٩٢٣هـ .

وعلى هذه الرواية فالواو فى (وشق) للعطف على ما قبله ، وفاعل شق ضمير الإله ، والضمير فى (له) راجع للنبى - ﷺ - :

ثم قال صاحب المواهب : وأخرج البخارى فى « تاريخه الصغير » من طريق على بن زيد قال : كان أبو طالب يقول : وشق من اسمه ليجله .. البيت .

نقول : والمعروف أن أبا طالب مات قبل إسلام حسان بن ثابت ، فعلى هذا يكون البيت المذكور سبق به أبو طالب حسان بن ثابت :

من سمى النبى - ﷺ - بهذا الإسم ؟

قال البغدادى : وقد سماه الله - تعالى - بهذا الإسم قبل الخلق بألفى ألف عام كما ورد من حديث أنس بن مالك من طريق أبى نعيم فى مناجاة موسى .

وروى ابن عساكر عن كعب الأحبار قال : « إن الله أنزل على آدم عصيا بعدد الأنبياء والمرسلين ، ثم أقبل آدم على ابنه شيث فقال : أى بنى أنت خليفتى من بعدى ، فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى ، وكلما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه محمداً ، فإنى رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وأنا بين الروح والطين ، ثم إنى طفت السموات فلم أر فى السموات موضعاً إلا رأيت اسم محمد مكتوباً عليه ، وإن ربى أسكننى الجنة فلم أر فى الجنة قصراً ولا غرفة إلا اسم محمد مكتوباً عليها ، ولقد رأيت اسم محمد مكتوباً على نحور الحور العين ، وعلى ورق قصب آجام الجنة ، وعلى ورق شجرة طوبى ، وعلى ورق سدرة المنتهى ، وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة ، فأكثر ذكره فإن الملائكة تذكره فى كل ساعاتها » .

رؤيا عبدالمطلب :

ويستطرد البغدادى فى خزانته فيشير إلى سبب اهتداء عبدالمطلب وتوفيقه فى اختيار هذا الاسم الذى سمى به حفيده ﷺ فيقول :

قيل لعبد المطلب : كيف سميته بهذا الإسم وهو ليس لأحد من آبائك وقومك ؟

فقال : لأنى أرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم ، وذلك لرؤيا كان رآها عبدالمطلب كما ذكر حديثها « على القيراوانى العابر » فى كتاب « البستان » قال : كان عبدالمطلب قد رأى فى المنام كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء ، وطرف فى المشرق ، وطرف فى المغرب ، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور ، وإذا أهل المشرق والمغرب كلهم يتعلقون بها . فقصها ، فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق وأهل المغرب ، ويحمده أهل السماء

والأرض ، فلذلك سماه محمداً ، مع ما حدثته به أمه آمنة ، حين قيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وضعته فسميه محمداً .

ومن أسمائه محمود :

وقال البغدادى : ومن أسماء النبى ـ ﷺ ـ « محمود » ذكر ذلك صاحب المواهب اللدنية ، قال : اعلم أن من أسماء الله تعالى ـ الحميد ، ومعناه المحمود ، لأنه تعالى حمد نفسه ، وحمده عباده ، وقد سمى الرسول ـ ﷺ ـ بمحمود ، وكذا وقع اسمه فى زبور داود ـ عليه السلام ـ .

وقال الشامى[4] فى سيرته : ومن أسمائه ـ ﷺ ـ المحمود ، وهو المستحق لأن يحمد لكثرة خصاله الحميدة ، قال حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ :

فأصبح محمودا إلى الله راجعا ... يبكيه حق المرسلات ويحمد

وهو من أسمائه ـ تعالى ـ كما قال حسان :

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وعليه فهو اسم مشترك بين الله ـ تعالى ـ وبين نبيه ـ ﷺ ـ قال البغدادى : ولم أر من صرح بهذا غير الشامى .

هل أحمد أفعل تفضيل ؟

قال السخاوى فى سفر السعادة[5] : أحمد مأخوذ من الحمد كما أخذ أحمر من الحمرة ، وأحمد أبلغ من محمد ، كما أن أحمر وأصفر أبلغ من محمَّر ومُصفَّر ، لأن الوصف فى أحمر وأصفر ألزم .

وليس أحمد بمنقول من الفعل المضارع ، ولا هو أفعل تفضيل كأكرم ، ومن هذا : الله أكبر .

بركة هذا الإسم :

واسم محمد وأحمد له بركة لصاحب المسمى به ، وعلى المسمى به أن يحترم هذا الاسم ، فيتحلى بالأخلاق الفاضلة التى كان يتحلى بها محمد ﷺ الذى امتدحه ربه بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم / ٤) .

---

(٤) الشامى هو محمد بن على بن يوسف الشامى الشافعى ت ٦٠٠ له كتاب فى سيرة النبى ـ ﷺ ـ .

(٥) سفر السعادة وسفير الإفادة فى شرح المفصل للإمام أبى الحسن على بن محمد بن عبدالصمد السخاوى ، نسبة إلى سخا ـ قرية من أعمال الغربية (كفر الشيخ الآن) بمصر ـ ت ٦٤٣هـ ، والمفصل كتاب فى النحو للزمخشرى .

ولعله من قبيل هذه البركة ما حدث به علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ فيما يرويه القرطبي في تفسيره ـ « ما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه أحمد أو محمد ، فأدخلوه في مشورتهم إلا خير لهم » تفسير القرطبي جـ ٣ ص ١٤٩٣ دار الشعب ـ تفسير الآية رقم ١٥٩ من آل عمران .

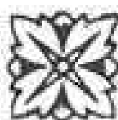
من صاحب الشاهد ؟

وصاحب الشاهد الذي دار حوله الحديث هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري من بني النجار ، أخوال عبدالمطلب جد النبي ﷺ .

وأمه الفريعة بنت خنس من بني الخزرج . قال ابن قتيبة في « طبقات الشعراء » : هو جاهلي إسلامي ، متقدم الإسلام ، إلا أنه لم يشهد مع رسول الله ﷺ مشاهده ، ولكنه جاهد معه بشعره ، كان النبي ﷺ يقول له : « قل وروح القدس تؤيدك » وكان ينصب له منبر في المسجد لينشد من فوقه .

وهو من الشعراء المعمرين ، عاش مائة وعشرين عاماً ، نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام ، ومات زمن معاوية بعد أن كُفّ بصره في آخر عمره .

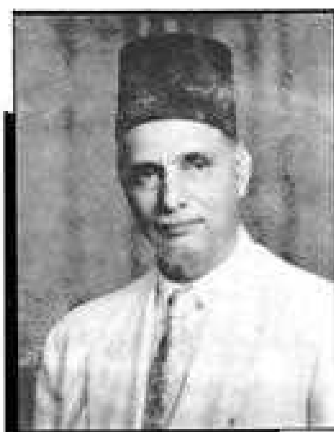
جزى الله البغدادي عن خزانته خيراً ، فكم فيها من معارف ، وكم جمعت من فوائد ، وبالله التوفيق ..





الدكتور عبد الوهاب عزام

فى كتابه: الأوابد



بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

الأوابد ـ لغةً ـ جمع آبدة : وهى الأمر العجيب يستغرب له ، وأوابد الكلام : غرائبه وعجائبه . ويقال : فرسٌ قيْد الأوابد ، أى يُقيِّد طريدته ، لسرعته ، فلا تفلت منه .. وقد أبى تواضع الدكتور عزام عليه ، أن يَعْنى بها ـ كعنوان لكتابه هذا ـ ما عناه الزمخشرى ، حين وصف ، بدوره ، أوابد الكلم : بأنها هى التى لا تُشاكل جودة .. فيقول ـ الدكتور عزام ـ فى مقدمة الطبعة الأولى لكتابه : « .. وقد سميته « الأوابد » ، لحسبانى هذه الأفانين من الكتابة ، غريبة فى موضوعها وأسلوبها ؛ ولأنها لبثت حقبة مهملة شتيتة فى أوراق ، فكانت فى هذين الوصفين ، كالأوابد من الحيوان ، التى تعزُب عن البشر ، وتنفر من الحضر ، وتعيش متأبِّدة فى الفيافى .. » إلى أن يختم مقدمة الكتاب ، بقوله : « وبعد ، فلا أقول شيئا فى طرائق هذه المقالات ومزاياها ، ولكن أدع للقارىء رأيه حرا ، وحسبى أنها بيان صادق عن عقلى وقلبى ، وأنى أردت بها الحق والخير ، وابتغيت وجه الله ، وهو حسبى ، وكفى ... » .

* * *

وبعد جولاتنا السابقة ، مع مؤلفات الدكتور عزام ، والوقوف على صلاته العميقة ومشاركاته الوجدانية لصفوة من كبار الشعراء والأدباء فى الشرق والغرب ، نخلص إلى أنه كان لابد لقريحته الوقَّادة الملهمة ، من إبداع نتاج أدبى ذاتى خالص ، خاص بها .. هذا بالإضافة إلى حرصه الدائب على تدوين سبحات فكره ، وخطرات نفسه ، أولا بأول ، يوميا ، أثناء رحلاته المتعددة إلى الخارج ، وكما يقول عن كتابه

(الشوارد) إنه : « خطرات سنة كاملة ، بدأتها فى الحجاز ، وختمتُها فى باكستان ، خمس وستون وثلاثمائة خاطرة ، كل واحدة فى صفحة على حدة ، وقصَدْتُ فيها إلى مقاصد ، منها : دعوة النشء إلى الحياة الكريمة الطاهرة الأبية ، وتبصيرهم بالفضائل العالية ، وحَضُّهم على الاستمساك بالنظام والطاعة ، ورفعهم على مستوى العيش الذليل ، إلى مستوى الحياة العزيزة ، والسُّمُوّ بهم إلى كل مقصد روحى عال » .

* * *

وتظهر براعة وفطانة الدكتور عبدالوهاب عزام ، فى انتقائه للموضوعات الهامة ، فى تاريخنا الإسلامى المجيد ، وعرْضها بأصالة واقتدار ، ليبرز ما فيها من عظمة وروعة ، وعمق تأثير .. بتعبيره الحىّ المتدفق ، ليربط الماضى بالحاضر ، ويخرج منها بالدروس المستفادة .

ومن ذلك ما ذكره تحت عنوان : « أربع صفحات متتابعات » فى سيرة سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فيصف (فتح مكة) بقوله : « هذا يوم العشرين من رمضان ، سنة ثمان من الهجرة ، وقد أخذت مكة صَوْلةُ الجيش الإسلامى ، ودهمها جُندُ التوحيد من أعلاها وأسفلها ، (خالد بن الوليد) قائد الميمنة يدخل من (اللِّيط) أسفل مكة ، يقود جموعا من غفار وأسْلم ومُزينة ، وغيرها .. و (الزبير بن العوام) قائد الميسرة ، يدخل من (كُدَى) أعلى مكة ، و (أبوعبيدة بن الجراح) فى صف من المسلمين ، يدخل من (أذاخر) بين يدى رسول الله .. » ياله من مشهد جليل ، ذلك الذى يصوره بعد ذلك، بقوله: «ورسول الله على راحلته» مطأطئاً رأسه ، كأنه ساجد على الرَّحْل، تواضعا وشكرا .. قد غضّ بصره عن هذا الجيش الكثيف ، وهذا الجُند المطيع ، وهذه السطوة المحيطة ، ليفتحه على الحق الذى يدعو إليه ، والعَدل الذى يقوم به ، والسلام الذى يبغيه ، والألفة التى يريدها .. »[1] .

* * *

وبعد أن تم نصر الله والفتح ، يسوق (عبدالوهاب عزام) واقعة بغيدة المغزى ، لموقف عظيم ذى صلة وثيقة بجهاد النفس ، أو الجهاد الأكبر ، .. ويقدم الدكتور عزام هذه الواقعة ، أو المشهد الحىّ الخالد ، الذى جعل الدموع تنبجس من مقلتىّ ، بحرارة وغزارة .

يقول الدكتور عزام : « وقسّم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ الغنائم على أصحابها ، وزاد فأجزل العطية ، لجماعة من رؤساء العرب : قرشيين ، وغير قرشيين ، ليتألّف قلوبهم ، ولم يُعْط أحدا من الأنصار .. فعجبت الأنصار ، وتكلموا فيما بينهم ،وجاء سعدبن عبادة ــ سيد الخزرج ــ فقال : ــ يا رسول الله ، إن هذا الحى من الأنصار قد وَجَدُوا عليك فى أنفسهم ، لما صنعتَ فى هذا

---

(١) الأوابد ، ص ١٣

الفيء الذى أصبْتُ .. قسَمْتَ فى قومك ، وأعطيت عطايا عظاما فى قبائل العرب ، ولم يكن فى هذا الحيّ من الأنصار شيء ..

● فأين أنت من ذلك يا سعد ؟! .

ـ يارسولَ الله ما أنا إلا من قومى ! ..

● فاجْمعْ لى قومك فى الحظيرة ..

يقول الدكتور عزام مستطراداً : « اجتمع الأنصار فى الحظيرة ، وهم عماد هذا الإسلام وجنده ، اجتمعوا عاتبين على قائدهم العظيم ، يرون أنه آثر عليهم جماعة من رؤساء العرب ، ليس لهم فى الإسلام سابقة ، ولا فى نصرته بلاء .. فليت شعرى ماذا يقول هذا القائد الكريم ، وكيف يُرضى مُخْلِصَ جنوده العاتبين ؟!

استمع :

● يا معشر الأنصار ! ما « قالةٌ » بلغتنى عنكم ، وموجدة وَجَدْتُموها فى أنفسكم ؟ ألمْ آتكم ضُلاّلاً ، فهداكم الله ، وعالةً فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ .

ـ بلى ! لله ورسوله المن والفضل ..

● ألا تجيبوننى يا معشر الأنصار ؟ .

ـ وبماذا نُجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المن والفضل ..

● أما والله لو شئتم لقلتم ، فلصَدَقتم ثم لصَدَقتمْ : أتيتنا مُكَذَّبا .. فصدَّقناك .. ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسَيْناك .. « وَجَدْتُمْ فى أنفسكم .. يا معشر الأنصار ـ فى لُعاعة من الدنيا، تألفتُ بها قوماً، ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم .. أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشّاء والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفسى بيده ، لولا الهجرة لكنتُ امرءً من الأنصار ، ولو سلك الناسُ شِعْبا ، وسلكتْ الأنصار شعبا ، لسلكتُ شعب الأنصار .. اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار .

قال الأنصار ـ والدموع تبل لحاهم ـ وقد غسلت كلماتُ الرسول عَتْبَهم ، وأيقظت قلوبَهم ، وزادتهم حبا للرسول وطاعة ، وأصابوا فيها ما يغفر كلَّ ما أخذ الناس من مال ، وما يأخذون ـ قالوا والدموع تبل لحاهم :

ـ رَضِينا برسول الله قَسْمًا وحظًّا[2] ..

* * *

ويمضى الدكتور عزام ، رحمه الله ، فى إبداعات أوابده ، فيصف الكعبة المشرفة ، بهذه العبارات الوضّاءة : « إن كل مغناطيس على الأرض ، يتجه إلى القطب أبدا ، إنْ أدرْته عنه ، دار إليه ، وإنْ

(٢) المصدر السابق ص ١٧ ، ١٨

صرفته جهد طاقتك ، لم ينصرف عنه ، وإنْ أخطته بآلاف الحُجُب فهو موصول به ، نازع إليه ..

فما أشبه قلوب المسلمين ، في توجّهها إلى الكعبة ، بالإبر المغناطيسية ، التي تتجه إلى قطبها ليل نهار ، على بُعد الأقطار[3] واختلاف الأمصار .. وشتان بين القلوب النابضة ، والإبر الجامدة » .

* * *

ثم يقدم لنا (وِرْد الصباح) ، بعبارات بليغة ، يقول فيها : « تنفس الصبح في غسق الليل ، ولاحت غرته في هدوء السحر ، والنور يسيل من رُبا المشرق قليلا قليلا ، وَيُولد اليوم الجديد .. ربِّ فأضيء عقلي بالهدى ، ورغب نفسي في الحق والخير ، واملأ قلبي بالأمل ، وقوِّ يدى على العمل ، اشرح صدرى ، واشْدُدْ أزرى ، وأنْجِدْ عزمى لليوم الجديد ، ربِّ قد طُويت من عمرى صفحات ونشرتْ اليوم صفحة ، فاجْعلْ صفحتى هذه أوْعَى للخير ، وأخْلَى من الشر ، وزيِّنها بالحق ، وبرِّئْها من الباطل ، واجعل فاتحتها وخاتمتها : الإخلاص لك ، والعمل لوجهك ..»[4] .

ويتحدث عن (الربيع) ، حيث : الفراش قلِقٌ بين النُّوار ، هائم بين الأزهار ، لا يقرّ له قرار ، كأن كل فراشة زهرة طائرة ، أو نغمة في جمال الروض سائرة : .

« جاء الربيع ، فليت في كل قلب من صفائه قطرة ، وفي كل نفس من جماله زهرة ، وفي كل خُلق من عبيره نفحة .. لتعمر النفوس بمعاني الحياة ، وتستنير بأشعة الجمال ، ويسكن الناس إلى السعادة حينا ، وينسوا أساليب العداوة والبغضاء زمنا .. » .

« ليتهم اجتمعوا على وِرْد الحياة متصافين ، كما ترف على جداول الربيع الرياحين . »[5] .

* * *

ثم يعزف الدكتور عزام على قيثارة الشعر ، في فصل آخر من كتابه ، لينهج نهجاً جديداً ، فالعربية مؤئل للمعاني السامية ، التي يتناولها الشعر إذا أطلق من عقاله ، وحُرِّر من الموضوعات الضيقة ، التي اعتادها جمهور الشعراء ، ولا سيما ـ كما يقول ـ المعاني التي تكثر في أشعار الصوفية العظام .. وقد اتخذ ، في نظم قصيدته ، مثالا للقافية المزدوجة ، التي قصرها شعراءُ العربية على الرجز المشطور ، كما قصرُوا الرجز على نظم العلوم ، كالألفية ، والجوهر المكنون ، والتاريخ .. كمنظومة ابن عبدربه في أمراء بنى أمية . و (الصادح والباغم) .

يقول الدكتور عزام : « وينبغي أن يسرى هذا الضرب من التقفية إلى أنحر الشعر الأخرى ، حين تعالج الموضوعات الواسعة ، فهذا هو الذى سنّى لشعراء الفارسية وغيرهم ، أن ينظموا عشرات الآلاف من الأبيات ، في قصة واحدة ، أو كتاب واحد » إلى أن يختم تمهيده لمنظومته ، بقوله :

---

(3) المصدر السابق ص٥٣

(4) المصدر السابق ص ٦٦

(5) المصدر السابق ص ٢٧٢ .

« وإنى أدعو أدباء العربية ، إلى العناية بهذا المثال الذى أُقدِّمه فى المعانى والقوافى ، ليقبلوه على بينة ، أو يردُّوه بالحجة ، والله ولى التيسير . »(٦) .

ونختار ، فيما يلى ، بعض أبيات هذه المنظومة ، للتذوق الأدبى ، وكمثال تطبيقى لما يدعو إليه .

يقول :

أيها الليل ، إليك المفزعُ ... كم خنتْ منك علينا أضلعُ
كم خفينا فى غيابات الدجى ... وملأنا الليل همًّا وشجا
جلتنى فى الليل جمرا سُعِّرا ... ونجوم الليل ، منه شررا
فى ضميرى .. كل معنى مُبهمْ ... حزتْ فى الإعراب عنه .. بالكلم
إن عزم الحر بحر مُزبِد ... ضلَّ فيه المقتدى والمرشد
حدّثته الأرض عن أخبارها ... وحبته الزهر من أسرارها
هو بالأمس خبير بغد ... وهو اليوم نجىُّ الأبد
عرف الشرق وراد المغربا ... فانجلى السرُّ له ما كذبا
فرأى العلمَ سبيلا للرَّدى ... إذ رأى القلبَ خليًّا من هُدى

* * *

وفى قصيدته (عمر المختار وأصحابه) التى تطفر بالقوة والروعة ، فى المبْنَى والمعنى ، تَظْهر جلاء ووضوح شدة انتمائه لعروبته وإسْلامه ، حين يقول :

فى كل فج عزمهم سُارْ
إلى الردى تهافتوا وطاروا
فى حومة الموت لهم أوطارْ
جماعة ليس لهم ديار
إلا ظهور الخيل والغبار
يصول فيهم بطل مغوار
شيخ المنايا : عمر المختار

تأبى لهم كرامةُ الإسلام ... يأبى إباءُ العرب الكرام
إنْ يُسْلموا الأوطان دون الهام ... مُنيتُهمْ مشارع الحمام

إلى أن يقول مناجيا بنى وطنه :

يا قومنا .. وكم مضت لكم عبر
يعرف فيها أمره مَنْ اعتبر

(٦) المرجع السابق ص ١١٩ : ١٢٠ .

العـــرف عندهــــم دم هدر
إسلامــــه .. جنايــــةٌ .. لا تُغتفــــر
شهـــادة (الفـــاروق) بلّت يا عمـــر
للحــرّ موت واحـــد فيـــه الظّفــرْ
والـــذل موت ، كل يوم ، مُدّخـــر

ثم يحفز بنى وطنه لمواصلة الكفاح والنضال ، دون يأس أو كلل ، بقوله :

لا تيـــأسوا فمـــــا يدوم الضرُّ
ليـــل من الخطـــوب يكفهـــرُّ
والصبـــح فى أعقابـــه يفتـــرُّ
معتـــرك أرجـــاؤه تغـــرُّ
والـــنصر من ورائـــه يخضرُّ
هيـــا إلى العليـــاء لا تفـــروا
العـــيش عيـــدٌ والحمـــام حُرُّ

رحم الله عزاما ، الذى يبدو فى أبياته وكتاباته ، حَيّا يبث روح التضحية ، والفداء والكفاح فى النفوس .

(البحث موصول) .

مع أدب الكاتب

لابن قتيبة

للأستاذ الدكتور محمد ابراهيم الفيومى

فى العشر الأواخر من رمضان تاقت نفسى أن تتصفح كتابا من كتب الأدب واللغة فهممت إلى تفرس جناح مكتبتى الخاص باللغة والأدب وكانت تهفو نفسى إلى قراءة كتاب : «الكامل» للمبرد غير أن عينى وقعتا على كتب ابن قتيبة فاخترت منها كتاب : «أدب الكاتب» الذى وقف على طبعه محب الدين الخطيب كما ساهم فى ضبطه كما أشار إلى ذلك فى المقدمة الأستاذ محب الدين الخطيب ، الأستاذ محمود شاكر ثم الأستاذ عبدالسلام هارون ونشرها : الحاج مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى ١٣٤٦هـ .

وقبل عرض الكتاب أقدم لصاحبه بالتعريف :

وهو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة مفخرة من مفاخر الإسلام ، وطود من أطواد العلم فى الدور العباسى جمع - إلى صنية - العلم بالتاريخ رسوخ المعرفة بعلوم العربية ، وإلى التبحر فى علوم القرآن التثبت فيما يحكيه من فقه السنة .

قال عنه ابن تيمية - وهو يوازن بينه وبين ابن الأنبارى :

« وليس ابن الأنبارى بأعلم بمعانى القرآن والحديث ، وأتبع للسنة من ابن قتيبة ، ولا أفقه فى ذلك ، وإن كان ابن الأنبارى من أحفظ الناس للغة لكن باب فقه النصوص غير باب حفظ ألفاظ اللغة » .

عناية علماء اللغة والأدب به :

لما كان كتاب « أدب الكاتب » من الكتب التى تعتبر حجة فى بابه عنى به علماء اللغة والأدب ، وقد قام على شرحه كبار العلماء والمؤلفين ، فشرحه : أبو منصور الجواليقى وتوجد نسخة من شرحه فى « دار الكتب المصرية » (رقم ٤٤٢٦ أدب) ، وشرحه ابن السيد البطليوسى وهو مطبوع وشرحه سليمان بن محمد الزهراوى ، وأبو على الحسن بن محمد

البطليوسى ، وأحمد بن داود الجزامى ، وإسحق بن إبراهيم الفارابى ، ويضيف الأستاذ محب الدين الخطيب : أن الكتاب كان محل عناية من المستشرقين الفاضلين : الأستاذ / (سيرول) الذى طبعه فى ليبسك ١٨٧٧ والأستاذ / (ماكس غرونوت) الذى أعاد طبعه بمطبعة بريل فى ليدن ١٩٠١ .

عرض المقدمة :

راعنى فى الكتاب مقدمته الطويلة حسبتها فى بادىء الأمر نوعا من السجع المتكلف المشحون بالصيغ الإنشائية الفضفاضة التى يذهب صاحبها فيها مذهب المادحين على أبواب السلاطين ، ويدور فيها مدار العابثين بشرف الكلمة وعظمة رسالتها : فأخذت أقدم رجلا وأؤخر أخرى بين الإقبال على قراءتها أو الإدبار عنها إلى موضوع الكتاب ، فأخذت فى تصفحها تصفح العجلان ، وأنا على قناعة ورضى بأنه لاغناء من وراء قراءتها وخاصة أن بعض علماء اللغة الأقدمين قد عابها وانتقصها فعاب طولها وزعم أن الكتاب « خطبه بلا كتاب » .

لكنى حين أخذت فى مطالعتها منذ السطر الأول تبددت تلك الخواطر التى كادت تحول بينى وبين مطالعتها ، وأخذت أتنقل من سطر إلى سطر ، ومن صفحة إلى صفحة ، ومن فكرة إلى فكرة حتى أتيت عليها جميعها ، ثم عاودت قراءتها مرة بعد مرة لسمو أدبها وجمال أسلوبها وتضح ما فيها من أفكار حتى ظننت ابن قتيبة يعيش بيننا ، ويكتب بلغتنا ، وبأسلوبنا ، ويعيش مشاكل الفكر والثقافة التى تعانيها ، وتعيش مرارتها ، وذلك ليس بمستغرب على مثل ابن قتيبة فهو أديب رائد فى بابه وناقد قل له ميزانه .

فرأيت أن أعرض له تلك المقدمة شاهدا على أن من واجب كل من يتصدى للنظر والفكر والثقافة والأدب أن يجيد فى الوقت نفسه آداب الأقدمين ولغاتهم ، ويتعمق دراسة ما لديهم من فكر وثقافة ، وأن ما يعتقده البعض من العزوف عن التراث والصد عنه جرم فى حق الثقافة والأدب .

ولا أظنك تقف معارضا لما أذهب إليه من أن ما صوره ابن قتيبة فى مقدمته من مشاكل وقضايا تكاد تكون عين المشاكل والقضايا التى تنجم حولنا ، ونذهب فى علاجها مذاهب حتى تفرقت بنا السبل ، وكأننا أمام داء عضال يستعصى استئصال شأفته ، بينما ابن قتيبة نراه فى مقدمة يشق علينا ما زعمناه ووقر فى ذهننا بأن ما نصادفه فى عصرنا هو أدواء العصر الحديث ، ولا نظير له فى سوق الأدب واللغة لكن ابن قتيبة شق علينا هذا الزعم ، وأوقفنا على أن مشاكل الأدب واللغة تكاد تكون واحدة يفرق بينها اختلاف العصور واختلاف الثقافات . أما عن الإنسان فهو الإنسان زاعم لنفسه ما ليس له ، مغرور برأيه وهو لايفهمه ، ومعجب بفكره وهو يجهل ذاته ، وعالم مغمور بين هؤلاء جميعا صوته مع الحق ، والحق ضائع بين أهله تسحقه تيار الضياع .

من هنا أقبلت على مقدمته زادا ثقافيا جليلا ، ـ ولاسيما ـ أن ابن قتيبة ركز فى مقدمة « أدب الكاتب » على المفهومين معا :

ـ مفهوم أدب .

ـ مفهوم الكاتب .

من حيث ما ينبغى أن يكون عليه الكاتب من الأخلاق والسلوك والعلم والثقافة والفهم ، وأن

مهنة الكاتب يجب أن تتحلى بصفات الأمانة والدقة وسعة الثقافة والفرق بين الأديب والمتأدب والناشىء .. الخ .

فنرى أن ابن قتيبة قد وسع مفهوم (أدب الكاتب) ليشمل أدب البيان وأدب الأخلاق ، وأدب السلوك ، وأدب الانتماء لتاريخه الثقافي . فهذه الآداب مجتمعة هي التي تحدد في نظر ابن قتيبة مفهوم (أدب الكاتب) وخصص لشرحها مقدمته الطويلة .

١ ـ أصنافهم وأدب بيانهم :

ولقد لفتت نظر كثير من فقهاء اللغة والأدب ، فقام بشرحها مبارك بن فاخر النحوى وأبو القاسم الزجاجي ، وكانت المشكلة التي أرقت ابن قتيبة في عصره ـ هي أيضا ما تقاسيها اليوم ويعانيها الأدبـــاء في عصر ، عبر عنها ابن قتيبة في مقدمته بقوله : « فإني رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين ـ مالوا عن طريقه ـ ومن اسمه متطيرين ، ولأهله كارهين » ثم أخذ يعدد أصناف هؤلاء الناكبين عن سبيل الأدب وهم كثير :

ـ الناشىء منهم : راغب عن التعليم .

ـ والشادى ـ وهو الذى نال حظا قليلا من الأدب ـ تارك للازدياد .

ـ والمتأدب في عنفوان الشباب ناس أو متناس ليدخل في جملة المجدودين .

ـ الأدباء المشهود لهم بالكفاءة والثراء في الفكر .

وكان من شيوع تلك الأصناف المزيفة في سوق الأدب أن انقلبت المعايير وخوى نجم الخير ، وكسدت سوق البر ، وبارت بضائع أهله ، وصار العلم عارا على صاحبه ، والفضل نقصا ، وأموال الملوك وقفا على شهوات النفوس والجاه الذى هو زكاة الشرف يباع بيع الخلق ـ الشىء البالى ... ومعاطاة الندمان ، وجهـــل قدر المعروف ، وماتت الخواطر وسقـــطت همم النفوس ، وزهد في لسان الصدق .

٢ ـ أدب أخلاقهم وانتمائهم الثقافي :

يقول ابن قتيبة في وصف أدب أخلاقهم : وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتا في مدح قينة أو وصف كأس ، وأرفع درجات لطيفنا ـ أديبنا ـ أن يطالع شيئا من تقويم الكواكب ، وينظر في شىء من القضاء ، وحد المنطق . ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معنـــــاه ، وعلى حديث رسول الله ﷺ بالتكذيب ، وهو لا يدرى من نقله ، قد رضى عوضا من الله ومما عنده بأن يقال : فلان لطيف ـ أديب ـ وهو يستعمله ابن قتيبة للسخرية ـ وفلان دقيق النظر يذهب إلى أن لطف النظر قد أخرجه من جملة الناس ، وبلغ به علم ما جهلوه ، فهو يدعوهم الرعاع والغثاء والغثر .

يعلق ابن قتيبة فيقول : وهو ـ لعمر الله ـ بهذه الصفات أولى وهو به أليق ؛ لأنه جهل وظن أن قد علم فهاتان جهالتان ، ولأن هؤلاء جهلوا وعلموا أنهم يجهلون ، ولو أن هذا المعجب بنفسه الزارى على الإسلام برأيه ، نظر من جهة النظر ـ النظر لذاته ـ لأحياه الله بنور الهدى وثلج اليقين ـ ولكنه طال عليه ـ شق ـ أن ينظر في علم الكتاب ، وفي أخبار الرسول ﷺ وصحابته في علـــوم العـــرب ، ولغـــاتها وآدابها فنصب ـ قصدى ـ لذلك وعاداه وانحرف عنه .

ثم قال ولو أن مؤلف (حد المنطق) بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام فى الدين والفقه والفرائض والنحو يعد نفسه من التكلم ، أو يسمع كلام رسول الله ﷺ وصحابته لأيقن أن للعرب الحكم وفصل الخطاب ، ومن الملاحظ فى نص ابن قتيبة أن الذين أصابوا حظا من فلسفة ومنطق يعادون الإسلام وتعاليمه بالطعن فى كتاب الله ، وهو لايعرف معناه ويعترض على حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالكذب ، وهو لا يدرى من نقله يعلق عليه ابن قتيبة فيقول : ولو أن المعجب بنفسه الزارى على الإسلام برأيه نظر من جهة النظر ـ النظر لذاته ـ لأحياه الله بنور الهدى وثلج اليقين .

ويبدو لنا أن مسألة الخروج على الدين له صلة قديمة بتعلم المنطق والفلسفة وكان ذلك مثار دهشة غريبة لدى ابن قتيبة مما شدد نكيره عليهم بقوله : ولو أن مؤلف المنطق بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام فى الدين .. لعد نفسه من الكلم ، والحقيقة أنه لاتعارض بينهما إنما هى ـ فى غالب الأحوال والأزمان ـ بدعة ثقافية .

٣ ـ أدب السلوك الثقافى :

وأما عن السلوك الثقافى الذى يسلكه هؤلاء الأصناف المنتمون إلى طبقة الأدباء فيصفه ابن قتيبة بأنه : جهل فاضح وانحطاط فى الثقافة والفكر فيقول : فإنى رأيت كثيرا من كتاب أهل زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدعة واستوطئوا مركب العجز وأعفوا أنفسهم من كد النظر وقلوبهم من تعب التفكر ، حين الدرك بغير سبب ، وبلغوا البغية بغير آله . ولعمرى كان ذلك فأين همة النفس وأين الأنفة من مجانسة البهائم وأى موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه وارتضاه لسره ، فقرأ عليه يوما كتابا ، وفى الكتاب « ومطرنا مطرا كثر عنه الكلأ » فقال له الخليفة ممتحنا له : وما الكلأ ؟ فتردد فى الجواب وتعثر لسانه ثم قال : لا أدرى . فقال سل عنه . وسئل أحدهم : كم فى فم الإنسان من سن ؟ فلم يعرف حتى أدخل سبابته فى فيه يعد بها عوارضه فسال لعابه . فهل يحسن بمن ائتمنه السلطان على رعيته وأمواله ورضى بحكمه ونظره أن يجهل هذا من نفسه .. ؟ وهل هو فى ذلك إلا بمنزلة من جهل عدد أصابعه ؟

هذا المفهوم الواسع لمعنى (أدب) الكاتب قال ابن قتيبة : فلما أن رأيت هذا الشأن كل يوم إلى نقصان .. جعلت له حظا من عنايتى وجزءا من تأليفى .. وليست كتبنا هذه لمن لم يتعلق من الإنسانية إلا بالجسم ، ومن الكتابة إلا بالاسم ولم يتقدم من الأداة إلا بالقلم والدواة ، ولكنها لمن شدا شيئا من الإعراب ، ثم أخذ يعدد ألوانا من الثقافات ينبغى للكاتب أن يأخذ منها بحظ وافر ليدخلها فى تصانيف سطوره متمثلا إذا كتب ويصل بها كلامه إذا حاور .

ويقول : ونحن نستحب لمن قبل عنا ، وائتم بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه ، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه ، ويصون مروءته عن دناءة الغيبة وصناعته عن شين الكذب . هذا منتهى القول .

فمن تكاملت له هذه الأدوات . أمده الله بآداب النفس : من العفاف ، والحلم ، والصبر ، والتواضع للحق وسكون الطائر وخفض الجناح .

وللحديث بقية ..

أحمد بن حنبل
إمام أهل السنّة

المستشار
عبد الحليم الجندى



دار المعارف

عرض الأستاذ
عبد السلام ناصف

يعتبر كتاب الإمام أحمد بن حنبل .. إمام أهل السنة ورابع الأئمة الكبار واحداً من أعظم الكتب التي تتحدث عن ابن حنبل صاحب المذهب الحنبلي ، وصاحب المسند من حيث مولده ونشأته وتعليمه ، وفكره ومنهجه وحصيلته العلمية ومواقفه وصموده أمام أشد فتن عصره حتى شيخوخته وثم مماته ، والكتاب لواحد من الباحثين المدققين الملتزمين المتخصصين بسير هؤلاء العظماء وهو الأستاذ المستشار عبد الحليم الجندى عضو مجمع البحوث الإسلامية الذى كتب عن الأئمة الأربعة إلى جانب مؤلفاته القيمة .

والكتاب من القطع الكبير ، يقع فى خمسمائة صفحة وخمس صفحات ، ويحتوى على ستة أبواب ، يشتمل كل باب منه : فصلين إضافة إلى المقدمة التى يُعرّف فيها ـ الكاتب بـ « ابن حنبل » إمام أهل السنة ، وإمام المسلمين الذى اجاءت به السماء إلى عاصمة الخلافة فى بغداد فى وقت حاق فيه الخطر بالأمة الإسلامية من الدول المعادية والنحل المتصارعة فكانت نظراته وتطبيقاته حلولا حاسمة لمشاكلها .

وكان المسلمون يخلعون عليه من الصفات

ويرفعونه درجات كلما حل مشاكلهم فرأوه إماما لأهل السنة يعرف الداء ويصف الدواء بما جمع من نصوص السنة إلى جانب أكثر من ستين ألف مسألة فقهية ، فأسس مذهبه على المحبة والحرية والسماحة والمعاصرة ، وكان منهجه الإستقرائى الذى نقل عنه من أهم أسس النهضة الأوربية الحديثة التى نقلها عنه (بيكون) .

ونحن ـ فى الواقع ـ إزاء موسوعة ـ سأحاول أن أقتطف من أبوابها وفصولها ما أقدمه عن هذا الإمام الجليل ، إذ أن مساحة المقال قد تحول بينى وبين البسط الذى يستحقه هذا السفر المبارك .

ففى الفصل الأول من الباب الأول يتغنى ـ الكاتب ـ بمولد رابع الأئمة فى ربيع الأول سنة ١٦٤ هـ الموافق سنة ٧٨٠ م حينما أرادت السماء أن تمن على بغداد بأغلى هدية تتمثل فى مولد أحمد بن حنبل بعد وفاة والده وكان تاريخ العراق قد اقترن بأمجاد أجداده من قبيلة بنى شيبان الذين علا نجمهم وارتفع نتيجة لما حققوه من انتصارات وفتوحات .

ولقد كانت أمه تلقنه مآثر ماضيهم ، وتدفعه إلى مسايرتهم ، وتبث فيه حب العلم والتحصيل ليلحق بركبهم ويسمو سموهم فجاهدت ليحفظ القرآن الكريم باعتباره بابا لكل العلوم ـ واهتدى الفتى الناشىء بعظمائهم بفطرته فحفظ القرآن إلى جانب تعلم اللغة العربية وآدابها ، وفتح له القرآن أبواب المعرفة فى آداب الدين والدنيا والنفس ، وكان الترحال سمة من سمات تحصيله ، ولقد آثر فاقة العلماء .

ولم يجر قلمه بمنكر إذ كان يتقى الله فى التعبير كأنما ولد كبيراً ـ وازداد قدرا كلما زاد عمراً ، وقد جمع بين الزهد : الانكباب على التحصيل والتحق بحلقة الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ فنهل من بحر علمه ، وجلس إلى أبى يوسف وأخذ عنه أهمية السنن للفقه ـ فخطا بذلك أول خطوة فى تطبيق الحديث فى الأحكام الفقهية ـ وجلس إلى غيرهما وارتحل يجوب الآفاق سفرة وراء سفرة لا يدع عظيما فى العلم إلا وعى منه ومن علمه أملا فى الوصول إلى القمة ؛ فقد كان يؤمن أن العلم عبادة ومن ثم وهبه كل حياته ، ولكم تورع وهو يتعلم فى مكة وفى اليمن وفى الحجاز .

وقد برع فى اللغة العربية إلا أن إمامته فى السيرة لا تدانيها فقد درس على مشايخها بدءاً من الشافعى الذى قال عنه « خرجت من بغداد ولم أخلف بها من هو أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد بن حنبل ولقد جلس للدرس بعد أن رحل الشافعى حيث كانت الحياة مليئة بالفساد وبالجدل والمهاترات عندما عظم أمر المعتزلة وساء سلوكهم وتحول الجدل إلى معارك .

ولقد أهتم بفقه السُنَّة ـ وسلك مسلكه فأخذ نفسه بالاتباع وزهد وصدق فى عمله ، فالتصق الناس به وصدقوه واتبعوا مذهبه .

وفى الباب الثانى يصف الكاتب ابن حنبل فيورد انه كان قصير القامة ، أسمر اللون ، يأتزر ويعتم فوق القلنسوه وكان زاهدا يستقى الماء لوضوئه ويصلى أكثر من ثلثمائة ركعة فى اليوم ويصوم أكثر أيامه ، واستطاع الحج خمس مرات ، منها ثلاث ماشيا . وكان يؤثر العزلة ولم يكن بالحقود ولا النفور ، ولم يكن ينطق إلا بالذكر فى وقار وسكينة ولفظ حسن ، وكان يعود المرضى ويستجيب للدعوة ولا يجأر بالشكوى ولا يجهر

بسوء القول ويتورع عن الصغائر ، ولا يتخطى الرقاب ، ويستأذن فى الجلوس ولا يمد رجله فيه ، وكان خفيض الجناح ورع العبارة ولا يعرف التعصب وكان حيِّيا - يهاب المزاح .

وابن حنبل هو الذى حمل شعار : (السنة تفسر الكتاب وتبينه) وكان لا يقبل الحديث إلا بإسناد - ولقد عاش بفكره وفعله فى عالم الحب النبوى ومن ثم أجمع الفقهاء على صلاحه فملك أفئدة الناس بزهده وعمله وتوكله .

وحين يتعرض المؤلف لفقهه فإنه يركز على تعففه من جراية الخليفة ، إذ كان يقول : « ورزق ربك خير وأبقى » . كما لم يقبل أى عمل يلهيه عن التحصيل وكان يتحرج من الميراث الحلال - وقيل إنه كان يذرع داره ليدفع عنها زكاة لأنها فى (ملك السواد) وكان يعمل ويوقن أن العمل هو سبيل الرزق الحلال ؛ ولذا عملت زوجاته بالغزل وكان يبيع نسجهن ، وكان يرى فى الزهد ترك الحرام ، وترك الفضول من الحلال وترك ما يشغل عن الله - وكان حين يُهْدَى إليه يجزى عنها أو يردها - فبادل الصلات رحمة وسمة من سمات البنيان الاجتماعى ، وكان يعطى عن سخاء رغم ضيق ذات اليد - وفقهه فقه مكارم الأخلاق - ولقد تزوج فى الأربعين وكان ورعا فى وعظه يميل إلى سرد القصص التى تؤيد قوله - بلا مزايدة أو تلون ، وكان لا يوافق على قراءة القرآن ملحنا بل يعجبه السهل منها ، وكان لا يؤمن برفع مستوى القبور ، ولا يرى داعيا لزيارتها ، وكان يأخذ نفسه بالشدة فى الالتزام بالواجب .

وفى الباب الثالث يرسم - الكاتب - صورة جلية لتأخر تدوين نصوص السنة حتى جمعها ابن حنبل فى كتاب وأجاد تطبيقها فى الفقه وفى شئون الحياة ، واستنبط قول الصحابة باعتباره عملا بالسنة ، ثم اعتمد على الاجماع ثم على القياس - فقد جمع الحديث فى (المسند) وكأنه وحى إلهى فى شكل سنة بأن جمع فيه نحو ثلاثين ألف حديث بعدما سمع أكثر من سبعمائة ألف أو أكثر ثم حققها وصححها ، ليصبح مسنده المرجع الأول لمن يدرس السنن - ولقد تتلمذ عليه أصحاب الصحاح بكتبهم الستة الشهيرة .

منهجه فى الحديث الشريف

وقد استدعى ذلك منه جهدا يفوق الوصف إلى جانب شكه وتحوّطه فى الأخذ لكثرة الوضاعين ، ودعاة المبتدعة ، ومتعصبى المذاهب ، وتفاقم الكذب والافتراء ولعله قد أكمل مسيرة من سبقوه فى جمع الأحاديث الصحيحة - وأن كان قد فاقهم بمسنده الضخم الشامل الجامع المانع ، فهو لم يرو إلا عن ثقة وعن موصول بالنبى - صلوات الله عليه وسلامه - كما يحرص على سماعه من عدة وجوه لضبطه - بل يقال : إن الحديث الواحد كان يتعدد بأكثر من مائة وجه - ليكون مرجعا عند الاختلاف .

ولقد بدأ أحمد بن حنبل فى جمعه وهو فى السادسة والثلاثين وظل يحقق ويصحح فى أحاديثه طوال أربعين عاماً حتى اكتملت ثقته فيه : ومنه يتضح منهجه فيه إذ يقول : « وقصدت فى المسند المشهور من الحديث ، ولو أردت أن أقصد ما صح عندى ، لم أورد منه إلا اليسير فلست أخالف ما ضعف منه - إذا لم يكن فى الباب ما يدفعه » . فلقد دفعه ورعه على ألا يقول حديثاً

يحتمل الصحة ثم يضعه بين أيدى المسلمين ليتدارسه بعده العلماء والفقهاء فيتحرون عنه كلّ بطريقه وأسلوبه وعلمه ـ فقد كان مبدؤه ألا يُضيّع حديثاً ـ فالمصلحة فى تدوين الحديث أقوى من أى مبرر لعدم تدوينه .. إذ أن احتمال صحته أقوى من احتمال عدم صحته = وزيادة فى التحوط كان لا يعتبر مسنده مرجعاً نهائياً .

وكان لا يروى إلا عن رواة ثقات ، ويروى إذا وافق الكتاب والسنة ـ وكذلك إذا كان متداولاً مشهوراً ـ وكان يتساهل فى الإسناد للترغيب أو الترهيب .

ولقد قسّم ولده عبدالله الحديث إلى : ضعيف متروك ، وضعيف ، وقوى .. فالأول لا يوجد بالمسند ، والضعيف الموجود بالمسند يكون حسناً ـ برأى أحمد ـ ولقد تأخر الانتفاع بالمسند لطوله وضخامته وتعذر حمله وصعوبة استخراج الأحكام منه لعدم ترتيبه على أساس العبادات والمعاملات فى الفقه ، وإنما رتب وفق رواته ، وإليه يعود الفضل فى ظهور علم (الجرح والتعديل) .. على يد من تتلمذوا عليه إذا اهتموا بدراسة دقة الرواة وإتقانهم وعدالتهم ، ولقد اعتبر الإمام الصحابة كلهم عدولاً لا يُجَرّحُون ، ثم وضع ميزاناً لقياس المعدلين والمُجَرّحين ـ وكان يؤثر الحفظة أصحاب الدراية ـ ثم كان التدوين لحفظ التراث دون الارتجال .

أما فى الفصل الثانى ـ فيتحدث المؤلف ـ عن ابن حنبل باعتباره رابع الأئمة خاصة ، وأنه نهل من فيض الشافعى وأبى حنيفة ومن مذهبيهما ، وأنه استفاد من أئمة الطرق ومدارسه التى كانت تعج بالمحدثين ، ومن زعماء الفرق ، ومن فطاحل المتكلمين ، ومن رجال الجدل ، ومن المتطرفين ، ومن الأئمة الزاهدين . فقد أثروا فى فكره ـ كما استفاد مما كان يثار فى قصور الخلافة من مناظرات وندوات ومناقشات فدخل إلى ميدان الفقه من باب الحديث .

وكان القرآن الكريم والسنة المطهرة متوناً لفقه ـ وما عدا ذلك فهو حاشية ـ فقضى على الخلافات وحينما جلس للتدريس عند الأربعين اعتمد على ذخيرته من العلم فى القضاء على الفتن والقلاقل التى كانت تملأ بغداد معتمدا على النص القرآنى والسنة والأحاديث .. وأقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم .. ثم بالإجماع ثم بالقياس وفق نص .

وهو بهذا قد نهج منهجاً علمياً فريداً .. فقد كان منهجه فى الأصول تتبع القرآن الكريم والسنة التى تطلق على فعل الرسول ﷺ وقوله وإقراره للغير أو إنكاره عليه كما تطلق على عمل الصحابة باعتبارهم متبعين لسنته عليه الصلاة والسلام .

والسنة تفصيل المجمل وتقييد المطلق وتفسير النص .. وقد جاءت بالكثير من الأحكام فيما ليس فيه نص فهو لم يهتم بخلافات الخلفاء الراشدين إعتمادا على حديث عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ ولم يلتفت لقول معاوية أو معاذ فى توريث المسلم من الكافر حيث اعتمد على حديث الإرث .

وقد يغير رأيه فى مسألة حين يتبين له فهم أصح أو نص أوضح ـ إذ السنة لا غالب لها والنص النبوى أهدى سبيلا ، وكان من مبادئه : « أن الضعيف من الحديث خير من الرأى » ولذا كان

يأخذ بالإسناد حتى الرسول - ﷺ - وكان لا يعترف بالحديث الشاذ[1] .

أما الصحابة فهم الأصل الثانى بعد قول رسول الله - ﷺ - حيث يرى الإمام أنهم : (كانوا أعلم الناس بما أراده الله من كتابه ؛ فكانوا المعبرين عن ذلك بعد رسول الله - ﷺ) .

ومن ثم قضى عمره فى دراسة سيرهم والأخذ عنهم فكم فوضهم الرسول - ﷺ - فى المهام الجسام - ولهم مدارك للرأى فقد كانوا أئمة - ولا يصلح دين المسلم إذا لم يتأس بهم .

أما الإجماع فهو اتفاق المجتهدين على حكم شرعى - وكان أحمد يتحوط بالأخذ به إلا فى إجماع الكبار .

والقياس عند الضرورة - وقد أباحه حين التشابه ، ولم يأخذ به فى حال الإختلاف ، وقد شمل القياس الإستحسان والمصلحة ، وسد الذرائع وبإقرار مبدأى : المصلحة والإباحة إلى جوار النص والقياس بلغ فقه أحمد مبالغه .

ولقد كانت طريقة أحمد فى الفقه وطريقة فى الحياة العملية توأمان متشابهان فقد كان إماماً للفقه ولا يفتى بغير دليل ولا يميل إلى التقليد - وكان يكره تدوين فتاويه - لكنه ألزم تلاميذه بجمع النصوص التى كان يعتبرها مصدر الفقه - وإن كان تلاميذه قد جمعوا من فقهه أكثر من ستين ألف مسألة .

أما فى الباب الرابع - فيتحدث الكاتب عن فقه الحريات التى كان أحمد فى الطليعة علماً بأصولها الثابتة - وواكب تلاميذه من بعده أى تقدم فاعتلى الجيلانى مدرسة الزهد وابن تيمة مدرسة الجهاد والإجتهاد وابن عبدالوهاب فى الإلتزام بالسنة .

كما سبق أحمد غيره فى تقرير الحرية القانونية حيث تبرم العقود بمجرد تلاقى الإرادتين ، وللناس أن يتشارطوا فى حدود النصوص الشرعية ، والإباحة أصل والشروط المسكوت عنها مباحة ، وللمتعاقدين أن يرتبا ما يشاءان من الحقوق فى إطار شرع الله .. فهو القائل : (كل ما احتاج إليه الإنسان فى معيشته لا يحرم عليه إذا كان لا يضر بالآخرين ، وفى حدود الشرع المباح) .

وأحمد يدعو إلى الحلال فى التعاقد ، ويؤكد على النية الخالصة - أما المعيبة فلا يوافق عليها كزواج المحلل والبيع يخفى ربا ، والهدايا إلى القاضى وهو من أكثر المذاهب عداء للحيل خاصة ما تحلل حراماً أو تحرم حلالاً .

أما حين يتحدث عن المسئولية فإنه يعتبرها جزاء مخالفة القانون ، وأحكامها تضبط النشاط القانونى ، ثم يتناول الحديث عن المسئولية العقدية ، ثم المسئولية من غير عقد ، ثم المسئولية عن استعمال الحق ، ثم ينتهى إلى مسئولية المفتى .. مبيناً رأى الإمام إزاء كل منها مع مقارنة دقيقة تبين بعد نظر الإمام وتفوقه حتى على ما وصلت إليه النظريات الحديثة فى القانون موضحا ذلك بأمثلة متعددة .

ومسئولية المفتى عنده تنحصر فى خمس خصال الورع والعلم والحلم والوقار والسكينة والمجتهد من يرى مصلحة للناس لا يحرمها الشرع .. وهو يرى الإلتزام بحدود الله فى العبادات .

وفى الفصل الثانى من الباب الرابع يتحدث المؤلف عن تلاميذ الإمام فيوضح أن الناس

يحتاجون إلى العلم كالخبز والماء ـ ولذا اشترط فى المتعلم أن يكون كفئا كما اشترط أن يمارس الالتزام والدقة والإخلاص .

جلس الإمام يدرس أربعة عشر عاماً قبل المحنة ثم عاود الجلوس سبع سنوات أخرى بعد المحنة ـ وكان مهيباً يستمع إليه المئات ، وكان لا يتكلم إلا إذا سئل ، ويهش لكتبة الحديث لكنه كان يكره كتابة فتاويه .. ولم تنشر إلا فى الجيل الثانى .

أما « مسنده » فقد خرج للناس مبوباً ومفهرساً من عمل ولده عبدالله إضافة إلى الكتب التالية : (جوابات القرآن) و (المقدم والمؤخر فى القرآن) و (الناسخ والمنسوخ) و (الزهد) و (الصلاة) و (الأشربة) و (المناسك) و (الورع) و (العلم) و (الرد على الزنادقة الجهمية) و (العلل) و (صحبة الرسول ﷺ) و (أصول السنة وفضائل الصحبة) .

أما تلاميذه فهم كثروا بدءاً من آل بيته وولده وأهل داره فأبو بكر الرازى ، وأبو بكر الأثرم وإسحاق بن منصور وإبراهيم بن هانى ومهنا بن يحيى وإبراهيم الحرق والحسين بن عبدالله الخرق إلى جانب جيل تال لا يحصى .

أما المجاهدون من تلاميذه فأولهم الناصر صلاح الدين والجيلانى وعز الدين بن عبدالسلام وغيرهم كثير .

أما الباب الخامس فقد أفرده الكاتب لما أسماه « الإمتحان » ويعنى المحنة القاسية التى تعرض لها الإمام حين دفع إلى خوض المعركة التى يفيض فيها المعتزلة حول ما كان يعرف « بخلق القرآن » وقدم الدليل من روحه وجسده على صحة موقفه إذ كان لا يقول إلا بما فى كتاب الله متحديا سياط الجلادين التى تنهش جسده غير عابىء بدمه السائل أمام أعدائه من المعتزلة ـ لكنه فى النهاية خرج منها عليل الجسم قدوة لإيمان الناس بدفاعه عن السنة التى اعتبرته أشهر أئمتها .

وفى عرض يسير توضح هذه المعركة فقد كان المأمون فيلسوفا ذا مزاج متقلب بين الحلم والغضب برع فى فقه أبى حنيفة وله فيه مؤلفات ورسائل وكان حريصا على حرية التفكير وحسن التعبير ، وإن كان يميل للتشيع لعلى دون شطط ، وهو القائل : « غلبة الحجة أحب إلى من غلبة القوة » وكان عفوه مضرب الأمثال ـ وكان غضبه على العلماء والفقهاء من أهل السنة عجبا لربما لأزمة الثقة بينه وبينهم .. وبعد موت ولده بالسم زاد حنقه على العباسيين والتصق به المعتزلة ، فنادى فى الناس بكراهية معاوية (وبخلق القرآن) وغيرهما كزواج المتعة ، والتكبير بعد صلاة الجمعة ، بل وبعد الصلاة عموماً .

وعلا نجم المعتزلة بعدما اعتنق المأمون نفسه آراءها فى القضاء والقدر والقدح فى الصحابة وكان الإمام أحمد يقاوم بدعة الكلام فى صفات الله ـ ونبه الناس على عدم التشبيه والتجسيد وأمثالها من الجسمية والمكانية .

فالمتكلمون يخالفون المحدثين فى الطريقة إذ أوّلوا آيات القرآن والأحاديث لرأيهم ومنها النصوص الجسمية والمكانية . والمعتزلة مدرسة من المتكلمين وبعد ارتباطها بالمأمون نادت بـ (خلق القرآن) فكانت المحنة إذا اعتبر غير قديم ومن ثم يكون مخلوقا ـ والعياذ بالله ـ وهى فكرة يهودية فهم يرون أن وحدة الذات والصفات تقضى أن كلام الله تعالى ليس قديما قدم الذات بل هو صادر

عنها ـ فهو يشير إلى وقائع حدثت فى الدنيا ويتحدث عن رسل تعاقبوا فهو ليس قديما ، وإنما هو محدث أحدثه الله فى اللوح فهو « مخلوق » ثم توسع علماء الكلام فى مسائل نظرية وأوّلوا الأحاديث ، وأطلقوا ألسنتهم فى الصحابة .

وكان أهل السنة يؤمنون بالقدر لكن للعبد اختياره بإرادته ، ولا يتمارون فى صفات الله ، وينزهون الذات العلية عن المشابهة .. ويفسرون القرآن بالقرآن ، أو الحديث وترك التأويل دون تشبيه أو تجسيم ـ فالقرآن عندهم غير مخلوق والتعبير عن قدرة الخالق جدير بالاحتياط والتعبير عن القرآن بأنه مخلوق تعبير مريب ينزله ، منزلة المخلوقات .. ولم يأذن الإمام بجدال فى ذلك .. بل صرح بأن القائل بـ (خلق القرآن) كافر . لكن المعتزلة (تتنادى) بخلق القرآن ، وينطوى تحت لوائها المأمون بعد عودته إلى العراق سنة ٢٠٤هـ وهو المتهم من كل من حوله حتى من نفسه فيوافقهم على آرائهم لكنه لا يعلن ذلك خشية أن تكون فتنة ـ لكنه كان (قديراً) فى الخلافة يسبح بسفينها فى زوبعة ومعه الذئب والحمل ، وقد يقذف بالحمل أى العرب فى اليم ، ويترك الذئب أى العجم الذى قد يأكله أو يأكل من يأتى بعده ـ وكان يتخير الوقت لإعلان ذلك ولقد انتشر فى عهده فكر أسوأ العلماء أمثال (أحمد بن أبى دؤاد) وثمامة بن أشرس ، وإبراهيم النظام الذى عاب على الدنيا وعلمائها الأجلاء .. وبهم فتح ميدان الجدل وهم من لا تقبل لهم كلمة فى القرآن .

وتتابعت الأحداث والمخاطر على المأمون من الداخل والخارج فى مصر وسوريا والامبراطورية الرومانية .. فعين ابن أبى دؤاد قاضيا ـ وجعل من مسألة (خلق القرآن) قضية وموضوعا للامتحان فأرسل إلى ولاته بالأقاليم يمتحنهم فيما يعتقدون فى هذه المسألة وكان امتحاناً ومحنة وكارثة بعدما أجاب بعض علماء بغداد بخلق القرآن فيما كان دور أحمد وهو الورع التقى الصالح الذى لا ينال من جراية الخليفة زهدا وسمو نفس وحُمِلَ مع ابن نوح على بعير واحد مقيدين ـ وكان العالم كله ينتظر النتيجة . وكانت وفاة المأمون بلا سيف ـ ومن عجب أن ابن نوح قد توفى فى رحلة العودة وبقى أحمد يستقبل السجن .

وقد أوصى المأمون أخاه بالسير على نهجه فى « خلق القرآن » وأن يكون ابن أبى دؤاد شريكا له فى المشورة فأصبح قاضيا للقضاة ، وأصبح المعتصم أداة طيعة فى يد ابن أبى دؤاد فحولوا الإمام أحمد إلى سجن خاص للإنفراد به ، ولكنه لا يجيبهم إلى طلبهم ، فيحمل إلى بيت ليس فيه سراج فى بغداد ثم يحمل مكبلا إلى المعتصم فيحاوره ويرجوه أن يجيبه ، ثم توعده دون جدوى فأعاده إلى السجن يائسا بينما ظل ابن أبى دؤاد يكيد له عند الخليفة فيأمر بجلده ، يتعاقب عليه الجلادون يمزقون جسده بسياطهم وظل يعانى آثار ذلك حتى مات .

وبعد موت المعتصم خلفه ابنه الواثق وقد أمسى القول بخلق القرآن أُسوية تساب بها الناس ـ وعاش الإمام مرفوع الرأس حتى خلف المتوكل أباه الواثق بعد موته ودعاهفابطل المحنة إلى القصر فلبى قياماً بواجب الطاعة لولى الأمر ولكنه أبى أن يلتحق بالحاشية ـ وعاد لمسنده يراجعه ويعكف على تعليمه للناس ويطلب الخليفة رأيه فى ابن أبى دؤاد وهو مسجون أشل فيعفو عنه ويصفح ولو

خضع الإمام لرأى المأمون لا نقسم المسلمون وتداعوا لكن الله قيضه لحماية المسلمين ـ والله بالغ أمره .

ولما كان الملوك أحوج إلى العلماء أكثر من احتياج العلماء إلى الملوك ـ فقد أبطل المتوكل محنة (خلق القرآن) وبعث إلى أحمد ليحمل إليه مكرماً .. فأعداه وإن كان قد تصدق بما قبل منه ورآه الناس يمشى منكس الرأس متواضعاً لله فى مقام الانتصار ورغب الخليفة فى مجالسته ، وعرض عليه أعلى الوظائف ـ لكنه أبى وكان يداوم الصوم حتى هزل جسمه ـ وقد تعفف عن سبعين ألفا عرضت عليه .

وكان يسعى إلى مسجد بعيد رغبة فى بذل المزيد من المشقة للأجر وظل الخليفة على صلة به يستشيره ويسأله الدعاء وكان يبعث إليه أموالا لتوزيعها على المحتاجين وكان يقول : إن أحمد وصحبه من سادة أهل محمد ـ وقد عرف الله لأحمد صبره وبلاءه فرفع علمه ـ وأظن أن الله يعطيه ثواب الصديقين .

وقد انتقم الله من أعدائه فتلاحقت المحن على ابن أبى دؤاد من مرض إلى غضب الخليفة عليه إلى حبس ابنه محمد إلى بيع ضياعهما إلى جانب حسرة على موت ولده .

ويختم الكاتب مؤلفه بالحديث عن بيت أحمد أو أسرته وعن نسائه اللائى تعاقبن على حياته وكن زاهدات مثله وصابرات مثله وقانعات مثله عملن بالطرز لتستوفى النفقة ـ أما هو فقد وهب كل يومه لله من الصلاة إلى التدريس ـ ولقد بورك له فى حياته ـ والزوابع لاتزلزل من كان الله معه ـ وقد عاش مع أم صالح ثلاثين عاماً ما اختلفا ، وتزوج بأم عبدالله وبعد وفاتها بنى بأم الحسن ومحمد وزينب وسعيد ـ ولم يجمع بين زوجتين وكان سعيدا مع الجميع وكان الإمام يولم ويعيش حياة نظيفة ملؤها الذوق والاعتدال والسخاء .

ولقد جلس أحمد فى أخريات أيامه بداره حتى عبر الخامسة والسبعين ، ثم بدأت الأوجاع تلازمه من أثر التعذيب ـ والأمة كلها تحس أنه موضع القسطاس من الأرض يمنع ميلها .

وفى الأيام الأولى من ربيع الأول سنة ٢٤١ هـ ألم به المرض فسارع يؤدى ما عليه من دين وأوصى ولده بسداد باقى دينه ـ وتقاطر الناس على البيت ووكل السلطان الشرطة بباب الدار وباب الزقاق وسد الناس الشارع وتعطلت حركة البيع والشراء .

وكان الخليفة يسأل عن أحواله ومرضه وبكاه بنو هاشم ممن زاروه ، وكان يكره الأنين ـ لكن لم يفتر عن أداء الصلاة على أية هيئة وفى صباح يوم الجمعة ١٢ من ربيع الأول عام ٢٤١هـ .. قبض الإمام ، وغُسِّل فى بيته ، وصلى عليه أمير بغداد ومشى فى جنازته ألف ألف نفس أو يزيد ـ وقد جذب أبصار الجماهير إلى أعلى هذا الشهاب الذى اختفى تاركا أضواءه فى الأفق .. وقد سارت الجموع وراء إمامها وكأنها لا تريد أن تتركه .

رحمه الله

وبعد :

فإن المؤلف ـ بحق ـ استطاع أن يقدم لنا أطرافا للحوادث غابت عن الكثير حتى أمكن نظم الحوادث نظما منطقيا فى ذهن كل من يقرأ هذا الكتاب . كما عنى المؤلف ببسط تناول الحديث الشريف عند أحمد ـ رضى الله عنه .



الدعـاة ومنهـج الدعـوة

لا يختلف أحد فى أن الداعية إلى الله صاحب رسالة ، وعليه أن ينشر ما علمه الله ـ تعالى ـ وأن يجهد فى ذلك؛ لأن مقام العلماء فى هذه الحياة هو : مقام الرسل ، فهم ورثتهم ، ومن ثم فهم نوابهم ، كما يجب عليهم ـ وهم يؤدون رسالتهم ـ أن يبدأوا بأسهل الطرق وأقربها : الحكمة والموعظة الحسنة ، قال ـ تعالى :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وفى الجانب الآخر يجب على الناس سماع العلم والأخذ منه والعمل به ، وتلقيه بسعة الصدر وعدم السآمة منه ، أو من قائليه ، إذ أن مدار الحياة على العلم ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أوجب طلبه ، والنبى ﷺ حث عليه فى نصوص كثيرة .

وكفى « الدعوة إلى الله » شرفاً أنها : سبيل الأنبياء وسبيل المؤمنين ممن اتبعوهم ، قال ـ تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت : ٣٣] .

حول هذه الرسالة الشريفة : رسالة « الدعوة إلى الله » تلقت المجلة كلمة عن أهم الصفات التى يتحلى بها الداعى أو الداعية حتى يكون مؤهلاً لحملها ، كما يضم هذا الباب كلمات عدة بأقلام القراء تجد عرضاً لها فيما يلى من صفحات ، بالإضافة إلى زاوية إبداعات الشعر ، وركن الردود والتعليقات ، والإجابة عن الاستفسارات .

المحرر

الداعى إلى الله

تلقى الباب هذه الكلمة من الأستاذ/ كمال عبد المنعم محمد خليل ـ بنى سويف ـ الكوم الأحمر ـ حول الصفات التى تؤهل « الداعية إلى الله » لأداء رسالته :

١ ـ العلم والفقه : فلابد أن يكون « الداعى إلى الله » على علم وبصيرة بما يدعو الناس إليه حتى لا يدعو إلى ضلالة قال ـ سبحانه :

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وقال ـ سبحانه : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] .

٢ ـ الفقه بأحكام الإسلام :

قال رسول الله ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » رواه البخارى ومسلم .

٣ ـ الحكمة والمجادلة بالحسنى ، قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] ، ولا يكثر الداعى إلى الله من الجدال وخاصة فى الأمور التى فيها سعة بين الفقهاء ، وإن جادل فيكون بالحسنى .

٤ ـ استخدام الحوار سبيلاً للإقناع : فلا يفرض الرأى بالقوة ولا يتبع هواه بل يحاول تبسيط الأمر حتى يصل إلى المطلوب ، والقرآن الكريم ملىء بأمثله للحوار الذى يصل إلى الإقناع .. راجع : البقرة ٢٥٨ ، والقصص ٣٨ .

٥ ـ اللين فى الدعوة : قال ـ تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩]

وروى الإمام مسلم فى صحيحه عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن الرفق لايكون فى شىء إلا زانه ولا ينزع من شىء إلا شانه » .

٦ ـ الترغيب قبل الترهيب ، قال ربنا ـ عز وجل : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ [الحجر : ٤٩ ، ٥٠] .

٧ ـ لا يفتى بغير علم ، قال رسول الله ﷺ : « من أفتى بغير علم كان إثمه على من أفتاه » أخرجه أبو داود والحاكم عن أبى هريرة .

ظاهرة القزع فى رؤوس الشباب

كتب هذه الكلمة القارىء / حاتم ابراهيم محمد سلامه .. معهد منوف الدينى - بالمنوفية - ليرد بها بعض الشباب المتأثرين بعادات الغرب - فى حلق جانب من رءوسهم وترك الجانب الآخر - إلى تعاليم دينهم وقيمه :

« إن هذه الظاهرة منهى عنها شرعاً ، وهى من الأمور الدخيلة على مجتمعنا المسلم ، ومن الأولى لكل من يُقلد الأورقى أو الأمريكى أن يتبع تعاليم دينه فهى أحق بالاتباع ، وهذه بعض الأحاديث النبوية :

١ - عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال : نهى رسول الله ﷺ عن القزع . (متفق عليه) .

٢ - وعنه - أيضاً - قال : رأى رسول الله ﷺ صبياً قد حلق بعض شعر رأسه وترك بعضه ، فنهاه عن ذلك وقال :

« احلقوه كله أو اتركوه كله » .

(رواه أبو داود ، قال النووى : اسناده صحيح على شرط البخارى ومسلم) .

٣ - عن عبد الله بن جعفر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثاً ، ثم أتاهم ، فقال : لا تبكوا على أخى بعد اليوم ، ثم قال : ادعوا لى بنى أخى ، فجىء بنا كأننا أفرخ ؛ فقال ادعوا لى الحلاق ؛ فأمره فحلق رؤوسنا (رواه أبو داود) بإسناد صحيح كما قال النووى ، وقال النووى فى شرحه لذلك فى صحيح مسلم : إن القزع من أفعال اليهود ، وقيل : من الشيطنة .

نعمــة الأخــوة فى اللــه

وكتب القارىء/ عماد ميزار عبد العظيم - قرية الأعلام - محافظة الفيوم - هذه الكلمة :

ولعل مما ينبثق منه روح الانماء هو الإخاء أو الأخوة بين المسلمين ، وكأن المتحابين فى الله - عز وجل - روح واحدة حلت فى جسدين . ولا شك أن هذه الأخوة تفرض على صاحبها حقوقاً ؛ منها : أن يحب مسرة صاحبه ، ويدفع عنه المضرّة .

ولله - تعالى - حق فى هذه الأخوة ؛ وهو ذكر هذه النعمة وشكره عليها ، يقول ؛ تعالى :

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾

[آل عمران : ١٠٣]

وإن مما ندين فيه بالفضل ؛ تلك الأخوة الأولى بين المهاجرين والأنصار ، والتى كانت من أولى أعمال الرسول ﷺ فى المدينة المنورة ، فعليها قامت دولة الإسلام وارتفعت رايته .

كلمة عن القلب

كتب القارىء/ إبراهيم محمد سلامة ـ بمعهد منوف الأزهرى . هذه الكلمة عن القلب وتقلبه ، مستهدياً فيها بكتاب الفوائد لابن القيم :

يقول الشاعر :

ما سمى القلب إلا من تقلبه
فاحذر على القلب من قلب وتحويل

والقلوب هى موطن الإيمان .. قال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ٧] ، ولا يكون القلب مسكناً لشيئين متناقضين ، كالإيمان والكفر ، أو حب الدنيا والآخرة معاً .

فمن وجد نفسه فى حاله من الفتور والقسوة فلينظر إلى قلبه وليتفقد أحواله ، وهذا يرشدنا سيدنا عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ فيقول : « اطلب قلبك فى ثلاثة مواطن : عند سماع القرآن ، وفى مجالس الذكر ، وفى أوقات الخلوة ، فإن لم تجده فى هذه المواطن ؛ فسل الله أن يمن عليك بقلب ؛ فإنه لا قلب لك » .

فهذه الثلاث تجعل القلوب عامرة بالإيمان ويؤكد هذا قول ابن القيم : « للقلب ستة مواطن يجول فيها . ثلاثة سافلة وثلاثة عالية ، فالسافلة : دنيا تتزين له ، ونفس تحدثه ، وعدو يوسوس له ، وثلاثة عالية : علم يتبين له ، وعقل يرشده ، وإله يعبده ، والقلوب جواله فى هذه المواطن » ، وإلى أيهما تنتمى يكون مرضها أو سلامتها .

محمد أسد

كتب القارىء/ طه حامد اسماعيل ـ من قلما بقليوب ـ تلك الكلمة عن الكاتب الإسلامى « محمد أسد » :

ولد محمد أسد عام ١٩٠٠ فى « ليفاو » بالنمسا ، وبعد مرحلة التحصيل العلمى ترك بلاده عام ١٩٢٢ ليعمل مراسلاً لبعض الصحف الأوربية الألمانية ، تنقل كثيرا بين معظم دول أفريقيا وآسيا مما هيأ له فرص الاحتكاك بالإسلام وتعاليمه السمحة ، وقادته روحه التواقة للبحث والتطلع إلى التعمق فى دراسة الإسلام ، وانكب على البحث عدة سنوات ، توصل فى نهايتها إلى الاقتناع الكامل بصدق الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان .

اعتنق الإسلام رسمياً (١٩٢٦) وتخلى عن اسمه القديم (ليوبولدفايس) وبعد تأسيس دولة باكستان انتقل إليها ليعمل فى مركز البحوث الإسلامية فى غرب البنجاب ، ثم استعد ليشارك فى إعداد الدستور الإسلامى للبلاد ، وتقديراً لجهوده العلمية والسياسية تم اختياره مندوباً لباكستان لدى الأمم المتحدة ، وقد ظل متفرغاً للبحث والتأليف إلى أن وافته المنية عام ١٩٩٢ وهو عاكف على إعداد ترجمة شاملة لمعانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية صدّرها بقوله ـ تعالى : ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ [الجاثية : ١٣] ، ومن أبرز أعماله « الإسلام على مفترق الطرق ، رحلة إلى مكة ، نظام الحكم فى الإسلام » .

من إبداعات القراء

تحيــة للإمــام

من قصيدة ألقاها الأستاذ/ عبد اللطيف عبد المنعم بركات احتفاء بفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، فى الاحتفال الذى أقيم بمحافظة دمياط بمناسبة افتتاح فضيلته ـ والوفد المرافق له ـ لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بها ، وذلك يوم الاثنين الموافق ٥ يونيه ١٩٩٥ .

حضر الحفل محافظ دمياط السيد المستشار محمد عبد الرحيم نافع ، والأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر .

مالى أرى فى ذا المكـــــان جمالا ... هل شمس أنس فى السمــا تتــلالا
أم بدر تم قد تكامـــــل ضوءه ... لما حضرتم سادتى إجـــــلالا
أم أن جاد الحق جاء ونـــــوره ... قد زان أزهرنـــا فجـلّ منـالا
أم ذاك نور للمحافـــظ نافـــع ... عبـد الرحيم يزيدنـــا أفضالا
يا أرض الرحـى ويـاسماء تزينـى ... ويـا دميـاط تيهى فرحـة ودلالا
ذاك جاد الحق جاء معمـــــرا ... يهديك صرحـــاً عاليـــاً فعـــالا
يا من حضرتم صحبـــة فى ركبـــه ... حققتموا من سنة المصطفى ما قالا

ردود وتعليقات

● القارىء/ حسام عبد الله محمد ـ السبلاوين ـ دقهلية .

نحييك على تحيتك الرقيقة لمجلة الأزهر ، ونجتهد دائماً فى أن نكون عند ظن قرائها ، أما عن قصيدتكم « المعجزة » فيمكن تقوية وزنها بالالتزام العروضى .

● القارىء/ سيد حسين صالح ـ موشا ـ ش البكرية ـ أسيوط .

مرحباً بك صديقاً للمجلة ، وإنى أود من أصحاب التجارب الشعرية أن يتوجهوا إلى الكتابة النثرية إلى أن يكتسبوا فنون الوزن والقافية من علم العروض .

● **القارىء/ حسن عبد الخالق محمد ـ كفر الدوار ـ البحيرة .**

بإذن الله ـ تعالى ـ ترون مبلغ اهتمامنا بالمجلة ـ إخراجاً وتحريراً ـ وهو يتزايد دائماً ، مع خالص تقديرنا لاهتمامكم .

● **القارىء/ أحمد عبد الرحيم أحمد ـ الطالب بالثانوية الأزهرية .**

قرأت انتقادكم لبعض الكتب التى أعيد طبعها ـ لدى بعض الجهات المعنية بالثقافة ـ على ماهى عليه من سوء الأفكار ، وكم كنا نتمنى معك أن يكون اهتمام الناشرين باختيار ما يصحح الفكر المعوج ويحث على الفضيلة ، وغير ذلك مما ينفع الناس ، فهذا هو الأبقى ، يقول ـ تعالى : ﴿ **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** ﴾ .

وتبقى لنا ملاحظة عن تجريحكم لمؤلف « مأساة الحلاج » لأنه أنصف « الحلاج » و « الحلاج » عندكم متهم ، فالحق أن التجريح ليس من النقد الموضوعى فى شىء ، ثم مالنا ورجال أفضوا إلى ماقدموا ؟ ويعلم الله على أية حالة قبضهم .

● **القارىء/ تمام محمد سيد عبد الرحيم ـ موشا ـ بحرى البلد ـ اسيوط .**

تجاربك الشعرية تحتاج إلى مزيد من الصقل .. وفقك الله .

● **القارىء/ شحاته أحمد أبو بكر ـ بنى سويف ـ ببا .**

نحمد الله على نعمة الإسلام ، فهى نعمة لانعدلها نعمة ، وكل مسلم يعلم أنه ليس بعد الكفر ذنب ، بدليل قول الله ـ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ . [النساء]

فالتوحيد هو أصل الإيمان وأساس دين الإسلام ، ولله الحمد والمنة على أن عافانا مما ابتلى به غيرنا .

● **القارىء/ سالم مهنى عبد العظيم محمد ـ بالثانوية الأزهرية ـ البحيرة .**

فى قصيدتكم « الله أكبر » ترجمتم ما آل إليه وضع البوسنة تحت سمع وبصر المجتمع الدولى ، ولعلكم قرأتم فى وسائل الاعلام مؤخراً تحت عنوان « بيجو فيتش يستغيث » ٦٠ ألف مسلم تحاصرهم دبابات الصرب فى « سربرنيتشا » وتمنع عنهم الطعام والمياه ، على الرغم من أن هذه المنطقة سبق أن نزعت الأمم المتحدة سلاحها وأعلنتها ضمن المناطق الآمنة ، فالله أكبر من كيدهم ومكرهم .

● **القارىء/ محمود عبد العزيز عبد المجيد ـ بدار البلدية ـ كفر الشيخ .**

قصيدتكم « طيب رسول الله ﷺ » ذات معان طيبة ، ولكن قلَّ حظها من التروى فى ضبط الوزن .

● **القارىء/ محمد أحمد مكرم ـ الواسطى ـ أسيوط .**

أحلت كلمتكم « مختارات » و « تراثيات » لفضيلة الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ، لأنها أقرب ماتكون إلى باب « طرائف ومواقف » .

● القارىء/ محروس عبد الفتاح يس محمد ـ ليسانس عقيدة وفلسفة من كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر .

قرأت رسالتكم اللطيفة عن الفلسفة ، وقد أعجبنى خروجكم من دراستها بما خرج به أسلافنا ـ رضوان الله عليهم ـ من رفض ما تعارض منها مع صريح النصوص الشرعية ، فالفلسفة فى الأصل تقوم على الشك ؛ بينما يقوم الوحى على اليقين ، ومن الناس من يستبدل الخبيث بالطيب .

ولعلكم قد اطلعتم على رسالة المرحوم الشيخ عبد الحليم محمود ـ شيخ الأزهر السابق ـ فى الفلسفة ، والتى نشرت مؤخراً ، وانتهى فيها فضيلته إلى عدم حاجتنا إلى استيراد فكر يهدينا وعندنا منهج الاتباع الاسلامى المتمثل فى الكتاب والسنة ، ذلك المنهج الذى إذا سلكه المسلم أو المجتمع يسر الله ـ تعالى ـ له التوفيق والحماية والنصر ﴿ **ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صرط مستقيم** ﴾ .

● القارىء/ اسماعيل نصر ـ بسهواج ـ أشمون ـ منوفية .

نود الإحاطة بأهمية الإسناد العلمى فيما ترون نشره بمجلة الأزهر .

● القارىء/ هانى مهنى عبد العليم طه ـ إدكو ـ بحيرة .

كلمتكم عن « إفشاء السلام » طيبة على إيجازها ، غير أنه قد سبق معالجة هذا الموضوع ، وفى انتظار رسائلكم .

● القارىء/ أبو الحسن محمد رمضان ـ القرايا ـ إسنا ـ قنا .

لا شك فى أن المشى بين الناس بالنميمة من الأمراض الاجتماعية الخطيرة ، ومن ثم حرَّمها الحق ـ عز وجل ـ لما يترتب عليها من تمزيق صلات المودة والتآلف بين الناس ، فهل نعتبر ؟

● القارىء/ عبد العزيز فرج اسماعيل ـ زهراء عين شمس ـ القاهرة .

نأمل معك أن تتطهر مجتمعاتنا من المحتكرين الذين يحبسون أقوات الناس بغية الغلاء ، والربح الفاحش ، أعتقد أنه إذا لم يرد فى المحتكر ذم غير حديث رسول الله ﷺ « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » الذى رواه ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر ؛ لكان ذلك كافياً فى سرعة التوبة من هذا الإثم .

● القارىء/ الشيخ حسن أحمد مكرم ـ معهد إعداد الدعاة ـ أسيوط .

لقد أصبتم فى ربط « أصل الـغضب » بالشيطان الرجيم ، وأهمية الاستعاذة منه ـ عند الغضب ـ كعلاج ناجع لذهاب أثره ، وفى انتظار إبداعاتكم .

● القارىء/ أشرف صفوت أمين ـ بنى سويف ـ القاهرة .

تلقيت كلمتكم الطيبة عن دليل البعث والحساب .. وفى انتظار إبداعات أخرى .

● بمشيئة الله ـ تعالى ـ يواصل الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعاً .



تقديم الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

خطاب الرئيس مبارك فى ٢٣ يوليو ١٩٩٥ بالاسكندرية

حضر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر خطاب السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ، الذى ألقاه سيادته بمدينة الإسكندرية وأشاد فيه بدور المساجد فى القضاء على الإرهاب بمصر .

فإن المساجد رافد من روافد التوجيه الإسلامى لإرساء التعاليم الإسلامية الصحيحة .

الإمام الأكبر يستقبل الرئيس الجزائرى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الرئيس الجزائرى الأمين زروال صباح السابع والعشرين من المحرم ١٤١٦هـ .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف معرباً عن سعادته بزيارة الرئيس زروال للأزهر الشريف كما أعرب فضيلته عن أمله فى نجاح الرئيس زروال فى مسيرة الاستقرار والأمن والأمان فى الجزائر ، وجمع كلمة الشعب الجزائرى ؛ حتى يعود لهذا الشعب الشقيق الهدوء والاستقرار ، وأشار فضيلته إلى العلاقات الوطيدة التى تربط الشعبين : المصرى والجزائرى فى كافة المجالات . وقد أعرب الرئيس زروال عن سعادته بزيارة مصر والأزهر الشريف مشيداً بالدور الذى يضطلع به الأزهر فى نشر العلم والمعرفة والدعوة الإسلامية ، وصحيح الدين ؛ مشيراً إلى البعثات التعليمية التى تفد إليه من كافة الأقطار العربية والإسلامية ، بل من شتى أنحاء العالم لتلقى علوم الدين الحنيف عائدين إلى بلادهم حاملين رسالة الإسلام السامية .

أكد الرئيس زروال أن الجزائر فى طريقها إلى الهدوء والاستقرار بفضل تكامل جهود الحكومة والشعب فى المجالات الثقافية والاجتماعية .

شهد اللقاء : فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ، وقيادات الدعوة والتعليم بالأزهر الشريف .

ندوة للدفاع عن عروبة القدس بالقاهرة

عقدت منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية فى الثامن والعشرين من المحرم ؛ ندوة مهمة عن عروبة القدس ، شارك فيها جمع كبير من المهتمين بقضية القدس ، وحضرها نائباً عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف : الدكتور جعفر عبدالسلام نائب رئيس جامعة الأزهر ؛ حيث ألقى سيادته كلمة فضيلة الإمام الأكبر أمام المؤتمر التى أكد فيها على أن : قضية القدس تستحق بذل غاية الجهد بعد أن تعرضت لمحالات التهويد المستمرة ؛ التى خالفت بها إسرائيل جميع المواثيق والأعراف الدولية كما أكد فضيلته على ضرورة ممارسة الضغط على إسرائيل بكل الطرق والوسائل لإجبارها على احترام المواثيق والعهود الدولية وإعادةالحقوق المسلوبة فى القدس الشريف .

شارك فى مناقشات الندوة : عدد كبير من المثقفين والسياسيين المهتمين بقضية القدس .

الإمام الأكبر يستقبل وفد ولاية ترنجانو الماليزية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر صباح الثالث من صفر ١٤١٦هـ وفد ولاية (ترنجانو) الماليزية برئاسة السيد الوزير / د. محمد يوسف نور وزير الشئون الدينية للولاية .

فى بداية اللقاء قدم السيد الوزير لفضيلة الإمام الأكبر تهنئة الوفد وحكومة وشعب ماليزيا للشعب المصرى ؛ لنجاة الرئيس محمد حسنى مبارك من الاعتداء الأثيم الذى تعرض له سيادته فى (اديس ابابا) ، وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر الوفد على هذا الشعور الطيب .

تم خلال اللقاء : بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر وماليزيا فى المجالات العلمية والتعليمية والثقافية الدينية ؛ حيث تم بحث إنشاء معاهد دينية تعمل تحت إشراف الأزهر الشريف .

وقد أعرب الوفد عن تقدير بلاده ـ حكومة وشعباً ـ للدور الكبير الذى يقوم به الأزهر الشريف لخدمة الإسلام والمسلمين فى شتى بقاع الأرض .

الإمام الأكبر يستقبل سفير بنجلاديش بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير كريم حيدر سفير جمهورية بنجلاديش بالقاهرة وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر صباح الرابع من صفر ١٤١٦هـ .

فى بداية اللقاء أعرب السيد السفير عن : تقدير بلاده ـ حكومة وشعباً ـ للدور الذى يقوم به الأزهر الشريف لخدمة الإسلام والمسلمين فى شتى أنحاء العالم .

تم خلال اللقاء : بحث سبل التعاون بين الأزهر الشريف وبنجلاديش فى كافة المجالات التعليمية والثقافية والدينية .

قدم السيد السفير دعوة رسمية لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة بنجلاديش حيث وعد فضيلته بتلبية الدعوة فى الوقت المناسب ، وفى نهاية اللقاء حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير تحيات فضيلته لحكومة وشعب بنجلاديش .

الإمام الأكبر فى شمال سيناء

قام فضيلة الإمام الأكبر فى الخامس من صفر ١٤١٦هـ بزيارة لمحافظة شمال سيناء ، حيث قام فضيلته بافتتاح المخيم الإسلامى الدولى الأول لشباب العالم الإسلامى الذى أقيم بمدينة العريش بتعاون بين منظمة الندوة العالمية لشباب العالم الإسلامى ، والمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة وصندوق التضامن الإسلامى ، وقد شارك فى المخيم خمسون دولة وحضره الدكتور وزير الأوقاف ، والدكتور مانع الجهيقى رئيس الندوة العالمية للشباب والسيد الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة وقيادات الدعوة بالأزهر والأوقاف .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة فى حفل الافتتاح أكد فيها : على أهمية دور الشباب فى العالم الإسلامى فى مواجهة التحديات والفتن المعاصرة التى تعصف بالأمة الإسلامية وتعرقل مسيرتها نحو التقدم والبناء والتنمية فى شتى مجالات الحياة .

وركز فضيلة الإمام الأكبر على ضرورة النهوض بالجوانب العلمية والتربوية وتقوية الروابط بين الشباب فى كل مكان ، مشيراً إلى أن الإسلام حث على الارتقاء بالتعليم كعنصر فعّال فى بناء الأمة .

وفى ختام كلمته ناشد فضيلته الشباب فى مصر والعالم الإسلامى : القيام بدور فعال فى حل المشكلات التى تعترضهم وحثهم على العمل بقوة فى مشروعات التنمية فى بلادهم .

وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أثناء زيارته لمحافظة شمال سيناء على إنشاء كلية للدراسات الإسلامية وأصول الدين وخمسة عشر معهداً ازهرياً ابتدائياً جديداً فى شمال سيناء .

الإمام الأكبر يستقبل وفد قضاة زنزبار

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح السابع من صفر ١٤١٦هـ وفد قضاة زنزبار الذين جاءوا إلى مصر ضيوفاً على الأزهر الشريف ؛ لحضور دورة الدراسات القضائية بالمركز القومي للدراسات القضائية التابع لوزارة العدل .

وقد تم خلال المقابلة بحث نظام القضاء في زنزبار ، والتعرف عليه ودرجات المحاكم هناك .

وقد قام رئيس الوفد بتقديم خالص الشكر والتقدير لفضيلة الإمام الأكبر وللأزهر الشريف على الاستقبال وكرم الوفادة ، كما قدم الشكر على مايقوم به الأزهر الشريف من دعم للمسلمين في كافة أنحاء العالم .

الإمام الأكبر يستقبل مفتي القدس الشريف

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبة صباح العاشر من صفر ١٤١٦هـ سماحة الشيخ / عكرمة صبري مفتي القدس الشريف ، تم خلال اللقاء بحث الأوضاع الجارية في القدس والأراضي المحتلة ، وتعثر المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية بسبب التعنت الإسرائيلي ، كما تم بحث التحرش المستمر الذي تمارسه إسرائيل مع القائمين على أمر المسجد الأقصى والمقدسات الإسلامية وغيرها .

أكد فضيلة الإمام الأكبر على الحقوق الإسلامية والفلسطينية في القدس ، وضرورة مواجهة الممارسات الإسرائيلية بكل حزم وحسم ، كذلك دعا فضيلته إلى ضرورة بحث ماأحدثته إسرائيل من تغيير في المقدسات الإسلامية ، خلال المفاوضات التي ستجرى حول القدس الشريف .

وأكد فضيلته على أحقية الأمة العربية والإسلامية في المتابعة والمشاركة فيما سيتم من مباحثات في هذا الشأن وذلك من خلال جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي .

وأكد فضيلته في ختام اللقاء : على سلامة الموقف الفلسطيني ، ومساندة الأزهر الشريف لهذا الموقف حتى الوصول إلى هذه الحقوق وإقرارها على ماكانت عليه قبل العدوان الإسرائيلي عام ١٩٦٧م .

صلاة الغائب على أرواح شهداء البوسنة والهرسك

دعا فضيلة الإمام الأكبر إلى أداء صلاة الغائب على أرواح شهداء البوسنة والهرسك .

وأدى فضيلته صلاة الغائب بالجامع الأزهر الشريف عقب صلاة الجمعة الموافق ٢٣ من

صفر ١٤١٦هـ الماضى ، وأدى الصلاة مع فضيلته : سفير البوسنة والهرسك بالقاهرة ، وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وقيادات الدعوة بالأزهر الشريف .

وتناول الشيخ إسماعيل صادق العدوى إمام وخطيب الجامع الأزهر فى خطبته : فضل الاعتصام والوحدة بين المسلمين ، وأثر ذلك فى مواجهة الأعداء .

كذلك أدت جموع المصلين فى مختلف مساجد مصر ـ عقب صلاة الجمعة ـ صلاة الغائب على أرواح شهداء البوسنة والهرسك .

قرار الإمام الأكبر بإعادة تشكيل لجان الفتوى بالمحافظات

أصدر فضيلة الإمام الأكبر قراراً بإعادة تشكيل لجان الفتوى بالمناطق الأزهرية بمختلف محافظات مصر ؛ للقيام بمهمة الإفتاء وتبصير الناس بأمور الدين الحنيف .

وقد نص القرار على : أن يتولى مدير عام المنطقة التعليمية الأزهرية مسئولية رئاسة اللجنة ، كما نص القرار على أن يتولى السادة أمناء اللجان القيام بالأعمال الفنية والإدارية للجنة .

نتائج الشهادات الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر نتائج امتحانات الشهادات الأزهرية ؛ حيث جاءت نسب النجاح على النحو التالى : الشهادة الإبتدائية ٥٠,٧٣٪ والشهادة الإعدادية ٣٥,١٪ وجاءت نتائج الشهادة الثانوية الأزهرية بشعبها الثلاث على النحو التالى : القسم الأدبى ٣٨,٢٪ والقسم العلمى شعبة العلوم ٥٧,١٪ والقسم العلمى شعبة الرياضيات ٥٩٪ .

كذلك اعتمد فضيلته نتيجة امتحان الشهادة الإعدادية للبعوث الإسلامية ، وجاءت نسبة النجاح ٣٠,٦٪ ، كما اعتمد ـ أيضاً ـ نتيجة امتحان ثانوية البعوث الإسلامية وكانت نسبة النجاح بها ٤٤,١٪ .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / محمد عبد الحميد بشير

البحث العلمي ودوره في خدمة قضايا التنمية والبيئة

عقد بمركز (صالح كامل) للاقتصاد الإسلامي ـ بجامعة القاهرة ـ في الفترة من ١٩ إلى ٢٢ صفر ١٤١٦ هـ ، مؤتمر البحث العلمي في الجامعات المصرية ودوره في خدمة قضايا التنمية والبيئة ، وذلك برعاية السيد الرئيس محمد حسنى مبارك . ألقى فضيلة شيخ الأزهر كلمة في افتتاح المؤتمر الذى شارك فيه علماء من المراكز العلمية المصرية والعربية والأجنبية بأبحاث حول أهمية البحث العلمى فى تحقيق التنمية ، وحل المشكلات البحثية فى قطاعات الإنتاج .

هذا وقد ألقى رئيس جامعة الأزهر ورئيس المؤتمر كلمة فى هذا المجال بين فيها موقف الإسلام من البحث العلمى ، شارك فى المؤتمر أكثر من ٥٠٠ عالم من الشرق والغرب .

الولايات المتحدة

قررت جامعة هارفارد الأمريكية إعداد دراسة لتطوير أدوات الاستثمار الإسلامي لطرحها فى الأسواق المالية ، تناولت وصفا للإمكانيات المستقبلية لأسواق المال الإسلامية استرشادا بالأدوات المالية التى استنبطها البنك الإسلامي للتنمية بجدة ، وقام وفد من الجامعة بزيارة لجدة بدعوة من (أسامة جعفر) رئيس البنك الإسلامى للتنمية .

السعودية

افتتح مؤخرا فى السعودية (معرض الابتكارات العلمية الإسلامية) بمركز جدة للعلوم والتكنولوجيا ، وضم المعرض أشهر مخترعات المسلمين الأوائل صرح بذلك المشرف على المركز والذى نظم هذا المعرض .

وأكد سيادته أن المركز يستقبل أيضا أصحاب الابتكارات والميول العلمية من أنحاء العالم الإسلامى .

البوسنة والهرسك

قال مسئولو الإغاثة فى البوسنة أنهم يشعرون بقلق متزايد من مصير آلاف اللاجئين المفقودين ، ومعظمهم من الرجال القادرين على القتال الذين فقدوا بمنطقة (سربرينتشا) إحدى المناطق الآمنة التى استولى عليها الصرب يوم الثلاثاء ١٣ صفر الماضى ، وقالت منسقة الإغاثة الإنسانية التابعة للاتحاد الأوربى : إن حوالى ١٥٠٠ شخص مفقودين . وقال ممثلو وكالات اللاجئين بالأمم المتحدة : إن عدداً كبيراً من النساء والأطفال لم يعثر عليهم ، وأن ركاب حافلتين منهم لم يصلوا إلى الجهة التى انطلقوا إليها من المدينة التى تم الاستيلاء عليها من قوات الأمم المتحدة . وفى مناورة مفضوحة دعا وزير الدفاع الفرنسى إلى تشكيل قوة دولية للدفاع عن جورازدى وسرايفو وقال : إن فرنسا مستعدة لوضع الجنود الذين ساهمت بهم فى قوة الردع السريع تحت تصرف القـــوة المزعومة ، دعا كلا من أمريكا وبريطانيا وألمانيا إلى تشكيل القوة المقترحة .

هذا وقد عبر أصحاب الأقلام وكتاب الأعمدة عما يحسون به من خيبة أمل شديدة من الموقف السلبى للأمم المتحدة معتبريـــن أن سقـــوط «سربرينتشا» إلى جانب أمور أخرى لا مجال لذكرها هى المسمار الأخير الذى يدق فى نعش المنظمة الدولية الفاشلة التى أصبحت أداة تلعب بها الدول الكبرى وتتخذ من أحكامها التى تكيل بمعيارين ـ وتغرق فى المحاباة ـ مطية إلى تحقيق أهدافها الشريرة التى مافتئت تكيد للمسلمين ما استطاعت لذلك سبيلا وقالت Sunday Mirror الصحيفة البريطانية فى تعليق على مآسى البوسنة : لقد فات وقت التردد والتلكؤ ، مما يعنى اتخاذ إجراء عسكرى منسق لإدماء أنف الصرب وتلقينهم درسا لا ينسونه ؛ لأن العالم يكترث فعلا لما يحدث فى البوسنة .

وقالت صحيفة «الأوبزرفر» Opsorver إن القتلة ومغتصبى النساء الأوباش الصرب ينتهجون استراتيجية ثابتة أوضحت عقم الأمم المتحدة وكان فى استطاعة هذه القوات أن ترسم خطا فاصلا فى الرمل كما فعلت فى حرب الخليج ونفذت تهديدها للرئيس العراق بكل حزم واندفاع .

القاهـــــــرة

أنهى الرئيس اليمنى زيارة لمصر دامت يومين ، وقال سيادته : لقد عرضت على الرئيس مبارك اتفاقا أمنيا ، كما صرح فى لقاء مع الأهرام الدولى يوم الأحد ١٨ صفر ١٤١٦ هـ أنه والرئيس مبارك يؤكدان أهمية تنقية الأجواء ، وعودة التضامن وتقوية دور الجامعة العربية ضمن سياسة المصارحة والمصالحة ، فأكد أن علاقات مصر والسودان لا تحتاج إلى وساطة ، وأن أية مخالفات ينبغى أن تبحث ثنائيا بغية حل عادل .

وأكد أنه ليس هناك محور «عراق يمنى سودانى» كما يقال ، وأن مرد هذه الشائعات الإعلام المعادى ، وأن مباحثاته مع الرئيس مبارك ناجحة وإيجابية هدفها : تطوير التعاون الثنائى .

واختتم تصريحاته بقوله : إنه لا يجوز أن نتحاور مع إسرائيل ونرفض الحوار مع بعضنا كأشقاء لتحقيق المصالح العربية .

ماليـــزيا

أفادت المؤسسة الإسلامية بكلنتان الماليزية بنتائج امتحان الشهادة الثانوية الدينية لديها لعام ١٩٩٤م ـ وهى الشهادة المعادلة لثانوية الأزهر التى يمنحها معهد البعوث الإسلامية بالقاهرة ، وفقاً لقرار رقم (١٩) من لجنة المعادلات الدراسية بالأزهر الصادر بتاريخ ١٩٩٤/٧/١١م ـ وذلك على النحو التالى :

١ ـ كان عدد المسجلين لعــام ١٩٩٤م (١٩٩٣) طالبا وطالبة ، وحضر الامتحان منهم (١٩٤٢) طالبا وطالبة ، وهم من (١٦) معهدا تابعا للمؤسسة الإسلامية بكلنتان ، ومن المجلس الإسلامى بجمهورية سنغافورة ، ومن (٣) معاهد بولاية جيور الماليزية ، ومن معهد بولاية صباح الماليزية ، ومن المنازل .

٢ ـ نجح منهم بتقدير (ممتاز) ٥٧٦ طالبا وطالبة ، وبتقدير (جيد) ٤١٥ طالبا وطالبة ، وبتقدير (مقبول) ٥٠٩ طالبا وطالبة ، إجمالى الناجحين ١٥٠٠ طالب وطالبة (بنسبة مئوية : ٧٧,٢٤٪) .

٣ ـ المعاهد المتفوقة : أصبح المعهد المحمدى فى «باسيريكان» بمحافظة تومبات من ولاية «كلنتان» فى مقدمة المعاهد من حيث التفوق ، إذ بلغت نسبة النجاح : ٩٢,١١٪ ، جلس فيه من طلبته (٣٨) طالبا وطالبة .

وفى المكان الثانى : مدرسة تومبات الدينية الثانوية ، بنسبة النجاح المئوية : ٩١,٥١٪ ، عدد الجالسين : (١٠٦) ، وفى المكان الثالث : معهد الدراسات الإسلامية بكوتاباهارو ، بنسبة النجاح المئوية : ٩٠,٢٢٪ عدد الجالسين : (٩٢) .

كما جاء بالمذكرة بيان بالمعاهد والمدارس الأخرى وإحرازاتها بنسب مئوية فى النتيجة مع عدد الحاضرين فى كل منها .

وصرح فضيلة الشيخ محمــــد حسين بن يوسف .. أمين هيئة الامتحانات بأنه : تم امتحان هؤلاء الطلبة فى أواخر العام الماضى (١٩٩٤م) فى ١٢ مادة دراسية من العلوم العربية والدينية ، وهى قائمة على مناهج معهد البعوث الإسلامية لجامعة الأزهر . فتكون شهادة الثانوية من المؤسسة الإسلامية بكلنتان معادلة لشهادة الثانوية من معهد البعوث الإسلامية بالأزهر . كما فى قرار رقم ١٩ من لجنة المعادلات الدراسية بالأزهر وتاريخ ١٩٩٤/٧/١١م .

وذكر أن طموحاتهم تتجه إلى مواصلة الدراسات العالية الجامعية فى الأزهر ، وفى الجامعات الإسلامية الأخرى فى مختلف الدول العربية ، بجانب عدة جامعات فى ماليزيا ، وفى الباكستان ، والهند ، وأندونيسيا . وأضاف أن بعضهم يتمكنون من الحصول على الوظائف الدينية فى ولاياتهم بهذه الشهادة ؛ شريطة أن يكون لديهم شهادة الثانوية الماليزية العامة .

ورد فى كشف بنتائج هذا الامتحان صدر من الهيئة أن عدد الناجحين فى ١٩٩٣ : (١٣٢٣) طالبا وطالبة ، وفى عام ١٩٩٢ : (١٠١٨) طالبا وطالبة ، وفى عام ١٩٩١ : (٩١٠)طالبـــا وطالبة . وتكون زيادة هذه الأرقام دليل إقبال من المسلمين على التعليم الأزهرى .

viers et les grenadiers, semblables ou dissemblables; Mangez de leurs fruits quand ils en produisent».

Dans ces deux versets, Allah annonce qu'Il a créé sur la terre des lieux agréables le mot "Paradis" apparait également dans le Coran dans certains récits de prophètes comme Adam. Allah-tout puissant-dit dans la sourate "Al-Bakara" verset 35;

"Ô; Adam, habite avec ton épouse dans le Paradis; Mangez de ses fruits comme vous le voudrez, mais ne vous approchez pas de cet arbre, sinon vous seriez au nombre des injustes».

Donc, le Paradis, a été mentionné dans le Coran, comme Paradis éternel des croyants, jardins magnifiques indiquant les bienfaits d'Allah sur la terre et comme jardin mentionné dans des récits.

Ce qui nous intéresse du Paradis ce n'est point qu'il est qualifié comme jardin, mais comme récompense pour ceux qui craignent Allah.

On peut dire donc, que la loi principale de deux mondes, c'est la logique qui permet la punition pour celui qui commet le mal et la récompense pour celui qui fait le Bien. Les croyants et les incroyants; c'est différent.

Ainsi, la punition des incroyants c'est l'Enfer avec tous ses supplices et la récompense des croyants c'est le Paradis avec toutes ses jouissances.

---

(٨) ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ..... ﴾ سورة الأنعام آية ١٤١ .

(٩) ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ سورة البقرة آية ٣٥ .

Egalement, tout le Bien, la charité, l'honnêteté et la foi sont le prix du Paradis éternel, qu'Allah a promis aux pieux qui le méritent.

A ce Paradis éternel, Allah-gloire à Lui a donne le nom de "Paradis d'Eden" qui signifie de la félicite éternelle; Allah dit dans la sourate "Çad" (versets 49-51)

(Voici un rappel; un beau lieu de retour est destiné à ceux qui craignent Allah; les jardins d'Eden dont les portes leur seront ouvertes. Accoudés en ce lieu, ils demanderont des fruits abondants et des boissons.(6)

— Chaque fois qu'Allah mentionne le Paradis, Il insiste sur le fait que ce Paradis est réservé exclusivement aux croyants; (... A ceux qui craignent Allah).

(Dont les portes leur seront ouvertes), c'est-à-dire, que ce beau lieu, n'importe qui a la possibilité d' y entrer, à condition d'avoir obéi aux ordres d'Allah.

Si Allah a mentionné "le Paradis" dans le Coran comme étant un séjour éternel des bien heureux après la mort, Il le décrit ainsi comme jardin magnifique semblable ce à qu'Il a crées dans notre monde, les jardins dans lesquels il y a des arbres fruitiers, des ruisseaux abondants, des fleurs de toutes les couleurs et de tous genres, Allah, gloire à Lui, dit dans la sourate "Yassin" — verset 34(7).

"Nous y avons fait placé des jardins de palmiers et de vignes; Nous y avons fait jaillir des sources".

Egalement, dans la sourate "Al-Anam" (verset 141) Allah, qu'Il soit glorifié dit; (C'est lui, qui a fait croitre des jardins en treilles ou non en treilles, les palmiers et les céréales comme nourritures variées, les oli-

---

(٦) ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ (٤٩) جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) ﴾ سورة ص

(٧) ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤) ﴾ سورة يس



Dans ce verset, Allah, — tout Puissant, — annonce que, dans le Paradis, il y aura toutes sortes de jouisances matérielles; arbres fruitiers, jeunes pucelles, boissons dans des coupes pleines à déborder; en effet toutes ces jouissances existent dans notre monde actuel, quand même, elles auront dans le Paradis des qualités dont on ignore la nature et la vérité, en plus dans le Paradis les croyants-biens heureux selon le Coran; Ils n'entendront là ni paroles futiles ni mensonges) aucune chose futile des préoccupations terrestres ne les distraira.

En outre, il y aura les sources d'eau, les différents genres de fruits, Allah-qu'Il soit glorifié-dit dans les verset 20 et 32 dans la sourate "Al-Waqi'a"(3)

(des fruits de leur choix).

(.... des fruits abondants)(4)

De même, on trouve dans la sourate 'Al-Morsalat" (Versets 41 et 42)

(Oui ceux qui craignent Allah seront au milieu des ombrages des sources et des fruits qu'ils désiront; Mangez et buvez en paix, pour prix de vos oeuvres; c'est ainsi que Nous récompensons ceux qui font le Bien)(5)

Dans ces trois versets, Allah nous indique que le Paradis sera à la disposition des croyants puisque leur patience sera enfin récompensée par cette vie dont le luxe sera d'un extrême raffinement. Il s' y trouve des sources d'eaux, des fruits délicieux y compris les raisins, les grenades, les olives, les palmiers ... etc... dont l'aspect et le goût sont différents de ceux que nous connaissons.

"(en paix)" c'est-à-dire, en repos, en tranquillité, alors que rien ne vient les troubler. (pour prix de vos oeuvres) puisque vous "les croyants" avez exécuté tous les ordres d'Allah, comme la prière, le jeûne, les aumônes, la lutte pour la cause d'Allah et le pélerinage.

---

(٣) ﴿ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ سورة الواقعة آية ٢٠ .

(٤) ﴿ ...... وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴾ سورة الواقعة آية ٣٢ .

(٥) ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٤٤ ﴾ سورة المرسلات

LES DESCRIPTIONS DU PARADIS DANS LE CORAN

Par Amina Soliman

Le Coran, adressé à l'ensemble de l'humanité, est le livre sacré des musulmans, révélé à Mohammed, le messager d'Allah, à lui bénédiction et salut.

Il comporte 114 sourates, on y trouve tout ce qui concerne les deux mondes; soit la vie humaine sur la terre soit la vie future dans l'au-de-là, et comme Allah, tout Puissant, dit dans la sourate de "Al-Omran" dans le verset 190(1); (dans la création des cieux et de la terre, dans la succession de la nuit et du jour, il y a vraiment des signes pour ceux qui sont doués d'intelligence).

Allah, gloire à Lui, a envoyé le messager Mohamed, à lui bénédiction et salut, comme avertisseur et annonciateur de la bonne nouvelle. Avertisseur de l'Enfer pour les incroyants et annonciateur du Paradis pour les croyants.

Abordant la vie future dans le Coran, Allah a présenté le Paradis, en le décrivant comme un jardin magnifique et immense qui sera le séjour des bienheureux, les croyants, après leur mort ils y coulent des rivières et on y voit des femmes d'une parfaite pureté, dépourvues de tout défaut, qui seront destinées aux croyants vertueux; Allah qu'il soit glorifié dit dans la sourate d'Al-naba au verset 31(2)

Tel sera le succès pour ceux qui craignent Allah; des vierges, des adolescentes d'une égale jeunesse, des coupes débordantes, ils n'entendront là ni paroles futiles ni mensonges).

---

(١) ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ ﴾
سورة آل عمران

(٢) ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ ﴾
سورة النبأ



2- Les cycles de la vie

Il existe une relation entre les créatures vivantes, qu'elles soient animales ou végétales, et la matière intere -solide, liquide ou gazeuse - dans des cycles de vie où sans cesse les atomes et les molécules de la matière inerte se transforment en êtres vivants et où ce qui est vivant meurt, et cela d'une manière continue. Citons en examples.

1- Le cycle du renouvellement des cellules vivantes

2- Le cycle du carbone entre les cellules animales et végétales, d'une part, et le bioxyde de carbone dans l'atmosphère, d'autre part.

3- Le cycle du nitrogène impliquant les cellules vivantes, d'une part, et le nitrogène de l'atmosphère et des fertilisateurs du sol, d'autre part.

Tout ceci n'est qu'une explication de ce que nous apportent les versets suivants :

[Tu fais sortir le vivant du mort et Tu fais sortir le mort du vivant]

Sour. "Al 'Imran" (La Famille de Imran) v27.

[Il foit sortir le vivant du mort et Il fait sortir le mort du vivant]

Sour. "Al An'am" (Le bétail) v95.

[Qui fait sortir le vivant du mort et le mort du vivant?]

Sour. "Yûnus" (Jonas) v31.

[Il fait sortir le vivant du mort et Il fait sortir le mort du vivant]

Sour. "Al Rûm" (Les Romains) v19.

Voici certaines de ces preuves dont chacune séparément témoigne de la véracité du Coran révélé de la part du Seigneur des mondes à Son serviteur et messager, le plus parfait des humains, Mohammad -à lui bénédiction et salut-.

Les Preuves

1- Les lois scientifiques

Tout dans cet univers est soumis à des calculs et à des mesures très précises où rien n'est laissé au hasard. Or, cela est le fondement même de la science moderne. Le Coran dit à ce propos :

[Nous avons créé toute chose avec mesure]

Sour. "Al Qamar" (La lune), v49.

[Celui qui a créé toute chose et a fixé son destin avec mesure]

Sour. "Al Forqân" (La loi) v2.

[Le soleil et la lune se meuvent selon un calcul minutieux]

Sour. "Al Rahmân" (Le Miséricordieux) v5.

[Il a élevé le ciel et Il a établi (sur terre) la balance]

Sour. "Al Rahmân" (Le Miséricordieux) v7.

[Toute chose est mesurée par lui avec soin]

Sour. "Al Ra'd' (Le Tonnerre) v8.

[Nous avons fait descendre l'eau du ciel, avec mesure]

Sour. "Al Mu'minûm" (Les Croyants), v18.

[Et Il a fait descendre du ciel l'eau avec mesure]

Sour. "Al Zukhrof" (L'ornement) v11.

[Nous ne le faisons descendre que selon des proportions déterminées]

Sour. "Al Hidjr", v21.

[Nous y avons fait pousser toutes sortes de choses d'une manière équilibrée]

Sour. "Al Hidjr", v19.

Les Preuves Scientifiques de l'Islam

Extrait de l'ouvrage

Traduit par
Dr. Rokeya Gabr

Préface

Qu'est - ce qui amène la raison à accepter de croire que le Coran est une Révélation de la part d'Allah - le Très - Haut - à Son serviteur et messager Mohammed (à lui bénédiction et salut), et que le rôle du Messager s'est limité à transmettre fidèlement, clairement et en détails la Révélation qui lui fut faite? Dans cette étude succinte, nous prouverons - scientifiquement et historiquement - qu'il est impossible que le Saint Coran soit le discours du Prophète ni d'aucun autre être humain vivant à l'époque où il fut révélé. En voici les preuves que nous donnons dans un langage clair où il n'y a aucune ambiguïté, avec une précision scientifique en rapport avec la logiaque scientifique et linguistique correcte de manière à ne laisser place à aucune faille ni à aucune contradiction:

{Ne méditent - ils pas sur le Coran? S'il provenait d'un autre dieu qu'Allah, ils y trouveraient de nombreuses contradictions}.

Sourate Al Nisâ : (Les Femmes) les sens du verset 82.

Ceci confirme que le Coran est sans conteste l'oeuvre de Celui dont le Savoir parfait est supérieur à toutes les connaissance humaines, de Celui qui est trop transcendant: au-dessus de toute erreur, de tout manque et de tout mensonge. Or, l'admirable Créateur de cet univers est le seul à posséder cette perfection absolue: c'est Allah - qu'Il soit glorifié -.

REVUE AL-AZHAR

VOL. 68 PART III

RABI-EL AWAL — 1416 HIGRAH.

Section Française

Arberry (641) :

"We shall make thee recite, to forget not

....

We shall ease thee unto the Easing."

However, notice that Arberry (out of the four translators) ignores the existence of the coordinator /wāw/ in verse 8 and has, therefore, not rendered it. By this instance of 'and' deletion made by Arberry, in addition to the other instances discussed before, we may conclude that Arberry's translation is sometimes defective on the formal levels. To a certain extent, he sometimes sacrifices the communicative value and textual effect at the expense of the semantic adequacy and style.

In addition to the change of word order in conjoined structures, other pitfalls may also be related to the change of the original structure from passive into active and vice verse, as will be discussed in sections to follow in coming editions.

To Be Continued

Y. Ali (1636-37)

6. By degrees shall We
   Teach thee to declare

   ....

8. And We will make it
   Easy for thee (to follow)
   The simple (Path).

Notice that in Y.Ali's version the modal verb 'shall' precedes the personal pronoun 'We' in "shall We Teach" which, of course, is ungrammatical in English. Syntactically speaking, such order occurs only in interrogative sentences. Perhaps, Y.Ali thinks that this inversion would help to emphasize the fact that the Qur'an is intended to be revealed only to Muhammad and that he is the one to declare the message of Allah. However, the second conjoined element. "We will make it Easy for thee (to follow) the simple (Path)", unlike the first, sustains the WA of the original sentence /nuyassir-u-ka li-l-yusrä/. This means that 'and' in the above example does not fulfill the syntactic criterion of conjoining syntactically equivalent or identical categories.

As for the other three translators, Khatib, Pickthall and Arberry, they keep the WA of the original structure. Their versions are represented as follows :

Khatib (803-804) :

"We shall make you recite; so forget not, ... And We shall ease you to (the path) of easing."

Pickthall (802) :

"6. We shall make thee read (O, Muhammad) so that thou shall not forget

....

8. And We shall ease thy way unto the state of ease."

Khatib (825) :

"Perish the hands of Abu Lahab; and perish he."

Despite the use of imperative sentences, followed by exclamation marks or semicolons in Y.Ali's, yet Arberry's and Khatib's version may somewhat change the meaning of the original. According to Al-Sabuni (1976: Vol.3, 618) and Al-Alusi (1270: 264), the first conjoined sentence /tabb-at yad-ā ?ab-ī lahab/ implies wish, whereas the second /tabb-a(huwa)/ is a declarative statement. However, these slight changes give the original meaning more emphasis rather than just using declarative statements and commas, as in the case of Pickthall's version :

Pickthall (824) :

"1. The Power of Abû Lahab will perish, and he will perish".

In addition to the above repetitions and deletions of 'and', there are still other syntactic pitfalls, which may result from the change of the word order or the form of conjoined elements, as will be discussed in the following sections.

A- Change in the word order of conjoined structures with the /wāw/ :

Consider the following examples :

Sura 87, Verses 6-8 :

سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ... وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ [illegible]

/sanuqri?-u-ka fa lā tansā ... wa nuyassir-u-ka li-l-yusrā/.

Perhaps the only error Y.Ali has made, when translating the above verse, is the change of the WA of the first conjoined sentence for no clear reason :

Difficulties in Translating coordination in Qur'anic verses

Part III

By Dr. Maha Y. El Tagouri

This is another syntactic mismatch with the /wäw/ which translators have to face.

Change in the Conjoined Structure :

Consider the following example :

Sura 111, Verse 1 :

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾

/tabb-at yad-ä ?ab-ï-lahab-in wa tabb-a/.

In translating this verse, Y. Ali is the only one who ignores the existence of the coordinator /wäw/ in the SL text, and has not rendered it in his version :

Y. Ali (1712) :

"1. Perish the hands
Of the Father of Flame !
Perish he !"

On the other hand, Arberry and Khatib, in addition to rendering the /wäw/ as 'and' in their version, they have, to some extent, given the appropriate formal and communicative equivalent of the original structure. They use an imperative sentence, the same as Y.Ali's attitude, implying that 'Abü Lahab' himself deserves to be perished, rather than just having his hands or power perished.

Arberry (666) :

Perish the hands of Abu Lahab, and perish he !

mutilated his body by opening his stomach and extracting his liver. It was said that the pagans had mutilated the bodies of many of the Muslim martyrs by cutting off their noses and ears. The prophet (PBUH) prayed for all the martyrs and ordered that they should be burried at Uhud.

Reviewing the consequences of the battle of Uhud, it can be said that the Muslims lost this battle for two main reasons : firstly they had stopped pursuing their enemy and secondly the bowmen ignored the prophet's order and left their positions. Yet, it should be noted that this battle was not a complet victory for either of the two parties, the pagans and the muslims, but at the same time the Muslims' defeat at Uhud was beneficial to them. This defeat had taught them to first destroy their enemies before the enemy could destroy them. It taught them, also, to fight bravely like their prophet (PBUH) and never give up until they achieve a complete victory. It taught team, as well, to purge themselves from weakness, cowardness and submissiveness, and that they should not lose faith in the victory of Allah.

The battle of Uhud is best illustrated in the Holy Qur'an as Al-Mighty says :

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ
وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ
ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ آل عمران

"Allah did indeed fulfil His promise to you When ye with His permission were about to annihilate your enemy — until ye flinched and fell to disputing about the order, and disobeyed it after He brought you in sight (of the Booty) which ye covet.

Among you are some that hanker after this world and some that desire the hereafter. Then did He divert you from your foes in order to test you.

But He forgave you : for Allah is full of grace to those who believe."

(Surah : Āli Imran, 152) (Yousuf Ali, P. 166)

a terrible mistake in that they thought that they had totally, defeated the idolaters and many of them left their positions thinking that the war had come to an end. The Muslim bowmen were not an exception because they forgot the prophet's command and they left their positions at the top of the hill and hurried down the hill to take their shares from the spoils. Thus the Muslim ranks became scattered and the idolaters took advantage of this terrible mistake. Henceforth two of the pagan leaders Khaled Bin Al Waleed and Ekrema Bin Abi Jahl decided to take advantage of the Muslims' scattered ranks and they swiftly launched an attack with their men against the Muslim bowmen and killed most of them. They, in fact, took the Muslim by surprise from behind and killed many of them. When the Muslims, who were still under the influence of their victory realised that they had been taken by surprise, it was too late for them to reorganize their ranks. In the meantime, the defeated idolaters returned to the battlefield and the Muslims found themselves in a very difficult situation.

The idolaters, at that time, succeeded in making their way toward the prophet (PBUH) and made their best to kill him. It was said that Otba Bin Abi Waqqas succeeded in throwing a stone at the Prophet and wounded his face and lower lip. In this critical time a rumour was made that the prophet (PBUH) had been killed. This, in fact, had a very bad effect on the morale of the Muslim fighters. Some of them were astonished, others thought of retreating to Medina. In the meantime, a group of fighters encircled the prophet (PBUH) doing their utmost to defend him with all the strength they had. The Muslim fighters continued to protect the prophet (PBUH) until they were able to reach the mountain. At this moment, when the Muslims recognized the prophet (PBUH), they were full of happiness and they restored their high morale and began to fight more fiercely.

The idolaters realised that they had not completely destroyed the Muslims who had been able to reorganize their ranks and redeploy themselves for another battle. On seeing the Muslims readiness to fight again, Abu Sufian decided to withdraw with his army.

After the battle, the prophet (PBUH) surveyed the condition of the martyrs, and he felt mosk sad for Hamza whom Hind Bint Otba had

for this reason he refused the support of the Jews. In fact, Allah had willed to prevent the hypocrites from fighting. Therefore, the believers stood firmly with their leader and fought bravely with them.

When the Muslim army reached the battle field the prophet (PBUH) surveyed it. He discovered that the mountain of Uhud had many valleys and looked like a big bow facing towards the plains which had been raided by the Qureish. There were, as well, some hills which were not connected to the mountain. Thus, the prophet (PBUH) led his army along the valley slope, their backs protected by the mountain behind them, whilst in front they faced Medina. Meanwhile, the prophet (PBUH) was afraid of being attacked from one of those hills, especailly that the pagans outnumbered the Muslim regarding the horsemen and infantry. For this reason, the prophet (PBUH) had set a military plan taking into consideration the existing conditions of the battlefield.

The first thing the prophet (PBUH) did that he appointed fifty bowmen under the leadership of Abdullah Bin Jubair and ordered them to keep up positions along the nearest hills. The prophet (PBUH) was of the opinion that in this way the Muslims would be able to shoot their arrow and spears against the pagans horsemen when they advanced towards the Muslim army. The prophet (PBUH) ordered them, as well, to keep their positions and warned them not to neglect their job of preventing the pagans from attacking the Muslims.

The battle commenced and the Muslim believers were very enthusiastic in fighting against the pagans. Many Muslims had set an immortal example of extraordinary heroism such as Hamza Bin Abd Al-Muttalib, the prophet's uncle. He was an outstanding fighter and was, for this, named the lion. He was fighting with two swords and continued to fight like a lion until a coward slave killed him by throwing his spear at him.

The Muslims were in command of the battlefield and they were almost at the point of achieving a complete victory against the pagans. At this stage of the battle, the pagans began to flee from the battlefield. When the Muslims saw that the idolaters had fled, they stopped pursuing them as they were lured away by the spoils which had been left behind by the idolaters. But in fact by doing so, the Muslims committed

The idolaters prepared their army and moved towards Medina. This army was organized in such a way that Khaled Bin Al-Waleed was made responsible for the right flank, and Ekrema Bin Abi Jahl was made responsible for the left Flank, while Talha Bin Abi Talha was responsible for carrying the flag and Abu Suffian was the over all leader of the army. The Qureish army continued its march until it reached the northern side of Medina at the Mountain of Uhud.

The Prophet knew from his uncle Al-Abbas Bin Abd Al Muttalib about the pagan army from the time it started its move from Mecca. As usual, the Prophet (PBUH) gathered together the Muslims and told them the news and discussed with them the matter. Though the Prophet (PBUH) was of the opinion that the Muslims should stay in Medina and defend themselves by using their houses and roads, yet it was eventually decided that the Muslims should fight against the pagans outside Medina. The Prophet (PBUH) agreed to the majority's decision and began in preparing the Muslim army. He selected Musaa'b Bin Omair to be responsible for leading the Emigrants, Al-Habbab Bin Al-Monzir the Khazraj and Osaid Bin Hodair the Aws. After that one thousand Muslims prepared themselves to make their way out of Medina to where the pagans were waiting for them.

In the maentime, the Prophet (BPUH) observed a big military force and when he asked about it, he was told that these were the Jewish allies from Abdullah Bin Abi Salul. The Prophet (PBUH) refused to accept their support and ordered that they should be prevented from participating in the battle because they were too treacherous.

The army started to move towards the Mountain of Uhud. On their way, a group of three hundred men under the leadership of the hypocrite Abdullah Bin Ubai deserted the Muslim army and returned to Medina under the pretext that the Prophet (PBUH) did not consult him regarding the army remaining in Medina.

It is believed that there had been a secret plot between the hypocrites and the Jews, whereby both of them had agreed to withdraw at a suitable moment, or they would withdraw gradually one group after the other in order to weaken the morale of the Muslims and disunite them. But the Prophet (PBUH) was able to foresee what was going to happen,

lims in this battle. In order to protect the Muslims from the Jews' treachery during their long struggle against the pagans from Mecca, the Prophet (PBUH) was obliged to drive them out of Medina. The Prophet (PBUH) had taken this measure so as to ensure the safety of the Muslims and the safety of the new religion and to safeguard this newly born religion against their conspiracy.

As a matter of fact, the Prophet's (PBUH) deep insight regarding the Jews' treachery had become a reality. After his defeat at 'Badr,' Abu Sufian Bin Harb became very stubborn and sowre to crush Muhammad and his army. Thus when he was near to Medina, he decided to meet the Jews of 'Bani Annadyr" in order to arouse them and gain their support against the Muslims. When the Prophet (PBUH) learned about this conspiracy and this alliance, he had no alternative except resorting to attack being the best means of defense. Hence forth, he took the Jews by surprise and upset their plans especially those of "Bani Saleem", "Bani Ghatafan and "Bani Qaynoqaa' and he was able to overcome them.

In the meantime, the Prophet was determined to continue his divine struggle against the pagans even if this cost him his life. Thus, when he learned that Qureish had decided to send their carvans to Damascus along the road to Iraq, he moved swiftly to close this road and the Muslims under the leadership of Zaid Bin Haritha, were able to capture a big caravan and brought it to Medina. Qureish had become very aggresive especially that the Prophet (PBUH) had succeed in preventing it from continuing to trade with Damascus. In other words, Qureish could not bear the fact that its leaders were killed by the swords of Muslims, its dignity and pride were deeply injured and its trade was compeletly paralysed. For this reason it began to give much thought to finding away to gain revenge.

Full with the desire to revenge, Qureish immediately began to recruit soliders and prepare their arms, and were able to gather together 3000 men. Qureish was also supported by Abu Amer Al-Rabih Al-Awssi who left Medina after he had declared his resistance against the Prophet (PBUH) and was followed by a number of his men who hated the Muslims.

THE GREAT BATTLES OF ISLAM

2 — THE BATTLE OF UHUD

By : Nahed Mohamed Wasfi Ph.D.

After the outstanding defeat at 'Badr', the Qureish army returned to Mecca boiling with rage because its dignity had been wounded by the Muslims and it had been inflicted with heavy losses and a lot of damage. Meanwhile, the Muslims, who returned to Medina victorious, had become respected by all the surrounding tribes and the new religion succeeded in gaining new followers who converted to Islam after the victory at 'Badr'.

However, the Muslims' victory at 'Badr' had aroused the envey of the Jews and discomforted them especially the Jews of 'Bani Qaynoqa'a who were the Muslims' neighbours in Medina and who were resentful of their success. In fact, when the Prophet (PBUH) emigrated to Medina, the first thing he did was negociating a peace treaty with the Jews. This treaty stipulated a peaceful existence between both parties, i.e. the Muslims and the Jews. In other words, it stipulated that both parties should not fight each other and the Jews should not support anybody against the Muslims and should support the Muslims against any enemies who tried to attack Medina. According to their agreement the Prophet (PBUH) had been tolerant with them regarding this freedom to practice their own religious duties but, nontheless, the Jews never respected their agreements.

After the victory at 'Badr', the Jews became openly antagonistic and aggressive towards the Muslims in Medina because they were anticipating the death of the Prophet (PBUH) and the defeat of the Mus-

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Rabi-l-Aw'wal 1416

Vol. 68 Part III



الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah, who hath guided us to this (felicity): never could we have found guidance, had it not been for the guidance of Allah: Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University,

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

فهرس العدد



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل غانم خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير - الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

النبوة والبشر

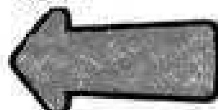
النبوة صفوة الحكمة ، والأنبياء صفوة البشر ، فهم الحنان ، وهم الرحمة ، وبهم السلامة ، وفيهم الكمال .. والقدوة .. والإمامة .

وُلدوا مُمتَّعين بأنبل الصفات ، وأجل العواطف ، سالمين - كل السلامة - من نزغات الشياطين ماعاشوا ، سالمين من هول القبر ، إذا ماماتوا ، سالمين يوم البعث من كُرُبات القيامة .

ونصيب سيدنا محمد رسول الله ، خاتم النبيين ﷺ من هذه الصفات وتلك العواطف أجل نصيب وأوسعه ، وقد ذكر له القرآن الكريم أُمَّهاتِها ؛ ففي الكتاب العزيز :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) ﴾

سورة التوبة



وهى صفات لم تنشأ وقت النبوة ، وإنما هى صفات أصيلة بذاته من يوم وُلد ـ عليه الصلاة والسلام ـ نعرفها جلية جداً من ميلاده ـ عليه الصلاة والسلام ـ وميلاد الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ وحسبنا أن الآية الكريمة هذه تسجل لرسول الله ﷺ : أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ (عزيز عليه) أى شاق على نفسه ومؤلم لها ما يشق على المؤمنين من الأمور ، فقد كان ﷺ يحب اليسر ، ويتخير اليسر ، (حريص عليكم) راغبٌ ـ بشدة ـ فى هدايتكم وإيصال الخير إليكم ، فإنه لم يبق شىء يُقرِّبُ المسلمين من الجنة ، ويباعدهم عن النار إلا ذكره لهم ورغبهم فيه حتى لايكون المؤمن كالفراش يهْوِى الضَّوْء ـ إذ هو نار ـ فيتهافت إليه فيحترق فيه (بالمؤمنين رءوف رحيم) رءوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين[1] . أليس رسول الله ﷺ هو صاحب هذا الوسام العُلْوِى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم : ٤] .

والحبُّ كل الحب فى أى من مواقعه الإنسانية النبيلة ، وأين رفرفت أجنحته بين الناس ـ بثَّهُ ـ ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى المسلمين ، ورأى أن الإيمان لايتم إلا به فقال ﷺ :

« والذى نفسى بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم ..؟ أفشوا السلام بينكم » رواه الترمذى ومسلم وأبو داود وغيرهم .

هكذا : السلام .. والحب، ويالهما من نعمة هى مطمح البشر ..

وإذا ما تحدثنا عن رسول الله ﷺ فخذ ما شئت من أوسع معانى الخير التى كانت فى الأنبياء ـ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ـ ثم تجمعت بكمالها وجلالها فى رسول الله ﷺ ليستمتع بها المؤمنون فى الدنيا والآخرة ، فهو ﷺ بنص القرآن الكريم :

« رحمة للعالمين » .. « الرءوف الرحيم » .. « السراج المنير » .. « البشير النذير » .. « الأمين » .. إلى صفات أخر يصعب ـ فيها ـ الحصر ، وقد تدل أسماؤه ـ عليه الصلاة والسلام ـ

(١) انظر الآيات بتفسير الخازن وابن كثير .

على شيء منها . فهو المبعوث تتمة لمكارم الأخلاق ، وهو ﷺ إمام المتقين ، الهادى إلى الصراط المستقيم ، شفيع الناس يوم الدين .

تلقى ــ عليه الصلاة والسلام ــ قوله ــ تعالى :

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[2] ، وهى آية صدَّرها المولى ــ عز وجل ــ بـ (لام) القسم : (ولسوف) ، والله ــ عز وجل ــ هو المقسم ، فعطاؤه[3] كائن لا محالة ، فقال رسول الله ﷺ : « إذاً لا أرضى قطُّ وأحد من أمتى فى النار » وصدق الله العظيم إذ سماه : الرءوف الرحيم .

والسعيد السعيد من استمسك من صفاته ﷺ بطرف ، ومارس بأخلاقه ــ عليه الصلاة والسلام ــ حياته ، وفى حديثه الشريف الذى رواه الإمام أحمد يخاطب ــ عليه الصلاة والسلام ــ أصحابه فيقول : أتدرون أكثر ما يُدْخِل الجنة ..؟ تقوى الله وحُسْنُ الْخُلُق .

وقال ــ عليه الصلاة والسلام : « لا تُنْزَعُ الرحمة إلا من شقى » . رواه أحمد .

ثم هناك ــ بعدُ ــ الجزاء الأوفى لأولئك السعداء المتمتعين بحسن الخلق ، فإنهم أقرب الناس مجلساً من رسول الله ﷺ فى مقامه من الفردوس الأعلى بالدار الآخرة ، جمع المولى ــ عز وجل ــ لهم الْحُسْنَيَيْن : رؤيته ــ سبحانه وتعالى ــ وصحبة النبى محمد ﷺ .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. على أحمد الخطيب

---

(2) الضحى ــ 5 .

(3) انظر تفسير الآية بالنسفى .

كلمة الرئيس فى احتفال مصر

بالمولد النبوى الشريف

وجه الرئيس حسنى مبارك رئيس الجمهورية كلمة إلى الأمة الإسلامية والعالم فى الاحتفال الذى أقامته وزارة الأوقاف فى الثانى عشر من ربيع الأول ١٤١٦ هـ الموافق ٩ من أغسطس ١٩٩٥م، بمناسبة مولد الرسول الكريم سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وفيما يلى نص كلمة السيد الرئيس :

الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، العلماء الأفاضل ، ضيوف مصر الأعزاء ، الأخوة والأخوات .

إنها لسعادة غامرة ، أن نجتمع اليوم فى هذا الملتقى الأخوى الروحى ، الذى تتوجون به أعمال مؤتمركم العلمى الحضارى ، وقد أبرزتم من خلاله ما قدمته الأديان من عطاء وهداية لبنى الإنسان .

وهى سعادة غامرة ومضاعفة لأننا نحتفل بذكرى مولد رسول الإنسانية ومعلم البشرية ، وسيد الأنام ، محمد ـ عليه الصلاة والسلام .

ولا يسعنى ابتداء إلا أن أحيى هذا المؤتمر وأشكر كل المشاركين فى أعماله ، فهو إنجاز يستحق كل تقدير وتحية ، لما تجلى فيه من أخوة بين الديانات السماوية ، التى تشرق جميعاً من نور الله ، وتدعو كلها إلى الحق والخير ، وإلى كل ما فيه سعادة الانسانية .

ويضاعف من جلال هذا المؤتمر ، ختامه بالاحتفال بذكرى مولد الرسول العظيم ، الذى جاءت رسالته تتويجاً لرسالات أنبياء الله السابقين ، كما جاء هو خاتماً لهم ورسولاً إلى الناس أجمعين .

مصر حامية الرسالات

وليس غريباً أن يتم هذا اللقاء الإيمانى على أرض التوحيد والديانات وموئل الأنبياء ، وحامية الرسالات ، وممثلة هذه الوحدة الإيمانية التى هى سمة من أعز سماتها وأنصع معالمها ، ورمز من أقدس رموزها وخصائصها الحضارية .



فعلى أرض مصر الطيبة ولد ونشأ موسى ودعا إلى دين الله ، وإليها لجأ واحتمى عيسى وانتصر له الحواريون واقتداه الشهداء ، ومنها صاهر وأنجب سيدنا محمد رسول الهدى والنور ، واصطفى من شعبها خير أجناد الأرض ، على أنبياء الله ورسله جميعاً أعظم الصلاة وأكرم السلام .

على أرض مصر الطيبة تعايشت الأديان السماوية فى سماحة وإخاء ، وتجاورت دور العبادة ترفع اسم الله الواحد الأحد .

وفى عاصمتها قام الأزهر الشريف ، حامياً للإسلام خاتم الأديان ومتمم رسالات السماء .

ومن ربوعها خرجت جنود الله تذود عن راية الحق والعدل ، وتدفع الأخطار عن ديار الإسلام ضد الطغاة والغاصبين .

وبعد تحية مؤتمركم الإيمانى وشكر كل المشاركين فيه ، يطيب لى أن أهنئكم جميعاً وأهنىء أمتنا الإسلامية جمعاء بهذه المناسبة الكريمة ، مناسبة ذكرى مولد الرسول محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الذى مثل ميلاده فجراً جديداً للناس أجمعين ، سوف يظل نوره متألقاً فى عيون التاريخ إلى يوم الدين .

الإسلام دين السلام

كان ميلاده صلوات الله وسلامه عليه ، ميلاد صاحب أكمل رسالة ، أوجده الله من أجل إبلاغها ، وهيأه لتحمل أعبائها ، ثم بعثه بقيمها الحضارية الرفيعة ، التى سبق الإسلام بها كل حضارة ، لينشر نور العلم واليقين ، ويبدد ظلمات الجهل والجاهلين .

يكفى أن نذكر أن رسالة محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قد أهدت إلى الإنسانية قيم الحرية والمساواة وحكم الشورى ، وأصول الديمقراطية ومبادىء العدالة ، والتكافل ودعوة الأمن والسلام .

وإذا تأملنا من بين كل هذه القيم قيمة السلام ، وتتبعنا كيف أكد عليها الاسلام ، فأعلى من شأنها ، وحث على التمسك بها والعمل على تحقيقها ، لأمكن أن نقول دون أية مبالغة : « إن الإسلام هو بكل الحق دين السلام » .

فالإسلام قد اهتم بسلام الإنسان فى أعمق معانيه ، وبأدق تفصيلاته ، ودعا إلى أن يتحقق هذا السلام للإنسان فى كل ما يحيط به أو يتجه إليه فى علاقاته بذاته أولاً ، ثم علاقاته بمجتمعه الصغير أو الكبير من حوله ثانياً ، أو بعلاقاته مع إخوانه فى المجتمع الإسلامى الأكبر فى نهاية المطاف .

اهتم الإسلام بسلام الإنسان مع نفسه ، فدعاه إلى أن يتجنب الصراع النفسى المعذب ، والقلق الروحى المعوق ، وعلمه أن يحقق سلامه النفسى بالإيمان بالله والتسليم بإرادته ، والتيقن من أن كل ما

يجرى عليه قدر مرسوم وقضاء محتوم ، فعلى الإنسان أن يسعى ، وواجبه أن يكد ويكدح ، ولكن دون بكاء أو فجيعة على ما فات ، أو قلق مهموم تلهفاً على ما هو آت .

وبهذا الإيمان يربح الإنسان السلام مع ذاته وتتحقق له « النفس المطمئنة » التي يمضي بها المرء في حياته عاملاً منتجاً ومبدعاً ، ويعيش راضياً سعيداً موفقاً ، ويرتبط بقومه متعاوناً متوافقاً ، فتتحقق له الشخصية السوية والعقلية الناضجة الواعية ، والسلوك المتوازن والأداء النافع المستقر .

السلام مع الأهل

أولاً :

اهتم الاسلام بسلام الإنسان مع أهله ، فجعل العلاقة الأسرية علاقة مودة ورحمة ، وجعل الصلة بين الآباء والأبناء قوامها طاعة ورحمة من الأبناء ، وجوهرها محبة ورعاية من الآباء .

جعل المساواة أساس العلاقة بين بنى الإنسان فى التكاليف الشرعية والمعاملات الدنيوية دون فارق أو تمييز بسبب الجنس أو المكانة أو اللون ، ولا صدام بين الكبار والصغار بسبب تفاوت الأعمار أو تباين الأجيال .

بهذا يتحقق السلام ويشيع الوئام فى الأسرة التى هى الخلية الأولى للمجتمع الإسلامى ، وبهذا السلام والوئام الأسرى ، يتحقق للمجتمع الإسلامى تماسكه وترابطه ، ويندفع فى أداء ما عليه من واجبات متحداً قوياً متماسكاً بل متحاباً متآلفاً متجانساً .

السلام مع الجار

اهتم الإسلام بسلام الإنسان مع جاره فجعل للجار حقوقاً تقرب من حقوق الأهل ، وفى ذلك يقول الرسول الكريم : « مازال جبريل يوصينى بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه » .
وأخبر صلوات الله وسلامه عليه ، أنه « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره شروره » .

وواضح أن الجار قد يكون فرداً فى مسكن أو عمل ، كما قد يكون جماعة فى منطقة من المناطق أو بلد من البلاد ، كما قد يكون مجتمعاً فى دولة ، أو نظاماً فى حكومة .

كل هذه ألوان من الجوار تنظمها العلاقات والأسس التى وضعها الدين الحنيف للجوار ، ويجرى عليها ما شرعه الإسلام من مبدأ السلام بين الجار والجار ، برعاية الحقوق التى تقرب من حقوق الأهل والأسرة والعشيرة .

وإذا ما تحقق السلام بين الجار والجار ابتعد شبح الصراع الذى يفسد على الناس حياتهم ويبدد

جهودهم ويعطل تقدمهم ويوقف نمو مجتمعاتهم ، بل أحياناً ما يكون سبباً فى إراقة دماء طاهرة وإزهاق أرواح بريئة ، وتفجير العداوة ، يرثها الأبناء عن الآباء وتشقى بها أجيال بعد أجيال .

ثالثاً :

اهتم الإسلام بسلام الإنسان مع غيره من أبناء مجتمعه ، جعل العلاقة بين أفراد المجتمع الإسلامى علاقة أخوة وتضامن ، فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، بل إن الإسلام جعل المجتمع الإسلامى كله يتوحد ويتكتل فى جسد واحد ،وجعل جميع أبناء المجتمع يمثلون أعضاء هذا الجسد الواحد المتضامن المتكامل والمترابط .

وفى هذا المعنى النبيل ، وهذه القيمة الاجتماعية السامية يقول الرسول العظيم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم ، كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

وإذا كان المسلمون أخوة ، تجمعهم صلات المودة والرحمة ويشملهم رباط التكافل والتضامن ، فمن أوضح البديهيات ألا يكون بين هؤلاء الأخوة قتال ولا صراع ، وإلا انتفت قيم التضامن وانهارت معانى التكافل والترابط ، وتداعت وحدة الأمة الإسلامية التى هى خير أمة أخرجت للناس .

ومن باب أولى فإذا كان المسلمون يمثلون فى مجتمعهم جسداً واحداً هم أعضاؤه ، فلا يستسيغ عقل أو يقبل منطق أن يتقاتل الجسد والكيان الواحد ، أو أن ينشأ صراع بين أعضائه وعناصره ، أو أن تتحلل أجزاؤه وتنفرط لبناته ومكوناته .

بهذا التصور الإسلامى الحضارى الرفيع ، دعا الإسلام إلى تحقيق السلام فى مجتمع المسلمين ، ونفرهم بشكل حاسم من كل ما قد تدفع إليه المطامع الدنيا وصراعات لا تجلب إلا التعاسة والأحزان والشقاء .

نفس الحقوق

رابعاً :

لم يقتصر اهتمام الإسلام بالسلام الاجتماعى بل اتسع هذا الاهتمام ليشمل سلام غير المسلمين من كل المواطنين الذين يعايشون المسلمين .

فالإسلام قد جعل لهؤلاء المواطنين من الحقوق مثل ما للمسلمين ، وجعل عليهم من الواجبات مثل التى عليهم .

ذلك كله بالاضافة إلى أن لهم كل الحق فى ممارسة شعائرهم ، وصون معابدهم ، ومزاولة كل شئون حياتهم وفق تعاليم دينهم ، ليعيشوا فى المجتمع الإسلامى أحراراً آمنين ، متمتعين بالسلام والأمان مثل مواطنيهم المسلمين .

خامساً :

والاسلام قدى أرسى دعائم السلام بين المجتمع الإسلامى وغيره من المجتمعات ، مادام الآخرون فى تلك المجتمعات مسالمين للمسلمين وغير معتدين .

أساس هذا المبدأ الاسمى القويم قول الله فى محكم كتابه : ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ وهو مانسميه اليوم باسم « السلام العادل الشامل » الذى من حق الجميع أن ينعم به ويسعى إلى تحقيقه .

فالبديل للسلام هو الحرب ، والحرب إزهاق للأرواح وسفك للدماء ، وتخريب للعمار ، وتعطيل لمسيرة الحياة .

للـــدفاع والحـــرية

والحرب لذلك شر لا يلجأ إليه إلا لدفع ما هو أكبر شراً وأفدح خطراً .. وهى من الأمور الخطورة التى لا تقترف إلا لضرورة .. أباحها الإسلام للدفاع عن النفس وحماية السلام من أعداء السلام .

كأن تسير الجيوش الإسلامية بقصد فك قيود الرق عن المستعبدين ، وتنحية نير العبودية عن المقهورين ، الذى استذلتهم قوى البغى وحالت بينهم وبين رؤية نور الحقيقة .

بهذا المعنى والهدف كانت الحروب التحريرية ، التى لم يقصد بها المسلمون إراقة دماء ولا إزهاق أرواح ، أو تخريب عمار أو ترويع آمن ، وإنما قصدوا إزالة الغشاوة والظلمات عن عيون المعصوبين ليروا الحقيقة ، وفك القيود عن المقهورين لينعموا بالحرية .

كانت سياسة المسلمين بعد أن يفتحوا بلداً أو يحرروا شعباً ، أن يتركوا لهم الخيار فى أن يعتنقوا الإسلام عن اقتناع أو أن يظلوا على دياناتهم ، وأساس هذا قول الله فى محكم كتابه : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ .

ديــن الحـــرية

فالإسلام دين الحرية وهو دين الاختيار تحقيقاً للمسئولية .

هكذا لم يحارب الرسول ولا حارب أصحابه من أجل فرض العقيدة الإسلامية على الآخرين ، ولم يلجأ صلوات الله عليه ولا لجأ أصحابه إلى حمل السلاح إلا دفاعاً عن النفس ضد عدوان أثيم ، أو

تحريراً لشعب مكبل فى أغلال الظلم والقهر ، التى تحول بينه وبين اختيار العقيدة التى يريد ، والإيمان بالدين الذى يهدى إلى سواء السبيل .

فما من بلد دخله المسلمون أيام الفتوحات ، إلا أمنوا أهله ، وعاهدوهم عهد الأمن والأمان ، حدث هذا فى فارس والعراق ، وفى مصر والشام ، وفى المغرب والأندلس ، وفى كل البلاد التى حررها المسلمون من العبودية ، واحتضنتها أركان الدولة الإسلامية الحرة المسالمة الحضارية .

ومما يؤكد هذه المعانى السامية النبيلة ، أن اشتقاق اسم الإسلام جاء من كلمة « السلام » وأن الله سبحانه قد جعل من أسمائه الحسنى اسم « السلام » وأن الجنة التى وعد الله بها عباده المؤمنين قد سماها « دار السلام » وأن التحية الإسلامية الخالدة هى كلمة « السلام » .

إن السلام من أهم مبادىء الإسلام وأجلها قيمة ، ولذلك ألح فى الدعوة إليه ، وأكد فى الحث عليه ، وعمل بكل الوسائل على تحقيقه ، من أجل صالح الإنسان : فرداً وأسرة ، وجماعة ودولة ، ومجتمعاً وأمة .

نداء الإسلام

ذلك هو نداء الإسلام منذ فجر الرسالة المحمدية إلى بنى البشر أجمعين : نداء لا يفرق بين أبيض وأسود ، بين عربى وأعجمى ، بين مسلم وغير مسلم ، حيث ظلت دعوة ديننا الحنيف للإنسانية كلها هى السلام ، وظل خطابه الحضارى هو التعاون على البر والتقوى فى ظل الحرية والمساواة عملاً بقول الله ـ عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الحجرات/ ١٣

والمسلمون اليوم وهم فى أركان متفرقة من العالم ، يتوقعون ، بل ويثقون فى أن الشعوب المتحضرة التى قد لاتشاركنا ديننا أو حضارتنا الإسلامية ، سوف تنهج نهجاً ، وسوف تستلهم كما نستلهم نحن جوهر ما بشرت به الأديان السماوية والقيم الحضارية من مبادىء التسامح والتعايش من نبذ العصبية العرقية المقيتة ، وممارسات التعصب الدينى الرعناء ، التى تعربد مظاهرها فى وحشية غير مسبوقة فى بعض المناطق التى تضم شعوباً ودولاً إسلامية مثل البوسنة والهرسك .

هذه الممارسات اللاحضارية إذا كانت قد استثارت مشاعر الإدانة والاستنكار من الجميع مسلمين وغير مسلمين ، فقد آن لها أن تتوقف ، وآن للمجتمع الدولى أن يجمع كلمته وإرادته لإعادة الأمن والسلام إلى هذه الشعوب قبل أن ينجرف العالم إلى هاوية التعصب المجنون الذى يدمر كل ما عرفته الإنسانية من قيم وحضارة .

مفهـــوم الأمـــن

الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، العلماء الأجلاء ، الأخوة والأخوات .

من هنا كان عجيباً وغريباً عن طبيعة الإسلام ومبادئه وقيمه ، هذا الذى يحدث فى السنوات الأخيرة ومانراه اليوم من صراع بين بلد وآخر من بلاد الإسلام .

وأعجب منه وأشد غرابة ما يحدث بين فريق وآخر فى بلد واحد من بلاد المسلمين ، وأشد إثارة للعجب والحيرة ، بل للدهشة والصدمة ، هذا الإرهاب الذى تقوم به جماعات ضد بعض أبناء الأمة ، وخاصة ضد من يعملون لصالحها ، ويسعون جاهدين لخيرها ، ويسهرون لحماية مقدراتها .

هذا الإرهاب مناقض تماماً لقيمة الأمن ، معاد أساساً لمبدأ السلام الذى أرسى دعائمه الإسلام .

إن التآمر والإرهاب المنظم عمل إجرامى خالص ، من المتصور أن تقوم به عصابات منظمة مأجورة ، لا ترعى ديناً ولا خلقاً ، ولا تحترم مبدأ إلا مبدأ المكاسب المادية الباغية ، ولا تحقق هدفاً إلا الأهداف الإجرامية العادية .

كذلك يمكن أن نتصور أن تقوم بالتآمر والإرهاب عصابات إنتاج المخدرات وتهريبها أو الترويج لها ، والتى تنشر السموم الفتاكة بين الناس وتحمى انتشارها بتآمر خفى وإرهاب وحشى .

لكن الذى لا يمكن أن يتصور ، أن تقوم بالتآمر الإجرامى والإرهاب العدوانى جماعات بل دول وحكومات تتخفى وراء أقنعة الدين ، وتتستر بأردية المصلحين .. مع أنه لا يوجد دين أى دين يبيح سفك الدماء البريئة أو ترويع القلوب الآمنة ، فضلًا عن إزاق الأرواح التى لا يملك قبضها إلا الله جل علاه .

إن كل الأديان قد شددت على حرمة حياة الإنسان ، وأحاطت تلك الحياة بكل الضمانات التى تصون سلامتها وتحقق أمنها وسلامها .

بل لقد حرم الإسلام اعتداء الإنسان على حياة نفسه ، وجعل من الكفر إقدام المرء على إزهاق روحه بيده ، لأن الإنسان خلق الله وروحه قبس من روح الله ولا يملك أحد العدوان على خلق إلا بحق الله كما فى القصاص الذى فيه للناس حياة ، ولا يملك أحد نزع الروح إلا واهب هذه الروح .

حـــرمة النفـــس

إن قتل النفس الإنسانية أو الشروع فى قتلها لا يكون فى الإسلام وبإجماع الأئمة إلا بحق ، والحقوق التى تسوغ قتل الإنسان محددة تحديداً حاسماً وجازماً ، فى شرعة الله وفى النصوص القرآنية المنزلة وليس منها على الإطلاق ، قصد الانتقام ، أو العمل على تغيير النظام ، أو إشاعة الفوضى وزعزعة الاستقرار ، أو التمهيد للوصول إلى السلطة أو الوثوب على الحكم عبر الأشلاء والدماء .

نعرف أن هذا الداء الذى استشرى مؤخراً وهو داء الإرهاب داء عالمى لاتنفرد به بعض الجماعات الضالة فى أمتنا .

لكن الذى تنفرد به تلك الجماعات بل وبعض الدول والحكومات ، أنها تقدم على الإرهاب باسم الدين ، وترفع زوراً وكذباً وبهتاناً راية الإسلام الناصعة لتخفى جرائمها وآثامها بينما يقترف الآخرون الإرهاب وهم معروفون بأنهم مأجورون ، أو مجرمون من محترفى العدوان ، أو عملاء ممن تحالفوا مع الشيطان من أرباب الشر ودعاة الفتنة وخفافيش الظلام .

الإرهاب جريمة

ومن هنا كان هؤلاء الإرهابيون المتسترون برداء الإسلام ، أصحاب جريمة أبشع من كل جرائم الإرهابيين الآخرين ، لأن هؤلاء المتسترين برداء الدين يضيفون إلى إجرامهم وعدوانهم على الآخرين بغير حق ، إجراماً أفدح فى حق الدين الذى زورا إليه ينتسبون وزيفاً به يتمسحون .

من المغالطات المفضوحة ، أن هؤلاء الإرهابيين المتسترين زيفاً برداء الدين ، يبررون مسلكهم بأن يسموا أنفسهم مجاهدين وفدائيين وهم فى هذا التبرير مخادعون مضللون فالمجاهدون والفدائيون يحاربون أعداء لأوطانهم ويضحون فى سبيل تنحية من يحتلون أرضهم .

أما هؤلاء الإرهابيون فيدبرون تآمرهم ويوجهون أسلحتهم إلى أناس من أبناء أمتهم ومن تراب أرضهم ، أو إلى أبرياء من أمم أخرى لم يسيئوا إليهم ولم يدبروا لهم المؤامرات والمكائد .

مثل هذا التآمر أو الإرهاب لايكون جهاداً ولا فدائية ، بل عدواناً غاشماً وجريمة نكراء تقتضى العقاب والقصاص حقاً وعدلاً عملاً بقوله ـ تعالى : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ .

فأى جهاد هذا الذى يمارسه من يقتل أو يشرع فى قتل سياسى أو وطنى له رأيه وفكره ومذهبه وأسلوبه ، أو مفكر له رؤيته ونظرته ، أو رجل أمن عليه واجبه ومهمته ؟

أية فدائية تلك التى يقدم عليها من يفجر سيارة أو يلقى قنبلة ، تمزق أجساد الأبرياء وتسيل دماء الأطفال وتصيب من لادور لهم فى سياسية ولاعلاقة لهم بقرار أو حكم ؟!

إن الذين حرفوا وشوهوا دعوة الجهاد الحق من أجل غايات باطلة فاسدة ، إنما يحرفون كلام الله ويزيفون شرعة الإسلام ، ويزورون الفكر الإسلامى القويم ، فكانوا شراً ووبالاً على أمة الإسلام والمسلمين .

دعوة العدل

وكانت الدعوة إلى الحق والعدل إلى الأخوة والرحمة فى المجتمع الإسلامى هى الأجدر بالنشر والذيوع ، فى مجتمع يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويقيم الشعائر ويحيا وفق

شريعة الله في إقامة العدل وتحقيق المساواة والعمل بالشورى ، ورعاية مصالح العباد بمنأى عن النقل الجاهل والتحريف الضال للدعوة إلى الحق وإلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وبعيداً عن تزييف الحقائق وتحريف الأصول وهدم القواعد .

فالحوار المتحضر أساسه قول الله ـ سبحانه : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

والأسلوب الذى يتم به الإصلاح ويتفق مع روح الإسلام ، أسلوب أكثر وضوحا وأدق تحديداً ، وهو يقوم على العمل العلمى المشارك فى تحسين أوضاع الناس وتمكينهم من حياة أفضل .

هذا هو الأسلوب لكسب الأنصار ، وتأسيس القواعد الشعبية التى تؤازر من يريدون الإصلاح الحق ويقصدون إلى التغيير البناء الذى يراد به فعلاً وجه الله وصالح الأمة ، ولايؤدى إلى إثارة أو يسلم إلى فتنة ، « فالفتنة أشد من القتل كما أخبر كتابنا الكريم ، وخير الناس أنفعهم للناس كما علمنا نبينا العظيم .

محـــاربة الإرهـــاب

الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، العلماء الأجلاء ، ضيوف مصر الأعزاء .

لعلكم توافقوننى على أن واجب الجميع ألا يهادنوا هذه العصابات التآمرية ـ الارهابية أفراداً كانت أم حكومات ـ وأن يتعاونوا على محاصرتها ومقاومتها والعمل على استئصالها من جذورها .

وأن علماء الإسلام الواعين ، ورجال الدعوة والمفكرين ، يأتون فى الصدارة من جيش المقاومة الباسل ، الذى ينعقد عليه الأمل فى التصدى لهذا الإرهاب المتآمر ، الذى يهدد الأمن والسلام ويقترف من ألوان العدوان والإجرام ما يسىء أكبر الإساءة إلى مبادىء الإسلام .

بل إن كل رجالات الديانات السماوية ، وجميع المفكرين الغيورين على القيم الإنسانية ، مطالبون بأن يوجهوا جهودهم إلى محاربة ظاهرة الإرهاب العالمية ، التى تسىء كل الإساءة إلى الحضارة البشرية .

وإننى أنتهز فرصة الاحتفال بذكرى مولد محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لكى أتوجه بهذه الدعوة إلى أمتنا على امتداد أراضيها وتعدد دولها ، وإلى كل الأمم المحبة للسلام لكى يحرص الجميع على هذا السلام ، وأن يهبوا للدفاع عن حقيقة الاسلام وجوهره ودحض أباطيل خصومه ممن ينتسبون زوراً إلى الإسلام ...

ولنحيى فى هذا اليوم الخالد العظيم ، نبينا محمداً بأفضل الصلاة وأتم التسليم ، فهو الذى أضاء للبشرية طرق الحق والخير ومهد للإنسانية سبيل الأخوة والحب ، وقاد العالم إلى جنة الأمن والأمان ، وأرسى بالإسلام أقوى دعائم السلام وكل عام وأنتم جميعاً وكل أمتنا بخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مع

الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر



كلمة فضيلة الإمام الأكبر في الاحتفال

بالمولد النبوي الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

السيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية ..

الحفل الكريم ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

هذه ذكرى ميلاد الرسول ﷺ . هذا النبي العظيم ، لقد كرمه ربه واحتفى به ، وذكره في القرآن الكريم بالتكريم والتعظيم ، بل إن اسمه ﷺ والشهادة برسالته جزء من كلمة التوحيد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، ولعل هذا ـ والله أعلم ـ مما يشمله افتتاح سورة الشرح :

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ ﴾

فأى رفع لذكر الرسول ﷺ أعظم من أن يكون اسمه تالياً لاسم الله ـ سبحانه ـ وجزءاً من كلمة التوحيد التي يدخل بها الإنسان الإسلام .





حضرات السادة إن تقدير رسول الله ﷺ وتعظيمه أمر حتمي على المسلمين خاصة ، والناس عامة ؛ لأنه جاء رسولاً خاتماً للرسالات وللإنسانية جميعاً ، ولذلك لم يخاطبه ربه كما خاطب الأنبياء السابقين بأسمائهم المجردة ؛ بل جاء القرآن يخاطبه بالنبوة والرسالة ، وهذا اختصاص تكريمي لم يوجه إلى نبي من الأنبياء السابقين مع أنهم مكرمون جميعاً ، فما بالنا يتحدث الإنسان عن رسول الله ﷺ مُجرّدًا له من لقب الرسالة ألا نكون مهتدين بالقرآن، أفلا تحتفظ للرسول ﷺ بهذا التكريم، إن هذا بلاغ للناس أن يكرموا رسول الله ، كما كرمه ربه ، فلا نذكر اسمه مجرداً عن الرسالة أو النبوة .

وقد كرم الله نبيه ﷺ فرفع العذاب عن أمته في حياته ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ ورفع العذاب عن أمته بعد مماته ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ .

يا أمة الإسلام هذا ضمان للمغفرة والرحمة فهلا أقبلتم على دينكم ، والتزمتم كتاب ربكم وسنة نبيكم فخرجتم من أحزانكم ، ومن هذه الآلام التي تنتاب الأمة في كل مكان ، ألا خرجتم من كل ذلك بالرجوع إلى دين الله، إلى القرآن والسنة إلى أن تكونوا.. (وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون) إن أمة الإسلام تطارد في كل مكان ، وتهاجم في كل مكان ، وهم كثير ولكنهم كغثاء السيل .. فهل هذه الأمة التي مجد الله نبيها أن ترتفع إلى قدر نبيها ، وإلى مكانته عند الله بالاقتداء به وباتباع سنته ، وبأن تكون كما مثلها .. (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى*) .

أعلم أن الرئيس مبارك يسعى إلى ضم الصفوف وتضميد الجراح ولكنني من هذا المنبر أدعو الأمة شعوباً وحكاماً ومحكومين أن يكونوا على قدر هذه المسئولية وأن يتضامنوا مع السيد الرئيس في جمع الصفوف ، وفي التعالي على هذه الجراح التي تصيب الأمة لتنجو الأمة مما يراد بها ، إن رسول الله ﷺ كما قلت يذكر في الصلوات مقروناً باسم الله ـ عز وجل ـ فليس في حاجة لأن تقيم الموائد والموالد ؛ بل في حاجة لأن نعمل بسنته وبكتاب ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ حتى تكون أمتنا خير أمة أخرجت للناس .

السيد الرئيس

كل عام وأنتم وأمتنا في أحسن حال ـ إن شاء الله ـ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



* حديث صحيح ورد بروايات.

فتوى للإمام الأكبر

في

بيان

حكم بث الفرقة بين الجاليات الإسلامية وأمر الشيعة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فقد ورد فى مجلة أكتوبر بالعدد رقم ٤٦٠١ الصادر بتاريخ ٢٥ من أغسطس ١٩٨٥م تحت عنوان «الأزهر ملاذهم الدينى الأول» للسيد/ عبدالعزيز صادق رسالة موجهة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وخلاصتها كما يلى :—

فى هذا الأسبوع وصلتنى رسالة من بعض من يعملون بالمركز الإسلامى بولاية فرجينيا بالولايات المتحدة ، مضمونها أن بعض أعداء الإسلام يعملون على بث الفرقة بين الأقليات المسلمة فى أفريقيا وآسيا ، وأمريكا ، يحاولون صبغ الخلافات — أيا كان نوعها — بالصبغة الطائفية ، ويكفرون الشيعة على اختلاف فرقها ، وهى هجمة شرسة تستهدف التفرقة بين المسلمين . وأن بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم — لكى تقع عباداته ومعاملاته صحيحة — أن يقلد أحد المذاهب الأربعة فقط .

فهل توافقون يا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على هذا الرأى على إطلاقه ؟.

ثم إن بعض الناس قد أخذوا يكفرون الشيعة ، ويرون إن الإسلام منهم براء ، ترى ماهو رد فضيلتكم على هذا القول ؟ وهل يجوز لمسلم أن يكفر غيره من المسلمين ؟

ونفيد بالآتى :

أولا : عن حكم التقليد ، وهل يلزم تقليد مذهب معين ؟

وبيان ذلك كالآتى :—

ذهب جمهور الأصوليين إلى أن العامى وهو الذى ليس له أهلية الاجتهاد فى الأحكام وإن كان محصلا لبعض العلوم يجب عليه اتباع قول المجتهد والأخذ بفتواه استنادا إلى قوله تعالى :

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(1)

وهى عامة لكل المخاطبين الذين لم تتوافر لهم وسائل العلم بالأحكام ، ولأن العامة فى زمن

(1) من الآية ٧ من سورة الأنبياء .

الصحابة والتابعين كانوا يستفتون المجتهدين منهم ويتبعونهم فيما يبنوه لهم من الأحكام ، وكان المجتهدون يبادرون إلى افتائهم والكشف لهم عما جهلوا ولم ينكروا عليهم استفتاءهم إياهم فكان ذلك إجماعا على مشروعية التقليد فى الفروع ، غير أن العامى فى الاستفتاء مقيد باستفتاء من عرف بالعلم والعدالة وأهلية النظر فيما يستفتى فيه ـ احتياطا فى أمر الدين .

كما ذهب جمهور العلماء إلى أنه لايجب على العامى التمذهب بمذهب مجتهد معين والتزام جميع عزائمه ورخصه ـ بحيث لايجوز له الخروج عنه ـ بل له أن يعمل فى مسألة بقول مجتهد ، وفى أخرى بقول مجتهد آخر ، وعلى ذلك استقر عمل المفتين فى كل عصر من زمن الصحابة ومن بعدهم وقد اختار ذلك من علماء الأصول (الآمدى) ، (ابن الحاجب) و (الكمال) فى تحريره و (الرافعى) وغيره ؛ لأن التزام مذهب معين فى كل المسائل غير ملزم ، إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله ، ولم يوجب الله ولا رسوله على أحد من الناس أن يتمذهب رجل معين من الأئمة فيقلده فى دينه ، يأخذ كل ماقال فيه ويذر غيره .

وقد قال ابن أمير حاج من علماء الأصول ـ « لايصح للعامى مذهب : لو تمذهب به ؛ لأن المذهب إنما يكون لمن له نوع نظر واستدلال وبصر بالمذاهب على حسبه أو لمن قرأ كتبا فى فروع ذلك المذهب ـ وعرف فتاوى إمامه وأقواله . وأما من لم يتأهل لذلك البتة ، بل قال : أنا حنفى ، أو شافعى ، أو غير ذلك لم يصر كذلك بمجرد القول » .

ومما تقدم يعلم أنه لايجب تقليد مجتهد معين ، وأن التلفيق بمعنى العمل بقول مجتهد فى مسألة ، وبقول آخر فى أخرى لضرورة ولغيرها فى العبادات والمعاملات جائز تخفيفا ورحمة بالأمة ، بل ذهب الجمهور إلى جواز تتبع رخص المذاهب فى المسائل المختلفة ، لأن للمكلف أن يسلك الأخف عليه إذا كان له إليه سبيل بأن لم يكن قد عمل بقول مجتهد آخر فى ذات المسألة التى يريد التقليد فيها .

والخلاصة أن التقليد واجب على غير المجتهد المطلق لضرورة العمل ، وأنه لايجب على المقلد التزام مذهب معين ، وأنه يجوز له العمل بما يخالف ما عمله على مذهبه مقلداً غير إمامه وأن مذهب العامى فتوى مفتية المعروف بالعلم والعدالة وأن التلفيق بمعنى العمل فى كل حادثة بمذهب جائز .

ثانياً : حكم التكفير ، وهل يجوز للمسلم أن يكفر غيره من المسلمين ؟

وللإجابة على هذا نذكر أولا بيان حقيقة الإيمان والإسلام ، وبيان معنى الكفر . وذلك كما يلى :

(أ) الإيمان وحقيقته :

الإيمان لغة : هو التصديق مطلقاً .

وفى الشرع : هو التصديق بالله وبرسله وبكتبه وبملائكته وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر .

قال تعالى :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾(٢) .

---

(٢) من الآية ٢٨٥ من سورة البقرة .

والإيمان بهذا تصديق قلبي بما وجب الإيمان به ، وهو عقيدة تملأ النفس بمعرفة الله وطاعته في دينه ويؤيد هذا دعاء الرسول ﷺ : « اللهم ثبت قلبي على دينك » ، وقوله لأسامة وقد قتل من قال : لا إله إلا الله (هلا شققت قلبه)[3] .

(ب) الإسلام وحقيقته :

يقال في اللغة أسلم : دخل في دين الإسلام .

وفي الشرع : كما جاء في الحديث الشريف : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا »[4] .

فالإسلام هو العمل بالقيام بفرائض الله من النطق بالشهادتين وأداء الفروض والانتهاء عما حرم الله سبحانه ورسوله .

فالإيمان تصديق قلبي ، فمن أنكر وجحد شيئاً مما وجب الإيمان به فقد خرج من الإسلام قال تعالى :

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[5] .

أما الإسلام فهو العمل والقول ، عمل بالجوارح ونطق باللسان ، ويدل على المغايرة بينهما قول الله ـ سبحانه :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[6] .

(د) متى يكون الإنسان مسلماً ؟

حدد هذا رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري في قوله (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي ، وبما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله) .

هذا هو المسلم ، فمتى يخرج عن إسلامه ؟ وهل ارتكاب معصية بفعل أمر محرم أو ترك فرض من الفروض ينزع عنه وصف الإسلام وحقوقه ؟

قال ـ سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[7] .

(هـ) ما هو الكفر ؟

الكفر لغة : كفر الشيء : غطاه وستره

وشرعاً : أن يجحد الإنسان شيئاً مما أوجب الله الإيمان به بعد إبلاغه إليه ، وقيام الحجة عليه .

وقد شاع الكفر في مقابلة الإيمان ، لأن الكفر فيه ستر الحق ، بمعنى إخفائه ، وطمس معالمه ، ويأتي هذا اللفظ بمعنى كفر النعمة ، وأعظم الكفر جحود وحدانية الله باتخاذ شريك له ، وجحد نبوة رسول الله محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وشريعته .

والكافر متعارف فيمن يجحد كل ذلك .

وإذا كان ذلك هو معنى الإيمان والإسلام والكفر مستفاداً من نصوص القرآن والسنة : كان المسلم الذي ارتكب ذنباً وهو يعلم أنه مذنب

(٣) رواه البخاري ومسلم .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٥) من الآية ١٣٦ من سورة النساء .

(٦) من الآية ١٤ من سورة الحجرات .

(٧) من الآية ١١٦ من سورة النساء .

عاصياً لله – سبحانه وتعالى – معرضاً نفسه لغضبه وعقابه ، لكنه لم يخرج بما ارتكب عن ربقة الإيمان وحقيقته ولم يزل عنه وصف الإسلام وحقيقته وحقوقه .

وأياً كانت هذه الذنوب التي يقترفها المسلم خطأً وخطيئة ، كبائر أو صغائر فإنه لا يخرج بها عن الإسلام ولا من عداد المؤمنين ، ذلك مصداقه قول الله سبحانه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ .

(و) هل يجوز تكفير المسلم بذنب ارتكبه ؟ أو تكفير المؤمن الذى استقر الإيمان فى قلبه ؟ ومن له الحكم فى ذلك إن كان له وجه شرعى ؟

قال الله سبحانه :

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ﴾[8] .

وفى حديث رسول الله ﷺ الذى رواه أبو داود أن رسول الله ﷺ قال : (ثلاث من أصل الإيمان : وعُد منها : الكف عمن قال « لا إله إلا الله » ، لا نكفره بذنب ، ولا نخرجه من الإسلام بعمل) .

وما رواه الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال : (لا يرمى رجل رجلا بالفسق ، أو يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك) .

ومن هذه النصوص يتضح أنه لا يحل تكفير مسلم بذنب اقترفه سواء كان الذنب ترك واجب مفروض ، أو فعل محرم منهى عنه ، وأن من يكفّر مسلماً أو يصفه بالفسوق ، يرتد عليه هذا الوصف إن لم يكن صاحبه على ما وصف .

(ز) من له الحكم بالكفر أو الفسق .

قال الله – تعالى :

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾[9] .

وقال سبحانه :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾[10] .

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[11]

وفى حديث رسول الله ﷺ الذى رواه الزهرى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : « سمع النبى ﷺ قوماً يتمارون فى القرآن (يعنى يتجادلون فى بعض آياته) فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً ، فما علمتم منه فقولوا ، وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه » .

هذا هو القرآن ، وهذه هى السنة ، كلاهما أمر بأن النزاع فى أمر من أمور الدين يجب أن يرد إلى الله ورسوله ، وأن من يتولى الفصل وبيان الحكم هم العلماء بالكتاب وبالسنة ، فليس لمسلم أن

---

(8) من الآية 94 من سورة النساء .

(9) من الآية 59 من سورة النساء .

(10) من الآية 122 من سورة التوبة .

(11) من الآية 7 من سورة الأنبياء .

يحكم بالكفر أو الفسق على مسلم ، وهو لا يعلم ما هو الكفر ولا ما يصير به المسلم مرتداً كافراً بالإسلام ، أو عاصياً مفارقاً لأوامر الله . إذ الإسلام عقيدة وشريعة له علماؤه الذين تخصصوا

في علومه تنفيذاً لأمر الله ورسوله فالتدين للمسلمين جميعاً ، ولكن الدين وبيان أحكامه

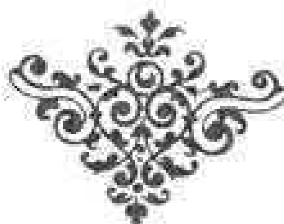
وحلاله وحرامه لأهل الاختصاص به وهم العلماء قضاء من الله ورسوله .

هذا : ولا ينبغي اتخاذ المذاهب الفقهية الإسلامية وسيلة لكسب سياسي أو تأييداً لدولة ، أو فئة من الناس ، وأولى بالمسلم بدل أن يدعو أخاه المسلم إلى مذهبه ـ والمذاهب الصحيحة كلها من رسول الله ﷺ ملتمسة ـ أن ينشر الإسلام وفضائله ، عقيدة وشريعة بين غير المسلمين .

والأزهر ينكر على هؤلاء ـ الذين يجاهدون في غير عدو ـ صنعتهم . فليس للمسلم الشيعي أن يطلب إلى المسلم السني ترك مذهبه الشافعي أو الحنفي أو المالكي أو الحنبلي ، ليتابعه على المذهب الشيعي ، وليس للسني ـ أيضاً ـ ذلك الصنيع ، ومادام الكل من المسلمين فعليهم أن يكونوا أخوة وأن يعملوا على نشر الإسلام بين غير المسلمين ، ويكفوا عن توسيع شقة الخلاف والفرقة بين صفوف الأمة وعن اتخاذ المذاهب الإسلامية الفقهية ، مذاهب سياسية للدول ، فإن المسلمين الأوائل لم يفعلوا ذلك ، لأنه يتناقض مع قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾

سورة المؤمنون



بيان من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي الرابع المعني بالمرأة في بكين

تعقد الأمم المتحدة في بكين خلال شهر سبتمبر من العام الحالي ، مؤتمرها الدولي الرابع المعني بالمرأة بهدف إتمام الموافقة على برنامج عمل أعد من قبل ، لتلزم به الحكومات نفسها[1] وقد ضيقت في المساحات القابلة للمناقشة ، بدعوى أنه قد تم حسم نقاط الخلاف في اللجان التي أعدت هذا البرنامج ، وآخرها اللجنة التاسعة والثلاثون التي انعقدت في نيويورك في الفترة من ١٤ شوال إلى ١٤ من ذي القعدة ١٤١٥ هـ / ١٥ مارس إلى ١٤ من أبريل سنة ١٩٩٤م .

هدف مؤتمر بكين :

ومؤتمر بكين ـ هذا ـ يعد حلقة من سلسلة حلقات متصلة ، ترمي إلى ابتداع نمط جديد من الحياة ، يتعارض مع القيم الدينية ، ويحطم الحواجز الأخلاقية والتقاليد الراسخة ، دون التفات إلى أن هذه القيم والحواجز والتقاليد هي التي حمت شعوباً ودولاً كثيرة من التردي في هوة الفساد الجنسي ، والسقوط في حومة الاضطراب النفسي ، ومستنقع الانحلال الخلقي .

علاقة مؤتمر بكين بمؤتمر القاهرة للسكان

وقد هدف واضعوا البرنامج من ورائه إلى تدارك ما فاتهم إقراره في مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية ، الذي انعقد خلال الفترة من ٢٨ ربيع الأول إلى ٧ ربيع الآخر ١٤١٥هـ/ ٥ ـ ١٣ من شهر سبتمبر سنة ١٩٩٤ م ، وذلك فإنهم يلحُّون على القضايا التي خذلهم فيها المجتمع الدولي ، والتي كانت تدور في شق منها : حول مفهوم الأسرة وبنائها ، وتربية النشيء ، والعلاقات الجنسية ، والإجهاض .

برنامج بكين يتلاعب بالألفاظ :

وقد بلغت الجرأة بواضعي برنامج عمل مؤتمر بكين ، أنهم لم يكتفوا بترديد قضاياهم الخاسرة ، بل تمادوا في غيهم ، وزادوا من لجاجتهم ، موغلين في اللعب بالألفاظ ، وفي تحريف الكلم عن معناه

---

(١) أنظر ما تشير إليه البنود ٢٨٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٩

إلى المعنى الذى يتطلعون إليه ؛ كاستخدامهم كلمةُ نوع GENDER عشرات المرات بمعان محرفة ترمى إلى إلغاء الفوارق بين الذكورة والأنوثة ، وتحويل الإنسان إلى مسخ ، لا هو بالذكر ولا هو بالأنثى ، وذلك مع الإيهام ببراءة القصد وسلامة الهدف .

البرنامج يعتبر المفهوم الدينى للأسرة مفهوم عقيم :

وفى خضم سعيهم إلى (تدمير الأسرة) ، لم يقنع واضعوا البرنامج بالوقوف عند حد التشكيك فى اعتبار أنها الوحدة الأساسية للمجتمع ، ومطالبة الوالدين بالتغاضى عن النشاط الجنسى للمراهقين عن غير طريق الزواج ، واعتبار هذا النشاط أمراً شخصياً لا يحق لأى منهما أن يتدخل فيه[2] ، ولكنهم نادوا فى جرأة فاحشة : بأن مفهوم الأسرة بالمعنى الذى يقره الدين ليس إلا مفهوماً عقيماً ؛ لأنه لا يتقبل العلاقات الجنسية الحرة بين مختلف الأعمار ، ويشترط أن تكون بين ذكر وأنثى فقط ، وفى داخل الإطار الشرعى ؛ ولأنه لا يمنح الشواذ حقهم فى تكوين أسر من بينهم ، ويتمسك بالأدوار النمطية للأبوة والأمومة والزوجية ، معتبرين أنها مجرد أدوار اعتادها الناس فيما درجوا عليه ، ويجب استبعاد الالتزام بها حتى يمكن إقامة مجتمع متحرر من القيود والروابط[3] .

بل إن واضعى هذا البرنامج ساروا فى غيهم إلى أبعد من ذلك ؛ فطالبوا بالتغيير الجذرى فى العلاقة بين الرجل والمرأة ، وتقسيم الوظائف بينهما بالسوية بما فى ذلك حق الرجال فى أجازة « والدية » كالنساء ، والمساواة بينهما فى الميراث مع تغيير القانون الذى يقف دون ذلك أيا كان مصدره[4] .

انحــــــــــراف واضـــــعى البرنامـــــج :

ولاريب أن ما انحرف إليه واضعو البرنامج يناقض تماماً ما يفرضه الإسلام ويحرص عليه : من جعل الأسرة هى مصدر السكينة والمودة والرحمة ، وإعدادها لتكون موئلا حصيناً وخصباً لتنشئة الأجيال على الإيمان بالله والثقة فى حكمة وحكمته ، فى ظل رعاية والدين تحكمهما قواعد حاسمة ، تهذب ما طبعت عليه النفس البشرية من غرائز ، وترعى ما جبلت عليه ميول غير مصطنعة ، أو وليدة ظروف طارئة ، مع الحرص على أن تتبوأ المرأة مكانها المرموق ، ويتحمل الرجل عبء القوامة بحكم مسئوليته عن الأسرة وأفرادها ومتطلباتها[5] .

مشكلة المرأة إفراز حضارة غربية وليست من الإسلام :

إن الإسلام لايعرف ما يسمى بمشكلة المرأة ، فهى من إفراز حضارة غربية عنه ، تقوم على

(2) أنظر ما يشير إليه البند ٢٦٧ والبنود من ٩١ إلى ١٠٠ والبند ١٠٧ والبند ٢٨١ وانظر كذلك ما كانت تضمنه المادة السابعة من مشروع برنامج عمل مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية وعلى الأخص الفقرات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٨ ، ٤٣ ، ٤٥ والمادة الثامنة فقرة ٢٠ .

(3) أنظر بند ٨٥ أ ، ب ، ١٠٧ (ر.ط.ل.م) ١٨١ ج ، ١٨٢ ب .

(4) أنظر البنود ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ١٠٨ .

(5) أنظر الآيات الكريمة رقم (١) من سورة النساء ، رقم (٢١) من سورة الروم ، رقم (٤٥) من سورة النجم .

الاستغلال والتفرقة ، ولا تتوافق مع ما يعلنه من تخلّق الرجل والمرأة من نفس واحدة مع المساواة بينهما في الحقوق والواجبات .

أما في مجال العلاقات الجنسية .

فإن واضعي البرنامج لم يقنعوا بإطلاق الحرية الجنسية بين المراهقين ، ذكوراً وإناثاً ، ولكن نادوا في ابتذال ممجوج بما مقتضاه أن يكون من حق المرأة المراهقة أن تحدد الدور الذي تريد أن تتعامل على أساسه : ذكراً أو أنثى أو دون ذلك ، وأن تمارس علاقتها الجنسية مع من تريد ، رجلاً كان أو امرأة ، وأن على الدول والمؤسسات الحكومية أن تسمح بذلك ؛ فالدعارة ليست خطأ إلا في حالة فرضها على المرأة[6] .

تناقض واضعي البرنامج مع الشرائع السماوية

وبذلك يكشف واضعوا البرنامج عن تناقضهم الفاضح مع ما جاءت به الأديان السماوية كلها بما في ذلك الإسلام الذي لا يقر أي علاقة جنسية بغير طريق الزواج الشرعي بين رجل وامرأة ؛ فهو يحرم الزنى واللواط والسحاق وما يفضي إليها من اختلاط فاجر ، ويساوي بين الذكر والأنثى دون خلط بينهما ، أو افتئات على طبيعة كل منهما .

البرنامج يغتال حق الشعوب بوصياته المنبوذة على الدول :

على أن المتأمل في البرنامج يدرك فيه اغتيالاً أبشع لحقوق الشعوب ، ووصاية منبوذة على الدول ، وذلك يتمثل بشكل أوضح فيما يراه واضعوه من الحد من اعتبار الدين عائقاً في سبيل المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، أو عقبة في طريق تنفيذ أي شئ في برنامجهم المقيت ، وفيما يلزمون به الدول من تنظيم برامج لحث الشباب على تحمل المسئولية الجنسية وفقاً لمفهومهم ـ هم ـ ، وفيما يفرضونه من تخفيض النفقات العسكرية ، وتحويل المبالغ التي تنفق على شراء السلاح إلى تنفيذ برنامجهم ، وفيما يكفلون به الدول من تقديم تقارير إلزامية دورية عن الأسلحة التي يحوزونها سواء كانت ذرية أو كيماوية أو ميكروبية ، مع التهديد بقطع المعونات التي تقدمها الدول الغنية وتوجيهها إلى تنفيذ هذا البرنامج ، وحث صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ، والعديد من المؤسسات المالية الأخرى على القيام بدور فعال في هذا الشأن ، ومنح المنظمات غير الحكومية بما في ذلك المنظمات النسائية وذات الميول الشاذة والمنظمات الدولية سلطات خطيرة في الرقابة ، وفي مراجعة ما قد تبديه الدول من تحفظات على البرنامج تمهيداً لإلغائها أياً كان مصدرها[7] .

ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف أداءاً لواجبه قبل المسلمين في مصر وفي العالم الإسلامي ليعلن (تمسكه بما فصله في بيانه الذي أصدره بمناسبة مؤتمر القاهرة للسكان والتنمية) ،

(6) أنظر البنود ٢٧ ، ٤٨ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٣٣ ، ١٩٤ هـ ، ٢٣٢ أ .

(7) أنظر البنود ١٨ ، ٣١ ، ٤٨ ، ١٣٣ ، ١٤٥ ، ١٨٢ ، ٢١٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٩٥ ، ٣١٢ .

و (يتحفظ) ، ويطالب الدول والشعوب بإعلان التحفظ ، على ما ورد فى برنامج بكين مما يخالف الشريعة الإسلامية وسائر الأديان السماوية ، أو يتناقض مع القيم الاجتماعية والثقافية الراسخة ، لاسيما ما يتعلق بشكل ونظام الأسرة فى هذه الأديان ، وإطلاق الحرية الجنسية على خلاف ما تأمر به ، أو إباحة الإجهاض إلا فى حالة الحفاظ على حياة الأم .

إن مجمع البحوث الإسلامية لينبه من جديد إلى خطورة الدعوى التى ينطوى عليها برنامج عمل بكين ، ومناقضته للإسلام ولسائر الأديان السماوية ، وإلى استهدافه تحطيم القيم الدينية والاجتماعية والخلقية التى عصمت البلاد والعباد من أن تتردى فى حضيض الرذيلة ، أو تتلوث بالأمراض الجنسية الخطيرة التى برزت فى هذا العصر ، ويدعو المجتمع إلى الحفاظ على مقتضى خلق الله للإنسان ذكراً أو أنثى ، وإلى الإيمان بأن تحدى الأحكام التى أنزلها الله لتحكم العلاقات الإنسانية بالتحريض على هدم القيم يورث الفساد ، وإن إشاعة الفاحشة لا يرجى من ورائها تنمية فكرية أو ثقافية أو اقتصادية أو اجتماعية أو صحية أو غيرها ، وإنما توقيع المجتمع الإنسانى عامة والإسلامى خاصة فى المحظورات التى حرمها الله فى القرآن الكريم ، وفيما جاء فى سنة رسول الله ﷺ .

ما يجب على الدول الإسلامية

إن مجمع البحوث الإسلامية ليطالب الدول الإسلامية والشعوب التى تبتغى الحياة النقية ، كما تبتغى الفضل والفضيلة ، أن تستمر على الاحتفاظ بنقائها فى السلوك والأخلاق ، مع الحرص على كل فضيلة والبعد عن كل رذيلة ، حفاظاً على المجتمع الإنسانى من السقوط فى الهاوية التى تفضى إليها تلك الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأن تقف بالمرصاد ضد دعاوى التخريب والهدم الذى يسعى إليه واضعو برنامج بكين ، وأن يحولوا بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِل بأشياعهم من قبل .

ومن ثم فإن المجمع ليدعو الدول المؤتمرة فى بكين إلى ما سبق أن دعا إليه دول مؤتمر القاهرة من تعديل صياغة مشروع البرنامج المعروض فى المؤتمر العالمى الرابع المعنىّ بالمرأة والمنتظر عقده فى بكين خلال شهر ربيع الثانى ١٤١٦ هـ / سبتمبر ١٩٩٥ م وضبط عباراته حتى لا تمتد ـ ولو فى مغزاها ـ إلى ما يخالف ما أمرت به الشريعة الإسلامية ، وحرصت عليه سائر الشرائع السماوية الأخرى ، وثبت فى قيم الأمم الإسلامية على مختلف العصور ، ويؤكد المجمع فى هذا الشأن أنه يرفض كل ما يخالف الشريعة الإسلامية ، ويوصى بالتحفظ عليه حتى لا تلزم الأمة الإسلامية بشىء منه .

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

شيخ الجامع الأزهر
ورئيس مجمع البحوث الإسلامية
« جاد الحق على جاد الحق »

بيان

اللجنة الفرعية لمجلس مجمع البحوث الإسلامية

عن بعض الأوراق المعدة لمؤتمر بكين للمرأة

عقدت اللجنة المشكلة لدراسة الأوراق الخاصة بمشروع برنامج عمل المؤتمر الرابع للمرأة المنتظر عقده فى بكين فى سبتمبر ١٩٩٥ ، اجتماعات متوالية وعرض عليها جزء من الأوراق المعدة لتقديمها فى مؤتمر بكين ، وكان من بين هذه الأوراق ما يأتى :

أولا : تقرير مصر :

استعرضت اللجنة التقرير المقدم بعنوان (المرأة فى مصر والمدون به أنه) :

« تقرير مصر مقدم للمؤتمر العالمى الرابع للمرأة » وقد انتهت اللجنة من قراءة هذا التقرير إلى ما يأتى * :

١ ـ أن مقدمة التقرير مؤرخة فى مارس ١٩٩٤ وهو تاريخ سابق على (مؤتمر بكين) بأكثر من سنة .

وقد اشتملت المقدمة على معلومات مفيدة ولم تحو ما يعد خروجا على الخط الإسلامى أو التقاليد المصرية ، بل على العكس أوضح التقرير تمسك مصر بالشريعة الإسلامية وبالدستور المصرى ، وأعلن أنه ليس للمرأة معركة تخوضها فى مصر عن تقرير حقوق دستورية أو قانونية غير مقررة لها .

٢ ـ أن التقرير فى جملته عبارة عن إحصاءات مردودة إلى مصادرها .

٣ ـ يعيب التقرير أنه يندد بنظم الجوازات فى مصر التى تتطلب موافقة الزوج على سفر زوجته ، وهو أمر لا يحق التنديد به لاتفاقه فى الجملة مع أحكام الشريعة وأدلتها ، ومنها ما رواه الدارقطنى عن ابن عمر رضى الله عنه ، مرفوعاً ، بما يفيد حظر سفر المرأة بغير إذن زوجها (نيل الأوطار للشوكانى جـ ٢٩٢/٤ طبعة دار التراث) .

كما يندد التقرير بسيادة القيم التقليدية فى الريف المصرى بزعم أنها هى أهم التحديات التى أبطأت بمسيرة المرأة نحو الاندماج فى مسار التنمية ، وفى ذلك إشارة إلى انتقاد القيم المصرية ، بغير حق ، لصالح (برنامج السكان) ومشروع (برنامج بكين) .

كما أشار التقرير إلى تدعيم (التنوير) دون إيضاح لمدلول هذا التعبير مع أن له مردودات غربية لا تتفق والقيم الدينية ، ومثل ذلك يمكن أن يقال عن تبنى التقرير لاصطلاح الأسر التى ترأسها المرأة ، والإيهام بأنها تعنى الأسر التى تقوم على رابطة الزوجية ، وغاب ـ أو انفصل ـ عنها الزوج لأى سبب كان ، مع أن المعنى المراد فى برنامج مؤتمر السكان والتنمية ومشروع برنامج بكين له مدلول آخر .

وكذلك الأمر بالنسبة لذكر التقرير لمشروع الوالدية دون إيضاح أن برنامج مؤتمر السكان ومشروع برنامج بكين يوهمان فى استعمال ذلك المصطلح معنى آخر يتعلق بمفهوم وقضية النوع .

ثانيا : الورقة المقدمة من أ.د سامية الجندى :

وهى أستاذ بجامعة الأزهر ، والورقة عبارة عن بحثين : أحدهما : بعنوان (المرأة المصرية والعملية التعليمية) والآخر بعنوان : (دور المرأة فى الوعى البيئى وترشيد استهلاك الموارد البيئية) ويغلب على الجزء الخاص بالتعليم السرد التاريخى والإحصائى الذى **لا علاقة له بما يرمى إليه مشروع برنامج بكين من استخدام التعليم وسيلة لتحديد النسل .**

أما الجزء الخاص بالبيئة فقد تعرض لما رآه أهم المشكلات البيئية فى مصر وأثرها على الأسرة والمرأة والطفل ، وانتهى إلى توصيات بعضها عام والآخر قال : إنه يهدف إلى تعزيز دور المرأة فى الوعى البيئى ، وترشيد استهلاك الموارد البيئية ، ودور الطلاب والطالبات ، وكذلك الإعلام فى حماية البيئة والوعى البيئى ، ويلاحظ على البحث أنه يستخدم نفس عبارات ومفاهيم برنامج عمل مؤتمر السكان والتنمية ، ومشروع برنامج بكين مما أوقعه فى حومة تبنى نظرتها فى التشخيص والعلاج ، وباعد بينها وبين وجهة النظر الإسلامية ، وما تأمر به التقاليد التليدة ، ودفعه إلى تجاهل ما يتصل بالواقع المصرى الحقيقى لبعض المشكلات كمشكلة توزيع السكان فى مصر وعلى الأخص فى الوادى الجديد وسيناء .

ثالثاً : الورقة المقدمة من أ.د.تيسير محمد مندور :

الأستاذ بكلية الطب بنات جامعة الأزهر ، وهى بعنوان (الطريق إلى بكين .. فى إطار الشريعة الإسلامية رؤية دينية لتعزيز مكانة المرأة ومفهوم النوع) .

وقد اشتمل البحث على أربع نقاط أعطيت لها العناوين التالية :

١ ـ لماذا قضايا المرأة بالذات ؟

٢ ـ لماذا ربط قضايا المرأة بالتنمية المستديمة ؟

٣ ـ لماذا قضايا المرأة في إطار الشريعة الإسلامية ؟

٤ ـ لماذا المساواة والإنصاف مع التنشئة بين الصبيان والبنات ؟

وقد اتجه البحث كما هو مشار إليه في عنوانه إلى تبنى نفس الأفكار التي رددها مشروع برنامج مؤتمر بكين خاصة مع ما ينطوى عليه من مجافاة لمبادىء التشريع الإسلامى ، وسائر التشريعات السماوية ، وأكد المعنى الذى يراد فهمه من كلمة (نوع) (صفحات ٥ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٣) مرتكزا على ذات الأفكار التى يشيعها المشروع عن الأسرة ، ومن الاستدلال على ما يدعم هذا المشروع بأحاديث ضعيفة لا تؤدى إلى ما سيقت له ، وهو فضلا عن الأخطاء في الآيات القرآنية ، فإنه نسب أثراً إلى الرسول ﷺ (ص ٤) في ذات الوقت الذى نسبه نفسه إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه (ص ١٣) .

رابعـــاً :

الورقة المقدمة من الأستاذة منى ذو الفقار المحامية ، ورئيس اللجنة القومية للمنظمات غير الحكومية للسكان والتنمية . وقد اشتملت الورقة على أربعة أجزاء .

أحدها : (عن الطريق من القاهرة إلى بكين) تتحدث فيها عن تجربة مؤتمر السكان والتنمية الذى انعقد في القاهرة عام ٩٤ ، وعن كيفية الإعداد له ، وإسناد المسئولية الإدارية لإحدى الشركات الخاصة ، ثم علاقة المنظمات غير الحكومية بالحكومة ، ونبذة تاريخية عن هذه المنظمات ، وعن دورها في متابعة تنفيذ برنامج العمل الصادر عن المؤتمر الدولى للسكان والتنمية .

ثانيها : عن متابعة تنفيذ برنامج العمل الصادر عن المؤتمر الدولى للسكان والتنمية في سبتمبر ٩٤ ، وعن العلاقة التبادلية بين السكان والنمو الاقتصادى والتنمية المتواصلة ، ثم العدالة والمساواة وتعزيز مكانة المرأة في المجتمع كهدف وشرط أساسى للتنمية المتواصلة ، ثم حقوق ودور الأسرة : تكوينها وتنظيمها نمو التركيب السكانى ، الحقوق والصحة الإنجابية ، والتنمية ، ثم خطة العمل القومية والتعاون الدولى .

ثالثها : عن المرأة وصنع القرار ، المرأة وقضايا التنمية البنيان القانونى والتشريعات ، برنامج التدريب للمرأة المرشحة ، ثم دور المرأة في الجمعيات الأهلية بمصر ، ونبذة تاريخية عنها .

رابعها : يتناول صورة المرأة في الإعلام ، والنماذج النمطية للمرأة ، المرأة والسينما ، التنميط ، التقويض الأخلاق ، التواطؤ ، الإبقاء على وضع المرأة كتابع للرجل ، ثم صورة المرأة في التليفزيون ، وينتهى البحث باستطلاع رأى المشاهدين ، ثم عرض لوثيقة الزواج الجديدة ، **والبحث يتناول في كل هذه الموضوعات تبنى عبارات ومفاهيم وثيقتى مؤتمر السكان والتنمية ، ومؤتمر المرأة دون أية مراعاة للجانب الدينى أو لتعاليم الإسلام خاصة في مطالبتها بتعميم مفاهيم الصحة الجنسية والتعليم**

الجنسى ، والمساواة فى الميراث (الجزء الثانى ص ٣) وإجازة الإجهاض مادام آمنا (الجزء الثانى ص ٤) .

خامساً : ورد للجنة اليوم عدة أوراق بيانها كالآتى :ـ

١ ـ (الفقر والنساء المعيلات لأسر ، الإبعاد وسبل المواجهة) إعداد : الأستاذة الدكتورة نادية حليم سليمان .

٢ ـ صحة المرأة المصرية من نيروبى إلى بكين ١٩٨٥ ـ ١٩٩٥م .
للدكتورة سلمى جلال .

٣ ـ (عدالة تعليم الفتيات . قضاء على الفقر ومكافحة الأمية ، وكذلك (التعليم الأساسى للفتيات ومحو أمية المرأة فى مصر ، تصور أولى) كلاهما للدكتورة / ناهد رمزى .

٤ ـ (مجموعة عمل المنظمات غير الحكومية إعداد الأستاذة نازلى الشربينى) .

٥ ـ (ورقة عمل حول تعزيز المشاركة السياسية للمرأة) للدكتورة سلوى شعراوى جمعة .

٦ ـ (صورة المرأة فى وسائل الإعلام) للأستاذة هدى الصده .

٧ ـ (ورقة عمل لمناقشة إطار فكرى لقضايا المرأة) للدكتورة / هدى بدران .

٨ ـ (بعض آثار الإصلاح الاقتصادى والتكيف الهيكلى على المرأة فى مصر) للدكتور / أحمد حسن إبراهيم .

ومجمل هذه الأوراق يسير فى اتجاه وثيقة مؤتمر المرأة فى بكين وتغفل ما ورد بالوثيقة من جوانب النقص الخطيرة مثل الجانب الأخلاق ، وجانب التدخل فى شئون الدول ، وإهمال الجانب الدينى ؛ بل تنظر إلى الدين على أنه عائق ضد تحقيق ما ترمى إليه تلك الأوراق .

وتدعو بعض تلك الأوراق إلى تبنى فكرة المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة ، والمطالبة بعمل المرأة بالجيش والشرطة فى إطار تلك المساواة التامة التى ينادى بها مما يجدر معه التنبيه إلى ضرورة مراعاة مبادىء الشريعة الإسلامية ، والتحفظ على جميع ما يخالفها فى نصه أو مفهومه ، باعتبارها المعيار الذى نقيس به الأمور ، ونقوم به الأفكار ، وهو الأساس الرئيسى فى مقومات المجتمع المصرى وسائر المجتمعات الإسلامية .

وقد خلصت اللجنة إلى أن الأوراق المقدمة ـ باستثناء تقرير مصر ـ لا تعبر عن روح مصر الإسلامية ، ولا عن تقاليدها الراسخة وهى بعيدة عن الدين .

تحريرا فى ١٤١٦/٣/٢٢هـ ـ ١٩٩٥/٨/١٩م .

عتاب ونداء من الأزهر الشريف

أين حقوق الإنسان يا بني الإنسان؟

توالت الأنباء بسقوط جيب (سربينتسا) ومنطقة « جيبا » في البوسنة والذي كان في حماية الأمم المتحدة ، وأن القوات الصربية تقوم بأكبر عملية تطهير عرق شملت نحو أربعمائة ألف إنسان مسلم ، فتدفع بالأطفال والنساء والعجائز إلى خط النار وتجبرهم على السير على الأقدام لمسافات طويلة تزيد على عشرة كيلو مترات باتجاه المناطق التي تسيطر عليها القوات المسلمة .

وأضافت الأنباء أن منظمات الإغاثة الدولية شهدت الصرب وهم يحتجزون الرجال والنساء المسلمين ، وعلى نحو ما أذيع ونشر في الصحف والمجلات والإذاعات والتلفاز من سوء التعامل .

ولقد سارعت مصر إلى الدعوة إلى تدخل دولي لوقف التطهير العرق الذي يجريه الصرب ، وإنه لمن المؤسف حقاً هذا السلوك الذي تلوذ به بعض الدول ، الأمر الذي أسقط كل هيبة لها لدى تلك العصابات الصربية ، وهذا واقع فطالما تحدثت تلك الدول ، كل عن نفسه ، كما تحدث اتحادها وبرلمانها عن التدخل ولم تقدم عليه ، بل لاذت بالصمت ، وكأن هذا الإهدار لكل مقومات دولة عضو في الأمم المتحدة ، وشعبها والاستهانة بالمقومات الإنسانية وحقوق الإنسان ، كأنَّ هذا لا يعني تلك الدول العظمى ذات الحول والطول ، فقد صمت آذانها عن أن تسمع دوى المدافع بجوارها وصراخ النساء والأطفال تلهى بها أولئك الذين صدَّقوا أن هذا العالم اليوم إنساني يسعى للسلم والسلام واحترام حقوق الإنسان ، وغفل هؤلاء عن تلك المؤسسات المعاصرة التي قامت ليفرض الكبار سلطانهم على الضعفاء من الشعوب الإنسانية ، مع الإصرار على الإعلان الدائم على أن حقوق الإنسان مرعية فيما يتعلق ببعض الشعوب ومحرمة على غيرها .

لقد صدق (وقليلاً ما يصدق ويقول الحق أحد الأقوياء) ذلك المقال الخطير الذي نشره عالم الاجتماع الفرنسي « جان بودريار » في جريدة ليبراسيون الفرنسية في ١٩٩٥/٧/٣م ونوهت عنه الأهرام المصرية في عددها الصادر في ١٩٩٥/٧/١١م ، حيث قال هذا الكاتب الفرنسي : عارضاً ومقرراً وجهة نظر تختلف كثيراً مع كل ما يكتب في الغرب عن العلاقة مع الإسلام ، إذ قال : « إن المثقفين في فرنسا وأوروبا يعترفون بأن الصرب هم الجانب المعتدى وأنه ما زال في الغرب من يملك

شجاعة الإفصاح بكلمة منمقة تُخفي حقيقة لا جدال فيها وهي العداء للإسلام في أوروبا ورفضهم إياه ، اتباعاً لتيارات تاريخية وثقافية ودينية ، وإن التيارات الغالبة في أوروبا الآن « هي بسط تجربة الغرب الحضارية وإلزام كافة الشعوب بها ، وفي كافة مناطق العالم ، وإن هذا الهدف قد أصبح مسيطراً على عقول كبار ساسة الغرب » .

فهل استمع الغربيون لهذا الكاتب وأنصفوا حقوق الإنسان المسلم من أنفسهم ؟

أو إنهم لم يصدقوا ، بل لم يعدلوا ، فقد أمدوا الصرب بالأسلحة الثقيلة القاتلة والمخربة وحرموا البوسنيين من إمدادات الأسلحة ليدافعوا بها عن أنفسهم ، فهل مع هذا يرجى من هؤلاء أنصاف ؟

أرأيتم أيها الناس في كل مكان ، كيف شهد من أهل الغرب ـ شاهد من أهلها ـ وأفصح عن تلك النوايا ، لقد جاء في مقاله : « أن الغرب يلقى على الصرب بعض قنابل الدخان ولكنه لم يتدخل بصورة حاسمة ضدهم نظراً لأنهم يقومون بالعمل الذى يقوم به الغرب ، وأضاف أنه لو حصل تدخل فسيكون ضد المسلمين ، وأن فكرة التدخل السريع لو أنشئت فستكون في غاية الفعالية لمواجهة أي تحرك من جانب مسلمي البوسنة . وأضاف أنه لولا هذا التحالف بين الغرب والجانب الصرفي لانتهت الحرب في يوغوسلافيا السابقة منذ زمن طويل . وأضاف أن الغرب يواجه الصرب بليونة لم يفعلها مع صدام حسين خلال حرب الخليج ، أو الحرب الإيرانية العراقية ، لأن واقع الأمر أن الغرب يناهض أي ثقافة تتعارض مع نظام دولي يريدون فرضه على الجميع .

أرأيتم أيها المستضعفون في الأرض ، أيتها الشعوب المغلوبة على أمرها ، والتي لم يسبق لها أن فرطت في أرضها وعرضها وكرامتها .

أرأيتم أنهم باعوا لكم السلاح لتتقاتلوا وتشغلوا بالانفجارات الداخلية فيما بينكم ، وبتأليب الفئات التي لا تعرف قيمة الوطن على شعوبها وحكوماتها ، بدلاً من السعى إلى الإعمار والإنتاج واستثار موارد أوطانكم لصالح شعوبكم .

أرأيتم أن العالم المتحضر لا يرى الإنسانية إلا في شعوبه وعلى أرضه وأن ممثلي شعوب العالم الثالث ليسوا إلا تكثيراً للعدد في الأمم المتحدة ، وليلتزموا بقرارات الكبار المسيطرين التي تصدر في مواجهة المستضعفين المساكين .

أين المؤسسات الدولية لهذا العالم الثالث ؟ وأين أولئك الذين لهم في سياسات العالم شأن وكيان ، أين الصين الصديقة ؟ وأين اليابان ؟ وأين كل النمور في الشرق ؟ أين هؤلاء ليقيموا موازين العدل حتى تستقيم ؟

إن الأزهر الشريف ليأسف ويأسى أشد الأسى لما حدث ويحدث في البوسنة من الصرب ، ويأسف لما يحدث في بلاد الشرق ، وفي البلاد الإسلامية من انفجارات داخلية ، ومن سعى بعض الحكومات لشغل جيرانها بقضايا خاسرة لا تفيدها ، بل تؤول عليها بالخسران .

ويدعو الأزهر الشريف تلك المؤسسات الدولية أن تتخذ الإجراءات الفورية لوقف هذا العدوان على البوسنة ، وخروج القوات المعتدية من الأراضى التى احتلتها ، وعودة المطرودين إلى ديارهم ، ودعم المغلوبين على أمرهم والمجاهدين للحفاظ على أرضهم (شعب البوسنة) وضرورة رفع حظر وصول السلاح إليهم ، وإتاحة هذا لهم لممارسة حقهم المشروع فى الدفاع عن أنفسهم .

ويقترح دعوة الجمعية العمومية للأمم المتحدة لدورة خاصة لهذا الأمر .

ويتلوا الأزهر الشريف قول الله سبحانه وتعالى فى القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ سورة آل عمران

وبهذا الأمر يكون عليهم أن يثبتوا على أرضهم مهما كانت الصعاب والخسائر ، فخير للمجاهدين الموت على أرضهم من أن يصيروا بلا وطن ، ولا أرض ، ولا عرض ، والإسلام حرم الفرار من الميدان على المقاتلين المسلمين إلا للتحيز إلى فئة مؤمنة مجاهدة .

مرة أخرى يوجه الأزهر نداءه إلى المؤسسات الدولية التى تعلن أنها تلتزم بفرض السلم والسلام فى العالم ، ويقول لهذه المؤسسات ، انقضوا على هذه العصابات الصربية أو انفضوا ، ليعلم المستضعفين فى الأرض أنهم فى العراء لا حماية لهم إلا أنفسهم ، مرة أخرى انقضوا على الظالم فإن بالإسلام قولاً حكيماً يقول : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قيل ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالماً ، قال : تمنعه عن الظلم » ، أما هذا الموقف المتخاذل من تلك المؤسسات والدول ذات القدرات فإنه ناطق بتأييد تلك العصابات وإتاحة المجال أمامها للقضاء على أهل البوسنة لا لأمر سوى أنهم مسلمون ، كما أشار الكاتب الغربى فى المقال المشار إليه .

فهل لمجلس الأمن أن يدعو الجمعية العامة للأمم المتحدة لاتخاذ موقف دولى ناجز لوقف هذه المذابح وحتى لا يسجل التاريخ صليبية أخرى فى عصر التنادى بحقوق الإنسان .

هذا ما ينادى به الأزهر أصحاب الاختصاص فى هذا .

ثم نداء إلى الأمة الإسلامية فى كافة مواقعها ورجاء ، أن يقيموا صلاة الغائب فى المساجد عقب صلاة الجمعة القادمة ، عسى الله أن يرحم الشهداء ، ويؤيد المجاهدين ، ويمدهم بالعزم والحزم والقوة ، ويرد كيد هذه العصابات بمدده وحوله وقوته ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ يوسف الآية ٢١

شيخ الأزهر الشريف

جاد الحق على جاد الحق

قواعد السلوك الاجتماعي في سورة الحجرات

بقلم الفريق / يحيى عبد الله المعلمي •

قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٠ ﴾

يؤكد القرآن الكريم أخوة المؤمنين ووجوب التعاون بينهم على البر والتقوى ، ويدعو إلى المبادرة إلى الإصلاح بين الأخوة فيما قد يقع بينهم من خلاف قبل أن يستفحل ويتحول إلى نزاع وقتال ، ويجعل الإصلاح بين الناس من مظاهر التقوى ، ومن أسباب توقع رحمة الله ـ سبحانه وتعالى .

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ١١ ﴾

يدعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ المؤمنين ـ نساء ورجالا ـ إلى أن لا يسخر بعضهم من بعض فقد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر لشدة تقوى المسخور وأدبه وفضله وحسن خلقه .

ونهى القرآن الكريم المؤمنين عن أن يلمزوا أنفسهم أو يعيبوها وقد يتساءل أحد : كيف يلمز الإنسان نفسه أو يعيبها أو يطلق على نفسه اسما سيئا ، ولكن من يلمز غيره أو يعيبه أو يدعوه باسم سيء ؛ ينبغي أن يتوقع أن يلمزه غيره فيكون قد سعى إلى لمز نفسه لأنه تسبب في أن يلمزه غيره .

ونهى القرآن الكريم المسلمين عن التنابز بالألقاب ، وأن يدعو المؤمن أخاه المؤمن باسم لايرضاه لنفسه حتى ولو كان دالا على صفة أو عاهة فيه ، فلا يقال لذى العين الواحدة : يا أعور ، أو يوصف بأنه أعور مع أنه في الحقيقة كذلك ، ولكن وصفه بذلك قد يسوءه فمن الخير أن لايدعى بها ؛ بل يحسن أن يدعى الإنسان بأحب الأسماء إليه أو بكنيته أو لقبه مالم يكن فيه ما يشينه .

وشر مايوصف به الإنسان أن يُلمز بعيب في دينه أو خلقه أو خِلْقة ، وأشده وصف المؤمن بالفسوق والفجور أو الكفر والإلحاد أو ماشاكل

• عضو مجمع اللغة العربية

ذلك بما يسوؤه ، فمن فعل شيئا من ذلك فعليه أن يتوب إلى الله وأن يعتذر إلى من لمزه أو دعاه باسم يكرهه ، فإن لم يتمكن من الاعتذار إليه مواجهة فليعتذر إلى الله من فعله : أما الإصرار على الذنب فهو ظلم للنفس وتعرض لغضب الله وعذابه .

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

ونهى ـ سبحانه وتعالى ـ عن التجسس على الناس وتتبع عوراتهم . كذلك نهى ـ سبحانه ـ عن الغيبة ، وهى ذكر الإنسان بما يكره ، أو عيبه ، أو وصفه بالسيء من الأوصاف ، وقد يقال : إنه إذا كان الإنسان متصفا بسوء فعلا ؛ فذكر سيئاته ليس غيبة له ، ولكن النبى ﷺ بين أن ذكر مساوىء الإنسان يعد غيبة ولو كان متصفاً بها فعلا ، أما إذا لم يكن متصفا بها فالذنب أكبر لأنه يكون بهتانا وظلما .

أخرج ابو داود عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قيل : يارسول الله ما الغيبة ؟ فقال ﷺ : « ذكرك أخاك بمايكره » قيل : أفرأيت إن كان فى أخى ما أقول ؟ فقال ـ ﷺ ـ : إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ماتقول فقد بهته .

وقد شبه القرآن الغيبة بأكل لحم الميتة ، وبالغ القرآن فى التنفير منها فقال : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا » ؟

فالإنسان يتقزز من لحم الميتة من الحيوان فكيف بأكل جسد إنسان ميت ! وكيف يكون الأمر إذا كان هذا الميت أخاه ؟ لا شك أنها صورة مقززة تنفر منها النفوس وتأباها الطباع .

ويحث القرآن الكريم المؤمنين على التوبة ويطمعهم فى قبول المولى ـ عز وجل ـ لها وشموله التائب برحمته ، ولذلك فعلى من ارتكب الغيبة أن يتوب إلى الله ويعقد العزم على أن لايعود إلى ذلك ، ويمكن أن يعوض عن غيبته بأن يذكر محاسن من سبق له اغتيابه فى المجالس التى اغتابه فيها وذكر فيها مساوئه .

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ .

فى هذه الآية الكريمة يوجه الله ـ سبحانه وتعالى ـ الخطاب إلى الناس كافة لايخص المؤمنين أو المسلمين أو العرب بها ، وإنما يوجهه إلى الناس جميعا على اختلاف أديانهم ومللهم وجنسياتهم وشعوبهم وأحجامهم .

ويذكر الله الناس بأنه خلقهم من ذكر واحد وهو آدم ـ عليه السلام ـ أبو البشر جميعا ، ومن أنثى واحدة هى : حواء أم البشر ، فهم بذلك ينتمون إلى أصل واحد ، ثم يذكر أنه قد قسمهم إلى شعوب وقبائل لا ليفخر بعضهم على بعض فليس لأحد فضل فى اختيار نسبه ، وإنما جعل الله الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا ، أما التفاضل بينهم فله مقياس آخر ليس هو الأصل والنسب ؛ وإنما هو تقوى الله والالتزام بالفضائل واتقاء المساوى :

ويؤكد المولى ـ عز وجل ـ علمه بالناس وأحوالهم وأنسابهم وأنه خبير بأعمالهم وسرهم وعلانيتهم .

قال تعالى :

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

الحجرات / ١٤

يتحدث القرآن الكريم عن قوم من الأعراب أعلنوا الإسلام وظنوا أنهم بمجرد إعلانهم الإسلام قد أصبحوا في منزلة من سبقوهم إلى الإسلام وصاروا مؤمنين وجاهدوا في الله بأرواحهم وأموالهم . وهاجروا إلى الله فأثبتوا بذلك تغلغل الإيمان في قلوبهم والاتصاف بأنهم مؤمنون حقا .

يبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ لهؤلاء الأعراب إنهم مسلمون تشملهم : أخوة الإسلام ، ولكن للإيمان أركانا وقواعد لم تكتمل لديهم ولم تتمكن من قلوبهم ، فالإيمان ليس مجرد كلمة تقال أو دعوى تعلن وإنما هو ـ كما قال العلماء ـ إقرار باللسان وتصديق بالجنان (أى القلب) وعمل بالجوارح (أى أعضاء الجسم) ، وللإيمان ستة أركان هى : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله ، وهذه الأركان والقواعد تحتاج إلى شىء من الوقت ليستشعرها الإنسان فى قلبه ويصرح بها بلسانه ويعمل بها بجوارحه ، ولكن الله مع ذلك لايظلم من دخل فى الإسلام وأقبل على الإيمان ولا ينقصه من أجره شيئا .

قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾

الحجرات / ١٥

يبين الله حقيقة المؤمنين وهم الذين آمنوا بالله ورسوله حق الإيمان وجاهدوا فى سبيل الله وبذلوا أموالهم وأرواحهم بصدق وإيمان .

قال تعالى :

﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾

الحجرات / ١٦

وقد يكون بدا من الأعراب الذين استمعوا إلى الآية السابقة شىء من الاستغراب لوصفهم بأنهم لم يصبحوا بعد مؤمنين ، وهم ليسوا منافقين ، وإنما هم مسلمون مخلصون ، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم أحوالهم ويعلم حسن إسلامهم وصدق توجههم ، فهو العليم بما فى السماوات والأرض بل هو العليم بكل شىء فهو يعرف حالهم وسيشملهم برحمته ويدخلهم فى زمرة عباده المؤمنين بفضله ورحمته .

قال تعالى :

﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

الحجرات / ١٧

روى الحافظ البزار عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ أن قوماً من الأعراب من بنى أسد جاءوا إلى النبى ﷺ فقالوا : يارسول الله أسلمنا وقاتلتك

الناس ولم نقاتلك ، فقال عنهم ـ عليه الصلاة والسلام : إن فقههم قليل ، وإن الشيطان ينطق بألسنتهم . فنزلت هذه الآية فيهم .

وقد أساء هؤلاء الأعراب في خطابهم للنبي ﷺ بعدم مراعاتهم لقواعد الحديث معه ﷺ فمنوا عليه بإسلامهم وعدم قتالهم ؛ فأوضح الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن المنة ـ عليهم ـ لله ؛ لأنه هداهم إلى الإسلام ووجههم إلى الإيمان إن صدقوا في توجههم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

الحجرات / ١٨

وفي ختام هذه السورة المباركة يؤكد ـ سبحانه وتعالى ـ علمه بكل شيء في السماء والأرض وعلمه بكل مايفعله الإنسان أو يضمره في نفسه فهو ـ سبحانه ـ العليم البصير .

الخلاصة

فيما عرضناه من شرح هذه الآيات الكريمة من سورة الحجرات نستطيع أن نلخص ما استفدناه من قواعد السلوك الاجتماعي في النقاط التالية :

١ ـ وجوب التأدب مع رسول الله ﷺ بعدم رفع الصوت حول قبره الشريف احتراما له حيا وفي قبره .

٢ ـ وجوب التأدب مع الرؤساء والعلماء والآباء وكبار القوم بعدم بدئهم بحديث إلا إذا بدأوا فيه أو الاستفسار عن شيء منه .

٣ ـ وجوب التأدب مع الرؤساء والعلماء والآباء وكبار القوم بعدم التصدي بحضورهم للفتوى في أمور الدين ، أو إبداء الرأي في أمر من الأمور دون أن يطلب منهم إبداء الرأي ودون أن يكون لهم علم بما يتحدثون فيه .

٤ ـ وجوب التأدب مع الرؤساء والعلماء والآباء وكبار القوم بعدم رفع الصوت في حضورهم أو التحدث معهم جهرا فيما يهمسون به من حديث لأن ذلك دليل الطيش والحماقة .

٥ ـ وجوب التأدب مع الرؤساء والعلماء والآباء وكبار القوم بعدم مناداتهم بأسمائهم المجردة دون اقتران بمايدل على الاحترام من لقب أو كنية أو صفة ، بل ينبغي أن ينادي الابن أباه بقوله (ياأبت) مثلا ، وأخاه بقوله : ياأخي ، وغير ذلك من ألفاظ التودد والتحبب .

٦ ـ وجوب التثبت من الأخبار ، وعدم تصديق الإشاعات دون التأكد من حقيقتها ، ووجوب عدم التصرف بناء على الإشاعة أو الخبر الكاذب فقد يؤدي ذلك إلى الخطأ ثم الندم .

٧ ـ وجوب المبادرة إلى الوساطة بين الأخوة المتنازعين ، وحل مايبدو بينهم من خلاف وحل المشكلات بالعدل وتصفية النفوس بإحقاق الحق .

٨ ـ وجوب السعي في الصلح بين الأخوة المتنازعين وإزالة أسباب الخلاف حتى لايتحول إلى نزاع وقتال .

٩ ـ وجوب الأخذ على يد الباغي والمعتدي والظالم ، أو الذي لايقبل الصلح أو ينقضه بعد قبوله ، ولو أدى ذلك إلى قتاله لإجباره على قبول الصلح .

١٠ ـ النهي عن السخرية والاستهزاء من بعض الناس ببعض رجالا أو نساء .

١١ ـ النهى عن الهمز والفخر وتبادل السباب والاتهامات بما يخل بالدين أو الشرف والمروءة .

١٢ ـ النهى عن التنابز بالألقاب وتسمية الإنسان باسم لايحبه أو باسم يدل على صفة غير محببة فيه ، أو على عاهة ابتلى بها ، حتى لو كانت الصفة أو العاهة منطبقة عليه .

١٣ ـ النهى عن إساءة الظن واتخاذ ذلك قاعدة مطلقة ، فبعض الظن أثم وبعضه قد يكون ضروريا لاتقاء الشر أو الابتعاد عنه .

١٤ ـ النهى عن الغيبة وذكر الإنسان بما يكره ولو كان ذلك فيه فإن لم يكن فيه ، فإن ذكره بما يكره يكون بهتانا وظلما .

١٥ ـ النهى عن التفاخر بالأنساب فليس للإنسان فضل فى نسبه وإنما فضله فى عمله الصالح ، وهذا النهى موجه إلى الناس كافة : المسلم والكافر والعربى والأعجمى .

١٦ ـ وجوب التريث فى إعلان الإتصاف بصفة قبل أن تتحقق شرائطها ومميزاتها فلا يسمى طالب الطب أو الصيدلة (دكتورا) ولا طالب الهندسة (مهندسا) قبل أن يكمل تعليمه وينال الشهادة التى تخوله الإتصاف بهذه الصفة ..

١٧ ـ الإيمان التام بأن الله يعلم كل شيىء من أحوال الناس وأمورهم ماخفى منها ومابطن وأنه العليم بنياتهم وسرائرهم .

وبعد :

فهذه رسالة وجيزة لما ظهر لى من فوائد سلوكية فى سورة الحجرات أقدمها إلى القارىء راجيا أن ينفع الله بها والله الموفق .



ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن

بقلم د. محمود سالم الخطيب

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال :

قام رسول الله ﷺ بالخيف من منى فقال :

نضّر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها ، ثم أداها إلى من لم يسمعها ، فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه .

ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن : إخلاص العمل ، والنصيحة لولى الأمر ، ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تكون من ورائهم ، ومن كانت الدنيا همه نزع الله الغنى من قلبه ، وجعل فقره بين عينيه ، وشتت الله عليه ضيعته ، ولم يأته من الدنيا ألا ما رزق .

وفى رواية أخرى :

إلا ماكتب له ، ومن كانت الآخرة همه جعل الله الغنى فى قلبه ونزع فقره من بين عينيه ، وكف عليه ضيعته ، وأتته الدنيا وهى راغمة .

معانى المفردات

[نضّر] قال الخطابى فى (معالم السنين)[1] : يقال بتخفيف الضاد وتثقيلها ، وأجودها التخفيف وكذلك قال بهذا ابن العربى فى شرحه لجامع الترمذى[2] وابن الأثير فى (جامع الأصول)[3] .

فالفعل يأتى مشدداً ومخففاً ، واختلف اللغويون فى أيهما أكثر ، وأما معنى النضرة كما قال فى القاموس[4] : النضرة أى النعمة والعيش والغنى والحسن ، وقال الرامهرمزى فى كتاب (المحدث الفاصل) : يحتمل المعنى وجهين .

أحدهما : يكون فى معنى ألبسه الله النضرة ، وهى الحسن ؛ فيكون معناه جمله الله وزينه .

والثانى : أن يكون بمعنى أوصله الله إلى نضرة الجنة ، وقال تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ ـ المطففين ٢٤ ـ وكما قال : ﴿ وَلَقَّٮٰهُمْ

(١) ١٨٧/٤
(٢) ١٢٤/١٠
(٣) ١١٨/٩
(٤) ١٤٣/٢

نضرةً وسروراً ﴾ ـ الإنسان ١١ ، وقال أبو بكر ابن العربى : هذا دعاء من النبى ﷺ لحامل علمه من نيل فضل الله وبركته .

وعلى هذا فيكون أهل الحديث أحسن الناس هيئة فى الدنيا وحالاً فى الآخرة ؛ بسبب إبلاغهم للناس الحديث ، ودعوة النبى ﷺ لهم بالنعمة والنعيم فى الدنيا ورفعة القدر فى الآخرة .

وقوله [امرءًا] المراد بهذا اللفظ الإنسان فيشمل الرجل والمرأة ، فالمرأة داخلة فى هذا الفضل إذا بلغت النساء ما تعرفه من حديث رسول الله ﷺ وحسبنا السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ والتعبير بالرجال فى بعض المأمورات أو المنهيات جرىٌ على الغالب ؛ فهو ـ أى التعبير ـ شامل للرجال والنساء ، ولا يخصص ألا بقرينه وقوله [مقالتى] يشمل سماعها منه ﷺ مباشرة كالذى حصل للصحابة الكرام ـ رضى الله عنهم ـ ويشمل سماعها من غيره كالذى حصل لمن بعدهم ؛ فإن هذه الدعوة النبوية الميمونة تشمل الصنفين معا ، وقد ورد فى بعض الطرق [سمع منى حديثاً] وفى بعضهما [سمع منا حديثا] ، وقد ورد فى بعض الروايات [سمع منا شيئا] وهو شامل لأقواله ﷺ وأفعاله وتقريراته .

والمعنى : سمع منى أو أصحابى أو ممن جاء بعدهم حديثاً من حديثى .

وقوله [ووعاها] فى القاموس[٥] : وعاه يعيه حفظه وجمعه .

وفى جامع الأصول[٦] وعيت الشىء أعيه : إذا حفظته وفهمته ، وفى النهاية لابن الأثير قوله [رب مبلغ أوعى من سامع] .. قال : و(رب) حرف جر ، أو غير جر ، خلاف بين النحويين كما فى (مغنى اللبيب)[٧] وهل هى للتقليل أو للتكثير ؟ يحتمل الوجهين ؛ فإذا لاحظنا أن عدد الصحابة الذين سمعوا هذا الحديث من رسول الله ﷺ فهم قلة بالنسبة لباقى المسلمين إلى آخر الزمان ، وإذا لاحظنا دقة الصحابة فى حفظهم الحديث عن رسول الله ﷺ وتبليغهم كما سمعوه من غير نقص ولا زيادة فهى للكثرة ، وهى محتملة للمبلغين كما ذكره الحافظ ابن حجر بتصرف[٨] .

وقوله [مُبَلَّغ] بفتح اللام . اسم مفعول وهو الذى أُدِّىَ إليه ، وأُوصِلَ إليه وقوله [وأوعى له] أى احفظ للحديث وأفهم وأضبط وأتقن له .

وقوله [من سامع] أى ممن سمعه أولا ، ثم أبلغه إلى غيره .

وقوله [« فرب حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه] المراد بحمل الفقه : العلم به .

والمراد بالفقه : فهم الحديث كما فى هذا الحديث .

قال الحافظ بن حجر[٩] : يقال فقه بضم القاف : إذا سار الفقه سجية له ، وبفتح القاف إذا سبق غيره للفهم وفقه بكسر القاف إذا فهم من الفتح ، وقال ابن الأثير فى (جامع الأصول)[١٠] الفقه : العلم والدراية فى الأصل ، وقد جعله العرف خاصا بعلم الشريعة وخاصة بعلم الفروع ، فإذا قيل : فقيه ، علم أنه العالم بعلوم

(٥) ٤٠٠/٤
(٦) ١١٨/٩
(٧) ١١٨/١
(٨) فتح البارى ٥٧٦/٣
(٩) ١٦٤/١
(١٠) ١١٦/٩

الشرع ، وإن كان كل عالم بعلـــم فقيها . [بتصرف] .

وقوله : (ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم) بكسر الغين وضم الياء وفتحها :

فعلى ضم الياء هو من الإغلال الذى هو من الخيانة .

وعلى فتح الياء هو الحقد .

ومعنى هذه الجملة : (لا يغل) ـ كما قال التوربشتى : لا يخون فى هذه الأشياء الثلاثة ولا يدخله ضغن يزيله عن الحق حين يفعل شيئاً من ذلك ،

وقال الزمخشرى[11] إن هذه الخلال الثلاثة الآتية يستصلح بها القلوب ، فمن تمسك بها طَهُرَ قلبه من الغل والفساد والخيانة والشر .

وقوله : (إخلاص العمل لله) معناه ـ قال صاحب القامـــوس[12] : وأخـــلص لله : ترك الرياء ، وإخلاص العمل لله أن يفعل المسلم العمل خالصا لوجه الله وهو أحد الركنين الذين انبنى عليهما الدين الإسلامى .

والركن الثانى : تجريد المتابعة للرسول ﷺ .

(والنصح لأئمة المسلـــمين) وفى بعض الطرق : (والنصح للمسلمين) وهذا يبين ما يجب على المسلم للمسلمين عامهم وخاصهم وقد جمع ﷺ بينهما فى الحديث الذى أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث أبى رقية تميم بن أوس الدارى ـ رضى الله عنه ـ حيث قال : « الدين النصيحة . قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ـ عز وجل ـ ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم » وقال ابن حجر[13] قال المازرى : النصيحة مشتقة من نصحت العسل ـ إذا صفيته ـ يقال نصح الشيء إذا خلص ، ونصح له القول إذا أخلصه له (من الفتح بتصرف) .

وقوله (ولزوم جماعة المسلمين) أى موافقتهم فى العقيـدة ، والعمـــل الصالح ، والحذر من مفارقتهم .

وقوله : (فإن دعوتهم تحيط من ورائهم) أى أن دعوة المسلمين تحدق بهم وتحفهم من جميع جوانبهم ، فمن لازم الجماعة كان له نصيب من دعوات المسلمين الصادرة من أفرادهم لعمومهم .

المعنى العام للحديث

لقد من الله على عباده ببعثة سيدنا محمد ﷺ ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويبدل جهلهم علما ، وخوفهم أمنا ، وما ترك خيراً إلا أرشدهم إليه وأمرهم بالتمسك به ـ كما فى هذا الحديث ـ ففى مسند الإمام أحمد[14] عن أبى ذر قال : لقد تركنا محمد ﷺ وما يحرك طائر جناحيه فى السماء إلا أذكرنا منه علما ، وقد أمرنا ﷺ بالأخذ منه والتلقى عنه ؛ فقال [صلوا كما رأيتمونى أصلى][15] وقـــال : (خذوا عنـــى مناسككم) رواه مسلم فى الحج . .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالنسبة لمن يبلغ عنه : (بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[16] ، وقد ثبت أن النبى ﷺ قال هذا الحديث ـ وهو يخطب بمنى بمسجد

---

(١١) الفائق للزمخشرى

(١٢) ٢/٣٠١

(١٣) فتح البارى ١/٦٣٨

(١٤) ٥/١٥٣

(١٥) البخارى

(١٦) المرجـــــع الســـابـــق

الحنيف ، فسمعه منه كثير من الصحابة ـ فيعتبر متواتر ، فهو يخبر أن من بلّغ أحاديثه ، وما سمعه منه ، وما علمه منه من قول وفعل أو تقرير وإبلاغه : كل من يمكن إبلاغهم من الناس فى أى زمان ، سواء كان المبلغ يعرف ما يقوله له فيزداد فهمه لما يعلمه ، أو كان المبلغ لا يفقه ؛ فيتفقه فى الدين ، ويعلم أوامره ونواهيه ، وكل ما يتعلق به فيثاب المبلغ على تبليغه ويجازى المبلغ على عمله بما أخبر به ، والنبى ﷺ يدعو لمن قام بهذا الإبلاغ بنضارة الوجه ، وعلو الجاه فى الدنيا ، وبحسن الدرجات والجنة فى الآخرة ، فلا ييأس الدعاة من نشر تعاليم الإسلام ، والتبشير بها حتى لو تحملوا المشاق فى ذلك ، وحسبهم فضلا وبركة دعاء النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لهم بالخير ، وإنما دعا النبى ﷺ لمبلغى سنته بهذه الدعوة التى هى حصول النضرة جزاء لهم على إرشادهم فى هداية الخلق ، وإرشاد الناس إلى الخير الذى به تبيض وجوههم (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) ،

ولما كانت الدعوة تحتاج فى نشرها وتبليغها للناس ، خالية من الرياء والسمعة ، مع بذل الجهد والتضحية فى سبيلها بكل مرتخص وغال ؛ عقب النبى ﷺ هذه الجملة بالإخلاص لله ـ وحده ـ فى العمل ؛ فالواجب على كل مسلم وداعية أن يجعل عمله كله خالصا لوجه الله ـ تعالى

وقال ـ تعالى :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾(١٧)

وكما قال ـ صلوات الله وسلامه عليه : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليــه » رواه البخارى .

وكذلك أرشدنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى الأخذ بالنصحية ، والنصح لكل الناس : مسلمهم وغيره فينصح المسلم بما يرشده للعلم إن كان يبتغى علما ، وينصح الإمام بما فيه مصلحة الأمة ـ ولا يدخر فى نصحه خيرا ، وقد قال ـ كل من الإمام أحمد بن حنبل والفضيل بن عياض ـ رضى الله عنهما : (لو كانت لى دعوة مجابة لادخرتها للسلطان) زاد غيرهما : إذ بصلاحه صلاح الرعية

روى الشيخان عن جرير بن عبدالله البجلى ـ رضى الله عنه ـ قال : [بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم] هذا ، وتقييد النصيحة لكل مسلم جرى على الغالب ، وإلا فالنصيحة واجبة لغير المسلمين بأن يعرض عليهم محاسن دين الإسلام ويرغبهم بالدخول فيه فيقيهم من النار ، إذا قبلوا نصيحته .

وكذلك حثنا الرسول ﷺ فى هذا الحديث : على لزوم الجماعة ، وحذرنا من الفرقــة ؛ يقول ـ عليه الصلاة والسلام : « ما من ثلاثة فى قرية ولابدو لا تقام فيهم الجماعة إلا تحوذ عليهم الشيطان ؛ فعليكم بالجماعة ؛ فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » رواه مسلم وأبو داود ومعنى : (تحوذ عليهما أى غلب حبه عليهم والعياذ بالله ، ومعنى : (القاصية) : البعيدة

(١٧) سورة البينة آية رقم ٥

والمراد : المفارقة للجماعة ، وقال ، ــ عليه الصلاة والسلام ــ فى فضل صلاة الجماعة : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ سبع وعشرون درجة » رواه البخارى ومسلم .

ومن الواضح أن الحديثين وردا فى صلاة الجماعة ، والصلاة متكررة فى اليوم ، مشتملة على العقائد والأخلاق ؛ فكلما أداها المسلم فى جماعة كان محافظا على كيان الأمة

والمعنى : أن دعوة المسلمين تحدق بهم وتحفهم من جميع جوانبهم فمن لازم الجماعة كان له نصيب فى دعوات المسلمين الصادرة من أفرادهم لعمومهم(١٨) .

وقوله : « ومن كانت الدنيا همّهُ نزع الله الغنى من قلبه ، وجعل فقره بين عينيه ، وشتت الله عليه ضيعته ، ولم يأته من الدنيا إلا ما رزق » .

وفى رواية « إلا ما كتب له » .

ثم أراد الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ أن يؤكد على أهمية الإخلاص فى كل الأعمال ، وهو المذكور فى الجملة الأولى ، فذكر هذه الجملة .

والمعنى : أن الإنسان الذى يعمل أى عمل ــ ومنه تبليغ الحديث وغيره ــ يجب عليه أن يمحض عمله لله ، ويجعل غايته الآخرة ، ولا يكون هدفه للدنيا ، فالذى يجعل الدنيا غايته لا يستقر على حال من القلق ولا تسكن له نفس ، ولا يطمئن له قلب ، فهو ــ وإن أجهد نفسه وأتعبها فى الحصول على الرزق ، وجعل الدنيا همه ــ لن يأتيه إلا ما قدر الله له .

وليس معنى هذا أن الإنسان يتواكل ، أو يتهاون فى العمل ، وفى التكاليف التى كلّفهُ الله بها ، ويجعل الدنيا وراء ظهره ، ويحرم على نفسه الطيبات ، ولكن المقصود : أن لا تستولى عليه الدنيا وتسيطر على أعماله . فليكن شعاره فى ذلك قول الله ــ تعالى : ــ

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾(١٩)

وقوله : « شتت الله عليه ضيعته » قال فى النهاية : الضيعة فى الأصل المَرَّةُ من الضياع بفتح الضاد مشددة ، وضَيْعَةُ الرجل فى غير هذا ما يكون منه معاشة كالصنعة والتجارة والزراعة ــ وغير ذلك(٢٠) .

وقوله : « ومن كانت الآخرة همه جعل الله الغنى فى قلبه ، ونزع فقره من بين عينيه ، وكف عليه ضيعته ، وأتته الدنيا وهى راغمة .

ولمّا ذكر رسول الله ﷺ جزاء من لم يخلص فى عمله مطلقا فى الجملة السابقة ناسب أن يذكر جزاء من جعل الآخرة غاية له ، وهدفا لكل أعماله ، وهذا هو الإخلاص ؛ فمن جعل الآخرة نصب عينيه رزقه الله من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب ، وملأ قلبه بالطمأنينة ، ونفسه بالرضا ؛ فمن يراه يحسب أنه غنى لا يسأل الناس ولا يتكالب على رزقه ويرضى بما قسمه الله له فهو غنى النفس مهابٌ عند الناس ؛ لأنه عمل للباقية ولم تغره العاجلة ؛ فهو مستريح دائماً لا يكدر صفو عيشه همّ ولا غم ، ومع ذلك تأتيه الدنيا ، وهى صاغرة راغمة ، فهنيئاً له .

---

(١٨) عن كتاب نضر الله امرءا رواية ودراية ص ١٩٥ عبدالمحسن أحمد العباد .

(١٩) سورة القصص آية رقم ٧٧

(٢٠) من النهاية بتصرف جـ ٣ ص ١٠٨ .

قبس من أنوار النبوة

الصبر على البلايا عاقبته الجنة

لفضيلة الشيخ علي حامد عبد الرحيم

عن عمران أبي بكر قال : « حدثنا عطاء بن أبي رباح قال : قال لي ابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى ، قال : هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت : إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي . قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك . فقالت : أصبر ، ثم قالت : إني أتكشف ، فادع الله لي أن لا أتكشف ، فدعا لها » . رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

من معاني المفردات :

« الصرع : الطرح على الأرض ، وهو علة تكون في الجهاز العصبي وتتميز بنوبات غيبوبة أو تشنجات في العضل . وقد يصاحبها اضطراب عقلي في مراحله الأخيرة .

***

إن الحرص على الفوز بنعيم الجنة ، والنجاة من عذاب النار . ثمنه غال ، وجهوده باهظة ، لكنه في متناول يد الإنسان الذي ينشد السعادة في الآخرة . وهذا شأن من امتلأت قلوبهم إيماناً ، وهانت أمام نواظرهم كل قيم الحياة وزخارفها ، ويبتغون ما عند الله . كما قال ـ سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ التوبة : ١١١ .

ولننظر إلى نماذج من هؤلاء الذين يطلبون سلعة الله الغالية ، وهي الجنة :

ها هو عمرو بن الجموح[1] ـ وهو رجل أعرج شديد العرج ـ كان له أربعة بنين ـ شباب ـ

(١) زاد المعاد الجزء الثالث ص ١٣٥ .

يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا . فلما توجه رسول الله ﷺ إلى (أحد) أراد أن يتوجه معه ، فقال له بنوه إن الله قد جعل لك رخصة(٢) فلو قعدت ، ونحن نكفيك ، وقد وضع الله عنك . فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن بنيّ هؤلاء يمنعوني أن أخرج معك ، ووالله إني لأرجو أن استشهد فأطأ(٣) بعرجتي هذه في الجنة ؛ فقال له رسول الله : « أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد . وقال لبنيه : وما عليكم أن تدعوه لعل الله ـ عز وجل ـ أن يرزقه الشهادة . فخرج ؛ فقتل يوم أحد شهيداً » .

كذلك جاء رجل(٤) من الأعراب إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه فقال : أهاجر معك ، فأوصى به بعض أصحابه ؛ فلما كانت غزوة خيبر غنم النبي ﷺ شيئاً فقسمه ، وقسم للأعرابي ؛ فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم(٥) فلما جاء دفعوه إليه ؛ فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك رسول الله . فأخذه ، فجاء به إلى النبي فقال : ما هذا يا رسول الله ؟.. قال : قسم قسمته لك . قال : ما على هذا اتبعتك ؛ ولكن اتبعتك على أن أرمى هاهنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم فأموت فأدخل الجنة . فقال : إن تصدق الله يصدقك . ثم نهضوا إلى قتال العدو فأتى به النبي ﷺ وهو مقتول : فقال : أهو هو (وجدت إصابته حيث أشار) قالوا نعم . قال : صدق الله فصدقه .

وقال رسول الله ﷺ يوم بدر : قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض ؟ فقال عمير بن الحمام : يارسول الله جنة عرضها السموات والأرض . قال : نعم ، قال : بخ بخ قال : فقال رسول الله ﷺ ماحملك على قولك بخ بخ ؟ قال : لا والله يارسول إلا رجاء أكون من أهلها . قال : فإنك من أهلها . فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهم . ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة فرمى بما معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل » رواه مسلم



وحديثنا يصور كيف بعث الإيمان بالله ـ عز وجل ـ في قلوب المسلمين شجاعة خارقة للعادة مدفوعة بالشوق إلى الآخرة ، وكأنما تمثلت لهم الجنة بنعمائها يرونها رأى العين ، فطاروا إليها لا يلوون على شيء من أعراض الدنيا .

هذه امرأة ـ مؤمنة ـ أصابها الصرع . فتختار الصبر عليه حيث تكون من أهل الجنة .

ورد في بعض روايات الحديث عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ أنه قال له : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ فأراني حبشية صفراء عظيمة وقال له : هذه سعيرة الأسدية أتت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ـ إن بي هذه ـ تعني الريح ـ فادع الله أن يشفيني مما بي فقال : إن شئت دعوت الله أن يعافيك مما بك ويثبت لك حسناتك وسيئاتك ، وإن شئت فاصبري ولك الجنة فاختارت الصبر والجنة ، ولم تنس هذه الصحابية الجليلة التي اختارت الصبر ـ ما تتعرض له حين تصيبها أدوار الصرع مما لا تملك فيه نفسها كتكشف أجزاء من جسدها ـ فرجت

(٢) عذراً .
(٣) أمشي وأدوس .
(٤) زاد المعاد جـ٣ ص١٩٠ .
(٥) أي : يحرسهم من خلفهم .

رسول الله ﷺ أن يدعو لها بالستر إذا أصيبت ، فأجابها .

أرأيت لو طرحنا هذا الموقف الجليل على المقارنة بين نهج بعض المسلمات فى وقتنا هذا ، وهن فى تمام العافية يسرن كاسيات عاريات لا يخشون ديناً ، ولا يخجلن من عورة .. كيف بهن إذا أراد الله – تعالى – لهن شيئاً من بلاء .. وكم من بلاء نفر به الأهل من مريضهم ؟ ماذا هن فاعلات .. لعلهن يوددن لو تسترن فى بلائهن ..؟!!!

ترى : كم يخسر الإنسان .. حين يفقد الحياء من الله – سبحانه ؟

والصرع . كما قال ابن القيم – نوعان : .

صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية (الجن) .

وصرع من الأخلاط الرديئة ، وهذا الأخير يتكلم الأطباء فى سببه وعلاجه .

أما صرع الأرواح – مس الجن – فقدماء الأطباء يسمونه المرض الإلهى ، قال – ابن تيمية : « وجود الجن ثابت بالكتاب والسنة . واتفق سلف الأمة وأئمتها عليه – وكذلك ثبت دخول الجن فى بدن الإنسان باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة » .

قال الله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾

البقرة : ٢٧٥ .

وجاء فى الصحيح عن النبى ﷺ : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » .

وقال عبدالله ابن الإمام أحمد : قلت لأبى : إن قوما يقولون : إن الجن لا يدخل بدن المصروع ، فقال : يا بنى يكذبون . هذا يتكلم على لسانه

وعلاج ذلك كما فعل ﷺ فيما روى الإمام أحمد وأبو داود بسنديهما عن أم أبان بنت الوازع بن زارع العبدى عن أبيها : أن جدها الزارع انطلق إلى رسول الله ﷺ بابن له مجنون – أو بابن أخت لى مجنون .. فلما قدمنا على رسول الله ﷺ قال جدى : إن معى ابناً لى – أو ابن أخت لى – مجنون أتيتك به تدعو الله له . قال : ائتنى به ، فانطلقت به إليه ، فقال : أدنه منى واجعل ظهره مما يلينى . قال : أخذ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله فجعل يضرب ظهره حتى رأيت بياض إبطه ويقول أخرج عدو الله ، أخرج عدو الله . فاقبل ينظر نظر الصحيح .. ثم أقعده رسول الله ﷺ بين يديه فدعا له بماء فمسح وجهه ، ودعا له .. فلم يكن أحد فى الوفد بعد دعوة رسول الله ﷺ يفضل عليه .

وهكذا يمكن أن يلجأ المسلم لمن صح دينه وقوى يقينه – ممن يحتسب عمله عند الله – تعالى – ولا يشترط أجراً – لعلاج الصرع ، فيدعو له أو يقرأ من القرآن ما يدفع الجن ، أو يرقيه بما لا يخالف الإسلام من القول . ثم الاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله أولا وأخيراً كأن يقرأ فى أذن المصروع قول الله تعالى :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾

المؤمنون ١١٥

أو بمثل قوله : بسم الله ولاحول ولاقوة إلا بالله .

وفقنا الله لصالح القول والعمل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

الإمام شعبة بن الحجاج بن الورد

للدكتور أحمد السيد أحمد حطيبة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله الذى بعث بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

أما بعد ، فهذه نبذة يسيرة عن سيرة إمام من أئمة الهدى ، وفارس من فرسان الحديث النبوى الشريف ، أفنى عمره فى البحث والحفظ والعلم والعمل لخدمة حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان نبراسا مضيئا ، وعلما من أعلام الهدى يقتدى به ، ألا وهو : الإمام الحجة الحافظ شيخ الإسلام أبوبسطام شعبة بن الحجاج بن الورد الأزدى العتكى - مولاهم - الواسطى - رضى الله تعالى عنه - نزيل البصرة ومحدثها[1] .

مولده :

قال أبوزيد الهروى : ولد سنة ثنتين وثمانين .

شيوخه :

سمع من الحسن مسائل ، وسمع من معاوية بن قرة ، وعمرو بن مرة ، والحكم ، وسلمة بن كهيل ، وأنس بن سيرين ، ويحيى بن أبى كثير ، وقتادة ، وخلق كثير[2] - رحمهم الله - تعالى .

تلاميذه ومن روى عنه :

أيوب السختيانى ، وابن إسحق ، وهما من شيوخه[3] ، وسفيان الثورى ، وابن المبارك ، وغندر ، وآدم ، وعفان بن مسلم ، وأبو داود الطيالسى ، وسليمان بن حرب ، وعلى بن الجعد ، وأمم لا يحصَوْن[4] .

وقال الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) ومن جلالته قد روى مالك الإمام عن رجل عنه ، وهذا قلّ أن عمِلَه مالك[5] .

ثناء العلماء عليه :

قال ابن المدينى : له نحو ألفى حديث .

وكان الثورى يقول : شعبة أمير المؤمنين فى الحديث .

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبى ١ / ١٩٣ .

(٢) راجع تهذيب الكمال للمزى فقد استوعب شيوخه وتلاميذه ١٢ / ٤٨٠ .

(٣) أى هما من شيوخه ، ورويا أيضا عنه .

(٤) راجع أيضا تاريخ الإسلام للذهبى ، وسير أعلام النبلاء له ، فقد نقل من خط الحافظ أبى عبدالله بن منده تلاميذه فاستوعبهم .

(٥) سير أعلام النبلاء ٧ / ٢٠٥ .

وقال أبوحنيفة : نِعْمَ حَشْوُ المِصْرِ هو .

وقال الشافعى : لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق .

وقال أحمد : شعبة أثبت فى الحكم من الأعمش ، وأعلم بحديث الحكم ، ولولا شعبة ذهب حديث الحكم ، وشعبة أحسن حديثا من الثورى ، لم يكن فى زمن شعبة مثله فى الحديث ، ولا أحسن حديثا منه ، قسم له من هذا حظ ، وروى عن ثلاثين رجلا من أهل الكوفة لم يرو عنهم سفيان .

وقال حماد بن زيد : ما أبالى من خالفنى إذا وافقنى شعبة ، فإذا خالفنى شعبة فى شيء تركته .

وقال أبوبكر البكراوى : ما رأيت أحدا أعبد لله من شعبة . لقد عَبَدَ الله حتى جف جلده على عظمه واسود .

قال حمزة بن زياد الطوسى : سمعت شعبة يقول : لو حدثتكم عن ثقة ما حدثتكم عن ثلاثة .

قال أبوقطن : ما رأيت شعبة قد ركع إلا ظننت أنه نسى ، ولا سجد إلا قلت : نسى .

وقال عمر بن هارون : كان شعبة يصوم الدهر .

وقال يحيى القطان : كان شعبة رقيقا يعطى السائل ما أمكنه .

وقال الحاكم فى ترجمة شعبة : رأى أنس بن مالك ، وعمرو بن سلمة ، وجمع من أربعمائة من التابعين ، وحدث عنه من التابعين : سعد بن إبراهيم ، ومنصور بن المعتمر ، وأيوب ، وداود بن أبى هند .

وقال أبوقتيبة : قدمت الكوفة فقال لى سفيان : ما فعل أستاذنا شعبة ؟

وقال ابن المدينى : هؤلاء مشيخة شعبة الذين فاتوا سفيان بالكوفة : إسماعيل بن رجاء ، وعبيد بن الحسن ، والحكم ، وعدى بن ثابت ، وطلحة بن مصرف ، والمنهال بن عمرو ، وعلى بن مدرك ، وسماك الحنفى ، وسعيد بن أبى بردة ، وسَمَّى جماعة .

منهجه وشدة تحريه فى الحديث :

لاشك أن نشأة شعبة وحبه للحديث ، وتفرغه له قد أعانه ـ كل ذلك ـ على طلب الحديث ، والتحرى فيه ، وفى رجاله ، والتفتيش عن الصحيح والجيد ، والبعد عن الضعيف والردىء ، فأبوه من علماء الحديث ، وممن روى هو عنه . كما ذكره المزى فى تهذيب الكمال[6] ، وأمه كانت تحثه على السماع والطلب ، وأخواه قد فرغاه عن العمل ، وكفياه مئونته .

قال ابن سعد فى الطبقات[7] أخبرنا عفان بن مسلم ، قال : حدثنا شعبة قال : قالت لى أمى : ههنا امرأة تحدث عن عائشة ، فاذهب فاسمع منها ، قال : فذهبت إليها فسمعت منها ، ثم قلت لها : قد سمعت منها ، قالت : لا يسألك الله .

قال ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل»[8] . قال وكيع : حدثنا شعبة ، وكان معنيا بالحديث قال : أتيت يَعْلَى بن عطاء فقال : يا هذا خذ حديثى واذهب ، فقلت : لا حتى أحفظه من فيك ، فاختلفت إليه حتى قرع رأسى . (أى مَلَّ منى فضربنى بالمقرعة) .

وقال الشافعى : لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، كان يجىء إلى الرجل فيقول : لاتحدث ،

---

(٦) تهذيب الكمال لأبى الحجاج المزى ١٢ / ٤٨١ .

(٧) ٧ / ٢ / ٣٨ .

(٨) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ٤ / ٣٧٠ .

وإلا استعديت عليك السلطان . قلت : وهذا يدل على شدة حرصه على حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – وخوفه من أن يكذب عليه الكذابون ، فكان شعبة يتهددهم بالسلطان .

وروى الذهبي في (سير أعلام النبلاء) : عن شعيب بن حرب ، سمع شعبة يقول : اختلفت إلى عمرو بن دينار خمسمائة مرة ، وما سمعت منه إلا مائة حديث .

وعن أبي الوليد قال : قال شعبة : كنت آتي قتادة فأسأله عن حديثين فيحدثني ، ثم يقول : أزيدك ؟ فأقول : لا ، حتى أحفظهما وأتقنهما .

قال الحافظ في التهذيب[9] : قال ابن المديني : سألت يحيى بن سعيد : أيما كان أحفظ للأحاديث الطوال سفيان أو شعبة ؟ فقال : كان شعبة أمر فيها .

وقيل – لأبي داود : هو أحسن حديثا من سفيان ؟ قال ليس في الدنيا أحسن حديثا من شعبة ومالك – على قلته – والزهري أحسن الناس حديثا ، وشعبة يخطيء فيما لا يضره ، ولا يعاب عليه ، يعني في (الأسماء) .

قال الذهبي في (التذكرة) : قال أبوالوليد : قال لي حماد بن زيد : إذا خالفني شعبة تبعته ، لأنه كان لا يرضى أن يسمع الحديث عشرين مرة ، وأنا أرضى أن أسمعه مرة .

وقال أبوزيد الهروى : سمعت شعبة يقول : لأن أقع من السماء فأنقطع أحب إلى من أن أدلس .

وقال أحمد بن حنبل : كان شعبة أمة وحده في هذا الشأن ، يعني في الرجال ، وبصره بالحديث .

وقال أبو الوليد الطيالسي : قلت ليحيى بن سعيد : رأيت أحدا أحسن حديثا من شعبة قال : لا . قلت فكم صحبته ؟ قال : عشرين سنة .

وقال علي بن الجعد : سمعت شعبة يقول حدثني أبوإسحق عن الحارث بن الأزمع قال : وجد قتيل في وداعة همدان ، فقلت لأبي إسحق : أسمعته من الحارث ؟ فقال : حدثنيه مجالد عن الشعبي .

قلت : وأبو إسحق هو السبيعي ، واسمه عمرو ابن عبدالله ، وهو ثقة مكثر عابد روى عنه الجماعة ، واختلط بآخرة كما قال الحافظ ابن حجر في (التقريب) ، وذكره ابن حبان في (كتاب الثقات) قال : وكان مدلسا ، وكذا ذكره في المدلسين حسين الكرابيسي ، وأبو جعفر الطبري . ولذلك استوقفه شعبة وسأله عن سماعه لهذا الحديث من الحارث بن الأزمع ، فتبين أن بينه وبين الحارث رجلين ، ولولا سؤال شعبة ما تبين ذلك ، خاصة عند من لم يثبت عنده تدليس أبي إسحق .

وذكر الحافظ في «التهذيب» عن علي بن المديني قول شعبة : وكان أبو إسحق إذا أخبرني عن رجل قلت له : هذا أكبر منك ، فإن قال : نعم علمت أنه لقي ، وإن قال : أنا أكبر منه تركته .

وعن عبدالرحمن بن مهدي قال : قال لي شعبة : أحفظ مائة حديث عن أبي الزبير ، قلت : ولا تذكره ؟ قال : لا أحب أن أذكره .

وذكر الذهبي هذه الرواية في تاريخ الإسلام[10] عن أبي دواد (الطيالسي سليمان بن دواد) وفيها : قال لي شعبة : في صدري أربعمائة حديث لأبي الزبير والله لاحدث عنه .

---

(9) تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني ٤ / ٣٤٥ .

(10) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ الذهبي ٩ / ٤٢١ .

قلت : وأبوالزبير هو محمد بن مسلم بن تدرس وهو صدوق إلا أنه يدلس ، روى عنه الجماعة غير أن حديثه فى البخارى مقرون بغيره . وذكر الحافظ فى (التهذيب) سبب ترك شعبة له ، فقال : قال محمد بن جعفر المدائنى ، عن ورقاء ، قلت لشعبة : مالك تركت حديث أبى الزبير ؟ قال : رأيته يزن ويسترجح فى الميزان . واعترض ابن حبان فى الثقات على ذلك فقال : ولم ينصف من قدح فيه ، لأن من استرجح فى الوزن لنفسه لم يستحق الترك لأجله .

. وقال ابن عدى : روى مالك عن أبى الزبير أحاديث ، وكفى بأبى الزبير صدقا أن يحدث عنه مالك ، فإن مالكا لايروى إلا عن ثقة ، وقال : لا أعلم أحدا من الثقات تخلف عن أبى الزبير إلا وقد كتب عنه ، وهو فى نفسه ثقة إلا أنه روى عنه بعض الضعفاء ، فيكون ذلك من جهة الضعيف .

وذكر الحافظ سببا آخر لترك شعبة لأبى الزبير يدل على شدة توق شعبة وورعه ، قال روى أحمد بن سعيد الرباطى عن إبى داود الطيالسى قال : قال شعبة : لم يكن فى الدنيا أحب إلى من رجل يقدم فأسأله عن أبى الزبير ، فقدمت مكة فسمعت منه فبينا أنا جالس إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة فرد عليه فافترى عليه ، فقال له : ياأبا الزبير تفترى على رجل مسلم ؟ قال : إنه أغضبنى . قلت : ومن يغضبك تفترى عليه ! لا رويت عنك شيئا .

وفى تاريخ الإسلام أيضا : قال أبونعيم : سمعت شعبة يقول : لأن أزنى أحب إلى من أدلس .

وقال وكيع : قال شعبة : رأيت ناجية الذى يروى عنه أبو إسحق فرأيته يلعب بالشطرنج فتركته فلم أكتب عنه .

ونقل الخطيب البغدادى هذه الرواية فى الكفاية[11] عن وكيع وزاد : ثم كتبت عن رجل عنه . قال الخطيب : قلت : ألا ترى أن شعبة فى الابتداء جعل لعب الشطرنج مما يجرحه فتركه ، ثم استبان له صدقه فى الرواية وسلامته من الكبائر ، فكتب حديثه نازلا .

وساق الخطيب بإسناده عن شعبة قال : أتيت منزل المنهال بن عمرو فسمعت فيه صوت الطنبور فرجعت ، (فقلت له)[12] فهلا سألت ؟ عسى ألا يعلم هو .

وقال ابن مهدى : قال شعبة كنت أتفقد فم قتادة فإذا قال «سمعت» أو «حدثنا» حفظته وإلا تركته .

وساق الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد[13] بإسناده عن أبى داود الطيالسى قال : كنا عند شعبة بن الحجاج فى البيت وجراب معلق فالتفت فإذا هو فى السقف ، فقال ترون ذلك الجراب ؟ والله لقد كتبت فيه عن الحكم عن عبدالرحمن بن إبى ليلى عن على عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لو حدثتكم به لرقصتم .

قلت : والحكم هو ابن عتيبة الكندى . قال ابن سعد : كان ثقة فقيها عالما رفيعا كثير الحديث ، ووثقه ابن معين وأبو حاتم والنسائى والعجلى ، وقال البخارى فى التاريخ الكبير : قال القطان قال شعبة : الحكم عن مجاهد كتاب إلا ما

---

(11) الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى ص ١٨٣ .

(12) زيادة من التهذيب والقائل وهب بن جرير .

(13) تاريخ بغداد ٩ / ٢٦٠ .

قال سمعت ، وقال ابن حبان في الثقات : كان يدلس ، فكأن شعبة لما تشكك في تدليسه لم يحدث بهذا الجراب ، والله أعلم .

وساق الخطيب في الكفاية بإسناده عن هارون بن سعيد الأيلي قال : سألت أيوب بن سويد عن الذي كان شعبة يطعن به على الحسن بن عمارة ؟

فقال لي : كان يقول : إن الحكم بن عتيبة لم يحدث عن يحيى بن الجزار إلا ثلاثة أحاديث ، والحسن يحدث عن الحكم عن يحيى أحاديث كثيرة ، قال سويد : فقلت ذلك للحسن بن عمارة ، فقال : إن الحكم أعطاني حديثه عن يحيى في كتاب لأحفظه فحفظته .

وذكر الحافظ في (التهذيب) في ترجمة الحكم بن عمارة أن شعبة قال : أفادني الحسن بن عمارة سبعين حديثا عن الحكم فلم يكن لها أصل ، وقال أبوداود الطيالسي قال شعبة : ائت جرير بن حازم فقل له : لا يحل لك أن تروى عن الحسن بن عمارة فإنه يكذب . قال أبوداود فقلت ـ لشعبة : ما علامة ذلك ؟ فقال : روى عن الحكم أشياء فلم نجد لها أصلا . قلت للحكم : صلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على قتلى أحد ؟ قال : لا ، وقال الحسن : حدثني الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ صلى عليهم ودفنهم !

قلت : وهذا يدل على شدة تحريه وتفتيشه عن حديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه لما لم يطمئن للحسن سأل شيخه الحكم عن هذه الأحاديث ، فلما علم أن الحسن لم يسمعها منه حذر منه . والحسن بن عمارة قال عنه الحافظ في (التقريب) : متروك .

وذكر الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب) في ترجمة يحيى بن عبيد الله : قال قال على بن المديني سألت يحيى بن سعيد عن يحيى بن عبيد الله فقال : قال شعبة : رأيته يصلى صلاة لا يقيمها فتركت حديثه .

قال الخطيب : قال حماد بن زيد : إذا خالفنا شعبة ـ كأنه قال : الصواب ما قال ـ فإنا كنا نسمع ونذهب وكان شعبة يرجع ويراجع ، ويَسْمَع ويُسمَع . وقال سفيان الثورى : ما رأيت أحدا أروع في الحديث من شعبة ، يشك في الحديث الجيد فيتركه .

ومن ورعه أيضاً وتوقيه ما ذكره الذهبي في (سير أعلام النبلاء) عن حماد بن سلمة قال : جاء شعبة إلى حميد فسأله عن حديث لأنس ، فحدثه به . فقال له شعبة : سمعته من أنس ؟ قال : فيما أحسب . فقال شعبة بيده هكذا ، وأشار بأصابعه : لا أريده . ثم ولّى .

قال حميد : سمعته من أنس ؟ كذا وكذا مرة ، ولكن شدد على فأحببت أن أشدد عليه .

من أقواله :

روى الخطيب في الكفاية عن على بن عاصم قال حدثنا شعبة قال : احذروا غيرة أصحاب الحديث بعضهم على بعض ، فلهم أشد غيرة من التيوس .

وساق الذهبي وغيره قوله لأصحاب الحديث : ويلكم الزموا السوق فإنما أنا عيال على أخوتي . يعنى يأمرهم بالعمل والكسب لئلا يحتاجوا إلى غيرهم .

وقوله : كل شيء ليس في الحديث «سمعت» فهو خلّ وبقل . أى لا قيمة له .

قال ابن الصلاح : وهذا محمول على المبالغة والزجر .

وكان يقول : ماشيء أخوف عندى من أن يدخلنى النار من الحديث ، ويقول : وددت أنى وقاد حمّام ، وأنى لم أعرف الحديث . قال الذهبى : كل من حاقق نفسه فى صحة نيته فى طلب العلم يخاف من مثل هذا ، ويود أن ينجو كفافا .

وكان يقول : لأن أخر من السماء أحب إلى أن أقول : قال الحكم ، لشىء لم أسمعه منه . قال الذهبى : هذا ـ والله ـ الورع .

وقال عبدالرحمن بن مهدى : قلت لشعبة : من الذين تترك الرواية عنهم ؟ قال : إذا أكثر عن المعروفين من الرواية ما لا يُعرف ، أو أكثر الغلط ، أو تمادى فى غلط مجمع عليه ، ولم يتّهم نفسه عند اجتماعهم على خلافه ، أو رجل متهم بكذب ، وسائر الناس ، فاروِ عنهم .

وقال رحمه الله : إنى لأذاكر بالحديث يفوتنى فأمرض .

وقال مظفر بن مدرك : ذكروا لشعبة حديثا لم يسمعه ، فجعل يقول : واحزناه .

عدد ماأخرجه له أصحاب الكتب الستة والإمام أحمد من أحاديث :

لشعبة فى صحيح البخارى (٧٩٣) ثلاثة وتسعون وسبعمائة حديث .

وله فى صحيح مسلم (٥٩٠) تسعون وخمسمائة حديث .

وله فى سنن أبى داود (٢٧٨) ثمانية وسبعون ومائتا حديث .

وله عند الترمذى (٢٩٩) تسعة وتسعون ومائتا حديث .

وله عند النسائى (٢٩٩) تسعة وتسعون ومائتا حديث .

وله عند ابن ماجه (٢٧٢) اثنان وسبعون ومائتا حديث .

وله فى مسند أحمد (٢٦٨١) حديث ، وذكر فيه فى (٣٢٢٣) اسناد . والله أعلم .

وفاته :

قال الذهبى فى (تاريخ الإسلام) : اتفقوا على وفاة شعبة سنة ستين ومائة بالبصرة ، ويقال إنه مات فى أول السنة .

وقيل : عاش ثمانيا وسبعين سنة .

وقال غندر : لما حضرت شعبة الوفاة لم يأذن لأحد إلا ليحيى بن سعيد ، وإنما غمض عينيه يحيى بن سعيد .

وقال الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) : قال سعد بن شعبة : أوصى أبى : إذا مات أن أغسل كتبه فغسلتها .

قال الذهبى : وهذا قد فعله غير واحد : بالغسل وبالحرق وبالدفن ، خوفا من أن تقع فى يد إنسان واه يزيد فيها أو يغيرها .

رحم الله شعبة بن الحجاج الإمام الجليل القدر الذاب عن سنة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجزاه عن سنة الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

المدونة الكبرى

في الفقه الإسلامي

للأستاذ د. محمود عبد المتجلي خليفة

المدوّنة هي الديوان الجامع الذي جمع أكثر مسائل الفقه المالكي، وهي التي حصلت أصل علم المالكية، وهي مقدمة على غيرها من الدواوين ـ بعد موطأ مالك، قال ابن رشد الأندلسي: «ما بعد كتاب الله كتاب أصح من موطأ مالك ـ رحمه الله تعالى ـ ولا بعد الموطأ ديوان في الفقه أفيد من المدوّنة».

والمدوّنة عند أهل الفقه ككتاب (سيبويه) عند أهل النحو، وككتاب (إقليدس) عند أهل الحساب، وموضعها من الفقه موضع أم القرآن من الصلاة تجزيء عن غيرها ولا يجزيء غيرها عنها.

والمدوّنة جمعت فقه الإمام مالك على طريقة السؤال والجواب، وهي من أمهات الكتب في المذهب المالكي، وهي أصدق الكتب رواية، وأحرى بالقبول من حيث سماعها.

جاء في فتاوى الشيخ عليش:

إنما يفتى بقول مالك في الموطأ، فإن لم يجده في النازلة، فبقوله في المدونة، فإن لم يجده فبقول ابن القاسم فيها، وإلا فبقوله في غيرها، وإلا فبقول الغير في المدونة، وإلا فأقاويل أهل المذهب.

وقال أبو الحسن الطنجي: قول مالك في المدونة أولى من قول ابن القاسم فيها، فإنه الأعظم، وقول ابن القاسم فيها أولى من قول غيره فيها، لأنه أعلم بمذهب مالك، وقول غيره فيها أولى من قول ابن القاسم في غيرها، وذلك لصحتها.

فالمدونة فيها الرواية المعتبرة للمذهب.

أصل المدونة هي الأسدية التي دوّنها أسد ابن الفرات بالتلقي عن ابن القاسم وهو: أسد بن الفرات بن سنان أصله من خراسان، ولد بحران من

(*) الكاتب: عضو لجنة الفتوى بالأزهر.

مجلة الأزهر: جزى الله الكاتب خيرا بهذا العلم النافع، وكم تأمل مجلة الأزهر أن يوفى الكاتب المدونة ما تستحقه من دراسة ميدانية تبويبا وفصولا.

ديار بكر ، وانتقل به أبوه إلى تونس ، فنشأته الأولى كانت بتونس ، حفظ القرآن الكريم ، ثم تعلم الفقه ، ورحل إلى المشرق فسمع من مالك مُوطَّأَهُ وغيره .

رحل أسد إلى مالك ــ رضى الله تعالى عنه ــ والتقى به ، فأخذ يلقى عليه المسائل يتعرف أحكامها حتى عرف مالك رغبته فى التفريع فقد سأله يوما فأجابه ، ثم أخرى فأجابه ، ثم أخرى فقال له : حسبك يا مغربى إن أردت الرأى فعليك بالعراق ، فرحل إلى محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة ، وأخذ منه كتبه وتعلم فقه العراقيين .

طلب أسد من مالك أن يوصيه عندما هم بمفارقة مجلسه فقال له :

أوصيك بتقوى الله العظيم ، والقــرآن ، ومناصحة هذه الأمة .

وهذا الكلام يدل على إخلاص أولئك العلماء فى طلب الحقيقة ، وحسن إرشادهم لتلاميذهم ، فإن مالكا لما رأى فى أسد نزعة الفرض والتفريع وأن ذلك يحسن عند العراقيين أرشده إليه مخلصا ومحضه نصيحة المؤمن التقى .

ذهب أسد إلى العراق ولقى أبا يوسف ومحمد بن الحسن صاحبى أبى حنيفة .

ذكر القاضى عياض أن أبا يوسف أخذ عنه موطأ مالك ــ رضى الله تعالى عنهما ــ وقد جمع أسد بين فقه العراق وفقه المدينة ، وقرأ ما جمعه محمد ابن الحسن كما قرأ موطأ مالك ، وجمع مسائله منه ومن أصحابه من بعده ، وأكثر من أخذ عنهم من أصحابه من بعد موت الإمام مالك ــ رضى الله تعالى عنه ــ تلميذه عبدالرحمن بن القاسم .

لقد كانت قراءة أسد لكتب الإمام محمد وما فيها من الفروض والمسائل وحلولها حافزا لأن يبحث عن مثل هذه الحلول على وفق مذهب الإمام مالك ليجمع بين يديه حكم المذهب فى تلك المسائل .

ولم يتوافر له ذلك فى حياة الإمام مالك فالتجأ إلى أصحابه الذين لازموه : التجأ أولا إلى عبدالله بن وهب الذى لازم مالكا عشرين سنة ونشر فقهه فى مصر ، فقال أسد لابن وهب : هذه كتب أبى حنيفة ، وسأله أن يجيب فيها على مذهب مالك فتورع ابن وهب وأبى ، ولأن ابن وهب كان يقصر إجابته على ما كان مرويا عن مالك ، ولم يرد عن مالك الفتاوى فى كل ما اشتملت عليه كتب العراقيين ، لأن مالكا ــ رضى الله تعالى عنه ــ لم يفتح باب الفرض والتقدير ، لأن قاعدة الإمام مالك ــ رضى الله تعالى عنه ــ أنه كان إذا سئل عن مسألة قال : أَوَقَعَتْ .. ؟ فإن قيل : نعم . أجاب عنها ، وإن قيل : لا . قال : دعوها حتى تقع .

ثم توجه أسد إلى أشهب بن عبدالعزيز القيسى العامرى الذى صحب مالكا ولازمه وتفقه عليه وكان أحد رواة فقهه ، فكان أشهب يجيب أسدا فى الفتوى بقوله هو لا بقول مالك ، وما كان يريد أن يعرف إلا آراء مالك ــ رضى الله تعالى عنه ــ .

يقول ابن رشد فى كتاب (المقدمات الممهدات لبيان ما فى المدونة من مشكلات) : لما أتى أسد أشهب بن عبدالعزيز ليسأله أن يجيب على مسائل أهل العراق بمقتضى فقه مالك سمعه يقول : أخطأ مالك فى مسألة كذا وأخطأ فى مسألة كذا ، فتنقصه من ذلك وعابه ولم يرض قوله فيه وقال : ما أشبه هذا إلا كرجل بال إلى جانب البحر .. فقال : هذا بحر آخر .

لما لم يجد أسد طلبته عند عبدالله بن وهب وأشهب بن عبدالعزيز اتجه إلى عبدالرحمن بن القاسم المصرى وهو من أصحاب الإمام مالك الذين كان لهم أثر بالغ فى تدوين مذهبه ، وقد طالت صحبته لمالك ولازمه عشرين سنة وتفقه بفقهه وإليه كان يرجع فى مسائل مالك وفتاويه فقصد أسد ابن القاسم فأجابه :

وقد كانت إجابات ابن القاسم على أربعة أنواع :

أحدها : ما علم فيه رواية عن مالك واستيقنها ؛ فهذا يذكر فيه روايته .

وثانيها : ما ترجح عنده فيه رواية عن مالك وهذا يقول فيه : أخال أو أظن أو أحسب وليس ذلك النوع قدرا قليلا .

وثالثها : مالا يحفظ فيه عن مالك قولا ، لا باليقين ولا بالرجحان ، ولكن يحفظ له مثيلا ، فيحكم بمثل ما حكم به مالك فى المثل ، ويقول : لم أسمع من مالك فيه شيئا ، ولكنى سمعته يحكم فى مسألة كذا بكذا ومسألتك مثل هذه المسألة فتأخذ حكمها .

ورابعها : ما لا يحفظ فيه عن مالك رواية ، ولم ير مثله فيقول فيه : الذى أراه فيه كذا وكذا فيذكر فيه اجتهاده على الأصول المالكية .

ومن مجموع هذه الأجوبة سماها أسد الأسدية نسبة إليه .

ثم عزم أسد على الرحيل إلى أفريقية حاملا معه كتاب (الأسدية) فسافر بها إلى (القيروان) بعد أن ترك نسخة منها بمصر ، ثم أمره ابن القاسم أن ينسخ (الأسدية) ويرسلها إليه ولما وصل أسد إلى (القيروان) أظهرها وسمَّعها الناس وانتشر بها مذهب مالك فى تونس .

والأسدية هى أصل مدونة سحنون ، وهو ـ عبدالسلام بن سعيد ـ التنوخى العرى ولقبه سحنون وهو اسم طائر حديد البصر لقب به سحنون لحدته فى فهم المسائل ، أصله شامى ، من (حمص) وقدم أبوه سعيد فى جند حمص إلى (القيروان) بتونس ورحل فى طلب العلم ، وهو ابن ثمانية عشر عاما ، وقد أدرك مالكا ، ولم يصل إليه ، وقال : كنت عند ابن القاسم بمصر وجوابات مالك ترد عليه ، فقيل له : فما منعك من السماع من مالك ؟ قال : قلة الدراهم . وقال ـ مرة أخرى : لحى الله الفقر فلولاه لأدركت مالكا .

التقى سحنون بأسد بن الفرات فى (القيروان) ، وتحيل على أسد لينسخ منه (الأسدية) وبعد مشقة استطاع أن يحصل على نسخة منها ، ثم سافر سحنون إلى عبدالرحمن بن القاسم ، صاحب مالك بمصر وأراد أن يقابل عليه مسائل الأسدية ليستوثق مما كان ظنا فيها فعرضها على ابن القاسم وقال له : أريد أن أسمعها منك فاستخار ابن القاسم ربه ، وأسمع سحنون مسائلها ، وأسقط من كتابة أسد ما كان منها ظنا وما كان يشك بأى نوع من الشك فى نسبته إلى مالك ، وما لم يجد فيه نصا يثق به أفتاه على اجتهاده بمقتضى أصول مالك أو على شبيه رأى مالك فى مثله ، فرتبها سحنون وخلط بها أقوال أصحاب مالك التى هى آراء لهم وهذبها وبوبها ودونها ، وألحق فيها من خلاف أصحاب مالك ما اختار ، وذيل أبوابها بالحديث والآثار ، وبهذا يتبين أن الأصل الذى قام عليه الفقه المالكى اليوم الذى يعرفه الناس هى المدونة ، وهى أصدق الكتب بعد الموطأ رواية ، وأحرى بالقبول من حيث سماعها .

بعد انتهاء سحنون من عمله مع ابن القاسم ،

وعودته إلى (القيروان) كتب ابن القاسم إلى أحمد بن الفرات : أن قابل كتبك بكتب سحنون فإنى رجعت عن أشياء مما رويتها عنى .

لما وصل ذلك الكتاب إلى أسد شاور بعض أصحابه فأشاروا عليه بأن لا يفعل ، وكان قد همّ بأن يراجع كتبه على كتب سحنون استيثاقا للنقل وتوكيدا لرواية العلم ، ولكن بعض أصحابه ردّه عن ذلك وقالوا : تصلح كتبك من كتبه وأنت سمعتها قبله ، وسحنون تلميذك ، وأنت أدركت مالكا وأصحاب أبى حنيفة ، فلم ينفذ أسد ما أمره به ابن القاسم ، وأنف من ذلك ، وأظهر مذهب أبى حنيفة فى تونس .

قال ابن خلدون : لما بلغ ابن القاسم امتناع أسد من رد مدونته إلى مدونة سحنون دعا ألا ينتفع بها أحد ـ وكان مجاب الدعوة ـ فكان الأمر كذلك ، فترك الناس كتابه ، واتبعوا مدونة سحنون وعكف أهل (القيروان) على هذه المدونة ونفع الله بها الناس .

هذا هو أمر المدونة التى اعتبرت الأصل الثانى للفقه المالكى بعد الموطأ .

ويلاحظ فى تدوينها أمران جديران بالاعتبار والوزن ، ولأنهما يكشفان عن ابتداء تلاقى طرق الدراسات الفقهية المختلفة ، وعن مقدار انتفاع كل إقليم بفقه الآخر ، وعلى حرية التلاميذ الأولين للأئمة فى اختيارهم وأمانتهم .

أما أحد الأمرين فهو أن المدونة إنما كتبت محاكاة للمسائل التى اشتملت عليها كتب محمد ابن الحسن صاحب الإمام أبى حنيفة فى الفقه الحنفى العراقى ، فإن أسد بن الفرات عندما أطلع على كتب العراقيين أراد أن يستخرج أجوبة مسائلها من الفقه المالكى ، وإذا كان أخص ما امتاز به الفقه العراقى كثرة التفريع والفرض (أى تقدير مسائل غير واقعة ولكنها قريبة الوقوع) فإن الفقه المالكى يقتصر على الأمور الواقعة فعلا ولايفتى فى غيرها ، ومما لا شك فيه أنه قد استفاد الفقه المالكى فى عصره الأول أكبر فائدة بتلك المحاولة الناجحة التى قام بها أسد بن الفرات ، لأنه فتق الفقه المالكى ووسعه ، وحمل تلميذه الأول عبدالرحمن بن القاسم على التخريج عليه ، وهو مرن لم يتصلب بفعل الزمان ، وبذلك تلاقى الفقه المدنى بالعراقى ، وكما استفاد العراقيون من المدنيين اطلاعا على آثار لم تكن عندهم برواية محمد بن الحسن للموطأ ، فقد استفاد الفقه المالكى من عمل أسد وتميّز سحنون على منهاجه : كثرة التفريع وربط المسائل بعضها ببعض .

وأما ثانى الأمرين : فإن المدونة تشمل آراء مالك المروية وآراء أصحابه ، وتخريج ابن القاسم على أصول مالك ، فهى فى الواقع قد سنت سبيل الفقه المقارن بموازنة آراء مالك بآراء أصحابه ، كما سنّت ـ أيضا ـ السبيل لتخريج المسائل على أصول مالك ونسبتها إليه على هذا الاعتبار ، وبذلك فتح ابن القاسم باب التخريج فى ذلك المذهب العظيم منذ أول عصره ، والتخريج فى المذهب سبيل نموه وأساس شمول أحكامه ، لأن الحوادث لا تتناهى ، وإذا كان الفقهاء الذين نشروا المذاهب حاولوا اتباعها فى كل ما يجد من أحداث فلابد من التخريج على أصول الأئمة ، وقد وضع ابن القاسم الأساس فبنى عليه من بعده .

هذا ، وإذا أطلق لفظ (الكتاب) فى المذهب المالكى فالمراد به (المدونة) إذ صار هذا اللفظ علما بالغلبة على (المدونة) .

وقد اشتملت المدونة على ست وثلاثين ألف مسألة .

والله تعالى

الدَّاعيةُ في موقفِ الضِّيق

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة غافر

يختلف موقف الداعية إلى الله باختلاف الظروف والملابسات ، فمن يدعو إلى الله بين أناس يبادلونه الشعور ، ويتحدون معه في الميول ، ولكنه أكثر منهم خبرة ، وأوفى علما ، ويريد أن يطلعهم على ما يجهلون ؛ هذا الداعية يجد الطريق أمامه ممهدا ، فالثقة متبادلة ، والأعناق مشرئبة ، وسيبلغ القصد من مكان قريب .

وقد يتحدث الداعية مع قوم محايدين ، يستمعون إليه ليفحصوا ما يقول عن بيّنة واعية ، وبصيرة نافذة ، فهو ملزم بإتقان الحجة وإيضاح البرهان ، وسيصل إلى مبتغاه إذا اطّرد القول على نهجه الصحيح ، لأن النفوس حينئذ مستعدة إلى الإذعان للحق متى لاحت بشائره دون غموض ، وجهد الداعية في هذا المجال أكبر من جهد داعية يتحدث مع قوم يبادلونه المشاعر والأحاسيس .

أما الجهد الجاهد ، والكفاح الدائب فهو ما يتعرض له الداعية إذا كان يتحدث مع خصوم يبادلونه العداء ، ويضيقون بكلمة الحق تقال من مخلص صادق ، لأن الحق لا يرضيهم في شيء ، بل هو مما يفسد عليهم أساليبهم الظالمة ، ونفوذهم الباغي ، ويزداد حرج الداعية إذا كان بين هؤلاء رئيس متجبر يملك الأمر والنهي ، ويستطيع أن يعصف بصاحب القول الجريء دون أن يخشى عاقبة ، وله أنصار وأعوان يصدرون عن رأيه دون إبطاء ، فالداعية — حينئذ — يقف على شفا جرف يوشك أن ينهار به ، وعليه أن يصطنع الصبر الطويل ، ويدبّر الحيلة المحكمة لينجو بسفينته بين

الأعاصير ، كما عليه أن يتخذ من السمات الخلقية ما يسعفه بالنجاح ، فلا يغضب ولا يعبس ، وإذا سمع ما يغضب الحق فسح صدره لكل قول ، وحاول الإقناع بابتسام المرحب ، ورجاء الأمل ، ولا أنكر أنه يتحمل من الجهد — حينئذ — ما تنوء به الكواهل القوية ، ولكنه فى صميم أمره مكافح فى حومة ، وبطل فى معركة ، فعليه أن يتحمل أعباء الانتصار !

وقد قدم لنا القرآن الكريم نموذجا رائعا لهذا الداعية الصابر المحتسب ، حين واجه أعتى الطغاة بمنطق الحق ، وحين سلك أصوب السبل لإيضاح رأيه بين قوم عتاة يضيقون بالحق ، ويمالئون الباطل. وأين كان هذا ؟ كان فى حضرة متجبر غشوم يقول لملئه : « ما علمت لكم من إله غيرى » ، ويقول فى موقف آخر : « أنا ربكم الأعلى » ، ومعه من وراء ذلك السيف والنطع ، فهو الذى يذبح الأبناء ويستحيى النساء دون أدنى حرج ، والملأ من أتباعه يعتبرون ذلك بطولة رائعة ، بدل أن تكون بغيا وعدوانا ، وهكذا استخف الرجل قومه فأطاعوه ، إنهم كانوا قوما فاسقين .

لقد ضاق فرعون بدعوة موسى إلى الحق ، ولمس قوة تأثيره فى الناس ، وقد جاءه بالمعجزات ، وبارزه على رءوس الأشهاد يوم الزينة ، وجمع السحرة لاندحاره ، فانضموا إليه وقالوا : « آمنا برب العالمين » ، وشاع فى الملأ أن الطاغية متجبر لا يذعن للحق ، وقد لاحت دلائله ، وسطعت براهينه عن عيان ، فلابد لفرعون من أن يقوم بعمل إيجابى يستأصل به هذا الخطر الماحق ، ولابد أن يهيىء الأذهان لقبول هذا الاستئصال ، فجمع قومه ليقول لهم ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله عزّ وجل : « ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ » من الذى يجرؤ — إذن — على المواجهة فى حضرة ظالم متجبر يقول متهكما : « وليدع ربه » ! ثم يصطنع الغيرة فيقول : « إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد » ؟

لقد كان من الحضور من يخالف القوم جميعا فى متحاهم الظالم ، ولن يستطيع أن يقول لفرعون أنت مخطىء متجبر ، ولو فعل لأخذه السيف دون إبطاء ، ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن يكتم كلمة الحق لأن صوت الضمير المؤمن أقوى من أن يُلجم ، ولابد من الاحتيال البصير فى هذا الموقف الحرج ، وأن يلجأ الداعية لأسلوب الشك ليرى الملأ أنه ينظر إلى الأمر من شتى وجوهه .

إن الداعية ليجزم فى أعماقه كل الجزم بأن موسى صادق فيما يبلغه عن ربه ، ولكن هل يستطيع أن يعلن ما يجزم به فى ملأ متربص عنيد ، إنه يمهد بأن موسى قد جاء بالبينات. وهذا مالا ينكره أحد ، فله معجزاته المتابعة منذ ألقى عصاه فإذا هى ثعبان ، ومنذ نزع يده فإذا هى بيضاء ، ومنذ هتف السحرة قائلين : « ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ » ، بعد أن ألقى عصاه فإذا هى تلقف ما يأفكون !

البينات — إذن — واضحة لا لبس فيها ، ولكن الداعية لا يريد أن يقف عندها وحدها حيث لم تجد شيئا فى استمالة فرعون ، فهو يشير إليها فحسب ، ليذكّر من القوم من غابت عنه حقيقتها ، ثم



يلجأ إلى أسلوب التردد بين شيئين متقابلين ليرجح ما يريده فيقول : « وإن يك كاذبا فعليه كذبه ، وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم » وهذا منطق هادىء رزين ، فهو ــ أمام هذا الفرعون ــ لا يستطيع أن يقول ما يعتقد فى أمر موسى الذى يؤمن به ولكنه يقدم احتمالين لا ثالث لهما ، فإما أن يكون موسى كاذبا ، فلا خطر حينئذ من كذبه على الناس ، إنما يقع الكذب عليه وحده ، فلندعه وشأنه .

وإما أن يكون صادقا فستجنى ثمار دعوته، وقد عقب ذلك بقوله : « إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب »، وذلك دليل جديد يضاف إلى احتمالى الصدق والكذب، فحواه أن موسى ليس بمسرف ولا كذاب، إذ لو كان كذلك ما هداه الله إلى هذه المعجزات، وهذا الدليل مقابل آخر هو أن المسرف الكاذب لابد أن يضلّه الله، ويشقيه، هذا الأسلوب المتردد بين الشك واليقين قد ترك القوم فى حيرة، فهم لا يستطيعون مواجهة من يقلب الأمور على شتى وجوهها، وأن علائم الحيرة لتبدد فى التطلع والتلفت والإطراق فينتهز الداعية هذه الحيرة المتذبذبة ويقول : « يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا » لقد هتف الرجل بحقيقة يعرفها الناس جميعا وهى أن دوام الحال من المحال، وإذا لاحت علائم الاستقرار اليوم، فلا تملك أن يدوم هذا الاستقرار، لأن الله أقوى وأغلب، ولا يوجد من ينتصر من بأسه، وقول الداعية « من ينصرنا » و« إن جاءنا » يعطى انطباعا أنه منهم، وأن مستقبلهم مستقبله، فهو ليس ببعيد عن موقع الخطر إن حان ؟؟

ولاشك أن فرعون قد ضاق ذرعا بمنطق الداعية، وكان عليه أن يرد على تساؤله بالمنطق المقنع، لو كان قد جمع القوم للمشورة ولكنه لم يقصد غير التسليم المطلق بما يريد من استئصال موسى وأتباعه فأراد أن يقطع الطريق على هذا الذى يدعو إلى المسالمة، فصاح بالملأ : « ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلّا سبيل الرشاد » لم يجد الداعية المؤمن فى رد فرعون مقنعا يدفعه للتسليم، وكأنه قرأ فى وجوه السامعين ما يدل على عدم الإقتناع، فواصل حديثه منتقلا إلى أحداث التاريخ يستمد منها تأكيدا لدعواه فذكر ما دارت به الأيام على الأحزاب من قوم نوح ، وعاد ، وثمود ، والذين من بعدهم ؟

ولى وقفة يسيرة أمام هذا القول فقد حرص من يؤرخون للعهد الفرعونى فى مصر على أن يذكروا أن مصر كانت لا تلم بشىء من أمور التوحيد فيما قبل « أخناتون »، لأنه ــ فى رأيهم ــ أول من نادى بالتوحيد فى مصر ، وقد استندوا فى ذلك إلى تقريرات ذكرها الأثريون من الأجانب نقلا عن كتابات مبهمة بالخط الهيروغليفى !

وهاهو ذا مؤمن آل فرعون يذكر أنباء قوم نوح وثمود والذين من بعدهم، وإذن فأحداث النبوة مشتهرة والدعوة إلى التوحيد موجودة منذ نزل آدم ــ عليه السلام ــ من جنته مؤمنا موحدا، وإن جاء بعده من ارتد عن هذه الدعوة، فتلك أمور طارئة أحدثها الجهل ولا تعنى أن التوحيد لم يعرف فى

مصر قبل عهد « أخناتون »، ومما يقطع الشك باليقين، ويدل دلالة قاطعة على ذلك قول الداعية المؤمن عقب ذلك : « ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم فى شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب » .

ومعلوم أن يوسف ــ عليه السلام ــ قد دعا إلى التوحيد فى مصر وقال مخاطبا صاحبى السجن حين بدأ بالدعوة : ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) ﴾ سورة يوسف

أقول : قد انتهز الداعية المؤمن جموح فرعون فى ردّه فذكر القوم بأنباء الأحزاب من قوم نوح وعاد وثمود، وحذرهم عاقبة أمرهم خوفا إياهم بيوم التناد حين يولون مدبرين مالهم من الله من عاصم !

وقد شاء فرعون أن ينقل الحديث من موضوع إلى آخر عقب ما سمع لأنه لا يستطيع أن يجادل فى حقائق يعرفها السامعون جميعا ، وربما أوجد النقاش مجالا لإقناع بعض الحاضرين فينقسم المجلس انقساما لا يرتضيه وهو الذى قال من قبل : « ما أريكم إلا ما أرى، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد » .

أراد فرعون أن يغلق باب الحوار نهائيا فقال لوزيره : « ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب . أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى ، وإنى لأظنه كاذبا » ولا شك أن السامعين قد دهشوا من اقتراح فرعون، فهم حاشيته المفكرة، ويعلمون أن بناء صرح يتصل بالسماء مما يستحيل، فإذا اقترح هذا البناء حاكم يدعى السيطرة القاهرة ، والألوهية الشامخة، فقد فقد اتزانه العقلى، وكان جديرا به أن يأتى بما يدفع منطق هذا الداعية المتئد المستدل بأحداث التاريخ، والمتخذ أرقى أساليب الإقناع ليصل إلى ما يريد، وكأن هذا الداعية قد لمس فى ردّ فرعون تخاذلا وانهزاما، لأنه جنح بالعقول إلى مهواة لا يحب أن يرتطم فيها عاقل، فرأى الفرصة سانحة إلى أن يسترسل فى تحذيره بعد أن أخفق فرعون فى إقناع السامعين فواصل الحديث يقول فيما تحدث به القرآن الكريم :

﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨)
يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) ﴾

لقد لخّص الداعية فى قوله الموجز قضية الثواب والعقاب، وأوضح أن الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هى مجال الفصل بين من آمن وعمل صالحا، ومن كفر بالله وارتكب السيئات .

ومن أسلوب الذكر الحكيم في الحديث القصصي أن يعتمد على الأقوال البارزة، والمشاهد الدالة فلا يذكر كل ما كان كما كان بل يطوى ما يفهمه السامع من السياق، لأن لكل أسلوب إيحاءه الممتد وبواطنه التى يشف عنها ظاهر القول، وما جاء الإيجاز في كتاب الله إلا ليعطى المعنى الكثير في اللفظ القليل، يعطيه دعما قويا ، يحسّه القارىء إحساس من يراه مستورا غير معقول، ونحن حين نقرأ هذه الآيات نعرف تماما أن جدلا قد ثار حولها، وأن في الناس من مالأ فرعون وأنكر ما قال الداعية المؤمن، بل نتأكد أن أصواتا قد علت، وأن نقاشا قد احتدم، وتلك طبيعة الأشياء التى نشهد بعضها فيما يدور في مجالسنا حين تختلف المنازع، وتتعدد الأهواء، وقد استمع الداعية المؤمن إلى هذا الجدل صابرا متماسكا حتى إذا فاض به الكيل ووجد أن واجبه يدعوه إلى الجهر الحاسم بقضية الحق بعد أن ركب إلى التسامح والهدوء كل ركب، فلم يصل إلى إقناع جامع يجلى بالمجتمعين من أمر إلى أمر حين لمس الداعية هذا الجموح الشارد عن الحق صاح بالملأ في قوة الواثق المتمكن :

﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۝٤١ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ۝٤٢ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٤٣ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٤٤ ﴾ سورة غافر

نأخذ من هذا النقاش ما يفيدنا أكبر إفادة في مجال الدعوة إلى الله ،

نأخذ منه أن ندعو أولا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نجادل بالتى هى أحسن .

ونأخذ منه ثانيا أن نتبصر مواقع أقدامنا حين نناقش، وأن نعرف الروح العام للمجتمع الذى نعلن فيه جوهر الدعوة، فنتخذ من الأدلة ما يستميل القلوب دون شغب أو لجاج !

ونأخذ منه ثالثا أن نهتبل الفرصة حين نجد مواطن الضعف فيما نواجه به من الاعتراضات فنكر عليها بالدليل الملزم، والبرهان الأكيد دون أن نتطرق إلى جزئيات تبعد عن الصميم من اللباب .

ونأخذ منه رابعا أن نعتصم بالحق فمهما امتد الحوار فلابد أن ينتهى إلى الرأى الحاسم، والمنطق الفاصل لأن شجاعة الداعية حينئذ تأتيه وقد وقف على أرض صلبة مهد لها بالحوار المطمئن، والصدر الرحيب ، وهذا ما انتحاه الداعية المؤمن حين صاح بالملأ : « مالى أدعوكم إلى النجاة، وتدعوننى إلى النار » وحين أبطل الدعوة إلى الشرك بالله في صراحة لا تقبل الريب، وحين ختم نقاشه الحاسم بقوله : « فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى إلى الله » على أن العاقبة كانت سارّة إذ وقاه الله سيئات ما مكروا، وحاق بآل فرعون سوء العذاب، وهى عاقبة توحى بالاطمئنان لمن يتمسكون بالحق ، ويصمدون أمام الأعاصير مهما كانت عاتية هوجاء !

أملاك الدولة في صدر الإسلام

مستشار/ جمال الدين جودة اللبان (*)

حق الملكية وما يتفرع عنه :

حق الملكية هو أوسع الحقوق العينية نطاقاً - بل هو جماع هذه الحقوق العينية وعنه تتفرع جميعاً .

فمن له حق الملكية على شيء كان له حق استعماله وحق استغلاله وحق التصرف فيه . وبذلك يستجمع كل السلطات التي يعطيها القانون للشخص على الشيء ..

فإذا اقتصر حق الشخص على استعمال الشيء واستغلاله كان هذا حق انتفاع متفرعاً عن حق الملكية .

وإذا اقتصر حقه على استعمال الشيء لحاجاته الشخصية وحدها ، أو اقتصر حقه على السكنى دون أي وجه آخر من وجوه الاستعمال كان هذا حق استعمال أو حق سكنى وكلا الحقين متفرع عن حق الملكية .

وإذا اقتصر حقه على استعمال الشيء على وجه معين أو الحصول منه على منافع معينة ، كان هذا حق ارتفاق وهو أيضاً متفرع عن حق الملكية ..

وإذا اقتصر حق الشخص على التصرف في الشيء جبراً على المالك لاستيفاء حقه متقدماً على غيره من الدائنين كان هذا حق رهن أو حق

* الكاتب : رئيس هيئة قضايا الدولة .

اختصاص أو حق امتياز وكلها حقوق تبعيه ؛ إذ هي تكفل الدين فهي تابعة له ، وهي أيضاً متفرعة عن حق الملكية .

فالمالك يستطيع أن يفعل في ملكه ما يشاء إلا مانهى عنه القانون . أما صاحب أي حق عيني آخر فلا يستطيع أن يفعل في الشيء إلا ما نص عليه القانون ، ولا يستطيع أن يفعل أي شيء آخر[1] ..

الملكية بداية ونهاية :

وقد بدأت الملكية ملكية جماعية يشترك فيها جميع أفراد القبيلة ، ولا يستأثر بها أحد منهم ؛ فكانت الأرض والأسلحة والعدد - بوجه خاص - مملوكة ملكية جماعية للقبيلة في الحضارة البدوية .

ولما استقرت الجماعات في الأرض ، وتطورت الحضارة : من حضارة بدوية تقوم على الرعي إلى حضارة زراعية تقوم على زراعة الأرض تطورت الملكية مع تطور الحضارة فأصبحت ملكية عائلية .

ثم انتهت الملكية بعد تطور طويل إلى أن تكون ملكية فردية ولكن مع بقاء بعض آثار الملكية العائلية كالميراث والنصاب الذي يجب أن يستبقى للورثة دون أن تجوز الوصية فيه .

أصل الملكية في البلاد العربية :

ويرجع أصل الملكية في البلاد العربية إلى أحكام الشريعة الإسلامية التي ظلت الشريعة العامة للبلاد حتى صدور مجموعات القوانين الحالية .

وقد اختلف فقهاء المسلمين في تعريف الملكية :

فقد عرفها (الكمال بن الهمام) من فقهاء الحنفية بقوله « الملك هو القدرة على التصرف ابتداء إلا لمانع »[2] .

وعرفها (ابن نجيم الحنفي) بقوله : الملك هو الاختصاص الحاجز[3] .

وعرفها (القرافي) من فقهاء المالكية بأنها : حكم شرعي مقدر وجوده في أعين أو منفعة يقتضي تمكين من أضيف إليه من الأشخاص من الانتفاع بالعين أو بالمنفعة ، أو بالاعتياض عنها ، ما لم يوجد مانع من ذلك[4] .

وعرفها فقهاء الشافعية بذات التعريف المتقدم[5] .

وعرفها آخرون بأنها : حيازة الشيء متى كان الحائز قادراً - وحده - على التصرف فيه ، والانتفاع به عند عدم المانع الشرعي[6] .

مهمة هذا البحث :

وسنقتصر في هذا البحث على بيان أحكام ملكية الأراضي في عهد الرسول ﷺ ثم في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - .

أولاً ملكية الأراضي في عهد الرسول ﷺ :

الأراضي الزراعية في الجزيرة العربية قليلة ، وفتح البلاد ذات الأراضي الزراعية الواسعة كبلاد : فارس والشام ومصر حدث في عهد

(١) الأستاذ السنهوري - الوسيط الجزء الثامن بند ٢٩١ ص ٤٧٩ وما بعدها .
(٢) فتح القدير الجزء الخامس ص ٧٤ .
(٣) البحر الرائق لابن نجيم الجزء الخامس ص ٢٧٨ .
(٤) الفروق للقرافي الجزء الثاني ص ٢٠٨ .
(٥) الأشباه والنظائر للسيوطي ص ٢٨٦ .
(٦) الأموال ونظرية العقد في الفقه الإسلامي للدكتور/ محمد يوسف موسى طبعة سنة ١٩٥٢ ص ١٦٥ .

عمر ـ رضي الله عنه ـ ولذلك لم نجدْ من مسائل الأرض في عهد رسول الله ﷺ سوى غنيمته لأرض اليهود حول المدينة .

١ ـ الرسول ﷺ قسم أرض خيبر

لما حاصر رسول الله ﷺ يهود (خيبر) وطلبوا منه أن يسمح لهم بالجلاء اعتبرت جميع أموالهم فيئاً ـ أي غنيمة ـ لرسول الله ﷺ لأن النصر عليهم تم بدون قتال ، وكان ضمن أموالهم الأرض والنخيل ، وقد قسم رسول الله ﷺ الغنيمة بما فيها الأرض أخماساً ؛ فوزع أربعة أخماس على المسلمين ، واختص نفسه بالخمس وذلك تطبيقاً لقوله ـ تعالى :

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾

[سورة الأنفال : آية ٤١] .

ولكن رسول الله ﷺ دعا بعض اليهود إلى معاملة الأرض ـ أي القيام بزراعتها ـ وذلك لأنه كان بهذه الأرض الكثير من الحدائق والمزارع والنخيل ، وكان ذلك يحتاج إلى الرعاية ومداومة العمل ، وكان المزارعون من أهل المدينة عندهم ما يكفيهم من المزارع ، ولايستطيعون القيام بما تحتاجه أراضي اليهود التي أصبحت ملكاً للمسلمين ـ كما أن النبي ﷺ كان في حاجة إلى جيشه ، ولا يستطيع أن يترك جزءاً منه للعناية بالأرض الزراعية .

وقد روى عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ دفع (خيبر) إلى اليهود مساقاة بالنصف ، وقد استمر هذا الوضع في حياة الرسول ﷺ وحياة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ إلى أن نزعها عمر ـ رضي الله عنه ـ من أيديهم ونقلهم إلى الشام[٧] .

وكان توزيع أرض (خيبر) إلى المسلمين أول توزيع للأراضي الزراعية في الإسلام .

٢ ـ وقف الأراضي في عهد الرسول ﷺ :

وقد روى أن الرسول ﷺ وقف بعض ما ظهر عليه من الأرضين فلم يَقْسِمْها ، وقد قسم بعض ما ظهر عليه بمعنى أنه : قد وقف بعض الأراضي التي غنمها المسلمون لينفق ريعها على أمور المسلمين بينما قسم البعض الآخر على المستحقين من المجاهدين . كما أنه ﷺ سمح لعمر ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بوقف أرض له أصابها بخيبر[٨] .

٣ ـ الرسول ﷺ وضع أساس الملكية الجماعية :

وذلك بحديثه ﷺ المشهور : « الناس شركاء في ثلاث : الماء والكلأ والنار »[٩] .

وبذلك تكون أرض المراعي ـ التي لا مالك لها ـ ملكاً عاماً للناس جميعاً لايختص بها بعض دون البعض .

---

(٧) كتاب الأموال لأبي عبيد ص ٥٦ وما بعدها .

(٨) كتاب الخراج لأبي يوسف ص ٥٠ ومابعدها .

(٩) روى أبو داود عن صحابي من المهاجرين قال : غزوت مع النبي ﷺ ثلاثاً أسمعه يقول : المسلمون شركاء في ثلاث : في الكلأ والماء والنار سنن أبي داود ٢٤٩/٢ ط أولى ١٣٧١ مصطفى الحلبي .

وفي سنن ابن ماجه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : « في الماء والكلأ والنار ، وثمنه حرام » ٨٢٦/٢ وفي مسند أحمد ٣٦٤/٥ .

وكذلك الشأن بالنسبة لمصادر المياه الطبيعية والنار[10].

٤ ـ تحجير الأرض وحماية الرسول ﷺ له :

أجاز الرسول ﷺ تحجير الأرض : أى الفصل بينها بوضع علامات من الأحجار تفصل بين الملكيات المتجاورة وتحدد حدود الملكيات .

وقد فرض الرسول ﷺ حماية على هذه الحدود ولعن من يسرق المنار أى من ينقل هذه الأحجار من مكانها ليوسع ملكيته على حساب اقتطاع جزء من ملكية جاره .

ويجب ألا يفهم من نص الحديث أن الجزاء أخروى يقتصر على مجرد اللعن ؛ لأن (سرقة المنار) تشكل اعتداء على حق الجار مما يدخل فى اختصاص القاضى ، ويجب عليه الفصل فيه ورد الحق إلى صاحبه بمجرد ثبوت حقه .

والتحجير بداية لعملية استصلاح الأرض الموات التى لامالك لها ، والحماية التى فرضها الرسول للتحجير ليست حماية مؤبدة وإنما هى حماية مؤقتة مدتها ثلاث سنوات فإذا لم يقم المتحجر بإحياء الأرض الموات خلالها سقطت الحماية عنه ، ويجوز لغيره بعدها الاستيلاء على الأرض وإحيائها وذلك عملاً بحديث الرسول ﷺ : عادى الأرض لله وللرسول ثم لكم من بعد ، فمن أحيا أرضاً ميتة فهى له ، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين[11] .

٥ ـ الحمى فى عهد الرسول ﷺ :

كان العرب قبل الإسلام يحمون بعض أراضى المراعى ، وكان هذا الحمى يقوم على أساس القوة والغلبة ، ولما جاء الإسلام عدل من هذه الأوضاع ، وذلك بجعل الحمى من الملكية الجماعية للناس جميعاً ، لا للأقوياء دون الضعفاء وذلك تطبيقاً لحديث الرسول ﷺ : « لا حمى إلا لله ولرسوله » مسند أحمد ١/٣٨ .

وقد روى نافع عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ حمى (النقيع) لخيل المسلمين ، أى جعل أرض النقيع الواقعة بقرب المدينة حمى ترعى فيه خيول المسلمين[12] .

٦ ـ القواعد التى وضعها الرسول ﷺ فى الأرض والماء والزرع فى ملك الغير :

وضع الرسول ﷺ خمس قواعد فيما يتعلق بملكية الأراضى والماء ، سواء أكان للشرب أم لرى الأرض والزرع فى ملك الغير .

القاعدة الأولى :

حق تملك الأرض الميتة بمجرد إحيائها تطبيقاً لقوله ﷺ : « من أحيا أرضاً ميتة فهى له »

القاعدة الثانية :

رعى الماشية فى المراعى غير المملوكة ملكية خاصة مباح للناس جميعاً تطبيقاً لقوله ﷺ : « الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلأ والنار » .

---

(١٠) ملكية الأراضى فى الإسلام للدكتور محمد عبد الجواد محمد ص ٣٩ ومابعدها .

• راجع صحيح مسلم ـ أضاحى ٤٣ ـ ٤٥ ، وسنن النسائى ـ ضحايا ـ ٤٣ ومسند أحمد ١/١٠٨ ، ١١٨ ، ١٥٢ .

(١١) الحديث أورده أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم فى « كتاب الخراج » ص ٧٠ ط المطبعة السلفية ، وانظر : ملكية الأراضى فى الإسلام للدكتور محمد عبد الجواد محمد ص ٤١ وما بعدها .

(١٢) الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٨٥ وما بعدها .

• انظر الخراج للقاضى أبى يوسف ص ٦٩ مرجع سابق حاشية رقم ١١ .

ـ انظر الحاشية رقم ٩ .

وقد قال أبو يوسف حدثنا مالك بن أنس أنه بلغه عن النبي ﷺ أنه حرم عضاة المدينة وما حولها اثنى عشر ميلا ـ أى جنبها ـ وحرم الصيد فيها أربعة أميال حولها ـ أى جنبها ـ وقد قال بعض العلماء : إن تفسير هذا إنما هو لاستبقاء العضاة ، لأنها مرعى المواشى من الإبل والبقر والغنم ، وإنما كان قوت القوم اللبن وكانت حاجتهم إلى القـــوت أفضل من حاجتهم إلى الحطب[13] .

القاعدة الثالثة :

توزيع الماء الجارى : فقد قضى رسول ﷺ فى (مهزور) وادى بنى قريظة أن « الماء إلى العقبين لا يحبسه الأعلى على الأسفل ، ويحبسه الأسفل على الأعلى » وبذلك وضع رسول ﷺ حداً لاحتجاز الماء سواء لمن كان فى الأعلى أى من ناحية مجرى الماء ، أو من كان فى الأسفل كما روى أنه ﷺ قال : « لايمنع فضل الماء يمنع به الكلأ » رواه أحمد ٢/٢٤٤ ـ الميمنية .

« والماء لا يحل منعه والملح لايحل منعه » .

القاعدة الرابعة :

تحديد حرم البئر : قال رسول الله ﷺ : « حريم البئر أربعون ذراعاً من نواحيها كلها لاعطان الإبل والغنم ، وابن السبيل أو شارب ، ولا يمنع فضل ماء يمنع به الكلأ » .

وفى رواية أخرى « من حفر بئراً فله أربعون ذراعاً حولها عطن لماشيته » .

ويشرح أبو يوسف هذا الحديث قائلا : « وليس لأحد أن يدخل فى حريم بئر هذا الحافر ولافى حريم عين ، ولافى قناته ، ولايحفر فيها بئراً فإن حفر لم يكن له ذلك »[14] .

القاعدة الخامسة :

من زرع فى ملك غيره بغير إذنه فليس له إلا ما أنفق وذلك لقول رسول ﷺ : « من زرع فى أرض قوم بغير إذنهم فله نفقته وليس له من الزرع شىء » .

وهكذا فمثل هذا الزارع لايستحق إلا قيمة ما أنفقه على الزراعة من بذر وغيره ، وقيمة عمله ، والمجهود الذى بذله[15] .

ثانياً : ملكية الأراضى فى عهد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه :

امتاز عهد الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بالتوسع فى فتح البلاد المجاورة لجزيرة العرب ، فمن ناحية الشرق فتحت بلاد الفرس ، ومن ناحية الغرب فتحت بلاد الشام ومصر وشمال إفريقية ، ولما كانت هذه البلاد كلها تمتاز بأراضيها الزراعية الخصبة ، فقد كان من أولى نتائج فتحها أن ثارت مشكلة توزيع الأراضى وملكيتها فى الأراضى المفتوحة .

لما فتح المسلمون بلاد فارس أطلقوا على الأراضى الزراعية الخصبة فيما بين دجلة والفرات « أرض السواد » وقد اختلف الصحابة الأجلاء فى أمر هذه الأرض ، فرأى بعضهم أن تقسم الأراضى كما يقسم الفىء تطبيقاً لقوله تعالى :

﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

---

(١٣) كتاب الخراج لأبى يوسف ص ١٠٤ .

(١٤) انظر كتاب الخراج لأبى يوسف ص ١٠١ .

(١٥) ملكية الأراضى فى الإسلام للدكتور محمد عبد الجواد محمد ص ٥٢ .

﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾(١٦)

وكان رأى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وباقى الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أن الأرض لا تقسم ، بل تبقى ملكاً لبيت مال المسلمين ينفق منها على شئونهم من كان حاضراً منهم ومن يأتى من بعد تطبيقاً لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾(١٧) .

ولما احتدم الخلاف احتكموا إلى عشرة من المهاجرين أقروا عمر بن الخطاب على رأيه ، وهكذا ترك عمر ـ رضى الله عنه ـ أرض السواد لملاكها على أن يدفعوا عنها الخراج لبيت مال المسلمين الذى يكفل للمسلمين جميعاً فى أى مكان كانوا على ظهر الأرض حياة حرة كريمة ، وفى ذلك قال عمر ـ رضى الله عنه ـ قولته المشهورة التى تعتبر أساساً لنظام الضمان الاجتماعى فى الإسلامى ، وهى : « قد أشرك الله الذين يأتون بعدكم فى هذا الفىء فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شىء ، ولئن بقيت ليبلغن الراعى بصنعاء نصيبه فى هذا الفىء »(١٨) .

ولما فتح أبو عبيدة بن الجراح الشام طلب إليه الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ أن يوزع عليهم الأراضى الزراعية كما فعل الرسول ﷺ بأرض خيبر ، فأبى عليهم ذلك وكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يستشيره ، وقد رد عليه عمر ـ رضى الله عنه ـ متمسكاً برأيه الذى نفذه فى أرض السواد ، وزاد فى تفسير قوله ـ تعالى :

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ أنهم ولد آدم الأحمر والأسود منهم .

ثم قال : « فأقر ما أفاء الله عليك فى أيدى أهله ، واجعل الجزية عليهم بقدر طاقتهم تقسمها بين المسلمين ، ويكونون عمار الأرض فهم أعلم بها وأقوى عليها »(١٩) .

وقد حدث نفس الأمر بعد أن فتح عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ مصر حيث قام الزبير ابن العوام ـ رضى الله عنه ـ فقال « ياعمرو أقسمها فأبى فقال الزبير : والله لتقسمنها كما قسم رسول الله خيبر » .

فكتب عمرو بن العاص إلى عمر ـ رضى الله عنه ـ فرد عليه بنفس ما رد به على أبى عبيدة فيما يتعلق بأرض الشام وكان مما قاله : « أقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة » أى دع الأرض فى يد أهلها من المصريين ، وافرض عليها الخراج ، يكون دخلاً لبيت مال المسلمين ، ينفق منه عليهم جميعاً ، لاعلى الحاضرين منهم فقط ، بل وما يخلفون من ذرية ، يغزو منها فى سبيل الله أولاد الأولاد . وهكذا .

يتبع

(١٦) سورة « الحشر » الآية ٧ .

(١٧) سورة « الحشر » الآية ١٠ .

(١٨) كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٢٤ .

(١٩) ملكية الأراضى فى الإسلام للدكتور محمد عبد الجواد ص ٥٩ .

المسجد الأقصى فى الكتاب والسنة



أ. د محمود حمدى زقزوق (*)

١ ـ تمهيد :

لكل أمة مقدسات تلتف حولها ، وتحافظ عليها ، وتعتز بها ، وتضعها فى المكان الأرفع من اهتماماتها ، وتحميها ، وتدافع عنها بالأنفس والأموال ، وقد تكون هذه المقدسات ذات صبغة دينية أو وطنية أو غير ذلك ، وقد يكون لها أصل معروف ، وقد يكون هذا الأصل مجهولا تماما ، ولكن تقديسها قد توارثه الأجيال جيلا بعد جيل . فالمهم لدى الأمة ـ أى أمة ـ أن يكون لها مقدسات لا يسأل أحد عن أصلها وفصلها ، أو يشك فيها وإلا اعتبر خارجا عن الجماعة ، وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بمقدسات دينية لها لدى أصحابها النصيب الأوفى من التقدير والإجلال . ولا توجد أمة فى هذا الكون بدون مقدسات تعرف بها وتكون علامة عليها .

والمقدسات قد تكون متمثلة فى أماكن معينة أو أزمنة مخصوصة ، أو أشياء محددة ، أو نصوصا مكتوبة .

٢ ـ المقدسات الإسلامية :

وقد اختص الله الأمة الإسلامية بالعديد من المقدسات ، وعلى رأسها « القرآن الكريم » الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، و « السنة النبوية الصحيحة » ، هذا فى مجال النصوص الدينية ، يضاف إلى ذلك أماكن معينة وأزمنة مخصوصة ، فمن الأزمنة : شهر رمضان ، وليلة القدر ، ويوم الجمعة ، ومن الأماكن :

(*) الكاتب : عميد كلية أصول الدين ـ وعضو مجمع البحوث الإسلامية .



مكة ، والمدينة ، والقدس ، و المسجد الحرام ، والكعبة المشرفة ، والمسجد النبوى فى المدينة ، والمسجد الأقصى فى القدس الشريف .

ولم يكتف الحق تبارك وتعالى بجعل الأمة الإسلامية صاحبة مقدسات تختص بها ، وتكون علامة عليها ؛ بل جعلها وارثة لمقدسات ديانات التوحيد جميعا وقد تمثل ذلك فى رحلته ـ عليه الصلاة والسلام ـ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

فقد جعل الله هذه الرحلة تربط بين [عقائد التوحيد الكبرى] من لدن إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ إلى محمد خاتم النبيين ، وجعلها فى الوقت نفسه تربط بين الأماكن المقدسة [لديانات التوحيد] .

وكأن الله سبحانه قد أراد برحلة الإسراء والمعراج إعلان وراثة النبى الخاتم لجميع مقدسات الرسل من قبله ، واشتمال رسالته على هذه المقدسات وارتباط رسالته بها جميعا . ومن ذلك يتضح أن هذه الرحلة ترمز إلى معان عظيمة تعلو على الزمان والمكان[1] .

والله سبحانه وتعالى هو الذى منح التقديس والتكريم للمقدسات التى تعتز بها الأمـــة الإسلامية ، فهو الذى قدسها وبارك فيها وحولها ، ومن هنا كانت الإشارة فى القرآن الكريم إلى الشهر الحرام ، والمسجد الحرام ، و [المشعر الحرام] ، والأشهر الأربعة الحرم ، والكعبة ، البيت الحرام ، والمسجد الأقصى الذى باركه الله وبارك حوله . وهكذا كل مقدسات الإسلام ، استمدت قد اسيتها منه ـ سبحانه وتعالى ـ فهو ـ وحده ـ القدوس ، وهو ـ وحده ـ الذى يمنح التقديس .

وليس من غرضنا هنا فى هذا الحديث القصير أن نتحدث عن كل المقدسات الإسلامية وإنما نريد فقط أن نقصر حديثنا على أحد هذه المقدسات الإسلامية وبالتحديد على المسجد الأقصى .

٣ ـ تحديد مفهوم المسجد الأقصى :

المسجد الأقصى كما هو معروف لدى جميع المسلمين هو ثالث الحرمين الشريفين ، وقبلة المسلمين الأولى ، وهو نهاية إسراء المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو بداية المعراج إلى الملأ الأعلى ، وهو فوق ذلك كله المسجد الذى شرفه الله وبارك حوله ، كما جاء فى القرآن الكريم فى أول سورة الإسراء :

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ ﴾ .

والبركة التى عنتها هذه الآية الكريمة هى ـ كما يقول [المفسرون] ـ : بركة دينية تتمثل فى النبوة والشرائع والرسل الذين ضمهم هذا المكان المبارك ، فكان مُتَعَبَّدًا للأنبياء وقبلة لهم ، وبركة دنيوية تتمثل فى كثرة الزروع والثمار والأنهار[2] .

وقد حشد الله لنبيه ليلة الإسراء فى المسجد الأقصى جميع الأنبياء والرسل فاجتمع بهم ، وتحدث إليهم وأمهم فى الصلاة ، وبذلك آلت إليه

(١) فى ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ـ مجلد ٤ ص ٢٢١٢ ـ دار الشروق .

(٢) روح المعانى فى تفسير القرآن للألوسى جـ ١٥ ص ١١ دار إحياء التراث العربى .

الخلافة للرسالات جميعا ، وجعل الله القرآن الذى أنزله على محمد ﷺ مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، وجعل المؤمنين به شهداء على الناس .

وقد اتفق العلماء - كما يقول الفخر الرازى - على : أن المراد بالمسجد الأقصى بيت المقدس[3] ، وسمى بالأقصى لأنه - كما يقول الزركشى - صاحب (إعلام الساجد بأحكام المساجد) : يعد أبعد المساجد التى تزار ، ويبتغى بها الأجر من المسجد الحرام ، وقيل : لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة ، وقيل : لبعده عن الأقذار والخبائث . وقد ذكر الزركشى سبعة عشر اسما للمسجد الأقصى منها : بيت المقدس ، وبيت القدس ، والبيت المقدس ، ومسجد إيلياء[4] .

تفسير غريب مضطرب :

وهناك تفسير غريب لما يقصد بـ (المسجد الأقصى) أشارت إليه الموسوعة الإسلامية الميسرة التى كتبها المستشرقون . ويقول هذا التفسير[*] :

لقد كان محمد [صلى الله عليه وسلم] يقصد بالمسجد الأقصى - فى الغالب - مكانا فى السماء ، ويبدو أنه ذلك المكان الذى تسبح فيه الملائكة بحمد ربهم فى أعلى السموات السبع ، والآية الأولى من سورة الإسراء تقدم لنا دليلا من النبى [صلى الله عليه وسلم] نفسه على الإسراء به ليلا إلى الأفلاك السماوية وهو دليل يكتفى بالإشارة إلى التجربة ولكنه لا يقول عنها شيئاً .

وتمهيدا لهذا التفسير الغريب تقول هذه الموسوعة : أن المقصود بالمسجد الأقصى طبقا للتفسير التقليدى هو بيت المقدس ، وتشكك الموسوعة فى ذلك قائلة : ولكن كيف أمكن لمحمد [صلى الله عليه وسلم] الذى يتحدث فى الآية الأولى من سورة الروم عن فلسطين بأنها أدنى الأرض أن يطلق اسم المسجد الأقصى على حرم واقع فى بيت المقدس ؟ أن العصر الذى ينتمى إليه هذا التفسير ليس مؤكدا تماما ولا يتعدى التفسير التقليدى للمسجد الأقصى ببيت المقدس إلى أبعد من العصر الأموى ، حيث اتجه الأمويون - كما تزعم الموسوعة - إلى تعظيم بيت المقدس على حساب أرض الإسلام المقدسة فى مكة .

والإشارة إلى مثل هذا التفسير الغريب ، إشارة لئيمة تريد أن تحول أنظار المسلمين عن تقديسهم لبيت المقدس فى فلسطين إلى مكان ما فى السموات ، وبذلك لا تكون لهم أية حقوق دينية فى بيت المقدس .

وفى مكان آخر من الموسوعة المذكورة نجد ما ينقض هذه المزاعم بطريق غير مباشر حيث يقول كاتب مادة مسجد عند حديثه عن المسجد الأقصى (ص ١٠٧٥) : « وعلى أى حال كان بيت المقدس يعتبر فى الإسلام منذ زمن مبكر جدا مكانا مقدسا ، إذ كان القبلة الأصلية التى ظلت تحتفظ بقداستها برغم الانصراف عنها كقبلة ،

---

(٣) تفسير الفخر الرازى جـ ٢٠ مجلد ١٠ ص ١٤٧ - دار الفكر ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

(٤) إعلام الساجد بأحكام المساجد محمد بن عبد الله الزركشى ص ٢٧٧ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٥ هـ .

(*) الموسوعة الإسلامية الميسرة جـ ٢ ص ٧٨٦ ، ١١٠٣ - ترجمة راشد البراوى مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٥ ، مع الرجوع إلى النسخة الألمانية .



وهو ما يمكن أن نراه مثلا من حقيقة أن عمر أمر ببناء مسجد فوق موقع المعبد » .

وهكذا تتخبط هذه الموسوعة وتناقض نفسها بنفسها ، الأمر الذى يغنينا عن الاشتغال بالرد عليها .

وعلى الرغم من أن كتاب الأمان الذى أعطاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بهذا الاسم ، وقد يكون فى ذكر هذا الاسم فى وثيقة الأمان تطييب لخاطر أهل البلد وسكانها ، وخاصة أنه اسم غير مستنكر ؛ لأن معناه « بيت الله » ، وعلى الرغم من ذلك فقد كان المسلمون فى حياة النبى ﷺ يعرفون تسميتها أيضاً « بيت المقدس » . فقد روى البخارى ومسلم والإمام أحمد : أن النبى ﷺ قال :

« لما كذبتنى قريش حين أسرى بى إلى (بيت المقدس) قمت فى الحجر ، فجلّى الله لى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر إليه » .

ويشتمل صحيح البخارى على أحد الأبواب بعنوان « باب مسجد بيت المقدس »[٦] ، ومن ذلك يتضح أن تسمية بيت المقدس قديمة قدم الإسلام ذاته .

مساحة الحرم :

وتقدر مساحة الحرم القدسى الذى أطلق عليه المسجد الأقصى بحوالى ٢٦٠٦٥٠ مترا مربعا ، يضمها : سور يبلغ طوله فى الناحية الشرقية ٤٢٤ مترا ، ومن الناحية القبلية ٢٨٣ مترا[٧] .

والمقصود بالمسجد الأقصى فى القرآن الكريم جميع ما أحاطه السور ، وفيه الأبواب ، ويشمل المسجد المعروف الآن : بالمسجد الأقصى ومكان الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما[٨] ، ولم يكن هناك عند نزول الآية الكريمة بناء معروف بالمسجد الأقصى ، ولا بناء آخر معروف بمسجد الصخرة المشرفة ، ولا سائر الأبنية المنتشرة فى ساحة المسجد الأقصى ، وإنما سمى فى الآية الكريمة بالمسجد لأنه مكان العبادة . ولذلك فإن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ لما جاء القدس عام الفتح فى السنة السابعة عشرة للهجرة استشار كعب الأحبار : أين يقع المسجد ؟ فقال له كعب : اجعله وراء الصخرة فقال له : ضاهيت اليهودية يا كعب ، بل نجعله صدر المسجد وهو المسجد المعروف بالعمرى الآن .

وقد بنى عبد الملك بن مروان المسجدين المعروفين بمسجد الصخرة والمسجد الأقصى .

وقد أجمع المؤرخون والعلماء على الاتفاق على إطلاق المسجد الأقصى على ما دار عليه السور وفيه الأبواب ، وهو الذى كان معروفا عند الإسراء والمعراج ، ولذلك فإن إقدام الصهاينة على الصلاة فى ساحة المسجد بحجة أنه بعيد عن المسجد الأقصى ؛ فيه اعتداء صارخ على التاريخ وعلى حرمة المسجد الأقصى المبارك ، وانتهاك لمقدسات المسلمين .

لقد رفض الخليفة عمر بن الخطاب أن يصلى

---

(٦) راجع : بيت المقدس فى الإسلام ص ٥٠ وما بعدها ــ من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ١٩٦٩ م .

(٧) راجع : مقدساتنا الإسلامية : قبة الصخرة والمسجد الأقصى للدكتور عبدالرحمن زكى ص ١١ ــ من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ القاهرة ١٩٦٧ .

(٨) بيت المقدس فى الإسلام ص ١١٤ / ١١٥ .

داخل كنيسة القيامة عندما أدركته الصلاة على الرغم من أن رئيس الأساقفة قد سمح له بذلك ، ولكن عمر امتنع خشية أن يدعى المسلمون بعد ذلك أن لهم حقا فى ذلك المكان بسبب صلاة عمر فيه . فأين هذا الذى فعله عمر من ذلك الذى يفعله الصهاينة اليوم فى القرن العشرين ؟[9] .

٤ ـ فضل المسجد الأقصى :

وهذا المكان المبارك الذى باركه الله ، وبارك حوله ، والذى تعبد فيه الأنبياء له مكانة عظيمة ، ومنزلة كبيرة فى قلب كل مسلم . فقد جعله الإسلام أحد المزارات الإسلامية المقدسة التى لا تشد الرحال إلا إليها كما ورد فى الحديث الشريف :

« لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى »[10] .

وهذه الخصوصية التى اختصت بها هذه المقدسات الثلاثة تمتد أيضا لتشمل أفضلية الصلاة فيها على غيرها من المساجد . فقد روى ابن ماجه عن أنس مرفوعا أن النبى ﷺ قال :

« صلاة الرجل فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته فى مسجدى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة » .

وهناك روايات أخرى فى مقدار فضل الصلاة فى المسجد الأقصى . والحق أن الخلاف الواقع بين هذه الروايات لا يؤثر على جوهر الموضوع . فالمهم هو زيادة الثواب للمصلى الذى يصلى فى هذه المساجد الثلاثة التى من بينها المسجد الأقصى .

وترجع أقدمية المسجد الأقصى إلى أعماق التاريخ . وهذا ما يؤخذ من الحديث الشريف الذى رواه الشيخان عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : قلت يا رسول الله ، أى مسجد وضع فى الأرض أولا ؟ قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون عاماً ، وحيثما أدركتك الصلاة فصل »[11] .

ويقول الزركشى فى كتابه « إعلام الساجد » بصدد الزمن الذى بين بناء المسجدين : « إن سليمان ـ عليه السلام ـ إنما كان له من المسجد الأقصى تجديدة لا تأسيسه ، والذى أسسه هو يعقوب بن اسحق ـ صلوات الله عليهما ـ بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا القدر » .

وقد روى النسائى وابن ماجه فى سننهما عن رسول الله ﷺ أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأله الله ثلاثا فأعطاه اثنين وأرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة :

سأله مُلكاً لا ينبغى لأحد من بعده فأعطاه إياه ، وسأله حكما يواطىء حكمه (وفى رواية حكما يصادف حكمك) فأعطاه إياه ، وسأله من أتى هذا البيت ـ يريد بيت المقدس ـ لا يريد

(٩) راجع : مكانة القدس فى الإسلام للشيخ عبدالحميد السائح ص ٣٨ وما بعدها من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ١٩٦٩ م .

(١٠) رواه البخارى ومسلم .

(١١) راجع أيضا : المسجد الأقصى ومعركة المصير والفتح للشيخ عبداللطيف مشتهرى ص ٣٤ / ٣٥ من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ١٩٦٩ .



إلا الصلاة فيه أن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فقال رسول الله ﷺ : وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة[12] .

٥ ـ تحويل القبلة ودلالاته :

وقد كان المسلمون فى مكة يتجهون فى صلاتهم نحو بيت المقدس ، فقد أخرج الإمام أحمد والطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : كان النبى ﷺ وهو بمكة نحو بيت المقدس ، والكعبة بين يديه ، وبعد ما هاجر إلى المدينة كان يصلى نحو « بيت المقدس » ستة عشر شهرا ، ثم صُرِف إلى الكعبة .

وكان اليهود بعد هجرة النبى ﷺ إلى المدينة وصلاته نحو بيت المقدس قد فرحوا بهذا التوجه نحو بيت المقدس ، ظنا منهم أنه بذلك يتبع ملتهم ؛ ولكنهم بعد تحويل القبلة إلى الكعبة بدءوا فى السخرية من المسلمين بهذا التحويل . والقرآن الكريم يقول فى هذا الصدد :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾[13] .

سورة البقرة

ولم يكن تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة تحولا عن تقديس بيت المقدس ولا نكوصا أو هجرانا . فقد ظل المسجد الأقصى أحد المزارات الثلاثة المقدسة فى الإسلام التى لاتشد الرحال إلا إليها . كما أن هذا التحول لم يكن محاولة للتخلص من التأثير اليهودى المزعوم على الإسلام كما يزعم الزاعمون ، وإنما كان إيحاء إليها باكتمال ربط قلوب المسلمين بأماكن الله المقدسة ـ بيت المقدس وإقليمه والكعبة وإقليمها ـ وفى هذا الربط إيحاء روحى بالمحافظة على تلك الأماكن المقدسة وبالتضحية فى سبيل تطهيرها من عبادة غير الله ، ومن سلطان غير المسلمين[14] .

٦ ـ مدى اهتمام المسلمين بالمسجد الأقصى :

وقد أبدى المسلمون اهتماما عظيما بالمسجد الأقصى عبر التاريخ بوصفه أحد المقدسات الإسلامية ، ولم يكن فتح المدينة المقدسة هو أول فتح إسلامى لها . فقد فتحها رسول الله ﷺ قبل الفتح العملى لها وذلك برحلته المباركة إليها ليلة الإسراء ، وكان هذا يعد إيذانا للمسلمين بعدم التخلى عنها . وقد شهدت المدينة المقدسة منذ تم فتحها فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ شهدت عهدا جديدا من الاستقرار والسلام لم تشهد له مثيلا فى تاريخها الطويل .

ويروى الحافظ بن كثير فى (البداية والنهاية) : أن « عمر » حين دخل بيت المقدس صلى فيه تحية المسجد بمحراب داود ، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد فقرأ فى الأولى بسورة (ص) وسجد فيها والمسلمون معه ، وفى الثانية بسورة الإسراء . وبعد ذلك جاء إلى الصخرة المشرفة ، فاستدل على مكانها من كعب الأحبار ثم نقل التراب وأزال القاذورات عن

(١٢) راجع : إعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٣٠ ، ٢٨٢ ، ٢٩١ .

(١٣) بيت المقدس فى الإسلام ص ٦٢ وما بعدها .

(١٤) من توجيهات الإسلام للشيخ شلتوت ص ٤٥١ ، طبعة الأزهر ١٩٥٩ .

الصخرة المشرفة ، وجعل يكنسها بيده ويحملها في ردائه وجعل المسلمون يحذون حذوه ويكنسون معه[15] .

وقد تتبع المسلمون مساجد الأنبياء مسجداً مسجداً ؛ ابتداء من مسجد إبراهيم الخليل عليه السلام إلى آخر من دفن منهم في فلسطين وبيت المقدس ، فأعادوا بناءها وحافظوا على قدسيتها وطهروها من كل الأدناس . فمقدسات الأنبياء جميعاً هي مقدسات المسلمين . وقد غلب على المدينة بعد الفتح الإسلامي اسم بيت المقدس وهي التسمية التي يفضلها المسلمون ؛ لأنها تعني أن تكون هذه المدينة مقدسة طاهرة خالصة لله - تعالى - يؤمها المؤمنون جميعاً للعبادة والتطهير .

وقد كانت عناية المسلمين بالمدينة المقدسة عناية فائقة لعدة أسباب :

أولا : لأن الله قد اختصها بالعديد من الأنبياء ابتداء من إبراهيم إلى عيسى - صلوات الله عليهم أجمعين - وقد ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « البيت المقدس بنته الأنبياء وسكنته الأنبياء ، ما فيه موضع شبر إلا وصلى فيه نبي أو قام فيه ملك » .

ثانيا : لأن الله - سبحانه وتعالى - قد خصها بإسراء سيدنا محمد ﷺ فكانت نهاية رحلة الإسراء وبداية رحلة المعراج .

ثالثا : لأن فيها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

رابعاً : لأن المسلمين كانوا يعدون هذه المدينة الثغر الذي يمكن أن ينفذ منه العدو إلى الكعبة المشرفة وقبر الرسول ﷺ ، ولذلك فإنه عندما استقر بهم الأمر جعلوا نصب أعينهم حماية هذا المكان الطاهر لقداسته من جانب ؛ ولدرء الأخطار المحتملة على الأماكن المقدسة الأخرى من جانب آخر[16] .

٧ - خاتمة :

لقد سجل تاريخ هذه المدينة المقدسة أنها قد نعمت في ظل الحكم الإسلامي بالاستقرار والسلام مدة ثلاثة عشر قرناً باستثناء قرن واحد تمكن فيه الصليبيون من الاستيلاء عليها وعلى أجزاء من فلسطين . وفي هذه الفترة الإسلامية الطويلة أطلقت حرية العبادة لجميع الطوائف دون استثناء[17] .

ولن نتحدث هنا عن الإنجازات الحضارية والعمرانية التي قام بها المسلمون في المدينة المقدسة طوال حكمهم الطويل ، ولن نتحدث عن سماحة المسلمين الرائعة في معاملتهم لأعدائهم ؛ فهذا حديث يطول شرحه . ولكننا نود في نهاية حديثنا أن نذكر فقط بواجب المسلمين اليوم إزاء المسجد الأقصى الذي غدا أسيرا في يد العدو الصهيوني الغاصب .

إن الصليبيين عندما أشعلوا على مدى قرنين من الزمان نار الحرب الاستعمارية التي سموها كذبا « حربا صليبية دينية » ؛ اشترك في الدفاع عن

البقية ص ٥٣١

(١٥) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير جـ ٧ ص ٥٥ وما بعدها - مكتبة المعارف بيروت .

(١٦) بيت المقدس في الإسلام ص ٩ - ١١ .

(١٧) بيت المقدس في الإسلام ص ١١ .

الإسلام يحرر الإنسان

بقلم أ.د. محمد شامة

استقر فى أذهان جميع الشعوب والأمم أنهم خلقوا من أب واحد ، هو : آدم ، وأم واحدة ، هى : حواء وكان سبب هذا الإجماع راجعاً إلى ورود قصة الخلق فى تراث كل الشعوب .

وكان من مقتضيات الاشتراك فى مصدر الخلق أن يشترك الناس جميعاً فى الصفات والعادات والتقاليد ، فتتوحد أفكارهم وميولهم ، ويتشابه سلوكهم ، فلا تنافر فى نشاطهم ، وتعارض فى نظرتهم للحياة ، بل تناغم وانسجام ، وتوافق ووئام .

لكن الواقع يناقض ذلك : فمن اختلاف فى الأشكال والهيئات ، إلى تعارض فى الأفكار والميول ، ومن تناقض فى المشارب والاتجاهات إلى تناحر فى الغرائز والملكات ... حتى أصبح من النادر جدا ـ بل يكاد يكون من المستحيل ـ أن يتفق اثنان اتفاقاً كاملا فى أى صفة من صفات الإنسان ، فضلا عن اتفـاق الشعـوب والجماعات ؛ فاختلاف الناس وتباينهم لازم من لوازم الحياة الإنسانية ، بل إنه كما يذهب بعض العلماء ـ ضرورى فى الأشكال والهيئات ، حتى لا تضطرب الحياة ، إذ لو خلق الناس جميعاً نسخة واحدة فى الصورة والملامح ، لأصبح التمييز بين شخص وآخر عسيرا ، فتضيع الحقوق ، وتختلط المصالح ، مما يحول الحياة إلى فوضى لا ضابط لها ، ويغرقها فى غياهب من الظلمات الحالكة ، حيث لاشعاع يحدد معالمها ، ولا وميض من نور يقود مسيرتها ، ويمكن أن تتصور ارتباك الحياة واختلاط الأمور ، لو خلق الناس جميعاً نسخة واحدة ، عندما تمعن التفكير فى الطريقة التى تمكنك فى هذه الحالة من أن تعرف زوجتك من الأخريات ، وأن

تتعرف على أصحابك وأصدقائك ومن يتعاملون معك فى جميع نواحى الحياة ... هيهات ... بل إن ذلك من المستحيل، وصدق الله إذ يقول :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ... ﴾ (١)

أى خلقكم مختلفين فى الهيئة والصورة واللون، وجعلكم متباينين فى الأعراق والأجناس، ليعرف كلٌّ منكم الآخر، بما تميز به فى شكله وصورته وهيئته، وبما اختلف به عنه فى لونه وجنسه، وشعبه.

كذلك كان الاختلاف فى الأفكار والرؤى ضروريا؛ فلو اتفق الناس فى تصوراتهم للحياة، وتطابقت أفكارهم فى التعامل مع الطبيعة، واتحدت رؤاهم حول أسلوب واحد فى مجال النشاط الإنسانى، لجمدت الحياة عند مستوى الصورة الأولى لحياة الناس على هذه الأرض، ثم لظل - من بعد ذلك - هائماً على وجهه فى الغابات والوديان يأكل من الأشجار، ويشرب من مجارى المياه الطبيعية، أى يحيى على ما تجود به الطبيعة من تلقاء نفسها عليه، فلا تغيير ولا ابتكار، بل انكماش وتقوقع، لأن شرارة الابتكار تنبعث من احتكاك الأفكار المختلفة، ويأخذ التغيير طريقه فى حياة الإنسان من ثنايا التنوع فى الأفكار والرؤى، وتُبنى الحضارات من رحم تصارع الآراء، فلا حضارة لقوم ظنوا أن الاتفاق واجب مقدس، أو اعتقدوا أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان، فطفقوا يحاربون أصحاب الأفكار الجديدة، ويتعقبون كل من ينادى بالابتكار والتغيير.

ظاهرتان أساسيتان فى انتظام حياة الإنسان وتجددها :

الأولى : تباين الناس فى أشكالهم وصورهم حتى لا يختلط الحابل بالنابل، فيعرف كل واحد قرينه وصديقه ومن يتعامل معه، ويميزهم عن غيرهم، فتستوى الأمور، وتتحدد الواجبات والالتزامات، ويُعرف كلٌّ بصفاته وملامحه، فينضبط وقع الحياة، وتنتظم نغماتها.

ثانياً : اختلاف فى القدرات الذهنية والملكات الفكرية، حتى لا يصبح الناس صورة مكررة فى مجال الفكر والنظر، تؤدى إلى جمود فى الحياة، وعجز عن الابتكار والتغيير اللذين هما أساس بناء الحضارات؛ فلو جمد الناس على صورة واحدة، وحاربوا التغيير، وأجهضوا كل ابتكار فكرى ما وجدت الحضارات على وجه الأرض، ولأصبحت حياة الإنسان على هذه البسيطة شيئاً آخر، مختلفاً كل الاختلاف عما نعيشه ونتمتع به الآن، فالاختلاف الفكرى سنة الله فى الأرض، وهو لازم من لوازم الحياة البشرية، وضرورى لاستمتاع الإنسان بما خلق الله فى الكون.

ثم كان الاختلاف فى العقيدة، إذ هى تصوُّر لما يمكن أن يُعين الإنسان على مواجهة أخطار الطبيعة وتقلباتها، وتخيُّل للقوة التى تساعده عند الشدائد، وتلهمه الطريق الذى يؤدى به إلى النجاح، ويحفظه من الفشل، ولما كان التصور عملية فكرية - تختلف قدرتها من إنسان لآخر،

---

(١) الحجرات : ١٣

وتتنوع عناصرها طبقاً لخصائص الشعوب الفكرية ، وأسلوبها فى الحياة ، ودرجتها على سلم الحضارة ـ اختلفت صورة هذه القوة ، بين عبادة لقوى خفية ، ترمز إليها الأشجار والأحجار ... إلى تقديس للأشخاص والأرواح ... إلخ ... إلخ ... حتى اهتدى أناس بتفكيرهم المتميز عن الآخرين ، وبملكاتهم الفكرية المتفوقة على أقرانهم إلى معبود واحد لا شريك له ، إذ لولا الاختلاف والتنوع فى مجال الفكر ، لظل الإنسان على عقيدة بدائية ، ولو لم يباشر الإنسان حقه فى حرية التفكير ، لظل أسيرا ، مكبلا بترهات العقلية البدائية ، وتصورات الإنسان البدائى الذى كان نشاطه مقيدا بكم كبير من الطقوس والتعاويذ ، فلا يقدم على عمل إلا باستشارة القوى الخفية ، التى كانت ـ ولازالت فى مناطق عدة من المجتمعات الإنسانية ـ مسيطرة سيطرة تامة على عواطفه ووجدانه ، فهو خاضع فى كل حركاته وسكناته للأشباح والأرواح ، توجهه فى أحلامه ورؤاه ، وتحدد له أسلوب حياته وطريقة معيشته .

يقول الأستاذ « نساو Nassau » :

عاش الإنسان فى العصور السحيقة تحت أوهام وخرافات حدت من انطلاق فكره ، وجمدت ملكاته الذهنية فى إطار نوع من التقاليد والعادات الدينية ، يعيش طبقاً لطقوسها ، ويتحرك حسبما تملى عليه من الدلائل والإشارات ، فقد انحصرت مدركاته العقلية فى استجلاء أفعال القوى الغيبية التى كان يشعر أنها تحيط به من كل جانب ، ومن طبائع هذه القوى ـ حسب اعتقاده ـ أنها لا تُرى ولا تُدرَك بالحواس ، كما أنها لا تكشف عن نفسها إلا فى ظواهر ، قد تكون واضحة قوية الدلالة ، كثيرة الورود أو قليلة ، ومن هنا تعيَّن على البدائيين أن يعرفوا كيف يميزونها ويجمعونها ويفهمونها . ومن الظواهر التى ساعدتهم على معرفة ما يتصورونه عن هذه القوى الغيبية :

« الأحـــــلام »

إذ « من المعلوم أن العالم المرئى والعالم غير المرئى يكونان فى نظر العقلية البدائية عالما واحدا ، فالاتصال عندهم مستمر بين ما تسمية بالحقيقة الحسية ، وبين القوى الغيبية . ولكن هذا الاتصال لا يحصل بصورة أتم وأصرح إلا فى الأحلام ، حيث ينتقل المرء فيها من أحد العالمين إلى الآخر ذهابا وإيابا دون أن يشعر ، وهذا فى الواقع هو تصور البدائيين المعتاد للحلم : تترك الروح الجسم الذى تحل فيه مؤقتا وتذهب فى بعض الأحيان بعيدا جدا لتتحدث مع الأرواح والأموات ، وإذا ما استيقظ الشخص رجعت إليه ، وأخذت مكانها فى جسمه ، لذلك إذا منعها سحر ، أو حادث آخر من دخوله ثانية فقد يصاب صاحبها بمرض يتبعه الموت ، وفى بعض الأحيان تأتى أرواح الأموات نفسها ، أو بعض القوى الأخرى لزيارة روح الحالم أثناء نومه .

وهكذا يعمل الحلم على مد البدائيين بمعلومات لا تقل قيمتها ، بل قد تزيد على قيمة المدركات التى يحصلون عليها أثناء اليقظة ، وهم يقبلونها قبولهم للمدركات الأخرى دون أن يحتاجوا فى ذلك إلى الفلسفة الطبيعية التى يعزوها إليهم .. « تيلر » ومدرسته . ولكنهم ليسوا ضحايا خداع سيكولوجى فاضح كما يدعى البعض ، بل يعرفون جيداً كيف يميزون بين الحلم ومدركات اليقظة ،

ويعلمون أنهم لا يحلمون إلا حين ينامون . غير أنهم يؤمنون إيمانا تاماً بأن الأحلام تضعهم فى علاقة مباشرة مع القوى التى لاترى ... »[2]

كتب « السدن بست Elsdon Best » يقول :

قالت لى هذه السيدة العجوز ذات يوم : يمكننى الاعتقاد بكل سهولة أن الناس الذين يموتون فى سن الهرم يعودون إلى شبابهم فى « الرينجا Reinga » ، فقد ذهبت إلى « الرينجا » فى الليلة الماضية « تعنى أنها حلمت » ورأيت فيها « كير يويرا Kiriuwera » (امرأة عجوز ماتت حديثا) وكانت عليها سيماء الجمال والشباب الغض ، وإذا قال أحد الأهالى : بأنه كان فى « الرينجا » فى الليلة الماضية ، فإنه يعنى أنه رأى حلما :

حكى لى رجل مسن يقول : كنت فى « الرينجا » فى الليلة الماضية ، ورأيت فيها صديقى العجوز الذى مات منذ زمن طويل ... وقد عرفت من هيئته أن الجو سيكون صحوا فى الغد .. » وقد لاحظ « كولسيو Koleso » الملاحظة نفسها حيث يقول : « إنهم يعتقدون فى حقيقة الأحلام ، ولديهم منها أنواع كثيرة ، منها الحسن ومنها السيء ... وهم مقتنعون بأن الأحلام عبارة عن ذكريات ما رأوا فى « الرينجا » (عالم غير مرئى ، وهو مقر الأموات) حيث تذهب الروح أثناء نوم الجسم »[3] .

بل إنهم كانوا يعتبرون ما يرونه فى أحلامهم حقائق لا يتطرق إليها شك ؛ حدث فى أفريقيا الاستوائية أن رأى أحدهم فى المنام أنه قام برحلة ، فاعتبر أنها وقعت بالفعل فى عالم الحقيقة فلبس الملابس الأوروبية وجلس على باب عشته ولما سئل عن ذلك قال : إنه حلم فى الليلة الماضية أنه زار البرتغال وانجلترا ، وبعض الأقطار الأخرى ، ولذلك لبس الملابس الأوربية بمجرد أن استيقظ من نومه ، وقال لرعاياه : إنه آت من بلاد البيض ، وكان على من يأتون لرؤيته من شيب وشبان أن يصافحوه مهنئين بسلامة العودة[4] .

وقد سجل العلماء والباحثون كثيراً من هذه الروايات التى توضح أن الإنسان البدائى لم يكن حراً فى حياته ، بل كان مقيداً بتعاليم القوى الغيبية ، التى كانت تأتيه عن طريق الطقوس التى فرضتها عليه عادات المجتمع وتقاليده . ولم يكن أحد يستطيع الخروج عما تعارف عليه القوم ، وخاصة ما كان متعلقا بالقوى الغيبية ؛ لأنها تسيطر على حياة المجتمع ، وتوجه أفراده إلى ما تحب وترضى ، فلا حرية له فى الصيد والقنص ، بل يتبع ما تمليه عليه هذه القوى الغيبية ، ولا إرادة له فى مأكل ومشرب ، بل يتناول ما تسمح له به مما حوله ، وبما تسمح له من طريقة حركاته وسكناته ، وأسلوب اتصاله بمن حوله ، بما فيها قيامه بواجباته الزوجية فهو (مبرمج) سلفا ، أو يوجه آليا عند الطلب من ظواهر ومدركات أملته عليه هذه القوى ، حيث سلم نفسه لإرادتها وتوجيهاتها .

ومن يطلع على ما جمعه الرحالة والباحثون عن طبيعة حياة هذه القوى الخفية الإنسان البدائى ،

---

(٢) ليفى بريل : العقلية البدائية ص ٥٧ ـ ٥٨ .

(٣) ليفى بريل : العقلية البدائية ص ٩٩ ـ ١٠٠

(٤) المصدر السابق ص ١٠٣

لا يجد هذا الإنسان ذرة من حرية ، فلا إرادة له ، بل هو خاضع خضوعا كليا ، وليس من حقه أن يفعل ما يحب ، بل هو مضطر لتنفيذ توجيهات القوى المتسلطة عليه ، ولم يستطع أحد الفكاك من هذه القيود ، اللهم إلا بضعة أفراد ، هداهم تفكيرهم إلى إظهار نوع من التمرد على هذه المعتقدات ، وتحملوا فى سبيل ذلك ألوانا من العذاب والاضطهاد ، أشتد عليهم أحيانا حتى أزهق أرواحهم ، وسقط تحت وطأته كثير من أتباعهم . وقد ظهر على امتداد التاريخ البشرى كوكبة من المصلحين والمفكرين ، دعوا إلى تصحيح مسار الفكر الإنسانى ، وجاهدوا فى سبيل تحرير الإنسان وتنويره فكريا وعقديا ... حتى نهضت الإنسانية من سباتها وتخلصت من قيودها ، فعرفت معنى الحرية ، وذاقت لذة التفكير ، فيما حولها ومن حولها ، فأدركت أن العقل محور الوجود ، يدرك به الإنسان الظواهر ويحللها ، ويستنتج ما يساعده على التخطيط والتدبير لمسيرة الحياة ، بحيث يتمكن الإنسان من الاستمتاع بحياة على نحو يجنبه مسالك الهلاك ، ومهاوى الدمار ، ويبعده عن دروب العذاب والمعاناة ، سواء كان ذلك عاجلا أو آجلا .

كان على رأس المصلحين والمفكرين الذين قادوا مسيرة النهضة فى المجتمع الإنسانى :

« الأنبيـــاء والرســـل »

بقية صـ ٥١٦

الإسلام والعروبة حينذاك المسلمون على اختلاف طوائفهم . فقد اشترك « الفاطميون والسلاجقة والأيوبيون والمماليك والعرب » فى الدفاع عن حصون الإسلام ، وظلت الحرب سجالا إلى أن قيض الله « صلاح الدين الأيوبى » للقيام بشرف تحرير بيت المقدس من الغاصبين ، وأظهر من السماحة والعفو والصفح وجميل المعاملــة ما يسجله له التاريخ بحروف من نور .

والتاريخ اليوم يعيد نفسه . فالمسجد الأقصى أسير فى يد عدو غاشم لم يتورع عن إضرام النار فيه قصد إحراقه عام ١٩٦٩ . ومقدسات المسلمين هى شرفهم وعرضهم . والواجب الدينى ينادينا أن توحد صفوفنا ، ونجمع كلمتنا ، ونتسى خلافاتنا ، ونتسق خططنا ، ونضاعف مساعينا ونعمل جاهدين بكل الوسائل المتاحة لنا سلما أو حربا من أجل استعادة مقدساتنا ، وتحرير بيت المقدس من ذل الأسر المهين .

ولعلنا فى هذا الصدد نتذكر قول رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله ـ عز وجل ـ وهم كذلك . قالوا : يا رسول الله ، وأين هم ؟ قال : ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس »[١٨] .

والله نسأل أن يوفق الأمة الإسلامية إلى ما فيه خيرها وعزها ومجدها حتى تكون بحق خير أمة أخرجت للناس كما أراد الله لها أن تكون .

وبالله التوفيق ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

---

(١٨) أخرجه الإمام أحمد عن أبى أمامة الباهلى . (راجع أيضا : المسجد الأقصى ومعركة النصر والفتح ص ٣٦) .

الإسلام والمرأة والتاريخ

بقلم/ عبير عبد الواحد

تمهيد :

بسم الله الرحمن الرحيم ..

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين .

وبعد :

فإن الإسلام ليس ديناً قومياً ليكون تشريعه خاصا بمحيط قومه ، ولكنه دين عالمي للناس جميعا ، وتلك الحقيقة معروفة معلومة من العديد من آى الذكر الحكيم ، وبخاصة قوله ـ تعالى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ الأنعام ـ ١٩ ، وقوله ـ عز من قائل : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف ـ ١٥٨ .

من أجل ذلك كان تشريع الإسلام للناس جميعا ، فإذا كان ثمة بحث عن المرأة وعطاء الإسلام ، فينبغى ألا يقتصر الباحث على أحوال المرأة فى الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وما كانت من وضع تعس بائس ؛ بل يجب أن تكون نظرة الباحث شاملة جامعة ـ عن يقين ـ لأوضاع المرأة فى العالم كله قبل الإسلام ؛ لنتبين جلال تشريع هذا الدين ووسطيته وفى ضوء هذه الأوضاع نلمس حقوق المرأة التى جعلها المولى ـ عز وجل ـ حقوقا لها فى أى مكان ـ كانت ـ وأى زمان . وهذا ما قامت بدراسته الباحثة .

المرأة فى الهند .. نظرة تاريخية

كانت المرأة الهندية ـ فى هذه العصور القديمة ـ على ما كانت عليه من جمال ـ أحط منزلة من الرجل ؛ فقد اعتبرها قومها من جنس غير جنس الرجل ، وهذا ما تعبر عنه إحدى الأساطير الهندية ؛ حيث تقول :

إن « تواشترى ـ المبدع الإلهى فى عقيدتهم ـ حين أراد فى البداية أن يخلق المرأة وجد أن مواد الخلق قد نفدت كلها فى صياغة الرجل ، ولم يبق لديه من العناصر الصلبة بقية ، فإزاء هذه المشكلة طفق يصوغ المرأة من القصاصات والجذاذات التى تناثرت من عمليات الخلق السابقة ، يختار قصاصة من هنا وجذاذة من هناك !!!

وجاء فى (قصة الحضارة)(*) : (لم يكن للمرأة فى الهند إلا أسوأ الحظوظ ، فترى الروح العامة فى « تشريع مانو » موجهة ضدها فى

(*) ول ديورانت ، قصة الحضارة ـ الهند وجيرانها ، ترجمة/ زكى نجيب محمود ، ص ١٧٨ .

عبارات تذكرنا بمرحلة أولى من مراحل اللاهوت المسيحى »(*).

« إن مصدر العار هو المرأة ، ومصدر العناء فى الجهاد هو المرأة ، ومصدر الوجود الدنيوى هو المرأة ، وإذا فإياك والمرأة ».

وفى فقرة أخرى « إن المرأة لا تقتصر قدرتها على تضليل الأحمق عن جادة السبيل فى هذه الحياة ، بل هى كذلك قادرة على تضليل الحكيم ، فهى تستطيع أن تمسك بزمامه ، وأن تخضعه لشهوته أو لغضبته ».

كذلك نص (تشريع مانو) على أن المرأة طوال حياتها ينبغى أن تكون تحت إشراف الرجل فأبوها أولا وزوجها ثانيا ، وابنها ثالثا .

المرأة الهندية زوجة : كانت الزوجة الهندية بمثابة العبد لا لسيدها وإنما لإلهها ـ أى زوجها ـ [نعوذ بالله العلىّ الأعلى]ـ فكانت تخاطبه فى خشوع قائلة له : « يامولاى » و« ياسيدى » و« ياإلهى » ..!!! وهى تمشى خلفه ـ بمسافة ـ إن مشيا على مرأى من الناس ، ويبلغ من إذلالها أنه قلما يوجه إليها كلمة واحدة !!

وينتظر من المرأة أن تبدى إخلاصها بخدماتها فى كل المواقف : بإعدادها للطعام ، وبأكلها لما يبقى بعد أكل زوجها وأولادها ، وبضمها لقدمى زوجها إذا حانت ساعة النوم .

يقول مانو : « إن الزوجة الوفية ينبغى أن تخدم سيدها كما لو كان إلهاً ، وألا تأتى شيئا من شأنه أن يؤلمه ، مهما تكن حالته ، حتى إن خلا من كل الفضائل »(١) .

أما الزوجة التى تعصى زوجها فمآلها أن تتقمص روحها (جسد آوى) فى خلقها التالى(٢) وللشاب أن يتزوج من زوجات كثيرات ، لكن واحدة منهن فقط تكون لها السيادة على الأخريات .

والزوجة أحد ثلاثة أشخاص لا يجوز لهم أن يملكوا شيئا .. والشخصان الآخران هما الابن والعبد ، فكل ما يكسبه هؤلاء يصبح ملكاً لسيد الأسرة على أنه يجوز للزوجة أن تحتفظ بملكية المهر والهدايا التى جاءتها عند زواجها ، كذلك يجوز لأم الأمير أن تحكم البلاد فى مكان ابنها حتى يبلغ الرشد .. ومن حق الرجل أن يطلق الزوجة لخيانتها الزوجية ، لكن الزوجة لاتستطيع أن تطلق زوجها لأى سبب من الأسباب .. وفى مقدور الزوج إذا ما شربت زوجته الخمر أو إذا مرضت أو إذا شقت عليه عصا الطاعة أو كانت مسرفة أو شكسة ، أن يتزوج من غيرها فى أى وقت شاء (لا أن يطلقها) .

ويروى لنا سترابو أن عادة قتل الزوجة بعد موت زوجها كانت شائعة فى الهند أيام الاسكندر(٣) وأن قبيلة « كاثى » ـ وهى قبيلة تسكن البنجاب ـ اتخذت من هذه العادة قانونا حتى لاتدس زوجة لزوجها السم فتقتله .. ولقد عارضها (البراهمة)(٤) أول الأمر ، لكنهم عادوا فقبلوها ، وأخيرا خلعوا عليها قداسة دينية تحميها

(*) انظر فصل الخطيئة وعلاقتها بالمرأة . فيما يأتى .

(١) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، مرجع سابق ص ١٧٩ .

(٢) طبقا لعقيدة التناسخ المنتشرة فى أديان الهند .

(٣) كانوا يحرقون جسد الزوجة فى حفرة من الأرض ، أو يدفنونها حية ، كما كان يحدث بين قبيلة « تلوج » فى الجنوب .

(٤) رجال الدين الهندوسى .

من العبث ، وذلك بأن جعلوها مرتبطة بأبدية الرابطة الزوجية : فالمرأة إذا ما تزوجت رجلا كان عليها أن تظل زوجته إلى الأبد ، وستعود إلى الارتباط الزوجي به في حياته المقبلة[٥] ، وهذه الملكية المطلقة من الزوج لزوجته اتخذت في « راجستان » صورة ما يسمونه « جوهور » وهي [أي جوهور] عادة تقضي على الرجل من أهل « راجبوت » إذا ما أصابه نوع معين من الهزيمة **أن يضحي بزوجاته قبل أن يتقدم هو إلى الموت في ساحة القتال !!!**

وفي « فيجاياناجار » **كان قتل الزوجة هذا يتخذ صورة جمعية** ، فلا يكتفى فيه بقتل زوجة واحدة أو عدد قليل من زوجات الأمير أو القائد بعد موته ، **بل كان لابد لكل زوجاته أن يتبعنه إلى الموت** ، ويروى لنا « كونتي » أن « الراجا » أو الملك قد تختار ثلاثة آلاف من زوجاته البالغ عددهم اثنى عشر ألفا ، ليكن مُقَرّبات له « على شرط أن يحرقن أنفسهن مختارات عند موته ، وإن ذلك ليعد شرفاً عظيماً لهن » .

وأخذت « السوتي » ـ أي (عادة قتل الزوجة بعد موت زوجها) ـ تقل شيئا فشيئا كلما ازدادت الهند اتصالا بأوروبا ، إلا أن الأرملة لاتزال تعاني صعابا كثيرة ، فمادام الزوج قد ربط المرأة بزواجه منها رباطا أبديا ، **فإن زواجها مرة ثانية بعد موت زوجها كان يُعد جريمة فادحة ، ومن نتائجه أن يحدث للزوج اضطرابا في حياته المقبلة [على ما يعتقدون]وعلى ذلك كان لابد للأرملة وفق القانون البرهمي أن تظل بغير** **زواج ، وأن تحلق شعرها** (إذا لم تؤثر لنفسها القتل في نار زوجها) معنية بأطفالها ومشتغلة بأعمال البر والإحسان ، والرأي عند الهنود هو أن العذرية الثانية التي تصطنعها الأرملة عندهم شبيهة بامتناع الراهبات في المسيحية عن الزواج .

وهكذا نرى أن **الزوجة عند الهنود محكوم عليها بالموت بعد زواجها** .. وإن اختلفت وسيلة الموت : **ففي العصور السابقة كانت تحرق أو تدفن حية** ، وفي العصور التالية لها يحكم عليها بإهدار كيانها الأنثوي وهي على قيد الحياة **فلا تتزوج بعد وفاة زوجها** .

المرأة الهندية والتعليم : لم يكن نساء الهند يتلقين تعليماً قبل العصر الحديث إلا إن كن من سيدات الطبقة الراقية أو من (زانيات) المعبد ، ففن القراءة كان في عرفهم لا يليق بامرأة ، ذلك لأن سلطانها على الرجال يقوى به ، **ثم هو يؤدي إلى نقص فتنتها .. وليس من حقها أن تلم بـ (كتب الفيدا)**[٦] ، ففي الماهابهاراتا : « **إذا درست المرأة كتب الفيدا كانت هذه علامة الفساد في المملكة** »[٧] ـ يقول ديورانت : هذا يذكرني بموقف رجال الدين المسيحي في العصور الوسطى وكراهتهم لتربية المرأة تربية عقلية ، وبقرار البرلمان الإنجليزي في عصر الملك هنري الثامن ملك انجلترا الذي يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد لأنها تعتبر نجسة[٨] . فالأفكار هنا متشابهة ، وكلها تهدف إلى منع المرأة تنمية قدراتها العقلية وذلك حتى تظل متخلفة وتابعة ذلول للرجل .

---

(٥) أي إذا حدث أن تناسخ أكثر من مرة على ما يؤمنون .
(٦) كتب الهند المقدسة في عقائدهم .
(٧) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، مرجع سابق ص ١٧٩ .
(٨) أحمد عبد العزيز الحصين ، المرأة ومكانتها في الإسلام ص ١٨ .

حقوق للمرأة فى تشريع مانو :

ولنا أن نعجب كل العجب إذا ألقينا نظرة على هذه الحقوق فى تشريع (مانو) ثم رددنا الطرف إلى الواقع ؛ ففى (تشريع مانو) لا يجوز ضربهن « حتى بزهرة » ولا يجوز مراقبتهن مراقبة تجاوز الحدود فى صرامتها ، لأن دهاء مكرهن عندئذ يجد سبيلا للشر ، وإذا أحببن جميل الثياب فمن الحكمة أن تشيع فيهن ما أحببن « لأن الزوجة إذا حرمت أنيق الثياب فلن تثير فى صدر زوجها ميلا إليها » . ويجب أن تخلى الطريق للمرأة كما تخليه للكهول والكهنة » ، والواجب أن يطعم « الحاملات والعرائس والكواعب قبل سائر الأضياف » ، ولئن فاتت المرأة عندهم أن تحكم باعتبارها زوجة ، فلها أن تحكم بوصفها أماً ، وإن كانت المرأة أماً لأطفال كثير ، استحقت عند الناس أعظم العطف والتقدير . فتشريع مانو ينص على أن « الأم أولى بالتوقير من ألف والد » .

غير أن واقع الأمر فى حياة الهند لم يجعل لهذه التعليمات قيمة وفقدت الممارسة إلا قليلا فى بنات الطبقة الأولى . وإذا كانت هذه هى حياة المرأة عامة فى الهند ، فما بالنا بحياتها فى الطبقة الدنيا ــ (طبقة المنبوذين) تلك الطبقة التى تُحرم رجالها من كافة حقوق الطبقة العليا ــ طبقة الكهنة ومن فى مستواهم ــ فهل يكون للمرأة أى حق فى هذه الطبقة .

نظرة شاملة :

تبين مما مر بنا :

● أن المرأة الهندية ــ قديما ــ لم تكن تعتبر......... آدمية ؛ إذ ليست من جنس الرجل .

● ثم هى مصدر العار والعناء ، ولها قدرة على تضليل الحكيم والأحمق .

● عليها أن تخدم زوجها كما لو كان إلهاً ــ والعياذ بالله ــ ولو خلا من كل الفضائل ؛ فإنها تابعة ذلول ، ويبلغ من إذلالها أن زوجها قلما يوجه إليها كلمة واحدة .

● كذلك لا يجوز لها أن تملك شيئا غير مهرها ، والهدايا التى قدمت لها عند زواجها ، وبما أنها ــ عموما ــ لا تملك ؛ فليس لها ذمة مالية .

● تأكل ما تبقى من طعام زوجها وأبنائها ، وعليها أن تضم قدمى زوجها ساعة النوم .

● ليس لها حق الطلاق مما حاف بها من ظلم ، ولزوجها أن يطلقها إذا عصته أو سكرت أو مرضت . وله أن يتزوج غيرها فى أى وقت شاء ، ولا يطلقها .

● إذا استثنينا العصر الحديث ، واستثنينا كذلك سيدات الطبقة الراقية ، و (زانيات) المعبد ؛ فإن المرأة الهندية لا حق لها فى التعليم اطلاقا ؛ لأنه ينقص من فتنتها ، كما يزيد من سلطانها على الرجال ، وبالتالى فقدت القدرة على قراءة كتبهم الدينية .

● تشريع (مانو) ذو الحقوق الطيبة للمرأة كان حبرا على ورق فى حياتها .

● على ما فى تشريع (مانو) من حقوق لها ؛ فإن هذا التشريع نفسه يخضعها لاشراف رجل عليها كل حياتها .

البقية صـ٥٥١

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

سؤال :

أراد رجل مستطيع أن يعين شاب بمبلغ من المال قدره عشرة آلاف جنيه على أن يسترده بعد سبع سنوات بدون أن يشاركه فى مشروعه أو تجارته فأشترى الشاب بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه أشياء عينيه وبالباق ما سيتاجر به .

على من تجب الزكاة فيهما .. وهل فى الثلاثة آلاف جنيه زكاة ؟

وقد اقترح الرجل على أن يعطيه الأموال بما يوازيها ذهب وأن يسترد منه الأموال ذهب أو ما يوازيها أموال وذلك لتغيير قيمة النقود مع مرور الزمن .

الجواب

الأموال التى دفعها الرجل وقدرها ١٠ آلاف جنيه ليعين بها الشاب وعلى أن يسترد هذا المبلغ بعد سبع سنوات دون أن يشاركه فى مشروعه أو تجارته .

فإذا ما حان الوقت لاسترداد المبلغ المذكور وقدره ١٠ آلاف جنيه . فإن المبلغ يرد له كما هو أو قيمته ذهبا لا يزيد ولا ينقص مهما طال الزمن أو قصر لأنه أعطاه إلى الشاب على سبيل القرض لا على سبيل المشاركة فى مشروع أو تجارة . ومن ثم فلا زيادة ولا نقصان .

أما الزكاة فإنها تجب على المقرض لأنه صاحب المال وما دام المال المقترض مضمونا استرداده فإن فى الثلاثة آلاف جنيه زكاة . فإن الزكاة تجب فيما فضل عن حاجة المسلم ومن يعوله حتى يبلغ هذا الفائض نصابا وهو ما يساوى ٨٥ جراما من الذهب مع حولان الحول عليه وأن تكون ذمته بريئة من الديون التى للعباد . ومقدار الزكاة من النقود ٢,٥٪ وهو ربع العشر مع ملاحظة أن يكون مقداره ٨٥ جراما من الذهب عيار ٢١ بالسعر الحالى فيضرب

السؤال

ما حكم الشرع فى زيارة مولد سيدى العالم الجليل أبى الحسن الشاذلى ... ؟

حيث أن مولده يكون فى موسم الحج ويعتقد بعض السذج أن أربع زيارات لهذا المولد متتالية تعادل حجة خاصة وأنهم يقفون يوم عرفه على جبل هناك يسمى (حميثره) .

افيدونا افادكم الله ...

قيمة الجرام فى ٨٥ ويكون الناتج هو المبلغ المسمى بالنصاب الشرعى الذى يخرج عليه الزكاة ربع العشر مع باقى الشروط المنوه عنها .

أما حكم الشرع فى زيارة أبى الحسن الشاذلى الخ ما ورد بالسؤال المنوه عنه فإنه ينطبق عليه حكم مشروعية زيارة القبور التى هى مستحبة لأنها للعظة والاعتبار وتذكر الموت وأهوال الآخرة وانتفاع الموتى بالدعاء والاستغفار لهم والترحم عليهم ، ففى « الحديث كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمد فى زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكر الآخرة » رواه الترمذى وصححه . وكان عليه الصلاة والسلام يزور قبور شهداء أحد كل حول مرة ويسلم عليهم ويزور قبور أهل بقيع الغرقد بالمدينة مرارا ويسلم عليهم ويدعو لهم ويقول السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية » رواه مسلم وأحمد وابن ماجه .

ومن آداب الزيارة أن يزورها الإنسان قائما مستدبر القبلة مستقبلا بوجهه الميت وأن يسلم على أهل القبور ولا يمسح القبر ولا يمسه فضلا عن أن يقبله ويدعو عنده لهم قائلا بما علّم رسول الله ﷺ ، وقد كان ابن عمر يجىء إلى قبر الرسول ﷺ فيقول السلام على النبى السلام على أبى بكر السلام على أبى وينصرف .

وفى المغنى : ولابأس بالقراءة وقد روى عن أحمد أنه قال إذا دخلتم المقابر فاقرءوا آية الكرسى وثلاث مرات قل هو الله أحد ثم قولوا : اللهم إن فضله لأهل المقابر .

هذا هو بعض ما ورد بشأن زيارة القبور أما غير ذلك مما ورد بالسؤال المنوه عنه من الاعتقادات بشأن زيارة إلى الحسن الشاذلى فإنه لم يرد نص ولم يقل به أحد من الفقهاء والله يهدى إلى سواء السبيل .

السؤال من السيد ع . ع . ح

ابنة خالى رضعت معى ورضعت معها . وأخى الأكبر يرغب فى الزواج منها . وفارق السن بينهما خمس سنوات .

فما حكم الإسلام إذا تزوج أخى بها ؟ أفيدونا أفادكم الله

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد ..

فنفيد بأنه برضاعك مع ابنة خالك سواء كانت الرضاعة من أمها أو من أمك وكانت خمس رضعات متفرقات فإنها تحرم عليك ولا يجوز لك أن تتزوج بها وإذا كانت ابنة خالك قد رضعت من والدتك خمس رضعات متفرقات فإنها تصير بنتاً لها وتحرم على كل أبنائها فلا يجوز لأخيك أن يتزوج بها لأنها أخته ـ أيضاً ـ من الرضاعة وإذا لم ترضع الفتاة من أمك فإنها تحرم عليك ولا تحرم على أخيك لأنه لا مانع شرعاً من أن يتزوج الإنسان من أخت أخيه من الرضاعة والله أعلم .

السؤال من السيد الدكتور : عبدالله حسن حنا

هل يجوز التفريج بين القدمين فى الصلاة وما مقداره ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد :ـ

بأن من السنة تفريج القدمين حال القيام حيث لا يقرن بينهما ولا يوسع إلا بعذر (كسمن) ونحوه وقد اختلف فى تقديره فى المذاهب .

وقد قدر الحنفية التفريج بينهما بقدر أربع أصابع فإن زاد أو نقص كره .

الشافعية قدروا التفريج بينهما بقدر شبر فيكره أن يقرن بينهما أو يوسع أكثر من ذلك كما يكره تقديم أحداهما على الأخرى .

المالكية ـ قالوا تفريج القدمين مندوب لا سنة . وقالوا المندوب هو أن يكون بحالة متوسطة بحيث لا يضمهما . ولا يوسعهما كثيرا حتى يتفاحش عرفا . وافقهم الحنابلة على هذا التقدير إلا أنه لا فرق عند الحنابلة بين تسميته مندوبا أو سنة . علما بأن المحاذاة المسنونة فى الصلاة تكون بالمناكب وليست بالأقدام . والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد ع .ن .أ من أسوان

امرأة ورثت الربع من زوجها بعد وفاته ، وماتت وتركت هذا الربع ، ولها أخوان شقيقان من أب وأم ، ولها أخ وأخت من أمها ، ولم تنجب .

فما نصيب كل من الأخوين الشقيقين ، والأخ والأخت من أمها . حيث إن الأخت من الأم ماتت قبلها بأربعين عاما . فهل ترث فى التركة أم لا ؟

أفيدونا أفادكم الله

الجـــواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وبعد ، فنفيد بأن تركة هذه المتوفاة عبارة عن الربع الذى ورثته من زوجها زائد ما كانت تمتلكه حال حياتها يوزع على ورثتها الشرعيين وهم الأخ لأم وله السدس فرضاً لعدم من يحجبه والباقى للأخوين الشقيقين تعصيبا يقسم بينهما بالتساوى ولا شىء للأخت لأم لوفاتها قبل المورثة هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله أعلم .

السؤال من السيد : حمودة محمد مهدى

أعمل فى شركة ، ويطلب منى شراء بعض السلع خارج نطاق عملى فأشتريها من مالى الخاص بسعر فيه تخفيض خاص بى ، ثم أعطيها لصاحب الشركة بعد إضافة المبلغ الذى تم تخفيضه لى .

فهل يجوز لى أخذ هذا المبلغ الذى هو فرق السعر بين شرائى أنا ، وشراء صاحب الشركة فيما لو أشترى هو بنفسه ؟ علما بأن هذا الفرق يوازى ٣٠٪ وما الحكم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه إذا كانت الشركة هى التى طلبت منه شراء هذه الأشياء فلا يحل له أخذ زيادة عما أشترى به ، لأنه أمين ووكيل عن الشركة فلا يحل له فرض السعر . خصوصا وأنه استغل اسم الشركة وأشترى باسمها .

أما إذا كان قد أشترى لنفسه دون طلب من الشركة أو تكليف فإن ما اشتراه يكون ملكا له وبيعه بأى سعر يشاء ويكون ربحه فى ذلك حلالاً لأن هذا يكون من باب التجارة والله تعالى أعلم ..

الشعر والشعراء
تقديم الأستاذ
رشاد يوسف

خواطر على أرض الرسول

شعر/ البسيونى قنعان

مازلت حلما فى الجفون أقاما   عامًا يقرّبه ، ويُبعِدُ عاما !!
العين نازحة إليك . ومهجتى   ظمأى . وقلبى هام فيك . وهاما..
حتى غدوت حقيقة . وأرى الحقا   ئق خيرها ما حقّق الأحلاما
ولكم بكيت على البعاد . فكيف فى   فى القرب أبكى حرقة وأواما
وودت لو أشفى الفؤاد بلحظة   ما بال شوقى زاد حين أقاما
كم عانقت عيناى من فرط الجوى   أرض الرسول . وكم فؤادى حاما
وكم استعاد القلب سالف عهدها   والوحى ينزل . والهوى يتسامى
ورأى رسولَ الله فى أرجائها   يبنى النفوس . ويلهم الإلهاما

يا هذه الأرض التى هى فى دمى   مذ كنت طفلا . والهوى يتنامى
والروح طافت ألف ألف بالحمى .   بالبيت . قبل طوافنا أجساما
وطرقت بابك بكرة . وعشية   وبعثت قلبى يقظة . ومناما
وشربت حبك فى الرضاع . وجدتى   تحكى لنا عن مجدك .. الأياما
والأزهر المعمور شك فى دمى   طفلا . وشيخا يافعا . وغلاما
فأنا ابن هذا الدين لا أنا حائد   عنه . ولا عن حوضه أتحامى
وقبلتى آى الكتاب . وأسوتى   طه الأعز أسوة ومقاما
ومعلمى (ياسين) لا أرضى به   بدلا . ولا أرعى سواه إماما
أنا ضيف (مائدة) الكتاب . وربها   رب الكرام . وخيرهم إكراما
إن تاه عقلى فى الظلام (فالضحى)   و(الفجر) ما عاد الظلام ظلاما
أوضاع حكم فى الدجى من خاطرى   ف(النور) تملأ خاطرى أحكاما
أو غام عرف فى الزحام فإننى   أجلو من (الأعراف) ما قد غاما
ولئن ظمئت إلى البلاغة والحجى   لشربت من (فرقانه) الإلهاما
وإذا أحاطتنى العدا بسهامها   صوّبت من بأس (الحديد) سهاما
وإذا الخطوب علىّ شنت حربها   ألفيت فى (الكهف) الرحيم سلاما

يا قارئي إن شئت تعرف من أنا … أنا في كتاب الله قلب هاما
أنا شارب لا يستفيق ، وظامئ … لا يرتوى ، أنا حالم ما ناما
أنا سابح في موجه ، أنا غارق … في بحره اللجيّ مهما عاما
أنا ذائب في روحه ، وأنا صدى … من صوته ، أنا منه معنى حاما
أنا قبسة من هديه ، أنا ومضة … من نوره ، أنا منه سرٌ داما
فصقلْت منه مذاهبي ، ولبست منه شمائل ، وأقمت حيث أقاما
روح أنا ، منه استمدّت نورها … عقلي أنا ، فيه استطار غراما
أنا من غذاه الذكر من آياته … وسقيت من فيض الحديث غماما
أنا من براه الله محض مشاعر … وحباه رب العالمين هياما
فرأيت حبي للكتاب ، وربه … ورسوله حقا علىّ لزاما
فنسجت أبياتي بأرض المصطفى … وغرست شعرى حولها أعلاما

أرض الرسول وأنت أنت على المدى … أرضي ، وعنك أخذت ما يتسامى
أنى توجهنا إليك وجوهنا … كنا سجودا أو نكون قياما
ما تم دين ، أو تكامل مؤمن … إلا إذا صلّى عليك وقاما
ومشى عليك مكبّرا ومهلّلا … وملبّيا يلقى إليك زماما
مهوى الفؤاد إليك كل مشاعرى … وشعائرى ، والقلب فيك أقاما
يا مهبط الروح الأمين ، ومنزل … الوحى العظيم تحية ، وسلاما
يا هذه الأرض التى حلّتْ إلى … كل البرية رحمة وسلاما
يا هذه الأرض التى قد خصّها … رب العباد بأن تكون حراما
يا هذه الأرض التى برسولها … أضحى العظام من الأنام عظاما
يا هذه الأرض التى هى أمنا … حناك نهرع لاتذين يتامى

أبناء أرض المصطفى حياكم … رب العباد ، وزادكم إكراما
ضيف أنا ، ولقد حللت بداركم … فوجدت أبناء الكرام كراما
هل تسمحون بأن أقدم شاعرا … في أرض حسّانٍ أصوغ كلاما
أنا من يبيع الماء (للسقا)، ومن … يشرى لصناع السهام سهاما
ما كنت أحسب أن دهرى جاعلى … في أرض (طرفة) أنشد الأقواما
وأقوم في أرض الرسول معلما … أتباعها ، ما أسعد الأعواما
في ساحة (الدؤلى) أعرض نحوه … وأفصّل الإعراب والإبهاما
وبأرض (سحبان) أدرس خطبة … وأعلّم التنقيط والإعجاما
وأروض في دار الخليل عروضه … وأرى الطويل ببحره قد عاما

هو الإحسان فالزم

الشاعر/ رمضان أبو غالية

إذا ماكان من قول ، وصدق   فإنى طالب منك السماحا !
وإن كان الذى فى الوجه .. يبدو   على شوق له ؛ يبعى ارتياحا
فخذه .. تذكرا ؛ فلديك منه   معان ، لست أدركها .. نجاحا
فأنت .. كما يراك الله .. سر   ولا أستطيع للسر اجتياحا
ولكنى وجدتك ، خلاص نفسى   ونفسك ؛ فى الذى فى القول ، فاحا
ذر الإخلاص فى مسعاك يجرى   فيروى فى جوانبك الصلاحا
وتبسق فيك أشجار العطايا   معطرة ، وتمتد .. انشراحا
فلا تبقى بأرض ، أنت فيها   فسادا ، بات غيا ، أو صراحا
وكن كالشمس ، تعطى كل حى   ياكرها .. بإشراق .. صباحا
لأن الله سخرها ، بفضل   لخدمتنا .. غدوا ، أو رواحا
وما عرفت رواحا ، أو غدوا   وما سئمت .. على دأب .. كفاحا
وفى كل حياة .. لست تدرى ..   ولكنّ الذى يدرى .. أتاحا ..
وأعطى الشمس سرا ، فى وجود   بهذى الأرض ، يشبعها .. طماحا
وثق يا صاحبى ، أنى بهذا   أناجى فيك .. أرجاء ، فساحا
هو الاحسان ، فالزم ، فهوَ معنى   إذا ما نلته ؛ نلت الفلاحا !
وسل من لا يرد دعاء خير   لنا ، فى كل ما ضاق انفساحا
فضيقنا .. إذا لم تلق منه   عليه العون ؛ يقتلنا .. جراحا !
وإنى .. رغم كثرة ما ترانى   أناجى الله .. أخشى الافتضاحا
ومن يستره ربك ؛ فهو ناج   ولو أن الدُنا ، ملئت .. جماحا !!

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طلبنا خمسا فوجدناها فى خمس

قال شقيق البلخى : طلبنا خمسا فوجدناها فى خمس :

طلبنا النور فى القبر فوجدناه فى قيام الليل .

وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه فى قراءة القرآن .

وطلبنا الجواز على الصراط ، فوجدناه فى الصدقة .

وطلبنا الرى يوم القيامة ، فوجدناه فى صيام النهار .

وطلبنا البركة فى الرزق فوجدناها فى صلاة الضحى .

الشمس .. والقمر

قيل لأعرابى : الشمس أحسن أم القمر ؟

فقال : القمر أحسن ، والشمس أبهر .

فقيل : وكيف صار القمر أحسن ؟

قال : لأن العيون عليه أكثر .

رجل يسكن المقابر

روى أن أحد الملوك مر بمدينة تملكها سبعة ملوك هلكوا جميعاً فقال : هل بقى من نسلهم أحد ؟

قالوا : نعم ، رجل يسكن المقابر فدعاه فأتاه ، فقال : ما دعاك إلى لزوم المقابر . قال : أردت أن أميز عظام الملوك من عظام العبيد فوجدتها سواء .

قال : هل لك أن تتبعنى فأحيى شرفك ، وشرف آبائك إن كانت لك همة ، قال : همتى عظيمة ، قال : وما هى ؟ قال : حياة لاموت معها ، وشباب لا هرم بعده ، وغنى لا فقر معه ، وصحة من غير سقم ، وسرور من غير مكروه .

قال : هذا ما لاتجده عندى .

فقال : دعنى أطلبه ممن هو عنده .

فقال الملك : ما رأيت رجلاً أحكم من هذا ، وخرج وتركه ، فلم يزل فى المقابر حتى لحق بأهله .

« حقاً »

ولا مجد فى الدنيا لمن قل ماله

ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

زوّجناك على ما فى كتاب الله

جاء رجل إلى عمر بن عبد العزيز يخطب أخته ، فتكلم بكلام جاز الحفظ .

فقال عمر : الحمد لله ذى الكبرياء ـ وصلى الله على خاتم الأنبياء .

أما بعد : فإن الرغبة منك دعت إلينا ، والرغبة فيك أجابت منا ، وقد زوجناك على ما فى كتاب الله : إمساك بمعروف أو تسريحٌ بإحسان » .

الاستدلال بالضمير على الضمير

كتب حكيم إلى حكيم إذا أردت معرفة مالك عندى فضع يدك على صدرك فكما تجدنى كذلك أجدك .

وقالوا : إياك ومن تبغضه قلوبكم فإن القلوب تجازى القلوب .

وقال ذو الأصبع :

لا أسأل الناس عما فى ضمائرهم
ما فى ضميرى لهم من ذاك يكفينى

وقال محمود الوراق :

لا تسألن المرء عما عنده
واستمل ما فى قلبه من قلبكا
إن كان بغضا كان عندك مثله
أو كان حبا فاز منك بحبكا

« غنى .. النفس »

من كان ذا مال كثير ولم
يقنع ، فذاك الموسر المعسرُ

الموعظة فى ثلاث

قال ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ : الموعظة فى ثلاث آيات من كتاب الله ـ تعالى :

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾(1) .

البقرة : ٤٤ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾

سورة الصف

﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾

هود : ٨٨

أعلم التابعين

قال بعض العلماء :

كان أعلم التابعين « بالطلاق » : سعيد بن المسيب ، و « بالحج » : عطاء ، و « بالحلال والحرام » : طاووس ، و « بالتفسير » : مجاهد ، وأجمعهم لذلك كله : سعيد بن جبير ـ رضى الله عن الجميع ـ .

متى يدرك إبليس حاجته ؟

قال إبليس ـ لعنه الله ـ : ثلاث من كن فيه أدركت حاجتى منه : من استكثر علمه ، ونسى ذنبه ، وأعجب برأيه .

« دعاء »

يا رب ، يا رحيم ، يا رب يا رحيم الطف بى فى قضائك ، ولا تول أمرى أحدا سواك حتى ألقاك .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

الرحمة

لصاحب الفضيلة الشيخ

يوسف الدجوى

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

الرحمة آصرة من أواصر الترابط الإنسانى ، ولذلك دعا الإسلام إليها ، وحث عليها ، فهى فى كل قلب تقى ، وقد خلق الله القلوب معادن فمن القلوب ، ما هى كالحجارة أو أشد قسوة ، فصاحبها شقى ، قال ـ عليه الصلاة والسلام : « لا تنزع الرحمة إلا من شقى »[1]

وقال ـ عليه الصلاة السلام : « من لا يرحم لا يرحم »[2] .

وهناك قلوب عامرة بالرحمة ، مملوءة بالعطف ، تدفع صاحبها إلى البذل والعطاء ، لا تبغى من ذلك جزاء ، ولا شكورا ، إلا رضاء الله ـ عز وجل ـ قال تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾

الإنسان : ٨ ، ٩

ومن ثم فالرحمة عنوان الكمال الذى يجب أن يكون عليه المؤمن ، حتى ينال رضوان الله فى الدنيا والآخرة .

(١) صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله .

(٢) أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذى .

قال الشيخ ـ رحمه الله :

أسمعناك فيما سبق شيئاً عن المحبة وأنواعها . ونريد اليوم أن نذكر لك شيئاً عن الرحمة كنتيجة للمحبة فنقول :

الرحمة من أشرف الخصال وأكرم الأخلاق ؛ وإن الله لا يحب شيئاً مثلما يحب الرحمة والتواضع ؛ ولا يكره شيئاً مثلما يكره القسوة والكبرياء .

وقد ورد في الحديث الصحيح : « **ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء** » . وذكر من التي للعاقل ها هنا لتغليب الأشرف على غيره . وإياك أن تفهم من ذكرها أنك لست مأموراً إلا برحمة النوع الإنساني فقط ، فإنك مأمور بالرحمة لكل ذي روح .

وقد قال ـ صلى الله عليه وسلم : « **في كل كبد رطبة صدقة** » . وإذا كانت امرأة قد دخلت النار من أجل هرة حبستها كما في الحديث الصحيح ، فلا غرو أن تدخل الجنة من أجل هرة ترحمها .

وقد ورد : « **إن الله رحيم ، وإنما يرحم من عباده الرحماء** » ، ويقول الله ـ تعالى ـ في الحديث القدسي : « **سبقت رحمتي غضبي** » .

وليس ذلك الحنان الذي تراه في قلوب الآباء والأمهات في أفراد النوع الإنساني ، وسائر أنواع الحنان ، مما يسوقهم سوقاً اضطرارياً إلى تعهد الولد ومراعاته في كل ما يجب له ، ولا تلك الشفقة التي تجدها من نفسك إذا رأيت مظلوماً ضعيفاً أو فقيراً بائساً ، إلا أثراً من آثار تلك الرحمة الإلهية .

ومواساة الإخوان والجيران والشفقة على الفقراء والضعفاء من أفضل الأعمال التي حث عليها الدين وندبت إليها الشريعة . وكل ذلك من آثار الرحمة الإلهية التي قامت بها السموات والأرض ، ولا محل ها هنا لتفصيل رحمته تعالى بك وفضله عليك بجرى البحار ، وتفجير الأنهار ، وتيسير الأنوار ، وخلق الليل والنهار ، وإنبات النبات ، وبقية الآيات ، وأنواع النعم المتواترات .

وقد قال ـ تعالى : ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ الروم : ٥٠ ، وبالجملة ففيك من الإنسانية على قدر ما فيك من الرحمة ، وعلى قدر ما فيك من القسوة يكون بعدك عن الله ، وانسلاخك من الإنسانية ، فإنك لا تتكمل إلا إذا انفعلت نفسك بالكمالات ومكارم الأخلاق المرة بعد المرة ، وعلى قدر لين قلبك وسرعة تأثرك ، يكون قبولك لتلك الكمالات . وأما ذلك القلب القاسي الذي لا ينفعل ولا يتأثر ، فإنه بعيد من الكمال جداً ، حيث كان غير مستعد للانفعال ولا قابل للنقش فيه .

وإن من القلوب قلوباً ﴿ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ﴾ البقرة : ٧٤ ، ومن كان بهذه الصفة فهو شقى في الدنيا والآخرة ، ممقوت لدى الله والناس .

وقد قرر الفلاسفة انه قد ينحط إلى دركات هي أسفل من كل المراتب التي فيها أنواع الحيوان ، وإذاً لا يكون إنساناً إلا في صورته .

وقد قال بعض الحكماء : إن من الناس من تفسد إنسانيته فيصبح غير إنسان . وقد أشار - سبحانه وتعالى - إلى ذلك بقوله :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ سورة التين . ويقول : ﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝ ﴾ سورة العصر

ولا يمكنك أن تصل إلى درجة الكمال إلا إذا لم تكن من ذوى القلوب القاسية والنفوس الجامحة .

والخلاصة أنه لو اتصف الناس بالرحمة لكانوا كاملين فى إنسانيتهم ، فلم يفعلوا فعل الوحوش الضارية بإخوانهم وبنى نوعهم .

لو تمت فى النفوس لما التهمت الأمم القوية الضعيفة ، ولما فعلت بهم ما لا تفعله الحيوانات بأضعفها . على أن الحيوان لا يفترس أبناء نوعه مهما كانت وحشيته وشراهته .

لو تمت الرحمة فى الأغنياء لما مقتهم الفقراء ، ولو تمت الرحمة فى القضاة لما تأخرت القضايا السنين الطوال ، ولالحق أربابها شديد النكال وعظيم الوبال . ولو تمت فيك الرحمة لدعا لك جيرانك وأثنى عليك إخوانك . ولوتمت الرحمة فيك لبذلت النصح للعامة والخاصة إخلاصا لهم وإشفاقا عليهم (والدين النصيحة) . ولوتمت فيك الرحمة لأشفقت على القريب والبعيد ، ورحمت المبتلى والمعافى ، والإنسان وغير الإنسان .

بل نقول : لوتمت فيك الرحمة لكنت من المرحومين الذين يشفقون على أنفسهم فلا يورطونها فى المهلكات ولا يجلبون عليها أعظم الآفات ، ويحرمونها من أفضل أنواع السعادات .

وإجمال القول أنه إذا استقام هذا الأصل للإنسان فى الدين ، استقام له سائره ، ففاز بخير الدنيا والآخرة . فأزل - يرحمك الله - من نفسك القسوة ، وكن رقيق الفؤاد ولاتكن من غلاظ الأكباد ، فالراحمون يرحمهم الرحمن .

وما أحسن قول ابن حجر المكى فى هذا الموضوع :

ارحم عباد الله يرحمك الذى
عم الخلائق جوده ونواله
فالراحمون لهم نصيب وافر
من رحمة الرحمن جل جلاله

وقول الحافظ ابن عساكر :

بادر إلى الخير ياذا اللب مغتنما
ولا تكن عن قليل الخير محتشما
واشكر لمولاك ما أولاك من نعم
فالشكر يستوجب الإقبال والكرما
وارحم بقلبك خلق الله وارعهم
فإنما يرحم الرحمن من رحما

وقال غيره :

من يرحم الخلق فالرحمن يرحمه
ويكشف الله عنه الضر والبأسا

ففى صحيح البخارى جاء متصلا : « لا يرحم الله من لا يرحم الناس» ، ولا بأس أن نذكر لك كلمة وجيزة عما جاء فى السنة من الحث على الرحمة ، فنقول : روى البخارى فى الأدب المفرد وأحمد وأبو داود والترمذى وآخرون عن عبدالله ابن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « **ارحموا من فى الأرض يرحمكم من**

في السماء » ولك أن تقرأ يرحمكم بالجزم جوابا للأمر ، والرفع على أنه جملة دعائية .

وروى الشيخان هذا الحديث عن أسامة بن زيد بلفظ « **إنما يرحم الله من عباده الرحماء** » .

ومن ذلك ما روياه عن أبي هريرة أنه ﷺ قال : **من لا يرحم لا يرحم** .

وروى أحمد عن جابر : من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له .

ومنها ما رواه الشيخان عن جرير أن رسول الله ﷺ قال : **من لا يرحم الناس لا يرحمه الله** ، وروى الامام أحمد وعبدبن حميد في مسنديهما ، والطبراني ، وغيرهم بسند جيد عن ابن عمر موقوفا ومرفوعا **ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم ، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون** . وأخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا تنزع الرحمة إلا من شقي .

وعنه أيضا قال : قبل رسول الله ﷺ الحسن ابن علي – رضي الله عنهما – وعنده الأقرع بن حابس ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحدا منهم . فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : من لا يرحم لا يرحم . أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : بينا رجل يمشي بالطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسك بفيه حتى رق فسقى الكلب ، فشكر الله له تعالى فغفر له ، قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا ؟ قال : في كل كبد رطبة أجر . أخرجه الشيخان في الصحيحين ومالك في الموطأ .

وعن ابن عمر – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش(٣) الأرض . أخرجه الشيخان . وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ إن الرفق ما كان في شيء إلا زانه ، ولا نزع من شيء إلا شانه . أخرجه مسلم وأبو داود . عن جرير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من يحرم الرفق يحرم الخير كله » أخرجه مسلم وأبو داود .

وعن أبي موسى (رضي الله عنه) قال : كان النبي ﷺ إذا بعث أحداً في بعض أمره قال : « بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا » . أخرجه أبو داود .

هذا وقد رأينا لأبي السعود عند قوله – تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ النحل : ١٨ ، وما النعمة إلا أثر من آثار الرحمة ، عبارة جليلة تروق ذوي الأفهام ، فأحببنا أن نذكرها لك في هذا المقام ، لتعرف نعم الله عليك ورحمته بك ، فتجعل شكر تلك النعم التي لا تحصى رحمة عباد الله ، والشفقة على خلق الله ، فكما تدين تدان ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ وهاك عبارة أبي السعود :

« وإن تعدوا نعمة الله » التي أنعم بها عليكم « لا تحصوها » لا تطيقوا حصرها ولو إجمالا فإنها

---

(٣) خشاش الأرض : هوامها وحشراتها .

غير متناهية ، كيف لا وما من فرد من أفراد الناس وإن كان في أقصى مراتب الفقر والإفلاس ، ومبتلى بأصناف البلايا وأنواع الرزايا ، فهو بحيث لو تأمله ألفيته متقلباً في نعم لا تحد ، ومنن لا تحصى ولا تعد ، كأنه قد أعطى كل ساعة وآن من النعماء ما حواه حيطة الإمكان . وإن كنت في ريب من ذلك فقدر أنه ملك ملك أقطار العالم ودانت له كافة الأمم ، وأذعنت لطاعته السراة ، وخضعت لهيبته رقاب العتاة ، وفاز بكل مرام ، ونال كل منال ، وحاز جميع ما في الدنيا من أصناف الأموال ، من غير ند يزاحمه ، ولا شريك يساهمه . بل قدر أن جميع ما فيها من حجر ومدر يواقيت غالية ونفائس درر . قدر أنه قد وقع من فقد مشروب أو مطعوم ، في حالة بلغت منها نفسه الحلقوم . فهل يشترى وهو في تلك الحال بجميع ما له من الملك والمال لقمة تنجية أو شربة ترويه ، أم يختار الهلاك فتذهب الأموال والأملاك بغير بدل يبقى عليه ، ولا نفع يعود إليه ؟ كلا ، بل يبذل لذلك كل ما تحويه اليدان كائنا ما كان ، وليس في صفقته شائبة الخسران .. فإذا تلك اللقمة والشربة خير مما في الدنيا بألف رتبة ، مع أنهما في طوع يديه ، ينالهما متى شاء من الليالى والأيام .

أو قدر أنه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ، ولا خرج منه ما ولج ، والحين قد حان ، وأتاه الموت من كل مكان ، أما يعطى ذلك كله بمقابلة نفس واحد ؟ بل يعطيه وهو لرأيه حامد . فإذا هو خير من أموال الدنيا بجملتها ومطالبها برمتها ، مع أنه قد أتيح له كل آن من آنات الليالى والأيام ، حال اليقظة والمنام .

هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على أحد من العقلاء . وإن رمت العثور على حقيقة الحق ، والوقوف على كل ما جل من السر ودق ، فاعلم أن الإنسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة والملكات الرائعة ، بحيث لو انقطع ما بينه وبين العنايات الإلهية من العلاقات لما استقر له القرار ، ولا اطمأنت به الدار ، إلا في مطمورة العدم والبوار ، ومهـــاوى الهلاك والدمار .

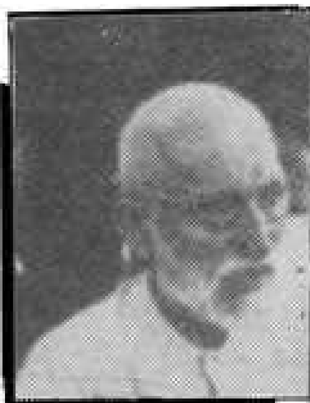
لكن يفيض عليه من الجناب الأقدس ــ تعالى شأنه وتقدس ــ في كل زمان يمضى ، وكل آن يمر وينقضى ، من أنواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ، ولا يعلم به إلا العليم الخبير . وتوضيحه أنه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء ، وإنما ذلك من جناب المبدأ الأول ــ عز وجل .

فسبحانك سبحانك ما أعظم سلطانك ، لا تلاحظك العيون بأنظارها ، ولا تطالعك العقول بأفكارها ، شأنك لا يضاهى وإحسانك لا يتناهى . ونحن في معرفتك حائرون ، وفى إقامة مراسم شكرك قاصرون . نسألك الهداية إلى مناهج معرفتك ، والتوفيق لأداء حقوق نعمتك ، لا نحصى ثناء عليك ، لا إله إلا أنت ، نستغفرك ونتوب إليك » . إنتهى .

ولنقتصر على هذا ، ولعل فيه مقنعاً وكفاية لمن أراد أن يسعد نفسه وتسعد به أمته . جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه بمنه وكرمه .

استدراكات ومقالات

من سيرة شيخ الإسلام مصطفى صبري



للعالم البوسنتوي فضيلة الشيخ/
توفيق إسلام يحيى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعه ـ ويتبعه ـ بإحسان إلى يوم الدين .

ولد سماحة الشيخ مصطفى صبري سنة ١٨٦٩م في بلدة « توقاد » ، فتح عينيه لأول مرة في بيئة دينية ، وحينما بدأ تمييز الأشياء لم ير في بيته إلا ما كان جميلاً ، ولم يسمع فيها إلا الكلم الطيب ، ولم يشاهد بين أفراد أسرته إلا ما كان طيباً نقياً من عفة وطهارة ومحبة وتعاون وأمانة ، وعبادة خالصة لله ـ تعالى .

منّ الله ـ عز وجل ـ عليه بالقدرة على التمييز بين الأمور في صغر سنه ، وأفاء عليه بالذكاء الخارق والعقل النير ، والذاكرة القوية ، وزوده بحاسة سادسة كان لها أثر في مستقبل حياته ، إلى أن اختاره الله ـ تعالى ـ إلى جواره .. تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وهو دون العاشرة من عمره ، وكان أعظم أماني والده أن يراه من علماء الدين . بدأ يتلقى العلوم في أول أمره ببلده « توقاد » من (الشيخ أحمد أفندي زولبية زادة) . ولما أخذ قسطاً وافياً من العلوم في « توقاد » انتقل إلى (القيصرية) الشهيرة بكثرة علمائها فأخذ يتلقى العلوم من العالم الذائع الصيت (الشيخ محمد أمين الدوريكي) الشهير (بداماد الحاج طرون أفندي) أستاذ أستاذه في (توقاد) . استمر في تلقي العلوم من أستاذه في « القيصرية » إلى أن وصل إلى كتاب « التصورات » من شرح (الشمسية) للقطب الرازي . وهنا طلب من أستاذه أن يأذن له بالذهاب إلى الآستانة ، ليكمل الدراسة في مسجد (السلطان محمد الفاتح) فأذن له .

وفى الآستانة تلقى بقية العلوم على أيدى عالمين فاضلين شهيرين هما : (الشيخ محمد عاطف بك الأستانبولى) ، و (الشيخ أحمد عاصم أفندى الكوملجنوى) الذى كان وكيل الدرس فى المشيخة الإسلامية . وبعد أن عين سماحة شيخ الإسلام مدرساً بمسجد الفاتح ، ولم يكن قد بلغ الثانى والعشرين من عمره زوجه أستاذه «أحمد عاصم أفندى » كريمته .

لم تكن رغبة شيخ الإسلام فى الانتقال إلى مسجد السلطان الفاتح لضعف فى أستاذه بـ « بالقيصرية » فقد كان نداً لفطاحل علماء الآستانة لكن شيخ الإسلام أراد أن يرى مسجد السلطان الفاتح وهو يموج بمئات العلماء الأفاضل وعشرات الألوف من الطلاب الذين وفدوا إلى الآستانة ليرتووا من مناهل العلم والعرفان ما يحقق أمانيهم ، ويشبع ريهم فى استيعاب العلوم وتوسيع المدارك ، والتعمق فى فهم خلاف العلماء فى القضايا المتشابهة .

بوصول شيخ الإسلام إلى العاصمة حقق هدفه ؛ لأنه بجانب استيعاب العلوم العربية والشرعية والعقلية يستطيع أن يتعمق فى العلوم الأدبية ــ أيضا ــ حيث ظهرت موهبته فيها بـ « القيصرية » ولم يكن يستطيع أن يحقق أمله فى « الأدب » لصغر محيط القيصرية .

فى فترة وجيزة اشتهر صيته بين العلماء والأدباء والمثقفين وأصحاب المجلات الأدبية الذين أسرعوا إلى الاتصال به ودعوته إلى مد المجلات بأدبياته الرائعة .

نظام الدراسة بالفاتح :

قال لنا سماحة شيخ الإسلام ــ فى إحدى الجلسات :

إن نظام الدراسة فى مسجد السلطان محمد الفاتح لم يكن يختلف عن نظام الدراسة بالأزهر من حيث الحلقات الدراسية داخل المسجد ، يستمر الطالب فى تلقى دروس جميع المواد الشرعية واللغوية والعقلية ثم يعطيه شيخه الإجازة العلمية المسلسلة وهذه الإجازة تؤهل لتولى جميع الوظائف الدينية ماعدا التدريس بمسجد السلطان محمد الفاتح فإن التعيين فيه يتم بعد امتحان تجريه المشيخة الإسلامية .

نظام هذا الامتحان :

إذا احتاج مسجد الفاتح إلى مدرسين تفتح المشيخة الإسلامية باب تقديم طلبات العلماء الذين يجدون فى أنفسهم القدرة العلمية للنجاح فى الامت ـ الخاص ، وإذا انتهت مدة تقديم الطلبات يدعى أصحابها إلى الحضور إلى المشيخة وينزلون هـ ـ يا عليها طوال مدة الامتحان ، والمشيخة الإسلامية تملك إمكانية إيوائهم مهما بلغ عددهم ، ـ طعون عن العالم الخارجى لايزارون ولايزورون .

لما علم شقيق شيخ الإسلام بفـ ـ هذا الباب جاء على الفور إلى أخيه ، وطلب منه أن يتقدم بطلب ، فقال له شيخ الإسلام : " ـف أتقدم أونا لم أكمل بعد بعض المواد الأخيرة .

قال له شقيقه : أنت قادر على النجاح ، وهذا الباب لايفتح إلا بعد سنوات وهى فرصتك ، إن لم تنتهزها لا أنا شقيقك ولا أنت شقيقى .

قال لنا شيخ الإسلام : فكرت ملياً فوجدت أن السقوط فى الامتحان أخف بكثير جداً جداً من قطيعة شقيقى ؛ فقدمت الأوراق اللازمة . وبعد غلق باب تقديم الطلبات كنت داخل المشيخة مع المتقدمين .

بعد غلق الباب وجدت المشيخة أن عدد المتقدمين وصل إلى (٣٠٠) ثلثمائة عالم ، وامتحانهم يحتاج إلى وقت طويل ، لأن مسجد الفاتح يحتاج إلى ثلاثين مدرساً فقط وقرروا بعد تداول الآراء عمل تصفية بامتحان شفهى ، خرج بالتصفية مائتان وأربعون عالماً . وبقى داخل المشيخة ستون عالماً منهم شيخ الإسلام .

نزلت القوائم والمواعيد . كان اسم شيخ الإسلام فى القائمة الأخيرة وهو رجل حر لايحتمل قضاء وقته بين الجدران . وفى أثناء تجواله وجد فى إحدى المكتبات عالماً يحاول أن يلتهم كل المعلومات الموجودة فى كتب التراث الإسلامى ؛ لأن اسمه فى القائمة الأولى . قال له شيخ الإسلام : هل تريد وقتاً طويلاً لتلتهم أكبر كمية من المعلومات ؟ قال : وكيف ذلك . قال : سهل . اسمى فى آخر قائمة ، نتبادل المواعيد بمعرفة المسئولين ، وقد كان .. سُرِرْتُ لخروجى قريباً « من هذا السجن .. » وهو سُرَّ ؛ لأن أمامه وقت طويل للمراجعة . انتهى الامتحان وظهرت النتيجة : نجح ثلاثون من الستين وكان ترتيب سماحة شيخ الإسلام السادس من بين الناجحين ، وعين مدرساً ولم يكمل الثانى والعشرين من عمره .

بعد قليل تزوج من كريمة أستاذه (الشيخ أحمد عاصم أفندى) وكيل المشيخة الإسلامية استقرت حياته ؛ حيث صار له سكن يجد فيه راحته وسكونه ويستجم ليبدأ فى صباح اليوم الثانى نشاطه من مراجعة مقالات وكتابتها ، وإجراء نقاش وجدال مع الملاحدة .

انفتاح أبواب الحركة العلمية أمامه
على مصاريعها ليضع بصماته فيها

فى اليوم الذى دخل مسجد الفاتح ليجلس مدرساً على أحد كراسيه انفتحت أمامه جميع أبواب الحركة العلمية ، ولم يأت المساء إلا وقد سمع جميع أهل العلم فى الأستانة من مدرسين وطلاب أن مدرساً صغير السن ، واسع الاطلاع ، قادراً على إيصال المعلومات بطريقة واضحة جلس اليوم على كرسى من كراسى المدرسين بمسجد الفاتح ، وفى خلال أيام ذاع صيته واشتهر . فبدأت الصحف والمجلات تطلب منه تنفيذ وعده بمدها بعلمه وأدبه . هكذا بدأ يقتحم ميادين الحركة العلمية والأدبية ، يناقش الأدباء فى الأدب ، ويجادل المنافقين والمرائين والملحدين بحجج قوية تفحمهم ، وتردهم إلى مستوى حجمهم .

ولم يكتف سماحة شيخ الإسلام بمناقشة المذكورين سابقاً فحسب ؛ بل أخذ يناقش بعض العلماء الذين بدأوا يتجهون في بحوثهم إلى طرق ملائمة مع منهج المستشرقين ، وهو تجاوز الحدود في استخدام المجاز في النصوص الدينية ، وسماهم شيخ الإسلام مصطفى صبرى : (المجددين في الدين) . جمع مقالاته هذه في كتاب تحت اسم « دينى مجددلر » أى : مجددىالدين ، وكان شيخ الإسلام في نقاشه معهم أشد وأقسى مما كان مع الملحدين ، وكان يقول : نحن على حق ؛ فيجب على باحثينا التمسك في النقاش والجدال بمعلومات حقيقية مأخوذة من معانى ألفاظ اللغة العربية التى وضعت للدلالة على تلك المعانى بقدر المستطاع :

نقاشة مع كبير علماء الدولة وواعظ الخليفة :

كان شيخ الإسلام مصطفى صبرى ينفعل انفعالاً شديداً حينما يرى عالماً يستخدم في كتابته ألفاظاً عربية ذكرها القرآن الكريم فيما يتصل بالأحكام الشرعية .

تحدث إلينا في إحدى الجلسات فقال : إن أولى معاركه من الجدال وقعت بينه وبين أستاذ الأساتذة في ذلك الوقت وهو المرحوم « الشيخ اسماعيل حقى » واعظ الخليفة السلطان عبد الحميد حيث كان سماحته كتب مقالاً في إحدى المجلات وذكر فيه لفظى : « شرع » و « تشريع » بدل « قنن » و « تقنين » فتصدى له سماحة شيخ الإسلام مصطفى صبرى مع صغر سنه ، وحداثة تخرجه قائلاً : إن كلمة « شرع » وغيرها المذكورة في القرآن الكريم في حالات تختص بالأحكام الشرعية لها قداستها فلا يصح استخدامها في حالاتنا الدنيوية ، ثم استطرد قائلاً : وبعد وصولى إلى (مصر) وجدت الكُتّاب هنا يستخدمون هذه الألفاظ في حالاتهم الدنيوية ، وفهمنا من لهجته أن يريد أن يقول : إن المصريين أولى منا بالحفاظ على قدسية هذه الكلمات إذا وجدت لها مرادفات .

هذا يدل على أن شيخ الإسلام مصطفى صبرى كان شديد الحرص على تقدير وتبجيل كل ما كان له صلة بالدين الإسلامى ولو كان لفظاً واحداً .

ولما اشتهر ووصل صيته إلى الخليفة السلطان عبد الحميد أصدر قراراً بتعيينه أميناً لمكتبة جلالة السلطان بـ (قصر يلدز) . وهنا وجد سماحة الشيخ مصطفى صبرى ضالته ، حيث كانت هذه المكتبة زاخرة بكتب التراث الإسلامى التى توجد في المكتبات خارج القصر ، لكن قانون حفظ التراث يمنع استعمالها خوفاً من استهلاكها .

اقتحامه ميدان العمل السياسى :

بعد عشرين سنة تقريبا قضاها في التدريس ومناقشة الملحدين ومن على شاكلتهم ، وفى مكتبة (قصر يلدز) أميناً لها ، اشتغل بالعمل السياسى من غير أن يطلب ذلك . قام الانقلاب في الدولة سنة ١٩٠٨م . وصدر قرار بإجراء انتخابات لاختيار أعضاء (مجلس المبعوثان) . فوجىء سماحة شيخ الإسلام مصطفى صبرى بأن سكان دائرة « توقاد » عن بكرة أبيهم انتخبوه نائباً عنها .

نشاط شيخ الإسلام داخل مجلس المبعوثان :

كان سماحة شيخ الإسلام في (مجلس المبعوثان) النجم الساطع في الخطابة المرتجلة المصوغة في أساليب أدبية بليغة مدججة بحجج قوية مفحمة ، وكان في أوج عظمته وأسمى حالاته في (مجلس المبعوثان) حينما عُرض على الأعضاء مشروع الدستور الجديد لمناقشته تمهيداً لإصداره . ولما جاء دور المادة الخامسة والثلاثين في المناقشة وهي خاصة بسلطة الخليفة .. حاول الأتراك الجدد نقل هذه السلطة إلى (مجلس المبعوثان) وتجريد الخليفة منها ، بحيث يكون مثل صور بعض الأشخاص المصنوعة من الشمع والمعروضة في المتاحف . فهم سماحة شيخ الإسلام بحاسته السادسة ـ وقد ذكرنا أمرها في أول هذا المقال ـ فهم أن الاتحاديين يريدون أن يتخذوا هذه المادة جسراً لتنفيذ مؤامرة كبرى في المستقبل . ولما جاء دوره في مناقشة المادة وقف كالأسد الهصور يدافع عن سلطة الخليفة بأسلوب وبراهين واضحة ملجمة ، استغرق دفاعه عن هذه المادة أربع جلسات . نال هذا الدفاع إعجاب كبار أدباء الأتراك وأمير شعرائهم .

والدليل على هذا ، تهنئة أمير الشعراء إلى سماحة شيخ الإسلام حينما تولى المشيخة الإسلامية بعد عشر سنوات قال فيها : أنت كنت شيخاً للإسلام في قلبي منذ يوم دفاعك الرائع في (مجلس المبعوثان) .

انضم فضيلة شيخ الإسلام إلى الأعضاء في (إصدار قرار خلع السلطان) ، وبعد ستة أشهر ندم على ذلك . قال لنا ـ رحمه الله ـ في إحدى الجلسات : أيدت قرار خلع السلطان عبد الحميد ، وبعد ستة أشهر تبين لي أن (ثقله) في السياسية كان يساوي ثقل سياسة أعضاء المجلس جميعاً ويزيد ، ثم استطرد يقول : إن الاتحاديين نفوه بعد خلعه إلى قلعة قديمة في « سلانيك » معزولاً لا يزوره أحد ولا تصل إليه أخبار . ولما اقتربت جيوش الحكومات البلقانية من « سلانيك » خافت الحكومة من وقوع الخليفة في أيدي الجيوش البلقانية فأصدرت قراراً بنقله إلى (الأناضول) . ولما دخل عليه قائد الحرس يخبره بذلك ، سأله : لماذا هذا الانتقال ؟ أجاب القائد : إن الجيوش البلقانية اقتربت من « سلانيك » ، والحكومة خائفة من وقوع جلالتكم في أيديهم ، تنهد السلطان بحرارة وقال : أنا حكمت ٣٣ عاماً وكنت أؤلب الحكومات البلقانية بعضها على بعض وتبقى تركيا في أمن وسلام . والاتحاديون الذين كانوا يزعمون أنهم سادة العالم في السياسة لم يستطيعوا أن يحفظوا تركيا من هذه المآسي إلا ثلاث سنوات .

يتبع

العلوم الكونية

عطارد

أقرب الكواكب إلى الشمس

بقلم أ. د. أحمد فؤاد باشا*

مقدمة :

عندما نظر القدماء إلى السماء وجدوها مرصّعة بنقاط مضيئة أسموها « المصابيح الكونية » ، ولم يكن باستطاعتهم في ذلك الزمن البعيد أن يميزوا بين الكواكب والنجوم وغيرها من الأجرام السماوية المختلفة . وبتطور المعرفة البشرية واستحداث أجهزة للرصد والقياس ، تطورت الآراء والاستنتاجات ، فعرف أبناء الحضارات القديمة أن « المصابيح الكونية » كتل نارية أو نوريّة ، تختلف من حيث الحجم والبعد والحركة وشدة الإضاءة ، وميّزوا لأول مرة بين نوعين من هذه المصابيح : الكواكب السيارة والنجوم الثابتة ، وعرفوا الكواكب السيارة خمسة هي : « عطارد » و « الزهرة » و « المريخ » و « زحل » و « المشترى » ، ثم درسوها وأطلقوا عليها « الكواكب المتحيّرة » لتحيّرها في مساراتها ، فتارة تبدو لهم سائرة في الفضاء ، وتارة واقفة ، وتارة ثالثة راجعة . أما النجوم فتبدو لهم ثابتة في هيئاتها وصورها كمجموعات ، لكنها جميعاً تجرى في الفضاء الكوني كمجموعة واحدة ، واستطاع علماء الحضارة الإسلامية ، باستخدام المنهج العلمي الاستقرائي ، أن يحددوا جانباً هاماً من طبيعة هذين النوعين من « النيّرات » : فالشمس والنجوم تنير بذاتها ، بينما تكتسب الكواكب النور من الشمس . لكن الذى توصلوا إليه كان استنتاجاً عقلياً ، وليس حسياً ، فلم تكن أجهزة الرصد وأدوات القياس لديهم قادرة على حسم الجدل بشأن طبيعة الضوء الصادر عن النجوم والكواكب .

---

* أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة



وبعد تطور تقنية المقاريب (التلسكوبات) وأجهزة الرصد الفضائية ، اكتشف العلماء كواكب إضافية هي « أورانوس » و « نبتون » و « بلوتو » ، فأصبح عدد كواكب المجموعة الشمسية ، بما فيها الأرض ، تسعة كواكب ، وأصبح بالإمكان اليوم أن يرفع المرء رأسه إلى السماء ويقول : هذا نجم وذاك كوكب ، دون أن ينظر الحركة ، فالكوكب جسم بارد عاكس للنور الساقط عليه من الشمس ، ولذا فإن الناظر إليه يرى ضوءه مستقراً ، بينما النجم عبارة عن كتلة نارية متوهجو نتيجة اندماج نووى ؛ ولذا فإن ضوءه يُرى متلألأً متحركاً غير مستقر .

والراصد من خلال المقراب يرى الفرق أكثر وضوحاً ، ذلك أن المقراب يحوّل النقطة على كوكب ما إلى مساحة أوسع ، فيمكن مثلاً أن نرى من خلاله حلقات كوكب زحل وأقمار المشترى وأطوار الزهرة من هلال إلى بدر إلى هلال ، مثل قمر الأرض تماماً ، بينما يبقى النجمُ نقطة صغيرة مضيئة لا يوضح المقراب شيئاً من معالم سطحها مهما بلغت قدرته على التكبير ، والسبب هو بُعد النجوم الهائل عن مجموعتنا الشمسية ، فأقرب نجم إلينا ، بعد الشمس ، وهو « ألفا قنطورس » يبعدُ عنا ٤,٤ سنة ضوئية(*) .

عطارد من الكواكب الداخلية السفلية الشبيهة بالأرض :

تُصنّف الكواكب لسهولة دراستها إلى مجموعتين : الأولى تسمى « الكواكب السفلية Inferior planets » ، وهي ما كان مدارها داخل مدار الأرض ، وتشمل عطارد والزهرة ، والمجموعة الثانية تسمى « الكواكب العلوية » Superior planets ، وهي ما كان مدارها خارج مدار الأرض ، وتشمل الكواكب الستة : المريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون وبلوتو ، من ناحية أخرى تصنف الكواكب من : عطارد حتى المريخ إلى « كواكب داخلية » Inner planets ومن : المشترى حتى بلوتو إلى « كواكب خارجية » Outr planets ، وذلك بالنسبة لموقع المجموعتين إلى داخل النظام الشمسى Solar system أو إلى خارجه على الترتيب ، كذلك يطلق على الكواكب الداخلية اسم « الكواكب الأرضية » أو الشبيهة بالأرض Terrest rial planets ، تمييزاً لها عن باقى الكواكب الشبيهة بالمشترى Jovian planets .

وإذا كان لكل كوكب قصته الخاصة التى لا تساوى فى أهميتها قصة أى كوكب آخر ، إلا أن كل هذه القصص تصب فى الرواية الطويلة التى يرويها العلماء عن المجموعة الشمسية بأسرها .

عطارد كوكب حديدى :

نظراً لقرب عطارد من الشمس فإن مشاهدته بواسطة المنظار الأرضى كانت بالغة الصعوبة ، وأول معرفة جيدة لهذا الكوكب كانت من خلال الصور التى سجلتها له سفينة الفضاء « مارينر – ١٠ » عندما مرت بجانبه (على بعد ٨٠٠ كيلومتر) فى العامين ١٩٧٤ و ١٩٧٥ . وقد

(*) السنة الضوئية هى المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة كاملة بسرعة ثلاثمائة ألف كيلومتر فى الثانية ، وهى تساوى ٩,٤٦١ مليون مليون كيلومتر .

أوضحت هذه الصور الفضائية التى تم إرسالها بالراديو إلى الأرض أن هناك تشابها كبيرا بين عطارد والقمر . والواقع أن عطارد مثل القمر ، يمتص أغلب ضوء الشمس الواقع عليه عاكساً – فقط – حوالى ٦٪ للفضاء الخارجى ، وهذه صفة الأجسام الصخرية التى تفتقر إلى وجود غلاف جوى . وبالمقارنة فإن أحد أقمار كوكب زحل الجليدية تعكس أكثر من ٦٠٪ من الضوء الذى يسقط فوق سطحه . وكون « القدرة العاكسة »(*) لسطحى عطارد والقمر الأرضى متساويتان تقريباً ، بالإضافة إلى تشابه الخواص الأخرى للضوء المنعكس عنهما ، فإن كل هذا يؤدى إلى استنتاج حقيقة التشابه الكبير بين عطارد وقمر الأرض .

ولدى عطارد مناطق مرتفعة ذات فوهات كثيفة مثل القمر ، ومناطق ذات تضاريس ممهدة تشبه منخفضات القمر . كذلك يحتوى عطارد على واجهات جبلية طويلة جداً تمتد عبر السهول والفوهات . ويعتقد بعض العلماء أن هذه الواجهات الجبلية قد تكونت نتيجة لقصر فى طول القشرة الكوكبية حيث إنه برُد وتقلّص .

على أن ما يثير الاهتمام فى كوكب عطارد بصورة خاصة ، ليس كونه بلا هواء ، ولا كوْن سطحه مشابهاً لقمر الأرض ، بل كونه متفرداً بين بقية كواكب المجموعة الشمسية بتركيب خاص .

فإذا ما استثنينا تأثيرات الجاذبية التى تضغط وتكثف الكواكب الكبيرة أكثر مما تفعـــل بالكواكب الصغيرة ، فإن « عطارد » يعتبر أكثف كواكب المجموعة الشمسية بالرغم من حجمه الصغير . ويعتقد العلماء أنه يتألف فى ٦٠ – ٧٠ بالمائة منه من الحديد الذى يتركز أكثره فى قلب هائل الحجم يشغل نحو ثلاثة أرباع حجم الكوكب الذى يبلغ قطره حوالى ٤٨٨٠ كيلومتر . أما الصخور فمحصورة فى قشرة خارجية رقيقة نسبياً . وهذا يعنى أن عطارد يحتوى على لُبّ حديدى ربما أكبر من لُبّ الأرض .

ومن التفسيرات التى قدمها العلماء لتعليل زيادة كثافة عطارد (حوالى ٥,١ جم/سم٣ مقارنة بكثافة مادة الأرض التى تساوى حوالى ٥,٥٢ جم/سم٣ فى المتوسط) نظرية تقضى بأن التباين فى تركيب الكواكب الداخلية الأربعة (عطارد والزهرة والأرض والمريخ) يعتمد على متغير مفرد هو درجة الحرارة التى تشكلت فيها هذه الكواكب انتقالا من السحابة الأولية المؤلفة من الغبار والغاز ، التى كانت عليها المجموعة الشمسية ووصولا إلى ما هى عليه الآن . وكانت هذه الحرارة بطبيعة الحال تتحدد ببُعد الكوكب عن الشمس . ففى المواقع البعيدة عن الشمس تكثفت الغازات فى حبيبات من الغبار وبردت السحابة بما يكفى لتكثف سلسلة طويلة من المعادن ، أما فى المواقع الأقرب إلى الشمس لم تتشكل إلا المواد التى لا تتطاير أو تتبخر بسرعة ، مثل الحديد ، ولعل هذا هو السبب فى احتواء عطارد على نسبة عالية من الحديد مقارنة بما فيه من الصخور .

(*) يستعمل الفلكيون مصطلح « القدرة العاكسة » للدلالة على النسبة التى تنعكس على سطح ما من الضوء الكلى الساقط عليه . وقد وجد أن القدرة العاكسة لعطارد تساوى ٠,٠٦ والقدرة العاكسة لقمر الأرض ٠,٠٧ .

ويعتقد أصحاب هذه النظرية أن الكواكب لم تنشأ من السحابة الشمسية مكتملة الشكل فجأة ، بل إنها كانت نتيجة عملية تدريجية طويلة من التنامي والتعاظم تجمعت خلالها حبيبات الغبار في صخور صغيرة ، وشكلت الصخور الصغيرة صخوراً أكبر ، وهكذا . وافترضت النظرية أن هذه العملية تمت بلطف وانتظام في أثناء تشكل الكواكب الأربعة الداخلية . ويستخدم العلماء ـ حالياً ـ نماذج محاكاة حاسوبية (كمبيوترية) لدراسة احتمالات تشكل كوكب عطارد وغيره من الكواكب الداخلية بطريقة الالتحام المتنامي أو المتعاظم لحبيبات الغبار والصخور الصغيرة . وربما يساعد الحصول على إحدى صخور عطارد مستقبلا في ترجيح صحة إحدى الفرضيات المحتملة لتكوينه .

الليل والنهار على عطارد :

عطارد هو أقرب الكواكب إلى الشمس وأسرعها حركة حولها ، وكتلته تبلغ ٠,٠٥ فقط من كتلة الأرض . ويدور عطارد دورة كاملة حول الشمس في ٨٨ يوماً أرضياً ، وظل الاعتقاد سائداً لمدة طويلة أنه يواجه الشمس بوجه واحد ، لكن الأرصاد الحديثة أوضحت أنه يدور حول محوره مرة كل ٥٩ يوماً أرضياً تقريباً . وهذا يعني أن يوم عطارد يبلغ نحو ثلثي سنته ، ففي كل دورة حول محوره يستقبل جميع سطحه أشعة الشمس ، أي لا يظل أي وجه منه في ظلام دائم .

وقد قيست درجة حرارة سطح عطارد ليلا ونهاراً بعدة طرق . ودلت القياسات على أن درجة حرارة الجانب المضاد بالشمس عند منتصف النهار تبلغ ٤٣٠°م . أما قياسات درجة حرارة الجانب المظلم من الكوكب ليلا فقد بينت انخفاضاً يصل إلى ١٧٣°م تحت الصفر المئوي . وتعتبر فروق درجات الحرارة على عطارد أكبر منها على أي كوكب آخر ، ومن ثم فإن فرص الحياة عليه بالصورة التي نعرفها على الأرض ـ حسب معرفتنا المحدودة ـ تعتبر معدومة .

مراجع للاستزادة :

ـ الكواكب والنجوم والمجرات : عبدالمنعم السيد العشري . الهيئة المصرية العام للكتاب ، ١٩٨٣ م .

ـ الأرض ، مقدمة للجيولوجيا الطبيعية ، الترجمة العربية ، منشورات مجمع الفاتح للجامعات بليبيا ، ١٩٨٩ م .

ـ النجوم والكواكب ، ترجمة أ.د. أحمد فؤاد باشا ، دار سفير بمصر ، ١٩٩٤م .



أمراض الطفولة

فقر الدم الناتج عن زيادة تحلل كرات الدم الحمراء

٤ ـ أنيميا البحر المتوسط

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى

تحدثنا فى مقالاتنا السابقة عن فقر الدم الناجم عن زيادة تحلل كرات الدم الحمراء ، وقد قمنا بإلقاء الضوء على بعض أنواعه وهى : أنيميا الفول ، وأنيميا ازدياد الخلايا الكروية فى الدم ، وأنيميا الخلايا المنجلية ، واليوم نستأنف حديثنا عن هذا النوع من فقر الدم ، بإلقاء الضوء على أهم أنواعه وأكثرها شيوعاً ، وهو مرض : « أنيميا البحر المتوسط » وهو مرض وراثى ناجم عن خلل فى تكوين الهيموجلوبين ، وقبل أن نبدأ الحديث عن هذا المرض ، سوف نقوم بإلقاء الضوء على مكونات الهيمو جلوبين ، وأنواعه المختلفة .

● مكونات الهيموجلوبين : تتكـــون مادة الهيموجلوبين من جزئين :

* جزء الهيم : Haem Portion

وهو الجزء المحتوى على الحديد ، وهو ثابت التركيب ، لا يختلف فى التكوين باختلاف نوع الهيموجلوبين .

* جزء الجلوبين : Globin Portion

وهو يتكون من أربع سلاسل متصلة من الأحماض الأمينية ، يختلف نوعها باختلاف نوع الهيموجلوبين ، وبالتالى تحدد نوعه .

● أنواع الهيمو جلوبين :

١ ـ عند البالغين Adult Haemoglobin :

وهو يشمل :

(أ)هيموجلوبين أ : Haemoglobin A

وهو يشكل حوالى ٩٥ ـ ٩٧٪ من (الهيمو جلوبين) لدى الشخص البالغ ، والسلاسل الأربع من الأحماض الأمينية مكونة من الآتى :

ـ سلسلتان من نوع « ألفا » .

(*) ماجستير طب الأطفال .

• وسلسلتان من نوع « بيتا » .

أى (٢ ألفا + ٢ بيتا) .

ويشكل هذا النوع من الهيموجلوبين حوالى ٣٠٪ من الهيموجلوبين الكلى عند الولادة ، وتزداد نسبته بالتدريج بعد الشهر السادس ، حتى تصل إلى حوالى ٩٥ ـ ٩٧٪ من الهيموجلوبين الكلى فيما بين العام الأول والثانى من عمر الطفل .

(ب) هيموجلوبين أ٢ Haemoglobin A_2 :

وهو يشكل حوالى ٢ ـ ٢,٥٪ من الهيموجلوبين الكلى لدى الشخص البالغ ، أى أن نسبة الهيموجلوبين « أ٢ » إلى هيموجلوبين « أ » لا تزيد عن ١ : ٣٠ ، وتكون السلاسل الأربع من الأحماض الأمينية مكونة من الآتى :

• سلسلتان من نوع « ألفا » .

• سلسلتان من نوع « دلتا » .

أى (٢ ألفا + ٢ دلتا) .

٢ ـ الهيموجلوبين الجنينى (بعد الشهر الثالث من الحمل وحتى الولادة) Fetal Haemoglobin هيموجلوبين « ف » Haemoglobon :

وتتكون السلاسل الأربع من الأحماض الأمينية مكونة من الآتى :

• سلسلتان من نوع « ألفا » .

• سلسلتان من نوع « جاما » .

أى (٢ ألفا + ٢ جاما) .

وهو يشكل حوالى ٧٠٪ من الهيموجلوبين الكلى عند الولادة ، وتقل نسبته بالتدريج ، بعد الشهر السادس ، وحتى لاتزيد عن ٢٪ بعد العام الثانى من عمر الطفل .

ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من الهيموجلوبين يتميز بقابليته الشديدة للاتحاد بالأكسوجين وعدم تركه بسهولة .

٣ ـ الهيموجلوبين قبل الشهر الثالث من الحمل Embryonic Haemoglobin

وهو يشمل :

(أ) هيموجلوبين جَوَرْ « ١ » : Gower 1 Haemoglobin

وهو يتكون من (٢ زيتا + ٢ إبسليون) .

(ب) هيموجلوبين جَوَرْ ٢ : Gouer II Haemoglobin

وهو يتكون من (٢ إبسليون + ٢ ألفا) .

(ج) هيموجلوبين بورتلاند Portlond Haemoglobon

وهو يتكون من (٢ زيتا + ٢ جاما) .

● ماهية مرض أنيميا البحر المتوسط : B-Tholassemia

وكيفية حدوثه :

هو مرض وراثى ناجم عن عدم مقدرة المريض ـ كلياً أو جزئياً ـ على تصنيع سلسلة الأحماض الأمينية « بيتا » المكونة للهيموجلوبين « أ » نظراً لوجود خلل فى تكوين الجين الخاص بتكوينها وكذلك بسبب عدم وجود أو نقصان سلسلتى الأحماض الأمينية (بيتا) ، يؤدى ذلك إلى تجمع سلسلتى الأحماض الأمينية ألفا بكثرة داخل الخلايا الحمراء ، وبالتالى يتحد جزء منها مع سلسلة الأحماض الأمينية : « جاما » مكونة الهيموجلوبين الجنينى « ف » ، وبالتالى تزداد نسبته عن المعدل الطبيعى ، أما الجزء الآخر من

سلسلة الأحماض الأمينية : ألفا فإنه يترسب داخل خلايا الدم الحمراء ويؤدى هذا إلى :

• تكسُّر الخلايا الحمراء فى النخاع العظمى Intra medullary hemolysis

• وأيضاً تكسر الخلايا الحمراء فى الطحال Extramedullary hemolysis

كما يؤدى هذا إلى حدوث فقر دم ، وزيادة مادة البيلـروبين وغير المبـاشر Indirect bilirubin فى دم الطفل وبالتالى : اصفرار لونه .

● أعراض المرض :

تبدأ الأعراض فى الظهور ، أثناء النصف الثانى من العام الأول من عمر الطفل ؛ لأنه من المفترض ـ أثناء ذلك الوقت ـ أن تزداد نسبة الهيموجلوبين « أ » ، وتقل نسبة الهيموجلوبين الجنينى « ف » ، وفى هذا الوقت ـ كما سبق وذكرنا ـ وفى البداية يظهر المرض فى صورة شحوب الطفل ، مع اصفرار جلده وعينيه ، وتأخر نمّوه وتضخم الطحال ثم تتجلى أعراض المرض المميزة له فى صورة :

١ ـ تغيرات فى الهيكل العظمى للطفل : Skeletal Changes

وتحدث تلك التغيرات نتيجة لزيادة مساحة النخاع العظمى وانبساطه حتى يقوم بتصنيع المزيد من كرات الدم الحمراء ، ويؤدى هذا إلى الآتى .

• زيادة حجم الرأس .

• بروز عظمتى وجنتى الطفل ، وتكون القواطع الأمامية العلوية بارزة ومزدحمة . Protruded, crowded upper central incisors

مع انخفاض قصبة الأنف : Nasal bridge وارتفاع جانبى العين لأعلى : Upward eye slanting وبهذا يشبه وجه الطفل : وجه الطفل المريض بمرض البله المغولى : Mongolism

● قصر وزيادة عرض قدمىْ ويدىْ الطفل .

٢ ـ تغيرات فى لون الطفـــــل : Colour changes :

• يكـون الطفـل باهتـاً Pale وأصفر اللــون Jaundiced (الجلد والأغشية المخاطية وبياض العين) .

• فى المراحل المتقدمة من المرض ـ نظراً لزيادة نسبة مادة الهيموسيدريـــن Hemosiderin (حديد الدم) نتيجة لتصاعده من خلايا الدم الحمراء المتكسِّرة ـ فإن هذه المادة تجعل لون الطفل مُوحِلاً أى أشبه بلون الوحل أى : بنى يميل للاخضرار (Muddy)

٣ ـ تضخم كبد الطفل وطحاله مع زيادة حجم الغُدد الليمفاوية Hepatospleenomegaly and lymphadenopthy نتيجة للأسباب الآتية :

• تصنيع كرات الدم الحمراء بها Extra medullary hemopoiesis

• إصابة الطفل بالالتهابات المتكررة .

• ترسب مادة الهيموسيدرين بها

ويؤدى هذا إلى بروز بطن الطفل للخارج .

٤ ـ حدوث نوبات مرضية Crisis وهـى تشمل :

(أ) نوبـة تكسر خلايـا الـدم الحمـراء Hemolytic crisis :

حيث يصبح الطفل شديد الشحوب ، مع زيادة اصفرار لونه واحمرار البول ، مع حدوث ألم فى بطن الطفل ، وزيادة بشبكة الخلايا الشبكية .

(ب) نوبة عدم مقدرة النخاع العظمى على تصنيع خلايا الدم :

Aplastic crisis

نظراً لإصابة الطفل بأحد الـفيروسات Human Parvo virus حيث يصير الطفل شديد الشحوب ، ولكن تقل درجة اصفراره وتقل نسبة الخلايا الشبكية ، وقد يصاحب هذا حدوث نزف نظراً لقلة الصفائح الدموية ، وأيضاً حدوث الالتهابات المتكررة ، نظراً لقلة كرات الدم البيضاء .

(ج) نوبة عدم مقدرة النخاع العظمى على تصنيع خلايا الدم ، نظراً لقلة حامض الفوليك

Megaloblastic Crisis

حيث تكون خلايا الدم الحمراء كبيرة الحجم ، ومحتوية على نسبة كبيرة من الهيمو جلوبين .

وسوف نقوم بإلقاء الضوء على مضاعفات المرض ، وطرق تشخيصه ، وعلاجه ، فى مقالنا التالى ـ بإذن الله تعالى .

بقية ص ٥٢٥

● إذا تزوجت فربما تنعم بالسيادة على الزوجات الأخريات ؛ لزوجها إذا رأى ذلك وعليها أن تعلم أنها زوجة لرجلها أثناء حياته معها ، وكذلك أثناء تقلبه فى حيوات أخرى طبقا لعقيدة التناسخ فى دينها ، وهى عقيدة تقضى بأن الإنسان لاتنتهى

حياته أبدا فلايزال ينتقل من جسد إلى جسد أى من حياة إلى حياة لكنه أبدا لايموت ، وتعتبر فى كل الأدوار زوجة ، ليس لها أن تتزوج بعد حياته الأولى معها ، فزواجها هذا جريمة فادحة تحدث للزوج اضطرابا فى حيواته المقبلة . فعليها أن تعيش أرمل وتحلق شعرها ، وإلا كانت ذميمة جدا بزواجها من بعده ، إذ هى ـ فى الواقع ـ ملك خالص له .

● كان من الأفضل لها أن تموت بعد وفاته ، وقد يحكم عليها بالموت ، وهو ـ بعد ـ حقّ فالعادة المسماة (سوتى) وكانت منتشرة عصر الاسكندر ـ أى فى القرن الرابع قبل الميلاد ـ تقضى أن تقتل الزوجة بعد موت زوجها ، بأن تحرق نفسها إلى جانب جثته ، أو تدفن حية ... الخ .

بينا كانت العادة الأخرى المسماة (جوهور) تقضى على الرجل من أهل (راجبوت) ـ كما مر ـ إذا أصيب بهزيمة أن يضحى بزوجاته قبل أن يتقدم للموت .

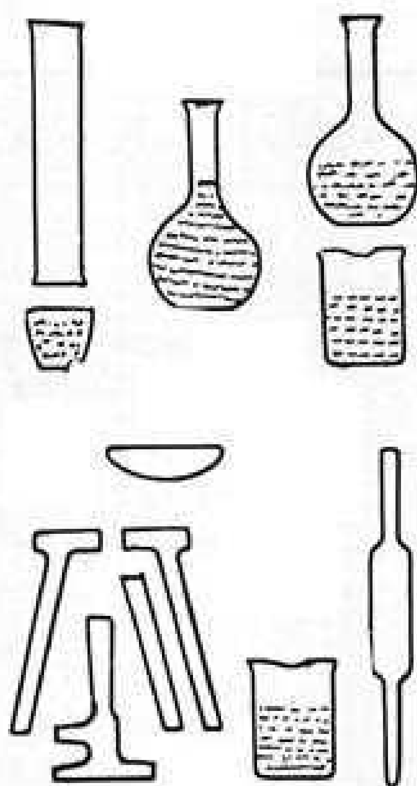
وبعد :

فإنه ينبغى أن نحدد كل ملامح هذه المآسى لنرى ـ عن يقين ـ : ماذا فعل الإسلام لكل امرأة فى العالم ، وجدتْ أو ستوجد .

«ويخلق ما لا تعلمون...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ نجوى السيد أحمد (*)



الحاسب الآلي لتعليم الصم القراءة

طور علماء ألمانيا برنامجا جديدا للحاسب الآلي لتعليم الصم القراءة عن طريق حركة الشفاة على الشاشة باستخدام تكنولوجيا أفلام الصور المتحركة ، حيث يجرى عرض حركات الوجه التي تعبر عن الأحرف والكلمات والجمل ، كما يستطيع المدرب أن يغير حركة الفم للصورة على الشاشة بحيث تتشابه مع حركة فم الشخص الذي يحدثه ، ثم يقوم الحاسب الآلي بتفسير ما يقوله ، ويتميز البرنامج الجديد بسهولة استعماله ويمكن استخدامه في أجهزة الحاسب الآلي المعروفة .

★ باحثة بالمركز القومي للبحوث ـ الدقي

مكتب متنقل يعمل بولاعة السيارة :

مع تطور عصر التكنولوجيا أصبح بإمكان رجل الأعمال أن يقوم بكل أعماله من داخل سيارته من خلال مكتب متنقل ، حيث صمم العلماء بأمريكا حقيبة تقليدية لرجال الأعمال لكنها تحتوى على أجهزة متطورة تقنيا تشمل جهاز « تليفون » يقوم باتصالات داخلية ودولية ، وجهاز « كمبيوتر » وطابعة وجهاز « للفاكس » توضع هذه الأجهزة مع رجل الأعمال فى سيارته وتستمد الطاقة الكهربائية اللازمة لتشغيلها عن طريق محّول متصل بولاعة السيارة .

إعادة تصنيع الورق المستعمل

فى دول أوربا وأمريكا يتم إعادة تصنيع الورق المستعمل للاستفادة منه ، لقلة تكاليف إنتاجه ، ولأن الطاقة الكهربائية اللازمة لإعادة تصنيعه أقل بكثير من الطاقة اللازمة لإنتاج الورق من أخشاب الأشجار لأول مرة ، ويوجد طريقتان لإعادة تصنيع الورق المستعمل ، تعتمد الأولى على غسل الورق المستعمل عن طريق عجنه فى الماء وبعض المواد الكيماوية ، ليتحول إلى لباب ، مما يؤدى إلى التخلص من قدر كبير من الحبر ، والطريقة الثانية تسمى « طريقة التعويم » ويتم فيها مزج الورق المستعمل بالماء وإضافة الصابون إلى اللباب وضخه فى مستودعات يدفع فيها الماء إلى أعلى فينفصل الحبر عن اللباب ، وهذه الطريقة أكثر كفاءة ، وتنتج ورقا من نوعية عالية الجودة .

مؤشرات التئام ثقب الأوزون ذاتيا

أوضحت الأبحاث التى قام بها العلماء البريطانيون أن ثقب طبقة الأوزون فى القارة القطبية الجنوبية يشهد اتساعا مستمرا وأن ذلك سيسبب أضراراً لنصف الكرة الجنوبى ، إلا أنهم أشاروا إلى احتمال تحسن الأمور خلال السنوات القادمة نتيجة لانخفاض الأبخرة الكيماوية الصناعية فى الغلاف الجوى ، الأمر الذى يعنى أن الثقب سيقوم من تلقاء نفسه بعملية الترميم والإصلاح والالتئام ذاتيا .

طريقة جديدة لعلاج مرضى السكر عن طريق الأنف .

توصل بعض العلماء الدانمركيين إلى طريقة جديدة لعلاج مرضى السكر عن طريق الأنف ، وذلك باستنشاق مادة الأنسولين من الأنف قبل وجبة الطعام ، وذكر هؤلاء العلماء أن هذه الطريقة تسمح بوصول الأنسولين إلى الدم بسرعة تفوق سرعة وصولها عن طريق الحقن ، ويتم ذلك باستخدام مادة كيماوية مساعدة ومأمونة تماما تضاف إلى الأنسولين فتساعد على امتصاصه فى أنسجة الأنف ووصوله إلى الدم .

موقف النحويين من الاحتجاج بالقرآن الكريم

أحس أسلافنا القدماء أن خير ما يُعتمد عليه فى إقامة صرح اللغة العربية : القرآن الكريم ، فلقد كان القرآن الكريم وقراءاته مددا لا ينضب للنحويين فى استخلاص قواعدهم ، ووقفوا منه موقفا مزدوجا ، تارة يحتجون به وتارة يحتجون له ، وبعضهم يخضع القراءة للقياس النحوى ، وبعضهم يخضع القاعدة للقراءة القرآنية ، وفيما يلى موقف النحاة من هذه القضية .

إعداد : صلاح موسى البربرى (*)

● موقف سيبويه :

(أ) إن سيبويه ــ شيخ النحاة ــ لم يخطىء قراءة بل كان يذكرها ليبين وجها من العربية وليقوى ما ورد عن العرب ، وإن كانت من القراءات المفردة لا يخطئها ولا يخطىء القارىء بها ، إنما يحاول تخريجها على إحدى لغات العرب ، لأنه يرى أن اللغة الواردة عن العرب فصيحة ، وإن قل من يتكلم بها ، ولا يرى المتكلم بها مخطئا ، فمثلا يعرض لقوله تعالى :

﴿ انتهوا خيرا لكم ﴾ .

سورة النساء ــ آية : ١٧١

ويعقب عليها بما معناه أن كلمة « خيرا » نصبت بإضمار فعل متروك إظهاره ، فكأننا قلنا انته ، وادخل فيما هو خير لك فكأننا نحمله على أمر آخر ، فلذلك انتصب ، وحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه ، ولعلم المخاطب أنه محمول على أمر .

ويعرض أيضا لقوله تعالى : ﴿ لَّٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾

سورة النساء ــ آية : ١٦٢

فيقول : لو كان كله رفعا لكان جيدا ، ثم يقول ــ أيضا ــ بما معناه : إن الخليل زعم أنه منصوب على الفعل . كأنه قال : « اذكر أهل ذاك واذكر المقيمين ، ولكنه فعل لا يستعمل إظهاره » .

(ب) عموماً كان سيبويه لا ينكر القراءة التى تخالف القياس ، ولم يعارض قراءة من القراءات معارضة صريحة ولا معارضة خفية ، بل قبل القراءات دون اعتراض عليها واستخلص منها الحكم دون مفاضلة ، وأما العبارات والصفات التى توهم منه ترجيحا لقراءة على قراءة أخرى مثل (أحسن القراءتين) و (الرفع أكثر) و (كان جيدا) و (هى قليلة) ، فهى لا تعنى المفاضلة بين قراءة

● مدرس ثانوى بإدارة بنها التعليمية .

وأخرى ، أو ترجيح قراءة على أخرى ، لأن هذا الحكم لا ينصب على القراءة من حيث قراءة ، وإنما الحكم ينصب على التركيب والأسلوب من حيث هو تركيب وأسلوب ، أو بعبارة أخرى : إن سيبويه حينما يعقب على القراءات بما يشعر بعدم موافقته إياها لا يزيد على أن يقول : (وهذه لغة ضعيفة) أو (وهي قليلة) ، فهو لا يوجه الضعف إلى القراءة مباشرة ، إنما يحمل القراءة على إحدى لغات العرب الموصوفة بالضعف أو بالقلة ، ومع ذلك فهي لغة تصح القراءة بها ، فالضعف والقلة عنده ليسا في القراءة نفسها إنما في اللغة التي قرأ بها القارىء .

(جـ) إن موقف سيبويه من القراءات يختلف باختلاف الموضع الذي يتحدث فيه :

١ ــ ففي بعضها يقيس على القراءة ويعتبرها الأصل ، كما فعل عند كلامه على إجراء صلة (مَن) وخبره إذا عنيت اثنين كصلة (اللذين) ، وإذا عنيت جمعا كصلة (الذين) .

٢ ــ ويحمل بعض القراءات على ما يراه أساتذة القياس في كلام العرب ورأى أنها لغة جيدة .

٣ ــ ويحمل القراءات المخالفة لسواد المصحف على اللغات .

٤ ــ وإذا خالفت القراءة القياس المشهور في لغة العرب لا يردها ولا يخطئها ، أو يعيبها أو ينكرها ، إنما كان يحملها على ما ورد من عبارات وشواهد عن العرب خالفت فيه القياس ، والمشهور ، أو يشبه هذه الشواهد بالقراءة ويحملها عليها ، ويرى أنه مما يُسمع ولا يُقاس عليه .

٥ ــ وأحيانا يقيس القراءات على ما سمعه من العرب .

٦ ــ أو يقيسها على ما حدثه به مَن سمعه من العرب ممن يثق بهم من الرواة .

٧ ــ وقد ترد في الآية الواحدة قراءتان مختلفتان يستشهد سيبويه بهما معا ولا يرجح بينهما .

٨ ــ وقد يرجح في بعض الأحيان بين القراءتين ويصف إحداهما بأنها أجود من الأخرى وإن كانت الأخرى عربية .

٩ ــ وقد يصف إحدى القراءتين بأنها أحسن أو أكثر .

١٠ ــ وقد يبين قوة إحدى القراءتين ولا يشير إلى حكم الأخرى .

١١ ــ أو يبين وجه كل القراءات وأن لكل منهما وجها حسنا لأنه عربي جاء على لغة من لغات العرب .

١٢ ــ وإذا جاءت القراءة على غير المشهور من أوجه التعبير ، أو على الاستعمال القليل فيه ، نجده يفسرها ويؤولها أو يسأل عنها أحد شيوخه الذي يخرجها تخريجا يبعدها عن الضعف أو الشذوذ أو القلة .

والخلاصة : إن موقف سيبويه من القراءات موقف معتدل ، فقد استشهد بها واستخلص منها القواعد ، وقاس عليها كلام العرب ، أو قاسها على كلام العرب .

(د) أما موقف سيبويه من القراء أنفسهم ، فلا يختلف عن موقفه من الشعراء ، أو ممن نقل عنهم العبارات التي استشهد بها في كتابه :

١ ــ فنص على اسم القارىء فيما ثبت عنده نسبة القراءة إليه ، وممن نص عليهم : الأعرج وعبدالله بن مسعود ، وعيسى بن عمر ، وعبدالله بن أبي إسحق ، وأبو عمرو بن العلاء وغيرهم .

٢ ــ وإن لم يثبت عنده اسم القارىء نصَّ في

بعضها على اسم البلد الذى قرأ أهله بهذه القراءة ، مثل قراءة أهل المدينة ، أو قراءة أهل مكة أو قراءة أهل الكوفة أو قراءة أهل الحجاز ، ولا يفرق فى نقله لهذه القراءات بين مدينة وأخرى إنما يذكرها ويستشهد بها ، فى الموضع الذى يريد ، ولا يرجح قراءة منها على أخرى .

٣ ـ فإن لم ينسبها إلى قراءة مدينة معينة ، وصح عنده أنها بلغة قبيلة من قبائل العرب أشار إلى ذلك عند ذكره القراءة ، فمنها ما نسبه إلى لغة : هذيل ومنها ما نسبه إلى : لغة تميم .

٤ ـ أما فى غير هذه المواضع فلم ينسب القراءات ، وإنما كان يكتفى بأن يقول (سمعنا بعض العرب قرأها) أو (قراءة بعض القراء) أو (وقد قرىء) إلى غير ذلك من العبارات التى يقدم بها للقراءة .

● موقف الأخفش :

الأخفش هو أكبر أئمة البصريين بعد سيبويه ، وفى رأى الدكتور شوقى ضيف : أنه هو الذى فتح أبواب الخلاف عليه ، بل هو الذى أعد لنشأ فيما بعد مدرسة الكوفة ، ثم المدارس المتأخرة المختلفة ، وقد جاء الأخفش فخالف سابقيه فى بعض المسائل محتجا بالقرآن الكريم بلا تأويل أو تمحل :

١ ـ فيقرر أن (من) الجارة تزاد فى الإيجاب مستدلا بقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

سورة الأنعام ـ آية : ٣٤

وقوله تعالى :

﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ **سورة نوح : آية : ٤**

وقوله تعالى :

﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٢٧١

وقد تبعه الكسائى والكوفيون فى هذا الموضع .

٢ ـ وذهب إلى أن (إلا) الإستثنائية قد تأتى عاطفة بمعنى الواو ، ومنزلتها فى التشريك لفظا ومعنى ، وقد تابعه فى ذلك الفراء وأبوعبيدة ، ومن ذلك قوله ـ تعالى : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٥٠

أى ولا الذين ظلموا ، وتأولها الجمهور على الاستثناء المنقطع .

٣ ـ كما يذهب إلى جواز إقامة غير المفعول به من الظرف والجار نائب فاعل ، مع وجود المفعول به فى الجملة لمجيء ذلك فى القرآن فى قراءة أبى جعفر :

﴿ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ سورة الجاثية

فقد نصب (قوما) وهى مفعول وجعل الجار والمجرور نائبا عن الفاعل ، إذ الفعل مبنى للمجهول .

٤ ـ كما ذهب إلى جواز مجيء الفعل الماضى حالا بدون تقدم (قد) أو الواو مستدلا بقوله ـ تعالى : ﴿ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ .

سورة النساء ـ آية : ٩٠

وقوله ـ تعالى : ﴿ هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ﴾

سورة يوسف ـ آية : ٦٥

وقد تبعه الكوفيون .

٥ ـ وقد أجاز الأخفش العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الخافض ، مستدلا بقراءة حمزة :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ ﴾ .

سورة النساء ـ آية : ١

وقد تبعه الكوفيون .

٦ ـ كما أجاز زيادة الواو فى الكلام مستدلا بقوله ـ تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾

سورة الزمر ـ آية : ٧٣

٧ ـ وأجاز أيضا زيادة الباء في الخبر الموجب مستدلا بقوله ـ تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾

سورة يونس ـ آية : ٢٧

٨ ـ وأورد بعض النصوص مؤيدة التطابق بين القراءات واللغات ، منها على سبيل المثال قوله ـ تعالى : ﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ .

سورة طه ـ آية : ٦٣

خفيفة في معنى ثقيلة ، وهي لغة قوم يرفعون ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى ما .

٩ ـ وربما ارتضى الأخفش القراءة في غير الدفاع أو الاقتناع بها ، وذلك لمطابقتها لغة قبيحة من لغات العرب ، لا وجه لتعليلها ، فعلى سبيل المثال أنه قد قرأ قوم : ﴿ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٦

بالكسر ، لما وجدوا حرفا ساكنا قد لقي ساكنا ، كما يكسرون في غير هذا الموضع ، وهي لغة شاذة ، فهذه القراءة وأشباهها إنما حازت قبولا لأن لها وجها من وجوه اللغات ، وما دامت قد جاءت تراثا فهي مقبولة .

١٠ ـ أما إذا لم يكن للقراءة تراثا فلا قيمة لها ، مثال ذلك قوله ـ تعالى :

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ . سورة البقرة ـ آية : ١٨٤

يقول (فعليه عدة) بالرفع ، وإن شئت نصبت على تقدير (فليصم عدة) إلا أنه لم يقرأ .

١١ ـ وكذلك الأمر في رفض القراءات التي ليس لها وجه من العربية وقد جاء من ذلك قوله ـ تعالى :

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةُ طَعَامِ مِسْكِينٍ ﴾

سورة البقرة ـ آية : ١٨٤

وقد قرئت (فديةُ طعامِ مسكين) ، وهذا ليس بالجيد ، إنما الطعام تفسير للفدية ، وليست الفدية مضافة للطعام .

١٢ ـ ومهما تكن مطابقة القراءة للغة من لغات العرب القوية أو الضعيفة فإنها إن لم توافق رسم المصحف كانت مرفوضة ، ومن ذلك قوله ـ تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾

سورة طه ـ آية : ٦٣

وذلك خلاف المصحف .

١٣ ـ فإذا كانت القراءة تطابق رسم القرآن فتلك المقبولة كل القبول .

والخلاصة : إن الاطلاع على آراء الأخفش في القراءات وعلاقتها بلغة العرب يحملنا على القول بأن رأي الأخفش يمكن سبكه في النص الآتي : (يجب أن تكون القراءات مطابقة للغات العرب ورسم المصحف ومستقيمة المعنى ، فإذا جاءت قراءة ما غير مطابقة للغة من اللغات فهي لاغية ، وهي كذلك إذا خالفت رسم المصحف) .

[منهج الأخفش الأوسط في الدراسات النحوية : عبدالأمير محمد أمين] .

وبعد هذا كله : تصبح القراءة أساسا قويا من الأسس التي يبني عليها الأخفش قواعد العربية ، وهو لا يأخذ القراءة أخذا من غير تمحيص ، أو تدقيق ، فربما قرأ بعضهم بما يخالف المعنى ، فهو يرد عليه ولا يقبل منه ، وأخيرا فهو أيضا يختار القراءة التي يقرأ بها مع ذكره سواها .

يتبع



الدكتور عبد الوهاب عزام

في كتابه الشوارد



بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

يقول الدكتور عزام ، رحمه الله ، في مستهل كتابه هذا :

« سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، وبعد

فقد باعدت الأسفار بيني وبين خزانة كتبي ، والخزائن التي كنت أستعين بها على التأليف ، في القاهرة ، فلم يتيسر التأليف والنشر اللذان تعودتهما . فرأيت أن أثبت ما يخطر من خاطرات ، وما يسنح من سانحات .. وأن أسجل سلائل الفكر والوجدان ، وأجمع حصائد العلم والتجارب : أصيد منها الشوارد ، وأقيد الأوابد » .

أي أنه في كتابه هذا كان يعمد إلى الغوص في أعماق ذاكرته وذكرياته ، وعصارة فكره واطلاعه ، ليدوّن ما يعنّ له من خواطر ، ويصوغ زبدة ثقافاته ، وانفعالاته الذاتية ، في خضم الحياة والناس ، بمنأى عن مراجعه ومصادره ؛ ليطلق العنان لاهتماماته وتأمله في الماضي والحاضر وما يتوقعه في المستقبل . يقول : « رب خطرة فتحت أبواباً ، ورب فكرة سيّرت الأقلام أحقاباً .. وهذه الخطرات والفكر ، خلاصة أحداث الزمان ، وتجارب الإنسان .. واقترحت على نفسي أن أقيّد كل يوم فكرة عابرة ، أو خطرة طائرة ، وأن أمضي على هذا جزلا كاملاً .. »(*) .

(*) ... كذلك خطا أول من عبر هذا السبيل : أبو الفرج بن الجوزي في كتابه « صيد الخاطر » ثم تتابعوا بعده ... « مجلة الأزهر » .

واتفق له تدوين هذه الشوارد فى مدينة جدة من الحجاز ، بعد أن شرع فيها يوم الثلاثاء لثلاث وعشرين خلت من جمادى الآخر سنة ١٣٦٩ هـ الحادى عشر من نيسان (أبريل) سنة ١٩٥٠ م .

واستمر فى عمله هذا أثناء تنقله إلى مكة المشرفة ، والمدينة المنورة ، وبلدان أخرى فى الحجاز ونجد ، ثم فى مصر والباكستان ، حتى انتهى العام الشمسى . وصدرت الطبعة الأولى له أثناء عمله سفيراً لمصر فى الباكستان بمطبعة العرب ـ كراتشى ـ باكستان سنة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م ، وسارع إلى الإشراف بنفسه على طبعه ، تحرُّزاً مما يلحق بالكتب ، حين تُطبع فى غيبة أصحابها .. ليزف إلى قراء العربية ، بنات الأفكار ـ كما يقول ـ وربائب الليل والنهار .. يجلو هذه السانحات ، ويعرض هذه الخاطرات ، آملا أن تجد من العناية كفاء الصدق الذى أملاها ، والإخلاص الذى ألحمها وأسداها .

* * *

وفى فاتحة الكتاب ، يقول :

« يدور الفلك ، وتمر السنون ، وتعدو بنا الأيام .. والإنسان مشدوه بغدوها ، يكاد يُغلب على عدّها ، وهو كراكب السفينة الباخرة السريعة ، ينظر وراءها ، فإذا البحر مزبد ، والماء مسرع .. وإذا صفحة من اللج بعد صفحة ، ولجة من البحر بعد لجة ، لا يستطيع توقفاً ولا تريثا .. ورحم الله الشاعر أسد الله غالبا ، يقول (بترجمة عزام شعراً عن الأردية) :

أسوم جواد العمر ريثا ، وماله ركابٌ برجلى ، أو عنانٌ بأنملى

ثم يستطرد الدكتور عزام ، فى وصف رحلة الأيام ، ومصائر الأقوام ، فيقول :

« ومن مات .. كمن سقط على اللُّج ، تجوزه السفينة ، ويبعد عنه الركب ، وينأى عن البصر ، ثم .. عن الذكر .

ثم يقدم ما ينبى بعمق إيمانه ويقينه ، وتشرُّب نفسه بالمبادىء الإسلامية القويمة ، وحرصه على ترسيخها فى النفوس ، فيقول : « وليس يثبت فى هذا الجريان .. إلا عمل صالح يبقى سُنَّة فى الحياة ، وإلا قول طيِّبٌ يبقى هُدًى للأحياء . فمن شاء ألا تمضى به الأيام سُدًى ، فليجتهد أن يبارى الأيام ، ويسابق الزمان .. مُسارعةً إلى الخيرات ، وبِدَارا إلى الحسنات : بكلمة طيبة ، أو عمل صالح ، أو علم ينفع الناس ، أو فكر يضىء فى أرجاء هذه الأرض » .

ولينا نعى ونستوعب هذا القول الحكيم الرصين ، ونعمل به ، وفرصة الحياة لا زالت أمامنا والملكان يدوِّنان أعمالنا ، والموت يجد فى أثرنا ، والنهاية آتية لا ريب فيها .

ويحذرنا عزام بعد ذلك ، بقوله :

« إن الإنسان ليغفل فيعطل فكره أو يده ـ ولكن الأيام لا تقف ، والفلك لا يغفل .. فاجْهَدْ ما استطعت أن يدأب فكرك ويدك : نُصرةً للحق ، وفعلا للخير » .

* * *

ويشيع الدكتور عزام هذه المعاني السامية ، ويزيدها إضاءة وإشراقاً ، حينما يقول في فصل آخر[1] (ص٢) : « فأيقظوا الأرواح وعلِّموها العدل والإباء والكرامة ، وأن في الحياة أمرا وراء البدن ، وأن في اللذات لذة غير جثمانية ، وأن للناس مطالب روحانية .. بَصِّروا الناس بالحياة الكريمة ، لتسمعوا مَنْ يقول : هذا أستطيعه ولا أفعله ، وهذا أُعطاه ولا أقبله ، وهذا ينفعني ولكن .. أنْفر منه !

حينئذ يقول الإنسان : واجبي ، قبل أن يقول حقي ، ويقول : حقي وحق غيري ، ويقول : هذا لغيري ، كما يقول هذا لي .

ويومئذ يجمع الناس الحق ، بعد أن باعد بينهم الباطل ، ويؤلفهم العدل ، بعد أن فرَّقتهم الأهواء .. وتتألفهم المحبة ، بعد أن تفرِّقهم البغضاء ، فسِّروا للناس هاتين الآيتين ، بالقول والعمل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[2] ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[3]

* * *

ثم ينتقل (ص ٤) للحديث عن « شقاء المرأة في هذه المدينة » فيقول :

« يحسب الناس أن المرأة سعدت بهذه الحضارة التي تعيش فيها ، وحَلِيت بهذه الزينات التي تحملها ... ولكني أرى أنها نعمت بهذه الحضارة من وجه ، وشقيت من وجوه كثيرة ، وحسبي في هذه الكلمة أن أعرض لوجه واحد : كانت المرأة تملك الرجال بتصوّنها وحيائها ، وكانت لا تكشف إلا عن وجهها ، ولا يكون هذا إلا في مجامع ضيِّقة . وكان لها زينة يسيرة ، هي أن تقرِّب وجهها من الجمال الطبيعي ، بصنْعة يخيل إلى الرائي أنها طبيعية .. فَسَفرتْ المرأة عن وجهها وغير وجهها ، وغشيت المجامع كلها ، وتزينت على وجوه من الزينة لا يحصيها العد ، ولا تحدها محاكاة الفطرة الجميلة .. فصارت في معرض يُنظر فيها إلى جسمها كله ، وأُلزمت أن تنافس في ضروب من الزينة ، يضيق عنها الوقت والمال ، فهي في شغل دائم بالتزين ، في المجلس والطريق .. وهي بعد العناء في جمْع المال ، وإنفاقه في الزينة ، وإضاعة الوقت فيها ، والإشفاق من أن تبور في

---

(١) بعنوان : « كلّ يقول لي ، وليس من يقول عليّ » .

(٢) المائدة : ٨ .

(٣) سورة (ص) : ٢٦ .

المعارض الدائمة التي تغشاها ، في الدور والمجامع والملاهي والطرق .. هي ، بعد هذا كله ، تطلب السعادة فلا تجدها ، وتبعد عن الفطرة .. ولا تقرب منها ... » .

ويختم خاطرته تلك ، يقول – بحق – :

« إن هذا لَمَسْخٌ في العقول ، يتجلّى في مسخ الأبدان والأزياء » .

* * *

ونمضي مع الدكتور عزام في كتاب القيم ، فيستوقفنا الكثير من فصوله الرائعة ، التي أودعها ذوب قلبه وفيض وجدانه ، ونحار في بدائعها : أيها تأخذ ، وأيها تدع ، ولو طاوعنا القلم لأتينا جُلّها ، إلا أن ضيق المقام يجعلنا نقتصر على أكثرها دلالة على شخصية الدكتور عزام السمحة المؤمنة ، لتبرز سماتها في آثارها الباقية ، ومن ذلك قوله (ص ٦١) تحت عنوان : « اللذة الكبرى » .

« كل لذة مادية ، ضئيلة سريعة الزوال ، بل تنقلب ألماً إذا جاوزت حدَّها ، وما أضيق تلك الحدود .. فالطعام الذي يلذه الطاعم ، تنفر منه نفسه حين يشبع ، والشراب الذي يحبُّه ، يعافه إذا أفرط فيه ...

وللإنسان لذة أخرى لا تُحد : لا يحدها زمان ولا مكان ، كلما طالتْ .. زادت ، وكلما قَدُمتْ .. رسختْ ، لذة لا تقدر بحدود الجسم ولا طاقته .. هي لذة الروح ، والروح تأبى على الحدود والقيود .. فاللذة التي يجدُها الخيِّر في فعل الخير ، واللذة التي يجدها الكريم حين يفرج الكرب عن الناس ، وحين يواسي المرضى والضعفاء ، واللذة التي يوحي بها المرأى الجميل في أرجاء السموات والأرض ، ولذة المعرفة والاطلاع ، والبحث والازدياد من العلم ، ولذة التأمل في المعاني الجميلة التي لا تُحد ، واللذة التي يشعر بها العابد حين يقف في محرابه ، ويخلع نفسه من المادة ، فيستمد من الله النور والجمال والخير والحق حتى يفيض قلبه : نوراً ومحبة ورحمة .. كل أولئك لذات أعظم وأوسع وأجمل وأبقى من اللذات الحسية .. ولكن ، أين من يدرك هذه اللذات ويقوّمها ، فيعمل لها ، ويستمتع بها ..؟! » .

* * *

وتحت عنوان : (أثرة وإيثار) (ص ١٥٠) ، يقول :

« في الناس أثِرٌ همُّهُ نفسه ، لا يبالي غيره ، ونفسه التي تهمه ضيقة الحدود ، صغيرة الهمة ، فهي مطامعه ومآربه ، وشهواته .. كل ما أدّى إلى هؤلاء يحبه ويحرص عليه ، ويشحُّ به .

وفي الناس من تتسع نفسه ، وتبعد همته ، فيرتقي إلى رعاية القوانين ، ومراعاة الآخرين .. فهو ينظر إلى نفسه ، وإلى غيره : يأخذ بالحق ، ويدع بالحق .. ما كان له استأثر به ، وما كان لغيره ..

آثره به ، فهو عادل بين نفسه وبين الناس ، يأخذ ويعطى بالقسطاس ، ونعم الإنسان هذا ، ونعم خادم الجماعة هو .. » .

ثم ينتقل متحدثا عن الذين يبلغون ذؤابة مكارم الأخلاق ـ من أمثاله ـ وإن لم ينص على ذلك صراحة بوصف طويّته ونبله ـ فيقول فى خاصة الخاصة من ذوى النفوس الكبيرة : « وفى الناس من يعلو مستوى العدل ، إلى مستوى الفضل ، فيحرم نفسه ما تستحق أحيانا ، ويعطى غيره ما لا يستحق أحيانا .. تسمو نفسه ، وتعلو همته ، إلى درجة الإيثار ، كما وصف القرآن الكريم الأنصار ، فقال :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾(١)

هذه درجة لا يُكَلّفها أحد ، ولا يتطوع لها إلا القليل .. وهى ربيبة الأسرة ، وغذيّة الأبوة والأمومة ، والبنوة والأخوة ، تشيع فى الأسر الصالحة ، ويرضعها أولادها ، فينشئون عليها ، ويعملون بها ، فى الأسرة الكبرى : الأمة .

تلكم درجة فوق الحق والعدل ، تبلغها النفس العظيمة ، حين تشعر أنها أقدر على احتمال الضُّر وأصبر عليه ، وأكثر استغناء عما يفتقر إليه الناس ، وأعظم إدراكاً للفضائل العالية ، فهى تعد نفسها أحق بها ، وأهلاً للخير والجمال ، وأبصر بهما .

* * *

وبعد ، فأرجو أن أكون قد وُفِّقت إلى اقتطاف هذه الأزهار اليانعة ، والثمار الناضجة ، من بستان الدكتور عزام فى صفحات كتابه هذا ، وأختم هذا الفصل بقوله ـ تحت عنوان : (موت عالم عامل) ، الذى ينطبق عليه هو شخصياً تمام الانطباق : « موت العالم العامل : موت فكر فسيح ، ورأى مُدبِّر ، وخفوت صوت مرشد ، ولسان مبين وفقْد يد عاملة ، وزوال قدوة حسنة ، وتعطيل كتب وأدوات ، وإقفار مجمع دَرْس ، وندوة علم .. ووحشة أصحاب وتلاميذ » .

رحم الله الدكتور عبد الوهاب عزام رحمة واسعة .

(١) سورة الحشر .

وقفة مع ديوان

أنا المسلم

شعر محمد التهامي — إعداد وتقديم / محمد عبد الوهاب

لا شك أن الإطار الفكرى والوجدانى للشاعر ينعكس بالضرورة على النتاج الفنى له ، فهو يكشف لنا عن مكنون قلبه ، ويحدد لنا معالم شخصيته بصورة عفوية ، من خلال نتاجه الشعرى بدون أن يقصد ذلك عمدا ، كما أن الغاية الجمالية ، وخاصة فى فن الشعر ، تأخذ الأولوية المطلقة ، وإن تعددت السبل .

«والأسرة الكبيرة التى تطلق عليها كلمة (شعر) هى أسرة أفرادها القصائد التى قالها الشعراء ، والقصيدة الواحدة إن كان لها أخت توأم تطابقها كل المطابقة ، فقدت مميزا من أهم مميزات الشعر ــ بل الفن على اختلاف أنواعه ــ وهو التفرد الذى لايقبل التكرار ، لا فى ماض ، ولا فى حاضر ولا مستقبل ، إذن فتباين أفراد الأسرة هنا أمر محتوم ، وليس بالعرض الذى قد يحدث أو لايحدث ، دون أن يتأثر الموقف بحدوثه[1]» .

ولكن ما رأى الإسلام فى فن الشعر بصفة عامة ؟ وحتى نصل إلى كلمة سواء فى هذا الأمر ولاتكون هناك شبهة .. يقول الله ــ عز وجل ــ فى كتابه الكريم :

وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

لقد أجمع المفسرون لهذه الآيات البينات ، على أن المراد بالشعراء الذين يتبعهم الغاوون هم الشعراء الذين قالوا شعرهم فى أغراض الجاهلية ، كالخوض فى الأعراض ، والشطط فى الهجاء بغير الحق ، والذين سلطوا ألسنتهم على دين الله ، وعلى رسوله الكريم ، ــ ﷺ ــ بالذم والقذف بالباطل ، ولكن جاء بالآيات أيضا استثناء لشعراء المسلمين ، ككعب بن مالك وعبدالله بن رواحة ،

(١) أنظر ص ١٣٤ من كتاب (مع الشعراء) الدكتور زكى نجيب محمود ــ طبعة دار الشروق .
(٢) أنظر الآيات (٢٢٤ ــ ٢٢٧) من سورة الشعراء .

وحسان بن ثابت ، وذلك لوقوفهم فى وجه الظالمين من الشعراء المشركين وقفة إيمانية رائعة ، بشعرهم الإسلامى الذى باركه الله ورسوله ، ففى صحيح البخارى قال الرسول الكريم : «إن من الشعر لحكمة» ، وقال أيضا ـ ﷺ ـ لحسان بن ثابت : «أهجهم وهاجهم ، وجبريل معك» (متفق عليه) ..

هذا والأحاديث الشريفة فى هذا الأمر متعددة وكثيرة ، وما يهمنا هو أن الشعر إذا قيل فى أغراض شريفة وسامية ، فلا غبار عليه ، فهو فن راق ومرغوب فيه ، ومطلوب كوسيلة فنية للارتقاء بوجدان الإنسان ، وبخاصة إذا كان هذا الشعر شعرا إسلاميا معبرا .

والشعر كفن ، له قواعده وأصوله ، وأيضا له فلسفاته ومدارسه ومناحيه ، لذا وجبت مراجعته ونقده ، وقد طالعنا ابن سلام ، فى كتابه (طبقات فحول الشعراء) بقوله :

«وللشعر صناعة وثقافة ، يعرفها أهل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات ، فمنها ما تثقفه العين ، ومنها ماتثقفه الأذن ، ومنها ماتثقفه اليد ، ومنها مايثقفه اللسان» .

«قال قائل لخلف : إذا سمعت أنا بالشعر أستحسنه فما أبالى ماقلت أنت فيه وأصحابك . قال : إذا أخذت درهما فاستحسنته ، فقال لك الصراف : إنه ردىء ، فهل ينفعك استحسانك إياه ؟..» .

ونقول : إنه على من يتصدى للنقد واجب نحو الشاعر الذى ينتقده ، وذلك بألا يداهنه ؛ لأنه إن فعل ، فقد أساء إليه أبلغ الإساءة ، ولم يحسن ، وفى هذا المقام ، يقول أديب فرنسا ، وشاعرها الكبير (بوالو BOILEAU) فى كتابه (فن الشعر) ، بالنشيد الأول :

«ما أسرع المرائى صياحا وإعجابا
ولايسمع بيتا إلا امتلأ ذهولا واستغرابا
لاتثقل على أذنه لفظة ، فالكل جيل سام
يضرب برجله الأرض فرحا ، ويذرف عبرات الحنان
ويغمرك حيثًا كان بالمدائح الجميلة

***

الصديق الحكيم شديد المراس ، لايعرف الكلال
فهو عاكف على زلاتك ، لايتركك قرير البال
لايسامح ـ فى يوم ـ مواضع تهاونك
ويعيد إلى الموضع الصحيح ، كل شعر غير موزون
يهذب جوانب الكلمات ، ويبعد عنها التكلف .
اللفظ هنا يؤذيه ، والمعنى هنالك لا يسيغه .
تركيبك ـ فيما يبدو ـ يشوبه الغموض

فالتعبير هنا متذبذب ، يحتاج بعض التوضيح

بمثل هذا يخاطبك كل صديق صدوق » .

هذا وعنوان الديوان الذى نقف بإزائه اليوم ، يشير بوضوح إلى أننا بصدد استعراض ديوان إسلامي ذلك هو ديوان : (أنا المسلم) للشاعر المصرى محمد التهامى .

والشاعر محمد التهامى غنى عن التعريف ، فهو موجود على ساحة الشعر العربى ، منذ الثلاثينات من هذا القرن ، وقد سبق له الحصول على العديد من الجوائز من المسابقات الشعرية ، فى مصر وفى البلاد العربية ، فلا يخلو مهرجان شعرى فى أى قطر عربى إلا وكان الشاعر محمد التهامى على رأس المدعوين إليه ، والمساهمين فيه .

وللشاعر العديد من دواوين الشعر التى يغلب عليها الشعور الوطنى الفياض ، والعقيدة الإسلامية السمحاء ، وشعره لاينحرف عن إطار القصيدة العمودية (الكلاسيكية) ، نائياً بنفسه عن شعر الحداثة ، الذى تنكر لعمود الشعر العربى .

ونستعين بالله - تعالى - ونبدأ معا بمطالعة هذا الديوان القيم ، الذى يستهله الشاعر التهامى بقصيدته : (أنا مسلم) ، والتى تخيرها ليسمى بها ديوانه ، فيقول فيها عن النبى - ﷺ - :

وتخيروه لهم إماما صادقا ... لمّا اصطفاه لنا الإله الأعظم

وتمثل الشاعر فى هذا البيت ماحدث من إمامة المصطفى - ﷺ - للأنبياء جميعا (عليهم السلام) ، فى أثناء رحلة الإسراء والمعراج المباركة ، ثم نرى الشاعر وهو يؤكد على مبدأ عدم اكتمال إيمان المسلم بدون أن يؤمن بكل الرسل والشرائع السماوية السابقة على الإسلام ، فيقول فى نفس القصيدة :

إنا عباد الله ملء قلوبنا ... طه ، وموسى ، والمسيح ، ومريمُ

وجميع أصحاب الكتاب طلائع ... منا على النهج القويم تقدموا

ثم يُبرزُ لنا سماحة الإسلام وأهله ، مؤكدا على الوحدة الوطنية ، حين يقول :

وبلادنا دار الجميع فكلهم ... متقلّبٌ فى خيرها يتنعّمُ

إنْ كان قسّمهم هنالك دينهم ... فقلوبهم فى الحب لا تتقسّمُ

ثم نلتقى بعد ذلك بقصيدة : (مع الله) التى يستهلها شاعرنا التهامى قائلا :

يارب .. شعرى بالحقيقة هاما ... عبداليقين . ورتل الإلهاما

فيقينه حبّ يفيض عبادة ... ودعاؤه شعر ، يضىء كلاما

إن كان أجراه اللسان فإنهُ ... قلبٌ يذوب تبتّلا وهُياما

وتظهر صوفية الشاعر واضحة ، من خلال أبياته التى تتوالى على نفس الوتيرة حتى نهاية هذه القصيدة ، وكذلك فى القصيدتين التاليتين لها وهما : (صلاة) و (يارب) .. فهو فى هذه القصائد ، يناجى ربه بكل فؤاده ووجدانه ، فيقول مثلا فى قصيدة (صلاة) :

لما عُرفت بك الحقيقة أشرقت نفسى وهامت بالحقيقة ذاتى
وارتاح طوفان اليقين بخاطرى كالنور فى المصباح ، فى المشكاة

ويقول الشاعر فى قصيدة (يارب) :

الله يا الله فوق مداركى سرٌ هناك على سناك مصونُ
إلى أنا الإنسان أعرف من أنا وأرى مكانى منك أين يكونُ
إلى ذكرتك خاشعا بمدامع ذابت لفرط حنينهن جفونُ

ثم يستدعى فى خاطره الحضارة العربية إبان صدر الإسلام ، أيام مجدها وفتوحاتها وقوتها فيفخر بها ، ويقرر بأنه لازال باقيا منها آثار من العزة والشموخ فيقول :

والمسلمون حضارة علوية الأرض فيها للسماء تدينُ
إن كان فى جوف التراب جذورها فلها على هام السماء غصونُ

ثم يقول :

هذه الحضارة للخلود وشعبها بالمجد فى هذى الحياة قمينُ
إن كان قد أخنى عليه زمانه فالدهر يُسعد تارة ، ويخونُ

ويتحدث الشاعر بعد ذلك عن فريضة الصوم ، فيبين لنا أفضالها العظيمة من أبيات قصيدته (فى نور الصيام) التى يستهلها بقوله :

الصوم للإنسان طوق نجاةِ وطريقة الهادى إلى الجناتِ
وعليه معراج اليقين إلى الهدى يعدو فوق مهالك الشهواتِ

ويقول محادثا رسول الله ـ ﷺ ـ :

إن شرّق العلماء عنك وغرّبوا فإليك حتما منتهى الخطواتِ

ثم يقول :

لو أحسنوا فهم السلام لأسلموا ماغير دينك سلما لنجاةِ

وفى قصيدة (الهدى والضلال) يحلل لنا الشاعر بعض أسباب تأخر المسلمين عن ركب الحضارة فيقول :

ياويلنا عادت البلوى مسيرتها وآدنا فى ظلام الليل مسراهُ
وشدنا البعد عن سامى رسالتنا وفاتنا النور من يأس وفتاهُ
صرنا ضحايا لجهل بات يغرقنا والجهل يقتل فى الدنيا ضحاياهُ
والحق ألمح مايسمو الوجود به ونحن فى ستقه الجهّال بعناهُ
فطوقت كوننا من كل ناحية جند الظلام وضلّت فيه رؤياهُ

وفى قصيدة (أزهار وأشواك) ، يقول الشاعر عن المصطفى - ﷺ - :

وقــام فردٌ ليدعــو النــاسَ كُلَّهــمُ ... مايفعل الفردُ والأعـــداءُ قد كثروا ؟
يا زهـــرةً بخلال الشوك نابتـــةً ... وهل بأرض الصحارى ينبت الزهرُ ؟
لم يمض غير طويـلٍ إذ ترى عجبـــا ... شوْك البرارى زهورٌ عَرْفُها عَطِرُ ؟؟!

وفى قصيدة القدس يقول شاعرنا محمد التهامى : متحدثا عن القدس :

تظـلُّ مُنــى الــروح فى دينـــا ... وأولى مراحلـنــــا فى السفـــرْ
ومَــنْ هانت القــدسُ فى دينــهِ ... يكــون كمَــنْ هانَ حتــى كفَــرْ

ثم يقول بعدها :

أيـا قدسُ ديسَ المكــان الجليــلُ ... وغطَّـــى على الطهـــر رجسٌ أشِرْ
وسيــقت لك النــارُ خجلانـــةً ... وكاد ينـــوح علـــيك الشرَرْ
وفى قدمـــيك مضوا يحفـــرون ... فتبهـــقُ تحت علاك الحفـــرْ

ثم يقول بعد ذلك :

تسنُّ العصافيـــرُ منقارهـــا ... وترمـــى على الدارعيـــنَ الحجَـــرْ

ويقول :

كأنَّ الأبابيـــلَ فى صفِّهـــا ... تُعَبِّىءُ أحجارَهـــا مِنْ سَقَـــرْ

ثم نصل إلى قصيدة صاحب الرسالة ، فنجدها تتكون من ثمانية وسبعين بيتا ، قسَّمها الشاعر إلى سبعة أقسام ، لكل قسم منها عنوان ، وهى على التوالى : الميلاد والدعوة والإنسانية وقريش والصراع والهجرة والمسلمون .. ويقص الشاعر فى هذه القصيدة الطويلة قصة كفاح الرسول الكريم فى سبيل دعوته العظمى ، ففى القسم الأول منها والذى وضع له عنوان الميلاد ، نراه يقدم لنا (سيمفونية) إسلامية بأسلوب الشعر فيقول :

تنصت الدنيـا لإيقـــاع السنيـــنْ ... تبعث الأنغام حينـا بعد حيـــنْ
كلّ لحنٍ راح يَطـــوى ستـــةً ... ثم يُطـــوى فى عداد العابريـــنْ
تعبر الأنغـــامُ فى سمع الـــورى ... لاصدى فيها ولافيها رنيـــــنْ
غير لحنٍ عبقـــرىٌ خالـــدٍ ... فيـــه نور من جلال الخالديـــنْ

ويقول شاعرنا تحت عنوان (الدعوة) :

وتلقَّـــى الوحـــى - فى قرآنـــه ... مشرق الآيات بالحق المبيـــــنْ
صار جسرا للهـــــدى متصلا ... فيـــه ترق خطـــوات المهتديـــنْ

ويقول تحت عنوان (للإنسانية) :

بالجهـــد .. قد أتـــاه وحــده ... ومضى فيـــه بعـــزم المرسلـيـــنْ
كان يدرى أى شرٍ رابض ... للـــذى يبنـــى سيَـــاج الآمنيـــنْ

وفي قسمي : (قريش) و (الصراع) يبين لنا الشاعر معاناة النبي ـ ﷺ ـ في مواجهة عناد المشركين وكيدهم له . ثم تصل إلى قسم : (الهجرة) الذي يقول فيه الشاعر :

تاهى الكيد حين ائتمروا ... بالذي يحرسه الروح الأمين
صانه الليل .. فلما انتبهوا ... خابت الآمال منهم والظنون

ثم بعد ذلك يتوجه الشاعر بحديثه إلى المسلم فيقول له تحت عنوان : (المسلمون) :

أيها المسلم أدركت السما ... وحباك الخلد ربُّ العالمين
قد تخذت الحق فيها سلّما ... فاستوى المعراج في درب اليقين

ولكن الشاعر يعود فيغضب لما آلت إليه أحوال المسلمين ، فيقول في قصيدة : (صاحب الشريعة الغراء) :

سلبت بلادهم ، وشرد بعضهم ... والآخرون وقد علمت غثاءُ
مستضعفون فبعضهم متخبّطٌ ... خلف القطيع ، وبعضهم عملاءُ
مدوا إلى الأعداء كفّ ضراعةٍ ... باحسرتى ، هل يعطف الأعداءُ

ثم يقدم شاعرنا الدواء الشافي لعلل المسلمين فيقول مخاطبا الرسول ـ ﷺ ـ :

لو يفتحون عيونهم لبدت لهم ... مما شرعت محجّةٌ بيضاءُ
ورأوا حياة المسلمين عزيزةً ... لا منّةٌ فيها ، ولا استجداءُ
ورأوك تعمل كي تعيش مكرّما ... ولديك مايزهى به الكرماءُ
ورأوا طريقك بالكفاح مخضّباً ... لاهدأة فيه ، ولا إبطاءُ
ورأوا حياتك يارسول مسيرة ... للعاملين تحفّها الأضواءُ
ياطالما ألقى جبينك في الثرى ... عرقاً تضوّع بمسكه الغبراءُ

ثم يقول بعد ذلك :

والمسلمون مصانع ، ومزارعٌ ... وكفاية ، وعدالة ، ورخاءُ
والمسلمون الشامخون بجيشنا ... لمّا تدور بأسده الهيجاءُ
إنا وراءك يارسول طلائع ... والله يهدى من يرى ويشاءُ

وقد أعجبتني الأبيات التالية ، من قصيدة (تسابيح) حيث يقول :

أقول : يعينني في الأمر (زيد) ... فإن ولىّ ، يعين عليه (عمرو)
وبعض الناس تحسبه كبيرا ... ترجّيه ، ومظهره يغرُّ
ولو جمّعت كل الناس طرّا ... فإن حصيلة المجموع : صفرُ
ويبقى ربّك الرحمن فردا ... له في الكون عرش مستقرُّ

أما في قصيدة (المثل الأعلى) فيقول شاعرنا :

ولِيَ الصيام وكنّا قد ألفناه	كم من مولّ ، ويبقى طيب ذكراه
إن الصيام صلاة الروح ، يرفعها	عن طينها ، ويقيها من خطاياه

وفي قصيدة : (سر الحياة) يتحدث الشاعر عن القلب وعن العقل باعتبار أنهما أهم مظهرين من مظاهر الحياة في الإنسان ـ من وجهة نظر الشاعر ـ فيقول :

القلب في دنيا الغرام أسيرُ	والعقل في شطط الحياة يطيرُ
حتى إذا بلغا اليقين تعانقا	وهفت إليه مدارك وعقولُ

ثم تراه يتحدث عن الموت باعتباره قدَراً محتوما لكل مخلوق ، وأن الدوام لله وحده ، فيقول :

فالخلد لله المهيمن ـ وحده ـ	شهدت به ـ فوق الزمان ـ عصورُ
والناس ـ مهما كان من أعمارهم ـ	بَدَدٌ على كفّ الفنا منثور
سيّان من قاسى الحياة طويلة	من اكتفى بالعمر وهو قصيرُ

وبعد ذلك يخصص الشاعر قصيدتين للإمام الحسين ـ رضي الله عنه ـ يبثُّه فيهما مشاعره الفياضة وحبه العميق ، ثم يختم ديوانه بقصيدة : (دعوة للخلاص) ، وفيها يدعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ قائلا :

أدعوك ياربي .. دعاءً صادقةً	وزن الجبال وعطّر الأنسانا
فيه احتراقٌ من دمٍ ومشاعر	وتلهّف يتدفّق استرحاما

وفي نفس القصيدة ، تحت عنوان أحوالنا ، يقول الشاعر :

وخلاصنا في أن نفيق وأن نرى	ونحس عيشا لا يطيب مقاما
هم يعرفون ، ما عرفنا أمرنا	حتى غدونا للنسور طعاما

ثم يقول بعد ذلك :

نشتدُّ في طلب الخلاص وفاتنا	أنّ الطريق مليئةٌ ألغاما

وبعدها يقول :

صور تضج مهانةً ، ودوامها	قد أرهق السفّاح واللواما
لكننا لن نستجيب ، ولن نرى	حتى نميط من الضلال لثاما

ثم يقول تحت عنوان (الخلاص) من نفس القصيدة :

ندعوك ـ ياربي ـ وتخلص قلبنا	ندعوك .. ندعو سُجدًا ، وقياما
حتى تضيء حياتنا ووجودنا	وتزيح عن أعناقنا الأصناما
وتغيّر النفس المريضة بيننا	وتردّ عن إيمانها الأوهاما

بعد هذا العرض السريع لقصائد هذا الديوان الجميل : (أنا مسلم) للشاعر : محمد التهامي ، جاء دور النقد ، فذلك حق شاعرنا التهامي علينا ، كما سبق وأن ذكرنا في مقدمة مقالنا هذا ونستعين بالله ـ تعالى ـ فنقول :

يقول الشاعر محمد التهامي في البيت الثامن من قصيدة (مع الله) .

يمشي على الأعـــراف مشيـــة مؤمـــن فاضت مشاعـــره رضىً وسلامـــا

فماذا يقصد شاعرنا بالأعراف التي ذكرها ؟ هل هي الأعراف التي في السورة القرآنية التي تحمل نفس الاسم .. أم ماذا يقصد ؟

أما البيت الثامن عشر فيقول فيه :

فبكـــل صاغيـــة يصيـــح لنعمـــةٍ وبكـــل ناظـــرة يرى أنعامـــا

ونلاحظ أن الشاعر جعل قافية البيت ، كلمة (أنعاما) ، والأنعام البهائم ، فلو قصد هذا المعنى فعلا ، فقد قلل كثيرا من السمو الوجداني الذي يهدف إليه أي شاعر ، وإن كان يقصد إنعاما بكسر الهمزة ، فذلك لايجوز لأنه ذكرها في قافية البيت الذي سبق هذا البيت مباشرة ، أما إذا ذكرها على أنها جمع لكلمة (نعمة) فهذا خطأ ، لأن جمع نعمة يكون نِعَم .

يقول الشاعر في قصيدة : (صلاة) ، البيت الحادي عشر :

وارتـــاح طوفـــان اليـــقين بخاطـــرى كالنـــور في المصبـــاح ، في المشكـــاة

كيف يكون لليقين طوفان والمعروف أن اليقين هو السكينة للعقل والعقل معا ، وخاصة وأن الطوفان من صفاته الإغراق والتدمير ، ونضرب لذلك مثل الطوفان الذي أهلك الخالقين والمكابرين من قوم سيدنا نوح ـ عليه السلام .

وفي البيت الخامس عشر من قصيدة (يارب) يقول الشاعر :

أن ليس للإنسان إلا ماسعـــــــى سعيـــا فكـــل حسابـــه موزون

ونرى أن شاعرنا هنا قد تقول القرآن الكريم ، ولكنه لم يضع علامات التنصيص ، ليظهر اقتباسه من الآيات القرآنية الكريمة :

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴾[٣] .

وشتان مابين بلاغة القرآن السامي ، ومحاولة الاقتباس ، التي قصرت عن شأوه .

وفي قصيدة : (الهدى والضلال) يقول الشاعر :

كل المذاهب والآراء مشرعـــــــة تبغـــى الصدام ، ولاتأبـــه لعقبـــاهُ

ونرى أن الشاعر هنا قد سَكَّنَ (الهاء) في (تأبه) ليستقيم له الوزن ، بينما أصل الهاء هنا التحريك بالضمة ، لأنه لم يأت عليها مايسكنها ، كأداة جزم مثلا ، و (لا) هنا نافية ولاتجزم الفعل الذي بعدها .

(٣) آية ٣٩ سورة النجم .

أما فى قصيدة (القدس) فيقول فى البيت الثامن :

ودقَّت شعــــوبٌ على بابهـــــا فهــــذا يحُـــجُ ، وذا يعتمـــرْ

ونرى أن هذا القول غير صحيح بالنسبة للمعنى العقائدى الإسلامى، فالحج والعمرة لايكونا إلّا بالتوجه لبيت الله الحرام والكعبة المشرفة ، ومن ثم ، فإنَّ القدسَ الشريفة تزار ، وزيارتها لاتعتبر حجا ولا عمرة ، وإنما زيارة .

ويقول الشاعر فى البيت السادس عشر :

فيــــا قدس ياراحــــة للقلـــوبِ ويـــــاسورةً من طوال السورْ

ولست أدرى كيف ذلك ، فلا توجد سورة طويلة أو قصيرة تسمى سورة القدس ، ثم يقول الشاعر فى البيت السابع عشر :

وياصخــــرة لامستها السمـــاء فلا هى نور ، ولا هى حجـــر

ونرى أن بالشطرة الثانية كسر فى ميزان الشعر، كان يمكن للشاعر أن يتلافاه لو أنه قال :

وياصخـــــرة لامستها السمــــاء فليست ضياء ، وليست حجرْ

ليستقيم له الوزن ، ويكون البيت أكثر موسيقية ، ودلالة فى التعبير عن شحنته الشعورية .

وتحت عنوان (قريش) ، يقول الشاعر فى البيت الرابع :

كان يدرى ، وهـــو يشتد الخطـــى أن هذا السير يعيـــى السائريـــن

وكلمة (يشتد) هنا يقصد الشاعر منها معنى يقوى ، وكان يمكنه أن يقول :

كان يدرى وهــــو قد مدّ الخطــــى أن هذا السير يعيــــى السائريــــن

ليكون التعبير أرق ، وأكثر ملاءمة .

وثمة ملاحظة لانذكرها للشاعر إلا لكونه جعل هذا الديوان كله للإسلام . وهذا يدفعنا أن نذكره بأن مقام شعره هذا لايناسبه أن يسب الخيانة للدهر ، والحديث الشريف الصحيح يقول فيه رب العزة : (يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر) حديث قدسى رواه البخارى فى كتاب التفسير تفسير (سورة الجاثية)

ولايسعنا بعد هذا العرض الموجز لديوان : (أنا مسلم) إلا أن نؤكد تجاوبنا مع منحى الشاعر الإسلامى والوطنى ، الأستاذ محمد التهامى ، وحرصه على أن يسهم بشاعريته فى إرساء القواعد والمبادىء الإسلامية الرفيعة ، وإن كان نقدنا الخالص لديوان أنا مسلم ، لايقلل مطلقا من قيمة هذا السفر القيم ، ونرجو من الشاعر ، بل نلح عليه ، بأن يتحفنا بالمزيد من قصائده ودواوينه الإسلامية .

والله ولى التوفيق

مناقب
الإمام أحمد بن حنبل
للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي
٥١٠ - ٥٩٧
تحقيق
الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

عرض الأستاذ
عبد السلام ناصف

كتاب مناقب الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ) لابن الجوزي واحد من أنفس الكتب وأقومها، يضاف إلى كنوز المعرفة التي تتحدث عن أسلافنا الأوائل الذين جاهدوا في الله حق جهاده وأمضوا حياتهم في خدمة الشريعة الإسلامية، وحفظ أصولها وفروعها، وبيانها للناس نقية خالصة خالية من البدع والضلالات.

والإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - تعالى - ورضي عنه - علم من أعلام المسلمين وإمام مقدم من كبار أئمتهم، ومجاهد صبر على الأذى في سبيل الله، وضرب أروع الأمثلة في ذلك، حتى عد من القلائل الذين حفظوا على الناس صفاء عقيدتهم الإسلامية، وقام بخدمة الدين عن علم وبصيرة، وإخلاص وصدق، وجد واجتهاد، وتقى وعقيدة، وزهد وعبادة.

اتصف بصفات مستمدة من سيد الأولين والآخرين ﷺ وفضل صحابته وأفاضل التابعين.. وهذا هو محور كتاب المناقب هذا فأدب المناقب نهج في التأليف، والتعريف، والتقدير، والتنوية، والوفاء، والبر، والتواصل والتراحم لمعرفة قدر السلف، وتجدد صلة الإيمان وتكريم الأئمة الأعلام السابقين، وهى حفز للأحياء على التحلي بصفاتهم وسلوك نهجهم.

إننا أمام حياة نفسية، وسلوكية، وخلقية متكاملة، تلازمت فيها العقيدة مع مقتضاها،

والمعلومة مع ثمرتها ، والمبدأ مع السلوك يصدقه ويزكيه ، وهذا هو منهج الإسلام أى التلازم بين العلم والخُلُق .

مؤلف المناقب هو الإمام الحافظ أبى الفرج عبدالرحمن بن على بن محمد بن الجوزى الغنى عن التعريف ، الذى اهتم بفضائل ومناقب السابقين ولد ــ رحمه الله ــ فى عام عشرة وخمسمائة ، وتوفى وعمره سبع وثمانون سنة ، وانتهى من تأليف هذا الكتاب عام ست وستين وخمسمائة للهجرة .

اهتم بالمناقب وقام بتحقيقها لتكون رسالة (للدكتوراه) الأستاذ الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى ؛ فحصل بتحقيقها على درجة الدكتوراه . واهتم بطبعه ونشره على نفقته الخاصة الملك خالد بن عبدالعزيز ــ رحمه الله ــ فى مطبعة مصرية هى (دار هجر) للطباعة والنشر والتوزيع عام ١٩٨٨ / ١٤٠٩ هـ .

والكتاب فى مجلد فاخر يحوى خمس عشرة وثمانمائة صفحة من القطع الكبير (١٨ × ٢٤ سم) يحوى جزأين يشمل الأول ثلاثة وستين بابا تتحدث عن صفات الإمام الشخصية من حيث : مولده ونشأته وتعليمه وترحاله وفكره وثقافته وتحصيله واستيعابه وفق إمكانياته الشخصية فى ظروفه البيئية والاجتماعية والنفسية .

أما المجلد الثانى فيبدأ من حيث ينتهى المجلد الأول ــ وحتى الباب المائة ــ شاملا منهجه ووجهته وصراعه وثباته على الحق ودخوله الامتحان ومحنته فيه وصبره على الأذى وجلده وانتصاره ، ثم مرضه ووفاته ودراسته : ما خلفه من فكر وعرض .

قبل أن نبدأ الحديث عن هذا السفر الثمين نقدم له بمقولة للإمام الشافعى فى الإمام أحمد إذ يقول : (أحمد إمام فى الحديث ، والفقه ، واللغة ، والقرآن ، والزهد ، والورع ، والسنة) .

ونمضى إلى الكتاب على أن نستسمح القارىء التغاضى عن ذكر الرواة وتسلسلهم فى سرد الحوادث ، خاصة الشخصية منها وتعدد رواتها أو اختلاف ما يرويه كل منهم طالما تصل إلى المعلومة المطلوبة ، لتصل إلى ذهن القارىء فى يسر وسهولة ، لتنتظم صورته الشخصية التى ندرسها دون تشتيت .

وتعتبر الأبواب الأربعة عشرة الأولى ــ من بداية مولده حتى نهاية الدراسة التى تتعلق بمشايخه فى الباب العاشر إلى ذكر تلاميذه ــ وحدة ، تقدم دراسة سريعة عنها : فقد ولد ــ رحمه الله ــ ببغداد سنة أربع وستين ومائة للهجرة ، وتربى يتيما فى كفالة أمه التى كانت تنتمى إلى قبيلة بنى شيبان التى ينتسب إليها أبوه ، ويلتقى نسبه بنسب الرسول الأمين ﷺ فى (نزار) وكانت نشأته وتربيته تربية دينية بحتة ، فقد حفظ القرآن الكريم وجوده وكان سريع الحفظ ، بادى الذكاء ، قوى الذاكرة ، سريع الاستيعاب يسترجع معلوماته فى ثقة واقتدار ، ولقد تعلم العربية وآدابها ، ثم انتقل إلى الكوفة والبصرة ومكة ، والمدينة واليمن والشام والجزيرة وهو ــ بعد ــ لم يتعد السادسة عشرة طلبا للعلم وللحديث ، متحملا الصعاب

والمشاق ، حتى يقال إنه ارتحل ماشيا إلى اليمن سعيا إلى الاستزادة ، ولقد تلقى على أيد علماء ومشايخ كبار أفرد لهم ابن الجوزى الباب الخامس ورتبهم فيه حسب الترتيب الأبجدى ومن بينهم الإمام الشافعى وأبو يوسف تلميذ أبى حنيفة ، وغيرهما ، وكان شغوفا بالعلم يفضله عما عداه ، برغم ما فيه من فاقة ، وكان يحفظ الأحاديث بأسانيدها ، ويجيب إذا ما سئل وكأن الدنيا بين عينيه - وخشى العلماء بأسه لفيض علمه ، وقدم - المؤلف - سجلا بمشايخ الإمام مقرونا بثنائهم عليه ، قبل أن يقدم المشاهير من تلاميذه الذين درسوا عليه كالسجستانى وإبراهيم الحرفى وغيرهما .

وفى الأبواب الخمسة التالية للفصل الرابع عشر ، يذكر المؤلف فى الأول منها أن إلياس - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - أرسل بالسلام إلى الإمام أحمد ، وفى السادس عشر يذكر سلاما بعثه إليه الخضر - عليه السلام - ، وفى السابع عشر يذكر ثناء العباد والأولياء عليه ، وفى الثامن عشر والتاسع عشر يذكر تبرك الأولياء وزيارتهم له - وفى بعض ذلك قصص لا يثبت امام النقد مما حمل محقق الكتاب على إنكاره .

يقدم ابن الجوزى فى الباب العشرين شيئا من علم الإمام أحمد فى الإيمان فيقول عنه : إنه قول ، تنقصه ، وعمل يزيد وينقص والبر من الإيمان والمعاصى ومنه ربما غاب عن المؤمن إلى الله ، ومنه ان القضاء والقدر بيد الله وحده وكان لا يميل إلى (الكلام) ولا إلى أصحاب الكلام إلا ما كان فى كتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ وأصحابه - رضى الله عنهم - والتابعين - رحمهم الله -

الذين صحبوه ورأوه وسمعوه وكان يقول : (خير هذه الأمة بعد نبيها : الخلفاء الراشدون وأصحاب الشورى الخمسة ، وأهل بدر ثم من صحب الرسول ﷺ يوما أو بعض يوم) ، وكان يحب آل بيت رسول الله ﷺ الكرام ، وكان يدعو إلى الكف عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء ، ويدعو إلى الإمساك عما شجر بينهم .

وكان يقول :

- (صفوا الله بما يصف به نفسه وانفوا عن الله ما نفاه عن نفسه) .
- احذروا الجدال مع أصحاب الأهواء . والمتعة الحرام .
- الصلاة خلف كل بر وفاجر ، وصلاة الجمعة والعيدين ، وعلى من مات ، والخروج مع الإمام فى الغزوة أو الحج ، والمسح على الخفين للمسافر ثلاثاً ، وللمقيم يوما وليلة ، وصلاة الليل والنهار مثنى مثنى ، وإذا دخلت المسجد فصل ركعتين تحية له والوتر ركعة .

وكان يقول : (أصول السنة : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم ، وترك المراء والجدال ، والسنة تفسر القرآن وهى دلائله ، وليس فى السنة قياس ، ولا تدرك بالعقول والأهواء - والإيمان بالقدر والتصديق بأحاديثه المأثورة عن الثقات ، وأن ينأى عن الجدال والكلام فى القدر والرؤية والقرآن ؛ فإن كلام الله ليس ببائن منه ، والإيمان بالميزان والحوض وحساب القبر وشفاعة النبى ﷺ .

ومن ترك الصلاة فقد كفر ، وقد أحل الله قتله .

ومن زنى فليرجم .

وقتال الخوارج جائز .

وطاعة الخلفاء واجبة ودفع الصدقات إليهم جائزة ، والصلاة خلفهم مقبولة ، ولا يحل قتالهم .

والسنة أولها الرضا بقضاء الله ، والتسليم لأمره ، والأخذ بما أمر الله به والنهى عما نهى عنه والإخلاص فى العمل لله والإيمان بالقدر وترك المراء والخصومات فى الدين والمسح على الخفين والصيد تحت لوى السلطان ولا تكفر أحدا والكف عن الحديث عما شجر بين الصحابة والترحم على جميع أزواج رسول الله ﷺ وأولاده وأصهاره - وقال : هذه السنة الزموها تسلموا أخذها بركة وتركها ضلالة .

وعنيت الأبواب الثلاثة التالية للباب العشرين بالسنة من حيث تمسك الإمام بها ، وتعظيم الإمام لها وإعراضه عن أهل البدع والأهواء .

ويخصص المؤلف الباب السابع والعشرين لمصنفات الإمام ويبدؤها (بالمسند) الذى يحوى ثلاثين ألف حديث والذى كان يقول عنه : أنه سيكون للناس إماما - ثم (التفسير) ويرى المحقق فى أمر (التفسير) نظر ص ٢٦١ - ثم (الناسخ والمنسوخ) و (التاريخ) و (حديث شعبة) ، و (المقدم والمؤخر فى القرآن) ، و (جوابات القرآن) ، و (المناسك الكبير) ، و (الصغير)[1] .

ولقد كان ينهى الناس عن كتابة كلامه - رغم ذلك لم تقع مسألة إلا وله فيها نص من الفروع أو الأصول ولقد كان - رحمه الله - لا يرضى عن الكتب التى تشتمل على التفريع والرأى وإنما يميل إلى الأثر والتمسك به ، وهو ما يدور حوله الباب الثامن والعشرون إذ كان يقول : (انظروا فى الأصل) . أو (عليكم بالحديث) . أو (عليك بالأثر) . أو (إنما أمرنا أن نأخذ العلم من فوق) .

ولقد جاء الباب التاسع والعشرون موضحاً مدى نهى الامام عن كتابة فتاويه أو آرائه - ربما تواضعاً ، وربما لأسباب أخرى ولكن مشيئة الله قدرت لآرائه وفتاواه أن تدون وترتب وتشاع ويدور الباب الثلاثون حول تعبده فى السر ورغبته أن يكون ذلك فى الخفاء بينه وبين ربه وكان يختم القرآن فى سرية تامة لا يعلم عنها أحد .

يتبع

(١) ذكر ابن حجر فى فتح البارى (كتاب الورع) للإمام أحمد ... مجلة الأزهر .

الأخلاق للبنات

(تأليف)

محمد أحمد جاد ... و ... محمد حمدى بك

مدير المخازن بوزارة المعارف ... ناظر مدرسة التجارة العليا

« جميع الحقوق محفوظة للمؤلفين »

« الطبعة السابعة »

سنة ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م

عرض وتقديم /

الأستاذ عادل خفاجة

حث الإسلام على تربية الفتاة تربية صالحة ، لما فى ذلك من أثر يعود بالنفع على الأمة بأسرها . وجاءت أحاديث النبى ﷺ تبشر من يُحسن تربية بناته بأن له الجنة ، فبصلاحها تصلح الأمة ، إذ هى الزوجة الصالحة التى يسكن إليها الزوج ، فتعم المودة والرحمة كل الأسرة . وهى الأم الناصحة التى تدفع أبناءها للعلا وتمهد لهم طريق الفلاح ، ولذا كان على هذه الأم أن تُعَدّ إعداداً طيباً يؤهلها ، لأن تكون خير ناصح ومعلم لأبنائها . ولله در القائل :

الأم مدرسة إذا أعددتها .. أعددت شعباً طيب الأعراق .

من هنا كان اختيارنا لهذا الكتاب « الأخلاق للبنات » لما لمسنا فيه من جهد طيب وخطوات تحتاج من يقتفيها ، ودرب ينادى من يستكمله .

والكتاب يقع فى مائة وثمانية وأربعين صفحة من القطع المتوسط وقام بتأليفه كل من الأستاذين محمد أحمد رضا (بك) ومحمد حمدى (بك) سنة ١٩٢٢ م ، والنسخة التى بين أيدينا هى الطبعة السابعة صدرت سنة ١٣٤٤ هـ/ ١٩٢٦ م ؛ وقت كانت (وزارة المعارف) قد قررت تدريسه بمدارس البنات الأولية والابتدائية ، والأولية الراقية والمعلمات يومئذ .

صُدِّر الكتاب فى أولى صفحاته بعبارة « الجنة تحت أقدام الأمهات » .

يثبت المؤلفان – فى مقدمة الكتاب – أنهما أرادا به – أى الكتاب – إصلاح حال المرأة المصرية ، واستئصال بعض الخرافات ، وذكر بعض المستحسن من آداب اللياقة النسوية . وأن هدفهما أن تنتفع به الناشئات المصريات لا سيما

التلميذات ؛ لأنهن أقبل للموعظة وأحرص على العمل والاهتداء بحكمة ما حصلن من العلم والتهذيب .

حوى الكتاب موضوعات عدة ؛ تشمل الآداب والعادات ، ويقص جانب منه بعض الحكايات يتبعها عدة أناشيد ، ثم قسمٌ للتراجم ضم عدداً من تراجم الشرقيات والغربيات فأما الشرقيات فبدأت بترجمة لبلقيس(*) ملكة سبأ ، منتهياً بترجمة لشجرة الدر .

وللغربيات ترجم لـ « الباصابات »(1) ملكة إنجلترا والملكة فكتوريا وغيرهما .

ولعل أهم ما في الكتاب ونحب أن نلقي عليه بعض الضوء ذلك الجزء من الآداب والعادات .

فهذه لبيبة ذات الأعوام العشر تتمتع بأخلاق فاضلة ؛ فهي تُقَبِّل يدي والديها صباحاً وقبل النوم . ونراها بعيدة عن كل ما يُشتم منه عنادٌ أو خبث . كما أنها تستحي أن يسمع صوتها الجيران ، كما أن أخلاقها الطيبة تمنعها أن تحدث ما يوجب الإزعاج أو التهويش(2) .

وتلك « فائقة » من أحسن تلميذات المدارس المصرية ، وإن اسمها لَعَلَى مسمى فهي :

تحيِّي رفيقاتها ببشاشة ولطف ، كما أنها مثال الجد والاجتهاد ، لا تنصرف ـ إذا سمعت (جرس) نهاية الدرس ـ إلا بعد أن تأذن المعلمةُ بالانصراف .

وعن آداب السير في الطرقات :

يرسم لنا صورة لفتاة مهذبة ، إذا خرجت من بيتها وسارت في الطريق حفَّها الأدب والوقار ، وعلتها الهيبة والكمال ، فتراها :

- لا تلتفت إلا للضرورة .
- ولا تنظر في وجوه المارَّة .

ويستشهد المؤلفان لذلك بقول الله ـ عز وجل :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾

الآية رقم ٣١ من سورة النور .

- كما أنها لا تبدى زينتها ، فلا تظهر الملابس ولا الحلى أو الشعر فكل هذا يختفى تحت ملاءة واسعة .

عملاً بقول الله ـ تبارك وتعالى :

﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾

الآية رقم ٣١ من سورة النور .

على هذا النحو نرى « وداد » أيضا هذه الفتاة التي تود أن تقوم بزيارة إلى جيرانها لتُفرِّج عن نفسها ، ونصائح الأم لها في اختيار الموعد المناسب للزيارة ، وتوجيهها إلى ما أخطأ فيه غيرها من الخوض في كلام لا يليق في حق الأخريات ، ودفعها إلى العمل وحبه ؛ لأنه السبيل إلى دفع الملل والكسل عن النفس ، كما أنه سبيل للإحساس بالسعادة .

أما عن العادات : فقد حفل الكتاب بكم كبير منها ، رأى المؤلف أن يلقى الضوء على ما يحتاج منه إلى تهذيب فذكر :

- التوسع في الحفلات ومضاره :

فساق لذلك حواراً بين معجبة بالاحتفالات

(*) يقال : إنها ملكة سبأ ، وليس الدليل القاطع متوفرا على ذلك ـ مجلة الأزهر .

(1) هكذا وردت في الكتاب ، ولعلها كانت تكتب هكذا في ذلك العصر ، والمقصود « اليزابث » .

(2) التهويش والتشويش سواء بسواء .

وتألق أضوائها وبين أختها التى تذم الإسراف ، ويتطرق الحوار إلى ضرورة التوسط والاعتدال ، والتوفير الذى لا يؤدى إلى التقتير ، ليصل الحوار فى النهاية إلى أنه لا بأس بالاحتفال بالعرس دون إسراف ، فخير الأمور الوسط .

● المآتم :

وفيه نقد لما بالمآتم من عبارات تهيج النفوس وتثير الحزن ، فإذا عُدَّ هذا عزاء فما أشنعه من عزاء ، لا يليق إلا بالجهلاء .

● الزار :

وعاب على هؤلاء النساء اللائى يعتقدن فى الزار وإن كان أمر الزار ــ بعد انتشار الطب ــ أصبح غير ذى موضوع .

ومن هذه العادات التى فى طريقها للاندثار عالج ــ أيضا ، فى أسلوب بسيط ــ « الأحجبة » و « التمائم » و « قياس الأثر » . إلى غير ذلك من عادات قامت على اعتقادات باطلة .

● تخويف الأطفال :

برغم الدعاء المتكرر : « اللهم إنا نعوذ بك من الخوف والفزع » إلا أنه لا يتطرق إلى أذهان الكثير منا شىء من ذلك حين يلجأون إلى تخويف أطفالهم وهم لا يقدِّرون مضار ذلك .

وقد حاول المؤلف علاج هذه العادة بأسلوب لطيف ومنطق لا يخلو من طرافة تناسب هذه السن ، وودنا أن يشاركنا القارىء فى ذلك الرأى حيث يقول فى ص ٤٥ ، ٤٦ :

« كثير من البنات قد سمع كلمة « بعبع » مراراً وتكراراً ولكن لا يعرفن معناها . ولو قالت إحداهن (بعبع بعبع بعبع) بصوت عالٍ لكانت كأنها تقلد صوت الجمل ، وهذه هى الكلمة التى ارتعدت منها فرائص الأطفال .. والسبب فى شيوع هذه الكلمة أن أماً من الأمهات الجاهلات ، بكت ابنتها الطفلة الصغيرة ، فبدلا أن تبحث عن سبب بكائها ، وتُعْمِل جهدها فى علاجه ، أحدثت لها هذا الصوت المستنكر مشفوعاً بقولها : هاقد جاء ليأكلك .. ومثل (البعبع) جميع الأفانين الباطلة التى تخترعها الأمهات الجاهلات ، لتكون وسيلة لكبح جماح الطفل ، والحيلولة بينه وبين أغراضه . إذ لا يعرفن لذلك وسيلة أخرى ، **فينشأ هيَّابا وَكِلًّا ، خائر القوى يفزع لصغار الحوادث ولا يقوى على مواجهة صروف الأيام فأين هذه الأم من تلك الأم الراقية ، التى ترضع طفلها مع اللبن ثبات الجنان والشجاعة ، فلا تجعل للخوف والفزع سبيلا إلى فؤاده ؟ ... »** .

ولقد سقنا هذه الكلمات بنصها ؛ لنرى كيف كان يفكر أسلافنا وما مفهوم (الرق) الذى أرادوا أن يبثوه فى أذهان الصغيرات . أمهات المستقبل ، وكم نحن فى حاجة إلى مثل هذه التوجيهات الطيبة لصغيراتنا .

● زيارة الأضرحة :

تدور مناقشة بين « عائشة » و « فردوس » عن فائدة زيارة الأولياء ، وتسمع رد عائشة تقول :

« إن هذا يا أختى لضلال مبين ؛ فإن الذى يقضى الحاجات ويُفَرِّج الهموم ، ويبعد المصائب ويشفى الأمراض ، هو الله ــ جل شأنه ــ ، لا شريك له فى ملكه ، ولا يصح أن نعتقد غير ذلك ... » .



● وعن السعادة المنزلية :

تستخلص مراد المؤلف أن ربة البيت هي أساس السعادة ؛ لأنها بمثابة الروح من الجسد ، وليست السعادة في كثرة المال ؛ فربة البيت النشطة حسنة التصرف في مالها وعشيرها .

ومن هذه المقطوعة عن السعادة المنزلية نلتقط هذه السطور :

« ... ليس من اللياقة[3] أن تزعج الواحدة جارتها بمثل هذه المطالب . أما الهدية فلا بأس بها . ولقد كنا نتعلم الاستقلال المنزلي في المدرسة بطريقة لطيفة ؛ إذ كانت إحدانا إذا طلبت (نشافة)[4] الأخرى أو قلمها أو مسطرتها ـ مثلا ـ منعتها معلمتنا ، وحتمت أن يكون لدى كل تلميذة جميع أدواتها . فهي بذلك تنبهنا إلى فضيلة الاستقلال المنزلي » .

وكم تحتاج مدارسنا في هذه الأيام إلى معلمات مؤهلات لغرس هذه القيم والعادات الطيبة في نفوس النشء ، لا مجرد مدرسات أقرب إلى كونهن كتباً ناطقة في أفضل الحالات .

ثم نجد قسم الحكايات والعبر :

وفيه أبرز المؤلف فضل الأدب على العلم ، فهذه مسابقة لشغل وظيفة ، تتقدم لشغلها الكثيرات ، ولكن تفوز بالوظيفة من راعت الآداب العامة ، ونظافة ملبسها ، وظهرت عليها علامات الحشمة والوقار ، برغم وجود من كن أفضل منها علماً .

وعلى هذا المنوال ينسج المؤلف ، حكايات ممتعة يخلص منها القارىء إلى أن :

● عاقبة هجر الأهل وخيمة .

● حسن المعاملة يثمر الألفة .

وهو في كل ذلك يؤيد كلامه إما بآية من كتاب الله ـ عز وجل ـ أو بحديث شريف لسيدنا رسول الله ﷺ .

ثم هو مع كل ذلك يلجأ إلى استخدام عدد من المفردات اللغوية الجديدة ؛ ليثري حصيلة هذا النشء . فجاء الكتاب مؤدباً ومعلماً .

أما الأناشيد :

فقد قدم مجموعة متنوعة مختارة تخاطب الأم ، وتتكلم عن الحنان والأمل وما ينبغي أن تتحلى به الأمهات والفتيات ، نذكر جانبا من « نشيد الصباح » .

يا مرحبـــا جاء الصبـــاح
والليـــل كالمهـــزوم راح
والـــديك في الأيـــام صاح
يشدو بحيّ على الفـــلاح
ويسبـــح الله الكـــريم
يا بنت هُمّـــي تُحمـــدي
وتخيرة النـــاس اقتـــدي
وعـــن المكـــاره فابعـــدي
وإلى المكـــارم فاهتـــدي
نحـــو الصـــراط المستقيم

أما القسم الأخير من الكتاب فقد جعله للتراجم .

تضمن هذا القسم ترجمة للسيدة خديجة زوج النبي ﷺ وبيّن رجاحة عقلها ؛ لاختيارها التجارة أسلوباً لاستثمار أموالها . ويختم تلك

(٣) يقصد : اللباقة

(٤) ورقة على شكل كانت معدة لامتصاص الحبر ليجف المكتوب .. مجلة الأزهر .

الترجمة يقول يوجهه إلى المرأة ــ كم نحن جميعا فى حاجة إليه ــ حيث يقول :

« وإن التى تتأمل فى ترجمة حياة هذه السيدة الكريمة ، لا يسعها إلا أن تعجب كل الاعجاب بما وُهبت من فكر ثاقب أدركت به منزلة التجارة وعظيم شأنها فى العمران ، فخصصت ثروتها الطائلة للبيع والشراء ، حباً فى تثمير المال ــ ولم تشأ أن تخزنه أكداساً ؛ لأن المال إنما يزكو بحركة التداول ، فيزداد وينتفع به صاحبه ، كما ينتفع بجانبه من قاموا بتكثيره . هذا إلى رواج السِّلع وتمتع مشتريها بها ؛ لأن المال هو الذى ينقلها من أوطانها ويداولها بين الناس . ولقد حثَّ النبى ﷺ على التجارة لما فيها من خير كبير ، ولم يقم بها بنفسه إلا للإجماع على أنها مهنة شريفة . وأين السيدة خديجة ــ رضى الله عنها ــ من كثير من النساء اللاتى لا يعرفن للمال قيمة غير أن يشترين الملابس الثمينة والحلى من الذهب والحجارة الكريمة التى لا فائدة منها سوى الفخر الباطل ، والعُجب الممقوت .

نعم لا ينكر أحد ضرورة الزينة للسيدات وحُبّهن لها . ولكن المنكر أن ينفق كلُّ المال أو معظمه عليها ، مع إمكان تنميره والانتفاع به :

وللسيدات فى خديجة ــ رضى الله عنها ــ وغيرها من فضليات النساء أسوة حسنة .

أما الجزء الذى خصصه المؤلف لتراجم الغربيات فذكر فيه شيئاً عن الملكة « اليزابث » وأنها ولدت سنة ١٥٣٣ وتوفيت عام ١٦٠٣م وأنها كانت واسعة المعرفة ، وبرعت فى اللغات ... الخ . كما ذكر أن الملكة « فكتوريا » ارتقت أريكة العرش قبل أن تبلغ العشرين من عمرها وكانت مفرطة الذكاء وبعيدة النظر ، وكانت أيامها أيام سعادة ويمن على شعبها .

ويبدو أن الهدف من « التراجم » هو التأكيد على دور المرأة فى المجتمع قديماً وحديثاً فى الشرق والغرب . فكان الاهتمام بالأسلوب ، وكان المؤلف كلفاً بالصور البيانية مُؤْثراً للسجع ، ويبدو أن هذا الأسلوب كان سمة عصره ، فتاره ووشى به صفحاته .

والكتاب فى جملته ــ وبعيداً عن أخطاء طفيفة ــ يبين مدى الاهتمام بأخلاق البنات وتربيتهن عملياً على السلوك الرفيع والخلق الطيب .

وكم تأسف لما ورد به ص ٩٨

من تصوير لنبى الله سليمان ــ على نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام ــ يستقبل ملكة سبأ ، فقد كان هذا العمل غير طيب وغير مقبول .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

دعوة إلى حسن الخلق

هناك فرق واضح بين « الخُلق والتخلق » فصاحب « الخُلق » يتمتع بأخلاق فطرية و « المتخلق » مجتهد يصل بالمجاهدة في حمل النفس على أخلاق بعينها يريد أن يتحلى بها ، من هنا يمكن أن يكون حسن الخلق غريزة أو اكتساباً .

وأياً ما كان « حسن الخلق » غريزة أو اكتساباً » فالمطلوب توفره لدى كل مسلم ومسلمة أن يتميز بخلق حسن له سلوك قويم ؛ فإن الخلق الحسن هو الهدف من بعثته ﷺ « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .. رواه أحمد والبيهقي .

وقال رجل لرسول الله ﷺ : أوصني .. قال : اتق الله حيثما كنت . قال : زدني .. قال : أتبع السيئة الحسنة تمحها . قال : زدني .. قال : خالق الناس بخلق الحسن .. رواه الترمذي .

وقيل : يا رسول الله : أى المؤمنين أكمل إيماناً ؟ قال : « أحسنهم خلقاً » رواه الترمذى والنسائى وأحمد ، كما كان من دعائه ﷺ : « اللهم اهدنى لأحسن الأخلاق ، لا يهدى لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت » رواه مسلم .

حول هذا المعنى تلقى الباب كلمات عدة لشيوخ أفاضل وأساتذة أجلاء ، أستميحهم عذراً إن وجدوا اختصاراً اقتضته طبيعة النشر أو المساحة .

كما تجد عزيزى القارىء كلمات أخرى ننشرها حرصاً على تنويع الباب بنشر العديد من الأفكار والمعلومات والإبداعات ، إلى جانب الردود والتعليقات والإجابة على الاستفسارات التى نتلقاها عناية من المجلة باهتمامكم ومتابعتكم ، غير أنه أمام كثرة الرسائل وقلة المساحة نضطر إلى تأجيل بعضها على أن تأخذ دورها مع الأعداد القادمة بمشيئة الله ـ تعالى .

المحرر

سعادة الفرد ونهوض الجماعة

حول أثر الأخلاق فى سعادة الفرد والمجتمع كتب فضيلة الشيخ/محمد فتحى عبدالصادق عز ـ مدير سابق بالتربية والتعليم بمنيا القمح :

كان أول حجر وضعه رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى بناء صرح هذه الأمة الكريمة وركز عليه واهتم به ؛ ما عبر عنه فيما رواه البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ حين قال : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » رواه أحمد والبيهقى .

وبهذا الأسلوب الرائع الموجز بين لأمته أن هذه التكاليف التى أمرنا الله بها ليست غاية لذاتها ، وإنما هى وسيلة إلى غاية نبيلة كريمة ، وهى الاتصاف بالخلق العظيم ، الذى ربى عليه خاتم رسله ، وأثنى عليه فى كتابه بقوله :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ القلم : ٥ .

ذلك لأن الأخلاق الكريمة هى الينبوع الأول الذى يفيض منه كل خير فى هذه الحياة ، وهى التى تغرس فى قلب المؤمن إيماناً قوياً ويقيناً لا يضعف ، فإن صاحب الخلق الكريم إذا همت نفسه بقبيح يقول : إذا كان الله قد خلقنى ورباني ورزقنى ورعانى فما أجدره بالكثير من شكرى والاعتراف بحمدى وثنائى ، وليس من مكارم الأخلاق عند ذوى الفطر السليمة أن أبارزه بالجحود والعصيان ، فإذا لم تحقق التكاليف الشرعية هذه الحكمة ، ولم تثمر هذه الثمرة كان المسلم جسماً بلا روح ، وهيكلا بلا حياة .

أقصر طرق الاقناع

وكتبت الأستاذة/وفاء بشير صقر ـ ماجستير عقيدة وفلسفة ـ عن خلق الصدق كأقصر طريق للإقناع :

يصرح لنا رسولنا الكريم بعظم أمر الصدق بقوله : « إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » رواه البخارى ومسلم .

وإنى لأجد الصدق عماداً لكل الصفات الحميدة .

وهذا الصدق فى القول لابد أن يتبعه « الصدق فى الفعل » قال تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل

فإن عدم العناية بإتقان ما يسند للمرء من أعمال لون من الكذب ، وأمة هذا حال أفرادها

لا يمكن أن ترقى ذرا المجد وأن تبوأ المكانة الرفيعة .

بل ذلك « الصدق فى النيـــة » أى : الإخلاص ، يقول ــ تعالى :

﴿ وَمَا أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة : ٥ .

فالذى يكون قلبه فى واد وعمله فى واد آخر لا يثمر عمله الثمرة المرجوة ، كواعظ يعظ الناس بالزهد وقلبه يطلب الدنيا فمن مكارم الأخلاق أن يفعل الإنسان العمل الطيب بقصد طيب ، فيطيب ظاهره وباطنه والمؤمن طيب لا يصدر عنه إلا طيباً .

ومن سنن الله فى خلقه أنه كلما حسن الشيء كان نقيضه فى درجة من الخبث تعادل حسن النقيض ، فلا أطيب من الصدق بصوره الثلاث : قولا وفعلا ونية .

إلى متى الكيل بمكيالين ؟

بعد سقوط « سربتيشا » البوسنية فى أيدى الصرب لم يعد هناك مبرر لاستمرار حظر السلاح على البوسنة ، فقد كانت هذه المنطقة آمنة ومنزوعة السلاح وفقاً لقرارات الأمم المتحدة ، وها هى القرارات انتهكت من الصرب وسقطت المنطقة الآمنة فى مشهد مأساوى مريع ، دون أن يملك المسلمون حق الدفاع عن أنفسهم ، فإلى متى يستمر قرار حظر السلاح عن البوسنة فقط ؟ وإلى متى تستمر سياسة الغرب فى الكيل بمكيالين ؟ كتب فضيلة الشيخ/صلاح محمد بدر ــ من علماء الدعوة بوزارة الأوقاف ــ كلمة مطولة عن هذا المعنى نوجزها فيما يلى :

قال ــ تعالى ــ :

﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ . سورة الملك

فهل نحن مصدقون حقا ومؤمنون صدقا وعن يقين بأن لله جند لا يعلمها إلا هو :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ المدثر : ٣١ .

ينبغى علينا كمسلمين ــ بلغنا خمس العالم ــ أن نربأ بأنفسنا وكرامتنا عن مواطن الذلة والمهانة ونعلن عن عزتنا وطموحنا فى قولة صريحة وموقف شجاع موحد وإيمان راسخ بأننا منسحبون نهائيا كأمة عربية وإسلامية مما يسمى زورا وبهتانا بمجلس الأمن .

ومن يستقرىء التاريخ لهذا المسمى يجده فارغا من مضمونه خاصة فيما يتعلق بالمسلمين ، وليست حوادث كشمير مع الهندوس فى الهند منا ببعيدة ، مما يكشف عن النية المبيتة لابتلاعنا ودحرنا والعمل على قهرنا وإذلالنا واستغلال ثرواتنا وخيرات بلادنا تحت بريق الشعارات المزيفة .

مقام المراقبة

وكتبت الأستاذة/نجاة خيرى الطيب - من يعقوب - البلينا - سوهاج - هذه الرسالة فى كيفية إحكام العبد للتقوى والمراقبة بينه وبين الله - عز وجل - تقول - فى رسالتها :

إن الإجابة تكمن فى ذكر الله - عز وجل - بصفة دائمة ، فمن فوائد الذكر :

أولا : أنه يرضى الرحمن - عز وجل ، ويزيل الهم والغم من القلب .

ثانيا : أنه يورث المسلم المراقبة حتى يُدخله فى باب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه - ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان - كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت .

ثالثا : أنه يورث المسلم ذكر الله - تعالى - له كما قال - جل وعلا : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ البقرة : ١٥٢ .

ولو لم يكن فى الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلا وشرفاً وقال النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه « من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منهم » متفق عليه .

رابعا : أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه - تبارك وتعالى - فإن الغافل بينه وبين ربه وحشة لا تزول إلا بالذكر .

خامسا : أنه ينجى من عذاب الله - عز وجل - كما قال معاذ رضى الله عنه ويروى مرفوعاً « ما عمل آدمى عملا أنجى له من عذاب الله - عز وجل - من ذكر الله تعالى » أخرجه الإمام أحمد فى مسنده .

سادسا : إن الاشتغال به سبب لعطاء الله - سبحانه - للذاكر بأفضل ما يعطى السائلين ؛ ففى الحديث عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله - سبحانه وتعالى : « من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » أخرجه الترمذى .

سابعا : أنه : غراس الجنة ، فقد روى الترمذى من حديث أبى الزبير عن جابر عن النبى ﷺ قال : « من قال : سبحان الله وبحمده ؛ غرست له نخلة فى الجنة » أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

الظلم ظلمات

وكتب الأستاذ/نجاح عبدالقادر سرور - المدرس الثانوى بمحافظة البحيرة - كفر بولين - كوم حمادة - تلك الكلمة عن خطر الظلم وآثاره المدمرة :

الظلم ظلمات .. وما انتشر بين قوم إلا خبا فيهم نور العدل .. وتعطل القسط والميزان .. وما

أنزل الله من نور وحيه ؛ إلا وكان مع الكتاب الميزان ؟ يقول سبحانه : ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ الشورى : ١٧

وحرم سبحانه الظلم على نفسه وعلى خلقه ؛ فقال ـ جل وعلا ـ في الحديث القدسي الصحيح : « **يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا** » (رواه مسلم) ، وحذر رسول الله ﷺ من الظلم فقال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » رواه البخاري ومسلم . فلا يظلمن أحد نفسه ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ النحل : .. ولا يظلمن أحد جيرانه ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ النساء : ٣٦ .

.. ولا يظلمن أحد عباد الله ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ الشورى : ٤٢

ولكن لنا عبرة في كل جبار وطاغية ؛ ظلم وبغى ، وطغى وتجبر .. ماذا فعل الله ـ تعالى ـ به ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾
سورة العنكبوت

.. ولنعلم أن الله تعالى يسلط الظالم على الظالم ، ويخرج من بينهما أهل الحق سالمين .. « ألا واتق دعوة المظلوم فإنها لا تحجب عن رب العزة » روى الترمذي قوله ﷺ : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : إمام عادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب ـ عز وجل : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين » .

.. وما أجمل ما نسب إلى علي ـ رضي الله عنه ـ محذرا من دعوة المظلوم ومن الظلم :

واحذر من المظلوم سهما صائبا
واعلم بأن دعاءه لا يحجب

من درجات الكبر

وكتب القارىء/عماد ميزار عبدالعظيم جابر ـ من محافظة الفيوم ـ قرية الأعلام ـ هذه الكلمة عن درجات الكبر :

١ ـ أن يكون الكبر مرضا مستبطنا في القلب ، ولا يظهر أثره على الجوارح أو اللسان ولا يشعر به الناس ، ومع ذلك يوصف صاحبه به ويحاسب عليه كما جاء في قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ﴾ سورة غافر آية ٥٦ ، ويقول النبي ﷺ : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » رواه الترمذي .

٢ ـ أن يظهر أثر الكبر على الجوارح فيراه الناس ويشعروا به إذ يقول الله تعالى :

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ لقمان

ردود وتعليقات

● **القارىء/محمد عباس أحمد ـ البلينا ـ سوهاج :**

نشكركم على اهتمامكم بالمجلة ، وبمشيئة الله ـ تعالى ـ ترون مبلغ العناية بها يزداد مع كل عدد جديد .

● **الكاتب/محمد مصطفى الغمرى ـ المدير السابق لإدارة شبرا الخيمة التعليمية :**

لكم من ادارة مجلة الأزهر خالص التقدير على إسهامكم فى إثراء بريد « مجلة الأزهر » بالمعانى الطيبة والتعليقات البناءة ، لاسيما على الجزء الثانى من « مقدمة قبل هجرة النبى ﷺ .... الحوار » ، وعلى سلسلة مقالات « الوحدة العضوية فى الشعر العربى » وغير ذلك مما يكون له الأثر البالغ فى توضيح الرؤية .

● **القارىء/عاشور حسين عبدالرحيم يوسف من الرواتب ـ أبو تشت ـ قنا :**

قرأت رسالتكم عن « السحر » ، وليتكم توضحون لنا تفاصيل ما تريدون الوصول إليه ، فالرسالة غير واضحة .

● **القارىء/محمود محمد الغنيمى العطار ـ بلقينة ـ المحلة الكبرى ـ غربية :**

نعتذر عن إجابة طلبكم فليس لدينا كتبا مما تطلبون لنرسلها إليكم ، حيث إن ذلك خارج عن قدرتنا واختصاصنا .

● **القارىء/خيرى محمد ابراهيم أبوالروس ـ كفر الجرايدة ـ بيلا ـ كفر الشيخ :**

إن أهم ما خرجت به رسالتكم فى الفرق بين « المؤمنين والكافرين » ، هو : الفرق بين « الإيمان والكفر » ، وشتان ما بينهما « وماذا بعد الحق إلا الضلال » .

● **القارىء/محمد فتحى نعيم حسن ـ كلية الهندسة ـ جامعة المنصورة :**

لا تتعجل نظم الشعر قبل أن تستوعب منه ما يضفى على وجدانك شعراً ، وتزود بعلم العروض والقافية ما أمكن .

● **القارىء/صبرى الطاهر أحمد ـ كلية الحقوق بأسيوط :**

الدراسة بجامعة الأزهر لابد أن يسبقها الحصول على الثانوية من معاهد الأزهر .

● **القارىء/أحمد حسن أحمد محمد ـ كلية التربية ـ جامعة الأزهر :**

تعمل إدارة تحرير المجلة جاهدة على إخراج المجلة فى موعدها غير أنه أحيانا نضطر إلى تأخيرها يوما أو يومين بسبب حدث معين نسعى إلى تغطيته والمجلة ماثلة للطبع ، خالص تقديرنا لمتابعتكم .

● **القراء/أهالى قرية المعصرة بأسيوط :**

نعتذر عن إجابة طلبكم ، فنظم أى معهد له شروط خاصة يمكن الاستعلام عنها من القسم المنتدبى بالأزهر .

● **بمشيئة الله ـ تعالى ـ يواصل الباب اهتمامه بالرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعاً .**





تقدير الأستاذين/ عمر البسطويسى ● مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يشهد

حفل تخريج الدعاة والأئمة

شهد فضيلة الإمام الأكبر يوم الاثنين الموافق ٣ ربيع الأول ١٤١٦هـ ١٩٩٥/٧/٣١ م حفل تخريج الدفعة التاسعة والعشرين للأئمة والوعاظ الوافدين من العالم الإسلامى إلى الأزهر الشريف وقام فضيلته بتوزيع الشهادات على الخريجين .

أقيم الحفل بمدينة البعوث الإسلامية وشهده فضيلة المشرف العام على المدينة وفضيلة مدير عام العلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف ولفيف من علماء الأزهر وسفراء الدول المشاركة فى الدورة .

ألقى فضيلة الإمام الأكبر الكلمة التالية فى هذا الحفل العظيم :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة السلام على سيدنا محمد رسول الله .

السادة السفراء ، السادة الأئمة والعلماء السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يوم طيب كريم نذكره — دائما — إن شاء الله — هذا اليوم الذى أختتم فيه دورتكم وأدعو الله — سبحانه وتعالى — أن يوفقكم؛ لتكونوا مبشرين فى أمتكم بالهداية والتوفيق بالعمل بدين الله — سبحانه — وأن تكونوا موجهين لأهلينا المسلمين وأمتنا الإسلامية فى كل مكان وفى أوطانكم على وجه الخصوص .

نحن فى حاجة إلى أن نتذاكر مع المسلمين أحكام الإسلام : عقيدة وشريعة ، وإبلاغ رسالة الاسلام إلى الأمة الإسلامية بل إلى العالم كله .

لقد أدى الرسول — ﷺ — مهمته التى بعثه الله بها ، وأدى أصحابه الرسالة ، ونشروا الإسلام

فى كل مكان حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا وتم ذلك فى زمن قصير، وكانت لديهم أعمال جليلة طيبة .

مع الإخلاص فى إبلاغ الرسالة والدعوة إلى الله وقد نشروا العلم والتعليم فى العالم كله ، وأقاموا حضارة إسلامية مميزة ، ليست حضارة مادية فحسب كالحضارات التى نعرفها وننظر إليها وإنما كانت حضارة ارتفعت بإنسانية كل الناس وسيطرت على بنى الإنسان فى كل مكان .

ونحن المسلمين نرجو أن نحتفظ بوسطية الإسلام الذى يوائم ظروف الحياة بين المادية التى يحتاج الإنسان اليها والتزود الروحى ، إن رسول الله — ﷺ — أرشدنا الى الطريق السوى فقال : « تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بينا : كتاب الله وسنتى » رواه الحاكم عن أبى هريرة .

ونرجو أن تعود الأمة إلى تماسكها وترابطها وأن ترتفع فوق الأحداث .

وأنتم أيها الأخوة مسئولون مسئولية كاملة عن أن تقولوا للناس حسنا — كما أمرنا الله — وأن تتبعوا قول الله — تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (النحل — ١٢٥) وأن توضحوا للناس أحكام الإسلام مبسطة ظاهرة واضحة ، وأن تلاحظوا فيما تفتون — قول النبى ﷺ بشأن من أفتى بغير علم وأن إثمه على من أفتاه .

أوصيكم أيها الأبناء والأخوة أن تداوموا على المذاكرة والدراسة ، وأن تزدادوا بالاطلاع ، وأن تكونوا على صلة دائمة بكتاب الله تلاوة وحفظا وتفسيرا واستنباطا ، وأن تكونوا على صلة بحديث رسول الله ﷺ وسنته من قول وفعل وتقرير .

ونحن مأمورون باتباع سنة النبى ﷺ .

فمن أين تعلمنا الصلاة ؟

قال النبى : — ﷺ — صلوا كما رأيتمونى أصلى[١] .

وكيف تعلمنا الحج .

قال : عليه الصلاة والسلام : خذوا عنى مناسككم[٢] فلا تهملوا الحديث عن الرسول — ﷺ — ولتحفظوا وتحافظوا عليه .

ولتكونوا — أيها الأخوة — مع الناس برفق حتى يتعلموا الدين ويرجعوا إليه ، واعملوا على أن تنشئوا الأجيال الصغيرة القادمة على الإسلام الصحيح الخالى من البدع ،على الإسلام الخالص .

إن الكثير منا ليسوا على قدرة لاستنباط الأحكام ، وإنما علينا الرجوع إلى العلماء ، ولا يأتى أحد — كما يحدث أحيانا — ويتحدث دون علم فى تفسير القرآن ، أو رواية عن الرسول — ﷺ — أو الأحكام .

إن العلم أمانة ، وأن الله يأمركم بأن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، وأنتم مسئولون عن تبليغ القرآن والعلم للناس والرسول — ﷺ — يقول : (بلغوا عنى ولو آية)[٣] لعل الله يجعل لنا من الضيق فرجا ومن الحال التى نحن عليها حالا افضل منها ، وإن الله — سبحانه وتعالى — يقول :

(١) روايات عدة للإمام البخارى — والدارمى ، والإمام أحمد .

(٢) كما جاء الحديث فى مسند الإمام أحمد فى رواية جابر بن عبدالله يقول : رأيت النبى ﷺ يرمى على راحلته يوم النحر يقول : « لتأخذوا مناسككم فإنى لا أدرى لعلى لا أحج بعد حجتى هذه » .

(٣) البخارى — الترمذى والدارمى وأحمد .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد ١١) .

فلنعمل على تغيير السيء من أعمالنا

« وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ » الأنعام ١٥٣

أرجوا أن تعودوا إلى أهلكم بخير وسلام ، وأن تكونوا أسوة فى الصلاح بين الشعوب : تواصلون وتراحمون حتى تكونوا الشرايين التى تجمع بين هذه الأمة متمثلة فى شعوبها وأوطانها .

شكرا لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

الإمام الأكبر يستقبل سفير بريطانيا بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بمكتب فضيلته صباح يوم الخميس الموافق ٦ من ربيع الأول ١٤١٦ هـ ٣ من اغسطس ١٩٩٥ م السيد /ديفيد أزرو سفير بريطانيا بالقاهرة .

وقد تناول اللقاء رغبة كبير الأساقفة فى كانتربيرى فى لقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى أكتوبر القادم .

كما تناول اللقاء مناقشة الدعوة الموجهة لفضيلة الإمام الأكبر من سمو الأمير «تشارلز» أمير «ويلز» لزيارة (مركز أوكسفورد الإسلامى) فى لندن ومناقشة الأوضاع فى البوسنه والهرسك وكشمير وأهمية تطبيق قرارات الأمم المتحدة لوقف استخدام العنف ضد المسلمين والعمل على حل مشكلة البوسنه والهرسك وكشمير ؛ حتى يسود السلام دول العالم ويستظل بظله الجميع .

الإمام الأكبر يفتتح المؤتمر الدولى لدور الجامعات فى خدمة البيئة

افتتح فضيلة الإمام الأكبر أعمال المؤتمر الدولى لدور الجامعات فى خدمة البيئة وقضايا التنمية الذى نظمته جامعة الأزهر فى الفترة من ١٧ ــ ٢١ يوليو ١٩٩٥ م ١٩ ــ ٢٣ صفر ١٤١٦ هـ .

وقد ناشد فضيلة الإمام الأكبر فى كلمته فى الجلسة الافتتاحية العلماء الاهتمام بالبحوث العلمية والعمل على التلازم بين العلم والعمل ؛ لسد الفجوة بينهما ، مشيرا إلى ضرورة الحرص على التطور العلمى والتكنولوجى للحاق بركب التقدم العلمى العالمى .

شهد الجلسة الافتتاحية الأستاذ الدكتور محمود محمد محمود وزير الاقتصاد والأستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر ونواب رئيس الجامعة وأساتذة الكليات بالجامعة .

الإمام الأكبر يشهد حفل تكريم أوائل الشريعة والقانون

شهد فضيلة الإمام الأكبر الحفل الذى أقامته كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر لأوائل الخريجين من القدامى والمحدثين وذلك يوم الاثنين الموافق ٢٦ من صفر ١٤١٦ هـ ٢٤ من يوليه ١٩٩٥ م بمقر الكلية بالدراسة .

حضر الحفل فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر والسادة نواب

رئيس الجامعة وعمداء كليات الشريعة والقانون بالقاهرة والأقاليم ولفيف من قيادات الأزهر الشريف والجامعة .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة هنأ فيها المكرمين أصحاب الفقه الذى قال - ﷺ - عنهم (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين) مشيرا الى أن أصحاب الفقه يقومون برسالة النبى محمد ﷺ .

وحثهم فضيلته على مواصلة العلم ، وعلى أن يكونوا مجددين فى إطار أحكام الشريعة الغراء ، وأن يكونوا كذلك قدوة حسنة فى السلوك والتعامل مع الناس ونشر الإسلام ورسالته الإنسانية .

الإمام الأكبر يستقبل سفير بنجلاديش بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بمكتب فضيلته بالأزهر صباح يوم الثلاثاء الموافق ٤ من ربيع الأول ١٤١٦ هـ ١ من أغسطس ١٩٩٥ م السيد/كريم حيدر سفير جمهورية بنجلاديش بالقاهرة .

تناول اللقاء بحث سبل التعاون بين الأزهر الشريف وبنجلاديش فى مجال تدريب بعض الدبلوماسيين وموظفى الحكومة البنجلاديشية على تعلم اللغة العربية ورحب فضيلة الإمام الأكبر بالفكرة من حيث المبدأ ووعد فضيلته بدراستها مع وزارة الخارجية وجامعة الأزهر الشريف لإعداد الترتيبات اللازمة لتنفيذها .

وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر أثناء اللقاء على بعض التساؤلات التى طرحها السيد السفير وكانت تدور حول (وثيقة الزواج) ورأى الأزهر فيها ، ورأى الإسلام فى عمل المرأة وتعدد الزوجات والختان .

الإمام الأكبر يستقبل وزير الشئون الدينية بأندونيسيا

استقبل فضيلة الامام الأكبر بمكتب فضيلته صباح يوم الأربعاء الموافق ٥ من ربيع الأول ١٤١٦ هـ ١٩٩٥/٨/٢ م الأستاذ الدكتور/ترميذى طاهر وزير الشئون الدينية بأندونيسيا ، يرافقه معالى (الدكتور بورمونا) سفير أندونيسيا بالقاهرة والوفد المرافق لهما .

وقد عبر الوفد عن عميق سعادته بلقاء فضيلة الإمام الأكبر صاحب المكانة السامية فى قلوب ووجدان المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها .

كما أعربوا عن سعادتهم الغامرة لوجودهم فى رحاب الأزهر الشريف الذى ساهم بنصيب وافر فى إثراء الحضارة الإنسانية وترسيخ القيم الانسانية مما جعله منارة فى العلماء والمتعلمين الذين يفدون إليه من كل حدب وصوب .

وقد تناول اللقاء بحث سبل التعاون بين الأزهر الشريف ودولة أندونيسيا فى مجال التعليم الإسلامى ، فضلا عن مناقشته معادلة الشهادة الثانوية الأندونيسية بالشهادة الثانوية الأزهرية .

وفى نهاية اللقاء تقدم الوفود بخالص الشكر والتقدير للدور الريادى الذى يقوم به الأزهر الشريف لدعم التعليم الدينى فى أندونيسيا .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدي عبد الحميد بشير

كلمة احتفال وزارة الأوقاف المصرية بالمولد النبوي

ألقى الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف خلال احتفال مصر العالمي بذكرى المولد النبوي الشريف بالأسكندرية بمشاركة الرئيس حسنى مبارك كلمة أكد فيها على أن جهود الرئيس مبارك ودعمه الدائم للمتدينين كان له أكبر الأثر في أن تظل مصر قلعة للعروبة والإسلام .

وأكد أن الرئيس قرر تخصيص (٥٠٠ مليون جنيه) هذا العام للبدء في أكبر مشروعين قوميين لإنشاء وترميم المساجد بتكاليف (٣٠٠ مليون جنيه) وبناء مسكن لكل إمام بكل مسجد على مستوى الجمهورية بتكاليف (٢٠٠ مليون جنيه) .

وقال الوزير : إنه في ليلة الميلاد العظيم لخاتم المرسلين ـ صلى الله عليه وسلم ـ نقدم نماذج مشرفة تزهو بها مصر كشفت عنها المسابقة العامة لدراسة الفكر الاسلامي المستنير الرافض للتعصب ، وقدم الوزير نموذجاً لطفل في التاسعة من عمره يحفظ ستة آلاف حديث نبوى ، ونال جائزة ٢٠ ألف جنيه تقديراً لنبوغه ، وتشجيعاً للأطفال والشباب من أمثاله .

كما فازت في المسابقة أسرة كاملة من (سراييفوا) بدولة البوسنة وستقوم بحج بيت الله الحرام على نفقة الرئيس الشخصية .

وأعلن الوزير عن تخصيص جائزة كبرى للعلوم الإسلامية فاز بها علماء جمهورية تركمانستان وخصصت لإقامة مركز إسلامي ، وكلية لدراسة اللغة العربية والإسلامية .

وقام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بإصدار أول ترجمة مصرية كاملة للعبادات والمعاملات الإسلامية باللغة الروسية والصينية والانجليزية والفرنسية ، وستوزع على الأشقاء المسلمين الناطقين بهذه اللغات .

وأعلن الوزير عن تخصيص (٥٠٠ مليون جنيه) للمساجد ، ورعاية الدعاة ، ومنها تنفيذ أكبر مشروع لإسكان الأئمة والدعاة على نفقة الدولة ، ويتكلف المشروع ٢٠٠ مليون جنيه .

وختم الوزير كلمته بضرورة التعاون بين المسلمين وغيرهم فى إطار التسامح الدينى والإخاء الإنسانى .

مبارك .. والشباب

تسابق شباب العالم الاسلامى فى التعبير عن مشاعرهم تجاه الرئيس حسنى مبارك ، وذلك منذ بداية اللقاء حيث استقبل الرئيس مبارك استقبالاً حماسياً حافلاً هنأ فيه الشباب الرئيس مبارك بنجاته من حادث الاعتداء الإرهابى ، وتناول الشباب أثناء مداخلاتهم ، فقرات الحفل إما بالشعر ، وإما بالكلمات الرقيقة الحماسية والنابعة من القلب والتى تستظل بمعنى وجلال الذكرى العطرة لمولد الرسول الكريم .. منهم من قال : شعب مصر كله وراءك .. يا فخر مصر نحن معك .. يا رابع الأهرامات .. وتبادل الشباب من مختلف المحافظات التسابق فى التعبير عما يدور فى قلوبهم من عظيم المشاعر نحو الرئيس مبارك .

الارهابى ..

اهتزت القاعة تصفيقاً حاداً حينما وقف اثنان من الأشقاء السودانيين من الوفد المشارك فى الحوار .. حيث قال الأول : لن يحكمنا الهوس .

ورد عليه الرئيس مبارك قائلاً :

ـ هو هوس فعلاً .

وكان ذلك وسط تصفيق جميع الحاضرين .

بينما قال الثانى هاتفاً من أعماقه : إرهابى .. إرهابى .. بالترابى .

الاسكندرية

أعد المؤتمر السابع للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ورقة عمل لمنهج واضح يستند فى جوهره إلى مصدرى الإسلام الأساسيين فى التشريع : كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ

أوصى المؤتمر فى ختام عمله ، بمضاعفة الجهود لتطبيق الشريعة الإسلامية ، وإعادة النظر فى برامج التعليم ، وناشد المجتمع الدولى عدم المساس

بالمقدسات الدينية بالقدس كما أهاب بأجهزة الإعلام الغربية أن تفسح مجالاً لحوار بناء مع الحضارة الإسلامية ، وإن تمكن العلماء المسلمين « فى إطار ما تتشدق به من حرية الفكر - من عرض مبادئ الإسلام وقيمه الرفيعة .

اعتبر المؤتمر كلمة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وثيقة عمل .

إسلام أباد

أكدت رئيسة وزراء باكستان أن الشريعة الإسلامية سبقت الحضارة الغربية وأعطت للمرأة المسلمة حقوقاً لم تنلها المرأة حتى الآن فى أى مجتمع آخر .

جاء ذلك فى تصريحات لها فى المؤتمر الأول للنساء البرلمانيات الذى عقد مؤخراً فى باكستان

يهدف المؤتمر إلى وضع تصور مشترك للدول الإسلامية ، التى تشارك به فى المؤتمر العالمى للمرأة ، الذى سينعقد فى بكين - عاصمة الصين - قريباً .

القاهرة

أكد سفير ألمانيا بالقاهرة اهتمام الشعب الألمانى بالآثار المصرية ، وخصوصاً الإسلامية منها باعتبارها كنزاً عالمياً فريداً يؤكد عظمة وروعة وعمق الالتزام الذى ميّز كلاً من التاريخ والثقافة الإسلامية فى مصر .

جاء ذلك خلال حفل الأثريين الإسلاميين بمناسبة افتتاح قاعة سبيل (كُتّاب عبدالرحمن كتخدا) و (الحائط الجنوبى بالمدرسة الصالحية) بعد ترميمها من قبل الخبراء الألمان .

ليبيا

استقبل وزير الأوقاف ومفتى الجمهورية وفداً ليبياً رفيع المستوى ، وقد وجّه أعضاء الوفد الدعوة لمصر ، وذلك لحضور المؤتمر العالمى الذى يُعقد بليبيا فى السادس عشر من سبتمبر المقبل ، ويناقش المؤتمر المزمع عقده أوضاع المسلمين فى العالم ومحاولة حلّ مشاكلهم خصوصاً مشاكل الأقليات الإسلامية فى الدول غير المسلمة ، بالإضافة إلى وسائل نشر الفكر الإسلامى فى عصر ثورة المعلومات .

لأول مرة

تبدأ الدراسة هذا العام فى المعهد العالى بالدراسات الإعلامية بجامعة الأزهر .

صرح الدكتور أحمد عمر هاشم نائب رئيس جامعة الأزهر لشئون الدراسات العليا ؛ بأن المعهد الجديد يمنح درجتى « الماجستير والدكتوراه » فى التخصصات الإعلامية المختلفة .

ويشترط للالتحاق بالمعهد أن يكون الطالب من خريجى إحدى الكليات الأزهرية بتقدير جيد على الأقل .

هذا وقد تم تدبير مقر مؤقت للمعهد الوليد فى مبنى كلية طب الأسنان بمدينة نصر .

البوســنة والهرســك

نفى الرئيس البوسنى أثناء تقديم الحكومة البوسنية أى تنازلات من قبيل التخلى عن « جيب جوراشدا » مقابل حصول البوسنه على أراض أخرى . وقال الرئيس البوسنى فى هذا الصدد : إننا لن نتخلى مطلقاً عن « جوراشدا » حتى وإن كلفنا ذلك القتال لخمسة عشر عاما قادمة .

ويرى المحللون السياسيون أن البيت الأبيض آخذ الآن فى تطبيق السياسة المعروفة بسياسة (العصا والجزرة) وتتمثل العصا فى التهديد برفع حظر السلاح المفروض على البوسنة ، بل والسماح للمتطوعين من الدول الإسلامية الأخرى بالقتال إلى جانب المسلمين ، وهو ما يخشاه الصرب .

وأما الجزرة فتتمثل فى التلويح للصرب بمكافأة يتمنونها وهى رفع الحصار الاقتصادى المفروض عليهم من قبل الأمم المتحدة إن هم انصاعوا لخطة السلام الدولية . يأتى ذلك فى إطار تغيير التوازن العسكرى الذى نشأ عن الاجتياح الكرواتى الناجح لمنطقة « كراينا » معقل الصرب فى كرواتيا ، واستعداد الكروات الواضح لتحرير منطقة سيلافونيا الشرقية من أيدى الصرب ، وهى منطقة ذات أرض زراعية خصبة وموارد بترولية كبيرة لن يفرط فيها الصرب بسهولة .

هذا وينفى المسئولون فى « زغرب » وجود أى إتفاقيات سرية بينهم وبين بلجراد لتقسيم البوسنة بينهما ، حيث أصرّ الرئيس الكرواتى على حضور الرئيس البوسنى المؤتمر الذى دعا إليه الرئيس الروسى لإنهاء مشاكل البلقان .

فظائع الصرب رسمياً

قالت السفيرة الأمريكية فى الأمم المتحدة أن هناك دلائل دامغة على ارتكاب قوات صرب البوسنه فظائع مروعة فى البوسنة عقب احتلال جيب (سربرينيتسا) فى يوليو الماضى ، وعرضت وثائق أمام مجلس الأمن من بينها صور التقطت من الجو تبين أن أكثر من ألفى مدنى بوسنى دفنوا فى مقابر جماعية إثر سقوط (سربرنيتشا) وأكدت هذه الاتهامات رواية رجل مُسِنّ كان قد احتجز مع مئات آخرين من قبل الصرب لكنه استطاع الفرار بعد أن تظاهر بأنه ميت ، وقرر مجلس الأمن السماح لوكالات الإغاثة الإنسانية لدخول « سربرينتشا » لتسجيل أسماء المحتجزين هناك .

هذا وقالت كل من تركيا واليونان أن توطين الصرب فى منطقة « كُوسُوفو » سيضر بمنطقة البلقان كلها .

الشيشـــان

رفض رجال المقاومة الشيشانية إنذاراً روسياً بإلقاء أسلحتهم . وقد تنكرت روسيا لأهم مطلبين تم الاتفاق عليهما بينها وبين الجانب الشيشانى ، وهما : انسحاب القوات الروسية ، وتبادل الأسرى ولا تزال تبدى عدم الاكتراث بالمطالب الشيشانية .

تعتبر روسيا عضوا عريقاً فى العمل ضد نشأة أية دولة إسلامية بأوربا .

quiétude ni joie dans son for intérieur. Un jour on lui apporta de la nourriture pour rompre son jêune. Quand il la vit, il perdit l'appétit, pleura et fit pleurer tous les assistants, et dit : "Otez ces aliments, Moussa' ab Ibn Oumaîr est mort en martyr et il était meilleur que moi; son linceul était une cape si courte que si on lui couvrait la tête, ses pieds restaient découverts, et vice versa. Hamza est tombé martyr et il était meilleur que moi. D'ailleurs, nous avons en de ce bas monde une grande part de biens et nous avons reçu ce qu'il nous a été destiné aussi je crains que nos bonnes actions ne nous soient anticipées." Sa grande fortune ne suscita chez lui aucun grain d'orgueil ni de vantardise. Lorsqu'il voyait la variété des plats sur la table, il pleurait et disait. "Le Messager d'Allah (b.s.) est mort sans avoir jamais été rassasié, lui et sa famille du pair d'orge.

Quand et comment ce grant homme s'est-il converti à L'Islam ? Il s'est converti très tôt, il est l'un parmi les cinq qui embrassèrent L'Islam par l'entremise de Abou-Bakr et l'un des six membres du conseil qu'Omar avait désigné comme candidat au califat après lui en disant : "Le Messager d'Allah (b.s.) est mort en étant satisfait d'eux."

(à suivre)

1. Prête à Allah signifie ici : fais l'aumône aux pauvres.

ABDEL RAHMAN IBN AWF

Par Hoda Hussein Chaaraoui

"Tu entreras au Paradis en marchant à quatre pattes."

Un jour, Médine, se leva sur un grand bruit qui annonçait l'arrivée d'une grande caravane. La mère des croyants "Aïcha" (a.s.e.) entendant le vacarme demanda : "Qu'est-ce qui se passe à Médine ?" On lui répondit : "C'est la caravane de "Abdel Rahman Ibn Awf venue de Damas partant des marchandises". La mère des croyants dit : "Une caravane qui fait tout ce bruit ?" On lui répondit : "Oui, Ô mère des croyants elle est composée de 700 montures." Elle réplique : "Par Allah, j'ai entendu le Messager d'Allah (b.s.) dire : "J'ai vu "Abdel Rahman Ibn Awf entrer au Paradis se trainant à quatre pattes," Abdel Rahman Ibn Awf un des dix promis pour le Paradis entrera au Paradis en marchant à quatre pattes ?

Quelques - un de ses compagnons lui rapportèrent ce qu'avait dit Aïcha (a.s.e.). Il se rappela que le Messager d'Allah (b.s.) lui avait dit un jour : "Ô Ibn Awf, tu es l'un des hommes les plus riches. Prête à Allah et tes pieds seront libres." Avant même que ses marchandises ne soient déchargées, il hâta le pas vers la mère des croyants et lui dit : "Ô mère des croyants! Je te prends à témoin que tout ce que porte cette caravane et les montures sont une aumône pour l'amour d'Allah à Lui la puissance et la gloire." Toute la marchandise chargée sur les 700 montures fut distribuée aux habitants de Médine et ses alentours dans un grand festival de bienfaisance. Depuis qu'il avait entendu ce conseil du Messager d'Allah (b.s.) il ne cessa de prêter à Allah avec générosité et Allah le lui rendait avec abondance. Abdel Rahman Ibn Awf, l'un des plus riches compagnons du Messger d'Allah (b.s.) sa fortune ne lui causait ni

Sour. "Al Chûra" (La Consultation), v 29

(On soufflera dans la Trompette Infernale et aussitôt tous ceux qui se trouvent dans les cieux et sur la terre tomberont foudroyés).

Sour. "Al Zumur (Les Groupes) v 68.

(Les sept cieux et la terre et tous ceux qui s'y trouvent chantent Sa gloire).

Sour. "AZl Isrâ" (Le Voyage Nocturne), v44

A l'origine, la terre — ainsi que d'autres planètes de l'espace visible — s'est formée par le détachement d'une masse unique gigantesque. Or, ceci concorde avec le verset suivant :

(Les incroyants n'ont-ils point vu que les cieux et la terre étaient soudés et que Nous les avons décousus (séparés)?).

Sour. "Al Anbiyaâ (Les Prophètes), v30.

Cette masse, en explosant, a donné naissance à une énorme nébuleuse gazeuse qui s'est étendue dans l'espace, comme le confirme le verset suivant :

(Puis Sa volonté se dirigea vers le ciel qui était alors une fumée, et Il lui dit ainsi qu'à la terre : "Venez tous deux, de gré ou de force).

Sour. "Fuçilat", v11.

Ensuite, des parties de ce "nuage" se sont condensées et ont donné naissance aux étoiles, aux planètes et aux astres qui circulent dans leurs orbites à travers l'espace. Selon les calculs récents, l'ensemble de l'espace universel est en expansion continuelle.

C'est ce que nous apprenons par le verset suivant :

(Le ciel, Nous l'avons construit avec une grande maîtrise et Nous ne cesons de l'élargir).

Sour. "Al Dhaiyat", v 47

(à suivre)

pose de protons à charge positive, et d'électrons à charge négative, et cela par paires. En outre, l'existence de plusieurs variétés de paires d'autres particules nucléaires a été vérifée. D'un autre côté, on pense que, dans l'espace, les énormes corps célestes ont un contraire appelé : "Les trous sombres."

4. La nature du cosmos :

La Terre n'est pas - comme le pensaient les anciens — le centre de l'univers : elle n'est qu'une goutte dans l'étendue infinie de l'univers.

(Les Anges et le Saint Esprit escaladent vers Lui en un jour dont la durée est de cinquante mille ans).

Sourate "Al Ma'aridj" (Les Ascensions) v4.

On peut voir clairement ceci dans les expressions coraniques où "les cieux" sont toujours mentionnés avant "la terre" (ceci apparaît dans 178 versets où sont mentionnés à la fois les cieux et la terre, à l'exception de quatre versets où le cours du verset exigeait un ordre différent). En voici un exemple :

(Nous n'avons créé les cieux et la terre et ce qu'il y a entre eux qu'en toute vérité et selon un terme connu d'avance).

Sour. "Al Ahaqaf", v3

Il est naturel que cet univers, dans son immensité, soit rempli de créatures et de formes de vie que nous ignorons. A ce sujet, on trouve dans les versets coraniques :

(Devant Allah se prosterne tout ce qu'il y a dans les cieux et sur la terre, les animaux aussi bien que les anges).

Sour "Al Nahl" (les Abeilles) v49

(Parmi Ses signes, il y a la création des cieux et de la terre, ainsi que les animaux qu'il y a répandus).

LES PREUVES SCIENTIFIQUES

DE L'ISLAM

EXTAIT DE L'OUVRAGE (Suite)

Traduit par Dr. Rokeya Gabr

3. La parité : tout dans la création est par couples

Le Coran affirme qu'il existe, d'une manière générale, dans la nature, une paire de "toute chose."

(De chaque chose Nous avons créé un couple).

Sour. "Al Dhariyât, v 49

Scientifiquement, ceci s'applique au monde animal : du plus gigantesque à l'infiniment petit, tels les virus, les bactéries et les microbes qui sont tous par couples. Ceci s'applique également au monde végétal, les plantes possédant des organes génitaux mâles et femelles et c'est là une chose qu'on ignorait à l'époque où fut révélé le Coran. Voici l'exemple du verset suivant.

(De chaque espèce de fruit, Il a fait deux éléments de couple)

Sour "Al Ra'd" (Le Tonnerre), v3.

Même la matière inerte est sous forme de couples. Si nous prenons la plus petite forme de la matière l'atome, nous trouvons qu'il se com-

1- Voir ce à quoi visent les P287, 291, 299 .

2- voir ce à quoi visent le P 267 et les P de 91 a 100 , les P107 et 281 ; voir aussi ce que renfermait le P7 du projet d'action de la conférence du Caire sur la Population et le développement , surtout les P 1,2,3,4,6,8,43,45, et le N: 8 du P 20 .

3- voir les P 85a , b, 107 (g,i,l,m) 181 c , 182 b .

4- voir les P 62, 63 , 64 , 108 .

5- voir les versets Nº 1de la sourate "les femmes" , Nº: 21 de la sourate "les Romains" , Nº: 45 de la sourare 'L'Etoile" .

6- voir les P 27, 48, 95 , 99 , 133 , 194 e , 232 a .

7- voir les P 18 , 31 , 48 , 84 , 133 , 145 , 182 , 218 , 230 , 233 , 295 , 312.

époque. L'Académie incite la société à la préservation de la volonté d'Allah en créant l'être humain homme et femme ; à la croyance au fait que défier ce qu'Allah a prescrit pour règlementer les relations humaines, ou d'encourager la destruction des valeurs, mène à la corruption et à la propagation de la débauche et ne vise point un developpement intellectuel, culturel, économique, social, hygiénique ou autre, mais fait succomber la société humaine en général, et l'islamique en particulier, dans les prohibitions qu'Allah a interdit dans le Coran ou celles qui figurent dans la Tradition du Prophète - louanges et bénédictions sur lui .

L'Académie de Recherches demande aux pays islamiques et aux peuples qui aspirent a une vie assainie, qui aspirent aux bienfaits et à la vertu de continuer à maintenir leur intégrité de comportement et de moralité, tout en préservant chaque vertu et en évitant toute vilenie, afin d'empêcher la société humaine de choir dans l'abime vers lequel mènent ces turpitudes, apparentes ou voilées, et de se dresser contre les tentatives de subversion et de destruction auxquelles visent les promoteurs du programme d'action de Pékin, d'entraver la réalisation de leurs aspirations comme il a déjà été fait de leurs sectateurs .

De là, L'Academie incite les pays réunis a Pekin à ce qui a déjà été décidé par les pays lors de la Conference du Caire, de rectifier la rédaction du projet du programme d'action présenté a la 4e Conference mondiale sur les Femmes, qui aura lieu a Pékin au mois de Septembre 1995, de préciser ses formules afin qu'elles ne mènent point ne serait-ce que dans leur notion, vers le contraire de ce que la Chari'a islamique a prescrit, que les autres Lois célestes avaient préservé ; et qui persista dans les valeurs des nations islamiques a travers les âges .

L'Académie precise à ce propos qu'elle refuse tout ce qui contrarie la chari'a islamique et recommande d'en faire les restrictions nécessaires afin que la Umma islamique ne puisse être point contrainte en aucune facon .

Et Allah est Souverain en Son Commandemant mais la plupart des gens ne savent pas .

Grand Imam , Cheikh d'Al-Azhar
Président de L'Académie de
Recherches Islamiques

astreignent aux pays de mettre au point des programmes éducatifs visant à ce que les jeunes assument leur responsabilités sexuelles selon leurs conceptions à eux ; dans ce qu'ils imposent comme réduction des budgets militaires et la transfération des sommes prévues pour l'achat des armes à la réalisation de leur programme, dans ce qu'ils assignent aux pays de leur présenter des rapports obligatoires périodiques sur les armes qu'ils possèdent fussent-elles nucléaires , chimiques ou biologiqnes , tout en menaçant de couper les aides accordées par les pays riches et d'orienter ces sommes pour la réalisation du programme , en incitant le fond Monétaire international , la Banque Nationale et tant d'autres Organisations Financières à jouer un role effectif a ce propos, en accordant aux Organisations non-gouvernementales, aux Organisations féminines ou celles ayant des "ideaux féministes" des pouvoirs périlleux de surveiller et de vérifier ce que les pays pourraient soulever comme réserves sur le programme d'action afin de les faire annuler quelle que soit leur provenance (7) .

L'Académie des Recherches Islamiques d'Al-Azhar en assumant son rôle à l'égard des musulmans en Egypte et dans le monde islamique, annonce qu'elle tient fermement à ce qu'elle a déjà promulgué dans son communiqué emis à l'occasion de la Conférence mondiale sur la Population et le Developpement, qu'elle fait des réserves et demandes aux pays et aux peuples de déclarer les leurs sur ce qui figure dans le programme d'action de Pékin qui soit en opposition avec la Chari'a islamique et toutes les religions célestes, ou qui soit en contradiction avec les valeurs sociales et culturelles établies, ou qui ait trait au statut et à la discipline de la famille dans ces religions, ou qui donne accès à la liberté sexuelle contrairement à ce qu'elles prescrivent , ou qui permette l'avortement sauf dans le cas ou il faut préserver la vie de la mère.

L'Académie de Recherches Islamiques attire de nouveau l'attention sur le danger des requisitions que renferme le programme d'action de Pékin leur incompatibilité avec l'Islam et toutes les religions célestes ; sur ses objectifs visant la démolition des valeurs religieuses, sociales et morales qui préservèrent les pays et les gens de succomber dans la dérive de l'ignominie ou la contamination des maladies sexuelles dangereuses qui firent irruption dans cette

la croyance en Allah et la confiance en son Jugement et sa Sagesse, sous les soins de parents régis par des règles décisives reformant les penchants innés des instincts humains, prenant soin des dispositions des penchants naturels ou dûs à des circontances imprévues, tout en veillant à ce que la femme occupât sa place éminante et que l'homme assumât la charge qui lui revient de subvenir aux besoins de la famille et de ses membres (5).

L'Islam ignore ce qu'on appelle "problème de la femme", produit d'une civilisation qui lui est étrangère, basée sur l'exploitation et la discrimination, et qui est incompatible avec ce qu'il déclare sur la création de l'homme et de la femme d'une même âme en égalisant entre eux dans les droits et les obligations.

Quant au domaine des relations sexuelles, les promoteurs du programme d'action ne se contentèrent point de donner libre cours a la liberté sexuelle parmi les adolescents, garcons et filles, mais reclamèrent dans une franchise répugnante - ce qui signifie que la femme ou l'adolescente ait le droit de décider du rôle d'après lequel elle veut être traitée, homme, femme ou autre, qu'elle pratique ses relations sexuelles avec qui elle veut, homme ou femme, et qu'il revient aux pays, aux organisations gouvernementales et non-gouvernementales de permettre cela, car la prostitution n'est un tort qu'en cas ou elle est imposée à la femme (6).

Ainsi, les promoteurs du programme dévoilèrent leur flagrante contradiction avec ce que prescrivent toutes les religions célestes, y compris L'Islam qui n'admet aucune relation sexuelle hors du mariage légitime entre un homme et une femme, qui interdit l'adultère, L'homosexualite, le lesbianisme et tout ce a quoi mène ce dévergondage licencieux, car L'Islam traite l'homme et la femme a pied d'égalite sans les confondre ou sans porter atteinte à la nature de chacun d'entre eux.

Cependant, celui qui médite ce programme d'action y décèle une violation plus terrible des droits des peuples et une inacceptable tutelle sur les pays; cela est plus flagrant encore dans la mesure ou ces promoteurs considèrent la religion comme une barrière a la réalisation de la complète égalite entre l'homme et la femme ou une entrave à la réalisation de leur exécrable programme, dans ce qu'ils

quoi ils aspirent , tel l'usage qu' ils font du mot "genre" répété des dizaines de fois avec des nuances truquées visant à annuler la différence entre la masculinité et la féminité , faisant de l'être humain un défiguré , qui n'est ni homme ni femme, tout en faignant l'innocence du but et la rectitude de l'objectif .

En pleine tentative pour l'abolition de la famille , les promoteurs du programme d'action de Pékin ne se contentèrent point de semer le doute , dans le sens ou la famille est le principal élément de la societé , exigeant des parents de fermer les yeux sur le comportement sexuel des adolescents, hors du cadre du mariage , tout en considérant ce comportement une affaire personnelle dont nul n'a le droit d'y intervenir (2), mais ils réclamèrent avec une audacieuse turpitude que la notion de la famille , prise dans le sens que la religion n'est qu'une notion caduque , car elle n'accepte point les relations sexuelles libres pour tous les âges et met comme condition quelles aient lieu entre un homme et une femme dans le cadre légitime du mariage , quelle n'accorde point aux homosexuels le droit de former des familles entre eux , quelle tient fermement aux rôles traditionnellement établis de paternité , maternité , et lien matrimonial - que ces promoteurs considèrent comme étant des rôles auxquels les gens se sont habitués et dont il faut éliminer l'obligation afin d'établir une societé depourvue de toute contrainte ou de tout lien (3) .

Bien plus , les promoteurs de ce programme d'action pousserent encore plus loin leur égarement en réclamant un changement catégorique dans la relation entre l'homme et la femme , en répartissant à pied d'égalite les fonctions entre les deux , y compris le droit des hommes à l'obtention d'un congé de "paternité" tout comme les femmes -- et la même égalite dans les droits de succession en exigeant le changement des lois qui s'opposeraient à tout cela quel que soit leur origine (4) .

Il n'y a aucun doute que les digressions dans lesquelles les promoteurs de ce programme plongèrent sont catégoriquement à l'opposé de ce que l'Islam prescrit et veille à ce que la famille soit la source de quiétude , d'affection et de miséricorde , qu'elle soit le lieu de sauvegarde immunisé et fécond pour la formation des jeunes sur

Au nom d'Allah , le Trés Miséricordieux
Le Tout Miséricordieux

Communiqué de l'Académie de Recherches Islamiques d'Al-Azhar , à l'occasion de la 4e Conférence mondiale sur les Femmes, à Pekin , en Septembre 1995 .

Les Nations Unies tiendrout à Pekin , au cours du mois de Septembre prochain , leur 4e conférence mondiale sur les Femmes , afin d'accomplir l'approbation sur un programme d'action préalablement établi , auquel les gouvernements doivent s'y astreindre (1) , - tout en ayant pris compte de réduire au minimum les parties discutables , sous prétexte que les points de divergences ont déjà été tranchés par les Comités qui ont préparé ce programme d'action , la 39e et dernière session ayant eu lieu à New York , du 15 Mars au 14 Avril 1995 .

Cette Conférence de Pékin n'est qu'un maillon dans tout une chaine suivie, visant à imposer un nouveau mode de vie , qui s'oppose aux valeurs religieuses , brise les barrières morales et les traditions établies , sans prendre en considération que ces valeurs mêmes , ces barrières et ces traditions sont celles qui préservèrent des peuples et de nombreux pays de succomber dans l' abîme de la débauche sexuelle , dans le désordre des troubles psychologiques ou dans l' éxécrable marécage de la dégénérescence morale .

les promoteurs de ce programme voulaient se rattraper sur ce qu'ils n'avaient pas pu faire adopter lors de la conférence du Caire sur la Population et le Développement , qui eut lieu au mois de Septembre 1994 . C'est pourquoi ils insistent sur les problémes autour desquels la société internationale les avait réprouvé , et dont une partie traitait de la notion de la famille et de sa constitution , de l'éducation des jeunes , des relations sexuelles et de l'avortement .

L'audace des promoteurs du programme d'action de Pékin est telle qu'ils ne se contentèrent point de relancer leurs problèmes perdants , mais accentuèrent leur égarement et proliférèrent leur persistance en poussant à l'excés leur jeu de mots et en détournant le sens vers ce a

REVUE AL-AZHAR

Vol. 86 Part IV.
Rabiu-l-Akhar — 1416 HIGRAH.

Section Française

"He who fears will be exhorted. But the malefactor will shun it;" However, it is believed that Khatib's attitude would, to some extent, have been correct if he had applied the same passive form to the second conjoined element.

By studying the translations of Arberry, Y. Ali and Pickthall, we'll find that Y. Ali is the only one who adopts the passive form in translating the two conjoined elements.

Y. Ali (1637):

10. The admonition will be received
    By those who fear (Allah):
11. but is will be avoided
    By those most unfortunate ones,

This change in form from active into passive helps to produce a poetic stylistic effect in the TL text, in addition to emphasizing the words of the original.

Arberry and Pickthall, on the other hand, unlike Khatib and Y. Ali, stick to the active form as in the SL text:

Arberry (641):

"and he who fears shall remember,
but the most wretched shall flout it,"

Pickthall (803):

"10. He will heed who feareth,
11. But the most hapless will flout it."

Perhaps, this is due to their accuracy and faithfulness to the original text.

to be continued

when the savage beasts shall be mustered,
when the seas shall be set boiling,

By this sound attitude, Arberry tries to keep in the reader's mind, not only the formal or syntactic components of grammatical structures and their signification, but their communicative and functional value as well.

This is one example of how translators have rendered however there are many other similar attitudes when dealing with other similar verses as for example in Sura 82 and 48.

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾

3.

[?iδa-s-samä ?-u-nfatar-at wa ?iδa-l-Kawäkib-u-ntaθr-at wa ?iδa-l-bihär-u fujjir-at wa ?iδa-l-qubür-u busθirat]

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾

4.

[?iδa-s-samä?u-nšaqq-at wa ?aδin-at li-rabb-i-hä wa huqq-at wa ?iδa-l-?ard-u mudd-at wa ?alq-at ma fi-hä wa taxall-at wa ?aδin-at li-rabb-i-hä wa ḫuqq-at].

Conjoined elements may not only constitute passive forms in the original, but active forms as well which, when rendered, may result in ungrammaticality. This will be discussed in the following section.

C. Change of the conjoined structure from Active into Passive:

Consider the following example:

Sura 87, Verses 10-11: سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾

[Sayaδδakkar-u man yaxšä wa yatajannab-u-ha- a-l-?ašqä]

In his rendering of verse 10, Khatib has rendered the original active form /sayaδδakar/ in the first conjoined element into a passive one; Khatib (804):

Pickthall (792):

"1. When the sun is overthrown.

2. And when the stars fall."

Moreover, Y. Ali translates the passive form /suyyir-at/ in verse 3, /wa ʔiδa-l-jibāl-u suyyir-at/ into the active form. "When the mountains vanish", followed by unnecessary brakets including the phrase "(Like a mirage)". Again the three translators, Khatib, Y. Ali and Pickthall, have resorted to the active form in verse No. 6, although the Arabic text uses the passive form /sujjir-at/ in the conjoined element /wa ʔiδa-l-biḥār-u sujjir-at/. The three translations are rendered as follows:

Khatib (794):

"and when the wild beasts are mustered,
and when the seas simmer,"

Y. Ali (1606-07):

5. When the wild beasts
Are herded together
(In human habitations);

6. When the oceans
boil over with a swell;

Pickthall (793):

"5. And when the wild beasts are herded together,

6. And when the seas rise;"

Of course, the rendering of the passive forms into active, as in the above versions, leads to ungrammaticality. This is because the coordinator "and" when conjoining active with passive forms, would not fulfil the syntactic criterion of conjoining identical categories.

Arberry, on the other hand, is the only one who sticks to the passive form all through verses 1-13 of Sura 81:

Arberry (632):

When the sun shall be darkened,
when the stars shall be thrown down,
when the mountains shall be set moving,
when the pregnant camels shall be neglected,

In this respect, when translating conjoined passive structures, one should expect no problem since the passive structure in English is supposed to serve the same purpose which is realized in Arabic. This can be achieved through the use of the verb form /fuʕila/ for the masc., and /fuʕil-at/ for the fem., or through the verb form /?infaʕal-a/ for the mas. and /?infaʕal-at/ for the fem. In other words, there is only one possible structure in the TL that may be regarded as equivalent to the original structure.

By reviewing the four translations under study, we will find that in most cases Khatib, Y. Ali, Pickthall and Arberry resort to the use of the conjoined passive structural sentences whenever it exists in the original text, except for the following instances:

Sura 81, Verses 1-6:

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾
وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾

2. (a)

[?iða-š-šams-u Kuwwir-at wa ?iða-n-njūm-u-nkadar-at wa ?iða-l-jibāl-u-suyyir-at wa ?iða-l-ʕišār-u ʕuṭṭil-at wa ?iða-l-wuḥūš-u ḥušir-at wa ?iða-l-biḥār-u sujjir-at]

The passive form /?inkadar-at/ in verse 2, /wa ?iða -n-unjūm-u-nkadar-at/, is the only conjoined VP which is rendered into the active form by the three translators, Khatib, Y. Ali and Pickthall;

"When the sun is coiled up, and when the stars become grimy."

Y. Ali (1606):

1. When the sun
   (With its spacious light)
   Is folded up:
2. When the stars
   Fall, loosing their lustre;

Difficulties in Translating coordination in Qur'anic verses

Part IV

By Dr. Maha Y. El Tagouri

B- Change of the conjoined structure from Passive into Active :

Many Arab linguists such as Nahlah (1981), Al-Shalan (1983) and Yaqut (1990) state that the passive form is used in the Qur'an for several purposes: first, it is used in cases where the doer of the action is unknown, or at least, not mentioned in the text. Second, and contrary to the first purpose, it is used in cases where the doer of the action is well-known i.e. unnecessary to mention him in the text, as the following Qur'anic examples illustrate:

Sura 81, Verses 1-2:

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾

1. (a)

[?iða-š-šams-u Kuwwir-at wa ?iða-?-nujūm-u-nkadar-at]

"When the sun is coiled up, and when the stars become grimy."

Khatib (793)

Sura 82, Verses 1-2:

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾

(b)

[?iða-s-samā?-u-nfatar-at wa ?iða-l-Kawākib-u-ntaθar-at]

"When the heaven is cleft, and when the planets fall down in fragments,"

Khatib (795)

The third purpose for using the passive form is to emphasize the importance of the action rather than the doer of the action.

References

1- See clauses 286, 291, 299

2- See clauses 267, 91-100, and 107, 281, and see also Cairo Conference on Population on Development (1994) clause 7 article7, clause 1,2,3,4,6,8,43,45,and article 8 clause 20

3- See clause 85a, and b, 107 (r,t,l,m,) 181 g, 182b

4- See clauses 62, 63, 64, 180

5- See the Koran surat Al-Nisa, verse 1, surat Al-Rum verse 21, and surat Al-Najm verse 45

6- See clauses 27, 48, 95, 99, 133, 194h, and 232

7- See clauses 18, 31, 48, 133, 145, 182, 218, 230, 233, 295, 312.

the uprightness and steadfastness in conduct and behavior, with keenness in every commendable virtue, keeping away from every repugnant vice, in order to save the world from precipitating into the abyss to which all these obscenities and indecencies inward and outward can only end. They should stand solidly and in solidarity against the forces of chaos and destruction to which the promoters of the Beijing Plan of Action are targeting and that they should go head long to prevent them from achieving their sworn and dedicated goal as it happened to their confederates before.

Thereafter the Islamic Research Academy, most vehemently calls upon the states participating in the Beijing conference, just as it had called before upon the states which participated in the Cairo conference regarding the amendment of the draft of the Plan of Action prepared for the Fourth International Conference on Women due to be convened in Beijing in the month of Rabi Al-Akhir 1416 A.H. / September 1995 A.D., to couch its terms to precise and straightforward meaning, so as to avoid elasticity , even in its connotational meaning, to the fringe of what contradicts the tenets of Islamic law, which is respectfully shared by all other revealed religions and which have been well-established in the ethical values of the Muslim nations throughout the ages. Moreover the Islamic Research Academy in this respect pronounces its emphasis on its total refusal of anything fringing on the violation of Islamic law.

Therefore, Al-Azhar once more recommends that Islamic states in particular should register their own reservations on the trends and terms of the draft document, which is tantamount to contradicting the established tenets and traditions of Islam so as to avoid future implication.

Allah prevails in His purpose but most men know not.

The Grand Imam
Sheikh of Al-Azhar
JAD AL-HAQ ALI JAD AL-HAQ
Chairman of the Islamic Research Academy, Al-Azhar

The Islamic Research Academy of Al-Azhar, while performing its duty toward the Muslims of Egypt and the rest of the Muslim world is proclaiming its unswerving commitment to its statement on the draft Plan of Action of the International Conference for Population and Development. It also manifests its reservations and urges governments and nations to manifest their reservations on the Beijing Plan of Action which directly violates the Islamic Sharia, and the rest of the revealed religions and contradicts well-established social and cultural values, especially what refers to the structure and order of the family, as presented by these religions, and they paved the way for free and illegitimate sexual practices and legalizing abortion, contrary to the tenets of religion, with the exception that Islam permits abortion only when the life of the mother is at risk.

The Islamic Research Academy is once again giving the alarm of danger lurking in the Beijing Plan of Action, and its incompatibility with and violation of the tenets of Islam and all other revealed religions, because it aims at demolishing and eliminating religious, social, and ethical values which have saved people and states from collapsing into the abyss of vice and contaminating it with contagious venereal diseases that have gradually fermented and suddenly sprout up in this epoch. The Islamic Research academy strongly urges society to keep to the purport of Allah's creation of human kind, male and female, and to the belief that challenging the rules of Allah which He has sent down to regulate human relations, instigating people to destroy these values shall only give rise to corruption. So, the dissemination of indecencies or obscenities cannot bring forth intellectual, cultural, economic, social or hygienic development nor anything it likes, on the contrary, all these can only lead human society at large and Muslim nations in particular, into transgressing what Allah forbids in the Koran and the Prophet Mohammad (P.B.U.H.) prohibits in the Sunnah.

The Islamic Research Academy vehemently calls upon Islamic states and those nations who value and cherish pure and healthy life, and stand for honor and virtue to continue to adhere to

By this way, the promoters of the Plan of Action have exposed their shameful contradiction to the teachings of all revealed religions, including Islam, which does not permit any sort of sexual relations except inside legitimate wedlock, between a man and a woman, and that is because Islam forbids adultery, fornication, homosexuality and lesbianism, and all what may lead to it, such as immoral gathering between a man and a woman, establishing equity between male and female without confusion or mixing up their entities, or casting a slur on the nature of either of the two parties.

Anyone scrutinizing the Plan of Action will clearly see a more dreadful violation of the human rights of all nations, and unacceptable tutelage upon states, and this can be clearer still in what the promoters of the Plan of Action have strictly taken religion as an impediment in the way of achieving complete equality between men and women, or can stand as a stumbling block on the way of implementing any aspect of their repugnant aims and objectives, and they force countries to plan educational programs and urge youth to shoulder sexual responsibility, according to their own vision and to satisfy their own ends, forcing governments to cut down military expenditure, reallocating the funds spent on buying weapons to the implementation of their own objectives. They demand governments to forward compulsory periodical reports on the weapons which they possess, whether they are nuclear, chemical, or biological under threat of the rich and developed countries to cut the assistance offered by them converting it instead to the funding of implementation of their objectives. The Plan of Action urges the International Monetary Fund, the World Bank, and many other funding organizations to actively strive towards

achieving this goal; and granting non-governmental organizations including feminist activist movements and among them notorious feminists, the ability to exert powerful authority in supervising and reviewing whatever reservations governments may have against the Plan of Action prior to its cancellation whatever its source may be (7).

and the same equality in inheritance insisting upon changing the laws which present an impediment to that no matter its origin (4).

There is no doubt that what the promoters of the Plan of Action have digressed to is in complete contradiction with what Islam has laid down and endeavors to preserve and guard against in establishing the family as the source of stability and tranquillity, mutual affection and mercy, preparing it to be a fortified and fertile fortress for the upbringing and rearing of generations and posterity, upon the basis of faith in Allah and trust in His absolute sovereignty and wisdom, under the canopy of the tending two parents who are controlled by strict laws which cultivate and refine the human soul from crude instincts, and safeguard what is innate in them of natural tendencies and not of those born of ephemeral and transitory circumstances. Al-Azhar, therefore, takes precaution to see that women attain their eminent position and men shoulder the burden of the overall affairs of the family in keeping their responsibility toward the family and its needs (5).

Islam has never known what has come to be called woman's problem, which is a secretion of an alien civilization founded upon exploitation and discrimination which is completely incompatible with the teachings of Islam, that men and women were created from a single soul, ordaining equality of rights and duties between them.

With regard to sexual relations, the promoters of the Plan of Action did not find it enough to give liberty to free sex for teenagers, male and female, to indulge in, but they proclaim it loudly in obscene, degrading, abhorrent jargon, which implies that it is the right of women and adolescent girls to choose the type of person she wants to assume, whether as a female or male, or in any other shape, that teenagers have the right to indulge in sex with whom they want, whether man or woman, and that it devolves upon governments and governmental organizations to allow all such practices without let or hindrance, considering that prostitution presents no harm, nor is it illegal unless it is done by force (6)



The promoters of the Plan of Action have furthermore been bold enough as to reiterate their lost cause, but they have reached the bounds of an already immoral desire and ruthless persistence of playing with words and twisting the well-known meanings to serve their own dedicated goals. For example, their use of the term "gender" tens of times in adulterated meanings with intent to squash and abolish the difference between male and female by reducing the human being into a depraved creature, to be neither male nor female, under guise of innocence and good intention.

In their relentless and massive attempts to destroy the family structure, the promoters of the Plan of Action were not content to stop casting doubt and confusion on the belief that the family is the basic unit and norm of society, urging parents to close their eyes at the perverse sexual practices of teenagers out of wedlock, considering these practices as individual and private matters, that neither of the parents has the right to interfere(2). They have the blazing audacity to declare that the concept of family in the sense stipulated by religion is nothing other than a lame concept according to them, because it does not accept or sanction free and unrestricted sexual relations between people of different age groups, lays condition that it should only be between male and female within the framework of Islamic Sharia, does not give these horrible libertines the right to set up families within their own circles. Al-Azhar completely adheres to the traditional forms of fatherhood, motherhood, and matrimony, while the Plan of Action considers these as a mere set of rules to which people are accustomed all through the ages, so they demand that their practice should be abolished to institute a society free of moral restriction and family ties (3).

Indeed, the promoters of the Plan of Action went even further than this in pursuit of their whims asking for radical changes in male and female relations by sharing out equally the functions between them, including the right of men to maternity leave , like women,

IN THE NAME OF ALLAH THE BENEFICENT,
THE MERCIFUL

Statement of the Islamic Research Academy Al-Azhar Al-Sharif

Pertaining to the Fourth International Conference on the Status of Women to be held in Beijing in Rabi 'Al-Akhera 1416 A.H/September 1995 A.D.

The United Nations Organization will hold its Fourth International Conference on the Status of Women in September of the current year in Beijing, China, aiming to ratify the previously prepared Draft Plan of Action for all governments to abide by (1). All room for disputable terms has been severely narrowed down, based on the assumption that the points of agreement have already been addressed and resolved in the Preparatory Committees, the last of which was held from 15th Shawwal to 14th Dhul-Qaada, 1415 A.H. or 15th March to 14th April A.D.

The Beijing Conference is only one stage in a connected series aiming at innovating new ways of life. Contravening religious values and destroying well-established customs and traditions without considering that these values restrictions and traditions have protected many nations from collapsing into the dungeon of sexual promiscuity, the disorders of psychological troubles or slipping into the quagmire of moral decay and disintegration.

The underlying aims of the promoters of the Plan of Action seems to be the achievement of what was not reached at the International Conference for Population and Development, held in Cairo from 28th Rabi Al-Awal to 7th Rabi Al-Akhir 1415 / the 5th-13th September, 1994 A.D. For this reason, they insist upon winning the case in which the international community failed them; a case which partly involved the concept and structure of the family, the upbringing of children, sexual relations, and abortion.

AL-AZHAR MAGAZINF

Rabiu-l-Akhar 1416H.



ENGLISH SECTION

Vol. 86 Part IV.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al Aʿraf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary ,
Al Azhar Magazine .

فهرس العدد



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

أسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل حامى خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير - ادارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٥٤٧٣ - ٩٩ ٢٦٣٨٥ - ٥٩٠

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

عالم الغيب

أبرز معالم الإيمان الإيمانُ بـ « عالم الغيب » ؛ بل لا إيمان بدونه ، هو - وحده - مَكْمَنُ الإيمان ، فأما « عالَمُ الشهادة » فالإيمان به طبيعيٌّ مستقر في النفوس ، فإذا أنكره مُنكر كان هُزْءَة الخلق أجمعين ، إذ « عالم الشهادة » هو هذا العالم الذى يشاهده الخلق ويعرفونه ، فهو الموجود أمامهم ، المحسوس لأبصارهم وأسماعهم ، الملموس بكافة أدواتهم ، المعلوم لهم بكل ما أوتوا من حواس ، وما توصلوا إليه من أدوات

ولأن « عالم الغيب » رأسُ الإيمان ؛ صدره المولى - عز وجل - ليكون أوّل معالم إيمان المتقين ، فقال - تعالى :

﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾

سورة البقرة - الآيات ١ - ٣

ذاك « عالَمُ الغيب » من حيث قيمتهُ في الإيمان.

جمادى الأولى ١٤١٦ هـ - أكتوبر ١٩٩٥ - الجزء الخامس - السنة الثامنة والستون

فأما هو ـ في ذاته ـ فإنه العالم غير المنظور الذي لا تناله أبصارُنا ، ولا تصل إليه حواسُّنا ، ولا يحيط به إلا ربُّنا ـ عز وجل ـ ... الذي يعلم كُلَّ شيء فيه عِلْمَ إحاطة على ما هو عليه دون خفاء . وذلك ما لا يكون لِمَلَكٍ مُقرَّب ، ولا لِنبي مرسل إلا أن يشاء الله ـ تعالى ـ أن يُطْلِعَهُ على شيء من غَيْبِهِ ليكون معجزة له ، يقول ربُّنا ـ عز وجل ـ :

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾

سورة الجن ـ الآيتان : ٢٦ ـ ٢٧

فسبحانه ـ وتعالى وحده ـ عالِمُ الغيب والشهادة

والناس أفواف : منهم المؤمن بعالم الغيب وعالم الشهادة ، ومنهم المؤمن بعالم الشهادة وَحْده وذلك إيمان الحسِّ الذي لا غناء فيه ولا نجاة ؛ فأما الإيمان بالغيب والشهادة فهو إيمان القلب ، وضلَّ عِلْماً من رَكَنَ إلى الإيمان بعالم الشهادة ـ وحدهُ ـ مُستصحِباً الجهل بحقائق الوجود ؛ فها هو فريق من العلماء يستخدم « الطاقة » ويوجهها كما يريد ، وهي « شيء » غير ملموس ، وفوق كل ذي عِلْمٍ عليم .

وَمَا أَوْسَعَ عَالَمَ الغَيْبِ :

● إنه يبدأ من أنفسنا هذه التي نتحرك بها ، ونأكل ونشرب ونلبس ونسعى بأطرافها ، ومع ذلك فإننا ما أحطنا عِلْمًا بكل شيء فيها :

إن أبسط الأمور تَعْدَادُنا نحن البشر ، ضلَّ من ادعى أنه على علم به إلا الله ـ وحده ـ

﴿ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ۝٩٥ ﴾

سورة مريم ـ الآيتان : ٩٤ ـ ٩٥

سبحانه عليم بِهِمْ من كان منهم على حياة ، ومن مضى ، ومن هو آت . وكم من غَيْبٍ لم تدركه في أنفسنا : وحسبك ما تحمله الأرحام ليل نهار ، وما تحمله أجسادنا من أسباب الفناء .

● حسبك من تاريخ مضى بما يحمل من أنباء الأوَّلين والمعاصرين ، وتاريخ فيما سوف يكون .. كُلُّ غَيْبٌ لا يعلمه على حقيقته إلا الله ـ وحده ـ ، فإنه القائل :

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ ﴾ سورة الأعراف ـ الآية : ٧

إنه ـ سبحانه وتعالى ـ موجود دائماً أبداً ، فقصُّ ـ سبحانه ـ علينا ، وقَصَصُهُ الحقُّ « أحسن القصص » لا ما قصه البشر ، وحدثوا به من تاريخ ، قد يصدق وقد يكذب ؛ فإن « معظم التاريخ ظَنٌّ وبَقِيَّتُهُ بِنْ إملاء الهوى »[1] فخير ما علمنا من تاريخ هو ما قصه المولى ـ عز

(١) ول ديورانت : مقدمة قصة الحضارة .

وجل ـ علينا ، وما أتانا ـ صحيحا ـ عن خِيرَة خَلْقِهِ سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذى حدثنا عن وَحْى ، وترك ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنا العلماءَ الثقاتِ يخشون الله ، ولا يتحدثون إلا بما يتقون .

● ثم نحن نؤمن بالله ـ عز وجل ـ ولم نَرَهُ ، ونؤمن بما أنزل من كتبه السماوية السابقة ، ونؤمن بملائكته وباليوم الآخر : بَعْثًا وَحَشْرًا وحساباً وجزاء وجنةً وناراً ، وكل ذلك غَيْبٌ لم نشهده ..!
وهل رأينا ذات الله ـ جل علاه ـ ؟ ... سبحانه

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾

سورة الأنعام ـ الآية : ١٠٣

وقل فى هذا العالَم كله ما قلتَ فى إيمانى وإيمانك بالله العظيم .

عالم عريض ... ذلك هو عالم الغيب :

إنه فى دنيانا ، من حولنا ... متداخل فى « عالم الطبيعة » المشهود كما حدثنا .

إنه ليس عَالَم الآخرة فقط ، فما عَالَمُ الآخرة إلا جزءٌ منه .

وحذار أن تساويه بالمصطلح العلمى المعروف : « ما وراء الطبيعة » أو رديفه : « ما بعد الطبيعة »[٢] أو مصطلحهما الآخر : « الميتافيزيقا » .

صحيح أن هذا المصطلح يتضمن غيباً ، لكنه ليس كل شىء ، ولا يغرنا سعة المعنى الذى تحمله عباراته . إنه ـ باختصار شديد ـ « عَالَم لبعض ما فى الذهن الإنسانى » . وقد عرفه « المعجم العربى الأساسى » للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم « الأليسكو » فقال :

« ميتا فيزيقا » : فرع من الفلسفة يبحث فى (الموجود) الذى خرج من عالم (الواقع) إلى (عالم المعقول) . أهـ ، وقد انكب على دراستها أحد الفلاسفة ـ فى العصر الحديث ـ واسترسل فى شأنها حتى يمكن أن نعتبره أستاذ « الميتافيزيقا » الفذ : وأبوها الذى لم نعلم له ـ بعد ـ نظيراً ، فقال :

« إن الميتافيزيقا تتناول غير تصورات الطبيعة التى تنطبق فى كل وقت على التجربة ، تصورات العقل المجردة التى لا يمكن أبداً أن تعطى لنا فى أية تجربة ممكنة ، أى هى تتناول (التصورات) التى

---

(٢) تحُلّ فى مقابل لفظ « الطبيعة » المقصود به العالم المشهود .

(٣) إمانويل كنت : مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصير علما ـ ترجمة د . / نازلى إسماعيل حسين . نشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر . القاهرة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م ص ١٤٧

لا تكشف أية تجربة عن حقيقتها الموضوعية ... كما أنها تتناول الأحكام التى لا تؤكد التجربة صدقها أو كذبها »[٣] واعتمل « الخيال » كجزء رابط فيما بين تصوراتها .

وفى عصر الفلسفة القديم جاء هذا التعريف للميتافيزيقا :

« علم ما بعد الطبيعة هو : العلم الباحث فى (الموجود) ... زاد شرحا فقال :

« علم ما بعد الطبيعة يدرس الموجود بما هو موجود ، وصفات الوجود الجوهرية »[٤] ولنفحص ما تقدم من كلمات فى الميتافيزيقا لنجد أنها تدور حول « الموجود » أو « تصورات العقل المجردة غير الناتجة عن تجربة » ، أى : التصورات الذاتية للعقل ، أو « الأحكام » التى لا شأن للتجربة بها ، فإذا تجاوزنا الموجود لا نجد التصورات العقلية المجردة ، ومثلها الأحكام التى لا تؤكدها التجربة ، لا نجد هذه أو تلك تنير لنا من آفاق الغيب ما حدثنا عنه الكتاب العزيز .

ولأن « الميتافيزيقا » لا تجعل « الوحى الإلهى » مصدراً يمدها بالمعرفة فإنها تفقد الطريق إلى رؤية صحيحة لعالم الغيب وترابط عوالمه من جانب ، وتفاعلها الحى من جانب آخر . وبالتالى كانت مقصورة على ما قدمت فى الموجود وما ارتبط به من تصورات وأحكام .

ثم بعد ، ولسعة عالم الغيب يحدثنا المولى ـ عز وجل ـ أن منه وفيه خلقًا مستمرا يعتبر جانباً من عالم لم ندركه . قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة النحل ـ الآية : ٨

أليس ـ سبحانه ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ سورة الرحمن ـ الآية : ٢٩

ولقد ينتهى الفيلسوف بالإقرار بالخالق « واجب الوجود »[٤] سبحانه ، ثم يقف لا يمدنا بشىء عن إرادته ، ولا عن واجبنا نحوه ـ تعالى ـ بينما يمدنا القرآن الكريم بالكثير من أسمائه ـ سبحانه ـ وصفاته وقدرته وإرادته وخلقه ، وما يُطْلَبُ من خلقه ... إلخ

إن البَوْن بعيد بين (عالم الغيب) و (ما وراء الطبيعة) .

وسبحان الله ... بكل شىء محيط ،

د . على أحمد الخطيب

(٤) د . / عبد الرحمن بدوى ـ ما بعد الطبيعة لأرسطوطاليس ص ٢٩ إلى آخره . الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ سلسلة تراث الإنسانية .



مع الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

فتوى للإمام الأكبر

بيان

بعض أحكام الخنثى

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ وبعد فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من السيد / ب. ع. وفيما يلى نصه :

فضيلة الشيخ العلامة شيخ الأزهر الشريف .

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شاء الله أن يسكن (تسكن) بجوارى سيدة من النوع الثالث (كان ذكرا ثم أجريت له عمليةتحويل إلى أنثى) وبحكم عملى ودراستى وجدت عدم توافر أى من الصفات الأنثوية فيه (أوفيها) من بروز الثديين ، وتراكم الدهون ، ودرجة نعومة الصوت ، ومعدل نمو شعر الرأس ، بالإضافة إلى التصرف غير السوى مما يوحى باضطراب نفسى محقق ، المهم أرجو الاجابة على التالى :-

١ - إذا مات (ماتت) هل تصلى الجنازة بضمير التذكير أو التأنيث ؟

٢ - حكم الورث هل تعامل معاملة الخنثى المشكل ، وماهى أدلة القياس أم كيف تعامل ؟

٣ - هل ينطبق عليها الحديث (لعن الله من الرجال المتشبهين بالنساء) . بمعنى هل يحاسبها الله (والله أعلم) من حيث التكاليف كذكر أم كأنثى ؟

٤ - أرجو من سيادتكم توجيه النصح والإرشاد لمن تسول له نفسه مثل ذلك، بأن يحبر بهذه الحالة التى هى مسخ جسدى وشظايا نفس مدمرة ....

٥ - أرجو من سيادتكم التفضل بالإجابة بالطريقة التى تروبها لكى يطلع عليها المسلمون .

وتفضلوا سيادتكم بقبول وافر الاحترام ،،،

والجواب

إن التداوى فى الإسلام جائز شرعا ، فعن أسامة بن شريك قال : (جاء أعرابى فقال يارسول الله ﷺ أنتداوى ؟ قال : نعم فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله)[1] .

وروى أيضا (قالت الأعراب يا رسول الله : ألا نتداوى؟ قال: نعم عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو دواء إلا داء واحد فقالوا: يا رسول الله : وما هو ؟ قال الهرم)[2] .

ومن وسائل التداوى الجراحة ، فقد روى عن جابر قال (بعث رسول الله ﷺ - إلى أبى بن

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) رواه ابن ماجة وأبو داود والترمذى وصححه (منتقى الأخبار وشرحه نيل الأوطار للشوكانى ج ٨ ص ٢٠٠) .

كعب طبيبا فقطع منه عرقا ثم كواه)[3] .

وورد فى حديث عرفجة الذى قطع أنفه يوم الكلاب قال: (أصيب أنفى يوم الكلاب فى الجاهلية فاتخذت أنفا من ورق (فضة) فأنتن على فأمرنى رسول الله ـ ﷺ ـ أن اتخذ أنفا من ذهب) ـ قال ابن العربى فى شرحه لهذا الخبر إنه استثناء من تحريم الذهب، بإجازة الانتفاع به عند الحاجة على طريق التداوى .

وتخريجا على هذه الأحاديث الشريفة وغيرها ـ الواردة فى التداوى ـ والجراحة ـ أجاز العلماء إجراء جراحة يتحول بها الرجل إلى امرأة، أو المرأة إلى رجل، متى انتهى رأى الطبيب الثقة إلى وجود الدواعى الخلقية فى ذات الجسد بعلامات الأنوثة المطمورة أو علامات الذكورة المغمورة، باعتبار هذه الجراحة مظهرة لتلك الأعضاء المطمورة أو المغمورة تداويا من علة جسدية، لاتزول إلا بهذه الجراحة كما جاء فى حديث قطع عرق من أبى بن كعب وكية بالنار[4] ـ حسبما تقدم ..

وجواز إجراء الجراحة بتحويل الرجل إلى امرأة أو العكس مقيد بابراز ما استتر من أعضاء الذكورة أو الأنوثة متى نصح بذلك الطبيب الثقة، وبذلك يكون إجراء الجراحة واجبا باعتباره علاجا، ولا تجوز هذه الجراحة لمجرد الرغبة فى تغير خلقة إنسان ما ـ من رجل إلى امرأة أو من امرأة إلى رجل ـ دون وجود دواع جسدية صريحة غالبة تستدعى إحداث هذا التغيير، بإجراء الجراحة إبرازاً لتلك الأعضاء المطمورة أو المغمورة، فإذا لم تتوافر تلك الدواعى، فإن إجراء جراحة التحويل تدخل فى نطاق الحديث الشريف عن أنس قال: (لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء، وقال أخرجوهم من بيوتكم فأخرج النبى ﷺ فلانا وأخرج عمر فلانا)[5] .

وقد روى عن عروة بن الزبير، أن زينب بنت أبى سلمة أخبرته أن أم سلمة أخبرتها أن النبى ـ ﷺ كان عندها وفى البيت مخنث فقال المخنث لأخى أم سلمة عبدالله بن أبى أمية: إن فتح الله عليكم الطائف غداً أدلك على ابنة غيلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال النبى ﷺ لايدخلن هذا عليكم[6] فقد نهى النبى ﷺ عن دخول هذا المخنث فى بيته لما علم عنه من نظره للنساء ووصفهن للرجال ..

تعريف المخنث :

والمخنث هو: المؤنث من الرجال وإن لم تعرف منه الفاحشة، قال بذلك ابن حبيب، وقيل: من يشبه خلقة النساء فى حركاته وكلامه .

والمتخنث إن كان خلقيا لا دخل للرجل فيه بأن يوجد التثنى فى مشيه والتكسر فى كلامه، فإنه لا يلام عليه ولايذم، لكن عليه أن يتكلف إزالة أثر التخنث بترك التثنى والتكسر وذلك بالمعالجة والتدرج إلى أن يتم التخلص منه، فإن لم يفعل وتمادى فى تخنثه كان ملوما ومذموما، ولاسيما إن ظهر منه مايدل على رضاه بالتخنث فإن لم يستطع ترك التخنث بآثاره وحاول ولم يقدر، فإنه لايتوجه إليه اللوم متى كان خلقياً وعجز عن تركه، وإن كان

---

(٣) رواه أحمد ومسلم ـ منتقى الأخبار وشرحه نيل الأوطار للشوكانى .

(٤) المجلد العاشر من الفتاوى الإسلامية ص ٣٥٠١ ومابعدها .

(٥) رواه أحمد والبخارى ـ كتاب منتقى الأخبار وشرحه نيل الأوطار للشوكانى ج ٦ ص ١٩٢ .

(٦) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ٩ ص ٣٣٣ باب مانهى من دخول المتشبهين بالنساء على المرأة .

التخنث متكلفا وصاحبه ممن يتعمد ذلك فإنه يتوجه إليه الحديث الشريف الذى ذكره الحافظ بن حجر : (اشتد غضب الله على قوم رغبوا عن خلق الله وتشبهوا بالنساء) :

وما ذكره أيضا وأخرجه أبو داود من حديث أبى هريرة أن النبى ـ ﷺ أتى بمخنث قد خضب يديه ورجليه ، فقيل يارسول الله ﷺ : إن هذا يتشبه بالنساء فنفاه إلى النقيع فقيل : ألا نقتله ؟ فقال : إنى نهيت عن قتل المصلين)[٧] .

وقد جاء فى فقه المذهب الحنفى (الخنثى : إذا كان له آلة كل من الرجل والمرأة فإن بال من أحدهما اعتبر به ، فإن بال من الذكر فهو غلام ، وإن بال من الفرج فهو أنثى ، وإن بال منهما فالأسبق ، ولا معتبر بالكثرة ، فإذا بلغ فظهرت له أمارات الرجال فهو رجل ، وإن ظهرت له أمارات النساء فهو امرأة ، فإن لم تظهر الأمارتان أو تعارضتا فهو خنثى مشكل .

وإذا حكم بكونه خنثى مشكلا يؤخذ فيه بالأحوط ، والأوثق من أمور الدين فيقف بين صفى الرجال والنساء فى الصلاة ، وإن صلى فى صف النساء أعاد ، ولو صلى فى صف الرجال يعيد من صلى بجواره عن يمنه وعن يساره ومن خلفه بحذائه ، ويصلى بقناع ، ولا يلبس الحلى والحرير ولا يخلو به غير محرم رجل ولا امرأة ، ولا يسافر بغير محرم ، وإذا كان صغيرا لا يشتهى جاز ختانه للرجل والمرأة وإذا مات ولم يستبن حالة ، يمّمَ ثم يكفن ، ويدفن كالجارية[٨] .

هذا ولا يشترط فى صلاة الجنازة تعيين الميت المصلى عليه بل يكفى نيـــة من حضر من الأموات ..

وإذا كان ما تقدم وتخريجا عليه :

وكان الشخص المسئول عنه فى هذه الواقعة غير واضح حاله ، إذا لم يرد بالسؤال ما إذا كان يوجد له عضو تذكير وتأنيث ، وعند بلوغه هل .. ظهرت عليه علامات الذكورة فيكون رجلا ، أو ظهرت عليه علامات الأنوثة فيكون أنثى ، أو ظهرت علامات الذكور والأنوثة جمعاً فيكون هو الخنثى المشكل المبينة أحكامه فيما سبق .

والظاهر من إجراء الجراحة وتحويل المسئول عنه إلى أنثى أن عضو التأنيث فيه كان مطمورا ، وبإجراء الجراحة ، وعملية التحويل ظهر العضو المطمور ويكون ذلك علاجا مشروعا متى انتهى رأى الطبيب الثقة إلى وجود الدواعى الخلقية لديه .

فإذا أستقر ذلك صار المسئول عنه أنثى تعامل معاملتها فى الحياة وبعد الممات .

أما إذا كان إجراء الجراحة قد تم لمجرد الرغبة فى تحويل الذكر إلى أنثى وتغير نوع هذا الإنسان من رجل إلى امرأة دون وجود دواع خلقية فإنه يترتب على ذلك حدوث تغير خلق الله ـ وهو محظور ومؤثم ـ يأثم به الطبيب ويصبح غير ثقة كما يترتب عليه أيضا دخول الرجل المحول إلى امرأة إلى حظيرة المخنث ـ وهو المؤنث من الرجال وإن لم يفعل الفاحشة ـ وإثمه واضح ، وعقابة بيّــن فى الأحاديث الصحيحة المنوة بها فيما سبق ، وينطق عليه حديث «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء» ، وقال : «أخرجوهم من بيوتكم» ، فأخرج النبى صلى الله عليه وسلم فلانا وأخرج عمر فلانا[٩] .

(٧) المصدر السابق .

(٨) الاختيار لتعليل المختار ص٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

(٩) رواه أحمد والبخارى ـ كتاب منتقى الأخبار وشرحه نيل الأوطار للشوكانى جـ ٦ ص ١٩٢ .

ويتضح مما سلف :

أن اسم الخنثى فى اللغة هو الذى لا يخلص لذكر أو لأنثى ، أو الذى له ما للرجال وما للنساء جميعا من خواص عضوية .

وهو مأخوذ من الخنث ، وهو اللين والتكسر يقال خنثت الشيء فتخنث بمعنى عطفته فتعطف والاسم الخنث[10] .

وفى الاصطلاح : من ولد من بنى الإنسان وله أعضاء التناسل للذكر وللأنثى ، أو من ولد وليس له شيء من ذلك كله أصلا وله ثقب يخرج منه البول[11] .

وإن حكم هذا الخنثى المشكل الذى لم تخلص له علامات الذكورة أو ـ علامات الأنوثة إذا مات تصلى عليه صلاة الجنازة بنية من حضر من الأموات دون التزام بتحديد نوعه : (ذكر أو أنثى) بل بعموم الإنسان الحاضر بين يدى المصلين عليه عند وفاته .

ميراث الخنثى :

أما عن إرث الخنثى ممن توفى من أقاربه ـ متى تحقق به سبب من أسباب الإرث شرعا ـ فإن الخنثى الذى وضحت ذكورته أو أنوثته ، ـ فلا إشكال فى إنه يستحق ما تقرر له إرثا حسب نوعه ذكرا أو أنثى .

إما اذا تعارض العلامات الذكورية والأنثوية ولم يمكن الترجيح ، أو أنه لا توجد علامات جسدية فعلا ، فهذا هو الخنثى المشكل لا يعرف أذكر هو أم أنثى ويعامل فى الميراث ، بأقل نصيب مستحق له بيقين والآخر مشكوك فى استحقاقه فلا تنتقص حقوق سائر الورثة بالشك :

وعلى هذا إذا وجد بين الورثة خنثى مشكل ـ بالمعنى السابق ـ .. يفرض حلان للمسألة ، حل يفرض الخنثى ذكرا وتعرفه سهامه من التركة وحل يفرض الخنثى أنثى وتعرف سهامها ، ويكون أقل النصيبين من التركة لهذا الخنثى المشكل ، والباقى يقسم على سائر الورثة حسب الأنصبة الشرعية للميراث .

وهو قول عامة الصحابة وإليه ذهب الحنفية وعلية الفتوى ، وبه أخذ قانون المواريث رقم ٧٧ لسنة ١٩٤٦ فى المادة ٤٦ منه .

فلومات إنسان عن عن ولدين أحدهما خنثى مشكل اعتبرت بنتا ، وأعطيت : الثلث ، وللإبن الآخر : الثلثان ، كما لومات عن ابن وبنت .

ولومات عن بنتين وولد ابن خنثى مشكل اعتبرت الخنثى بنتا وحجبت عن الإرث بالبنتين ، ولهما التركة فرضا وردا مناصفة بينهما .

هذا :

وتنصح الإنسان الذى تعرض له هذه الحال ، أى : الأشتباه فى أنه ذكر أو أنثى التريث فى استظهار واقع حالة بكافة الطرق الممكنة والميسرة ـ علميا وطبيا ، والشواهد الجسدية والنفسية حتى لا يؤول حاله بالجراحة إلى بشرى منبوذ من المجتمع ، والصبر على خلق الله أولى من هذا الحال الموصوف بالسؤال .

وهذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال ..

والله سبحانة وتعالى أعلم ..

شيخ لأزهر الشريف

(جاد الحق على جاد حق

---

(١٠) لسان العرب مادة (خنث) .

(١١) ابن عابدين جـ ٥ ص ٤٦٤ ونهاية المحتاج جـ ٦ ص ٣١ والمغنى لابن قدامه جـ ٦ ص ٢٥٣ ، ٦٧٧ وحاشية الدسوقى على الشرح الكبير جـ ٤ ص ٤٨٩

سورة يس

د.ا/ ابراهيم خميس

يقول الله تعالى ﴿ يس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝ ﴾

فى المقال السابق عرفت بسورة « يس » وذكرت أقوال العلماء فى المراد من كلمة « يس » وفى هذا أتكلم عن تفسير هذه الآيات .

بدأت الآيات بالقسم الذى يشتمل أسلوبه على أداة قسم ، ومقسم به ، ومقسم عليه ، أو جواب القسم ، ولله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يقسم بما شاء من مخلوقاته ، وقد كثر فى القرآن الكريم الإقسام بمخلوقاته . فأقسم بالشمس ، والقمر ، والضحى ، والنجم ، والليل ، والطور ، والكتاب المسطور . وهو يقسم بهذه المخلوقات تنبيها لخلقه على ما فى المقسم به من كثرة المنافع والفوائد . واستدلالا على قدرته على إيجاد هذه المخلوقات المقسم بها .

أما العباد فليس لهم أن يقسموا إلا بالله أو بصفة من صفاته ، لأن القسم يكون للتعظيم والتعظيم لا يكون إلا بالله ، قال ﷺ فيما رواه البخارى : من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت .. وروى البخارى أيضا أن رسول الله ﷺ قال : من حلف بغير الله فقد أشرك .. وقد جاء الإقسام بالقرآن فى هذه السورة وفى غيرها ، وإن اختلفت الصفات .

قال ـ تعالى :

﴿ حم ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ ﴾ سورة الزخرف

وقال تعالى :

﴿ حم ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ ﴾ سورة الدخان

الكلام عن المقسم به .

أقسم الله ـ سبحانه ـ فى هذه السورة بالقرآن الحكيم . وتخصيص القرآن بالإقسام به أولا ، وبوصفه بالحكيم ثانيا ، تنويه بشأنه على أكمل وجه ، ولتأكيد الخبر « إنك لمن المرسلين » ويقتضينا الكلام عن المقسم به أن تذكر المعنى الأصلى للقرآن ثم المراد منه ، القرآن فى الأصل مصدر قرأ يقال : قرأ يقرأ قراءة وقرآنا .

والمعنى المراد منه : أنه الكلام المنزل على سيدنا محمد ﷺ الموجود بين دفتى المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس المتعبد بتلاوته ، المتحدى بأقصر سورة منه ، المنظم لشئون الدين والدنيا معا .

خرج بقوله : المنزل على سيدنا محمد « ما نزل

على موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين ، وخرج بقوله : ـ المتعبد بتلاوته ؛ ما أوحى إلى النبى من الحديث القدسى والنبوى منهما ؛ وإن كانا منزلين عليه ؛ إلا أنهما لا يتعبد بتلاوتهما ، ومن المعلوم أن الذى أوحى إلى النبى قسمان : متلو ، وغير متلو . فالمتلو هو القرآن على معنى أن تلاوته عبادة فى الصلاة وخارج الصلاة ، وغير المتلو بهذا المعنى هو الحديث النبوى والحديث القدسى .

وكل ما ينطق به النبى ﷺ وحى قال ـ تعالى :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾

سورة النجم

وخرج بقوله المتحدى بأقصر سورة منه : الحديث القدسى فإنه يشترك مع القرآن فى أن لفظه ومعناه من عند الله .

ويفرق بينهما : ١ ـ أن القرآن جاء للإعجاز والتحدى والحديث القدسى ليس كذلك .

٢ ـ القرآن يحرم حمله ومسه على المحدث حدثا أصغر أو أكبر ؛ وليس كذلك الحديث القدسى .

٣ ـ تلاوة القرآن فى الصلاة واجب أو مندوب والحديث القدسى ليس كذلك

ويمتاز القرآن الكريم على سائر الكتب بأمور هى :ـ

١ ـ أن سند القرآن متصل تمام الاتصال بالنبى ﷺ والإخبار به متواتر ، أما غير من الكتب المنزلة فقد نقلت إلينا بعد موت من أنزلت عليهم بقرون عدة .

٢ ـ القرآن الكريم جاء رسالة ومعجزة ، قال ﷺ : ما من نبى من الأنبياء إلا وقد أوتى من المعجزات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىّ وأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة . رواه البخارى .

٣ ـ القرآن الكريم تكفل الله بحفظه وبقائه ، ولم يكل ذلك إلى خلقه . أما غيره من الكتب المنزله فقد وكل حفظه إلى الأنبياء وأتباعهم .

قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾

الحجر ٩

فجاء الكلام مؤكدا بإن وضمير الفصل ولام التأكيد .

أما فى شأن الكتب الأخرى فقد قال سبحانه :

﴿ .. وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ .. ﴾

المائدة ـ ٤٤

ولم يبق من معجزات الأنبياء جميعا إلا القرآن الكريم .. ولست بهذا أنكر على سيدنا محمد ﷺ معجزاته المادية ؛ فهى ثابتة وواضحة ؛ إنما أقول : إن أهم معجزاته ﷺ وأعظمها هو : القرآن الكريم باعتباره معجزة عقلية باقية ودائمة .

وقد وصف القرآن بأنه حكيم ، وهذا الوصف لا يكون إلا للعقلاء . وإنما وصف به القرآن الكريم ليخلع عليه صفة الحياة والقصد والإرادة . وهو من قبيل المجاز ، فمعنى (القرآن الحكيم)أنه ذو حكمة ، أو لأنه دليل ناطق بالحكمة ، أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به .

ومهما يكن من شىء فإن وصفه بالحكمة يوحى بأن للقرآن روحا وقد وصفه الله تعالى بذلك قال ـ تعالى :

«وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا»

الشورى ٥٢

وقال تعالى :

«رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ»

غافر ١٥

وقال تعالى :

«يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ»

النحل ٢

وسمى منزله من الملائكة ـ وهو جبريل ـ روحا

قال تعالى : «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ»

الشعراء ١٩٣ ـ ١٩٤

ومن مقتضيات وصف القرآن بالحكمة التى هى من صفات الأحياء اشتمال القرآن حياة يبثها ويدفعها وينميها فى القلوب ، وفى الواقع العملى المشهود ، فإذا فتحت قلبك للقرآن وصفيت له روحك اطلعت منه على دخائل وأسرار لم تكن تصل إليها وتعرفها لولا مصاحبتك لهذا القرآن .

ولشدة حب الرسول ﷺ للقرآن وتعلقه به ، كان يحب أن يسمع تلاوته من غيره وكان يقف على الأبواب ينصت إذا سمع من داخلها من يرتل هذا القرآن .

ومن مقتضيات وصف القرآن بالحكمة أيضا مخاطبته كل أحد بما هو فى طوقه . وبالحكمة التى تصلحه وتوجهه . وهو مع كل هذا يرى بحكمة ويقرر للحياة نظاما يسمح بكل نشاط بشرى فى حدود منهجه الحكيم .

والكلام على جواب القسم ـ «**إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم**» فى هذا رد على إنكار الكفار رسالة النبى محمد ﷺ فقد قالوا : لست مرسلا ـ وقد صرح القرآن بهذا الإنكار فى كثير من آياته . منها قوله ـ تعالى :

«وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ»

الرعد ٤٣

وكانوا يتمنون أن ينزل القرآن على رجل عظيم من أغنيائهم ، قال ـ تعالى : «وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾»

الزخرف ٣١

.. وذكرت بعض آيات القرآن أنهم كانوا على جانب عظيم من الإنكار ، قال ـ تعالى : «فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ»

فاطر ٤٣

ولشدة إنكار هؤلاء الكفرة رسالة سيدنا محمد ﷺ جاء جواب القسم فى هذه الآية مؤكدا بأكثر من مؤكد .

والمقصود من هذه الآية «**إنك لمن المرسلين**» ـ تسلية النبى ﷺ وتأنيه والاهتمام بأمر رسالته ، وفيها كذلك التعريض بالمشركين الذين كذبوا بالرسالة والرسول ﷺ مع وضوح الأدلة وظهور الآيات وسطوع البراهين .

وقوله ـ تعالى :

«**على صراط مستقيم**»

والغرض منه : بيان طبيعة الرسالة بعد بيان طبيعة الرسول . وإفادة تعظيم شريعته بعد إثبات

رسالته وبيان أنه ﷺ مرسل إليه كسائر الأنبياء الذين سبقوه والمراد من الصراط المستقيم : الهدى الموصل إلى الفوز في الآخرة . وهو كذلك الدين الذي بعث به ، والذي يشمل الخلق ، الذي لقنه الله إياه ، ويشمل التشريعات العملية والشعائر التعبدية :

ووَصْفُ الصراط بالاستقامة يوحي بأن رسالته قائمة كحد السيف لا عوج فيها ولا انحراف ، الحق فيها واضح لا يميل مع الهوى ولا يتبع مصلحة . ولهذا فهي رسالة بسيطة لا تعقيد فيها ولا غموض ، تصدع بالحق في أبسط صورة ، يمكن أن يعيش بها ومعها : البادى والحاضر والأمى والعالم ، ويجد فيها كل حاجته . وصدق الله العظيم حيث يقول :

« وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ »

النحل ٨٩

وقال ـ تعالى :

« وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ »

الحج ٧٨

وقال :

« مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ »

المائدة ٦

وتنكير صراط للتضخيم والتعظيم .

والتعبير بـ « على » في « **على صراط مستقيم** » يوحي بتمكن الرسول ﷺ من المنهج ، وتمكن المؤمنين الصادقين منه كذلك .

وفي قوله : ـ **على صراط مستقيم** ـ دليل على فساد قول القائلين بأن المكلف إذا صار (واصلا) لم يبق عليه تكليف ، فإن المرسلين لم يستغنوا عن رعاية الشريعة ، فكيف غيرهم ؟!

« تنزيل العزيز الرحيم » :

متعلق بالقرآن الحكيم على أنه صفة له وقد قرىء (تنزيل) بالنصب على أنه مفعول مطلق لفعل محذوف ، أى : نزل تنزيل ، أو على أنه مفعول به لفعل محذوف أى اقرأ تنزيل ، وقرىء بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره ، هو تنزيل ، والتنزيل على هذا الوجه المنزل .

والغرض من ذكر هذا الوصف للقرآن هو إظهار فخامته الإضافية باعتبار منزِّلة : « العزيز الرحيم » . وقد بين فخامته الذاتية في قوله : « **القرآن الحكيم** » . وكلمتا : « **العزيز الرحيم** » توحيان بالغلبة الكاملة والرحمة الفاضلة ، وتبعثان على الإيمان به ترهيباً وترغيباً ـ فالترهيب مأخوذ من « العزيز » والترغيب مأخوذ من « الرحيم » وكون منزله رحيماً يشعر بأن القرآن رحمة في تشريعه وشعائره وعقائده وأخلاقه .

قال تعالى :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ »

الأنبياء ١٠٧

وقال تعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ »

يونس ٥٧

« لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ » .

الإنذار هو : الإعلام المقرون بالتخويف ، ولا يسمى إنذارا إلا في تخويف يسع زمانه

الاحتراز من الخوف به ، فإن لم يسع زمانه الاحتراز فهو إشعار وإعلام وإخبار لا إنذار، و(ما) فى « ما أنذر آباؤهم » يجوز أن تكون نافية ، وجملة ما أنذر صفة لـ« قوما » والمعنى : لتنذر قوما غير منذر آباؤهم الأدنون ، ويكون الغرض من ذكر هذه الجملة على هذا الوجه بيان غاية احتياجهم إلى الإنذار ، ويجوز فى «ما» أن تكون موصولة أو نكرة موصوفة ويكون المراد بالآباء على هذا الوجه ، الأبعدين ، أى لتنذر قوما قد أنذر آباؤهم قبل ذلك ، والنبى الذى أنذر الآباء الأبعدين هو : إسماعيل ـ عليه السلام ـ إن أريد بـ«قوما» العرب ويكون المنذر : عيسى ـ عليه السلام ـ إن أريد بهم بنو إسرائيل.

وظاهر قوله « لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم » يفيد أن رسالة النبى محمد ﷺ خاصة ، والمعلوم بداهة أنها عامة . وللتوفيق بين ظاهر هذه الآية وبين غيرها من الآيات الدالة على عموم رسالته أقول :

إن المراد من قوله (لتنذر قوما) كل الناس ولا يراد بهم العرب أو بنو إسرائيل فتكون هذه الآية عامة كغيرها من الآيات ، أو نقول : إن رسالته ـ عليه الصلاة والسلام ـ كانت مرحلية فبدأت بأمر النبى أن ينذر عشيرته الأقربين . قال تعالى :

« وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ۝ »

الشعراء ٢١٤

ثم جاءت الآيات الأخرى بعموم رسالته ـ عليه السلام ـ قال ـ تعالى :

« تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا »

الفرقان ١

وقال ـ تعالى :

« قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا »

الأعراف ١٥٨

وروى مسلم عن جابر ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « **أعطيت خمسا لم يعطهن نبىٌ قبلى : أحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود** » ... الحديث .

وقوله ـ تعالى : « **فهم غافلون** » أى : عن الحق والنور والشرائع التى تسعد البشر فى الدارين

والغفلة أشد ما يفسد القلوب . فالقلب الغافل معطل عن وظيفته فى الاستقبال والتأثر والاستجابة . تمر به دلائل الهدى فلا يحسها ولا يدركها ، ومن هنا كان الإنذار أليق شىء بالغفلة التى كانوا فيها ، وقد يوقظ الإنذار الغافلين الذين لم يأتهم نذير .




السُّنَّةُ
هُدًى وَرِجَالاً

الحدود بين العفو والوجوب

بقلم أ. د محمود سالم الخطيب

عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغنى من حد فقد وجب » رواه أبو داود[1] والنسائى[2] والحاكم .

ترجمة راوى الحديث .

هو عبد الله[3] بن عمرو بن العاص القرشى المتوفى بمكة أو الطائف أو مصر فى ذى الحجة سنة خمس ، أو ثلاث ، أو سبع وستين ، أو اثنين ، أو ثلاث وسبعين ، عن اثنين وسبعين سنة ، أسلم قبل أبيه (رضى الله عنهما) وكان بينه وبين أبيه فى السن اثنا عشر أو إحدى عشرة سنة قالوا ولا نعرف أحد غيره بينه وبين والده هذا القدر ، وكان غزير العلم مجتهداً فى العبادة ، قال بعضهم : وكان أكثر حديثاً من أبى هريرة ، له فى البخارى ستة أو خمسة وعشرون حديثاً ، وكان يمتاز بورعه وكثرة صيامه وقراءة القرآن .

المفردات :

ـ تعافوا : من العفو أى تجاوزوا عنها ولا ترفعوها إلى فإنى متى علمت الذنب أقمت الحد[4] .

ـ الحدود : جمع حد ، وأصله المنع والفصل بين الشيئين ، أى الذى يمنع الانسان مما يسبق قيام الحد عليه ، والحدود هى : محارم الله وعقوباته التى قرنها بالذنوب وهى : مالا يُقرب كالفواحش المحرمة قال ـ تعالى ـ : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾[5] ومنها مالا يُتعدى المواريث المحددة ، قال ـ تعالى ـ فى شأنها : ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[6]

وقال أبو العالية : (إن اللمم ما بين الحدين : حد الدنيا وحد الآخرة) يريد بحد الدنيا : ما تجب فيه الحدود المكتوبة ، أى المبينة فى الفقه كالسرقة والزنا والقذف ، ويريد بحد الآخرة : ما أوعد الله عليه العذاب كالقتل ، وعقوق الوالدين ، وأكل الربا ، واللمم من الذنوب بين هذين الحدين مما

---

(١) سنن أبو داود ج ٤ ص ١٣٣ .

(٢) سنن النسائى ج ٨ ص ٦٣ .

(٣) فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى للشيخ عبد الله الشرقاوى .

(٤) النهاية لابن الأثير ج ٣ ص ٢٦٥ بتصرف .

(٥) سورة البقرة آية ١ .

(٦) سورة النساء آية ١٤ .

لايوجب على فاعله حد فى الدنيا ولا تعذيب فى الآخرة[7].

ـ فما بلغنى من حد :أى مما وصل إلى ، يعنى أنه علم بالذنب الذى يوجب الحد[8].

ـ فقد وجب : يقال وجب الشىء يجب وجوباً إذا ثبت ولزم[9] أى : تأكد تنفيذه.

ـ المعنى العام للحديث :

يُرغب رسول الله ﷺ صاحب الحد فى أن يتجاوز ويعفو عمن ثبت عليه الحد ، فإذا فعل ذلك شاعت المودة وتوارت الأحقاد فضلاً ، لا توجد بين الناس أحقاد فى الدنيا . عن مجازاة الله ـ تعالى ـ له بحسن المثوبة فى الآخرة ، أما إذا علم القاضى أو ولى الأمر بثبوت الحد فلابد من أن يقيمه عليه الأمام وكثيراً ما رغب النبى ـ عليه السلام ـ فى العفو ، وفى التجاوز عن إقامته .

ومما يحبب فى العفو من صاحب الحد قوله ـ تعالى ـ :

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[10].

ومعنى ﴿ اتباع بمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ أى : من عفا عن القصاص وقبل الدية فيجب على من لزمته أن يدفعها برفق واقتناع دون تضجر وكراهية . ذلك العفو من القصاص إلى الدية تخفيف ورحمة من الله للأمة المحمدية خاصة ، حيث إن العفو عن القصاص لم يكن مشروعاً فى بنى إسرائيل ؛ فأكرم الله أمة سيدنا محمد ﷺ به ، فمن اعتدى بعد ذلك وخرج عن هذا النظام استحق من الله العذاب المؤلم .

ومثل هذا الحديث الذى نحن بصدده حديث آخر يُرغبُ صاحب الحد بالعدول إلى العفو وأخذ الدية قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة « من قتل له قتيل فهو بخير النَّظَرَيْن ، إما أن يُعْقَلَ وإما أن يُقَادَ » رواه البخارى ومسلم ومالك فى الموطأ والنسائى واللفظ هنا للبخارى ـ كتاب العلم .

والمراد بخير النَّظَرَيْن : القصاص أو الدية .

ومعنى يقاد : أى يقتص منه .

ومعنى يُعْقَل : أى يُؤَدَّى دية القتيل .

ولكن من الذى يملك الخيار بين القصاص أو الدية ؟ ، أهم الوارثون ـ بسبب أو بالنسب ـ ، أو هم أولياء المقتول ؟ ، وهل النساء ممن يثبت لهن التخيير فى العفو عن القصاص إلى الدية ، هذا محل خلاف بين العلماء ذكرها الشوكانى فى : نيل الأوتار ، وذكر دليل كل والرد عليه ، فليرجع إليه من يشاء[11].

وكثيراً ما رغب الرسول ﷺ فى العفو ولم يقم الحد إلا بعد أن يُقِرّ به فاعله ، أو يشهد عليه شهود بأنه فعل ما يستحق به الحد ، وهذا فى جميع الحدود من : زنا أو سرقة أو قذف ، وقد بيَّنت كتب الفقه عدد الشهود على كل ما يوجب الحد .

كذلك من الأحاديث التى تؤكد هذه المعانى ، قوله ﷺ :

١ ـ عن صفوان بن أمية ، قال : كنت نائماً فى المسجد على خميصة لى ثمنها ثلاثون درهماً فجاء

---

(٧) ج ١ ص ٣٥٢ من النهاية لابن الأثير بتصرف .

(٨) ج ٣ ص ١٠٣ بتصرف القاموس المحيط .

(٩) ج ٥ ص ١٥٢ بتصرف النهاية .

(١٠) سورة البقرة آية ١٧٨ .

(١١) ج ٧ ص ٧

رجل فاختلسها منى ، فأخذت الرجل إلى رسول الله ﷺ . فأمر به ليقطع ، قال : فأتيته فقلت أتقطعه من أجل ثلاثين درهماً أنا أبيعه وأنسئه ثمنها ، قال « فهلا كان هذا قبل أن تأتيني به »(١١) وهذا يؤكد معنى الحديث القائل : « إن الإمام يقيم الحد على فاعله ما لم يعف عنه صاحبه » رواه أبو داود .

٢ - وروى أبو داود أيضاً عن ابن عباس أن ماعز بن مالك أتى النبى - عليه السلام - فقال إنه زنى فأعرض عنه ، فأعاد عليه مراراً ، فأعرض عنه ، فسأل قومه (أمجنون هو) قالوا ليس به بأس (أى جنون) قال (أفعلت بها) قال نعم فأمر به أن يرجم ، فانطلق به فرجم . رواه أبو داود أيضاً .

ففى إعراض النبى ﷺ عنه مراراً دليل على التماس الشبه التى تدفع عنه الحد فما أمر النبى - عليه السلام - برجمه إلا بعد أن أقر بالزنا .

٣ - عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : « ما رأيت رسول الله ﷺ رفع إليه شىء فيه قصاص إلا أمر بالعفو فيه » رواه النسائى وأبو داود ، وكثيراً ما التمس النبى ﷺ الشبهة التى تدفع إقامة الحد عن صاحبه .

٤ - عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله ، فإن الإمام لأن يخطىء فى العفو خير من أن يخطىء فى العقوبة » رواه الترمذى .

ومعنى ادرءوا : ادفعوا .

٥ - عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : « ما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزاً » رواه مسلم والترمذى .

وليس معنى هذا أن الاسلام يتهاون فى إقامة الحدود أو التشجيع على ارتكاب الجريمة،وإنما المعنى أن الاسلام لايقيم الحد على فاعله إلا بعد التثبت ، إما بإقراره أو بإقرار الشهود عليه ، والنبى ﷺ يبين أن فى إقامة المسلمين لحد من حدود الله فيه خير لهم من أن يمطروا ثلاثين صباحاً مع ملاحظة احتياج البيئة الصحراوية إلى المطر فيقول - عليه السلام - فيما رواه أبو هريرة - رضى الله عنه - « حدٌ يعمل فى الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا ثلاثين صباحاً » رواه النسائى .

أما بعد فهذه بعض الأحاديث التى ترغب فى درء الحد ، وغيرها كثير وبعد ذلك تسمع بعض المسلمين الذين لم يتعمقوا فى الدين ولم يقفوا على الحكم التشريعية وأسرار التشريع يقولون : إن فى تطبيق الشريعة الاسلامية من إقامة الحدود وغيرها إهدار للدماء وتشويه للبشرية وإكثار من المعوقين فى المجتمع ، وغاب عن فهمهم أن فى تشريع الاسلام للحدود والعقوبات التى أوجبها : الأمان كل الأمان للمسلم أو المسلمة على دمه وعرضه وماله ، وقال - عليه السلام - : « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »(١٢) .

يستفاد من الحديث ما يأتى :

١ - حرمة دم المسلم وماله وعرضه .

٢ - لايقام الحد على فاعله إلا بشهود أو بإقرار

٣ - جواز عفو الامام عن مرتكب الحد إذا لم يبلغه . ٤ - وجوب إقامة الحد على فاعله إذا رفع به الامام .

(١٢) راجع خطبة « حجة الوداع » بالعدد الماضى من مجلة الأزهر .

يا خيل الله اركبي

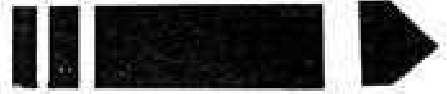
لفضيلة الشيخ علي حامد عبد الرحيم

عن سلمة ـ رضى الله عنه ـ قال : خرجت من المدينة ذاهبا نحو الغابة حتى إذا كنت بثنية الغابة لقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف قلت : ويحك مابك ؟ قال : أخذت لقاح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قلت : من أخذها ؟ قال : غطفان وفزارة ؛ فصرخت ثلاث صرخات أسمعت مابين لابتيها : ياصباحاه ياصباحاه ! ثم اندفعت حتى ألقاهم وقد أخذوها ، فجعلت أرميهم وأقول :

أنا ابن الأكوع والليوم يوم الرُّضَّع

فاستنقذتها منهم قبل أن يشربوا ، فأقبلت بها أسوقها ؛ فلقيني النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت : يارسول الله ، إن القوم عطاش وإنى أعجلتهم أن يشربوا سقيهم ، فابعث فى إثرهم . فقال يا ابن الأكوع : ملكت فأسجح ، إن القوم يُقرون فى قومهم .

ـ صفوة صحيح البخارى ـ



المفردات :

١ ـ **الغابة** : اسم موضع قرب المدينة على نحو ثمانية أميال من جهة الشام وراء أحد . ومن أثلها صنع منبر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ **لقاح** : جمع لقحة ولقوح ، إبل لرسول الله ﷺ كانت ترعى بالغابة .

٣ ـ **لابتيها** : اللابَةُ : الحجارة السوداء المرتفعة حول المدينة .

٤ ـ **ياصباحاه** : استغاثة فى وقت الصباح .

٥ ـ **الرضع** : من قولهم لئيم راضع أى تأصل اللؤم فى ذاته .

٦ ـ **ملكت** : قدرت .

٧ ـ **فأسجح** : فارفق وأحسن العفو .

٨ ـ **يُقرون** : يضافون فى قومهم : أى وصلوا غطفان وأنهم يضيفونهم وليس من المروءة إزعاجهم .

«البيان كما فى صفوة صحيح البخارى»

ورد الحديث فى شأن غزوة الغابة : وهى موضع الشجر الذى لامالك له ـ قرب ـ ذى قَرَد ـ موضع فيه ماء وكانت قبل خيبر بثلاث سنين .

ومن هنا تسمى الغزوة ـ بذى قَرَد تارة ، وبالغابة أخرى ، وقصة هذه الغزوة ، كما يؤخذ من كتب السيرة ، أن سلمة بن عمرو بن الأكوع خرج مبكرا من المدينة على فرس لطلحة بن عبيد الله ومعه غلام لطلحة ، ورباح خادم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقصدون الغابة . فلقيهم غلام لعبدالرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ ، وأخبرهم أنه كان بالغابة مع سَرْح ـ أى إبل ـ رسول الله . ومعه أبو ذر الغفارى وامرأته وابنه . وبينا هم بالليل إذ دهمهم عيينة بن حصن فى أربعين فارسا من غطفان ، وأغار على الإبل فاستاقها أجمع ، بعد أن قتل ابن أبى ذر ـ وقيل : هو رجل من غُفَار ـ واحتملوا امرأته ـ كما جاء فى زاد المعاد ـ فقال سلمة لرباح : اركب الفرس وارجع إلى المدينة ، وأخبر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم صعد سلمة على جبل عال ، ونادى بأعلى صوته : ياصباحاه : كلمة يقولها المستغيث للإعلام بهذه الغارة التى دهمتهم فى الصباح .

ثم جَدَّ فى مطاردة القوم ، يقذفهم بالنبل ، وإذا رجعوا إليه لايلحقونه لسرعته ، فقد كان ـ رضى الله عنه ـ يسابق الخيل فيسبقه عَدْوا ـ حتى أعياهم ، فصاروا يلقون بأمتعتهم يستخفون ليستطيعوا الفرار . حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً ، وأكثر من ثلاثين بردة ، ولا يلقون شيئا إلا جمعه ، وجعله على طريق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ومازال يتبعهم حتى مابقى بعير من ظهر رسول الله إلا وَخَلَفَهُ وراء ظهره ـ كما كان

بطن – وإن الحقيقة كما فى رواية أخرى : أنه انقذ بعضها أو نصفها .

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم – صياح سلمة بن الأكوع صاح فى المدينة : الفزع ، الفزع ! ياخيل الله اركبى !

فكان أول من لبى النداء من الفرسان المقداد ابن عمرو . ويقال له : المقداد بن الأسود . ثم تلاه غيره من الفرسان . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم – للمقداد : اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك بالناس ، فسارع هو وأبو قتادة وغيرهما من الفرسان فى اللحاق بالقوم ، حتى لحقهم وقتل منهم واسترجع بعض اللقاح . ولما رجع سلمة – كما فى رواية ابن سعد – وجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على الماء الذى أجلاهم عنه فى خمسمائة من الشجعان فإذا هو قد أخذ كل شيء قد استنقذه منهم . ثم قال : يارسول الله : لو بعثتنى فى مائة رجل لاستنقذت ما بقى فى أيديهم من السرح !

فضحك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى بدت نواجذه ثم قال : يا ابن الأكوع ملكت – أى قدرت – فاسجح – فأحسن العفو وأرفق بهم .

جاء فى السيرة الحلبية : فكل من سلمة وأبى قتادة اشترك فى تخليص نصف اللقاح . وذهب القوم بنصفها الآخر وهو : عشرة ، وبامرأة أبى ذر . قال ابن هشام : ولما أفلت القوم بما بقى من السرح ، عقلوا الأبل وأوثقوا المرأة .

وبينا هم نيام افلتت المرأة من الوثاق وأتت الأبل فكانت كلما دنت من بعير رغا فتتركه حتى انتهت إلى العضباء وهى ناقة رسول الله – صلى الله صلى الله وسلم – فلم ترغ فقعدت على ظهرها وزجرتها وحين علموا بها طلبوها فأعجزتهم . ونذرت إن نجاها بها الله لتنحرنها . فلما رجعت أخبرته – صلى الله عليه وسلم – بالنذر ، فتبسم – صلى الله عليه وسلم – وقال :

بئسما جزيتها – نجاك الله بها وتنحرينها ؟ لا نذر فى معصية الله ولافيما لايملك ابن آدم . وإنما هى ناقة من إبلى . ارجعى إلى أهلك على بركة الله .

وحين يطلب سلمة من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يرسل فى إثرهم من يؤدب هؤلاء القوم قال له الرسول الرءوف الرحيم – عليه الصلاة والسلام : ياسلمة ملكت – أى قدرت – فأسجح : فليكن منك الرفق بهم ، وأحسن العفو عنهم ، ولاتأخذك العزة والشدة بهم .

وفى رواية مسلم : ثم أردفنى رسول الله ﷺ وراءه على العضباء ، وذكر قصة الأنصارى الذى سابقه فسبقه سلمة .

قال رسول الله ﷺ : خير فرساننا اليوم : أبو قتادة .

وخير رجالتنا اليوم سلمة .

قال سلمة : ثم أعطانى النبى سهم الراجل والفارس جميعاً .

الإمام سفيان الثورى

للدكتور أحمد السيد أحمد عطية

هو : شيخ الإسلام ، إمام الحافظ ، سيد العلماء فى زمانه ، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله الثورى ـ ثور مضر لا ثور همدان ـ الكوفى المجتهد ، مصنف كتاب « الجامع » .

نشأته وطلبه للعلم[1] :

ولد سنة سبع وتسعين اتفاقاً ـ فى خلافة سليمان بن عبد الملك ، وطلب العلم وهو حدث باعتناء والده ، المحدث الصادق : سعيد بن مسروق الثورى ، وكان والده من أصحاب الشعبى ، وخيثمة بن عبد الرحمن ، ومن ثقات الكوفيين ، وعداده فى صغار التابعين ، روى لسعيد والده الجماعة الستة فى دواوينهم ، وحدث عنه أولاده : سفيان الإمام ، وعمر ، ومبارك ، وروى له شعبة بن الحجاج ، وزائدة ، وأبو الأحوص ، وأبو عوانة ، وعمر بن عبيد الطنافسى ، وآخرون .

شيوخه :

وهم الذين حدث عنهم سفيان :

فى مقدمتهم أبوه ، وزبيد بن الحارث ، وحبيب بن أبى ثابت ، والأسود بن قيس ، وزياد بن علاقة ، ومحارب بن دثار ، وطبقتهم[2] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٢٩/٧ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٢٠٤/١ .

ويقال : عدد شيوخه ستمائة شيخ ، وكبارهم الذين حدثوه عن أبي هريرة ، وجرير بن عبد الله ، وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ وقد قرأ الختمة عَرْضاً على حمزة الزيات أربع مرات[3] .

تلامذته ومن حدث عنه :

وأما الرواة عنه فخلق ذكر أبو الفرج ابن الجوزي أنهم :أكثر من عشرين ألفاً ، قال الذهبي في السير : وهذا مدفوع ممنوع ، فإن بلغوا ألفا فبالجهد ، وما علمت أحداً من الحفاظ روى عنه أكثر من مالك وبلغوا بالمجاهيل وبالكذابين ألفاً وأربعمائة .

حدث عنه من القدماء من مشيخته وغيرهم خلق ، منهم : الأعمش ، وأبان بن تغلب ، وابن عجلان ، وخصيف ، وابن جريج ، وجعفر الصادق ، وأبو حنيفة ، والأوزاعي ، وشعبة ، ومعمر ـ كلهم ماتوا قبله ـ وابراهيم بن سعد ، وأبو إسحق الفزاري ، وأحمد بن يونس اليربوعي ، وابن علية وخلائق .

ذكاؤه وشدة حفظه :

قال العجلي في (الثقات)[4] : كان سفيان لا يسمع شيئاً إلا حفظه حتى كان يخاف عليه .

قال الذهبي في السير : كان ينوه بذكره في صغره من أجل فرط ذكائه وحفظه ، وحدث هو شاب .

قال بن أيوب العابد : حدثنا أبو المثنى قال : سمعتهم بمرو يقولون : قد جاء الثوري ، فخرجت أنظر إليه ، فإذا هو غلام قد بقل وجهه[5] .

وقال الوليد بن مسلم : رأيت الثوري بمكة يستفتي ولما يخط وجهه بعد .

قال عبد الرازق وغيره ، عن سفيان قال : ما استودعت قلبي شيئاً قط فخانني .

وقال سفيان بن عيينة : كان الثوري كأن العلم ممثل بين عينيه ، يأخذ منه ما يريد ويدع مالا يريد .

وروى الخطيب[6] عن أبي مسلم صالح بن أحمد قال : حدثني أبي قال : ألقى أبو إسحق فريضة (أي مسألة في المواريث) فلم يصنعوا فيها شيئاً ، فقال : لو كان الغلام الثوري فصَّلها الساعة ، إذ أقبل سفيان ، فقال له : ما تقول في كذا وكذا ؟ قال سفيان : أنت حدثتنا عن عليٍّ بكذا وكذا ،

---

(٣) سير اعلام النبلاء ٧/٢٣٤ .

(٤) تاريخ الثقات للحافظ أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي بترتيب الهيثمي ص ١٩٠ .

(٥) بقل وجهه ، وأبقل : أي خرج شعره .

(٦) تاريخ بغداد ٩/١٦٣ .

والأعمش حدثنا عن ابن مسعود بكذا ، وفلان حدثنا فيها بكذا ، قال أبو إسحق : كيف ترون من ساعة فصلها !؟ ألا تكونون مثله ؟

وروى الخطيب أيضاً عن الأشجعي قال : دخلت مع سفيان الثوري على هشام بن عروة ، فجعل سفيان يسأل وهشام يحدثه ، فلما فرغ قال : أعيدها عليك ؟ قال : نعم فأعادها عليه ثم خرج سفيان وأذن لأصحاب الحديث ، وتخلفت معهم ، فجعلوا إذا سألوه أرادوا الإملاء فيقول : احفظوا كما حفظ صاحبكم ، فيقولون : لانقدر نحفظ كما حفظ صاحبنا .

وروى أيضاً عن يحيى بن سعيد قال : كان سفيان أعلم بحديث الأعمش من الأعمش . وعن زائدة قال : كنا نأتي الأعمش فنكتب عنه ، ثم نأتي سفيان فنعرض عليه ، فيقول لبعضها : ليس هذا من حديث الأعمش ، فنقول : إنما حدثناه الآن فيقول : اذهبوا إليه فقولوا له ، فنذهب إليه فنقول له ، فيقول : صدق سفيان ، فمحاه .

وذكر الحافظ في التهذيب[٧] عن علي بن المديني : قال : قلت ليحيى بن سعيد : أيما أحب إليك رأي سفيان أو رأي مالك ؟ قال : سفيان لاشك ، سفيان فوق مالك في كل شيء . وقال صالح بن محمد : سفيان ليس يقدمهُ عندي أحد في الدنيا ، وهو أحفظ وأكثر حديثاً من مالك ، ولكن مالكاً كان ينتقي الرجال ، وسفيان يروي عن كل أحد ، وهو أكثر حديثاً من شعبة وأحفظ ، يبلغ حديثه ثلاثين ألفاً .

وقال مالك : كانت العراق تجيش علينا بالدراهم والثياب ، ثم صارت تجيش علينا بالعلم منذ جاء سفيان .

ثناء العلماء عليه :

قال الخطيب[٨] : كان إماماً من أئمة المسلمين ، وعلماً من أعلام الدين ، مجمعاً على إمامته بحيث يستغنى عن تزكيته ، مع الإتقان ، والحفظ ، والمعرفة ، والضبط ، والورع ، والزهد .

قال الذهبي : أجل إسناد للعراقيين : سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود .

وقال شعبة ، وابن علية ، وأبو عاصم ، ويحيى بن معين ، وغيرهم : سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث .

---

(٧) تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ٤/١١٥ .

(٨) تاريخ بغداد ٩/١٥٢ .

وقال ابن المبارك : كتبت عن ألف ومائة شيخ ، ما كتبت عن أفضل من سفيان .

وقال ابن مهدي : ما رأت عيناى أفضل من أربعة : ما رأيت أحفظ للحديث من الثورى ، ولا أشد تقشفاً من شعبة ، ولا أعقل من مالك ، ولا أنصح للأمة من ابن المبارك .

وروى وكيع عن شعبة قال : سفيان أحفظ منى .

وقال أبو قطن عن شعبة : ساد سفيان الناس بالورع والعلم .

وقال عبد العزيز بن أبي رزمة : قال رجل لشعبة : خالفك سفيان . فقال دمغتنى .

وقال يحيى القطان : ليس أحد أحب إلى من شعبة ، ولا يعدله أحداً فى زمانه ، فى الفقه والحديث والزهد وكل شيء .

وقال سفيان بن وكيع : حدثنا أبو يحيى الحمانى ، سمع أبا حذيفة يقول : لو كان سفيان الثورى فى التابعين لكان فيهم له شأن .

وعن أبي حذيفة قال : لو حضر علقمة والأسود لاحتاجا إلى سفيان .

وعن ابن عيينة : ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثورى .

وقال أحمد بن حنبل : قال لى ابن عيينة : لن ترى بعينيك مثل سفيان الثورى حتى تموت .

وقال يحيى بن سعيد : سفيان أثبت من شعبة ، وأعلم بالرجال .

وقال بشر الحافى : سفيان فى زمانه كأبى بكر وعمر فى زمانهما .

وقال أبو داود : ليس يختلف سفيان وشعبة فى شيء إلا يظفر به سفيان ، خالفه فى أكثر من خمسين حديثاً ، القول فيها قول سفيان .

وعن يحيى بن معين : ما خالف أحد سفيان فى شيء إلا كان القول قول سفيان .

وقال ابن عيينة : أصحاب الحديث ثلاثة : ابن عباس فى زمانه ، والشعبى فى زمانه ، والثورى فى زمانه .

وقال على بن المديني : لا أعلم سفيان صحف فى شيء قط إلا فى اسم امرأة أبى عبيدة ، كان يقول حفينة يعنى الصواب بالجيم .

وقال أحمد بن حنبل : أتدرون من الإمام ؟ الإمام سفيان الثورى ، لا يتقدمه أحد فى قلبى .

احتمال العلماء تدليسه :

وقال الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب[١٠] : سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى أبو عبد الله الكوفى ، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة من رؤوس الطبقة السابقة ، وكان ربما دلّس .

---

(٩) تقريب التهذيب ص ٢٤٤ .

(١٠) تدريب الراوى ١/ ٢٣٠ .

وقال الحافظ فى طبقات المدلسين : وصفه النسائى وغيره بالتدليس ، وقال البخارى : ما أقل تدليسه .

وقال النووى فى التقريب[١٠] : وما كان فى الصحيحين وشبههما عن المدلسين بـ (عن) فمحمول على ثبوت السماع له من جهة أخرى .

قال السيوطى : وإنما اختار صاحب الصحيح طريق العنعنة على طريق التصريح بالسماع لكونها على شرطه دون تلك .

وقال السيوطى فى التدريب : قال الخطيب : وكان الأعمش وسفيان يفعلون مثل ذلك (أى يدلسون تدليس التسوية) قال العراقى : وهو قادح فيمن تعمد فعله .

وقال شيخ الإسلام (أى الحافظ ابن حجر) : لا شك أنه جرح وإن وصف به الثورى والأعمش ، والاعتذار عنهما أنهما لايفعلانه إلا فى حق من يكون ثقة عندهما ضعيفاً عند غيرهما .

وقال الذهبى فى السير[١١] : وكان سفيان يذكر على الملوك ولا يرى الخروج عليهم أصلاً ، وربما دلس عن الضعفاء .

معنى التدليس وأنواعه :

قال الفيروزابادى فى القاموس : التدليس : كتمان عيب السلعة عن المشترى ، ومنه التدليس فى الإسناد وهو أن يحدث عن الشيخ عن الأكبر ، ولعله مارآه وإنما سمعه ممن هو دونه ، والتدلس التكتم[١٢] .

وقال السيوطى فى التدريب[١٣] : التدليس ليس كذباً ، وإنما هو ضرب من الإيهام .

وقال الحافظ بن حجر فى طبقات المدلسين[١٤] ، التدليس تارة يكون فى الإسناد ، وتارة يكون فى الشيخ . فالذى فى الإسناد :

أن يروى عمن لقيه شيئاً لم يسمعه منه بصيغة محتملة ، ويلتحق به من رآه ولم يجالسه .

ويلتحق به تدليس القطع ، وهو أن يحذف الصيغة ، ويقتصر على قوله مثلاً : الزهرى عن أنس .

وتدليس العطف : وهو يصرح بالتحديث فى شيخ له ، ويعطف عليه شيخاً آخر له ، ولا يكون سمع من ذلك الثانى .

---

(١١) سير أعلام النبلاء ٢٤٢/٧ .

(١٢) القاموس المحيط ص ٧٠٣ .

(١٣) تدريب الراوى شرح تقريب النواوى ٢٣٠/١ .

(١٤) طبقات المدلسين وهو الكتاب المسمى تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ص ٧ .

وتدليس التسوية : وهو أن يصنع ذلك لشيخه ، فإن أطلعه على أنه دلس حكم به ، وإن لم يطلعه طرقه الاحتمال ، فيقبل من الثقة ماصرح فيه بالتحديث ويتوقف عما عداه .

وإذا روى عمن عاصره ـ ولم يثبت لقيه له ـ شيئاً بصيغة محتملة فهو الإرسال الخفي ، ومنهم من ألحقه بالتدليس ، والأولى التفرقة لتمييز الأنواع .

ويلتحق بالتدليس ما يقع من بعض المحدثين من التعبير بالتحديث ، أو الإخبار عن الإجازة موهماً للسماع ، ولا يكون سمع من ذلك الشيخ شيئاً .

وأما تدليس الشيوخ : فهو أن يصف شيخه بما لم يشتهر به من اسم أو لقب أو كنية أو نسبة إيهاماً للتكثير غالباً ، وقد يفعل ذلك لضعف شيخه ، وهو خيانة ممن تعمده كما إذا وقع ذلك في تدليس الإسناد .

والمدلسون على خمس مراتب :

الأولى : من لم يوصف بذلك إلا نادراً كيحيى بن سعيد الأنصاري .

الثانية : من احتمل الأئمة تدليسه وأخرجوا له في الصحيح لإمامته وقلة تدليسه في جنب ماروى ، كالثوري ، أو كان لايدلس إلا عن ثقة كابن عيينة . .

الثالثة : من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع ، ومنهم من رد حديثهم مطلقاً ، ومنهم من قبلهم كأبي الزبير المكي .

الرابعة : من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل ، كبقية بن الوليد .

الخامسة : من ضعف بأمر آخر سوى التدليس فحديثهم مردود ، ولو صرحوا بالسماع إلا أن يوثق من كان ضعفه يسيراً كابن لهيعة .

زهده وورعه وشدة خوفه من الله :

قال أبو قطن : قال لي شعبة : إن سفيان ساد الناس بالورع والعلم .

وقال قبيصة : ما جلست مع سفيان مجلساً إلا ذكرت الموت ، ما رأيت أحداً كان أكثر ذكراً للموت منه .

وروى عبد الله بن خُبَيْق عن يوسف بن أسباط : قال لي سفيان بعد العشاء : ناولني المطهرة(١٥) أتوضأ ، فناولته فأخذها بيمينه ووضع يساره على خده ، فبقي مفكراً ونمت ، ثم قمت وقت الفجر ، فإذا المطهرة في يده كما هي ، فقلت : هذا الفجر قد طلع ، فقال : لم أزل منذ ناولتني المطهرة أتفكر في الآخرة حتى الساعة .

---

(١٥) المطهرة : الإناء الذي يتوضأ به ويتطهر به .

وقال يوسف بن أسباط : كان سفيان إذا أخذ فى ذكر الآخرة يبول الدم .

وقال ابن مهدى : كنا نكون عنده ، فكأنما وقف للحساب .

وسمعه عثام بن على يقول : لقد خفت الله خوفاً ، عجباً لى كيف لا أموت ؟ ولكن لى أجل ، وددت أنه خفف عنى من الخوف ، أخاف أن يذهب عقلى .

وقال ابن مهدى : كنت أرمق سفيان فى الليلة بعد الليلة ، ينهض مرعوباً ينادى : النار ، النار ، شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات .

وقال أبو نعيم : كان سفيان إذا ذكر الموت لم ينتفع به أياماً .

وقال العجلى فى الثقات[16] كان ثقة ثبتاً فى الحديث زاهداً فقيهاً صاحب سنة واتباع ، وكان من أقوى الناس بكلمة شديدة عند سلطان يتقى .

دخل سفيان على المهدى فقال : السلام عليك ، كيف أنت أبا عبد الله ؟ ثم جلس ، فقال : حج عمر بن الخطاب فأنفق على حجته عشرين ديناراً ، وأنت حججت فأنفقت فى حجتك بيوت الأموال !! فقال المهدى : أتريد أن أكون مثلك ؟ قال : فوق ما أنا فيه ، ودون ماأنت فيه ، فقال وزيره أبو عبيد الله : أبا عبد الله قد جاءتنا كتبك فأنفذناها ، قال سفيان : من هذا ؟ قال المهدى : أبو عبيد وزيرى ، قال : احذره فإنه كذاب ، أنا كتبت إليك !؟

ثم قام فقال له المهدى : أين أبا عبد الله ؟ قال : أعود . وكان قد ترك نعله حين قام ، فعاد فأخذها ثم مضى ، فانتظره المهدى ، فلم يعد ، قال : وعدنا أن يعود فلم يعد ، قيل له : إنه قد عاد لأخذ نعليه، فغضب ، فقال : قد أمن الناس إلا سفيان الثورى .

استغناؤه عن الناس :

روى موسى بن العلاء عن حذيفة المرعشى ، قال : قال سفيان : لأن أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبنى الله ، عليها أحب إلى من أن أحتاج إلى الناس .

وقال روّاد بن الجراح سمعت الثورى يقول : كان المال فيما مضى يكره ، فأما اليوم فهو ترس المؤمن .

وقال عبد الله بن محمد الباهلى : جاء رجل إلى الثورى يشاوره فى الحج ، قال : لا تصحب من يكْرُمُ عليك ، فإن ساويته فى النفقة ؛ أضرَّ بك ، وإن تفضل عليك استذلك .

ونظر إليه رجل وفى يده دنانير ، فقال : يا أبا عبد الله ! تُمسك هذه الدنانير !؟ قال : اسكت فلولاها لتمندل بنا الملوك[17] .

---

(16) تاريخ الثقات ص ١٩٢ .

(17) أى جعلونا كالمناديل يتفل فيها ويمسح بها الأذى

من حكمه وأقواله :

« إن أقبح الرغبة من يطلب الدنيا بعمل الآخرة » .

« ما وضع رجل يده في قصعة رجل إلا ذلّ له » .

« ليس الزهد بأكل الغليظ ولبس الخشن ، ولكنه قصر الأمل ، وارتقاب الموت » .

« المال داء هذه الأمة والعالم طبيب هذه الأمة ، فإذا جر العالم الداء إلى نفسه ، فمتى يُبْرِئ الناس » .

« احذر سخط الله في ثلاث : احذر أن تقصر فيما أمرك ، واحذر أن يراك ، وأنت لا ترضى بما قسم لك ، وأن تطلب شيئاً من الدنيا فلا تجده أن تسخط على ربك » .

« أحب أن يكون صاحب العلم في كفاية ، فإن الآفات إليه أسرع ، والألسنة إليه أسرع » .

« زينوا العلم والحديث بأنفسكم ولا تتزينوا به » .

« الزهد زهدان : زهد فريضة وزهد نافلة ، فالفرض أن تدع الفخر والكبر والعلو والرياء والسمعة والتزين للناس ، وأما زهد النافلة : فأن تدع ما أعطاك الله من الحلال ، فإذا تركت شيئاً من ذلك ، صار فريضة عليك ألا تتركه إلا لله » .

إحصائية بعدد ما رواه من أحاديث في الكتب الستة ومسند أحمد :

له في صحيح البخاري : ٢٩٥ حديث .

وفي صحيح مسلم : ٤١٣ حديث .

وفي سنن أبي داود : ٢٤٦ حديث .

وفي سنن الترمذي : ٣٤٨ حديث .

وفي سنن النسائي : ٢١٥ حديث .

وفي سنن ابن ماجه : ٣٦٠ حديث .

وفي مسند الإمام أحمد : ١٦٢٧ حديث .

وفاته :

عن ابن مهدي[١٨] قال : مرض سفيان بالبطن[١٩] ، فتوضأ تلك الليلة ستين مرة حتى إذا عاين الأمر ، نزل عن فراشه ، فوضع خده بالأرض ، وقال يا عبد الرحمن ما أشد الموت ! ولما مات غمضته ، وجاء الناس في جوف الليل ، وعلموا .

قال الذهبي : والصحيح أن موته في شعبان سنة إحدى وستين ومائة .

فرحم الله سفيان الثوري رحمة واسعة ، وجزاه خيراً عن الإسلام والمسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١٨) سير أعلام النبلاء ٢٧٨/٧ .

(١٩) داء البطن .

المدونة الكبرى

في الفقه الإسلامي

٢

للأستاذ د. محمود عبد المتجلي خليفة

بعد أن كُتِبتْ المدونة وانتشرت بين الناس وذاع صيتها ، وأقبل عليها العلماء ، ينهلون من موردها العذب ، ويقتفون آثارها لما فيها من الكنوز الثمينة التي تبين طريقة الإمام مالك ـ رضي الله ـ تعالى عنه ـ فيما يفتي به .

تناولها تلاميذ المذهب المالكي بالشرح والتعليق والاختصار .

شراح المدونة

ا ـ وكان أول من تناولها بالشرح (محمد بن سحنون) حيث بدأ بشرح مدونة والده وقد تفقه محمد بوالده ، ورحل إلى المشرق ، فلقى بالمدينة «أبا مصعب الزهري» وغيره ، وكان «محمد بن سحنون» إماماً في الفقه ثقة موفقا في نصرة مذهب أهل المدينة ، عالما الآثار ، جلس مجلس أبيه بعد موته ، وكان إمام عصره في مذهب أهل المدينة بالمغرب .

ولد سنة ٢٠٢ هـ وتوفى سنة ٢٥٦ هـ بعد موت أبيه بستة عشر عاما .

أخذ محمد في شرح المدونة وإن كان لم يكملها ، بل شرح جزءا كبيرا منها حتى وصل إلى (كتاب المرابحة) .

ب ـ ومن أحسن ـ شروح المدونة شرح الإمام (محمد بن أحمد بن رشد) أبي الوليد الكبير جد ابن رشد الحفيد الفيلسوف ، وابن رشد الكبير كان قاضي الجماعة بقرطبة ، بها ولد وفيها نشأ وبها توفى ويعتبر ابن رشد من أعيان المالكية ، وكان إليه المفزع في المشكلات وهو بصير بالأصول والفروع والفرائض ولد سنة ٤٥٠ هـ وتوفى سنة ٥٢٠ هـ .

وسمى شرحه للمدونة : المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته المدونة من أحكام ومعضلات وهو كتاب مطبوع بهامش المدونة متداول .



وهناك شرحان آخران للمدونة لعالمين ظهرا بعد ابن رشد :

ج ـ أولهما (سند بن عنان المصرى الأزدى) المكنى بأبى على ، سمع من شيخه أبى بكر الطرطوشى وكان سند من زهاد العلماء ، وكبار الصالحين ، فقيها فاضلا .

شرح المدونة فى كتابه المسمى (الطراز) ويقع فى نحو ثلاثين سفرا ، وقد مات سند قبل إكماله ولكن طلاب العلم انتفعوا بكتابه كثيرا .

توفى ـ رحمه الله ـ بالاسكندرية سنة ٥٤١ هـ ، ودفن بجبانة باب الأخضر .

ـ وثانى الشيخين أبو الحسن على بن محمد بن الحق الزرويلى المعروف بالصُغَيِّر ـ بضم الصاد وفتح العين والياء المشددة ، كان قيما على تهذيب البرادعى فى اختصار المدونة وكان يدرس بجامع الأصدع من داخل مدينة فاس بالمغرب ، وكان أحد الأقطاب الذين تدور عليهم الفتوى أيام حياته توفى سنة ٧١٩ هـ .

ويعتبر شرحه خاتمة الشروح للمدونة وهو يبلغ اثنى عشر جزءا .

مختصر المدونة :

ثم احتفل تلاميذ المذهب من شرح المدونة إلى اختصارها :

أ ـ وأشهر من اختصرها وزاد عليها بعض الزيادات أبو محمد عبدالله بن أبى زيد عبدالرحمن القيروانى مولدا ، النَفْزى نسبا ، سكن القيروان ، وكان إمام المالكية فى وقته وقدوتهم ، وجامع مذهب الإمام مالك وشارح أقواله ، وهو الذى لخص المذهب ، وضم مانفرق منه ودافع عنه وملأت البلاد تآليفه ، وكان يعرف بـ (مالك الصغير) .

من تآليفه : كتاب النوادر والزيادات على المدونة ، وكتاب مختصر المدونة ، وانتشر من تآليفه الرسالة المشهورة برسالة ابن أبى زيد القيروانى ، انتشرت فى سائر البلاد الإسلامية ، وتنافس الناس فى اقتنائها ، حتى كتبت بالذهب أيام تأليفها ، وأول نسخة منها بيعت فى بغداد فى حلقة علم أبى بكر الأبهرى بعشرين دينارا .

عاش ابن أبى زيد ستا وسبعين سنة وتوفى سنة ٣٨٦هـ .

ب ـ ثم تلا ابن أبى زيد فى اختصار المدونة قرينه : أبو القاسم خلف بن القاسم الأزدى المعروف بابن البرادعى ويكنى أيضا بأبى سعيد وهو من كبار أصحاب ابن أبى زيد القيروانى وأبى الحسن القابسى من مشاهير علماء المذهب المالكى .

ويعتبر ابن البرادعى من حفاظ المذهب المالكى ، له فيه تآليف كثيرة من أشهرها : كتاب (التهذيب فى اختصار المدونة) ، اتبع فيه طريقة ابن أبى زيد ، إلا أنه ساقه على نسق المدونة ، وحذف مازاده ابن أبى زيد ، وقد ظهرت بركة هذا الكتاب على طلبة العلم ، وله أيضاً (كتاب التمهيد لمسائل

المدونة) على صفة اختصار ابن أبي زيد وزياداته وكذلك ألف (كتاب الشرح والتمامات لمسائل المدونة ، أدخل فيه كلام شيوخ المذهب المتأخرين على المسائل .

قال ابن خلدون : تلخيص البراذعي للمدونة المسمى بـ(التهذيب) اعتمدته المشيخة من أهل أفريقية ، وأخذوا به وتركوا ما سواه .

التعليق على المدونة :

وجاء بعد هؤلاء الذين اختصروا المدونة شيوخ تناولوها بالتعليق

أ ـ فمن ذلك تعليق أبي إسحاق إبراهيم بن حسن بن يحيى المعافرى التونسي من تلاميذة أبي بكر ابن عبدالرحمن وأبي عمران الفاسي . توفى سنة ٤٤٣ هـ ، ودفن بباب تونس ومنها تعليق أبي القاسم عبدالخالق بن عبدالوارث التميمي المعروف بـ « السّيُورى » آخر طبقة من علماء افريقية ، وخاتمة أهل القيروان العلماء الأئمة ، وكان أخذ أيضا من أبي بكر بن عبدالرحمن ، وأبي عمران الفاسي مثل سالفه المعافرى .

وعن السيورى أخذ اللخمي المالكي .

توفى السيورى سنة ٤٦٠ هـ ودفن بالقيروان .

ب ـ وممن علق على المدونة اللخمي أبو الحسن علي بن محمد الربعي ، أصله من القيروان ، ونزل صفاقس ، تفقه بابن محرز السيورى . وعن اللخمي أخذ المازرى المالكي واللخمي مقدم بتخريج الخلاف في المذهب واستقراء الأقوال ، وربما بداله مخالف المذهب فيما ترجح عنده .

وتعليقه على المدونة يسمى (التبصيرة) متمشيا مع المدونة في التراجم والمعاني توفى اللخمي بصفاقس ودفن بها سنة ٤٧٨هـ وقبره مزار هناك .

ج ـ ومنها تعليق أبي محمد عبدالحميد بن محمد الهروى المعروف بـ (ابن الصائغ) وهو قيرواني سكن (سوسة) ، أدرك أبا بكر بن عبدالرحمن وبا عمران الفاسي وتفقه بالعطار وابن محرز ، وكان فقيها فاضلا نبيلا ، وتعليقه على المدونة أكمل به الكتب التي بقيت على التونسي ، وبابن الصائغ تفقه المازرى وغيره ، وأصحابه يفضلونه على قرينه أبي الحسن اللخمي تفضيلا كثيرا توفى في سنة ٤٨٦هـ .

نموذج من تأليف المدونة :

هذا ويحسن أن أورد نموذجا من تأليف المدونة :

الصلاة خلف أهل الصلاح والبدع .

قال سحنون ، قال ابن القاسم ، قال مالك : يتقدم القوم أعلمهم ، إذا كانت حاله حسنة ثم قال : وإن للسن حقا .

فقلت له : فأقرؤهم ؟ فقال : قد يقرأ من لا .. قال ابن القاسم : يريد بقوله (من لا) أي من لاترضى حاله .

وقال مالك : ويقال أولى بمقدم الدابة صاحب الدابة ، وأولى بالإمامة صاحب الدار إذا حلوا في منزله إلا أن يأذن في ذلك .

قال ابن القاسم : ورأيته يرى ذلك الشأن ويستحسنه .

قال سحنون : قلت لابن القاسم : ماقول مالك فيمن صلى وهو يحسن القرآن خلف من لايحسن القرآن ؟ قال مالك : إذا صلى الإمام بقوم فترك القراءة انتقضت صلاته وصلاة من خلفه ، وأعادوا وإن ذهب الوقت . قال : فذلك الذي لايحسن أشد عندي من هذا ؛ لأنه لاينبغي لأحد أن يأتم بأحد لايحسن القرآن .

قال : وسألت مالكا عن الصلاة خلف الإمام القدري . قال : إن استيقنت فلا تصل خلفه .
قلت : ولا الجمعة ؟ قال : ولا الجمعة إن استيقنت .

قال : وأرى إن كنت تتقيه وتخافه على نفسك أن تصلي معه ، وتعيدها ظهرا .

قال مالك : وأهل الأهواء مثل أهل القدر .

قال : ورأيت مالكا إذا قيل له في إعادة صلاة من صلى خلف أهل البدع ، يقف ولايجيب في ذلك
قال ابن القاسم : وأرى في ذلك الإعادة في الوقت .

قال : وسئل مالك عن رجل صلى خلف رجل يقرأ بقراءة ابن مسعود ــ أي بقراءة شاذة غير متواترة . قال يخرج ويدعه ولايأتم به .

قال ، وقال مالك : لاينكح أهل البدع ولاينكح إليهم ــ أي لايزوجهم الصالحون ولايتزوجون من بناتهم ولايسلم عليهم ، ولايصلى خلفهم ، ولاتشهد جنائزهم قال وقال مالك : من صلى خلف رجل يقرأ بقرأة ابن مسعود فليخرج وليتركه .

قلت : فهل عليه أن يعيد إذا صلى خلفه في قول مالك ؟ قال ابن القاسم : إذا قال لنا يخرج فأرى أن يعيد في الوقت وبعده .

أصول الكتب التي جمعت نقل المالكية لمذهبهم :

هذا والمدونة التي هي أصل الكتب في المذهب المالكي جاء بعدها ثلاثة كتب . هي أمهات الكتب في المذهب المالكي وهي : الواضحة والعتبية والموازية .

قال ابن خلدون في (المقدمة) في بيان الكتب في المذهب المالكي : رجل من الأندلس عبدالملك ابن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته ، وبث مذهب مالك في الأندلس ، ودون فيه (كتاب الواضحة) ثم دون العتبي من تلامذته (كتاب العتبية) ومعهما المدونة وهذه هي أمهات الكتب في

المذهب المالكي . ثم قال : ولم يزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الأمهات بالشرح والإيضاح والجمع فكتب أهل أفريقية على المدونة ماشاء الله أن يكتبوا مثل ابن يونس واللخمى وابن محرز التونسي وابن بشير وأمثالهم .

أقول : وهذا تلخيص جيد للكتب فى المذهب المالكى يبين كيف انتقلت آراء مالك ومسائله ، وكيف تناول العلماء ، تلك النقول بالشرح والترتيب والتلخيص .

وهناك أصل رابع لم يتعرض من له ابن خلدون وهو المَوّازية : وهناك كلمة عن الكتب الثلاثة بعدما أشبعنا القول عن المدونة :

الواضحة : صاحبها عبدالملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جَناهُمَة بن عباس بن مرداس السلمى ويكنى ابن حبيب بأبى مروان . أصله من طليطلة بالأندلس ، وانتقل جده سليمان إلى قرطبة ، وانتقل أبوه حبيب وإخوته فى فتنة الربض إلى البيرة .

وروى ابن حبيب بالاندلس عن أناس كثير من أهمهم زياد بن عبدالرحمن الملقب (بشبطون) ثم رحل إلى المشرق فسمع من أصحاب مالك وأهمهم ابن الماجشون ومطرف وابن أبى أويس وابن المبارك وابن عبدالحكم وأصبغ بن الفرج .

ثم عاد إلى الأندلس بعلم عزيز ، ونزل بلدة البيرة ، وقد انتشر سُمُوُّهُ فى العلم فنقله الأمير عبدالرحمن بن الحكم إلى قرطبة وجعله فى طبقة المُفتين كان فقيها ولم يكن محدثا . له تآليف كثيرة أهمها الواضحة فى السنن والفقه وكتاب الواضحة اعتبر أصلا ثابتا للفقه المالكى عند بعد الناس توفى ابن حبيب بالأندلس سنة ٢٣٨ هـ .

العتبية : مؤلفها هو محمد بن أحمد بن عبدالعزيز بن عتبة الشهير بالعتبى ، ينتهى نسبه إلى عتبة بن أبى سفيان .

سمع العتبى بالأندلس من يحيى الليثى تلميذ الإمام مالك — رحمهما الله تعالى – كما سمع من سعيد بن حسان وغيرهما .

ورحل فسمع من سحنون بالقيروان ، ومن أصبغ بن الفرج بمصر ، وكان حافظا للمسائل جامعا لها . قرأ كتاب أبن حبيب المسمى بالواضحة ، وأخذ من مسائله ماسماه (المستخرجة) التى كانت محل ثقة الأندلسيين وتسمى أيضا العتبية نسبة إلى مؤلفها العتبى .

يقول عنها محمد بن حزم الأندلسى الظاهرى : المستخرجة لها عند أهل العلم بأفريقيا القدر العالى والطيران الحثيث ، وقد استخرج العتبى بعضها من واضحة ابن حبيب ، وزاد عليه مسائل أخرى العتبى أندلسى قرطبى توفى سنة ٢٥٥هـ .

أما الأصل الرابع الذى لم يذكره ابن خلدون فهو الموازية :

ألف الموازية محمد إبراهيم بن زياد الاسكندرى المعروف بابن المواز تفقه بابن الماجشون وابن

عبدالحكم ، واعتمد على أصبغ بن الفرج والحارث بن مسكين . وروى عن عبد الرحمن بن القاسم تلميذ مالك وهو صغير ، والمعول بمصر على قوله .

كان راسخا في الفقه والفتيا عالما في ذلك ، له كتابه الكبير المشهور المعروف بالموازية وهو أجل كتاب ألف المالكيون ، وأصحه مسائل ، وأبسطه كلاما وأوفيه ، وقد رجحه القابسي على سائر الأمهات وقال : إن صاحبه قصد إلى بناء فروع أصحاب مالك على أصولهم في تصنيفه ، وغيره إنما قصد جمع الروايات ، ونقل نصوص السماعات ، ومنهم من ينقل عنه الاختيارات في شروح أفردوها ، وأجوبة لمسائل وقوع السؤال عنها ، ومنهم من كان قصده الدفاع عن المذهب فيما فيه الخلاف .

وفي هذا الكتاب جزء تكلم فيه ابن المواز على الشافعي وعلى أهل العراق بمسائل من أحسن كلامه وأكثر قبولا .

ولدا بن المواز سنة ١٨٠هـ ، وتوفي بدمشق سنة ٢٦٩هـ .

موازنة بين هذه الكتب الثلاثة الأخيرة نقلا من كلام الشيخ محمد أبي زهرة قال :

أما العتبية أو المستخرجة فهي مأخوذة من الواضحة مع زيادات ، ولهذا لا تدخل في المقارنة ، وهذه الموازنة تنتهي إلى أن المدونة مجموعة المسائل والفروع ، وكانت العناية فيها إلى تصحيح الرواية ، وتوثيق السماع أكثر من الاتجاه إلى وضع الأدلة وبيان أصول المسائل .

وأما الواضحة فكانت عناية ابن حبيب فيها باستخراج المعاني والقواعد التي قامت عليها الفروع ، وإنه ربما أغنته بعض الفروع في ذلك فاكتفى ببعض الروايات ؛ لأن مقصده أن يصل إلى المعاني التي لوحظت في الأحكام ، فما يجد في بعض الروايات غناء فيه يكتفي به ، وإن لم يجد بحث حتى يصل ، فمقصده المعاني لا الأحكام نفسها .

وأما الموازية فقد قصد ابن المواز فيها إلى الفروع إلى أصولها ، وبيان الأدلة للأحكام المأثورة في الفقه المالكي ، ومايعتمد عليه من الكتاب والسنة والإجماع والمصالح المعتبرة شرعا .

وقد يعرض فيها ابن المواز إلى الموازنة بين الفقه المالكي والفقه العراقي وفقه الشافعي ليذب عن آراء مالك ، ويدافع عنها .

وإذا كانت تلك منازل هذه الكتب الثلاثة فللمدونة مكانها من نقل المذهب ، ولها الصدارة في الرواية ، ولم ينازعها في مكانتها أي كتاب ؛ لأن الموازنة - وإن كان لها اعتبار ، فليس من ناحية جودة سماعها ، ونقل ماجاء فيها ، ولكن من ناحية الاستدلال ، وبيان الأصول للفروع ، والأدلة للأحكام .

وأما الرواية وحسن النقل وجودة السماع فللمدونة أولا وذلك فضلها واعتبارها .

نسأل الله أن ينفعنا بالعلم وأن يهدينا سواء السبيل .

د. محمود عبدالمتجلي خليفة

عضو لجنة الفتوى بالأزهر

نظرات قرآنية

الإقناع العقلي قبل رسالة إبراهيم

-١-

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

جميع رسالات السماء تبزغ من مشكاة واحدة فهي تدعو إلى الوحدانية وتحارب الشرك والوثنية ، وتعتز بيوم الحساب حين يقوم الناس لرب العالمين ، لذلك كان الإسلام دين الإنسانية منذ نشأت الخليقة وبهدى الإسلام تتابع الأنبياء والمرسلون ليعلنوا كلمة الله خالصة واضحة متفقة الجوهر نقية اللباب ، وهذا ما أعلنه الله — عز وجل — في كتابه الخاتم حيث قال : « شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ » .

الشورى — ١٣

وقد قرأت مقالا لعالم كبير من أفاضل علماء الاسلام ، ذهب فيه إلى أن رسالة ابراهيم — عليه السلام — كانت أول رسالة تعتمد على البرهان العقلي ، وتدعو إلى النظر في ملكوت السموات والأرض ليتدبر الناظر فيما حوله فيهتدى بفطرته إلى خالق الكون ومبدعه ، وأنا لا أنكر أن رسالة ابراهيم — عليه السلام — كانت دعوة خالصة الى التأمل في الملكوت الكوني ، وقد اعتمدت على الحجة الواضحة والبرهان الشاخص للعيان ، ولكنى أقرر أن رسالة الأنبياء جميعهم من قبل ابراهيم كانت تنحو هذا المنحنى العقلي . إذ تقدم الدليل الناهض على وحدانية الله فيما ذرأ من الكائنات وتخاطب العقل البصير بما يقنعه عن سداد ، والذين يقولون بطفولة العقل البشرى في نشأته الأولى من الماديين يجهلون أن الله قد خلق آدم مزودا بمواهبه الفكرية الراقية ، وأنه نزل إلى الأرض مسلحا بعقله البصير ليقاوم آفات الحياة بما يملك من موهبة ، وقد قال الله — عز وجل — في كتابه

« وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا » . البقرة — ٣١

ومن مميزات هذا التعليم أن يكون صاحبه قادرا على التمييز بين الخير والشر ، والنافع والضار ، وقد قال الله — عز وجل — « خَلَقَ الْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ » الرحمن ٣ ، ٤

وتعليم البيان لا يتم إلا بفكر سديد ينشىء المعاني الصحيحة ، ويقر الحق في نصابه ، بما أوتى من تفكير ! وما تورط هؤلاء القائلون بطفولة العقل البشرى في نشأته الأولى إلا حين جروا وراء

افتراضات لا سند لها ، إذ تخيلوا أن الإنسان الأول قد نشأ جاهلاً ما حوله فعاظمته مظاهر الطبيعة من رعد وبرق ومطر وشمس فاتجه إليها بالتأليه إلى آخر ما ينسجونه من أوهام لم تقم على أساس علمى محقق بل كانت مجرد افتراض موهوم ، تداولته الكتب فأصبح بهذا التداول المتكرر ، وكأنه حقيقة واقعة وماجرّهم إلى ذلك غيرُ المادّية الصّماء التى يجعلونها أساسَ الكون .

وقد نسُوا أنّ الدين غريزةٌ من غرائز النفس البشرية وقد وُجدت هذه الغريزة الصادقة مع أول نفس بشرية تلقتْ تعليم السماء وارتفعت عن الملائكة بما فقهت من تعليم ، إذ كان آدم مُعلماً لهؤلاء حين أخبرهم بحقائق ما يجهلون ، وهكذا وُلِد العقل البشرى الناضج فى رأس أب البشرية آدم ثم من وليه من الأبناء والأحفاد ، وحين كانت سُحب الجهالة تغيمُ على هذا العقل فى فترات متعاقبة ، أخذت رسل الله ـ عز وجل ـ تقوم برسالاتها الهادية فى دعوة الناشرين إلى صراط الله القويم فتتابع أنبياء الله ورسله على مسرح الحياة آناً بعد آن ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ثم جاءت الرسالة الخاتمة لتقرر الحقائق الربانية تقريرا راسخا لا تنال منه الأوهام او بها تمت كلمة الله ، وكمل الدين الحنيف واستنار السبيل .

آدم عليه السلام

لا نرى فى القرآن الكريم لفظا صريحا ينطق بنبوة آدم ، ولكننا نقرأ فى كتاب الله أنه ـــ عز وجل ـــ خاطبه بلا واسطة وعلّمه الأسماء ، وأمره بأشياء ونهاه عن أشياء وقد خالف بعض ما نُهى عنه ، ثم تاب ، فقبل الله توبته ، ونزلَ إلى الأرض ليبدأ رحلة الخليقة ، ومعنى النبوة حينئذ يكون محدودا فى أسرته المتعاقبة وطبيعى أن يقوم بإرشاد بنيه وفيهم من اهتدى ومن ضلّ ، ولكننا لم نقرأ حِجَجاً بينه وبين الضالين كعهدنا فى الأنبياء والرسل من بَعده ، لذلك نقف عند ما أثبته القرآن الكريم من حقائق ، وآدمُ بهدى السماء ، وبمخاطبة الله إياه ، كان مُوحِداً خالصَ التوحيد ، وحَسْبُهُ فى أدائه رسالته الإنسانية أنه كان أبا البشر ، له عطف الأب وحنانهُ وقيامه بمسئولية التربية ، أما التوحيد فقد عرفه واعتقده ، ولنْ تكون الطائفة الأولى من نسله غيرَ موحدين لذلك نجدُ هابيل يقول لأخيه : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٩﴾ سورة المائدة

والنص الصريح فى تقرير حقيقة الثواب والعقاب وفى تأكيد الخشية من الله لدى مَن خاف ربه ، وما جاء ذلك إلا من تعاليم آدم لأبنائه وإرشادهم إلى الطريق القويم .

دعوة نوح

ذكر القرآن الكريم أن إدريس ـــ عليه السلام ـــ « كان صديقا نبيا » .

مريم ـــ ٥٦

وقد رفعه الله مكانا عليا كما ورد ذكره في حديث الإسراء ولكن رسالته لم تثبت بأثر صحيح ، فهو إذن لم يناقش قوما يدعوهم الى عبادة الله فلننتقل منه إلى نوح حيث قضى أكبر وقت قضاه رسول في دعوة قومه ، إلى وحدانية فاطر السموات والأرض ولم ييأس بدءاً ولكنه يئس بعد الأمد الطويل إذ لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ، يدعوهم ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارا ونفورا وأظهروا من وسائل الإعراض ما يضيق به صدر الحليم فكانوا يضعون أصابعهم في آذانهم ، ويستغشون ثيابهم ويظهرون من دلائل الإصرار على الكفر ما ينبىء عن استعلاء متكبر ، وتعاظم مقيت ! لقد كان نوح ـــ عليه السلام ـــ ذا برهان عقلي واضح البينة في تأدية رسالته فهو يلفت أنظار قومه إلى ما يحيط بهم من دلائل القدرة الألهية بما لايستطيعون إنكاره ، وقد قال لهم فيما حكى الذكر الكريم عنه « فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ » (١)

نوح ١٠ ـــ ١٤

ثم ينتقل الى خلق السموات والأرض ، وهو ما لا يستطيعون إنكاره إذ يرونه رأى العين ، والدليل الحسّى أقوى إقناعاً من الدليل العقلى لأن ذا النظر المحدود يلمسه لمساً دون حاجة إلى استبصار ، أما الدليل العقلى فمع ترتبه على الدليل الحسّى فهو بحاجة إلى درجة أرقى من درجات الحسّ لتربط السبب بالمسبب ، ولتصل ما بين المقدمة والنتيجة ، يقول نوح ـــ عليه السلام ـــ فيما حكى الله عنه « أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾

أما دليل البعث فقد أعقب دليل النشأة إذ قال نوح « وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا » .

نوح ١٧ ـــ ١٨

ومشاهدة النبات بدءاً ونهاية مما تقع عليه الأنظار دون حائل ، فكما يخرج النبات من باطن الأرض ، ستخرج الأمواج من باطن القبور ، والقدرة التى تُهيمن على النبات هى نفسها القدرة التى

---

*سها أخي الدكتور بيومي عن قوله ـــ تعالى ـــ مخاطبا نوح : (لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) هود ـــ ٣٦ والنص صريح في أنه لا فائدة منهم ، ولا فائدة في أية دعوة توجه إليهم ، فحيالهم ـــ إذا ـــ استمرار في جحود الخالق وأولى بهم أن يهلكوا فلا يأس لدى نوح ـــ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـــ اطلاقا ، فكان أن دعا الله يهلكهم . وكيف ييأس نبي ، ومعلوم ما هو اليأس إزاء الدعوة .... الخطيب .

تهيمن على الإنسان والخالق هو الخالق والأرض هي الأرض ، فلم يبق إلا أن يكون الإنسان كالنبات ، بدءا وعاقبة يُدفن ثم يُنشر .

تلك أدلة واضحة البرهان ، مكث نبي الله ورسوله يرددها على تناسل الأحقاب جيلا بعد جيل حتى بلغ اليأس مبلغه فتضرع الى ربه قائلا « رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) » .

نوح ٢٦ ـــ ٢٧

قال ذلك بعد أن رأى تصميمهم الجازم على عبادة الأوثان على رغم ما قدم إليهم من واضح الدليل الحسيّ وساطع الدليل العقلي ، إذ قالوا فيما حكى الذكر الحكيم « وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا » .

نوح ٢٣ ـــ ٢٤

فنوح ـــ عليه السلام ـــ قبل إبراهيم قد سلك سبيل الاقناع معتمدا على ما ألهمه الله به من صُور التدليل وأوجه البرهان وقد استمع إليه القليل دون الكثير ، فآثرهم برعايته وحملهم معه فى سفينته استجابة لقول الله « قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) » هود ـــ ٤٠

« دعوة هود »

أتى هود ـــ عليه السلام ـــ بعد نوح تصديقا لقول الله ـــ عز وجل ـــ على لسانه:
« وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ » .

الأعراف ـــ ٦٩

وقد بعث فى قوم من العماليق ، أصحاب الجثث الضخمة ، والقوى الباطشة ومن شأن الذين يرزقون القوى العارمة دُون عقل يهدى أو عاطفة ترق ، أن يكونوا أولى غطرسة واستعلاء لا سيما إذا حظوا بالنعيم الوارف فى قصور عالية وجنان ناضرة ، وحياة هنيئة رخية ، لقد وَجَدَ هؤلاء أنفسهم ممتعين بكل ما يرغبون فعز عليهم أن يقوم من بينهم من يدعوهم إلى استشعار قوة الله والخوف منه .

أولو العـــزم

ابراهيم عليه السلام من أولى العزم ، وهم رسل الله الذين يقتحمون الصعاب بإرادة قوية لا تعرف الضعف ، لأن إيمانهم الواثق بمددهم بقوة جبارة تجعل أعتى العتاة فى أنظارهم لا يختلف عن أضعف

الضعفاء ، فالله وحده الملك الجبار المنتقم من الظالمين ، وهو حصن أنبيائه المرسلين لقد طغى النمرود في أرض كنعان وتعاظمه أن يجد من رعيته من يدعو إلى الله بقلب واثق ، ومنطق سليم وقد جاءه ما بشر به إبراهيم من هداية السماء بمنطقة الفاصل ودليله المفحم ، فأراد أن يهدم منطقة أمام الأشهاد بمنطق آخر ظنّ أنه سيفلّ غربه ، فإذا انهزم فكريا كان من السهل أن يناله العقاب ، هكذا فكّر وقدّر وهكذا جمّع أجناده في محفل حافل ليقول لإبراهيم : أأنت تقول : ربّى الذى يحيى ويميت ؟ فقال دون تردد : نعم أنا أقول ذلك : فصاح الطاغية أنا أيضا أحيى وأميت ، ألست أصْدر أمرى بقتل شخص فأميته وبالعفو عن شخص آخر فأحييه ؟! لقد وجد ابراهيم نفسه أمام لجاجة لا تعرف الحق ، فشاء أن يفحم النمرود بما لا يملك له دفعا فقال له : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ البقرة ــ ٢٥٨

فوجىء المتغطرس بما لا يتوقع !

هذا الايمان الراسخ دفعه الى دليل عملى يؤازره الدليل العقلى ، إذ تمادىَ قومه فى تكذيبه وأعلنوا أن أصنامهم آلهة تضر وتنفع ! ولم تُجْدهم مقارعة الحجة ، وصيال البرهان فصمّم على أن يكيد هذه الأصنام بتحطيمها إذ لا تستطيع دفعا عن نفسها ، وهى جُرأة و خارقة لا تتاح لغير نبى يواجه الجمهور المحتشد معتزا بربه وحده ! يُواجه الجمهور ليريه عملًا ما عزّ عليه أن يدركه عقلا فعمد إلى الآلهة المزعومة فجعلها جُذاذةً إلا الصنم الكبير ! وذهب القوم الى آلهتهم كعادتهم فوجدوا الحادث المفجع ! ﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ . الأنبياء ٥٩ ــ ٦٣

صدمة عنيفة تقرع أسماعهم فى قول ابراهيم ، فعله كبيرهم هذا فاسألوهم !!! كيف يفعل الكبير وهو جمادٌ لا يتحرك !! كيف يسألون الأصنام ولا لسان لها يجيب ؟ هذا ما أراد أن يظهره رسول الله فظهر البيان ليكون الحجة القاطعة ! وكانت العاقبة أن (نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ .

الأنبياء ٦٥

وهنا جهر ابراهيم بناصع البرهان حين قال (أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾) الأنبياء ٦٦ ، ٦٧

هذا نمط من الحجاج العملى يضاف إلى الحجاج العقلى ، لينطق بسداد قول الله ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ﴾ . الأنعام ــ ٨٣

أملاك الدولة في صدر الإسلام

المستشار / جمال الدين جودة اللبان (*)

أنواع الأراضي في عهد عمر - رضي الله عنه :

اختلفت الأراضي فيما بينها في عهد عمر - رضي الله عنه - من حيث طرق الانتفاع بها ، وما يؤدى عنها لبيت المال ، فهناك الأراضي العشرية والأراضي الخراجية ، والأرض العامة ، وهي أرض الكلأ والمروج ثم الأرض الموات .

أولا : الأرض العشرية :

هي أرض مملوكة لأصحابها ملكية تامة ، وتدفع العشر مما تغله للإمام أو (للدولة) وتشمل جميع الأراضي الواقعة في الجزيرة العربية ، إذ لا يقبل فيها إلا الإسلام ، ولم تكن ملكية الأرض في الجزيرة العربية تثير أي مشكلة فمساحة الأراضي الزراعية محدودة وملكيتها واضحة .

ثانيا : الأرض الخراجية :

وهي الأرض التي تدفع الخراج للإمام (بيت المال) وتشمل الأرض الخراجية :

الأراضي التي فتحت عنوة وقهرا (في غير الجزيرة العربية) وتركها الإمام في يد أصحابها وضرب عليها الخراج بحسب تقديره .

كما تشمل أيضا الأراضي التي لم تفتح عنوة وقهرا ، بل سلم أصحابها صلحا يضرب عليها الخراج بحسب عهد الصلح ، فقد يرد في هذا العهد أن تترك الملكية لأصحابها ؛ فتكون لهم عليها ملكية تامة ، ولا يلتزمون إلا بدفع الخراج للإمام وقد يرد في عهد الصلح أن الأرض تكون وقفا ، ولا يكون لأصحابها عليها إلا حق الانتفاع بها في نظير دفع الخراج [20] .

وقد رأينا أن عمر - رضي الله عنه - قرر ترك الأراضي في البلاد المفتوحة في أيدي أهلها وفرض عليهم الخراج ، والخراج : قدر معلوم من النقود يدفع عن كل وحدة قياسية من الأرض كالجريب (وهو قطعة من الأرض مساحتها مائة وخمسون ذراعا مربعا) وقد يقدر الخراج بقدر معلوم من النقود وكمية من محصول الأرض .

(*) الكاتب : رئيس هيئة قضايا الدولة .

(20) الأستاذ السنهوري - الوسيط الجزء الثامن ص ٤٨٤ .

ثالثا : الأرض الحمية أو العامة :

وهى الأرض التى خصصها عمر ــ رضى الله عنه ــ لعامة المسلمين ؛ فقد أثر على أنه خصص « أرض الحمى » لرعى الماشية وأنه استعمل عليها مولى له يسمى (هنيا) ، وأوصاه بالرحمة بالناس ، وأن يؤثر الفقراء على الأغنياء ، فقد أمره أن لا يسمح لماشية عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف بالرعى من هذه الأرض لغناهما .

ويجب عدم الخلط بين هذا النوع من الأرض الذى تحميه الدولة وبين أرض المراعى والكلأ ؛ فإن الدولة تبيح الانتفاع بالأولى للجميع ، مع المحافظة على شجرة وكلئه ليبقى صالحا للانتفاع بصفة دائمة ، وهذا يشبه فى الوقت الحاضر الأموال العامة للدولة كالحدائق والميادين وغيرها ، أما أرض المراعى والكلأ فإنها من المباحات للناس جميعا يستعملونها كيف شاءوا ــ كما هو الشاهد اليوم فى المراعى الموجودة بليبيا[٢١] .

رابعا : أرض الإقطاع :

وهى الأرض التى يُقْطِعُها الخليفة لأحد المسلمين يمنحها له ليقوم بإصلاحها والانتفاع بها ، ويروى أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد أعطى عليا ــ رضى الله عنه ــ بئر قيس والشجرة ، كما روى أيضاً أن عمرا ــ رضى الله عنه ــ أقطع عليا (ينبع) ــ راجع السنن الكبرى للبيهقى جـ٦ ص ١٤٤ ، راجع المغنى لابن قدامة : كتاب إحياء الموات .

وقد اشترط عمر ــ رضى الله عنه ــ للاقطاع شروطا تقتضيها المصلحة العامة هى :

١ ــ أن يقوم من تقطع له الأرض بتعميرها خلال ثلاث سنوات وإلا أخذت منه .

٢ ــ ألا ينشأ عنه ضرر لأحد المسلمين .

٣ ــ ألا تكون الأرض مما فرض عليه الخراج ، لأنها تكون فى هذه الحالة فى يد شخص من أهل البلاد المفتوحة وهو ملزم بدفع خراجها : زرعها أم لم يزرعها .

خامسا : الأرض الموقوفة :

فقد وقف عمر ــ رضى الله عنه ــ أرض له بخيبر فى عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعلى ذلك فالوقف مقرر من عهد الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقد استمر فى عهد الخلفاء الراشدين من بعده وهكذا .

سادسا : الأرض الموات :

وهى الأرض القابلة للإصلاح والزراعة وفيها يقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : من أحيا أرض مواتا ليست فى يد مسلم ولا معاهد فهى له[٢٢]،[٢٣] .

وإذا كان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد وضع قاعدة تملك الأرض الموات بإحيائها ، فإن عمر ــ رضى الله عنه ــ قد وضع شرطا هاما تقتضيه المصلحة فأوجب أن تحجر الأرض ، ويتم إحياؤها خلال ثلاث سنوات[٢٣] وقد تشدد عمر

(٢١) ملكية الأراضى فى الإسلام للدكتور محمد عبدالجواد محمد ص ٦٦ .

(٢٢) ، (٢٣) البخارى جـ ٣ ص ١٣٩ ، من كتاب نظرية العقد فى الشريعة الإسلامية للشيخ أبوزهرة ، وأخرج البخارى فى صحيحه رواية أخرى : « من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها » قال عروة : قضى به عمر فى خلافته .

ـ رضي الله عنه ـ في هذا الشرط كثيرا ـ كعادته في التمسك بالحق ولو كان ذلك ضد صحابي جليل من صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد أقطع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحد الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ أرضا ذات مساحة كبيرة ولم يقدر الصحابي على إحيائها أو زرعها كلها فلما ولي عمر ـ رضي الله عنه ـ الخلافة أرغمه على ترك مالم يستطع زراعته، ووزعه على المسلمين[24].

ويتضح من عرضنا السابق لأحكام الملكية في صدر الإسلام (عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعهد عمر ـ رضي الله عنه ـ أن الملكية ـ بالنظر إلى صاحب الملك ـ تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

(أ) الملكية الخاصة:

وهي ما ملكت لفرد أو مجموعة من الأفراد على سبيل الاشتراك، وتخول صاحبها الاستئثار بمنافعها والتصرف في محلها، وفي حال الكثرة يكون انتفاع كل فرد انتفاعا محددا ـ بما له فيها من حظ معلوم، إذا تجاوزه عد معتديا على حق غيره من الشركاء.

(ب) ملكية بيت المال أو ملكية الدولة:

هي الملكية التي يكون صاحبها بيت المال أو الدولة بصفتها شخصا معنويا أو اعتباريا كالأموال الخاصة في يد أصحابها، ويجوز لولي الأمر التصرف فيها من أجل تحقيق المصلحة العامة، وبيت المال هو الجهة التي تختص **بكل مال يستحقه المسلمون، ولم يتعين مالكه**، وقد قسم فقهاء الحنفية موارد بيت المال إلى خمسة أنواع هي:

١ ـ زكاة الأموال الظاهرة والعشر المستحق على الأراضي العشرية.

٢ ـ خمس الغنائم والمعادن والركاز.

٣ ـ الجزية التي تؤخذ من أهل الذمة وتركاتهم التي لا وارث لها، وخراج الأراضي والهدية التي تصل إلى الإمام من أهل الحرب، وما يؤخذ منهم من المال على ترك القتال قبل نزول العسكر بساحتهم.

٤ ـ اللقطات، وتركات المسلمين التي لا وارث لها، أولها وارث لا يرد عليه كأحد الزوجين، وديات القتلى الذين لا أولياء لهم[25].

٥ ـ الفيء وهو: كل ما وصل من المشركين من غير قتال ولا بإيجاف خيل ولا ركاب.

وإذا كانت موارد بيت المال متعددة على النحو السابق بيانه: فإن مصارفه متغيرة ومتنوعة أيضا.

فمصرف الزكاة للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل تطبيقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

سورة التوبة ـ آية: ٦٠

ومصرف الغنائم والمعادن بينه الله ـ سبحانه وتعالى ـ في كتابه الكريم بقوله:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ

---

(٢٤) الصحابي هو: بلال بن الحارث.
راجع: الأموال لأبي عبيد بن سلام ص ٤٠٨.

(٢٥) الملكية في الشريعة الإسلامية للدكتور عبدالسلام العبادي ص ٢٥٨ وما بعدها.

﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ﴾ .

سورة الأنفال ـ آية : ٤١

كما حدد الله ـ سبحانه وتعالى ـ مصرف الفيء بقوله :

﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ .

سورة الحشر ـ آية : ٧

ومصرف اللقطات وتركات المسلمين التي لا وارث لها ، وديات القتلى الذين لا أولياء لهم للفقراء ؛ يعطون منها نفقتهم وأدويتهم وتكفين موتاهم ، وتعقل منها جناياتهم[٢٦] .

ومصرف الجزية وخراج الأراضي وما يؤخذ من أهل الحرب من أموال على ترك القتال قبل نزول العسكر بساحتها ، وما يأخذه العاشر من أهل الذمة والحربيين ، هو المصالح العامة كبناء القناطر والمساجد وكفاية القضاة والعلماء وذراريهم والصرف على طلب العلم والعمال والمقاتلة وذراريهم[٢٧] ، وقد بين الماوردى[٢٨] أن العطاء يجب أن يكون لأهل الفيء على قدر كفايتهم حتى لا ينشأ غلول باكتساب المال عن جهاد العدو .

(جـ) الملكية العامة :

هي ما كانت لمجموع أفراد الأمة ، أو لجماعة من الجماعات التي تتكون منها الأمة بوصف أنها جماعة دون أن يختص أو يستأثر بها أحد .

فمن الأشياء ما هو ـ حسب وضعه ـ مصدر لانتفاع كل من دعته حاجته إلى الانتفاع به دون الاستئثار به . إما لكثرته ووفرته أو لتعاظمه ، كالأنهار والطرق العامة أو لكثرة من يقصده ، كالأراضي المتروكة حول القرى لتستعمل من قبل أهلها للرعي والحصاد وغيرها ، فهذه الأشياء تتمثل فيها الملكية العامة .

والانتفاع بالملكية العامة يكون لجميع أفراد الأمة أو لجماعة من الجماعات التي تتكون منها ، ويكون انتفاع الفرد على أنه فرد من تلك الجماعات دون أن يكون له اختصاص ولا يتجاوزه إلا إذا تعارض انتفاعه مع انتفاع غيره من الأفراد فعند ذلك يرد إلى مشاركة غيره في الانتفاع ، على أساس من المساواة والعدل حتى لا يكون انتفاع أحدهما مانعا من انتفاع الآخر .

وقد أقرت الشريعة الإسلامية الملكية العامة وذلك ماثل في المساجد ، وفي الأعيان الموقوفة على جهات الخير العام ، وفيما فعله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قسمته غنائم خيبر نصفين[٢٩] : جعل أحدهما للنوائب والوفود تفد على المسلمين وفيما حماه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الأرض لخيل المسلمين التي يحملون عليها حين الغزو ، فقد حمى النقيع لهذا الغرض[*] ، فكان للمسلمين عامة .

وفيما فعله عمر ـ رضي الله عنه ـ في أرض السواد في العراق ، وأرض مصر إذ جعلها وقفا

(٢٦) نصب الراية لأحاديث الرواية للزيلعي جـ٣ ص٣٩٧ وما بعدها .

(٢٧) المرجع السابق .

(٢٨) كتاب الحاوى للماوردى الجزء التاسع ص ٢٢٥ وما بعدها .

(٢٩) نصب الراية ـ مرجع سبق ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير جـ٤ ص٨٣ .

(*) النقيع : موضع قريب من المدينة كان يستنقع فيه الماء ، أي : يجتمع ، ولذلك سُمي النقيع ، وهو موضع حماه عمر لنعم الفيء وخيل المجاهدين ، فلا يرعاه غيرها .

على المسلمين ما تناسلوا ، ولم يخمسه ، ولم يقسمه بين الفاتحين .

والملكية العامة ، وإن كانت تتميز عن الملكية الخاصة - إلا أنها تماثلها من ناحية أنها ملكية لمجموع أفراد من حق كل فرد منهم أن يراقب وأن يحاسب وأن يرعى ، وذلك يدل عليه قول عمر - رضى الله عنه - : وما من أحد إلا وله فى هذا المال حق أعطيه أو أمنعه ، ومن أراد أن يسأل عنه فليأتنى ؛ فإن الله - تبارك وتعالى - جعلنى له خازنا وقاسما(٣٠) .

وهذا ما يبرز معنى الملكية العامة فى الإسلام من أنها للأفراد المشاركين لا لهيئة بوصف أنها هيئة لها شخصية اعتبارية ، ولها ملك هذا المال .

وكل مال صالح لأن يكون ملكا خاصا لفرد أو ملكا للأمة إلا أنها خالت طبيعته ووضعه أو المصلحة العامة من أن يكون محلا للملكية الخاصة كما فى الأنهار والطرق والجسور ، فإذا ما زال تعلق حاجة الجماعة بشىء معين كالطريق العام فإنه يجوز للحاكم المسلم أن يتصرف فيه كما يتصرف فى أموال بيت المال ، وذلك وفق مصلحة الجماعة ، فإذا حول الطريق العام واستغنى عن موقعه الأصلى ، فإن للحاكم أن يبيعه لحساب بيت المال ، ويصبح ملكا خاصا للدولة ، ومثل ذلك سائر ما يستغنى عنه من الأموال العامة .

وما كان ملكا عاما ، فإنه يجوز لكل واحد من أفراد الأمة أن ينتفع به بما يتفق مع طبيعته ، شريطة عدم الإضرار بالآخرين فى الانتفاع(٣١) ولا يجوز إقطاعه جملة يمنع غيره من الانتفاع .

أمثلة للملكية العامة :

عرفت الشريعة الإسلامية صورا متعددة للملكية العامة منها :

(أ) المرافق العامة وهى التى تمنع طبيعتها من أن تكون محلا للملكية الفردية كالأنهار والشوارع والرحاب بين العمران .

(ب) الحِمَى .. وهو تخصيص جزء أو موضع من الأرض التى لا يملكها أحد للحاجة العامة لذلك ، كأن تكون مرعى لخيل الجهاد وماشية الصدقة .

وقد حمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - النقيع - فى المدينة ، كما حمى عمر - رضى الله عنه - الربذة والشرف .

ويلاحظ أن الحمى لا يكون إلا لله - سبحانه - ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - بمعنى أن حق الحماية من الأرض الموات لا يكون إلا للحاكم فقط ، فلا يجوز لأى فرد احتجاز شىء من المنافع العامة لنفسه ليختص به اختصاصا دائما .

(جـ) الأراضى الموقوفة لمصلحة المسلمين ، فقد رصد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أرض بنى النضير وفدك ونصف خيبر ، لمصلحة جماعة المسلمين(٣٢) وكذلك فعل عمر - رضى الله عنه - بأرض السواد فى العراق(٣٣) .

---

(٣٠) الأموال لأبى عبيد بن سلام ص ٤١٣ .
(٣١) الملكية للشيخ على الخفيف ص ٦٣ .
(٣٢) نصب الراية - مرجع سبق .
(٣٣) المرجع السابق .

الوصية بالوالدين

وأحكام متعلقة بهما

لفضيلة الشيخ / أحمد بن محمد طاحون

أوصى الله ـ عز وجل ـ الإنسانَ ببرّ والديه ، وأمره بالإحسان إليهما ، ولين الجانب معهما ، والرفق بهما ، وأوجب عليه طاعتهما فيما ليس فيه معصيةٌ لله ـ عز وجل ـ فإن الوالدين هما سببُ وجود الإنسان ، ولهما عليه غايةُ الإحسان ، فالوالدُ بالإنفاق ، والوالدةُ بالإشفاق ، يقول تعالى في سورة لقمان موصياً بهما بعد الحث على توحيده وعلى نبذ الشرك في وصية لقمان لابنه : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ إنها وصيةُ الخالق الوهاب بمن لهما الفضلُ الأولُ عليك من البشر ، وقد جعل في قلبيهما الرحمة فأعطياك من الحنان والرقة والخدمة والرعاية مالاتستطيعُ مكافأته ، ولاتقدر على الوفاء به مهما بذلت من جهد في خدمتهما وإرضائهما ، فقد قاما على خدمتك ، وتعبا من أجلك وأنت في أشدِّ الحاجة إليهما ، وهما راضيان مسروران ، يريدان لك الحياة ، والصحة ، وطيب العيش ، لذا فإن أهمَّ الواجبات ـ بعد التوحيد وطاعة الربِّ : برُّ الوالدين ، وإسداءُ الخير لهما ، وإدخالُ السرور على قلبيهما .

وبعد أن سوّت الآيةُ بينهما في الوصايا خصت الأمَّ بمزيد من العناية ، ولفتت إلى مزيد فضلها على ولدها : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ لقد حملته تسعة أشهر ، وكلما تقدمت في الحَمْل ازدادت مشقةً وثقلاً إلى أن تضع حملها ، ففي فترة الحمل تلقى شدةً ، وضعفاً على ضعف ، وهي فرحة راضية تتلهف على اليوم الذي ترى فيه وجهَه ، وتسعدُ بصوته ، ثم إن الأمَّ هي التي أرضعته حولين ، وتعبت نهارها ، وسهرت ليلها شفقةً عليه ، ورعاية له : ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ أي : التفريق بين الصبيِّ والرضاع يقع في تمام عامين من وقت الولادة ، ثم إن الأمَّ بعد هذا كلِّه تشاركُ أباه في تربيته ، والقيام على ما يُصلحه .

إن هذا التنبيه على حق الأمّ في أعناق أولادها يوقظ الضمائر ، ويبعثُ ذوي الدين والمروءات على التشمير في رد الجميل ، ومقابلة الإحسان بالإحسان ، والإخلاص في الخدمة ، وإن هذا التذكيرَ بحق الأمِّ مفرداً ، جاء في جواب الرسول

ﷺ لمن قال له : «يارسول الله ، من أحقُّ بحُسن صحابتى ؟ قال : أمُّك ، قال : ثم مَن ؟ قال : أمُّك ، قال : ثم من ؟ قال : أمُّك قال : ثم من ؟ قال : ثم أبوك» (رواه أبو هريرة وأخرجه البخارى فى كتاب الأدب) .

والصحابةُ والصحبةُ مصدران لمعنًى واحد هو المصاحبةُ ، ومقتضى هذا الحديث أن يكونَ للأم ثلاثةُ أمثالِ ما للأب من البر ، لضعفها وعجزها عن الرجل ، وحاجتها إلى من يكفيها متاعبَ الحياة ، مع مالها من زيادةِ فضلٍ على ولدها ، فهى وحدها تتحملُ مشقةَ الحمْلِ يليه آلامُ الوضع ومتاعبُه ، ثم الرضاع ويتبعُه الفطام ، ثم إن يدها بيد الأب فى رعايته وتربيته .

وقد بينت امرأة مسلمة أمام رسول الله ﷺ أسبابَ حقِّ الأمِّ فى حضانة صبيِّها على نحوٍ رائع فقالت ـ كما يروى عمرو بنُ شعيب عن أبيه عن جده : «يارسول الله ، إن ابنى هذا كان بطْنى له وعاء ، وثَدْيى له سِقاء ، وحِجْرى له حواء ـ أى مأوى ـ وإن أباه طلقنى ، وأراد أن ينزعه منى ، فقال لها ﷺ : أنت أحقُّ به ما لم تنكحى» (أخرجه الحاكم وأبو داود) .

فقد توسلت هذه المرأةُ فى دفاعها عن حقها فى حضانة صبيها ، واختصاصها به بالأمور الثلاثة التى تنفردُ بها الأم .

وفى تأكيد هذا يروى المقدامُ بنُ معد يكرب أن الرسول ﷺ قال : «إن الله يُوصيكم بأمهاتكم ، ثم يُوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم بآبائكم ، ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب» (أخرجه البخارى فى الأدب المفرد ، وأحمد وابن ماجة والحاكم وصححه) .

إن أصحابَ العقول الراجحة والنفوس المطمئنة هم الذين يعرفون للوالدين حقَّهما ، ويسعَون فى طلب مرضاتهما ، ويتوددون إليهما بما يجعل السرورَ فى قلبيهما ، لا يبخلون بالمال ، ولا يضنون بالجهد ، ولا يقصِّرون فى الزيارة والسؤال عن الصحة والحال ، والدعاء لهما حيَّين أو ميتين ، إن ذلك من أحبِّ الأعمال إلى الله ، وأعظمها فى ميزان الحسنات ، وكان الصحابةُ ـ رضى الله عنهم ـ يسألون رسول الله ﷺ عن الأعمال التى تقربُهم من الله وتكونُ أكثرَ ثواباً وأعظمَ أجراً ، ليحرصوا عليها قبل فوات الأوان ، ومنهم عبدُ الله بن مسعود الذى قال : «سألت رسول الله ﷺ : أى العملِ أحبُّ إلى الله تعالى ؟ قال الصلاةُ على وقتها ، قلت : ثم أى ؟ قال : «برُّ الوالدين» قلت : ثم أى ؟ قال : «الجهادُ فى سبيل الله» (متفق عليه) .

فانظر وتدبر هذه الوصايا الجامعة واحرص على الانتفاع بها لتزداد من الخير الذى تجده فى يوم لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم : صلاة الفريضة فى أول وقتها ، بر الوالدين والإحسانَ إليهما ، والجهاد لإعلاء كلمة الله ـ عز وجل ـ ، ثم تدبر المعنى العظيمَ والهدفَ الساميَ النبيلَ فى قول رسول الله ﷺ : «لا يجزى ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيُعتقه» (رواه أبو هريرة وأخرجه مسلم) .

وإن تفسير الوصية فى قوله ـ سبحانه ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ﴾ فى ختام الآية الكريمة هو : ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ وتأمل كيف قرن شكرَ الوالدين بالأمر بشكر المولى ـ سبحانه ، وأكد سبحانه ـ على العباد وجوبَ

الامتثال ، لأن الرجوع إليه وحده ، فيجازى المحسنَ ويعاقبُ المسيء .

ثم إن طاعة الوالدين مقيدةٌ بأن تكونَ فى غير معصية الله ـ عز وجل ـ ومهما حرصا وبذلا من الجهد لدفع الولد إلى الشرك أو الوقوع فى المعصية فإنه يأبى عليهما ذلك ، ويعصيهما فيه ، ويشتُ على طريق إخوانه من أهل الحق الذين أنابوا ورجعوا إلى ربهم ، مع بقائه على الإحسان إليهما ، والرفق بهما ، وحسن الخلق معهما ، ولتتدبر :

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ﴾ نهاه عن طاعتهما فيما فيه معصية ، وإنّ أقبحَ المعاصى الشركُ بالله ، وأمَرَه بالاستمرار على برهما ومصاحبتهما بالمعروف بجميل القول ، ولين القلب ، والإخلاص فى الخدمة ، والقيام بما يجب نحوهما ، كما أمره بالثبات على طريق المُوحّدين الصالحين ، وذكّره بأن المرجعَ والمصيرَ إلى الله الذى يُحصى على كل إنسان عمله ، وفى القيامة يتفاوت الحالُ : فريقٌ فى الجنة وفريق فى السعير ﴿ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ أى إلى الله رجوعُك ورجوعُهما فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ، وفى هذا تحذيرٌ من المعصية وتحريضٌ على الطاعة والانقياد لأمر الله .

وإذا كانت الوصيةُ بالوالدين تدلُّ على أن برّهما من أشرف الأعمال ، وأعظم القربات فإن عقوقهما ، والإساءة إليهما ، وإهمالَ شأنهما أو أحدهما من أعظم الذنوب ، ومن الإفساد فى الأرض ، وفى الحديث المتفق عليه الذى رواه أبو بكرة نفيع بن الحارث أن رسول الله ﷺ قال : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ـ ثلاثاً ـ قلنا : بلى ، يارسول الله ، قال : الإشراكُ بالله ، وعقوقُ الوالدين ، وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقولُ الزور وشهادةُ الزور» فمازال يكررُها حتى قلنا : ليته سكت .

وفى رواية عمر بن العاصى ـ رضى الله عنه ـ عند البخارى : «والكبائرُ : الإشراك بالله ، وعقوقُ الوالدين ، وقتلُ النفسَ ، واليمينُ الغموس» أى اليمين التى يتعمد صاحبها فيها الكذبَ ؛ فإنها تغمسه فى الإثم .

وإذا كان الله ـ عز وجل ـ أوصى بالوالدين ولو كانا ـ أو أحدهما ـ على غير ملة الإسلام فمن باب أولى أن نرعى حقوق الأب المسلم ، والأمّ المسلمة ، إذلهما حقُّ الأبوة وحقُّ الإسلام ، فطوبى لمن تدبر هذا ورعاه ، وعمل به .

هذا ومما استنبطه العلماءُ من الآية الكريمة : أنها تدلُّ على النهى عن صحبة الفجار وأهل الشر والسوء ، وعلى الترغيب فى صحبة الصالحين ، فإن المقارنة والمخالطة مؤثرة ، والطبع جذاب ، والأمراض سارية ، حتى لاتسرى أخلاقهم الخبيثةُ وسيرُهم القبيحةُ بحكم المقارنة والعشرة ، وكذلك إذا خشى المرءُ على نفسه من الفتنة فى دينه فإنه يفرّ من أسبابها فراره من الأسد أو أشد ولو كان الوالدان هما السببَ الذى يُخشى منه ذلك ، إذ الدينُ الحق ومرضاةُ الرب هما : أعظمُ مايَحرص عليه أهلُ العقل والحكمة ـ والله أعلم ـ

ومن النصائح النفيسة ماقاله إبراهيم الخواص : دواءُ القلب خمسةٌ : قراءةُ القرآن بالتدبر ، وإخلاءُ البطن ، وقيامُ الليل ، والتضرعُ إلى الله ـ تعالى ـ عند السحر ، ومجالسةُ الصالحين .

نظرة في مؤتمر بكين

الأستاذ / عادل رفاعي خفاجة

تباينت النظرات التشريعية الوضعية ونظرات المجتمعات للمرأة بشكل ملاحظ ، ولم نر تشريعاً أنصف المرأة كما أنصفها الإسلام ، ولا مجتمعاً احترمها كاحترام المسلمين نسائهم ، ورعاية لحرمة قررها الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ لهن .

أعلى الإسلام من شأن المرأة حين يقول الرسول ﷺ «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم»(١) .

وقال ﷺ : « من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها ، وعلمها فأحسن تعليمها ، وأوسع عليها من نعم الله الذي أسبغ عليه ، كانت له منعة وستراً من النار »(٢) .

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟

قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك(٣) . وقوله ﷺ : « ... استوصوا بالنساء خيراً »(٤) .

وحسبنا قول الحق ـ تبارك وتعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾(٥) .

بينما هضمت حقوق المرأة لدى مختلف الأمم ، كما وطأتها عجلة الحضارة القائمة ، فنراها تقوم بأشق الأعمال ومهما تقدم سنها لاتنعم بالرعاية والاحترام التام الذي تناله لو قُدِّر لها أن تحيا بين أفراد أسرتها الممتدة ، يحوطها الأبناء والحفدة ، كما نرى في كثير من قرانا المصرية التي لم يلوثها طابع الحضارات الزائفة التي تلقي بنسائها في أشق مجالات العمل تحت مسمى المساواة ، فياله من مجتمع ، ذلك الذي يُقبِّل فيه الرجال أيدي النساء ، ثم إذا رسم الزمن خطوطه على تلك الأيدي يتركونها لرفع الأنقاض .

[كانت النساء في المقام الأول هن اللواتي تولين إزالة ٤٠٠ مليون متر مكعب من الأنقاض من المدن المهدمة في ألمانيا سنة ١٩٤٦]* .

كذلك نرى تلك الحقـــوق قد أضاعتها

---

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه ـ نيل الأوطار للشوكاني جـ ٦ ص ٢٠٦ ط دار الحديث .

(٢) الطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق عن ابن مسعود .

(٣) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٠ ص ٥٧ ، ٥٨ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

(٥) الإسراء / ٢٣ .

* انظر مجلة Deutschland العدد ٤ / ٩٥ A1 بناء الأنقاض ص ١٢ .

تشريعات ما أنزل الله بها من سلطان ، تذهب إلى أن المرأة خلقت من القصاصات والجزازات التى تناثرت من عملية خلق الرجل(٦) . كما نجد أن تلك الحقوق قد توارت فى قول « بان هو ـ بان » الصينية : تشغل نحن النساء آخر مكان فى الجنس البشرى ، ونحن أضعف قسم من بنى الإنسان ، ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمال(٧) .

ولم تكن المرأة فى الغرب الأوروبى أحسن حالاً ، "فلم يكن لها أى حق فى أى شىء ، فالقانون خاص بالرجال" هكذا على حد تعبير المؤرخ « فردريك هير F. Heer » (٨) .

وإذا كنا نرى أن الأسلوب الأمثل الذى يجب أن تلتزم به كل النساء فى العالم إنما هو ذلك الأسلوب الذى حدده لهن الله ـ سبحانه ـ وتعالى ـ بديع السموات والأرض الذى خلقهن وخلق كل شىء ، وليس ذلك النمط الأمريكى الذى يُراد فرضه على الأمم فرضاً ، إننا نؤمن بالأسلوب الأمثل المتمثل فى كتاب الله ـ عز وجل ـ وهو ألا يفرض قهراً ، مصداقاً لقوله ـ تعالى : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾(٩)

وقوله ـ تعالى : ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(١٠) .

وانطلاقاً من هذا المبدأ الذى أرساه الإسلام منذ مايزيد عن ١٤٠٠ عام جاءت كلمة مصر التى ألقتها السيدة سوزان مبارك حرم رئيس الجمهورية نقتطف منها مايؤكد التزام مصر بذلك حيث قالت :

« إن القراءة الصحيحة لمبادىء حقوق الإنسان تقول : إن كان من حقك أن تعتقد ما أرفض فإن من حقى أيضا أن اعتقد ماترفض أو أرفض ماتعتقد .. وبغير هذا المفهوم فإن العلاقة تصبح قائمة على القهر والإذعان » .

السلام سبيل التنمية

« ومصر اختارت طريق السلام إيماناً بأنه الطريق الأمثل لأمن ورخاء الشعوب وعن قناعة بأنه بدون السلام لن توجد تنمية ولاتوجد مساواة ، وتجنباً لويلات الحروب التى يعانيها المجتمع البشرى كله وتعرض المرأة بالذات للموت والإعاقة والاغتصاب وتتركها يتيمة أو أرملة أو ثكلى ويضاعف ماتعانيه من فقر وحرمان .

ومن أجل تأكيد السلام كان اهتمامنا بنشر ثقافة السلام CULTURE OF PEACE كنهج حضارى فى التفكير والسلوك إن أسلحة الدمار لاتنطلق من تلقاء ذاتها ، ولكن الإنسان هو الذى يتخذ قرار استخدامها وسلوك الإنسان نتاج ثقافته وإنا نأمل أن نتعاون ومعا ؛ كى يصبح مبدأ نشر ثقافة السلام مسلكاً دوليا وهدفا عالمياً .

الديمقراطية تحت مظلة الدين

ومع الديمقراطية تزدهر الحرية ونحن نرى أن التحرر لايعنى التمرد على الأديان والقيم السامية بل يعنى التحرر من تيارات الانحراف ، ومن كل مايدعو إلى الخروج على تعاليم الأديان والقيم السوية

(٦) عبير عبدالواحد : الإسلام والمرأة والتاريخ ـ مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر ١٤١٦هـ ص ٥٢٢ .

(٧) أنظر للكاتبة نفسها ـ فى هذا العدد ـ الإسلام والمرأة والتاريخ المرأة ومكانتها فى الصين .

(٨) .. ... احمد شلبى : المرأة فى الغرب الأوربى فى العصور الوسطى : مجلة الأزهر عدد ربيع الآخر ١٤١٤هـ ص ٥٢٧ .

(٩) الإنسان / ٧٦ .

(١٠) يونس / ٩٩

ونحن نحترم سيادة القانون ونتمسك بالدستور الذى ينص على أن الإسلام دين الدولة وهو ذات الدستور الذى كفل للمرأة حقوقها ومكانتها .

أهمية التعددية الثقافية

وهنا أود أن أؤكد أن شعب مصر ـ التى هى مهد التوحيد ولد فيها موسى عليه السلام واحتمى بها المسيح عليه السلام ، وصاهر اهلها محمد عليه الصلاة والسلام ـ شعب يعتز بانتمائه العربى والافريقى والإسلامى يرفض التطرف ويرفض الإلحاد .

والمسلمون والمسيحيون فى مصر يرفضون كل مالا يتفق مع شرائعهم ومعتقداتهم ولايرون فى إهدار هذه القيم الا اهدارا للمعانى الإنسانية ولآدمية البشر رجالا كانوا أو نساء .

نحن نعيش عصراً تسوده محاولات عاتية لسحق الهوية ومحو التراث وطمس التعددية الثقافية .

إن التنوع الثقافى ضرورة فكرية واجتماعية تثرى الكون ولاتقل أهمية عن التنوع البيولوجى التى يثرى الطبيعة .

والمرأة أقدر من غيرها على صيانة الثقافة والسلوك الثقافى وتوريثه فكراً وسلوكاً لأجيال متعاقبة والمرأة المتعلمة ضمان أساس لهذا الهدف .

وعود المجمع الدولى

نحن ـ أيضا ـ نعيش مجتمعاً دولياً كثيراً مالا يفعل مايقول ولا يقول مايفعل .

نتكلم عن إعطاء المرأة حق تقرير المصير بينما نذكر هذا الحق على شعوب بأسرها رجالها ونسائها شيوخها وأطفالها .

نحن ندعو للسلام ثم نكدس من الأسلحة مايكفى لدمار العالم عشرين مرة وننفق عليها مايكفى ربعه فقط لحل مشاكل التعليم ومياه الشرب والصحة وغيرها .

ننادى بوقف العنف ضد المرأة ولانتصدى بحزم لما تتعرض له المرأة من ترويع وقتل واغتصاب وانتهاك لآدميتها من أجل صراع عرقى مقيت .

ترصد المعونات للدول النامية وتخصص جزء منها لبرامج المرأة وهذا أمر جيد ولكن يشترط لصرف هذه القروض والمعونات والمنح قيام الدولة النامية بالاصلاحات الاقتصادية والتكيف الهيكلى الذى يصاحبه سلبيات هى وإن كانت مؤقتة إلا أنها شديدة الوطأة على المرأة والأسرة .

المسئولية الدولية

إن المسئولية هنا دولية عالمية ، لأن الكون واحد والمصير واحد ، نحن اشبه بمن هم معا فى سفينة واحدة رغم أن البعض يستقبل الدرجة الأولى والبعض يقطع الرحلة على سطح الباخرة أو يعانى فى قاعها بين الآلات والأمتعة إلا أن الأمواج عاتية لاترحم ولاتفرق وإن غرقت سفينة الكون فانها سوف تغوص الى القاع بكل من عليها بغض النظر عن امكاناته أو ثرائه .

إن تلك الكلمة التى تتسم بالوعى الإسلامى تتطلب من الجميع كتاباً وباحثين ، أهل التشريع فى هذا البلد ـ الطيب أهله ـ أن يعطوا القدوة ويقدموا النموذج الذى يفتقده الغرب الذى يلهث ـ عبثاً ـ وراء حرية زائفة .

لابد أن يقدموا المثل لا أن يركضوا سعياً للحاق بالغرب على نفس دربهم حتى لو أدى إلى

هلاكهم ، نذكر ذلك وبخاصة وقد جاءت معظم الأوراق المقدمة إلى مؤتمر بكين[11] بعيدة عن النهج الإسلامي القويم متأثرة بذلك السراب الذى يسعى إليه الغرب .

ولكن بفضل الله - تعالى - جاءت كلمات مشرقة ألقيت بالمؤتمر ، نقتطف منها الكلمة التالية :

بيان مصر فى الجلسة الختامية

تعكس مشاركة مصر فى المؤتمر الدولى الرابع للمرأة اقتناعها بقضايا المرأة والنهوض بها والإعلاء من شأنها كما تأتى امتداداً لمشاركة مصر فى مؤتمرات المرأة الثلاثة السابقة فضلاً عن استضافتها لأحد أهم المؤتمرات الدولية وهو المؤتمر الدولى للسكان والتنمية .

ويود وفد مصر أن يسجل أن فهمه للنصوص الواردة فى برنامج عمل المؤتمر الدولى الرابع للمرأة حول العلاقات الجنسية والإنجابية ينصرف إلى أن هذه العلاقات تتم فى إطار رابطة الزوجية والأسرة باعتبارها الخلية الأساسية للمجتمع .

كما أن تعامل مصر مع التوصيات التى يتضمنها برنامج العمل سوف يتم مع الاحترام الكامل لحقوق السيادة الوطنية ومختلف القيم الدينية والأخلاقية والتزاما بنصوص الدستور ومبادىء القانون واستهداء بشرائعنا السماوية السمحاء .

كما يود وفد مصر أن يسجل أن قراءاته وفهمه لنص الفقرات الخاصة بحقوق الميراث فى برنامج العمل وبصفة خاصة الفقرة ٢٧٤/د إنما يتم فى اطار الاحترام الكامل لقواعد الميراث فى الشريعة الإسلامية والالتزام بأحكام القانون والدستور .

شكر وتقدير فضيلة الأمام الأكبر

وقد امتدح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الجهد المشكور الذى بذله وفد مصر فى مؤتمر المرأة ببكين برئاسة السيدة قرينة رئيس الجمهورية .

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر أن وفد مصر كانت له وقفة مجيدة واجتمع حوله ممثلو الشعوب الإسلامية مدافعين عن قيم وأخلاق الإسلام لايغريهم بالخروج عنها أى وعد أو وعيد فلهم كل الشكر والتقدير .

(١١) راجع بيان اللجنة الفرعية لمجلس مجمع البحوث الإسلامية المنشور بمجلة الأزهر عدد ربيع الآخر ١٤١٦هـ ص ٤٦٩ : ٤٧٢

الإسلام والمرأة والتاريخ

المرأة ومكانتها في الصين

نظرة تاريخية

بقلم/ عبير عبد الواحد

ونتكلم عن المرأة في الصين كمثال لحال المرأة في بلاد الشرق الأقصى

المرأة الصينية : إبنة :

كان من أشد أسباب المذلة الدائمة للأمهات ألا يكون لهن أبناء ذكور ، لأن هؤلاء أقدر من البنات على العمل في الحقول ، وأثبت منهن في ميدان القتال . وكان من الشرائع المتبعة في البلاد ألا يسمح لغير الذكور بتقريب القربان إلى الآباء والأسلاف ... وكانت البنات تعد عبئا على الآباء ، لأنهم يربونهن ولا ينالهم من ذلك إلا أن يبعثوا بهن متى كبرن إلى بيوت أزواجهن ليعملن فيها ويلدن أبناء يكدون لأسر غير أسرهم ... وإذا ولد للأسرة بنات أكثر من حاجتها وصادفت الأسرة الصعاب في إعالتهن تركتهن في الحقول ليقضي عليهن صقيع الليل ، أو الحيوانات الضارية دون أن تشعر — أي الأسرة — بشيء من وخز الضمير .

وكان الآباء يحرصون على العفة أشد الحرص في بناتهم . غير أنهم لم يبذلوا أي مجهود يهدف إلى أن يحتفظ الرجل غير المتزوج بعفته ، بل كان يعد من الأمور العادية المشروعة أن يتردد على المواخير .

وكان إعداد النساء لإشباع هذه الشهوات من النظم المقررة في الصين منذ زمن بعيد ... ومن ذلك أن (الوزير الشهير جوان جونج) وزير (ولاية تشى) أعد مقراً للقوادات تؤخذ فيه من

(١) مرجعنا في هذا الفصل : ول ديورانت قصة الحضارة — الشرق الأقصى — الصين : ترجمة محمد بدران .

التجار القادمين من الولايات الأخرى مكاسبهم قبل أن يعودوا إلى أوطانهم[٢] ويقول ماركوبولو : إنه شاهد فى عاصمة (كوبلاى خان) من العاهرات ما لا يحصى عددهن . وهؤلاء البغايا مرخص لهن بمزاولة مهنتهن ، وتنظم الدولة أمورهن وتراقبهن من الوجهة الطبية ، وتقدم أجملهن دون أجـر إلى أعضاء السفـارات الأجنبية[٣] .

المرأة الصينية زوجة :

كانت طريقة الخطبة أن يرسل والد الخطيب هدية قيمة إلى والد الفتاة ، ولكن الفتاة كان ينتظر منها هى الأخرى أن تأتى معها بائنة[٤] قيمة إلى زوجها تكون فى الغالب على شكل متاع أو بضاعة كما كانت الأسرتان تتبادلان فى العادة كثيراً من الهدايا ذات الشأن وقت الزواج ، وكانت الزوجة تعيش بعد الزواج مع زوجها فى بيت أبيه أو بالقرب منه ، حيث تكدح كدحا فى خدمة زوجها وأمه إلى أن يحين الوقت الذى يحررها فيه الموت من هذا الاسترقاق ، أو يتركها على استعداد لأن تفرض هى نفسها نفس العمل على زوجات أبنائها ... وكان الفقراء يكتفون بزوجة واحدة ، ولكن حرص الصينيين على إنجاب أبناء أقوياء كان من القوة بحيث يجعلهم يسمحون عادة للقادرين منهم بأن يتخـذوا لهم سرارى أو « زوجات » يعتبرون زوجات الدرجة الثانية ...

ولم تكن الزوجات الثانيات يفترقن كثيراً عن الإماء ، كما لم تكن الزوجات الأوليات إلا رئيسات هيئة لإنتاج الأبناء والبنات ، تعتمد مكانتهن فى الأسرة اعتماداً يكاد يكون تاماً على عدد من يلدن من الأبناء وعلى جنسهن .

وكان فى وسع الرجل أن يطلق الزوجة لأى سبب كان ، لعقمها أولثرثرتها ، ولم يكن من حقها أن تطلق زوجها ؛ بل كان لها أن تغادر داره وتعود إلى دار أبويها وإن كان هذا لا يحدث إلا فى القليل النادر . على أن الطلاق كان مع ذلك قليلاً ، ويرجع بعض السبب فى هذا إلى ما كان ينتظر المطلقة من مصير أسوأ من أن تستطيع التفكير فيه ..

المرأة فى الصين والتعليم :

كان التعليم منتشرا بين نساء الطبقات العليا فى الأيام القديمة ، وإن كان عدد من يعرفون القراءة والكتابة من الصينيين فى (أيام المنشو) لا يكاد يبلغ واحداً من كل عشرة آلاف . وكان كثيرات من النساء ـ أى من ذات الطبقة ـ يقرضن الشعر .

حقوق للنساء فى الصين :

وبديهى أن ما سوف تقرأه فى هذه الفقرة كان قاصراً على أضيق دائرة من نساء الطبقة العليا :

أكبر الظن أن الأم قبل أيام كنفوشيوس كانت محور الأسرة ؛ لأنها مصدر وجودها وسلطانها . وكان الناس فى أول عهودهم « يعرفون أمهاتهم ولا يعرفون آباءهم » ولا يزال اللفظ الدال على اسم أسرة الرجل مكوناً من الأصل الذى اشتق من لفظ « امرأة » وكانت الزوجة تحتفظ باسمها بعد زواجها ... وكانت النساء حتى القرن الثالث بعد الميلاد يشغلن فى البلاد مناصب إدارية وتنفيذية

(٢) ول ديورانت : المرجع سابق ص ٢٦٧

(٣) ول ديورانت : المرجع سابق ص ٢٦٨

(٤) البائنة : المال الذى يخصص للبنت فتدفعه إلى زوجها ، ومثلها (الدوطة) عند الفرنجة : المال الذى تدفعه العروس إلى عروسها . المعجم الوسيط .

رفيعة ، وقد وصل بعضهن إلى أن يكن حاكات للبلاد ...

مدى استمرار تلك الحقوق :

لعل قيام نظام الإقطاع في الصين قد قلل من منزلة المرأة السياسية والاقتصادية في تلك البلاد ، وجاء معه بنمط صارم من (الأسرة الأبوية) ومع أن الأسرة كلها كانت تمتلك أرضها امتلاكا مشتركا ؛ فإنها كانت تعترف للأب بالسلطان الكامل على الأسرة وعلى أملاكها . فلما حل عهد كنفوشيوس كان سلطان الأب يكاد أن يكون مطلقاً في جميع الأمور ، فكان في وسعه أن يبيع زوجته وأبناءه ليكونوا عبيداً ، وكان يستطيع إذا شاء أن يقتل أبناءه لا يحول بينه وبين هذا إلا حكم الرأى العام ... وكان يتناول طعامه بمفرده لا يدعو زوجته ولا أبناءه إلى المائدة معه إلا في أوقات قليلة نادرة ، وإذا مات كان ينتظر من أرملته ألا تتزوج بعده ، وكان يطلب إليها في بداية الأمر أن تحرق نفسها تكريماً له ، وظلت حوادث من هذا النوع تقع في الصين إلى أواخر القرن التاسع عشر بعد الميلاد .

لاحظ التشابه هنا بين هذا الطلب وبين (السوتى) وهي عادة قتل الزوجة بعد موت زوجها ـ في الهند* وكان الصينى يجامل زوجته كما يجامل كل إنسان سواها ، ولكنه كان في حياته بعيداً كل البعد عن زوجته وأبنائه ، كأنه من طبقة غير طبقتهم ... وكانت الحياة الاجتماعية كلها مقصورة على الرجال إلا إذا كانت النساء من الطبقات التى يسمح لأفرادها بالاختلاط بالرجال كالمغنيات ، وكان الرجل لا يفكر في زوجته إلا بوصفها أم أبنائه ولا يكرمها لجمالها أو لثقافتها ، بل لخصوبتها وجدها وطاعتها ...

تقول السيدة بان هو ـ بأن إحدى بنات الطبقة العليا ـ في رسالة شهيرة :

نشغل نحن النساء آخر مكان في الجنس البشرى ، ونحن أضعف قسم من بنى الإنسان ، ويجب أن يكون من نصيبنا أحقر الأعمال ... وما أعدل ما يقوله في حقنا (كتاب قوانين الجنسين) وأصدقه « إذا كان للمرأة زوج يرتضيه قلبها وجب أن تبقى معه طيلة حياتها ، وإذا كان للمرأة زوج لا يرتضيه قلبها وجب أن تبقى معه أيضاً طيلة حياتها »[(٥)] ... ويغنى فوشوان قائلا :

ألا ما أتعس حظ المرأة ،
ليس في العالم كله شيء أقل قيمة منها ،
إن الأولاد يقفون متكئين على الأبواب ،
كأنهم آلهة سقطوا من السماء ،
تتحدى قلوبهم البحار الأربعة ،
والرياح والتراب آلاف الأميال ،
أما البنت فإن أحداً لا يسر بمولدها ،
ولا تدخر الأسرة من وراثها شيئاً ،
وإذا كبرت اختبأت في حجرتها ،
تخش أن تنظر إلى وجه إنسان ،
ولا يبكيها أحد إذا اختفت من منزلها على حين غفلة
كما تختفى السحب بعد هطول الأمطار »

وهكذا نلاحظ أنه لو كانت هناك بعض الحقوق للنساء في الصين فإنها لم يكن لها صفة الدوام فهى تتغير باختلاف الظروف والأحوال كما ترتبط بعقيدة تجعل ممارستها حقا مكتسباً دائماً

* راجع فصل المرأة في الهند من هذا البحث بعدد ربيع الآخر ١٤١٦ هـ .

(٥) قصة الحضارة ، ول ديورانت ، مرجع سابق ص ٢٧٣

من دلالات الهجرة النبوية

لفضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (الآية ٢ من سورة الجمعة)

كان الناس فى جاهليتهم قد ضلوا الطريق إلى الله فعبدوا الصنم والوثن واتخذ كل إلهه هواه فأرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق لإنقاذهم من الحمية حمية الجاهلية حتى أنستهم أنفسهم وأعمتهم عن استقرار حياتهم والله يقول لرسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ، الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء

فكان من أعظم نعم الله على خلق الله إرسال خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبدالله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن الضلالة إلى الهدى ، ولكن أقواما لم يبصروا النور المتلألئ بين أعينهم لأنهم أغمضوا أعينهم ولووا رءوسهم وجعلوا أصابعهم فى آذانهم فكانوا يصدون عن سبيل الله من آمن ويؤذون رسول الله والمؤمنين معه معتدين بقوتهم ومعتزين بغلبتهم ليقطعوا الطريق بإرهاب المستضعفين من المهتدين المسلمين حتى بلغ بهم الحمق والبغى على أنفسهم وعلى الناس أن قالوا : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم » وتلك هى صورة الأفكار الضالة الشاردة وكان الأولى بهم أن يقولوا : « اهدنا إلى سواء السبيل » بدل قولهم هذا الذى طلبوه من الله فى دعائهم على أنفسهم بالعذاب الأليم .

ولقد كانت مكة أحب بقاع الأرض إلى النبى والذين معه فهى منبت نشأتهم ومقر بيت الله العتيق العريق ، ولكن الوطن مع المنغصات غربة : والمؤمن وإن كان منتميا لبلاده التى وجد فوق أديمها ونشأ تحت سمائها ، ولكن يمكنه استبدال أرض بأرض وجيران بجيران أما الدين فلا بديل له ولا عوض عنه ففيه السعادة فى الدنيا والآخرة : ومن خسر دينه فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

ولقد أظهر الله لرسوله خبيئة أنفسهم الأمارة فقال : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٣٠ ﴾ سورة الأنفال

آثار الهجرة المحمدية

لقد تكفلت كتب السيرة بتفصيل أحداث الهجرة تفصيلا كاملا شاملا ولكن ما هى آثارها وأهدافها وما الذى ترتب عليها من نصر للحق وسعادة للمؤمنين ورحمة للعالمين بإشراق شمس الهداية ليسطع نورها على الخلائق وتزول حجب الضلالات والجهالات التى كانت تحول بين نفوس المستكبرين فى الأرض بغير الحق ، وبين الحق وهذه غاية من غايات الرسالة المحمدية العالمية .

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٣٢ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۝٣٣ ﴾ سورة التوبة

لقد ربى رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - بالقرآن رجالا وصنع بالقدوة الحسنة أبطالا يعجز الزمان عن الإتيان بمثلهم :

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝١٢ ﴾

سورة الواقعة

وقد بعث الله رسوله محمدا ليتمم مكارم الأخلاق لأن صلاح كل إنسان إلى الأخلاق مرجعه :

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
فقوم النفس بالأخلاق تستقم

ولاتبنى الأمم إلا بالأخلاق الفاضلة النبيلة وبالأعمال الكريمة الجليلة : فإذا تسامى الإنسان بأخلاقه وترفع عن الخضوع المذل لنزواته وشهواته فقد سلم دينه وقوى يقينه وهدى إلى صراط مستقيم : ومما لا ريب فيه أن الإنسان لبنة فى بناء المجتمع : وما المجتمع إلا أسر وأفراد لهذا كانت الرسالة المحمدية إنقاذا للنفوس من مقتها : فانتفع العالم بهذا الدين القيم حتى من لم يؤمن به ، حيث صحح العادات المقوتة وطهر الاعتقاد من الاتخاذ الذى خضع له الناس فعبدوا الصنم والوثن وضلوا سواء السبيل .

لهذا كان فضل الله عظيما على البشر لما جمعوا كلمة : « الله أكبر » وكلمة التوحيد : « لا إله إلا الله » وفيها تكمن القوة فلا إله يعبد بحق إلا الله ولا رب سواه : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٦١ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝١٦٤ ﴾ سورة الأنعام

لقد كان الناس يستعبدون الناس بسبب زعم باطل بأن بعضهم أرقى من بعض عنصرا وأحسن أصلا من بعض ، وأن البقية يجب عليهم الخضوع والطاعة ولكن الإسلام جعل مقياس التفاضل هو التقوى فالناس لآدم وآدم من تراب ولا فضل لأحد على أحد إلا بالأعمال الصالحة وبالآثار النافعة التى تقربهم من ربهم وبتمجيد خالقهم

ونفع الناس، لأن خير الناس أنفعهم للناس: والله يقول ـ جل جلاله ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾
سورة الحجرات

تلك هي حقوق الإنسان يوضحها القرآن فلا عنصرية ولا استعلاء ولا عنجهية ولا كبرياء: أرأيت كيف رفع الإسلام بلالا الحبشى فكان سيدنا: وكان صهيب الرومى سيدنا: وكان سليمان الفارسي سيدنا: لأن المؤمنين إخوة وأمتهم أمة واحدة.

ولقد سادت هذه الروح الإسلامية فى الأمم والشعوب فى مشارق الأرض ومغاربها فنبهت الإنسان إلى حقه وردته إلى كرامته وآدميته وعزته والله يقول:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ... ﴾

لقد كانت الهجرة سببا فى انتصار الحق على الباطل وارتفاع كلمة الله باعتزاز الدين الإسلامى وتبوئه المقعد المرجو له والجدير به؛ لما انطلقت الدعوة المحمدية إلى بلاد الله بدون استنكار أو معارضة فلا تقييد ولا تعقيد ولا تعويق، وأصبح المسلمون أقوياء بعد ضعف: أقوياء بقوة الإيمان أجلاء بجلال الحق عظماء بعظمة الإسلام يصلون ما أمر الله به أن يوصل وينهون عن الفساد فى الأرض: ولهذا جعلوا الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامى العربى العالمى، ولقد أمنت الطريق من قطاع الطريق أعداء الحق والهدى أعداء الله ورسوله

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ﴾

والسر فى سرعة انتشار الإسلام هو وضوح الشريعة الإسلامية وسلامة العقيدة الدينية لأنها ليست معقدة أدلتها قوية وحججها واضحة جلية تتقبلها القلوب والعقول وتطمئن إليها النفوس بدون برهان:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا .... ﴾ **الآية ٣٠ من سورة الروم**

لقد نصر الله رسوله بالهجرة: بعد أن تحمل أذى كثيرا من قساة القلوب وغلاظ الأكباد وأهل الشرك والحقد والجحود، ولكن عناية الله تعصمه دائما وترعاه وتؤيده وتناصره أينما حلّ وأنّى وُجد فكان الله معه، ومن كان الله معه فلن يقهر أبدا **﴿ وما النصر إلا من عند الله .. ﴾ ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ﴾** :يقول الله:

﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ .... ﴾ **من الآية ٤٠ من سورة التوبة.**

وكان أمر الهجرة بتخطيط إلهى حتى لقد ساهم العنكبوت بخيوطه الواهية فى حماية النبى وصاحبه الصّدّيق وهما فى الغار، والله ينصر رسله ـ عليهم السلام ـ لأنهم كلهم كانوا دعاة عقيدة التوحيد، ورسالتهم إصلاح اجتماعى يبنى الفرد والجماعة.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) ﴾
سورة الأنبياء

لقد كانت عقيدتهم التى أرسلوا بها تتعهد العقل بهداية ترشده إذا ضل وتقومه إذا اعوج «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إلـه إلا الله»:

وذلك لأن الإسلام يقول للعقل اسبح كما شئت ولكن احذر الغرق، وقد كانت الهجرة فتحا مبينا

للإسلام لينساح إلى بلاد العالمين منطلقا من مركز القوة بالسرعة التى لم يعرف التاريخ لها مثيلا بفضل هجرة صاحب الخلق العظيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى هذا إعجاز وإنجاز عرفته الدنيا فى شتى العصور والدهور ، ووعاه التاريخ وحفظه الزمن .

والحق أن رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قد أذن الله بالهجرة له ليتمكن بعيدا عن كيد الحاقدين ومكر المجرمين ـ من جمع لبنات بناء الأمة المحمدية التى يريد أن يبوئها بين أمم الأرض فى سماء المجد مكانا عليا ، وبذا تكون خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله : والله يقول للمسلمين :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .... ﴾ من

الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

وهذه الأمة صاحبة الشريعة الإسلامية التى جاءت لإسعاد البشرية فى معاملاتها الحسنة وعباداتها التى تعتبر كل قول أو فعل يرضى الله عبادة خالصة لله : وإنك لتجد الأخلاق الإسلامية تطهر النفوس من أدران الذنوب والعيوب والخطايا والدنايا : وتُطَهِّر الأفكار من الوساوس والهواجس الشيطانية الخبيثة ! والله يقول :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ... ﴾

الآية : ١٦ من سورة ق

وأما بعد،

فإن الاحتفال بذكرى الهجرة النبوية يملأ القلب سرورا ونورا وإجلالا وتعظيماً ، ففيه تعمر المساجد بالراكع والساجد ، والمجالس بالصلاة والسلام على قائد الخلق إلى الهدى والحق ، وتعمر بيوت الأسخياء من الأغنياء بإطعام الطعام وإكرام الأيتام ، وبذل الصدقات لإدخال السرور على البائس الفقير ، فما أجمل التيسير على المعسر وتفريج كرب المكروبين اقتداء بصاحب الذكرى فى حب الخير للغير فلنشكر الله على نعمة الإسلام الذى حقق المساواة والعدالة ونشر الأمن ومكارم الأخلاق

سيدى يارسول الله : ـ صلوات الله وسلامه عليك ـ يوم ولدت ويوم بعثت ، ويوم أسرى بك ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ويوم هاجرت من مكة إلى المدينة لتؤدى الأمانة وتبلغ الرسالة : ـ صلواته وسلامه عليك ـ يوم قبضت إلى الرفيق الأعلى ، ويوم تبعث حيا .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

الفتاوى

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الأستاذ / عبد المنعم فوده

السؤال من السيد ع . أ من الغربية .

أولا :

هناك حديث بين الرسول ﷺ وعمه العباس ـ تقريباً ـ ينصحه فيه بصلاة التسابيح ويعرفه فضلها وكيفية صلاتها ، وقرأت أيضا فى كتيب صغير عن شيخ سعودى يبين فيه أن صلاة التسابيح فى هذا الحديث غير جائزة لأنه حديث ضعيف .

ثانياً :

إذا تأخر الإنسان عن صلاة الفجر وصلى الصبح ، فهل يصلى السنن بعدها ، أم قبلها مثل الفجر ، وإلى أى وقت يقبل الله صلاة الصبح بعد طلوع الشمس ؟

ثالثاً :

بالنسبة لصيام التطوع فهل يجوز صيام يوم الجمعة على أن يكون معه يوم السبت والأحد مثلا ؟ وهل صيامه منفردا حرام ؟

أفيدونا أفادكم الله ...

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وبعد :

أولا : فيما يتعلق بصلاة التسابيح

فقد روى حديث التسابيح من طرق كثيرة ، وعن جماعة من الصحابة ، كما قاله الحافظ ابن حجر ، وكما رواه وخرجه : أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه والطبرانى وهذه الروايات المتعددة يقوى بعضها بعضا .

وقال الإمام النووى : وقد نص جماعة من أئمة أصحابنا الشافعية ـ على استحباب صلاة التسابيح ، منهم : البغوى والرويانى عن عبد الله بن المبارك أنها مرغب فيها ، ويستحب أن يعتاد فى كل حين ، ولا يتغافل عنها ، ولا مانع من صلاتها فإنها فضيلة ، وليست محدثة ، وليست بدعة ، فهى كأى صلاة تطوع زيدت فيه التسبيحات ،

والتسبيح مأمورية بكرة وأصيلا ، وما دام بعض الفقهاء قال بها فلا وجه للإنكار عليها ، وما ورد من ضعف أحاديثها لا يطعن فيها ، لأن العلماء قالوا : « الحديث الضعيف يقبل ويعمل به في فضائل الأعمال » .

وفضل صلاة التسابيح كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وابن ماجة وابن خزيمة قول النبي ﷺ للعباس فيه : « يا عماه ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ألا أفعل لك عشر خصال ، إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره ، وقديمه وحديثه ، وخطأه وعمده ، وصغيره وكبيره ، وسره وعلانيته ، عشر خصال : أن تصلي أربع ركعات بنية صلاة التسابيح ، أو تصلي ركعتين ركعتين ويقرأ المصلي في كل ركعة الفاتحة وسورة ، وبعد السورة وقبل الركوع يسبح خمس عشر مرة (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) وفي الركوع يسبح عشرا ، وفي الاعتدال منه يسبح عشرا ، وفي السجود الأول عشرا ، وفي الجلوس بين السجدتين عشرا ، وفي السجدة الثانية عشرا ، وعقب السجود الثاني يجلس ويسبح عشرا ، فجملة التسابيح في الركعة الواحدة : خمس وسبعون تسبيحة ، ففي أربع ركعات ثلاثمائة تسبيحة ، **ومن المعلوم أن الذنوب التي تكفرها صلاة التسابيح هي الصغائر أما الكبائر فلا يكفرها إلا التوبة النصوح ورد الحقوق لأهلها والله الموفق .**

ثانياً : صلاة الصبح بعد طلوع الشمس

من فاته صلاة الصبح حتى طلعت الشمس فإنه يصلي فريضة الصبح وسنتها مقدما السنة ثم الفريضة ، وفي فقه الامام مالك : يقدم الفرض ثم يصلي السنة بعدها ، فإذا زالت الشمس وأذن لصلاة الظهر صلى فرض الصبح فقط وسقطت السنة ، وصلاة الصبح يتقبلها الله أداء قبل طلوع الشمس ، وقضاء بعد طلوع الشمس ، ولا تسقط الفريضة أبدا ، ولكن أجر الصلاة في وقتها ثابت ويصل الى سبع وعشرين درجة إن كان في جماعة ، أما من صلى بعد خروج وقت الصلاة فإن عليه إثم التأخير ما لم يكن نائما ، وصلاة القضاء تسقط الفرض كصلاة الأداء .

ومن دخل المسجد فوجد الإمام يصلي فرض الصبح صلى معه ، ثم صلى السنة بعد انتهاء الفرض ، أو يؤخر السنة الى ما بعد طلوع الشمس وارتفاعها قدر ربع أي ثلث ساعة والأصل في ترتيب صلاة الصبح وسنتها أن السنة تصلى أولا ثم يصلى الصبح ، ولا يسبق الفرض السنة إلا بإدراك الجماعة أو بطلوع الشمس على قول مذهب الامام مالك ، والله الموفق .

ثالثاً : فيما يتعلق بصيام الجمعة

نهى رسول الله ﷺ عن صيام يوم الجمعة تطوعا منفرداً ، إلا أن يسبقه صوم يوم الخميس أو يلحقه صوم يوم السبت ، ويكون الصوم موافقا للسنة ، بذلك ، أما إذا أفرد يوم الجمعة بالصوم فذلك مكروه ومنهي عنه ، وليس حراما والله الموفق .

السؤال من السيـــد ع . أ . ع من المحلـــة الكبرى .

هل إذا صامت المرأة ستة أيام من شوال بنية قضاء ستة أيام مما عليها من شهر رمضان (فترة الحيض أو المرض) ونوت صيامها كسنة كما جاء في حديث الرسول ـ ﷺ ـ فهل هذا الصوم يقضى عن الأيام التى عليها من رمضان وتحصل على ثواب صيام السنة .

رجل حلف على امرأته بالطلاق يمينان ، ثم ردها ، وحلف يمين الطلاق الثالث وقال بالحرف الواحد : « **وهذا اليمين الثالث حتى لا يكون لك رد** » وأفتاه شيوخ القرية : بأن زوجته لا تحل له بعد اليمين الثالث .

ولكن أحد الشيوخ أفتاه بجواز الرد لزوجته إذا دفع كفارة لإطعام ٦٠ مسكينا ، وعاد الرجل ليعاشر زوجته ، وتم دفع الكفارة .

أفيدونا أفادكم الله ...

الجـــواب

(ا) اذا صام المرء ستة أيام من شوال بنية قضاء أيام من شهر رمضان ونوى مع ذلك صيامهم كسنة فإن ذلك يجزئه عن القضاء ويكون له ـ كذلك بفضل الله تعالى ـ ثواب تحرى السنة ، والله اعلم .

(ب) للإجابة على هذا السؤال لابد أولا : من بيان صيغة الحلف بالطلاق لأن الحكم يختلف باختلاف اللفظ ، وكذلك للنية دخل فى وقوع الطلاق من عدمه فى غير صريح الطلاق ، والله أعلم .

السؤال من السيد ع.ا :

فى شهر رمضان المعظم كثيرا ما تقام دورات فى بعض الألعاب مثل لعبة كرة القدم ، ويجمع كل لاعب مبلغ من المال ، ثم يشترى بهذه الأموال إما كرة قدم أو (فانلات) أو مصاحف قيمة للفريق الفائز .

فهل هذه المبالغ بهذه الصورة تعتبر قمارا ؟

أحيانا يستيقظ الفرد الساعة الثامنة صباحا وتكون الشمس قد أشرقت فهل يجوز صلاة الصبح فى ذلك الوقت ؟

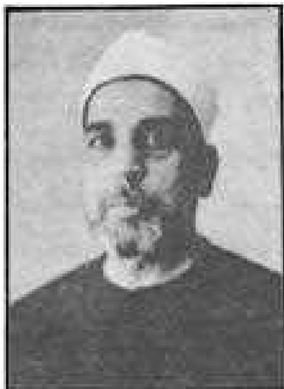
أفيدونا أفادكم الله .

الجـــواب :

(ا) ليس دفع المبالغ بالصورة المذكورة يعد قمارا ، وإنما هو نوع من التحفيز على سبيل الهدية .

(ب) فى حالة ما إذا استيقظ الإنسان من نومه فى الساعة الثامنة صباحا ، فإن صلاة الصبح فى ذلك الوقت جائزة قضاء ، ولا كراهة فى ذلك لأن وقت الكراهة يكون عند طلوع الشمس إلى أن ترتفع بقدر رمحين . والله ـ تعالى ـ أعلم .

من أعلام الأزهر



ذكرياتي عن الشيخ

عبد العزيز عيسى

بقلم : فضيلة الشيخ/سيف النصر عبد العزيز الحلي*

في مقال سابق نشرته لي مجلة « الأزهر » الغراء في عدد شعبان سنة ١٤١٥ هـ ـ عن أستاذنا المرحوم فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شئون الأزهر السابق ـ قلت : إن من حق فضيلته علينا ـ وقد انتقل إلى جوار ربه الكريم ـ أن نتحدث عنه وعن ذكرياتنا المجيدة معه من خلال عملنا الوظيفي بالأزهر ، وأيام كنا طلابا نتلقى العلم على يديه الطاهرتين في كلية الشريعة بالأزهر الشريف ـ حفظه الله وأدامه معقلا لشريعة الإسلام والمسلمين ـ وعدتُ قراء مجلة الأزهر وما أكثر قراء هذه المجلة المباركة ـ بالعودة إلى الحديث عنه استكمالا لذكرياتنا عنه ومدى تأثرنا بعلمه الغزير . وشخصيته الفريدة ، في مقالات تالية إن شاء الله ـ تعالى .

لكن شاءت مقادير الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يدركنا « المرض » وليس للمرء حيلة أو مهربا من قضاء الله وقدره ، فحال ذلك دون إنجاز وعدي مع القراء في إتمام الحديث عنه ـ رحمه الله ـ .

وما أن أفاء الله ـ عليّ ـ بنعمة الشفاء ـ حتى بادرت إلى قلمي ـ أستنجزه ـ الوفاء بحق « أستاذي الجليل » عليّ ، وحق القراء في معرفة جزء من سيرة هذا الرجل ، ومحاولاته الجادة في سبيل إصلاح التعليم بالأزهر الشريف بكلياته الجامعة ومعاهده الأزهرية والنهوض بها ـ نهوضا يجعلها في مجال السبق ـ دائما كعهدها المعروف (عن الأزهر في كل القرون) .

أخلاق الشيخ :

كان ـ رحمه الله تعالى ـ ذا خلق عال رفيع وذا صفات مجيدة . حبّبت فيه كل من ارتبط بفضيلته بصلة أو سبب ، وقرّبت إليه كل من تعرّف به في العمل أو في الدرس أو اجتمع معه في

(*) الكاتب : مستشار مادة سابق بإدارة المعاهد الأزهرية ، لجنة الفتوى بالأزهر الشريف .

لقاء حدث مُرتَّبا ـ أو على عفوية . كنت كثيرا ما أطرح عليه أسئلة في درسه الممتع لمادة الفقه ، وشاهدني ألاحقه بعد الدرس ، وأكثر السؤال وأنتظر منه الجواب .. وسألته يوما : هل يمكن أن أكون مثلك أستاذا في الفقه والأصول والأدب ؟ فأجابني : نعم يمكـــن ؟ .. قلت لفضيلتـــه كيف .. ؟ فقال ــ رحمه الله : إذا اجتهدت في تحصيل علوم كليتك ، وحرصت على النجاح فيها بتفوق وامتياز ، وثابرت على تنمية ثقافتك ، وقرأت من النثر والشعر كل ما تقع يدك عليه ، وحافظت على ما تحفظ من القرآن الكريم ــ كله أو بعضه ــ فإن القرآن هو لغة البلاغة والفصاحة والأدب المتين ، وأساس الأحكام وجامع العلوم والمعارف لشريعة الإسلام .

وكان مسكنى قريبا من مسجد الأمير « محمد على » طيب الله ثراه .. وكنتُ كلمّا ذهبتُ لأداء صلاة « الجمعة » في هذا المسجد .. وجدت الشيخ عبد العزيز عيسى ــ في أحيان كثيرة ــ يؤدى الصلاة فيه مع فضيلة أستاذىّ الإمام الأكبر الشيخ « محمود شلتوت » شيخ الأزهر ، وفضيلة أستاذى الجليل الشيخ « محمد محمد المدنى » عميد كلية الشريعة .

وكان من عادة الأمير محمد على ــ أن يدعو أساتذتى هؤلاء إلى تناول الشاى معه عقب صلاة الجمعة في غرفة تقع في مدخل القصر الجميل ، ثم يستفسر ــ هو ورجاله ــ من هؤلاء العلماء عن بعض أمور الدين ، وما أشكل عليه أو على أحد رجاله من الأمور .

وفى هذا الزمان البعيد كان أستاذى المرحوم الشيخ عبد العزيز عيسى يمد يده إلىّ ويدعونى إلى الجلوس معهم في مجلس الأمير ورجاله بعد صلاة الجمعة ويدفعنى إلى المشاركة في الحديث معهم .. مع أنى كنت إذ ذاك طالبا في كلية الشريعة ، وفى مطلع العمر من الشباب .

هذه صورة واقعية من صور أخلاق فضيلة أستاذنا المرحوم الشيخ « عبد العزيز محمد عيسى » وهى صورة تكشف عن فضيلة « التواضع التى كثيرا ما نفتقد في أخلاق من يجالس الأمراء .. فما بالك بمن كان للأمراء جليسا ، وللعلماء مرجعا وأنيسا ، لكنه الشيخ عبد العزيز عيسى » المشهود له بلين الجانب والصلاح والتقوى .....

كذلك من صور أخلاقه العالية ــ التى نكاد نفتقدها في هذه الأيام : العفة السامقة والورع عن الحرام .

وتتضح هذه الصفة من هذه الرسالة الفريدة التى كتبها الشيخ/عبد العزيز عيسى ــ رحمه الله ــ في ٢١ من رمضان سنة ١٣٩٤ هـ الموافق ٧ من اكتوبر سنة ١٩٧٤ إلى أخيه المرحوم الأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبى ــ الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية إذ ذاك يقول :

« سلام الله عليكم ورحمة الله وبعد : فقد رأيت في الفترة الأخيرة ، أن عملى في الوزارة يشغلنى عن حضور جلسات المجمع ، والاشتراك في أعمال لجانه على الوجه الذى ترضى عنه نفسى .

من أجل هذا وتأكيدا للمحادثة الشفوية بيننا بخصوص هذا الأمر منذ شهرين ــ أرجو أن تتفضلوا مشكورين بالتنبيه إلى وقف صرف مكافأة المجمع الخاصة بى من الآن إلى أن يتيسر لى الاشتراك المستمر في أعمال المجلس ويوم ذاك

أبعث إلى سيادتكم بخطاب آخر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عبد العزيز محمد عيسى
عضو المجمع

وبمثل هذه الأمانة العالية عاشت تلك النفوس السامية تضرب المثل العليا للناس فى مكارم الأخلاق ، وتحرى الحلال والحرام .

الشيخ فقيها :

وكان الشيخ الجليل كأغلب علماء الأزهر ـ عالما شموليا يحيط خبرا ومعرفة بكل العلوم .. فهو ـ بالرغم من تخصصه الدقيق فى البلاغة والأدب ـ واحد من فقهاء العصر فى الشريعة الإسلامية ـ وهو ـ وإن لم يكن ذا مؤلفات كثيرة فيها ـ إلا أنه كان فى درسه الفقهى يتزاحم عليه طلاب كلية الشريعة ليستمعوا منه إلى العلم الفياض والأسلوب السهل الجميل ، وإلى روعة الإلقاء والتناول للموضوع الذى يعالجه فى دقة ورقة تنساب إلى أذهان الطلاب فى يسر وسهولة .

وفى كلمة جامعة لصاحب دار العرب بالإمارات العربية المتحدة يقول عنه الدكتور ابراهيم الفيض وعن مؤلفه القيم « كيف تعتمر وتحج ؟ » : « فى مارس عام ١٩٧٣ عُيّن وزيرا لشئون الأزهر ، وكان أول من تولى هذا المنصب حيث لم تكن هناك سابقة لقيام وزارة مستقلة لشئون الأزهر فى مجلس الوزراء .

وكانت درايته الواسعة بكل ظروف الأزهر وأحواله الأزهرية من دواعى الاستفادة بخبراته فى الكثير من المؤسسات العلمية مثل : « مجمع البحوث الإسلامية » « هيئة جماعة كبار العلماء » (سابقا) ، والمجالس القومية المتخصصة ، والمجلس الأعلى للثقافة ، وجامعة الشعوب العربية والإسلامية ، ومجلس الشورى المصرى ، والمجلس الاستشارى الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة على عهد الملك فيصل .

أساتذة الشيخ عبد العزيز

ومن أشياخه الذين تتلمذ عليهم وأخذ منهجهم فى التفكير : المرحومان فضيلة الشيخ الأستاذ الأكبر شيخ الأسلام الشيخ عبد المجيد سليم ، وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ، وهما اللذان رشحاه لتولى إدارة مجلة رسالة الإسلام التى صدرت عن دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بالقاهرة واستمرت من عام ١٩٤٨ حتى ١٩٧٨ لأكثر من ربع قرن .

أما هذا الكتيب « كيف تعتمر وتحج » الذى بين يديك أيها القارىء العزيز . والذى تفضل المؤلف وأهدانا حق إصدار هذه الطبعة منه لتوزيعها على حجاج بيت الله الحرام . فترجع فكرة إصداره إلى عام ١٩٤٩ حين خرج المؤلف لأول مرة للحج ، وشاهد ما يصادفه الحاج من العامة والخاصة من مشاق فى سبيل الوصول إلى أداء الفريضة على أكمل وجه . عندئذ قرر إصدار دليل سهل وبسيط وواضح وبعيد عن الإغراق فى استخدام الاصطلاحات الفقهية ليهتدى به حجاج بيت الله إلى أداء الفريضة فى اطمئنان . وكان إصداره الأول عام ١٩٥٦ على « الرونيو » . وحين شعر المؤلف بحسن الاستقبال لهذا الدليل . أصدر مطبوعا عاليا على نفقته وفى عام ١٩٧٤ وما بعده صدرت عن الأزهر الشريف الطبعة

التاسعة باللغة العربية ــ كما صدرت عن وزارة شئون الأزهر الطبعة الأولى بالإنجليزية . ثم أصدر الأزهر الشريف عام ١٩٨١ ــ الطبعة الحادية عشرة العربية وفى نفس العام تولت وزارة الأوقاف المصرية ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ إصدار الطبعة الثانية عشرة والطبعة الثانية من الترجمة الإنجليزية لهذا الدليل .

ويسر « دار العرب » للاستشارات والدراسات والبحوث العلمية بدولة الإمارات العربية المتحدة بأبى ظبى ــ أن تظفر بموافقة حضرة صاحب الفضيلة العلامة الأستاذ الشيخ عبد العزيز محمد عيسى على أن تصدر له هذه الطبعة لتقدم هدية من مؤسستنا ، ومشاركة للأستاذ المؤلف فى مساعدة حجاج البيت الحرام على أداء الحج والعمرة على أكمل وجه ــ إن شاء الله تعالى . وقد شجعنا على طلب موافقة الأستاذ المؤلف على الطبع . أن مجموعة التنبيهات أو الفوائد التى وردت بآخر هذا الكتيب فيما يقرب من عشرين صفحة . إنما هى إجابات على أسئلة وجهت إلى المؤلف على مدى السنوات التى صدر فيها هذا الكتيب من بعض حجاج البيت العتيق ــ الأمر الذى جعلنا ننظر إلى هذا الدليل على أنه مرشد عملى مصدره التجربة الحقة والواقع الحى » .

الشيخ أديبا :

كما كان الشيخ عبد العزيز عيسى أديبا من أرق الأدباء .. أسلوبا فى الكتابة ، وجمالا فى التعبير واختيارا للكلمة ، وصياغة للجملة ، وذوقا فى اختيار الموضوع .

يقول فى مقال له بمجلة رسالة الإسلام : « أتى الحجاج بن يوسف الثقفى بجماعة من أصحاب (قطرى بن الفجاءة) والحرب يومئذ بين الخوارج وبنى أمية مستعرة الأوار . حامية الوطيس فقتلهم جميعا إلا رجلا واحدا كانت له « يد » على الحجاج ــ فمنَّ عليه من بينهم ، فلما صار الرجل بعد فكاكه إلى قطرى : قال له .. عاود قتال عدوّ الله الحجاج .. فأبى الرجل وقال :ــ

أأقاتل الحجــاج عن سلطانــه
بيــد تقــر بأنها مولاتــه

ماذا أقول : إذا وقفتُ أمامـه
فى الصف واحتجت له فعلاته

وتحدث الأقوام أن صنائعـا ..
غرست لدىَّ فحنظلت نخلاته

أبيات ثلاثة ما أنشدتها يوما منذ جمعتها . إلا أحسست لها روعة . وأخذتنى لها نشوة ، ودخلت إلى قلبى كأنها ترد عليه لأول مرة .

هذا رجل خارجى ... وكلنا يعرف تاريخ الخوارج ، وأنهم على ما فيهم من انحراف عن الجادة وتنكب لسبل الحق .. قوم يرون جميع المؤمنين قد صاروا كفارا ما عداهم ، وأن قتالهم فريضة واجبة حتى لا يبقى على ظهر الأرض منهم أحد . أو يعترفوا على أنفسهم بالكفر ، ثم يعودوا إلى الإيمان ، ولكن هذا الرجل مع عقيدته تلك ، ومع خطورة شأن الحجاج فى قتالهم وحربهم ــ يلتزم جانب الوفــاء ويعتــصم فى شأن « الحجاج » الذى أحسن إليه ، وبادله معروفا بمعروف ــ بهذا الخلق الكريم وحسن الدفاع عن رأيه ، والتعبير عن حجته بهذا الشعر القوى النابع من قلبه الممثل لفطرته الصافية الصادقة .



فتراه ينقل السامع إلى صورة مجسمة . يقف فيها هو شاهرا سيفه على الحجاج بهذه اليد التي كان في استطاعته ــ لو شاء ــ أن يبترها ويبتر من الوجود صاحبها ــ ولكنه وهبها السلامة ومنّ عليها ، وعلى صاحبها بالحياة ، فكانت له بذلك مولاة . وكان لها سيدا مالكا ــ ثم ينقل سامعه كرة أخرى إلى صورة أخرى يتخيلها الضمير الحي ، والخلق الكريم ، صورة امرىء قد طوق عنقه جميل . فيأتي إلى صانع هذا الجميل ويجزيه عن إحسانه سوءا . وعن مروءته وعرفانه غدرا ونكرا فيقف إزاءه في الصف قد تسربل بالخزى ، وتجلل بالعار ، ولجلج الكلام في فيه فلا يستطيع خطابا ، ولا يجد جوابا بينما خصمه قد وقف رافع الرأس ، شامخ الأنف في هالة من المروءة والنبل ، تحتج له فعلاته ، وتذود عنه مكارمه . ثم ينقل سامعه إلى هذه الصورة الثالثة . صورة الأقوام وقد قامت مجالسهم وانفضّت واجتمعت جموعهم وتفرقت على حديث هذا الغادر الناكث ، الذى غرست لديه غلات المعروف فضيرها معدنه الخبيث حنظلا نكدا .

لا شك أن الشاعر بلغ بأبياته الثلاثة أقصى ما يبلغه مصور ماهر . أو مثال قدير في هذا المجال . وأنه إن لم يكن أرضى قائده « قطريا » ، وأحسن الاعتذار إليه .. فقد أرضى الوفاء وكرم وجه الخلق ، ودل على معدن في نفس كريم ــ والتمس لنكوصه إذا سمى هذا نكوصا ــ عذرا مقبولا مستساغا في شرعة الإنصاف » .

هذا جزء من مقال ، ومثل يسير من أمثلة كتابة أستاذنا الشيخ « عبد العزيز عيسى » الأدبية تلمس فيها رقيّ الأسلوب وروعة التعبير ودقة الملاحظة .

ولقد كنت أودّ الانسياب مع أستاذنا الشيخ « عبد العزيز عيسى » حتى ألم بكل جوانبه الإنسانية ، ومواهبه في الأدب والعلم والسلوك وصفاته التربوية ، وقدرته وقوته وحزمه وعزمه في سائر الأمور الإدارية والشخصية ، وفي كل ما تولى من مناصب ، وما أسند إليه من وظائف .

لكن أراني قد أطلتُ على القارىء .. فأعتذر إليه عن الاختصار حسبما تقتضى المساحة ، والله من وراء القصد والله المعين .



طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

علامات حسن الخلق

جمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال :

هو أن يكون كثير الحياء ، قليل الأذى ، كثير الصلاح صدوق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الزلل قليل الفضول ، برا وصولا ، وقورا صبورا شكورا رضيا حليما ، رفيقا عفيفا شفيقا ، لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ، ولا حسودا .

بشاشا ، هشاشا يحب فى الله ويبغض فى الله ، ويرضى فى الله ، ويغضب فى الله فهذا هو حسن الخلق .

يروى أن قيل لعيسى ــ عليه السلام ــ من أدبك قال : ما أدبنى أحد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته .

مقابلة الإساءة بالعفو

كان الملك الكامل قد تغير على بعض إخوته فكتب إليه الصلاح وزيره مستشفعا :

من شرط صاحب مصر أن يكون كما
قد كان يوسف فى الحسنى لإخوته
ساءوا فقابلهم بالعفو وافتقروا
فبرهم وتولاهم برحمته

مراتب العطاء

مراتب العطاء ثلاث : سخاء وجود وإيثار .

فالسخاء : اعطاء الأقل وإمساك الأكثر .

والجود : إعطاء الأكثر وإمساك الأقل .

والإيثار : إعطاء الكل من غير إمساك لشىء .

وهذا أشرف الرتب وأعلاها وأحقها بالمدح وأولاها ، فإن إيثار المرء غيره على نفسه أفضل من إيثار نفسه على غيره وكفى بهذه الخلة شرفا مدح

الله — تعالى — أهلها في قوله : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةٌ » الحشر — ٩ .

نصيحة

الدنيا دول فما كان لك منها أتاك على ضعفك وما كان عليك لم تدفعه بقوتك .

غض الطرف

مرت أعرابية بقوم من بني نُمَيْر ، فأداموا النظر إليها ، فقالت : يا بني نُمير ، والله ما أخذتم بواحدة من اثنتين : لا بقول الله — تعالى — ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ سورة النور

ولا بقول جرير :

فغض الطرف إنك من نُمير
فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا

فاستحيا القوم من كلامهما وأطرقوا .

الغربة

لاتركن إلى الفراق
فإنه مر المذاق
والشمس عند غروبها
تصفرُّ من ألم الفراق

صلاح الدنيا وصلاح الآخرة

صلاح الآخرة بخلّةٍ واحدة هي : التقوى وصلاح الدنيا بثلاث : العافية والغنى والعمر .



إذا استخار العبد ربه ، واستشار صديقه واجتهد رأيه فقد قضى ما عليه ، ويقضي الله في أمره ما أحب .



ثناء الفتى يبقى ويفنى ثراؤه
فلا تكتسب بالمال شيئا سوى الذكر
فقد أبلت الأيام كعبا وحاتما
وذكرهما غض جديد إلى الحشر

دعاء

اللهم لبابك قصدنا ، وقبولك أردنا وعلى رحمتك وفضلك وجودك اعتمدنا وإلى عزك استندنا ،وفي مرضاتك اجتهدنا ، وبهدايتك استرشدنا .

الشعر والشعراء
تقديم الأستاذ
رشاد يوسف

الأزهر وشيخه

صغها من النسمات الطهر ياقلمي ... ومن عبير الروابى الخضر والنعم
وانظم روائعها الغراء مقتبسا ... من الصباح لآلى الشعر فى كلمى
صغها وحىّ بها فى صرح مكرمة ... ذوى الفضائل والآداب والشمم
أشاوس نخب غر قد اجتمعوا ... فى مجلس يُعرى الإخلاص منتظم
من كل أروع وضاح الجبين إذا ... دعى إلى الحق لم يحجم ولم يجم
أعلام مجد لهذا الدين قد وهبوا ... حياتهم دون مامس ولاسأم
تتابعت فى حمى مصر لهم همم ... كما تتابع قطر المزن والديم
فسل يُجبك من الأعمال أنجبها ... فيها هنا برزت وضاءة الحكم
وها هو الأزهر المغوار واسطة ... العقد الثمين حليف المجد والشيم
وقلبه النابض المحموم عالمنا ... فخر المنابر جاد الحق ذو الكرم
حقا أقول وقول الحق محمدة ... لايعشق السيف إلا دارع وكمى
ماهمه كسب أموال ولاعرض ... يغدو ويمرح فى بهو من النعم
وكيف يرضى بحال أو يطيب له ... عيش وشمل المعالى غير ملتئم
الأرض تطفح بالأهوال مثقلة ... بالجور مفعمة بالعار والوصم

شعر/ محمود محمد شرف الدين (*)

هتك وفتك وتشريد وغطرسة … وشدة وضلالات وسفك دم

وهذه أمة الإسلام قاطبة … تكلى تئن وتشكو شدة الألم

قد أثقلتها هموم لم تدع نفساً … منها .. يحرك منها ميت الهمم

ولو تأملت ماضينا بكيت دما … وذاب قلبك مرتاعاً من الندم

كنا نجوم فخار فى سماء علا … سُدنا الأنام بمجد باذخ العظم

وإن يكن أمل يحدو بنا قلنا … فى الأزهر الفذّ ما يشفى من الألم

فإنهم لرجالات البيان فكم … قد أيقظوا من سبات الجهل كل عمى

وكم دعوا لجهاد فيه سؤددنا … ومن يكن فى ضمان الله لم يُضم

أخلاقهم ومساعيهم وسؤددهم … شواهد تتحدى كل متهم

فقد مشوا قدما والحق رائدهم … وبالعزيمة يسمو المرء بالهمم

يا أيها الفقيه الحر الكريم من … تهوى الحقيقة لا التهويم بالحُلم

لقد نظمت الدرارى فيكم فغدت … عقد بجيد المعالى غير منفصم

فلا برحتم لهذا الجيل أجنحة … بها يحلق فوق الشهب فى شمم

من ينصر الله حقا لم يهن أبدا … وكان من حومة الأخطار فى سلم

(*) من الدعاة والشعراء الأفارقة . وقد كتب هذه القصيدة بمناسبة انعقاد المؤتمر السابع للمجلس العالى للدعوة والإغاثة الذى عقد فى القاهرة برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

جبال المغ

من أساطير القدامى   أو خيال الخندريس
قد قرأنا وسمعنا   عن جبال المغطيس
خلف بحر الظلمات الهائج الموج العبوس
إن دنا منها سفين   خل من حظ تعيس
صار فى الأمواج أشلاء تخلت عن نفوس

* * *

قالت الأحداث هذا   واقع يبدو لواع
مغطيس الناس أوروبا تخفى فى قناع
كم شعوب مزقتها   باحتيال ، وخداع
بعد أن حازت جناها   خلفتها فى صراع
كل شعب داهمته   غاص فى قاع الضياع

* * *

لكن الأدهى شعوب   قد تردّت فى حفائر
من خرافات وجهل   أو ذهول فى الضمائر
تحسب التخييل جسرا   فيه يمضى كل عابر
وتظن السّمّ شهدا   فاض من نبل المشاعر
هكذا الصياد يصطاد   الخبازى والجآذر

* * *

لا يزال الشرق نحو الغرب فى سكر انجذاب
قد تلهّى بقشور   ليس فيها غير صاب
ذاهلا - فى لوثة التقليد - عن حلو اللباب
نازعا فى غير وعى   عنه محبوك الثياب
يا له من فارس قد   صار يمشى فى الركاب

* * *

قال مفتون غبىٌّ   يحسب العرفان غزوا
فى رحاب الغرب روض   فيه للمحروم جدوى
حين يدنو منه شعب   من معين العلم يروى
قلت إن الشارد المفتون بالتدليس يغوى
ليت ما قد قال حق   ليس أوهاما ودعوى

نطيس

للشاعر : محمد عبد الرحمن صان الدين

كم من البعثات قضَتْ   في رحاب الغرب عمرا
ثم عادت بعد أن حازت من العرفانِ صفرا
إن علم الغرب يبقى   في يد الغربيّ حكرا
والذي للشرق يُزجى   كُنْهُهُ مازال سرا
كي يظل الشرق سوقا   فيه غثُّ الصنع يُشرى

* * *

أيها الشرق قلْبٌ   في تراث الغابرينا
من جدود في قديم الدهر قد ساسوا القرونا
تلف فيه كل أصل   لعلوم الحاضرينا
ضمه الإفرنج حتى   صار عملاقا رصينا
حين صرت اليوم   لاهيا في الغافلينا

* * *

نحن نلهو في غياب الوعي بالسخف الحقير
نستطيب الهزل عند الجد كالطفل الغرير
نحن نمشي كالحبارى   بين أسراب النسور
ونجيد القول لا الأفعال في كل الأمور
ونعادي في حمانا   كل كشاف بصير !

* * *

منذ أحقاب عجاف   يفرض الغرب الوصاية
وادعى في خبث أفعى   أنه يبغي الرعاية
من ترقٍّ ، وازدهار   وعلوم ، وحماية
إذ بهذا الشرق يُلقى   في دياجير العماية
ذاك يا مُغترُّ بعض   من تفاصيل الجناية !

* * *

ثروة في الشرق تطغى   كل ذي بأس وتغري
من نضار عند نفط   عند أثمار ودرّ
في بطون الغرب غابت   باحتيال أو بقهر
ما تبقّى لذويها   بامتهان غير نذر
لا يغيث الجُلَّ منهم   من مجاعات وفقر

وَصِيَّة أمٍّ عربيَّة

للشاعرة : جليلة رضا

بُنىَّ ! إذا أراد الله أن نحيا بدنيانا
وشبَّ على الرُّبى غودك مزهوًا وفينانا
تعلَّمْ ـ قبل بدء العيش ـ كيف تعيش إنسانا
وقسِّمْ قلبك الواسع للأحياء .. أكوانا
فكُنْ نهرا إذا وردوا .. وإنْ رحلوا .. فشطآنا
وإنْ فضحتك أعينهم .. فكن للناس أجفانا
وكُنْ لى فى غدى طفلى ـ وإنْ أصبحت سُلْطانا !
فإن الأمَّ لا تنسى الذى فى المهد .. قد كانا ..

* * *

فيا حلمى ، ويا أملى ، ويا إشراقى الذاتى
تذكَّرْ لم .. ربما الذكرى .. تفيدك فى المُلمَّات :
بأن دم العروبة فيك يسرى فى الخلْيات
وأنك غاية كبرى .. ونحن قضاة غايات
.. فإنَّا قد بذرنا الوعىَ فى دنيا الهدايا
ومهدنا طريق الغد فى ظل المساواة
فثبِّتْ حقك المردود .. فى ضوء الكرامات
وعِشْ حُرًا .. ومُتْ حرا .. تؤمِّنْ فجرك الآتى ..!

من روائع الماضي مجلة الأزهر



هل المروءة أن تتعلم العلوم العالية

وأن تخالط الرجال وتشاركهم الأعمال ؟

للأستاذ / محمد فريد وجدى
(رحمه الله)

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

ما أعظم شأن المرأة فى الإسلام ، فقد نالت فى ظله من الحقوق ما لم تنله المرأة فى أى عصر من العصور ، أو أية شريعة من الشرائع السابقة ، ولعل من أهم الحقوق التى حظيت بها المرأة فى ظل الإسلام « حق التعليم » ، فطلب العلم فى الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ولكن ما هو نوع « التعليم » الذى ينبغى أن يتوفر للمرأة ، وإذا انتقلنا إلى « حق العمل » فما هى ضوابط العمل الذى تزاوله بالنظر إلى وظيفتها الطبيعية والاجتماعية فى الحياة ، من الحمل والوضع والتربية .

هذا ما يجيب عنه المقال الذى بين أيدينا واضعين فى اعتبارنا مكانة المرأة الشرقية وما ترتبط به من أعراف وتقاليد تختلف بالضرورة عن مكانة المرأة الغربية ، وهى إجابة نسوقها ردا على من يطمسون معالم الحق ويعملون على إخراج المرأة المسلمة عن طبيعتها وقيمها وواقع مجتمعها تشبها بالمرأة الغربية .

يقول الأستاذ :

كتب إلينا كاتب فاضل يقول : يرغب بعض الشبان اليوم أن تتعلم المرأة المصرية العلوم العالية ، وأن تخالط الرجل وتشاركه فى الحياة العملية ، زعما منهم أن فى هذه المخالطة والمشاركة فائدة لها وللمجتمع ، ويرى غيرهم أن ليس لها ذلك ، فهل لكم أن تبينوا الحق فى هذه القضية من النواحى الاجتماعية والأدبية والدينية ؟ .

ونحن نجيب حضرته بأن الإسلام لم يضع للنشاط العقلى للمرأة حدا ، فأباح لها أن تتوسع فى العلوم ما أمكنها الفرص من ذلك ، وما ساعدها

عليه استعدادها ، ولم يمنعها أن تبث علمها فى الناس ، ولم يحظر على الرجل الأخذ عنها ، بل روى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » يريد عائشة أم المؤمنين . وقد روت ما رأته من سنته ، وما وعته ذاكرتها من كلماته ، وأخذه عنها الرجال ، وكانوا يقصدونها ليستزيدوها علما . وما كانت هى تضن عليهم بذلك .

ورويت لغيرها من نسائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحاديث كثيرة أخذها عنهن المسلمون وعملوا بها .

واشتهر فى التابعين نساء أخذن العلم وبرعن فيه ، منهن : ابنة (سعيد بن المسيب) ، ومما روى منها أنها لما تزوجت وبكر زوجها خارجا ، سألته أين يذهب ؟ فقال لها إلى حلقة أبيك سعيد ، قالت له : اجلس أعلمك علم سعيد .

فالمسلمون فى الصدر الأول لم يروا بأسا من أن تتلقى المرأة العلوم العالية . فلما استبحر العلم فيهم ونبغ فيهم الأئمة أصحاب المذاهب ، لم ير واحد منهم بأسا فى تلقى المرأة العلوم العالية ، بل سمحوا لها أن تجتهد إلى درجة الاجتهاد وجوز بعضهم أن تلى القضاء ، وأن تفتى المسلمين .

وقد دل تاريخ المسلمين فى جميع أدوارهم أن نساء بلغن درجات عالية فى الأدب وسائر العلوم ، ولم يوجد من أنكر ذلك عليهن على أى وجه من الوجوه .

أما مشاركتها الرجل فى أعماله الخارجية ، فإن الفطرة المجردة والعلوم العصرية نفسها تنافيها ، وترى فيها خطرا عظيما على المجتمع .

فأما الفطرة فإنها تأبى أن ترى المرأة ، التى اختصها الخالق بمهمة تكثير النوع الإنسانى وتربيته ، تتكلف ، فوق ما تعانيه من المشاق ، مشاطرة الرجال أعمالهم المرهقة ، وأن تهجر دارها ساعات طويلة ، وأن تترك أولادها يهيمون على وجوههم فى الشوارع والأزقة وهم فى أشد الحاجة إلى حمايتها ورعايتها .

هذا أمر تأباه مجرد الفطرة ، لذلك ألهم الناس من أقدم عهودهم أن يضنوا بنسائهم عن الأعمال الخارجية ، وأن يقصروهن على الحياة الداخلية ، اللهم إلا همجا متوحشين يعيشون بجوار الغابات الأفريقية والأسترالية ، فيجلس رجالهم لا يعملون شيئا ويسرحون نساءهم ليجلبن لهم ما يتسنى لهن جلبه من جذور الأشجار وأوراقها ، وما يصطدنه من بعض الحيوانات الصغيرة ليقتاتوا بها ، كما تفعل الوحوش الضارية ، فهؤلاء لا يقام لهم وزن ، ولا يعبأ بهم فى استدلال .

وأما العلم فقد قال كلمته الأخيرة فى هذا الموضوع ، ولا يزال أقطابه يرددونها فى كل مناسبة ، وإنا نؤتى القارىء خلاصة من ذلك مستخرجة من كتاب « النظام السياسى على مقتضى الفلسفة الوضعية » للفيلسوف الكبير « أجوست كومت » الفرنسى ، واضع تلك الفلسفة ومؤسس علم الاجتماع ، قال : « ينبغى أن تكون حياة المرأة بيتية ، وأن لا تكلف بأعمال الرجال ، لأن ذلك يقطعها عن وظيفتها الطبيعية ، ويفسد مواهبها الفطرية ، وعليه فيجب على الرجال أن ينفقوا على النساء دون أن ينتظروا منهن عملا ماديا ، كما ينفقون على الكتاب والشعراء والفلاسفة ، فإذا كان هؤلاء يحتاجون لساعات كثيرة من الفراغ لإنتاج ثمرات قرائحهم ، كذلك

يحتاج النساء لمثل تلك الأوقات ليتفرغن فيها لأداء وظيفتهن الاجتماعية : من حمل ووضع وتربية ، ومن جهة أخرى فإنه لو سمح للنساء ، على ضعفهن ، أن يشتغلن خارج بيوتهن ، تعرضن لمنافسة قوية من جانب الرجال ، فلا ينلن بجانبهم إلا الحثالة التي يعفون عنها ، فيقمن في الفاقة ولا يجدن القوت إلا تبلغا . بل الضرر الفادح الذي يحيق بمجتمعاتهن من جراء خروجهن على نظام الطبيعة ، وعصيانهن لنواميس الحياة الصحيحة » .

هذا رأى العلم الحق ، أما ما يكتب ضده وينقله عنهم المفتنون بالمظاهر منا ، فهو رأى جمهرة من قصصيين وكتاب إباحيين يسوغون للمرأة أن تخرج على مقتضى الفطرة ، ويخدعون السطحيين من القراء عن الحقائق العلمية ، وغرضهم في ذلك ترويج كتاباتهم بدعوى تجديد الحياة الاجتماعية ، والخروج مما رث وبلى من التقاليد الوراثية .

وقد أثرت هذه الكتابات في أوربا والشرق بسبب أن الناس ميالون إلى قراءة الأقاصيص ، والكتابات السطحية التي توافق غرائزهم الشهوانية ، فتكون رأى عام على أصالة هذه النظرية ، فاندفع الناس في تحقيقها اندفاعا جنونيا ، فهجر النساء الدور وأقبلوا على الأعمال الخارجية ، وكان من أثر هذا الاختلاط ذيوع عادات لا تتفق والحياة الصالحة ، كانت شرا مستطيرا على الزواج المشروع ، فكثر الأخدان والخدينات ، وطمت العلاقات الخائنة بين الجنسين ، وشاعت العزوبة بين الشبان ، وأصبح التبرج المخالف للذوق السليم عادة مألوفة ، واستهتر الناس في ذلك حتى أصبحوا يرون أن بروز النساء نصف عاريات ضرب من ضروب الأناقة ، ووجه من وجوه الظرف ، وحتى صار مما يروقهم أن تصور لهم الجرائد اليومية التي يقرءونها صور الخليعات المتهتكات فيصرفوا في التأمل فيها وقتا ثمينا ، ويدعوها لأبنائهم وبناتهم غير خاشين أن ذلك يؤثر في آدابهم تأثيرا شنيعا .

ولكن الإنسان متى اعتاد شيئا وألفه ترقى فيه وأبلغه إلى أقصى أطواره ، فانتهى أمره بأن لا يقتنع بالعرى النصفى ، فأوجد العرى الكامل في بعض المسارح التي يتردد عليها ، فهل وقف به التطور في الخنا إلى هذا الحد ؟ لا ، ولكنه أبى إلا أن يبلغ به إلى ما بعده ، فابتكر مبدأ العرى في الأحوال العادية لا على المسرح فحسب ، وأسس أندية له في أكبر عواصم بلاد المدنية يجتمع فيها رجال ونساء ، فيتجردون من ثيابهم ويمضون ساعات طويلة على تلك الحالة في محاضرات وألعاب رياضية ، وما تجر إليه من ضروب المنكرات ، ثم يلبس كل منهم ثيابه ويعود إلى بيته .

نعم إن الحكومات تضيق الخناق على هذه الأندية ، وتطارد أصحابها ، ولكنها عاجزة عن ملاشاتها ، وهي تزيد انتشارا يوما فيوما .

أتظن أن تطورات الإنسان في هذا الباب تقف عند هذا الحد ؟ اللهم لا ، إلا إذا حدث ما ليس في الحسبان من حدوث قوارع جائحة ، ومثلات ماحقة ، يقتضيها هذا العمل الحيواني البحت ، فيرد أصحابه عنه صاغرين :

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ٤١

سورة الروم

هذا ولو دقق الباحث فى شئون العالم، وشخص علل المجتمعات العصرية تشخيصا علميا دقيقا، لرأى أن أكثر ما تشكو منه هذه المجتمعات من تدهور أدبى، وتعقد اجتماعى، واضطراب مالى، منشؤه تسامحها فى تهتك النسوة، وتركها حبالهن على غواربهن.

نعم إن من غرائز المرأة التصون، ولكن الرجل لا يفتأ يخدعها بالمسولات والمغريات، ليميت هذه الغريزة فيها، ويطوح بها إلى ميدان الإباحة، وقد أنجح فى إغوائها إلى حد بعيد، فهى اليوم تتبع خطواته، ولكنه قد بدأ يتبرم بها، حتى إن أشد المولعين بفتنتها أخذ يشهر بتهتكها، ويبنى أقاصيصه على إغراقها فى تبذلها.

وقد خسرت المرأة من استسلامها لهذه الآراء الضالة كل مميزاتها، ولم تستعض عنها شيئا مما وعدها به مضللوها.

كانت المرأة ممنعة فى سُتر من العزة، فأصبحت بهذا التهتك مبتذلة. والتهتك فى حقيقته مبالغة فى عرض النفس، وكل معروض مهان كما لا يخفى، والإضراب عن الزواج مظهر من مظاهر هذا الهوان. فكأن المرأة بكثرة عرضها نفسها على الرجال قد فقدت أعز شىء عليها وهو عرشها.

وكانت المرأة فى الدار حاجة من حاجات النفس، يسكن إليها الرجل ليروّح عن نفسه، فأصبح الرجال لكثرة اختلاطهم فى الحياة العملية بالنساء يتطلبون وقتا يخلون فيه لأنفسهم بعيدين عنهن، فكرهوا الزواج، وأرادوا أن تكون بيوتهم خلوا منهن، لأنه لم يبق معنى لاستمرار العيش معهن خارجا وداخلا.

وكانت المرأة تُدخر لأداء أسمى مهمة فى العالم وهى تربية الصغار، وتلقينهم مبادىء الآداب، وأصول الأخلاق، وقد أطنب الفلاسفة والمربون فى خطورة المدرسة البيتية، فجُردت المرأة بتأثير هذه التعاليم الفاسدة من وظيفتها الشريفة، وأسندت إليها وظائف مبيدة لكرامتها النسوية فى المراقص والمقاهى ودور التمثيل والسينما، وتستّر الإباحيون وراء كلمة الفنون الجميلة، فأحدثوا انقلابا خطيرا فى حياة المرأة ستجنى الإنسانية شروره أجيالا طويلة.

هنا يثور علينا ثائر فيرفع عقيرته قائلا: أنتم تريدون أن تسجنوا المرأة، وأن تذلوها، وأن تستغلوا مواهبها، وأن تسلبوها استقلالها، وأن تجردوها من كل عمل تكتسب به قوتها، وتحتل به مكانها تحت الشمس.

كلمات جوفاء! استخدمها هؤلاء الثائرون على نظام الطبيعة فى استدراج النساء إلى الحياة الإباحية، ولا يزالون يستعملونها لستر خطيئتهم الفادحة. ولكن على مَن كل هذه الثرثرة؟ أعلى أرفع الناس عقولا من الفلاسفة والاجتماعيين، أم على الذين يرون بأعينهم المخازى التى جنوها على مجتمعاتهم وضاعت فيها حيل المصلحين؟.

إن الناس يشهدون اليوم تدهورا خلقيا، وانحطاطا أدبيا، لم ير تاريخ البشر له مثيلا، فإذا كانت حياة النوع البشرى لا تقوم إلا بانغماسه فى هذه المقاذر، فأهْوِنْ بها من حياة تموت معها جميع الغرائز الإنسانية الكريمة من الغيرة على العرض، والحرص على الكرامة، والترفع عن الفحشاء، والتنزه عن النقيصة!.

لو كان الإنسان خلق بهيما لعاش عيشة البهائم، ولما ثار على هذه المقاذر، ولكنه خلق



إنسانا ، فهو كما يشعر بشهوات جسمانية ، وأهواء نفسية ، كذلك يشعر بميزات معنوية لم يمنحها الحيوان ومنحها الإنسان ، لتصده عن النزوات البهيمية فالإنسان قد ينحط ، وينحط ، ويتغلغل في الانحطاط إلى أبعد حد ، ولكنه لا يفقد مميزاته المعنوية مهما أراد أن يفقدها فلا تزال به حتى تريه تلك المقاذر على حقيقتها ، فيثور عليها ، ويدفعها عن نفسه في شيء كثير من العنف والجبرية .

ودليلنا على هذا أن الإنسان كثيرا ما سقط في مهاوى الرذيلة حتى ظن أنه لن يخرج منها ، وأنها قتلت كل ما فيه من غرائز شريفة ، ولكنه لم يلبث أن نفضها عن عاتقه ، وخرج منها يتطلب الحياة الصحيحة . لو كان الأمر جاريا على غير هذه السنة لما رأيت للفضائل دولة في الأرض بعد أن بلغت الرذيلة أقصى مداها في أدوار كثيرة من حياة البشرية .

فأما ما يشنعون عليه من سجن المرأة وإذلالها ، وسلبها استقلالها ، فتلك صيحات يقصد بها التهويل ، وطمس معالم الحقائق ، وإلا فكيف يتخيل الناس أن قصر المرأة على مملكتها البيتية سجن وإذلال لها ؟ وهل يطالبها المصلحون المعاصرون بغير ذلك ؟ وإذا كان يفهم أن اشتغال الإنسان بما خلق له سجن له ، فكلنـــا إذاً مسجونون ، من أول المؤلف في مكتبه إلى المُعَدِّن في منجمه ، وإذا كان هذا يستقيم في الفهم فلتعتبر المرأة مسجونة كجميع أبناء نوعها ، إذ لا وجه لاستثنائها منهم .

أما استقلال المرأة فلا يعنى في علم الاجتماع شيئا غير الشذوذ عن الروابط الاجتماعية ، فإن المرأة خلقت لتكون زوجة ، والزوجية تفرض على كلا الزوجين التزامات متبادلة ، فلا معنى للاستقلال هنا مع وجود هذا الترابط الوثيق بين الاثنين . ولكن لما كان القصصيون الذين لا شغل لهم إلا في الكلام عن الحب والمحاولات الغرامية والخيانات الزوجية ، فهم يلوِّحون بهذا الاستقلال للمرأة ليسوِّغوا لها الخروج على الالتزامات الزوجية ، بل وعلى نظم الطبيعة نفسها ، وإذا كان مُمثل النظم الاجتماعية هم الأدباء والقصصيون ، فعلى الاجتماع البشرى العفاء وسوء المنقلب .

ويقولون : أتريدون أن تجردوا المرأة من كل عمل تكسب به قوتها ؟ ونقول نحن : لا ، فإننا نريد أن تكسب المرأة قوتها من طريق الزوجية ، لأن الله خلق النساء على عدد الرجال مع تفاوت لا يعتد به هنا تارة وهناك تارة أخرى ، ولكنكم أنتم بتسويلاتكم لها الخروج والتبرج والاختلاط بالرجال ، قد عملتم من طريق غير مباشر على إشاعة العزوبة كما قدمنا ، وشيوع العزوبة يفضى إلى وجود جيوش من النسوة لا يجدن القوت ، فيضطرون للعمل مع الرجال . والعمل مع الرجال يزيدهم إغراقا في العزوبة للأسباب التي لا تخفى على أحد . فأنتم الذين قضيتم على المرأة بأن تدل في العمل الخارجي نعم : هو إذلال لها أى إذلال : فإنها لم تخلق لتمتهن كبائعة أو كاتبة أو سائقة (أوتوموبيل) أو خمارة أو حوذية الخ .. الخ .. ولكنها خلقت لتكون ربة بيت ، وأن هذا البيت لو كان كوخا حقيرا فهو أكرم لها ، وأحفظ لمميزاتها من أن تكون بائعة أو كاتبـــة أو سكرتيرة ..

ولسنا ننكر أن المجتمع مهما بلغ في المحافظة على

النظام الطبيعي حيال النساء فسيوجد منهن من يعوزها الوقت ، ولكن عدد المعوزات يكون قليلا يمكن الحكومة الرشيدة من تدبير أعمال لهن تليق بكرامتهن .

ولكنكم أيها الثائرون لا يعنيكم قوت المرأة ، وإنما يعنيكم أن تجدوا بطلات لأقاصيصكم من المائلات المميلات ، وما لكم والنساء العاملات التي تلفح وجوههن النار ؟ فليس مقصدكم المدافعة عن النساء ولكن إخراجهن من خدورهن ، وما إكثاركم من ذكر استقلالهن وحقوقهن إلا ستر لمبادئكم الإباحية .

وقد فطنت أوربا وأمريكا لما يجنى على عمل المرأة وحريتها المفرطة واستقلالها من المضار على الشئون الاقتصادية ، فأخذ مصلحوها يضعون حدا لعملها الخارجي ، ويدعونها للدخول في خدرها ، وقد أخذت هذه التحوطات شكلا عمليا في كثير من الأمم الصناعية كالولايات المتحدة وألمانيا وإيطاليا ، ولابد من أن تبلغ أقصى غاياتها في مستقبل ليس بالبعيد .

هنا يسوغ لي أن أرفع صوتي عاليا ، مؤكدا أن الفطرة الإنسانية الكريمة أحكم من أن تقع في هذه الفخاخ الشيطانية ، فدع هذه المدنية التي حصلتها ببذل جهود جبارة وفي قرون عديدة ، تنحل وتتلاشى تحت تأثير السبب نفسه الذي حل ولاشى المدنية الرومانية من قبل ، وهو تبرج النساء وطغيان الميول الإباحية . فإن عجز المصلحون عن قمع هذه الميول فليست هذه المدنية بأكرم على الله من المدنيات التي سبقتها ، فإنها تنوء تحت عللها القاتلة ، وتصبح كأن لم تكن شيئا مذكورا ، وتحل محلها مدنية يعرف أهلها كيف يحافظون على الحدود التي حدها المبدع الحكيم للخلق :

﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ .

سورة الطلاق (١)

محمد فريد وجدى

المجلد السادس

١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م



العلوم الكونية

فى تاريخ الطب

فى الدولة الإسلامية

عرض وتحليل أ.د/ أحمد فؤاد باشا

« إن الإسلام العظيم هو الذى صنع عقول أبناء دولة الإسلام وصبغهم بصبغة العلم الصحيح .. وفى العصر الذهبى للإسلام ، نجد أن المسلمين فتحوا قلوبهم وعقولهم للثقافات والحضارات المختلفة واستطاعوا أن يصهروها فى بوتقة الفكر الإسلامى الصحيح ، ليقدموا للإنسانية حضارة إسلامية فريدة رائعة قبلت كل فكر يتناسب مع عقيدتها ورفضت كل فكر يتعارض مع مبادىء العقيدة العظيمة » .

بهذه الكلمات التى جاءت فى مقدمة كتاب « فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية » حرص المؤلف(*) على تأكيد الدور الإسلامى فى تاريخ العلم والحضارة الإنسانية ، وأوضح أن هذه التسمية الموضوعية لعنوان الكتاب قد قصدها قصداً ؛ لكى يتحاشى سوء الفهم الذى ينشأ أحياناً من استخدام بعض الباحثين لمصطلحى « الطب الاسلامى » أو « الطب العربى » ، وكأن هناك طبًّا غير إسلامى ، أو طباً غير عربى .

ويرى صاحب التحليل أن المؤلف الكريم قد آثر السلامة منذ البداية بالابتعاد عن الجدل الذى أثار بعض المؤرخين والفلاسفة حول تعريف العرب والحضارة العربية ، وتعريف المسلمين والحضارة الإسلامية ، ومهما يكن من أمر هذا الجدل فإنه يصعب الفصل التام بين العالم العربى والعالم الإسلامى ، فالدولة الإسلامية الكبرى بدأت فى صدر الإسلام بالدولة العربية الإسلامية فى صورتها المركزية ، ثم قامت فى أمصار مختلفة فى الأندلس والمغرب ومصر وفارس وسوريا والهند وغيرها بعد سقوط السلطات المركزية ، وظلت اللغة العربية منتشرة بفضل الإسلام إلى اليوم بين الطوائف والشعوب التى لا تنتمى أصلاً إلى السلالات العربية ، أو تلك التى لازالت منتمية إلى الإسلام ، وإذا كانت الحضارة الإسلامية قد

(*) د . عامر النجار ، فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٩٤م .

قامت من الناحية المادية على ثروات الطبيعة التى امتلأت بها رقعتها الممتدة من الشرق إلى الغرب ، فى موقع يشمل جُلّ الجزء المعمور من الأرض ، فإن هذه الموارد الطبيعية الكثيرة لم تكن لتقيم حضارة زاهرة لولا أن ظهر الإسلام الحنيف وامتدت تعاليمه ؛ لتشمل شعوباً كثيرة دخلت الإسلام واعتنقته ، كما شملت طوائف عدة ـ غير المسلمين ـ بقوا على أديانهم ومذاهبهم ، ولكنهم نعموا بعدل الإسلام وسماحته ، وتفاعلوا مع العنصر العربى الأصيل الذى قامت عليه الفتوحات الإسلامية فى بادىء الأمر ، وازدهرت الحركة العلمية فى العصر الإسلامى على أيدى نفر من العلماء والرواد ، منهم العربى ، والفارسى والأفغانى والتركى والأندلسى ، جمعتهم كلهم حضارة الإسلام واستظلوا برايته الخفاقة فى مشارق الأرض ومغاربها . ومن ثم فإننا لا نجد مبرراً لأى حرج أو مشاحة فى استخدام مصطلحات من قبيل « العلم الإسلامى » ، أو « الطب الإسلامى » أو « الفلسفة الإسلامية » أو غيرها ، خاصة وأن الحضارة الإسلامية تتميز عن باقى الحضارات بنسبتها إلى الدين الإسلامى ، وليس إلى جنس بشرى بعينه على نحو ما نجد فى الحضارة الاغريقية والحضارة الفارسية والحضارة الأوربية وغيرها .

ولعل هذا كان من بين الأسباب التى جعلت بعض المستشرقين ـ لأسباب لم تعد خافية على أحد ـ يصرون على استخدام مصطلحات « العلم العربى » و « الطب العربى » و «الفلسفة العربية » وغيرها فى محاولة خبيثة من جانبهم للتهوين من شأن الإسلام وطمس دوره الرائد فى دفع مسيرة التقدم البشرى .

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن محتويات الكتاب وأهم الموضوعات التى تناولها نجد فى المبحث الأول مدخلاً وافياً للحالة التى كان عليها الطب عند الفراعنة والبابليين والإغريق . ويأتى المبحث الثانى ليفصّل الحديث عن الطب فى الدولة الإسلامية ، ويبين كيف قضى الإسلام على الكهانة وأبطل المداواة بالسحر والشعوذة وفتح الباب على مصراعيه للطب الطبيعى على أساس علمى سليم ، ويوضح أن تطور المعارف الطبية مرّ بمرحلتين أساسيتين : الأولى : مرحلة الترجمة وتجميع حصيلة الحضارات المجاورة والسابقة ، وذلك منذ القرن الثانى الهجرى ، والثانية : تميَّزت بالأصالة والإنتاج الغزير ، وذلك منذ القرن الثالث الهجرى مع ازدهار العلم فى العصر العباسى الذهبى . أما مرحلة الترجمة فقد تناولها المبحث الثالث من الكتاب بشىء من التفصيل ، حيث كانت البداية على الأرجح فى عهد بنى أمية عندما استخدم الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان عدداً ممن يجيدون اليونانية فترجموا له بعض كتب الكيمياء والطب والفلك ، ويقال : أن حركة الترجمة الواسعة بدأت بترجمة العلم اليونانى إلى السريانية ، ثم إلى العربية ، والحقيقة أن العرب عندما فتحوا بلاد الفرس والشام وجدوا بها خزائن العلم اليونانى والرومانى والفارسى ، وأمر الخلفاء المهتمون بالعلم بنقل بعضها إلى العربية ، وما إن جاء عام ٩٠٠م حتى كانت كتب « أبقراط » و« جالينوس » مترجمة كلها إلى العربية .

ويعتقد المؤلف أن أهم بواعث الترجمة والنقل فى العصر الإسلامى هى رعاية الخلفاء العباسيين

للمترجمين ، فقد كان حنين بن إسحاق يتقاضى وزن الكتب التي يترجمها ذهباً . وكان بعض الخلفاء يحرصون على تنظيم الترجمة باعتبارها من أهم مقومات النهضة العلمية ، فقد أنشأ الخليفة المأمون بيت الحكمة ، وضمّ إليه المترجمين من للغة العربية وإتقانهم للغات الأجنبية التي ينقلون منها .

ومما تجدر الإشارة إليه من جانبنا في هذا المجال أن الدراسة المتأنية لعملية الترجمة في العصر الإسلامي يمكن أن نفيد منها في حاضرنا وبخاصة فيما يتعلق ببعض جوانبها المنهجية . فقد كان حنين بن إسحق يُصلح من ترجمات الكثير من مترجمي عصره ، بل إنه لم يتردد في أن ينتقد بعض ترجماته الخاصة ، وسجّل في رسالة إلى على بن يحيى ما ترجم وما لم يترجم من كتب جالينوس ، كما أن أمهات الكتب قد حظيت بأكثر من ترجمة ، مثل كتاب « الأصول » لأقليدس الذى نقله الحجاج بن مطر مرتين ، ونقله - أيضاً - إسحق بن حنين ، وأصلحه ثابت بن قرة .

وأما مرحلة الابتكار والإنتاج الغزير في العصر الذهبي للطب فقد خصص لها المبحث الرابع الذى يشغل وحده أكثر من ثلثي الكتاب ، ويتضمن العديد من الأمثلة التي تؤكد ريادة أطباء المسلمين في الأخذ بالأساليب العلمية ، والاهتمام بتحضير الأدوية لعلاج الأمراض . واختار المؤلف عدداً من علماء المسلمين كممثلين لعصر ازدهار الطب في الدولة الإسلامية هم : أبو بكر الرازى وعلى ابن العباس المجوسى وابن سينا وابن النفيس ، من علماء المشرق ، وأبو القاسم الزهراوى وابن جُلجل وابن زهر من أطباء الأندلس . ويُحمد للمؤلف حرصه الشديد على إبراز المنهجية العلمية لدى علماء المسلمين وجهده الواضح في انتقاء الانجازات التي تؤكد هذه المنهجية باعتبارها من أهم ملامح العلم الإسلامي .

فلقد رفع أبو بكر الرازى من شأن العقل واعتبره من أعظم نعم الله على الإنسان ، وقال في كتابه « الطب الروحانى » : « إن البارى - عز وجل - إنما أعطانا العقل لنبلغ بعه المنافع العاجلة والآجلة ، فبالعقل فضلنا على الحيوان غير الناطق .. وبالعقل أدركنا ما يرفعنا ويحسن ويطيب به عيشنا ... وبه نلنا الطب الذى فيه الكثير من المصالح لأجسادنا .. وبه أدركنا الأمور الغامضة البعيدة منا الخفية المستورة عنا ، وبه عرفنا شكل الأرض والفلك وعظمة الشمس والقمر وسائر الكواكب وأبعادها وحركاتها ، وبه وصلنا إلى معرفة البارى - جل وعز - الذى هو أعظم ما استدركنا وأنفع ما أصبنا ... » .

وكان الرازى في الوقت نفسه يؤكد على أهمية الممارسة والخبرة والتجربة في علاج المرض ، فهو يقول : « من أبلغ الأشياء فيما يحتاج إليه في علاج الأمراض ، بعد المعرفة الكاملة للصناعة ، حسن مساءلة العليل ، وأبلغ من ذلك لزوم الطبيب العليل وملاحظة أحواله » .

والطبيب الممارس أفضل عند الرازى ممّن عرف الطب النظرى عن طريق الكتب فقط ، فهو يقول أيضاً : « إن من قرأ الكتب ثم زاول المرضى يستفيد من التجربة كثيراً ... والمجرِّب أكثر نفعاً في صناعة الطب من العارى عن الخدمة والتجربة البحتة » . بل إن الرازى يعتبر أن التجربة علم له أصول وقواعد ، ويجب على الممارس إحكام

أصولها ، وكان يقوم بإجراء بعض التجارب على الحيوانات كالقردة ، وفى بعض الأحيان كان يجرب بعض المواد والعقاقير على نفسه ، وكانت له تجارب معملية وكيميائية هامة ، وهو أول من جعل الكيمياء فى خدمة الطب واستحضر الكثير من المواد المفيدة للمداواة .

أما الشيخ الرئيس ابن سينا فقد حرص على أن يعرض مضمون منهجه العلمى فى مقدمة كتابه « القانون » بقوله : « رأيت أن أتكلم أولاً فى الأمور العامة الكلية فى كلا قسمى الطب ، أعنى القسم النظرى والقسم العملى ، ثم بعد ذلك أتكلم فى كليات أحكام قوى الأدوية المفردة ثم جزئياتها ، ثم بعد ذلك فى الأمراض الواقعة بعضو عضو : أبتدىء أولاً بتشريح ذلك العضو ومنفعته ، ثم إذا فرغت من ذلك ابتدأت فى أكثر المواضع بالدلالة على كيفية حفظ صحته ، ثم دللت بالقول المطلق على كليات أمراضه وأسبابها وطرق الاستدلال عليها وطرق معالجتها بالقول الكلى ... فإذا فرغت من هذه الأمور أقبلت على الأمراض الجزئية ودللت أولاً فى أكثرها ـ أيضاً ـ على الحكم الكلى فى حده وأسبابه ودلائله ، ثم خلصت إلى الأحكام الجزئية ، ثم أعطيت القانون الكلى للمعالجة ، ثم نزلت إلى المعالجات الجزئية »[1] . وقد اشتهر كتاب القانون فى الطب لابن سينا شهرة عظيمة فى بلاد الغرب إبان عصر النهضة الأوربية الحديثة ، وطبع ترجمته كاملاً إلى اللاتينية ست عشرة مرة فى الثلث الأخير من القرن الخامس عشر الميلادى ، ثم أعيد طبعه عشرين مرة فى القرن السادس عشر ، هذا بالإضافة إلى الطبعات العديدة التى تقتصر على جزء أو أجزاء منه .

وينضم إلى كوكبة أطباء المسلمين أبوالقاسم خلف بن عباس الزهراوى القرطبى ، الملقب بفخر الجراحة العربية ، ويعتبر كتابه « التصريف لمن عجز عن التأليف » أكبر مؤلفاته وأشهرها ، فهو موسوعة طبية تقع فى ثلاثين جزءاً ومزودة بأكثر من مائتى شكل للأدوات والآلات الجراحية التى كان يستخدمها ومعظمها من ابتكاره .

وأسهم باقى أطباء المسلمين بدرجات متفاوتة فى تعميق البحث الطبى التجريبى والتأليف فى العلوم الطبية والصيدلية بمنهجية واعية ارتقت بالعقل الإسلامى إلى سماء المعرفة الرفيعة .

وأخيراً ، ذيَّل المؤلف كتابه القيم بملحق لبردية « إدوين سميث » فى الجراحة ، اعتبرها أقدم رسالة علمية فى العالم ، قدم فيها طبيب مصرى قديم وصفاً لثمان وأربعين حالة مرضية ، ويرجع تاريخها على الأرجح إلى عهد بناة الأهرام ، أى حوالى ٢٥٠٠ أو ٣٠٠٠ ق. م. ويمكن لمن يقرأ هذه الرسالة ويقارنها مثلاً بكتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف » للزهراوى ، أن يقف على المستوى الرفيع الذى وصل إليه علم الطب فى عصر الحضارة الإسلامية .

والكتاب بصورة إجمالية يعتبر إضافة هامة للمعرفة بتراثنا العلمى ودعوة إلى التعامل مع هذا التراث بمنهج تحليل مقارن يؤكد مكانته فى تاريخ العلم والحضارة هذا .

وبالله التوفيق .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) راجع فى ذلك مؤلفنا : التراث العلمى للحضارة الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٤م ص ١٧٠ وما بعدها .

بعض استخدامات الليزر في طب العيون

د . السيد يحيى الزيات(*)

طب العيون كان أول فرع من فروع الطب التى استخدمت وتوسعت فى علاجه باستخدام الليزر منذ اكتشافه ، فهو يستخدم بنجاح تام فى علاج حالات الأنفصال الشبكى والمركز البصرى للشبكية دون المساس بالأنسجة المحيطة بمكان الجراحة. ويستخدم لعلاج أمراض الجفون والملتحمة وعلاج الأكياس الدهنية بالجفون وبعض حالات الرمد الربيعى والحبيبى دون ترك تشوهات تذكر . وأيضاً يستخدم فى تشخيص وعلاج المياه البيضاء (الكاتاراكت) والمياه الزرقاء (الجلوكوما) . وكذلك يستخدم فى تشخيص وتصحيح قصر وطول النظر والاستجماتيزم . وتستخدم بعض الظواهر مثل : البقع الضوئية والتداخل الضوئى والهولوجرافى بواسطة أشعة الليزر لقياس بعض ثوابت العين مثل تكور سطحى القرنية ومعامل انكسارها وطول محور العين وطبوغرافية السطح الأمامى للقرنية وسطح الشبكية وحالة العصب البصرى .

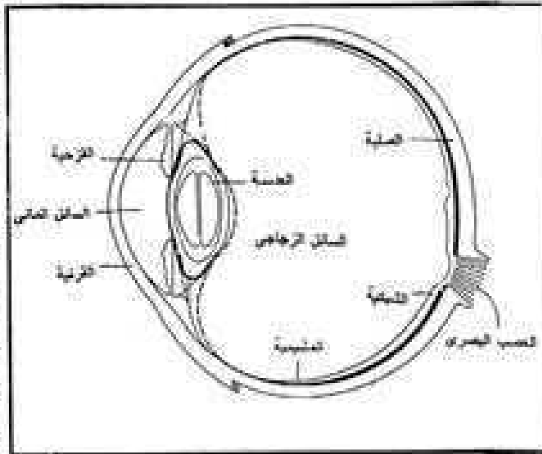
ومن أهم أنواع الليزر المستخدمة فى طب العيون : ليزر الأرجون المتأين المستمر ، وليزر الكريبتون المتأين ، وكلاهما يسبب تأثيرات حرارية موضعية تستخدم لعمل تجلط أو تخثر فى الأنسجة . كذلك يستخدم ليزر نيودميوم ـ ياج ، لقطع الأعضاء الداخلية فى العين ويستخدم كذلك ليزر ثانى أكسيد الكربون ، وليزر الأيربديوم ـ ياج ، لعمل تأثير حرارى سريع ليحول النسيج الحى إلى حالة غازية أو كربونية ، أيضا يستخدم ليزر الأكزيمر لاستئصال جزء من نسيج القرنية لعلاج حالات قصر وطول النظر والاستجماتيزم وكذلك لأزالة عتامات القرنية .

وفى هذه المقالة وصف مبسط لتركيب العين والليزر بصفة عامة واستخداماته فى علاج بعض أمراض العيون .

تركيب العين البشرية

العين البشرية كروية الشكل تقريبا ، ويبلغ طول قطرها حوالى ٢٤ ملليمتر ويتكون جدار

(*) الكاتب : مدرس البصريات / قسم الفيزياء ، كلية العلوم ـ جامعة عين شمس .



رسم تخطيطى لمقطع فى عين إنسان يوضح مكوناتها

العين الخارجى من : جزء أمامى شفاف ـ يبلغ مقدار مساحته خمس مساحة الجدار الخارجى للعين ـ هو القرنية ، وجزء خلفى أبيض ـ يبلغ مقدار مساحته أربعة أخماس مساحة الجدار الخارجى للعين ـ هو الصلبة وتعتبر طبقة حامية لمكونات العين . وتبعا لمسار الأشعة الضوئية التى تدخل العين فإن مكونات العين هى كما يلى :

١ ـ القرنية

القرنية عبارة عن نسيج شفاف ذو شكل كروى محدب ويتكون من خمس طبقات مختلفة ، يبلغ سمكه عند المركز حوالى نصف ميلليمتر وعند الأطراف حوالى واحد ميلليمتر . نصف قطر تكور السطح الأمامى للقرنية حوالى ٧,٨ ميلليمتر ، والسطح الخلفى حوالى ٦,٨ ميلليمتر ، وقيمة معامل انكسار القرنية هو ١,٣٧٦ . ويحمى السطح الأمامى للقرنية من الجفاف طبقة شفافة من السائل الدمعى سمكها حوالى ٦ ـ ١٠ ميكرون . وتساهم القرنية بمفردها بحوالى ٦٠ ـ ٧٠ ٪ من القوة البصرية للعين .

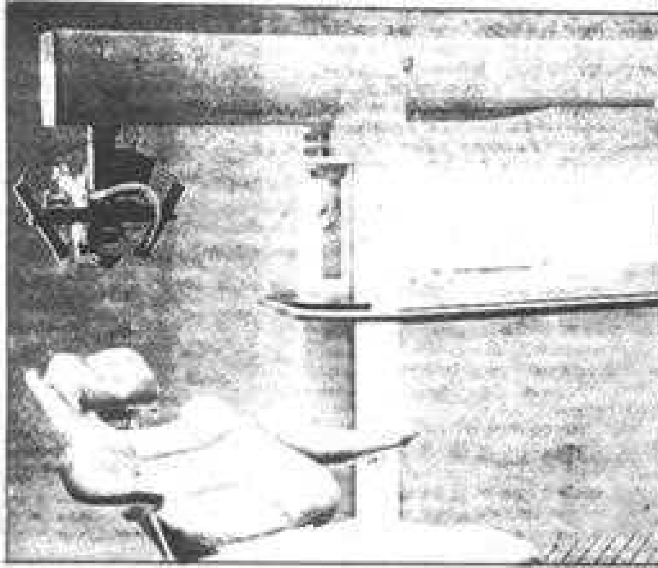
تنفذ من خلال القرنية أشعة الضوء فى المدى الطيفى من ٤٠٠ إلى ١٤٠٠ نانوميتر وهى تشمل مدى طيف الأشعة المرئية والأشعة تحت الحمراء . بينما تمتص أشعة الضوء فى المدى الطيفى من ١٠٠ إلى ٣١٥ نانوميتر ويقع فى مدى طيف الأشعة فوق البنفسجية ، وتمتص أيضاً الأشعة ذات المدى الطيفى أكبر من ٢٠٠٠ نانوميتر ويقع فى مدى الأشعة تحت الحمراء .

ب ـ الغرفة الأمامية

الغرفة الأمامية تلاصق القرنية وتحتوى على : سائل مائى شفاف معامل انكساره ١,٣٣ ، ويساهم فى حفظ الضغط داخل العين وكفلتر حرارى لامتصاص الأشعة تحت الحمراء ، ولأمداد القرنية بالسكريات اللازمة لعملية الاحتراق وأيضا لتصريف الفضلات . وتنفذ الأشعة المرئية من خلال السائل المائى دون امتصاص .

ج ـ القزحية

القزحية تقع خلف الغرفة الأمامية وهى قرص مستدير ملون ، وتتدرج الوانه من اللون الأخضر إلى اللون الأسود ، ويوجد فى منتصفه فتحة دائرية لدخول الضوء ، هى : الحدقة . وتحتوى القزحية على عضلات دائرية وقطرية تتحكم فى اتساع الحدقة والذى يتغير من ٢ ميلليمتر فى حالة الإضاءة العالية إلى ٨ ميلليمتر فى حالة الإضاءة الخافتة . وبالتالى فإن القزحية عن طريق اتساع أو



جهاز ليزر إكزيمر لعلاج أمراض القرنية

ضيق فتحة الحدقة تتحكم في كمية الإضاءة التي تدخل العين ، وكذلك تعمل على زيادة العمق البؤرى للصور المتكونة على الشبكية .

د ـ الغرفة الخلفية

الغرفة الخلفية تقع خلف القزحية وتمتلىء بسائل مائى شفاف له نفس الخصائص والفوائد كالسائل المائى الموجود فى الغرفة الأمامية .

هـ ـ العدسة

تقع العدسة وهى بللورية شفافة بعد الغرفة الخلفية مباشرة ، وتتكون من حوالى ٢٢٠٠٠ طبقة رقيقة تنتظم معا داخل محفظة مطاطية كانتظام قشور البصلة . يبلغ نصف قطر تكور السطح الأمامى للعدسة حوالى ١٠ ميلليمتر والسطح الخلفى حوالى ٦ ميلليمترات ، ومعامل انكسار مادة العدسة يتراوح من ١,٤٠٦ عند منتصفها إلى ١,٣٨٦ عند محيطها . تعلق العدسة فى مكانها بواسطة أربطة تمتد من الجسم الهدبى إلى محفظة العدسة . والجسم الهدبى وظيفته إفراز السائل المائى والتحكم فى شكل العدسة ليتغير بالتالى بعدها البؤرى وذلك لتسمح بالرؤية على مسافات مختلفة .

تنفذ من خلال العدسة الأشعة الضوئية فى المدى الطيفى من ٤٠٠ إلى ١٤٠٠ نانوميتر وهى تشمل : مدى طيف الأشعة المرئية والأشعة تحت الحمراء . بينما تمتص أشعة الضوء فى المدى الطيفى من ٣١٥ إلى ٤٠٠ نانوميتر ويقع فى مدى طيف الأشعة فوق البنفسجية .

و ـ السائل الزجاجى

السائل الزجاجى يقع خلف العدسة مباشرة وهو سائل جيلاتينى شفاف ذا قوام هلامى معامل انكساره يساوى ١,٣٣٦ ، ويملأ الفراغ الموجود بين العدسة والشبكية ، ويساهم فى حفظ ضغط العين وشكلها الكروى .

يمتص السائل الزجاجى الأشعة فى المدى

الطيفى من ٨٦٠ إلى ١٣٥٠ نانوميتر وتقع فى مدى طيف الأشعة تحت الحمراء ، بينما تنفذ الأشعة فى مدى الطيف المنظور .

ز ـ الشبكية

تقع الشبكية بعد السائل الزجاجى ، وهى الطبقة الحساسة للعين والتى تتكون عليها الصور المرئية . تتكون الشبكية من عشر طبقات من الخلايا المعقدة ، ويتراوح سمكها من واحد إلى اثنين ميلليمتر .

أحد أهم طبقات الشبكية هى طبقـــة المستقبلات الضوئية وهى عبارة عن خلايا مخروطية وخلايا عمدانية تستقبل ومضات الضوء لتتحول فى النهاية إلى تيارات كهربية تصل للمخ .

يبلغ عدد الخلايا المخروطية حوالى ٦ مليون خلية ، طول الخلية ٥٠ ميكرون وقطرها ٣,٥ ميكرون ، وتستجيب للضوء الساطع فقط وأيضاً تحس بالألوان المختلفة وتميز الأشياء الدقيقة . بينما يبلغ عدد الخلايا العمدانية حوالى ١٥٠ مليون خلية ، طول الخلية ٦٠ ميكرون وقطرها ٢ ميكرون ، وهى تستجيب للضوء الخافت فقط وتشعر بحركة الأجسام . ويلاحظ أن الخلايا العمدانية تتصل جماعيا بالألياف العصبية بينما تتصل بها الخلايا المخروطية فرادى ، ثم تتجمع الألياف العصبيـة وتكون العصب البصرى الذى يتصل بالمخ .

تمتص الشبكية التى تقع فى المدى الطيفى من ٤٠٠ إلى ١٤٠٠ نانوميتر ، وهى تشمل : الضوء المنظور والأشعة تحت الحمراء .

ح ـ المشيمية

المشيمية هى الطبقة الملاصقة للشبكيـة ، وتتكون من نسيج اسفنجى سمكـــه ٢٥٠ ميكرون ، وتحتوى على أوعية دموية تساهم فى تغذية العين وحفظ درجة حرارتها ثابتة . وتمتص المشيمية الأشعة المرئية وتحت الحمراء .

ط ـ الصلبة

الصلبة هى الجدار الخارجى الصلب ذو اللون الأبيض للعين ، ويبلغ سمكه حوالى واحد ميلليمتر ، وتحمى المكونات الداخلية للعين وتحافظ على شكلها الكروى وثبات الضغط بداخلها عند ضغط ١٠ مم زئبق .

تعمل كلا من القرنية والعدسة على تكوين صور مقلوبة على الشبكية للأجسام الموجودة أمام العين . ثم يتم تحويل هذه الصور داخل الشبكية إلى نبضات كهربية تمر عبر العصب البصرى إلى المخ لتحليلها وفهمها . عند حدوث خلل ما فى مسار الأشعة الضوئية داخل المكونات المختلفة للعين ، فإنه سوف يؤثر على جودة الصورة المتكونة على الشبكية وبالتالى على فهمها وتحليلها .

٢ ـ الليزر

الليزر هو تكبير وتضخيم لشدة الأشعة الضوئية بواسطة الانبعاث المستحـث لهذه الأشعة . هذه الأشعة تسير فى الفراغ كموجات كهرومغناطيسية ذات تغيرات دورية فى كل من مجاليها الكهربى والمغناطيسى . ولقد تم الحصول على أشعة ليزر فى منطقة الطيف المرئى ، ومنطقة الأشعة تحت الحمراء ، ومنطقة الأشعة فوق البنفسجية .

تتميز أشعة الليزر عن الأشعة التى تنبعث من المصادر التقليدية بما يلى :

أ ـ توحد الاتجاه والترابط بين كميات الطاقة

(الفوتونات) المكونة لأشعة الليزر .

ب - تركيز الشدة الضوئية داخل شعاع الليزر ، فعدد الفوتونات لكل ثانية أكبر ملايين المرات وتوزيعها الفراغي مكثف من مثيلاتها في الشعاع العادي .

ج - فقد الشدة الضوئية لشعاع الليزر ببطء عند البعد عن مركزه ، والانفراج الضئيل للشعاع عند البعد عن مصدره .

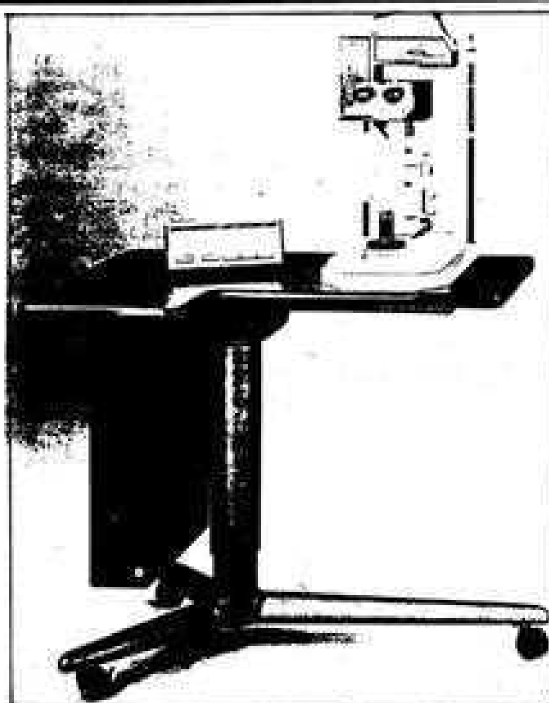
د - النقاء الطيفي من ناحية الطول الموجي أو التردد ، فعرض خط طيف الليزر عند طول موجي معين يكون أقل بحوالي مليون مرة من مثيله المنبعث من مصدر تقليدي .

يتركب أي جهاز ليزر ، من ثلاث مكونات رئيسية : هي مادة الليزر ومصدر للطاقة ومكبر للأشعة . وفي أبسط صوره يتكون جهاز الليزر من تجويف محصور بين مرآتين مستويتين أو كريتين (مكبر الأشعة) ، واحدة منهما تعكس جميع الأشعة الساقطة عليها ، والأخرى تعكس جزءا كبيرا من الأشعة وتنفذ الجزء الباقي . يملأ التجويف عادة بمادة (الليزر) ذات مواصفات فيزيائية معينة ويمكن أن تكون صلبة أو سائلة أو غازية . هذه المادة يمكن إثارتها إلى مستويات طاقة عليا ، لفترة زمنية محددة ، ليحدث ما يسمى التعاكس السكاني ، أي أن عدد ذرات المادة المثارة أكبر من عدد الذرات غير المثارة. بعد فترة زمنية محددة تعود الذرات المثارة إلى وضعها الطبيعي ، والطاقة الزائدة والتي تمثل الفرق بين الحالة المثارة والحالة الطبيعية تنبعث على هيئة فوتونات . هذه الفوتونات تؤثر على الذرات المثارة الأخرى لتنطلق فوتونات جديدة وتساهم في زيادة الشدة الضوئية للأشعة . ونظرا لوجود المرآتين على طرفي التجويف ، فإن الأشعة تنعكس منهما وتردد بينهما عديد من المرات ، محدثة أثارة لذرات أكثر لتتولد فوتونات أكثر . أي أنه يحدث في التجويف تفاعل تسلسلي من تولد فوتونات لتثير ذرات لتولد فوتونات وهكذا . ولأن إحدى المرآتين تنفذ جزء من الأشعة الساقطة عليها ، فإنه يخرج منها أشعة لها نفس الطول الموجي وذات قوة وتركيز شديدين . مصدر أثارة ذرات المادة التي تملأ التجويف ليحدث فيها تعاكس سكاني ، يكون عن طريق ضخ ضوئي أو اثارة بالالكترونات أو عن طريق تصادم بين الذرات أو تفاعلات كيمائية .

٣ - الليزر وعلاج بعض أمراض العيون

يلاحظ أن مكونات العين المختلفة تسمح بنفاذ الأشعة الضوئية في المدى الطيفي من ٣٨٠ إلى ١٤٠٠ نانوميتر . ويمكن استخدام أشعة الليزر المنبعثة في هذا المدى الطيفي لعلاج المناطق الداخلية في العين والتي تمتص هذه الأشعة ، وذلك عن طريق إرسال أشعة الليزر من خلال حدقة العين . يلاحظ أيضاً أن الأشعة ذات المدى الطيفي أقل من ٣٨٠ نانوميتر والتي تقع في منطقة الأشعة فوق البنفسجية تمتص خلال القرنية والعدسة . بينما الأشعة ذات المدى الطيفي أكبر من ١٤٠٠ نانوميتر والواقعة في منطقة الأشعة تحت الحمراء تمتص بواسطة الماء الموجود بنسبة ٧٠ ٪ في خلايا أنسجة العين .

عند سقوط أشعة ليزر بطول موجي مناسب على أنسجة ، فإنه يحدث فيها إثارة الكترونية أو تأين أو تكسير للروابط الكيمائية . الطاقة



جهاز ليزر نيودميوم
لعلاج المياه الزرقاء

الأشعاعية لفوتونات الأشعة الساقطة تمتص بواسطة الجزئيات المكونة للنسيج الحي وتتحول إلى حرارة . هذه الحرارة تعتمد على طاقة الليزر والطول الموجي للأشعة الساقطة وزمن تعرض النسيج للأشعة . عند زيادة حرارة النسيج بحيث تكون أقل من ١٠٠ درجة مئوية ، فإنه يحدث تكسير لروابط ذرات الهيدروجين ، ونتيجة لذلك يتوقف تكوُّن البروتين ويقل النشاط البيولوجي وفي النهاية يؤدي إلى موت الخلايا الحية . عند استخدام أشعة ليزر ذات مدى طيفي معين وزمن تعريض محدد ، نجد أن معدل زيادة الحرارة في النسيج طرديا مع طاقة أشعة الليزر المستخدمة . بزيادة طاقة أشعة الليزر الساقطة تزيد درجة حرارة النسيج مما يؤدي في النهاية إلى تحويله إلى حالة غازية .

بدأ استخدام أشعة الليزر في علاج بعض أمراض العيون منذ ما يقرب من ثلاثة عقود . ففي عام ١٩٦٨م بدأ استخدام ليزر الأرجون لعلاج أمراض الشبكية الناشئة عن مرض السكر المتقدم . وفي عام ١٩٧٠م بدأ استخدام ليزر الكريبتون المتأين عند طول موجي ٥٦٨ نانوميتر ، حيث إن له تأثيرات حرارية موضعية . أيضاً تم استخدام ليزر نيودميوم ـ ياج عند طول موجي ١٠٦٤ نانوميتر في قطع وتمزيق الأعضاء الداخلية للعين . كما تم استخدام ليزر ثاني أكسيد الكربون عند طول موجي ١٠٦٠ نانوميتر لما له من تأثير حراري كبير .

في عام ١٩٨١م بدأ استخدام ليزر الصبغة لعلاج الانفصال الشبكي وإعادة لصق الشبكية بالجدار الخلفي للعين . ونظرا لأن ليزر الصبغة تنبعث في منطقة الطيف المنظور وبقوة عالية ، فإنها مازالت

تستخدم حتى الآن . عند وجود شعيرات دموية ترشح أو تنزف على الشبكية ، فإن الليزر يستخدم لكيّ هذه الشعيرات ، وبالتالى يؤدى إلى توقف الرشح أو النزيف . وفى حالة انفصال الشبكية عن الجدار الخلفى للعين ، فإن الليزر يستخدم لعمل ما بين ١٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ ليزرى بعمق ٥٠٠ ميكرون ، وذلك حول محيط الشبكية ، مما يؤدى إلى إعادة التصاقها بالجدار الخلفى للعين .

كذلك يتم استعمال الليزر لقطع الأحزمة الليفية التى توجد بالجسم الزجاجى لتخليص الشبكية من الشد الواقع عليها لتعود إلى مكانها ويسهل لحمها . أيضا تم استخدام الليزر لتفتيت العدسة المعتمة (المياه البيضاء) إلى أجزاء صغيرة يتم سحبها من خلال عمل فتحة صغيرة بالعين . وأيضاً يتم استخدام بعد جراحات المياه البيضاء وذلك لإزالة الغشاء الخلفى لعدسة العين .

فى حالة المياه الزرقاء (الجلوكوما) والتى تكون عبارة عن زيادة فى ضغط العين عن المعدل الطبيعى والذى يتراوح بين ١٥ ـ ٢٥ ميلليمتر زئبق ، وهذه الزيادة فى الضغط تكون نتيجة لزيادة محتويات العين الداخلية من سوائل كالسائل المائى والدم أو أجسام كالعدسة والجسم الزجاجى . والسائل المائى عادة يخرج من الجسم الهدبى ليملأ الغرفة الخلفية ثم ينفذ من الحدقة ليملأ الغرفة الأمامية ثم يتسرب خارج العين من خلال الفتحات الموجودة فى زاوية العين الطرفية ، أو عن طريق سطح القزحية الأمامى يمر بأنسجتها إلى الجسم الهدبى . فى حالة الجلوكوما ضيقة الزاوية ، والتى يوجد فيها إعاقة لسريان السائل المائى من الغرفة الخلفية للغرفة الأمامية ، فإنه يتم عمل فتحة فى القزحية بواسطة ليزر الأرجون ، وذلك لتصريف السائل المائى . بينما فى حالة الجلوكوما مفتوحة الزاوية ، فإنه يتم عمل فتحة بواسطة ليزر الأرجون وذلك فى القنوات الموجودة بالجزء الداخلى للعين لتصريف السائل المائى . فى بعض الأحيان يتم عمل كى للجسم الهدبى وذلك ليقلل من إفرازه للسائل المائى .

تم أيضاً استخدام الليزر فى علاج المركز البصرى للشبكية وعلاج الأكياس الدهنية بالجفون وعلاج الملتحمة .

وحاليا يتم استخدام ليزر الاكزيمر بنجاح لعلاج قصر النظر وطول النظر والاستجماتيزم وذلك عن طريق إزالة جزء من نسيج القرنية ، وبالتالى تغيير القوة البصرية للعين .

من أمراض الطفولة

فقر الدم الناجم

عن زيادة تكسر كرات الدم الحمراء

- ٢ -

أنيميا البحر المتوسط

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى *

بدأنا الحديث في مقالنا السابق . عن مرض . أنيميا البحر المتوسط . وهو أكثر أنواع فقر الدم عند الأطفال شيوعا . ولقد قمنا بإلقاء الضوء على ماهية المرض . وسبب حدوثه . وأعراضه . واليوم نستأنف حديثنا عن هذا المرض بإلقاء الضوء على أهم مضاعفاته .

● وتتلخص أهم مضاعفات هذا المرض الوبيل فيما يلي :

١) تأخر النمو الجسماني للطفل Growth Retardation :

حيث يقل معدل نمو الطفل الجسماني (خصوصاً في الطول والوزن) عن المعدل الطبيعي ويرجع ذلك للأسباب التالية :

● قلة الأوكسجين المزمنة Hypoxia ، نظراً لحدوث فقر الدم المزمن ، حيث إن الأوكسجين يكون متحداً مع الهيموجلوبين ، الذى تقل نسبته عن المعدل الطبيعي .

---

* ماجستير في طب الأطفال .

● ترسب الحديد ـ المتصاعد من خلايا الدم الحمراء ، المتكسرة ـ فى كبد الطفل : Haemosiderosis وبالتالى ، تقل مادة السوماتوميدين Somatomedin اللازمة لنمو الطفل :

● كما يترسب الحديد ـ أيضاً ـ فى الغُدة تحت المهاد Hypotha lamus والغدة النخامية Pituitary gland وبالتالى ، تقل نسبة هرمون النمو Growth Hormone .

***

٢) تأخر البلوغ الجنسى للطفل : Pubertal Retardation

حيث يتأخر البلوغ الجنسي للطفل عن المعدل الطبيعى ، نتيجة للأسباب الآتية :

● نقص الأوكسجين المزمن .

● **ترسّب الحديد فى غُدد الطفل الصماء** : Endocrine glands ، التى تقوم بإفراز الهرمونات ، التى تؤدى إلى حدوث البلوغ الجنسى للطفل .

٣) إصابة الطفل بالكسور العظمية : Pathological Fractures ، نظراً لتمدُّد النخاع العظمى ، كى يقوم بتصنيع كرات الدم الحمراء ، بمعدل سريع ، لتعويض كرات الدم الحمراء المتكسرة .

٤) قد يُصاب الطفل بالداء السكرى diabetes Mellitus ، نظراً لترسب الحديد فى بنكرياس الطفل ، ونظراً لأن جلدا الطفل يكون داكن اللون ، يسمى هذا (بمرض السكر البرونزى) Bronzed diabetes .

٥) **إصابة قلب الطفل** : نظراً للأسباب الآتية :

● ترسّب الحديد فى قلب الطفل ، وقد يؤدى هذا إلى حدوث الآتى :

* التهاب الغشاء الخارجى المحيط بالقلب : Pericarditis .

* اضطراب فى نبضات القلب : Dysrrhythmia

* التهاب عضلة القلب : Myocarditis

● حدوث هبوط فى القلب : Heart Failure وذلك للأسباب الآتية :

● ترسب الحديد فى قلب الطفل ، مؤدياً إلى التهاب عضلة القلب ، واضطراب انتظام نبضاته .

* حدوث فقر دم شديد .

* التهاب عضلة القلب نتيجة لإصابة الطفل بالالتهابات المتكررة نظراً لقلة مناعة جسم الطفل المريض .

٦) زيادة نشاط طحال الطفل Hypers Spleenism ويؤدى هذا إلى تكسير جميع خلايا الدم وهى :

● **كرات الدم الحمراء** : وبالتالى يزداد فقر الدم ، ويزداد الطفل شحوباً .

● كرات الدم البيضاء : ويؤدى هذا إلى إصابة الطفل بالالتهابات المتكررة ، خصوصا الالتهاب الرئوى ، والتهاب عضلة القلب .

● الصفائح الدموية : ويؤدى هذا إلى حدوث النزف خارجياً من الفتحات (الأنف والفم ، وفى البــول ومــن الشرج) أو تحت الجلـد : Purpura ، وأيضاً داخليـــاً : internal Haemorrhaga ويؤدى هذا النزف إلى زيادة فقر الدم ، ويؤدى النزف الداخلى إلى مضاعفات عديدة ، وفقا لمكان حدوثه ، وعلى سبيل المثال ، إذا حدث هذا النزف داخل مخ الطفل ، فقد يؤدى هذا إلى حدوث إعاقات للطفل ، حسب مكان النزف ، وقد تكون تلك الإعاقات دائمة ، كما قد يُودى هذا بحياة الطفل .

٧) إصابة الطفل بالالتهابات المتكررة : inter current infections ويحدث هذا نتيجــة للأسباب الآتية :

● قلة نشاط الجهاز المناعى الليمفاوى الخلوى : depressed cellular immunity

● قلة إفراز مادة الأوبسونين : Opsonin التى تساعد فى عملية التهام البكتريا ، حيث تحيط بها ، وتساعد فى عملية التهامها .

● قلة عدد كرات الدم البيضاء ، حيث يزداد معدل تكسرها فى طحال الطفل ، وحيث يزداد نشاطه .

● إصابة قلب الطفل ، قد تؤدى إلى حدوث هبوط فى القلب ، وبالتالى إصابة الطفل بالالتهاب الرئوى المتكرر Bromcho Pneumonia .

● تمدد النخاع العظمى لعظام وجه الطفل ، ويؤدى إلى إصابة الطفل بالتهاب الجيوب الأنفية المتكرر : Recurrent Sinusitis .

***

وقد تكون هذه الالتهابات (خصوصاً الالتهاب الرئوى والتهاب بعضلة القلب) شديدة الوطأة ، ويصعب علاجها وقد يُودى هذا بحياة الطفل .

٨) نظراً لترسب الحديد فى كبد الطفل ، قد يؤدى هذا إلى حدوث تليف كبدى : Nodulay Cirrhosis of the Liver وقد يؤدى هذا - فى المراحل المتقدمة من المرض - إلى حدوث فشل كبدى : Liver Cell Failure .

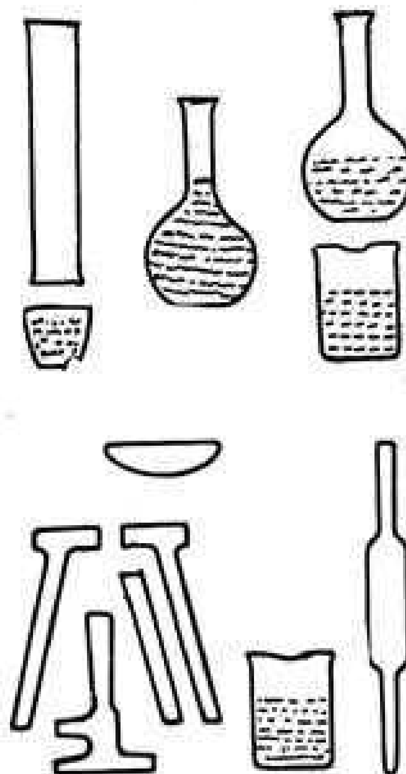
٩) وقد يترسب الحديد - أيضاً - فى كلى الطفل المريض ، وقد يؤدى هذا - فى المراحل المتقدمة من المرض - إلى حدوث فشل كلوى : Renal Failure ومن هنا يتجلى لنا أن هذا المرض الوبيـل ، يصيب معظـم أجهـزة الجسم ، بمضاعفات خطيرة ، قد تودى بحياة الطفل .

وسوف نستكمل حديثنا عن أنيميا البحر المتوسط فى مقالنا التالى - بإذن الله تعالى - بإلقاء الضوء على وسائل تشخيص المرض ، والعلاج الأمثل له .

﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ نجوى السيد أحمد (*)



سيارة تعمل كطائرة عمودية

ابتكر أستاذ أمريكي في هندسة الطيران بجامعة كاليفورنيا سيارة تستطيع أن تقلع عمودياً لتشق طريقها في الهواء ، على ارتفاع يصل إلى تسعة آلاف قدم وتعمل بواسطة ثمانية محركات داخلية الاحتراق ، بقوة مائة وخمسين حصاناً ، وحركة المرور الجوي لهذه السيارة لن تكون كقيادة السيارة على الطريق ، بل سيكون على قائد السيارة أن يسجل وجهته على جهاز « كمبيوتر » أمامه وبالتالي يفتح له الممر الجوي الالكتروني ، ويمده بمعلومات عن السرعة والمسافة الأمنية بينه وبين السيارات الأخرى .

* باحثة بالمركز القومي للبحوث ـ الدقي

الخلايا الضوئية لتشغيل الحاسب الآلي

اخترع باحث أمريكي حاسباً آلياً يعمل بالخلايا الضوئية بدلاً من استخدام التيار الكهربائي في تشغيله ، وتقوم هذه الخلايا بمهمة نقل المعلومات داخل الحاسب الآلي الجديد ، وتتميز بسرعة نقل المعلومات حيث تبلغ ألف ضعف مثيلتها في أجهزة الحاسب الآلي العادية والتي تعمل بالكهرباء .

آلة جديدة لتنظيف القصب

طور العلماء في مجال الهندسة الزراعية بالهند آلة جديدة لتسهيل عملية تنظيف وفرز عيدان القصب ، دون الاعتماد على العمالة اليدوية ، وتتكون الآلة الجديدة من وحدة تنظيف ووحدة إدخال ، وتحتوى وحدة التنظيف على اسطوانة وثلاثة أعمدة دوارة وجهاز دفع هوائي يقوم بتوجيه أطراف الأوراق إلى داخل خزانة لتقليمها ، أما وحدة الإدخال فيوجد بها نظام إدخال سفلي وتوجيه علوي ، وهي تحمل عيدان القصب إلى أعمدة التنقية حيث يتم تقليم الأوراق وتقشير عيدان القصب وتنظيفها .

ثلاجة لتحسين كفاءة الحاسب الآلي

طورت شركة الطاقة الشمسية الأمريكية ثلاجة مصغرة لوضعها داخل الحاسب الآلي الشخصي ، حيث إن مكونات الأجهزة الإلكترونية تعمل بشكل أفضل وبصورة أسرع عند تبريدها ، والثلاجة الجديدة تستخدم محركاً شمسياً دواراً للتبريد دون استخدام الغاز المبرد .

دراسة جديدة لمحاولة تخفيض تكاليف الطاقة

يدرس عدد من العلماء في الولايات المتحدة الأمريكية بعض المواد المبردة تبريداً شديداً والتي لا يمكن زيادة برودتها إلى ما بعد درجة معينة يطلقون عليها اسم « الصفر المطلق » وهو ما يعادل ٢٧٣ درجة مئوية تحت الصفر ، حيث إن المواد التي تصل إلى مثل هذه البرودة الفائقة تفقد مقاومتها لتدفق التيار الكهربائي عبرها ، ورغم أن ذراتها تتحرك إلا أن حركتها تكاد تكون معدومة .

ويحاول العلماء تبريد السليكون والهيليوم ورقائق معدنية كرقائق الفضة والبلاتين لمعرفة كيف تفقد المواد المبردة تبريداً شديداً مقاومتها للتيار الكهربائي ، حيث يمكن أن تساعدهم في تخفيض تكاليف الطاقة تخفيضاً كبيراً .

جهاز إلكتروني لتمييز الروائح

تم ابتكار جهاز إلكتروني مزود بعدة شرائح من مادة حساسة مصنوعة من « البوليمرات » الموصلة للكهرباء والتي تتفاعل مع جزيئات الروائح بإظهار تغيرات طفيفة في التوصيل الكهربائي . يستخدم الجهاز الجديد في الكشف عن مكونات العطور والتمييز بينها ، ويجرى تطويره حالياً للإفادة منه في تشخيص الأمراض ، فقد أوضحت الأبحاث العلمية حديثاً أن المصابين ببعض الأمراض كالسكر وسرطان الرئة ، تنبعث منهم روائح خاصة مميزة .

لصقة طبية جديدة لعلاج الآلام

اخترع الأطباء الأمريكيون لصقة طبية جديدة للقضاء على الآلام ، وتوضع على الجلد وتحمل دواء له تأثير قوى مسكن للآلام ، وتتميز هذه اللصقة بسهولة استعمالها ويستمر أثرها الدوائى لمدة ٧٢ ساعة فى حين تتطلب الأدوية الأخرى التى تقضى على الآلام تعاطياً مستمراً عدة مرات فى اليوم .

الشعاب المرجانية لعلاج العظام

نجح علماء المعهد الوطنى الفرنسى للبحوث فى باريس فى إجراء عمليات لاستبدال العظام وإصلاح الكسور المتعددة فى الأطراف والعمود الفقرى والفكين باستخدام الشعاب المرجانية بديلًا للعظام البشرية ، وحققت هذه العمليات نجاحاً كبيراً فى فرنسا ، ويقوم الجراحون البريطانيون الآن بمحاولات لاستخدام نفس الأسلوب .

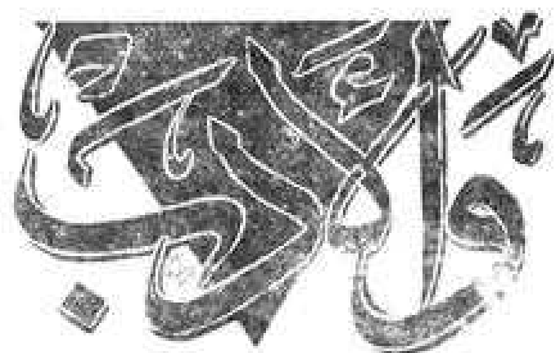
أهمية عنصر الزنك لجسم الإنسان

أكد علماء أمريكيون أن نقصان أو زيادة عنصر الزنك فى جسم الإنسان يتسبب فى حدوث اضطرابات فى الجسم . وجد العلماء أن انخفاضاً قليلًا فى مقدار الزنك ينقص من وزن الرجال وبالنسبة للمرأة يسبب تشوهات خطيرة فى المواليد ، كما أكد العلماء أن نقص عنصر الزنك يؤدى إلى فقدان حاسة الشم أو التذوق ، ويقلل من قوة الإبصار ، وأوضح العلماء أن زيادة عنصر الزنك فى جسم الإنسان يصيبه باضطراب فى المعدة وارتفاع درجة حرارة الجسم وفقر الدم الحاد وضعف العضلات وتلف الأعصاب . ويساعد وجود الزنك فى الجسم بصورة طبيعية جهاز المناعة ــ الذى يقاوم الأمراض ــ لأن خلايا الدم البيضاء بحاجة إلى هذا العنصر لكى تؤدى وظيفتها . ويوجد الزنك بكثرة فى اللحوم والبيض والسمك واللبن ومنتجات الحبوب .

بكتريا لإزالة مخلفات المتفجرات

نجح فريق من الباحثين فى برلين فى تطوير سلالة من « البكتريا » تستطيع أن تلتهم المتفجرات ، وسيتم استخدام هذه الميكروبات فى إزالة التلوث الذى أصاب التربة المتضررة من إنتاج الأسلحة والأنشطة العسكرية الأخرى وتقوم هذه السلالات الجديدة من « البكتريا » بتحليل مادة المتفجرات من خلال تحطيم النيتروجين المركب الموجود فى جزىء المواد المتفجرة وتحويل النيتروجين الناتج إلى مخصب طبيعى للتربة .


الشعر والنقد



موقف النحويين من الاحتجاج بالقرآن الكريم

للأستاذ : صلاح موسى البربرى

● موقف الكسائى :

إن الكسائى يفسح المجال للقراءات واللغات الشاذة ، فيقف عند بعض القراءات ويقيم قاعدة عليها ومن ذلك :

١ ـ أنه يجيز العطف بالرفع على اسم (إن) المنصوب قبل تمام الخبر ، مستدلا بقوله ـ تعالى :
﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . سورة المائدة

ويمنع البصريون ذلك ، ويوجهون الآية توجيها آخر ، ويتوقف الفراء عند النص ويخصص هذا الحكم بما يماثل الآية فيما لا يظهر فيه عمل (إن) مثل المبنيات .

٢ ـ ويعتمد الكسائى على قراءة سعيد بن جبير :
﴿ إِنِ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَالَكُمْ ﴾
سورة الأعراف ـ آية : ١٩٤

فيضع قاعدة عامة ، وهى أن (إنْ) النافية إذا دخلت على الجملة الأسمية عملت عمل (ليس) فترفع الأسم وتنصب الخبر وقد تابعه المبرد فى ذلك .

٣ ـ ويقرر الكسائى : أن اسم الفاعل يعمل النصب ، وهو بمعنى الماضى ، أو بمعنى الحال أو الاستقبال مستدلا بقوله ـ تعالى ـ :
﴿ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ .
سورة الكهف ـ آية : ١٨

● موقف ابن مالك :

اتجه ابن مالك إلى التعويل على اللفظ الواحد الذى ظاهره جواز ما يمنعه النحويون ، فيعول عليه بالجواز و مخالفة الأئمة .

وابن مالك لاشتغاله باللغة والقراءات والحديث كان له مذهب ينفرد به بين كبار النحويين ، فهو يستمد شواهده أولا من القرآن الكريم ، فإن لم يجد عدل إلى الحديث الشريف ، فإن لم يجد فمن أشعار العرب وكلامهم .

● موقف الكوفيين والبصريين :

مما سبق تبين لنا أن علماء العربية قد اختلفوا فى الاستشهاد بالقراءات فقد كان قوم من النحاة يعيبون على « عاصم وحمزة وابن عامر » قراءات بعيدة فى العربية وينسبونها إلى اللحن مع ثبوت هذه القراءات بالأسانيد الصحيحة ، وثبوت ذلك دليل على جوازه فى العربية كما يرى السيوطى الذى اعتبر كل ما ورد أنه قرىء به جاز الاحتجاج به فى العربية ، سواء كان متواترا ، أم آحاداً ، أم شاذاً ، فالاستشهاد بالقراءات المتواترة غير المخالفة للقياس سار عليه البصريون ، كما سار عليه الكوفيون ، أما الاحتجاج بالقراءات الشاذة والقياس عليها واعتبارها أصلا من أصول الاستشهاد ، فهو ليس من منهج البصريين ، لأنهم لم يحتجوا بقراءة إلا إذا كانت موافقة لقواعدهم وأقيستهم وأصولهم المقررة ، فإن خالفتها ردوها .

فى حين كانت القراءات مصدرا من مصادر النحو الكوفى ، وفى ذلك يقول الدكتور مهدى المخزومى فى كتابه « مدرسة الكوفة ومنهجها فى دراسة اللغة والنحو » .

والقراءات مصدر هام من مصادر النحـــو الكوفى .

ولكن البصريين كانوا قد وقفوا منها موقفهم من سائر النصوص اللغوية وأخضعوهـــــا لأصولهم وأقيستهم ، فما وافق منها أصولهم ولو بالتأويل قبلوه ، وما خالفها رفضوا الاحتجاج به ووصفوه بالشذوذ ، كما رفضوا الاحتجاج بكثير من الروايات اللغوية وعدوها شاذة تحفظ ولا يقاس عليها .

فالكوفيون يأخذون بالقــراءات السبـــع وبغيرهـــا من القـــراءات ، يحتجـــون بها فيما له نظير من العربية ، ويجيزون ما ورد فيها مما خالف الوارد عن العرب ، ويقيسون عليها فيجعلونها أصلا من أصولهم التى يبنون عليها القواعـــد والأحكام ، وهم إذا رجحوا القراءات التى يجتمع عليها القراء لا يرفضون غيرها ولا يغلطونها .

أما البصريون فعلى خلافهم كما وضحنا .. ومن أمثلة ذلك رفض البصريين الاحتجاج بقراءة ابن عامر : ﴿ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾

سورة الأنعام ــ آية : ١٣٧ .

بنصب (أولادهم) وجر (شركائهم) وعدوها غلطا ، لأنه فصل بين المضاف والمضاف إليه ، وقالوا فيها إن هذه القراءة لا يسوغ الاحتجاج بها ، لأن الاحتجاج واقع على عدم الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول فى غير ضرورة الشعر ، والقرآن ليس فيه ضرورة ، وفى وقوع الاجماع على خلافه دليل على وَهْى القراءة ، أما الكوفيون فقد أخذوا بها وقاسوا عليها جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والجار والمجرور .

● موقف بعض القراء والنحاة الآخرين :

(ا) بصفة عامة نالت القراءات عناية القراء والنحويين ، ملتمسين الاحتجاج لها ، معتمدين على قياس أو تخريج أو استشهاد ، حتى أصبح الاحتجاج للقراءات ميدانا للدراسة ، يراد به توثيق القراءات ونفى الشبهة عنها والشك فى سلامتها :

١ ــ فهذا ابن عباس يقرأ (ننشرها) بالنون المفتوحة والراء من قوله ــ تعالى :

﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾

سورة البقرة ــ آية : ٢٥٩

ويحتج لقراءته بقوله ــ تعالى :

﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ .

سورة عبس ــ آية : ٢٢

٢ ــ وهذا عاصم الجحدرى يقرأ :

﴿ مالك يوم الدين ﴾ .

سورة الفاتحة ــ آية : ٤

بغير ألف ويحتج على من قرأ (مالك) فيقول : يلزمه أن يقرأ :

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ﴾

سورة الناس ــ آية : ١ ، ٢

٣ ــ وهذا عيسى بن عمر يقرأ :

﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾ .

سورة سبأ ــ آية : ١٠

بنصب الطير ويقول : هو على النداء ، فهو يرجع القراءة لقياسه النحوى .

٤ ــ وهذا سيبويه يحتج لقراءة بالشعر ، فيقول

وأهل المدينة يقرأون :

﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

سورة هود ـ آية : ١١١

يخففون وينصبون ، كما قالوا :

وصدر مشرق النحر كأنه ثدييه حقان

٥ ـ وفي كتاب معاني القرآن للفراء تخريج لاختلاف الأعراب واحتجاج لوجود هذا الاختلاف ، فمنها على سبيل المثال : أنه علق على قوله ـ تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ .

سورة يونس ـ آية : ٧١

بقوله : وقد قرأها الحسن البصري (شركاؤكم) بالرفع ، كأنه أراد أجمعوا أمركم أنتم وشركاؤكم ، ولست أشتهيه لخلافه للكتاب .

(ب) لقد أصبح المجال أمام النحويين واسعا بعد أن جمع القراء القراءات المختلفة ، وبحثوا عن إسنادها ، فقاموا بدورهم بدراسة القـــراءات والاحتجاج لها مما ورد عن العرب :

١ ـ فكان أول من جمع القراءات وبحث عن سندها : هارون بن موسى الأعور ، عندما سمع بالبصرة وجوه القراءات .

٢ ـ كما ألف يعقوب بن إسحق الحضرمي كتابا سماه : (الجامع) جمع فيه عامة اختلاف وجوه القرآن ، ونسب كل حرف إلى من قرأ به .

٣ ـ ثم كان أبوعبيدة القاسم بن سلام : أول إمام جمع القراءات في كتاب ، وجعلها ما يقرب من خمس وعشرين قراءة مع القراءات السبعة .

٤ ـ فلما كان محمد بن يزيد المبرد ألف فيما ألف كتاب (احتجاج القراءة) .

٥ ـ كما هيأ أبو بكر بن مجاهد الأسباب لهذه الدراسة ، إذ جمع القراءات السبع في كتاب .

٦ ـ ثم شرع بعده : أبومحمد بن السرى المعروف بابن السراج في تصنيف كتاب في الاحتجاج للقراءات التي جمعها ابن مجاهد ولكنه أنجز منه الفاتحة ، وآيتين من سورة البقرة .

٧ ـ ثم اتجه أبو على الفارسي لإنجاز ما لم يتمه شيخه فألف : (الحجة في علل القراءات السبع) .

٨ ـ ثم جاء تلميذه ابن جني فألف : (المحتسب في تبيين وجوه القـــراءات الشاذة والإيضاح عنها) وفيه يعلن : « ابن جني » أن شواذ القراءات مساوية في الفصاحة لغيرها من المجتمع عليه ، ويتولى في كتابه هذا أيضا بيان وجوه القراءات ومطابقتها للعربية في لهجاتها المتعددة .

(جـ) نخلص مما سبق إلى : أن بعض النحويين حاولوا أن يخضعوا النص القرآني لقواعدهم ، وبلغت الجرأة ببعضهم إلى اتهام القراء الثقات باللحن إذا لم تستقم القراءة مع القاعدة ، وبعضهم كان رفيقا بالقراء فيقبل القراءة مع مخالفتها للقياس على أنها مقبولة في هذا الحرف بعينه فلا يقاس عليها ، وفريق آخر أخضع القاعدة للنص القرآني ، فيجيز ما وردت به القراءة صحيحة ، وعلى أية حال فالجمهور على جواز الاحتجاج بمتواتر القرآن وشاذه .

● مكانة النحو من مقاييس القراءة :

إن النحو ـ بوصفه علما من علوم العربية ـ احتل نصيبا في مقاييس القراءة الصحيحة :

الأول : يقول مكي بن أبي طالب : إن جميع ما روى من القراءات على ثلاثة أقسام : الأول : يقرأ به اليوم ، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال وهي :

(١) أن ينقل عن الثقات إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

(ب) أن يكون وجهه فى العربية التى نزل بها القرآن شائعا .

(جـ) أن يكون موافقا لخط المصحف .

الثانى : ما صح نقله فى الآحاد وصح وجهه فى العربية وخالف لفظه خط المصحف ، فهذا يُقبل ولا يقرأ به .

الثالث : هو ما نقله ثقة أو نقله غير ثقة ، ولا وجه له فى العربية ، فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف .

فمكى يجعل موافقة القراءة ولو بوجه للعربية شرطا لقبول القراءة ، بحيث لو كان الراوى ثقة والقراءة موافقة للرسم العثمانى ولكن لا وجه لها فى العربية فلا تقبل ، وبذلك يقدم اللغة على الراوى .

ولكن الدكتور محمد إبراهيم عبادة فى كتابه (عصور الاحتجاج فى النحو العربى) لا يؤيد هذا الرأى ــ وأنا معه ــ فيرفضه ويقول : ينبغى أن يكون عكس ذلك ، إذ تعتمد اللغة على الراوى الثقة ، فإذا ثبتت الثقة فى الراوى وجب أن نأخذ عنه القراءة ونستضىء بها فى إرساء قواعد اللغة .

(ب) أما ابن الجزرى : فقد وقف موقفا منصفا للقراء والنحويين ، فقد قال فى أول كتابه : « النشر : كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصح سندها فهى القراءة الصحيحة ــ التى لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها ، فهو هنا يرى أن صحة السند هى الأساس الأعظم والركن الأقوم ، فإذا خالفت القراءة اللغة ولا وجه لها فيها يكتفى بالحكم على القراءة بأنها ضعيفة .

(جـ) ويتفق أبوعمرو والدانى مع ابن الجزرى فى ذلك فهو يقول فى كتابه « التيسير » : إذا ثبتت الرواية لم يردها قياس العربية ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها .

(د) أما موقف المتقدمين من هذه القضية فهو : إذا حدث أن ردت القراءة ــ قبل نشأة النحو ــ فالسبب الأول فى ردها مخالفتها لما سمع عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ مثل من قرأ :

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولِهِۦ ﴾ .
سورة التوبة ــ آية : ٣

بجر كلمة (رسول) وقد وجهه « عمر بن الخطاب » إلى الصواب ، ومثل ما سمعه « على بن أبى طالب » من أعرابى يقرأ :

﴿ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴾ .
سورة الحاقة ــ آية : ٣٧

ومثل ما سُمع عن الحجاج بالرفع فى قوله ــ تعالى :

﴿ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ .
سورة التوبة ــ آية : ٢٤

إن السبب الحقيقى فى رفض تلك القراءات كما هو واضح أنها لم تسمع عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلا سند لها ومن ثم يجب ردها .

أهم المراجــع :

(١) المدارس النحوية ، شوقى ضيف ، دار المعارف .
(٢) عصور الاحتجاج فى النحو العربى ، د. محمد إبراهيم عبادة ، دار المعارف .
(٣) الشاهد فى أصول النحو فى كتاب سيبويه ، د. خديجة الحديثى .

ابن دريد

ومنهجه فى جمهرة اللغة

٢٢٣ ـ ٣٢١

د . محمد رياض السيد كريم (*)

كتاب جمهرة اللغة لابن دريد أثر نفيس من تراثنا اللغوى ، ومعجم فريد من معاجمنا اللغوية . فهو نموذج لمدرسة بذاتها ، هى مدرسة التقليبات المجانية (١) التى تعد مرحلة من مراحل تطور التأليف المعجمى ، وخطوة على درب ترقية المعجم العربى ، إذ لم يؤلف على نهجها سواه . لذا فهو جدير بالبحث والدراسة ، وحقيق بإلقاء الضوء عليه ، حتى يستبين جهد أسلافنا من علماء اللغة القدامى فى ميدان البحث اللغوى والتأليف المعجمى .

ولنبدأ بالتعريف بصاحب الجمهرة (٢) .

ابن دريد

هو أبوبكر محمد بن الحسن دريد الأزدى ، ولد بالبصرة فى سكة صالح سنة (٢٢٣) ، فقد روى تلميذه الحسن بن عبدالله العسكرى (٣) أنه سمعه يقول : « ولدت بالبصرة سنة ثلاث

(*) الكاتب : استاذ مساعد / كلية اللغة العربية بالزقازيق جامعة الأزهر .

(١) سيأتى بيان التقليبات المجانية فى حديثنا عن المنهج .

(٢) يشيع إطلاق الجمهرة على جمهرة اللغة لابن دريد ، وهذا جائز ولا غبار عليه ، يقول عبدالقادر البغدادى فى حاشيته على شرح بانت سعاد لابن هشام (١ / ٢٤٩ ، ٢٥٠) تعليقا على إطلاق الاصلاح على إصلاح المنطق لابن السكيت ، وهو مثل هذا : « قوله فى كتاب الإصلاح ، إن قلت اسم الكتاب إصلاح المنطق فكيف حذف المضاف إليه وعوض عنه (ال) فتصرف فى العلم ؟ وإنما المعهود فى التراكيب الإضافية نيابة (ال) عن الضمير الغائب المضاف إليه ، نحو : { فإن الجنة هى المأوى } [النازعات / ٤١] ؟

قلت : جوّزه ابن جنى فى العلم أيضاً ، قال عند شرح قول المتنبى :

وفيها السيفُ حَتْفُهُ صدوقٌ

إذا لاقى وغاربه لَعُوْجُ

أراد سيف الدولة ، فجعل (ال) التى للعهد عوضا عن المضاف إليه بعد حذفه لما كان معروفا بما جاز النبى . وعليه يتمشى قولهم (المغنى) فى « مغنى اللبيب » ونحوه .

(٣) هو أبوأحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكرى البغدادى اللغوى ، من مصنفاته : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف . مات سنة ٣٨٢ هـ . انظر ترجمته فى : إنباه الرواة (١ / ٣٤٥) وبغية الوعاة (١ / ٥٦) وهدية العارفين (١ / ٢٧٢) .

وعشرين ومائتين[4] » . ونشأ بعمان ، وتنقل فى الجزائر البحرية ما بين البصرة وفارس ، وطلب الأدب وعلم النحو واللغة ، وكان أبوه من الرؤساء ، ومن ذوى اليسار .

وقد ورد ابن دريد بغداد بعد أن أسنّ فأقام بها إلى آخر عمره ، وكان رأس أهل العلم ، والمقدم فى حفظ اللغة والأنساب وأشعار العرب ، وقد تصدر فى العلم ستين سنة ، وكان واسع الحفظ ، تقرأ عليه دواوين العرب فيسابق إلى إتمامها ويحفظها[5] .

يقول ابن دريد : « كان أبو عثمان الأشنانداني[6] معلمى ، وكان عمى الحسين بن دريد يتولى تربيتى ، فكان إذا أراد الأكل استدعى أبا عثمان ليأكل معه ، فدخل يوما عمى وأبوعثمان يروينى قصيدة الحارث بن حلّزة[7] التى أولها :

* آذنتنا ببينها أسماء *

فقال لى عمى : إذا حفظت هذه القصيدة وهبت لك كذا وكذا ، ثم دعا المعلم ؛ ليأكل معه فدخل إليه ، فأكلا وتحدثا بعد الأكل ساعة ، فإلى أن رجع المعلم حفظت ديوان الحارث بن حلّزة بأسره ، فخرج المعلم ، فعرفته ذلك فاستعظمه وأخذ يعتبره علىّ ، فوجدنى قد حفظته ، فدخل إلى عمى فأخبره ، وأعطانى ما كان وعدنى به[8] » .

وقد مات أبوبكر بن دريد سنة ٣٢١ هـ ، ورثاه جحظة البرمكى[9] بقوله :

فقدتُ بابن دريدٍ كلَّ منفعةٍ
لمَّا غدا ثالثَ الأحجار والتُّرب
وكنتُ أبكي لفقد الجود مجتهداً
فصرتُ أبكي لفقد الجود والأدب[10]

شيوخه وتلاميذه :

تلقى ابن دريد العلم على أيدى علماء أجلاء من شيوخ عصره وعلمائه ، ومن أبرز هؤلاء العلماء أبوحاتم السجستانى[11] ، وعبدالرحمن ابن أخى الأصمعى[12] ، وأبوعثمان الأشناندانى ، وأبوالفضل الرياشى[13] .

وقد تتلمذ عنده ، وأخذ عنه الكثير من العلماء الذين اشتهروا بالعلم والأدب ، من هؤلاء

(٤) نزهة الألباء ص ٢٥٦ .

(٥) معجم الأدباء (١٨ / ١٢٧ ، ١٢٨) وإنباه الرواة (٣ / ٩٣) وبغية الوعاة (١ / ٧٦ ، ٧٧) .

(٦) هو أبو عثمان سعيد بن هارون الأشناندانى أحد أئمة اللغة وأستاذ ابن دريد ، مات سنة ٢٥٦ هـ . انظر ترجمته فى : نزهة الألباء (ص ٢٠٣) وبغية الوعاة (١ / ٥٩١ ، ٢ / ١٣٧) وهدية العارفين (١ / ٣٨٨) .

(٧) هو الحارث بن حلّزة اليشكرى ، من بنى يشكر بن بكر بن وائل ، شاعر جاهلى مشهور ، يقال : إنه ارتجل القصيدة المشار إليها ارتجالا بين يدى عمرو بن هند ، وهى إحدى المعلقات السبع . (الشعر والشعراء : ١ / ٢٠٣) .

(٨) معجم الأدباء : ١٨/ ١٩ : ١٣ .

(٩) هو أحمد بن جعفر بن موسى ، المعروف بجحظة البرمكى ، أديب بغدادى توفى سنة ٣٢٤ هـ ، وله ديوان شعر . (هدية العارفين ١ / ٥٩) .

(١٠) معجم الأدباء : ١٨ / ١٣٦

(١١) هو أبوحاتم سهل بن محمد السجستانى نزيل البصرة وعالمها ، كان عالما باللغة والشعر . مات سنة ٢٥٥ هـ . انظر ترجمته فى : الفهرست (ص ٨٦) ونزهة الألباء (ص ١٨٩) وإنباه الرواة (٢ / ٥٨) .

(١٢) هو عبدالرحمن بن عبدالله ، ابن أخى الأصمعى ، أديب بغدادى ثقة ، روى عن عمه الأصمعى وغيره من العلماء ، من مصنفاته : معانى الشعر . انظر ترجمته فى : الفهرست (ص ٨٣) وإنباه الرواة (٢ / ١٦٢) وهدية العارفين (١ / ٥١٢) .

(١٣) هو أبو الفضل العباس بن فرج الرياشى اللغوى النحوى المتوفى سنة ٢٥٧ هـ . انظر ترجمته فى : إنباه الرواة (٢ / ٣٦٧) ونزهة الألباء (ص ١٩٩) .

أبوالفرج الأصبهانى[14] صاحب كتاب الأغانى المشهور ، وأبوعلى القالى[15] صاحب المعجم المسمى (البارع فى اللغة ـ) ، وأبوسعيد السيرافى[16] ، وابن خالويه[17] ، وأبو أحمد العسكرى ، وأبو عبيد الله المرزبانى[18] .

منزلته العلمية :

أبوبكر بن دريد علم من أعلام اللغة البارزين ، فهو ـ كما يقول أبوالطيب اللغوى[19] ـ « الذى انتهى إليه علم لغة البصريين ، وكان أحفظ الناس ، وأوسعهم علما ، وأقدرهم على شعر ، وما ازدحم العلم والشعر فى صدر أحد ازدحامهما فى صدر خلف الأحمر[20] وأبى بكر بن دريد[21] » .

وقال أبوالبركات الأنبارى[22] : « كان من أكابر علماء العربية ، مقدما فى اللغة وأنساب العرب وأشعارهم[23] » .

ويحكى تلميذه أبوأحمد العسكرى فى كتابه (شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف) عن أبى الحسن على بن عبدوس الأرجانى قوله : « كنا ببغداد والعلماء متوافرون ـ وذكر أبا إسحاق الزجاج[24] ، وأبا موسى الحامض[25] ، وأبا محمد الأنبارى[26] ، واليزيدى وغيرهم ـ فاختلفوا فى اسم شاعر واحد ، وهو (حريث بن محفض) ، وكتبنا أربع رقاع إلى أربعة من العلماء ، فأجاب كل منهم بما يخالف الآخر ، فقال بعضهم : مُخَفَّض بالخاء والضاد المعجمتين ، وقال آخر : ابن محفض ، فقلنا : ليس لهذا إلا أبوبكر بن دريد ، فقصدناه فى منزله ، فعرفناه ما جرى ، فقال ابن دريد : أين يذهب بكم ؟ هذا مشهور ، هو حُريث بن مُحَفِّض ، الحاء غير معجمة

(14) هو أبو الفرج على بن الحسين الأصبهانى الكاتب البغدادى المعروف بأبى الفرج الأصبهانى . مات سنة ٣٥٦ هـ . (هدية العارفين : ١ / ٦٨١) .

(15) هو أبو على إسماعيل بن القاسم البغدادى ، المعروف بالقالى ، أحد علماء اللغة والنحو . مات سنة ٣٥٦ هـ . انظر ترجمته فى : بغية الوعاة (١ / ٤٥٣) وهدية العارفين (١ / ٢٠٨) .

(16) هو أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافى النحوى المتوفى ببغداد سنة ٣٧٨ هـ . انظر ترجمته فى : إنباه الرواة (١ / ٣٤٨) وبغية الوعاة (١ / ٥٢٩) .

(17) هو أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه النحوى اللغوى المتوفى بحلب سنة ٣٧٠ هـ . انظر ترجمته فى : الفهرست (ص ١٢٤) وإنباه الرواة (١ / ٣٥٩) وبغية الوعاة (١ / ٥٢٩) .

(18) هو أبوعبيد الله محمد بن عمران المرزبانى ، من بيت رياسة وثقافة ، من مصنفاته : المعجم فى أسماء الشعراء ، والموشح . مات ببغداد سنة ٣٨٤ هـ . أنظر ترجمته فى : إنباه الرواة (٣ / ١٨٠) وهدية العارفين (٢ / ١٥٤) .

(19) هو أبو الطيب عبدالواحد بن على اللغوى الحلبى المقتول سنة ٣٥١ هـ . من مصنفاته : مراتب النحويين . انظر ترجمته فى : بغية الوعاة (٢ / ١٢٠) وهدية العارفين (١ / ٦٣٣) .

(20) هو أبو محرز خلف بن حيان البصرى ، المعروف بخلف الأحمر ، معلم الأصمعى ومعلم أهل البصرة ، وأحد رواة الغريب واللغة والشعر ، وكان شاعرا محسنا . مات سنة ١٨٠ هـ . انظر ترجمته فى : بغية الوعاة (٢ / ٨٦) وهدية العارفين (١ / ٥١٩) .

(21) مراتب النحويين : ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(22) هو أبو البركات عبدالرحمن بن محمد الأنبارى البغدادى النحوى ، كان إماما ثقة صدوقا . مات سنة ٥٧٧ هـ . انظر ترجمته فى : بغية الوعاة (٢ / ٨٦) وهدية العارفين (١ / ٥١٩) .

(23) نزهة الألباء : ص ٢٥٦ .

(24) هو أبو اسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل الزجاج ، من أكابر أهل العربية . مات سنة ٣١١ هـ . (نزهة الألباء : ص ٢٤٤) .

(25) هو أبو موسى سليمان بن محمد الحامض ، كان نحويا بارعا مشهورا من غلاة الكوفيين مات سنة ٣٠٥ هـ . (نزهة الألباء : ص ٢٤١) .

(26) هو أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى النحوى ، كان عارفا بالأدب والغريب محدثا إخباريا . مات سنة ٣٠٤ هـ . (بغية الوعاة : ٢ / ٢٦١) .

ومفتوحة ، والفاء مشدودة والضاد منقوطة ، وهو من بني تميم ، ثم من بني مازن بن عمرو بن تميم ، وهو القائل :

ألم تر قومي إن دُعُوا لِمُلِمَّة
أجابوا وإن أغضب على القوم يغضبوا
هم أحفظوا غيبي كما كنت حافظا
لقومي أخرى مثلها أن يغيبوا
بنو الحرب لم تقعد بهم أمهاتهم
وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا

وتمثل الحجاج بهذه الأبيات على المنبر ، فقال : أنتم يا أهل الشام كما قال حُريث ابن مُحَفِّض ، فقال : أنا والله حريث بن مُحفّض ، فقال : ما حملك على أن سابقتني ؟ قال : لم أتمالك إذ تمثل الأمير بشعري فأعلمته مكاني . قال العسكري : « ثم قال أبو الحسن بن عبدوس : فلم يفرّج عنا غيره[27] » .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن بعض العلماء كان يطعن فيه ، ولا يعده من الثقات ، يقول أبو منصور الأزهري[28] : « ومن ألف في عصرنا الكتب فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول ، وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم ، أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي صاحب (كتاب الجمهرة) ، و (كتاب اشتقاق الأسماء) ، و (كتاب الملاحن) ، وحضرته في داره ببغداد غير مرة ، فرأيته يروي عن أبي حاتم والرياشي ، وعبدالرحمن ابن أخي الأصمعي ، فسألت إبراهيم بن محمد ابن عرفة الملقب بنفطويه[29] عنه فاستخف به ، ولم يوثقه في روايته .. وتصفحت كتاب الجمهرة له ، فلم أره دالاً على معرفة ثاقبة ، وعثرت منه على حروف كثيرة أزالها عن وجوهها ، وأوقع في تضاعيف الكتاب حروفا كثيرة أنكرتها ، ولم أعرف مخارجها فأثبتها من كتابي في مواقعها منه ، لأبحث عنها أنا وغيري ممن ينظر فيه ، فإن صحت لبعض الأئمة اعتمدت ، وإن لم توجد لغيره وقفت[30] » .

وقد دافع السيوطي[31] عنه في المزهر ، فقال : « معاذ الله هو بريء مما رمي به ، ومن طالع الجمهرة رأى تحرّيه في روايته .. ولا يقبل فيه طعن نفطويه ، لأنه كان بينهما منافرة عظيمة ، بحيث إن ابن دريد هجاه بقوله :

لو أنزل الوحي على نفطويه
لكان ذاك الوحي سخطا عليه
وشاعر يدعى بنصف اسمه
مستأهل للصفع في أخدعيه[32]
أحرقه الله بنصف اسمه
وبرّ الباقي في صراخا عليه

(27) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف : ص ٣٧٠ ، ٣٧١ .

(28) هو أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، أحد أئمة اللغة ، وصاحب معجم تهذيب اللغة . مات بهراة سنة ٣٧٠ هـ انظر ترجمته في : إنباه الرواة (٤ / ١٧٧) وبغية الوعاة (١ / ١٩) .

(29) مات سنة ٣٢٣ هـ . (هدية العارفين : ١ /٥) .

(30) تهذيب اللغة : ١ / ٣١ .

(31) هو جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المصري ، إمام باحث حافظ مؤرخ أديب ، له مصنفات كثيرة في شتى الفنون . مات سنة ٩١١ هـ . انظر ترجمته في : حسن المحاضرة له (١ / ٣٣٥) وهدية العارفين (١ / ٥٣٤) .

(32) الأخدعان : عرقان يكتنفان العنق . الفهدة : ٢٠١/٢ .

(33) المزهر : ١ / ٩٣ ، ٩٤

وهجا هو ابن دريد بقوله :

ابن دريد بقرة
وفيه عِيّ وشرة

ويدعى من حمقه
وضع كتاب الجمهرة

وهو كتاب العين إلا أنه قد غيره

وقد تقرر في علم الحديث أن كلام الأقران في بعضهم لا يقدح[34].

وقد وثقه شهاب الدين الخفاجي فيما يرويه وفيما يقوله ، فقال : « ابن دريد ـ رحمه الله ـ إمام ثقة يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، فلا يتوهم أنه ليس ممن يحتج بكلامه ».

شعره

لابن دريد شعر يدل على رسوخ قدمه في هذا الفن ، وعلو كعبه في هذا المجال ، وقد مرّ بك آنفا قول أبي الطيِّب اللغوى : « ماازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وأبي بكر بن دريد ».

« وكان يقال : ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء[36] ».

وشعره جيد بوجه عام ، ومنه قوله :

وقد أَلِفَتْ زُهْرُ النجوم رعايتي
فإن غبتُ عنها فهيَ عني تسائِلُ

يقابِلُ بالتسليم منهن طالعٌ
ويومىء بالتوديع منهنَّ آفِلُ[37]

وقوله يرثي عبدالله بن عُمارة :

بنفسي ثرًى ضاجعتَ في بيته البلى
لقد ضمَّ منك الغيثَ والليثَ والبدرا

فلو أن حيًا كان قبرًا لميِّتٍ
لصيَّرتُ أحشائي لأعظمه قبرا

ولو أن عمري كان طوع إرادتي
وساعدني المقدار قاسمتُك العمرا

وما حلتْ قبرا وهو أربع أذرع
يضمُّ ثقالَ المُزْنِ والطودَ والبحرا[38]

وله مقصورته المشهورة التي مدح بها الأمير أبا العباس إسماعيل بن عبدالله بن محمد بن ميكال[39] وأباه ، وكان الأمير أبو العباس رئيس نيسابور ومتقدِّمها[40] وأولها :

إمّا ترى رأسي حاكى لونُه
طرّة صبح تحت أذيال الدجى

وقد عارضه فيها جماعة من الشعراء واعتنى بشرحها خلق كثير ، والأجود من شروحها وأبسطها شرح الفقيه أبي عبدالله محمد بن أحمد السبتي المعروف بابن هشام اللخمي .. (توفي سنة ٥٧٠ هـ) وقد سماه (الفوائد المحصورة في شرح المقصورة)[41].

(٣٤) هو أحمد بن محمد الخفاجي المصري المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ . (هدية العارفين ١ / ١٦٠) .

(٣٥) معجم الأدباء : ١٨ / ١٢٩ .

(٣٦) شرح درة الغواص للخفاجي بتحقيقنا : ص ٢٧٦ .

(٣٧) نفسه : ١٨ / ١٣٧ .

(٣٨) نفسه : ١٨ / ١٣٥ .

(٣٩) كان أديبا شريفا ، وكان شيخ خراسان ووجيها وعينها في عصره ، ولد بنيسابور ، ولما قلد أمير المؤمنين المقتدر أباه عبدالله بن محمد الأعمال بكور الأهواز حُمل إلى حضرة أبيه ، فاستدعى أبا بكر بن دريد لتأديبه ، فكان مؤدبه ، وهو أوحد عصره ، توفي سنة ٣٦٢ هـ . (إنباه الرواة : ١ / ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦) .

(٤٠) معجم الأدباء : ١٨ / ١٣٧ .

(٤١) كشف الظنون : ٢ / ١٨٠٨ .

كتبه

لابن دريد كتب تدل على علو قدره ، وسمو منزلته ، منها :

١ ـ كتاب جمهرة اللغة .

٢ ـ كتاب الاشتقاق .

٣ ـ كتاب السرج واللجام .

٤ ـ كتاب المقتبس .

٥ ـ كتاب الوشاح .

٦ ـ كتاب الخيل الكبير .

٧ ـ كتاب الخيل الصغير .

٨ ـ كتاب الأنواء .

٩ ـ كتاب المجتنى .

١٠ ـ كتاب المقتنى .

١١ ـ كتاب الملاحن .

١٢ ـ كتاب رواة العرب .

١٣ ـ كتاب ما سئل عنه لفظا فأجاب عنه حفظا ، جمعه على بن إسماعيل بن حرب عنه .

١٤ ـ كتاب اللغات .

١٥ ـ كتاب السلاح .

١٦ ـ كتاب غريب القرآن . لم يتمه .

١٧ ـ كتاب فعلت وأفعلت .

١٨ ـ كتاب أدب الكاتب على مثال كتاب ابن قتيبة ، ولم يجرده من المسودة ، فلم يخرج منه شيء يعول عليه .

١٩ ـ كتاب صفة السحاب والغيث .

٢٠ ـ كتاب المقصور والممدود .

٢١ ـ كتاب الأمالى .

٢٢ ـ المقصورة[٤٢] .

(٤٢) الفهرست (ص ٩١ ، ٩٢) وإنباه الرواة (٣ / ٩٦ ، ٩٧) ومعجم الأدباء (١٨ / ١٣٦) وبغية الوعاة (١ / ٧٨) وهدية العارفين (٢ / ٣٢) .

مع



الدكتور عبد الوهاب عزام

في تحقيقه لموقع سوق عُكاظ

بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

يحتل الدكتور عزام ـ رحمه الله ـ مكانة بارزة بين أعلام المحققين ، من أمثال الأساتذة : محمد محي الدين عبدالحميد ، الذي حقق : « مروج الذهب ومعادن الجوهر » للمسعودي ، في أربعة أجزاء ط القاهرة سنة ١٩٤٨ م ، و (نفح الطيب) للمقرى في ١٠ أجزاء سنة ١٩٤٩ م ، و (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) لابن خلكان سنة ١٩٤٨ ، وتميز ذلك من كتب التراث . وكذلك الدكتور حسين مؤنس محقق « رياض النفوس » للمالكي . والدكتور شوقي ضيف مُحقق : « المُغْرب في حلى المغرب » لابن سعيد في جزأين عامي : سنة ١٩٥٣ وسنة ١٩٥٥ . والدكتوران : طه الحاجري ، ومحمد زغلول سلام ، اللذان حققا : « عيار الشعر » و « دلائل الإعجاز » لعبد القاهر الجرجاني سنة ١٩٣٢ ، والأستاذ عبدالسلام هارون محقق « البيان والتبيين » للجاحظ ـ ط الخانجي سنة ١٩٧٢ . والأستاذ أحمد محمد شاكر محقق المسند لابن حنبل ، ومحقق وشارح « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ط دار المعارف سنة ١٩٦٦ والأستاذ محمود محمد شاكر محقق وشارح « طبقات فحول الشعراء » للجمحي ط المدني سنة ١٩٧٤ .

والثَّبت كبير مستفيض بأسماء باقي الأساتذة الأعلام ، الذين حققوا الكثير من أمهات كتب التراث ، ونكتفي بمن ذكرنا منهم تجنبا للإطالة .

وقد شُغف الدكتور عزام بتحقيق بعض الآثار الهامة لأعلام المصنفين القدامى ، الذين قال قائلهم :

بالله ياقارىء استغفر لمن كتبا .. فقد كفتك يداه : النَّسخ والتعبا

وقد بذل الدكتور عزام أقصى الجهد والدأب والصبر في تحقيق ونشر ديوان شاعر العربية الأكبر المتنبي سنة ١٩٤٤ و« مجالس السلطان الغوري » وكتاب « الورقة » لمحمد بن الجراح . بالاشتراك

مع الأستاذ عبدالستار فراج . و « شاهنامة الفردوسي » التي أسهبنا في الحديث عن مدى المشقة التي تكبدها في استحضار صور لها من مكتبة « كمبردج » بإنجلترا ، وجامعة برلين بألمانيا ومكتبة (كوبرلي) بالآستانة ، بل وقام بنفسه بالسفر إلى كل من انجلترا والآستانة في صيف ١٩٢٩ لهذا الغرض[١] .

وبهذه المناسبة ، كم نتمنى على معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية وغيره من ذوى الاختصاص العمل على حصْر وتصوير وتنسيق كافة المخطوطات المبعثرة في شتى مكتبات العالم ، شرقيّة وغربيّة ، في باريس ولندن والآستانة وطهران والفاتيكان بروما والأسكوريال في إسبانيا والظاهرية بدمشق وغيرها ، وذلك تمهيدا لنشر هذه المخطوطات الثمينة ، بعد تحقيقها وإعدادها بما يلائم فن الإخراج الصحفى في عصرنا الحاضر .

ونقتصر اليوم على الحديث عن بحثه القيم الذى بذله لتحقيق موقع سوق عكاظ ، بعد الدراسه في أوائل القرن الثانى الهجرى ، ويذكر في مستهل . كتيبه الذى يحمل عنوان : « موقع عكاظ » أن الفصول التي وردت به ، فيها القول الفصل ، في تحديد مكان سوق عكاظ ، بعد زوال معالمها . وشمّر عن ساعد الجد ، حتى أُتيح له تجميع كل ما جاء من أخبار عن عكاظ في شتى المراجع والمصادر ، وفحص وتحقيق الأدق إلى الصواب ، مدعما بالأدلة والبراهين ، معتمداً على المراجع التى كانت متوافرة لديه أثناء عمله في (جدة) ، مثل : الأغانى والمسالك والممالك ، وصفة جزيرة العرب ومعجم البلدان . وعند عودته إلى مصر ، توسّع في البحث والتنقيب ، ليوفّى التحقيق حقه من التاريخ ، كما استوفى حقه من التحقيق الجغرافى . ومن ذلك كتاب الأستاذ سعيد الأفغانى ، الذى رأى فيه وفاء بأخبار عكاظ ـ وإن كان سعيد الأفغانى ، الذى رأى فيه وفاء بأخبار عكاظ ـ وإن كان سعيد الأفغانى قد اتبع أقوالا في تعيين مكان عكاظ ، ليست صوابا .

كما ألحق الدكتور عزام مقالين بنهاية كُتيِّبه لكل من الشيخ محمد بن بليهد ، وعلامة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر .

وقد قام الدكتور عزام بالذهاب إلى الموضع الذى غلب على ظنه أنه عكاظ ، ثم شرع يدوّن كافة البيانات والمعلومات المتعلقة به ، بعد أن أيقن بالأدلة الكثيرة أنه هو .

ويذكر أن الشيخ محمد بن بليهد النجدى ، كان معه في هذه السفرة ، حيث قام بإرشاده وتعريفه بالمكان ، وإعانته على تطبيق الروايات عليه . ثم لقى الدكتورعزام بعد ذلك الأديب المحقق حمد الجاسر النجدى ، الذى أنبأه أن له بحثا عن عكاظ ـ وبعد اطلاع الدكتور عزام على الخريطة التى ألحقها الجاسر ببحثه ـ لاحظ الدكتور عزام أنه وضع (حُرَّة الحَلَص) جنوبىّ عكاظ ـ وهى ، في رأى عزام ، وفيما قال عرّام السُّلَمى : شرقىّ عكاظ .

---

(١) أنظر مقالنا بهذا الشأن بعدد مجلة الأزهر الصادر في يونيو سنة ١٩٩٥ ص ١٠٣ .

والمقصد في هذه المقالات أو الفصول التي تضمنها كُتيبه ، هو : تبين موضع عكاظ ، والفصل فيما اختلف فيه القائلون في هذا الشأن .

ثم قدم الدكتور عزام لكُتَيِّبه بكلمة موجزة عن مكانة (عكاظ) عند العرب ، وأثرها في تجارتهم وأخلاقهم وآدابهم ، معتمداً على ما ورد بشأنه في أمهات كتب التراث ، التي سبقت الإشارة إليها .

ومن المعلومات المستفادة من الفصل الأول ، عن شأن عكاظ في الجاهلية ، أن سوق عكاظ كانت واحدة من مجتمعات الحجيج في الأشهر الحرم يفدُ الناس إليها آمنين ، ثم يذهبون منها إلى سوق (مَجنَّة) ، فسوق (ذي المجاز) ، فموسم الحج الأكبر وعكاظ في طريق أهل اليمن ونجد ، إلى مكة .

وكانت تجارتهم تحمل من شتى الأرجاء إلى عكاظ ، فمن أراد الميرة ذهب إليها ، ومن فقد شيئا التمسه في عكاظ ، لعله يجده في سلعها .

ويورد الدكتور عزام ٦ في هذا الشأن ، رواية الأغاني (ج ١٠) ـ في أخبار ورقاء بن زهير ـ وخلاصتها أن شاس بن زهير العبسي ، قدم على بعض الملوك ، فحباه حباء عظيما ، فرجع به .. فبينا هو في الطريق ؛ قتله رياح بن الأسلَتْ الغنوى ، وأخذ متاعه . فبقي قومُهُ زمنا لا يهتدون إلى أثره ، حتى رأوا في عكاظ امرأة رياح تبيع أمتعته مما أخذ زوجها من شاس بعد قتله .

كذلك أخذ سيف الحارث بن ظالم ـ لما قتل ـ إلى سوق عكاظ ليباع فيها (الأغاني ج ١٠ في أخبار الحارث بن ظالم) .

ثم يورد الدكتور عزام ما رواه أبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني ، من أن (النابغة الزبياني) كانت تضرب له قبة من أدم بسوق عكاظ ، يجتمع فيها الشعراء ، فينشدونه ويحتكمون إليه .

ثم يذكر قصة حسان بن ثابت المشهورة ، حينما دخل على النابغة في عكاظ ، وعنده الأعشى والخنساء ، وقد أنشده الأعشى ، ثم أنشدته الخنساء ، فقال النابغة : والله لولا أن أبا بصير أنشدني قبلك ، لقلت أنت أشعر الناس .. إنهاَ أشعر من كل امرأة ، قالت الخنساء : ومن كل رجل !

قال حسان : أنا أشعر منك ومنها . قال النابغة : حيث تقول ماذا ؟ قال حسان ، حيث أقول :

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرّق
فأكرم بنا خالا ، وأكرم بنا ابنما

فنقده النابغة ، في قصته المعروفة في كتب الأدب .

وروى صاحب الأغاني أيضاً ، أن عمرو بن كلثوم ، لما أنشأ معلقته ، قام بها خطيبا في عكاظ ، وقام بها في موسم مكة[1] .

(١) الأغاني ج ٩ ـ أخبار عمر بن كلثوم .

ولصيت عكاظ ، وكثرة المجتمعين فيها ، وأمن الناس بها في الأشهر الحرم ، كان العرب – كما يقول عزام : يقصدون إليها لأمر يريدون إذاعته ، أو استعانة على عمل جليل – كما كانوا يقصدون إليها لمفاخرة ، أو منافرة ، أو لطلب ثأر .. يعرفون طَلِبَتهم في عكاظ ، ولا يتعرضون له في الأشهر الحرم – حتى يمضي الموسم ، وتنتهي هذه الأشهر ، فيرصدون له ، ليثأروا منه .. وقصدوها في غير هذه مما يقصد في المجامع العامة الحافلة ، التي يفد الناس إليها ، من المواطن البعيدة .

وعن تحديد موضع عكاظ :

يقول الدكتور عزام : « وقد كثر الكلام في مكان هذه السوق ، فقال قائلون : هو المكان الذي يسمى اليوم : السيل الكبير ، وهو ميقات الحاج القادمين من نجد والطائف ، على الطريق بين مكة والطائف » .

وقال آخرون : هو حيث السيل الصغير ، وهو موضع في الطريق بين السيل الكبير والطائف ، على عشرين كيلا من الأول واثنين وثلاثين من الثاني » وقيل : كان في موضع يسمى اليوم القانس ، بعين مكة والسيل الكبير .. وقيلت أقوال أخرى » ثم يضيف الدكتور عزام وصف رؤيته للموقع الذي قال له الرفاق بالجزيرة العربية ليضيف إليه قائلين : هذه عكاظ ! .. « فتأهب الفكر للنظر والتأمل ، واستجد ما سَمِعَ عن عكاظ ، وما قرأ .. ليتبين : أهذه عكاظ كما ذُكرت في كُتب الأدب والتقويم ؟ وما أعظم سرور الباحث وزهوه ، حين يبلغ المكان التاريخي ، الذي اقترن بآداب الجاهلية وأخبارها » وبعد أن يسهب الدكتور عزام في وصف معالم موقع عكاظ ، يذكرنا أن رفقاء رحلته إلى عكاظ قالوا :

هذا وادي شرب ، يأتي من الجنوب والغرب ، ؟ إلى هذه الحرة ، وتلتقي به أودية ، منها وادي الأخيضر يلاقيه في عكاظ ، فقال عزام – هذا دليل واضح على أننا نشرف على سهل عكاظ الآن ، « وإن بقيت حاجة إلى الاستدلال والنقل عن الكتب ، فقد نقل الفاسي في كتابه : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » عن أبي الأزرق ما يأتي : « وعكاظ وراء قرْن المنازل ، بمرحلة على طريق صنعاء ، في عمل الطائف على بريد منها ، وهي سوق لقيس عيلان ، وثقيف وأرضها لنصر . »

ويعقب الدكتور عزام على ذلك ، بقوله :

« فالآن وضحت الأدلة ، قد قرأنا وصف عكاظ ، وقرأنا عن منازل قريبة منه ، وعن أودية فيه أو بجانبه وكانت كلها مبهمة في عقلي » .

وعبرنا وادي الأخيضر ، فارتفعنا عن سهل عكاظ ، نؤم الحويّة فالطائف ، وقد نزلنا في أحد بساتين سمو الأمير فيصل في الحويّة ، فاسترحنا ، وأكلنا عنبا ، وجُلْنا بين الأشجار والثمار قليلا ، ثم دخلنا الطائف بعد الغروب ، وقد بلغْتُ أربا من عكاظ ، وأيقنت أنه هذا الموضع لا ريب فيه ، وأن قولنا فيه قول فصل ، وقد قطعت جهيزة قول كل خطيب ..

« وللحديث بقية »

رؤية

مع التقدير والإنصاف للولايات المتحدة

للأستاذ صابر أحمد تعلب(*)

أتيحت لى الفرصة فى صيف هذا العام لزيارة خاصة للولايات المتحدة الأمريكية ، وترددت أول الأمر ربما لكثرة النفقات ، أو خوفا من القيام برحلة كهذه دون سبب ملح كما تعودنا نحن المصريين فى أسفارنا الطويلة ، ولكننى غلبت عوامل الترحال فى نفسى ورحت على عجل أعد للرحلة ، ولم يستغرق الأمر أكثر من أسبوعين حصلت فيهما على تأشيرة الدخول ، وحجزت مقعدا على إحدى الطائرات إلى مطار « كيندى بنيويورك » ، وبقدر ترددى عند التفكير فى السفر كان لومى لنفسى عند انتهاء الرحلة لو أننى لم أقم بها ..

ومن اللحظات الأولى لوصولى هذا العالم الجديد، وجدت البشر تعزف منظومة الحياة الرائعة بإتقان وإبداع ، ولا تعود روعة اللحن المعزوف لبراعة العازفين بقدر ما تعود لتدريب الجوقة والتزامهم بتطبيق النظام .

فالكل يعترف وبصوت جهير أن الفضل فى التطوير والابتكار إنما يعود إلى هذه العقول الوافدة من شتى بقاع العالم ، والتى فى مقدور المعدة الأمريكية هضمها وتوظيف أجناس الأرض فى خدمة هذه الأمة وتفوقها وليست أمريكا كما تبدو لنا من بعيد أمة واحدة ثقافة ولغة ودينا ، وإنما هى كذلك كوحدة سياسية ليس إلا .

فقد رأيت أحياء أشبه بمدن مستقلة داخل مدنها الكبيرة منها : الهندى والصينى والايطالى .. ترى

(*) الكاتب : باحث بمجمع البحوث الإسلامية

داخل الحى الهندى بنيويورك أبناء الهنود يلعبون الكرة فى شارع مغلق ، وقد تحلقت حولهم قلة منهم بزيهم التقليدى ، وتناثرت فى المكان محال العطارة والسارى الهندى ويزكم أنفك الهواء المشبع برائحة الكارى والتوابل الهندية وكأنك فى كلكتا أو مدراس واذا اخترت الحى الايطالى طالعتك محال الاسباكتى والأيس كريم والبيتزا ، وبائعو النظارات والساعات المقلدة واخترقت أذنيك اللغة الايطالية وكأنك فى روما أو فينسيا ، فإذا اتجهت نحو الشمال فى « ميتشجان » وجدت مدينة عربية كاملة فى « ديربورن » يقطنها أكثر من مائة وعشرين ألفا من العرب ، جاءوا من لبنان واليمن ومن العراق ومصر ، وترى المطاعم والمطابع ومحال الجزارة والبقالة وقد علت واجهاتها الأسماء العربية والجدير بالملاحظة أن هذه الجاليات هاجرت ومعها مواريثها من صراع الشرق ومذاهبه ، والتى يحاول بعضها احتكار الحقيقة ويؤكد أنه الفرقة الوحيدة الناجية ، وأضافوا إلى أساليبهم فى الدعوة والعمل الدينى أساليب الغرب فى هذا المجال .. فلما سألت مدير المجمع الاسلامى الثقافى بـ (ديترويت) من (اللبنانيين الشيعة) عن مصدرهم فى الانفاق أفادنى بأنهم يعدون حفلتى عشاء كل عام يدعى إليها أبناء الجالية الذين يجودون بالتبرعات إلا أنك تلاحظ وبيسر أن وراءهم دولة تمدهم بالعون المادى وتسيطر عليهم بالرأى والتوجيه وذلك من خلال المنشورات والصور المعلقة على الجدران والشعارات التى لا تخلو حوائط المركز منها ، ومـــن أنشط الجماعات الاسلامية هناك رابطة الشباب المسلم بـ (ديترويت) والتى تتخذ من دار الأرقم مركزا لنشاطها وهى رابطة ينص دستورها على أن ولاءها لله ولرسوله ، وتلتزم بالشورى فى ممارسة عملها ، ومن أهدافها تجميع الشباب المسلم على الاسلام عقيدة وشريعة وسلوكا وتربيته على الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح ، والعمل على تلبية حاجات الشباب المسلم ما أمكن ، ومساعدتهم على التحصيل العلمى المقرون بالإيمان والخلق الإسلامى ويعدون برامج لتحقيق أهدافهم سواء منها الخاص بالناشئة أم بالكبار .

فالولايات المتحدة ـــ كما ترى ـــ ميدان مفتوح لكل الدعوات الدينية فهناك ينشط المسيحيون والمسلمون والبوذيون ويتناولون حياتهم الدينية وحياتهم السياسية فى مستويات عقلانية وصراع ظاهر وخفى ، تارة بالكلمة والحوار الهادىء وتارة بالإيذاء الذى قد يصل الى حد القتل أو التهديد به ، واليهود هناك هم الأكثر حظوة ، والأكثر تنظيما وتأثيرا فى أوساط المال والإعلام ، بل والقرار السياسى .

ومع كل هذه التيارات التى يموج بها المجتمع الأمريكى تجد العمل الدائب ، والابـــداع المتواصل ، ومحاولة بناء المجتمع فى تعاون عرق ودينى ولوفى تحت مظلة العلم الأمريكى إذ واجب العمل المحدد لكل عامـــل ينتهى فى النهايـــة بـ (بوتقة) يتجمع فيها العمل لبناء الوطن .

ولقد تابعت على شاشة التليفزيون الأمريكى مناقشة هادفة فى الكونجرس حول مستوى التعليم الأمريكى وكيف أنه لا يرقى لمستوى التعليم فى بعض الدول الصناعية الأخرى كألمانيا واليابان وأوصايا بالمدارس العالية والجامعات أن تخرج شبابا يستطيع عند تخرجه أن يخدم نفسه ومجتمعه ، وذلك بتقوية روح الانتماء العملى فيه ، واعادة النظر فى المناهج التعليمية باعتبار أن المدارس



والجامعات هي مدد الجيوش والمصانع ومراكز الأبحاث فضلا عن أنها وثيقة الأمان في الحاضر والمستقبل .

ومما هو جدير بالتسجيل مسألة الطعام فهو رخيص ومتوافر وتشعر أنك في بلاد مليئة بالخير ، وقد ترددت على أكثر من مطعم كل منه يحمل اسم البلد الذى يقدم طعامه فهذا لبنانى وذاك يونانى وآخر صينى أو مكسيكى وهكذا ، أما المطعم ـ الأمريكى ـ إن جاز لنا أن نطلق هذا الاسم ـ فهو هذه المطاعم مجتمعة أخذ منها جميعا ، وإن تميز الأخير وتخصص في الوجبات السريعة ، كالهوت دوجـز » والهامبورجـر والبيتزات هوت والكنتاكى » .. وما أرخص سندوتشات الديوك الرومية والجمبرى ، والناس يحسبون أننا شعب أكول ، ولكنك لو رأيت هؤلاء الناس كيف يأكلون لغيرت رأيك تماما في هذه المقولة ، وهم لا يستعملون أكياس النايلون في لف الطعام لخطرها المؤكد على الصحة ، بل يحرصون على استخدام الأكياس الورقية ، التى يعيدون تصنيعها كما يعيدون تصنيع علب المشروبات الفارغة فيما يسمونه هناك (باعادة الدورة) وترى ربات البيوت وأصحاب الحوانيت والمصانع كلٌ يخصص أماكن لتجميع مثل هذه العلب .

ومما أثار إعجابى هناك حركة المرور في نظامها وانسيابها مما يوفر الوقت والجهد والمال ويعود بالإيجاب على حركة التنمية ويعطى دليلا على تميزها وتحضرها : الشوارع هناك واسعة ونظيفة ، تظللها الأشجار ، وتزينها أحواض الزهور وشجيرات الزينة ، أما قواعد المرور والتزام الناس بها ، وجدية رجال المرور في تنفيذها بحزم ويسر معا فإنها جديرة بالتقدير والاحترام برغم أن رجال المرور لا تكاد تشعر بهم فهم غالبا ما يتخذون من منحنى غير ظاهر مكانا للمراقبة المدروسة .

وإشارات المرور عندهم عليها سهم بالأخضر يوضح اتجاه المار وحركته ولم يتركوا إشارة واحدة للاجتهاد أو (التخمين) بل كل الإشارات قطعية الدلالة ظاهرة النصح ، لا مجال في أى منها للخلاف أو الاجتهاد .

وعند تقاطع شوارع كل مدينة ومخارجها مع الطرق الدائرية السريعة بين المدن لافتات تذكر رقم المخرج والطريق المؤدى إليه ، وكل الطرق السريعة معروفة هناك بالأرقام ؛ فالطرق من الجنوب إلى الشمال تأخذ أرقاما فردية ، بينما تأخذ الطرق من الغرب إلى الشرق أرقاما زوجية ، وبقليل من الفهم والتدريب تجد أنك لن تضل طريقك أبدا ..

وهم يعتمدون في تنقلاتهم على السيارات الخاصة ، ومن العسير أن تجد شخصا بلا سيارة ، أو أسرة بلا سيارتين ، حتى أن مدنا « ك « ديترويت » « وبونتياك » في ولاية (ميتشجان) لا تجد مدنا ك « نيويورك وشيكاجو » بها سيارات عامة فخمة وجميلة إلا أنها قليلة العدد ، متباعدة الزمن في مرورها .

أما المكتبة هناك فلها دور عظيم رغم سطوة التليفزيون ، وتنوع قنواته ، وتجدد برامجه ، مبنى المكتبة في كل بلدة معلم من معالمها السياحية ، ومبناها من أفخم المبانى وأجملها ، ومن نوافذها تقع عيناك على أجمل المناظر وأروعها ، أما عن نظام المكتبة وأماكن الاطلاع ، وجو الهدوء بها فهو ما لا يخطر لك ببال ، وعن التسهيلات التى يوفرونها لك عند دخولك المكتبة ، أو طلبك كتابا



غير موجود لديهم ، ستراهم يطبعون اسم الكتاب على جهاز الكمبيوتر ، والذى سيفيدك بمكان وجود الكتاب ويتولون هم إحضار الكتاب لك خلال يوم أو يومين .. وهناك (كبائن) الاطلاع لفرد وصالات اطلاع لجماعة تريد مناقشة بحث أو كتاب يهمهم جميعا .

أما الجامعات التى شرفت بزيارتها فأشعر أن وريقات كهذه لن توفيها حقها من الوصف ، لأنها حقيقـــة أبـــدع ما رأيت من حيث المبانى والتجهيزات ، ونظم البحث فيها قائمة على خدمة الصناعة والسوق ، والعلاقة قائمة بين مراكز البحوث فيها ومصانع الانتاج ووحداته .

استدراك :

قد يقول قائل : لقد بهرتك أمريكا فلم تر منها إلا كل جميل مستحسن .. فأقول : لا ، فقد آلمنى فيها صور من تفكك الأسر ووهن العلاقات بعدما فقدوا حبهم لخالقهم ، فصاروا كريشة ضائعة تتقاذفها رياح المدنية ، أو فقدوا حبهم لأنفســـهم فصاروا يرونها عديمة الجدوى ، وبالتالى صار وجودها فى نظرهم بلا معنى ، لقد فقد هؤلاء القوم حرارة العلاقات الحميمة وآحاسيسها فعاشوا متألمين أو قلقين أو حتى رافضين للحياة ، لقد غاب عن الكثرة فى هذه البلاد الجميلة حكمة خلق الله لنا بنى البشر ومعنى وجودنا ، وحتى معنى رحيلنا ، سلسلة من المعانى البليغة غابت عنهم ، واختصنا الله ـــ تعالى ـــ بها دون سائر المخلوقات ، ليحقق معنى المعانى وهو الحب : حب الإنسان لخالقه بطاعته ، ولنفسه بالبحث دائما عن طوق النجاة ، وحبه للخلق بالتعاطف معهم ، والإخلاص فى نصحهم ، ومن الصور القائمة أيضا : الخلط بين الحرية فى التعبير ، وهبوط الفن حيث (أفلام الجنس والعرى) تقف جنبا إلى جنب مع الأفلام التى تعالج قضايا إنسانية رفيعة .. ففى هذه البلاد تجد أقصى التطرف بين التحفظ الشديد والتحلل الكامل .. وليتهم اهتموا بالتفكير السليم فى الاجتهاد والرؤى الموضوعية للأشياء دون أن يمزجوها بالعنف

والعرى والشذوذ .. ولعل ما يقف فى حلقى تحيزهم الواضح ضد المسلمين وكيلهم دائما بكيلين رغم شعارات الحرية والمساواة التى يخصون جنسهم بها دون سائر البشر ..

المسلمون فى نظر أمريكى :

بينا كنت اقف فى المتحف القومى بجزيرة « أليس » بنيويورك وهو المتحف الذى يضم آثار المهاجرين الأول إلى أمريكا ، وصورهم وجوازات سفرهم البدائية وأصولهم ، وبقايا أدواتهم ومراكبهم وملابسهم أمام جهاز كمبيوتر ضخم لأضغط زرا فأعرف أعداد المهاجرين المصريين وبيان توزيعهم فى كل ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية .. وجدت أحد الامريكيين متجها نحوى يسألنى بود : هل أنت مصرى ؟ فأجبت : هل يبدو هذا من شكلى ؟ ولكنه أضاف هل أنت قريب من رئيس مصر الراحل أنور السادات ؟ إنك لشديد الشبه به ، فمازحته قائلا : لقد دخلت التاريخ بلقائك بأحد أفراد أسرته ، فضحك وقال : لقد حدث هذا بالفعل يا سيدى .. المهم هل تتصورون أن عدد المسلمين فى الولايات المتحدة يربو على سبعة ملايين مسلم وتتفاوت كثافتهم وتوزيعهم فى الولايات تفاوتا ملحوظا ، بينا تجد ولايات كـ « نيوجرسى ومتشجان » تضم مئات الألوف منهم تجد ولاية كـ « هاواى » تكاد تخلو منهم ..

والمسلمون هناك يلتقون فى المساجد التى يحمل كثير منها اسم « المركز الاسلامى » والخلافات بينهم قائمة ، لكنها تعبر عن حرص كل منهم على رضا الله — تعالى — فبينا تجد البعض حذرا فيما يعرض لهم مما لا نص فيه ، تجد الآخرين يميلون إلى إعمال العقل فى كل جديد مستحدث لم يرد فيه نص صريح ..

تعقيب :

وهم فى أمس الحاجة لدعاة من نوع غير تقليدى ، من الذين يجيدون الإنجليزية ، فإن لم يجيدوها إجادة تامة فعلى الأقل ممن يقدرون عن التعبير عن أنفسهم وأفكارهم بها ، أما هؤلاء الذين لا يلمون بالإنجليزية ، فعليك أن تتصور حال داعية لا يلم بلغة التخاطب فى البلد الذى يعيش فيه فهو (أخرس) غير مبين ولو كان أبلغ البلغاء ، وعاجز وإن كان أقدر القادرين ، وقد يقتصر دوره فى الدعوة على كتابة التقارير وتوزيع الكتب والمصاحف والنشرات .

وواجبنا أن نفيد من أمريكا كما تستفيد هى بعقولنا المسلمة المهاجرة من مصر وباكستان وإيران وغيرها ، والاستفادة منها تكون بمد جسور التعاون مع هذه التجمعات المتكاثرة ، وذلك بتعليم جيلهم الثانى العربية والدين ، وربطهم بوطنهم الأم ، فلو بدأنا بإنشاء مدرسة أو اثنين لتعليم صغار يتطلع آباؤهم شوقا لسماع العربية والقرآن الكريم من ألسنتهم ، فإنى على يقين من أنه بقليل من الإخلاص والمثابرة سترى اللغة العربية وقد أخذت مكانها كلغات أولى بجانب الإنجليزية .. وإن لم نقم بخطوة كهذه تراجعت اللغة العربية لتصير فى النهاية لغة أجنبية عند أبناء العرب المسلمين .

ولن يقصر الأزهر — بإذن الله — فى هذا الميدان المهم فذلك ما أعرفه عن فضيلة الإمام الأكبر — حفظه الله — وما يوليه فضيلته أمور الدعوة ومتطلباتها فى الداخل والخارج يجعلنى أوقن أن رؤياى ستجد صدى لدى فضيلته .

مناقب
الإمام أحمد بن حنبل
للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي
٥١٠ - ٥٩٧
تحقيق
الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

عرض وتقديم الأستاذ
عبد السلام إبراهيم ناصف

لا زلنا ننهل من مناقب الإمام أحمد بن حنبل : إمام أهل السنة ، بعدما أوجزنا بالعرض ثلاثين باباً من أبواب كتابه النفيس في العدد الماضي ، مستهلين هذا العرض ، بباب الزهد وبعض ما جاء عنه فيه ، فهو القائل :

تلين القلوب بأكل الحلال ، وإن قليل الدنيا يجزى ، واترك ما تهوى لما تخشى ، واجعل التقوى زادك وانصب الآخرة أمامك .

وكان يعز عليه أن تستحوذ الدنيا على من وعت صدورهم القرآن ... ومع هذا الزهد كان مفرطا في السخاء رغم ضيق ذات اليد ، وكان يؤمن بأن الدنيا كلها لو جمعت في لقمة وضعها مسلم في فم أخيه لما اعتبر ذلك من الإسراف .

أما شعره فلا يسع المقام إلا باقتطاف بعض أبياته كنموذج لمقدرته الفذة في الشعر إذ يقول ـ رحمه الله ـ :

لا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تخفى عليه يغيب
لهونا عن الأيام حتى تتابعت
ذنوب على آثارهن ذنوب
فياليت أن الله يغفر ما مضى
ويأذن في توباتنا فنتوب

وهو الذي قال :



تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها

من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء من مغبتها

لا خير فى لذة من بعدها النار

واختتم روائعه بهذا البيت من قصيدة مطولة :

إن المرء من يصاب بدينـــــه

لا من يرزأ ناقـــــة وفصالها

أما نثره فلا أبلغ من عرض رسالة له إلى أحد المحدثين حيث يقـــول : « إن الدنيـــا داء ، والسلطان داء ، والعالِم طبيب ، فإذا رأيت الطبـــيب يجر الـــداء إلى نفسه فاحـــذره ، والسلام » .

وتعود الأبواب لذكر صفاته الشخصية وسماته البدنية ففى الباب الخامس والثلاثين صورة للإمام ـ رحمه الله ـ توضح أنه كان حسن الوجه ، ربعة ، يخضب بالحناء فى لحيته شعيرات ويلبس الأبيض ، وكان معتماً عليه إزار ، حسن السمت حسن الأدب ، مهيباً فى جلسته يفرض احترام الآخرين له حياء وإجلالا .. وكانت مجالسه مجالس الآخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا وكان يعرض عن القبيح ، واللغو ، ولم يكن حقوداً ولا عجولا ولا يتكلم إلا حين يسأل .. دائم البشر ، لين الجانب ، يحب فى الله ، فطنا سهلا متساهلا ، يلبى دعوة من يدعوه ، حليما عفوا يعفو حتى عمن سعى عند الخليفة به ، بل عفا عن الخليفة نفسه . ولعل أبلغ وصف فيه أنه قد وفق للأدب وسدد بالحلم وملىء بالعلم .

وفى الباب الأربعين يحصر لنا الكاتب ممتلكاته التى لا تتعدى طرزاً ودارا يسكنها ، وكان يكرى الطرزليعيش منه ـ إلى جانب ما كان يلتقطه من سنابل القمح أو الشعير أو أجر فى الكتابة أو الحمالة ، لكنه لم يقبل معونة من أحد أو مساعدة أو قرض ـ رغم الحاجة الملحة التى اضطرته يوما لبيع ملابسه ـ وكان لا يقبل هدية إلا إذا استطاع ردها أو خير منها فقد كان كرمه وجوده يفرضان عليه التعفف بل العطاء بسخاء .

وحسبه يقول : (الزهد لا يحسن إلا بالزهد ، وحسبى كسرة وقلم) وكان بيته ينبىء عنه فقد كان لينا به كانون لطهى أطعمته التى لم تتجاوز الخبز المبتل أو العدس أو الشحم أو التمر أو الباقلاء .. وكان يحمد الله على ذلك عند كل لقمة ..

أما عن ورعه فحدّث ولا حرج وقد أفرد له ـ المؤلف ـ بابا ـ مليئاً بصور ورعه الذى منعه يوما من انضاج طعام فى تنور لا يعلم مصدر الإنفاق عليه ، وكان لا يتناول طعاما إلا بعد أن يتأكد من نظافة وطهارة مصدره ، بل وما علق به ، وكان لا يرضى أن يكون ميزاب بيته إلى الطريق ، وكان يتورع فى الكتابة تورعه فى كل ميدان ، وكان لا يتحرج فى أن يقول : لا أدرى عن بعض ما يفتى به ، وكان يمقت القدح .

ولم يقبل الولاية حين عرضت عليه ، بل إنه كان يميل إلى من لا يخالط الحكام أو السلاطين وكان يميل إلى الفقراء ويكرّمهم فى مجلسه ويحنو عليهم ويدعو لهم بالصبر على احتماله بغير تبرك أو تمسح به وكان يلبى دعوة العرس والختان ولا يجد غضاضة فى تناول طعامها وكان يشارك فى عيادة المريض وتشييع الجنائز .. وإن كان قد آثر العزلة رغبة فى ستر حاله مخافة ربه يوم يقول : اللهم سلّم ... اللهم سلّم وعندما سأله سائل كيف

أصبحت بجيب : (**كيف يصبح من يطالبه ربه بأداء فرائضه ، ونبيه بأداء سنته ، وملكان يطالبانه بتصحيح عمله ، وتطالبه نفسه بهواها ، وإبليس يزكيها بالفحشاء وملك الموت يطالب روحه ، وعياله يطالبونه بالنفقة**) .

وكان يصلى بالليل والنهار ويستجلب الماء لوضوئه حتى قيل إنه كان يصلى ثلثمائة ركعة ، وكان يختم القرآن كل جمعة وكان يصلى عقب صلاة الجمعة ست ركعــات يفصل فى كل ركعتين ، وكان لايلهيه عن النوافل إلا المذاكرة ولقد حج إلى بيت الله الحرام خمس حجات منها ثلاث ماشيا سيرا على القدم وكان يناجى ربه ويدعوه بما لايمكن حصره فى هذه العجالة .

ولقد بدأ الجزءالثانى من هذا المجلد بدعاء الإمام : (اللهم من كان على هوى فرده إلى الحق ، ولاتجعلنا فى رزقك خولاً لغيرك ، ولاتمنعنــا خيرك، أعزنا ولاتذلنا ولا تفتقدنا حيث أمرتنا.. اللهم اجعلنا لك على ماتحب .. ياذليل الحيارى .. دلنى على طريق الصادقين ، واجعلنى من عبادك الصالحين .. اللهم امتنا على الإسلام والسنة) .

ولقد يروق لنا أن ننتقل إلى ما امتحن فيه الإمام أو ما عُرف بمحنته فى بداية الباب السابع والستين حيث كان الناس ــ ولايزالون ــ يؤمنون بأن القرآن الكريم كلام الله وأنه ليس كمثله شىء ، حتى ظهر واحد من رجال الكلام يسمى (بشر بن عياش الريس) تزعم القول بخلق القرآن ــ والعياذ بالله ــ وتذكر للرشيد أنه توعده بالقتل إن ظفر به لكنه توارى عنه حتى مات الرشيد فعاد إلى ضلاله ، وكان الأمين على شاكلة سلفه ؛ لكن المأمون خالطه قوم من المعتزلة زينوا له القول بخلق القرآن فمال إلى ذلك لكنه لم يعلن ذلك خشية الفتنة ، وبعث إلى من يمتحن الفقهاء فى هذا القول وأجابه كثير منهم خوفاً أو ضعفاً أو جبناً ، ولم يجبه «ابن حنبل وابن نوح» فحملا مقيدين إلى الخليفة ــ ودعا الإمام ربه ألا يجمعه بالمأمون واستجاب الله لدعوته فمات وهو فى الطريق إليه ، غير أن الخليفة المعتصم لم يفك وثاقه وأمر بإيداعه السجن فى بغداد لكن «ابن نوح» توفى أثناء العودة ، فصلى عليه الإمام أحمد وسمعه يقول له : (الله .. الله .. أنت رجل يقتدى بك ، وقد مدّ الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك .. فاتق الله ، واثبت لأمره) فصلى عليه الإمام ودفنه .

وأكمل عودته مقيداً إلى السجن وكان يؤم المسجونين فيه ، وكان رائده حديث رسول الله ﷺ : (من أرادكم على معصية الله فلا تطيعوه) .

ثم يسجل المؤلف حديثاً للإمام ــ فى باب كامل ــ فيقول : (لما كان شهر رمضان سنة تسع عشرة ومائتين حُوِّلتُ إلى دار اسحاق بن ابراهيم الذى أعد مناظرة بينى وبين رجلين ، فلما لم أجب زيد فى قيدى وأمر بحمل إلى الخليفة وسمعته يقول : ياأحمد .. أما والله نفسك .. ولسوف تضرب وتلقى فى موضع لاترى فيه الشمس .. ألم يقل الله عز وجل .. (إنا جعلناه قرآنا عربياً) فى سورة الزخرف .

أفيكون مجعولاً إلا مخلوقاً ؟ فرددت : إن الله ــ عز وجل ــ قال : (فجعلهم كعصف مأكول) فى سورة الفيل ، أفخلقهم ؟ قال فسكت ، ثم أمر بعودتى إلى السجن وكنت مجهداً

وكدت أن أخر على وجهي أكثر من مرة وأدخلت في حجرة مظلمة لكنى وجدت فيها ماء توضأت منه وصليت – وفي الصباح أدخلت على الخليفة ، وكان حوله جمع كثير على رأسهم « ابن أبي دأود » وأمر بأن أكون قريباً منه فدنوت حتى قربت منه فسمعته يقول : إجلس ، فجلست ، واستأذنته في الكلام فأذن لي فقلت : (إلى ما دعا الله ورسوله ﷺ ؟ فسكت برهة وأجاب : (إلى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن تعطوا الخمس من المغنم) فقال : لولا أني وجدتك في يد من كان قبلي ماعرضت لك . ثم توجه بالقول لعبدالرحمن بن اسحاق فقال : ألم آمرك برفع المحنة .

فقلت : الله اكبر .. إن في هذا لفرجاً للمسلمين فأردف : كلموه .. ناظروه ، فقال عبدالرحمن : ما تقول في القرآن؟ فأجبته : (ص. والقرآن ذى الذكر) أو ليس الذكر هو القرآن؟ فوسوس إليه ابن أبي دُؤاد بكلمات فسمعته يقول : والله لإن أجابني لأطلقنّ سراحه ولأركبن إليه بجندى ، فو الله إني لاشفق عليه شفقتي على ولدى .. لكني لم أجب فأمر بجلدى .. فجلدت حتى غبت عن وعيى – ولقد فعلوا بي مافعلوا وأنا في غيبوبة ولما أفقت أديت صلاة الظهر وملابسى ملطخة بالدماء وكنت صائما ، وكان قلبي ثابتاً على الحق ..) ويروى أنه ضرب ثمانين سوطاً لو ضربها فيل لهدّته .

ويروى أن (ابن أبي دؤاد) لم يجد قتله خشية سخط المسلمين على الخليفة – وحين احتشد القوم أمام قصر الخليفة أمر بإطلاق سراحه .

وجيء إليه بمن يعالج جروحه ويقطع من لحمه وهو صابر يحمد ربه وظل أثر ذلك واضحاً على ظهره حتى مات وكان – رحمه الله – يعانى ويتألم منها بقية حياته – ولقد حاول التدريس بعد موت المعتصم لكنه لم يستمر طويلا خوفا من بطش (ابن أبي داؤد) الذى لم ينقطع عن امتحان الفقهاء في بدعته في عصر (الواثق) الذى تولى الخلافة بعد والده والذى أبطل الامتحان بعد مناظرة وفق الله فيها أحد الفقهاء في إبداء مايبطل هذه البدعة واقتنع الواثق وآمن برأيه ووجاهته وأعلن – رحمه الله – توبته عن القول بخلق القرآن الكريم .

والباب الثالث بعد السبعين يحكى لنا – المؤلف – باقتدار قصة الإمام مع المتوكل الذى ولى الخلافة بعد الواثق وكان يميل إلى إحياء السنة – عقب رؤية رسول الله ﷺ في المنام ومن ثم أمر المحدثين والفقهاء بنشر الحديث وأقبل الناس على حلقات درسهم .

ولما كان ابن حنبل هو أمام أهل السنة ، فقد استدعاه الخليفة المتوكل إلى مجلسه ورحب بمقدمه وأكرم وفادته في قصره ومنحه وطلب منه الدعاء وأعد له مسكنا إلى جواره فأبى أن يسكنه بعد ما رفض الإقامة في قصره واعتذر بلطف عن التدريس لولده محتجاً بإعيائه .

ويبدءا من الباب التاسع والسبعين يعرض لنا – الكاتب – حالة الإمام الصحية بعدما أصيب بالحمى في أوائل شهر ربيع الأول عام واحد وأربعين ومائتين والناس يتحلقون على بيته لزيارته والسؤال عن صحته والاطمئنان عليه – لكنه كان دائم المواظبة على صلاته – وتكاثر الجمع وعلم

الخليفة وأمير بغداد بمرضه فمنعوا زيارته إلا لأطبائه فتجمع الخلق فى المساجد والطرقات وحيل بينهم وبين البيع والشراء وكأنما أوشكت عجلة الحياة عن التوقف ، واشتدت علته وزاد سقمه لكنه لم ينقطع عن الصلاة على أية هيئة ـ ولم يكن يئن أو يتوجع ـ ولقد صفح عن كل من آذاه حتى من قام بجلده وكان يدعو للجميع بالهداية ، وقبل أن يحين أجله طلب من ولده شراء تمر يوزعه كفارة عن يمين ؛ ورعاً وخوفاً من الله ـ وفى يوم الجمعة الثانية من شهر ربيع الأول قبض الإمام ـ فاهتزت بغداد بموته وتعالت الأصوات حزناً على وفاته وغسل وكفن ودفن بعد صلاة الجمعة، وهو يوم مبارك إذ جاء فى الأثر أن رسول الله ﷺ قال : (ما من مسلم يموت يوم جمعة إلا وقاه الله ـ عز وجل ـ من عذاب القبر) المسند ١٦٩/٢ ـ ولقد غسل على رغبة أولاده الذين لم يكفنوه بما أرسله أمير بغداد وكفنوه مما أعده فى حياته احتراماً لرغبته ـ وصلى عليه الأمير وأهله وجمع بنى هاشم فى داره ، وكان موكب جنازته أشبه بموكب الحج .

وكانت أبواب المنازل مفتوحة لكل من يود الوضوء للصلاة عليه والسير فى جنازته .

وصية الإمام أحمد

ولم يكن للإمام ثروة ولاتركة تذكر ، لكنه كان قد أعد وصيته لأولاده بدأها بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أوصى به أحمد بن حنبل أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأوصى من أطاعه من أهله وأقاربه وقرابته أن يعبدوا الله فى العابدين وأن يحمدوه فى الحامدين، وأن ينصحوا لجماعة المسلمين، وأوصى بأنى رضيت بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً. وأوصى فيها بسداد دين عليه حدده فى الوصية أن : لعبد الله علىّ نحو خمسين ديناراً فقضى إليه من غلة الدار .

ويتسع المقام لعرض بعض الأبيات التى قيلت يوم وفاته رثاء

جزى الله رب الناس عنا ابن حنبل
وصاحبه خيراً إذا الناس أخضروا

وكقول أحدهم :

يا ناعى العلم يوم أحمداً
نعيت بحراً كان يجرى مزبداً
قد زلزلت أرض العراق كمداً
والشام حزناً والحجاز أرعداً

أو كقول بعضهم :

لتبك عيون مسبلات بويلها
على زينة الدنيا وعالم أهلها

ومن قول ثالث :

يا أحمد الخير الذى وارى الثرى
وبه الشتات من الجميع جميع

ومن قول رابع :

سلام عديد القطر والنجم والثرى
على أحمد البر التقى ابن حنبل

وبعد ، فالكتاب الذى بين أيدينا يكتسب أهمية خاصة لاهتمامه بحياة الإمام أحمد بن حنبل أحد الأئمة المجتهدين لاشك أن حياة هذا الإمام ومناقبه وأفضاله تفيض عن كتاب بلغ المائة باب تربو صفحاته على الثمانمائة صفحة .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

أدب الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم

دخل علينا في مكتب المجلة ثائراً فضيلة الشيخ / السيد مصطفى - المفتش بوعظ القاهرة وسبب ثورته أنه أثناء مطالعته مع ابنه أحد الدروس في كتاب الدين المقرر على الصف الثاني الابتدائي بوزارة التربية والتعليم، وجد اسم سيدنا محمد ﷺ مجرداً من وصف «سيدنا» أو «الرسول» أو «النبي»، وفي مواضع كثيرة جاء الاسم غير مقترن بالأثر المعروف بـ «ﷺ»... فكيف تُنَشَّىء أبناءنا منذ نعومة أظفارهم على عدم مراعاة حرمته - صلى الله عليه وسلم - وبدون تقدير لشخصية الرسالة، وكأنه ليس برسول، وليس سيداً لولد آدم.

والحقيقة أنه لابد من مراعاة حقه ﷺ في هذا لسببين:

أولهما: للتأدب الذي أدبنا الله - تعالى - به عند ذكر اسمه ﷺ قائلا: ﴿ لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾ النور/٦٣، ومن ثم لا يجوز أن يُذْكَر اسمه ﷺ مجردا من الوصف الذي خاطبه المولى - عز وجل - بمثله في مثل قوله تعالى: ﴿ يأيها النبي ﴾ الأحزاب - ٤٥

وقوله تعالى: ﴿ يأيها الرسول ﴾ المائدة - ٦٧.

ثانيهما: أنه - سبحانه وتعالى - أمرنا بالصلاة والسلام على رسوله ﷺ فقال - تعالى -:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ الأحزاب/٥٦

ولسيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إشارة جامعة مانعة لهذا حين صعد المنبر وسمعه كثير من أصحابه يقول (آمين) وهو يحتل كل درجة من درجات المنبر الثلاث ، وكان تأمينه بمثابة الاعتماد والموافقة على هذا الجزاء لأصحاب هذه الحالات الثلاث ، ومن بينها حالة من سمع ذكره ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يصل عليه .

ونص الحديث كما ورد بـ «ابن كثير» و «القرطبى» عن أنس وغيره ـ عند تفسير ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ الاسراء/٢٣ ـ أن النبى ﷺ صعد المنبر ثم قال : آمين (ثلاثا) قيل يا رسول الله : علام ما أمنت قال : أتانى جبريل فقال يا محمد : رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك ، قل آمين ، فقلت آمين ، ثم قال رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له ، قل آمين ، فقلت آمين ، ثم قال : رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة ، قل آمين ، فقلت آمين .

وتعنى هذه الركيزة من التوقير والتقدير لرسول الله ﷺ أن ينشأ أبناء المسلمين ، وهم يعرفون لرسول الله ﷺ قدره ولرسالته قدسيتها .

(المحـــرر)

أصداء

تحت عنوان « ندوات مشبوهة » بعث فضيلة الشيخ/محمد فتوح الصانع ـ إمام وخطيب مسجد فريد المصرى بالمنصورة ـ برسالة مطولة يدحض فيها افتراءات وشبهة أعداء الإسلام التى تثار حول قضايا المرأة فى بعض الندوات المشبوهة ، نجتزىء منها لضيق المساحة هذه الفقرة :

لا يزال مسلسل الافتراء على الإسلام بيد بعض المنتسبين إليه ـ مستمرا ـ من غلاة العلمانيين ، حتى أصبح هدفهم الأول هو : الطعن فى الإسلام والنيل منه بالتشكيك فى منهجه وتعطيل أحكامه ، فيفترون الكذب على الله ورسوله ، ويسقطون حجية « الإجماع » لدى علماء المسلمين وينكرون ما هو معلوم من الدين بالضرورة .

ومن الأسف أن نجد أبواقاً كثيرة تؤيدهم وتؤازرهم وتنافح عنهم بما يسمونه « حرية رأى » .

قولنا فيهم هو قول الله ـ تعالى : ﴿ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ جَـٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَـٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ سورة النساء

نبذة عن عصا موسى .. عليه السلام

وكتب هذه الكلمة الشيخ/رمضان إبراهيم الأقرع ـ من اخناواى ـ طنطا ـ غربية :

ورد ذكر « العصا » فى آيات عديدة من القرآن الكريم وخاصة عصا موسى ـ عليه السلام ـ فقد قال الله ـ تعالى عنها :

﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ سورة النمل : ١٠

وقال تعالى فى سورة طه : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ۝ ﴾

وكانت عصا موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ آية من آيات الله لموسى فى بنى .. إسرائيل وفرعون . وكان يعتمد عليها فى حال المشى ويهز بها أغصان الشجر ليتساقط عنها ورقها فترعاه غنمه . وله فيها منافع ومصالح وحاجات أخرى .

كانت آية وبرهاناً عندما كانت ثعباناً عظيماً يتحرك حركة سريعة كأنه جان ، واستخدمها موسى استخداماً خارقاً فى إنقاذ قومه حتى ضرب بها البحر وعبر بنى إسرائيل . وأيضاً لضرب الصخر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً .

عالمية الإسلام

وكتب الأستاذ/شريف مرشدى خليفة ـ مطوبس ـ الجواد الشرق ـ كفر الشيخ ـ تلك الكلمة عن صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان :

من أهم ما تميزت به رسالة الإسلام الذى جاء بها سيدنا محمد ﷺ أنها دعوة للعالم أجمع ، فقد دعا المصطفى ﷺ الناس جميعاً بعدما أمره ربه بالتبليغ وهذا يتضح لنا منذ اللحظة الأولى عندما جمع الناس وخطبهم قائلا : « إن الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة » . السيرة الحلبية جـ١ ص ٣٣١ ، والكامل لابن الأثير جـ٢ ص ٦١ طبعة بيروت .

وقد استمدت الدعوة الإسلامية عالميتها من الكتاب والسنة فمن الكتاب قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

وقوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء ١٠٧

مسئولية الخطيب

كتب الأستاذ / محمد عبدالقادر سرور ـ من كفر بولين . كوم حمادة ـ البحيرة ـ هذه الكلمة عما يجب أن تتوجه إليه اهتمامات الإمام والخطيب :

الإمامة والخطابة مسئولية عظيمة .. فأنت ـ أخى الإمام والخطيب ـ تقف موقف رسول الله ﷺ فمن واجبك الاقتداء به واتباع سنته ، والاتباع أولى من الابتداع ، وما ظهرت بدعة إلا بضياع سنة .. وقد استحسن كثير من الناس أموراً أدت إلى ضياع سنن ، وعليك واجب التنبيه على السنة الصحيحة .

كثير من المؤذنين لا يسألون الوسيلة والفضيلة لرسول الله ﷺ وكثير منهم يقيمون الصلاة فوراً دون إعطاء فرصة لصلاة ركعتين لمن شاء لقول رسول الله ﷺ عند البخارى : « بين كل أذانين صلاة » .

وكثير من العامة يدخلون المسجد مهرولين كى يلحقوا بالركوع ، ورسول الله ﷺ يقول فيما يرويه البخارى ومسلم : « إذا أتيم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وأتوها وعليكم السكينة والوقار » .

وكثير من الناس لا يحتفلون الاحتفال الشرعى بمدارسة سيرة وأخلاق صاحب الذكرى فلماذا لا تنبه على كل هذا يرحمك الله :

واحذر أخى الإمام والخطيب أن تجامل وتساير العامة فى أهوائهم ، فإنك ستسأل عن سكوتك عن الحق واحذر أن تكون ممن لا يؤدى الصلاة جماعة فى المسجد .. إنك إن فعلت فقدت مصداقيتك وفاقد الشيء لا يعطيه .. لا تفعل مثل الذين لا يهتمون بالسنة ، ويسخرون من المتمسكين بها والداعين إليها .

وإذا رأيت فى نفسك مخالفة للسنة فعد إلى الحق ، وإذا قيل لك : قال الله ـ تعالى ـ وقال الرسول ﷺ فقل : سمعنا وأطعنا ، فهذه شيمة المؤمن ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (النور ٥١)

واجعل وسيلتك الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ودع المراء والجدال فإنه لا يأت بخير أبداً .

﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

سورة يونس

مصابيح الهدى

كتب القارىء / سمير محمد إبراهيم ـ من الصراط ـ منزلة دقهلية ـ هذه الكلمة فى فضل أصحاب رسول الله ﷺ :

« أصحاب النبى ﷺ هم أولى بالاتباع من أصحاب الشعارات الزائفة والأقلام الخادعة ، فهم مصابيح الهدى الذين تنجلى بهم الفتن ، ذلك أن الله أكرمهم وخصهم من بين كل الناس أن يعيشوا مع النبى ﷺ وهو بين أظهرهم ، وشاهدوا بأنفسهم تطبيقات الإسلام فيما بينهم كمنهج حكم ودستور حياه .

وبالتالى هم الذين احتضنوا دعوته وبذلوا فى سبيل حفظها أموالهم وأرواحهم بالهجرة والمجاهدة والمؤازرة والاستشهاد ، ألم يبشر النبى ﷺ عدداً منهم فى حياتهم بالجنة .. ؟

من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم

كتب القارىء / محمد حسين يوسف على من الزواية البيضاء بالقسارية إسنا - هذه الكلمة كلمحة عن سيرته ﷺ :

إنه - عليه الصلاة والسلام - ليس لقلم أن يجمع فضائله .

وعلى تفنن مادحيه بوصفه
يفنى الزمانُ وفيه مالمْ يُوصف

ومن يحار ما مدحه به المادحون ، ووصفه الواصفون هذه الفقرات :

كان ﷺ رَبعة ، ليس بقصير ولا بطويل ، أزهر اللون ، فخماً مُفخماً ، عظيم الهامة ، يتكلم بجوامع الكلم ، لا يغضب لنفسه ، أشجع الناس وأجودهم وأكملهم .. كفاه ﷺ الشهادة العظمى ، وهى : قول الله - عز وجل - : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ القلم - ٤ .

ولما سأل هرقل أبا سفيان عن صفاته ﷺ قال : كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو فينا ذو نسب . قال : كذلك الرسل تبعث فى أنساب قومها . رواه البخارى . وعن واثلة عن النبى ﷺ : « إن الله - عز وجل - اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم » رواه مسلم .

وله ﷺ أسماء كثيرة حتى رام لبعضهم أن يجمع للنبى ﷺ ألف اسم . وحين جاء موعد مولده ﷺ جعل الله المبشرات بقدومه زيادة فى إيمان المؤمنين ، وحجة على الكافرين . كذلك بشر الله به - ﷺ فى التوراة والإنجيل قال - تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ سورة الأعراف

ردود وتعليقات

● القارىء / سيد حسين صالح - أسيوط - موشا شارع البكرية - تلقيت كلمتكم الطيبة عما قرأتموه فى أحد الكتب عن : شهادة طبيب نفسى ألمانى . عن : « أذان المسلمين » بأنه يُدخل السكينة إلى قلب المريض النفسى حتى ولو لم يدرك معانيه ، وهذه الشهادة نهديها لمن كان يطالب بمنع أذان الفجر لأنه يُقلق النائمين ، وفى انتظار إبداعاتكم المستندة علميا وذلك ببيانات المصدر كاملة .

● القارىء / أيمن محمد الصبحى - عضو فى بإدارة دسوق التعليمية - غريب حقاً هذا السلوك الذى يتفق لبعض البشر من تأليههم لبعضهم البعض ظناً منهم أنهم يرزقونهم وينفعونهم ، مع أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرا ، وإن دل

هذا على شيء ، فإنه يدل على حِلم الله ـ عز وجل ـ الذى يخلق ويُعبد غيره ، ويرزق ويُشكر سواه ، سبحانه ـ هو وحده المنفرد بقدرة الإيجاد والإمداد والخلق والرزق والكل آتيه يوم القيامة عبدا .

● القارىء / تمام محمد سيد عبدالرحيم ـ شارع الجلاء ـ موشا ـ أسيوط :

مجلة الأزهر فى تناولها للشخصيات إنما تركز اختيارها على أعلام الأزهر تقديراً لدور الأزهر فى بناء الأمة مع خالص التقدير لغيرهم .

● القارىء / أبوالحسن محمد رمضان حسين ـ من القرايا ـ إسنا ـ قنا :

لعل أفضل ما ركزتم عليه فى كلمتكم عن : عقوق الوالدين ، هو أن الله ـ تعالى ـ قرن رضاه ـ عز وجل ـ فى رضاهما ، وسخطه ـ سبحانه ـ فى سخطهما ، للحديث الذى رواه الترمذى « رضى الله فى رضى الوالدين وسخط الله فى سخط الوالدين » .

● القارىء / حبيش حسن حسين ـ خطيب بطنسا ـ ببا ـ بنى سويف .

● والقارىء / عادل على على اسماعيل من قورص أشمون ـ منوفية .

● والشاعر / مصطفى محمود مصطفى ـ كفر ربيع ـ منوفية :

تناجيكم تحت عنوان « لحظات فى تاريخ الأمة « وبهتة » والقرآن يحفظ الحياة » ينم عن قدرة فى التعبير والتصوير ، والحقيقة أننا نرحب كثيراً بالإبداعات غير المطروقة ، نشكركم على اهتمامكم ، ونرحب بكم وفى انتظار رسائلكم .

● القارىء / خيرى محمد إبراهيم أبو الروس ـ كفر الجرايدة ـ بيلا ـ كفر الشيخ :

كلمتكم عن « فضيلة الصدق » ـ على أهميها ـ من موضوعات الفضائل المتكررة ، وقد عالجتها المجلة منذ وقت قريب .

● القارىء/عبدالمنعم عبدالوهاب الحداد ـ بنى مزار ـ المنيا ـ والقارىء/على محمد كمال أحمد ـ الرقة الغربية ـ العياط ـ الجيزة :

كثير غيركم ينتظرون إعادة طبع التفسير الوسيط وغيره من مطبوعات المجمع . نسأل الله ـ تعالى ـ تيسير ذلك ، والله المستعان .

● القارىء/بدون اسم أو عنوان :

هناك اعتبارات أخرى تراعى لشغل هذه الوظائف غير حفظ القرآن الكريم .

● القارىء/محمد نجيب لطفى ـ العدوة ـ الفيوم ـ مصر :

نرحب بمساهماتك ، وكذا مساهمات الأخوة القراء ، وأذكر أن ردكم على الدكتور/شامة .. قد نشر فى بريد القراء وإن كان قد تأخر قليلا .

● القارىء/بشير بن سايبى ـ ولاية ورقلة بالجزائر :

نرجو أن تتاح لنا مستقبلا فرصة تزويدكم بمثل هذه الكتب ويمكنكم الاشتراك الشهرى بالمجلة لدوام وصولها إليكم وذلك بالاتصال بالعنوان التالى :

إدارة الاشتراكات ـ مؤسسة الأهرام شارع الجلاء ـ القاهرة

● القارىء/حمدى محمد عبدالمالك ـ أسيوط ـ ديروط :

سوف نحيل خطابكم إلى السيدة محررة الباب فهى أقوم بالإجابة عما تريدون .

● بمشيئة الله ـ تعالى ـ يواصل الباب اهتمامه بالرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعاً .



أنباء وآراء

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين / عمر البسطويسي • مصطفى عبد المجيد

برقية شكر من السيد الرئيس لفضيلة الإمام الأكبر

بعث السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية برسالة إلى السيد صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رداً على البرقية التى بعث بها فضيلته بمناسبة المولد النبوى الشريف هذا نصها :

صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر يسرنى أن أبعث إليكم وأسرة الأزهر الشريف بوافر الشكر على تهنئتكم الرقيقة بالمولد النبوى الشريف وماحملته من مشاعر طيبة . أعادة الله عليكم بالصحة والسعادة وعلى الأمة العربية والإسلامية باليمن والبركات .

وكل عام وانتم بخير

محمد حسنى مبارك

الإمام الأكبر يشهد حفل مشروع الجائزة الكبرى

شهد فضيلة الإمام الأكبر صباح يوم الأحد ١٤١٦/٣/٢٣هـ ، ١٩٩٥/٨/٢٠م حفل تكريم الفائزين فى مشروع الجائزة الكبرى من العاملين فى مجال رعاية الطلاب وتكريم الفائزين فى المسابقات المختلفة التى نظمتها المناطق الأزهرية ، وكذلك المناطق الفائزة على مستوى الجمهورية حيث قام فضيلته بتوزيع الجوائز المالية وتسليم الكئوس والدروع للفائزين .

كما قام فضيلته بتكريم أوائل الشهادات الأزهرية هذا العام : الابتدائية والاعدادية والثانوية بقسميها العلمى والأدبى والمعلمين والقراءات والاعدادية والثانوية للبعوث الإسلامية .

شهد الحفل فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية

رسالة من أمير الكويت لفضيلة الإمام الأكبر

تسلمت برقيتكم المتعلقة بأوضاع إخوتنا المسلمين في جمهورية البوسنة والهرسك وتكثيف الجهود لإغاثتهم وأود أن أحيطكم علما بأن الكويت تقدم باستمرار مختلف أشكال العون والمساعدة منذ أن بدأت الأوضاع تتأزم هناك ولاتزال هذه المساعدات مستمرة ومتواصلة .

وإنى لأقدر لكم اهتمامكم وحرصكم على مد يد العون والمساندة وآمل أن تتضافر جهود المسلمين جميعاً لنجدة إخوانهم والوقوف بجانبهم والله ـ سبحانه وتعالى ـ ولى التوفيق

جابر الأحمد الصباح

أمير دولة الكويت

الإمام الأكبر يشهد حفل إفتتاح دورة الأئمة الوافدين

استقبل فضيلة الإمام الأكبر صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٤١٦/٤/٩هـ ، ١٩٩٥/٩/٥م السيد / ك. محمد عنايت خان عضو البرلمان الهندى ورئيس الجمعية الإسلامية العربية الهندية ، وذلك بمكتب فضيلته بالأزهر وقد تناول اللقاء أوضاع العالم الإسلامى الحالية ، وأوجه التعاون والتضامن لخروج الأمة الإسلامية من المصاعب التى تواجهها .

أكد فضيلة الإمام الأكبر على ضرورة نبذ الخلافات والابتعاد عن الصراعات الداخلية لكافة الأمم والشعوب والإسلامية .

تم خلال اللقاء بحث مشكلة (كشمير) حيث أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن أمله فى إيجاد حل لهذه القضية التى طال بها الأمد حتى تتخلص المنطقة من العنف ، ويعود السلام والأمن للشعب المسلم فى (كشمير) هذا : وقد أعرب الضيف عن شكره وامتنانه للأزهر الشريف ومايقدمه من خدمات تعليمية وإرشادية دينية للعالم الإسلامى بصفة عامة ولمسلمى الهند بصفة خاصة .

كما أعرب عن تقديره لدور الأزهر فى مجابهة الأحداث على الساحة الإسلامية والعالمية ، وإصدارات الفتاوى والبيانات التى يسترشد بها المسلمون فى كافة انحاء العالم .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس الجمعية الإسلامية الهندية

شهد فضيلة الإمام الأكبر افتتاح الدورة العالمية الثلاثين العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف وذلك يوم الاحد الموافق ١٤١٦/٣/٢٣هـ ، ١٩٩٥/٨/٢٠ بمدينة البعوث الإسلامية .

وفى كلمة جامعة وجهها فضيلته للأئمة الوافدين أعلن أن الهدف من الدورات أن نجتمع على كلمة سواء وأن يكون المسلمون جميعاً فكراً واحداً مصدره القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة .

يشترك فى هذه الدورة أكثر من ثلاثين إماماً يمثلون دول ليبيريا وجزر القمر وسيراليون ونيجيريا .

شهد الحفل فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والسادة سفراء الدول المشاركة فى الدورة ولفيف من علماء الأزهر الشريف .

إعلان نتائج الدور الثانى للشهادات الأزهرية

الإمام الأكبر يستقبل رئيس الطائفة الانجيلية بمصر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر وفد الكنيسة الإنجيلية للخدمات الاجتماعية برئاسة الدكتور القس صموئيل حبيب رئيس الطائفة الانجيلية بمصر وذلك صباح يوم الأحد الموافق ١٤١٦/٤/٧هـ ، ١٩٩٥/٩/٣م .

وعقب اللقاء صرح فضيلة الإمام الأكبر بأن اللقاء تناول فكرة عقد مؤتمر للحوار الديني التي طرحها الدكتور القس صموئيل حبيب ، وقال فضيلته بأنه تم التنسيق بشأنها مع الدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف ، وقال فضيلته نظراً لكثرة المؤتمرات التي تعقد ثم تأتى بمردود لايرقى لمستواها . فقد طلب أن يخصص هذا المؤتمر لدراسة إحدى القضايا المهمة فى مصر ـ إقتصادية أو فكرية أو غيرها ـ على أن يكون للحوار حولها نتائج فعالة ومؤثرة فى المجتمع ، وألا يكون هدف مثل هذا المؤتمرات مجرد اللقاء بين رجال الدين الإسلامي والمسيحي ، فهذه اللقاءات متواصلة ، كما يجب ألا يكون الهدف . . مجرد الحدث الإعلامى .

وقد شهد اللقاء الذى استمر ساعتين فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف والأستاذ جلال عيسى أمين عام المجلس الأعلى للصحافة فى مصر ونقيب الصحفيين بالإنابة .

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر نتائج امتحانات الدور الثانى للشهادات الأزهرية حيث جاءت النتائج على النحو التالى :

● بلغت نسبة النجاح بالشهادة الابتدائيـة (٦٦،٠٦٪)

وبذلك تكون النسبة العامة لمجموع الدورين هذا العام (٨٢،٤٢٪)

● بلغت نسبة النجاح بالشهادة الثانوية الأزهرية فى مجموع الدورين لهذا العام ٨١٪ حيث جاءت نتائج الشعب الثلاث فى الدور الثانى على النحو التالى :

القسم الأدبى ٦٥٪ وبذلك تكون النتيجة العامة فى الدورين بهذا القسم (٧٨،٤٪)

القسم العلمى شعبة العلوم ٧١٪ وبذلك تكون النتيجة العامة فى الدورين بهذا القسم ٨٧٪

القسم العلمى شعبة الرياضيات ٧٢،٥٪ وبذلك تكون النتيجة العامة فى الدورين بهذا القسم ٨٨،٤٪

● بلغت نسبة النجاح فى دبلوم المعلمين ٨٢٪ وبذلك تكون النتيجة العامة فى الدورين ٩٢،٤٪

● بلغت نسبة النجاح فى عالية القراءات ٧٤٪

● بلغت نسبة النجاح فى شهادة التخصص ٨٩٪

● بلغت نسبة النجاح فى شهادة التجويد ٧١،٤٪

● بلغت نسبة النجاح فى الشهادة الاعدادية فى الدورين ٧٣،٤٪

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدي عبد الحميد بشير

البوسنة والهرسك

تواصل الهجوم البوسني الكرواتي في وسط وشمال غرب البوسنة حيث تمكن الطرفان من استعادة عدة مدن (استراتيجية) ومساحات من الأرض تقدر بألفيْ ك.م مربع .

قالت إذاعة البوسنة إن الجيش البوسني المسلم استعاد السيطرة على مدينة (كالنوتشي) بوسط الجمهورية ومحاصرة مدينة (بوسان سيكان) (كُرُوفا) كما واصل التقدم بنجاح نحو مدن أخرى ، بينما يُبدي الصرب مقاومة هشة .

وتعزّز تلك الانتصارات الموقف التفاوضي بالبوسنة وكرواتيا وهو الأمر الذي سيدفع بالحليفيْن للمطالبة بنسبة أكبر من الأرض في أي حل سلمي .

ذكر المتحدث باسم الأمم المتحدة : أن قوات حفظ السلام الدولية رصدت قيام القوات الصربية بسحب بعض الأسلحة الثقيلة من حول سراييفو .

هذا وقد هبطت في مطار العاصمة البوسنية طائرتان تحملان المواد الغذائية هي أول مرة تصل فيها طائرات ميدانية إلى العاصمة منذ أبريل الماضي .

صرح وزير الدفاع الأمريكي بأنه قرر وقف إرسال مقاتلات الشبح الأمريكية التي كان من المزمع استخدامها ضد صرب البوسنة ، زاعماً أنه سيتم التوصل إلى اتفاق في يوغوسلافيا السابقة قبل نهاية العام الحالي .. وهو ما يراه المحللون تراجعاً أملته المصالح الكبرى ، هذا وقد رفض الرئيس البوسني اتفاق بلجراد مطالباً بسحب جميع الأسلحة الصربية [illegible] من عيار ١٢,٧ مم بينما تقضي الاتفاقية المذكورة بإبقاء بعض الأسلحة الثقيلة تحت زعم منع تقدم القوات البوسنية المسلمة .

جاكارتا

ناقش المؤتمر الخامس لعلماء جنوب شرق آسيا الذي عُقد مؤخراً بالعاصمة الأندونيسية (جاكارتا) دور علماء المسلمين في مواجهة التطورات العالمية الجديدة ، ووسائل بناء الأمة

الإسلامية وتقدمها مع التمسك بالقيم الإسلامية أوضاع .

حضر المؤتمر علماء من سلطنة : بروناى ، وماليزيا ، وسينغافورة . والبلد المضيف .

السـعـودية

تنظم وزارة الشئون الاجتماعية بالسعودية عددا من الدورات فى العلوم الشرعية فى كل من قبرص ، وجمهوريات روسيا الاتحادية .

يقوم المشاركون فيهما بجولات فى القرى المجاورة للالتقاء بأئمة المساجد والدعاة ، ويشارك فى الدورة الواحدة مائة وخمسون دارسا يعلمون اللغة العربية وعلومها .

المدينة المنورة

تنظم المدارس النسائية بالجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن بالمدينة المنورة دورات سنوية خاصة لإعداد معلمات مؤهلات لتدريس كتاب الله الكريم حيث يُعنى منهج الدراسة بالتجويد والتلاوة الصحيحة للقرآن الكريم بالإضافة إلى التأهيل التربوى .

المجالس القومية المتخصصة

أوصت المجالس القومية المتخصصة برئاسة الدكتور عبدالقادر حاتم المشرف العام على المجالس المتخصصة بضرورة إنشاء هيئة مركزية لأبنية المعاهد الأزهرية أسوة بهيئة الأبنية التعليمية ، يكون لها فروع فى مناطق التعليم الأزهرى ويمولها صندوق مركزى مدعوم مما تخصصه الدولة من موازنة الأزهر ، إلى جانب تبرعات الهيئات والأفراد فى الداخل والخارج ، ونسبة مئوية من التبرعات الأهلية والمحليات . إلى جانب نسبة مما ترصده وزارة الأوقاف من معونات للمشروعات الإسلامية ، كما طالب المجلس بأن يضاعف الأزهر مشروعات الأبنية على أن يخصص للمناطق النائية كسيناء والبحر الأحمر ومطروح والوادى الجديد النصيب الأول .

داكـــار

أكمل المؤتمر الخامس للكشافين أعماله بداكار وذلك بحضور أكثر من ٢٥٠ كشافا لقارات العالم الست وذلك لتقييم مسيرة الاتحاد الدولى للكشافين المسلمين لحل مشاكل الشباب المسلم ، وقد أكد رئيس وزراء السنغال فى افتتاح المؤتمر الذى عُقد تحت شعار (تضامن ، سلام ، تنمية) أن الاتحاد المذكور يُعد أحد الوسائل العملية لتحقيق وحدة الأمة الإسلامية ارتكازا على وحدة العقيدة والثقافة . هذا ويُعقد المؤتمر كل ثلاث سنوات ، وهى أول مرة يعقد جلساته فى دولة أفريقية .

الهـنـد

قرر أئمة المساجد فى ولاية البنجاب بالهند القيام بحملة لتعليم الأطفال وتطعيمهم ضد الأمراض ، وأكدوا فى ندوة عقدوها فى مسجد الأوقاف بالولاية أن الأئمة فى الإسلام عليهم واجبات اجتماعية وخيرية إلى جانب إقامة الشعائر .



dit "L'argent d'Abdel Rahman est licite et s'en nourrir, apportera la santé et la bénédiction.

Il légua en plus 3000 brebis, 1000 bovins et camélidés et 100 chevaux et une grande quantité d'or que les hommes eurent de la peine à diviser avec leurs haches. Allah gloire à Lui, n'a-t-il pas dit dans le noble Coran :

[Dis: Mon Seigneur dispense avec largesse ou restrient Ses dons à qu'Il veut parmi Ses serviteurs. Et toute dépense que vous faites Il la remplace, et c'est Lui le Meilleur des donateurs].

Sourate Saba'a, le sens du verset 39.

La peine des musulmans fut grande en apprenant la mort d'Abdel Rahman Ibn Awf. En l'enterrant, ils se rappelaient que le Messager d'Allah (b.s.) avait dit un jour: "Abdallah Ibn Awf est l'homme de confiance parmi tous les habitants du ciel et de la terre".

Qu'Allah te bénisse O Abel Rahman Ibn Awf pour tout le bien que tu fis et pour l'argent que tu dépenses pour l'amour d'Allah.



Un jour, le Prophète (b.s.) l'envoya à l'expédition de "Dawmat el Gondol", il le coiffa d'un turban avec sa main bénie et lui dit: "Si Allah t'accorde la victoire, prends en mariage la fille de leur roi". Allah lui accorda la victoire et il épousa la fille du roi qui donna le jour à son fils Abou Salama qui fut plus tard un des grands rapporteurs des Hadiths du Prophète (b.s.).

Un autre jour, pendant qu'il présidait à la prière. Le Prophète (b.s.) vint se ranger parmi les compagnons et accomplit la prière en commun derrière Abdel Rahman. Evènements exclusifs et honneur incomparable dont seul Abdel Rahman put jouir. En plus de toute cette correction dans ses moeurs, il était un homme pieux, fervent et il craignait Allah dans la moindre action. Lorsqu'il fut nommé parmi les 6 (six) du membre du conseil qu'Omar avait désigné pour nommer le calife qui allait lui succéder et qu'il vit que les doigts pointaient vers lui, il dit: "Par Allah, qu'on enfonce un couteau dans ma bouche et qu'il sorte de l'autre côté, m'est plus agréable que d'accéder au califat". Ainsi, il se destitua en faveur des cinq autres, on le rendit arbitre, il choisit Othman Ibn Affan et les autres approuvèrent son choix. L'Islam l'avait façonné et éduqué de sorte qu'il n'était point sensible à la fortune ni aux honneurs avec toutes les séductions et les égarements qu'ils entraînent.

Le voilà en l'an 32 de l'Hégire agonisant. La mère des croyants "Aïcha" A.s.e voulait lui accorder un honneur que nul n'avait reçu auparavant; elle lui proposa d'être enterré dans sa chambre près du Messager d'Allah (b.s.), d'Abou Bakr et d'Omar. Mais il eut honte d'accepter ce qu'elle lui avait proposé. D'autre part, il s'est convenu un jour avec son ami "Othman Ibn Maz'oum que celui qui mourrait le dernier serait enterré auprès de l'autre. L'homme de confiance mourut à l'âge de 75 ans et fut enterré à "Al-Baki" (cimetière des musulmans à Médine). A sa mort, il légua 50 mille dinars pour l'amour d'Allah et promit en héritage à tous les combattants de "Baki" qui sont restés en vie, 400 dinars, même Othman Ibn Affan reçut sa part malgré sa richesse et

ABDEL RAHMAN IBN AWF

par Hoda Hussein Chaaraoui

(Suite)

-- 2 --

— Abdel Rahman Ibn Awf émigra en Ethiopie au cours de la première et de la seconde émigration, enfin il émigra à Médine. Le Messager d'Allah (b.s.) fraternisait entre chaque deux personnes: L'un de ses compagnons, émigré de la Mecque et un autre un "ansar" de Médine. C'est ainsi que le Messager d'Allah (b.s.) fraternisa entre lui et Sa'ad Ibn Abrabi. Sa'ad dit à Abdel Rahman: "Frere, je suis l'un des hommes les plus riches de Médine, prends la moitié de mon argent: J'ai deux femmes, choisis celle qui te plait afin que je la répudie pour que tu l'épouses". Abdel Rahman lui répondit: "Qu'Allah bénisse tes biens et tes femmes. Montre-moi où se trouve le marché". Il s'y rendit, acheta, vendit et gagna. Lorsque le Messager d'Allah (b.s.) apprit ce fait, il pria Allah de bénir le commerce d'Abdel Rahman. Son commerce devint prospère et béni si bien qu'il disait: "Si j'enlevais une pierre j'aurais trouvé à sa place de l'argent et de l'or".

— Si nous observons Abdel Rahman avec sa fortune opulente, nous aurons devant nous un homme étrange qui sut vaincre ses passions et les dépasser vers une sublimation rare en générosité de sorte qu'on dit de lui: "Tous les habitants de Médine étaient les partenaires d'Abdel Rahman Ibn Awf dans sa richesse, un tiers de son argent en guise de prêt, un tiers pour acquitter leurs dettes et un tiers comme aumône et charité". Sa vie à Médine, du vivant du Messager d'Allah (b.s.) et apres sa mort, était un acquittement des devoirs religieux. Ainsi, il assista à la bataille de Badr et d'Ohod; il y perdit quelques-unes de ses incisives et fut atteint de vingt blessures et l'une de ces blessures le rendit boiteux.

illumine la terre durant la nuit. Cette différence entre la nature et le rôle du soleil et de la lune est indiquée par les versets suivants :

[Il y fit de la lune une lumière et du soleil une source lumineuse]

Sour. "Nûh" (Noé) v16.

[Celui qui y a placé une source de lumière et une lune qui éclaire]

Sour. "Al Forqan" (La Loi), v61.

[Nous y plaçâmes une lampe à forte incandescence]

Sour. "Al Naba" (La Nouvelle) v13.

L'aspect visible de la lune change et sa forme passe du croissant de lune à la pleine lune en fonction de sa position par rapport au soleil et à la terre.

[Et de la lune, une lumière dont Il a déterminé les phases]

Sour. "Yûnes" (Jonas) v5.

[La lune à laquelle Nous avons fixé des phases jusqu'à ce qu'elle redevienne semblable à la palme desséchée]

Sour. "Ya-Sin" v39.

L'année solaire est de 365, 2422 jours, alors que l'année lunaire est de 354, 6036 jours. C'est-à-dire que 300 années solaires équivalent à 309 années lunaires, soit 109, 573 jours exactement. On peut voir à quel point le Coran est précis lorsqu'il affirme que les Habitants de la Caverne y sont restés 300 ans (années solaires) soit 300 et 9 années en plus (années lunaires).

[Ils restèrent dans leur caverne trois cents ans, auxquels on ajoute neuf année]

Sour. "Al Kahf" (La Caverne), v25.

Ce qui signifie qu'ils sont restés dans la Caverne 300 années solaires qui équivalent à 309 années lunaires.

à suivre

[Nous avons touché le ciel et nous l'avons trouvé rempli de gardiens implacables et de météores]

Sour. "Al Djinns" (Les Djinns) v8.

[Sauf celui qui s'est mis aux écoutes et qui est aussitôt poursuivi par un météore visible]

Sour. "Al Hijr", v18.

6- La relativité du temps

Le temps, dans notre monde terrestre, est mesuré en fonction de la rotation de la terre autour de son axe (les jours) et, dans son orbite, autour du soleil (les années), et en fonction de la rotation de la lune autour de la terre (les mois et les années lunaires). Quant aux autres unités du temps (les mois solaires, les heures, les minutes et les secondes) elles sont une convention établie par les hommes. Toutes ces unités conventionnelles ne signifient rien dans l'espace immense. En effet, la science moderne a découvert que le temps est relatif, et c'est ce qu'ont avancé clairement, il y a plusieurs siècles, les versets coraniques suivants :

[Un jour pour ton Seigneur équivaut à mille ans de ceux que vous comptez]

Sour. "Al Hidj" (Le Pèlerinage) v47.

[Ensuite il monte vers Lui en un jour qui se mesure à mille ans de ceux que vous comptez]

.Sour. "Al Sadjda" (La Prosternation) v5.

[Les Anges et le Saint Esprit escaladent vers Lui en un jour dont la durée est de cinquante mille ans].

Sour. "Al Ma'aridj" (Les Ascensions), v4.

7- Le soleil et la lune

Le soleil est un astre incandescent qui illumine les planètes environnantes. Sa lumière se reflète sur la surface de la lune qui est froide et qui

ressenti cela au cours de leur navigation dans l'espace, hors du vaisseau spacial.

[Si Nous leur avions ouvert une porte du ciel, et qu'ils se soient mis à escalader, ils auraient sûrement dit: "Certes nos regards sont ivres ou plutôt nous sommes ensorcelés"].

Sour. "Al Hijr", v14-15.

[Il sait ce qui descend du ciel et ce qui y monte]

Sour. "Saba" v2

[IL sait ce qui pénètre dans la terre et ce qui en sort, ce qui descend du ciel et ce qui y monte]

Sour. "Al Hadid" (Le Fer) v4.

Le Coran mentionne en outre la possibilité - en principe - pour l'être humain de voyager à travers l'espace, une fois qu'Allah le dote de la capacité de le faire, et cela grâce à l'énergie et à la téchnologie nécessaires. Toutefois, l'homme est prévenu des dangers qu'il court dans l'espace, tels les météores et les radiations funestes :

[Ô vous les Djinns et les humains, si vous pouvez passer à travers les espaces des cieux et de la terre, faites - le! Mais vous ne les traverserez, qu'à l'aide d'un pouvoir]

Sour. "Al Rahman" (Le Miséricordieux) v33

[On lancera sur vous deux (les uns et les autres) des jets de feu et L'airain auxquels vous ne saurez échapper]

Sour. "Al Rahman", v35.

D'autre versets du Coran ont affirmé que le ciel est rempli de météores qui traversent continuellement la couche de l'enveloppe atmosphérique de la Terre. Ce nombre s'élève à des milliers de millions par jour, et ils sont de différentes tailles. La majorité de ces météores est détruite avant d'atteindre la couche terrestre, comme l'indiquent les versets suivants :

Les Preuves Scientifiques de l'Islam

Extrait de l'ouvrage (suite)

Traduit par

Dr. Rokeya Gabr

5- L'espace

Tout ce qui se trouve dans l'espace est en perpétuel mouvement: les étoiles, les planètes et les astres. Ce mouvement a lieu dans des trajectoires définies et à des vitesses différentes. Selon la théorie générale de la relativité, le chemin suivi pour se déplacer dans l'univers d'une masse cosmique à l'autre doit suivre une courbe. C'est pourquoi on remarque l'usage de l'expression "Al'Urûdj" (qui signifie: le fait d'adopter un détour, une sinuosité, de contourner) pour exprimer le déplacement dans l'espace.

[De la part d'Allah à qui appartiennent les voies ascensionnelles que Les Anges et le Saint Esprit escaladent en un jour dont la durée est de cinquante mille ans]

Sour. "Al Ma'aridj" (Les Ascensions) v3-4.

Le Coran a également mentionné les risques que court celui qui monte dans l'espace loin de l'attraction terrestre et qui n'est plus soumis aux lois de la pesanteur: respiration difficile et sentiment d'oppression dans la poitrine.

[Celui qu'Il veut égarer, Il rend sa poitrine serrée et opprimée, comme s'il était monté dans le ciel]

Sour. "Al An'am (Le Bétail), v125.

Le Coran se réfère également aux effets ressentis par celui qui voyage dans l'espace, tels les troubles de la vue. Or, les astronautes ont

REVUE AL-AZHAR

Vol. 86 Part V.

Jumada Al-Ula 1416H. - October 1995

Section Française

like Khatib's use of the two different adverbs 'certainly' and 'surely' and Y. Ali's use of 'certainly' and 'with certainty.'

5) Repetition of the expression "Nay, but" twice, in addition to the exclamation mark at the end of each conjoined sentence in Pickthall's version, and the repetition of the expression "no indeed" followed by a semi-colon, and the coordinator 'but' in Arberry's version. Perhaps, these repetitions which are due to the honesty of translators and their tendency to keep to a word-for-word translation, produce a heavy effect in the mind of the reader, unlike that produced by the negative particle /kallä/ in the SL text.

It is therefore concluded that the translators over-emphasis and repetition of non-existing conjunctions on the formal and functional levels have often led them to neglect the contextual meaning of the original coordinators as well as their communicative value in the text.

to be continued

Arberry (657) :

No indeed; but soon you shall know.
Again, no indeed; but soon you shall know.
No indeed; did you known with the knowledge of certainly,
you shall surely see Hell.
Again, you shall surely see it with the eye of certainty.

Y. Ali (1780) :

3. But nay, ye soon shall
Know (the reality)
4. Again, no soon shall know!"

....

6. Ye shall certainly see Hell fire!
7. Again, ye shall se it,
With certainty of sight!

Notice that, unlike Khatib, Arberry sticks to the adverb 'surely' which denotes his consistency in the use of words. Y. Ali, on the other hand, is inconsistent when he uses the adverb 'certainly' in the Antecedent, verse 6, and the PP 'with certainty' in the Copulative, verse 7. However, their resort to the word 'again' as equivalent to /Θumma/ is perhaps for two main reasons : first; it denotes no fixed time reference, second, it distinguishes between the /fā?/ which implies immediate succession and /Θumma/ which implies lagging succession, both of which are equivalent to 'then' in English.

In the above example, the following mismatches are therefore considered :

1) Deletion of 'then' in the four versions except for Khatib's in his rendering of verse 7.
2) Substitution of 'then' by using the sentence connector 'again' which may, to some extent, suit the meaning of the source text.
3) Addition of the conjunctins 'yet' 'but' or 'for' for no clear reason, except for emphasis.
4) Change in the conjoined structure as a result of these deletions, substitutions and additions, as well as change in the selection of words.

Pickthall (819) :

3. Nay, but ye will come to know!

4. Nay, but ye will come to know!

....

6. For ye will behold hell-fire.

7. Aye, ye will behold it with sure vision.

Notice that Pickthall adds the conjunction 'for' at the beginning of verse 6, which implies reason even though it has no equivalent in the original text. In addition, Pickthall, not only ignored the existence of /θumma/ linking verses 4 to 3, or rendered it in his version, but he also ignored the coordinator /θumma/ which links verses 7 to 6. The deletion of the coodinator /θumma/ has, therefore, a bad effect on Pickthall's version from the syntactic and communicative points of view.

Khatib, on the other hand, seems to understand the importance of repetition in the above verses. Nevertheless, he shows inconsistency in rendering the emphasizing particle, /la-/in/la-tarawn/ repeated in verses 6 & 7. He translates it into the adverb 'certainly' in verse 6, and the adverb 'surely' in verse 7. Moreover, he does not completely ignore the coordinator /θumma/ in verse 4, but he replaces it with the sentence connector 'Again'. This is perhaps to emphasize the meaning of the preceding sentence:

Khatib (820) :

"Yet, you will know. Again, yet; you will know ... you will certainly see al-Jahim. Then you will surely see it with the eye of certainty."

Arberry and Y. Ali, the same as Khatib, have reproduced almost completely the same textual effect of the SL by translating the coordinator /θumma/ into 'again', not 'then'. The only difference is that in case of Khatib's version, the word 'Again' is preceded and followed by another conjunction 'yet,' perhaps to stress the meaning of the two conjoined elements. Both Arberry and Pickhtall, on the other hand, add the coordinator 'but' (instead of 'yet', used by Khatib) in both conjoined elements, whereas Y. Ali uses 'but' only once, at the beginning of verse 3. Arberry's and Y. Ali's versions are represented as follows :

Pickthall is the only translator who repeats 'then' twice, corresponding to the two occurrences of the /fā?/ in the verse. His translation is represented as follows:

Pickthall (794) :

"7. Who created thee, then fashioned, then proportioned thee?" where it is believed that the comma preceding the /fā?/ in the second conjoined element is sufficient.

Other translators such as Arberry, Y. Ali and Khatib have perhaps made a big mistake when they translated the /fā?/ into 'and', not 'then'.

However, wrong selection of coordinators will be discussed later, in dealing with the semantic evaluation of translating Coordination.

Deletion and Change in the Conjoined Structure :

Instance of deletion can be illustrated in the following verse :
Sura 102, Verses 3-7 :

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾
لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ . التكاثر

kallā sawf-a taɕlam-ūn-a θumma kallā sawf-a taɕlam-ūn-a kallā law taɕlam-ūn-a ɕilm-a-l-yaqīn-i la-taraw-n-ł-a-jaḥīm-a θumma la-tarawan-a-hā ɕayn-a-l-yaqīn-i/.

Notice the feature of repetition in the original verses above; the negative particle /kallā/ is repeated three times, the phrases /?al-yaqīn/ and /la-tarawn/ are repeated twice. Moreover, verse 4, is a repetition of verse 3, and is conjoined to it by means of/θumma/. At the same time, verse 7, repeates the meaning of verse 6, and is conjoined to it by θumma/. Such repetition of conjoined words, phrases or sentences is a common feature which exists not only in CA, but also in English.

Pickthall, for instance, has ignored the existence of /oumma/ which links verses 4 to 3 and 7 to 6. Pickthall's attitude is perhaps to avoid repetition or to give an exact copy of verses 3 and 6, without adding or dismissing any element even if it is a coordinator and already exists in the SL text. His translation of verses 3,4,6 & 7, is represented as follows

Arberry and Pickthall, on the other hand, have reduced the number of 'then' from four, as in case of Khatib's and Y. Ali's version, to three. This is because they translated the /fā?/, used in verses 19 and 21, into 'and'; not 'then'. Their versions are represented as follows:

Arberry (630):

Of a sperm-drop
He created him, and determined him,
then the way eased for him,
then makes him to die, and buries him,
then, when He wills, He raises him.

Pickthall (791):

19. From a drop of seed. He createth him and proportioneth him,
20. Then maketh the way easy for him,
21. Then causeth him to die, and burieth him,
22. Then, when He well, He bringeth him again to life.

Of course, the resort of the above translators to the excessive use of 'then' is an unattested attitude in English. It is believed that this excessive number should be reduced to three; provided that 'then' is used as equivalent to the /fā?/, whereas /θumma/ is replaced by either commas or by one of the sentence connectors, 'next' or 'afterwards', but not by the coordinator 'and'. The version to be suggested is, therefore, represented as follows:

Suggested Version:

From semen did he create him, then fashioned him in perfection. Next, he eases his way, causes him to die then buries him. Afterwards, when He pleases, He raises him to life."

The same attitude of using excessive number of 'then', can be illustrated in Sura 82, Verse 7:

﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾ سورة الانفطار

B.

/?al-laδi xalaq-a-ka fa sawwā-ka fa ʕadal-a-ka/

/min nuṭfa-tin xalaq-a-hu fa qaddar-a-hu Θumma-s-sabil-a yassar-a-hu Θumma ʔamat-a-hu fa ʔaqbar-a-hu thumma ʔiða shāʔ-a ʔanshar-a-hu/.

In rendering the above four verses, Khatib has repeated 'then' four times, as equivalent to the /fāʔ/, used in verse 19, and /Θumma/, used in the three verses, 20, 21 & 22.

Khatib (792):

> Of semen did He create him, then fashioned him in perfection. Then He eases his way. Then He causes him to die, and buries him. Then when He pleases, He raises him to life.

Notice that Khatib resorts to this excessive number of 'then' whenever he finds /fāʔ/ or/Θumma/ in the source text. However, there is only one instance, in verse 21, when he translates the /fāʔ/ into 'and', not 'then': "Then He causes him to die, and buries him."

This same number of 'then' occurs in Y. Ali's version which is represented as follows:

Y. Ali (1602):

19. From a sperm drop:
    He hath created him, and then
    Mouldeth him in due proportions;
20. Then doth He make
    His path smooth for him;
21. Then He causeth him to die,
    And putteth him in his Grave;
22. Then, when it is
    His will, he will
    Raise him up (again).

There is only one instance, in Sura 21, when Y. Ali, the same as Khatib, has rendered the /fāʔ/ as 'and'. Moreover, he inserts 'and' before 'then' in verse 19, an attitude which is syntactically unaceeptable. This is because, according to Huddleston (1988:201), "any one element can be coordinated by no more than one coordinator."

Difficulties in Translating coordination in Qur'anic verses

Part .V

By Dr. Maha Y. El Tagouri

After having reviewed some instances of syntactic mismatches of the (wāw) which mainly constitute aspects of repetitions, deletions and changes in the conjoined structure, the following article, will deal with similar aspects, but this time by means of the two coordinators /fā?/ and /Θumma/ in Arabic. The only possible equivalents of the coordinator /fā?/ in English is one of the two subordinators: 'then' if it implies succession of time or 'so' if it implies causation. The equivalent of /Θumma/, on the other had, is either the subordinator 'then', or one of the two sentence connectors: 'next' or 'afterwards'.

However, it is realized from the four translations under study that the conjunction 'then' is more commonly used than the other sentence connectors, and will thus be considered a coordinator, to be discussed in the following section.

Syntactic Mismatches with the /fā?/ and /Θumma/:
Repetition:

Repetition of coordinators in the four translations of the Qur'an is a feature which is frequently used with the /fā?/ and /Θumma/, the same as with the /wāw. Consider for instance the following examples:

Sura 80, Verses 19-22:

1.

﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة عبس

their hearts (so that) some ye slew, and some ye made prisoners."

(Al Aḥzab : 25-26)
(Yusuf Ali P. 1063-64)

As for the hypocrites, Allah Amighty says :

وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾

"And behold ! The Hypocrites and those in whose hearts is a disease (even) say : Allah and His Messenger promised nothing but delusions!"

(Al Aḥzab : 12)
(Yusuf Ali, P. 1059)

Regarding the Muslims, Allah Almighty says :

وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ سورة الأحزاب

"When the Believers saw the confederate forces they said : "This is what Allah and His Messenger had promised us, and Allah and His Messenger told us what was true. "And it only added to their faith and their Zeal in obedience."

(Al Aḥzab : 22)
(Yusuf Ali, P. 1063)

"Ye who believe! Remember the Grace of Allah, (Bestowed) on you, when there came down on you hosts (to overwhelm you). But we sent against them a hurricane and forces that ye saw not :
But Allah sees (clearly) all that ye do."

(Al Aḥzab : 9)
(Yusuf Ali P. 1058)

Moreover, Allah had, also instilled panic in the hearts of the idolaters and, in so doring, put in their minds the realisation that the Jews could turn against them and support the Muslims against them. For these reasons, the pagans decided to refreat at once to their own country after two-month siege.

After this battle (the Claus) the prophet (PBUH) became sure that the idolaters would not be able to launch another attack for some time after they had been deceived by rain glory and after they had retreated so desperately. For this reason, the prophet (PBUH) decided, as he told his companions, to attack the idolaters from now on and would not wait until they would take the initiative and attack the Muslims. In the meantime, the prophet (PBUH) made rapid preparations to punish the Jews of Bani Qureiza for their betrayal.

As a matter of fact, all that had been going on the battle field during the battle of the clans had been best illustrated in the Surah of 'Al Ahzab' in which Allah Almighty had given us a clear picture and a true image of the Jews' betrayal, the defeat of the unbelievers, the hypocrites defeatist and cowardly manner during the battle and finally the Muslims' courage, steadfastness and strong faith in Allah.

Allah Almighty says :

وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ
ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾

"And Allah turned back the unbelievers for (all) their furry : no advantage did they gain : and enough is Allah for the believers in their fight. And Allah is full of strength, Able to enforce His will.

And those of the people of the Book who aided them — Allah did take them down from their strongholds and cast terra into

take 70 of the leaders of Qureish and the Ghatafan as hostages in order to ensure that they were not going to desert them. The Jews considered that this suggestion was good and agreed among themselves to follow his advice.

After achieving success in his mission, Noaim did the same thing with the Qureish and the Ghatafan. He approached the Qureish and told their leaders that he had been informed that Bani Quraiza had regreted all that they had done against Muhammed and that they were afraid of being left alone on the battlefield by Qureish and thus, they intended to take hostages from the Qureish to ensure that they were not going to be deserted.

Noaim did the same thing with the Ghafatan. Meanwhile, Abu Sufian had sent a delegation to Bani Quraiza urging them to join the Qureish on the battlefield the next day. To his disappointment, the Jews of Bani Quraiza replied that they could not fight on the Sabbath and they also told the delegation that they would not fight until they had taken hostages from the Ghafatan to make sure that they would not betray team.

At this moment, the Ghatafan and the Qureish became convinced that Noaim had told them the truth and that his advice was correct. The consequences of such a trick was in favour of the Muslims because the unholys alliance between the Jews and between both the Ghatafan and the Qureish was completely disintegrated and fully undermined.

In the meantime to achieve full victory, Allah Almighty had sent a strong wind towards the encampment of the idolaters which drove a fire that destroyed their tents and panicked their horses. As Allah says :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا

vent the Muslims from defending Medina. In other words, Medina was critically exposed to complete defeat.

Despite all these dangers, the prophet (PBUH) had not weakened, but continued with the other Muslims to resist as strongly as possible. Being surrounded by considerable danger from every direction did not prevent the Muslims from remaining steadfast in their determination to achieve victory.

In order to overcome the perilous situation in Medina, the prophet (PBUH) had decided to create a situation which would upset the relationships between the enemy groups, so he went for the two commanders of the Ghatafan envoys to negotiate with them their withdrawal from the battle in return for one third of Medina's fruit production. The Ghatafan accepted the offered peace terms and signed a treaty with the Muslims.

During this critical situation a man, from the Ghatafan whose name was Noaim Bin Masoud, came to the prophet (PBUH) and told him that he wished to become a Muslim and that none of his people had known anything about his intensions. He also told the prophet (PBUH) that he was ready to under take any mission which would strengthen the Muslim's situation. In order to help the Muslims, Noaim Bin Masoud resorted to deception. He unhesitatingly approached the Jews of Bani Quraiza to warn them against the betrayal of the Jews of Bani Qayanqa'a and Al-Nadeer. In addition, he assured them that the Qureish and the Ghatafan were not so determined like them to continue their war against the Muslims for they had decided to retreat to their own country. Moreover, he reminded them that their situation was much more worse because they were Muhammad's neighbours and they had no other place to retreat to, they had not have the resources to fight alone against the Muslims. Thus, he adirsed them that before going into the battle they should

trench. At this moment a group of Muslims led by Aly Bin Abi Taleb advanced quickly and closed the crevice.

The Jews of Bani Al-nadeer, who stirred up the idolaters against the Muslims, knew that their vicious plotting had not brought them success because of the defensive strategy of the Muslims which had caused the idolaters to give up hope. Thus, fearing that the idolaters could give up in despair and retreat without attacking the Muslims, the leader of Bani Al-Nadeer went secretly to meet with his kinsflok of Bani Quraiza in an attempt to persuade them to renounce the peace treaty with the Muslims, and give support to the idolaters who wanted to storm Medina and destroy Islam. At the beginning the Jews of Bani Quraiza were considerably worried as to the consequence of their betrayal to the Muslims. But at last they agreed to betray the Muslims in favour of the idolaters.

Meanwhile, the hypocrites began to act in a defeatist and cowardly manner. They began to withdraw from their positions, having previously taken every opportunity to prevent and delay the Muslims in the completion of their military preparations. In addition, they had also expressed their interest in supporting the idolaters against the Muslims.

When the prophet (PBUH) came to know about the Jews betrayal, he sent two envoys Sa'd Bin Moaz and Sa'd Bin Obada to make sure of their betrayal. During their meeting with the prophet's envoys, the Jews formally renounced the peace treaty which had been made previously with the Muslims. When the two envoys assured the prophet (PBUH) of the Jews betrayal, he ordered both Maslama Bin Aslam and Zaid Bin Haritha to guard Medina itself with the assistant of 500 Muslim militants. Meanwhile, the situation was becoming more and more critical because not only were the idolaters, besieging Medina, supported by the Jews, but on the other hand, the hypocrites were still doing their best to pre-

psychological conditions which kept the Muslims continuously alarmed by the danger of suddenly becoming subject to a possible surprise attack before the task was fully completed.

After finishing the military preparations, the prophet (PBUH) ordered the Muslims to harvest all crops from outside Medina, in order to prevent the idolaters from finding feed for their horses and their camels. He also agreed with the Jews of Bani Quraiza to defend the southern part of Medina. The prophet (PBUH) made Zaid Bin Haritha responsible for carrying the flag of the Emigrants, and Sa'd Bin Obada was made responsible for carrying the flag of the Ansar. Meanwhile, the Muslim warriors took up positions behind the trench, and the Muslims were warned that they must keep careful watch.

The idolaters were completely surprised by the trench, which was a trick and a war novelty unknown to the Arabs. The idolaters made their camp opposite to the trench. It was no long before the idolaters realised that they were to confront a serious problem concering their food supplies because the Muslims had reaped the harvest before their arrival. Henceforth, the began to reassess the entire situation especially that they were fully aware of the impossibility of launching a surprise attack against the Muslims.

During the first few days both sides were occupied in exchanging volley of stones and arrows and in the meantime the idolaters were reconnoitering the trench trying to discover a slight narrowness at any part of it. Finally, Nawfal Bin Abdullah found a slight narrowness at one section of the trench and at once he attempted to jump across to the other side of it but he was immediately killed. Another group of the idolaters discovered a slightly narrower place, and some of them succeeded in jumping across to the other side of the

that they should dig a wide trench to prevent the idolaters from coming into Medina. To the prophet (PBUH) this idea was a war novelty but Salman told the prophet (PBUH) that this was not some thing new because when he was in Iran, they used to dig a trench whenever their enemy besieged them. The prophet (PBUH) accepted the suggestion, and so he rode accompanied by 3000 Muslims to the area where they had decided to dig the trench. The Muslims surveyed and reconnoitered the area and decided to dig the trench along the northern part of the city, because it was not protected by houses. From the first beginning, the prophet (PBUH) divided the digging equally among the Muslims; each one of them was required to dig 40 feet. The prophet (PBUH) himself, helped the Muslims to finish the work, carrying away the sand and stone on his back setting by this an example of the importance of cooperation among Muslims.

Before proceeding with the details of the battle, it is important to understand the significance of this extraordinary defensive feature. The trench was more than 6 kilometers in length, and 6 meters wide. It had been specially designed and dug to prevent horsemen of the idolaters from penetrating Medina, they know that even the best of horse jumps could not successfully accomplish this width. Moreover, the trench had been excavated to a depth of 3 meters, so that if the horses of the idolaters were to fall into it, they would not have the strength to struggle out of it and so would be trapped. The sand and the rocks excavated from the trench were used by the Muslims to build a barrier at the entrance to Medina, from behind which, they would themselves be protectd and could shoot at their enemy without themselves becoming exposed to them.

It is also interesting to record that the whole thing was completed in 20 days, and under very difficult conditions and considerable danger, because of the various obstacles to the digging, such as the hardness of the rocks, and also the



sold their religion to the idolaters in Mecca, in return for the suppression of Islam in Medina.

After the batitle of Uḥud, the idolaters kept dreaming of totally undermining Islam. The Jews made use of this dream and tried ever since to encourage the idolaters not to give up their dream and try hard to suppress this newly born religion which began to deeply impress humanity. Henceforth, a Jewish delegation, from Bani Al-Nadeer, visited Qureish in Mecca and met with their leaders. In fact, the Jews were seeking to establish an alliance with the pagans against the Muslims. The Jewish delegation began to incite the idolaters against the prophet (Peace Be Upon Him) and his followers. The pagan leaders of the Qureish were deceived by the Jewish delegation and accepted the alliance.

Then the Jewish delegation went on to visit the tribe of Ghatafan to incite them also against the prophet (PBUH) promising to give them their full support in addition to the proceeds from one year's crop from their palm trees, if Ghatafan would agree to fight against the prophet (PBUH).

As a matter of fact, the Jews succeeded in their evil mission for they were able to convince the Qureish to launch a war against the prophet (PBUH). Thus, the Qureish and their followers, and the Ghatafan and their followers, besides other tribes such as : the Morra, Fazara, Bani Saleem, Bani Assad, prepared themselves to fight against the Muslims. The army of the idolaters and the Jews together comprised approximately 12,000 men, and these were divided into three battalions under the overall leadership of Abu Suffian Ibn Harb. Once this army had completed its preparation, it moved towards Medina.

Hearing of this new campagin, the prophet (PBUH), as usual, hastened to discuss the situation with his followers. It was not long before one of the believers, who was from Iran and named Salman Al-Farisy, put forward the suggestion

The Great Battles of Islam

3. The Battle of the Clans

By : Nahed Mohamed Wasfi Ph.D.

It is a true saying that history repeats itself. In fact, if we look deeply into history we will find that what is taking place nowadays or in our present world is similar to what had been taking place centuries ago. In other words, if we trace the roots of the Zionist movement in our Modern age and examine its criminal plans against the Arabs in general and the Arabs of Palestine in particular, we will find that there is a great similarity between is taking place now and what had been taking place fourteen centuries ago.

We, the people of today, all know that during the First World War, the Zionist movement, in order to implement its criminal plans against the Arab Nation, had agreed to establish an alliance with the British expanionist colonialism in return for the 'Balfour Declaration". In a similar manner, during the Second World War, the Zionist movement established a strong alliance with the American expanionist colonialism, in exchange for the establisment of the Hebrew state in the very centre of the Arab Nations.

Fourteen centuries ago the same Jewish attitude and the same criminal plans had existed may be in different forms or in different manners. However, greed, cheating and envy which are the basic characteristics of the Jews have never changed throughout history. Forteen centuries ago, the Jews

AL-AZHAR MAGAZINE

Jumada Al-Ula 1416H.



ENGLISH SECTION

Vol. 86 Part V.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

**"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."**

(Al Aᶜraf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University,

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهـــرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي عامر عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل عامر خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير - الإدارة العامة للأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

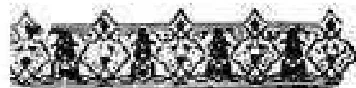
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين.

مجلة الأزهر وقراؤها

ليس يشك كل عامل بميدان الصحافة في « قيمة القراء » للصحيفة ، أو للمجلة ، بل قيمتهم في كل ما تصدرة دور النشر جميعاً ؛ فإليهم يوجه هذا النتاج الضخم الذى يمثل قيمة مالية تصل إلى « البلايين » من النقد العالمي ، ويعنى ذلك - بداهة - أنه لا يمكن أن تغفل صحيفة ، أو مجلة ، ومنها مجلة الأزهر - عن قرائها ، وما يهدفون إليه وينتظرونه من صحيفتهم أو مجلتهم .

فهذه حقيقة لا مكابرة فيها ولا عناد ، ويعتبر باب القراء - عادة - مقياساً ذا حساسية بالغة في بيان ، بل وتوريد ، هذه الرغبات إلى محررى المجلة :



وأذكر أن قارئا فاضلاً على ثقافة تخصصية عالية عاتبني عتاباً شديداً ، لأنني لم أنشر لسيادته خلاصة دقيقة كتبها ــ بأمانة ــ لِهَدْيَيْنِ « مقدمة قبل الهجرة » هجرة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ الصادرتين في شهري المحرم وصفر من عام (١٤١٥هـ) ومدح هذا العالم الجليل الجهد المبذول فيهما ، وما قدمتاه من معلومات ذات قيمة تاريخية كانت شبه مطمورة حتى أراد الله ــ عز وجل ــ فبرزت في هذين الكُتَيِّبَيْنِ . وكنت ــ فعلاً ــ أشرت على المحرر بعدم نشر هذه الخلاصة ، لأنني أوَّلاً ــ مؤلف الكتابين ، وسوف يكون ــ في نشرهما ــ ما يمكن تفسيره بأكثر من هدف ، وفيما بعد نبهني الدكتور محمد عبدالحكيم محرر باب بين المجلة والقارىء إلى هذا الخطأ بعبارة مهذبة تلفت النظر ــ نظري ــ إلى جهد هذا العالم الذي بذله قارئاً وكاتباً لتلك الخلاصة . وأذكر أنني بلغت الكاتب الفاضل بما كان عليه أمري ، وأرجو أن يكون قد صفح ؛ فقد كان له حق ، وكان لي وجهة نظر أخطأتُ حقَّهُ .!! ، وبعد :

فإن للقارىء « حقاً » لا محالة . ولكني أرجو ــ إلى جانب هذا الحق ــ أن يعلم القارىء أن للمجلة ــ أيضاً ــ « رسالة » ، رسالة محبوبة إليه ، عزيزة عليه ، ورسالة المجلة تمثل الأزهر جامعاً وجامعة، علماً ودعوة .

وجامعة الأزهر التي امتدت شرايينها في أكثر من بقعة داخل جمهورية مصر ، ثم اتجهت خارجها ، هذه الجامعة ينبغي أن ينعكس نشاط علومها المختلفة : كَوْنية وربانية ــ على صفحات مجلة الأزهر ، وتخطىء مجلة الأزهر إذا لم تفعل ذلك فيتسع صدر صفحاتها للطب والزراعة والهندسة وغيرها إلى جانب كلمة الله ــ تعالى ــ وما تستتبع من تفسير وحديث وفقه وأحوال المسلمين عامة .

وليس هذا المنهج ابنَ اليوم ـ بعد إنشاء جامعة الأزهر الحديثة ؛ بل هو منهجها منذ تولى تحريرها ـ لأول مرة ـ فضيلة الشيخ الخضر حسين ـ رحمه الله ـ الذى تولى مشيخة الأزهر فى الخمسينات ـ وقد حرص هذا الإمام الأكبر على وضع منهج المجلة فى أول عدد صدر منها ، وأعدت نشره فى أول عدد أسند إلىّ فيه رئاسة تحرير هذه المجلة ـ صفر ١٤٠٣ هـ ، وهو هو الذى عليه المجلة .

إلى هذا المنهج ألفت نظر قارىء عزيز ـ كما لفت نظرى محرر المجلة من قبل ـ إلى رسالة كتبها باسم مجموعة يريد إقصاء بعض موضوعات المجلة من « باب العلوم الكونية » لأنه رأى فيه ما لا يمت إلى الرسالة الدينية بصلة .

أقول : كيف هذا يا أخى ...؟ أئذا حَصَّلَ الإنسان معلومة علمية محضة لا يكون قد اكتسب معرفة دينية ...؟! وهل العلمُ إلا من عند الله ..؟ تعالى ـ سبحانه ـ وتَرَحَّمَ ..!

لا أشك أن كل حقيقة علمية تمثل ركناً دينياً هاماً يدل على الخالق العظيم ـ سبحانه ـ وكفى بالله عليماً ، أحاط بكل شىء علماً ، وقَسَّمَ حُظُوظَ خَلْقِهِ من هذا العِلْم ، وجعلهم فيه فرقاً ، وتفاوت العلمُ فى كل فرقة بين علمائها فإذا فوق كل ذى علم عليم .

والله ـ تعالى ـ الهادى إلى سواء السبيل . نسأله ـ تعالى ـ التوفيق والسداد .

د. على أحمد الخطيب

بيان للإمام الأكبر
فتوى

دور الاجتهاد فى الغرب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وبعد ..

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من مسلمة نرويجية اسمها « حفصة ليا لارشن » تدرس فى جامعة أسلو اعتنقت الإسلام منذ عشر سنوات ، وتدرس تاريخ الأديان ، وتحضر رسالة ماجستير تحت عنوان المسلمون النرويجيون الجدد إشراف الأستاذ محمد محشوق بن على ، فى جامعة ويلز ، ومن المواضيع التى ستتناولها فى رسالتها الانخراط فى الأمة الإسلامية ودور المسلمين الجدد فى فهم الإسلام وترجمته على الساحة الأوربية .

وانطلاقا من هذا فهى ستقوم :

أ ـ باستجواب بعض العلماء والقادة الإسلاميين المهتمين بنشر الإسلام فى الغرب .

ب ـ وأيضا باستجواب بعض المسلمين الجدد .

ج ـ وثالثا باستجواب مسلمين أصلا أصحاب اهتمام والتصاق بهذا الجانب .

وفى نهاية خطابها تقول فإننى أرجو أن أحصل منكم على أجوبة وآراء حول الأسئلة والمواضيع التالية : ـ

السؤال الأول :

ما دور الاجتهاد فى الغرب ـ إذا أخذنا بعين الاعتبار مكانة العرف واختلاف الظروف والأوضاع الحياتية فى الغرب عنها فى بلاد المسلمين ؟

والجواب

يمكن التعرف على الإجابة بما يأتى : ـ

الإسلام دين عالمى صالح لكل زمان ومكان ، وعالمية الإسلام ليست مقصورة على بلد بعينه ، أو قطر خاص ، أو قارة بذاتها ، بل تعاليمه عامة تسرى على أفراد كل مجتمع يؤمن بالإسلام دينا ، ويرضى بالقرآن دستورا ، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا ..

والاجتهاد هو بذل الفقيه جهده العقلى واستفراغ وسعه فى تحصيل واستنباط الأحكام العلمية من أدلتها التفصيلية .

ويشترط فى المجتهد البلوغ والعقل والإسلام .

ومن أراد الاجتهاد فعليه أن يحصل وسائله ويمتلك القدرة على فهم مصدرى الإسلام وهما : القرآن الكريم والسنة النبوية ، وألا يخرج باجتهاده

عن الأصول الثابتة فى دين الإسلام وذلك بمعرفة اللغة العربية معرفة تمكنه من الفهم الصحيح للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

وأن يكون على علم بالقرآن بأن يفهمه لغة وفقها ، وبمعرفة آيات الأحكام الشرعية العلمية ، وأن يكون على علم بالناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم .

وأن يعرف السنة النبوية الشريفة ، وطرق وصولها ورواياتها من تواتر أو شهرة أو آحاد وحال الرواة ؛ حتى يستطيع أن يميز بين الصحيح والفاسد والمقبول والمردود .

وأن يكون على علم بالوقائع المجمع على الحكم فيها والعلم كذلك بالمختلف عليه . وأن يكون على علم بأوجه القياس وطرائقه .

وأن يكون على معرفة بمقاصد الأحكام فى الشريعة الإسلامية التى تتمثل فى الرحمة بالعباد ، وأن يكون على علم بأصول الفقه مع صحة الفهم .

وإذا كان الاجتهاد فى فروع الإسلام ، وما لم يرد فيه نص من الكتاب والسنة مشروطا فيه التوافق مع القرآن والسنة والسير فى الحياة على نهجها ، فإن ذلك يعنى تطبيق الإسلام بأصوله وفروعه فى أى مجتمع إسلامى غربا أو شرقا فردا أو جماعة أو أسرة .

ويجب أن يعلم أن العرف والظروف والأوضاع الحياتية فى المجتمعات الإسلامية تخضع لتعاليم الإسلام ، وتتوائم معه دون إخضاع تعاليم الإسلام للعرف والظروف لبلد ما ، فمثلا حرم الإسلام أكل لحم الخنزير فهو محرم على أى مسلم فى أى مكان لا يحل لعرف أو لظروف حياتية معينة ، والله خلق من الحلال الطيب بدائل كثيرة .

وكذلك حكم الإسلام بأن جسم المرأة كله عورة يجب أن يستتر ما عدا الوجه والكفين ولا يحل غير ذلك لعرف أو عادة فى مجتمع ما .

وكذلك الحيوان مأكول اللحم لا يحل أكله إلا بعد ذبحه بإسالة الدم من عروقه (الودجان والمرىء والحلقوم) ولا يحل إماتة الحيوان المراد أكل لحمه بصعق بتيار كهربائى أو ما يماثله .

وكذلك لا تتم معاشرة الرجل للمرأة إلا بعد عقد زواج شرعى بإيجاب وقبول ومهر وشاهدين ، وأى معاشرة تتم بغير هذا الأسلوب فهى محرمة فى نظر الإسلام .

وقد يحكم العرف فى أمور المعاملات وألفاظ الأيمان ووسائل العدل وفى الكيل والميزان بشرط ألا يصادم نصا قطعيا فى القرآن أو السنة أو هما معا .

وفى الإسلام كثير من أصوله وقواعده وتعاليمه التى يجب على أتباعه أن يتمسكوا بها ، وعلى من أراد الاطلاع فعليه بما صنفه العلماء والفقهاء ، وسيجد يسر الإسلام وسماحته مع قواعده المنضبطة فى كل شىء .

السؤال الثانى :

ما معنى كلمة الأمة الإسلامية وما حدودها وكيف يصبح الإنسان عضوا جديدا فى هذه الأمة ؟ ما الشروط والواجبات ؟

والجـــواب

الأمة الإسلامية كلمة جامعة ، ومظلة تتسع لكل المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وتشمل الشعوب والدول الإسلامية ، التى تدين

بالإسلام ، كما تشمل الأقليات المسلمة في أي دولة من دول العالم .

والإنسان يصبح عضوا جديدا في الأمة الإسلامية بمجرد إعلان إسلامه وإشهاره وقبوله اعتناق الإسلام بأركانه الخمسة المبينة في حديث نبي الإسلام محمد بن عبدالله ﷺ :

« بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان »[1] .

ومن فعل هذا فقد أتى بواجبات الإسلام وشروطه التي من أهمها الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

السؤال الثالث :

في أي الطبقات تصنفون المسلمين الجدد ؟ أفي طبقة العوام أو طبقة العلماء أم طبقة خاصة ؟

والجــــواب

المسلمون الجدد بمجرد إسلامهم وإشهاره أصبحوا مسلمين لهم كل الحقوق وعليهم الواجبات الإسلامية ، ولا طبقية في الإسلام ، وأما من ناحية المعرفة وعدمها فهذا مبنى على مقومات ذاتية للمسلم الجديد فقد يكون دارسا متفهما قبل إسلامه فيكون متميزا بذلك بما فهم وعلم من الإسلام ، وإن كان قد أعلن إسلامه رغبة دون علم بالتفصيلات فهو من العوام المحتاجين إلى التعليم ، والتعريف بأصول الإسلام ومتطلباته .

السؤال الرابع :

ما أصداء اعتناق الأوربيين للإسلام وآثارها على الإسلام نفسه ؟

الجــــواب

الإسلام - كما سبق - دين عالمي ارتضاه الله دينا في ختام البشرية فلا دين بعده - ولا كتاب بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد ﷺ واعتناق الأوربيين له خير لهم في أنفسهم وقدوة حسنة ، وأسوة طيبة لغيرهم ، ويرجى على يديهم الخير لإخوانهم .

السؤال الخامس :

ما موقفكم من تجديد تفسير القرآن الكريم بالنسبة للقضايا التي تختلف حولها الآراء لاسيما التي لها علاقة بالمرأة ؟

الجــــواب

القرآن الكريم كلام الله المبين ، وقد فسره العلماء ، ولا يزالون يفسرونه حسب ما يجد من أحداث فهو صالح لكل الزمان ولجميع البيئات وتجديد تفسيره بالنسبة للقضايا المختلف عليها ولا سيما التي لها علاقة بالمرأة ، يصح ذلك حين يكون هذا التفسير متناسقا مع أصول الإسلام وما استقر عليه الأمر عند علماء الأمة الإسلامية ، وحينئذ يكون هذا التفسير جهدا مشكورا مادام لم يخرج عن مصدري الإسلام : (القـــرآن والسنة) .

وما يتصل بالمرأة أصبح واضحا في جميع الحالات ويرجع إلى ما كتب عن المرأة في كتب الفقه والتفسير وحقوق الإنسان في الإسلام .

السؤال السادس :

ماذا يعني دخول الإسلام - وكيف يتم ؟

---

(١) متفق عليه - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان : ج١ ص ٣ ط دار الحديث .



الجــواب

الدخول فى الإسلام إعلان اعتناقه وإشهاره بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والبراءة من كل دين يخالف دين الإسلام ، ويتم ذلك بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ، مع الالتزام بسائر الأوامر والنواهى والأخلاقيات والسلوكيات التى رغب فيها الإسلام .

السؤال السابع :

ما أولويات الدعوة الإسلامية هنا فى بلاد النرويج لا سيما بين الأوربيين ؟ فهناك مسألة الحجاب بين النساء وعادات موروثة كبعض الاحتفالات وغيرها .

الجــواب

أولويات الدعوة الإسلامية فى بلاد النرويج لا سيما بين الأوربيين هى التعريف بالإسلام ، ومبادئه وأركانه وآدابه وبيان ما اشتمل عليه من عبادات وأحكام تنظم حياة الناس ، وتربطهم بالله خالقهم ، والحلال والحرام .

ومسألة الحجاب للمرأة مسألة محسومة فى القرآن والسنة ، وعلى الوجه الذى بينه القرآن فى سورة النور[2] وسورة الأحزاب[3] وفى أحاديث رسول الله ﷺ[4] فى هذا الخصوص فجميع بدنها عورة يجب ستره ، ولا يحل كشف شىء سوى الوجه والكفين .

أما العادات الموروثة كبعض الاحتفالات فلا مانع منها فى حدود ما شرع الله بخلوها من المحرمات ، واختلاط الرجال بالنساء اختلاطا مخلا ، والإسلام لا يمنع أصل الاحتفالات لكنه يمنع منها ما كان خارجا على تعاليمه غير متفق مع آدابه .

والله سبحانه وتعالى أعلم ،،،

(٢) الآية رقم ٣١ من سورة النور .
(٣) الآية رقم ٥٩ من سورة الأحزاب .
(٤) راجع فى هذا تفسير الآية رقم ٣١ من سورة النور فى تفسير القرطبى « الجامع لأحكام القرآن » ج١٢ ص٢٢٦ ـ ٢٣٩ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب .

كلمة الإمام الأكبر فى الأمم المتحدة

بمناسبة مرور خمسين عاماً على إنشائها

السيد رئيس هيئة الأمم المتحدة
السيد سكرتير عام هيئة الأمم المتحدة
الأخوة والأخوات الكرام
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد ...

فبالنيابة عن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر أتشرف(*) بإلقاء كلمة فضيلته ؛ حيث لم يتمكن من الحضور بسبب ارتباطات عديدة كان عليه أن يوفى بها .

إننى انتهز هذه المناسبة التاريخية لأحيى هيئة الأمم المتحدة فى عيدها الخمسين والتى قد طال عمرها أكثر من سابقتها « عصبة الأمم المتحدة » ، هذا وإن الأمل كبير فى أن تأخذ الأمم المتحدة بهيئاتها المختلفة مبدأ « العدالة والعمل » ، لصالح الإنسانية جمعاء ، وذلك دون تقسيم لبنى الإنسان إلى عوالم مختلفة ومتضادة ـ فهنالك العالم الثالث والعالم الثانى ، إلى آخر التصنيفات التى برزت فى محيط الأمم المتحدة والذى يتنافى مع العلاقات الإنسانية السوية .

وإن على الأمم المتحدة أن تقود الشعوب الإنسانية جمعاء بهذا الوصف إلى التعاون على البر والتقوى ، ويتمثل هذا فى العمل الجاد من جانب الأغنياء والأقوياء على التواصل مع الآخرين من بنى الإنسان من الفقراء والمضطهدين ، سواء أكان هذا التعاون فى ميدان التعليم أو الصحة أو فى نشر العلوم والمعارف التى يرتقى بها الإنسان ، وذلك دون اغتيال لشخصيات الشعوب ، وعدوان على عقائدهم ، بل العمل على أن تتعايش كافة العقائد السياسية والدينية والاجتماعية فى سلام وأمن ومحبة ومودة .

والأمل معقود على السكرتير العام ـ الذى ينتسب إلى وطنه مصر وإلى الشرق ـ أن يسهم بجهده المعروف فى توازن سلوك الأمم المتحدة بكافة هيئاتها لنشر العدل والمساواة بين جميع الشعوب ،

(*) ألقى الكلمة نيابة عن فضيلة الإمام الأكبر : الأستاذ الدكتور محمد سالم عجوة ، مبعوث الأزهر الشريف إلى المركز الإسلامى فى نيويورك ، ومديره ، يوم السبت ٢٦ من جمادى الأولى ١٤١٦ هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٩٥ م .

وإن الأزهر ليحييه على جهده الفائق فى إدارة شئون الأمم المتحدة .

أيها الأخوة والأخوات - أود فى هذه المناسبة التاريخية الطيبة أن أشير بإيجاز إلى منهج الإسلام فى التعامل مع بنى الإنسان .

إن للإسلام مبادىء عامة تتمثل فيما يلى :

أولا : إن الإنسانية أصلها واحد ، فالله - سبحانه - يقول فى القرآن الكريم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات .

ثانيا : إن الإسلام ، وبالتبع المسلمين يؤمنون بكافة أنبياء الله ورسله ، وبما أوحى إليهم إجمالا ، ويقرر الإسلام : أن خاتم الرسل هو سيدنا محمد ﷺ وهذا ما جاء فى القرآن الكريم فى قول الله - سبحانه : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ البقرة

أما فيما يتعلق بحقوق الإنسان فقد قررها الإسلام فى القرآن الكريم ، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ فى سنته القولية والعملية - نرى ذلك واضحاً فى القرآن الكريم حيث يقول الله - سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ النساء / ١٣٥

ويقول - تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المائدة / ٨ .

ثم خطبة الرسول ﷺ فى حجة الوداع حيث جاء فيها :

(أيها الناس . إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم . ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى) .

ومن هذا يتضح أن الإسلام رفع الفروق بين بنى البشر ، سواء بسبب اللون ، أو اللغة ، أو الدين ، أو الفقر ، أو الغنى ، أو بسبب القبلية ، أو الأصول العرقية ، وإنما جعلهم سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح .

فالإسلام كما هو واضح من النصوص السابقة سوى بين الناس جميعاً ، ويدعو إلى التعايش السلمى بين الناس ، وليس من مبادىء الإسلام أو تعاليمه : الحروب الهجومية أو الاستعمارية ، أو بسبب القبلية والعرقية ، والحروب المشروعة فى الإسلام هى الحرب الدفاعية لمواجهة العدوان ، دليل ذلك ، قول الله - سبحانه وتعالى - فى القرآن الكريم : ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ الممتحنة / ٨

وقول الله - تعالى : ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ البقرة

ومن ناحية أخرى فإن المسلمين ، والإسلام دينهم ، يجابهون عدواناً ثقافياً يتجاهل حقيقة الإسلام ، وحقوق المسلمين فى إنسانيتهم ، وينسب إليهم ظلما ما ليس فيهم ، ولا فى الإسلام ، وإن

المسلمين يعرضون أنفسهم وإسلامهم للتفهم وإزالة ما قد يكون من لبس لدى الديانات الأخرى ، ولذا جاء النداء القرآنى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران

ثم إنه مع الاختلاف العقائدى بين الإسلام والديانات الأخرى القائمة فى العالم كله ، فقد أمر الإسلام المسلمين ببيان وجهة نظر الإسلام بالحسنى فيقول الله ــ سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ العنكبوت / ٤٦ .

وأما بالنسبة للأديان غير السماوية أو البشرية فالتعامل بين المسلمين وأصحابها تعامل إنسانى ، بوصف : أنهم أخوة فى الإنسانية دون حط من شأنهم .

فكل ما يجب على المسلمين تجاه إخوانهم من بنى البشر هو الدعوة العامة بالتى هى أحسن ، عملاً بقول الله ــ سبحانه وتعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ النحل / ١٢٥ .

وهذا هو واجب المسلمين نحو الإنسانية : أن توضيح صورة الإسلام من مصادره : القرآن الكريم وسنة رسول الله محمد ﷺ ، وأن الإسلام قد قرر حقوق الإنسان ووصّى بها قولاً وعملاً ؛ من قَبْل التنادى بها فى هذا العصر ، دون منهج عملى لإقرارها .

هذا : وقد بين الله فى القرآن السياسة العامة التى يجب أن تتبع فى هذا الشأن ، أى فى أمر العقائد فقال ــ تعالى ــ فى القرآن الكريم : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ البقرة / ٢٥٦ .

وقال ــ تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف / ١٠٨ .

وقال ــ تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ آخر الكافرون .

فليس من مبدأ الإسلام : الإكراه على أية عقيدة دينية ، أو سياسية ، أو اجتماعية ، أو اقتصادية ، وإنما الناس أحرار فيما يعتقدون ، فى شئونهم الدينية أو الدنيوية ، أى : سياسة الدين وسياسة الدنيا فى نطاق النظام العام .

وفى الختام :

أسأل الله ــ سبحانه ــ أن يوفق الناس جميعاً ، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ومواقعهم على أرض الله ، أن يكونوا إخواناً متحابين متعاونين على البر والتقوى .

ومرة أخرى يهنىء الأزهر الشريف : الأمم المتحدة بكافة هيئاتها ، وفى شخص سكرتيرها العام بهذه المناسبة ، ويدعوها إلى أن تقوم بمهامها بالعدل والإحسان تدفع الظلم ، وتساند المظلومين وتنشر المحبة والمودة بين الناس جميعاً شعوباً وحكومات .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

شيخ الأزهر الشريف

« جاد الحق على جاد الحق »

آراء ورؤى

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

إعداد الأستاذ/عبدالسلام إبراهيم ناصف

لفضيلة الإمام الأكبر رؤاه وآراؤه ، فقد لمس المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها اهتمامه بهم ، وذلك الاهتمام بارز جداً فى سفرياته إليهم مشرقاً ومغرباً وتيسيره الدراسة لأبنائهم بالأزهر ، وترحيبه باستفتائهم حين يطلبون فتواه فى مسائل تعرض لهم ، ومجلة الأزهر - بالذات - نشرت أكثر من فتوى من هذا القبيل .

وكلمة الإمام كلمة محسوبة لا يكتفى - فى أحيان كثيرة - بمجرد نسبتها إليه ، بل يطرحها للدراسة على لجان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف حيث يدلى علماء المجمع برأيهم فيها ، والمتابع لفتاويه وكتبه يرى ذلك مدوناً فى أكثر من بحث .

ونلاحظ أن الإمام الجليل يضرب بالغوغائية عرض الحائط ، صابراً على أذى من يخرج عن الواجب ، ثابتاً على ما ضاق به هذا الساخط متمسكا به مادام هو الحق الذى ظهر له ببرهان .

ولقد تتبعت شيئاً من كلماته وآرائه من بين الصحف ، فظفرت بما أضعه بين يدى القارىء :

فضيلته يرى أن قضايا العالم الإسلامى عديدة ومتنوعة ، كلها تدمى القلوب تمزقه ، وأول ما يدعو إليه فضيلته هو التماسك والتآخى والتآلف والتعاطف بين المسلمين ليكونوا كما وصفهم ربهم - عز وجل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١١٠] .

وكما وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

وعليهم أن يصونوا فيما بينهم حق الحوار وصولاً إلى حق الأخوة - فنحن جميعاً أبناء دين واحد يقول ربنا - عز وجل - ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ فى سورة الحجرات آية ١٠ .

فركائز البقاء تتمثل فى التصالح مع هذا الدين ، وفى الصدق مع الله ، والصدق مع النفس قدر الإمكان بتعلقنا بحبل الله المتين .. قال تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ سورة آل عمران - الآية ١٠٣ .

ولقد كرر الإمام القول بأن الهجرة درس فى الثبات والنصر ، ودرس فى الدعوة ، ومعلوم أن الهجرة النبوية كانت عملاً فى توطيد أركان الإسلام ثم انطلاقة شرقاً وغرباً مع حياطة تامة وتأمين شامل فى ممارسة أوامر الدين والبعد عن نواهيه . ومن هنا كانت وصيته للأقليات الإسلامية أن تصبر وتصمد وتجاهد وتثبت ، فالله من ورائهم ، ويدعو الله سبحانه وتعالى ـ لهم أن يُخذِّل عنهم ويمكِّن لهم فى الأرض .

فأما رسالة الأزهر فيراها بحمد الله تقوم على التعليم والدعوة كوسيلتين لنشر نور الإسلام ، فالأزهر جاد فى إيصال صوت الإسلام إلى كل بقاع العالم ـ كما يهيىء الأزهر للوافدين من شتى الديار التعليم والرعاية حتى يعودوا عاملين لنشر دين الله ، فلا يخلو بلد من مثل هؤلاء أو أولئك لنشر الدعوة الإسلامية ، وفضيلته يعتبر الكثرة من خريجى الجامعة الأزهرية مؤهلين تأهيلاً يمكنهم من نهل منابع الثقافة الأزهرية خلافاً لما كان سائداً قبل عشر سنوات حين كانت الجامعة تقبل فى رحابها غير المتخصصين من أبناء الأزهر ، مما أضعف المستوى لفترة انتهت والحمد لله .

ويؤكد فضيلته أن الأزهر قلب الإسلام ـ ديناً ودنيا ـ وأنه يرسم المنهج السليم الذى يوصل إلى الآخرة ، ويُعنى الأزهر باللغات ـ حالياً ـ من قبل الابتدائية لتخريج عالم أزهرى مجيد للغات الأجنبية ليتمكن من نشر الدعوة دون وسيط أو مترجم ، وهذه المدارس تعمل فى القاهرة والأسكندرية وطنطا والسويس وغيرها بصورة جادة بفضل مؤازرة أولياء الأمور ورعاية الأزهر .

أما عن التطوير فهو مواكبة المناهج لتطورات الحياة والعصر ، لتسير العلوم الشرعية مع العلوم العصرية فى خط مزدوج ، والأزهر مصر على الالتزام بها ، لتخريج جيل قادر على تحمل المسئولية .

أما عن التعليم الأزهرى الخاص فإن فضيلته يرحب بهذا النوع من التعليم شريطة أن يكون للأزهر دور إشراف على معاهده ، يطبق مناهجه ، ويستعين بمدرسيه أو بالمدرسين المؤهلين بجامعة الأزهر . وهناك بعض المعاهد الأزهرية الخاصة فى أسيوط تعمل بإدارة خاصة تحت إشراف الأزهر .

ويرى فضيلته أن للأزهر دوراً فى قضايا المجتمع ، وله صوت واضح فى كل قضية من قضاياه ومن فضل الله ـ تعالى ـ أن العالم المعاصر قد قفز بأصحابه إلى مرحلة ماوراء المادة وسوف لا يجد أمامه سوى الإسلام ملاذاً وحماية ويكون كالمسعف الثقافى ، وهو المصدر الوحيد لحقائق التوحيد الحق ، ورأيه واضح فى المطالبة الجادة بتطبيق الشريعة الإسلامية فى شرع الله ـ تعالى .

وكفى المسلمين ما عانوه من تجارب فى نظمهم الاقتصادية ، ولقد آن الأوان أن يصطلح العباد مع الله .

إن حرية التفكير ـ عند فضيلة الإمام ـ حق لكل مواطن ، لكنه حق مقيد بحدود ، لايجب الاعتداء أو التعدى عليها . والفكر مسار الإنسان ومحركه ؛ لذا وجب الالتزام بحدود كل حق ـ كما دعا الإسلام الحنيف ـ إلى مراعاة حق الجوار وعدم إيذاء الجار ولو من ريح المطبخ والذين لايحترمون العقائد الراسخة المنبثقة من ديننا الحنيف سوف يقابلون بالاشمئزاز والسخط ممن رسخت المبادىء الإسلامية فى أعماقهم ؛ إذ هم يصيبونهم فى أشرف ما يعتزون به .. وهو الدين ..

ولا يجب أن يلقى هؤلاء المنحرفون أى تشجيع أو إعانة على مايقترفون من إثم ، لأنهم سوف يصطدمون بالمتمسكين بدينهم ـ وهم على كثرة ـ والحمد لله ـ ولهم الغلبة ـ إن شاء الله .

وبشأن فتح باب الدراسات الإسلامية لخريجى الجامعات الراغبين فى الاستزادة من الثقافة الدينية يرى ـ فضيلته ـ أن استزادتهم ستعود عليهم وعلى الأزهر بالخير تعلماً وتعليماً .

وفى حديث لفضيلته عن المرأة قال : إن جامعة الأزهر قد فتحت الباب على مصراعيه للفتيات ؛ ليأخذن دورهن مع رجال الدعوة إلا أنهن لم يطرقن الباب ولم توافق إحداهن على مزاحمة زميلها فى هذا المجال ، وخير لها ألا ترغم على عمل لاتميل إليه .

وبشأن دور الأزهر فى تنظيم العمل الخيرى والإغاثة قرر فضيلته أن المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة كان نتاجاً لمؤتمر عقده الأزهر عام ١٩٨٨ بالقاهرة وحضره ممثلوا أكثر من ثلاثين هيئة حكومية أو أهلية وكانت مهمته عملية تنسيق بين الجهات المعنية بهذا الموضوع حتى لا يتركز العمل فى يد واحدة ... وإن كان ذلك يسير فى بطء إلا أن الإصرار مع الصبر قادر على الوصول بمشيئة الله حين تتحد الميول والاتجاهات فى هدف واحد ـ ندعو الله أن يوفقنا جميعاً إلى بلوغه .

أما عن الزكاة فإن فضيلة الإمام الأكبر لا يحبذ الالتزام فيها بقوانين وضعية كالضرائب ، وإنما يهيل أن يدفعها المسلم طواعية طاعة الله ـ تعالى ـ .

ولجان الزكاة فى كل مسجد وكل حى قادرة على القيام بهذا العمل النبيل خدمة للفقراء والمحتاجين ، فتجمع الزكاة تطوعاً من الأغنياء لتوزيعها على من يستحقها ـ من الفئات التى حددها القرآن الكريم ـ فى الحى أو المسجد وها هى بفضل الله قد آتت ثمارها .

فلربما تهرب الناس من دفعها كما يفعل الكثير فيما يعرف بالتهرب الضريبى وقد لا تكفى حصيلة الزكاة المفروضة بقوانين وضعية القيام بأعباء القائمين عليها ـ عمالة ومبانى وأثاث ومرتبات ونفقات ـ فالزكاة فرض متروك لعقيدة المسلم يحاسبه عليه ربه ، ويجزيه عنه ، ولعلنا فى هذا المجال لاننسى بعض دول المسلمين التى يموت سكانها جوعاً وفى أمس الحاجة إلى المساعدة والعون من إخوانهم المسلمين .

من هنا يدعو فضيلة الإمام الأكبر إلى تكاتف الجهود لإعانة المسجد على أداء رسالته من تربية ومن تنشئة ومن إعلام إذا يقول الشاعر :

متـى يبلـغ البنيـان يومـاً تمامـه إذا كنت تبنيـــــه وغيرك يهدم

فلتكف وسائل الإعلام عن كل ماتبثه وفيه إضرار بشبابنا وأن تكون برامجها مثمرة هادفة .

والمسجد اليوم يؤدى دوره بعد أن أطلقت حرية الدعوة فيه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن .

ويشارك فضيلة الإمام الأكبر فى عمليات الانتخاب الحر المباشر حيث يراها فضيلته شهادة لابد وأن تؤدى ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ــ لكنه لا يعطى صوته إلا لمن يستحق ومن يثق فى أنه يخدم الإسلام والمسلمين .

ويأمل فضيلته أن تتحرر القدس ثالث الحرمين ، ومنتهى رحلة الإسراء ومبتدأ رحلة المعراج ويأمل فى استعادتها من قبضة من لاذمة لهم ولا ملة ، والذين يحاورون ويجادلون محتمين بقوى البغى والعدوان ــ لكن وعد الله بإظهار الحق آت لا محالة ووعد رسول الله ﷺ بفتح القدس أرض المحشر والمنشر قادم لا محالة والله غالب على أمره وهو ولى التوفيق .

وعن العلمانيين يقول فضيلته : إن الأزهر بعيد عن أى معركة جانبية ، إذ هو لايهتم بالصغائر ، والأزهر يكشف أحكام الإسلام كشفاً علمياً دقيقاً لايبالى بمن آمن وبمن أعرض ، التزاماً بمبدأ الإسلام القويم (إنه ليس بعد الحق إلا الضلال) ومن الحق أن يقول العلماء كلمتهم وأن يبينوها للناس قولاً وعملاً بلا إفراط أو تفريط عن علم وعن بينة وعن دراسة وتمحيص ، إحياء لأحكام الله وفق الكتاب الكريم وسنة رسول الله ﷺ .

والعلمانيون على وجه الخصوص يحاولون طمس معالم الدين منتهزين فرصة انشغال الناس بالدنيا وغفلتهم عن دينهم الحنيف بغية صرفهم عنه .

ونسأل الله أن يوفق فضيلة الإمام الأكبر للتصدى لمثل هؤلاء العلمانيين ومن على شاكلتهم لرفعة شأن الإسلام .

﴿ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾



حوار مع الإمام الأكبر

بشأن قضية الأسرى المصريين

أجرى الحوار الأستاذ / سناء السعيد

يتحدث فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جادالحق على جادالحق شيخ الأزهر عن ملف إسرائيل الأسود فى قتل الأسرى المصريين فى عدوان سنة ١٩٥٦ ، وحرب ٦٧ ، وهى الجريمة التى نفذت تحت سمع وبصر جنرالات إسرائيل ومن بينهم (إسحق رابين) و(بنيامين اليعازر) . وإسرائيل هى التى كشفت عن الجريمة لتتردد عبر وسائل إعلامها قبل أن تتناولها الصحف المصرية بالتعليق والنقد .

ويقول فضيلته : إن ما قامت به إسرائيل ضد أسرانا خيانة للإنسانية تدل على أنهم ليسوا من بنى البشر . ويصف ما قامت به إسرائيل على أنه (قتل عمد) يستحق القصاص بيد أنه يطالب أولا بأن تعد للقضية أوراقها لتأخذ دورها الحاسم والحازم والسريع ؛ لنقف على العناصر الضرورية فى اقتضاء حقوق أسرانا .

● ● **رغم أن إسرائيل هى التى أثارت موضوع قتل الأسرى المصريين على يد جنرالاتها ، فقد عادت لتحاول طمس القضية أمام العدالة تقول : إن عملية السلام يجب ألا تعكرها ؟**

– شيخ الأزهر : هذا دأب اليهود دائما لا عهد لهم ولا وفاء . وهؤلاء الذين يظاهرونها وسعوا إلى إنشائها دائبون على أن تؤدى دورها فى المنطقة ، وبكل أسى وأسف ، فإن آثارها واقعة على الأمة العربية خاصة ، والإسلامية عامة . فوجودها ثم دورها فى المنطقة يؤثران تأثيرا سيئا على الأمة العربية والإسلامية ، فى حين أن العرب والمسلمين

يهادونها ويحاولون أن تكون جارا يعرف حق الجوار بينهم ـ ولكنها لم تأخذ هذا الطريق إلى الآن وما أظنها ستفعل لأن بيدها قوة ولها مظاهرون ويمدونها بما تشاء ، بل يهبون لها ما لم تطلبه .

● ● هل السلام يفرض علينا أن نقبل اسرائيل بنزواتها ومساوئها ونغمض أعيننا عن جرائمها ؟

ـ **شيخ الأزهر** : لا نريد أن نتجاوز الواقع إلى نظريات ، وإسرائيل واقع ، ولابد أن نعايش هذا الواقع ، ولكن باحترام لأنفسنا ولقدرنا ولتاريخنا ولأمتنا ـ وهذا ما ينبغي أن نحرص عليه ، وألا يجرفنا احترامنا للواقع لأن نذوب وننتهي ونتنازل عن حقوقنا وكرامتنا بوصفنا أمة تمثل خمس العالم على الأقل ، وبوصفنا ذوى تاريخ عريق ، وذوى جذور في هذه المنطقة ولسنا وافدين أو محتلين لأرض الغير .

قتـــل الأســـرى جريمة قتل عمد

● ● قتل مئات الأسرى المصريين على يد إسرائيل يعد جريمة بكل المعايير وفقا لمعاهدة جنيف الثالثة سنة ١٩٤٩ ، ولكن كيف يمكن أن نسترد حقنا ؟

ـ **شيخ الأزهر** : هذا الخبر جديد في الظاهر على مصر والأمة العربية والإسلامية وهو أمر خطير يمسها . ولكن الإعداد لهذه القضية ومعرفة وقائعها أمر ينبغي أن يتقدم كل شيء ، فلابد أن تكون أوراق القضية أمامنا ، ولابد أن نستخرج سجلات مفقودينا ومن قتل منهم ومن أسر حتى نستبين كم من أسرانا قتل غيلة على يد إسرائيل . هذا أمر ينبغي استيفاؤه كي نطمئن على أبنائنا . أما تقدير هذا الجرم الإنساني فيدل على أن هؤلاء الإسرائيليين ليسوا من بنى البشر ولا يعرفون الإنسانية ذلك أن الأسير مأمون مضمونة حياته لدى من أسره فهو امانة لديه .

ولقد كان لدى مصر أسرى عاملناهم بالحسنى وهذا هو تاريخ المسلمين والإسلام ـ فالإسلام يرعى آداب الحرب ، بل هو الذى أسس وأصّل آداب الحرب ، فلا قتل لأمرأة ولا تخريب لعامر ولا حرق لزرع . أما ما قامت به إسرائيل إزاء أسرانا ، فلا أظن أن له مثيلا في التاريخ . فلم يحدث أن فعل أحد مثل هذه الفعلة ، وينبغي أن نعد للقضية أوراقها ، وأن تأخذ دورها الحاسم الحازم السريع حتى نقف على العناصر الأساسية في اقتضاء حقوق هؤلاء .

● ● أليس غريبا أن ترفض إسرائيل إطلاق سراح المعتقلين الفلسطينيين بدعوى أن يدهم ملوثة بالدم اليهودى ، بينما تريق هى دم الآخرين بهذه الوحشية ؟

ـ **شيخ الأزهر** : هذا شأن الطغاة الذين غرتهم أمانيهم في الحياة كما غرتهم قوتهم ، وتأييد بعض الكبار في العالم لهم ، ولو أن هناك تعاونا إنسانيا لكان الموقف غير ذلك في كثير من القضايا الواقعة في العالم .

موقـف أمريـكا

● ● ألا يبدو مستغربا اختفاء ردود الفعل

إزاء هذه الجريمة ، وأذكر تحديدا ، أمريكا ، التى تسارع دائما بالتنديد بأى موقف تجاه إسرائيل . لماذا لم تحرك أمريكا ساكنا ؟

ـ شيخ الأزهر : أعتقد أن الموقف الأمريكى هو موقف طبيعى بالنسبة لموقفها من إسرائيل ، فهى لا تريد أن تشارك فى التظاهر ضدها حتى ولو بالكلمة . ولهذا يجب أن يكون الأمر بيدنا نحن وليس بيد أحد .

● ● لم يصدر رد فعل أيضاً من الغرب الذى يتحدث دوما عن مراعاة حقوق الإنسان ، ويتهم المسلمين بالتطرف ؟

ـ شيخ الأزهر : هذه النغمة مقصود بها دائما : التشهير وشغل الرأى العام بضجيج يسىء إلى المسلمين وينسب إليهم كل سيئات العالم ـ ولكن عندما تكون الكرة فى ساحتهم ؛ أى ساحة الغرب ، يغمضون العين وكأنهم لا يرون شيئا ، وهذا يوجب علينا أن تكون قضايانا بأيدينا ، ندرسها ونحاسب عليها .

● ● غابت ردود الفعل عن العالم العربى والإسلامى أيضاً ؟

ـ شيخ الأزهر : هكذا نحن أمة واحدة فى هذا الموقف بكل أسف . وأنى أتساءل أين إعلام مصر ؟ لم يشغل نفسه ببحثها ولم يستظهر وقائعها وكيفية حدوثها . والمطلوب من الصحافة الآن محاولة استظهار العناصر الخاصة بالموضوع لعرضها على الرأى العام فى مصر والعالمين العربى والإسلامى .

المسلمون العرب

● ● أين منظمة المؤتمر الإسلامى ؟

ـ شيخ الأزهر : المسلمون عامة ، والعرب خاصة ، لم أسمع منهم أية كلمة فى هذا الصدد . ينبغى أن يأخذ الإعلام دوره فى دراسة هذه القضية ، ويبحث كيفية استرداد حق هؤلاء الأسرى الذين قتلوا غيلة .

دور الأزهر الشريف

● ● ماذا عن الأزهر الشريف ؟

ـ شيخ الأزهر : دأب الأزهر على أن يبدى رأيه فى أمر واضح أمامه ؛ حتى الآن ليس أمامنا تقارير تفيد بما تم تحديدا ؛ سوى ما استمعنا إليه ، وليس لدينا عناصر الموضوع . ولكن هذا لا يمنع من أننا ندين هذه الجريمة إدانة شاملة ؛ حتى ولو أدت إلى قتل فرد واحد . ما قامت به اسرائيل هو خيانة للإنسانية . ما علينا من المعاهدات ؛ فالمعاهدات حبر على ورق بين الأقوياء ، ولكنها الإنسانية وحقوق الجوار . وهذا أمر ينبغى أن يدرس وأن تستوفى القضية دراسة وأوراقا .

سقوط القضايا

● ● المستشار القانونى للحكومة الإسرائيلية أصدر فتوى تقول بأن قانون بلاده ينص على سقوط القضايا بالتقادم بعد عشرين سنة !

- شيخ الأزهر : هذا قانونه وحده وهو واضعه ، أما قانون الآخرين فقائم ولابد أن يطبق وينفذ ويحاكم من ارتكبوا هذا الجرم كمجرمي حرب .

● ● **وزير العدل الإسرائيلى دعا إلى تعديل القانون الإسرائيلى ، سقوط القضايا بالتقادم ، ولكن على أساس ألا يطبق بأثر رجعى !**

- شيخ الأزهر : أعتقد أنه ليس هو الذى سيحاكم وإنما سيحاكمهم الآخرون وفق قانون آخر وإجراءات أخرى .

● ● **إسرائيل حصلت على تعويضات من ألمانيا بلغت حوالى ٣٨ مليارا ، فهل يمكن أن نطالب بتعويضات ، أم أن هذا لا يفى من وجهة نظر الشرع ؟**

- شيخ الأزهر : ما حدث للأسرى المصريين قتل عمد ، وينبغى أن يكون القصاص هو القضية العامة ، فإذا لم يعرف القتلة على وجه التحديد ؛ فهناك التعويض الذى لابد منه ، ولكنى اعتقد أن الحديث فى تفاصيله غير وارد الآن باعتبار أنه لم تنشر أية وقائع محددة لعدد الأسرى والإجراءات التى اتخذت لقتلهم ، ومعرفة مكانهم ، حتى يستدل عليهم وتنقل رفاتهم إلى ذويهم . وهذه هى الخطوة الأولى التى يجب أن تنفذ فورا ، وتتم متابعة هذا الموضوع والحصول على حقوق هؤلاء الشهداء بأى وجه من الوجوه .

● ● **الجناة اعترفوا وكتبوا التقارير التى تكشف عن جرائمهم !**

- شيخ الأزهر : لابد أن يحاكموا كمجرمى حرب ، يجب أن يحاكموا محاكمة شخصية فوق محاكمة الدولة التى تسترت عليهم .

● ● **هل تطالبون بمحاكمتهم فى إسرائيل أم دوليا ؟**

- شيخ الأزهر : هذا أمر يجب أن يدرس قانونيا .

شيخ الأزهر ينفى مزاعم إسرائيل

نشرت « الوفد » هذا الحديث مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى الثانى عشر من أكتوبر ٩٥ أجرته سناء السعيد" ولقد لجأت إسرائيل إلى اقتباسها لعبارة من الحديث على طريقة « لاتقربوا الصلاة » ، حيث أشارت إلى قول فضيلته : « إسرائيل واقع ولابد أن نعايش هذا الواقع » . مجرداً عن السياق الوارد به بصورة أخلت بالمعنى الذى أراده فضيلته وحملت بعض الصحف إلى القول بأن فضيلته يدعو إلى التطبيع مع إسرائيل وهو مالم يحدث أبداًونوعليه أسو ق هنا ثانية السؤال الذى أوردته فى حديثى وجواب فضيلته وذلك لتبديد الالتباس .

● هل السلام يفرض علينا أن نقبل إسرائيل بنزواتها ومساوئها ونغمض أعيننا عن جرائمها ؟

- لانريد أن نتجاوز الواقع إلى نظريات . وإسرائيل واقع ولابد أن نعايش هذا الواقع ولكن باحترام لأنفسنا ولقدرنا ولتاريخنا ولأمتنا .

وهذا ما ينبغى أن نحرص عليه وألا يجرفنا احترامنا للواقع لأن نذوب ونتنحى ونتنازل عن حقوقنا وكرامتنا بوصفنا أمة تمثل خمس العالم على الأقل وبوصفنا ذوى تاريخ عريق وجذور فى هذه المنطقةولسنا وافدين أو محتلين لأرض الغير .

بيان

من الأزهر الشريف - فى شأن القدس

إن القدس تلك المدينة التى باركها الله وماحولها ، حيث كانت موئل الكثير من أنبياء الله ثم أخيرا كانت غاية إسراء النبى محمد ﷺ من مكة المكرمة فى الحجاز من شبه الجزيرة العربية . حيث كان مولده ومقر بعثته ورسالته إلى الناس جميعاً ، وكانت القدس موطىء قدمه فى معراجه ﷺ بدعوة من ربه ليريه من آيات ربه الكبرى .

وفيها المسجد الأقصى الذى صلى فيه ليلة إسرائه ومعراجه إماماً بالأنبياء عليهم جميعا الصلاة والسلام ، وهو بهذا من المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال للصلاة ، حيث ضاعف الله أجر الصلاة فيها ، فهو ثالث الحرمين بعد مكة والمدينة .

ولهذا فللقدس ، والمقدسات فيها ، منزلة عظمى لدى المسلمين جميعا ، تهفو نفوسهم إلى تحريرها ممن تسلطوا عليها غدرا وغيلة ، فقتلوا الأنفس واستلبوا الأموال والأرض والعرض ، وبغوا وأكثروا فيها الفساد ودنسوا حرمها المبارك الشريف بآثامهم وآثارهم واخترقوا أرض المسجد وحَرَمَه وهم مصرون على تخريبه وإزالته .

وقد تعاقب عدوان الإسرائيليين على القدس منذ أن كانت لهم شوكة ، وامتشقوا السلاح دعما لوجودهم على أرض فلسطين وظاهرهم على هذا تدخل الجيوش التى احتلت أرض العرب جميعا بعد الحرب العالمية الأولى فى هذه القرن العشرين ، ومايزالون مُصرين على عدوانهم وعدوانهم للعرب والمسلمين مجاهرين بها ، بالرغم من مساعى السلام التى تجرى منذ كانت حرب رمضان ١٣٩٣ هـ أكتوبر ١٩٧٣م .

وبالرغم من قرارات منظمة الأمم المتحدة التى آزرت - نظريا - حق العرب والمسلمين فى أرضهم فلسطين وفى القدس بوجه خاص بحدودها ومقدساتها قبل العدوان عليها .

ومازالت مساعى السلام تترنح وتصطدم بعراقيل تقيمها إسرائيل ومايزال الوسطاء يأملون أن يتم هذا السلام بين إسرائيل وجيرانها حتى تُصبح جاراً يعرف حقوق الجوار ويعيش الجميع فى سلام نافع للإنسانية بوجه عام .

وفى فترة الترقب والمتابعة لإنجاح عملية السلام يتدخل فجأة الكونجرس الأمريكى بقراره بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس .

يحدث هذا مع أن أمريكا تزعم أنها صديقة كل العرب ، وهى أصدق فى صداقتها بإسرائيل وبمبادرة منها تؤيدها وتدفعها لمزيد من العدوان على العرب وحقوقهم وتناصرها بهذا فى وضع العراقيل نحو إتمام عملية السلام التى تتظاهر بدعمها ، لكنه دعم غير عادل ، إنه دعم للمعتدى الظالم واستهانة

وهدم لقرارات منظمة الأمم المتحدة التى ضمنت استمرار الوضع فى القدس على ماكان عليه قبل عدوان ١٩٦٧ م .

فهل تخلت أمريكا بهذا عن دعم عملية السلام ؟ وهل أقبلت أمريكا بقوتها وقدرتها فى العالم على الاستهانة بقرارات المنظمة الدولية التى تقيم على أرضها ؟

ألا ترى أمريكا والكونجرس خاصة أن قراره هذا يوهن من هيبة أمريكا فى العالم كله ؟.

أليس هذا القرار دعوة مباشرة إلى دول أخرى إلى الاقتداء بها فى نقل سفاراتها إلى القدس وبذلك يكون اعترافا ظالما متعسفا تحمل وزره أمريكا ؟.

إننا ـ نحن المسلمين ـ نؤمن بقول الله سبحانه فى القرآن الكريم :

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ آل عمران ـ ١٤٠

إن العرب والمسلمين قد تواصلت صداقتهم بأمريكا وبالغرب عموما نحو ثلاثة أرباع هذا القرن العشرين ، وهم ـ أى العرب والمسلمون ـ على مستوى مسئوليتها فى هذه القيادة تعدل ولاتظلم ولاتحيد عن الحق .

إن القدس وحقوق الفلسطينيين ليست بضاعة مزجاة وقضية تحتمل الكسب والخسارة .

إنها قضية الأمة التى يبلغ تعدادها خمس سكان العالم والتى تملك تحت يدها ثروات تهم الإنسانية فى علومها ومعايشها واحتياجاتها ، فهى قوة مؤثرة عسكريا واقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا .

هذه الأمة لاتتوانى عن أن تجمع كلمتها وتَصُفَّ أقدامها فى كل هذه الميادين ، كما تصطف فى صلواتها خمس مرات فى اليوم ، لتدافع عن نفسها ، وهى فى وقفتها ضد قرار وسياسة أمريكا نحو القدس ونحو فلسطين لاتطلب حق أحد ، ولاتتعدى على غيرها .

وهاهى هذه الأمة ـ بقدراتها ـ هذه ـ تدعو الكونجرس الأمريكى أن يكون مع الشعب الأمريكى الذى تحمل مسئولية دفع العدوان فى حربين عالميتين فى هذا القرن ، ومافعل ذلك ليكون معتديا ولا ظالما .

ألم يكن الأولى أن يُستفتى الشعب الأمريكى قبل أن يُصدر الكونجرس قراره بتأييد إسرائيل فى تأكيد احتلالها للقدس واغتصاب الأرض والعرض من أهلها ، وإحاطتها بالمستوطنات والمعسكرات التى هددت أمنهم ومقدساتهم .

إن الأزهر الشريف ,قد فوجىء بهذا القرار الظالم الذى لم يكن منتظرا من ـ الصديقة ـ أمريكا التى تسعى وربما تشقى فى عملية السلام .

هذا القرار الذى استظهر أن دعاة السلام صاروا دعاة للغدر والاغتيال للأرض والعرض وللمقدسات لايرعون حقا للغير ، ولايدعون إلى خير وإنما يسعون فى الأرض فسادا ، بعداوتهم ، وبما أتيح لهم من أموال وتقنيات ، والله من ورائهم محيط ـ وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

ثم أنتم يا أصحاب القضية ـ قضية القدس ،

هل أذهلتكم مفاجأة الكونجرس ، وأسكتت الألسنة التى لاتترك قولا أو فعلا فيما بيننا إلا عقّبت وأطلقت الألسنة الحداد بالزور والبهتان ، تثير الفتن ولاتثير طريقا ولاتدفع غيبة ، ولاتترافع فى ملمة بالأمة .

لعلكم قد صَمَتُّمْ ـ تفكيرا وتقديرا ـ إن كان ذلك فأين منظمة المؤتمر الإسلامى بقمتها ووزرائها وأمينها العام ، وأين جامعة الدول العربية بقمتها وهيئاتها المتعددة .

ألم يقل الله ـ جل جلاله ـ فى القرآن الكريم : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ الشورى ـ ٣٨

أليس من أمور الإسلام وقواعده الاهتمام بأمور المسلمين .

هل غاب عنكم قول الله سبحانه : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ . البقرة ـ ٢٥١

وقول الله سبحانه : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ سورة الحج

إذا كان قد غاب عنا ـ نحن أمة المسلمين ـ بكافة شعوبها وألوانها ولغاتها ومواقعها على أرض الله فها هو كتاب الله بأيدينا يتلو الأزهر عليكم منه هذا الهُدَى ، فكونوا على قدر المسئولية ، واخرجوا عن هذا الصمت الذى قد يُفسَّر بالرضا عما يحدث من قول أو فعل موجه إليكم يمس أرضكم وعرضكم ومقدساتكم .

فليقل مؤذنوكم فى كل مساجد الله ـ حَيَّ على صلاة ـ ولتقبلوا للتشاور فى هذه القضية التى قد تكون هى القاضية على وجود القدس فى يد الأمة التى ائتمنها الله عليها صلة بين الأرض والسماء كما كانت ، يذكر فيها اسم الله ويتلى قرآنه ويظل النداء : الله أكبر ـ عاليا صادراً من مسجدها الأقصى مجاوباً لحرم الله فى مكة وحرم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المدينة .

أيها المسلمون بأهل هذا الشرق من أقصاه فى مطلع الشمس إلى أقصى المغرب كونوا على قدر المسئولية فى هذه القضية ، ولاترهبكم قوة ، فما دعاكم الأزهر فى هذا الوقت إلى امتشاق سلاح وإنما يدعوكم إلى أن تدفعوا عن قضاياكم المصيرية بكلمة واحدة تقولونها وتسمعونها للآخرين فى مواقعهم ، ليعلموا أن لكم وجودا حاضرا وأنكم لاترهبون المواجهة دفاعا ونصرة لأجيالكم التى يُغتال مستقبلها وأنتم تبصرون .

أجمعوا مؤسساتكم فى أوطانكم واصطفوا من يدرس ويحاجج عن قضاياكم فى كل الأماكن والمواقع التى هيأتها المنظمات المحلية والدولية ، ولن تفقدوا من يظاهركم فى الدفاع عن حقكم ووقف العدوان على أرضكم وقُدسكم وعرضكم .

إن الأزهر الشريف ـ وقد تداول مجلس مجمع البحوث الإسلامية فيه ـ فى هذه القضية ، قضية القرار الصادر من الكونجرس الأمريكى لاغتصاب القدس وتأكيد احتلالها من إسرائيل بينما مساعى الصلح تشغل حيزا كبيرا فى هذا الوقت وتجرى الوفود هنا وهناك ويشارك الرؤساء ومنظمات دولية

أحرى لإنجاح هذه المساعى ، يأتى هذا القرار من الكونجرس ، نقمة على السلم العام فى المنطقة وتحريكا لما استكن واستتر فى النفوس من كره للظلم وللظالمين ومن نقمة توشك أن تفسد كل تلك المساعى .

إن الصداقة الأمريكية واجبها أن تحمل المسئولية نحو هذا القرار الذى سيهدم به كل سلام قام أو سيقوم ، وإن الرياسة الأمريكية ، عليها أن تواجه هذا بما فى يدها من سلطات إذا كانت حقا تسعى لإقرار السلم والسلام ، فى هذه المنطقة الهامة من العالم ، التى تتواكب فيها المصالح الأمريكية مع المصالح المحلية للأمة الإسلامية بكافة شعوبها .

وإن الأزهر الشريف بهذا البيان يدعو كافة المنظمات الدولية أن تأخذ دورها فى إقرار السلم العام فى العالم وأن تقف فى وجه هذه المعوقات ، ومنها هذا القرار الذى صدر فى وقت يُتطلع فيه إلى السلام .

إن الأزهر الشريف يثق فى أن شعوب الأرض كافة تؤمن بالسلام وبضرورة توفر الأمن لكل الناس وأن عليها أن تحث الرؤساء والحكومات والبرلمانات لتأخذ دورها نحو الوقوف ضد قرار نقل السفارات إلى القدس وترك هذه القضية إلى موقعها ووقتها فى محادثات السلام الجارية .

وبكل التقدير والاحترام يدعو الأزهر الشريف كافة الهيئات فى العالم الإسلامى لتقف وقفة شجاعة تتناسب مع قدر هذه القضية وخطورتها على مستقبل الأمة الإسلامية وأجيالها .

ويدعو الأزهر الشريف أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملوك والرؤساء والأمراء والحكومات أن تتشاور وتتآزر وتخرج عن الصمت وتطلع شعوبها على المخاطر التى تتعرض لها فى هذا العصر .

ويدعو الأزهر الشريف إلى نبذ الخلافات فإن القضية الماثلة أخطر من أى خلاف قائم .

وسيسجل التاريخ وقفتكم هذه الناضجة المدافعة التى تذود عن الأمة الشرور وتكافح الغرور من الذين قد بدت البغضاء من أفواههم ، وتلبست بها أعمالهم .

أعيدوا للأمة وَصْفَها فى الإسلام أنها كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وهى كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى « وائتمروا بينكم بمعروف » ، فقد حذرنا الله فى القرآن من النزاع والشقاق ، وأمرنا بالاعتصام بحبل الله وهيأ لنا عناصر وحدة الكلمة والصف والتعاون على البر والتقوى .

فأجمعوا أمركم وشركاءكم ومناصريكم من صداقاتكم فى العالم ولايكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى حججكم فأقيموها وأعلنوها وادفعوا بعزم وحزم عن قُدسكم فهى عرضكم وثقوا بوعد الله فى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ (سورة محمد)

شيخ الأزهر الشريف
جاد الحق على جاد الحق

سورة يس



أ. د / ابراهيم خميس

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ (٨) وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢) ﴾ .

بينت الآيات السابقة أن القرآن معجزة محمد ﷺ الخالدة ، وأنه رسول من عند الله ، وأن منهجه مستقيم لا عوج فيه ، وأن منزله هو الله العزيز الرحيم ، وأن الغرض من إنزال القرآن إعلام قوم لم ينذر آباؤهم .

ثم بين فى هذه الآيات من وقف من القرآن موقف المعاندة والمكابرة ، وأن جزاءهم على ذلك ثابت وواجب ، فالآيات تكشف عن مصير هؤلاء الغافلين ، وعما نزل بهم من قدر الله ، وفق ما علم الله من قلوبهم ، ومن أمرهم ما كان منه ، وما سوف يكون .

وقال الفخر الرازى فى بيان المناسبة : لما بين - سبحانه - أن الإرسال أو الإنزال للإنذار ، أشار إلى أن النبى ﷺ ليس عليه الهداية المستلزمة للاهتداء ، وإنما عليه الإنذار ، وقد لا يؤمن من المنذرين كثير ، يخبر الله عن المصرين على الكفر ، الذين اختاروا الضلال على الهدى بأنه قد ثبت ولزم ووجب وعيد الله الشديد لهم . فالمراد بالقول فى الآية هو ما جاء فى قوله تعالى « وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) » (ص : ٨٥) ، وفى سورة السجدة قوله : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ الآية : ١٣ ، وقد سبق علم الله - تعالى - بأن بعضهم يؤمن وبعضهم لا يؤمن ، فأخبر الله عن الذى لا يؤمن وأصر على الكفر بأنه لا يدخل فى الإيمان ، وذلك القول الذى حق عليهم هو الحكم والقضاء الأزلى ، بمقتضى ما علم الله تعالى من اختيارهم الضلال على الهدى ، وهذا العلم صفة انكشاف لا صفة تأثير ، فلا حجة لأهل الجبر فى هذه الآية ، وهذا الذى قضى عليهم سببه إصرارهم على الكفر واختيارهم له .

وكلمة « أكثرهم » فى « لقد حق القول على أكثرهم » بصيغة أفعل التفضيل توحى بأن المؤمنين

قلة فى العدد والكم ، كثيرون فى الكيف والمنزلة والقيمة ، قال تعالى :

﴿ الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ﴾ (ص : ٢٤) ، وقال : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (سبأ : ١٣) ، والفاء فى قوله : ﴿ فهم لا يؤمنون ﴾ تفريعة داخلة على الحكم المسبب عما قبله ، فيكون ثبوت القول عليهم علة لتكذيبهم وعدم إيمانهم ، ويكون علة له باعتبار سبق العلم بسوء اختيارهم .

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝ ﴾ .

الغرض من سياق هاتين الآيتين تصوير مشهد حسى لهذه الحالة النفسية ، وطريقة القرآن أن يذكر أمثلة حسية يقرب بها إلى الأذهان الأمور المعنوية والأمور المغيبة لتتمكن فى النفس أيما تمكن .

سبب نزول هاتين الآيتين :

عن محمد بن إسحاق بسنده أنه قال : قال أبو جهل وهم جلوس : إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوكا فإذا متم بعثتم بعد موتكم ، وكانت لكم جنان خير من جنان الأردن ، وإنكم إن خالفتموه كان لكم منه ذبح ، ثم بعثتم بعد موتكم ، وكانت لكم نار تعذبون بها . وخرج رسول الله ﷺ عند ذلك ، وفى يده حفنة من تراب ، وقد أخذ الله على أعينهم دونه ، فجعل يذروها على رءوسهم ، ويقرأ ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ .. حتى انتهى إلى قوله ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ ، وانطلق رسول الله لحاجته ، وباتوا رصداء على بابه ، حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار ، فقال : ما لكم ؟ قالوا : ننتظر محمدا ، قال : قد خرج عليكم ، فما بقى منكم رجل إلا وضع على رأسه ترابا ، ثم ذهب لحاجته ، فجعل كل رجل ينفض ما على رأسه من تراب قال : وقد بلغ النبى ﷺ قول أبى جهل فقال : وأنا أقول ذلك ، إن لهم منى لذبحا وإنه أحدهم . من ابن كثير ص ٥٥٠ طبعة الشعب .

والمتأمل فى هذه الرواية يجد أنها تنطبق على ما فعله النبى ﷺ بالكفار وهم محيطون بيته يريدون قتله ، وأن النبى قرأها وهو خارج عليهم فأعمى الله أبصارهم عنه . فهى فى الحقيقة ليست سببا للنزول .

ووردت رواية أخرى تقول : إن الآيتين فى أبى جهل وصاحبيه المخزوميين .

وذلك أن أبا جهل حلف : لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه بالحجارة ، فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه به ، فلما رفعه انثنت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده ، فلما رجع إلى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر ، فقال له رجل من بنى مخزوم : أنا أقتله بهذا الحجر ، فأتاه وهو يصلى ليرميه بالحجر ، فأعمى الله بصره ، فجعل يسمع صوته ولا يراه ، فرجع إلى أصحابه ، فلم يرهم حتى نادوه ، فقالوا له : ما صنعت ؟ فقال : ما رأيته ، ولقد سمعت صوته ، وحال بينى وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه ، لو دنوت منه لأكلنى ، فأنزل الله تعالى :

﴿ إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا ﴾ .. وهذه

الرواية ـ إن صحت ـ تدل على أن الآية نزلت مرتين .

والضمير فى قوله ﴿ فهى إلى الأذقان ﴾ يجوز أن يعود إلى الأيدى ، وهى وإن لم يجر لها ذكر إلا أنها معلومة من السياق ، وقال بعضهم : إن الضمير يعود على الأغلال . والغل : ما أحاط بالعنق على معنى التضييق والتعذيب والأسر ، والأذقان : جمع ذقن ، وهى مجمع اللحيين من أسفلهما ، والفاء فى قوله ﴿ فهم مقمحون ﴾ فاء السببية . والمعنى : أنهم رافعو رءوسهم ، غاضو أبصارهم . يقال : قمح البعير فهو قامح إذا رفع رأسه بعد الشرب لارتوائه أو لبرودة الماء أو لكراهة طعمه .

والمراد بقوله : ﴿ من بين أيديهم ﴾ ما كان قريباً منهم ، وقد اختلف المفسرون فى هذا المراد .

قال الضحاك : ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ﴾ أى : الدنيا ﴿ ومن خلفهم سدًّا ﴾ أى : الآخرة ، أى : أنهم عموا عن البعث ، وعموا عن قبول الشرائع فى الدنيا . قال تعالى : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ (فصلت)

وقيل : المعنى : سددنا طرق الهدى عليهم سدًّا معنويا . ويكون هذا المعنى مشبهاً بمن سدت عليه الطرق سدا حسيا فلم يصل إلى مطلوبه .

وقرىء « سَدًّا » بكسر السين وفتحها . قيل : إن القراءتين بمعنى واحد ، وقيل : مكسور السين ما كان من خلق الله كالجبل ونحوه ، وبفتح السين : ما كان من عمل الناس .

وقرىء « فأعشيناهم » بالعين والغين .

فالقراءة بالغين معناها : غطينا أبصارهم وجعلنا عليها غشاوة . وبالعين : أصبنا أبصارهم بمرض « العشى » وهو عدم الإبصار ليلا . ولذا ذكر بعده ﴿ فهم لا يبصرون ﴾ وهم وإن كانوا يرون بأعينهم إلا أنه لعدم انتفاعهم بالنظر فى آيات الله نفى عنهم الإبصار .

والغرض من ذكر هاتين الآيتين تقرير وتأكيد لقوله تعالى ﴿ لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ﴾ . فقد ضرب مثلا لتصميمهم على الكفر ، وأنه لا سبيل إلى ارعوائهم وتصديقهم .

ومن طريقة القرآن ضرب الأمثال المحسوسة للأمور المعنوية والمغيبة تقريباً للمعنى ، وتوضيحاً له ، ويدخل فى هذا المثل بخلهم وإمساكهم عن الإنفاق فى سبيل الله ، وتقرير هذه الاستعارة أن يقال : شبهت هيئتهم فى عدم تيسير الإيمان لهم للمنع الإلهى ، بهيئة من غلت يده وعنقه فلم يستطع أن يتعاطى مقصوده للمنع الحسى الذى قام به ، فالجامع مطلق المنافع . والاستعارة تمثيلية ، وقال : النسفى مثل تصميمهم على الكفر ، وأنه لا سبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين فى أنهم لا يلتفتون إلى الحق ، ولا يعطفون أعناقهم نحوه ، ولا يطأطئون رءوسهم له ، وكالحاصلين بين سدين ، لا يبصرون ما قدامهم ، ولا ما خلفهم ، فى ألا تأمل لهم ولا تبصر ، وأنهم متعامون عن النظر فى آيات الله .

ومن المفسرين من حمل الآيتين على الحقيقة . فالله تعالى : يخبرنا بما يفعل بالكفار يوم القيامة ، والتعبير فى ﴿ إنا جعلنا ﴾ بلفظ الماضى لتحقق الوقوع .

ومما يدل على هذا المعنى قوله تعالى فى سورة

« غافر » ـ إخباراً عما يعذب به الكفار يوم القيامة : ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ (٧١ ، ٧٢) والقرآن يفسر بعضه بعضا ، والأصل حمل الكلام على حقيقته . ولا ملجأ إلى المجاز إلا إذا تعذرت الحقيقة ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

فى الآية السابقة بين شأن الكفار بطريق التمثيل ، وفى هذه الآية بين شأنهم بطريق التوبيخ ، ﴿ وسواء ﴾ بمعنى مستو ، والإنذار قد سبق بيانه ، والآية وردت فى جماعة علم الله تعالى أنهم يموتون على الكفر ، ولقد كان عدم إيمان الكفار شاقا على رسول الله ﷺ ، وعبر القرآن عن هذا فى آيات كثيرة ، منها : قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (الكهف : ٦) ، وقوله : ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (الشعراء : ٣) وقوله : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ (فاطر : ٨) فسلاه الله بهذه الآيات وغيرها من آيات القرآن ، مثل قوله تعالى :
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة : ٦) ، وقد يقال مادام الإنذار لم ينفع فى مخصوصين فما فائدته ؟

يجاب عن ذلك بأجوبة ثلاثة :

أولها : ليثاب الرسول ﷺ .

والثانى : إقامة الحجة عليهم ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (النساء : ١٦٥) .

الثالث : ليكون الإرسال عاما ، ومعنى الآية : أن الله قضى فى هؤلاء بأمره على حسب علمه بطبيعة قلوبهم التى لا ينفذ إليها الإيمان .

ومن المعلوم أن الإنذار لا ينفع قلبا غير مهيأ للإيمان . وسبق علم الله بعدم لا يلزم منه الجبر ، لأن العلم صفة انكشاف ، وليس صفة تأثير . وهم لا علم لهم بقضاء الله فيهم ، والأساس فى تعذيبهم سوء اختيارهم .

﴿ إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم ﴾ .

فى الآية السابقة بيان لعدم نفع الإنذار بالنسبة لقوم مخصوصين ، علم الله أنهم يموتون على الكفر ، وفى الآية بيان لعدم نفع الإنذار بالنسبة لجماعة سيؤمنون قبل موتهم ، ولفظ « إنما » أداة حصر ، وقد ورد على هذا الحصر إشكالان :

الأول : أنه يخالف قوله سابقاً ﴿ لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم ﴾ على القول بأن « ما » نافية .

الثانى : أن هذا الحصر يخالف عموم رسالته ﷺ ويدفع هذا الإشكال بأن يكون المراد : إنما ينتفع بإنذارك ؛ فالمقصود : إنما هو الإنذار النافع إذن ، فالنبى ينذر جميع الناس ، والمنتفع هم من آمنوا به ، فلا تنافى ولا إشكال .

والمراد باتباع الذكر : الإيمان بالقرآن ، والعمل به ، والانقياد لرسالته ﷺ ، واختيار القرآن لكلمة « خشى » و « الرحمن » فى غاية الدقة ، لأن هناك فرقا بين الخشية والخوف ، فقد يخاف الإنسان من أحد لجبروته وهو كاره له . أما المؤمنون فإنهم مع خوفهم من ربهم يحبونه ويرجون الخير منه لأنه رحيم ، ومعنى ﴿ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ خاف عقابه ، ولم يغتر برحمته ، فإنه مع رحمته شديد العقاب ، قال تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى

هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ (الحجر : ٤٩ ، ٥٠)

وقال تعالى : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ (غافر : ٣) فالمؤمن الحق يخشى عقاب الله قبل وقوعه ، ويخشى الرحمن وهو غائب عنه ، ويخشى الله وهو غائب عن الناس لا يراه أحد ، فهو بعيد عن الرياء . وخشية الله بهذا المعنى من أقوى أسس التربية التي ربى عليها الإسلام أتباعه . وسيرة المصطفى ﷺ والسلف الصالح مليئة بنماذج ممن كانت الخشية تملأ قلوبهم في خلواتهم وجلواتهم ، في سرهم وعلنهم ، وتعرف هذه الخشية بيقظة الضمير ، وهؤلاء الذين اتبعوا الذكر وخافوا ربهم وخشوه بين الله جزاءهم بقوله :

﴿ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ .

فجزاؤهم عند الله أمران : عفو لذنوبهم ، وجنة يجدون فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . ووصف الأجر بالكريم في هذه الآية له قيمته . فقد يعطى الإنسان في الدنيا أجرا ، ثم ينتزع منه ، أما أجر الآخرة فدائم لا يزول ، ولهذا جاء في وصف نعيم الآخرة ﴿ وهم فيها خالدون ﴾ .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ .

بينت الآية السابقة أن من انتفع بالإنذار واتبع الذكر وخشي الله وخافه بالغيب ، فجزاؤه المغفرة والجنة . وفي هذه الآية يذكر وقوع البعث ويؤكده ويبين دقة الحساب .

وذكر بعض المفسرين وجها آخر فقال : إن هذه الآية تفصيل وبيان لشأن عظيم ينطوي عليه الإنذار والتبشير المطواة إجمالا . وقضية البعث عالجها القرآن الكريم في السور المكية والسور المدنية ، وأخذت مساحة كبيرة من آياته . وللقرآن الكريم ميزة عند حديثه عن البعث . وهي إثباته والاستدلال عليه بأمور مشاهدة محسوسة . فمرة يستدل عليه بخلق الإنسان وتطوره في مراحل مختلفة . ومرة أخرى يستدل عليه بالأرض الجدبة حين ينزل عليها الماء ، فتخصب وتمرع ويهتز النبات فيها ، فيسر به كل ناظر إليه . قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

سورة الحج

تلك هي طريقة القرآن في الاستدلال على وقوع البعث ، وهي طريقة مقنعة ممتعة ، فإذا قسنا هذا الذي يستدل به القرآن على البعث على ما يستدل به الفلاسفة ، وجدنا الفرق كبيرا وشاسعاً . فهم يذكرون أدلة عقلية ، وجدلا عقيما ، لا يقنع العقل ، ولا يمتع العاطفة .

﴿ إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وءاثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ .

وردت روايات كثيرة في سبب نزول هذه الآية ، منها : ما أخرجه الترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه ، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : كانت بنو سلمة في

ناحية المدينة فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد ، فنزلت هذه الآية ، فقال النبي ﷺ : « إن آثاركم تكتب فلا تنتقلوا » ومنها ما أخرجه عبد الرزاق عن أبي سعيد قال : شكت بنو سلمة إلى رسول الله ﷺ بعد منازلهم عن المسجد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ فقال النبي ﷺ : « عليكم منازلكم فإنما تكتب آثاركم » ، والروايات صحيحة ، ولكنها ليست سببا لنزول الآية ، إنما استدل بها النبي ﷺ على أن بعد البيوت عن المساجد يكون سببا في كثرة الحسنات بسبب كثرة الخطى ، ويدل على ذلك أن سورة « يس » كلها مكية على الصحيح وحادثة بني سلمة وقعت بالمدينة ، ويجوز أن تكون الآية نزلت مرتين مرة في ضمن السورة بمكة ، ومرة بالمدينة .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى ﴾ ذكر الكلام فيها مؤكدا بإن ، ومعها نون العظمة ، وكلمة نحن . والغرض من هذين المؤكدين الاعتناء بأمر الخبر بالنسبة للمؤمنين بالبعث ، ورد الإنكار بالنسبة للمنكرين له ، وهم الكفار ، وقد حكى عنهم القرآن الكريم ذلك فقال :

﴿ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ الصافات

وقوله تعالى : ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ (الجاثية : ٢٤) ، ومن أقوالهم في هذا : إن هي إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وليس وراء ذلك شيء . وللمفسرين في قوله ﴿ نحيي الموتى ﴾ قولان :

الأول : أننا نعيدهم إلى حالتهم الأولى بأجسادهم وأرواحهم عند النفخة الثانية ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (الزمر : ٦٨) .

القول الثاني : أن المراد من قوله ﴿ نحيي الموتى ﴾ أي : موتى القلوب بأن نوفقهم للهداية إلى الحق ، بعدما ماتت قلوبهم بالضلالة ، والقول الأول يذكر المعنى الأصلي والثاني يذكر المعنى التبعي ، وكلاهما مرادان .

والحق سبحانه وتعالى لا يكتفي بإحيائهم وإعادتهم ، بل يكتب كل ما عملوه من خير أو شر . ولـــذا قال : ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ والكتابة تكون في صحف الملائكة ، وإنما أسندت إلى الله تعالى لأنه الآمر بها ، وما قدموا مراد به : ما أسلفوا من الأعمال الصالحات وغيرها .

﴿ وآثارهم ﴾ ما ماتوا عنه من أثر حسن كعلم علموه ، أو كتاب صنفوه ، أو وقف وقفوه ، أو رباط أو مسجد صنعوه . أو سيء كوظيفة وظفها بعض الظلمة لمن ليس أهلا لها ، وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها بعده . ومثل هذا قوله ﴿ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ (القيامة : ١٣) ، ويدخل في آثارهم خطاهم إلى الجمعة ، أو إلى الجماعة .

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ : المعنى الأصلي للإحصاء هو : العد . والمراد به في الآية : البيان والحفظ ، لأنه لازم العد ، ويراد « بكل شيء » الجميع لا المجموع .

تسبيح الكائنات لله رب العالمين

بقلم الشيخ/ عبد الفتاح سيد جمعان
مدير عام الإدارة العامة لشئون القرآن

معنى التسبيح ومادته :

التسبيح : مصدر الفعل سبّح ومادته (سَبَحَ) وهو يدل على البعد ومنه سَبَحَ في الماء ، فالتسبيح لغة هو مطلق الإبعاد ، ومنه قوله ـ تعالى ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ سورة المزمل

وشرعاً : تنزيه الله ـ تعالى ـ عما لا يليق .

والمعنى اللغوى مراعى فيه ، أى : إبعاد كل صفات السوء عن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ .

قال الزمخشرى : إنه يدل على التنزيه البليغ عن جميع القبائح التى يضيفها أعداء الحق ـ سبحانه وتعالى ـ إليه ، وكأنك حين تسبح الله ـ تعالى ـ تقول : (ما أبعد من له الأسماء الحسنى والصفات العليا ، ومن يملك كل القوى والقدر عن جميع النقائص) .

وقد جاء التسبيح ـ فى القرآن الكريم ـ بأكثر من صيغة ، فجاء بصورة الفعل الماضى (سبّح) كما فى قوله تعالى :

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ سورة الحشر

وجاء بلفظ (المضارع) كما فى قوله ـ سبحانه :

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ سورة الجمعة

ويلاحظ أن معظم الآيات التى يأتى فيها (سَبَّحَ ويُسبح) تُذيّل بـ « العزيز الحكيم » أى أن الله ـ تعالى ـ استحق هذا التنزيه والتقديس ؛ لأنه عزيز لا يغلب ، حكيم فى كل ما يريد ؛ ولهذا سبّحت كل الكائنات له . ومن المضارع قوله تعالى حكاية عن الملائكة :

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾
البقرة

وجاء بلفظ الأمر ، قال تعالى :

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾
طه ـ ٣٠

وجاء بلفظ (سبحان) وهو مصدر كالتسبيح ، فقولك : « سبحان الله » أى : نزهت الله تنزيهاً عن كل نقص لا يليق بذاته ـ تعالى ـ ولا يستعمل إلا مضافاً ، وقال بعضهم : إنه اسم علَم على التسبيح ، ومن ورود هذه الصيغة فى القرآن قوله تعالى :

﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾
الإسراء ـ ٩٣

وقوله حكاية عن الملائكة :

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾

البقرة ـ ٣٢

وقال بعض العلماء : قد يأتي « سبحان » على معنى الأمر أي : نزهوا الله . وفسروه بهذا المعنى في صدر سورة الإسراء .

هذا ، وقد يستعمل التسبيح في معان أخرى منها : الصلاة ؛ لأن المصلي مُعظِّم لله بصلاته ، ومنزه له عما لا ينبغي ، ومنه قوله ـ تعالى ـ عن سيدنا يونس ـ عليه السلام :

﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾

الصافات ـ ١٤٣

أي المصلين ، كما قال الفخر ـ في تفسيره ـ ومنه إطلاق لفظ (السبحة) على صلاة النافلة .

وقد ورد التسبيح بمعنى (الاستثناء) كقوله ـ تعالى :

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾

سورة (القلم) ـ ٢٨

أي : تستثنون بقولكم إن شاء الله ؛ لأن المستثنى معظم لله ـ تعالى ـ في الاستثناء بمشيئته .

وقد يستعمل (التسبيح) بمعنى النور كما جاء في الحديث الشريف « لأحرقت سبحات وجهه ما أدركت من شيء »[1] قيل : معناه نور وجهه الذي إذا رآه الرائي قال : سبحان الله .

معاني التسبيح في القرآن الكريم :

الأصل في التسبيح أنه التنزيه للحق ـ سبحانه ـ أي إبعاده عن كل نقص وسوء وهو تنزيه في الذات ، وتنزيه في الصفات ، وتنزيه في الأفعال والأسماء والأحكام .

أما تنزيه الذات ، فيحصل بالتوحيد المطلق ونفي الضد والند والكثرة والتركيب وعدم مشابهته ـ تعالى ـ لشيء من المخلوقات ؛ فتنتفي عنه الجسمية والعرضية ولا يحده زمان ولا يحصره مكان .

قال تعالى :

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

أما في الصفات فتنزيه صفاته عن العجز والنقص ؛ فينزه عن الجهل : بأن يكون محيطاً بكل المعلومات ويكون قادراً على كل المقدورات وتكون صفاته منزهة عن التغيير ومنه قوله :

﴿ سبحانه هو الغني ﴾

وأما في الأفعال فلا تكون أفعاله متوقفة على شيء من المادة أو الزمان أو المكان أو المماثلة ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ الإسراء

وأما التنزيه في الأسماء فالإقرار له بالأسماء الحسنى التي لا يماثلها شيء قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ الأعراف ـ ١٨٠

وتنزيهه في الأحكام هو : الاعتقاد أن كل شيء شرعه الله لعباده فهو مصلحة وخير ، وكل ما حكم به على خلقه إحسان ورحمة ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

يس ـ ٨٣

هذا المعنى الاصطلاحي للتسبيح هو الأكثر شيوعاً واستعمالاً في القرآن الكريم ، وقد يأتي التسبيح في كتاب الله ـ تعالى ـ بمعنى التعجب كقوله ـ تعالى ـ :

(١) مفاتيح الغيب للفخر الرازي .

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ أول الإسراء

وكل الآيات التي جاء فيها التسبيح بمعنى التعجب تتضمن إلى جانب ذلك معنى خاصاً يتناسب مع السياق أشبه ما يكون بمعنى الالتفات البلاغي فقوله ـ تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا ..... ﴾

الزخرف ١٣

يفيد إلى جانب التعجب : (أنا الذي سخرت البهائم القوية للإنسان الضعيف) وقوله :

﴿ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴾

يفيد مع التعجب : (أنا الذي خلقت الكائنات وكنت منزهاً عن التعجب والنصب واللغوب وقوله ـ جل وعلا :

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾

البقرة ـ ٣٢

فيه بالإضافة إلى التعجب الإشارة إلى علم الله الذاتي المطلق وكأن الحق يقول : (أنا الذي أعلم من غير احتياج إلى معلم أو مرشد) .

أما قوله ـ عز وجل :

﴿ سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ آل عمران ـ ١٩١

يتضمن : (إن أردت الخلاص من النار فقل هذا القول الكريم) وكذا إن أردت الخلاص من البلاء فقل : « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » وإن أردت ـ رضوان الله ـ فسبح ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ .

وهكذا كل تسبيح في كتاب الله يراد به (التعجب) يتضمن معنى خاصاً يلمح من السياق .

تسبيح الكائنات :

كل شيء في الكون يسبح لله ـ تعالى ـ مصداقاً لقوله ـ عز وجل :

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾

الإسراء ـ ٤٤

أي : وما من شيء في الوجود كله إلا ويسبح بحمد الله ـ تبارك وتعالى ـ وكأن الحق ـ سبحانه ـ يقول للإنسان الكافر الذي لا يسبح بحمد الله : (إن لم تسبح بحمدي فالضرر عائد إليك ؛ لأن لي من يسبح بحمدي من المخلوقات العاقلة : كالملائكة والأنبياء ، وغير العاقلة : كالحجر والمدر والرمال والجبال والليل والنهار والزمان والمكان والأجسام والأرواح) كما قال ـ تعالى ـ أول الحديد :

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أول الحديد

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ الإسراء

وتسبيح هذه الكائنات صفة لازمة لماهيتها ، أي أن التسبيح أمر ثابت لها ثبوتاً استمرارياً ، فهي لا تنفك عن التسبيح في وقت من الأوقات ، وهذا هو السر في الإخبار عن تسبيح هذه الكائنات مرة بصيغة الماضي (سبَّح) ومرة بصيغة المضارع (يُسبِّح) للإشارة إلى أن تسبيح هذه الكائنات غير مختص بوقت دون وقت ؛ بل هي كانت مُسبحة أبداً في الماضي وتكون مُسبحة أبداً في المستقبل .

وللعلماء ـ في المراد من تسبيح الكائنات غير العاقلة لربها ـ تبارك وتعالى ـ أقوال أهمها :

إن هذه الكائنات تسبح بلسان الحال ، أي تدل بإيجادها وخلقها على وجوده ـ جل وعلا ـ

ووحدانيته وقدرته ، وتنزهه عما لا يليق بذاته - تعالى - فهو من باب الاستعارة كما تقول : نطقت الحال بكذا ، فكل الأكوان شاهدة بتنزهه - تبارك وتعالى - عن السوء ، قالوا : وهذا هو المناسب لقوله - تعالى - فى نفس الآية :

﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

الإسراء - ٤٤

لأن التسبيح لو كان قولياً لكان مفهوماً للمؤمنين والكافرين على السواء ؛ فدل قوله :

﴿ لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾

على أنه بلسان الحال ؛ لأن الكفار غافلون عن النظر فى آيات الله - تعالى - فى الحياة والكون .

وحمل بعض العلماء تسبيح الجمادات على المعنى الحقيقى ؛ فالكل يسبح بلسان المقال حتى الجمادات أما عدم فقه معظم البشر لهذا التسبيح فلأن الإنسان لو سمع وعلم أن كل شيء فى الكون يسبح لله ويشهد بجلاله وكبريائه وقهره لشغله ذلك عن كل شيء حتى عن طعامه وشرابه ، روى عن الحسن - رضى الله عنه - أنه قال : « لولا ما غُمّ عليكم من تسبيح ما معكم فى البيوت ما تقاررتم » .

نماذج من تسبيح الكائنات بلسان المقال :

جاء فى السنة أن الحصا سَبَّح فى كفه الشريفة - صلوات الله وسلامه عليه ، وأن الصحابة سمعوا هذا التسبيح ، وقال أنس - رضى الله عنه - : « أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بطعام ثريد فقال : « إن هذا الطعام يسبح » فقالوا : يا رسول الله : وتفقه تسبيحه ؟ قال : « نعم » ، ثم قال لرجل : « أدْنِ هذه القصعة من هذا الرجل ، فأدناها ، فقال : نعم يا رسول الله ، هذا الطعام يسبح فقال : « أدنها من آخر » فأدناها ، فقال : يارسول الله هذا الطعام يسبح ، ثم قال : ردها» فقال رجل : يارسول الله لو أُمِرْتَ على القوم جميعاً فقال : « لا لو سكتت عند رجل لقالوا : من ذنب ، رُدَّهـا» فردهـا»[2] وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : (بينا نحن مع رسول الله ليس معنا ماء فقال : اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء فوضعه فى إناء ثم وضع يده فيه فجعل الماء يخرج من بين أصابعه ثم قال - صلى الله عليه وسلم - : « حى على الطهور المبارك والبركة من الله تعالى »[3] فشربنا منه ، قال عبد الله : كنا نسمع صوت الماء وتسبيحه وهو يُشرب » وروى أحمد - بسنده - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مَرَّ على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم : اركبوها سالمة ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراسى لأحاديثكم فى الطرق والأسواق فرب مركوبة خير من راكبها ، وأكثر ذكراً لله تعالى منه »[4] وعن ابن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن قتل الضفدع وقال : « نقيقها تسبيح »[5] .

هذا ولبعض العلماء رأى ثالث فى تسبيح الجمادات خلاصته :

أن الجمادات تسبح ما دامت باقية على حالتها الأصلية التى خلقها الله عليها ؛ فإن تحولت إلى حالة أخرى انقطع تسبيحها فقالوا : إن التراب يسبح ما لم يبتل ؛ فإذا ابتل ترك التسبيح ، وأن

---

(٢) روح المعانى للألوسى أبو الشيخ عن أنس .

(٣) أخرجه ابن مردويه عن ابن مسعود روح المعانى .

(٤) أخرجه أحمد وابن مردويه عن ابن مسعود .

(٥) أخرجه النسائى وأبو الشيخ عن ابن عمر .

الورقة تسبح ما دامت على الشجرة فإذا سقطت تركت التسبيح ، وأن الثوب يسبح ما لم يتسخ يؤيد هذا ما روى عن الحسن السبط ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : (ما من شىء على أصله الأول لم يمت إلا وهو يسبح بحمده ـ تعالى) وأراد بالموت خروجه عن أصله الأول ، وجلس ـ رضى الله عنه ـ مع أصحابه على مائدة فقال بعضهم هذه المائدة تسبح الآن فقال : (كلا إنما ذاك وكل شىء على أصله) .

تســـبيح الطيـــر :

قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾

وقد دلل بعض العلماء على تسبيح الطير تسبيحاً قولياً بأن الذى ألهم بعض الحيوانات والطيور وسائر الحشرات أعمالاً لطيفة يعجز عنها أكثر العقلاء قادر على أن يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه ، وساق أمثلة من هذه الإلهامات الإلهية لما لا يعقل ، ، من ذلك :

ما يلاحظ فى الخيل من أن كل واحد منها يعرف صوت الفرس الذى قابله مرة فى أى وقت .

والتماسيح التى تفتح فمها لطائر لينظف أسنانها وقد جعل الله على رأس هذا الطير ريشاً كالشوك حتى لا يلتقمه التمساح .

وذكر النحل وما يُرى فى بيوتها من هندسة يعجز الإنسان عنها ، والنمل وما لها من أمور عجيبة جعلت إحداها تحذر سائرها من سيدنا سليمان وجنوده وقد فهم سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ حديثها ، وغير ذلك كثير .

أما تخصيص الطير بالذكر فقد قال بعض العلماء أنه ـ جل ثناؤه ـ لما ذكر أن أهل السموات والأرض يسبحون ، ذكر أن الذين استقرُّوا فى الهواء الذى هو بين السماء والأرض وهم الطير يسبحون كذلك ؛ ولهذا قال : (صافات) أى باسطات أجنحتهن ، وذلك لا يكون إلاّ فى الهواء ، وهذا أدل على كمال قدرة الله وحكمته ولطف تدبيره .

ومما يدل على تسبيح الطير تسبيحاً لفظياً بألفاظ تغاير ألفاظ البشر ما روى أن أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ أُتى بغراب وافر الجناحين فقال سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « **ما صيد صَيْدٌ ولا عُضِدَتْ** عضاة ولا قطعت وشيجة إلاّ بِقِلَّة التسبيح » .

وروى أن على بن الحسين بن على ـ رضى الله عنهم ـ مر عليه عصافير يصحن فقال لجلسائه : أتدرون ما تقول هذه العصافير ؟ فلما قالوا : لا . ذكر لهم ما رواه أبوه عن جده أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « إن الطير إذا أصبحت سبحت ربها وسألته قوت يومها » وقال : هذه العصافير تسبح ربها وتسأله قوت يومها .

وروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن داود ـ عليه السلام ـ كان إذا سبّح اجتمعت له الطير فسبّحت معه معجزة له ـ عليه السلام ـ وهذا معنى قوله ـ تعالى :

﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴾

سورة ص ـ ١٩

تسـبيح الجبــال :

قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾

سبأ – ١٠

وقال :

﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴾

وقال : الأنبياء – ٧٩

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾

ص – ١٨

قال بعض المفسرين : الفضل الذى آتاه الله لداود – عليه السلام – هو تسبيح الجبال معه ، وقال بعضهم : إنه الصوت الحسن وهو المراد بقوله – تعالى – :

﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾

قال ابن إسحاق : لم يُعط الله أحداً من خلقه مثل صوت داود حتى إنه كان إذا قرأ الزبور دنت منه الوحوش حتى يأخذ بأعناقها ، ولكثرة تسبيح سيدنا داود – عليه السلام – مع حسن صوته كانت مظاهر الطبيعة تتجاوب معه خاصة الجبال والطير ، وهو تسبيح حقيقى لكن لا يفقهه عامة البشر ؛ لأنهم لم يألفوه ، يقول صاحب الظلال : « فما هنالك من شىء يعز على القدرة ، أو يتأبى حين تريده ، يستوى أن يكون مألوفاً للناس ، أو غير مألوف ، ولو لم يكن تسبيحاً حقيقياً لما كان فيه مزية لسيدنا داود – عليه السلام – ولشفافية سيدنا داود وتجرده فى تسابيحه ومزاميره انزاحت الحجب بينه وبين الكائنات فكان حين ينطلق صوته بالتسبيح والتمجيد يتجاوب الكون كله معه وترجع الجبال والطير ، قال مقاتل : (إذا ذكر داود – عليه السلام – ربه ذكرت الجبال والطير ربها معه) وقال الكلبى : إذا سبح داود أجابته الجبال ، وقال سليمان بن حيان : كان داود عليه السلام إذا وجد فترة (أى ضعفاً فى التسبيح) أمر الله – تعالى – الجبال فسبحت فيزداد نشاطاً واشتياقاً ؛ ذلك أن الله – تعالى – كما يقول الفخر الرازى : خلق فى الجبال حياة وعقلاً وقدرة فصارت تسبح ، وهذا نظير قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾

الأعراف – ١٤٣

فإن معناه : أن الله – تعالى – خلق فى الجبال عقلاً وفهماً ، ثم خلق فيه رؤية الله – تعالى – وقال قتادة : يسبحن معه أى يصلين إذا صلى ، فالتسبيح الصلاة ، وقال فى روح المعانى : كان إذا سبح سبحت الجبال مثل تسبيحه بصوت يُسْمَع منها .

من كل هذه النقول السابقة يتبين لنا أن تسبيح الجبال كان تسبيحاً حقيقياً بلفظ وصوت يسمعه سيدنا داود ويفهمه .

وقد قال بعض المفسرين : تسبيح الجبال بالسير كأنه مأخوذ من السبح ، وقالوا : إن الله – تعالى – سخر لسيدنا داود الجبال حتى إنها كانت تسير إلى حيث يريد – عليه السلام – وقالوا : إن معنى (أوّبى) أوبى لله أى : رجّعى ، والذى جعل الجبال تسير قادر على أن يجعلها تتكلم .

تسـبيح الملائكـة :

الملائكة مخلوقات نورانية لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأعظم أعمالهم التسبيح ، قال – تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾

آخر الأعراف

فهم مخلوقون لهذه العبادة ، وهذا التسبيح ولا يستكبرون ولا يفترون وصدق الله العظيم

﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾

فصلت ـ ٣٨

قيل : إن المراد بهؤلاء الملائكة الذين هم عند ربهم حملة العرش كما قال تعالى :

﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ الزمر ـ ٧٥

وقال ـ عز من قائل :

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾

غافر ـ ٧

ولما أخبر الله تعالى الملائكة بأنه سيجعل فى الأرض خليفة وظنوا أنهم أحق بالاستخلاف من آدم وذريته لم يجدوا للتدليل على أفضليتهم ـ كما ظنوا ـ خيراً من التسبيح :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾

البقرة ـ ٣٠

ومع أن الملائكة لا تتأتى منهم المعصية فهم يخشون الله ويهابونه . قال ـ تعالى :

﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾

الرعد ـ ١٣

فهم يسبحون إجلالاً له ، وخوفهم ليس كخوف البشر ، فإن أحدهم من شدة الخوف لا يعرف من على يمينه ولا من على يساره ولا يشغله عن التسبيح طعام ولا شراب ولا شىء

ومعنى ﴿ **نسبح بحمدك** ﴾ أى : ننزهك يا ربنا عن كل سوء ، ونداوم على حمدنا لك على ما وفقتنا إليه من تسبيحك يريدون بهذا نفى ما قد يتوهم من إعجابهم بتسبيحهم وقد ورد أن للملائكة تسبيحات أخرى منها :

« سبحان ذى الملك والملكوت سبحان ذى العظمة والجبروت سبحان الحى الذى لا يموت » .

وعن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ أن النبى سئل أى الأعمال أفضل ؟ قال : « ما اصطفى الله تعالى ـ لملائكته أو لعباده ـ سبحان الله وبحمده » .

أما التقديس الذى جاء على لسان الملائكة ﴿ **نقدس لك** ﴾ فقال بعض العلماء : وهو بمعنى التسبيح ـ أيضاً ـ لكن الأدق أنه يختلف عنه ، فقيل : التسبيح خاص بالطاعات ، والتقديس خاص بالاعتقادات ، وقيل : التقديس أبلغ ؛ لأن التسبيح تنزيه الله عما لا يليق فى نظر العباد ، أما التقديس فهو تنزيه الله عما لا يراه هو لائقاً بذاته ، ولذا قيل ـ للحق ـ تبارك وتعالى : (سبوح قدوس) وقيل : التقديس بمعنى التطهير والمراد : نسبحك ونطهر أنفسنا من الأدناس ، وأفعالنا من المعاصى ، وقلوبنا من الالتفات إلى غيرك .

الصبر على البلاء

دليل الرضا بالقضاء

بقلم فضيلة الشيخ :
محمد حافظ سليمان

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ سورة لقمان ـ آية : ١٧

هذا ما قاله لقمان لابنه وهو يعظه ، فى سورة سميت باسمه ، وقد جعله الله تعالى قرآناً كريماً يتلى .

والصبر قوة فى قلوب الأبرار من الرجال لا يقدر على احتمالها المهازيل من الناس :

والصبر شجاعة إيجابية وهمة أبية وعزة أدبية وإرادة قوية والصبر دليل الصدق مع الله ومع النفس المطمئنة الراضية المرضية والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

والمؤمن إذا اقتحمه البلاء وجده صابراً صامداً راضياً بالقضاء شاكراً لله فى السراء والضراء وذلك لأن الابتلاء امتحان رهيب لا ينجح فيه إلا من كان موصولاً بربه الذى خلقه فسواه وألهمه فجوره وتقواه .

الإيمان بأن الزمن مشحون بالضوائق والمكاره التى تسببها الكوارث والحوادث والتى قد يفاجأ بها المؤمن فلا يكتوى بنيران الجزع ولا بلهيب الفزع : لإيمانه بأنه لا ملجأ من الله إلا إليه ولا اعتماد إلا عليه والله يقول :

﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ سورة العصر

ويقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ... وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ۝ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ ١٢٨

سورة النحل

وقد يبتلى الإنسان بذرية سيئة فلو صبر لكان خيراً له مع الدعاء لهم أن يكونوا ذرية طيبة .

وقد يبتلى الانسان بجار سوء من شياطين الإنس فلا يجد العاقل أمامه لا الصبر يستعين به عليه .

وقد يبتلى بامرأة سيئة فيسأل الله أن يلهمه الصبر على هذا البلاء المبين .

وقد يبتلى بالتعامل مع من لا خلاق لهم ممن يدعون الصداقة من تجار المنافع وأصحاب المطامع أو من ذوى الحقد الدفين الذى يتغلغل فى قلوب المنافقين الأفاكين والذى تظهره التجارب أو المعاملة ولا يحجبه قول معسول يخادع به الذين لا يعرفونهم على حقيقتهم وينبغى التيقظ لأمثال هؤلاء بتجنب صحبتهم مع الاستعانة بالصبر الحذر :

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وهل الابتلاء عقوبة ؟

لو كان الابتلاء عقوبة لما ابتلى الله به الأنبياء : فهذا أيوب عليه السلام قد ابتلاه ربه فوجده صابراً نعم العبد إنه أواب .. والله يقول فى سورة ص :

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ٤١ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ٤٢ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ٤٣ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ٤٤ ﴾

سورة ص

وفى سورة الأنبياء يقول الله :

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ٨٣ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ٨٤ ﴾

سورة الأنبياء

أبعد كل هذا يقال إن الابتلاء عقوبة ؟ كلا لا يصح هذا من مؤمن بقضاء الله وقدره ولكن الطوفان الذى أغرق الكفار من قوم نوح كان عقوبة لهم بسبب كفرهم وبغيهم :

﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ٣٦ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾

[سورة هود الآية : ٣٦ – ٣٧]

ولما قال نوح عليه السلام لربه إن ابنى من أهلى : قال له ربه :

﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ .... ﴾

سورة هود

فالابن الكافر لا يغنى من الله شيئاً أن يكون أبوه رسولاً ونبياً من الصالحين .

وبشر الصابرين

ولقد جعل الله التقوى مفتاحاً للرزق :

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾

[سورة الطلاق آية : ٢ – ٣]

ورب قائل يقول : ولِمَ يبتلى الله الأنبياء والأولياء ؟ ونقول إن الله لا يُسأل عما يفعل ،

فهو مدبر الأمور وحده لا شريك له : وهو القائـــل : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾
سورة البقرة ـ آية : ١٥٥

ولله فى خلقه شئون والله يقول :

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾
[سورة العنكبوت آية : ٢ ـ ٣]

ويقول :

﴿ .... وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾
سورة آل عمران

البلاء المبين

والله يقول :

﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ۝ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾
سورة الصافات

وفى قصة سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع ابنه اسماعيل ـ عليه السلام ـ مثل أعلى للصابرين عند البلاء المبين أما قصة سيدنا أيوب عليه السلام فهى صورة حية قوية قد جاءت ليقتدى بها من كان مؤمناً حقاً عند المحن التى يبتلى بها المخلصون الصامدون الصادقون الصابرون ، ومن أجل هذا كانت قرآناً يتلى ليقول المسلم لربه : « ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمرا » لأن الأمر أمرك والملك ملكك والخلق خلقك

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾
سورة الأعراف ـ آية : ٥٤

والله يقول : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة هود

وقال له : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب

ثم أمره بأن يبشر المؤمنين بالفضل الكبير وأن يدع أذى الكافرين والمنافقين وأن يصبر على ذلك حتى يفتح الله بينه وبين قومه بالحق ، وقد تم له عزاً وفتحاً مبيناً ونصره الله نصراً عزيزاً وقال له :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾
سورة الفتح

وفى قصص القرآن عظات وعبر وفيها من الأنباء ما فيه مزدجر وفى سورة يوسف مثلاً مواقف واختبارات وابتلاء وامتحانـــات ثم تمخضت المحن فجاءت بمنح كثيرة ونعم وفيرة ليوسف وأبيه يعقوب عليهما السلام ونزل قرآن يتلى ليقص علينا أحسن القصص فى سورة كاملة بينت ما حدث ليوسف فى مواطن كثيرة ولم تفارقه فيها عناية ربه العلى القدير وهو الذى قال له جل

شأنه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾ سورة يوسف

وفيها يقول ربنا جل جلاله :

﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ۝ ﴾ سورة يوسف

وفيها يقول تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾ سورة يوسف

فكان جزاء التقوى والصبر والتعفف أن مكن الله ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء .

السيل الجائر والجمهور الصابر

وحدث ابتلاء فى أيامنا هذه وتلك قصته :

بينا نحن جلوس فى ساحة الدار فى ساعة الظهيرة من النهار ومن حولنا الأصدقاء وبعض الأبناء إذ هاجمنا طوفان من السيول الجارف الجائر بطغيانه ، فدمر الديار بعدوانه ، وخرب العمران واقتلع الأشجار وجرها إلى مكان سحيق وقد غير معالم الطريق وهدم الكبارى بعنفوانه لما هاج وماج وثار وفار ولم يترك فرصة لانقاذ ما فى البيوت من مال ومتاع !!! وكان مصير كل شيء إلى الضياع ولكنا كما نقول :

إذا سلمت رءوس الرجال من الردى
فما المال إلا مثل قص الأظافر

وقد كان الله لطيفاً بعباده لأن بعض الشر أهون من بعض ، ولأن السيل لو هاجم الناس ليلا والناس نيام لحدثت خسائر فى الأرواح بسبب انهيار البيوت على ساكنيها وذلك لأن كل البيوت المبنية بالطوب اللبن أصبحت أثراً بعد عين وصارت أكواماً من الطين .

رُبَّ ضارة نافعة

وبعد أن ذهب السيل بأضراره وآثاره وخسائره وآثامه :

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ .. ﴾ هود ـ آية : ٤٤

قام الناس فوراً بإعادة بناء بيوتهم (بالأسمنت المسلح) وتم ذلك فى زمن قصير ولا يزال البناء مستمراً لاعادة الحياة الجادة الآمنة المطمئنة لبلاد أولاد يحيى بسوهاج : وإن تعجب فعجب أن الناس لم تهزمهم كالكوارث ولم تزعزعهم الحوادث فقد استعانوا بالله وصبروا على البلاء ورضوا بالقضاء وقد طلبوا العون من الله رب الأرض والسماء على التعمير بعد التدمير فنجحت قوة الارادة وانتصر صدق العزيمة . وكان الصبر عند الشدائد والمحن دليل الرضا :

وبالايمان السليم الذى لم يترك لليأس طريقاً ولا للخذلان سبيلاً شُيِّد البناء الجديد شامخاً وألغى البنيان بالطين أو بالطوب اللبن فى جميع النجوع :

قدر الله أن يزيد قوانا
باحتمال الخطوب لما ابتلانا
ومن الضعف أن نظن بأن
الغشم قد نابنا وفات سوانا
كلنا قد أصيب بالألم الشر
اختباراً لعقله وامتحانا



روابط المجتمع الإسلامي

لفضيلة الشيخ علي حامد عبد الرحيم

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه »

رواه أبوداود ، والنسائي وغيرهما

المفردات :

١ ـ استعاذ : طلب العصمة

٢ ـ فأعيذوه : اجيروه لمرضاة الله الذي استعاذ به

٣ ـ سأل بالله : طلب شيئا من حطام الدنيا

٤ ـ فأعطوه : إذا قدرتم على العطاء

٥ ـ فأجيبوه : وجوبا إذا كانت الدعوة لوليمة نكاح . ولم يكن هناك منكر

٦ ـ كافئوه : فأحسنوا بمثله .

البيان

إن الإسلام في تعاليمه السامية إلى إقامة المجتمع المترابط ، المتعاون على البر والتقوى ، المتراحم الذي يحقق الاعتصام بحبل الله ـ عز وجل ـ بما يقتضي : أن يهتم كل مسلم بأمر أخيه المسلم ، وأن يعنى بشأنه ، والدفاع عنه ، والعمل على ترقية حاضره ومستقبله ، بل يبذل من ذات نفسه ويدفع عنه كل أذى يصيبه ، أو شر يقع عليه ، ويحفظ عرضه ، ويصون حرمته ، كما قال رسول الله ﷺ فيما رواه أبوداود عن أبي الدرداء **« من رد عرض أخيه رد الله عنه النار يوم القيامة »**

يحافظ على كرامته ويصونه في حضوره وغيبته . كما يقول النبي ﷺ **« ما من امرىء ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله من موطن يحب فيه نصرته »** رواه أبوداود من حديث جابر .

ومن مظاهر هذه الأخوة الإسلامية التي يتميز بها المؤمن . كما جاء الحديث الذي بين أيدينا « من استعاذ بالله » أي سأل العوذ والعصمة من شيء متوسلا إليكم بالله مقسما به عليكم « فأعيذوه » فاجيروه إجلالا لمن استعاذ به ، وطلبا لمرضاته

ـ تبارك وتعالى ـ « ومن سألكم بالله » شيئا من أمور الدين أو الدنيا ، وقدرتم عليه . « فأعطوه » بعد التأكد من حاجته وعجزه ، وإلا كان إعطاؤه تشجيعا على البطالة والكسل والتسول .

« **ومن دعاكم فأجيبوه** » لأن هذا من حق المسلم على أخيه المسلم فعن جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ قال : « **إذا دعى أحدكم إلى طعام فليجب ، فإن شاء طعم ، وإن شاء ترك** » رواه مسلم .

وفى حديث رواه أبوداود عن عبدالله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من دعى فلم يجب فقد عصى الله ورسوله ، ومن دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا** » ـ مختطفا ـ أما إذا دعى إلى مكان فيه منكر ـ وكان يقدر على إزالته ـ لزمه الحضور لوجوب الإجابة لإزالة المنكر . وإذا لم يقدر على إزالته : لم يحضر . فقد نهى الرسول ﷺ أن يجلس على مائدة تدار فيها الخمر « وإن دخل فرأى منكرا غيره إن قدر وإلا أنكر بلسانه وانصرف .

روى الترمذى عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل فى أرض الضلال صدقة ، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق صدقة ، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك صدقة » زاد ابن حبان فى صحيحه « وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة » « **فكافئوه** » أى : على إحسانه بمثله أو أحسن منه . كما قال ـ عز وجل ـ : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ النساء آية ٨٦

فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » وفى رواية الطبرانى فى الأوسط قال : من اصطنع إليكم معروفا فجازوه ـ أحسنوا إليه ـ فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أن قد شكرتم ، فإن الله شاكر يحب الشاكرين » .

وروى أحمد والطبرانى . عن الأشعث بن قيس ـ رضى الله عنه ـ « إن أشكر الناس لله تبارك ـ وتعالى ـ أشكرهم للناس ، وفى رواية : لا يشكر الله من لا يشكر الناس » .

إن من أسدى إليه معروف ، ويسر الله له الخير ، وأوجد عنده النعم فليجد وليتكرم بالبذل والعطاء ، ومن لم يجد فعليه بالدعاء . فعن أسامة ابن زيد ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذى « من صنع إليه معروف فقال لفاعله : جزاك الله خيرا فقد أبلغ فى الثناء » .

وروى أبوداود عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال المهاجرون يارسول الله ، ذهب الأنصار بالأجر كله ما رأينا قوما أحسن بذلا ـ عطاءً ـ كثيرا ، ولا أحسن مواساة ـ صلة ومساعدة ـ فى قليل منهم ، ولقد كفونا المؤنة ـ الحاجة ـ قال : أليس تثنون عليهم به ، وتدعون لهم ؟ قالوا : بلى . قال : ذاك بذاك .

جعلنا الله من صناع المعروف ، ووفقنا حتى نكون من الذاكرين الشاكرين .

أجر من عزى مصابا

بقلم أ. د محمود سالم الخطيب

عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « من عزى مصابا فله مثل أجره »[1] .

رواه الترمذى وقال : إنه غريب ، ولم يرفع إلا من طريق على بن عاصم ، ورواه ابن ماجه ، وتكلم فى صحته .

وقال رسول الله ﷺ : « ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله ـ سبحانه وتعالى ـ من حلل الكرامة يوم القيامة » أخرجه ابن ماجه .

راوى الحديث :

هو : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ الهُذَلى أبو عبد الرحمن ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنه .

مولـده :

ولد بعد ميلاد الرسول ﷺ بعشر سنوات ، أحد السابقين إلى الإسلام ، سادس من أسلم ، لذلك يُعد سدس المسلمين . ضمه إليه النبى ﷺ ؛ فكان يلبسه نعليه ، ويمشى معه وأمامه ، ويستره إذا اغتسل ، ويوقظه إذا نام ، شهد الغزوات كلها ، وهاجر الهجرتين ، وصلى للقبلتين ، وآخى النبى ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ ـ رضى الله عنه ـ وشهد له ﷺ بالعلم والجنة ، وكان يحفظ القرآن ، وقال : لقد أخذت من فى رسول الله ﷺ سبعين سورة .

وقال : والله ما نزل من القرآن شىء إلا وأنا أعلم فى أى شىء نزل ، وما أحد أعلم بكتاب الله منى ، وما أعلم أحداً تبلغنيه الإبل أعلم بكتاب الله منى لأتيته .

وفـاته :

توفى ـ رضى الله عنه ـ سنة ٣٢ هـ ، وعمره ثلاث وسبعون سنة تقريبا .

---

(١) الترمذى ص٣٧٦ ، حديث رقم ١٠٧٣ .



لغويات الحديث :

أجْرَه بأجْرُه ، أى : أثابه وأعطاه الأجر والجزاء ، والمراد : أن الذى يعزى المصاب يحصل على ثواب كالذى يحصل عليه صاحب المصيبة .

(من عزّى) من التعزية ، وعزّاه يُعزّيه : إذا أمره بالصبر ، وحثه عليه ، وبين له أنه إذا صبر أخذ الأجر ، والتعزية فى اللغة : التسلية لمن أصيب بمن يعز عليه .

وشرعا : الأمر بالصبر والحث عليه بوعد الأجر وبالدعاء للميت بالمغفرة ، وللمصاب بجبر المصيبة .

والتعزية تكون بأى صيغة تُشعر بالتسلية ، وتخفف عن المصاب ألم الفراق لمن أصيب فيه ، كقول البعض : اصبر واحتسب ، أو ألهمك الله الصبر ، أو إنا لله وإنا إليه راجعون . وأحسنها : ما أثر عن النبى ﷺ فيما رواه البخارى ومسلم قوله : « إنّ لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شىء عنده بأجل مسمى »[١] .

والتعزية تمتد إلى ثلاثة أيام إذا كان المعزّى والمعزَّى موجودين فى مكان المصاب . فإن غاب أحدهما فله ثلاثة أيام من وقت حضوره على اختلاف بين الفقهاء . كما أنها مندوبة للمسلم مع المسلم ، فهى جائزة فى تعزية المسلم للكافر كأن يقول له : جبر الله مصيبتك ، أو نحو ذلك ، وهذا من سماحة الإسلام . ويعزى أهل الميت وجيرانه ــ ذكورا وإناثا ــ إلا الشابة فلا يعزيها إلا محارمها[٣] .

معنى الحديث :

يرغب النبى ﷺ ويحث الناس على تعزية بعضهم بعضا ، مبينا لهم : أن من يقوم بهذا العزاء يعطى من الله الأجر العظيم والثواب الجميل الذى بينه فى الحديثين السابقين ؛ ولأن هذا العزاء يجعل من المجتمع أسرة واحدة متعاونة متضامنة ، ولم يقصر النبى ﷺ التعزية على المسلم فقط ، وإنما أجازها لغير المسلم .

وكما رغب ﷺ فى تعزية أهل الميت ، رغب كذلك فى عيادة المريض مسلما أو غير مسلم وبين أن من حق المسلم على أخيه أن يعوده فى مرضه .

قال ﷺ : « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » .

أخرجه كل من البخارى ومسلم وأبو داود وغيرهم .

ومعنى عيادة المريض : زيارته فى مرضه ، ومعنى اتباع الجنائز : السير معها إلى وضعها فى القبر .

---

(٢) النهاية فى غريب الحديث ص ٢٥ جـ ١ .

(٣) انظر شرح ابن قاسم حاشية الباجورى فى فقه الشافعية جـ ١ ص ٣٠٣ ومن كتاب الفتح الربانى مع مختصر شرحه بلوغ الأمانى جمع وترتيب أحمد البنا الشهير بالساعاتى جـ ٨ ص ٩١ بتصرف .

ومعنى إجابة الدعوة : أنه إذا دعاه أخوه لمناسبة مشروعة لبى الدعوة لاسيما فى عقد القران .

ومعنى تشميت العاطس : أى يقول له ما يمنع الشماتة فيه . كقوله : (يرحمك الله) إذا حمد الله .

ولم تختص عيادة المريض بالمسلم فقط ، فقد ثبت أن النبى ﷺ كان له خادم يهودى ، فكان إذا مرض عاده ، فعاده مرة وعرض عليه الإسلام ، وأبوه حاضر ، فقال له أبوه : أطع أبا القاسم ، فأسلم ، فقال الرسول ﷺ : « الحمد لله الذى أنقذه من النار » . رواه البخارى[4] .

وكذلك رغب النبى ﷺ فى اتباع الجنائز وحملها ، وبين أن من يفعل ذلك له أجر كبير من الله ـ تعالى ـ كما تقدم فى الحديث السابق الذى رواه البخارى .

وكذلك رغب النبى ﷺ فى الصلاة على الميت ، وبين جزاء من يفعل ذلك ، فقال ﷺ فيما رواه أبو هريرة : « من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ، ومن شهد حتى تدفن كان له قيراطان ، قيل : وما القيراطان يارسول الله ؟، قال : « مثل الجبلين العظيمين » .

وفى رواية « أصغرهما مثل أحد » .

ومعنى « فله قيراط »[5] : أى : نصيب من الأجر العظيم كالجبل ، بشرط أن يفعل ذلك حسبة لوجه الله ـ تعالى .

وحث على الدعاء للميت فى الصلاة .

عن عوف بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أنه قال :

صلى رسول الله على جنازة ، فحفظتُ من دعائه : « اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مُدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيراً من داره ، وأهلا خيراً من أهله ، وزوجا خيراً من زوجه ، وأدخله الجنة ، وأعذه من عذاب القبر أو من عذاب النار » .

قال الراوى لهذا الحديث : تمنيت أن أكون ذلك الميت[6] .

ومعنى أكرم نزله : أى أحسن ضيافته .

والبرد : الماء ينزل سائلا ثم يجمد .

وكذلك حث ـ عليه الصلاة والسلام ـ على الدعاء للميت بالتثبيت بعد دفنه .

عن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : كان النبى ﷺ إذا فرغ من دفن الميت ، وقف عند رأسه ، وقال : « استغفروا لأخيكم ، واسألوا له بالتثبيت ، فإنه الآن يُسأل »[7] .

ومعنى (اسألوا له بالتثبيت) : أى : بقولهم : اللهم ثبته عند السؤال ، ولقنه حجته .

(٤) رواه البخارى ومسلم وأبو داود وغيرهم فى كتاب الجنائز .

(٥) أصل القيراط ـ وزنا ـ ١/٢٤ من الدينار .

(٦) رواه مسلم والنسائى والترمذى .

(٧) رواه أبو داود .

وحث الرسول ﷺ على احترام الجنازة بالقيام لها ، لا فرق فى ذلك بين مسلم أو غيره ، فعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال : « إذا رأيتم الجنازة فقوموا لها فمن تبعها فلا يقعد حتى توضع »(٨) .

ومعنى توضع : أى فى القبر .

وعن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : مرت جنازة فقام لها رسول الله ﷺ وقمنا معه ، فقلنا : يا رسول الله ، إنها يهودية ، فقال : « إن الموت فزع ، فإذا رأيتم الجنازة فقوموا » .

وفى رواية أخرى للبخارى : « أليست نفس منفوسة »(٩) .

ومعنى منفوسة : أى : إن الله خلقها .

وأباح الإسلام تقبيل الميت ، عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « رأيت رسول الله ﷺ يقبل عثمان بن مظعون وهو ميت حتى رأيت الدموع تسيل » ، وإنما قبل ﷺ عثمان شفقة عليه وتعظيما له ، لأنه كان أخاه من الرضاعة .

وبين ﷺ فضل الشهادة للميت بخير ، وأنها تدخله الجنة ، فعن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ﷺ : « أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة ، فقلنا : ثلاثة ؟ قال : ثلاثة ، قلنا : واثنان ؟ ، قال : واثنان »(١٠) ثم لم نسأله عن الواحد .

ونهى ﷺ عن سب الأموات ، فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ قال : « لا تسبوا الأموات ؛ فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا »(١١) .

معنى سب الأموات : ذكرهم بالشر والسوء ، ومعنى أفضوا : أى وصلوا إلى ما عملوا ، فهم يسألون عنه ويجازون عليه .

وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما : أن النبى ﷺ قال : « اذكروا محاسن موتاكم ، وكفوا عن مساويهم »(١٢) .

وقد احترم الإسلام العواطف الإسلامية والنفس البشرية ، فجوز النبى ﷺ البكاء على الميت من غير صوت ولا شق ثوب ولا لطم خد ، فعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : دخلنا مع النبى ﷺ على أبى القين ، وكان ظئرا لإبراهيم ابن النبى ﷺ فأخذ النبى ﷺ إبراهيم ﷺ فقبله وشمه ثم دخلنا بعد ذلك ، وإبراهيم يجود بنفسه . فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان . فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ ، فقال : « يا ابن عوف إنها رحمة » ثم أتبعها ﷺ : « إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون »(١٣) .

ومعنى القين : أى الحداد ، واسمُهُ : البراء بن أوس الأنصارى .

(٨) رواه البخارى ومسلم والنسائى وغيرهم . (٩) رواه البخارى ومسلم وأبو داود . (١٠) رواه البخارى .

(١١) رواه البخارى والنسائى . (١٢) رواه الترمذى . (١٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود .

ومعنى الظئر : زوج المرضعة التي كانت ترضع إبراهيم ، واسمها : خولة بنت المنذر الأنصارية النجارية، ومعنى يجود بنفسه : أي بروحه ، يعني : يحتضر .

ومعنى تذرفان : أي يسيل دمعهما من البكاء . وبكاؤه ﷺ من أثر الرحمة التي وضعها الله – تعالى – في قلبه ، فلا يلام الإنسان عليها إذا كانت من غير صوت .

وقال ﷺ فيما رواه ابن مسعود – رضي الله عنه : « ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية »[٢٤] .

وعن أبي موسى – رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قد برئ من الصالقة والحالقة والشاقة[٢٥] .

معنى الصالقة ، بالصاد أو السين : الرافعة صوتها بحدة عند المصيبة .

والحالقة : أي التي تحلق شعرها عند المصيبة .

والشاقة : الممزقة لملابسها ؛ لأن هذه الخصال الستة من خصال الجاهلية . قال شاعرهم طرفة بن العبد – يوصي امرأته بعد موته :

إذا مت فانعيني بما أنا أهله
وشقي على الجيب يا ابنة معبد

ومن سماحة الإسلام انه لا يُعذَّبُ الميت بهذه الأعمال إلا إذا أوصى بها .

وقد زاد الإسلام من مواساة أهل الميت ، فأمر المسلمين إذا مات أحد لمسلم أن يتضامنوا في تجهيز الطعام لأهله والمعزين ؛ لأنهم مشغولون عن هذا بتجهيز مصابهم .

قال ﷺ فيما رواه عبدالله بن جعفر – رضي الله عنهما – لما جاء نَعْيُ جعفر ، قال النبي ﷺ : « اصنعوا لأهل جعفر طعاما ، فإنه قد جاءهم ما يشغلهم »[٢٦] .

وهذا من الإسلام تأكيد للتضامن والتكافل والإخاء ، مما يجعل المسلمين أسرة واحدة تشعر بشعور واحد في الألم والسرور ، وذلك خير مما يفعله كثير من الناس اليوم من نصب السرادقات ، وذبح الذبائح ، وإنفاق المال الكثير بدون داع ، فيحرم إنفاق هذا المال أشد حرمة إذا كان يحتاج إلى هذا المال قُصَّر في حاجة ماسة إلى التربية .

والمسلمون إذا استجابوا لهذا الهدف النبوي كانوا منفذين لتعاليم رسولهم ﷺ ومحبين للسنة تاركين للبدعة التي نهى عنها الرسول ﷺ في قوله : « من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو عليه رد »[٢٧] .

(٢٤) رواه البخاري ومسلم وغيرهما

(٢٥) رواه الترمذي

(٢٦) رواه الترمذي

(٢٧) رواه الترمذي وأبو داود

الإمام الزهرى

للدكتور أحمد السيد أحمد خطيبة

هو : محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشى الزهرى الفقيه أبوبكر الحافظ المدنى أحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام[1] .

مولده :

قال الذهبى[2] : مولده فيما قاله خليفة بن ابن صالح : فى سنة خمسين ، وفيما قاله خليفة بن خياط : سنة إحدى وخمسين .

وروى عنبسة : حدثنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب (أى : الزهرى) قال : وفدت إلى مروان وأنا محتلم ، فهذا مطابق لما قبله .

قلت : مروان هو ابن الحكم بن أبى العاص أبو عبدالملك الأموى، ولى الخلافة فى آخر سنة أربع وستين ، ومات سنة خمس وستين ، وله ثلاث أو إحدى وستون سنة . فقول الزهرى : وفدت عليه وأنا محتلم يعنى وقد بلغ العام الثالث عشر أو الرابع عشر من عمره ، فهذا يؤيد أن مولده سنة إحدى وخمسين أو قبلها .

قال الذهبى : وأبى ذلك يحيى بن بكير ، وقال : ولد سنة ست وخمسين ، حتى قال له يعقوب الفسوى : فإنهم يقولون : إنه قد وفد إلى مروان ، فقال : هذا باطل ، إنما خرج إلى عبدالملك بن مروان ، وقال : لم يكن عنبسة موضعاً لكتابة الحديث .

قلت : قال الحافظ فى التقريب[3] :

عنبسة بن خالد بن يزيد الأموى ، صدوق من التاسعة ، وساق الحافظ فى التهذيب[4] كلام يحيى ابن بكير ولم يتعقبه ، وذكر فى ترجمة عنبسة أنه قد أخرج له البخارى مقرونا بغيره ، وأبو داود .

شيوخه :

قال ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل[5] :

(١) تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ٩/٤٤٥ .
(٢) سير أعلام النبلاء ٥/٣٢٦ .
(٣) تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلانى ١/٤٣٢ .
(٤) تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلانى ٨/١٥٤ .
(٥) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ٨/٧١ .

روى عن أنس بن مالك ، وسهل بن سعد ، وأبى الطفيل ، والسائب بن يزيد ، وعبدالله بن ثعلبة بن صعير ، ومحمود بن الربيع ، وعبدالرحمن ابن أزهر ، ورأى ابن عمر ، وروى عن أبان بن عثمان ، ولم يسمع منه ، وغيرهم .

وروى عنه :

عراك بن مالك ، وأخوه عبدالله بن مسلم ، وبكير بن الأشج ، ومنصور بن المعتمر ، وعمرو ابن شعيب ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وصالح ابن كيسان ، وسليمان بن يزيد ، وعقيل ، والأوزاعى ، والزبيدى ، وغيرهم .

نشأته :

قال ابن سعد فى الطبقات الكبرى (٦) :

أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثنا عبدالرحمن ابن عبدالعزيز ، قال : سمعت الزهرى يقول : نشأت وأنا غلام لا مال لى مُقطَعًا من الديوان ، وكنت أتعلم نسب قومى من عبدالله بن ثعلبة بن صعير (العذرى) . وكان عالما بنسب قومى ، وهو ابن أختهم وحليفهم ، فأتاه رجل فسأله عن مسألة من الطلاق ، فعيى بها ، وأشار له إلى سعيد ابن المسيِّب ، فقلت فى نفسى : ألا أرانى مع هذا الرجل المسن ، يعقل أن رسول الله ﷺ مسح على رأسه ، وهو لا يدرى ما هذا ! فانطلقت مع السائل إلى سعيد بن المسيب فسأله ، فأخبره ، فجلست إلى سعيد ، وتركت عبدالله بن ثعلبة ، وجالست عروة بن الزبير ، وعبيدالله بن عبدالله ابن عتبة ، وأبا بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام حتى فقهت . فرحلت إلى الشام ، فدخلت مسجد دمشق فى السحر ، فأممت حلقة وجاه المقصورة عظيمةً فجلست فيها ، فنسبنى القوم ، فقلت : رجل من قريش من ساكنى المدينة ، فقالوا : هل لك علم بالحكم فى أمهات الأولاد ؟ فأخبرتهم بقول عمر بن الخطاب فى أمهات الأولاد . فقال لى القوم : هذا مجلس قبيصة بن ذؤيب ، وهو جائيك ، وقد سأله عبدالملك عن هذا ، وسألنا فلم يجد عندنا فى ذلك علما ، فجاء قبيصة فأخبروه الخبر ، فنسبنى فانتسبت ، وسألنى عن سعيد بن المسيب ونظرائه فأخبرته ، قال : فقال : أنا أدخلك على أمير المؤمنين ، فصلى الصبح ، ثم انصرف فتبعته ، فدخل على عبدالملك ابن مروان ، وجلست على الباب ساعة حتى ارتفعت الشمس ، ثم خرج فقال : أين هذا المدينى القرشى ؟ قال : قلت : هاأنذا ، قال : فقمت حتى دخلت معه على أمير المؤمنين ، قال : فأجد بين يديه المصحف قد أطبقه ، وأمر به يرفع ، وليس عنده غير قبيصة جالس ، فسلمت عليه بالخلافة . فقال : من أنت ؟ قلت : محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب بن عبدالله ابن الحارث بن زهرة .. فقال : أوه ، قوم (نعارون) فى الفتن ، قال : وكان مسلم بن عبيدالله مع (ابن) الزبير . ثم قال : ما عندك فى أمهات الأولاد ؟ فأخبرته ، فقلت : حدثنى سعيد ابن المسيِّب ، فقال : كيف سعيد ، وكيف حاله ؟ فأخبرته ، ثم قلت : وحدثنى أبوبكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، فسأل عنه ، قلت : وحدثنى عروة بن الزبير ، فسأل عنه ، فقلت : وحدثنى عبيدالله بن عبدالله بن عتبة ،

(٦) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ٤/١٠٢ .

فسأل عنه ، ثم حدثه بالحديث في أمهات الأولاد عن عمر بن الخطاب .. قال : فالتفت إلى قبيصة ابن ذؤيب . فقال : يكتب به إلى الآفاق .

قال : فقلت : لا أجده أخلى منه الساعة ، ولعلى لا أدخل (عليه) بعد هذه المرة ، فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يصل رحمى ، وأن يفرض لى فرائض أهل بيتى ، فإنى رجل مقطع لا ديوان (لى) فعل ، فقال : إيهًا الآن ! إمض لشأنك .. قال : فخرجت والله مؤيسا من كل شىء خرجت له ، وأنا والله حينئذ مقل مرمل ، فجلست حتى خرج قبيصة فأقبل علىّ لائما لى ، فقال : ما حملك على ما صنعت من غير أمرى ألا استشرتنى ؟ قلت : ظننت والله أن لا أعود إليه بعد ذلك المقام ، قال : ولم ظننت ذاك ؟ تعود إليه ، فالحق بى ، أو قال : إيتنى فى المنزل . قال : فمشيت خلف دابته والناس يكلمونه حتى دخل منزله ، فقلّ ما لبث حتى خرج إلىّ خادم برقعة فيها : هذه مائة دينار قد أمرت لك بها ، وبغلة تركبها ، وغلام يكون معك يخدمك ، وعشرة أثواب كسوة ، قال : فقلت للرسول : ممن أطلب هذا ؟ فقال : ألا ترى فى الرقعة اسم الذى أمرك أن تأتيه ؟ قال : فنظرت فى طرف الرقعة ، فإذا فيها : تأتى فلانا فتأخذ ذلك منه ، قال : فسألت عنه ، فقيل : ها هو ذا ، هو قهرمانه ، فأتيته بالرقعة ، فقال : نعم ، فأمر لى بذلك من ساعته ، فانصرفت وقد ريّشنى وجبرنى ، قال : فغدوت إليه من الغد ، وأنا على بغلته وسرجها ، فسرت إلى جانبه ، فقال : احضر باب أمير المؤمنين حتى أوصلك إليه قال : فحضرت للوقت الذى وعدنى له فأوصلنى إليه ، وقال : إياك أن تكلمه بشىء حتى يبتدئك ، وأنا أكفيك أمره . قال : فسلمت عليه بالخلافة فأومأ إلىّ أن اجلس ، فلما جلست ابتدأ عبدالملك الكلام ، فجعل يسائلنى عن أنساب قريش ، وهو كان أعلم بها منى ، قال : وجعلت أتمنى أن يقطع ذلك لتقدمه علىّ فى العلم بالنسب ، قال : ثم قال لى : فرضت لك فرائض أهل بيتك ، ثم التفت إلى قبيصة فأمره أن يثبت ذلك فى الديوان ، ثم قال : أين تحب أن يكون ديوانك ، أمع أمير المؤمنين ها هنا ؟ أم تأخذه ببلدك ؟ قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، أنا معك ، فإذا أخذت الديوان أنت وأهل بيتك أخذته ، قال : فأمر بإثباتى ، وبنسخة كتابى أن يوقع بالمدينة ، فإذا خرج الديوان لأهل المدينة قبض عبدالملك بن مروان وأهل بيته ديوانهم بالشام .

قال الزهرى : فعلت أنا مثل ذلك ، وربما أخذته بالمدينة ، لا أصد عنه . قال : ثم خرج قبيصة بعد ذلك ، فقال : إن أمير المؤمنين قد أمر أن تثبت فى صحابته ، وأن يجرى عليك رزق الصحابة ، وأن ترفع فريضتك إلى أرفع منها ، فالزم باب أمير المؤمنين ، قال : وكان على عرض الصحابة رجل فظ غليظ يعرض عرضا شديدا ، قال : فتخلفت يوما أو يومين فجبهنى جبها شديدا ، فلم أعد لذلك التخلف ، وكرهت أن أقول لقبيصة شيئا فى أول ذلك ، ولزمت عسكر عبدالملك ، وكنت أدخل عليه كثيرا ، قال : وجعل عبدالملك فيما يسائلنى يقول : من لقيت ؟ فجعلت أسمى له ، وأخبره بما لقيت من قريش ، لا أعدوهم ، فقال عبدالملك : فأين أنت عن الأنصار ؟ فإنك واجد عندهم علما ، أين أنت

عن ابن سيدهم خارجة بن زيد بن ثابت ؟، أين أنت عن عبدالرحمن بن يزيد بن جارية ؟، قال : فسمى رجالا منهم ، قال : فقدمت المدينة فسألتهم وسمعت منهم ، يعنى الأنصار ، وجدت عندهم علما كثيرا ، قال : وتوفى عبدالملك بن مروان ، فلزمت الوليد بن عبدالملك حتى توفى ، ثم سليمان ابن عبدالملك ، وعمر بن عبدالعزيز ، ويزيد بن عبدالملك - فاستقضى يزيد بن عبدالملك على قضائه الزهرى ، وسليمان بن حبيب المحاربى جميعا - قال : ثم لزمت هشام بن عبدالملك . قال : وحج هشام سنة ست ومائة ، وحج معه الزهرى ، فصيره هشام مع ولده يعلمهم ويفقههم ويحدثهم ويحج معهم ، فلم يفارقهم حتى مات بالمدينة .

أخبرنا سليمان بن حرب ، قال : حدثنا حماد ابن زيد ، عن معمر قال : أول ما عرف الزهرى أنه كان فى مجلس عبدالملك بن مروان، فسألهم عبدالملك ، فقال : من منكم يعلم ما صنعت أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين ؟ قال : فلم يكن عند أحد منهم من ذلك علم ، فقال الزهرى : بلغنى أنه لم يقلب منها يومئذ حجر إلا وجد تحته دم عبيط قال : فعرف من يومئذ .

وقال الذهبى فى السير[٧] :

قال ابن وهب : حدثنى يعقوب بن عبدالرحمن ، قال : رأيته رجلا قصيرا ، قليل اللحية ، له شعيرات طوال ، خفيف العارضين . يعنى : الزهرى .

معن بن عيسى . عن ابن أخى الزهرى ، قال : جمع عمى القرآن فى ثمانين ليلة .

الحميدى عن سفيان : قال : رأيت الزهرى أحمر الرأس واللحية ، فى حمرتها انكفاء ، كأنه يجعل فيها كتما ، وكان رجلا أعيمش .. وله جمة ، قدم علينا سنة ثلاث وعشرين ومائة فأقام إلى هلال المحرم سنة أربع ، وأنا يومئذ ابن ست عشرة سنة .

معمر عن الزهرى ، قال : مست ركبتى ركبة سعيد بن المسيب ثمانى سنين .

الزبير فى « النسب » له : حدثنى محمد بن حسن ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، قال : كنتُ أخدم عبيدالله بن عبدالله ، حتى إن كنت أستقى له الماء المالح ، وكان يقول لجاريته : من بالباب ؟ فتقول : غلامك الأعمش .

ابن أبى الزناد ، عن أبيه ، قال : كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع . فلما احتيج إليه . علمت أنه أعلم الناس ، وبصر عينى به ، ومعه ألواح أو صحف ، يكتبُ فيها الحديث ، وهو يتعلم يومئذ . وعن أبى الزناد . قال : كنت أطوف أنا والزهرى ، ومعه الألواح والصحف ، فكنا نضحك به .

ابنُ وهب ، عن الليث . كان ابن شهاب ، يقول : ما استودعتُ قلبى شيئا قط فنسيته ، وكان يكره أكل التفاح ، وسؤر الفأر ، وكان يشرب العسل ، ويقول : إنه يذكر ، ولفائد بن أقرم يمدح الزهرى :

ذر ذا وأثن على الكريم محمد
واذكر فواضله على الأصحاب
وإذا يقال : من الجواد بماله ؟
قيل : الجواد محمد بن شهاب

يتبع

(٧) سير أعلام النبلاء ٥/٣٣٢ .

المدونة الكبرى

فى الفقه المالكى

٣

للأستاذ د. محمود عبد المتجلى خليفة

مالك والأصول الفقهية لمذهبه :

لم يدون الإمام مالك الأصول التى بنى عليها مذهبه ، واستخرج على أساسها أحكام الفروع التى استخرجها ، والتى قيد نفسه فى الاستنباط بقيودها ، وكان فى ذلك كالإمام أبى حنيفة معاصره ، ولم يكن كتلميذه الإمام الشافعى الذى دون أصوله فى الاستنباط ، وضبطها ، وذكر البواعث التى بعثته على اعتبارها ، ومقامها من الاستدلال ، وذلك فى كتابه : « الرسالة » .

ولكن الإمام مالكا ـ وإن لم يذكر الأصول الفقهية لاستنباطه ـ قد أشار إليها بتدوين بعض فتاويه ومسائله والأحاديث المسندة بسند متصل ، والمنقطعة ، والمرسلة ، والبلاغات ، وإن لم يكن قد وضح المنهاج ، ودافع عنه ، ولا بيّن البواعث التى بعثته على الأخذ به ، والاتجاه إليه دون سواه .

منهــج مالك :

ومالك ـ وإن لم يدون أصوله ـ قد ذكر منهاجه إجمالاً فى كثير من عبارات اشتمل عليها الموطأ ، وعبارات رويت عنه بطريق تلاميذه والمعاصرين له .

المدونة واستنباط المسائل الفقهية :

يضاف إلى الموطأ ما اشتملت عليه المدونة التى تبين بوضوح مسلكه فى استنباط المسائل الفقهية ، حيث نقل أصحابه آراءه فى المسائل الفقهية التى جمعت معظمها المدونة .

بين الموطأ والمدونة :

فالموطأ ـ وإن كان كتاب حديث ممحص السند والمتن ، فهو كتاب فقه أيضاً ـ يشتمل على

رأى مالك في المسائل الفقهية التي تشملها موضوعاته ، وهو مرتب ترتيباً فقهياً ، وهو أصدق كتاب ينبيء عن علم مالك بالفقه والحديث .

ويليه في ذلك المدونة أول موسوعة ألفت في الفقه المالكي ، فقد دونت فيها الفتاوى ، وجمعت ، وخرج عليها ، فكانت هي الطريق الثاني لمعرفة فقهه ، بعد التعرف عليه مما كتبه هو بيده ، وكان فقه مالك : بعضه تخريج للأحاديث ، وبعضه بيان للأمر الذي كان مجتمعاً عليه بالمدينة ، وبعضه كان بياناً لما كان عليه التابعون الذين التقى بهم ، وبعضه الآخر كان رأياً اختاره من مجموع آرائهم ، وبعضٌ هو رأى رآه ، قد قاسه على ما علم ، فهو شبيه بما علمه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وما اجتمع عليه أهل المدينة ، وما نقله عن أهل العلم من الصحابة والتابعين .

وصف مالك لفقهه :

ولقد وصف الإمام مالك ـ رضي الله ـ تعالى ـ عنه ـ فقهه في الموطأ ، فقال :

أما أكثر ما في الكتاب فرأى لعمرى ما هو برأيي ، ولكن سماع من غير واحد من أهل العلم والفضل ، والأئمة المُقْتَدَى بهم ، الذين أخذتُ عنهم ، وهم الذين كانوا يتقون الله ، وكثر عليّ فقلت : رأى ، وكان رأيهم مثل رأيي ، مثل رأى الصحابة الذين أدركوهم عليه ، وأدركتهم أنا على ذلك ، فهذا وراثة توارثوها ، قرناً عن قرن إلى زماننا ، فهو رأى جماعة ممن تقدم من الأئمة .

وما كان فيه : الأمر المجتمع عليه ، فهو ما اجتمع عليه قول أهل الفقه والعلم ، لم يختلفوا فيه .

وما قلت : الأمر عندى ، فهو ما عمل به الناس عندنا ، وجرت به الأحكام ، وعرفه الخاص والعام .

وكذلك ما قلت : ببلدنا فيه ، وما قلت فيه : بعض أهل العلم ، فهو شيء أستحسنه من قول العلماء .

وأما ما لم أسمعه منهم ، فاجتهدت ، ونظرت على مذهب من لقيتُهُ ، حتى وقع ذلك موقع الحق ، أو قريباً منه ، حتى لا يخرج عن مذهب أهل المدينة وآرائهم ، وإن لم أسمع ذلك بعينه ، فنسبت الرأى ـ بعد الاجتهاد مع السنة ، وما مضى عليه أهل العلم المقتدى بهم ، والأمر المعمول به عندنا من لدن رسول الله ﷺ والأئمة الراشدين ، فذلك رأيهم ما خرجت عنه إلى غيرهم .

ومعنى قول الإمام مالك : إنه رأى ليس برأيي ، أي : إنه نَظَرٌ نَظَرْتُهُ ، ورأْيٌ ارتآه ، ولكنه ليس بدعاً ولا جديداً ولا ابتكاراً ، ولا أمراً غريباً على العلم المدنى ، ففى غير المنصوص يتقيد ـ في اجتهاده ـ بعلم أهل المدينة ، المشهور عندهم ، وبعلم الصحابة والتابعين ، ثم بالقياس على ما قالوا ، وما أفتوا به .

طريق الاجتهاد عند مالك :

لكل هذا نجد الإمام مالكا قد سلك طرق الاجتهاد المعتبرة ، ثم رتبها على ما يوجب العقل ،

ويشهد له الشرع ، فقد نهج فى تلك الأصول مناهجها ، مرتباً لها مراتبها ومداركها ، وذلك بتقديم :

كتاب الله تعالى على ترتيب أدلته فى الوضوح ، من تقديم نص القرآن ، ثم الظواهر ، وهى العمومات ، ثم مفهوم الموافقة ، فمفهوم المخالفة ، ثم تنبيه على العلة مثل قول الله تعالى :

﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾
الأنعام ـ ١٤٥

ثم كذلك السنة على ترتيب متواترها ومشهورها وآحادها ، ثم ترتيب نصوصها وظواهرها ومفهوماتها .

ثم الإجماع عند عدم الكتاب ومتواتر السنة .

وإذا لم يجد الحكم فى هذه الأصول كلها يقيس عليها ويستنبط منها ؛ إذ كتاب الله ـ تعالى ـ مقطوع به ، وكذلك متواتر السنة ، وكذلك نص الكتاب والسنة مقطوع به ، فوجب تقديم ذلك كله ، ثم الظواهر ثم المفهوم فى دخول الاحتمال فى معناها ، ثم أخبار الآحاد عند عدم وجود الحكم فى الكتاب والمتواتر من السنة ، وأخبار الآحاد مقدمة على القياس ، لإجماع الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ على الأصلين ، وتركهم نظر أنفسهم متى بلغهم خبر الثقة ، وامتثالهم مقتضاه ، دون خلاف منهم فى ذلك ، ثم القياس أحرى عند عدم الأصول ، على ما مضى عليه عمل الصحابة ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنهم ـ، ومن بعدهم السلف المرضيين ، وعلى مقتضى مذاهبهم أجمعين .



هذا وسأفرد ـ إن شاء الله ـ مقالة أبين فيها أصول مذهب مالك بالتفصيل ، ثم إن الإمام مالكاً ترك من الآثار ما لم يتحمله الثقات العارفون بما يحملونه ، أو ما وجد الجمهور والجم الغفير من أهل المدينة قد عملوا بغيره وخالفوه .

ثم كان من وقوفه فى المشكلات وتحاشيه عن الكلام فى المعوصات ما سلك به سبيل السلف الصالح ، وكان يفضل الاتباع ، ويكره الابتداع والخروج عن سنن الماضين .

وكان ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنه ـ إذا وجد مصلحة للناس أفتى بما فيه المصلحة ، التى لا يشهد لها من الشارع نص ، ولم يعرف ما يمنع الأخذ بها ، لأن الإذن فى المنافع هو الأصل العام فى هذا الفقه .

والإمام مالك فى ذلك : الفقيه الثاقب النظر ، الذى تنفذ بصيرته إلى الأمر الثاقب بتوفيق الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهذا ما يؤدى إليه النظر السليم ، المتجه إلى طلب الحق من غير غض لقيمة العمل ، ولا بخس لحق العامل ، ولا غمط للمأثور .

وهكذا كان الإمام مالك نير الفقه ، واضح المنهج ، بين الطريقة :

روى الأحاديث بسند متصل أو مرسل أو منقطع ، واستخرج الأحكام من نصوصها ، ووضحها وجلاها ، وما وجده منها يعارض كتاب الله ـ تعالى ـ ردّه ، وأنكر نسبته إلى رسول الله ﷺ .

روايته للحديث الشريف :

والذى ينبغى التنبيه عليه فى هذا المقام أن الإمام مالكاً ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنه ـ لم يلتزم فى حديثه الإسناد المتصل ، فهو لم يصل كل الأحاديث التى رواها بسند متصل إلى النبى ﷺ ، بل فيها :

المرسل الذى لم يذكر فيه الصحابى الذى رواه .

وفيها المنقطع الذى لم يذكر فيه راويه بعد طبقة الصحابى .

وفيه البلاغات التى لم يذكر فيها سند ؛ وذلك لأن التقيد بالسند لم يسد فى عصر مالك ؛ بل تقيد به المحدثون من بعده ، لما كثر الكذب على رسول الله ـ ﷺ ـ وأرادوا أن يستوثقوا من النسبة بمعرفة الرجال ، فاشترطوا وصل السند ، ولم يأخذوا بالمرسل ولا بالمنقطع .

وسبب اتباع الإمام مالك لطريقته أنه كان يشترط « الثقة » فيمن يشافهه ، حتى إنه كان يرفض الأخذ عن كثير من معاصريه ؛ لأنه لم يثق فيهم .

وكان كذلك لا يشترط فى قبول الحديث الشهرة فيما تَعُمُّ به البلوى كما اشترط الحنفية ، ولا يرد خبر الواحد لمخالفته القياس ، أو لعمل الراوى بخلافه .

ولكن يشترط فى خبر الواحد ألا يخالف عمل أهل المدينة ، وعمدته فى الحديث ما رواه أهل الحجاز .

مجتهدون معاصرون لمالك :

هذا وكان مع الإمام مالك ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنه ـ مجتهدون معاصرون له .

فهذه كلمة عن أشهرهم والجهات التى انتشرت مذاهبهم فيها :

قال القاضى عياض بن موسى فى كتابه (ترتيب المدارك فى معرفة أعيان مذهب مالك) ، والشيخ محمد الخضرى فى كتابه (تاريخ التشريع الإسلامى) :

اعلم ـ وفقنا الله وإياك ـ أن حكم المتعبد بأوامر الله ونواهيه ، المتشرع بشريعة نبيه ﷺ طلب معرفة ما يتعبد به ، وما يأتيه ويذره ويجب عليه ، ويحرم ويباح له ، ويرغب فيه من كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة نبيه ﷺ ، فهما الأصلان اللذان لا تعرف الشريعة إلا من قبلهما ، ثم إجماع المسلمين مرتب عليهما ، فلا يصح أن يؤخذ وينعقد إلا عنهما ، إما من نص عرفه المجمعون ثم تركوا نقله ، أو

من اجتهاد مبنى عليهما ، وهذا كله لا يتم إلا بعد تحقق العلم بذلك ، ومعرفة الأدلة الموصلة إليه ، من نقل ونظر وجمع وحفظ ، وعلم ما صح من السنن واشتهر ، ومعرفة كيفية الفهم من علم ظواهر الألفاظ ، وهو علم العربية والفقه ، وعلم معانيهما ، ومعانى موارد الشرع ومقاصده ، ونص الكلام وظاهره وفحواه وسائر مناهجه ، وهو المعبر عنه بـ(علم أصول الفقه) .

وكان أولى الناس بذلك فقهاء أصحاب رسول الله ﷺ الذين أخذوا عنه الأمر ، وعلموا أسباب نزول الأوامر والنواهى ، وشاهدوا قرائن الأمور ، وشافهوا رسول الله ﷺ فى أكثرها ، واستفسروه عنها ، فكانوا أعلم الأمة بلا مرية .

ثم جاء التابعون فنظروا فى أقوالهم ، وبنوا على أصولهم .

ثم جاء من بعدهم من العلماء من أتباع التابعين ، فجمعوا أقوال الجميع ، وحفظوا فقههم ، فاجتهدوا فى جمع السنن ، وضبط الأحوال ، وسُئِلوا فأجابوا ، ومهدوا الأصول ، وفرعوا عليها النوازل ، ووضعوا التصانيف ، وقاسوا على ما بلغهم ما يشبهه .



فإذا تقررت هذه المقدمة ، فقد وقع إجماع المسلمين فى أقطار الأرض على تقليد هذا النمط واتباعهم ، ودرس مذاهبهم دون من قبلهم ، مع الاعتراف بفضل من قبلهم ، وسبقه ، ومزيد علمه .

ثم اختلفت الآراء فى تعيين المُقَلَّد منهم ، فغلب كل مذهب على جهة .

فمالك بن أنس ــ رضى الله ــ تعالى ــ عنه ــ بالمدينة .

وأبو حنيفة والثورى بالكوفة .

أما أبو حنيفة فغنى عن التعريف به ، وقد غلب مذهبه على الكوفة والعراق وما وراء النهر .

وأما الثورى فهو أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى الكوفى .

وقيل له : « الثورى » نسبة إلى ثور بن عبد مناة أحد أجداده ، والثورى من تابعى التابعين ، ولد سنة سبع وتسعين من الهجرة ، وروى الحديث عن أعلام التابعين ، وروى عنه خلق من التابعين[1] .

وعاصر سفيان أبا حنيفة بالكوفة إلا أنه كان على طريقة أهل الحديث الذين يذمون الرأى . ولم يكثر أتباع الثورى ، ولم يطل تقليده ، وانقطع مذهبه عن قرب . خرج من الكوفة سنة خمسين ومائة ، ولم يعد إليها ، ومات بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة .

الحسن البصرى :

كما انتشر مذهب الحسن البصرى بالبصرة .

وهو الحسن بن يسار ، مولى زيد بن ثابت الصحابى ، وكنية أبيه : أبو الحسن ، ولد الحسن

لسنتين بقيتا من خلافة عمر ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنه ـ وروى عن كثير من الصحابة والتابعين ، وكان فقيهاً ثقة ، وإماماً جامعاً .

قال أقرانه عنه : لو أن الحسن أدرك أصحاب النبى ﷺ وهو رجل لاحتاجوا إلى رأيه ، وكان يصدع بالحق ، ولا يخشى أحداً فى إبداء رأيه ، وكان تقياً ورعاً ، يعده الصوفية واحداً منهم ، ويتمثلون بحكمه ، وهو من الأئمة أصحاب المذاهب المُقَلَّدة ، وكان الناس يرون أن ما ظهر عليه من العلوم والفضائل كان ببركة رضاعه من ثدى أم المؤمنين أم سلمة ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنها ـ ، ولم يكثر أتباع الحسن البصرى ، ولم يطل تقليده ، وانقطع مذهبه ، توفى بالبصرة سنة عشر ومائة .

الأوزاعى :

وأما الأوزاعى فقد غلب مذهبه على الشام .

وهو أبو عمرو عبد الرحمن بن محمد الأوزاعى ، والأوزاع بطن من ذى الكَلاع باليمن ، وأصل بيته من سَبْى (عين التمر) ، وهى موضع فى حدود العراق .

ولد بـ (بعلبك) بالشام سنة ثمان وثمانين ، وكان يسكن دمشق ، ثم تحول إلى بيروت فسكنها إلى أن توفى بها سنة سبع وخمسين ومائة .

روى عن عطاء بن أبى رباح ، ومحمد بن مسلم الزهرى ، وابن سيرين ، وغيرهم .

وروى عنه أكابر المحدثين ، وقد أخذ عن مالك كما أخذ مالك عنه ، كانت إليه فتوى أهل الشام لسعة علمه وكمال فضله ، كان عالى الشأن فى الحديث والفقه ، وكان من رجال الحديث الذين يكرهون القياس ، ويقفون مع السنة ، وهو من الأئمة المجتهدين الذين لهم مذاهب خاصة ، وكان أهل الشام يعملون بمذهبه ، وقد عمل به أيضاً أهل الأندلس لكثرة الداخلين إليها من الشام .

ثم اضمحل مذهب الأوزاعى أمام مذهب الشافعى بالشام ، وأمام مذهب مالك فى الأندلس . وكان ذلك فى منتصف القرن الثالث ، ولم يبق من مذهبه إلا ما يوجد فى بطون كتب الخلاف .

الشافعى :

ثم ظهر مذهب الإمام الشافعى ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنه ـ بمصر . هذا وشهرة الشافعى تغنى عن التعريف به ، كثر أتباع الإمام الشافعى ، وظهر مذهبه ظهور مذهب مالك وأبى حنيفة قبله .

وكان ظهور مذهبه أولا بمصر ، وكثر أتباعه بها مع المالكية ، ثم ظهر بالعراق ، وبالأخص فى بغداد ، وغلب عليها ، وعلى كثير من بلاد خراسان والشام واليمن إلى وقتنا هذا .

ودخل وراء النهر وبلاد فارس ، ودخل شيء منه أفريقية وبلاد الأندلس ، بعد سنة ثلاثمائة من الهجرة .

الجهات التى انتشر فيها مذهب الإمام أبى حنيفة رضى الله ـ تعالى ـ عنه :

غلب مذهب أبى حنيفة على الكوفة ، وأغلب العراق ، وما وراء النهر ، وكثير من بلاد خراسان ، وظهر بأفريقية ظهوراً كثيراً إلى قريب من أربعمائة عام ، ثم انقطع منها ، ودخل منه شيء إلى جزيرة الأندلس ، كما ظهر فى (فاس) .

ابن حنبل :

ثم ظهر مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنه ـ ببغداد ، وشهرة الإمام أحمد تغنى عن التعريف به ، ثم انتشر مذهبه فى كثير من بلاد الشام وغيرها .

وكان سبب نشأة المذهب فى بغداد أنها موطنه الذى درج تحت سمائه ، ثم انتقل بعد إلى بلاد أخرى ، فكان بمصر على عهد الفاطميين والأيوبيين من أوائل القرن الرابع ، وكان كذلك بالشام ، وكثر عدد الحنابلة ، وتوفرت كتبهم .

وأصبح الآن مذهب الحنابلة فى الحجاز صاحب المقام الأول ، كما غدا المذهب الرسمى للمملكة السعودية حكومة وشعباً .

أبو ثور :

يلى هؤلاء الأئمة أبو ثور ، الذى ظهر مذهبه فى بغداد .

وأبو ثور : هو إبراهيم بن خالد بن اليمانى الكلبى البغدادى ، الإمام الجليل الجامع بين علمى الحديث والفقه ، وهو أحد الأئمة المجتهدين ، والعلماء البارعين ، متفق على إمامته وجلالته وتوثيقه وبراعته .

كان يتفقه أولاً على مذهب أهل الرأى : أبى حنيفة وأتباعه ، فلما قدم الشافعى بغداد حضره أبو ثور ، فرأى من علمه وفضله وحسن طريقته ما صرفه عما كان عليه ، ورده إلى طريقة الإمام الشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ فكان أبو ثور من أعلام أصحاب الشافعى ، ورواة كتبه الحجة .

إلا أنه اختار لنفسه ، وصار له مذهب خاص مدون ، وأتباع لم يكثروا ، ولم تطل مدتهم ، بل انقرضوا بعد القرن الثالث .

ولأبى ثور شواذ فقهية خالف فيها الجمهور ، منها : أنه يقدم إخراج الوصية على قضاء الدين لتقدمها فى لفظ الآية الكريمة ، ومنها : أنه إذا اجتهد الرجلان فى القبلة جاز لكل منهما أن يأتم بصاحبه متجها كل منهما إلى جهته ، وهذا خلاف ما يقوله غيره .

الطبرى :

ثم نشأ ببغداد أبو جعفر الطبرى :

وهو : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين بـ (آمل)

طبرستان من بلاد فارس ، وهو أحد الأئمة الأعلام ، وصاحب التصانيف الكثيرة ، طلب العلم ، وطوف البلاد ، فجمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، فكان حافظاً لكتاب الله ـ تعالى ـ عارفاً بأنساب الصحابة والتابعين ، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم ، له التاريخ المشهور ، الذى ليس فى التواريخ العربية أوثق منه ، وله كتاب التفسير لم يصنف مثله .

تفقه فى أول أمره بمذهب الشافعى ـ رحمه الله تعالى ـ تلقاه عن الربيع بن سليمان تلميذ الشافعى بمصر ، وأخذ فقه مالك عن يونس بن عبدالأعلى وبنى عبدالحكم ، وأخذ فقه العراق عن أبى مقاتل بالرى ، ثم اتسع علمه ، وأداه اجتهاده إلى ما اختاره فى كتبه الفقهية .

ومن أصحابه المتفقهين على مذهبه على بن عبدالعزيز بن محمد الدولابى ، ومنهم أبو الحسن الدقيقى الحُلْوَانى .

لكن أصحابه لم يكثروا ، ولم تطل مدتهم ، بل انقطع أتباع الطبرى بعد أربعمائة سنة ، توفى ابن جرير سنة عشر وثلاثمائة .

داود الظاهرى :

ثم من المجتهدين فى هذا العصر : داود الظاهرى .

وهو : أبو سليمان داود بن على بن خلف الأصبهانى المعروف بداود الظاهرى ، لتمسكه بظاهر الكتاب والسنة ، ولد داود بالكوفة سنة اثنتين ومائتين ، وأخذ العلم عن إسحاق بن راهويه وأبى ثور وغيرهما ، كان ورعاً زاهداً ناسكاً ، وكان أكثر الناس تعصباً للشافعى ، ثم انتحل لنفسه مذهباً خاصاً ، نهج فيها اتباع الظاهر ، ونفى القياس وقال : إن فى عمومات الكتاب والسنة ما يفى بأحكام الشريعة من وجوب وحرمة وغيرهما ، فإن لم يوجد نص عمل بالإجماع ، ولم يُجوِّزْ الاجتهاد فى الأحكام ، ولا القياس ، فخالف ما مضى عليه عمل الصحابة ومن بعدهم .

وكان له أتباع فى بغداد وشيراز وما والاها ، يقال لهم : الظاهرية ، ووصل مذهبه إلى الأندلس ، وعمل به قوم قليلون بأفريقية والأندلس ، ثم انقطع المذهب بعد خمسمائة سنة .

توفى داود سنة سبعين ومائتين .

سفيان بن عيينة :

ومن هؤلاء المجتهدين سفيان بن عيينة :

وهو إمام المكيين ، وأحد الأئمة الأعلام ، أصله كوفى ، ولد بالكوفة سنة سبع ومائة ، ثم انتقل إلى مكة ، وبقى بها إلى أن مات سنة ثمان وتسعين ومائة . وكان فقيهاً تقياً زاهداً ورعاً مجمعاً على صحة حديثه وروايته ، وكان يُعَدُّ من حكماء أصحاب الحديث ، سمع من سبعين من التابعين ، وشارك مالكا فى أكثر شيوخه كزيد بن أسلم والزهرى ، وروى عنه خلق كثير منهم الشافعى وابن حنبل ، وهو من جملة السابقين إلى التأليف فى عصر مالك ، له مسند وتفسير .

أما مذهبه الفقهي فلم يبق له أثر إلا ما يوجد متفرقاً في بطون الكتب عند ذكر مسائل الخلاف .

إسحاق بن راهويه :

وكان من المجتهدين إسحاق بن راهويه .

وهو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي المعروف بإسحاق بن راهويه ، نزيل نيسابور ، وعالمها ، أحد أئمة الدين الأعلام ، روى عن سفيان بن عيينة ومعتمر بن سليمان وغيرهما ، وروى عنه خلق كثير ، منهم : البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

جمع بين التقوى والفقه ، والحديث والحفظ ، والصدق والورع .

قال البخاري : توفي بنيسابور سنة ثمان وثلاثين ومائتين ، ولم يصل إلينا من فقهه ما يعتبر مذهباً متكاملاً ، ولم نجد له تلامذة ولا أتباعاً .

الليث بن سعد :

ونختم بالإمام المجتهد الليث بن سعد :

وهو : الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي أبو الحارث ، إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً .

أصله من خراسان ، ومولده في قلقشندة بمصر سنة أربع وتسعين ، وكانت وفاته بالفسطاط بمصر القديمة سنة خمس وسبعين ومائة ، وكان من الكرماء الأجواد ، وقد رحل إلى كثير من البلدان لأخذ العلم ، فرحل إلى مكة وبيت المقدس وبغداد ، ولقي تسعة وخمسين تابعياً حدث عنهم ، وكان له اتصال بالإمام مالك في المدينة ، يكاتبه في مسائل التشريع ويحاجه ، وكان ذا منزلة رفيعة في علمه وفضله وعقله ونبله ، عرض عليه أبو جعفر المنصور الخليفة أن يكون والياً على مصر فأبى ، ولم يبق لمذهبه أثر إلا منثورات في بطون الكتب ، عندما ترد مسائل الخلاف ، ولم يهتم تلاميذه بتقييد مذهبه ، ولا بنشره ، فاندثر مذهبه .

يقول الشافعي ـ رضي الله عنه :

(كان الليث أفقه من مالك ، ولكن أصحابه لم يقوموا به) أي ضيعوه .

وبعد ، فهؤلاء الأعلام هم الذين اتفق الناس على تقليدهم ، واتباعهم والاقتداء بهم ، ودرس كتبهم ، والتفقه على مذهبهم ومأخذهم ، والبناء على قواعدهم ، والتفريع على أصولهم .

وصار الناس اليوم في أقطار الأرض على خمسة مذاهب : حنفية ومالكية وشافعية وحنبلية وظاهرية ، وهم الذين على أصل مذهب داود الظاهري ، الذي أحياه ابن حزم بكتابه (المحلى) ، وفيه الكثير من مسائل داود ، وهي مذاهب أهل السنة المعتبرة ، بخلاف مذاهب الشيعة الإمامية والزيدية والإباضية .

يتبع ...

المطلب الثاني
قسط التأمين

حقيقة التأمين .. وأركانه .. وأنواعه

للدكتور / عبدالله مبروك النجار

التعريف بالقسط :

القسط : هو المقابل المالى الذى يقوم المؤمن له بدفعه للمؤمن لتغطية الخطر المؤمن منه فهو مقابل ما يحصل عليه المؤمن له من أمان ، أو ثمن ما يتحمله المؤمن خطر[1] .

والقسط فى عقد التأمين يعتبر من العناصر الأساسية فيه ، وهو فى عقد التأمين ، كالثمن فى عقد البيع فإذا لم يتفق المتعاقدان عليه يكون باطلاً (م ٧٤٧ مدنى) .

والقسط فى التأمين التعاونى يسمى اشتراكاً ، وفى التأمين بقسط ثابت يسمى قسطاً .

ويقوم المؤمِّن بتحديد القسط مراعياً فى ذلك المخاطر التى يتعرض لها المؤمن لهم ، بعد إجراء المقاصة فيما بينها مستعيناً بقوانين الإحصاء ، وللقسط فى عقد التأمين عنصران :

أولهما : هو القسط الصافى أو النظرى ، وهو يتحدد بواسطة قواعد الإحصاء .

وثانيهما : يسمى بعلاوات القسط ، أو القسط المعلى أو المثقل والقسط التجارى .

المطلب الثالث

مبلغ التأمين

المراد بمبلغ التأمين :

هو ذلك المبلغ الذى يمثل التزام المؤمن عند وقوع الخطر المؤمن منه ، أو عند وقوع الحادث المؤمن منه ، وهذا الالتزام هو مايقابل التزام المؤمن له بدفع القسط تبعاً له[2] .

ويعتبر مبلغ التأمين ديناً فى ذمة المؤمن ، قد يكون هذا الدين مضافاً إلى أجل غير معين ، كما فى التأمين على الحياة لحال الوفاة ، لأن أجل الموت لا يعرف أحد وقوعه ، وقد يكون ديناً احتمالياً كما فى حالة التأمين على الأشياء من الحريق أو التأمين من المسئولية ، حيث أن الخطر المؤمن منه فى تلك الحالات أمر غير محقق الوقوع ، ومن ثم كان مبلغ التأمين يمثل ديناً احتمالياً تبعاً لاحتمال الخطر .

ويتمثل هذا الالتزام فى دفع مبلغ من النقود يدفعه المؤمن له أو للمستفيد جملة واحدة ، أو على

---

(١) د . عبد الرزاق السنهورى ــ الوسيط ــ جـ ٧ ص ١١٤٥ وما بعدها ، د . عبد المنعم البدراوى ــ ص ٧٩ وما بعدها ، د . عبد الحى حجازى ــ ص ١٠٦ ، لأمير ــ فقرة ١٦٢ .

(٢) د . السنهورى ــ الوسيط السابق ــ فقرة ٥٦٢ ، د . عبد الرازق فرج ــ السابق ، د . توفيق فرج ــ ص ٤٣ ، د . ربيه المهدى ــ ص ١٥٦ وما بعدها ، د . محمد حسام ــ ص ٢١٢ .

هيئة مرتب مدى الحياة ، وقد يكون عوضاً مالياً آخر ، وفقاً لما تنص عليه المادة (٧٤٧) من التقنين المدنى . مثل التزام المؤمن بإعادة بناء العقار المؤمن عليه فى حالة احتراقه بدلاً من التعويض ، أو إصلاح السيارة المؤمن عليها ، أو إبدال ما فقد من الأشياء أثناء نقلها ، وقد تلتزم الشركة بجانب التزامها الرئيسى بمساعدة المؤمن له فى الدعوى التى يرفعها المضرور ضد المؤمن له من خلال تحمل مصاريف الدعوى[4] .

مقدار ما يلتزم به المؤمن :

والمقدار الذى يلتزم به المؤمن يخضع بحسب الأصل للاتفاق المبرم بيه وبين المؤمن له ، وبجانب الاتفاق هناك عناصر أخرى يجب الاعتداد بها ، وتختلف هذه العناصر بحسب ما إذا كان التأمين تأميناً على الأشخاص أو تأميناً على الأضرار .

أداء المؤمن فى التأمين على الأشخاص :

وفى هذا النوع من التأمين يتحدد مقدار أداء المؤمن بالمبلغ المتفق عليه بين الطرفين المؤمن والمؤمن له أو المستفيد من التأمين عند التعاقد ، دون اعتبار للأضرار التى حاقت بها ، إذ ليس لهذا النوع من التأمين صفة تعويضية (مادة ٧٥٤ مدنى) ويترتب على انتفاء الصفة التعويضية لمبلغ التأمين ، وفى حالة التأمين على الأشخاص أنه يجوز الجمع بين مبلغ التأمين والتعويض المستحق قبل المسئول عن الضرر ، كما يجوز للمؤمن له فى التأمين على الأشخاص أن يبرم عقود تأمين متعددة ، وله فى هذه العقود المتعددة ، أن يقبض مبالغ التأمين مع ماقد يستحقه من تعويض قبل المسئول[5] .

أداء المؤمن فى التأمين من الأضرار :

أما ماق التأمين من الأضرار فإنه من الواجب أن لايزيد مقدار ما يلتزم به المؤمن عن الضرر الذى أصاب المؤمن له فعلاً ، حتى لو زاد المبلغ المتفق عليه عن ذلك وهذا مبدأ أساسى للتأمين من الأضرار ، ولهذا يشترط لاستحقاق التعويض وقوع ضرر بالفعل ، فإذا وقع الحادث المؤمن منه دون ضرر يترتب عليه فلا يجب دفع مبلغ التأمين فى تلك الحالة .

وينبغى أن يكون معلوماً أن هذا النوع من التأمين ، لايجب أن يكون مصدراً لإثراء المؤمن له ، فلا يجب أن يزيد مبلغ التأمين عما هو محدد بالاتفاق ، حتى ولو زادت قيمة الشيء المؤمن منه وقت وقوع الحادث أضعاف المبلغ المتفق عليه (مادة ٧٥١ مدنى)[6] .

ولما كان للتأمين من الأضرار تلك الصفة التعويضية ، فإن المؤمن لا يلتزم بتعويض المؤمن له إلا عن الضرر الناتج من وقوع الخطر المؤمن منه بشرط ألا يجاوز ذلك قيمة التأمين ، وفى جميع الحالات لا يلتزم المؤمن إلا بدفع أقل القيمتين :

---

(٣) الوسيط للسنهورى ص ٤٨ ، د . عبد المنعم البدراوى ص ٢٢٦ ، د . حسام الأهوانى ص ٧٩ ، د . عبد الرازق حسن فرج ص ٧٤ .

(٤) د . عبد المنعم البدراوى – فقرة ١٥٧ ، الوسيط – فقرة ٥٦٣ ، د . عبد الودود يحيى – ص ٤٦ وما بعدها ، د . نزيه المهدى – ص ١٥٨ وما بعدها ، د . توفيق فرج – ص ٤٤ ، د . محمد على عرفه – ص ٥٢ وما بعدها ، د . عبد الرازق فرج – ص ٧٦ .

(٥) الوسيط للسنهورى – المكان السابق .

(٦) د . عبد المنعم البدراوى – فقرة ١٦١ ، د . عبد الرازق فرج – ص ٧٩ .

المبلغ المؤمن به أو مقدار التعويض عن الضرر الذى أصاب المؤمن له .

وعلى هذا لا يجوز التأمين على الخطر الواحد أكثر من مرة لصالح شخص واحد ، لأنه فى جميع الأحوال لن يتجاوز مبلغ التأمين مقدار الضرر ولا يجوز فيه الجمع بين مبلغ التعويض ومبلغ التأمين ، كما يجوز للمؤمن إذا دفع مبلغ التأمين للمؤمن له أو المستفيد أن يحل محله قانوناً فيما له قبل الغير من دعاوى وحقوق (مادة ٧٦١ مدنى) .

أداء المؤمن فى التأمين على الأشياء :

وقد يتحدد الأداء الذى يلتزم المؤمن بالقيام به فى التأمين على الأشياء ، بقيمة الشيء المؤمن عليه ، وفى هذه الصورة لا يتوقف التحديد على الاتفاق أو التعويض وإنما يتوقف على مقدار النسبة بين المبلغ المؤمن به وقيمة التأمين ، فإذا كانا متساويين فإن المؤمن له يحصل على مبلغ يساوى كل الضرر الواقع ، أما إذا كان المبلغ المؤمن به يزيد على قيمة الشيء المؤمن عليه ــ وهذه الصورة تسمى تأمين المغالاة أو التأمين الزائد ــ فى هذه الحالة لا يجوز أن يزيد مبلغ التعويض أو الأداء عن قيمة الشيء المؤمن عليه الفعلية وقت وقوع الخطر ، وذلك إعمالاً للصفة التعويضية .

أما إذا كان المبلغ المؤمن به أقل من قيمة الشيء وقت وقوع الخطر ففى هذه الحالة لا يجوز أن يزيد مقدار ما يتقاضاه المؤمن له عن مبلغ التأمين ، المتفق عليه مهما بلغ مقدار الضرر ــ وهذه الصورة هى ماتعرف بالتأمين البخس ، أو الناقص ــ ، فإذا كان هناك منزل قيمته عشرة آلاف من الجنيهات وأمن عليه صاحبه بمبلغ خمسة آلاف جنيه فإنه لا يأخذ أكثر من المبلغ المؤمن به ولو كانت قيمة المنزل تزيد عنه ، أما إذا هلك الشيء المؤمن عليه هلاكاً جزئياً ، كأن احترق نصفه ، ففى هذه الحالة تطبق قاعدة النسبية(٧) .

مضمون قاعدة النسبية :

فى حالة التأمين البخس أو الناقص إذا كانت قيمة الشيء الفعلية وقت وقوع الخطر أكثر من مبلغ التأمين ، وكان الهلاك جزئياً ، فإن مبلغ التأمين يتحدد بنسبة هذا الهلاك ، فإذا كان مبلغ التأمين عشرة آلاف جنيه وهلك نصف المنزل ، يكون المستحق نصف مبلغ التأمين ، وهذه القاعدة ترد غالباً فى شروط التأمين(٨) .

مبررات قاعدة النسبية :

ومن مبررات قاعدة النسبية مايلى :

(أ) أن القاعدة تتفق مع العدالة ، والعدالة تقضى بأن المؤمن لا يتحمل من الخطر إلا ما يقابل القسط الذى قبضه ، والقسط فى حالة التأمين البخس لا يتحدد على أساس قيمة الشيء بأكمله ، وإنما

(٧) د . عبد المنعم البدراوى ــ فقرة ١٦٣ ، د . عبد الحى حجازى . فقرة ١٢٧ ، د . عبد الرازق حسن فرج ــ ص ٨٠ ، د . محمد على عرفة ــ ص ٥٩ .

(٨) د . حسام الأهوانى : ص ٨٨ ، والسنهورى ــ فقرة ٨٣٢ وما بعدها ، د . عبد المنعم البدراوى ــ ص ٢٣٣ ، د . عبد الرازق حسن فرج ــ ص ٨١ ، د . خميس خضر ــ ص ٤٠٣ ، د . نزيه المهدى ــ ص ١٧٣ وما بعدها ، د . عبد الحى حجازى ــ فقرة ١٢٨ ، د . توفيق فرج ــ ص ٤٧ ، د . عبد الودود يحيى ــ ص ٥١ وما بعدها ، د . أحمد شرف الدين ــ ص ١٦٦ ، وقد قضت محكمة النقض المصرية : بأن النص على قاعدة النسبية فى وثيقة التأمين أمر جائز ، راجع حكم النقض بتاريخ ١٩٧٠/٢/٢١ مجموعة النقض س ٢٧ ــ ص ٣٠٥ .

يتحدد على أساس أقل ، فوجب أن يدفع المؤمن بمقدار ذلك .

(ب) أن القاعـــدة تسوى بين مجمـــوع المستأمنين ، وتعاملهم بمقدار ما يدفعه كل واحد منهم ، ولو أن المؤمن له فى التأمين البخس تساوى فى مقدار المبلغ المؤمن به مع غيره من المؤمنين ، لكان فى هذا ظلم لهم ، حيث سيتحملون من مالهم جبر النقص فيما يدفعه ، وهذا ظلم لهم يجب رفعه من خلال تلك القاعدة[9] .

(جـ) قاعدة التخفيض النسبى مطبقة فى حالة الهلاك الكلى للشيء المؤمن عليه ، فى حالة ماإذا كان مبلغ التأمين أقل من قيمة الشيء ، وفى هذه الحالة لا يستحق المؤمن له أكثر من مبلغ التأمين ، وإذا كان الأمر كذلك فى حالة الهلاك الكلى ، فيجب أن يكون كذلك فى حالة الهلاك النسبى أو الجزئى .

(د) لهذه القاعدة مقصود خلقى يستهدف حث المؤمن له على المحافظة على الشيء المؤمن عليه ، لأنه إذا هلك لن يعوض عن الهلاك إلا بنسبة منه[10] .

تلك هى مبررات قاعدة النسبية ، وهى فى جملتها مبررات تتفق مع قصد المتعاقدين ، ومع المقاصد العامة لعقد التأمين .

شروط إعمال قاعدة النسبية :

ويشترط لإعمال النسبية فى التأمين على الأشياء شروط منها :

أولا : أن يكون الشيء المؤمن عليه مقدرا أو قابلا للتقدير :

ففى التأمين من الأضرار يؤمن الشخص على شيء ذى قيمة مقدرة أو قابلة للتقدير ، وكذلك التأمين من الحريق أو على الأمتعة أو تلف المزروعات أو موت المواشى ، وكذلك التأمين من المسئولية عن الخطر المعين ، كمن يؤمن على مسئوليته عن أشياء تودع عنده ، فإنه يكون قد أمن على قيمة هذه الأشياء ومثل المستأجر الذى يؤمن على مسئوليته من الحريق .

أما إذا كان التأمين على أشياء غير معينة كالتأمين من المرض فإنه غير قابل للتقدير ، لأن تكاليف المرض من كشف وأدوية وتحاليل وأجهزة لاتخضع للتقدير ، وكذلك الأمر فى التأمين على الأشخاص لا مجال فيه لإعمال قاعدة النسبية[11] .

ثانياً : أن يكون التأمين بخساً :

ويشترط كذلك أن يكون التأمين بخساً ، والتأمين البخس هو الذى يقل مبلغ التأمين فيه عن القيمة الحقيقية للشيء المؤمن عليه وقت وقوع الحادث ، وقلة مبلغ التأمين قد يكون مقصوداً للمؤمن له حتى يكون وسيلة لتخفيض القسط عليه ، وقد يكون مبلغ التأمين على هذاالأساس البخس ، وقد تكون الزيادة فى قيمة الشيء بسبب زيادة سعر العملة وقد تزيد قيمة الشيء فيزيد بالتالى سعره[12] .

---

(٩) د . محمد كامل مرسى ـ ص ٢٠٧ ، د . عبد الحى حجازى ـ فقرة ١٢٨ ، بيكار وبيسون ـ فقرة ٣١٠ ، د . محمد حسام ـ ص ٢٢٢ .

(١٠) د . محمد حسام ـ ص ٢٢٢ .

(١١) د . عبد الرازق حسن فرج ـ ص ٨٣ .

(١٢) الوسيط للسنهورى ـ السابق ـ فقرة ٨٣٥ ، ٨٣٥ ، د . عبد الرازق حسن فرج ـ ص ٨٤ .

ثالثاً : أن يكون الخطر المؤمن منه نسبياً :

وذلك لأن الخطر إذا كان كلياً وأتى على الشيء المؤمن عليه كلية فإن المؤمن له يستحق مبلغ التأمين كاملاً ومن ثم فلا تثور قاعدة النسبية[13] .

آثار أعمال قاعدة النسبية :

ومن آثار قاعدة النسبية ، أن المؤمن له لن يحصل إلا على جزء من مبلغ التأمين يتناسب مع الخطر الذي وقع ، ويكفي معرفة نسبة الجزء الذي وقع وما إذا كان يمثل نصف الشيء المؤمن عليه أو ثلثه أو ربعه حتى يتحدد مقدار الأداء ، ويلاحظ أن هذه القاعدة لاتتعلق بالنظام العام فيجوز الاتفاق على ما يخالفها بما يحقق التعويض الكامل عند الهلاك النسبي للشيء المؤمن عليه[14] .

التأمين غير المحدود :

في التأمين من الأشخاص ، وفي التأمين من الأضرار يتحدد مبلغ التأمين بقدر معين في النوع الأول ، وبحد أقصى يلتزم المؤمن بدفعه عند تحقق الخطر في النوع الثاني ، ولكن قد لا يتحدد مبلغ التأمين الذي يلتزم به المؤمن مقدماً كما هو الشأن بالنسبة للتأمين من الأضرار ، فإنه يتفق على تعويض المؤمن للمؤمن له ، عن كل خطر يصيبه ، فمثل هذا الالتزام صحيح ، لأنه وإن كان التزام المؤمن غير محدد وقت إبرام التأمين ، فإنه قابل للتحديد ، والتعيين بعد ذلك[15] ، ومن ثم فإنه يكون صحيحاً وفقاً للقواعد العامة في الالتزامات ، وقد أوجب القانون رقم (٦٥٢ لسنة ١٩٥٥) ، أن يكون التأمين غير المحدود إجبارياً عند حوادث السيارات وذلك وفقاً لما نصت عليه المادة الخامسة من هذا القانون[16] .

المطلب الرابع
المصلحة في التأمين

ومن أركان عقد التأمين المصلحة ، حيث استلزمت المادة (٧٤٩ من التقنين المدني) ، أن يكون محلاً للتأمين كل مصلحة اقتصادية مشروعة تعود على الشخص من عدم وقوع خطر معين ، ورغم أن هذا النص يشير بوضوح إلى أن المصلحة ركن في التأمين ، إلا أن خلافاً نشأ في الفقه حول معنى كلمة « اقتصادية » التي اقترنت بالمصلحة في هذا النص ، فشكك البعض في كون المصلحة ركناً من أركان عقد التأمين على الأشخاص ، باعتبار أن الصياغة تقصر وجود المصلحة على التأمين من الأضرار ، فنرى مع جانب من الفقه[17] أنه لابد من بيان المقصود بالمصلحة بداية ، ثم نبين مدى توافرها في التأمين من الأضرار والتأمين من الأشخاص .

---

(١٣) السنهوري ــ فقرة ٨٣٦ ، د . عبد الرازق حسن فرج ــ ص ٨٣ ، وما بعدها .

(١٤) الوسيط ــ فقرة ٨٣٨ ، د . عبد الرازق فرج ــ ص ٨٥ وفي الفقه الفرنسي : بيكار وبيسون فقرة ٣١٨ .

(١٥) د . عبد المنعم البدراوي ــ فقرة ١٥٨ ، د . محمد علي عمران ــ ص ٥٤ ، د . عبد الرازق فرج ــ ص ٨٦ .

(١٦) وقد جاء فيها : « المؤمن يلتزم بتغطية المسئولية المدنية الناشئة عن الوفاة ، أو عن أية إصابة بدنية تلحق أي شخص من حوادث السيارات إذا وقعت في جمهورية مصر ، وذلك في الأحوال المنصوص عليها في المادة السادسة من القانون رقم ٤٤٩ لسنة ١٩٥٥ ، ويمكن التزام المؤمن بقيمة ما يحكم به قضائياً من تعويض مهما بلغت قيمته ويؤدي المؤمن مبلغ التعويض لصاحب الحق فيه » .

(١٧) د . محمد حسام لطفي ــ ص ٢٢٦ .

الإسلام

يحرر الإنسان

٢

أ.د/ محمد شامة

الأنبياء والرسل: - على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام - أولئك هم رأس المصلحين الذين وجهوا جهودهم ليس للقضاء على الوثنية فحسب، بل عليها، وعلى الرءوس المفكرة لها، وعلى القائمة السوداء من طقوسها، وسلطان كهنتها الذين تميزوا في كل وثنية بنصوص حفوها بالرهبة وساقوها للأتباع على مناعة تمنع التفكير فيها، وقداسة لاتجيز الخوض في أمرها، كان وجودها على هذه الحالة التي يريدها الكهنة هو المجد الأزلى والمالى لهم، فاشتد حرصهم عليه، فما كان من الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - إلا أن دعوا إلى تحرير الإنسان من سلطتهم وترهاتهم التي كبلت حريته، وشلّت إرادته، وحاصرته بسيل من المحرمات، حتى أصبح سجينا وسط كم هائل من النصوص التي حولته إلى دمية يحركها الكاهن حيث يشاء، وفي أى اتجاه يريد، وبذلك أصبح الإنسان عبدا لا يملك نفسه، فالكاهن هو الذى يحدد له طعامه، ويعين له شرابه، وهو الذى يرسم له حركاته وسكناته .. حتى تدخل في أكثر الأشياء خصوصية؛ فبين له كيفية اتصاله بزوجته، وأسلوب بناء بيته، وترتيب أثاثه ..

هاجم الأنبياء تعنت الكهان وتحجرهم على النصوص، فعابوا عليهم تمسكهم بأسلوبهم باحترام النص، وإهدار حق الإنسان في الحياة الكريمة، فلا قداسة لنص يسلب الإنسان حريته، ويجرده من آدميته، فالنص المقدسّ حقا هو الذى يحفظ للإنسان كرامته، ويسمح له بحرية الحركة، واستخدام الإرادة النابعة من الذات.

هكذا نجد الكهنة كانوا سببا للعقم الفكرى الذى أصاب الإنسان.

يهاجم (أشعياء) الكهنة قائلا:

«أما أنتم فتدعون كهنة الرب، تسمون خدام إلهنا. تأكلون ثروة الأمم، وعلى مجدهم تتآمرون».

ويتهمهم (حزقيال) بأنهم خالفوا شريعة الله، وخلطوا بين الحلال والحرام، فيقول:

« كهنتها خالفوا شريعتي ، وتجسوا أقداسى . ولم يميزوا بين المقدس والمحلل ولم يعلموا الفرق بين النجس والطاهر » .

كما جاء في صيفنيا أنهم نجسوا القدس بمخالفتهم للشريعة :

« كهنتها نجسوا القدس ، خالفوا الشريعة » .

وأينا ولينا وجوهنا نجد أسلوب الكهنة واحد في كل عصر :

تقديس للنص على حساب حرية الإنسان .

وتكبيل لإرادة الإنسان بسيل من المحرمات ، اعتمادا على تأويل فاسد للنص ، أو روايات مدسوسة على صاحب الرسالة ـ يحيط بها ويغلفها تهديد بالويل والثبور ، يصل إلى حد التكفير والخروج من رحمة الله لمن يتجرأ فيستخدم حريته في التفكير ، استنادا إلى فهم للنص ، أو رجوعا إلى المبادىء التى نادى بها صاحب الرسالة .

حتى جاء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ برسالته الخالدة وتلا قول الله ـ تعالى ـ .

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ سورة الأسراء آية ٧٠

ولا كرامة لإنسان مسلوب الإرادة ، لا يملك حرية التفكير والنظر فيما حوله ، بدافع من ذاته .

كذلك لاقيمة لمن لم يملك حريته في توجيه سلوكه ، وتعيين مسار حياته ، واختيار مايقتنع به .

ولايدرك الإنسان قيمة الحرية ، ومدى أهميتها في حياته ، إلا إذا كان قادرا على فهم ذاته ، ومدركا لدوره في الحياة ، وملماً لنوعية العلاقة بينه وبين الآخرين ، سواء كان ذلك في محيط أسرته ، أو في ساحة الحياة ، مع أفراد مجتمعه القطرى أو العالمي ، ومن هنا جاءت أولى الآيات القرآنية تحثه على العلم :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

بل تدفعه إليه دفعاً .. حتى يكون مهيأ لتوجيه الخطاب الذى يرسم له أسلوب حياته ، بما يشتمل عليه من حفظ الكرامة الإنسانية ، المتمثلة في إعطائه حرية اتخاذ القرار ، بعد أن حصل على العلم ، الذى يمكنه من تصويب حياته بنفسه دون ضغط أو اكراه من أحد .

فإذا أردنا ترتيب المبادىء الإسلامية ، حسب أهميتها، نجد أن أول مبدأ أرساه الإسلام هو: الحث على التعليم والثقافة

لأنهما مفتاح عالم الحرية للإنسان ، وآلية التخلص من وصاية الآخرين عليه .

قال تعالى ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ سورة البقرة ٢٥٦ ويقول :

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

فلو انتشر التعليم في المجتمع ، تمسك أفراده بحريتهم ، فلا يقبلون ضيما ، ولايقرون استعباداً ، ولايرضون بذل أومهانة ، بل إن العلم والحرية دعامتان يقوم عليها الرخاء والهناء في الحياة المادية ، وترتكز عليهما أسس الاستقرار في المجتمع ، فيسود الأمن والطمأنينة بين جنباته ، وترفرف أعلام الأزدهار والتقدم في كل مؤسساته ، سواء كانت سياسية ، أو اقتصادية ، أو اجتماعية ، لأن المتعلم ، إذا كان مسلوب الحرية دفنت ملكاته بين ضلوعه ، وضاعت مواهبة في سراديب العبودية ، وخبت أنوار علمه وسط ضباب الاضطهاد والجمود الفكرى ..؛ بل إن من لاحرية له ، لايملك أدوات تحصيل العلم ، اللهم إلا ترديد مايملى عليه .

كذلك الحرية بدون علم كارثة ، فكثير من كوارث الإنسانية كان أساسها جاهل وضعته الظروف فى موقع لايسأل فيه عما يفعل ، فعاث فى الأرض فسادا بجهله وجبروته .

يدعو الإسلام إلى العلم ؛ لأنه مفتاح التقدم والأزدهار ، ويقدس حرية الإنسان كى يصون كرامته ويحمى إرادته ، ليصير قادرا على توظيف علمه وثقافته لخدمة نفسه ومجتمعه فيختار مايقتنع به ويرضى عنه ، ويبنى حياته دون ضغط أو إكراه ، ومن كان هذا شأنه :

– استقام أسلوبه فى العمل ، فلا تخاذل ، ولا تكـــاسل ، ولا إهمال ، ولاتهاون ، بل جد ومثابرة ، وإتقان وإبداع .

– واستوى سلوكه مع نفسه ، وحسن تعامله مع الآخرين ، فلا نفاق ، لأن بذرة النفاق تنبت فى مجال انعدام الحرية ، وهو يتمتع بها ، وتزدهر فى محيط الخوف والرعب ، وهو لايخاف أحداً الا ربه الأعلى ؛ لأنه تسلح بالعلم ، وتحصن بالحرية فى جميع مجالات حياته ، فهو فى اختيار عقيدته .

وصاحب إرادة فى سلوكه ، ويتمتع بحرية التعبير عما يميل إليه فى ظواهر المجتمع ومشكلاته .

على هذا المنهج تربى المسلمون الأول ، فكانوا من أحسن العناصر التى كونت المجتمع الإسلامى الأول، عبروا عن آرائهم، وكان التعبير عن الرأى بحرية معلما من معالم المجتمع الإسلامى ، وسمة من سماته الأصلية ، ويشهد على ذلك مانراه فى كتب التراث من آراء متعددة فى المسألة الواحدة ابتداء من الأمور التى تتعلق بمصالح العباد ، ومرورا بالعبادات .

تقبل المجتمع هذه الظاهرة ، وتعامل معها بفكر وروية ، فاختار كل واحد مايروق له من الآراء ومايطمئن إليه من التفسيرات ، كما دافع أصحاب الآراء عن وجهة نظرهم بالحجج والأسانيد ، محاولين دحض أدلة المخالفين وتأويلاتهم ، دون أن يكفر أحد الآخر – باستثناء بعض الجماعات التى لم يكن لها وزن فى المجتمع – إذ كان الطابع العام هو مناقشة الحجة بالحجة ، ودعم الرأى بالأسانيد والأدلة ، ومن خرج عن ذلك بالطعن والتكفير طواه التاريخ ، وأهملته ذاكرة الأمة ، فلم يترسب فى ذاكرتها إلا من أسس مذهبه على أدلة واضحة ، وتحاور مع الآخرين باحترام وأدب ، فسادت مناقشة العلماء المقولة الشهيرة :

رأيى صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب .

ودعا الشافعى رحمه الله – إلى عدم التعصب لرأيه بقوله : «إذا صح الحديث فاضربوا بمذهبى عرض الحائط» .

كانت هذه هى الروح العلمية السائدة باستثناء حالات هنا وهناك لاقيمة لها فى المجتمع الإسلامى : تحصيل العلم هو القيمة العليا فى المجتمع .

● تسانده وتؤازره ، وتنميه وترعاه : حرية التعبير .

● وتحميه ، وتزود عنه ، وتحافظ عليه : احترام الرأى الآخر ، والدفاع عن حرية الآخرين فى التعبير عن آرائهم ، مهما اختلف المرء معهم .

وبذلك شيد المسلمون صرحا حضاريا ظل مفخرة لهم على امتداد التاريخ حتى اليوم ، وذلك هو المناخ الذى يؤهل الأمة أن تتبوأ مكانا ساميا فى واقعها وعلى صفحات التاريخ ، بما تهيئه لها الحركة الفكرية من قدرة على البناء والتشييد فى جميع مجالات الحياة .

خُلُق المسلم
على ضوء الكتاب والسنة

٤

بقلم الدكتورة/ فاطمة عمر نصيف (*)

المنهج الأخلاقى ضوابطه وآثاره :

نظراً لأهمية الأخلاق بالنسبة للمنهاج الربانى ، وأنها تشكل دعامة أساسية من دعائمه ، وركيزة من ركائزه ، فقد وعد الله ـ تعالى ـ المحسنين بأعظم الثواب ، وتوعد المسيئين بشديد العقاب ، ترغيباً فى فعل الخيرات ، وترهيباً من عمل المنكرات ، وحتى يدرك المسلم أن الأخلاق الإسلامية التى دعا إليها الكتاب والسنة ليست حلية أو زينة خارجية يتحلى بها المرء إن شاء ، ويدعها متى شاء ، بل هى من صميم الأعمال .

ومن هنا فإن المنهاج الربانى العظيم قد حدَّ حدوداً ، ووضع عقوبات صارمة لتكون روادع وزواجر لكل من تحدثه نفسه فى الخروج على آداب المجتمع وأخلاقه .

وعلى ذلك تجىء العقوبات التى قررتها الشريعة لحماية الأخلاق وصيانة المجتمعات . فالشريعة تعقب على مجرد شرب الخمر (سكر الشارب أم لم يسكر) لأنها تنظر إلى الجريمة من الوجهه الخلقية التى تسع ـ كما نعلم ـ لشتى المناهى والاعتبارات فإذا صينت الأخلاق فقد صينت الصحة والأموال والدماء والأعراض وحفظ الأمن والنظام .

ومن هنا يتضح أن العقوبات فى الشريعة الإسلامية وضعت على أساس طبيعة الإنسان ففى طبيعة الإنسان أنه يخشى ويرجو . وهو لا يأتى أى عمل إلا بقدر ماينتظر من منافعه ، ولا ينتهى من عمل إلا بقدر مايخشى مضاره . وطبيعة الإنسان تلازمه فى الخير والشر ، فى الأعمال المباحة والأعمال المحرمة ، فلا يرتكب الجريمة إلا لما ينتظره منها من لذة أو منفعة . ولاينتهى عن الجريمة إلا لما يخشاه من مضارها .

وقد راعت الشريعة طبيعة الإنسان فوضعت على أساسها عقوبات الجرائم عامة ، وعقوبات جرائم الحدود والقصاص خاصة . وأن الأساس الذى قامت عليه العقوبات فى الشريعة الإسلامية هو حماية الأخلاق وسلامة المجتمع . ومن هنا فقد وضعت عقوبات شديدة وصارمة للجرائم التى

(*) استاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية ، جامعة الملك عبدالعزيز بجدة .

تمس كيان المجتمع مساساً شديداً ، وهى نوعان : لكل منهما حكم مختلف .

والنوع الأول من الجرائم الماسه بكيان المجتمع تشمل : جرائم الحدود وهى سبع جرائم : الزنا ، القذف ، الخمر ، السرقة ، الحرابة ، الرده ، والبغى .

وقد اتجهت الشريعة فى هذه الجرائم إلى حماية المجتمع من الجريمة وأهملت شأن الجرم إهمالاً تاماً فشددت العقوبة وجعلتها عقوبة مقدره ، ولم تجعل للقاضى أو ولى الأمر سلطاناً مع العقوبة ، وعلة التشديد أن هذه الجرائم من الخطورة بمكان ، وأن التساهل فيها يؤدى حتماً ، إلى تحلل الأخلاق وفساد المجتمع ، واضطراب نظامه وازدياد الجرائم . وهى نتائج ماابتلى بها جماعة إلا تفرق شملها واختل نظامها وذهب ريحها ، فالتشدد فى هذه الجرائم قصد به مصلحة الجماعة . فلا عجب أن تهمل مصلحة الفرد فى سبيل مصلحة الجماعة .

والنوع الثانى من الجرائم الماسة بكيان المجتمع تشمل : جرائم القصاص والديه ، وتتجه الشريعة فيها إلى حماية المجتمع من الجريمة والمجرمين . وأهملت شخصية الجانى ؛ لهذا الاعتبار إهمالاً تاماً إلا إذا عفى المجنى عليه أو وليه .

هذه هى الجرائم التى تمس كيان المجتمع مساساً مباشراً عاقبت عليها الشريعة بعقوبات رادعة وأهملت فى تقدير العقوبة شخصية الجانى ابقاء على الجماعة وحماية لها .

وأهم مايعنينا فى هذا الباب هو أن الذى قدر العقوبات لهذه الجرائم التى تمس أمن وأخلاق المجتمع هو الله اللطيف الخبير ، ولا يحق لولى الأمر أو القاضى الزيادة أو النقصان ، لأن الذى قدرها هو العليم بخفايا النفس البشرية ، وهى عقوبات كما نرى تجارب الدوافع التى تدعو للجريمة بالدوافع التى تصرف عن الجريمة .

ومن ثمرات الالتزام بالمنهاج الأخلاق فوق ماذكرناه مايأتى :

١ ـ رضا الله ومحبته :

قال ـ تعالى :

﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(٢٢٩)

وهذه الآية تبين كيف يحصل العبد على رضى ربه مقابل فضيلة خلقية واحدة وهى : الصدق فكيف ببقية الفضائل ؟ هذا بالإضافة إلى الجنة وما فيها من نعيم مقيم ورضوان من الله أكبر لأحبائه وأوليائه ، فهم فى رضوان الله فى جنته ، ومع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين **(المرء مع من أحب)** .

ومحبة الله لاتنال إلا بالتخلق بمكارم الأخلاق ، والتخلق بأخلاق القرآن والاقتداء بصاحب الخلق العظيم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

كما جاء فى الحديث القدسى إن الله ـ تعالى قال : **﴿ حقت محبتى للمتحابين فى وحقت محبتى للمتباذلين فى وحقت محبتى للمتصادقين فى ﴾**(٢٣١) .

(٢٢٩) سورة المائدة ١١٩ .

(٢٣٠) مسلم . شرح صحيح مسلم للنووى جـ ١٦ ص ١٨٨ .

(٢٣١) الحاكم فى المستدرك جـ ٤ ، ص ١٧١ .

٢ ـ الأجور العظيمة والحسنات الكثيرة :

قال ـ تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٢٣٢) هذه الأجور على فضيلة الصبر ، وبالمثل إن لكل فضيلة أجراً ولذلك قال ـ تعالى : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢٣٣) .

ويؤكد هذا حديث رسول الله ﷺ السابق الذكر (**ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق**)(٢٣٤) .

٣ ـ الأمن يوم الفزع الأكبر :

قال تعالى : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾(٢٣٥)

وقال ـ تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(٢٣٦) .

٤ ـ محبة الرسول ﷺ :

يؤكد ذلك حديث الرسول ﷺ السابق ذكره (إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً)(٢٣٧) .

٥ ـ حُسْن الخاتمة :

يصف القرآن الكريم النهاية السعيدة لمن آمن بربه ثم استقام على مقتضيات ذلك الإيمان فاستقامت أخلاقه وحسنت سريرته ، قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾(٢٣٨)

تبشرهم ملائكة الرحمة ساعة خروج الروح بهذا الإنعام الكبير بالأمن وعدم الخوف وعدم الحزن وبالجنة وما فيها من نعيم وبصحبة ملائكة الرحمة وولائهم لهم .

٦ ـ الجنة وما فيها من نعيم :

فالجنة جعلها الله ثواباً لأهل الفضائل الخلقية فهي مثلاً جزاء لفضيلة الصبر ، قال ـ تعالى : ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾(٢٣٩) ، ولفضيلة التقوى قال ـ تعالى : ﴿ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾(٢٤٠) وفي هذا المعنى ورد في الأثر أن الرسول ﷺ سئل عن أكثر ما يدخل الجنة قال : (**تقوى الله وحسن الخلق**)(٢٤١) . إلى غير ذلك من آيات قرآنية وأحاديث نبوية تبين ما لفضيلة التقوى وحُسْن

(٢٣٢) سورة الزمر آية ١٠ .

(٢٣٣) سورة النحل آية ٩٧ .

(٢٣٤) رواه الترمذي في البر والصلة ، باب ما جاء في حسن الخلق جـ٤ ص٣٦٢ .

(٢٣٥) سورة النمل آية ٨٩ .

(٢٣٦) سورة الأنعام آية ٨٢ .

(٢٣٧) الترمذي الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي جـ١ ص١٩٦ .

(٢٣٨) سورة فصلت الآيات ٣٠ ـ ٣٢ .

(٢٣٩) سورة الإنسان آية ١٢ .

(٢٤٠) سورة مريم آية ٦٣ .

(٢٤١) رواه الترمذي في سننه جـ١ ص٣٦٧ حديث (٢٠٠٤) .

الخلق .

٧ ـ محبة الناس :

من الحقائق المحسوسة والملموسة في عالم الواقع أن الإنسان إذا حسنت أخلاقه كثر أحباؤه وقل أعداؤه وزاد أصفياؤه ولانت له القلوب وقد قيل : **من لانت كلمته وجبت محبته** ، قال ـ تعالى :

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(٢٤٢) .

وكما قيل :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسان

بل إن مخلوقات الله جميعا تحب أولياء الله الذين تخلقوا بأخلاق القرآن ، فتأنس بهم الجمادات والأرض والسماوات ، بعكس أعداء الله الذين يبغضهم الله وجميع خلق الله من : إنسه وجنه وملائكته وحتى الجمادات :

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾(٢٤٣)

الآثار المترتبة على سوء الخلق (العقوبات) :

قال ـ تعالى :

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(٢٤٤) .

فهو سبحانه بمقتضى علمه وحكمته بأحوال خلقه يأخذ بمجامع النفس البشرية ، فيأخذها بالترغيب مرة وبالترهيب مرة ، فالنفوس التي لا تصلحها الرغبة تصلحها الرهبة .

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقسو أحيانا على من يرحم

والقرآن الكريم ـ مكيه ومدنيه ـ يسير على هذه الوتيرة ، وهو يعالج جميع القضايا : العقائدية والاقتصادية والاجتماعية .. الخ .

لذا فإن القرآن قد فصَّل وقرر أن لكل جريمة عقوبة مناسبة ليستوفي سيء الخلق جزاءه ، وينال المجرم الخارج عن القانون عقوبته ، وليرتدع بذلك غيره .

ومن هذه الآثار :

١ ـ بغض الله لهم وغضبه عليهم :

جاء ذلك في قوله ـ تعالى : ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾(٢٤٥) .

فالعدول عن الحلال إلى الحرام والخروج عن أمر الله مجلبة لغضب الله ، كما أن بغض الله متحقق لمن ساءت أخلاقه . ومن ساءت أخلاقهم فسدت أعمالهم ، فنرى بغض الله مع كل رذيلة خلقية .

فمع رذيلة الفساد قال ـ تعالى :

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(٢٤٦) .

ومع الظلم ، قال ـ تعالى :

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾(٢٤٧)

---

(٢٤٢) سورة فصلت آية ٣٥ .
(٢٤٣) سورة الدخان ٢٩ .
(٢٤٤) سورة الملك آية ١٤ .
(٢٤٥) سورة طه آية ٨١ .
(٢٤٦) سورة المائدة آية ٦٤ .
(٢٤٧) سورة الشورى آية ٤٠ .

ومع الخيانة ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾(٢٤٨) .

ومع الكبر ، قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾(٢٤٩) .

ومع الغرور ، قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾

ومع الإسراف ، قال ـ تعالى :

﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾(٢٥٠) .

٢ ـ إحباط العمل واكتساب السيئات :

قال ـ تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾(٢٥١) .

فسوء الخلق وسوء الأدب مع الرسول ﷺ أحبط أعمالهم ، وكان سببا فى ضياع جهدهم .

ويؤكد هذا المعنى قوله ـ تعالى :

﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(٢٥٢) .

٣ ـ الخوف الشديد والفزع يوم القيامة :

قال ـ تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾(٢٥٣) .

ويصف القرآن فزعهم بقوله ـ تبارك وتعالى :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾(٢٥٤) .

٤ ـ بغض الرسول ﷺ لهم :

قال ـ عليه الصلاة والسلام : « وإن من أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » (٢٥٥) .

٥ ـ بغض الناس :

ومن المسلمات أن سيء الخلق مهما أوتى من العلم أو من المال فإنه يكون مبغوضا من الخلق ، فالناس بطبعهم يكرهون بذىء اللسان قاسى القلب الجهول الظلوم البخيل المغضوب ، وينفرون منه ، هذا بالإضافة إلى أن بغض الله له مجلبه لبغض الناس له . والدليل على ذلك قوله ﷺ فى حديث سبق ذكره (وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول إنى أبغض فلانا فابغضوه ، قيل : فيبغضونه ثم توضع له البغضاء فى الأرض)(٢٥٦) .

(٢٤٨) سورة الأنفال آية ٥٨ .

(٢٤٩) سورة النحل آية ٢٣ .

(٢٥٠) سورة الأنعام آية ١٤١ .

(٢٥١) سورة الحجرات آية ٢ .

(٢٥٢) سورة التوبة آية ٦٩ .

(٢٥٣) سورة إبراهيم الآيتين ٤٢/٤٣ .

(٢٥٤) سورة سبأ آية ٥١ .

(٢٥٥) الترمذى . ج ١ ص ١٩٦ .

(٢٥٦) مسلم . صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٦ ص ١٨٤ .



٦ ـ الخاتمة السيئة :

يصف القرآن الكريم الخاتمة السيئة للذين كفروا بربهم وأعرضوا واستكبروا عنه بقوله تعالى :

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾(٢٥٧) .

هذه عاقبة الكفر والاستكبار ، وحتى الاستضعاف لا يقبله الله ، فجعل له نفس العقوبة ، قال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(٢٥٨) .

٧ ـ النار وما فيها من عذاب :

جعل الله النار وما فيها من عذاب عقوبة عادلة لكل من أعرض واستكبر ولكل من أساء واستهتر ، والأدلة على ذلك كثيرة أسوق منها : قوله ـ تعالى :

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝ كَلَّا ۖ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾(٢٥٩)

فهذه رذيلة خلقية واحدة جعل الله ـ عز وجل عقوبتها : جهنم وبئس المصير ، وكذلك جعل الله النار عقوبة لرذائل أخرى ، كالفسق والبخل ومنع الزكاة .. وغيرها .

وهكذا تتضح معالم المنهاج الأخلاق الربانى وما وضعه الشارع الحكيم له من ضوابط وما رعاه به من حدود وعقوبات صارمة ؛ لا رحمة فيها ولا رأفة بالجناة الذين لا يبالون بالقيم والمبادىء الخلقية ، حتى آتت تلك العقوبات ثمراتها الرائعة فى المجتمعات التى أقامت حدود الله ورعتها حق رعايتها ، حيث اختفت الجريمة أو كادت تختفى ، ورفعت الفضيلة رأسها وتوارت الرذيلة وبارت سوقها ، ووقائع المجتمعات التى تتمسك بالقيم الدينية وتقيم حدود الله خير شاهد على ما نقول .

---

(٢٥٧) سورة الأنفال آية ٥٠ .

(٢٥٨) سورة النساء آية ٩٧ .

(٢٥٩) سورة الهمزة آية

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« سلني .. حاجتك »

قال الخليفة هشام بن عبدالملك لسالم بن عبدالله ابن عمر عند الكعبة : سلني حاجتك ؟ فقال : والله لأستحي أن أسأل في بيته غيره فلما خرج من المسجد ، قال هشام : الآن خرجت من بيت الله ، فاسألني ، فقال من حوائج الدنيا أم الآخرة ؟

قال : من حوائج الدنيا ، فقال سالم : ما سألتها من يملكها ، فكيف أسألها من لا يملكها .

سل الإلــه إذا نابتك نائبــة
فهو الذى يُرتجى من عنده الأمل
فإن منحت فلامـــنّ ولا كدَرٌ
وإن رددت فلاذل ولا خجـــل

« أسباب الفقر »

يقال : أسباب الفقر الأولية ستة : النوم والتراخى ، والخوف والغضب ، والـــكسل والمماطلة .

« وصية »

من الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ إلى ابنه الحسن :

لا تخلفن وراءك شيئا من الدنيا ، فإنك تخلفه لأحد رجلين : إما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به ، وإما رجل عمل فيه بمعصية الله فشقى بما جمعت له فكنت عونا له على معصيته ، وليس أحد هذين حقيقا أن تؤثره على نفسك .

« تعاطى فعقر »

كان جعفر بن سليمان بخيلا على الطعام ، رفعت المائدة من بين يديه يوما وعليها دجاجة صحيحة قد أخذ منها بعض بنيه جناحا ، فلما أعيدت عليه بالغداة ، قال : من هذا الذى تعاطى فعقر ؟ فقيل له : ابنك الصغير فقطع أرزاق جميع بنيه من أجله فلما طال ذلك منه وأضربهم الحال جاءه أكبر الأبناء ، وقال : يا أبانا أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ، فأعجبه ذلك وأمر برد أرزاقهم إليهم .

« مكارم الأخلاق »

إن المكارم أخلاق مطهرة ،
فالدين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها ، والحلم رابعها
والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها
والشكر تاسعها واللين عاشيها
والعين تعلم من عيني محدثها
إن كان من حزبها أو من أعاديها
والنفس تعلم أنى لا أصدقها
ولست أرشد إلا حين أعصيها

« حقا »

سئل بعض الحكماء : أى الأمور أشد تأييداً للعقل وأيها أشد إضرارا به ، فقال : أشدها تأييدا له ثلاثة أشياء : مشاورة العلماء ، وتجربة الأمور ، وحسن التثبت .

وأشدها إضرارا به ، ثلاثة أشياء : الاستبداد ، والتهاون ، والعجلة .

« أصلحوا أموالكم »

قال عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — : أصلحوا أموالكم التى رزقكم الله ، فإن إقلالا فى رفق خير من إكثار فى خرق .

« لا يبالى »

قيل لبشار بن برد : فلان يزعم أنه لا يبالى ألقى واحدا أو ألفا ، قال : صدق ، لأنه يفر من الواحد كما يفر من الألف .

الزهد ثلاثة

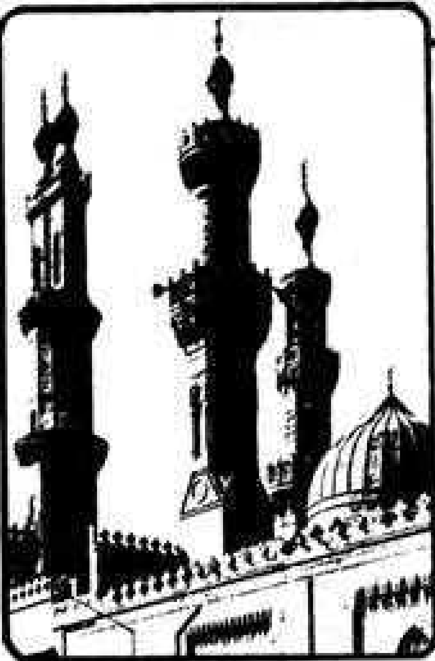
قال إبراهيم بن أدهم : الزهد ثلاثة زهد :
فرض وذلك فى الحرام .
وزهد فضل وذلك فى الحلال .
وزهد سلامة وذلك فى الشهوات .

« الموت »

قال الإمام على بن أبى طالب — رضى الله عنه — أيها الناس : اتقوا الله الذى إن قلتم سمع ، وإن أضمرتم علم ، وبادروا الموت الذى إن هربتم عنه أدرككم ، وإن أقمتم أخذكم ، وإن نسيتموه ذكركم .

« دعاء »

اللهم إنا نسألك الأمن يوم الوعيد من العذاب الشديد ، ونسألك الجنة دار الخلود مع المقربين الشهود ، والركع السجود ، والموفين بالعهود والوعود إنك غفور رءوف ودود .



كيف واجه الأزهر نابليون وحملته ؟

للمستشار/محمد عزت الطهطاوى

مصر الأزهر :

على مدى ألف سنة من الزمان أو تزيد منذ أن أنشىء الأزهر فى مصر فى القرن الرابع الهجرى فى ٧ رمضان ٣٦١ هـ ، ٢١ يونيه سنة ٩٧٢ م ؛ امتدادا لأقدم مدرسة إسلامية فى مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط عام ٢١ هجرية ، ظل فى مصر وفى العالم الإسلامى حصن الدين الحصين وركن العلم المتين وملاذ اللغة العربية والأدب والثقافة والمعقل الوحيد الذى لبث لحملات أعداء الإسلام فانتهت إليه علوم الدين واعتصمت فيه لغة القرآن(١) .

وقد لبث فى تلك القرون شامخا كالبنيان الراسخ لم تقلل من عظمته الأحداث والمحن ، ولم تضعف من قوته الخطوب والفتن ، فمضى على وجه التاريخ قويا جبارا يحمل أعباء الرسالة الخاتمة ومهمة تعليمها إلى العالمين ، فلم يقصر أبناؤه فى دعوة الناس إلى الهداية بنور القرآن وبسنة من نزل عليه ذلك النور ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

هذا الأزهر العتيد كم استفاض على العالم العربى والإسلامى بكتبه ومبعوثيه من حاملى علمه وما كان علم الأزهر إلا نفوذا إلى أغوار البحث وغوصا وراء الحقائق ، وتجلية للأسرار والدقائق كما كان الأزهر وما يزال كعبة العلم يحج إليه الطلاب من أقطار الأرض ينهلون من ورده ويقبسون من نوره . وكان من آثار الأزهر فى مصر أن كان له مكانا ممتازا وسلطانا أدبيا وزعامة روحية موفورة على غيرها من البلاد العربية والشعوب الشرقية وكذلك جعل منها الصرح

(١) كتاب الأزهر جامعا وجامعة أو مصر فى ألف عام تأليف الأستاذ محمد كمال السيد محمد العاصى من سلسلة البحوث الإسلامية الصادرة من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ م .

الوطنى الذى أجج الثورات على الغزاة المعتدين وما زال التاريخ يسطر بحروف من نور موقف علماء الأزهر من الحملة الفرنسية التى قادها نابليون آخر القرن الثامن عشر .

الأزهر وجها لوجه أمام الحملة الفرنسية :

قاد نابليون حملته الفرنسية على مصر فى شهر يوليو سنة ١٧٩٨ م ، ورغم أن البلاد كانت تحت الحكم العثمانى فى تركيا ؛ كان يتنازع حكمها مراد بك وابراهيم بك ، وكان كلاهما طاغية لا يعرف معنى العدل وكلاهما جاهل لا يعرف شيئا عن أمور السياسة الدولية ، ولا يظن الدنيا تجمع أقوى من قوة المماليك الذين يتبعونه ، وكانت خيوط السياسة الفرنسية قد تجمعت وقتئذ ورأت فرنسا وقائدها المظفر نابليون ضرورة احتلال مصر حتى تقف أمام انجلترا — عدوة فرنسا فى ذلك الحين موقف من يسيطر على طريق مستعمراتها فى الشرق ، خصوصا فى الهند ، ويحول دون اتصالها المطرد بتلك المستعمرات ، كما أنه متنفس لفرنسا كى تشعر بامتدادها الاستعمارى على نحو يرضى غرورها الجشع .

وحين علم الطاغيتان : مراد بك وابراهيم بك بالغزو واستهزءا به وظن كل منهما أن الجنود الفرنسيين ما هم إلا فلول مرتعشة ترتجف من سطوة المماليك فجمعا لمقاومتهم جيشا ضم اثنى عشر ألفا منهم ثلاثة آلاف من المماليك وتسعة آلاف من الفلاحين والعرب على رأسه مراد بك لكن هذا الجيش كان يفتقر إلى التدريب وفنون القتال على النظم الحديثة ، فلم تكن إلا ساعة وانهزم مراد بك وجيشه عندما بدأ القتال يوم ٧/١٣ سنة ١٧٩٨ م .

وبالقضاء على جيش المماليك خلت الساحة المصرية منهم ، وأصبح الشعب المصرى وعلى رأسه الأزهر وجها لوجه أمام نابليون وحملته العسكرية[٢] .

سلوك نابليون فى مصر وادعائه الإسلام :

سلك نابليون فى معاملة المصريين وهم مسلمون فى غالبيتهم طريقا يغاير مسلك قادة الحملات الصليبية السابقة لأنه عند دخوله إلى مصر زعم أنه مسلم ونوه بقيمة الإسلام وحاول التودد إلى المصريين لذلك فقد طلب من جنوده أن يعتبروا الإسلام دينا مثل المسيحية واليهودية وهذا نوع من الاعتراف كانت أوروبا تضن به على المسلمين وهى لم تعترف به فى تاريخها الحديث إلا بعد ما اعترفت بالبوذية والبرهمية كأديان كبيرة لها أتباع يعدون بالملايين وفى خطاب نابليون لجنوده قبل أن ينزل الى أرض مصر يقول (إن الشعب الذى سنعيش معه يدين بالإسلام وأول ما يؤمن به ، هو أنه : لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فلا تنازعوه فى ذلك بل عاملوا هؤلاء المسلمين كما عاملتم اليهود والإيطاليين واحترموا مشايخ الإسلام كما احترمتم الحاخامات والمطارنة ، وأظهروا للمواسم الدينية والمساجد التسامح نفسه الذى أظهرتموه إزاء الأديرة والمعابد وإزاء ديانة موسى والمسيح) .

وفى نداء وجهه إلى الشعب المصرى قال فيه : (إن الفرنسيين اقتحموا روما الكبرى وضربوا

(٢) كتاب الأزهر بين السياسة وحرية الفكر تأليف الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى سلسلة البحوث الاسلامية الصادرة من مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر سنة ١٤١٤ هـ ، سنة ١٩٩٣ م .

كرسى البابا الذى كان يحث المسيحيين دائما على محاربة الإسلام ، ثم قصدوا إلى جزيرة مالطة وطردوا منها فرسان القديس يوحنا الذين يزعمون أن الله انتدبهم لمحاربة المسلمين) وعندما تقدم إلى أسوار الإسكندرية قال فى نداله للمصريين : (لسنا من كفار العصور الهمجية الذين يأتون إليكم لمحاربة إيمانكم ، إننا نعترف بأن إيمانكم رفيع القدر ، ثم يقول فى صراحة تثير الدهشة وسوف تعتنق دينكم إذا حلت الساعة التى يصبح فيها الفرنسيون الراشدون مؤمنين حقيقيين) .

وكتب بعد احتلاله القاهرة إلى الجنرال « مارمن » فى ٢٨ أغسطس سنة ١٧٩٨ م يقول : (قابل من طرق الشيخ المسيرى وقل له كيف احتفالنا بمولد النبى ، قل له إنى فى القاهرة أجتمع برؤساء القضاء وكبار القوم ثلاث أو أربع مرات كل عشرة أيام ، وإنى أكثر الناس اقتناعا بصفاء الديانة الإسلامية وقداستها) .

وفى اليوم نفسه كتب إلى الشيخ المسيرى مباشرة يقول : (أرجو ألا يتأخر الوقت الذى أستطيع فيه جمع العناصر الحكيمة والمثقفة فى البلاد ووضع نظام ثابت يرتكز على مبادىء القرآن الحقة والوحيدة التى تستطيع إسعاد البشر دون سواها)[٣] .

نابليون يخطب ود علماء الأزهر :

كان نابليون على وعى كبير بالمركز الممتاز الذى يحتله الأزهر فى المجتمع المصرى باعتبار قيام ثقافة هذا المجتمع على قواعد وأسس الثقافة الإسلامية التى يحتضنها ويقوم بتدريسها وتعليمها ــ الأزهر ــ ، ليس فى مصر وحدها بل فى العالم الإسلامى أجمع لذلك مال عندما نزل إلى القاهرة إلى الكياسة فأعلن حبه للشعب المصرى وقد جاء لينقذه من بطش المماليك والعثمانيين ولأنه يحب الإسلام ويقدر شريعته وأنشأ ديوانا لحكم مصر جعل أعضاءه عشرة من كبار علماء الأزهر هم :

١ ــ الشيخ عبدالله الشرقاوى شيخ الأزهر وقتئذ
٢ ــ الشيخ خليل البكرى
٣ ــ الشيخ مصطفى الصاوى
٤ ــ الشيخ سليمان الفيومى
٥ ــ الشيخ المهدى
٦ ــ الشيخ أحمد العريش
٧ ــ الشيخ موسى السرسى
٨ ــ الشيخ محمد الدواخلى
٩ ــ الشيخ يوسف الشبراخيتى
١٠ ــ الشيخ مصطفى الدمنهورى[٤] .

وقد بَرَّرَ الشيخ عبد الله الشرقاوى اشتراك الأزهريين فى الديوان بأن ذلك كان لتقليل ويلات الإحتلال ودفع شروره عن المصريين ، وكان هؤلاء العلماء يشعرون فى قرارة نفوسهم أن هذه العضوية لاتشرفهم وأن الشعب قد ظن بهم الظنون ولم يكن لهذا الديوان سلطة قطعية فى أية مسألة تعرض عليه إذ كانت السلطة العسكرية المتمثلة فى قيادة الجيش الفرنسى هى المرجع الأعلى فى كل المسائل التى تعرض على الديوان وكانت

(٣) كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام ، طبعة بدون تاريخ نقلا عن مراجع الحملة الفرنسية .

(٤) كتاب الأزهر جامعا وجامعة ، أو مصر فى ألف عام . المرجع السابق .

سلطة هذا الديوان لا تتجاوز حدود مدينة القاهرة .

رغم معارضة علماء الأزهر لنابليون التى بدأت تشتد فقد أشار فى مذكرته للدوافع التى دفعته إلى انتهاج هذه السياسة فقال عن علماء الأزهر :

إنهم زعماء الشعب المصرى وقد ظفروا بثقة ومودة سكان مصر عن بكرة أبيهم وأن مشاعر الغيرة والحقد قد انتقلت إلى نفوس الأتراك العثمانيين والمماليك على علماء الأزهر فجعلتهم يعملون على إقصاء هؤلاء العلماء عن المشاركة فى تصريف الشئون العامة ، وأنه من خطأ الرأى أن يحذو الفرنسيون حذو الأتراك العثمانيين والمماليك فى انتهاج هذه السياسة ، كما أنه فى حكم الاستحالة أن يتطلع الفرنسيون إلى ممارسة نفوذ سريع على المصريين لأن الفرنسيين أغراب عن الشعب المصرى ومن ثم كانت الحاجة ماسة فى نظرنا إلى وسطاء بين الحكام الفرنسيين وبين جماهير الشعب ثم قال وقد فضلتُ العلماء ودكاترة الشريعة لأنهم :

أولا ــ هم كذلك بطبيعة الحال .

ثانيا ــ لأنهم هم مفسرو القرآن ، وأن أكثر العقبات التى واجهتنا وسوف تواجهنا أيضا إنما تنبثق عن الأفكار الدينية .

وثالثا ــ لأن هؤلاء العلماء ذوو طباع هادئة ويحبون العدالة وعلى درجة من الثراء وأصحاب مبادىء خلقية عالية ، وهم بدون منازع أكثر الناس أمانة فى مصر .

ثم قال : (وهم ــ أى العلماء ــ لا يركبون الخيل ولا يمارسون أعمالا عسكرية ، ولا ينتظر منهم تزعم حركة مسلحة) والحق أنه لم يكن مصيباً فى توقعه ؛ فقد تبين فيما بعد تزعمهم للثورة ضده وضد حملته العسكرية .

وقد تجلى تقدير نابليون لعلماء الأزهر عندما خلع قاضى القضاة التركى فى مصر عقب عودته من حملة الشام وقرر تعيين عالم أزهرى مصرى هو الشيخ أحمد العريشى فقد برر هذا بقوله (وهل يوجد إنسان يعتقد أن علماء مصر المولودين بها ليس فيهم من تؤهله كفايته وفضائله إلى الاضطلاع بمنصب قاضى القضاة ؟) .

ثم أصدر منشورا الى حكام الأقاليم فى ١٧٩٩/٦/٣٠ م يأمرهم تبليغ الدواوين نبأ انتخاب الشيخ أحمد العريشى لمنصب قاضى القضاة وتأسيسا على هذا الانتخاب ينبغى أن يتلقى قضاة الأقاليم تقليد القضاء من قاضى القضاة المصرى كما ذكر فى هذا المنشور أن علماء القاهرة هم بلا منازع أعلم علماء الاسلام(*) .

من مظاهر احترام نابليون لعلماء الأزهر وتودده لهم :

١ ــ أمر بأن يؤدى رجال حرس الشرف الذين يرابطون أمام مقر القيادة العامة للجيش الفرنسى فى الأزبكية التحية العسكرية بالسلاح لعلماء الأزهر عند قدومهم إلى هناك .

٢ ــ إذا دخلوا هذا المقر أسرع باستقبالهم رجال الياوران والترجمون ويرحبون بهم ويقودونهم إلى الصالون الرئيسى .

(*) كتاب الهلال ــ دور الأزهر فى السياسة المصرية تأليف الدكتور سعيد اسماعيل على صفر سنة ١٤٠٧ هـ نوفمبر سنة ١٩٨٦ م صفحة ٨٩ .

٣ ــ تقدم لهم المرطبات ثم القهوة .

٤ ــ إذا فرغوا من تناولها دخل عليهم نابليون ورحب بهم وجلس وسطهم محاولا أن يدخل فى نفوسهم الطمأنينة والثقة .

٥ ــ كان يخوض معهم بواسطة المستشرق فانتور (VENTURE) ــ الذى كان يقوم بوظيفة المترجم ــ فى مناقشات علمية تتناول القرآن الكريم ، ويطلب من المشايخ تفسير بعض الآيات[٥] .

بداية المقاومة السياسية من علماء الأزهر لخطط نابليون :

١ ــ من مظاهر هذه المقاومة السياسية ما يرويه الجبرتى فى حوادث يوم السبت أول سبتمبر سنة ١٧٩٨ م حيث عقد اجتماع بين نابليون وعلماء الأزهر ورأى نابليون إكرام الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهر فى تلك المناسبة فأهداه الشارة الفرنسية التى تمثل علم الثورة الفرنسية ذا الألوان الثلاثة الأبيض والأحمر والأزرق ووضعها على كتفه فهاج شيخ الأزهر ورمى بالشارة على الأرض وتغير مزاجه وامتقع لونه واحتد طبعه وخرج من الاجتماع فقال المترجم : (يا مشايخ أنتم صرتم أحبابا لنصارى عسكر ــ أى نابليون ــ وهو يقصد تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلاماته فإن تميزتم بذلك عظمتكم العساكر والناس ، وصار لكم منزلة فى قلوبهم فقال المشايخ له : (لكن قدرنا يضيع عند الله وعند إخواننا من المسلمين) مما زاد من حرج الموقف وإغاظة نابليون[٦] .

٢ ــ ولما حاول نابليون بعد ذلك أن ينتزع من شيوخ الأزهر اعترافا بشرعية احتلاله لمصر ، وإصدار فتوى من المشايخ بأن يحلفوا يمين الطاعة له اصفرت وجوههم لهذا الطلب ، ولأنهم كانوا يحملون صلابة الإسلام ؛ انبرى الشيخ الشرقاوى لهذا الموقف أيضا بشجاعته وقال لنابليون عن طلب الفتوى : لا ، ثم استطرد فى كلامه وقال : (إنك تطلب رعاية الرسول ، وتريد العرب المسلمين أن ينضووا تحت رايتك ، وترغب فى استرداد أمجاد العرب ، وأنت لست مشركا ولا وثنيا فاعتنق الإسلام إذن ، لأنك لو فعلت لبادر إلى الإنضواء تحت لوائك مائة ألف عربى من بلاد العرب ومن مكة والمدينة ولاستطعت وأنت قائدهم ومنظمهم أن تفتح بهم الشرق وتسترد وطن الرسول بكل أمجاده) .

فلما قال شيخ الأزهر هذا الكلام علت ابتسامات الرضا وجوه الشيوخ لكن الدهشة كانت من نصيب نابليون[٧] .

الأزهر يقود الثورة الشعبية المصرية ضد نابليون :

كان نابليون يحسب أن مصر ستفتح له ذراعيها بمجرد وصول حملته العسكرية إليها وأن شعب مصر سيرحب ويطمئن إليه وإلى حكمه لكنه فوجىء بمقاومة باسلة من المصريين العزل أمام القوات الفرنسية المدججة بأسلحتها الفتاكة ، ففى ٢١ أكتوبر سنة ١٧٩٨ م أى بعد ثلاثة أشهر فقط من الاحتلال الفرنسى تشكلت لجنة قيادة الثورة وجعلت مقرها الأزهر ونظمت كتائب

(٦) كتاب المختار من تاريخ الجبرتى ــ إصدار دار الشعب محمد قنديل البقلى الجزء الثالث .

(٧) كتاب الهلال دور الأزهر فى السياسة المصرية المرجع السابق .

المتطوعين وزودوا أنفسهم بما وصل إليهم من أسلحة بسيطة وبدائية .

وانبث العلماء وشيوخ الأزهر بين جموع الصناع والتجار ومختلف الطوائف يدعونهم إلى الثورة ، وتسلل بعضهم إلى الريف يستنهضون همم الفلاحين لمقاومة الفرنسيين فأقبلت أفواج منهم يحملون العصى والقسى والرماح والبنادق واعتلى المؤذنون شواهق المآذن ينادون بالجهاد وعلت صيحات السخط فى كل مكان وتجمع المواطنون فى المساجد يستمعون إلى العلماء وهم يخطبون ويحثون أفراد الشعب على منازلة المحتلين وتحرير البلاد منهم ، إلى أن اندلع لهيب الثورة واشتد أوارها ، كما انبث الفقهاء فى الشوارع ينادون أهل التوحيد للاجتماع بالجامع الأزهر لأخذ الثأر وإزالة عار الاحتلال ، ثم خرج قرابة ثمانية آلاف مجاهد من باب الفتوح وتدفقوا إلى مرتفعات القاهرة للاستيلاء على مواقع الفرنسيين التى كانت تصب نيرانها على ثوار القاهرة كما تمكنوا من قتل الجنرال (ديبوى) الحاكم العسكرى لمنطقة القاهرة[8] .

قوات نابليون تقذف الجامع الأزهر بالقنابل ويدنسوه بخيولهم :

استشاط الفرنسيون غضبا من عنف ثورة الشعب المصرى فسلطوا قذائف مدافعهم على الأزهر موطن الثورة وأخذت القنابل تترامى على أبنية المسجد وعلى الأحياء المجاورة حتى تصدعت الجدران وانهارت المنازل المتلاصقة ودفن الألوف من النساء والأطفال والشيوخ تحت الأنقاض وجرى الدم فى الشوارع بين الفريقين وفى إحصاء رسمى دون من مقر القيادة بأن عدد القتلى فى هذا اليوم بلغ زهاء أربعة آلاف شهيد .

وتجمع وثائق الحملة الفرنسية على أن الأزهر كان له الدور الأكبر فى هذه الثورة كما تؤكد وجود تنظيم دبر وخطط له فقد نقل رجال المخابرات العسكرية الفرنسية إلى رؤسائهم أن الجامع الأزهر هو موئل زعماء الثورة وأنه يضم خمسة عشر ألف ثائر يرابطون فى داخله وفى ساحته الخارجية وفى الأزقة الملاصقة له والجهات المجاورة .

لذلك لم يلبث الفرنسيون أن احتلوا الجامع الأزهر واقتحموه بخيولهم وجاسوا خلال أروقته وربطوا الخيول عند القبلة وحطموا القناديل ونهبوا المخطوطات والمصاحف[9] .

انتقام الطاغية نابليون من علماء الأزهر :

بعد أن تمكن نابليون بقواته من قمع ثورة القاهرة عمد إلى الانتقام من زعماء الثورة وكانوا من علماء الأزهر فاعتقلوهم فى القلعة ثم أعدموهم دون محاكمة وطرحت جثثهم فى النيل وكانوا كثيرين ومن هؤلاء العلماء الشهداء : .

١ ـ الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان
٢ ـ الشيخ أحمد الشرقاوى
٣ ـ الشيخ عبد الوهاب الشبراوى
٤ ـ الشيخ يوسف المصيلحى
٥ ـ الشيخ إسماعيل البراوى

يضاف الى هؤلاء الشهداء أولئك الأزهريون الشجعان الذين أتهموا بقتل الجنرال كليبر الذى

(٨) الكتاب التذكارى بمناسبة احتفالات العيد الألفى للأزهر عن مقال : الأزهر زعيم مساجد الإسلام بعد الحرمين الشريفين للأستاذ فتحى رضوان .
(٩) المرجع السابق عن مقال رسالة الأزهريين الأمس واليوم والغد للدكتور يوسف القرضاوى .

خلف نابليون بعد هروبه من مصر إلى فرنسا وقد أعدموا جميعا وهم .

١ ـ سليمان الحلبي

٢ ـ عبد القادر الغزى

٣ ـ محمد الغزى

٤ ـ عبد الله الغزى

هروب نابليون الى فرنسا بعد أن تحطمت[١٠] آماله إثر ثورة القاهرة :

أدرك نابليون أن خططه في إخضاع الشعب المصرى لسلطاته قد تحطمت وبالتالى تحطمت آماله في إمتداد استعمار فرنسا لمصر لما ثبت له أن الأزهر ـ بوصفه قائدا للمقاومة الشعبية ـ لن يهدأ بأى حال في مقاومة الاحتلال العسكرى ، والذين كتبوا تاريخ الحملة الفرنسية من الأوروبيين لم يجرءوا على انتقاص الكفاح المصرى بقيادة علماء الأزهر بل سجلوا ذلك في كتبهم في إسهاب وإفاضة .

لذلك عول نابليون على الرجوع إلى فرنسا خصوصا بعد فشل حملته العسكرية على بلاد الشام وهزيمته في اقتحام مدينة عكا في يونيه سنة ١٨٩٩ بعد أن حاصرها ٦٤ يوما ، وفى مساء الجمعة ٢٣ أغسطس سنة ١٨٩٩ م أبحر سرا من الاسكندرية إلى فرنسا خشية وقوعه في أسر الأسطول البريطاني الذى كان يحاصر الشواطىء المصرية على أثر احتلال مصر من قبل الحملة الفرنسية[١١]

ماذا قال ذلك الطاغية عن الإسلام والقرآن والأزهر في طريق عودته إلى فرنسا :

لم يكن مرافقو نابليون يصدقون أنه في الطريق إلى فرنسا إلا أنه أكد لهم القوة التى فرّ منها بقوله :

(لم أكن أعرف أن الإسلام قوى بما يحمل علماؤه في صدورهم وعقولهم ، يبدو أن القرآن الذى يحملونه قوة عليا لا تقهر ولا تهزم ، أنا لا أستطيع أن أقهر القوى العليا التى تحرك المسلمين) .

وبعد أن وصل الى فرنسا قال :

(مازلت أحيا أمارس حياتى ، لأننى تركت المسلمين في مصر دون تدخل أكثر ، أعتقد أنى لو تدخلت أكثر من هذا لما عدت إلى فرنسا إلا جثة ، وربما لا أعود ولا حتى جثه) .

ثم استطرد بعد ذلك وقال :

(أحمد الله أننى لم أكن موجودا في العصر الذى كان فيه نبى الإسلام يقود المعارك ضد أعدائه وإلا كنت قد هزمت بجدارة ، فإذا كان هذا حال أتباعه فكيف كان حاله هو ؟)[١٢]

ويبدو أن هذا الشعور الخفى الذى أنتاب نابليون بعد معايشته للمصريين وقربه واحتكاكه بعلماء الأزهر وقت حملته العسكرية على مصر ظل ملازما له طول حياته وعايشه وهو في المنفى بعد هزيمته أمام أعدائه في أوروبا إذ تبين للمسئولين هناك وجود نسخة للقرآن الكريم بجوار جثته بعد وفاته كان يقطع وقته من حين الى آخر في الإطلاع عليها[١٣]

(١٠) المرجع السابق عن مقال الأزهر في عيده الألفى سيرة ولمحة للأستاذ خالد محمد خالد .

(١١) كتاب المختار من تاريخ الجبرتى الجزء الثالث المرجع السابق .

(١٢) كتاب الاسلام ورسوله في فكر هؤلاء تأليف الأستاذ احمد حامد طبعة دار الشعب صدر سنة ١٤١٢ هـ ـ سنة ١٩٩١ م .

(١٣) المجلة العربية السعودية عدد جمادى الآخرة سنة ١٤٠٥ هـ ـ مارس سنة ١٩٨٢ م .

من أعلام الإسلام

الشيخ/ مصطفى صبري

(٢)

للأستاذ/ توفيق إسلام يحيى

تعيين الشيخ مصطفى صبرى شيخا للإسلام

مضى نحو أربع سنوات مابين عودة الشيخ مصطفى صبرى إلى استانبول من رومانيا ، وبين تعيينه شيخاً للإسلام ، ولاندرى مدى إسهامه فى الحياة العامة أو العلمية أو السياسية فى هذه الفترة . لكن الذى نعلمه أن الاتحاديين من : طلعت وأنور وزملائهم ، هم الذين أدخلوا تركيا فى الحرب من غير رغبة الخليفة ، ولما انهزموا وقعوا على وثيقة الاستسلام ، ثم اتجهوا إلى الميناء حيث ركبوا مدمرة إنجليزية أوصلتهم إلى مكان مجهول للحفاظ على حياتهم من خصومهم .

تشكيل الحكومة الجديدة :

شكل الخليفة حكومة جديدة برئاسة فريد باشا ، وعين فيها الشيخ مصطفى صبرى شيخاً للإسلام . وطبقاً للوائح الجارية فى ذلك الوقت كان شيخ الإسلام يلى الصدر الأعظم فى البروتوكول . وينوب عنه تلقائيا إذا غاب لأمر ما كمرض أو سفر فى إدارة شئون الدولة . ذهب الصدر الأعظم إلى جنيف بسويسرا ليكون بجوار المنتصريـــن فى الحرب ، والقائمين بتقسيم الأسلاب والغنائم ، ومكث حوالى ستة أشهر تقريبا

فى هذه الفترة أرسل السلطان وحيد الدين مصطفى كمال إلى الأناضول فى مهمة رسمية من غير أخذ رأى الحكومة التى كان يرأسها شيخ الإسلام مصطفى صبرى . ومن أراد الحوادث كاملة فليرجع إلى كتاب شيخ الإسلام «موقف العقل والعلم..» ص ٤٦٧ ـ ٤٧٧ الجزء الأول . وفى هذه الصفحات يجد كل ما دار بين شيخ الإسلام مصطفى صبرى ـ بصفته صدراً أعظم ـ وبين السلطان وحيد الدين .

تقدير شيخ الإسلام لأستاذه :

فى أول عيد بعد توليه المشيخة ذهب صباح يوم العيد إلى المسجد الذى يؤدى فيه السلطان وحيد الدين صلاة العيد ليكون فى معيته . وبعد الصلاة عادوا إلى (قصر يلدز) ليستقبل السلطان المهنئين من كبار رجال الدولة والسفراء الأجانب . وبعد انتهاء المراسم ركب شيخ الإسلام عربته الخاصة وقال للسائق : إلى شارع كذا .. لأنه قرر فى نفسه ـ قبل أن يذهب إلى أولاده ـ أن يذهب إلى شيخه وأستاذه ليهنئه بالعيد تقديرا وتكريما له ؛ لأنه صاحب الفضل عليه . قال لنا شيخ الإسلام : لا أدرى من الذى أخبر أستاذى بأنى متجه إلى منزله . لما اقتربت عربة شيخ الإسلام من مدخل الشارع الذى يسكن فيه أستاذه فوجىء شيخ الإسلام بأستاذه على رأس الشارع ليستقبله . ولما نزل من عربته تقدم إليه شيخه قائلا

له : أنت الآن شيخ الإسلام . نحن نجيء إليك ونهنئك . رد عليه شيخ الإسلام : أستغفر الله ، إلى ماوصلت إلى هذا المنصب إلا بفضلك ودروسك . ولولا هذا الفضل ما وصلت إلى كرسى المشيخة الإسلامية .

خروج شيخ الإسلام من تركيا نهائيا :

لما أعلن العصيان على الخليفة ـ وأخذوا يقتلون كبار الرجال المخالفين . وكان لشيخ الإسلام صديق عزيز اغتيل ، وقد توقع الشيخ اغتياله ، وإذا بشخص مجهول يتصل به ويقول له : حان دورك ، فاختبئ بسرعة ، فلما حضروا وجدوا الحجرة خالية ، واتجه فضيلته إلى مصر . وبعد قليل حاول الكماليون قتل السلطان وحيد الدين ؛ لأنه رفض تنازله عن العرش كما طلب منه ، فغادر العاصمة سراً متجهاً إلى إيطاليا .

عرض ملك الحجاز على السلطان أن يحضر هو وحاشيته للإقامة فى الحجاز :

أرسل ملك الحجاز حسين الهاشمى إلى السلطان وحيد الدين دعوة بالحضور هو وحاشيته ضيفا على الملك الهاشمى ؛ ليعيشوا فى الأرض المقدسة بين المسلمين ، طلب السلطان وحيد الدين من شيخ الإسلام أن ينتقل من مصر إلى الحجاز ؛ ليكون فى صحبته . كان ملك الحجاز كثير الاهتمام بهم جميعا . وبعد مدة زار الملك الهاشمى السلطان فى مقره . وبعد تبادل الأحاديث طلب الهاشمى من السلطان أن يتنازل له عن الخلافة . أمهله الخليفة ؛ ليتروى ويتدبر حتى يتمكن من أخذ هذا القرار . أخبر السلطان شيخ الإسلام بما حصل وإمهاله ليتروى وليتدبر . قال له شيخ الإسلام : اتخذتم القرار ؟ قال : اتخذت القرار فى نفس الجلسة ، وقبل أن يغادر الملك الحجرة قال شيخ الإسلام : وماهو ؟ قال : كل واحد منا يجهز نفسه فى هدوء لنغادر الحجاز بعد ثلاثة أيام .

السلطان اتجه بأسرته إلى إيطاليا ، وفضيلة شيخ الإسلام مصطفى صبرى جمع أفراد أسرته وقال : إننا سنتجه إلى اليونان للإقامة بها ، قبلت حكومة اليونان أن يلجأ إليها هو وأفراد أسرته . اختار ـ رحمه الله ـ عاصمة « تراكيا » ـ كوملجينه ـ مقراً له . التف حوله أتراك (تراكيا) ورحبوا به . أصدر «رحمه الله» منشوراً شهرياً يتولى إصداره ـ بنفسه ـ بمساعدة ابنه إبراهيم بك وكان حافلا بالأخبار التى تبعد النوم عن عيون مؤسسى النظام فى تركيا . ولما ضاق مصطفى كمال بهذه المنشورات التى تفضحه وتؤرقه طلب من اليونان إبعاده . أرسل وزير الخارجية مندوبا إليه يطلب منه أن يزوره . أرسل شيخ الإسلام ابنه إبراهيم بك ـ كان دبلوماسيا بارعا متقنا للغة الفرنسية ـ استقبله موظف كبير فى الخارجية وطلب منه أن يغادروا اليونان ؛ قائلا له : «إن وجودكم بتركيا يخلق لنا مشاكل» رد عليه إبراهيم بك : «حينما طلبنا اللجوء إليكم طلبناه على أساس أن دولة اليونان دولة حرة مستقلة ذات سيادة .

ولو كنا نعلم أن اليونان تخضع لمصطفى كمال ماكنا نلجأ إليكم» .

وصف لنا إبراهيم بك حالة الموظف حينما سمع هذا الرد ؛ كأن صاعقة أصابته فأفقدته الاتزان ، يقوم من على كرسيه ثم يجلس ، ووجهه يحمر مرة ثم يصفرُّ أخرى قال له إبراهيم بك : سنريحكم ونغادر اليونان .

وصول شيخ الإسلام إلى القاهرة للمرة الثانية :

وصل الشيخ إلى القاهرة وقد رُوّجت ضده أخبار كانت من صنع أعدائه فانبرت بعض الأقلام تطعن فيه .

وتأثر بعض العلماء بهذه الدعاوى المضادة حيناً حتى تبينت الحقيقة فقدروا الشيخ حق قدره .

وبالطبع فإن سماحة شيخ الإسلام حينا يسمع هذا الكلام الشنيع موجها إليه وهو لا يحمل لهم إلا الحب والخير ، ويريد أن يبصرهم بالحق مجاهدا فى سبيل الله لإعلاء الدين ، فإذا ما اشتط شيخ الإسلام فى الرد وعجز عن كبح جماح قلمه يكون معذورا . واللوم على من جهر بالسوء .

سرور شيخ الإسلام حينا يجتمع بالطلاب

أعتقد أن الإنسان مهما بلغ من القدرة الفائقة على وصف الأشياء وصفا حقيقيا فهو بالقطع يعجز عن وصف سماحة شيخ الإسلام مصطفى صبرى ، وكل مايمكن أن نقول ـ فى وصفه : إنه قد اجتمعت فيه صفات طيبة عدة ، أبرزها صفة التواضع ، ولذا كان يفرح كثيرا حينا نقوم بزيارته فى منزله العامر ؛ ولأن أبرز صفاته التواضع ، كان يقوم بزيارة الطلاب فى مساكنهم ، وكان ـ رحمه الله ـ تعالى ـ يتكرم ويتنازل حتى يصبح كأنه واحد منا ، وبالمقابل كنا نحن الطلاب نحس إحساسا حقيقيا بأنه بهذا التنازل ـ يكبر فى نظرنا ويكبر ويكبر ، وكنا نحس بأنه فى جلسته مع الطلاب يستحضر شريط أيام التلمذة بمسجد محمد الفاتح ، فينسى بعض همومه التى لم تكن تفارقه .

عرضنا عليه مرة أن نقوم بنزهة إلى القناطر الخيرية ، فرضى بشرط واحد وهو : ألا يتم هذا فى يوم الجمعة ولا يوم الأحد . حددنا زمان ومكان الاجتماع وأخذنا معنا كل مايلزم من مطعم ومشرب وأدوات ، تولى إعداد الطعام الشيخ الفاضل إحسان افندى عبدالعزيز ـ والد (الدكتور أكمل الدين إحسان أو غلو) مدير متحف التراث الإسلامى باستانبول ، وساعدته فى إعداده .

وفى المرة الثانية اعتذر الشيخ الفاضل لوعكة صحية فقمت أنا بإعداد الطعام . ولما تناول سماحة الشيخ قليلا من الأرز دهش وقال : من أعدَّ هذا الأرز ؟ ارتجفت وقلت فى نفسى : لعل فيه نقصا فلهذا لم يستملحه ؛ قلت : أنا . قال : أنت ، مش معقول ، أنا أكلت على مائدة السلطان وحيد الدين مراراً ، فلم أذق مثل هذا الأرز . قال : كيف طبخته قلت كذا وكذا قال : (عفارم)(*) كررها مرتين .

وظيفة النقد البناء

كم يكون النقد العلمى بناء إذا كان الناقد منصفا عالما بدقائق قضيته التى ينقدها ، لأنه فى هذه الحالة يستطيع أن يكشف المحاسن والعيوب . ولا ينجح باغيه إذا قصر فى ذلك ، وبالتالى لا يأتى نقده بالثمرة المرجوة .

من هذا المنطلق إذا دار النقاش العلمى بين العلماء الفطاحل أمثال : شيخ الإسلام مصطفى صبرى والشيخ المراغى والشيخ يوسف الدجوى والشيخ شلتوت وغيرهم ممن هو على شاكلتهم ، فإن من يتصدى لنقدا آرائهم ينبغى أن يكون محيطا بما آل اليه أمر هذه المشيخة مع الشيخ مصطفى صبرى ؛ فإنه لما تقرر التغيير وصدرت به قرارات أسرع الشيخ يوسف الدجوى إلى منزل شيخ الإسلام مصطفى صبرى معتذرا ومقبلا جبهته ووجنتيه . ومن هذه الساعة صار شيخ الإسلام مصطفى صبرى

والشيخ الدجوى أخوين فى الله ولله .

ولما انتقل الشيخ الدجوى إلى رحمة الله ذهب شيخ الإسلام إلى حلمية الزيتون وصحبته أنا أيضا ، فصلينا صلاة الجنازة فى مسجد الشيخ نجيب المطيعي ، ثم مشينا بالجنازة فى طريق غير ممهد إلى أن وصلنا إلى قبره . كذلك كان موقف فضيلة الشيخ شلتوت مع شيخ الإسلام مصطفى صبرى حين انعقدت الجلسة الأولى للنظر فى (كيفية النهوض بالمساجد) حيث كان كل من شيخ الإسلام والشيخ شلتوت[3] من أعضاء اللجنة . وقبل انتهاء أعمال الجلسة[4] طلب رئيسها من الأعضاء تعيين الزمان والمكان لانعقاد الجلسة الثانية ، فتصدى فضيلة الشيخ شلتوت للأمر وقال ــ على الفور : الجلسة الثانية تنعقد فى منزل فضيلة شيخ الإسلام بمصر الجديدة حتى لايتحمل تعب الانتقال إلى الوزارة . هذا دليل واضح على أن كلا منهما كان يعرف قدر الآخر .

إلى حينما أرفع رأسى وأنظر إلى هؤلاء الفطاحل . شيخ الإسلام مصطفى صبرى والشيخ المراغى والشيخ الدجوى والشيخ محمد الخضر حسين والشيخ شلتوت وغيرهم ؛ لا استطيع أن أقول شيئا لعجزى عن ذلك . وإنما أسجل هنا بيت الفرزدق الذى قاله مفاخراً ..

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم
إذا جمعتنا ياجرير المجامع

---

* كلمة استحسان تركية .

٣ ــ من راجع ص ٣٦٣ من كتاب موقف العقل العلم .. جزء أول .

٤ ــ كان وزير الأوقاف الأستاذ عبدالحميد عبدالحق ــ فى النصف الأول من الأربعينات ــ قد شكل لجنة من كبار المفكرين ليبحثوا طرق النهوض بالمساجد حتى تؤدى دورها على الوجه الأكمل . وكان من أعضاء هذه اللجنة سماحة شيخ الإسلام مصطفى صبرى وفضيلة الشيخ شلتوت .

الإسلام والطب الحديث

للدكتور عبدالعزيز إسماعيل

إعداد وتقديم الأستاذ عبدالفتاح حسين الزيات

القرآن الكريم ، مرآة الإسلام الناطقة الصادقة ، تنعكس عليها أنوار هذا الدين الحنيف ، فتهب الحياة لمن أراد الله له الحياة .

وكنوز الإسلام لا تنفد ، وذخائره لا تعد ، ونفائسه لا تحصى ، وسيظل يعطى ويعطى ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولأن الإسلام دين الحياة ، ففيه تكمن عناصر هذه الحياة ، ومنها : عنصر الصحة ، ولذلك نجد القرآن الكريم — في كثير من آياته — يأتى بأبنائه ، بل ويحذرهم أن يتلفوا صحتهم بأى من أنواع الإتلاف .

وقد جاء هذا نصا صريحا في قوله تعالى :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ .. ﴾[1]

وفى قوله ﷺ « لا تزول قدما ابن آدم حتى يسأل عن أربع .. »[2] وعدّ منها الشباب .

والقرآن الكريم — دستور المسلمين — سبق الطب الحديث بأربعة عشر قرنا من الزمان ، فى تشخيص الداء ، وتحديد الدواء ، وجاء بآيات بينات ، قاطعة فى الطب والعلاج .

ولعل فى قوله تعالى :

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]

ما يدل على عموم الشفاء بأنواعه المختلفة ، البدنى ، والنفسى ، والروحى .

إذا هى احدى معجزات الإسلام الذى هو نعمة الله على الإنسان فهل يعتبر أولئك الطاعنون ، والمشككون ، وأعداء الحقيقة ، ويرجعوا الفضل إلى صاحب الفضل — سبحانه وتعالى —؟! .

(١) من الآية ١٩٥ من سورة البقرة .
(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس — رضى الله عنه .
(٣) الآية ٨٢ من سورة الإسراء

في سورة البقرة ، الآية ٢١

﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾

الماء ضروري لاستمرار الحياة وللنمو ، فالإنسان لا يمكنه أن يعيش بدون شرب الماء بضعة أيام ، مع أنه يعيش على الماء فقط مدة شهر أو أكثر . والنباتات والجراثيم وكل شيء حي يهلك من الجفاف ، ويحيا بالماء .

والآية ٦٠ :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾

هذه الآية الكريمة معناها – والله أعلم – أن اللحوم والأسماك والألبان .. إلخ ، أفضل في التغذية من البقول والقمح والذرة . ومعنى الأفضلية ليس مقدار المواد الزلالية الضرورية للجسم في كل نوع ، لأن هذا يجب ألا يكون سببا مهما للأفضلية . فمثلا المواد الزلالية في اللحوم من ١٥ إلى ٢٠ في المائة ، وفي اللبن ٤ في المائة ، وليس هذا معنى الأفضلية ، لأن معناها أن اللبن غذاء مخفف ، وبتركيزه يصير مثل اللحوم ، وكذلك اللحوم بإضافة ماء عليها تصير مخففة مثل اللبن ، ولكن معنى الأفضلية هي في نوع المواد الزلالية لا في كميتها ، وأن كل جرام من المواد الزلالية في اللحوم أفضل من جرام من المواد الزلالية Protiens في القمح والذرة .. إلخ .

وقد اهتدت أخيرا لجنة الأبحاث بانجلترا Medical Research Committee إلى أن قيمة المواد الزلالية تختلف في نوعها ، وفي المقدار منها الذي يمنع المواد الزلالية المكونة للأنسجة من أن تحترق .

وبعد أبحاث كثيرة ظهرت لها فوائد عملية في بعض أمراض مثل البلاجرا ، ورأوا أن اللحوم بالنسبة للمواد الزلالية ونوعها لها قيمة أكثر من اللبن ، والذرة .

إن هذه النتيجة التي لخصها القرآن الشريف لم تظهر حقيقة ثابتة طبيا إلا منذ سنوات قليلة . وكانت النظرية السائدة قبل ذلك أن الأطعمة وقيمتها بالنسبة للمواد الزلالية هي مسألة كمية لا مسألة نوع .

وقد ظهر من أبحاث لجنة الأبحاث الملكية بانجلترا في التقرير الثالث سنة ١٩٣٣ والأخير : أن البقول Cereals يضر الإكثار منها بالأسنان ونموها ، حتى إن التقرير ينصح بعدم إعطائها مطلقا للأطفال ، وبالقلة منها للكبار ، ويقول : إن الإكثار من البقول من أهم العوامل في تسوس الأسنان . والآية ١٦٣ :

﴿ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ﴾

الروح مهما كانت حقيقتها هي هبة من عند الله ، ولكنها لا يظهر تأثيرها إلا في نوع مخصوص من المادة ، وهذا النوع من المادة يختص بأن يكون في حركة دائمة من التحويل Metabolism وهذا التغيير الكيميائي الدائم في كل خلايا الإنسان وكل دابة لا يمكن علميا إلا إذا كان فيه ماء بمقدار يختلف حسب نوع الخلايا .

وهناك بعض أجزاء من الجسم الحي يقل فيه الماء جدا ، وهذه أغلبها إفرازات متجمدة ليس فيها حياة مثل الأظافر ، وأعني أنها ميتة ، وهذا أيضا معنى الآية الكريمة :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ .

فليس المراد أن الماء سبب الحياة مطلقا ، ولكنه شرط أساسى فى المادة التى تظهر فيها الحياة ، وهناك فرق بين الاثنين .

ومثل ذلك مثل المسرة (التلفون) ، فإذا كان اثنان يتكلمان على مسافة طويلة ، فالسبب فى الصوت الذى يسمع هو المتكلم من الناحية الأخرى ، ولكن عدة المسرة شرط أساسى لسماع الكلام ، حتى إذا طرأ عليها طارىء لا يمكن سماع أى شىء . كذلك الماء شرط أساسى لاستمرار الحياة فى الجسم ، ولكن الحياة والروح هما مثل المتكلم شىء آخر مطلقا لا تعرف حقيقته ، ولكن تغيير المادة بفقد عنصر أساسى مثل الماء ، الذى يؤدى إلى الموت بالنسبة إلى الجسم المادى ، يمنع وجود الروح والحياة ، وقلة الماء فيه تؤدى إلى عدم وجود الروح والحياة ، أى الموت بالنسبة إلى الجسم المادى .

الآية ١٧١ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾ :

هذه الآية الكريمة تنص على ألا تؤكل الميتة ، ولا الدم ، فالحيوان الميت لا يموت إلا لسبب مثل المرض أو الشيخوخة ، فإن كان لمرض فمما لاشك فيه أنه لا يزال فى الجسم : نتيجة التسمم من مواد غير طبيعية وضارة للإنسان ، حتى بعد أن يعقم من الجراثيم بطريق النار ، فالجسم الميت فى هذه الحالة يشبه الغذاء المتخمر الذى مهما طهر من الجراثيم بالحرارة لا يزال مضرا بالانسان ، وربما أدى الأكل منه إلى الوفاة .

وكذلك الدم ، فإنه تسبح أغلبه وأهم عنصر فيه ـ وهو الكرات الحمر ـ خلايا حية ، وفيه من إفرازات الجسم ما هو معد للإفراز بواسطة البول والعرق .. إلخ .

فالدم فى الحقيقة مزيج من مواد قليلة مفيدة للجسم ، ولكن أغلبه مواد مضرة ، ويجب أن تفرز ، وإذا كان الحيوان المأخوذ منه الدم مريضا ، كان أكل الدم أشد ضررا ، وكأن بقاؤه فى أنسجة الحيوان قبل أكله مضرا جدا لما فيه من مواد مضرة ، تحدث تخمرا بسرعة فى أنسجة الحيوان مثل العضلات ، فيكون لحمه غير صالح للأكل .

وأما إذا كانت الميتة بالشيخوخة ، فضررها كضرر الميتة بالمرض ، لأن الشيخوخة معناها اختلال أحد الأنسجة قبل الأنسجة الأخرى ، فتؤدى إلى اختلال الكل .

واختلال أحد الأنسجة لا يأتى إلا لضعف طبيعى فيها ، أو بمرض تدريجى غير منظور ، يحدث تغييرات فى لحوم الحيوان ، تقلل من قيمتها الغذائية ، وقابليتها للهضم .

ورب قائل يقول : إن الميتة تؤكل يوميا فى البلاد الباردة مثلا ، وكذلك الدم ولحوم الحيوانات تؤكل بدون ذبحها وتصفية دمها بدون ضرر ظاهر ؟!

والجواب على ذلك : أن ضرر التخمر يقل كثيرا فى الأقاليم الباردة ، ويزيد فى الأقاليم الحارة ، والدين الإسلامى أنزل للعالم كله ، بما فيه الأقاليم الحارة التى يحدث التخمر فيها بسرعة مدهشة . إذن فمما لاشك فيه طبيا أن لحم الحيوان السليم ، الذى يذبح ويصفى دمه أحسن غذاء ، وليس فيه أقل ضرر ، بخلاف الحيوان المريض الميت المتخللة لحومه بالدم .

فمثلا نحو خمسة فى المائة من الخنازير فى بعض

جهات أمريكا مصاب بمرض (تركينا) وهو نوع من الديدان خطر، لأنه إذا أصيب به الإنسان يحدث به تسمما عموميا، وإسهالا مثل (الكوليرا)، وقد يؤدى إلى الوفاة. وأهم من ذلك أن لحم الخنزير المصاب لايمكن تطهيره من هذا المرض بسهولة، فعملية السلق البسيطة أو الشى لا تكفى، ويجب غلى اللحوم مدة لاتقل عن نصف ساعة على الأقل لتطهيرها. وإذا كانت الإصابة شديدة، كانت اللحوم غير صالحة للتغذية، حتى بعد تطهيرها، لأن الحيوان يكون فى حالة تسمم عمومى قبل الوفاة.

وهنا كانت حكمة الدين الإسلامى فى اجتناب الضرر الذى لايمكن الوقاية منه إلا بطرق ليست سهلة التناول، وأحسن الوقاية العملية هى الامتناع عن أكله. ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ ٢١٨ البقرة

الخمر أساسها: مادة الكحول (الكئول)، بكميات مختلفة، وهذه المادة توجد بنسبة خفيفة فى جسم الإنسان فى عملية هضم المواد السكرية (الجلوكوز) مثل الموجود فى العسل. ولها فوائدها طبيا[1]، ولكن يظهر أن هذه الفوائد قاصرة على هذا القدر البسيط جدا، فإن زاد عن ذلك أحدث ضررا، خصوصا إذا كان التعاطى لمدة طويلة، فانه يحدث التهابا مزمنا فى الأعصاب وفى الكلى، وتصلبا فى الشرايين، وتحجرا فى الكبد، وضعفا فى القلب.

ورب سائل يقول: لم لا يؤخذ منه مقدار بسيط؟

والجواب: أن الكحول (الكئول) يختلف عن أغلب المواد فى أنه حتى بالمقادير البسيطة يحدث ضعفا فى قوة الإرادة والحكم، وتزداد به الانفعالات النفسانية، وهذا هو الخطر، لأن الشخص يصبح شخصا آخر، وإرادته تصبح غير إرادته الطبيعية. ومع علمه بضرر الزيادة فى حالته الاعتيادية لا يقوى على منع نفسه، وهو تحت تأثير البسيط منه، وقد يحدث الشيء البسيط منه حركة انتعاش، ولكن ضعف الإرادة يجعل الشخص عبدا لعادة شرب الخمر.

وقد وصفها كاتب من أكبر الكتاب الإنجليز فى كتابه، وكان يتعاطى الخمر، فقال: «إنى لا أحس أنى فى شعورى وإدراكى إلا إذا كنت متأثرا بالخمر، ولكنى فى هذا الوقت وأنا سكران لا أعرف نفسى الأولى»، فكأنه فى الحقيقة أضاع نفسه، لأن عادة الخمر كانت شديدة، حتى إنه فى الأوقات التى لا يشرب فيها يشعر بكآبة وبؤس، ولا يحس نفسه سعيدا، وكأن شيئا مهما ينقصه حتى إذا شرب شعر بالسعادة. ولكنه فى هذه الحالة ليس طبيعيا بل هو سكران، وقد مات فى شبابه بالسل، مع أنه لو عاش لم يبعد أن يكون أكبر شاعر.

وهنا يلاحظ أن الخمر، حتى قليلها، لا يزيد قوة التفكير العميق بل يضعفها. وأما الملكات الأخرى مثل الموسيقى والشعر، وفربما ظهرت بوضوح من قليل من الخمر.

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾

أما تأثير الخمر من الوجهة الأخلاقية والاقتصادية فليس محل بحثنا.

(١) هذا مردود بقوله ﷺ: «لم يجعل الله شفاء أمتى فيما حرم عليها».

العلوم التقنية فى التراث الإسلامى

عرض وتحليل أ. د/ أحمد فؤاد باشا

إن فى تراث المسلمين علوماً لم يولها الباحثون اهتماماً كافياً ، إما لندرة مصادرها ، أو لتفرُّق موضوعاتها فى مراجع تراثية شتى ، يتعذّر الحصول على أغلبها ، أو لصعوبة مصطلحاتها التى تبدو لغير المتخصصين غريبة عمّا هو شائع فى لغة العلوم المعاصرة ، أو لغياب المنهجية السليمة فى التعامل مع التراث بصورة عامة ، أو لكل هذه الأسباب مجتمعة ، وربما لأسباب أخرى غيرها .

والعلوم التطبيقية والتقنية عند المسلمين لم تكن أقل تقدماً من علوم الفلك والطب التى حظيت بالاهتمام الأكبر من جانب المؤرخين والمستشرقين ، ولكنها تحتاج إلى من يتناولها بالتحليل الدقيق ، والدراسة المتأنية للتعريف بها ، وكشف أصولها فى التراث الإسلامى على ضوء معطيات العلوم الحديثة .

أولا : علم الحيل النافعة :

علم « الحيل » هو : ذلك العلم الذى أطلق عليه قدامى الإغريق اسم « الميكانيكا » ، ولايزال يحمل هذا الاسم حتى الآن فى مراحل التعليم المختلفة .

وقد ازدهر علم « الحيل » فى العالم الإسلامى ما بين القرنين الثالث والسابع الهجريين (التاسع والثالث عشر الميلاديين) ، واستمر عطاء المسلمين فيه حتى القرن السادس عشر الميلادى تقريبا .

وإذا كان أعلام المسلمين قد اطلعوا على بعض ما خلفه قدماء المصريين والفرس والهنود والصينيين والإغريق فى علم الحيل ، لكن ما ورثوه عن الحضارات السابقة كان محدوداً من الناحيتين النظرية والتطبيقية على حد سواء ، فطوروه وأضافوا له ووضعوا له القواعد العلمية ، وصنفوا فيه كتبا رائدة ، لايزال الكثير منها مجهولًا أو مفقوداً .

ويمثل علم « الحيل النافعة » الجانب التقنى المتقدم فى علوم الحضارة الإسلامية ، حيث كان المهندسون والتقنيون يقومون بتطبيق معارفهم النظرية ، للإفادة منها تقنيا فى كل ما يخدم الدين ، ويحقق مظاهر المدنيّة والإعمار . وقد جعلوا الغاية من هذا العلم « الحصول على الفعل الكبير من الجهد اليسير » ، ويقصد به استعمال الحيلة مكان القوة ، والعقل مكان العضلات ، والآلة بدل البدن . ذلك أن الشعوب السابقة كانت تعتمد على العبيد ، وتلجأ إلى نظام السخرة فى إنجاز الأعمال التى تحتاج إلى مجهود جسمانى كبير ، فلما جاء الإسلام ونهى عن السخرة وإرهاق الخدم والعبيد وتحميلهم فوق ما يطيقه الإنسان العادى ،

إلى جانب تحريمه المشقة على الحيوان، اتجه المسلمون إلى تطوير الآلات لتقوم بالأعمال الشاقة. وبعد أن كانت غاية السابقين من علم «الحيل» لاتتعدى استعماله فى التأثير الدينى والروحى على أتباع مذاهبهم، مثل استعمال التماثيل المتحركة أو الناطقة بواسطة الكهان، واستعمال الأرغن الموسيقى وغيره من الآلات المصوتة فى المعابد، فقد جاء الإسلام وجعل الصلة بين العبد وربه بغير حاجة إلى وسائل وسيطة أو خداع حسى أو بصرى، وأصبح لعلم «الحيل النافعة» هدف جديد هو: التيسير على الإنسان باستعمال آلات متحركة.

بنو موسى بن شاكر:

وقد ظهر هذا التوجه عند المسلمين الأوائل على أيدى نفر من العلماء الأعلام، لعل أشهرهم: أبناء موسى بن شاكر أصحاب الكتاب القيم المعروف باسم «حيل بنى موسى»[1].

يقول ابن خلكان: «ولهم - أى بنى موسى - فى الحيل كتاب عجيب نادر يشتمل على كل غريبة، ولقد وقفت عليه فوجدته من أحسن الكتب وأمتعها، وهو مجلد واحد»[2].

ويحتوى هذا الكتاب على مائة تركيب ميكانيكى مع شروح تفصيلية ورسوم توضيحية لطرائق التركيب والتشغيل، وهو ما يدخل اليوم فى نطاق علم «الهندسة الميكانيكية» Mechanical Engineering الذى يبحث فى الآلات والتجهيزات الميكانيكية، التى تعتمد على حركة الهواء (وتسمى «الإيرودينامبكا» Airodynamics)، أو حركة السوائل واتزانها («هيدروديناميكا» Hgdro dynamics و«هيدروستاتيكا» Hydrostatics). وقد استعملوا نظام الصمامات الآلية ذات التشغيل المتباطىء، وعرفوا طريقة التحكم الآلى والتشغيل عن بُعد. ويكفى أن تعلم أن بنى موسى انفردوا عمن سبقهم ممن كتبوا باليونانية، وتميزوا عمن تلاهم من علماء الحضارة الإسلامية بتصاميمهم المتعلقة بالتحكم الآلى.

وإن استخدامهم للصمامات التى تعمل تلقائيا وللأنظمة التى تعمل بعد زمن معين، وغير ذلك من مبادىء وأفكار التحكم الآلى تدل على عبقرية وذهن متوقد مبدع.

وكان استخدامهم للصمامات المخروطية ولأعمدة المرافق التى تعمل بصورة آلية ذا أهمية كبيرة فى تاريخ العلم والتقنية بشكل عام.

ويقول «دونالد هيل» أنهم استخدموا نظاماً شبيها بآلية عمود المرافق الحديث، وسبقوا بذلك أول وصف لعمود المرافق فى أوروبا بخمسمائة عام[3].

---

(١) بنو موسى بن شاكر - محمد وأحمد والحسن - ثلاثة إخوة نبغوا فى علوم الرياضيات والفلك والعلوم التطبيقية والتقنية، عاشوا فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى).

قام «دونالدهيل» Donald Hill بترجمة كتابهم «الحيل» كاملاً إلى الإنجليزية فى عام ١٩٧٩ م، ثم حققه بالعربية أحمد يوسف الحسن، بالاشتراك مع محمد على خياطة ومصطفى تعمرى، ونشره معهد التراث العلمى العربى، جامعة حلب، عام ١٩٨١م.

(٢) ابن خلكان، أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، القاهرة، المطبعة الميمنية، ١٣١٠ هـ.

(٣) كتاب الحيل، تصنيف بنى موسى بن شاكر، تحقيق الدكتور أحمد يوسف الحسن، بالتعاون مع محمد على خياطة ومصطفى تعمرى، جامعة حلب، معهد التراث العلمى العربى، ١٩٨١ م. ويرى صاحب الدراسة الحالية بعد أن اطلع على هذا التحقيق أن المخطوطة بحاجة إلى تحقيق جديد لإظهار محتوياتها الفنية الدقيقة التى تستعصى على غير المتخصصين.



ومن أمثلة تركيبات بني موسى : «عمل سراج إذا وضع في الريح العاصف لاينطفىء ، وعمل سراج يخرج الفتيلة لنفسه ، ويصب الزيت لنفسه ، وكل من يراه يظن أن النار لا تأكل من الزيت ولا من الفتيلة شيئا بتّة ، وعمل فوّارة (نافورة) ، يفور منها الماء مدة من الزمان كهيئة الترس ، ومدة مماثلة كهيئة القناة ، وكذلك لاتزال دهرها تتبدل»(٤) .

ومن بين أجهزتهم الميكانيكية التي وصفها المؤرخون بكثير من الإعجاب آلة رصد فلكي ضخمة ، تعمل في مرصدهم ، وتدار بقوة دفع مائية ، وهي تبين كل النجوم في السماء وتعكسها على مرآة كبيرة ، وإذا ظهر نجم رُصد في الآلة ، وإذا اختفى نجم أو شهاب رُصد - أيضا - وسُجّل في الحال . واستحدثوا كذلك آلات لخدمة الزراعة والفلاحة ، مثل : المعالف الخاصة لحيوانات ذات أحجام معينة تتمكن أن تصيب مأكلها ومشربها ، فلا تنازعها غيرها الطعام والشراب ، وعمل خزانات للحمامات ، وآلات لتعيين كثافة السوائل ، وآلات تثبت في الحقول لكيلا تضيع كميات الماء هدرا ، ويمكن بوساطتها السيطرة على عملية ريّ المزروعات .

وكان لكل هذه الأفكار أثر كبير في دفع مسيرة «علم الحيل» النافعة قدما ، حيث تميزت تصاميمها بالخيال الخصب والآراء العلمية الدقيقة ، والمنهجية التجريبية الرائدة .

بديع الزمان الجذري :

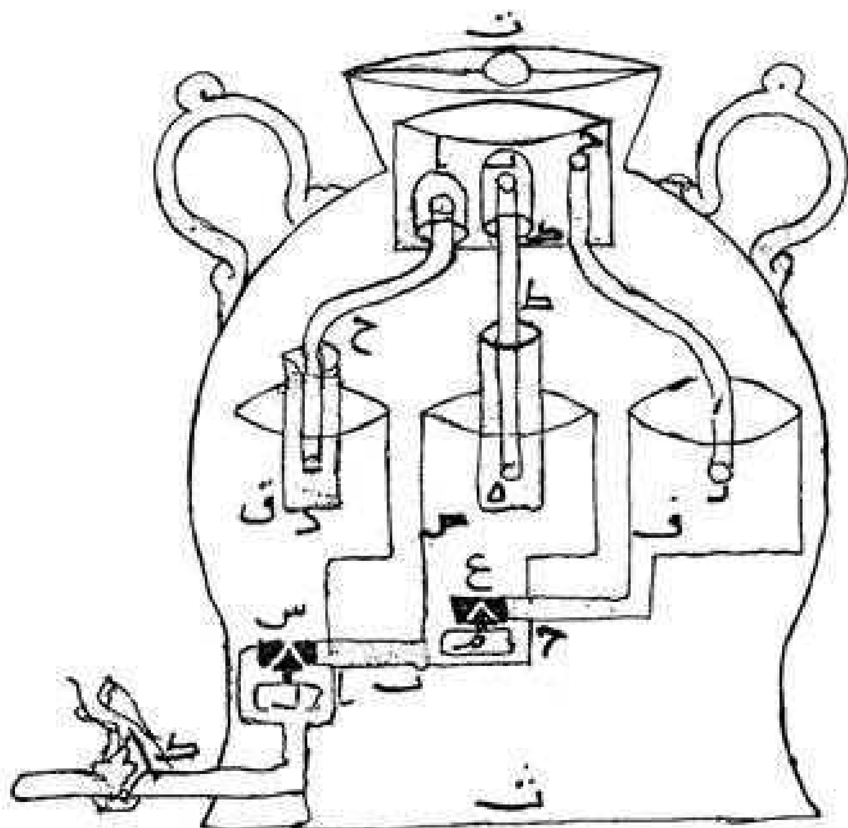
تضمنت ابتكارات المسلمين الأوائل في علم الحيل النافعة تصميمات متنوعة ، لساعات وروافع آلية ، يتم فيها نقل الحركة الخطية إلى حركة دائرية بواسطة نظام يعتمد على التروس المسننة . وهو الأساس الذى تقوم عليه جميع الحركات العصرية . ومن المؤلفات التراثية الرائدة في هذا المجال : كتاب «الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل» لبديع الزمان أبوالعز بن إسماعيل الرزاز الجزرى ، الذى عاش في القرنين السادس والسابع الهجريين (الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين) . وقد ترجم «هيل» D. HILL هذا الكتاب إلى الإنجليزية عام ١٩٧٤ م . ووصفه مؤلف العلم المعاصر «جورج سارتون» بأنه أكثر الكتب من نوعه وضوحاً ، ويمكن اعتباره الذروة في هذا النوع من انجازات المسلمين .

ويضم كتاب الجزرى عدة أقسام أطولها قسم الساعات المائية ، وقسم آخر يعالج موضوع آلات رفع الماء .

أما ساعات الجزرى فكانت تستعمل دُمى ذاتية الحركة لتشير إلى مرور الوقت ، مثل : طيور تقذف من مناقيرها كرات صغيرة فوق صنوج أو أبواب تفتح ليخرج منها أشخاص ، أو دوائر بروج تدور . أو موسيقيين يقرعون الطبول وينفخون الأبواق . وفي معظم هذه الساعات كان المحرك الأول ينقل الطاقة إلى الدُمى بواسطة أنظمة بكرات بالغة الدقة .

وأما قسم آلات رفع الماء ، ففيه وصف لتصميم مضخة يعتبرها المؤرخون الجد الأقرب للآلة البخارية ، وتتكون هذه المضخة من «ماسورتين» متقابلتين ، في كل منهما زراع

(٤) المرجع السابق .



الشكل الثالث والأربعون عن مخطوط كتاب «الحيل» لبني موسى ابن شاكر
عمل جرة تصب فيها ألوان من الرطوبات ، لون بعد لون ، من ثقب واحد من رأس الجرة فلا تختلط ، وللجرة «بثيون» (صمام أو حنفية) ، فإذا فتح ذلك البثيون خرج اللون الذي صب أولا ، ثم يتبعه الثاني إذا فني ، فإذا فني الثاني يتبعه الثالث ، وكذلك لايزال حتى ينفد جميع الألوان .

يحمل مكبساً أسطوانيا . فإذا كانت إحدى الماسورتين في حالة ضغط (أو كبس) فإن الثانية تكون في حالة سحب (أو شفط) . ولتأمين هذه الحركة المتقابلة المتضادة يوجد قرص دائري مسنن قد ثبت فيه كل من الذراعين بعيداً عن المركز .

ويدار هذا القرص بواسطة تروس متصلة بعامود الحركة المركزي . وهناك ثلاثة صمامات على كل مضخة تسمح بحركة المياه في اتجاه واحد من أسفل إلى أعلى ، ولا تسمح بعودتها في الاتجاه العكسي(*) .

(*) دونالدهيل ، ترجمة كتاب « الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل » للجزري ، نشر دوردرشت ـ هولندا ١٩٧٩م .

ومضخة الجزرى : عبارة عن آلة من المعدن تدار بقوة الريح أو بواسطة حيوان يدور بحركة دائرية ، وكان الهدف منها أن ترفع المياه من الآبار العميقة إلى سطح الأرض ، وكذلك كانت تستعمل فى رفع المياه من منسوب النهر إذا كان منخفضا إلى الأماكن العليا مثل جبل المقطم فى مصر . وقد جاء فى المراجع أنها تستطيع ضخ الماء إلى أن يبلغ حوالى عشرة أمتار . وتنصب المضخة فوق سطح الماء مباشرة بحيث يكون عمود الشفط مغمورا فيه[٦] .

أحمد المرادى :

منذ نحو عشرين عاما فقط اكتشف فى مكتبة « لورنسيين » بفلورنسا كتاب فى الحيل النافعة بعنوان « الأسرار فى نتائج الأفكار » يعود إلى العصر العربى الأسبانى ، ويحوى أجزاء هامة حول الطواحين والمكابس المائية . ويشرح (٣١) نوعا من الآلات الميكانيكية وساعة شمسية متطورة جدا .

يقول « جوان فيرنيه » J. Vernet أستاذ تاريخ العلوم العربية بجامعة برشلونة حالياً : « لقد تأكدت نسبة كتاب « الأسرار فى نتائج الأفكار » للمؤلف العربى الأسبانى أحمد (أو محمد) بن خلف المرادى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)[٧] . ومن أمثلة التقنيات المتقدمة التى صورها كتاب المرادى « منصة آلية » فى جامع قرطبة الكبير تنفتح من تلقاء نفسها ، وتتيح تناول نسخة من القرآن الكريم وقراءتها دون أن تمسها الأيدى ، وهذه المنصة موضوعة على رفّ متحرك بواسطة سيور وآليات خافية عن الأنظار . وفى موضع آخر يقدم المرادى شرحاً وافياً لتقنية أخرى متقدمة فى قصر جبل طارق ، يتم فيها تحريك جدران مقصورة الخليفة آلياً عن طريق تجهيز قاعة محركات إلى جانبها .

تقى الدين الدمشقى :

هناك إلى جانب بنى موسى والجزرى والمرادى الباحث الإسلامى تقى الدين بن معروف الراصد الدمشقى الذى عاش فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) صاحب كتاب « الطرق السنية فى الآلات الروحانية » ، وفيه وصف العديد من الأجهزة الميكانيكية مثل : الساعات المائية والآلية والرملية ، والروافع بالبكرات والتروس (المسننات) ، والنافورات المائيـــة ، وآلات الدوران باستعمال العنفات (المراوح) البخارية التى نعرفها اليوم[٨] .

ولايزال الموضوع متصلا فى العدد القادم إن شاء الله .

(٦) محمد عبدالقادر الفقى ، السلموند وعلم الحيل ، مجلة الوعى الإسلامى ، العدد ٩٨ ، شوال ١٤٠٩هـ ـ مايو ١٩٨٩م ، ص ٨٠ .

(٧) جوان فيرنيه ، الإنجازات الميكانيكية فى الغرب الإسلامى ، مجلة العلوم الأمريكية ، الترجمة العربية ، الكويت ، أكتوبر ـ نوفمبر (مجلد ١٠) ١٩٩٤ . وكان « دونالدهيل » قد نشر مقالا عن كتاب المرادى فى مجلة تاريخ العلوم العربية ، عدد ١ (١٩٧٧) ، ص ٣٣ ـ ٤٤ .

(٨) أحمد يوسف الحسن ، تقى الدين والهندسة الميكانيكية مع كتاب « الطرق السنية فى الآلات الروحانية » من القرن السادس عشر ، جامعة حلب ، معهد التراث العلمى العربى ١٩٧٦م .

بسم الله الرحمن الرحيم — عونك اللهم

كتاب الحيل لبني موسى بن شاكر المنجم

الشكل الأول من مخطوطة كتاب «الحيل» لبني موسى بن شاكر عمل كأس يصب فيه مقدار من الشراب أو الماء ، فإن زيد عليه زيادة بقدر مثقال من الشراب أو الماء خرج كل شيء فيه .

الزلازل

بين القدرة والعبرة

بقلم الأستاذ / عادل رفاعي خفاجة

يقول الله ـ تبارك وتعالى :

« وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا » الاسراء : ٥٩

ويقول الرسول ﷺ :

لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج ـ وهو القتل ـ وحتى يكثر فيكم المال فيفيض »[1] .

وزلزلت المدينة أيام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ، فقام فخطبهم ووعظهم وقال : لئن عادت لأساكنكم فيها[2] .

والزلزلة من آيات الله ـ سبحانه ـ يبعث بها تخويفا لعباده ، فمنهم : من يتوب إلى رشده ويعود إلى حظيرة الإيمان ، ومنهم : من يبقى على غيه ، فقد أتاه من الله البلاغ .

والزلازل ـ كغيرها من آيات الله ـ تحمل الرحمة كما تحمل البأس ، وكفى المؤمنين الذين يموتون بسبب الزلازل تحت الهدم أنهم ينالون الشهادة ، لقول الرسول ﷺ : « الشهداء خمسة : المطعون والمبطون ، والغريق ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله »[3] .

ماذا في داخل الأرض ؟

يذهب بعض العلماء إلى أن كوكبنا الأرضي عندما بدأ يتكون في حالته الأولى كان في حالة شبه غازية ، وكانت درجة حرارته تبلغ ملايين الدرجات المئوية ، وقد أدى الدوران الشديد ، واجتماع الذرات والانشطار للعناصر المشعة ، وغير ذلك من عوامل إلى غوص العناصر الثقيلة مثل : الحديد والنيكل إلى باطن الأرض بينما طفت المواد الصخرية الى أعلى .

وقد قسم العلماء الأرض من الباطن حتى السطح إلى عدة نطاقات أساسية هي[4] .

١ ـ اللب : ويبلغ نصف قطره ١٢١٦ كم .

(١) رواه البخاري (١٠٣٦) ، بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) مفتاح دار السعادة ٢٢٦/١ .

(٣) أورده ابن حجر : فتح الباري ٣٤٨/٦ .

(٤) أ . د أحمد فؤاد باشا : فصل المقال في ظاهرة الزلزال ص ٢١ : ٢٢ هدية مجلة الأزهر رجب ١٤١٣ هـ .

٢ ـ القلب الخارجي : ويبلغ سمكه ٢٢٧٠ كم .

٣ ـ الوشاح : ويبلغ سمكه ٢٢٨٥ كم .

٤ ـ القشرة الأرضية : ويبلغ متوسط سمكها ٥ كم تحت المحيطات ويزيد عن ٦٠ كم فى بعض المناطق الجبلية .

وبغض النظر عن التفاصيل الدقيقة التى جاءت بها توقعات العلماء ؛ فإن تلك القشرة الأرضية التى تشكل جزءاً يسيراً من الأرض تبقى هى الأهم لكونها المرآة التى تعكس لنا ما يحدث فى باطن الأرض ، وكذلك لتأثر الإنسان مباشرة بما يحدث لها .

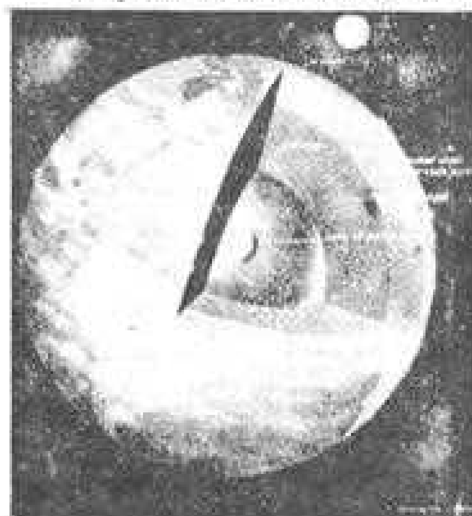
ومن هنا تبرز أهمية الحديث عن نظرية الصفائح التكتونية(*) ، وتقضى هذه النظرية بأن الغلاف الصخرى الخارجى للأرض « الليثوسفير » قد تفتق إلى عدة قطع رقيقة منفردة تكون ألواحا (أو صفائح) سمكها يصل الى حوالى (١٠٠ كم) وتتحرك هذه الصفائح بالنسبة لبعضها البعض بمعدل بطىء فى حدود سنتيمترات قليلة كل عام(٦) .

وأن « هناك علاقة وثيقة ومباشرة بين حواف الصفائح وحدوث الزلازل(٧) .

وأن هذه الصفائح تستمد الطاقة اللازمة لحركتها من الفرق الكبير بين حرارة **الغلاف الصخرى** وحرارة باطن الأرض ؛ حيث « من الثابت عمليا وتاريخيا أن مواد الأرض سوف تستمر فى الحركة طالما بقيت الحرارة فى الأعماق أكثر ارتفاعا عما هى عليه عند السطح »(٨) .

ونتيجة لهذه الحركة البطيئة لتلك الصفائح « تنحنى الصخور ببطء شديد وتختزن طاقة مرنة على غرار ما يحدث لعمود من الخشب عند ثنيه بضغط وبزيادة القوى الحركية يزداد توتر الصخور وانفعالها إلى أن تصل الى حد الكسر ، وتحدث الانزلاق فى أضعف المناطق وهى البؤرة (FOCUS) وتؤثر الإزاحة الناشئة على امتداد الصدع ، حيث يقع انزلاق إضافى إلى أن يتم تحرر كل الطاقة المختزنة ويسمح الانزلاق بعودة الصخور إلى وضعها الأصلى بدون انحناء نظرا لمرونتها ؛ وعندئذ يحدث الزلزال »(٩) .

وهذه الآلية تشبه إلى حد كبير عملية قطع سلك زنبركى معلق من أحد طرفيه ، فكما أن عملية القطع تتم فى لحظة ويستمر السلك المعلق بعدها فى حالة تذبذب لعدة ثوان أو لمدة دقيقة كذلك الكسر الذى يصيب الصخر » .



صورة تخيلية للكرة الأرضية ونواتها التى تتكون من حديد ونيكل

(*) أى الألواح الحركية .

(٦) أ . د . أحمد فؤاد باشا : فصل المقال ص ٢٦ .

(٧) المرجع السابق ص ٣٠ .

(٨) المرجع السابق ص ٣٤ .

(٩) المرجع السابق ص ٤٠ .

المرجفة(*) أو جهاز رصد الزلازل :

المرجفة (SEISMOGRAPH) فى أبسط صورها عبارة عن كتلة معلقة فى حامل مثبت بالأرض ، وعندما تصل الاهتزازات الزلزالية إليها فإن القصور الذاتى للكتلة يعمل على إبقائها ساكنة ، بينما تتحرك الأرض مع الحامل ، ويتم تسجيل حركة الأرض بالنسبة للكتلة على قرص دوار أو على شريط ممغنط يدور آليا .

شدة الزلازل :

فى سنة (١٩٠٢ م) استحدث العالم ميركللى MERCALI مقياسا لشدة الزلازل يعتمد على حجم الدمار الذى يلحق بالمبانى والمنشآت ، ويقسم إلى ١٢ درجة ، ويؤخذ على ذلك المقياس دخول عوامل أخرى مؤثرة فى حجم الدمار مثل : جودة تصميم المبانى ، وطبيعة الطبقة السطحية لقشرة الأرض فى منطقة الزلزال .

وفى سنة (١٩٣٥) وضع تشارلز ريختر RICHTAR مقياسا يعتمد على قوة الزلزال . ويؤخذ على هذا المقياس أنه لا يفرق بين الزلازل المتقاربة فى القوة ؛ حيث إن زيادة وحدة واحدة على هذا المقياس يقابلها زيادة فى الطاقة الزلزالية المحررة قدرها حوالى ٣٠ (ثلاثين ضعفا) وزيادة وحدتين يقابلها زيادة فى الطاقة المحررة قدرها (تسعمائة ضعف)(١٠) .

ثم كان مقياس موسكو/براغ سنة ٦٢ تعديلا لمقياس ريختر ثم جاء تعديل العالمَيْن « وودوم » و « نيومين » فأوجدا مقياس « ميركالى المعدل » المعروف برمز (M.M.) ، ثم تلا ذلك تعديل بواسطة العلماء « ميدفديف » و « شيوتهوير » و « كارنيك » فجاءوا بمقياس جديد معدل هو (M.S.K.64)(*) .

وتعرض ذلك المقياس لتحسينات متتالية حتى سنة ١٩٧٣ وهذا الأخير يستعمل فى دول الاتحاد السوفيتى السابق .

توقع الزلازل :

إن العلم البشرى لم يستطع حتى الآن أن يقول شيئا محددا بشأن التحديد الدقيق لزمان ومكان حدوث الزلازل سلفا ؛ إذ أن كل الدراسات التى يجريها الباحثون على العمليات والتراكيب الداخلية لا تزال تعتمد على الأرصاد غير المباشرة . وعندما نقارن جهد الإنسان المبذول لسبر أعماق الأرض عن طريق الحفر مقارنة بما أنجزه فى مجال ارتياد الفضاء ، نجد أنه لم يتمكن إلا من حفر عدة كيلو مترات حتى الآن(١١) .

ويذهب الدكتور شاهر جمال آغا(١٢) إلى أن علماء الزلازل فى الصين قد تمكنوا من التنبؤ بوقوع العديد من الزلازل مما قلل كثيرا من آثارها التدميرية .

وخير مثال على ذلك هو ما جرى فى نهاية عام ١٩٧٣ عندما تجمعت معلومات تشير إلى وجود

* تتميز كتابات أ . د . أحمد فؤاد باشا بتطويع الكثير من المصطلحات الأجنبية إلى مصطلحات عربية مميزة لفظا ومعنى ، ومنها هذا المصطلح .

(١٠) أ . د أحمد فؤاد باشا : فصل المقال فى ظاهرة الزلزال ص ٦ .

* الأحرف تشير إلى أسماء العلماء والرقم إلى السنة .

(١١) أ . د أحمد فؤاد باشا : المرجع السابق ص ٦٢ ، ٦٣ .

(١٢) د . شاهر جمال آغا : الزلازل حقيقتها وآثارها ص ١٢٥ وما بعدها ، عالم المعرفة .

مظاهر طبيعية غير مطمئنة . إذ لوحظ تبدل مستوى المياه الباطنية فى الآبار وارتفاع وانخفاض فى خط الشاطىء فى شبه جزيرة « لياودون » وظهرت تذبذبات واضحة فى الساحة المغناطيسية ، وهكذا تم فى مطلع عام ١٩٧٤ تحديد المناطق المرشحة لوقوع الهزات الأرضية ، وقد شملت هذه المناطق مدنا مهمة مثل : « انيكوى » و « هايجين » وفى ١ ، ٢ فبراير ١٩٧٤ لاحظ مراقبو أجهزة الزلازل ـ مرة ثانية ـ وجود الكثير من الهزات الأرضية الخفيفة ، وقرروا أنها طلائع لهزات أرضية قوية مدمرة قريبة الحدوث . وبالفعل فى منتصف اليوم الرابع من فبراير لوحظ اندفاع أعداد كبيرة من الحيات من باطن الأرض الى الحقول الباردة المغطاة بالثلوج ونتيجة لذلك أعلن الاستعداد العام .. وفى الساعة السابعة و ٣٦ دقيقة مساء ، انطلق الزلزال من عقاله وكان قويا بلغ مقداره (٧,٣) وبلغت شدته فى منطقة البؤرة السطحية عشر نقاط . وهدم من أكثر الأماكن تضررا ٩٠٪ من البيوت والمنازل ، وتضررت السدود والجسور والطرق ، إلا إن الوفيات كانت محدوده نسبيا ، ولم تزد عن بضع مئات ، ولولا توقع الزلزال لبلغ القتلى الآلاف بسبب كثافة السكان العالية .

إلا أن د . شاهر جمال آغا يَكُرُّ على هذا الرأى حين يقول : إنها تجربة ناجحة لعلماء الصين ، ولكن علينا ألا نتفاءل كثيرا وألا نسبق الأمور .. ثم يذكر عددا من الإخفاقات التى منى بها العلماء وأدت إلى كوارث حقيقية .

وأخرى أعلنوا فيها توقع حدوث زلازل مدمرة ، وأطلقت صفارات الإنذار وأخليت الدور ولم تقع زلازل ذات معنى ، بل هزات ضعيفة[(١٣)] .

ويشير ا . د . أحمد فؤاد باشا إلى مثل هذه التوقعات بأنها رمية من غير رام ، وأن كثيرا ما حدثت فى الصين تحذيرات خاطئة من زلازل لم تحدث ، وأصبح الناس يقارنون بين أعباء إخلاء المساكن لمدة قد تزيد على شهر أو شهرين ، وبين الاحتمال المنتظر لوقوع زلزال قد يأتى وقد لا يأتى[(١٤)] .

ويقول د . فاروق الباز : « إن التوقعات والتنبؤ بالزلازل ما زال من الناحية العلمية بسيط جدا ولا نستطيع أن نتنبأ بوقوع الزلزال ١٠٠٪ ونحمى الناس منه ، وما زال العلم فى هذا المجال لا يسمح بذلك »[(١٥)] .

ويقول خبير الزلازل الأمريكى « والتر هايز » إنه لا يمكن حتى الآن التكهن بوقت وحجم ومكان زلزال وشيك الحدوث »[(١٦)] .

ويقول (فردريك هـ . بو) عالم الجيولوجيا الأمريكى : « من الحكمة أن تتخذ الاستعدادات لمواجهة الزلازل بدلا من أن نقول : إنها لا يمكن أن تقع لدينا »[(١٧)] .

التأثر بالزلزال فى المناطق الرخوة :

وجد فى زلزال سان فرانسيسكو المشهور الذى حدث عام (١٩٠٦) أن المبانى

(١٣) د . شاهر جمال آغا : الزلازل حقيقتها وآثارها ص ١٤٠ ـ ١٤٢ عالم المعرفة .
(١٤) ا . د أحمد فؤاد باشا : فصل المقال ص ٦٤ .
(١٥) الزلازل : دراسات علمية وشرعية ـ جماعة أنصار السنة نقلا عن جريدة الأهرام بتاريخ ١٨/١٠/١٩٩٥ .
(١٦) ، (١٧) المرجع السابق ص ٢٦ نقلا عن البراكين والزلازل ص ١٢٤ .

والمؤسسات القريبة من خليج (سان فرانسيسكو) - حيث الأرض الملاصقة للبحر رخوة - كانت أكثر الجهات خسائر في الأرواح والممتلكات، وقد قدرت الخسائر بملايين الدولارات في ذلك الوقت وكذلك الحال في (زلزال مسينا) فقد تبين أن المناطق القريبة من الساحل قد تأثرت أكثر من المناطق المرتفعة ذات التربة الصلبة البعيدة عن الساحل.

وتوضيحا لذلك نسوق هذه التجربة المعملية: فعندما نحضر كوبا مملوءا بالشمع السائل، ونتركه حتى يتجمد، ونملأ كوبا آخر بسائل (هلامي) مثل: «الجيلي» ثم نضع ورقة على سطح كل من الشمع و «الجيلي» ثم مكعبات متساوية صغيرة الحجم نضعها فوق بعضها البعض على هيئة رأسية، ثم نحدث ضربة واحدة على حافة الكوب من أعلى في محاذاة الورقة، نجد أن المكعبات تتساقط بسرعة، وبسهولة في الكوب المملوء بسائل «الجيلي» في حين أنها تهتز فقط في الكوب المملوء بالشمع المتجمد، مما يدل بوضوح على أن الأرض الصلبة تتحمل الموجات الزلزالية، بعكس الأرض اللينة التي تهتز وتفقد توازنها فتسبب خسائر وأضرارا أكبر[18].

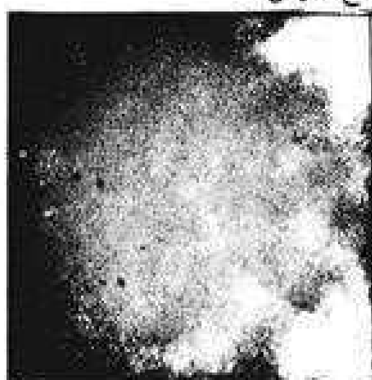
البقع الشمسية:

البقع الشمسية عبارة عن نقط صغيرة أو كبيرة قاتمة تبدو على سطح الشمس اللامع، من حين لآخر وقد لاحظ العلماء هذه الظاهرة، وعكفوا على دراستها لما لها من علاقة بالظواهر الطبيعية على سطح الأرض، وبعض هذه البقع يستمر أسابيع وبعضها لا يتعدى يوما واحدا.

وقد لوحظ عام ١٨٥٨ م أن هناك بقعة شمسية يبلغ قطرها ١٤٣ ألف ميل، أي أنها أكبر من قطر الأرض بـ ١٨٠ مرة[19].

ويقول الأستاذ محمد على المغربي: «لقد لاحظت عدة حوادث ومظاهر حدثت بالفعل بعد رؤيتي للبقع الشمسية بثلاثة أيام أو أكثر، وهنا يصح أن أذكر بعض ما لاحظته في خلال المدة بين أعوام ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩ حتى عام ١٩٥٠. فعندما حدثت بقع شمسية يوم ٢٥ سبتمبر ٤٦ - حسب ما جاء في بيان إذاعة مرصد جبل ولسون المشهور بأمريكا - انقطعت المواصلات اللاسلكية والتلغرافية في الولايات المتحدة، وثار يوم ١ أكتوبر سنة ٤٦ بركان «سترمبولي».. ثم جاء يوم ٢ أكتوبر فحدث زلزال قرب جزيرة كريت وعلى بعد نحو ٦٤٠ كم شمالي غرب مرصد حلوان».

ثم يوالي الأستاذ محمد المغربي سرد عدد من هذه الملاحظات في كثير من البلدان ليثبت تلك العلاقة بين البقع الشمسية والظواهر الطبيعية على سطح الأرض.



البقع الشمسية كما حدثت في ٢٠ يوليو ١٩٤٦

(١٨) محمد على المغربي: الهزات الزلزالية ص ٣٢ دار المعارف سلسلة اقرأ ١٩١.

(١٩) محمد على المغربي: الهزات الأرضية ص ١٠٠، ص ١٠١.

فوائد الزلازل :

فى وسط هذا الكم الهائل من الفزع الذى تحدثه الزلازل ، يخرج علينا علماء الطبيعة مبشرين بأنه « يجب ألا تنسينا أهوال الزلازل الفوائد العظمى التى جنتها البشرية من دراسة خواص الموجات الزلزالية والإفادة منها فى سبر أغوار الأرض ، ومعرفة تركيبها ونطاقاتها الداخلية والكشف عن خيراتها وثرواتها ؛ بل إن الإنسان لجأ إلى إجراء التفجيرات النووية فى باطن الأرض ؛ لتكون بمثابة زلازل صناعية معلومة الزمان والمكان يستدل بموجاتها على طبيعة الصخور والطبقات المكونة لمادة الكرة الأرضية . ويكفى أن نشير إلى أن أجهزة رصد الموجات الزلزالية « السيزموجراف » أصبحت من أهم وسائل الكشف عن اختيار أنسب الأماكن للتنقيب عن البترول فى جوف الأرض »[٢٠] .

ما يجب عمله تجاه الزلازل :

تنشأ معظم الخسائر من سقوط الأجسام الثقيلة والصلبة ، ونشوب الحرائق ، وتصرفات الناس الطائشة . ولذا فيمكن تحديد الإجراءات الوقائية على النحو التالى :

أولا : قبل الزلزال :

١ ــ فى العمل : يجب أن تتوفر فى كل مؤسسة خطة طوارىء لمواجهة الزلازل ، ومايجب على الأفراد اتباعه ..

٢ ــ فى البيت : يجب مراقبة أوضاع الأجهزة الكهربائية ووسائط نقل الطاقة والغاز ، ويجب أن يعرف كل أفراد المسكن أين موقع مفاتيح الغاز والكهرباء لإمكان إغلاقها عند الحاجة .

ثانيا : أثناء الزلزال :

يجب التحلى برباطة الجأش ، ويجب التجمع فى صالونات المنزل ، أو قرب الركائز الأسمنتية القوية ويجب الابتعاد عن الأبواب والنوافذ ، وعند الخروج من المنزل يجب الهبوط على الدرج وليس بواسطة المصاعــد ، ويحذر ــ بل ويحرم ــ استعمال الثقاب أو الشموع أثناء الزلزال ؛ لأنها قد تسبب حرائق بسبب الغاز المتسرب ، وفى الشوارع يجب اللجوء إلى الأماكن المكشوفة .

٣ ــ بعد الزلزال :

يجب عدم إعطاء الناس أى معلومات مصدرها التخيل أو التنبؤ ، بل يجب مراعاة النشرات والتعليمات الرسمية .

وبعد ، فهذا تصور العلماء حول الزلازل ، وأسبابها وما يجب اتخاذه من إجراءات لتوقيها ، برغم أن أكثر تصور العلماء فى هذا الأمر ــ كما رأينا ــ محض توقع وتخيل لم يصل إلى مرحلة اليقين العلمى .

ويبقى يقين المؤمن : يقينه بما جاء فى قرآنه ، يقينه أن حال المؤمن كله خير ، حتى الشوكة يشاكها له بها صدقة ، فما بالنا بزلزلة ؟! إن مرت عليه وخرج سالما حمد الله فنال ثواب الحمد ، وإن مات تحت الهدم مات شهيدا فلقى الله ــ سبحانه وتعالى ــ على خير ما يلقى العبد ربه ــ جل وعلا .

---

(٢٠) أ.د . أحمد فؤاد باشا : فصل المقال فى ظاهرة الزلزال .

من أمراض الطفولة

أنيميا البحر المتوسط

للدكتورة/ جيهان أحمد مصطفى (*)

تحدثنا في مقالينا السابقين، عن ماهية وأعراض ومضاعفات مرض أنيميا البحر المتوسط، واليوم نستأنف حديثنا عن هذا المرض، بإلقاء الضوء على وسائل تشخيص، وطرق علاج هذا المرض.

تتلخص طرق تشخيصه في الآتي:

(١) القيام بعمل صورة دم كاملة: Complete Blood Picture

ويتجلى فيها الآتي:

- قلة عدد كرات الدم الحمراء، ونسبة الهيموجلوبين وتكون خلايا الدم الحمراء صغيرة الحجم، ومحتوية على نسبة قليلة من الهيموجلوبين: Hypochromic Microcytic وتكون الخلايا متباينة الحجم: Anisocytosis.
- في حالة زيادة نشاط الطحال تقل نسبة كرات الدم البيضاء، والصفائح الدموية، أما في حالات إصابة الطفل بأحد الالتهابات الحادة، قد تزداد نسبة كرات الدم البيضاء.
- في حالة إصابة الطفل المريض بأحد نوبات تكسُّر الدم قد تزداد نسبة الخلايا الشبكية: Reticulocutes، عن معدلها الطبيعي.

(٢) زيادة نسبة الحديد في مصل الطفل، وأيضاً قد تزداد نسبة البيليروبين، غير المباشر، في مصل الطفل في حالة زيادة تحلل كرات الدم الحمراء.

(٣) القيام بعمل التحليل الكهربائي للهيموجلوبين: Haemoglobin Electropheresis

للتعرف على نوع الهيموجلوبين، وهو أهم تحليل يُجرى لتشخيص هذا المرض، حيث تزداد نسبة الهيموجلوبين «ف»، عن معدله الطبيعي، (حيث إنه من المفترض ألا يزيد عن ٢٪ من الهيموجلوبين الكلي للطفل، بعد عامه الثاني، (كما سبق أن ذكرنا) وتقل نسبة الهيموجلوبين «أ»، (حيث إنه من المفترض أن

(*) ماجستير في طب الأطفال.

تتـراوح نسبتـــه بين ٩٥٪ إلى ٩٧٪ من الهيموجلوبين الكلي للطفل بعد عامه الثاني) .

(٤) القيام بعمل أشعة عادية على رأس الطفل وأطرافه ، حيث تظهر بها تغيرات ، نظراً لزيادة تحلل كرات الدم الحمراء ، وبالتالي تمدُّد النخاع العظمى ، نظراً لزيادة نشاطه ، للقيام بتعويض كرات الدم الحمراء المتكسرة ، وقد يتجلى بهذه الأشعة وجود كسور عظمية .

(٥) القيام بعمل تحاليل وأشعة لتشخيص مضاعفات المرض مثل :

• القيام بعمل أشعة بالموجات فوق الصوتية على بطن الطفل **Abdominal Sonar** في حالة إصابة الطفل بالحصوات المرارية **Gall Stones** ، نظراً لزيادة تحلل كرات الدم الحمراء .

• القيام بعمل وظائف الكلى (نسبة البولينا والكرياتينين) في مصل الطفل وكذا وظائف الكبد (نسبة البيليروبين وإنزيمات الكبد) في حالة إصابتهم بالمضاعفات .

• القيام بعمل أشعة على صدر الطفل **Chest X-ray** في حالة إصابة الطفـل بالالتهاب الرئـوى **Bronchopneumonia** وأيضاً القيام بعمل رسم للقلب **Electro Cardiogram(E.C.G)** في حالة إصابة القلب بالالتهاب أو حدوث التهاب في غشاء القلب **Pericarditis** أو حدوث هبوط في القلب .

● طرق علاج مرض أنيميـــا البحـــر المتوسط

تتلخص أهم طرق العلاج في الآتي :

١ ـ القيام بنقل دم للطفل المصاب (كرات دم حمراء) **Blood Transfusion** بصورة دورية ويتم هذا بإحدى طرق ثلاثة وتشمل :

أ ـ إعطاء دم للطفل المريض إذا قلت نسبة الهيموجلوبين عن (١٠ جم ٪) حتى لا تقل عن هذه النسبة **Hyper Transfusion** وهى (الطريقة الإنجليزية) **English School** .

ب ـ إعطاء دم للطفل المريض إذا قلت نسبة الهيموجلوبين عن (١٢ جم ٪) حتى لا تتدنى النسبة عن ذلك **Super Transfusion** وهذه هى (الطريقة الأمريكية) **American School** .

وهاتان الطريقتان تتميزان بالآتى :

• استطاعة الطفل القيام بنشاطاته الطبيعية

• قلة تمُّدد النخاع العظمى للطفل وبالتالى قلة حدوث التغيرات العظمية للطفل ، وإصابته بالكسور العظمية .

• عدم حدوث تضخم شديد للطحال ، وبالتالى قلة معدل تكسر خلايا الدم .

ولكنَّ هاتين الطريقتين المتبعتين لنقل الدم لا تخلوان من العيوب ، حيث إن زيادة الدم المنقولة ، تؤدى إلى زيادة نسبة الحديد فى مصل الطفل ، وبالتالى ترسُّبه فى أجهزة الجسم المختلفة وحدوث المضاعفات .

ج ـ إعطـاء دم للطفـل إذا كانت نسبـة الهيموجلوبين أقل من (٦ جم٪) ، بحيث لا تقل نسبته عن هذا المعدل ، وهذه الطريقة تقلل من نسبة الحديد ، فى مصل الطفل ، وبالتالى من معدل ترسُّبه فى أجهزة جسم الطفل ، ولكن الطفل يكون محدود النشاط ، متأخر النمو ، كما يزداد تمُّدد النخاع العظمى ، وبالتالى يزداد حدوث التغيرات العظمية ، وأيضاً يزداد تضخم الطحال ، وزيادة نشاطه ، وبالتالى تكسر خلايا الدم .

(٢) منع ترسب الحديد فى أجهزة جسم الطفل المختلفة **Haemosiderosis** .

ويتم هذا عن طريق الآتى :

أ ـ قلة تناول الطعام الغنى بالحديد مثل (الموز ، الإسفاناخ ، التفاح ، اللحم الأحمر) ، مع تناول المواد التى تعوق امتصاص الحديد مثل : الحبوب المختلفة **Cereals** والشاى .

ب ـ إعطاء المواد التى تتحد مع الحديد ، وبالتالى تمنع ترسُّبه فى أجهزة الجسم **Iron Chelators** وهى تشمل :

• المواد التى تعطى عن طريق الفم **Oral Chelators** :

ويجب إعطاء الطفل الكالسيوم فى شكل دوائى ؛ لأنه يقلل من نسبته فى مصل الطفل .

• المواد التى تعطى عن طريق الحقن تحت الجلد :

مثل عقار الديسفيروكسامين (الديسفرال) **Desferoxamine (Desferal)** وهو يعطى تحت الجلد على مدى ٨ ـ ١٢ ساعة لمدة (٥ إلى ٦ أيام متتالية إسبوعياً بواسطة مضخة صغيرة خاصة أثناء نوم الطفل ، وأهم الأعراض الجانبية له هو حدوث خلل فى مقدرة الطفل السمعية **Deafness** وحدوث ترسيات فى عين الطفل **Occular Deposits** .

(٣) استئصال طحال الطفل جراحياً :

ويتم هذا فى حالة زيادة نشاط الطحال ويتجلى هذا من الآتى :

● تضخم الطحال بشدة مسبباً ألماً بالبطن وصعوبة فى التنفس .

● حدوث تكسر شديد فى كرات الدم الحمراء يحتاج معه المريض إلى نقل الدم أكثر من (٢٤٠ ملل لتر من كرات الدم الحمراء لكل كيلو جرام من وزنه سنوياً) .

ويستحسن أن يتم هذا عند العام الخامس من عمر الطفل ؛ لمنع حدوث الالتهابات المتكررة الشديدة التى تنجم عن استئصال الطحال (كما سبق وذكرنا) وليس بعد هذا الوقت لمنع حدوث الحصوات المرارية المتكررة الناجمة عن زيادة تكسر خلايا الدم الحمراء وكذلك لمنع زيادة نسبة الحديد فى مصل الطفل وبالتالى ترسبه فى أجهزة الجسم وحدوث المضاعفات .

• مضاعفات استئصال الطحال :

● إصابة الطفل بالالتهابات المتكررة **Recurrent Infections** خصوصاً بالميكروبات ذات المحفظة **Capsule** نظراً لقلة مادة الأوبسونين **Opsonin** التى يفرزها الطحال وتساعد فى عملية التهام تلك البكتيريا ، ويتم إعطاء الطفل المصل المناسب لوقايته من الإصابة بالبكتريا المكورة الرئوية « **Pneumovax** » والمصل الواقى من الإصابة بالالتهاب الكبدى «ب» **Hepatitis Bvaccine** .

● زيادة نسبة الصفائح الدموية : **Thrombocytosis** ويؤدى هذا إلى حدوث انسداد فى الأوعية الدموية **Thrombosis** وبالتالى حدوث جلطات متكررة .

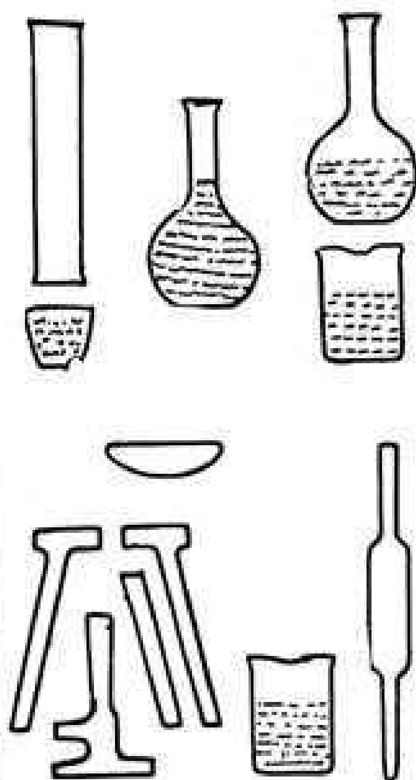
(٤) إعطاء الطفل حامض الفوليك **Folic Acid** فى شكل دوائى بالقدر اللازم لعملية تصنيع كرات الدم الحمراء .

ومن الجدير بالذكر أن التطور العلمى المذهل واهتمام العلماء بهذا المرض والأبحاث المطردة أسفرت عن طرق علاجية جديدة لهذا المرض ومنها استخدام الهندسة الوراثية الجينية **Genetic Engineering** لتصحيح الخلل الجينى المؤدى للمرض ، والقيام بعملية زرع للنخاع العظمى **Bone Marrow Transplantation** للمرضى ، ولكن هذه العملية لها مخاطرها الكثيرة وتستخدم للمرضى الذين لديهم أشقاء أصحاء وبينهم ملائمة نسيجية

ويخلق ما لا تعلمون ...

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د / نجوى السيد أحمد (*)



جهاز آلي لا تلحظه عين (الميكرورُوبُت)

أعلن مجموعة من الباحثين في الولايات المتحدة الأمريكية النتائج الباهرة التي حصلوا عليها ، باستخدام أساليب التقنية المتقدمة في إنتاج جهاز آلي ، لا تلحظه عين « الميكروروبت » ، وهو أدق من خيوط العنكبوت ، وبالرغم من هذه الدقة إلا أنه يضم قطعاً كثيرة من تروس وتوربينات ودوائر الكترونية وحاسبات الكترونية ، وهي مكونات تتطلب « ميكروسكوباً » الكترونياً لتحديد مواقعها ، ويمكن أن تقود هذه الآلات الدقيقة إلى تصميم وصناعة سفن فضائية ، لا يزيد طولها على ربع متر ، تؤدي مهامها العلمية والبحثية بدرجة أفضل وبدقة عالية ، كما يمكن « الميكروروبت » العلماء من تحقيق إنجازات باهرة في أساليب وأدوات الجراحة وعلاج الأمراض .

* باحثة بالمركز القومي للبحوث ـ الدقي

أصغر آلة تصوير لكشف اللصوص

طورت شركة انجليزية آلة تصوير صغيرة فى حجم ظفر الإبهام ، يمكن أن تتصل بأجهزة الإنذار فى البيوت والمحال والسيارات ، وعندما ينطلق جهاز الإنذار تبدأ آلة التصوير فى التقاط صور متعاقبة باستخدام « فلاش » خاص ، يعمل بالأشعة تحت الحمراء ، وتنتقل هذه الصور عبر خط الهاتف إلى غرفة التحكم المركزى ، الأمر الذى يسمح لرجال الحراسة بالتأكد خلال ثوان من مدى صدق جهاز الإنذار ، وآلة التصوير الجديدة زهيدة التكلفة ، مقارنة بأنظمة المراقبة التى تستخدم « كاميرات الفيديو » المكلفة ، وبالرغم من صغر حجمها إلا أن صورها تظهر واضحة بدرجة كبيرة .

آلة حديثة لتنقية مياه البحر

انتجت إحدى الشركات الفرنسية آلة حديثة لمعالجة مياه البحر وتنقيتها وفصل قطيرات زيت البترول منها ، وكذلك تقليل نسبة الكربون بها إلى الحد المسموح به . وتحدث الآلة عند تشغيلها إعصاراً حلزونياً يسمى بالدوامات ، يؤدى إلى الإسراع من تفريق أجسام مختلفة الكثافة والوزن النسبى ، كلما اقتربنا من محور الإعصار ، حيث يمكن الحصول على قوى تفريق كبيرة ، تفوق آلة الطرد المركزى التقليدية ، كذلك تصلح هذه الآلة لفصل سائل من سائل ، أو سائل من صلب ، كما فى مجال الصناعات البترولية والميكانيكية والكيميائية وغيرها من الصناعات الأخرى .

جهاز جديد لتحويل الهاتف العادى إلى لاسلكى

الجهاز الجديد عبارة عن محول ومستقبل ، حيث يقوم المحول بتحويل نبضات الهاتف العادى إلى موجات (FM) ، يلتقطها المستقبل الموصول بالهاتف العادى ، ويمكن بواسطته أن ترسل وتتلقى المكالمات من أى ركن فى أنحاء بيتك ، دون الحاجة إلى مد أسلاك التليفون إلى الغرف ، أو تعدد أجهزة الهاتف فى المنزل ، وبذلك تعتبر أداة لحرية الحركة عند الاتصال ، وتوفير الكثير من النفقات .

جهاز الكبد الصناعية لإنقاذ مرضى الكبد

يتم الآن إجراء التجارب فى أحد المستشفيات فى انجلترا ، على استخدام جهاز الكبد الصناعية لانقاذ مرضى الكبد إلى أن يتم إجراء جراحة نقل الكبد لهم ، ويتكون الجهاز الجديد من مضخة صناعية ، تقوم بسحب دماء المرضى عبر أنبوب إلى عمود به خلايا كبدية بشرية حية ، تعمل كمرشح حيوى لتنقية دم المريض ، وتنظيف الدم من الكيماويات السامة ، ثم تقوم المضخة بعد ذلك بإعادة الدم المنقى إلى المريض ، ويعتبر هذا الجهاز فى مرحلة التطوير فى أجهزة الطب المستقبلى .

سفن الهواء الحديثة (المناطيد)

تستخدم الآن فى الولايات المتحدة واليابان وأوربا سفن الهواء الحديثة (المناطيد) ، التى تعمل بغاز الهيليوم الخامل داخل كبسولة من الألياف الصناعية الخفيفة ، ويتم توجيهها باستخدام معدات ملاحة متقدمة ، تتحكم فيها أجهزة « الكمبيوتر » ، وتنطلق بمحركات مروحية ، ولها القدرة على الصمود فى مكانها لساعات طويلة دون استهلاك طاقة ، ودون أى ضجيج على عكس طائرات « الهليكوبتر » ، وتستخدم سفن الهواء الحديثة فى مراقبة الاحتفالات الكبرى ، وفى الجولات السياحية .

خطورة التعرض للمجالات المغناطيسية

أجرى علماء مركز الصحة الهولندية دراسة على العاملين فى الحقول الكهربائية المغناطيسية للتوصل إلى تأثير هذه القوى عليهم ، وقد أجريت الدراسة على ٢٢٣ ألف عامل ، وأكدت الدراسة أن الذين يتعرضون لجرعات زائدة من الإشعاع المغناطيسى قد يصابون بسرطان الدم غير الليمفاوى ، والإصابة بورم الخلايا النجمية .

علبة جراحة لأمراض الفم لعملية واحدة

انتجت شركة طبية بشنغهاى علبة للأدوات الطبية لجراحة أمراض الفم ، وهى تستخدم لمرة واحدة فقط ، وتضم جهازاً للتكبير وكلاباً وإبرة استكشاف وطبقاً وفوطة وكوباً . وأثبتت التجارب على هذه العلبة المعقمة بصورة قوية جداً أنها تمنع العدوى ، كما توفر العمالة والتكاليف المادية التى يحتاجها تعقيم أدوات الجراحة بالطريقة العادية ، وبالتالى فهى تساعد على زيادة فاعلية العمل وسرعة إنجازه .

أحدث لوحة مفاتيح للحاسب الآلى

طورت شركة يابانية للالكترونيات لوحة مفاتيح للحاسب الآلى إلى طراز جديد خفيف الوزن صغير الحجم أبعاده ٣سم × ٨,٥سم × ١٤سم،وتتيح طباعة الحروف بيد واحدة بسهولة ، وتتميز لوحة المفاتيح المطورة بصغر حجمها ، الذى لا يشغل حيزاً كبيراً على المكتب ، وتعمل باللمس الخفيف بدون إرهاق للأصابع عند إدخال المعلومات للحاسب الآلى ، ويسهل استخدامه لمن ليس لديهم خبرة فى استعمال الحاسب الآلى .

جراحات مجسمة على الشاشة

فى أحد المستشفيات بالولايات المتحدة الأمريكية يتم إجراء الجراحات الدقيقة باستخدام نظارات ثلاثية الأبعاد ، يتم التحكم فيها الكترونياً بحيث يبدو النسيج الحى ومشرط الجراح مجسمين على الشاشة ، وتتنافس حالياً مجموعة من الشركات على إنتاج أنظمة الجراحة الثلاثية الأبعاد ، بعد موافقة وزارة الصحة الأمريكية ، وتستخدم هذه الأنظمة عدستين جنباً إلى جنب ، لإعطاء التأثير المجسم ، وبعضها يستخدم عدسة واحدة للحصول على العمق الوهمى .

الشواهد النحوية بين الدلالة اللغوية والمتعة الأدبية

(٤)

بقلم عبد الحفيظ فرغلي على القرني

من مأساة كربلاء :

إيضاحاً لمزيد من الشواهد النحوية ودلالاتها الأدبية ، أعرض نموذجاً آخر من ذلك الأدب الرفيع ، الذى قدمه العلماء الأدباء فى تعليقاتهم وشروحهم لهذه الشواهد ، وهو حول شاهد من شواهد النحو فى موضوع « الاستغاثة » ، ذكره الإمام الرضى فى « الكافية » ، وعلّق عليه البغدادى فى « خزانة الأدب » .

هذا الشاهد هو قول الشاعر : « عبد الله ابن الحر الجُعْفى ، والجُعْفى ـ بضم الجيم وسكون العين ـ منسوب إلى جُعْفى بن سعد العشيرة بن مذحج ، وهو : مالك بن أدد بن زيد بن يشجب من بنى كهلان ، لقبيلة منها جماعة كبيرة من الصحابة والشعراء والعلماء وغيرهم ، يقول الشاعر[١] :

مع ابن المصطفى نفسى فداه
فيا لله من ألم الفراق

والشاهد هو عجز هذا البيت ، حيث أجاز النحويون أن يجر المستغاث بـ(من) بدلا من جره بـ(اللام) .

ومفهوم الاستغاثة عند علماء النحو أنها : نوع من النداء ، ينادي فيه من يعين على دفع شدة ، وأداة النداء (يا) لا غير يعقبها جر المستغاث به بلام مفتوحة ، ويجر المستغاث له بلام مكسورة كأن تقول : ياللقوىّ للضعيف ، ويا للحاكم

(١) عجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب للإمام الحافظ أبى بكر محمد بن أبى عثمان الحازمى الهمذانى ص٤١ .

العادل للمظلوم بفتح اللام الأولى وكسر الثانية فى المثالين .

وواضح أن الشاعر يستغيث فى بيته المذكور بالله ـ جل جلاله ـ على ألم فراق الحسين ـ رضى الله عنه ـ وذلك بعد أن اغتالته أيادى البطش والقهر والظلم فى معركة كربلاء الشهيرة ، فى العاشر من المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة بعد أن أبلى بلاء حسنا ، وضرب المثل الأعلى فى الشجاعة والتضحية والفداء .

الشاعر وحياته السياسية

وصاحب هذا البيت « عبيد الله بن الحر الجعفى » شاعر مغامــر كانت له صولات وجولات ، ونترك للبغدادى فى « خزانة الأدب » يحدثنـا عن بعض ذلك نقـلا عن كتـاب « اللصوص » الذى ألفه أبو سعيد حسن بن حسين السكرى المتوفى سنة ٢٧٥ هـ .

قال السكرى فى كتابه المذكور بسنده الى أبى مخنف لوط ابن يحيى بن سعيد الأزدى : كان من حديث عبيد الله بن الحر أنه كان شهد القادسية مع خاليه : زهير ومرشد ابنى قيس بن مشجعة ، وكان شجاعا ، وكان لا يعطى للأمراء طاعة ، وحين ثار النزاع بين معاوية وعلى بن أبى طالب ــ كرم الله وجهه ــ صار إلى معاوية ، وكان معاوية يكرمه .

وكان عبيد الله صاحب إنفاق ، يستقبل فى داره إخوانه وأصدقاءه ، ويجتمع لديه كثير منهم ، وارتاب معاوية فى أمره فأرسل إليه ، فقال : يا ابن الحر ، ما هذه الجماعة التى بلغنى أنها ببابك ؟

فقال له ابن الحر : هؤلاء بطانتى أقيهم وأتقى بهم إن نابنى جور أمير .

فقال معاوية : لعلك يا ابن الحر قد تطلعت نفسك نحو بلادك ، ونحو على بن أبى طالب ؟؟

فرد عليه ابن الحر قائلا : إن زعمت أن نفسى تطلعت إلى بلادى وإلى علىٍّ فإنى لجدير بذلك ، وإنه لقبيح بى الإقامة معك وتركى بلادى ، فأما ما ذكرت من على فإنك تعلم أنك على الباطل .

فقال عمرو بن العاص ــ وكان حاضرا ــ : كذبت يا ابن الحر وأثمت .

فقال عبيد الله بن الحر : بل أنت أكذب منى .

ثم خرج عبيد الله بن الحر مغاضبا ، وارتحل فى طريقه إلى الكوفة فى خمسين فارسا ، وسار يومه ذلك حتى إذا أمسى بلغ مسالح معاوية ، فمُنِع من السير ، فشد عليهم وقتل منهم نفرا ، وهرب الباقون ، وأخذ دوابهم وما احتاج إليه ، ومضى لا يمر بقرية من قرى الشام إلا أغار عليها حتى قدم الكوفة .

وقد أشار ابن جرير الطبرى فى (تاريخه) وابن كثير فى (البداية والنهاية) إلى طرف من سيرة ابن الحر وصعلكته وفتوته ، فقالا : إنه كان رجلا شجاعا تتقلب به الأحوال والأيام والآراء ، حتى صار من أمره أنه لايطيع لأحد من بنى أمية ولا لآل الزبير ــ اللذين كانا يتنازعان الأمر بعد مصرع الحسين ـ رضى الله عنه ـ ، وكان يمر على عامل الكورة من العراق وغيره ، فيأخذ منه جميع ما فى بيت المال قهرا ، ويكتب له براءة ، فينفقه على أصحابه ، وكان الخلفاء والأمراء يبعثون إليه الجيوش فيطردها ويكسرها ، قلّت أو كثرت ..

هو وعلى بن أبى طالب :

وحين قدم ابن الحر الكوفة بعد مغاضبته لمعاوية ـ كما ذكرنا ـ بحث عن زوجة كانت له فيها ،

فعلم أن أهلها قد أخذوها فزوجوها من رجل يقال له عكرمة ، وأنها ولدت منه ولدا اسمه الحارث .

فقدم ابن الحر إلى علىّ ـ كرم الله وجهه ـ فخاصم أهل زوجته عنده .

فقال له علي : يا ابن الحر . أنت الممالىء علينا عدونا؟

فقال ابن الحر : أما إنّ ذلك لو كان لكان أثرى معه بيّنا ، وما كان ذلك مما يمنع من عدلك .

وتحرّى علي ـ رضي الله عنه ـ الأمر ، فوجد الحق معه ، وأن نكاحها الثاني باطل ، فقضى له بها ، فأقام عبيد الله معها في الكوفة منقبضا عن كل أمر في يدي علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ حتى قتل علي ، وحتى هلك معاوية ، وولى يزيد مكان أبيه ، وكان عبيد الله بن زياد قد ولي أمر الكوفة ، ثم كان من أمر الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ ما كان .

ابن الحر والحسين بن علي :

قال أبو مخنف ـ فيما ينقله البغدادي في « خزانة الأدب » : لما قتل عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، وتحدث أهل الكوفة أن الحسين بن علي يريد الكوفة خرج عبيد الله بن الحر منها متحرجا من دم الحسين ومن معه من أهل بيته .

وكان الحسين ـ رضي الله عنه ـ قد قرب من الكوفة ، ونزل في الطريق في قصر يقال له قصر بني مقاتل . ونظر الحسين ذات صباح فرأى فسطاطاً مضروبا ، فقال : لمن هذا الفسطاط ؟

فقيل : هو لعبيد الله بن الحر .

وكان مع الحسين يومئذ الحجاج بن مسروق ، ويزيد بن معقل الجعفيان ـ وهما يمتان بنسب إلى عبيد الله بن الحر ـ فبعث الحسين ـ رضي الله عنه ـ إليه الحجاج بن مسروق .

فلما أتاه الحجاج قال له : يا ابن الحر ، أجب الحسين بن علي .

فقال له ابن الحر : أبلغ الحسين أنه إنما دعاني إلى الخروج من الكوفة ما بلغني أنك تريدها ، وقد خرجت فرارا من دمك ودماء أهل بيتك ، ولئلا أعين عليك ، وقلت : إن قاتلته كان علي كبيرا وعند الله عظيما ، وإن قاتلت معه ولم أقتل بين يديه كنت قد ضيّعت قتله ـ يعني دمه ، وأنا رجل أحمى أنفا من أن أمكن عدوي فيقتلني ضيعة ، والحسين ليس له ناصر بالكوفة ، ولا شيعة يقاتل بهم .

فأبلغ الحجاج قول عبيد الله للحسين ، فعظم عليه ، فدعا بنعليه ، ثم أقبل يمشي حتى دخل على عبيد الله بن الحر فسطاطه ، فأوسع له عن صدر مجلسه ، وقام إليه حتى أجلسه .

ولنترك الحديث لعبيد الله بن الحر يقصّ علينا الحوار الذي دار بينه وبين الحسين فيما يرويه يزيد بن مرة .

قال : حدثني عبيد الله بن الحر قال : دخل على الحسين ـ رضي الله عنه ـ ، ولحيته كأنها جناح غراب ـ يعني في السواد ـ ، ولا رأيت أحدا قط أحسن ولا أملأ للعين من الحسين ، ولا رققت على أحد قط رقتي عليه حين رأيته يمشي والصبيان حوله .

فقال الحسين : ما يمنعك يا ابن الحر أن تخرج معي ؟

قال ابن الحر : فقلت لو كنت كائنا مع أحد الفريقين لكنت معك ، ثم كنت من أشد أصحابك على عدوك ، فأنا أحب أن تعفيني من الخروج معك ، ولكن هذه خيل لي معدة ، وأدلاء

من أصحابي ، وهذه فرسي المُحَلَّقة فاركبها ، فوالله ما طلبت عليها شيئا قط إلا أدركته ، ولا طلبني أحدٌ إلا فُتُّه ، فاركبها حتى تلحق بمأمنك ، وأنا لك بالعيالات حتى أؤديهم إليك ، وأموت وأصحابي عن آخرنا - يعني في سبيل المحافظة عليهم - ، وأنا كما تعلم إذا دخلت في أمر لم يضمني فيه أحد .

قال الحسين : فهذه نصيحة لنا منك يا ابن الحر ؟

قال : قلت نعم ، والله الذي لا فوقه شيء .

فقال الحسين : إني سأنصح لك كما نصحت لي ، **إن استطعت أن لاتسمع صراخنا ، ولا تشهد وقعتنا فافعل ، فوالله لا يسمع داعيتنا أحد لا ينصرنا إلا أكبه الله في نار جهنم .**

ثم خرج الحسين من عنده ، وعليه جُبَّة خز ، وكساء ، وقلنسوة موردة .

قال ابن الحر : ثم أعدت النظر إلى لحيته فقلت في نفسي : أسواد ما أرى أم خضاب ؟

فقال الحسين - وكأنه علم ما يدور في رأسه من تساؤل - : عجل على الشيب يا ابن الحر .

قال ابن الحر : فعرفت أنه خضاب .

وكانت هذه فراسة صادقة من الحسين - رضي الله عنه .

ابن الحر يعتزل الحرب :

وخرج عبيد الله بن الحر حتى أتى منزلا له على شاطىء الفرات بعيدا عن الكوفة وما حولها فنزله .

وخرج الحسين - رضي الله عنه - فأصيب بكربلاء هو ومن معه .

وأقبل ابن الحر بعد ذلك فمر بهم ، فلما وقف عليهم بكى ، ثم أقبل حتى دخل الكوفة ، فدخل على عبيد الله بن زياد بعد ثالثة .

وكان أشراف الناس يدخلون عليه ويتفقدهم ، فلما رأى ابن الحر قال له : أين كنت ؟

قال : كنت مريضا .

قال ابن زياد : مريض القلب أم مريض الجسد ؟

قال ابن الحر : أما قلبي فلم يمرض قط ، وأما جسدي فقد مَنَّ الله تعالى عليَّ بالعافية .

قال ابن زياد : قد أبطلت . ولكنك كنت مع عدونا .

قال ابن الحر : لو كنت مع عدوك لم يخف مكاني .

قال ابن زياد : أما معنا فلم تكن .

ووجد ابن الحر غفلة من عبيد الله بن زياد فانسل خارجا ، ثم خرج إلى المدائن فنزل بها ، وقال : لئن استطعت أن لا أرى له وجها - يعني ابن زياد - لأفعلن .

ورثى الحسين بن علي بعدة قصائد منها تلك القصيدة التي منها الشاهد المذكور ، وفيها يقول - وقد أحس بالندم على أنه لم ينصر الحسين في قتاله أهل الظلم والبغي :

يا لك حسرةً ما دمتُ حيا ... تردَّدُ بين حلقي والتراقي

حسينا حين يطلب بذل نصري ... على أهل العداوة والشقاق

ولو أني أواسيه بنفسي ... لنلتُ كرامة يوم التلاقي

مع ابن المصطفى نفسي فداه ... فيا لله من ألم الفراق



غــداة يقول لى بالقصر قولا :
أتتركنا وترمع بالانطلاق ؟!
فلو فلق التلهف قلب حىٍّ
لهمَّ اليوم قلبى بانفلاق
لقد فاز الأولى نصروا حسينا
وخاب الآخرون أولو النفاق

نهاية ابن الحر :

ولابن الحر مراثٍ أُخَرُ فى الحسين تشير إلى شدة جزعه على الحسين وإلى عظيم محبته لأهل البيت — رضوان الله عليهم — ومن ذلك ما يذكره ابن كثير فى كتابه « البداية والنهاية » جـ٨ ص ٢١٠ — ويشير إلى ما حدث بينه وبين عبد الله بن زياد من حوار :

يقول أميرٌ « غادرٌ » حق غادر
ألا كنت قاتلت الشهيد ابن فاطمة ؟

فيا ندمى ألا أكون نصرته
لذو حسرة ما إن تفارق لازمه
سقى الله أرواح الذين تبارزوا
على نصره سقيا من الغيث دائمه
وقفت على أجداثهم وقبورهم
فكاد الحشا ينقض والعين ساجمه
لعمرى لقد كانوا مصاليت فى الوغى
سراعا إلى الهيجا حماة حضارمه[٢]
تأسّوا على نصر ابن بنت نبيهم
بأسيافهم آساد غيل ضراغمه[٣]
وما أن رأى الراءون أصبر منهم
لدى الموت سادات وزهرا قماقمه[٤]

أتقتلهم ظلما وترجو ودادنا ؟
فدع خطة ليست لنا بملائمه
لعمرى لقد راغمتمونا بقتلهم
فكم ناقم منّا عليكم وناقمه
أهمُّ مرارا أن أسير بجحفل
إلى فئة زاغت عن الحقّ ظالمه
فكفوا وإلا زرتكم فى كتائب
أشد عليكم من زحوف الديالمه

وقد ذكر البغدادى فى خزانته هذه القصيدة مع تغيير يسير فى بعض ألفاظها .

ثم إن ابن الحر ما زال يشغب بابن زياد — كما ذكر البغدادى — كما شغب أيضا بالمختار بن عبيد الثقفى ، ومصعب بن الزبير ، وجرت بينه وبينهم محاربات ومصادمات عديدة .

واستعان به عبد الملك بن مروان فى قتال مصعب بن الزبير ، واستطاع أن ينال من جنود مصعب ، ومازال يقاتل حتى مات غريقا فى أثناء القتال بينه وبين أنصار مصعب سنة ثمان وستين من الهجرة .

وانطوت صفحة مغامر تضاربت أمامه الطرق ، واختلفت فى نظرة الأهداف ولعله استراح فى النهاية من مشقة الموازنات بين الخيارات المختلفة ، والموت راحة على أى حال ، إلا أن مراثيه فى الإمام الحسين — رضى الله عنه — تشهدُ بمرارة أسفه على أنه لم يكن موفقا فى إيثاره السلامة على نصرة المظلوم ، الذى تخلى عنه أنصاره وشيعته ، بعد أن غرروا به حين استدعوه لينصروه ثم خذلوه .

وإلى لقاء مع شاهد آخر ، إن شاء الله تعالى .

(٢) مصاليت : جمع مصلات ، وهو القوى السريع ، حضارمة : منسوبون إلى حضرموت اليمنية .

(٣) ضراغمة : جمع ضرغام ، وهو الأسد .

(٤) قماقمة : جمع قمقام ، وهو السيد الكثير الخير .

ابن دريد

ومنهجه فى جمهرة اللغة (٢)

٢٢٣ ـ ٣٢١

د / محمد رياض السيد كريم (*)

هو ـ كما يقـــول القفطـــى ـ « أشرف كتبه »[٤٣] . وقد صنفه للأمير أبى العباس إسماعيل ابن عبدالله الميكالى أيام مقامه (بفارس) ، فأملاه عليه إملاء[٤٤] .

يقول ابن دريد ـ فى مقدمة الجمهرة : « إنى لما رأيت أهل هذا العصر فى الأدب ، وتثاقلهم عن الطلب ، وعداوتهم لما يجهلون ، وتضييعهم لما يعلمون ، ورأيت أكرم مواهب الله لعبده سعة فى الفهم ، وسلطانا يملك به نفسه ، ولبًا يقمع به هواه ، ورأيت ذا السنّ من أهل دهرنا لغلبة الغباوة عليه ، وملكة الجهل لقيادِهِ ، مضيّعا لما استودعته الأيام ، مقصرا فى النظر فيما يجب عليه ، حتى كأنه ابن يومه ، ونتيج ساعته ، ورأيت الناشىء المستقبل ذا الكفاية والجدة مؤثرا للشهوات ، صادفاً عن سبل الخيرات ، حبوت العلم خزناً على معرفتى بفضل إذاعته ، وجللته سترا مع فرط بصيرتى بما فى إظهاره من حسن الأحدوثة الباقية على الدهر ، فعاشرت العقلاء كالمسترشد ، وداجيت الجهال كالغبى ، نفاسة بالعلم أن أبثه فى غير أهله ، وأضعه بحيث لا يعرف كنه قدرة ، حتى تناهت بى الحال إلى أبى العباس إسماعيل بن عبدالله بن محمد بن ميكال ـ أيده الله بتوفيقه ـ فعاشرت منه شهابا ذاكيا ، وسابقا مبرّزا ، وحكيما متناهيا ، وعالما متقنا يستنبط الحكمة بتعظيم أهلها ، ويرتبط العلم بتقريب حملته ، ويستجر الأدب بالبحث عن مظانه ، لم تطمع به خيلاء الملك ، ولم تستفزه شِرّة الشباب ، فبذلت له مصون ما أكننت ، وأبديت مستور ما أخفيت ، وسمحت بما كنت به ضنينا ، وبذلت بما كنت عليه شحيحا ، إذ رأيت لسوق العلم عنده نفاقاً ، ولأهله لديه مزية ، وإنما يدخر النفيس فى أحرز أماكنه ، ويودع الزرع أحيل البقاع للنفع ، فارتجلت الكتاب المنسوب إلى (جمهرة اللغة) ، وابتدأت فيه بذكر الحروف المعجمة التى هى أصل

(*) الكاتب : استاذ مساعد / كلية اللغة العربية بالزقازيق جامعة الأزهر .

(٤٣) إنباه الرواة : ٣/٩٧ .

(٤٤) معجم الأدباء ١٨/١٣٨ .

تفرع جميع كلام العرب ، وعليها مدار تأليفه ، وإليها مآل أبنيته ، وبها معرفة متقاربة من متباينه ، ومنقادُهُ من جامحه ، ولم أجر فى إنشاء هذا الكتاب إلى الإزراء بعلمائنا ، ولا الطعن فى أسلافنا ، وأنى يكون ذلك وإنما على مثالهم نحتذى ، وبسبيلهم نقتدى ، وعلى ما أصلوا نبتنى »[45] .

يقول الأمير أبو العباس الميكالى : « أملى علىّ أبوبكر الدريدى كتاب الجمهرة من أوله إلى آخره حفظا فى سنة سبع وتسعين ومائتين ، فما رأيته استعان عليه بالنظر فى شيء من الكتب إلا فى باب الهمزة واللفيف ، فإنه طالع له بعض الكتب .. وكفاك بها فضيلة وعجيبة أن يتمكن الرجل من علمه كل التمكن ثم لا يسلم مع ذلك من الألسن حتى قيل فيه :

ابن دريد بقرة
وفيه عيّ وشرة
ويدّعى من حمقه
وضع كتاب الجمهرة
وهو كتاب العين
إلا أنّه قد غيّره »[46]

ويذكر لنا ابن دريد سبب تسميته كتابه بالجمهرة فيقول ـ فى مقدمته : « وإنما أعرناه هذا الاسم ، لأنا أخترنا له الجمهور من كلام العرب ، وأرجأنا الوحشى المستنكر »[47] .

و « كان ابن دريد قد أملى الجمهرة فى فارس ، ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه .. فلذلك قلما تتفق النسخ ، وتراها كثيرة الزيادة والنقصان .. والنسخة التى عليها المعوّل هى الأخيرة ، وآخر ما صح من النسخ نسخة أبى الفتح عبيد الله بن أحمد النحوى جُخْجُخ[48] ، لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها عليه »[49] .

منهجه :

من معالم منهج ابن دريد فى جمهرته ما يلى :

١ ـ قام ابن دريد فى كتابه بخطوات فى سبيل ترقية المعجم العربى ، وذلك أنه غير الخطة التى أقام الخليل بن أحمد عليها تقسيم كتابه (العين) إلى أبواب ، فطرح الترتيب الصوتى الذى ارتضاه الخليل فى كتابه ، ولجأ إلى الترتيب السهل الشائع وهو الترتيب الألفبائى وإن اجتمع مع هذا الترتيب بعض الأمور التى قللت من أهميته ، مثل تناوله التقاليب كلها فى موضع واحد ، مما جعله مضطراً إلى تناول الحرف مع ما بعده فى الترتيب على الدوام ، وطرح تبويب الخليل فى كتابه ، وابتكر تبويبا جديدا يقوم على أساس الخليل نفسه وهو أبنية الكلمة[50] .

والذى دفعه إلى طرح نظام الخليل القائم على الترتيب الصوتى وفق المخارج فى كتاب : العين واستبدال الترتيب الألفبائى به مع ذكر تقليبات فى الأبجدية النصرية[51] ـ هو ما لمسه من صعوبة النظام الصوتى الذى ابتكره الخليل وطبقه فى كتابه (العين) على أبناء عصره ، وقد صرح ابن دريد بذلك فى مقدمة كتابه فقال : « ألف

(٤٥) الجمهرة : ١/٩ ، ٣٠ .

(٤٦) معجم الأدباء : ١٨/١٣٨ (٤٧) الجمهرة : ١/٤ .

(٤٨) كان ثقة . توفى سنة ٣٥٨ هـ . أنظر ترجمته فى : إنباه الرواة : (٢/١٥٦) ونزهة الألباء (ص ٣٠٥) وبغية الوعاة (٢/١٦٦) . (٤٩) معجم الأدباء : ١٨/١٣١ ، ١٣٢ .

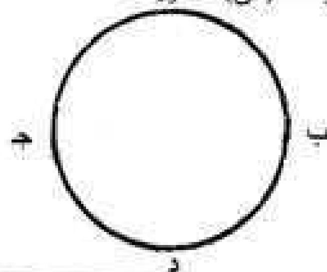
(٥٠) د . حسين نصار : المعجم العربى : ٢/٤٣٣ .

(٥١) هى التى وضعها نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر فى الربع الأخير من القرن الأول الهجرى وروعى فيها وضع الحروف المتشابهة إلى جوار بعضها والتمييز بينهما بالنقط ، وكان المتبع قبل ذلك هو أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ (معاجم اللغة العربية للدكتور محمد حسين جبل : ص ٥٩)

أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفرهودى[52] ـ رضوان الله عليه ـ كتاب (العين) فأتعب من تصدى لغايته ، وعنى من سما إلى نهايته ، فالمنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكُلُّ من بعده له تبع ، أقر بذلك أم جحد ، ولكنه يرحمه الله ـ ألف كتابه مشكلا لثقوب فهمه ، وذكاء فطنته ، وحدة أذهان أهل دهره .

وأملينا هذا الكتاب والنقص فى الناس فاش ، والعجز لهم شامل إلا خصائص كدرارى النجوم فى أطراف الأفق ، فسهلنا وعره ، ووطأنا شأزه[*] ، وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة ، إذ كانت بالقلوب أعبق ، وفى الأسماع أنفذ ، وكان علم العامة بها كعلم الخاصة ، وطالبها من هذه الجهة بعيدا من الحيرة ، مشفيا على المراد[53] .

وقد بيَّن ابن دريد فى كتابه طريقة تقليب أصول الكلمة بقوله : « إذا أردت أن تؤلف بناء ثنائيا أو ثلاثيا أو رباعيا أو خماسيا فخذ من كل جنس من أجناس الحروف المتباعدة ، ثم أدر دائرة فوقع ثلاثة أحرف حواليها ، ثم فكها من عند كل حرف يمنة ويسرة حتى تفك الأحرف الثلاثة ، فتخرج من الثلاثى ستة أبنية ثلاثية ، وتسعة أبنية ثنائية ، وهذه (هى) الصورة :



فإذا فعلت ذلك استقصيت من كلام العرب ما تكلموا به ، وما رغبوا عنه[54] .

ففى المثال الذى ذكره ابن دريد وهو المكون من الباء والجيم والدال حين تطبق عليه نظام التقليب يعطينا ستة أبنية ، إذ حين تبدأ بالباء وتثنى بالجيم وتثلث بالدال يصير لدينا بناء (ب ج د) .

وحين تبدأ بالباء ـ أيضاً ـ وتثنى بالدال وتثلث بالجيم يصير لدينا بناء (ب د ج) .

وحين تبدأ بالجيم وتثنى بالباء وتثلث بالدال يصير لدينا بناء (ج ب د) .

وحين تبدأ بالجيم ـ أيضاً ـ وتثنى بالدال وتثلث بالباء يصير لدينا بناء (د ب ج) .

وحين تبدأ بالدال ـ أيضاً ـ وتثنى بالجيم وتثلث بالباء يصير لدينا بناء (د ج ب) .

وليس بلازم أن تكون كل تقليبات أصول الكلمة مستعملة ، فقد يكون بعضها مستعملا وبعضها غير مستعمل .

وإليك ما يؤيد ذلك من كتابه ، وسنذكر لك ما قاله فى المثال الذى ذكره للثلاثى ووضع حروفه حول الدائرة ، يقول ابن دريد :

(ب ج د)

بجد بالمكان يَبْجُدُ بُجودًا ، إذا أقام به ، فهو باجد ، والبجاد كساءٌ مُخطَّط والجمع بُجُد ، ويقال : فلان ابن بَجْدة هذا البلد ، إذا كان عالما به ، والجَـدْب ضد الـخِصب ، وأرضون

---

(٥٢) توفى سنة ١٧٥ هـ ترجمته فى هدية العارفين (١/٣٥٠) .

(*) الشأز : العالى الغليظ .

(٥٣) الجمهرة : ١/٣ .

(٥٤) نفسه : ٥١٣/٣ .

جَدوب ، وأجدب المكان إجدابا فهو مُجدِبٌ وجَديبٌ ، وجدبتُ الرجلَ ، إذا عبته ، وفى الحديث « وجَدَب لنا عُمَرُ السمر بعد عتمة » أى عابه ، قال الشاعر – ذو الرمة[55] – :

فيالك من وجه جميل ومنطق
رخيم ومن خلق تعلَّل جادبُه

أى عائبه ، يريد أن العائب له يأتى بالعلل فلا يصدِّق .

والدَّجوب – بفتح الدال – الوعاء ، أو الغرر يُجعل فيها الطعام ، قال الشاعر :

هل من دجوب الحُرَّة المخيط
وذيلة تشفى من الأطيط

الوذيلة هاهنا القطعة من السنام شبهها بسبيكة الذهب ، والأطيطُ أراد أطيط أمعائه من الجوع كما يئط النِّسْعُ .

والدَّبيْج : النَّقْشُ ، أصله فارسىّ معرّب ، مأخوذ من الديباج . ودَبَجَ المطرُ الأرض ، إذا روَّضها يدبجها دبجا ، وقد جمعوا ديباجا دبابيج فى لغة من جمع ديوانا دياوين ، وأنشد الأصمعى[56] عن أبى عمر[57] وعن يونس[58] :

عَمدانى أن أزورك أمّ بكر
دياوينٌ تُشَقّقُ بالمداد

يريد تشقيق الكلام ، عَدانى : صرفنى ، وعَدِّ عن هذا ، أى اصرف هَمَّك عنه[59] .

فأنت تراه فى هذا المثال الذى سقناه لك من كتابه ذكر (ب ج د – ج د ب – د ج ب – د ب ج) ولم يذكر (ب د ج – ج ب د) وقد تابع الخليل بن أحمد فى ذلك ، فقد نص الخليل فى كتاب العين فى باب الجيم والدال والباء معهما أن (ج د ب – د ج ب – د ب ج – ب ج د) مستعملات[60] ويعنى هذا أن (ب د ج) و (ج ب د) مهملان[61] بيد أن صاحب لسان العرب ذكر (ب د ج) وقال : « فى حديث ابن الزُّبَير أنه حمل يوم الخندق على نَوْفل ابن عبدالله بالسيف حتى قطع أُبْدُوج سَرْجِهِ يعنى لِبْدَهُ . قال ابن الأثير[62] :

قال الخطّابى[63] : هكذا فسّره أحد رواته ، قال : ولست أدرى ما صحته[64] وفى القاموس : « أُبْدُوجُ السرج بالضم : لِبْدُ بِدادَيْه ، مُعَرّبُ أَبْدُود » .

٢ – قسم ابن دريد كتابه إلى أبواب وفق الأبنية ، مراعيا الترتيب الأبجدى لأصول الكلمات ، بادئا

---

(٥٥) هو غيلان بن عقبة . مات سنة ١١٧ هـ . (هدية العارفين ٨١٣/١) .
(٥٦) هو عبدالملك بن قريب الأصمعى المتوفى سنة ٢١٣ هـ (نزهة الألباء ص ٢١٢) .
(٥٧) هو أبوعمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤ هـ (نزهة الألباء ص ٢٤) .
(٥٨) هو يونس بن حبيب البصرى . مات سنة ١٨٢ هـ . (الفهرست ص ٦٣) .
(٥٩) الجمهرة : ٢٠٦/١ ، ٢٠٧ .
(٦٠) العين : ٨٧/٦ .
(٦١) هو عبدالله بن الزبير بن العوام . مات سنة ٧٣ هـ (الإصابة ٣٠٩/٢) .
(٦٢) هو أبوالسعادات المبارك بن محمد الشيبانى المتوفى سنة ٦٠٦ هـ (هدية العارفين ٢/٢) .
(٦٣) هو حمد بن محمد الخطابى البستى المتوفى سنة ٣٨٨ هـ (وفيات الأعيان ٤٥٣/١) .

كل باب بالحرف المبنى عليه الباب ، متبوعا بالحرف الذى يليه فى الترتيب الألفبائى ، وذلك لاتباعه نظام التقلبات الهجائية ، وبدأ بأبواب الثنائى فذكر منها باب الثنائى الصحيح المدغم ، وعنده ـ كما يقول ـ : « الثنائى الصحيح لا يكون حرفين البتة إلا والثانى ثقيل حتى يصير ثلاثة أحرف ، اللفظ ثنائى والمعنى ثلاثى ، وإنما سمى ثنائيا للفظه وصورته ، فإذا صرت إلى المعنى والحقيقة كان الحرف الأول أحــد الحروف المعجمة ، والثانى حرفين مثلين ، أحدهما مدغم فى الآخر ، نحو : (بَتَّ يَبُتُّ بَتًّا) فى معنى قطع ، وكان أصله بتت ، فأدغموا التاء فى التاء ، فقالوا : بَتَّ ، وأصل وزن الكلمة فَعَل وهـو ثلاثة أحرف ، فلما مازجها الإدغام رجعت إلى حرفين فى اللفظ ، فقالوا : بتَّ ، فأدغمت إحدى التاءين فى الأخرى ، وكذلك كل ماأشبهها من الحروف المعجمة»[٦٥] .

ثم ذكر أبواب الثنائى الملحق ببناء الرباعى المكرر ، وبدأهــا بقولــه : « ب ت ب ت أهملت . ب ث ب ث ـ بثبثتُ التراب ونحوه ، إذا استثرته بَثْبَثَةً »[٦٦] .

وختمهــا بقولــه : « هـ ى هـ ى ـ من معكوسه الهَيْهَبَةُ من قولهم للرجل يَهْياهِ يبنى على الكسر ، كأنه يدعوه إذا يَهْيَهَ به ، أى صاح به »[٦٧] .

ثم ذكر باب الهمزة وما يتصل به من الحروف فى التكرير ، وبدأه بقوله : « ى أ ى أ ـ أهملت إلا فى قولهم : يأْيَأْتُ بالقوم ، إذا دعــوتهم ليجتمعوا فقلت يَأْيَأْ »[٦٨] .

ثم ذكر باب الثنائى المعتل وما تشعب منه ، وبدأه بقوله : « باء بإثمه يبوءُ به بوءًا وبواءً ، إذا رجع به »[٦٩] . وختمه بالحديث عن (وهى ـ هوىَ ـ هيأ ـ هاء)[٧٠] .

وبعد أن أنهى الحديث عن أبواب الثنائى ذكر أبواب الثلاثى الصحيح وما تشعب منه ، وبدأه بقوله : « ب ت ث ـ ثبت يثبت ثباتا وثبوتا فهو ثابت ، ورجل ثبت المقام وثَبِيتُ المقام ، إذا كان شجاعا لا يبرح موقفه»[٧١] . وختم أبواب الثلاثى بقوله : « هذا آخر الثلاثى ، سالمه ومعتله ، وذى الزوائد منه ، وإنما أمللنا هذا الكتاب ارتجالا لا عن نسخة ، ولا تخليد فى كتاب قبله ، فمن نظر فيه فليخاصم نفسه بذلك ، فيعذر إن كان فيه تقصير أو تكرير إن شاء الله »[٧٢] . وكأنه بذلك يعتذر عن وقوع مثل ذلك فيه لكثرة تفريعاته وتقسيماته للأبواب .

ثم ذكر بعد ذلك باب النوادر فى الهمز ، وبدأه بباب الألف فى الهمز ، فقال : « أَنَتَ الرجلُ يأنِت أنِيتا ، وهو أشد من الأنين »[٧٣] .

ثم ذكر أبواب الرباعى الصحيح السالم من حروف اللين ، وبدأها بباب الباء والتاء مع ما

(٦٤) اللسان بالقاموس : ب د ع .

(٦٥) الجمهرة : ١٣/١ .

(٦٦) الجمهرة : ١٢٤/١ .

(٦٧) الجمهرة : ١٦٦/١ .

(٦٨) الجمهرة : ١٦٧/١ .

(٦٩) الجمهرة : ١٦٩/١ .

(٧٠) نفسه .

(٧١) الجمهرة : ١٩٢/١ .

(٧٢) الجمهرة : ١١٣/١ .

(٧٣) الجمهرة : ٢٦٨/٣ .

(٧٤) الجمهرة : ٢٦٩/١ .

بعدهما الذي افتتحه بقوله :« جُعْشُبٌ : اسم مأخوذ من فعل ممات ، والجَعْشَبة : الجِرْص والشِرّة »[٧٥] .

ثم ذكر أبواب الخماسي وأتبعها بأبواب اللفيف ، واللفيف عنده ليس اللفيف المصطلح عليه عند الصرفيين ، وإنما اللفيف عنده له مفهوم آخر يخالف مفهومه عند الصرفيين ، فقد قال في مستهل أبوابه : « وإنما سميناه لفيفا لقصر أبوابه والتفاف بعضها إلى بعض »[٧٦] .

وقد بدأ أبوابه بباب ما جاء على فِعِلّى ، فقال : خِطِيبَى ،وهي المرأة التي يخطبها الرجل .. والخِلِيفَى وهي الخلافة ، قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ :[٧٧] (لو استطعت الأذان مع الخِلِيفَى لأذّنت) وخِصِيصَى ، يقال : هذا لك خِصِيصَى ، أي خاص خصصتك به »[٧٨] .

ومن أبوابه باب ما جاء على فِعِلّى ، جاء فيه « زِبَعْرَى : ضخم كثير شعر الوجه والقفا ، وسِبَطْرَى : مِشْيَةٌ فيها تبختر ، وقِمَطْرَى : رجل قصير غليظ »[٧٩] .

وهذا كل ما ذكره في هذا الباب .

ثم ذكر أبوابا في آخر الكتاب تعد ملحقات به وليست من صميم بناء المعجم ، منها : (باب ما يكون الواحد والجماعة فيه سواء في النعوت) ومما جاء فيه : « شُهداء زُور ، وشاهد زُور ، ورجل نَوم ، وقوم نَوم ، أي نيام .. وقوم عدل ، ورجل عدل .. ورجل جُنُبٌ ، وامرأة جُنُبٌ ، وقوم جُنُبٌ .. »[٨٠] ومنها : (باب جمهـــرة من الاتباع) بدأه بقوله : « يقال : هذا جائع نائع ، والنائع المتمايل ، قال :

مَيّالة مثل القضيب النائع

وعطشان نَطْشان ، من قولهم ما به نطيش ، أي : حركة ، وحَسَنٌ بَسَنٌ . قال أبو بكر[٨١] **سألت أبا حاتم عن بَسَنٍ فقال : لا أدري ما هو**[٨٢] .

ومنها : (باب الحروف التي قلبت وزعم قوم من النحويين أنها لغات) بدأه بقوله : « وهذا القول خلاف على أهل اللغة والمعرفة ، يقال : جبذ وجذب ، وما أطيبه وأيطبه »[٨٣] .

ومنها (باب الاستعـــارات) ويقصد به الاستعمالات المجازية التي انتقلت إليها الألفاظ ، وبدأه بقوله : « النُجْعَةُ : طلب الغيث ، ثم كثر فصار كل طلب انتجاعا »[٨٤] .

ومما جاء فيه : « الغَيْث : المطر ، ثم صار ما نبت من الغيث غيثا ، ويقال : أصابنا غيث ، ورعينا الغَيْث . والسماء المعروفة ، ثم كثر ذلك حتى سمي المطر سماء ، وتقول العرب مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم ، أي مواقع الغيث .. ويقولون : بنى الرجل بامرأته ، إذا دخل بها ، وأصل ذلك أن الرجل من العرب إذا تزوج بُني له ولأهله خِباء جديدا ، فكثر ذلك حتى استعمل في هذا الباب »

---

(٧٥) الجمهرة : ٢٩٥/٣ .

(٧٦) الجمهرة : ٤٠٦/٣ .

(٧٧) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشي . مات سنة ٢٣ هـ (الاصابة : ٥١٨/٢) .

(٧٨) الجمهرة : ٤٠٦/٣ .

(٧٩) الجمهرة : ٤٠٧/٣ .

(٨٠) الجمهرة : ٤٢٨/٣ .

(٨١) هو أبوبكر بن دريد .

(٨٢) الجمهرة : ٤٢٩/٣ . وأبوحاتم هو : أبوحاتم السجستاني أستاذ ابن دريد .

(٨٣) الجمهرة : ٤٣١/٣ .

(٨٤) الجمهرة : ٤٣٦/٣ .



مع الدكتور عبد الوهاب عزام

في كتابه : المعتمد بن عباد

بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

من آيات الوفاء للأماجد من الأسلاف ، أن نترجم لهم ، لنحفظ آثارهم ، ونستخلص من يد الضياع والتشتت كنوزهم ؛ لتكون للأجيال المتعاقبة ، علامات بارزة ، على طريق القدوة الحسنة والعمل النافع المثمر ، وتدبر ما مروا به من انتصارات وانكسارات ...

فهم دوما شموس في علانا يُضيءُ جوانحا للمهتدينا
وهُمْ حقًا مفاخرنا إذا ما تذكَّرتْ الشعوب المدعينا

* * *

قام الدكتور عبدالوهاب عزام ــ رحمه الله ــ في مجال آخر من مجالات تفرُّده الأدبي المتنوع ــ بالعكوف على دراسة الحقبة الإسلامية في الأندلس ، فردوسنا المفقود ، واختص المعتمد بن عباد (الملك الشجاع والشاعر المرزّأ) ــ كما وصفه بعنوان كتابه عنه ــ بتفهُّم عميق لشخصيته ، ووقائع حياته ، التي حفلت بالمواقف الحاسمة ، كما يسميها الأستاذ محمد عبدالله عنان ، في فترة الحكم العربي الإسلامي في الأندلس ، منذ قيام موسى بن نصير بفتحها ، بعد أن بَعَث طريف ابن مالك ، ثم طارق بن زياد ، لارتياد الأندلس ، وظل يرسل الإمدادات حتى تم النصر ، واتسع الفتح .. وقد أحرق طارق بن زياد مراكبه[1] ، بعد اجتياز المضيق إلى الأندلس، وتقدم جنوده ببسالة وإقدام ، يقول لهم :

أيها الناس أين المفرّ والبحر وراءكم ، والعدو أمامكم وليس لكم والله إلاّ الصدق والصبر ، اعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام ، وقد استقبلكم أهل البلاد بجيشهم وعددهم ،

(١) وقيل إنه لم يحرقها ، بل أمر بإعادتها إلى إفريقيا ، حثًا لجنوده على الإقدام والجلاد .

أقواتهم موفورة وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم ، ولا قوت إلاّ ماتستخلصونه من أيديهم ، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمر أمرا ذهب ريحكم واستعاضت القلوب من رعبها عنكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة عدوكم الجبار ، فقد خرج من مدينته الحصينة ، وانتهاز الفرصة فيه ممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت ، وإنى لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة أو لم أبدأ فيه بنفسى ، اعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا . وقد بلغكم ما حوت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة ، وقد انتخبكم الوليد بن عبدالملك أمير المؤمنين ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه فى هذه الجزيرة ولتكون مغانمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى ولى أنجادكم على مايكون لكم ذكرا فى الدارين . واعلموا أنى أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه وإنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم ـ رُذَرِيك ـ فقاتله إن شاء الله ـ تعالى ـ فاحملوا معى فإن هلكت بعده فقد كفيتم أمره ، ولن تفقدوا بطلا عاقلا ، تسندون أموركم إليه وإن هلكت قبل وصولى إليه فاخلفونى فى عزيمتى هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا شره بقتله وقومُه بعده يُخذلون » .

وبعد أن استتب الأمر للدولة الأموية فى الأندلس ، قامت بالسيطرة عليه سيطرة قوية مهيبة ، منذ عام (١٣٨) هـ حتى عام ٤٠٠ هـ ، وصارت قرطبة حاضرة الخلافة الأموية ، ومركز العلوم والآداب ، ثلاثة قرون ، فى عهد الأمويين ، وبلغت فيها الحضارة العربية الإسلامية أوْجَهَا(٢) .

وبعد عهدكل من عبدالرحمن الناصر ، والمنصور أبو عامر ، بدأ نجم الدولة الأموية فى الأفول ، إلى أن زالت تماما سنة ٤٢٢هـ .

وقسّم ملوك الطوائف ، الذين جاءوا على إثرها ، البلاد فيما بينهم ، بعد انتهاء الحكم المركزى الموحد ، الذى اتسم بالترابط والقوة .

ومن ثم أصبح ملوك الطوائف متنافسين متنازعين ، كل منهم لايهتم إلا بنفسه وملكه فحسب ، ويلقى العدو ـ إذا هاجمه بمفرده أو يتعاون معه نكاية فى غيره واستمر عصرهم خمسين عاماً ..

كانت للطوائف ـ كما يقول د. عزام ـ أربع عشرة دولة ، فى أرجاء البلاد ومن بينهم «بنو عبّاد» .

قامت دولة العبادية فى إشبيليه سنة ٤١٤هـ ، ثم اتسعت ، فاستولت على ملك بنى حمود فى الجزيرة سنة ٤٥٠هـ ، وعلى ملك بنى جهور فى قرطبة سنة ٤١٦هـ وامتدت حتى شملت (مُرْسِيه) فى الشرق . ودامت دولتهم سبعين عاما وتولاها منهم ثلاثة هم : أبو القاسم محمد ، ثم ابنه أبو عمرو عباد الملقب بـ (المعتضد) ، ثم ابنه أبو القاسم محمد بن عباد ، الملقب بـ (المعتمد) الذى استمر حكمه ثلاثاً وعشرين عاماً (٤٦١هـ ـ ٤٨٤هـ) .

---

(٢) انظر مقدمة كتاب المعتمد ابن عباد للدكتور عزام

كان للمعتمد ـ كما يقول د. عزام ـ فى الجهاد بلاء عظيم ، وفى الجود صيت ذائع ، وفى الأدب منزلة عالية . وله من غير الأيام ، ومصائب الحدثان نصيب موفور ، وقصته كأنها فى المآسى خيال شاعر ، لاحقيقة واقع ، وافتنان كاتب ، لاحادثات تاريخ .

ويؤثر الدكتور ، بعد ذلك ، أن يقص حوادث الأندلس ووصف المعتمد ومنزلته ، بلسان أهله ، كما يقول ، ليجمع إلى التاريخ صورا من الأدب ، وأمثلة من أقوال الكتاب والمؤرخين فى هذا العصر . فيورد عزام قول المقرى فى (نفح الطيب) عن المعتمد .

«وأخبار المعتمد بن عباد ، وما رآه من الملك والعز ، فى كل حاضر وباد ، وما قاساه فى الأسر من الضيق والعسر ، وسوء العيش ، أمر عجيب ، يتعظ به العاقل الأريب ... الخ» .

وينقل د. عزام عن ابن بسام فى (الذخيرة) قوله فى وصف منزلة المعتمد الأدبية :

«كان للمعتمد ابن عباد شعر كما انشق الكمام عن الزهر ، لو صار مثله ممن جعل الشعر صناعته ، واتخذه بضاعة ، لكان رائعاً معجباً ونادرا مستغرباً ..» .

إن ابن عباد ، لم يقصر فى مجاراة شعراء عصره : ابن زيدون وابن عمار وابن حمديس وابن اللبانة .. بل كان مبرزاً عليهم أحياناً[3] ، وكانت الرميكية ، أم أولاده ، شاعرة أيضا ، وكذلك بنوه كانوا ـ بدورهم ـ (شعراء) وكانت ابنته بثينة شاعرة ذكرت فى ثبت الشواعر الأندلسيات .

* * *

وبدأت مأساة الشاعر الملك المعتمد بن عباد ـ التى تفيض بالأسى وتمزق نياط القلوب ـ بعد أن تولى الملك ألفونسو السادس عرش قشتالة ، الذى استغل الصراع القائم بين أمراء الطوائف فأخذ يعين بعضهم على بعض ، ويبذر بذور الفتنة بينهم ، إلا أن المعتمد ـ أكبر ملوك الطوائف ـ هاله هذا الأمر وخشى من عواقبه الوخيمة .. «وعزم على الحرب ، وهو يعلم أنه لا قبل له بالعدو ، وإن اعتض بملوك الطوائف جميعاً .. ففاوض هؤلاء الملوك فى الاستنجاد بيوسف بن تشفين ، سلطان المرابطين الذين قامت دولتهم فى المغرب ، فتية قوية ، فيها قوة البادية وشظفها وخشونتها ، وفيها الحماسة الإسلامية ، لم يطفئها الترف ، ولم يؤجنها السكون إلى الدعة وإيثار العافية»[4] .

وبدأت الجيوش المرابطية العبور من سبتة إلى الجزيرة الخضراء ، ثم عبر أميرهم يوسف بن تاشفين فى يوم الخميس ـ منتصف ربيع الأول سنة ٤٧٩هـ ٣٠ يونية سنة ١٠٨٦م ـ ، ثم تحركت العساكر إلى أشبيليه ، وعلى رأسهم ابن تاشفين ، ونزل بظاهرها ، وخرج المعتمد وجماعته من الفرسان لتلقيه ، وتعانقا ، ودعوا الله أن يجعل جهادهما خالصاً لوجهه الكريم»[5] .

* * *

(٣) انظر كتاب دولة الإسلام فى الأندلس ص ٧ ط دار المعارف ١٩٥٩ للأستاذ محمد عبد الله بن عنان ج ١ ص ٤٦ ـ ٤٧ .

(٤) المصدر السابق ص ١٧ .

(٥) انظر كتاب «الفكر الأندلسى» للأستاذ بلنثيا ترجمة الدكتور حسين مؤنس ص ٣٣ بالمصدر السابق الذكر .

والتقى الجمعان : جيش المسلمين وجيش ألفونسو فى (معركة الزلاقة) صباح الجمعة الثانى عشر من رجب سنة ٤٧٩هـ ، «وأظهر ابن عباد بطولة رائعة ، وجرح فى المعركة ، ثم حمل بنفسه بالقوة الإحتياطية إلى المعسكر القشتالى ، فهاجمه بشدة ، ثم اتجه صوب مؤخرته فأثخن فيه وأشعَلَ النار ، وهو على فرسه يرغب فى الاستشهاد»

وتلك مجادة لله يقضى ... بها ، ويخص قوماً مُجْتَبينا
وحسبى ابن الوليد وقد أتاه ... نذير الموت يخترق الحصونا
يقول شهدت زحفاً بعد زحف ... وجسمى فى الوغى ذاق الطعونا
وهأنذا أموت على فراشى ... فلا نامت عيون الجازعينا
.. وسيف الله كان مناه حتفا ... بنصل الحرب فى المتصادمينا
ليغنم أجر جندى شهيد ... ويحشر فى ركاب المرسلينا(٦)

وتم النصر المبين على أعداء المسلمين فى هذه المعركة الخالدة . إلا أن ألفونس السادس مالبث أن لعق جراحه ، واستجمع قواه «وكان حقده شديداً على المعتمد بن عباد ، فعاد إلى مهاجمة بلاده ، وركز غاراته على أشبيليه وتمكن من الاستيلاء على حصن لبيط ، مما اضطر ابن عباد إلى العودة مرة ثانية إلى الاستنجاد بالمرابطين(٧)» وذهب المرابطون للمرة الثانية إلى الأندلس لكنهم فى هذه المرة لم يجدوا مساعدة من معظم أمراء الطوائف المسلمين حيث تغلبت عليهم شهواتهم وأهواؤهم الشخصية ، وخلافاتهم الضيقة ، مما أضطر أمير المسلمين (ابن تاشفين) أن يَسْتَفْتِى الفقهاء فى خلْعهم ، وضم بلاد الأندلس إلى طاعة المرابطين ، والعودة مرة أخرى إلى الجهاد ضد الأسبان»(٨) .

وكان من عاقبة هذه الفتوى ، خلْع المعتمد بن عباد عن أريكة الملك ، ونفيه ذليلاً مُو... إلى المغرب ، فيمن تم نَفْيهم ، وهنا بدأت مأساته الداوية ، التى صورها فى خوالد قصائده التى تستثير الدمع من أقسى المآق . ولم يقم الدكتور عزام بالاستشهاد إلا بالقليل النزر من بعض الأبيات ، وأحال قارئه الكتاب إلى ديوان المعتمد بن عباد ، الذى قام بشرحه ونشره الأستاذان : أحمد أحمد بدوى وعبدالحميد عبدالمجيد .

وبالرجوع إلى هذا الديوان ، يروعنا منه ، فى أول الأمر قوله :

لما تماسكت الدموع ... وتنبه القلب الصَّديع
قالوا : الخضوع سياسة ... فليبد منك لهم خضوع

(٦)أنظر مجلة (الأمة) عدد ذى القعدة ١٤٠٢هـ ، من مقال للدكتور محمد عبد الحميد عيسى ص ٢١ .
(٧) المصدر السابق .
(٨) هذه الأبيات من قصيدة لكاتب المقال ، عن الشهداء .

وألــذ من طعــم الخضو ع، على فمي، السم النقيع
إن يسلب القــومُ العــدا ملكــي، وتسلمنـي الجمــوع
فالقــلب بين ضلوعــه لم تسلـم القــلب الضلــوع
لم أستــلب شرف الطبــا ع، أَتُسْلَبُ الشرف الرفيع ؟!

إلى أن يستلى قائلاً:

قد رمت يوم نزالهم ألا تحصننـــي الــدروعُ
وبــرزت ليس سوى القمــيص على حشاشتــه دفــوع
وبــذلت نفسي كي تسيــل، إذا يسيــل بها النجيــع

حتى قوله:

ماسرت قط إلى القتــا ل، وكان من أملي الرجــوع
شيم الألى أنــا منهمــو والأصل تتبعــه الفــروع

وقد أسلس له البحر قيادة وطاوعته القافية حتى استطاع أن يعبر عما كان ينهش في داخله من المرارة والألم، بعد أن صنع به حليف الأمس ورفيق الجهاد (ابن تاشفين)، وسَوَّى بينه وبين المتخاذلين دون أن يضع في اعتباره، أنه تخلف عنهم تماما، بما جاهد وصابر واحتسب عند الله من أبناء استشهدوا في المعارك ولم يتقهقروا ..

***

وحينما يحل يوم العيد عليه، وهو فيما هو فيه من مهانة، تنساب عبراته مع أبياته التي يقول فيها:

فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً فساءك العيد في (أغمات) مأسوراً
ترى بناتك في الأطمار جائعة يغزلن للناس، لايملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم، خاشعة أبصارهــن حسيرات مكــاسيراً
يطأن في الطين والأقدام حافية كأنها لم تطأ مِسكاً وكافوراً
لاخدّ إلا ويشكو الجدبَ ظاهره وليس إلا مع الأنفاس ممطوراً
أفطرت في العيد ـ لاعادت إساءته فكان فِطْرك ـ للأكباد ـ تفطيراً
مَنْ بات بَرْفُلُ في مُلْك يُسَرُّ به فإنما بات ـ بالأحلام ـ مغروراً

ثم يخاطب قيده الحديدى، حينما زاره ابنه (أبو هاشم) ورآه مُكبلا به، فيقول:

قيدي .. أما تعلمني مسلمــاً أبيت أن تشفــق أو ترحما
دمي شراب لك، واللحم قد أكلتــه .. لاتهشم الأعظمــا

يصرق فيه أبو هاشم فيشى القلب ، وقد هشما
ارحم طفيلا طائشاً لبه لم يخش أن يأتيك مسترحما
وارحم أخيات له ، مثله جرعتهن السم والعلقما
منهن من يفهم شيئاً ، فقد خفنا عليه ـ للبكاء ـ العمى
والغير لا تفهم شيئاً ، فما تفتح إلا لرضاع .. فما

* * *

وبعد ، فإن الأمر بالنسبة لابن عباد أمر : «شاعر أصيل مرهف الحس ، مشرق الديباجة .. لبس التاج ، واقتعد ذروة الملك ، والمأساة التي ختمت بها حياته .. وقد كان الشعراء سمار ندوته وأركان دولته»[9] «وقد وصف لنا المعتمد صوراً شتى من حياته في نعيمها وبؤسها»[10] تذكرنا بقول شوقي :

ومن يغتر بالدنيا ، فإني لبست بها .. فأبليت الثيابا
جنيت بروضها ورداً وشوكاً وذقت بكأسها : شهداً وصابا

«ولو ضاعت أخبار المعتمد ، ونسيت سيرته ، وبقي ديوان شعره، لكان إلى حد كبير ، كافيا في الدلالة على شخصيته ، والإعراب عن سماحة نفسه وسجاحة خلقه ، وفرط كرمه وأسلوب حياته ونمط تفكيره .. فهو سجل أمين ، للكثير من أخباره وحوادث حياته كما يقول الأستاذ على أدهم بحق[11].

« البحث موصول »

---

(٩) المصدر السابق .
(١٠) المصدر السابق .
(١١) انظر كتاب (المعتمد بن عباد) ـ العدد الثاني من سلسلة (أعلام العرب) للأستاذ على أدهم .



الدعــاء .. والقضــاء والقــدر

لا أحد يستطيع أن يحصى نعم الله عليه ، ولعل من أجلّ هذه النعم التى أكرم الله ـ تعالى ـ بها بنى آدم ؛ نعمة الطلب منه والتقرب إليه ، فقال ـ تعالى : ﴿ وَسْـَٔلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ النساء ٣٢ ، ذلك السؤال والدعاء الذى تسكن به النفس وتطمئن بعد حيرتها ، لاسيما عندما تشتد الكروب وتعجز الحيل وتنقطع الأسباب .

ويكفى العبد الداعى شرفاً أن ربه هو الذى أمره بالدعاء ، وهو الذى يتفضل ـ وحده ـ بإجابة الدعاء ، قال ـ تعالى : ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ الأعراف ٥٥ ، وقال ـ أيضاً : ﴿ ادْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ غافر ٦٠ .

ونظراً لأن الدعاء يطرد الشيطان ويطارده ؛ فقد يحول الشيطان بيننا وبينه بالتغافل عنه ، أو بزعم : عدم جدواه ، لأن كل شىء بقضاء الله وقدره ، وماقدره ـ سبحانه ـ من خير أو شر على العبد فسيقع سواء دعا أو لم يدع .

وقد ساق الإمام الغزالى الجواب على ذلك بوضوح ، حيث يقول : «اعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء ، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة ، كما أن الترس سبب لرد السهم ، والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله ـ تعالى ـ أن لايحمل السلاح وقد قال ـ تعالى : ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ النساء

٧٩ ، وأن لاتستقى الأرض بعد بذر البذر بدعوى : إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر ، وإن لم يسبق لم ينبت ، بل ربط الأسباب بالمسببات ، والذى قدّر الخير قدره بسبب ، والذى قدّر الشر قدر لدفعه سبباً ، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته»[1] ، ومن هنا يظهر عدم التناقض بين الدعاء وبين القضاء والقدر .

ومن هنا ينشر الباب كلمة تلقاها عن أدب الدعاء ، وكلمات أخرى ننشرها حرصاً على تنويع الباب بنشر العديد من الأفكار والمعلومات والإبداعات ، فضلاً عن الإجابة عن الاستفسارات التي تتلقاها عناية من المجلة باهتمامكم ومتابعتكم .

المحـــرر

مـــن آداب الدعـــاء

حول أدب الدعاء الذى ينبغى أن يتحلى به الداعون ربهم ، كتب الأستاذ/ محمد خيرى أبو ربيع ـ من يعقوب ـ البلينا ـ سوهاج ـ هذه الكلمة :

أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الناس أن يدعوه ويضرعوا إليه ، ووعدهم أن يستجيب لهم ويحقق لهم سؤلهم ـ فعن النعمان بن بشير ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : « **إن الدعاء هو العبادة** » ثم قرأ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ غافر ٦٠ ، رواه أحمد وأصحاب السنن .

ولكن للدعاء آداب يجب أن يتأدب بها المسلم حتى يستجيب الله له دعاءه ـ منها :

أولاً : تحرى الحلال : فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « يأيها الناس إن الله طيب ولا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : « يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إنى بما تعملون عليم » ، وقال : « يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم » ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام يمد يديه إلى السماء : يارب ، يارب ، فأنى يستجاب لذلك » . رواه مسلم فى صحيحه والإمام أحمد فى مسنده .

ثانياً : ملاحظة الأوقات الفاضلة والحالات الشريفة ، كيوم عرفة ، وشهر رمضان ويوم الجمعة ، والثلث الأخير من الليل ، ووقت السحر ، وأثناء السجود ، ونزول المطر ، وبين الأذان والإقامة ، وعند التقاء الجيوش ، وعند الوجل ورقة القلب ـ فعن أبى أمامه قال : قيل **يارسول الله أى الدعاء أسمع ؟ قال : (جوف الليل**

(١) إحياء علوم الدين ج١ ص٣٣٦ ـ بتصرف .

الآخر ودبر الصلوات المكتوبات) رواه الترمذى بسند صحيح .

ثالثاً : أن يبدأ بحمد الله وتمجيده والثناء عليه ، ويصلى على النبى ﷺ ، فعن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو فى صلاته لم يمجد الله - تعالى - ولم يصلّ على النبى ﷺ فقال : **« عجل هذا ثم دعاه فقال له - أو لغيره - إذا صلى (دعا) أحدكم فليبدأ بتمجيد الله - عز وجل - والثناء عليه ثم يصلى على النبى ﷺ ثم يدعو بعد بما يشاء »** . رواه أبو داود والنسائى والترمذى وصححه .

رابعاً : خفض الصوت بين المخافتة والجهر - لقول الله - عز وجل ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ الأعراف ٥٥ ، ولقول النبى ﷺ **« أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم لاتدعون أصماً ولاغائباً إنكم تدعون سميعاً بصيراً »** رواه الشيخان .

كُتَّابُ الشيخ عطية

وكتب **الأستاذ/ محمد حنفى الشاذلى - مدير عام الرقابة الدينية بالتليفزيون - عن الدور التثقيفى - الغائب - الذى كانت تلعبه الكتاتيب فى تنمية مدارك الأطفال وتنشئتهم إسلامياً يقول سيادته** :

فى نهاية الأربعينات وأوائل الخمسينات كان للكتاتيب المنتشرة فى الأحياء المختلفة دور هام فى تعليم الأطفال مبادىء الدين وتحفيظهم القرآن الكريم .. **وكان الشيخ عطية شيخ كتاب حى بولاق** من الشخصيات المحببة لدى أطفال الحى ، فكانوا يسعون إلى كتابه بعد انصرافهم من مدارسهم - بنين وبنات - ويلتفون حوله فى دائرة كبيرة ، وكان ينضم إليهم عدد من المدرسات ليستمعن إلى الدروس الدينية للشيخ عطية التى تتناول طهارة الإنسان فى مختلف علاقاته بأهله وتعلمت منه المرأة الكثير مما يعينها على حياة أسرية ذات مستوى نظيف رفيع .

وكان يرد على أسئلة الأطفال المحرجة بأسلوب مبسط وسهل ، مدعم بآيات قرآنية كريمة وأحاديث شريفة .. ويشرح لهم كيف خلق الله آدم وحواء وكيف علم آدم الأسماء كلها ، أى كل شىء ، وإن فى ظهره نطف الإنسانية جمعاء وعلى رأسها نطفة الرسول محمد - عليه صلوات الله وسلامه وقصصه - فى ذلك - محبوب مشوق ، منه:خلق أمنا حواء ليتزوجها سيدنا آدم ، وينجبان الأطفال فتعمر الأرض .

وعندما عرف الإنسان المادة والمقايضة أصبح للزواج عرف جديد ، وهو أن يدفع العريس مهر عروسه ، ويجهز بيتها ، ويضمن لها حياة كريمة . **ويسأل الأولاد الشيخ عطية** : ومن لم يستطع الزواج فماذا يفعل ؟! فيجيب أن الرسول - عليه السلام - يقول : « يامعشر الشباب .. من استطاع منكم الباءة - أى تجهيز بيت الزوجية

والإنفاق على الزوجة ـ فليتزوج . فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء (أي حماية) » ..

وكان الشيخ عطيه يشرح للأطفال كيف أن النطفة غالية فهي مخ الساق ونور العينين . ويقول : إن لقمان نصح ولده عندما أقدم على الزواج وفكر في الإنجاب أن يعامل زوجته أحسن معاملة . ويقال:إنه نصح ولده بالاقتصاد في لقائه بأهله .

وذلك بعض ما أداه الشيخ عطية في كُتّابه ثم انقرضت الكتاتيب ، فانقرض النفع منها .

العبادلة الأربعة

ورغبة في التعرف بعض أعلام الصحابة ، يقدم الأستاذ/ محروس عبدالفتاح ياسين ـ ليسانس أصول الدين من جامعة الأزهر ـ هذه اللمحة عن واحد من العبادلة الأربعة (عبدالله بن عمر ، عبدالله بن عباس ، عبدالله بن مسعود ، عبدالله بن عمرو بن العاص) .

وهي في هذا العدد عن عبدالله بن عمر :

هو : عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي أسلم وهو صغير وهاجر مع أبيه وقيل قبله .. شهد الخندق ومابعدها مع رسول الله ﷺ .

ومن بعده ﷺ شهد اليرموك ، وفتح مصر وأفريقية ، وكان شديد الاتباع لرسول الله ﷺ .

ولقد اتصل بالنبي ﷺ عن طريق المصاهرة . فأخته حفصه ـ رضي الله عنها ـ كانت من زوجات الرسول ـ عليه السلام .

ويعد عبدالله من المكثرين لرواية الحديث : فقد روى له ألفاً وستمائة وثلاثين حديثاً .

اتفق الشيخان من ذلك على مائة وسبعين حديثاً ، وانفرد البخاري بواحد وثمانين ٨١ حديثاً ، ومسلم بواحد وثلاثين حديثاً .

توفي ـ رضي الله عنه ـ سنة ٧٣هـ وعمره واحد وثمانون عاماً .

شباب الإسلام

كتب القارىء/ عادل علي علي اسماعيل ـ من قورص ـ أشمون منوفية ـ هذه الكلمة :

إن الشباب هم سواعد الأمة وبناة صرحها الشامخ ، ولاشك أنهم كلما تطلعوا بالإيمان إلى وجوه الخير وفقهم ربهم ، قال ـ تعالى ـ في شأن أهل الكهف : ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾ الكهف ١٣ .

وباستقراء تاريخنا الإسلامي نجد الكثير ممن حباهم الله حب الإسلام والعمل به والتضحية من أجله ، فهذا «عمار بن ياسر» و«بلال بن رباح» و«صهيب الرومي» وغيرهم ممن دون التاريخ أسماءهم بحروف من نور ، ولن يعدم عصر من العصور أمثالهم من المجاهدين من أجل إسلامهم وتراب أوطانهم ، فالخير في أمة النبي ﷺ إلى يوم القيامة .

سحابة صيف عن قريب تنقشع

وكتب الأستاذ/ كمال عبدالمنعم محمد خليل ـ من الكوم الأحمر ببني سويف ـ هذه الكلمة عن مآسي المسلمين :

قد يتسرب اليأس إلى القلوب وتتفطر الأفئدة بالحزن حينما نتعرف على أحوال المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، ومايتعرضون له من قتل وتعذيب وتهجير ومصادرة أراض ، زيادة على تنكر المجتمع الدولى لحقوقهم ، ووقوفه موقف المتفرج من قضاياهم ، وتصبح قراراته سيفاً مسلطاً على المسلمين لابد من تنفيذه ، أما على غيرهم فتتحول إلى سراب ووهم ، فوضحت النوايا ، وانكشفت الضمائر ولكن هل يدعونا كل ذلك إلى اليأس فعلاً ؟! هذا السؤال لو طرحه المؤمن الواثق بالله على قلبه لكان الرد سريعاً . لايأس ولاقنوط لأن الله تعالى علمنا ذلك وعرفنا إياه ، فقال ـ سبحانه : « إِنَّهُ لَا يَاْيْئَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ » (يوسف ٨٧) .

وقديماً عبر العرب الفصحاء عن أوقات الشدة والبأس بأنها سحابة صيف عن قريب تنقشع ، ونحن المسلمين نوقن بذلك ونثق به ، فهذه الأحداث وما سبقها وما يمكن أن يأتى فى القريب ؛ إنما هى سحابة أوشكت رياح النصر أن تزيحها وتقشعها ؛ لأن الليل يشتد سواده قبل بزوغ الفجر ، وآلام المخاض تبلغ منتهاها قبل الولادة ، فهذا هو الظلام الذى يليه الفجر المشرق ، وضوء النهار ، وهذه آلام المخاض التى تليها ولادة النصر العظيم والعزة والتمكين .

مكانة اللغة العربية

وتلك كلمة وافانا بها القارىء/ محمد كمال كامل الشامى ـ الطالب بكلية التربية بأبى تيج ، قسم اللغة العربية ـ عن : منزلة اللغة العربية ومكانتها بين اللغات :

تعد اللغة العربية من أسمى اللغات التى أوجدها الله ـ تبارك وتعالى وكان من فضله علينا أن جعلنا شعوباً ناطقة بها ، وإتماماً لتلك النعمة بعث الله ـ تعالى ـ إلينا نبياً عربياً ناطقاً بلسان عربى ، وأنزل عليه قرآناً عربياً جعله لنا منهج حكم ودستور حياة .

قال ـ تعالى : ﴿ حم ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أول الزخرف ـ تلك اللغة التى كان يحبها سيدنا رسول الله ﷺ ؛ لأنها لغة قومه ولأنها لغة القرآن ولأنها لغة أهل الجنة ، ولا أعتقد أن هناك لغة أقدم منها أو أوسع انتشاراً ، إذ يتحدث بها الآباء والأجداد منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، ويتحدث بها نحو مليار ومائتى مسلم هم : خمس العالم ، إننا نتطلع إلى اليوم الذى تنتشر فيه لغتنا العربية فى أرجاء العالم كله(*) .

(*) لاشك أن اللغة العربية من مظاهر استقلال المسلمين بقوميتهم وعروبتهم ، وعلينا أن نجبر الأجنبى على تعلمها ليحدثنا بها فى بلادنا ، كما يجبرنا أن نتعلم لغته لنحدثه بها فى بلاده ، ذلك أن لغتنا أعز وأكرم . ـ المحرر .

وصلتنا رسائلكم

تلقى الباب رسائل السادة الآتية أسماؤهم :

الأساتذة : خيرى محمد إبراهيم أبوالروس ، نجاح عبدالقادر سرور ، يحيى السيد النجار ، رمضان ابراهيم الأقرع ، أحمد محمود الطباخ ، عبدالقادر نوح رسلان ، سلامه محمود ابراهيم مخلوف ، شحاته أحمد أبو بكر ، مصطفى كمال عيسى مصطفى ، طلعت عبدالعظيم سليم ، محمد محمود حمام ، عماد ميزار عبدالعظيم جابر ، محمد عبدالخالق محمد حسن البياع ، محروس عبدالفتاح يس ، شريف مرشدى خليفة ، أشرف على جاد الله ، أحمد فتحى السيد محمد ، محمد أحمد مكرم ، آمنة أحمد مكرم ، عبدرب النبى محمد على ، كمال الشاطبى .

وفيما يلى من أعداد نهتم بعرضها والتعليق عليها وفقاً لما احتوته من المضامين ، شاكراً لكم عنايتكم ومتابعتكم .

ردود وتعليقات

*** القارىء/ عبدالمنعم عمر محمد عبدالرحيم .. بنى عدى البحرية ـ منفلوط ـ أسيوط .**

كما تفضلتم وذكرتم أن الأزهـر هو درع المسلمين ضد أى عدوان على تشريع الإسلام ، وكذلك تلاحظون أن أعداء الإسلام لاينقطعون فى أى عصر من العصور ، فهو صراع أبدى بين الحق والباطل ، لأنه من سنن الله فى كونه يميز الله به الخبيث من الطيب ، ومن يثبت على الإيمان من غيره ، ومن فضل الله علينا أنهم برغم وجودهم وتنامى وسائلهم إلا أنهم لاتقوم لهم قائمة «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ» الرعد ١٧

*** القارىء/ فراج حسن فراج ـ قسم حسن صالح ـ الزقازيق .**

استغلال بعض الباعة ببيع المجلة بأكثر من ثمنها المعلن (٧٥) خمسة وسبعون قرشاً أمر وارد ، ولكن لاينبغى تشجيعهم بالتعامل معهم ، ونأمل ـ على الرغم من أزمة الورق العالمية وارتفاع سعره ـ فى زيادة الكمية المطبوعة من المجلة لتغطية الطلب المتزايد عليها .

*** الشاعر/ محمود عبدالعزيز عبدالمجيد ـ من البلدية ـ كفر الشيخ .**

*** الشاعر/ مصطفى محمود مصطفى ـ كفر ربيع ـ منوفية :**

قرأت قصيدتيكما : «لبيك ياقدس» و«على مشارف مذبحة الخليل» وأعجبت بما فيها من تدفق شعرى ، ولعل ماتحقق للفلسطينيين فى هذه الأيام من توسع فى دائرة الحكم الذاتى يجعلنا نردد المثل العربى «أول الغيث قطر ثم ينهمر» .

نشكركم وفى انتظار إبداعاتكم .

ردود وتعليقات

* القارىء/ إبراهيم عبدالعظيم محمد ـ من السنبلاوين ـ دقهلية

* والقارىء/ طلعت عبدالعظيم سليم ـ المدرس بمعهد بنين بهجوره ـ نجع حمادى ـ قنا .

فيما يتعلق باشتراك كل معهد أزهرى فى مجلة الأزهر بثلاث أعداد شهرية من ميزانية مجلس الآباء أو اتحاد الطلاب ـ أسوة بما يتبع مع بقية الأنشطة ـ ضماناً لوصول المجلة إلى هذه المعاهد واطلاع العاملين فيها من مدرسين وطلاب وإداريين على رأى الأزهر فى كافة القضايا المعاصرة أولا بأول ، وتحفظ بعد ذلك فى مكتبة المعهد .

الحق أنه اقتراح طيب ، وسبق أن بادر به من قبل : فضيلة الشيخ/ سليمان عبدالحميد الفقى شيخ معهد قراءات دمنهور ، ثم تلقت المجلة بعده العديد من رسائل المدرسين والطلاب الذين يشكون من عدم وصول المجلة إلى محال إقامتهم وتطالب بنفس الاقتراح تيسيراً عليهم .

ونظراً للأهمية التى يمثلها هذا الاقتراح ، فسوف نرفع الأمر لفضيلة الإمام الأكبر / شيخ الأزهر ـ لاسيما ونحن نعلم مدى اهتمام فضيلته بهذا القطاع العريض من أبناء المعاهد الأزهرية والعاملين بها ـ حتى يتسنى لنا ـ بموجب الموافقة ـ التنسيق مع إدارة المعاهد الأزهرية لتحقيق هذه الأمنية التى طالما تطلع إليها كثيراً من قراء مجلة الأزهر .

* الأستاذ/ يحيى السيد النجار ـ من دمياط .

إننا نتطلع معا إلى اليوم الذى تعالج فيه أمتنا جميع خلافات الرأى بآداب الإسلام القائمة على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن ، عند ذلك يكون النزول عند الحق وقتما ظهر فى أى جانب .

* القارىء/ سيد محمود محمد ـ المرج القاهرة

لعلكم قد لاحظتم مؤخراً بالمجلة تخصيص باب ثابت للحديث النبوى وهو «السنة : هُدًى ورجالاً» ، ويمكن تغطيته لكل مايتصل بعلوم الحديث ورواته ، علماً بأنه ما من اقتراح يصلنا من قرائنا الأعزاء إلا وهو قيد النظر والبحث ، خالص التقدير لمتابعتكم البناءة .

* القارىء/ محمد على البلـجيى ـ أويش الحجر ـ المنصورة ـ دقهلية .

تلقيت كلمتكم عن «تعاليم الإسلام» وأعجبت ببلاغتها على إيجازها ، ولعل أفضل معنى أردتم الوصول إليه ، هو : أهمية منهج الاتباع كما ورد فى قوله ـ تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾

آل عمران ٣١ .

● وبمشيئة الله ـ تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعاً .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين / عمر البسطويسي • مصطفى عبد المجيد

الدكتور أحمد عمر هاشم رئيسا لجامعة الأزهر

أصدر الرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية قراراً بتعيين الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيساً لجامعة الأزهر لمدة أربع سنوات .

جاء القرار بناء على ما اقترحه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وما عرضه الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء ووزير شئون الأزهر .

كان الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم يشغل منصب نائب رئيس جامعة الأزهر ورئيس لجنة الشئون الدينية بمجلس الشعب .

الإمام الأكبر يستقبل عضو البرلمان الهندى

استقبل الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر بمكتب فضيلته صباح يوم التاسع من ربيع الآخر ١٤١٦ هـ الموافق ٥ سبتمبر ١٩٩٥ م السيد محمد عنايت خان رئيس الجامعة الإسلامية العربية الهندية .

تم خلال اللقاء بحث أوضاع العالم الإسلامي وأوجه التعاون والتضامن لخروج الأمة الإسلامية من المصاعب التي تواجهها ، كذلك تناول اللقاء بحث قضية كشمير وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن أمله في إيجاد حل لهذه القضية حتى تتخلص المنطقة من العنف ويسود السلام في كشمير .

وقد أكد الضيف تقديره للأزهر الشريف ـ شيخا وعلماء ـ لما يقدمه من خدمات تعليمية وإرشادية للعالم الإسلامي عامة ولمسلمي الهند بصفة خاصة .

الإمام الأكبر يستقبل كبير أساقفة كانتربرى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتب فضيلته صباح يوم التاسع من جمادى الأولى ١٤١٦ هـ الموافق ٤ أكتوبر ١٩٩٥ م القس جورج ليونارد كيرى كبير أساقفة كنيسة كانتربرى الأنجليكية الذى زار القاهرة والوفد المرافق له .

وقد استعرض اللقاء دور الأزهر الشريف ورسالته عبر تاريخه الذى يربو على أكثر من ألف عام ممثل بذلك أقدم جامعة على مستوى العالم مشيرا إلى التعاون العلمى المثمر بين الأزهر الشريف والعديد من جامعات العالم بما فى ذلك اوروبا وأمريكا وغيرها ، إلى جانب تعاونه مع الدول العربية والإسلامية .

وقد أوضح فضيلته أن هذا التعاون يشمل تبادل استكمال الدراسات العليا ، وتبادل الأساتذة والخبرات العلمية إلى جانب تبادل وجهات النظر حول أوضاع الأقليات الإسلامية فى الغرب وغيره إلى جانب مشاركة الأزهر وأساتذته فى المؤتمرات العلمية التى تعقد خارج مصر .

وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر على أن الأزهر الشريف وإن كان هو الملجأ الروحى لكافة الجامعات والمؤسسات الثقافية والدينية والعربية والإسلامية ، إلا انه لا يتدخل فى شئون هذه الجامعات ، هذا وقد أعرب كبير الأساقفة عن تقديره لدور الأزهر الشريف مؤكدا على أنه يؤمن بالتقارب والتساند مع الدين الإسلامى ، مشيرا إلى موقف بريطانيا ـ حكومة وكنائس ـ المتمثل فى إدانة المذابح التى يتعرض لها الشعب المسلم فى البوسنه والهرسك مشيرا كذلك إلى أن الحقائق قد غابت وسط نيران المعارك .

وقد أعرب الضيف عن أمله فى مزيد من التعاون بين الإسلام والمسيحية من أجل أن يعم السلام والأمن والخير بنى الإنسان .

وقد قدم فضيلة الإمام الأكبر لضيفه فى ختام اللقاء نسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة الانجليزية .

الإمام الأكبر يستقبل وفد

جامعة بيشاور الباكستانية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتب فضيلته صباح يوم الثامن من جمادى الأولى ١٤١٦ هـ الموافق ٣ أكتوبر ١٩٩٥ م وفد جامعة بيشاور الباكستانية برئاسة الدكتور قاضى محمد مبارك عميد كلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية .

تم خلال اللقاء أوجه التعاون بين جامعتى بيشاور لإمداد الجامعة بالخبرات العلمية والأساتذة المتخصصين فى مجالات الدراسات الإسلامية والعربية .

كما تم خلال اللقاء بحث الطلب المقدم من الجامعة للسماح لأساتذتها بالانتظام فى دورات تدريبية بجامعة الأزهر الشريف للاستفادة من خبرات علمها وعلمائها .

الإمـــام الأكبـــر فى زيـــارة للشـــرقية

قام فضيلة الإمام الأكبر صباح يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الأولى ١٤١٦ هـ الموافق ٩ أكتوبر ١٩٩٥ م بزيارة لمحافظة الشرقية ، افتتح خلالها عددا من المعاهد الأزهرية ، وقام بوضع حجر الأساس لعدد آخر من المعاهد رافق فضيلته السيد الوزير الدكتور عبدالوهاب سيد أحمد محافظ الشرقية ، وفضيلة وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الدكتور رئيس جامعة الأزهر الشريف وهذه المعاهد هى معهد بردين المعهد الاعدادى الثانوى بقرية الحلمية بـ أبوحماد ومعهد تخطيط بـ أبوحماد الاعدادى الثانوى .

ثم توجه فضيلته بعد ذلك إلى مدينة العاشر من رمضان حيث قام بزيارة معهد العاشر من رمضان النموذجى ثم قام فضيلته بوضع حجر الأساس لمجمع فؤاد حسن الأزهرى النموذجى للغات بالمدينة ، وقد تقرر فى هذه الزيارة إنشاء فرع لجامعة الأزهر الشريف بالعاشر من رمضان على مساحة (٦٠٠) ستمائة فدان ، وتبرع أحد المستثمرين ببناء كلية أزهرية على مساحة مائة فدان .

ثم شهد فضيلته بعد ذلك افتتاح ندوة الملتقى الثقافى لعام ١٩٩٥ التى نظمتها جمعية المستثمرين بمدينة العاشر من رمضان والتى إستمرت ثلاثة أيام حيث ناقشت قضية الغلو فى الدين وأسبابه وطرق علاجه ، وقضايا أخرى معاصرة وأكد فضيلة الإمام الأكبر على أن الإسلام لا يعرف المغالاة أو التطرف أو التفريط وعلى كل مسلم أن يؤدى ما عليه من عبادات ثم ينصرف إلى عمله مهما كان بسيطا لأن ذلك هو مفتاح الوصول بالأمة إلى طريق التنمية والرخاء .

قرارات لرئيس الجامعة الجديدة

أصدر الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر قراراً بندب الأستاذ الدكتور سيد عبدالتواب عبدالهادى رئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية البنات بالجامعة بالقاهرة لتولى منصب عميد الكلية مع منحه البدل المقرر لهذا المنصب .

كذلك أصدر فضيلته قرارا بندب الأستاذ على محمد عبدالمنعم الأستاذ بقسم المكتبات وتكنولوجيا التعليم بكلية التربية لتولى منصب عميد كلية التربية بتفهنا الإشراف لمدة عامين مع منحه البدل المقرر لهذا المنصب .

كما أصدر رئيس جامعة الأزهر قراراً بتعيين الأستاذ الدكتور على أحمد مرعى عميد كلية الشريعة والقانون ، وقد كان قبل ذلك فضيلته قائما بعمل العميد فى ذات الكلية .

كما أصدر فضيلته قرارا بتعيين الأستاذ الدكتور محمد الحديدى عميدا لكلية البنات الإسلامية بالمنصورة ، والأستاذ الدكتور محمد رشاد دهنش عميدا لكلية الدراسات بدسوق ، والأستاذ الدكتور محمد أحمد الغريب عميدا لكلية اللغة العربية بالمنصورة .

ترقيات وتعينات بالأزهر الشريف

بناء على ترشيح من فضيلة الإمام الأكبر أصدر الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء قراراً بترقية وتعيين السادة الآتية أسماؤهم بعد إلى درجة مدير عام بوظائف مختلفة بالأزهر الشريف وعددهم ستة عشر وهم :

١ ـ فضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى على حمزة مديرا عاماً للإدارة العامة للإعلام والعلاقات العامة بمكتب شيخ الأزهر .

٢ ـ فضيلة الشيخ/ محمد عبدالسميع شبانة مديرا عاماً للتعليم النوعى قطاع المعاهد الأزهرية .

٣ ـ فضيلة الشيخ/ عزالعرب عبدالوهاب إبراهيم مديرا عاماً لمجلة الأزهر الشريف .

٤ ـ فضيلة الشيخ/ عبدالفتاح سيد جمعان مديرا عاماً لإدارة شئون القرآن الكريم .

٥ ـ فضيلة الشيخ/ محمود خليفة عبدالله خليفة مديرا عاماً لشئون المصحف والبحوث والترجمة .

٦ ـ فضيلة الشيخ/ صالح محمد عبدالهادى صالح مديرا عاماً لشئون الامتحانات والطلاب والخريجين .

٧ ـ فضيلة الشيخ/ متولى معوض مليجى مهدى مديرا عاماً للتعليم الإعدادى قطاع المعاهد الأزهرية .

٨ ـ فضيلة الشيخ/ محمد محمد الحسينى يونس مديراً عاماً منطقة تعليمية قطاع المعاهد الأزهرية .

٩ ـ فضيلة الشيخ/ أحمد محمد البيومى محمد عبدالرحيم مديراً عاماً منطقة تعليمية قطاع المعاهد الأزهرية .

١٠ ـ فضيلة الشيخ/ عبدالله عبدربه إبراهيم بكر مديراً عاماً منطقة تعليمية قطاع المعاهد الأزهرية .

١١ ـ فضيلة الشيخ/ عبدالرحيم أحمد عبدالرحيم السمين مديراً عاماً منطقة تعليمية قطاع المعاهد الأزهرية .

١٢ ـ فضيلة الشيخ/ عبدالمنعم محمد عبدالله الأودى مديراً عاماً منطقة تعليمية قطاع المعاهد الأزهرية .

١٣ ـ فضيلة الشيخ/ محمد صبحى أحمد دياب مديراً عاماً منطقة تعليمية قطاع المعاهد الأزهرية .

١٤ ـ فضيلة الشيخ/ محمد عبدالعظيم إبراهيم جمعة مديراً عاماً منطقة تعليمية قطاع المعاهد الأزهرية .

١٥ ـ فضيلة الشيخ/ محمد طه عبدالحافظ مديراً عاماً منطقة تعليمية قطاع المعاهد الأزهرية .

١٦ ـ السيد الأستاذ/ مصطفى أحمد على الغمراوى مديرا عاماً لرعاية الطلاب بالأزهر الشريف

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ محمد عبدالحميد بشير

عام جديد .. مبارك

بعث رئيس مجلس الشعب المصرى برقية تهنئة إلى الرئيس محمد حسنى مبارك بمناسبة بدء السنة الخامسة عشرة لتوليه مهام الرئاسة، عبَّر فيها باسمه وباسم أعضاء المجلس عن أصدق التهانى وأطيب التمنيات لسيادته داعياً الله أن يسدد خطاه ويبارك مسعاه من أجل مصر وشعبها .

كما بعث السيد رئيس مجلس الشورى برسالة مماثلة أشاد فيها ـ باسمه وباسم أعضاء المجلس ـ بقيادته الحكيمة للمسيرة المصرية المظفرة منوهاً بالتقدم الاقتصادى، والثقافى، والسياسى، الذى أحرزته الأمة فى عهده .

ومن الجدير بالذكر أن الرئيس بدأ العام الجديد بإصدار بيان دعا فيه الناخبين لاختيار أعضاء مجلس الشعب الجديد وذلك فى التاسع والعشرين من نوفمبر القادم .

جنيف

عقد مؤخراً فى سويسرا مؤتمر إسلامى بعنوان (الوحدة الإسلامية فى أوروبا) شهدته وفود مثلت المنظمات والجمعيات الإسلامية فى أوروبا ورأسه الدكتور/ أحمد عبدالرحيم رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية فى النمسا .

قال فى الكلمة الافتتاحية للمؤتمر : إن الإسلام دين تسامح ولين ورحمة، وأن رسالته عالمية للبشرية جمعاء .

أكد البيان الختامى للمؤتمر ضرورة العمل على اتخاذ الخطوات العملية لبناء مركز الوحدة الإسلامية بأوروبا والذى سيتخذ من بون مقراً له، كما حض البيان على أهمية التركيز على قضايا الأقليات الإسلامية فى أوروبا وأمريكا واستراليا والذين يزيدون على ٥٥ مليون نسمة، حيث ينبغى التركيز عليهم فى وسائل الإعلام .

أوسلو

وافقت السلطات النرويجية على إنشاء إذاعة إسلامية لبث القرآن الكريم والفتاوى والبرامج الدينية باللغات العربية ـ وغيرها ـ وذلك تلبية لطلب المسلمين فى مدينة بركين، وقد تعهدت الحكومة فى أوسلو بدفع كافة نفقات إنشاء الإذاعة، كما ساهمت فى إنشاء مكتبة تضم

الكتب الإسلامية والمراجع التي تخدم الإذاعة الوليدة .

وفي اليابان أكد صالح السامرائي مدير الشئون الدينية بالمركز الإسلامي بالعاصمة اليابانية (طوكيو) أنه يجرى حالياً الإعداد لبناء مسجد كبير هناك لاستيعاب أعداد المسلمين التي تزداد باطراد في هذه البلاد .

البوسنة والهرسك

واصلت قوات التحالف البوسني المسلم والكروات تقدمها إلى مسافة ١٢ كيلو متر من مدينة « بانيالوكا » كما ذكرت المصادر الصربية التي أضافت أن قتالاً عنيفاً يدور في « بيهاتش » بشمال غرب البوسنة مؤكدة سقوط مدينة « سانتسكيمونت » .

كما تحدثت مصادر بوسنية عن هجمات شنها الصرب في نفس المنطقة ، وأكدت المفوضية العليا لشئون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة مواصلة ميليشيات صرب البوسنة للتجاوزات في حق اللاجئين البوسنيين والكروات ، وقال المتحدث باسم المفوضية في جنيف أنها تتلقى تقارير مرعبة للغاية ؛ حيث أن آلاف الشبان البوسنيين الذين بإمكانهم حمل السلاح اعتبروا في عداد المفقودين في « بانيالوكا » كما تعرضت نساء بوسنيات للاغتصاب .

هذا ويقوم الصرب بمنع قوافل الإغاثة الدولية من المرور على الطريق الذي يربط سراييفو بحيب « جوارزدي » المسلم . ووسط هذه الانتهاكات الصارخة لأبسط حقوق الإنسان ، قال الرئيس البوسني الزائر لجمهورية التشيك : إنه ليس متفائلاً بإمكانية توقيع اتفاق سلام سريع يضع حداً نهائياً للنزاع في البلقان . وأضاف في مؤتمر صحفي مشترك عقده في براغ مع الرئيس التشيكي أنه سيكون من الصعب حل قضايا مصيرية ، منها الاتفاق حول خريطة جديدة تقسم بلاده إلى مناطق عرقية .

وقال إن عملية التوصل إلى اتفاق سلام ستستغرق وقتاً طويلاً نظراً للتمادي في حرمان المدنيين البوسنيين من أبسط حقوقهم المتمثلة في وصول الغاز والكهرباء والماء إليهم لمواجهة شتاء قاسياً آخر على الأبواب .

أفغانستان

أكدت مصادر قوات الحكومة الأفغانية فشل الهجوم المضاد الذي شنتهُ قوات الحكومة لإبعاد قوات (طالبان) عن التلال الواقعة جنوب كابول العاصمة ، وذكر أن قوات الرئيس برهان الدين رباني بدأت هجوماً منذ الخميس ١٢ أكتوبر الماضي ، حيث قصفت قوات حركة (طالبان) بالدبابات والمدفعية الثقيلة ، وتأكد أخيراً أن مدينتي « ليشبور » و « خير أباد » لا تزالان بين الجانبين .

كما استولت قوات (طالبان) على قليل من النقاط المطلة على الضواحي الجنوبية للعاصمة ، وذلك بعد صراع مرير والقتال على السلطة أضاع ثمرة جهاد مقدس استمر أحد عشر عاماً لتحرير أفغانستان من الاحتلال السوفيتي .

ويوضح الصراع الدائر الآن افتقار الفرقاء هناك إلى أدق معرفة بقواعد الإسلام التي تؤكد أن المسلمين إذا التقيا بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار .

كولومبيا

رأس وزير الخارجية المصرى وفد مصر فى اجتماعات القمة الحادية عشرة لرؤساء دول وحكومات حركة عدم الانحياز وذلك فى الثامن عشر من أكتوبر الماضى .

سبق القمة مؤتمر تحضيرى على مستوى وزراء الخارجية ، وأكد عمرو موسى أن مصر معنية ببقاء حركة عدم الانحياز واستمراريتها وأنه تجرى محادثات بهذا الصدد مع أندونيسيا وبعض الدول المؤسسة للحركة ، وطالب بضرورة انفتاح دول أمريكا اللاتينية على الحركة التى قال : إنها تمثل العالم الثالث بكل مصالحه ، وصرح سفير مصر فى كولومبيا : أن المؤتمرين بحثا : قضايا الصراع البوسنى وأزمةالشرق الأوسط والتعاون فى مجالات تلوث البيئة ، ومكافحة المخدرات والجفاف والحوار بين الشمال والجنوب ، وغير ذلك من الموضوعات الهامة .

الشيشان

أعرب الرئيس الروسى عن قلقه من تطورات الأزمة الشيشانية ، وربط حالة الاستقرار فى بلاده بإنهاء هذه الأزمة ، أما وزير الدفاع الروسى فقد أطلق تهديداته باستئناف العمليات العسكرية ضد المقاتلين الشيشان .

وكان وزير الداخلية الروسى قد أصدر أمراً بتعيين « أناتولى شيكيركوف » قائداً للقوات الروسية فى الشيشان خلفاً للجنرال « رومانوف » الذى تعرض فى السادس من أكتوبر الماضى لمحاولة اغتيال فى « جروزنى » ، ولا يزال فى حالة صحية خطيرة فى أحد المستشفيات العسكرية فى روسيا .

والقائد الجديد يبلغ من العمر ثمانية وأربعين عاماً وهو من مواليد العاصمة الشيشانية وكان قبل ذلك يشغل منصب رئيس الأركان والنائب الأول لقائد القوات الداخلية التابعة لوزارة الداخلية الروسية الموكل بها أصلا إخماد التطلعات الإسلامية فى الشيشان .

مؤتمر الغرف الإسلامية بالقاهرة

عقد مؤخراً بالقاهرة فى غضون شهر جمادى الأولى ١٤١٦ هـ ، الموافق ٣٠ سبتمبر ١٩٩٥ م ــ برعاية الرئيس مبارك ــ المؤتمر الثانى للقطاع الخاص للدول الإسلامية ؛ الذى تنظمه الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة بكراتشى ، بالاشتراك مع الاتحاد العام للغرف التجارية المصرية .

شارك فى المؤتمر نحو ثلاثين دولة إسلامية ، واثنتا عشرة منظمة إسلامية دولية ، وحضره ــ كضيف شرف ــ فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر .

ناقش المؤتمر : التحديات الاقتصادية التى تواجه الدول الإسلامية بإنشاء سوق إسلامية للتجارة والاستثمار فى إطار مواجهة التكتلات الاقتصادية العالمية ، وتقوم هذه الفكرة على دعم التبادل التجارى والاقتصادى وتخفيض التعريفة الجمركية بين الدول العربية والإسلامية .

وعلى هامش المؤتمر أقيم معرض كبير لعرض أوجه النشاط الصناعى والتجارى للدول المشاركة فى المؤتمر ؛ سعياً وراء زيادة حجم التجارة البينية بين الدول الإسلامية .

avait fait afin de mériter cette récompense et l'annonce de mériter cette récompense et l'annonce de cette bonne nouvelle. Sa'ad lui répondit: "Je ne me suis jamais couché en ayant dans le coeur la moindre jalousie, ni la moindre haine, ni de rancune envers qui que ce soit". Il avait des qualités exceptionnelles; il ne mangeait que ce qui était licite c'est pour cela que ses invocations étaient exaucées.

Les jours s'écoulèrent et Sa'ad le chevalier victorieux n'avait pour souci que la lutte pour la cause d'Allah. Lorsque vint le Califat d'Omar Ibn Al Khattab, les perses profitèrent de l'occasion pour récupérer les terres conquises par les Musulmans sous le règne d'Abou Bakr. Leurs guerres aggressives inquiétèrent le prince des croyants Omar Ibn Al Khattab qui décida d'aller lui-même à la tête de l'armée musulmane dans une bataille décisive contre les perses en vue de reprendre les terres des Musulmans. Il confia Médine à Ali et s'apprêtait à partir lorsque quelques-uns de ses compagnons lui suggérèrent de choisir quelqu'un pour le remplacer dans cette mission. Ils lui dirent qu'il ne fallait pas mettre en danger la vie du prince des croyants dans cette période critique.

Omar leur demanda: "Qui me conseillez-vous de charger de cette mission? Qui peut supporter cette responsabilité alors que Rostom le sanguinaire commande l'armée perse? Ils se turent pour réfléchir; puis Abd Ar Rahman Ibn Awf s'écria: "Je l'ai trouvé". Omar lui dit: "Qui est-ce". Abd Ar Rahman répondit. "C'est lui qui, lorsqu'il lance la flèche, elle atteint l'ennemi et qui, s'il invoque Allah est exaucé: c'est Sa'ad Ibn Abou Waqas".

(à suivre)

grandeur de mon amour filial envers toi... Mère! par Allah! si tu possédais cent âmes et si ces âmes sortaient l'une après l'autre, je n'abandonnerais pas ma religion à n'importe quel prix... Mange si tu veux ou ne mange pas, à ta guise". Sa mère se plia devant sa ferme révolution: elle but et mangea. Voici la Révélation qui fut faite au Prophète (b.s.) au sujet de Sa'ad pour montrer qu'Allah approuve ce qu'il fit.

> *Allah dit: [Et si tous deux (père et mère) te forcent à M'associer ce dont tu n'as aucune connaissance, alors ne leur obéis pas; mais reste avec eux ici-bas de façon convenable. Suis le sentier de ceux qui s'en remettent à Moi. Puis c'est vers Moi que sera votre retour. Je vous informerai alors de ce que vous faisiez].*
>
> **Sourate "Luqman" le sens du verset 15.**

Sa'ad Ibn Abou Waqas était courageux et vaillant. Il fut le premier à attaquer un polythéiste au nom de l'Islam. Au début de l'Islam, les Musulmans faisaient leurs prières en cachette. Un jour, pendant que Sa'ad faisait sa prière dans les buissons de la Mecque, un des polythéistes l'aperçut et voulu l'attaquer, Sa'ad le frappa sur le crâne et fit couler son sang.

Sa'ad émigra à Médine, il prit part à l'expédition de Badr, lança ses flèches sur les polythéistes avec une compétence incomparable, si bien que le Prophète (b.s.) lui dit: "Tire Ô Sa'ad ... Je te sacrifierai mon père et ma mère ... Seigneur dirige son tir et exauce son invocation"[1]. Le Messager d'Allah (b.s.) ne dit jamais cette parole qu'à Sa'ad, il dit fièrement de lui un jour devant ses compagnons: c'est mon oncle maternel... que l'un d'entre vous me présente son oncle'[2].

Un jour, alors que le Messager était assis parmi ses compagnons, il leur dit: "Maintenant vous allez recevoir l'un des hôtes du Paradis". Après un court moment, ils virent apparaître Sa'ad Ibn Abou Waqas. Abdallah Ibn Amr Ibn Al As, s'approcha de lui pour savoir ce qu'il

1. Hadith rapporté par Al-Bokhary.
2. Hadith rapporté par Termizi.

Sa'ad Ibn Abou Waqas

"Je sacrifierai pour toi ma mère

et mon père"

— 1 —

par : Hoda Hussein Chaâraoui

"J'ai vu durant mon sommeil que j'étais dans les ténèbres, puis qu'une lune m'a éclairé un chemin que je suivis. C'est comme si je regardai ceux qui m'avaient devancé vers cette lune: J'ai vu Zaïd Ibn Haritha, Ali Ibn Abou Talib et Abou Bakr. Je leur demandai: "Quand êtes-vous parvenus là "Ils m'ont dit: "A l'instant". Puis je me suis réveillé, le Prophète (b.s.) avait alors reçu la Révélation de son message, je me rendis chez lui et me convertis à l'Islam. Les trois hommes que je vis en rêve étaient les seuls à m'avoir devancé dans l'Islam".

Telle est l'histoire de la conversion de Sa'ad comme l'a racontée sa fille Aïcha. Sa'ad Ibn Malik Ibn Wahib surnommé Sa'ad Ibn Abou Waqas était le cousin germain de "Amina bent Wahab" le mère du Messager d'Allah (b.s.).

Sa'ad embrassa l'Islam à l'âge de 17 ans et il était connu par sa bonté et sa piété envers sa mère. Lorsqu'elle apprit qu'il s'était converti, sa mère s'efforça de l'écarter de ce chemin; puis voyant la fermeté de sa décision, elle le menaça de s'abstenir de manger et de boire jusqu'à sa mort, afin qu'il soit déshonoré aux yeux des gens. Elle exécuta sa menace et failli trouver la mort. Lorsqu'ils la virent près de mourir, les membres de sa famille obligèrent Sa'ad à venir la voir pour un dernier adieu, espérant par là attendrir son coeur en la voyant dans cet état. Sa'ad se rendit auprès d'elle et lui dit: "Mère, les gens connaissent la

De plus, elle est stable, grâce à la loi de la pesanteur, gravité (les montagnes jouent probablement un rôle en cela), grâce à l'équilibre entre les gaz atmosphériques et aux résultats des réactions chimiques et biologiques sur terre.

"Nous avons fait du ciel une voûte protégée."

Sour. "Al Anbiya," (Les Prophètes), v.32.

L'atmosphère demeurera ainsi jusqu'aux grands désordres cosmiques qui auront lieu le Jour Dernier.

"Lorsque de ciel sera enlevé).

Sour. "Al Takwir", v.11.

"Lorsque le ciel se déchirera."

Sour. "Al Inchiqaq" v.1.

"Lorsque le ciel se rompra".

Sour. "Al Infitâr", v.1.

Cette couche atmosphérique joue un rôle vital dans la préservation de l'air sur la terre avec ses composants indispensables à la vie de toutes les créatures — et en l'empêchant de s'échapper vers l'espace extérieur. C'est dans cette atmosphère que se condense la vapeur d'eau qui s'évapore des mers et des océans pour se condenser et "revenir" à la terre sous forme de pluie.

De même, cette atmosphère réfléchit les radiations thermiques vers la terre, de sorte qu'il n'y a pas de "fuites." Il en est de même pour les ondes de T.S.F.

"Par le ciel qui fait revenir."

Sour. "Al Tariq" v.11.

(à suivre)

physiques et des composantes chimiques différentes. Or cette découverte assez récente pourrait être l'interprétation du verset qui dit :

"Ne voyez-vous pas comment Allah a créé sept cieux superposés".

Sour. "Nuh" (Noé) v.15.

Une autre interprétation possible serait la référence aux composantes des cieux (Les plantètes, étoiles, galaxies, lunes, etc.)

"Nous avons construit au-dessus de vous sept cieux inébranlables).

Sour. "Al Naba' " (L'Annonce) v.12.

"Nous avons créé sept cieux au-dessus de vous)

Sour. "Al Mu'minûn" (Les Croyants) v.17

"Celui qui a crée sept cieux superposés."

Sour. "Al Mulk" (La Royauté) v.3.

Cette couche atmosphérique est constamment stable comme l'affirme le Coran :

"et du ciel un édifice".

Sour. "Al Baqara" (La Vache) v.22.

"Ou bien de construire le ciel; Il en a élevé la voûte."

Sour. "Al Nazi'at", v.27-28

Cette atmosphère est uniforme et sans fissures

"N'ont-ils pas regardé le ciel au-dessus d'eux? Comment Nous l'avons édifé et orné et qu'il est sans fissures?".

Sour. "Qaf", v.6.

"Voici pour eux un signe : la nuit dont nous dépouillons le jour).

Sour. "Ya-Sin" v.37.

même le "mouvement des montagnes" est lié au mouvement de la Terre dans l'espace dont nous ne sommes pas conscients :

"Tu verras les montagnes, que tu croyais immobiles, alors qu'elles passent comme des nuages."

Sour. "Al Naml" (Les Fourmis) v.88.

9. Les Montagnes :

Les Montagnes jouent un rôle primordial dans la stabilisation de l'écorce terrestre au cours de la rotation de la terre autour d'elle-même et autour du soleil, avec tout ce que la terre comporte de matières en fusion et de vapeur sous la litosphère et avec toutes les fissures et les replis. Les montagnes contribuent donc à la stabilisation de la litosphère, et à la diminution des éruptions volcaniques et des tremblements de terre. Or, ceci est clairement expliqué par les versets coraniques suivants.

"Il a placé sur la terre des montagnes comme piliers, afin qu'elle ne branle pas."

Sour. "Al Nahl" (Les Abeilles), v.15, et Sour. "Luqman", v.10.

"Nous avons placé sur la terre des montagnes comme piliers afin qu'elle ne branle pas et les hommes non plus."

Sour. "Al Anbiya' " (Les Prophètes), v.21.

10. Le ciel et l'enveloppe atmosphérique :

La terre est entourée d'une enveloppe gazeuze constituée de plusieurs couches ayant chacune des caractéristiques

Les Preuves Scientifiques de l'Islam

Extrait de l'ouvrage
Traduit par

Dr. Rokeya Gabr

(Suite)

8. La Terre

La terre a la forme d'une sphère qu tourne autour d'elle-même; et cette rotation a pur résultat L'alternance des jours et des nuits. C'est ce qu'affirme le verset suivant :

"Il enroule la nuit sur le jour et Il enroule le jour sur la nuit."

Sour. "Al Zumur" (Les Groupes), v.5

Ce mouvement de la terre est également expliqué par la sourate "Al Chams" (Le Soleil).

"Par le soleil et sa clarté!
Par la lune quand elle vient après lui!
Par la jour quand il illumine la terre!
Par la nuit quand elle le cache!"

Sour. "Al Chams" (Le soleil) v. 1à4

Ce qui signifie que l'arrivée du jour (grâce au mouvement de la terre) est la raison pour la quelle le soleil nous apparaît (et non le contraire); de même, l'arrivée de la nuit (grâce au mouvement de la terre) est ce qui fait disparaître le soleil.

Le principe du mouvement est également mis en valeur par l'expression "Salkh" (qui signifie "retirer" "découvrir" ou "mettre à nu") dans le verset :

REVUE AL-AZHAR

Vol. 68 part VI

Jumada Al-Akhera 1416 H. November 1995

Section Française

2. a.

/la-kum dīn-u-kum wa l-ī-din-i/

Notice the precedence of the PPs /la-kum/ and /l ī/ before the NPs /dīn-u-kum/ and /dīn-i/ in the above example. The reason for such precedence, as Al-Sabuni (1976 : Vol.3, 614) explains, is to stress the meaning of worshipping Allah. Placing the above conjoined structure in its normal unmarked word order, we get the following :

b. /dīn-u-kum la-kum wa dīn-ī l-ī/.

'Your religion is for you, and mine is for me!'

However, this assumption differs from the original in that the frontshifting of the PP in the latter gives a more exclusive sense of possession. In rendering this verse, the four translators in question seem to transfer nearly the same structure and meaning of the original, but in different words. Their versions are represented as follows :

Khatib (824) :

"To you be your religion and to me be my religion."

Y. Ali (1708) :

"6. To you be your Way. And to me be mine."

Arberry (664) :

"To you your religion and to me my religion!"

Pickthall (823) :

"6. Unto you your religion, and unto me my religion."

However, the four translators, by sticking to the Arabic WO which differs from that in English, have lost some of the communicative value expressed in the SL text.

"Surely they are contriving an artifice, and I am contriving an artifice."

Arberry (640) :

"They are devising guile,
and I am devising guile."

By comparing Khatib's and Arberry's translations to those of Y. Ali and Pickthall, we'll find a great difference. One aspect of such difference, on the part of Y. Ali, is his inconsistency in the choice of words in the two conjoined sentences. He first uses the continuous verb 'plotting' in verse 15, then he resorts to the verb 'planning' in verse 16. His version is represented as follows :

Y. Ali (1633-34) :

15. As for them, they Are but plotting a scheme,
16. And I am planning A scheme.

Moreover, he uses the expression 'As for' at the beginning of verse 15 when it is not necessary, as it has no equivalent in the original text.

On the other hand, Pickthall, in his version, first uses the expression "Lo!" for emphasis, perhaps to attract the attention of the reader. Furthermore, his translation mainly depends on the excessive repetition of words; he mentions the word 'plot' four times in rendering the two verses (twice in each conjoined element). In addition, his use of unnecessary brackets would probably spoil the fluency of the style and distract the reader.

Pickthall (802) :

"15. Lo! they plot a plot (against thee, O. Muhammad)
16. And I plot a plot (against them)."

Pichtall's translation is, therefore, made weaker due to the many interrupting useless brackets which spoil the stylistic effect of the text as a whole.

A further vivid example of syntactic matches with 'and', on part of some of the translators in question, is :

Sura 109, verse 6 :

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ⑥

semantic and functional equivalents of coordinators. Even though they are less accurate on the lexical level than Y. Ali and Pickthall, yet they are more communicative. Perhaps these good quality are due to Khatib's and Arberry's understanding of the Qur'an, on the one hand, and of the nature of translating literary styles, on the other. Moreover, they are acquainted with the distinctive features of the Qur'an and the grammatical structures in both languages.

FOURTH : Unlike Y. Ali and Pickthall, both Arberry and Khatib have, in most cases, resorted to the brevity of expression, absence of redundancy and, consequently, absence of unnecessary coordinators. Moreover, they avoid adding any explanatory sentences or phrases in their translated versions.

However, in dealing with some structures of Coordination and, in particular, those related to repetitive conjoined elements, the four translators in question may sometimes show great success on both formal and functional levels. Some of their syntactic matches can be illustrated in the following section :

Syntactic Matches of Translating Coordinators :

Consider the following example :

Sura 86, Verses 15-16 :

إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾

1. a

?inna-hum yakïd-ün-a kayd-an wa ?akïd-u kayd-an/.

Notice from the following versions that the four translators in question have succeeded in rendering the /wäw/ as 'and'. Moreover, in rendering those two verses, both Khatib and Arberry succeed in reproducing the same emphatic effect produced in Arabic by conjoining the repetitive phrase /yakïd-u kayd-an/, in its two different forms : the first, in the first masc. pl. form, whereas the second, in the first sing. form. Both phrases mean that the unbelievers are planning against Allah's religion, and Allah, the best of planners, is also planning against them in order to cause Islam to prevail;

Khatib (803) :

Difficulties in Translating coordination in Qur'anic verses

Part VI

By Dr. Maha Y. El Tagouri

Quality Assessment on the Syntactic level :

From the study and evaluation of the translations of most of the coordinators in 'Amma' Part on the syntactic level, the following points can be deduced :

FIRST : Repetition of coordinators is a common feature in the four translations except for Arberry's, and more or less for Khatib's, where it is less frequently used.

SECOND : Y. Ali's and Pickthall's repetition of coordinators, in addition to the explanatory notes in brackets which, as they believe, may resolve any ambiguity in meaning, often distract the reader and distort the communicative effect and the flow of language. Thus, what Pickthall and Y. Ali aim at is the formal and lexical meaning of coordinators at the expense of the functional and communicative grandeur of the SL text. This is due to their literal approach, disregarding any other features of the Qur'an.

We may, therefore, realize from the translations rendered by Pickthall and Y. Ali that they both sacrifice the functional and communicative effect of the source text for the sake of accuracy on the lexical and syntactic level. They even admit in the introduction of their versions that their translation of the lexical meaning of words has often led them to neglect the communicative value of the SL text. That is why they refrain from calling their 'translations' as such. Instead, however, they refer to them as "Meaning" or "Translation and Commentary."

THIRD : From the translations given by both Arberry and Khatib, we realize that, in most cases, they resort to the most appropriate

In following year to Al Hudaybiyya treaty, the Prophet (PBUH) together with the Muslims, for three days, performed their religious ceremonies (Al Umra), but only after the idolaters had withdrawn from Mecca, as agreed upon in the peace treaty. In the Holy Mosque, the Muslims freely performed their religious ceremonies and thanked Allah becase the Prophet's vision was fullfilled. Before moving to the next point, it is worthmentioning to say that many of the Qureish leaders, after Al Hudaybiyya treaty, had went to Medina to declare to the Prophet (PBUH) their conversion to Islam. Among those who declared their faith in Islam were Khaled Bin Al-Waleed and Amr Bin Al-Aas.

The conquest of Mecca, in fact, did not take place except two years after Al Hudaybiyya treaty when the Meccans broke the truce and violated its terms by launching attacks against the allies of the Muslims from the Khoza'a. Thus, the Prophet (PBUH) marched against them with an army of 10,000 Muslims. He headed to them and after a fight conquered it and since then Mecca fell under the domination of the Muslims and once again they restored their legal rights in the Ka'aba.

Talking about Al Hudaybiyya peace treaty we should not forget the Surah entitled "Victory," which was revealed to the Prophet (PBUH) on his way back to Medina. It was revealed, in fact, to strengthen the Muslims faith in Allah and assure them that His victory was coming soon as they would expect. This Surah refers to the swearing allegiance which took place at Hudaybiyya them to advance with him towards Mecca. It refers as well as to those Arabs who refused to join the Muslim army when the Prophet (PBUH) exhorted them to advance with him towards Mecca. It refers as well to the believers who obeyed Allah at the Hudaybiyya. Moreover, the same Surah tells us that the Prophet's vision was to be fulfilled the very next year. In this respect the Glorious Qur'an says :

لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾

"Truly did Allah fulfil the vision for His Messenger : Ye Shall enter the Sacred Mosque, if Allah wills, with minds secure, heads shaived, hair cut short, and without fear.

For He knew what ye knew not, and He granted besides this, a speedy victory." (Surat Al Fath (Victory): 27, Yusuf Ali P. 1335)

ved to the greatest victory that the Muslims he till then achieved. In fact, the Prophet (PBUH) was in favour of the treaty for he believed that any face to face confrontation against the Qureish in the Holy Month (Muharram), would incite greatly the other tribes to establish alliances with the Qureish in their struggle against the Muslims. Besides, Islam would have much greater opportunity to achieve with peace what cannot be achieved by bloodshed.

Thereafter, the events which occurred after the Hudaybiyya, proved beyond doubt, the correctness of the Prophet's inspiration, resolution and understanding of the problem. Al-Hudaybiyya peace treaty had numerous advantages and merits in favour of the Muslims and in favour of Islam.

After the peace treaty, the Qureish had ceased their bullying oppression of the weakest people in Mecca the Muslims were given the opportunity to live together in peace with the idolaters. And, thus, were able to convert a great number of idolaters to Islam. Moreover, the Qureish began to accept the Muslims as a new face to be reckoned within the Arabian peninsula; whereas before the Hudaybiyya, they had been considered only as a tribe rebelling against the religion of their fathers and grandfathers. In addition, the strong tribe of Khoza'a had quickly established an alliance with the Prophet, thus adding considerably to the strength of the Muslims.

After the Hudaybiyya peace treaty, the Prophet (PBUH) had devoted considerable time to the spread of Islam within the arabia peninsula. In addition, he had been able to subjugate those tribes who had in the past treated them in disdain as Bani Murra and Ghatafan. The Prophet (PBUH) had also been able to establish contacts with both kings and Emperors exhorting them to become Muslims and embrace Islam and warning them to beware of Allah's punishment.

In the meantime, the Prophet's (PBUH) in the seventh year of the Hijrah, led a campaign against the Jews of Khaybar, the stronghold of the Jewish tribes in both Arabia, which had become a hornet's rest of his enemies. He had besieged them and stormed their strongholds, thereby ridding the countries of the Arabs from their potential threats.

2. The Muslims are under a strict obligation to turn away any Qureishite who should come to the Muslims seeking to join them, while the Qureish are not under any such obligation to turn away any Muslim who takes the same course of action.
3. The Prophet (PBUH) must return home this year without having performed his religious ceremonies (Umra), but he will be allowed to perform them next year, taking into consideration that the Qureish will have to leave the city before Muhammad and his followers enter it. After that, the Muslims will spend only three days in the city, carrying no more than their swards.
4. Any one, other than the Querishities is permitted to establish an alliance with Qureish.

The Prophet (PBUH) thereupon accepted these conditions because he had been enabled to know in advance that, in the future this treaty would be beneficial to Islam. This peace treaty was written out in two copies, one for the Qureish and the other for the Muslims and it was confirmed by witnesses from both sides.

There was dismay among the Muslims at the terms of Al-Hudaybiyya and most of them felt frustrated for not fullfilling the Prophet's vision. The Muslims saw no victory in this treaty, but on the contrary they felt defeated and desperate. Hence, when the Prophet (PBUH) ordered the Muslims to shave their heads and slaughter their camels in order to absorbe themselves from the Umra, the Muslims did not comply with the Prophet's command because they were in such great despair. When the Prophet saw this he returned to his tent very sorrowful. But his wife, Um Salama, tried to make him relax and told him the only thing he had to do was to go out and commence doing what he considered to be the right thing to be done and all the Muslims, surely, would follow his leadership. No doubt, Um Salama had deep insight for when the Prophet (PBUH) did what she told him all the Muslims hastened to do the same as the Prophet.

Though the Muslims, at that time, considered the peace treaty to be a form of surrender for they were preparing themselves to attack Mecca and destroy the pagon domination over the Ka'aba, yet the treaty pro-

alarmed by the Muslim forces who were waiting at the gates of Mecca. Thus, they dispatched Makraz Bin Hafz, who was from Bani Amer Bin Luay, to negociate with the Prophet (PBUH) concerning his intentions. Later, Makras returned to the Qureish and told them exactly the same information the Prophet (PBUH) had previously said to Budail Bin Warqa'a Al-Khozai'i.

Once again, the terrified Qureish sent Orwa Ibn Masoud Al-Thaqafi the leader of (Al-Taef) to negociate with the Prophet (PBUH) and to convince him that he should not try to enter Mecca. The Qureish received the same answer from the Prophet (PBUH). At last, the Prophet (PBUH) decided to sent one of the Muslims to the Qureish to assure them that the Muslims had come only to visit the Mosque and not to fight. The Prophet (PBUH) chose Osman Bin Affan to perform this mission. He arranged with Osman to go and negociate with Abu Suffian and the rest of the Qureish leaders and endeavour to convince them that the Muslims had only come in peace to visit the Holy Mosque. Osman Bin Affan was accompanied by 10 men on his journey to Mecca.

Because Osman did not return immediately from Mecca, the Muslims thought that may be he had been killed. Thus, the Prophet (PBUH) gathered the Muslims together at a nearly tree[1] and exhated them to undertake to die, if need be for the sake of their cause. The Qureish became very alarmed after they had been informed of this pledge which the Muslims had taken on themselves. Consequently, they realised that the Muslims had become too strong to be attacked by them, and taking into consideration the terrible consequences that the former wars against the Muslims had had for them, they decided that they should have to make peace with the Prophet (PBUH). For these reasons, the Qureish sent Suhail Bin Amr to the Prophet (PBUH) to negociate with him the details concerning the settlement of peace and, for the time being, the suspension of military attacks between the two sides. The conditions of Al-Hudaybiyya truce were as follows :

1. Suspension of war between the Muslims and the Qureish for at least 4 years.

(1) It has been call the tree of (Al-Radwan) after the Muslims had swan allegiance around it.

The Prophet (PBUH) set out towards Mecca, accompanied by 1400 Muslims, however many Arab tribes refused to join him, because they were afraid and thought that the Qureish might be able to defeat them and then prevent them from returning to Medina. The Muslims drove before them the camels which were to be sacrificed to Allah and carried with them no weapons except their swards in their scabbards as the Prophet (PBUH) ordered them for they were heading to Mecca with peaceful intentions.

The Muslims continued their progress until they reached a place called (Zulhulaifa), there the Prophet (PBUH) slaughtered one of his camels and then he sent Otba Al Khozai'i to gather information about the Qureish. In the meantime, the Muslims resumed their progress until they reached a place called (Ossfan). At that time, Otba returned and told the Prophet (PBUH) that the Qureish had heard of the Prophet's imminent arrival and were preparing themselves to prevent him from reaching the Holy Mosque. Then later on, the Prophet (PBUH) came to know that a party of Qureishites, led by Khalid Bin Al-Waleed, were coming towards them. Consequently, the Prophet (PBUH) decided to lead another route in order to avoid any possible confrontation with the idolaters.

The Muslims went through a rough track until they reached a slope called (Hudaybiyya) below Mecca. It was at this time that Khaled Bin Al Waleed realised that the Muslim had gone by another route, so he hurried back to warn the Qureish concerning the Muslims move towards Mecca. Meanwhile, the Prophet (PBUH) led the Muslims to the end of the (Al-Hudaybiyya) track and ordered them to make their camp there.

After the Muslims had calmed down, the Prophet (PBUH) was approached by Budail Bin Warqa'a Al-Khozai'i leading a group of men from Khoza'a, to inform him that the intention of Querish is to fight the Muslims and prevent them from entering the Holy Mosque. The answer of the prophet (PBUH) was that the Muslims did not come to fight but only came to perform their religious ceremonies. The leaders of Qureish were not satisfied with the Prophet's answer for they were extremely

one but Allah Who always promised them victory against their enemies.

One day in Medina, the Prophet of Allah dream that he and his companions had entered the Holy Mosque in Mecca with their hair shaved or cut. The Prophet (P.B.U.H.) considered this vision an inspiration he had received directly from Allah inspiring him to visit Mecca. The Prophet (P.B.U.H.) saw this vision in the month of Zilqe'da, nineteen years after the revelation and six years after his emigration to Medina. In fact, during these six years following their emigration, the Muslims had been able to establish a firm foundation which had enabled them to discourage the Qureish from resorting to armed conflict. Also during these six years, the Muslims had undertaken many battles against the idolaters, the most important of which was the Battle of 'Badr' in addition to two other battles : 'Uhud' and 'Al-Khandaq' (the Trench). The Muslims had also fought another battles against the Arabs who had supported the Qureish as well as those who had betrayed them. They had as well driven out of their reigon, the Jews of Bani Qaynuqa'a and Bani Al-Nadeer after they had violated the peace treaty, Bani Quraiza, with the Muslims. In short, during these six years, the Muslims in Madina, had been able to lay down the strong bases for the indespread of Islam and they began to be fully equipped to safeguard their new religion at whatever expenses.

In the meantime, Muslims, all through these six years, had always been filled with a tremendous yearning to visit the Holy Mosque and perform the religious duties of the pilgrimage and the Umra (Lesser Pilgrimage). Henceforth, the Prophet (PBUH) decided, after he had seen the vision, to set out for Mecca in orde to perform the Umra, i.e. the circumambulation of the Ka'aba. He informed his companions and, also, those Arabs who were then living in the desert and around Medina, to go with him. By doing so, the Prophet (PBUH) wanted his followers to be witness to the attitude of the Qureish, in case they tried to prevent him from visiting the Holy Mosque; it was the intention of the Prophet (PBUH) as well to demonstrate to the Qureish that the Muslims had no intention of threatening the (Suks) which were the established trading centres of the Qureish pilgrimage ceremonies.

THE GREAT BATTLES OF ISLAM

4. Al Hudaybiyya Peace Treaty and The Conquest of Mecca

By Nahed Mohamed Wasfi Ph.D.

It is important for all people, Muslims and non-Muslims, to understand that Islam is the religion of peace and that it is neither imposed nor are they compelled to adopt it. This means that Muslims were not ordered to fight unless they were attacked for as Allah Almighty says :

وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

"Fight in the cause of Allah those Who fight you but do not transgress the limits, for Allah loveth not transgressors."

(Sourat : Al Baqarah : 190, 'Yusuf Ali P. 76)

It is clear from this verse that there is neither compulsion nor transgression in Islam except against the oppressors who harass to fight the Muslims. In other words, Muslim are ordered and ordained to fight, to defend themselves but they should not be transgressors for transgressors are hated by Allah.

Taking into consideration that Muslims were never transgressors, let's go back into Al Hudaybiyya peace treaty or shall we say Al-Hudaybiyya truce. In fact, this truce pared the way for the conquest of Mecca especially after the idolaters had breached and violated its terms. Thus, in order to clearly understand the real significance of Al Hudaybiyya truce and the necessity of conquering and opening Mecca, we should elaborately present the events that led to this truce or this treaty and later to the conquest of Mecca.

We all know that during their long struggle against the idolaters, Qureish had forcefully prevented the Muslims from visiting the Holy Mosque. All Muslims were longing for the day in which they would be able to enter Mecca and freely perform their religious duties, fearing no

AL-AZHAR MAGAZINF

ENGLISH SECTION

Jumada Al-Akhera 1416 H.

Vol. 68 part VI



الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

**"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."**

(Al Aʿraf 43)

الفهـرس

بيان من الأزهر الشريف

إلى رحمة الله - عز وجل - شهداء سفارتنا بباكستان

قد رأينا بأعيننا، وسمعت آذاننا بأ نسف سفارتنا بباكستان، ونسف أجساد خمسة عشر رجلا، وتشويه عشرات من موظفي السفارة من مصريين وباكستانيين دون ذنب جنوه .. أو خطأ يستحقون به النكال.

ترى أي إنسان هذا الذي يدفعه جبروته، ويتسلط عليه طغيانه، وتسول له نفس خلت من إنسانية البشر ووخز الضمير - أن يتحمل استجابة المولى - عز وجل - لدعوات منكوبي شهداء سفارتنا بباكستان. وهل يظن هذا الأثيم أن الله - تعالى - تخل عن مظلوم ..؟ حاش لله

فليستعد لعدل الله، عدله - تعالى - الذي يخشاه الأتقياء .. فكيف بهؤلاء الآثمين ..؟!

هل تستطيع أيديهم أن ترتفع إلى السماء تقول: يارب .. وقد قطعت وجه الأرض بالدماء ولوثت ظهرها بالمعاصي.

وأي بيت في مصر، وفي باكستان هذا الذي لم يشمئز من هذه الجناية .. ولم يشيعها باللعنات ..؟!

قتل أبرياء حملهم الناس قطعا شتى .. لو استطاعوا أن يغمروهم بدموعهم لفعلوا، فقد وقع بهم تشويه أشد وحشية من التمثيل.

التمثيل الذي نهى الله - تعالى - عنه في قتلى الأعداء: فما بال هذه الجريمة لاترعى لله - عز وجل - حرمة، ولاللإنسانية كرامة. وأي شرعة سهلت للجناة هذه الجريمة.

إنها ليست شرعة الله العادل .. ولا شرعة الإنسان المحدود .. إنها شرعة الشيطان، مدادها شؤم وقرطاسها ظلم، ودعواها جحود.

وأنتم أيها الشهداء لكم الله - عز وجل - لكم الله الذي يمهل ولايهمل.

اهنأوا - أيها الشهداء - بما لكم عند الله - تعالى.

باسم الأزهر الشريف بجميع هيئاته نستنكر هذا الحادث الإجرامي وندين كافة الأعمال التخريبية والإجرامية من هؤلاء الذين لاعهد لهم ولا ذمة، والذين خلت قلوبهم من الرحمة.

فهذه الأعمال لاتقرها شريعة من الشرائع السماوية ولا الأعراف البشرية السوية وهي تدل على وحشيتهم وتجردهم من الإنسانية والانفلات من كل القيم والعاطفة والأخلاق.

نسأل الله الرحمة لشهدائنا الأبرار، والشفاء العاجل للمصابين، والمواساة لأسر الشهداء ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم .. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكيل الأزهر نائبا عن فضيلة
الإمام الأكبر شيخ الأزهر



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور/ علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل عاصم خفاجة

المراسلات/ باسم مدير التحرير - الإدارة العامة بالأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٩٠٥٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩٠

الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

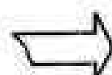
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

الشمس والهلال والنجم وموقعها من الإسلام

شاء الله - سبحانه وتعالى - أن يعيش الإنسان، وكثيرٌ مما خلق الله في جزء من الكون، يبادله النور والظلمة، ويتناوله الليل والنهار خِلْفَةً، وفي هذا الجزء من الكون الواقع في محيط الإنسان يراه ببصره، يستكشفه بمختلف ماتوصل إليه من إمكانيات، يعيش وإطار حياته شيئان: زمان ومكان، كلاهما بين نور وظلمة، وفق مشيئة إلهية حددت لكلٍّ وقتاً معلوماً عرفه الإنسان ونظم قوام حياته عليه.





قال ـ تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ سورة القصص

وعاش الإنسان ـ في البداية ـ على سطح محدود في هذا الجزء من الكون فعَمَرَهُ ، وقد « عَلَّمَهُ الله صنعة كل شيء »[1] ثم تزايد نسله ، واتسع عمرانه ، فاتخذ البيوت والقصور والحقول والبساتين ، وشق طرقاً لتنقلاته ، وجداول لمزارعه ، وبنى المدن ، واتخذ الأوطان ، وسعى لرزقه ، وحمل التجارة من أقصى الأرض إلى أقصاها ، وهو ـ في كل ذلك ـ مسترشد بآيات الله دليلًا يهديه السبيل كيلا يضل في تيه الأرض ، فكانت النجوم والقمر بأشكاله : هلالًا فبدراً فهلالًا فمحاقاً ، والشمس والحر والبرد ، كلٌّ دليل يعيش به أيامه ولياليه وسنواته . دليل يهديه الطريق ، ودليل يحسب عليه أمور حياته ، وعلى ذلك أرادها المولى ـ عز وجل ؛ فما أرادها آلهة تعبد ، وما جعل لها قوة تخلق ، ولا كان منها لله شريك ، ولا كان له منها ظهير . حاش لله .

قال ـ تعالى : ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل آية : ١٦] .

وأرشد المولى ـ عز وجل ـ خلقه إلى اتخاذ « علامات » يستدلون بها في طريقهم ، فكان منها الجبال ، ومنها البحار والأنهار ، ومنها ما اتخذه الإنسان نفسه من علامات ، وبخاصة في نهاره ، وكان القمر والنجوم دليلًا له في ليله . ومن رحمته ـ تعالى ـ أن جعل من هذه النجوم نجوماً ثوابت ، استقرت في مكانها من السماء ، فعرف الإنسان بها ـ في ظلام الليل ـ شرقه من غربه ، وشماله من جنوبه ، وكان للعرب ـ في جاهليتها ـ معرفة عجيبة بها وبأوقات بزوغها ... معرفة أدركت بها الصواب في رحلاتها ... تلك الرحلات التي كانت تستغرق الشهور المتتابعة .

كذلك كان القمر هادياً بنوره ـ وقت ينير ـ ليبصر به الإنسان طريقه ، ودليلًا حسابياً يفوق الشمس في تحديد الأيام والشهور بدوراته الفلكية : هلالًا فبدراً فهلالًا فمحاقاً ، لايحسر على مميز أمْرُهُ ، وليست كذلك الشمس المتشابهة السطوع والشروق والغروب في أكثر دوراتها .

وما النجوم والشمس والقمر والأفلاك جميعاً إلا خلق من خلق الله ، وآياته مسخرات بأمره ، خاضعة لحكمه ، ذلول لمشيئته ، تعيش ماعاشت منيرة ، ثم يأتيها القضاء فتفنى ، ويذهب مافيها من ضوء ، ثم تتلاشى هباء منثوراً . قال ـ تعالى :

﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ [المرسلات آية : ٨] .

(١) جزء من حديث صحيح رواه الطبري مرفوعاً حكماً موقوفاً لفظاً ، ورواه عبد الله بن أحمد بن حنبل مرفوعاً صراحة ـ انظر تفسير الطبري ٣٩٣/١ الحديث رقم ٥٣٧ ط المعارف تخريج أستاذنا : أحمد شاكر .

أى مُحقت أو استُؤْصِلَ نورها ، وذلك يوم القيامة .
والكواكب كذلك ، قال ـ تعالى :

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝ ﴾

[التكوير آية : ١ ، ٢] .

أى زال الضوء عنها . وفى ذلك الفناء ، وهو حكم المولى ـ عز وجل ـ على كل ماخلق .

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ ﴾

[آخر القصص] .

فأما مدة قيامها بأفلاكها ، منيرة بأجسادها ؛ فهى مسخرات بأمر الله لخدمة الإنسان هاديات له . قال ـ تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

[الأنعام آية : ٩٧] .

﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ﴾

[النحل آية : ١٢ ﴾ .

﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾

[يس آية : ٣٩] .

﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾

[الأنعام : ٩٦] .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾

[ابراهيم : ٣٣] .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

[فصلت : ٣٧] .

كل تلك الآيات الشريفات من كتاب ربنا ـ عز وجل ـ ، آيات مكيات ، تعلم منها أن قضاياها قد حُسمت فى مكة قبل هجرته ـ عليه الصلاة والسلام ـ ؛ فقضت قضاءاً مبرماً على كل عقيدة فاسدة اتخذت من الشمس والقمر ، أو النجوم آلهة تعبد ، أو رموز دينية تُقدَّس .

كل ذلك باطل ، إنما تلك أجرام سماوية أبدعها الخالق ، وسخرها للإنسان هادية له في ممشاه وأسفاره وتاريخه يستبين بها ليله ونهاره ، وأوقات مختلف حاجاته ، فلا (توتمية)(٢) في الإسلام ، تتخذ من مخلوقات ربنا ــ جل جلاله ــ رموزاً مقدسة لشيء ما ، ومن يفعل ذلك فقد أشرك ، والله ورسوله والمؤمنون بُرَآءُ منه ، وعلى نفسه جَنَى .

إنما هي علامات تهدى لوقت ، وترشد في المسير إلى مكان :

ولننظر في هذه الآثار لنرى تأكيداً لذلك :

١ ــ عن أبي بَصْرَة الغفاري ــ رضي الله عنه ــ قال :

صلى بنا رسول الله ﷺ العصر بـ « المُخَمَّص »(٣) .. وقال : « إن هذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فضيعوها ، ومن حافظ عليها كان له أجره مرتين ، ولا صلاة بعدها حتى يَطْلُعَ الشاهد ، والشاهد النجم(٤) .

والأعراب يسمون الكوكب شاهد الليل ، فقوله ــ عليه الصلاة والسلام : « حتى يطلع الشاهد » كناية عن غروب الشمس ، فبغروبها يظهر الشاهد فيحل وقت المغرب(٥) ، ومن هنا نعلم أن رسول الله ﷺ جعل ظهور النجم علامة على بداية الليل ، ليس إلا .

٢ ــ عن ابن عمر ــ رضي الله تعالى عنهما ــ قال : قال رسول الله ﷺ « صلاة الليل مثنى مثنى ، والوتر ركعة . قلت : أرأيت [أي يا رسول الله] إن غلبتني عيني ، أرأيت إن نمت ؟ قال : اجعل (أرأيت) عند ذلك النجم ، فرفعت رأسي فإذا السماك »(٦) .

قال ــ في (النهاية) : .. في حديث ابن عمر أنه نظر ، فإذا هو بالسِّماك ، فقال : قد دنا طلوع الفجر فَأَوْتَرَ بركعة .

السماك : نجم في السماء معروف . اهـ .

وهو سماك السماك الأعزل يطلع مع الفجر ؛ فالحديث الشريف يرشد فيه رسول الله ﷺ إلى

(٢) التوتمية عقيدة لها اتصال وثيق الثقافة بالرموز ، وهي رموز منها ماهو جماعي للقبيلة ، ومنها ماهو فردي تصطنع له طقوس معينة يمر بها الفرد في أحوال معيشية قاسية حتى يرى رؤيا يفسرها على أنها قد أرشدته إلى كائن ما ، فيصطنع لهذا الكائن رمزاً يُديم حمله ويُقدِّس له . راجع للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافي : التوتمية ــ الفصل الأول الكتاب رقم ١٩٤ . سلسلة (اقرأ) نشر دار المعارف القاهرة .

(٣) المخمص : اختلف فيه ، مكان هو أم طريق ، لم يرد في معجم البلدان ولا في النهاية لغريب الحديث ، وفي النسائي : أنه موضع معروف ، وفي رواية المسند ، أنه واد من أوديتهم ، وفي النووي على مسلم : اسم طريق .

(٤) رواه مسلم والنسائي وأحمد ، واللفظ ــ هنا ــ للنسائي ٢٥٩/١ .

(٥) راجع مسند أحمد ٣٩٧/٦ ط الميمنية ، وشارح النسائي الشيخ حسن محمد المسعودي بموضعه ٢٥٩/١ ط دار إحياء التراث العربي .

(٦) سنن ابن ماجه ٣٧١/١ الحديث رقم ١١٧٥ ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٧٢هـ .

قرب نهاية الليل بظهور هذا النجم ، وعرف ذلك ابن عمر - فأوتر بركعة عند ظهوره ليكون آخر صلاته من الليل وتراً .

٣ - وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : إن مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم فى السماء ، يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ، فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة »[٧] .

معلوم بلاغة أن (وجه الشبه) أقوى فى (المشبه به) منه فى المشبه ، ومنه يعلم موقع النجوم من الإسلام ، إنها ليست إلا علامات هداية للسائرين ، فأما من اقتبس منها علماً ، أو جعلها رمزاً لدين فقد ضل .

٤ - روى ابن عباس - رضى الله عنهما - قال ، قال النبى ﷺ : « من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر ، زاد مازاد »[٨] .

وقد رَدَّ عدىُّ بن أرطاة شهادة عَلَوِىّ كان يبصر فى النجوم[٩] .

ذلك أن السحر شِرْك ، وإنما كان البصر من هذا العلوى فى النجوم لمثل ذلك أو قريباً منه ، وفى الحديث الشريف عن الحسن البصرى ، **عن أبى هريرة - رضى الله عنه . قال ، قال رسول الله ﷺ : « من عقد عُقْدَةً ثم نَفَثَ فيها فقد سَحَرَ ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلَّق شيئاً وُكِلَ إليه »[١٠] .**

وما أشد الإصابة بقوله - ﷺ :

« ومن تعلق شيئاً وكل إليه » فإن العبارة صريحة فى أن من افتعل شيئاً فأحاطه برموز ليست من الدين فى شىء فقد عمد إلى طلب العون من غير الله - تعالى - وفى ذلك مافيه من الشرك باعتقاد أن له تأثيراً فيما يريد . نعوذ بالله من الشرك ظاهره وخفيه . **وفى الحديث عن جندب - رضى الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « حَدُّ الساحر ضربة بالسيف »[١١] .**

وما القمر ودوراته إلا علامات توقيت :

قال - تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٨٩] .

قال الإمام النسفى - رحمهُ الله عليه :

أى معالم يُوَقِّتُ بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومَحَالِّ ديونهم ، وصومهم وفطرهم ، وعدة نسائهم ، وأيام حيضهن ، ومدة حملهن ، وغير ذلك ، ومعالم للحج يُعرف بها وقته . اهـ .

---

(٧) رواه أحمد بالمسند ١٥٧/٣ ط الميمنية .

(٨) رواه أبو داود السجستانى فى سننه ٣٤١/٢ ، ٣٤٢ ط مصطفى الحلبى ١٣٧١ .

(٩) نفس المصدر ٥٥١/٢ .

(١٠) رواه النسائى بسننه ١١٢/٧ .

(١١) رواه الترمذى بالجامع الصحيح ٦٠/٤ ط مصطفى الحلبى ١٣٨٢هـ .

أنظر تفسيره للآية .

وفى الحديث الشريف :

١ - عن قيس بن طلق عن أبيه قال ، قال رسول الله ﷺ : « إن الله جعل هذه الأهلة مواقيت للناس »[١٢] .

٢ - وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال :

إن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقال : **« لاتصوموا حتى تروُا الهلال ، ولاتفطروا حتى تروه ؛ فإن غم عليكم فاقدروا له »[١٣]** .

والحديث قاطع فى الدلالة على مهمة الهلال فى هذا الدين .. إنه ليس إلا علامة يهتدى بها فى معرفة حساب الشهر ، أوله وآخره ، فهو مرشد حسابى إلى جانب نوره الهادى للسائرين .

وهذا رسول الله ﷺ ينفى أن تعبد أمته شمساً أو قمراً أو غيرهما ، أو تتخذ لذلك رمزاً ، إنما خشى على أمته عملاً لاتريد به وجه الله - تعالى - أو شهوة خفية تصرفها عن طاعته إلى حب ممارستها :

عن شداد بن أوس - رضى الله عنه - قال ، قال رسول الله ﷺ : « إن أخوف ما أخاف على أمتى الإشراك بالله ، أما إنى لست أقول : يعبدون شمساً ولا قمراً ، ولا وثناً ، ولكن أعمالاً لغير الله ، وشهوة خفية »[١٤] .

لقد كفر بالله من علق وجود شىء بنجم أو قمر أو غيرهما مما خلق - سبحانه - فى السموات والأرض ، معتبراً أن للنجم وغيره من تلك المخلوقات تأثيراً فى وجوده .

عن زيد بن خالد الجهنى قال :

صلى بنى رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية فى إثر السماء[١٥] ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم : قال : قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر ، فأما من قال : مُطِرْنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال : مُطِرْنا بنوء[١٦] كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب »[١٧] .

لقد سقنا من الآيات والآثار الشريفة مافيه الدلالة الواضحة على أن النجم أو غيره من شمس

(١٢) مسند أحمد ٤/٢٣ ط الميمنية .

(١٣) رواه البخارى ومسلم والنسائى ، واللفظ - هنا - للنسائى ٤/١٣٤ .

(١٤) سنن ابن ماجه ٢/١٤٠٦ الحديث رقم ٤٢٠٥ دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٢ .

(١٥) إثر السماء ، أى إثر مطر .

(١٦) النوء : سقوط نجم فجراً فى المغرب ، وطلوع آخر يقابله من ساعته بالمشرق ، قال الإمام النووى - بهامش صحيح مسلم : وكانت العرب [أى فى جاهليتها] تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى النوء .

(١٧) صحيح مسلم ١/٥٩ ط - التحرير - القاهرة ١٣٨٣هـ .

وقمر ليس رمزاً فى الإسلام لشىء ذى علاقة بالعقيدة مطلقاً ، بل لم يحدث ذلك بين المسلمين ، والحمد لله . فليس للإسلام رمز مادى إطلاقاً ، لاشمساً ولا هلالاً ولا غيرهما ، والقرآن الكريم والحديث الشريف شاهدا ذلك .

قال قتادة بن دعامة السدوسى ـ رحمه الله تعالى ـ فى قوله ـ سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾

[الملك : ٥] .

خلق هذه النجوم لثلاث : جعلها زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول بغير ذلك أخطأ ، وأضاع نصيبه ، وتكلف مالا علم له به »(١٨) .

وإذا قد فرغنا من هذا الجانب وبينا ماتعنيه الشمس والقمر والنجم فى ديننا الحنيف ، فلا بد من جولة تاريخية نتعرف من خلالها :

ماكان للراية ـ أعنى العَلَم ـ من رمز يمثله فى صدر الإسلام ، ثم نعرج إلى حديث نتبين منه : متى ظهر الهلال والنجم فى العلم ، وأعالى المآذن ، حتى يستبين لكل ذى علم حقيقةُ وضعهما ثَمَّتْ بأدلة علمية لايضرنا ـ بعد ـ من خالفها ، أو ادَّعى على الإسلام والمسلمين ماهم منه براء .

حدث أن تجهز المسلمون لغزو خيبر بسبب ما أقدم عليه يهودها من غدر بالإسلام والمسلمين ، فلما حَلَّ المسلمون بها فى المحرم سنة سبع من الهجرة وحدثت مناوشة وشىء من المبارزة بين رجال من المسلمين وآخرين من اليهود ، ولم يَتِمَّ فتح ـ أرسل رسول الله ﷺ بفرقة على رأسها أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ « برايته وكانت بيضاء .. إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل فرجع ، ولم يك فتح وقد جَهِدَ ، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ، ثم رجع ولم يك فتح وقد جهد ، فقال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفَرَّار ... فدعا رسولُ الله ﷺ علياً ـ رضوان الله عليه ... ثم قال : خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك »(١٩) .

فى هذا الخبر دلالتان :

أولاهما : أن الراية بيضاء لاتحمل نقشاً ما ؛ بل هى بيضاء خالصة .

ثانيهما : أن الراية حملها (قائد الحملة) ، فهى فى يده ، ثم فى يد القائد الذى تلاه وهكذا .

وفى صدر الإسلام أيضاً ، وفى العام الثامن من أعوام الهجرة ، نقضت قريش عهدها مع رسول الله ﷺ بإمدادها قبيلة بنى بكر بن عبد مناة بالسلاح حين اعتدت على قبيلة خزاعة أحلاف رسول الله ﷺ ، فوجب غزو قريش وفتح مكة ، ووفدت لذلك جموع من القبائل المسلمة بأعداد

(١٨) صحيح البخارى ١٨١/٢ ط الوهبية .

(١٩) سيرة النبى ﷺ لابن هشام ـ ٣٨٦/٣ ط دار التراث . القاهرة ـ وانظر صحيح البخارى ـ باب فضائل أصحاب النبى ﷺ ٢٥٨/٢ ـ الوهبية .

ضخمة إلى المدينة المنورة ، وحتى يتعارف أبناء كل قبيلة على جمعهم فى هذا الصعيد اتخذت كل قبيلة علماً مرشداً لها؛ فكان لمزينة علم ، ولسُلَيْم علم ، ولغِفَار علم ، ولطوائف من تميم ، ومن قيس ، ومن أسد لكل قبيلة علمها(٢٠) ؛ فكانت رايات القبائل تماثل تماماً رايات الأسلحة المختلفة فى الجيش الحديث ، والراية العظمى لرسول الله ﷺ تعتبر اللواء العام للجميع ، وقد روى البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ فى لونها فى هذه الغزوة أنها : « كانت سوداء مربعة من نمرة » أى من كساء ذى خطوط(٢١) .

هذا الخبر يوضح لنا :

أن الراية ، سواء كانت بيضاء أو سوداء ، لم تحمل رسماً لشىء ، وأن لونها يمكن تغييره من وقت لآخر .

وأن القبائل اتخذت (أعلاماً مرشدة) لجمع أفرادها . وهذه أو تلك تخلو من أى رسم كان .



وهنا ـ أيضاً ـ ينبغى أن نعرج إلى المآذن ، التى عرفت أول ماعرفت باسم « المنارات » نعرج إليها ؛ لأننا نراها من حولنا ينتهى أعلاها بقرطاس معدنى يحمل هلالاً ، وفى بعض البلاد الإسلامية يحمل هلالاً يحتضن نجماً ..

فهل يعنى ذلك أن الهلال رمز شرعى للعقيدة الإسلامية ..؟

لئن كان كذلك لوجب أن نراه ممثلاً فى صدر الإسلام فى شىء .. فى منارة (مئذنة) مسجد .

فى رسم على مصحف .

فى نقش على خاتم .

فى شعار على رداء ..... إلخ .

لكننا لانجد ذلك ، ولا التاريخ يحمله ، ولا أعداء الإسلام ـ فى صدر الإسلام ـ تحدثوا به .



لقد أراد رسول الله ﷺ المسجد بناءاً لازخرف فيه ، ولم يكن لمسجده ـ عليه الصلاة والسلام ـ منارة خصصت للأذان ، وقال ﷺ : « ما أمرت بتشييد المساجد » أى بتزيينها(٢٢) .

قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل :

(٢٠) أنظر : السيرة النبوية ـ لابن كثير ـ ٥٥٢/٣ وما بعدها ط : عيسى البابى الحلبى ١٣٨٥هـ

(٢١) مسند أحمد ٢٩٧/٤ . وانظر المعجم الوسيط فى التعريف بالنمرة .

(٢٢) أحمد بن حنبل ـ الورع . ص ١٨٣ تحقيق د/ زينب القاروط . دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ١٤٠٣/١٩٨٣ ورواه أبوداود بسنده .

« قد سألوا رسول الله ﷺ أن يَكْحَلَ المسجد ، قال : لا ، عريش كعريش موسى » أى سألوا رسول الله ﷺ أن يطلى المسجد ، فلم يرخص بذلك[٢٣] .

ورأى عثمان ـ رضى الله عنه ـ أُتْرُجة فى قبلة المسجد فأمر بها فكسرت[٢٤] .

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما : « لتزخرفنها كما زخرفتها اليهود والنصارى »[٢٥] يعنى المساجد .

ولا لبس هنا فى هذه النصوص ، ولا فى دلالتها ، وإن من أول ماتنفيه أن يكون بالمسجد ، أو مكان الأذان نجم أو قمر . أو أى شىء غيرهما .

● ● ●

والنهى عن تحلية المصاحف معروف ـ فى وضوح ـ من نص أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ حيث يقول : « إذا حليتم مصاحفكم ، وزخرفتم مساجدكم ، فعليكم الدبار » أى (الهلاك) ولم توجد الزخارف لدى الصدر الأول .

● ● ●

واتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضة نقش عليه عبارة « محمد رسول الله » فى ثلاثة أسطر : « محمد » سطر ، « ورسول » سطر ، « والله » سطر »[٢٧] .

قال أنس بن مالك ـ رضى الله عنه : لما أراد النبى ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له : إنهم لن يقرءوا كتابك إذا لم يكن مختوماً ، فاتخذ خاتماً من فضة ونقشه : محمد رسول الله »[٢٨] .

● ● ●

وجدير بالذكر أن أول مسجد بنيت له منارة (مئذنة) كان جامع البصرة ، بناها زياد بن أبية عامل معاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله عنهما ـ وذلك سنة خمس وأربعين من الهجرة ، وخمس وستين وستمائة ميلادية ولم يرتفع فوق هذه المئذنة هلال أو نجم .

كذلك بنيت أربع صوامع للأذان بمسجد عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ بمصر من عام سبعة وأربعين إلى اثنين وستين من الهجرة (٦٦٧ ـ ٦٨١م) لم تحمل بدورها شيئاً من هذا القبيل . كانت الصوامع أضخم من المنارات ، ثم امتزج الطرازان فظهرت المئذنة ، وتعتبر مئذنة جامع عقبة

(٢٣) نفس المرجع من الطبعة الأولى ص ١٠٧ .
(٢٤) نفس المرجع من الطبعة الأولى ص ١٠٧ .
(٢٥) سنن أبى داود ١٠٦/١ ط مصطفى البابى الحلبى ١٣٧١ .
(٢٦) نفس المرجع ص ١٠٦ .
(٢٧) صحيح البخارى ٣٢/٤ ط الوهبية .
(٢٨) صحيح البخارى ٣٢/٤ ط الوهبية .

أقدم المآذن الباقية إلى اليوم بـه القيروان » أنشأها بشر بن صفوان عامل بنى أمية على « القيروان » فيما بين سنتى (١٠٥ و١٠٩هـ ـ ٧٢٤ ـ ٧٢٩م) ولانجد فى شكلها الذى حرص مؤرخو العمارة على توصيفه ـ أدنى إشارة لنجم أو هلال بأعلاها .

وفى مصر ـ فى العصر الفاطمى ـ ظهرت المئذنة ذات ثلاث الشرفات يعلوها (جوسق) شبيه بكرسى صغير ، ثم توج المعمارى المئذنة بقبة زخرفية صغيرة ، أو بكرة فى هيئة الصمامة[٢٩] .

وتسير ـ ببطء ـ مع التاريخ ـ حتى إذا كانت سنة ٦٠٩ هـ تسع وستمائة من الهجرة وجدنا مئذنة الجامع الكبير بصنعاء ـ باليمن ـ قد أعيد بناؤها فى عهد الأمير «علم الدين بن وردسار» فوضع بأعلاها نموذجا لسفينة صغيرة[٣٠] ، ومثلها وضع ـ أيضاً ـ على قبة الإمام الشافعى بالقاهرة ، كذلك ظهرت السفينة بأعلى مئذنة الجامع الطولونى بالقاهرة عصر «السلطان لاجين السيفى» عام ٦٩٦ ستة وتسعين وستمائة من الهجرة[٣١] .

ثم عمد المعمارى المسلم ـ بالمغرب ـ إلى المئذنة فأعلاها بعُمُدٍ حديدية تُبَثُّ بها بعض الكرات المختلفة الأحجام ، وفى قمة المئذنة وضع عامودا من حديد ترفع به راية بيضاء فى أوقات الصلاة[٣٢] .

إن الحقيقة تملى علينا عدم وجود أهلة فوق المساجد حتى عام ١٠٩ من الهجرة ، دليل ذلك مئذنة القيروان ، والأمر كذلك حتى عصر الدولة الفاطمية بمصر ، يقول السيد / أحمد رجب محمد علىّ المدرس بقسم الآثار الإسلامية ـ كلية الآثار الإسلامية ـ جامعة القاهرة :

« تعد قمة مئذنة الجيوشى فوق جبل المقطم ، والتى ترجع إلى عصر الدولة الفاطمية ٤٨٧ هـ أقدم قمة وصلتنا فى عمارة المئذنة المصرية فى مدينة القاهرة وهى متوجة بقبة لا يعلوها هلال »[٣٣] إننا لا نستطيع حتى مجرد افتراض أن الأهلة أو النجوم ذات رمز دينى فى الإسلام ، فهاهو القرآن الكريم والسنة النبوية لا يشيران إلى ذلك ، ولايدلان عليه ، ونحن نتحدى من يدعى ذلك على الإسلام .

ولقد وجدت الأهلة والنجوم على منسوجات لا يمكن أن يرسم عليها رسوم ذات طابع دينى أو تشير إليه من قريب أو بعيد ، فقد وجدناها تظهر على «السراويل» ولا يمكن أن يتخيل مسلم أن يجرؤ مسلم على تصوير رمز دينى على هذا اللون من الملابس ، ولو كان الهلال رمزاً دينياً لكانت كسوة الكعبة أولى باحتوائه فى منسوجاتها ، ولم تشتمل كسوة الكعبة على أهلة أو نجوم فى أى عصر من العصور ، وظهور الأهلة فى المآذن فى العصر المملوكى دليل آخر على انفصام ظهورها عن أى رمز دينى للإسلام[٣٤] ، وإلا فكيف يتأخر ظهور رمز للإسلام عن حياة المسلمين مدى ستة قرون لا يعرفون خلالها .

(٢٩) راجع د/ حسين مؤنس : المساجد من سلسلة (عالم المعرفة) الكتاب رقم ٣٧ إصدار المجلس الوطنى بالكويت .
(٣٠) راجع : أحمد رجب محمد على ـ الهلال فوق المئذنة مجلة الأزهر عدد ذى القعدة ١٩٩٥ ص ١٤٩٤ .
(٣١) راجع مجلة الأزهر نفس العدد ص ١٤٩٤ .
(٣٢) راجع مجلة الأزهر نفس العدد ص ١٤٩٤ .
(٣٣) نفس المرجع ص ١٤٩٣ .
(٣٤) نفس المرجع عدد ذى الحجة ١٤١٥ ص ١٦٢٩ . وانظر عدد ذى القعدة ١٤١٥ ص ١٤٩٤ .

إنه لينبغى أيضاً لفت النظر إلى آلاف المساجد فى العالم الإسلامى التى لا تحمل مآذنها أهلة على الإطلاق ، فهى إما على شكل مخروط ، أو منتهية بقبة صغيرة ، أو ذات خوذة على هيئة المبخرة .. أفلا يجدر بمدعى أن الهلال رمز دينى فى الإسلام أن يلتزم العلم والإنصاف ، فيرى فى وجود الهلال فى هذه العصور مايراه دارسو الآثار الإسلامية ، فيُقِرُّ أنه شكل جمالى رآه المعمارى قمة جمالية يتوج بها المئذنة[٣٥] .

● ● ●

ثم لقد اتخذ الهلال ، والنجم شعاراً فى أعلام دول كثيرة ، والحق يقال : إن الأعلام حملت إلى جانب النجم والهلال حيوانات أيضاً ، فكل من : إثيوبيا وإيران وبوتان وسيلان حملت أعلامها ـ يوما ـ صورة حيوان : أسد أو ثعبان أو غيرهما : وهى لا تمثل معبوداً فى هذه البلاد إنما تمثل رمزاً للقوة . واختيار رسم العَلَم فى الدول جميعا يرجع إلى (أعراف) وحوادث بعينها وعادات أكثر منه رمزاً لديانة ، وأكثر من اتخذ رمزاً لديانة بعض دول الغرب كـ «إيسلندا» و «النرويج» و «اليونان» و «استراليا» و «نيوزيلندا» و «دومينكا» و «بنما» و «جامايكا» حيث تحمل أعلام هذه الدول الصليب بصورة واضحة ، بينما حمل عَلَمُ الولايات المتحدة أكثر من خمسين نجما يمثل كل منها ولاية من ولايات الاتحاد ، كذلك وتجد الهلال على عَلَم «سنغافورة» كما تجد شكلا يمثله تماما بعلم قبرص . وهما دولتان غير إسلاميتين[٣٦] .

وإذا لفتنا النظر إلى احتمال أن تغير دولة صورة علمها ، وذلك وقع لدول كثيرة ومنها (مصر) التى كان يحمل علمها يوما هلالا وثلاثة نجوم ، ثم تغير إلى ما هو عليه حالياً ، أمكننا أن نقول : إن الهلال عامة فى أية دولة ليس رمزاً دينيا على الإطلاق .

هذه قصة الهلال نسوقها عِلْماً وثقافةً والله الهادى إلى سواء السبيل .

د. على أحمد الخطيب

---

(٣٥) نفس المرجع عدد ذى القعدة ص ١٤٩٣ .

(٣٦) راجع فى (الأعلام) الأطلس العربى ـ وزارة التربية والتعليم / جمهورية مصر العربية ط ثالثة ١٣٨٨ / ١٩٦٨ ص ٣ ، ٤ .

بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج

نداء وبيان عن القدس من الأزهر الشريف إلى الأمة الإسلامية

قال الله سبحانه :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الإسراء : ١ .

هذه فلسطين التى اغتصبتها الصهيونية ، وطردت أهلها العرب المسلمين والمسيحيين .

هذه القدس التى شرفت بإسراء الرسول محمد ﷺ إليها مصليا فى مسجدها .. إماما لرسل الله وأنبيائه ، ثم كان معراجه منها إلى حيث كرمه الله ، فأراه من آياته الكبرى .

هذه مأساة المسجد الأقصى ومسجد القبة المشرفة ..

أنها قضية كل مسلم على وجه الأرض ، وليست قضية العرب وحدهم .. وإن كان عليهم عبؤها .

إن العمل من أجل حماية القدس ، ومسجدها الأقصى ، وكل آثارها الإسلامية ، وأهلها ، فريضة قطعية على كافة الدول والشعوب الإسلامية .

إن مسجدها ثالث الحرمين الشريفين .. تشد إليه الرحال فأين نحن المسلمين مما يجرى فى القدس ؟!

أين نحن المسلمين مما يراد بالمسجد الأقصى .. وقبة الصخرة والآثار الإسلامية .. والاعتداء المستمر على هذا الحرم ؟!

أين نحن من هؤلاء البغاة الطغاة الذين استمرأوا صمت المسلمين وقعودهم عن حماية مقدساتهم ؟!

ألم يأن لنا أن نجمع الشمل ، ونجمع على أمر ننقذ به أرضنا ونحمى به عرضنا ؟

نعم .. آن الأوان لتجميع الصفوف وتوحيد الكلمة . وجمع شمل الأمة الإسلامية .

آن الأوان لأن نعرف العدو من الصديق ، وأن نتصادق ونتآخى بدلا من الصراع والخلاف ، وأن نتصافى ونتعاضد بدلا من التباغض والتباعد والاختلاف . آن الأوان لنراجع المواقف التى أدت بنا إلى الخسران وأوقعتنا فى المهالك . آن الأوان لننظر إلى حراس المسجد الأقصى ، وما يقاسونه فى

سبيل الدفاع عنه بأجسادهم ، فقد جُرِّدوا من كل سلاح ، مع أن عدوهم قد تزود بكل الأسلحة المهلكة ، وأخسها : الغدر والخيانة .

أين المساعدات لهؤلاء الحراس حتى يقيموا البنيان ويصدوا العدوان ؟!

ألا نحمى ذمارنا ، ألا ندافع عن حوزتنا وإخوتنا الذين قال قائلهم : إن وطنهم الآن حقائبهم .

ألا ننهض معهم حتى يستردوا قدسهم وأرضهم ؟!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٣ ﴾ سورة الصف

أيها المسلمون :

إنكم أهل نجدة وشهامة وأهل عزة وكرامة :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (سورة المنافقون : ٨)فاستعينوا بالله وأجمعوا أمركم ورأيكم ولا تختلفوا .. فقد جرّت الخلافات على الأمة الإسلامية فى ماضيها المآسى التى ضاعت بسببها الأوطان .. وتمزق الكيان ، ونجح الأعداء فى تفريق الصفوف ، وإذكاء الفتن ما ظهر منها وما بطن ..

تحاوروا وتشاوروا .. فإن رسول الله ﷺ وهو المؤيد من ربه شاور أصحابه ، ونزل على رأيهم فى كثير من الواقعات نزولا على حكم الله : ﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾ (سورة آل عمران : ١٥٩) «والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه» ..

« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

أليس هذا من وصايا رسول الله ﷺ .

فما بالنا نتصايح بالشرور وعظائم الأمور فيما بيننا .. ولا نتنادى إلى الدفاع عن قدسنا ومقدساتنا ووحدتنا !!.

ثم ما بالنا نصمت وأجزاء من جسد المسلمين تبتر ، وأرضهم تسلب ، ومقدساتهم تنتهك ؟!

ما بال المسلمين لم يفيقوا لما يراد بهم ؟!

استمعوا لنداء الله فى كتابه :

﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤١ ﴾ سورة التوبة

شيخ الأزهر الشريف

(جادالحق على جادالحق)

فتوى للإمام الأكبر في حكم

إزالة الزوج بكارة زوجته بغير الوطء الفعلي وآثاره

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

وبعـد :

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة (عن طريق الفاكس) من السيد م . ن جاء فيها :

لقد تقدم لابنتي البالغة من العمر تسعة عشر عاما دكتور جراحة يبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عاما ، وعقد عليها ودخل بها وظل معها ستة أسابيع ، ولكنه به عيب شرعي ، حيث إنه لم يتمكن من إزالة بكارتها بالعضو الشرعي ، ولكنه أزالها بشيء ما ، ولذلك نرجو بيان حكم الشرع في هذه القضية ، وما على هذا الزوج من واجبات ، وما للزوجة من حقوق وهذا مختصر ما حدث :

ليلة الدخلة حصل لابنتي نزيف كاد أن يودى بحياتها ، الأهل أصروا على أخذ البنت للمستشفى ، ولكن الزوج مانع وقال : هذا شيء طبيعي ، الأهل لايدرون السبب والابنة لاتقول ما حصل ، والزوج مضطرب وفي حالة ارتباك . توقف النزيف ، وعاد ثانية ومانع - أيضا - ذهابها للدكتورة ، مع أن حالتها الصحية كانت تتدهور يوما بعد يوم ، رفض علاجها ، ورفض أن تأخذها للعلاج ، فما كان من الأهل إلا أن أخذوها لعيادة الدكتورة ، ليعلموا ما سبب النزيف ، قالت الدكتورة : إن هذا النزيف غير طبيعي ويجب تحويل البنت لإخصائية لمعرفة أسباب النزيف الأول ، عند ذلك جن جنونه وقال للأهل ألا تعلموا لو صدر تقرير من الإخصائية سوف يشهروا باسمي في الجرائد والمجلات وأخسر عملي ؟ تعجبنا من أقواله ، وسألناه هل فعلت شيئا يستوجب ذلك قال : لا ، وأصر على عدم ذهاب زوجته للإخصائية وقال : أنا أعالجها بنفسي ولم يفعل شيئا ، وبعد أسبوع اتصلت البنت بأهلها وطلبت حضورهم وصرحت لهم بأنه ليلة الدخلة لم يستطع أن يزيل بكارتها بالعضو الشرعي ، ولكنه أزاله بشيء ما وكان الألم شديدا ، وهذا ماسبب النزيف وأنها رأت الدم على أصابعه وتحت أظافره ، وطوال المدة التي عاشاها معا لم

يستطع القيام بواجباته الزوجية إطلاقا ، وبعد كلامها هذا أخذناها إلى الإخصائية وكشفت عليها وقالت : مازال أثر الجروح موجودا وأن التزيف حصل يدويا أو بأداة ما ، وليس بالعضو التناسلي .

ومع هذا الفاكس تقرير الإخصائية ، وتقرير آخر عن تحليل الدم يؤكد فقدانها لكمية من الدم تسببت إصابتها بالأنيميا ـ وجزاكم الله خيرا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

المرسل

م . ن

والجـــواب

إن البكارة لغة : عذرة الأنثى وهى الجلدة التى تعلو قُبُل المرأة[1]

والبكر من النساء اصطلاحا وصف لامرأة لم تجامع بنكاح ولا بغيره .

والأصل والمشروع أن تزول بكارة المرأة بالوطء ، أى بالمباشرة التناسلية بين الرجل وزوجته فى محل الحرث وهو القبل ، وعندئذ تعتبر المرأة مدخولا بها حقيقة .

أما فض البكارة بغير الجماع ، ولغير ضرورة فهو من البدع المنكرة التى تخالف المقصود شرعا من الزواج ، وهى من المنكرات لما يترتب على هذا الفعل من ضرر نفسى وبدنى ، وخروج عن الود والرحمة ، والتشبه بحال الجاهلين ، والنبى ﷺ قال : (لاضرر ولاضرار) .

وإذا كان الحال كما ورد بالسؤال على النحو المشار إليه من فض البكارة بغير المباشرة التناسلية الطبيعية ، كان هذا العمل غير مشروع ، وفى الفقه الحنفى أنه مكروه ويعزر الزوج ، وفى الفقه المالكى أنه حرام ويؤدب الزوج .

ثم إن رفض الزوج علاج زوجته مما أحدثه بها بغير الطريق المشروع وامتناعه عن علاجها ومداواتها طبيا حرام ، إذ فى هذا تعريضها للهلاك ، وقد نهى الله ـ تعالى ـ فى القرآن عن هذا فى قوله ـ تعالى ـ فى سورة البقرة :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[2] .

ولقد أمر رسول الله ﷺ بالتداوى ، فعن أسامة بن شريك قال : (جاء أعرابى فقال يارسول الله أنتداوى ؟ قال : نعم فإن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء ، علمه من علمه ، وجهله من جهله)[3] .

(١) لسان العرب والمصباح المنير مادة (بكر) .

(٢) من الآية رقم ١٩٥ .

(٣) رواه الإمام أحمد .

وفى حديث شريف آخر (قالت الأعراب يا رسول الله ألا نتداوى قال : نعم عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو دواء إلا داء واحد فقالوا : يا رسول الله وما هو ؟ قال الهرم)[4]

أما عما على هذا الزوج لهذه الزوجة :

فإن ما فعله هذا الزوج على هذا الوجه المشروح فى السؤال - بافتراض وقوعه - مكروه على النحو المشار إليه آنفا ، ولا يعتبر سببا مباشرا لفسخ عقد الزواج ، وعلى الزوج أن يتوب إلى الله ، وعليه مصروفات علاج ما أحدثه بزوجته من أضرار وأكدار فى ليلة دخوله بها ، وهى ليلة ينتظرها كل عروسين ، وينبغى على الأهل أن يصلحوا بينهما ، فقد يكون قد فعل ذلك رهبة لموقف يواجهه .

وإذا لم يكن قد وصل إليها بالمخالطة التناسلية الشرعية مدة عشرتها له فهى بكر حقيقة وحكما ، ولا أثر لزوال بكارتها بما ذكر ونحوه ، على محل البكارة ، وهذا عند الحنفية والمالكية والحنابلة والقول الأصح عند الشافعية ، والقول الثانى للشافعية ، وهو قول أبى يوسف ومحمد بن الحسن أن البكر فى مثل هذه الحال صارت بهذا الفعل ثيبا حقيقة[5] .

وعلى هذه الأقوال جميعها فقد تأكدت لها كافة حقوق الزوجة من كامل الصداق واستحقاق النفقة مالم يثبت امتناعها عن القرار فى مسكن الزوجية بدون حق مشروع .

وإذْ كان ذلك :

كان هذا الزوج مرتكبا لعمل منكر وبِدْعِى غير مشروع يدخل فى دائرة المكروه فى قول الفقه الحنفى ، وفى دائرة المحرم فى قول الفقه المالكى ، وهو أى الزوج مُلزم شرعا بإصلاح ما أفسده ، أى بمصروفات العلاج والدواء والطبيب حتى ينتهى العلاج ونزولا عند قول الله - تعالى - فى سورة النساء :

﴿ .. وَالصُّلْحُ خَيْرٌ .. ﴾[6] .

يجرى الحديث فى الصلح والتجاوز عما حدث ، فإذا لم يتم هذا فالاتفاق على وسيلة رضائية لما تنتهى إليه هذه العلاقة الزوجية فإذا لم يكن فاللجوء إلى القضاء وله إجراءاته .

وهذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

شيخ الأزهــر

جاد الحق على جاد الحق

(4) رواه ابن ماجه وأبو داود والترمذى وصححه - نيل الأوطار للشوكانى جـ ٨ ص ٢٠٠ .

(5) حاشية الدسوقى على الشرح الكبير جـ ٢ ص ٢٢٣ ، والمغنى لابن قدامة جـ ٦ ص ٤٩٥ وكشاف القناع جـ ٥ ص ٤٧ ، وشرح منهاج الطالبين جـ ٣ ص ٢٢٣ ، وحاشية ابن عابدين جـ ٢ ص ٣٠٢ وفتح القدير جـ ٣ ص ١٦٩ ، وتبين الحقائق وحاشية الاتقانى عليه جـ ٢ ص ١٢٠ .

(6) من الآية رقم ١٢٨ .

إسلام الدين

وحدة إيمان .. وإخاء إنسانى

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومى

قال تعالى : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعًا وَكَرۡهًا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾ آل عمران ـ ٨٣

ونحن إذ نستعرض مفهومية الدين ، نود حصر مسمى الدين فى نطاق الأديان التى أنزلت كتبها من السماء (دين أهل الكتاب) المستندة إلى الوحى السماوى ، وهى التى تتخذ معبودا واحدا ، هو الخالق المهيمن على كل شىء ، فالديانة الطبيعية المستندة إلى محض فلسفات العقل والديانات الخرافية التى هى وليدة الخيالات والأوهام ، وكل ديانة تقوم هى أو جانب منها على عبادة التماثيل ، أو عبادة الحيوانات ، أو النباتات أو الكواكب ، أو الجن ، أو الملائكة .. الخ تخرج بمقتضى هذا الحصر عن أن تكون دينا صحيحا .

أما الأديان السماوية فإنها « شرعة إلهية » لها كل ما للإلهيات من ثبات الحق الذى لا تبديل لكلماته ، وصرامة الصدق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم هى فوق ذلك « منحة كريمة » تصل إلى حامليها وسفرائها عفوا بلا كدح ولا تعب ، وتغمرهم من نورها فى فترات خاطفة ، كلمح البصر أو هو أقرب ، ثم هى تعين العقل على تخطى ظلمات المادة ، وإذا التقى العقل والوحى على أمر فقد اتصلت مشاعل الليل بضوء النهار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء .

وكل دين وافتنا به السماء فهو إسلام لرب العالمين ، ودين القيّمة ، لذلك كانت كلمة الدين لا تجمع ولا تؤنث انما يتمايز دين السماء عن دين العقل إما بوصفه بالحق أو الباطل ، فيقال : « دين حق » أو « دين باطل » لكن السماء اصطفت له وصفا لا يداخلنا فيه شك أو التباس ، وإذا ما ذكر اتجهنا إلى السماء وهو : « الإسلام » تقدم تلك الكلمة على أن إسلام الدين هو إسلام الوجه لله رب العالمين .

١ ـ الفقه اللغوى للدين :

إن كلمة « الدين » عند العرب تشير إلى علاقة

* بحث دعت إليه الجمعية القومية التركية ـ اليونسكو برئاسة أوليس اربك فى جمادى الأول ١٤١٦/اكتوبر ١٩٩٥ ، استانبول .

بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له . فإذا وصف بها « الطرف الأول » كانت خضوعا وانقيادا ، وإذا وصف بها « الطرف الثانى » كانت أمرا وسلطانا ، وحكما وإلزاما ، وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هى الدستور المنظم لتلك العلاقة ، أو المظهر الذى يعبر عنها .

يقول د. دراز[1] : إن معنى اللزوم فى الدين هو المحور الذى تدور عليه كلمة الدِّين بفتح الدال . والفرق بين الدين بالفتح ، والدِّين بالكسر هو أن أحدهما يتضمن فى الأصل إلزاما ماليا ، والآخر يقتضى إلزاما أدبيا .

ويقول د. دراز : ونحن نعرف من سنن اللغة العربية فى تصاريفها أنها حين تريد التفرقة بين الحسيات والمعنويات من جنس واحد قد تكتفى بتغيير يسير فى شكل الكلمة مع إبقاء مادتها كما هى مثل : « العِوج والعَوج و الخَلق ، والخُلق و الرؤية ، والرؤيا و الكِبَر ، والكُبْر .

وهكذا يظهر لنا جليا أن هذه المادة ـ بكل معانيها ـ أصيلة فى اللغة العربية . وإن ظن بعض المستشرقين أنها دخيلة ، معربة عن العبريـة والفارسية ، فى كل استعمالاتها ، أو فى أكثرها ـ بعيد كل البعد . ولعلها نزعة شعوبية تريد تجريد العرب من كل فضيلة حتى فضيلة البيان التى هى أعز مفاخرهم .

أما المتدين فانه يؤمن بهذه الصلة إلى حد أنه يجعلها جزءا حيويا من كيانه النفسى ، ولذلك نراه كلما حزبته حاجاته وتعسرت عليه رغباته . تطلع إلى روح أشد قوة ، يلتمس منها تلك الحاجات والرغبات .

يقول محمد فريد وجدى[2] : نعم يستحيل أن تلاشى فكرة التدين ؛ لأنها أرق ميول وأكرم عواطفها(*) ، ناهيك بميل يرفع رأس الإنسان ، بل إن هذا الميل سيزداد . ففطرة التدين ستلاحق الإنسان مادام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح ، وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه .

إن الذين يتشككون فى الدين . لم يكن مبرر التشكيك مفهوما ، ولم يكن شكا منهجيا علميا قائما على درس الخيارات والبدائل المختلفة .

إن الدين ساحته دائما بريئة ، وعلى الذين يتشككون فيه أن يوجهوا سهام تشكيكهم إلى ما لديهم من خلط وقعوا فيه ، فهم يحسبون عادات ـ أفرزتها عصور التخلف ـ دينا .

إن موقف هؤلاء المتشككين الذين لا يحسنون الظن بدينهم ليس بمقبول ؛ بل إنه فى كثير من الأحيان ليس بمفهوم ، ولكن الموقف فى عمومه تمرد على المجتمع وقيمه .

صحيح أن الدين المتمثل فى علمائه ـــ بعضهم ارتبط فى بعض الأحيان بسلطات زمنية وذلك من الحوادث الاستثنائية فى التاريخ ـــ وليس قاعدة ـــ فتخلى فى كثير من الأحيان عن رسالته فى توجيه المجتمع ثقافيا ، والعزل عن الواقع ليتقوقع فى أطر ضيقة بحكم موجة التخلف التى عمت المجتمع بما فيه المراكز الدينية ، ولكن الدين لم يشترك فى

(1) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ٢٧ ، ٣٢ .

(2) دائرة معارف القرن العشرين مادة « دين » .

(*) كذا فى الأصل ، ولعل العبارة ـ والله أعلم : نعم ، يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين من النفس لأنها أرق ميولها وأكرم عواطفها ... إلخ .

مؤامرة ضد المجتمع والناس ، إننا إذا كنا نملك لحظات مضيئة فى عصور الظلام فذلك عندما كان الدين يستعيد دوره ، ويتبنى رسالة تحرير المجتمع فى مواجهة تدخل خارجى أو فساد داخلى .

من الذى وقف فى وجه الاستعمار ؟ إنه الدين المتمثل فى علمائه . كان الدين دائما موجودا ، وسيظل فى لحظات المواجهة يُخطِّئ هؤلاء الذين يوجهون إليه أصبع الاتهام .

إنه قيمة أصيلة وليس تقليدا رجعيا ، إنه لغة الفطرة ومسيرة كدح دؤوب ، تجدها أى الفطرة فى وجدانك ، إذا أزحت عنه غشاوة الغفلة وحاجب الطغيان ، وذلك هو الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

٣ ـ كلمة اسلام ومعناها القرآنى : وحده كلمة الله :

إذا تتبعنا كلمة « إسلام » بمعناها القرآنى وجدنا أنها العلاقة الرابطة بين دين الإسلام وبين سائر الأديان السماوية . فالإسلام فى لغة القرآن ليس اسما لدين خاص . وإنما هو اسم للدين المشترك الذى هتف به كل الأنبياء ، وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء ، هكذا نرى نوحا يقول لقومه : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ سورة يونس . ويعقوب يوصى بنيه : ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ سورة البقرة . وأبناء يعقوب يجيبون أباهم : ﴿ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ سورة البقرة . وموسى يقول لقومه : ﴿ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴾ سورة يونس .

والحواريون يقولون لعيسى : ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران . بل إن فريقا من أهل الكتاب حين سمعوا القرآن : ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾ القصص .

يقول د. دراز : نرى اسم الإسلام شعارا عاما يدور فى القرآن على ألسنة الأنبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصر النبوة المحمدية ، ثم نرى القرآن يجمع هذه القضايا كلها فى قضية واحدة يوجهها إلى قوم محمد ، ويبين لهم فيها أنه لم يشرع لهم دينا جديدا ، وإنما هو دين الأنبياء من قبلهم :

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ الشورى .

ثم نراه بعد أن يسرد سيرة الأنبياء وأتباعهم ينظمهم فى سلك واحد ، ويجعل منهم جميعا أمة واحدة لها إله واحد كما لها شريعة واحدة :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ سورة الأنبياء

ليس الإسلام اجترار الماضى وعبادة السلف إنه رؤية دائما إلى الأمام . إن الله لم يجعل أعيننا فى قفانا حتى ننظر إلى الوراء بل جعلها فى مقدمة رءوسنا حتى نسير دوما إلى الامام .

وهناك فرق شاسع بين الماضى الأصيل والماضى بما هو ماض مرفوض . الأصيل منه ضرورى لأننا بدون الأصالة نغدو مقلدين .

٤ ـ الإسلام إيمان بوحدة الوحى الإلهى :

لا يعد الإسلام نفسه دينا جديدا فى مقابل دين

أهل الكتاب بمجرد أنه ـ تاريخيا ـ جاء بعده ؛ بل يرى نفسه إكمالا وتصحيحا للدين إلى الوحدانية المطلقة التى وصى بها إبراهيم بنيه من بعده كما نصت على ذلك آيات كثيرة منها آية الشورى ١٣

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾

وفق ذلك المبدأ التى قررته تلك الآية الكريمة نجد أن الاسلام يبنى صرحه على ذات أسس دين أهل الكتاب مشيدا بأنبياء الله معترفا ومؤكدا بجوهرها فهى ـ إذ أنزلت ـ من وحى واحد .

٥ ـ الإسلام إيمان بوحدة الرسل :

قال تعالى :

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ سورة آل عمران

بذا نستطيع أن نتفهم موقف الإسلام باعتبار أن الإيمان بالرسل والأنبياء والكتب وحدة داخلة فى صميم إيمان المسلم ، وأن إيمانه قائم على تسليم الوجه لله وبوحدة كتبه المنزلة ورسله . فالإسلام يعنى اتصاف المسلم بتلك المعانى الإيمانية :

● إسلام الوجه لله رب العالمين .

● إسلام العبد أموره لله .

● التزام بالأصول التى يؤمن بها اليهودى والمسيحى فى التوراة والإنجيل المنزلين وهى :

* وجود مخلوقات غير مرئية لنا ـ الملائكة ـ (عالم الغيب والشهادة)

* نزول كتب سماوية على بعض الأنبياء .

* إرسال الله رسله وأنبياءه إلى الأمم .

* القيامة والبعث يوم الحساب .

* القضاء والقدر .

بذلك يكون لفظ « مسلم » ينطوى من حيث إطلاقه على الأصول الإيمانية للأديان السماوية .

فالمسلم ـ فى اللغة العربية والبيان القرآنى ـ هو الذى أسلم نفسه لله رب العالمين ؛ فالإسلام من أجل ذلك ليس دينا محمديا ، ولكنه دين التسليم بإرادة الله .

إن التسليم بقضاء الله الملموح فى خضوع نبى الله إبراهيم وابنه نبى الله إسماعيل للابتلاء العظيم ، كان متمثلا فى التضحية فى كلمة « أسلم » قال تعالى :

﴿ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى الْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ ﴾ سورة الصافات

من هنا نستطيع القول بأن الاسلام لا تتركز مبادؤه فى شخصية الرسول ﷺ فيقال : الدين المحمدى .. نسبة إليه وإنما يمثله كتاب ، هذا الكتاب هو القرآن الكريم .

والقرآن فى لغة العرب : القراءة . أما فى الإسلام فإن القرآن هو كلام الله المدون فى المصاحف ، قديم غير مخلوق ، قال ـ تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الواقعة

● والإسلام نفسه طريقة حياة أكثر من كونه طريقة فى التفكير .

● إن الإسلام ـ فى صيغته المكتوبة أعنى القرآن ـ قد برهن على أنه وحدة طبيعية : من الحب والقوة ، المتسامى والواقعى ، الروحى والبشرى .

● إن موقف الإسلام « الوسط » يمكن إدراكه من خلال حقيقة إن الإسلام كان دائما موضع هجوم من الجانبين المتعارضين : الدين والعلم .

فمن جانب الدين اتهم الإسلام بأنه أكثر لصوقا بالطبيعة والواقع مما يجب ، وأنه متكيف مع الحياة الدنيا ، ومن جانب العلم أنه ينطوى على عناصر دينيه وغيبية .

لذلك كان الإسلام هو الاسم الذى يطلق على الوحدة بين الروح والمادة ؛ وهو الصيغة الأسمى للإنسان نفسه ، وهو أيضا الصيغة المثلى لاكتمال الحياة الفاضلة .

واكتمال الحياة تكمن عندما تشتمل على كل من الرغبات الحسية والأشواق الروحية للكائن البشرى ، وترجع كل الإخفاقات الإنسانية لإنكار الدين إلى الذين تجتاحهم الرغبات المادية الجامحة وينكرون فى سبيلها ــ تبجحا ــ الدين وقيم الحياة الفاضلة ، وكذلك إلى الذين ابتدعوا من عند أنفسهم فلسفات روحية تنكر الاحتياجات المادية لحياة الإنسان ، وفى هذا يكمن المعنى النهائى للإسلام الذى يدعو إلى التوازن بين الجانبين المادى والروحى .

● بهذا يكون الاسلام تسمية لمنهج أكثر من كونه حلا جاهزا .

● ولذلك كان من غير الممكن التعبير عن الإسلام دون استخدام المصطلحات الإسلامية مثل : صلاة وزكاة وخليفة وجماعة ووضوء وغير ذلك من مصطلحات لا يوجد ما يقابلها فى المعنى فى اللغات الأوربية .

● إن الإسلام لم يكن مجرد أمة إنما ــ هو فى حقيقته دائما ــ دعوة إلى أمة « تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر » .

● كذلك يعنى الإسلام بالدعوة إلى خلق إنسان متسق مع روحه وبدنه ، ومجتمع تحافظ قوانينه ومؤسساته الاجتماعية والاقتصادية على هذا الاتساق ولا تنتهكه .

إن الإسلام هو ــ وينبغى أن يظل كذلك ــ البحث الدائم عبر التاريخ عن حالة التوازن « الجوانى والبرانى » . هذا هو هدف الإسلام وهو واجبه التاريخى المقدر له فى المستقبل .

وفى ذلك تأكيد على أن كلمة إسلام إذا ما أطلقت لا تعنى دينا لأمة خاصة ، ولا دينا لبلد بعينه ، ولا دينا يناسب زمنا واحدا . إنما تعنى دينا يتفق مع كل مكان وزمان ، ويصلح لكل قوم ، ولكل حال من أحوال المدنية .

٦ ــ إسلام الدين وعى حضارى :

إن أول ما أوحى إلى النبى ﷺ : سورة العلق كانت أذانا ينادى الإنسان إلى طلب العلم : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ سورة العلق

فى ضوء هذا نفهم أن المسلم العاقل يفكر فى الله وفى خلق الله ، يذكر الله قياما وقعودا ، ويتفكر فى خلق الله السموات والأرض ، يسعى إلى الموضوعية ، ولا يميل إلى الهوى يدفع الشك بالدليل واليقين . هذه الدعوة إلى العلم ساقها الله باستعداد المسلم لاستخدام عقله ، ولقد شهد التاريخ الحضارى على أن الغرب لم يرث الأصول الحضارية ، وإنما الشرق الاسلامى هو الذى ورثها وبعثها وطورها ، وكان الازدهار الحضارى الإسلامى يؤكد على أنه كلما اشتد الوعى الدينى

والاستناره صارت الحاجة إلى العلم أقوى وألزم .

أما ما يشاع فى العصر الحديث ـ وهو زعم الفلسفات المادية : أن الدين يعتبر فى « عصر العلوم الطبيعية صورة متواترة للتخلف العقلى وعجز الإنسان عن حل مشكلاته ، أو التغلب عليها هى فكرة أوربية مادية محدودة الأفق .

وكان هذا مبررا كافيا إلى الدعوة إلى جعل العلم إسلاميا ، ونبذ النمط الغربى جانبا ، والهدف من مصطلح « العلم الإسلامى » هو العلم الذى تسيطر عليه الروح الإسلامية التى تحترم القيم والأخلاق الحميدة .

وكان التاريخ شاهدا على أن عصر الإسلام الحضارى لم يشهد مفكرا مسلما أو متنورا ذا مكانة ما قد تحدى علنا وحدانية الله أو نبوة رسل الله أو قداسة الكتب السماوية المنزلة أو البعث (يوم القيامة) ولم يدع أحد منهم إلى قول : أن الله قد مات .. كما افترضت الحضارة الحديثة على لسان نيتشه .

كان العرب قبل مجىء الإسلام بدوا متناثرين هنا وهنالك .. حتى إنه لم تكن هناك وحدة سياسية أو نظاما اجتماعيا ، بالمعنى الصحيح للكلمة ، فضلا عن المعرفة .

كان عدد الذين يكتبون ويقرأون فى الجزيرة العربية يعد على أصابع اليدين ، ثم جاء الإسلام ليبنى لهم كيانا واحدا ، وولدت حضارة كاملة على أرض البدو ، وحتى بالنسبة للأمم المتحضرة التى دخلت الإسلام كالفرس ، فإن التاريخ لا يذكر لنا أسماء نوابغ قبل الإسلام إلا فى نطاق ضيق جدا كـ « بزرجمهر » فى مقابل مئات الأسماء بعد الإسلام .

إذن كان من الحق ، ومن المنطق أن نشهد فى العالم الإسلامى حركة تدعونا إلى التمسك بهذا الدين لا بالثورة عليه .

إن أى مسلم تال للقرآن يمكن أن يرى بوضوح رأى الدين وتشجيعه للبحث والعلم .

لم تكن هناك مشكلة على الصعيد النظرى .

المشكلة كانت فى مكان آخر ، هو أن المسلم لم يعد يتفاعل مع الدين .

إن إسلام الدين يقضى علينا ، أن نمسح عن فكرنا الصدأ والغبار الذى علاه طوال قرون التخلف والانحطاط .

ونتجاوز تلك الفئة الرجعية التى تعرض الإسلام بشكل تقليدى وهامشى وتاريخى وذهنى بحت .

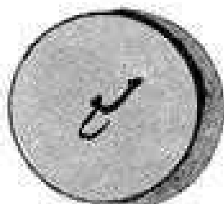
ونتجاوز أيضا تلك الأخرى المتغربة التى ضيعت ذاتها وهويتها ، ثم بعد ذلك علينا أن نحرر ذاتنا من الضياع والانهزامية والسلبية ، ومن الاغترار بالأمجاد التاريخية ، ومن الإحساس بالعجز والضعف واللاثقة ، ومن أحلام اليقظة والجدليات العقيمة ، ومن ثقافة التبرير ، وتقديس الواقع وعدم الجدية .

● نحن بحاجة للتحرر من النظرة الهامشية للدين .

● إننا بحاجة لتحرير نظرتنا للدين من سجن الهوامش إلى فضاء الشهادة الحية على الحياة .

● إننا إذا حررنا نظرتنا للدين من هذه الرؤى السلبية فسوف نغدو بالدين نافعين للحياة .

هذا هو دور الدين فى الحياة . هذا هو الإسلام الذى يجب أن نرجع إليه شهادة حية على الحياة ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ سورة البقرة (١٤٣)



أ.د/ ابراهيم خميس

قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾

وقال مجاهد : المراد بقوله ﴿ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ اللوح المحفوظ ، وقال بعضهم : يراد به القرآن ، وهذا ضعيف لمخالفته السياق ، وقيل : المراد به صحف الملائكة ، وهذا مردود لأن ذلك ذكر فى قوله : ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا ﴾ فيكون تكرارا .

ومن أهم ما يدل عليه قوله ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ أن من سن فى الإسلام سنة حسنة كان له أجرها ، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، وأن من سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ، ووزر من عمل بها بعده إلى يوم القيامة ، روى مسلم عن جرير بن عبد الله البجلى ـ رضى الله عنه ـ ، أن رسول الله ﷺ قال : « من سن فى الإسلام سنة حسنة كان له أجرها ، وأجر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ، ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً » .

وقد لا ينقطع أجر الإنسان على عمل عمله قبل موته ، بل يستمر أجره إلى يوم القيامة ، روى مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له ، أو صدقة جارية من بعده » .

قصة أصحاب القرية

قبل الكلام عن تحليل النص القرآنى يحسن أن نذكر كلمة مجملة عن قصص القرآن الكريم .

والقصة فى القرآن وسيلة من وسائله الكثيرة إلى أغراضه الدينية .

ويمتاز قصص القرآن بسمو الغاية وشرف المقصد ، تتهذب به النفوس وتجمل الطباع ، وتنتشر به الحكمة ، ويشتمل على طرق في التربية .

وتساق القصة أحياناً مساق الحوار - كما في قصتنا هذه - وطورا مسلك الحكمة والاعتبار ، وتارة مذهب التخويف والإنذار . كما حوى كثيرا من تاريخ الرسل مع أقوامهم ، والشعوب مع حكامهم ، وشرح أخبار قوم هدوا فمكن الله لهم في الأرض ، وأقوام ضلوا فساءت حالهم وخربت ديارهم ، ووقع عليهم العذاب والنكال . يضرب بسيرهم المثل ويدعو الناس إلى العظة والتدبر .

كل هذا قصه الله - تعالى - في قول بين وأسلوب حكيم ولفظ رائع وافتنان عجيب ليدل الناس على الخلق الكريم ويدعوهم إلى الايمان الصحيح ويرشدهم إلى العلم النافع بأحسن بيان وأقوم سبيل وليكون مثلهم الأعلى فيما يسلكون من طرق التعليم ، ونبراسهم فيما يصطنعون من وسائل الإرشاد .

وقد اشتملت قصة أصحاب القرية على حوار بين الرسل وأقوامهم . والحوار عنصر هام في القصص القرآني نراه واضحاً في كثير منها .

وفائدة الحوار أنه يضفي على الموقف قوة وبراعة ويجسم القصة كأن الانسان يسمع ويرى .

وبعد هذه الكلمة المجملة عن القصة في القرآن الكريم أبدأ في شرح النص وتحليله .

المناسبة :

بينت الآيات السابقة أن الانذار لا ينفع من كان في علم الله أنه لايؤمن . وبينت هذه القصة حالة قوم من هؤلاء جاءهم ثلاثة رسل ولم يؤمنوا وصبر الرسل على الإيذاء والقتل ، وأنت يا محمد جئتهم واحداً وقومك أكثر من قوم هؤلاء الثلاثة فإنهم جاءوا قرية ، وأنت بعثت إلى العالم

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾

هو عطف على مقدر يفهم من سياق الكلام أى فأنذرهم واضرب لهم مثلا . والمعنى اجعل أصحاب القرية مثلا لهؤلاء في الغلو في الكفر والإصرار على التكذيب وطبق حالهم بحالهم .

معاني المثل :

ذكر اللغويون أن للمثل ثلاثة معان :

أحدها : المثيل والشبه والشبيه .

ثانيا : القول السائر الذى شبه مضربه بمورده .

ثالثها : القصة العجيبة والحالة الغريبة وهو المراد هنا . أى اذكر وبين لهم قصة هى في الغرابة كالمثل ، وقد ذكر القرآن القرية ولم يسمها : قال ابن عباس وعكرمة وبريدة . القرية « انطاكية » . وهى تقع شمال سورية على ساحل البحر الأحمر .

والمرسلون الذين جاءوا تلك القرية لم تبين الآية أسماءهم . وأكثر المفسرين على أنهم من قبل عيسى عليه السلام من حوارييه . أرسلهم لنشر دعوته .

وإنما قال « إذ جاءها » ولم يقل إذ جاءهم إشارة إلى أن المرسلين أتوهم في مقرهم .

قال قتادة وغيره : هم رسل عيسى من الحواريين بعثهم ليبلغوا دعوته حين رفع إلى السماء

﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ .

هذا الكلام تفصيل وبيان لعدد المرسلين وأنهم ثلاثة . ومعنى « فعززنا » فقوينا وقرىء « فعززنا » بتخفيف الزاى ومعناها فغلبنا .

وجاء فى القصة : أن عيسى أرسل اثنين ، هما : « صادق » و « صدوق » إلى أهل تلك القرية ثم بعث ثالثا ، هو : « شمعون » فأخبر الثلاثة : أهل القرية أنهم مرسلون من قبل عيسى يدعونهم إلى عبادة الإله الواحد وترك ما هم عليه من عبادة الأصنام وإنما أسند الإرسال إلى الله لأن عيسى أرسلهم بأمر الله .

القول الصحيح فى المراد بالرسل وبالقرية :

إن أكثر المفسرين يقولون : إن القرية هى « أنطاكية » وأن الرسل من قبل عيسى ـ عليه السلام ـ ومن حوارييه وعلى الرغم من كثرة القائلين بذلك فإن القول الصحيح الذى أقرره هنا أن هذه القرية غير معروفة وأهلها كذلك . وهذا الذى أقرره يتمشى مع النص القرآنى فهو لم يذكر اسم القرية ولا من هم أصحابها ولم يذكر أن الرسل أرسلهم عيسى بل ذكر أن الله هو الذى أرسل الرسل وقول أهل القرية « ما أنتم إلا بشر مثلنا » يرجح أنهم رسل من قبل الله ـ تعالى ـ وأنها محاورة إنما تقال لمن أوتى الرسالة من الله ـ تعالى .

قال بعض المفسرين :

ولم يذكر القرآن من هم أصحاب القرية ولا ما هى القرية . وقد اختلفت الروايات ولا طائل وراء الجرى مع هذه الروايات .

وعدم إفصاح القرآن عنها دليل على أن تحديد اسمها أو موضعها لا يزيد شيئاً فى دلالة القصة وإيحائها ، ومن ثم أغفل التحديد ومضى إلى صميم العبرة ولبابها .

فهى قرية أرسل الله إليها رسولين ، كما أرسل موسى وهارون أخاه ـ عليهما السلام ـ إلى فرعون وملئه فكذبهما أهل تلك القرية ؛ فعززهما الله برسول ثالث يؤكد أنه وأنهما رسل من عند الله ، وتقدموا ثلاثتهم بدعواهم ودعوتهم من جديد فقالوا « إنا إليكم مرسلون » .

وقال ابن كثير ج ٦ ص ٥٥٩ .

وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هى « أنطاكية » وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلا من عند المسيح ـ عليه السلام ـ كما نص عليه قتادة وغيره وهو الذى لم يذكر عن واحد من متأخرى المفسرين غيره . ثم ذكر أدلة ترد هذا القول وتبطله :

الدليل الأول :

أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله ـ عز وجل ـ لا من جهة المسيح .

كما قال الله تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ .. إلى أن قالوا : ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح ـ عليه السلام ـ ، والله أعلم « ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا » إن أنتم إلا بشر مثلنا « .

الدليل الثانى :

ان أهل « أنطاكية » آمنوا برسل المسيح إليهم وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح ـ عليه السلام ـ فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت فأهل هذه القرية قد ذكر الله ـ تعالى ـ أنهم كذبوا رسله ، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم فالله أعلم .

الدليل الثالث :

ان قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح

بعد نزول التوراة . وقد ذكر أبو سعيد الخدرى وغير واحد من السلف أن الله تعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم .

ويتبين من هذا أن هذه القرية المذكورة فى القرآن الكريم قرية أخرى غير أنطاكية .

موقف الكفار من الرسل وتكذيبهم إياهم :

ثلاث اعتراضات وجهها أصحاب القرية لرسلهم :

الاعتراض الأول :

« قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا » :

كذب أهل القرية الرسل بحجة أنهم بشر والبشرية تنافى الرسالة ـ فى زعمهم ـ وقد قالوا ذلك رداً على الرسل الثلاثة مكذبين لهم ومنكرين أن يكون البشر رسلا لأنهم والحالة هذه لا مزية لهم عليهم . وهذا منطق غريب وموقف عجيب من أصحاب القرية إذ أنكروا أن يكون الرسول بشراً ولم ينكروا أن يكون الإله حجراً . وإنكار بشرية الرسل من أصحاب القرية منطق مكرور مع كل الرسل من أقوامهم فهؤلاء قوم هود ـ عليه السلام ـ يقول بعضهم لبعض ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾ المؤمنون : ٣٤ ، وقوم صالح ـ عليه السلام ـ يقولون ما حكاه القرآن عنهم ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ۞ أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ القمر : ٢٤ ، ٢٥ وفى سورة التغابن يقول الله حاكيا أقوام الرسل لرسلهم ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ﴾ الآية ٦ وقال تعالى : ﴿ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ إبراهيم : ١٠ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ الإسراء : ٩٤ . إن هذا الاعتراض المتكرر على بشرية الرسل تبدوا فيه سذاجة التصور والإدراك . والجهل بوظيفة الرسل . واعتراضهم هذا مبنى على اعتقادهم أن يكون هناك سر غامض فى شخصية الرسول ، مع أن الألغاز والأسرار ليست ملازمة للنبوة والرسالة ، وإن كان هناك سر غامض فإنه يتمثل فى حقيقة إبداع إنسان من هؤلاء البشر : الاستعداد اللدنى الذى يتلقى به الوحى من السماء حين يختاره الله لتلقى هذا الوحى ، وهذه الميزة هى التى يتفوق بها الرسل على سائر البشر ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ الأنعام : ١٢٤ .

ثم هو بعد هذه الميزة فيه كل صفات البشر من أكل وشرب ومشى فى الأسواق ونحو ذلك وقد أمر الله رسوله محمدا ﷺ أن يقول لقومه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ فصلت : ٦ . ثم إن الرسول يقتدى به قومه ولا تتحقق القدوة ولا تكون إلا إذا كان بشرا . لأنه النموذج الذى يدعو قومه إلى الاقتداء به ، وهم بشر .

من أجل هذا كانت حياة الرسول ﷺ مكشوفة لأنظار أمته . وقد سجل القرآن الكريم حياته كلها بتفصيلاتها وأحداثها حتى خطرات قلبه فى بعض الأحيان وذلك لتطلع عليها الأجيال كلها إلى قيام الساعة .

الاعتراض الثانى :

﴿ وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ ﴾ .

والمعنى وما أنزل الرحمن عليهم شيئا من الوحي وقد بين الله ـ تعالى ـ أن اليهود حين أنكروا الرسالات لم يقدروا الله حق قدره ولم يعظموه حق تعظيمه . قال ـ تعالى :

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ﴾ وكيف ينكرون الوحي والرسالات وهم معترفون بإنزال التوراة على موسى ـ عليه السلام . ولذا كان رد الله عليهم ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ الأنعام : ٩١ . وأهل هذه القرية على طريقة هؤلاء اليهود .

وخص أهل القرية « الرحمن » بالذكر دون سائر أسمائه ـ تعالى ـ لزعمهم أن الرحمة تأبى إنزال الوحي لأن الوحي يقتضي ـ حسب زعمهم ـ بعدم التكليف لما فيه من المشقة ، وقولهم : ﴿ وما أنزل الرحمن من شيء ﴾ توحي باعترافهم بوجود الله لكنهم ينكرون الرسالة ويعبدون الأصنام لتقربهم إلى الله .

قال تعالى في سورة الزمر :

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ .

الاعتراض الثالث :

﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾ .

أي قد صار الكذب عادة لكم . والتعبير بالمضارع « تكذبون » دون كاذبون للدلالة على التجدد ، وأن الكذب ديدنهم وخلقهم ، وهذه الجملة الأخيرة « إن أنتم إلا تكذبون » نتيجة لما قصده من الجملتين السابقتين .

رد الرسل على الشبه الموجهة إليهم وثقتهم بربهم وبيان وظيفتهم :

﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ۝ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ .

يرد الرسل على أهل القرية المكذبين لهم في ثقة المطمئن إلى صدقه ، العارف بحدود وظيفته ، بقوله : ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ أي : الله يعلم أنا رسله إليكم ، ولو كنا كذبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام ، ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار ، وفي معنى هذا جاء قوله تعالى : ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ ﴾ العنكبوت

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝ ﴾ سورة الصافات

وقد جاء قوله تعالى : ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ متضمنا للقسم في قولهم : **ربنا يعلم** وكأن الرسل يقولون للمكذبين كفانا أن الله يعلم أنا قمنا بوظيفتنا ، وتضمن من المؤكدات غير القسم « إن » واللام ، واسمية الجملة بخلاف قولهم أولا : ﴿ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾ فقد جاء أقل تأكيداً . فما سر ذلك ؟

السبب في الجملة الأولى : ابتداء إخبار ، فلم تحتج إلى كثرة المؤكدات . أما الثانية : فهي رد على إنكار شديد من أهل القرية فكانت هذه المؤكدات .

وأهل البيان يقولون يجب زيادة المؤكدات في الجملة الخبرية بحسب تزايد الانكار من السامع فلهذا قال الرسول أولا : **إنا إليكم مرسلون** مقتصرين على إن ، وثانيا : « ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون » مجموعا بين إن واللام وما يجرى مجرى

القسم ولا يخفى أن اليمين بعد إظهار البينة وإفحام الخصم مؤكد قوى .

وفى قولهم ﴿ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ .

بيان لوظيفتهم التى هى البلاغ ، أما تصديق الناس أو تكذيبهم ، فخارج عن وظيفة الرسل والمعنى : إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم ولا يجب علينا إلا تبليغ الرسالة كما أوحى الله بها إلينا ، لا نزيد فيها ولا ننقص منها . وقد جاءت آيات كثيرة تقصر وظيفة الرسل على البلاغ منها قوله تعالى : ﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ المائدة : ٩٩ . وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ سورة الرعد ٤٠ فالأمر — بعد التبليغ البين الواضح — لله رب العالمين .

تشاؤم أهل القرية بالرسل وتهديدهم لهم :

﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٨ ﴾ .

إن المكذبين الضالين لا يطيقون وجود الدعاة إلى الهدى ، فتأخذهم العزة بالإثم ويعمدون إلى العنف والتهديد فى مقاومة الحجة . لأن الباطل يضيق صدره بالحق ، فيلجأ إلى الشتم والوعيد الشديد .

والمعنى : قال الكفار لما ضاقت بهم الحيل : « **إنا تطيرنا بكم** » أى تشاءمنا بكم . وهذا ديدن الجهلة ، حيث يتيمنون ويتفاءلون بكل ما يوافق شهواتهم ، وإن جلب لهم كل شر مما يكرهونه من إصابة ضر إن لم يؤمنوا ، فكانوا ينفرون عنه . قال مقاتل : إنه حبس عنهم المطر ، وقال غيره أسرع فيهم الجذام عند تكذيبهم الرسل — عليهم السلام ، وقال « ابن عطية » إن تطير هؤلاء كان بسبب ما دخل فيهم من اختلاف الكلمة وافتتان الناس ، والله أعلم بمراده من كلامه .

﴿ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

هذا تهديد من أهل القرية لرسلهم . والمعنى : لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه من الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك لنقتلنكم رجماً بالحجارة . وقال « مجاهد » لنشتمنكم .

وفى المراد من قوله « عذاب أليم » أقوال كثيرة قيل : هو التعذيب المؤلم ، فيجمع لهم بين الرجم والتعذيب ، أو هو من باب ذكر العام بعد الخاص وقيل : هو نوع خاص من العذاب يكون قبل القتل كالسلخ والقطع والصلب ، وقيل : هو عذاب لا يقادر قدره لا تنتهى به الحياة ويتمنون معه الموت وهكذا حين يكشر الباطل عن أنيابه ويسفر عن غشمه ويطلق على الدعاة الهداة تهديده ، ويبغى فى وجه كلمة الحق فيعربد فى التعبير والتفكير وهذا شأنه فى كل زمان وفى كل مكان .

نظرات قرآنية

الإقناع العقلى فى رسالة إبراهيم

٢

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

ذكرتُ فى المقال السابق أن دعوة رسل الله ـ عليهم السلام ـ قبل إبراهيم كانت ذات إقناع عقلى وتأييد برهانى بالدليل المشاهد ، والفكر المستقيم ، وأريد أن أثبت أن دعوة أبى الأنبياء سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ بلغت ذروة الإقناع الصائب ؛ إذ كان من الحجة الساطعة والدليل المطمئن فى الموضع الراجح ، والموقف الواثق .

وصلة إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالإسلام مما لا جدال فيه ، فقد قال الله ـ عز وجل :

﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] .

وقال عزّ من قائل :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2] .

وسيدنا رسول الله ﷺ يذكر فى حديث الإسراء : « أنه رأى موسى وعيسى وإبراهيم فكان خليل الله أقرب شبهاً به عليهما الصلاة والسلام »[3] ، وإذا كان ـ عليه السلام ـ يعنى الشبه الصورى فى ملامح الوجه واستواء الجسم فإن هذا الشبه يمتد إلى أصول الدعوة الإسلامية ، إذ أن دعوته ﷺ ، إلى الحنيفية السمحة تجديداً لدعوة أبيه إبراهيم ، وقد اختص أبو الأنبياء بين الرسل قاطبة بالصلاة عليه باسمه فى الصلوات الخمس عن تلاوة التحيات المباركات ، أما الأنبياء الآخرون فقد شملتهم عبارة (وآل إبراهيم) إذ هم إليه ينتسبون .

الدليل المطمئن

لعلّ أبلغ ما يتضح من سيرة إبراهيم فى دعوته الهادية ، اعتقاده الراسخ فيما يدعو إليه ، واشتغاله الدائب بما يطمئن قلبه فى اعتقاده الإيمانى ، فقد آمن أبو الأنبياء بالبعث عن يقين ، ولكنه مع إيمانه

(١) الحج : ٧٨ .

(٢) آل عمران : ٦٧ .

(٣) رواه مسلم .

الجازم طلب الدليل المحسوس فقال لربه : أرنى كيف تحى الموتى ؟ ويقول المفسرون إن خليل الرحمن قال : كيف تحى الموتى ؟ ولم يقل : هل تحى الموتى ، والسؤال بهل ، غير السؤال بكيف إذ أن السؤال بها تسليم بالإحياء بدءاً ، وطلب للكيفية فحسب ، ولا كذلك السؤال بهل ، فهو يعطى صورة التردد لا الجزم وقد قال له ربه أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبى : فالعمل على هذا الاطمئنان الأكيد يراه خليل الرحمن تثبيتاً لقلبه ، وتأكيداً راسخاً لاتجاهه ، وهو ما سعى إليه حين التجأ إلى ربه بسؤاله الحصيف .

كتب أستاذنا الأستاذ محمد محمد المدنى مقالاً جيداً[4] عن أبى الأنبياء قال فيه بعض التصرف : « إن بعض الناس قد ينظرون فى المسائل فيستولى عليهم الخوف النفسى من طرق بعض نواحيها ، ويخيل إليهم أن هذه النواحى حرمٌ مقدس لا يجوز القرب منه فضلاً عن اقتحامه ، ولكن إبراهيم كان مقداماً على ما يعتقد أنه الصواب ، جريئاً فى إنفاذه والعمل عليه ، قوياً فى معالجة قلبه ، لكيلا يطغى على عقله ، فهو لا يعبأ بأى اعتبار من الاعتبارات التى تصرف الضعفاء عن النظر الصحيح ، ولم يكن متردداً فى الإيمان بقدرة الله إيماناً طبعه الله عليه ، ولكنه طلب صورة أخرى من صور اليقين بعد الإيمان بالقدرة ، وليس كل الناس يجرؤ على هذا الطلب ، ولكن إبراهيم يريد أن يصل إلى الاطمئنان ، ويسد على كل من تحدثه نفسه بالشك منافذ الشيطان » .

والموقف بعد لا يختص بإبراهيم ــ وحده ــ فهو مقبل على دعوة قوم ألداء ، وخصوم شداد ؛ إلى الإيمان بالبعث ، وهم مصممون على نكرانه ، ولا ريب أنه سيذكر لهم هذا الدليل الحسى الذى شاهده مشهد العيان حين أخذ أربعة من الطير فضمهن إليه ، ثم جعل على كل جبل منهن جزءا بعد تقطيعهن ، ودعاهن إليه ، فعادت حياتهن ، وأقبلن سعياً إليه ، وقد يكون بين أصحابه من شاهد هذا المشهد ، فإذا تمت هذه الصورة الخارقة ، وأكدها خليل الرحمن لقومه أبلغ تأكيد ، كانت إحدى وسائل الاقناع .

الدعوة بالتى هى أحسن

يتجه الرسل أو أول ما يتجهون إلى ذوى قرباهم ، وقد بدأ إبراهيم ــ عليه السلام ــ بدعوة أبيه ، لأن اهتمامه بصلاح أمره فى دنياه وآخرته كان من القوة بحيث جعل يحاوره فى مواقف شتى دون أن ييأس ، وقد كان من الحصافة بحيث اختار أهدأ الكلمات ، وأقربها إلى النفاذ فى مكامن الإحساس ليستميل أباه إلى دينه الحنيف ، ولم يكن النبى الملهم غافلاً عن مكان الإقناع فى محاورته الهادفة ، فهو يقول له :

﴿ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ۝ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ۝ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ۝ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ

(٤) مجلة الأزهر (المجلد العشرون) ص ٦٠١ سنة ١٣٦٨هـ .

﴿ أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ﴾(٥) .

والمفسرون يلتفتون إلى قول إبراهيم « عذاب من الرحمن » التفاتاً نفسياً ، فيقول قائلهم : لم يقل إبراهيم « عذاب من الجبار أو القهار » بل قال من الرحمن ليعلم والده أن الله رحيم غفور ، وأنه سيتغمده برحمته ما أسلف من السيئات حين يعجل التوبة من الشرك وقد قابله والده بالجفاء الغليظ حين أعلن أنه إذا لم يتبعه ويترك الدعوة إلى الله سيرجمه ، وهو تهديد قاس لم يكن ينتظره هذا الذى يختار أرق الكلمات لتقع موقع الاستجابة من قلب الوالد العنيد ، ومع هذا التهديد القاسي فلم يسع إبراهيم إلا أن يقول لوالده : ﴿ قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا ﴾ .

أليس فى هذا النمط الحوارى نموذج رائع للدعاة ! ألا يعطيهم القدوة الطيبة فى حسن الاستمالة ، وتحمل الإساءة ، بل فى مقابلتها بالاحسان ، إذ يقول ـ لمهدده : ﴿ **سلام عليك سأستغفر لك ربي** ﴾

وإخال أن خيبة أمل إبراهيم فى والده كانت ذات شجن أليم ، أخذ يرن مجلجلاً فى أعماقه ، إذ تابع دعوته ملحاً ، حتى إذا أدركه السأم . اتجه إلى القوم فى مجتمعهم الحافل ، وأبوه من بينهم ، ليعيد ما قاله على الملأ مستعيناً بأقوى الحجج ، وأمضى البراهين ، حين يفضح حقيقة الأصنام المعبودة فيقول ـ لأبيه وقومه : ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ۝ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين ۝ قال هل يسمعونكم إذ تدعون ۝ أو ينفعونكم أو يضرون ۝ قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ۝ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون ۝ أنتم وآباؤكم الأقدمون ۝ فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴾(٦) .

وإذن فقد :

كشف إبراهيم حقيقة الأصنام التى لا تسمع من يدعو ، ولا تملك الضر والنفع لأحد ، وبيّن أن اتباع الأبناء ضلال الآباء عبث ضائع ، أما فقد دعا إلى عبادة ، رب العالمين .

﴿ الذي خلقني فهو يهدين ۝ والذي هو يطعمني ويسقين ۝ وإذا مرضت فهو يشفين ۝ والذي يميتني ثم يحيين ۝ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾(٧) .

هذا الآله الخالق الرازق ، المعافى ، المحيى ، المميت الغافر هو الحقيق بالعبادة ـ وحده ـ ولو كان لدى المشركين ذرة من رشاد لعبدوه حق عبادته : ولكنهم أعرضوا ، فقابل إبراهيم إعراضهم بالدعاء الخالص لربه أن يثبت إيمانه ، وأن يهب له الحكم ، وأن يغفر لأبيه إذ كان من الضالين ! ولا تزال قضية البعث عالقة بذهنه فهو يذكر بها هؤلاء الجاحدين حين يواصل دعاءه فيقول :

﴿ ولا تخزني يوم يبعثون ۝ يوم لا ينفع مال ولا بنون ۝ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾(٨) .

مجاراة الخصم

فى قواعد البحث والمناظرة ما يسمّى (بالتسليم الجدلى) مجاراة ظاهرية للخصم ، حتى ينفرج

(٥) مريم :
(٦) الشعراء : ٧٠ ـ ٧٧ .
(٧) الشعراء : ٧٨ ـ ٨٢
(٨) الشعراء : ٨٧ ـ ٨٩

النقاش المتصل، عن بطلان ما يرى، وهو نوع من الحوار الهادف يحتاج إلى يقظة بصيرة في تتبع النقاش، وملاحقة الثغرات، وإلجاء المعارض إلى أضيق المسالك حين تهاجمه الحجج الدامغة فلا يستطيع عنها محيدا، وحين يرى أنّ سُلّم به مبدئياً كان ذريعةً إلى نقض ما يدافع عنه من الأوهام، وقد اعتمد إبراهيم ـ عليه السلام ـ هذا المنحى حين واجه من يعبدون الكواكب من قومه، ومنهم من كان يُسمّى الأصنام بأسماء الكواكب اعتزازا بنورها الساطع، والقصة مذكورة في قول الله ـ عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٩).

هكذا اتخذ الخليلُ من مجاراة الخصم سبيلاً إلى إفحامه، وقد شذّ من قال: إن الآيات تُصوّر مراحل اهتداء إبراهيم إلى فاطر السموات والأرض، وهذا خطأ محض، فإبراهيم قد أوتى رشده من قبل، ومن أوتى الرّشد لا تكون له مرحلة ضعف ينتقل منها إلى مرحلة القوة، فقد خلقه الله مفطورا على التوحيد، وكأنّى به وقد دبّر هذه المحاورة ليخذّل من يشركون بالله، حتى إذا ظهر الحق صاح بهم ﴿ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾(١٠)

صاح بهم من منطق القوة، حيث ظهرت حجته لائحةً حين أفلت الكواكب ولم تواتِ الإشراق، وحاجة قومه من منطق الضعف لأنهم لم يجدوا دليلاً يقنع، أو برهانا يدلّ، وقد اكتفوا بأن خوّفوه مايتوهمونه من سوء العاقبة فجابههم بقوله:

﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١١).

دعـوة هـود

وفي الأقوياء ذوى النظر القاصر من يخدعهم الحاضرُ عن المستقبل فيعتقدون أن البأسَ دائم، وأنّ الضَّعف مستحيل، وقد نشأ فيهم من يدعوهم إلى خشية الله، وعبادته وحده، ولم تكن بهود معجزة حسيّة يُقدمها بين يدىْ دعوته، فصاحوا به:

﴿ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾(١٢)

وقد أصمّوا آذانهم عن هذا الذى أخذ يُبصّرهم بواقعهم، مستشهدا بما حولهم من الدلائل، فإذا

(٩) الأنعام: ٧٥ ـ ٧٩
(١٠) الأنعام: ٨٠
(١١) الأنعام: ٨١
(١٢) هود: ٥٣ ـ ٥٤

قالوا له : ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾(١٣) .

صاح بهم :

﴿ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾(١٤)

وأخذ يُمنيهم بما يبهجهم في حياتهم فيناديهم .

﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾(١٥) .

ثم يرى جحودهم الصارخ فيعالنهم بقوله :

﴿ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾(١٦) .

لقد كان في كلّ ما قال هود مقنع أي مقنع لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ، ولكنّ الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفوا في الحياة الدنيا لايحفلون بإقناع ملزم ولا حجة مفحمة ، فهم يستهزون حين يقولون .

﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾(١٧) .

وهكذا صمّوا عن الدليل ، وعموا عن الحجة .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ۚ فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(١٨)

دعوة صالح

تلا صالح «هوداً» ، إذا أرسله الله إلى قوم أثرياء أشدّاء كقومه ، فبلغهم مثل رسالته ، ولكنه زاد على هود بالمعجزة الحسيّة فلم تُجد نفعا ، وهي الناقة التي عُقرت دون ذنب ، فأخذهم الله بما كسبوا ، وقد جمعت آيات الشعراء خلاصة قصّته حيث قال الله ـ عز وجل :

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ ...... فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾(١٩)

هذه أمثلة شتىّ لرسل الله ـ قبل إبراهيم ـ عليهم السلام ، توضّح ما جاءوا به من الحجج الساطعة والبراهين الناصعة ، حيث أبلوا أحسن البلاء في تبليغ الرسالة ، وإيضاح الحجة بالمنطق الفصل ، والبيان الجزل ، وصبروا على ما أوذوا حتى أتاهم نصر الله ، ولن يضيع أجر المحسنين .

(١٣) الأعراف : ٧٠
(١٤) الأعراف : ٧١
(١٥) هود : ٥٢
(١٦) هود : ٥٧
(١٧) المؤمنون : ٣٥ ـ ٣٨
(١٨) المؤمنون : ٤١
(١٩) الشعراء من ١٤١ إلى ١٥٨

السنة هدي ورجالا

استفت قلبك

للشيخ على حامد عبد الرحيم

عن وابصة بن معبد ـ رضى الله عنه ـ قال :

أتيت رسول الله ﷺ فقال : « جئت تسأل عن البر والإثم ؟ قلت : نعم . قال : استفت قلبك ، البرّ:ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم:ما حاك فى النفس ، وتردد فى الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » ـ رواه الإمام أحمد . وغيره

ورد هذا الحديث بروايات عدة منها :

١ ـ عن وابصة بن معبد قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد ألا أدع شيئا من البر والإثم إلا سألته عنه . فقال لى : إدن يا وابصة ، فدنوت منه حتى مست ركبتى ركبته . فقال : يا وابصة و أخبرك ما جئت تسأل عنه ... قلت : يا رسول الله أخبرنى . قال : جئت تسألنى عنه البر والإثم . قلت : نعم . فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكت بها فى صدرى ، ويقول : يا وابصة استفت نفسك ، البر ما اطمأنت إليه النفس ، واطمأن إليه القلب ، والإثم ما حاك فى القلب ، وتردد فى الصدر وإن أفتاك الناس أفتوك » ..

٢ ـ « البر ما انشرح له الصدر ، والإثم ما حاك فى صدرك ، وإن أفتاك عنه الناس » .

٣ ـ قال رجل : يا رسول الله ما الإثم ؟ قال إذا حاك فى صدرك شيء فدعه .

٤ ـ البر : حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس .. رواه مسلم عن النواس بن سمعان .

شرح الحديث :

يدور معنى (البر) على الإحسان ، فيقال : فلان بر بوالديه ، أى هو محسن فى معاملتهما ، رفيق بأمرهما . ومنه : الإحسان إلى الخلق عموماً ، وكان عبدالله بن عمر يقول : البر شيء هين : وجه طلق وكلام لين .

وإذا قرن البر بالتقوى كما فى قوله ـ تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ المائدة ٢ ، فقد يكون المراد بالبرّ:معاملة الناس بالإحسان ، وبالتقوى: معاملة الحق بفعل طاعته واجتناب محرماته . وقد يراد بالبر فعل الواجبات وبالتقوى اجتناب المحرمات .

وقوله-تعالى : ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾: قد يراد بالإثم : المعاصى ، وبالعدوان : ظلم الخلق . وقد يراد:بالإثم : ما هو محرم فى نفسه ، كالزنا والسرقة وشرب الخمر . وبالعدوان تجاوز ما أذن فيه ؛ كأخذ زيادة على الواجب فى الزكاة وغيرها .

ويطلق البر ويراد به : فعل جميع الطاعات

الظاهرة والباطنة . كما في قوله ـ تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ البقرة : ١٧٧ .

فالبر بهذا المعنى : يدخل فيه الأعمال الباطنة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ويدخل فيه جميع الطاعات الظاهرة كإنفاق المال فيما يحبه الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والوفاء بالعهد والصبر على الأقدار كالمرض والفقر . وعلى الطاعات كالصبر على لقاء العدو .

وقد يكون جواب النبي ﷺ .. في حديث النواس بن سمعان ـ فيما رواه مسلم ـ البر : حسن الخلق .. لأن حسن الخلق قد يراد به التخلق بأخلاق الشريعة . والتأدب بآداب الله التي أحبها لعباده في كتابه . حيث قال لرسوله ﷺ : وإنك لعلى خلق عظيم .

فالدين كله خلق ، سئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن خلقه ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن .

إن ما ورد فيه النص الصريح ، ليس فيه مجال للرجوع إلى القلب أو النفس ، بل يجب الرجوع فيه إلى النص وإن لم ينشرح له الصدر : لأن أمر الله ـ تعالى ـ ورسوله ﷺ أولى بالتقديم من ميل القلوب ، أو هوى النفس .

قال ـ تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ سورة الأحزاب ٣٦ . وقوله :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ ٦٥ سورة النساء

وكما قال الرسول ﷺ : فيما رواه البخاري ومسلم ـ عن النعمان بن بشير ، إن الحلال بين ، وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام . كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ، .

فقد ترك الرسول ﷺ أمته على بيضاء نقية ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك وبين لأمته ما أمروا به ، وما نهوا عنه ، لكن بعض الأحكام قد يكون أخفى على من ليس عنده علم . أو قد يكون النص خفيا على بعض الناس . أو قد يختلف من حمل (الأمر) على الوجوب أو الندب . و (النهي) على التحريم أو التنزيه .

فيكون الاشتباه الذي يتطلب القلب الطاهر التقي النقي الذي عمر بالإيمان وتوجه إلى الخير والبر بيان أمره ، كهذا الصحابي ـ وابصة ـ ويقاس عليه كل من كان شبيها به في طهارة القلب ، وذكاء العقل .

قال ابن حجر الهيثمي : وفي جوابه ﷺ لوابصة إشارة إلى متانة فهمه ، وقوة ذكائه ، وتنوير قلبه ، لأنه ﷺ أحاله على الإدراك القلبي ، إذ لا يدرك ذلك إلا من هو كذلك ، وأما غليظ الطبع ، الضعيف الإدراك فلا يجاب بذلك . وإنما يفصل له ما يحتاج إليه من الأوامر والنواهي الشرعية ، وهذا من جميل عاداته ﷺ : يخاطب الناس على قدر عقولهم .

ولقد أرشدنا الرسول ﷺ إلى أن القلوب تصلح وتفسد ؛ فإذا كانت على فطرتها الصافية النقية أرشدت إلى الخير ، وإذا كانت صدأة معيبة قادت إلى الشر .

روى الإمام أحمد والطبرانى : أن الرسول ﷺ قال : القلوب أربعة :

قلب أجرد فيه سراج يزهو ؛ فذلك قلب المؤمن .

وقلب أسود منكوس ؛ فذلك قلب الكافر .

وقلب أغلف مربوط على غلافه ؛ فذلك قلب المنافق .

وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق ؛ فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد ، فأى المادتين غلبت عليه حكم له بها ..

والقلب النقى هو القلب الأجرد الذى لا دخل فيه ولا غش ولا غل ، حيث يضىء فيه نور الإيمان . فهو على أصل الفطرة . والقلب المنكوس : المقلوب ، والأغلف : الذى عليه غشاء عن سماع الحق وقبوله ، والقلب المصفح : هو الذى يصاحبه وجهان . فيأتى هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه . فهو متردد بين أهل الكفر وأهل الإيمان .

والقلب المشرق بنور الإيمان ، لا يخفى عليه الشرك الخفى الذى هو أخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء . فلا يخفى على هذا النور خافية ، ولا يروج الشيطان عليه بشىء من مكائده .

كما أن الحديث لا يراد به ــ والله أعلم بمراد رسول الله ــ أن يترك الناس التفقه فى دين الله ــ تعالى ــ ويكتفى بالاعتماد على خطرات القلوب أو هواتف النفس . فإن هذه مزلقة أودت بالكثير ؛ فباءوا بالخسران والبوار .

ولذلك عاب العلماء ــ ومنهم ابن رجب الحنبلى ــ على طائفة من الناس يزعمون أن الكشف الروحى عندهم يغنيهم عن الفقه ، وعلم الحلال والحرام مع أن طلب العلم فريضة على كل مسلم .

وفى الحديث تذكير بمكانة الفتوى فى دين الله وخطورتها . وخاصة على أولئك الذين يتجرؤون على الفتوى بغير علم ولا فقه ولا بصيرة .

قال الإمام على ــ رضى الله عنه ــ من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السموات والأرض .

راويان وحديثان

فضيلة الدكتور / محمود سالم الخطيب

عن جابر بن عبدالله قال : أتانا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زائرا فى منزلنا فرأى رجلا شعثا . فقال : « أما كان يجد هذا ما يسكن به رأسه . ورأى رجلا عليه ثياب وسخة فقال : أما كان يجد هذا ما يغسل به ثيابه »[1] .

وعن ابن الحنظلية قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم ، وأصلحوا لباسكم ، فإن الله ـ عز وجل ـ لا يحب الفحش ولا التفحش »[2] .

ترجمة راوى الحديث الأول

هو : جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصارى السلمى أبوعبدالرحمن صحابى مشهور له ألف وخمسمائة حديث وأربعون ، اتفق البخارى ومسلم على ست وخمسين منها ، حضر بيعة العقبة ، وغزا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تسع عشرة غزوة ، مات سنة ٤٨ هـ عن ٧٤ عاما .

وأبوه عبدالله صحابى كريم ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنهما .

ترجمة راوى الحديث الثانى

ابن الحنظلية وهو : سهل بن الربيع بن عمرو ، ويقال : سهل بن عمرو أنصارى حارثى سكن الشام ، والحنظلية : أمه ، وقيل : هى أم جده وهى من بنى حنظلة من تميم .

معانى المفردات

أشعث : أى متفرق الشعر غير مرجل مُغْبَّر الرأس ملبده[3] .

ومعنى يُسكِّنُ به رأسه : يَلُمُّ شعثه ، ويجمع تفرقه ، فعبَّر عنه بالتسكين[4] .

وسخ الثوب : يسخ واتسخ علاه الدرن ، أى القذر[5] .

المعنى العام للحديث

يخبر جابر ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زاره فى بيته فوجد

---

(١) رواه أبوداود فى كتاب اللباس جـ ٤ ص ٥١ رقم ٤٠٦٢ .

(٢) من الفتح الربانى ترتيب وشرح الشيخ أحمد الساعاتى جـ ١٧ ص ٢٣٤ .

(٣) النهاية جـ ٢ ص ٤٧٨ ، ٤٨٠ والقاموس المحيط جـ ٣ ص١٦٨ بتصرف فيها .

(٤) الفتح الربانى جـ ١٧ ص ٢٣٤ .

(٥) من القاموس المحيط جـ ١ ص ٢٧٢ بتصرف .

الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنده رجلين ، قد أهمل أحدهما شعره فتركه أشعث أغبر غير مرجل (ولا ممشط) ووجد الثانى متسخ الثوب فلم يسُرّ ـ عليه السلام ـ بمنظريهما غير المرغوب فيه ، والذى لا يليق بالمسلم ، ولقد رغب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى النظافة وحث عليها فى أحاديث كثيرة ، وأكد ـ عليه الصلاة والسلام ـ أهمية النظافة ووجوبها فى العبادات ، كما حدث ـ عليه الصلاة والسلام ـ عنها فى الملبس والمأكل والمشرب .

أما العبادات فيراد بها : الوضوء والغسل وقبلها يُطهر الإنسان سبيليه .

الحث على طهارة الماء وسلامة الطريق

وأمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالمحافظة على بقاء الماء طاهرا صالحا للتطهير به والشرب منه وشدد النكير على من يلوثه .

عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : (نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يبال فى الماء الراكد) رواه مسلم .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (اتقوا اللاعنَيْن قالوا : وما اللاعنان ؟ قال : الذى يتخلى(*) فى طريق الناس أو ظلهم) رواه مسلم .

فنراه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قد أمر بالمحافظة على الماء حتى يظل طاهرا صالحا للاستعمـــال ، وعلى سلامـــة الطريـــق من القاذورات ، وعلى الظل الذى ينتفع به الناس من أذى الحر ، وفى النظافة ما يحول بينهم وبين الأوبئة والأمراض الخبيثة .

أما عن النظافة فى الوضوء فهى مفصلة فى قوله ـ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ ﴾ .

سورة المائدة ـ آية : ٦

فقد بين الله فى هذه الآية وجوب الطهارة فى الوضوء وفى الغسل من الجماع .

وقد بين الله ـ تعالى ـ أنه بفرضه الطهارة بالوضوء والغسل ، أنه أراد بها إتمام نعمته على عباده المسلمين ، كما أنه رفع عنهم المشقة فجدير بهم أن يشكروه .

﴿ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٦ ﴾ . المائدة

وواضح أن المراد بأعضاء الوضوء : الوجه وفيه العينان والفم والأنف والأذنان فإذا نظفوا عند كل صلاة سلمت أسنان المسلم وأنفه وعيناه وأذناه ، وكذلك من أعضائه : اليدان والرأس والرجلان ، فإذا نظفت كل هذه سلمت حواسه الظاهرة كلها .

فضل السواك والوضوء والغسل

وكذلك عنى الإسلام عناية فائقة بالسواك إلى درجة يمكن القول معها : إن شريعة الإسلام الوحيدة التى حثت على نظافة الأسنان واللسان أيضا لتقضى على (بكتريا) الفم وخطورتها .

روى أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (لولا أن أشق على أمتى ـ أو على الناس ـ لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة) رواه البخارى ومسلم .

(*) أن يتخذ الطريق خلاء لحاجته .

ومعنى : لأمرتهم بالسواك ، أى : أمر إيجاب ، فهو سنة مؤكدة .

وعن حذيفة – رضى الله عنه – قال : (كان النبى – صلى الله عليه وسلم – إذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك)[6] والأحاديث فى استحباب السواك كثيرة ، ومعنى يشوص : يدلك أسنانه بالسواك من علو إلى سفل [7] .

ومما يدل على فضل الوضوء ما رواه أبوهريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط [8] .

ومعنى إسباغ الوضوء : غسل العضو جيدا من ذلك للوجه ، وتخليل أصابع اليدين والرجلين ، ومعنى الرباط : الجهاد ، وهنا نذكر من نعم الله – تعالى – أن جعل الوضوء يغفر الخطايا ، روى سيدنا عثمان بن عفان – رضى الله عنه – قال : (من توضأ وأحسن الوضوء خرجت خطاياه حتى تخرج من تحت أظفاره) [9] .

وتقدم وجوب الغسل بعد الجماع ، وقد أكده الإسلام فى الجمعة وعند الاستعداد للإحرام قال : رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (غسل الجمعة واجب على كل محتلم والسواك ويمس من الطيب) [10] .

ومعنى واجب : أى متأكد ، ومعنى محتلم أى بالغ .

والنظافة – عموما – مطلوبة من المسلم والمسلمة ، وبخاصة إذا توجه المسلم إلى المسجد قال – تعالى – :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ .

سورة الأعراف – آية : ٣١

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (البسوا من ثيابكم البياض ، فإنها خير ثيابكم ، وكفنوا بها موتاكم) رواه الترمذى وأبو داود .

من حرمات المسجد :

ولكيلا يلم بالمسجد ريح خبيث نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن ذلك فقال : (من أكل البصل والثوم والكرات فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم) رواه مسلم .

ونهى الإسلام عن البصاق فى المسجد . قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيما رواه أنس (البصاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها)[11] .

ومعنى دفنها : أن يسترها .

وعنه أيضا فى النهى عن القاذورات فى المسجد . أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : قال : (إن هذه المساجد لا تصلح

(٦) رواه البخارى ومسلم .
(٧) من القاموس بتصرف جـ ٢ ص ٣٠٧ .
(٨) مسلم .
(٩) رواه أحمد ومسلم .
(١٠) رواه ابن حبان ، وفيه روايات .
(١١) البخارى ومسلم .

لشيء من هذا البول والقذر إنما هي لذكر الله وقراءة القرآن)[12] .

الوقاية في الأطعمة والأشربة

وبالنسبة للطعام والشراب والمحافظة على الآنية والأسقية ، روى عن جابر قال : ـ صلى الله عليه وسلم ـ (غطوا الإناء وأوكئوا السقاء)[13] .

وللمحافظة على ماء الشرب نهى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه أبي قتادة ـ رضى الله عنه قال : (نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يتنفس في الإناء)[14] .

الحث على التجمل

هذه بعض الأحاديث في حث المسلم على النظافة والتجمل ، وأن يكون على منظر حسن ورُواء طلى لا ينفر الناس منه ، والمسلمون من تمام إيمانهم : تنظيف الطريق قال : ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (الإيمان بضع وستــــون ـ أو وسبعون شعبة ـ أعلاها قوله لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)[15] .

ومعنى إماطة الأذى إزالته ، وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ (إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود فنظفــوا أفنيتكـــم ولا تشبهوا باليهود)[16] .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ (من كان له شعر فليكرمه)[17] .

عشر من الفطرة

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : قال : ـ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (عشر من الفطرة : قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك والاستنشاق بالماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء ـ يعنى الاستنجاء بالماء ـ قال : زكريا قال : مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة)[18] .

ومعنى البراجم : ما بين الأصابع .

طهارة القلب من أمراض الباطن

هذا هو اهتمام الإسلام بالنظافة الحسية وعنايته بها ، كذلك عنى الإسلام بالنظافة المعنويـــة والباطنية وهما تطهير القلب من أمراضه المخيفة كالغيبة والنميمة والحقد والحسد والكبر والعجب وسوء الظن إلى غير ذلك .

قال ـ تعالى ـ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ . سورة الحجرات

هكذا شأن الإسلام أراد من المسلم أن يكون على نظافة ظاهرة وباطنة قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ١١٠

ويقرأ بعض المسلمين آيات القرآن التي تحث على النظافة والأحاديث الكثيرة بشأنها ، ومع ذلك يتركون العمل بها فتجد بعض الطرق ملأى بالقمامة والحجارة والشوك والحفر والماء العفن .. فهلا التزموا بالإسلام علما وعملا .

(١٢) مسلم عن أنس . (١٣) مسلم وأحمد . (١٤) رواه البخارى ومسلم .
(١٥) رواه البخارى . (١٦) رواه الترمذى . (١٧) رواه أبو داود . (١٨) رواه أبو داود .

الإمام الزهرى

٢

للدكتور أحمد السيد أحمد حطيبة

شدة حفظه وإتقانه :

ابن مهدى : سمعت مالكا يقول : حدث الزهرى يوما بحديث ، فلما قام قمت ، فأخذت بعنان دابته ، فاستفهمته ، فقال : تستفهمنى ؟! ما استفهمت عالما قط ، ولا رددت شيئا على عالم قط .

ابن المدينى : سمعت عبدالرحمن ، يقول : قال مالك ، حدثنا الزهرى بحديث طويل ، فلم أحفظه ، فسألته عنه ، فقال : أليس قد حدثكم به ؟ قلنا : بلى ، قلت : كنت تكتب ؟ قال : لا . قلت : أما كنت تستعيد ؟ قال : لا . ورواها الإمام أحمد ، عن عبدالرحمن بن مهدى ، تابعه ابن وهب .

قال عثمان الدارمى : حدثنا موسى بن محمد البلقاوى ، سمعت مالكا يقول : حدث الزهرى بمائة حديث ، ثم التفت إلىّ ، فقال : كم حفظت يا مالك ؟ قلت : أربعين . فوضع يده على جبهته ، ثم قال : إنا لله ، كيف نقص الحفظ ؟!، موسى ضعيف .

معمر ، عن الزهرى : ما قلت لأحد قط : أعد علىّ .

مروان بن محمد ، سمع الليث يقول : تذكّر ابن شهاب ليلة بعد العشاء حديثا ، وهو جالس يتوضأ ، فما زال ذاك مجلسه حتى أصبح .

أبو مسهر : حدثنا يزيد بن السمط ، سمعت قرة بن عبدالرحمن ، يقول : لم يكن للزهرى كتاب إلا كتاب فيه نسب قومه .

إبراهيم بن سعد : سمعتُ ابن شهاب ، يقول : أرسل إلىّ هشام : أن اكتب لبنىّ بعض أحاديثك ، فقلت : لو سألتنى عن حديثين ، ما تابعت بينهما . ولكن إن كنت تريد ، فادع كاتبا ، فإذا اجتمع إلىّ الناس فسألونى كتبت لهم ، فقال لى : يا أبا بكر ، ما أرانا إلا قد أنقصناك . قلت : كلا ، إنما كنت فى عزار الأرض ، الآن هبطت الأودية . رواه نوح بن يزيد ، عن إبراهيم ، وزاد فيه : بعث إلىّ كاتبين فاختلفا إلىّ سنة .

ابن وهب : أنبأنا يعقوب بن عبدالرحمن ، أن الزهرى كان يبتغى العلم من عروة وغيره ، فيأتى جارية له ، وهى نائمة ، فيوقظها يقول لها : حدثنى فلان بكذا ، وحدثنى فلان بكذا ، فتقول : مالى ولهذا ؟ فيقول : قد علمتُ أنك لا تنتفعى به ، ولكن سمعتُ الآن فأردت أن أستذكره .

أحمد بن أبي الحواري : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : خرج الزهري من الخضراء من عند عبدالملك . فجلس عند ذلك العمود ، فقال : يا أيها الناس ، إنا كنا قد منعناكم شيئا قد بذلناه هؤلاء . فتعالوا حتى أحدثكم . قال : فسمعهم يقولون : قال رسول الله ﷺ ، وقال رسول الله ﷺ ، فقال : يا أهـل الشام : ما لي أرى أحاديثكم ليست لها أزمة ولا خطم ؟ ! قال الوليد : فتمسك أصحابنا بالأسانيد من يومئذ ، وروى نحوها من وجه آخر : أنه كان يمنعهم أن يكتبوا عنه ، فلما ألزمه هشامُ بن عبدالملك أن يُملى على بنيه ، أذن للناس أن يكتبوا .

معمر ، عن الزهري ، قال : كنا نكره الكتاب ، حتى أكرهنا عليه الأمراء ، فرأيت أن لا أمنعه مسلما .

ثناء العلماء عليه :

عبدالرزاق ، سمع معمرا يقول : كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهري ، حتى قتل الوليد ، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه ، يقول : من علم الزهري .

وروى محمد بن الحسن بن زبالـة ، عن الدراوردي ، قال : أول من دون العلم وكتبه ابنُ شهاب .

خالد بن نزار الأيلي ، عن سفيان ، قال : كان الزهري أعلم أهل المدينة .

عبدالوهاب الثقفي ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري قال : عمر بن عبدالعزيز : ما ساق الحديث أحد مثل الزهري .

ابن عُيينة ، عن عمرو بن دينار ، قال : ما رأيت أحدا أنص للحديث من الزهري ، وما رأيت أحدا أهون عنده الدراهم منه ، كانت عنده بمنزلة البعر .

أبو سلمة المنقري : حدثنا ابن عُيينة ، عن عمرو ، قال : جالست ابن عباس ، وابن عمر ، وجابرا ، وابن الزبير ، فلم أر أحدا أنسق للحديث من الزهري .

قال محمد بن سهل بن عسكر : سمعتُ أحمد ابن حنبل ، يقول : الزهري أحسن الناس حديثا ، وأجود الناس إسنادا ، وقال أبو حاتم : أثبت أصحاب أنس : الزهري .

شعيب بن أبي حمزة ، عن الزهري ، قال : اختلفت من الحجاز إلى الشام خمسا وأربعين سنة ، فما استطرفت حديثا واحدا ، ولا وجدت من يطرفني حديثا .

ابن عُيينة ، عن إبراهيم بن سعد ، سمعتُ أبي يسأل الزهري عن شيء من الخلع والإيلاء ؟ ، فقال : إن عندي لثلاثين حديثا ، ما سألتموني عن شيء منها .

أبو صالح ، عن الليث : كان ابنُ شهاب ، يختم حديثه بدعاء جامع ، يقول : اللهم أسألك من كل خير أحاط به علمك في الدنيا والآخرة ، وأعوذ بك من كل شرٌ أحاط به علمك في الدنيا والآخرة . وكان من أسخى من رأيت . كان يعطي ، فإذا فرغ ما معه يستلف من عبيده ، يقول : يا فلان أسلفني كما تعرف ، وأضعف لك كما تعلم ، وكان يطعم الناس الثريد ، ويسقيهم العسل ، وكان يسمر على العسل كما يسمر أهل الشراب على شرابهم ، ويقـول : اسقونـا وحدثونا . وكان يكثر شرب العسل ، ولا يأكل شيئا من التفاح ، وسمعته يبكي على العلم بلسانه ، ويقول : يذهب العلم ، وكثير ممن كان يعمل به ، فقلت له : لو وضعت من علمك عند من ترجو

أن يكون خلفا . قال : والله ما نشر أحد العلم نشري ، ولا صبر عليه صبري ، ولقد كنا نجلسُ إلى ابن المسيب ، فما يستطيع أحد منا أن يسأله عن شيء إلا أن يبتدىء الحديث ، أو يأتي رجل يسأله عن شيء قد نزل به .

روى إبراهيم بن سعد ، عن أبيه ، قال : ما رؤى أحد جمع بعد رسول الله ﷺ ما جمع ابن شهاب .

الليث ، عن يحيى بن سعيد ، قال : ما بقي عند أحد من العلم ما بقي عند ابن شهاب .

عبدالرزاق حدثنا معمر ، عن رجل : قال عُمَرُ ابن عبدالعزيز : عليكم بابن شهاب هذا ، فإنكم لا تلقون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه .

سعيد بن بشير ، عن قتادة : ما بقي أحد أعلم بسنة ماضية من ابن شهاب ، وآخر ، كأنه عنى نفسه .

سعيد بن عبدالعزيز : سمعت مكحولا ، يقول : ما بقي أعلم بسنة ماضية من ابن شهاب .

وهيب : سمعت أيوب يقول : ما رأيت أحدا أعلم من الزهري ، فقال له صخر بن جُويرية ، ولا الحسن البصري ؟ فقال : ما رأيت أحدا أعلم من الزهري .

الوليد بن مسلم : سمعتُ سعيد بن عبدالعزيز ، يقول : ما كان إلا بحرا ، وسمعتُ مكحولا يقول : ابن شهاب : أعلم الناس .

وقال ابن عُيينة : سمعتُ أبا بكر الهُذلي ، يقول وقد جالس الحسن وابن سيرين : لم أر مثل هذا قط . يعني : الزهري .

وقال العدني : قال ابن عُيينة : كانوا يرون يوم مات الزهري ، أنه ليس أحد أعلم بالسنة منه .

بقية : عن شعيب بن أبي حمزة ، قيل لمكحول : من أعلم من لقيت ؟ قال : ابن شهاب ، قيل : ثم مَنْ ؟ قال : ابن شهاب ، قيل : ثم من ؟ قال ابن شهاب .

قال ابن القاسم : سمعتُ مالكا يقول : بقي ابن شهاب ، وماله في الناس نظير . وقال معمر : كان الزهري في أصحابه كالحكم بن عتيبة في أصحابه ، قال موسى بن إسماعيل : شهدت وهيبا ، وبشر بن المفضل ، وغيرهما ، ذكروا الزهري فلم يجدوا أحدا يقيسونه به إلا الشعبي .

قال علي ابن المديني : أفتى أربعة : الحكم ، وحماد ، وقتادة ، والزهري ، والزهري عندي أفقههم .

قال سعيد بن عبدالعزيز : جعل يزيد الزهري قاضيا مع سليمان بن حبيب .

الوليد بن مسلم : عن الأوزاعي ، عن الزهري ، قال : الاعتصام بالسنة نجاة ، روى يونس بن يزيد عنه نحوه .

وروى الأوزاعي عنه ، قال : أمروا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت .

الليث : عن جعفر بن ربيعة ، قلتُ لعراك بن مالك : من أفقه أهل المدينة ؟ قال : أما أعلمهم بقضايا رسول الله ﷺ ، وقضايا أبي بكر وعمر وعثمان ، وأفقههم فقها ، وأعلمهم بما مضى من أمر الناس ، فسعيدُ بن المسيب ، وأما أغزرهم حديثا فعروة ، ولا تشاء أن تفجر من عبيد الله بن عبدالله بحرا إلا فجرته ، وأعلمهم عندي جميعا ابنُ شهاب ، فإنه جمع علمهم جميعا إلى علمه .

الحميدي : حدثنا سفيان ، قيل للزهري : لو أنك سكنت المدينة ، ورحت إلى مسجد رسول الله ﷺ وقبره ، تعلم الناس منك ، قال : إنه ليس

ينبغي أن أفعل حتى أزهد في الدنيا ، وأرغب في الآخرة ، ثم قال سفيان : ومن كان مثل الزهري ؟

قلتُ : كان رحمه الله محتشما جليلا يزي الأجناد ، له صورة كبيرة في دولة بني أمية .

روى الأوزاعي عن الزهري ، قال : إنما يُذهب العلم النسيانُ ، وتركُ المذاكرة .

عبدالرزاق : سمعتُ عُبيدَ الله بن عمر ، يقول : أردتُ أطلبُ العلم ، فجعلت آتي مشايخ آل عُمر ، فأقول : ما سمعت من سالم ؟ فكلما أتيتُ رجلا منهم ، قال : عليك بابن شهاب ، فإنه كان يلزمه ، قال : وابن شهاب يومئذ كان بالشام ، فلزمت نافعا ، فجعل الله في ذلك خيرا كثيرا .

عنبسة : عن يونس ، عن ابن شهاب ، قال : قال لي سعيد بن المسيب : ما مات من ترك مثلك .

مراسيل الزهري

قال الذهبي في السير :

قال يحيى بن سعيد القطان :

مرسل الزهري شر من مرسل غيره ؛ لأنه حافظ ، وكل ما قدر أن يسمى سمى ، وإنما يترك من لا يحب أن يسميه .

قال الذهبي : قلت : مراسيل الزهري كالمعضل ، لأنه يكون قد سقط منه اثنان ، ولا يسوغ أن نظن به أنه أسقط الصحابي فقط ، ولو كان عنده عن صحابي لأوضحه ، ولما عجز عن وصله ، ولو أنه يقول : عن بعض أصحاب النبي ﷺ .

ومن عد مرسل الزهري كمرسل سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ونحوهما ، فإنه لم يدر ما يقول ، نعم مرسله كمرسل قتادة ونحوه .

قال أبو حاتم : حدثنا أحمد بن أبي شريح ، سمعت الشافعي يقول : إرسال الزهري ليس بشيء ، لأنا نجده يروي عن سليمان بن أرقم .

جرأته في دفاعه عن الحق عند الخلفاء

قال الذهبي في السير ٥/٣٣٩ :

قال الشافعي : حدثنا عمي ، قال :

دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبدالملك ، فقال : يا سليمان : من الذي تولى كبره منهم ؟ .

قال : عبدالله بن أبيّ بن سلول .

قال : كذبت ، هو علي بن أبي طالب .

فدخل ابن شهاب ، فسأله هشام ، فقال : هو عبد الله بن أبي ابن سلول .

فقال هشام : كذبت هو عليّ .

فقال الزهري : أنا أكذب لا أبا لك ؟! ، فوالله لو نادى مناد من السماء : إن الله أحل الكذب ما كذبت ، حدثني سعيد ، وعروة ، وعبيد ، وعلقمة بن وقاص ، عن عائشة : أن الذي تولى كِبْره عبدالله بن أبيّ ، قال : فلم يزل القوم يُغرون به ، فقال له هشام : ارحل ، فوالله ما كان ينبغي لنا أن نحمل على مثلك [8] ، قال : ولم ؟ أنا اغتصبتك على نفسي ، أو أنت اغتصبتني على نفسي ؟ فخلّ عني ، فقال له : لا ، ولكنك استدنت ألفي ألف ، فقال : قد علمت ــ وأبوك قبلك ــ أني ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبيك ، فقال هشام : إنّا (لا نريد) [9] أن نهيج

(٨) في القاموس : حمل على الشيء : أكره عليه .

(٩) ما بين القوسين ليس في السير ، وسياق الكلام يقتضيه .

الشيخ ، فأمر فقضى عنه ألف ألف فأخبر بذلك ، فقال : الحمد لله الذي هذا هو من عنده .

سـخاء الزهري :

وكان الزهري رحمه الله عظيم الجود ، شديد السخاء ، ينفق كل ما وجد ، فإن نفد ما عنده استدان لينفق على المحتاجين ، فإذا وجد قضى دينه فأوفى ، وزاد هبة منه .

قال الذهبي في السير [10] :

قال الشافعي : قال عمي : ونزل ابن شهاب بماء من المياه ، فالتمس سلفا فلم يجد ، فأمر براحلته فنحرت ، ودعا إليها أهل الماء ، فمر به عمه فدعاه إلى الغداء ، فقال : يا ابن أخي : إن مروءة سنة تذهبُ بذُلِّ الوجه ساعة ، قال : ياعم ، انزل فاطعم وإلا فامض راشدا .

ونزل مرة بماء ، فشكا إليه أهل الماء ، أن لنا ثماني عشرة امرأة عُمْرية ، أي هن أعمار ليس لهن خادم ، فاستسلف ابن شهاب ثمانية عشر ألفاً ، وأخدم كل واحدة خادما بألف .

وقال سعيد بن عبدالعزيز : قضى هشام عن الزهري سبعة آلاف دينار ، وقال : لا تعد لمثلها تدان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، حدثني سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة : قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يلـدغ المؤمـن من جحـر مرتين » [11] .

وعن مالك : قال الزهري : وجدنا السخي لا تنفعه التجارب .

وقال الشافعي : مرَّ رجل تاجر بالزهري ، وهو بقريته ، والرجل يريد الحج ، فأخذ منه الزهري (بضاعة) بأربع مائة دينار إلى أن يرجع من حجه ، فلم يبرح الزهري حتى فرقها ، فعرف الزهري في وجه التاجر الكراهية ، فلما رجع (يعني من حجه) قضاه الزهري ، وأمر له بثلاثين دينارا ينفقها .

ولم يكن الزهري ـ رحمه الله ـ يستدين وهو معسر ، بل كان له ما يقضي منه دينه ، قال الذهبي : قيل للزهري : إنهم يعيبون عليك كثرة الدين ، قال : وكم ديني ؟ قيل : عشرون ألف دينار ، قال : ليس كثيرا ، وأنا مليء ، لي خمسة أعين ، كل عين منها ثمن أربعين ألف دينار .

وعن عُقيل بن خالد : أن ابن شهاب كان يخرج إلى الأعراب يفقههم ، فجاء أعرابي وقد نفد ما بيده ، فمد الزهري يده إلى عمامتي فأخذها فأعطاه ، وقال : يا عقيل ، أعطيك خيرا منها .

وقال سعيد بن عبدالعزيز : كنا نأتي الزهري بالراهب ، وهي محلة قبل دمشق ، فيقدم لنا كذا وكذا لونا .

من أقـوالـه :

« القراءة على العالم والسماع منه سواء ـ إن شاء الله » .

« لا يرضي الناسَ قول عالم لا يعمل ، ولا عمل عامل لا يعلم » .

« إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب » .

« إن الكريم لا تُحَنِّكُهُ التجاربُ » .

وكان الزهري يحدث ، ثم يقول : هاتوا من أشعاركم وأحاديثكم ، فإن الأذن مَجَّاجة ، وإن للنفس حَمْضَة .

(10) سير أعلام النبلاء ٥/٣٤٠ .

(11) متفق عليه .

أحسن الأسانيد عند النسائي :

قال الحافظ في التهذيب (١٢) :

قال النسائي : أحسن أسانيد تروى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أربعة :

الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده .

والزهري عن عبيد الله عن ابن عباس .

وأيوب عن محمد عن عبيدة عن علي .

ومنصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله .

سر تفوق الزهري على غيره من العلماء :

قال الحافظ في التهذيب (١٣) : قال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم : قلت لأبي : بم فاقكم ابن شهـــاب ؟ قال أبي : كان يأتي المجالس من صدورها ، ولا يلقي في المجلس شابا إلا سائله ، ولا كهلا ولا عجوزا إلا سائله ، حتى يحاول ربات الحجال .

وقال الزهري : ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشري ، ولا بذله بذلي .

وعن الليث : ما رأيت عالما أجمع من ابن شهاب ، ولا أكثر علما منه ؛ لو سمعته يحدث في الترغيب ، لقلت : لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن الأنساب ، لقلت : لا يعرف إلا هذا ، وإن حدّث عن القرآن والسنة كان حديثه نوعا جامعا .

وقال ابن سعد : كان الزهري ثقة ، كثير الحديث والعلم والرواية ، فقيها جامعا .

وقال أبو الزناد : كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع ، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس .

عدد ما له من حديث في الكتب الستة ومسند أحمد :

له في المسند ٢١٣٥ حديث .

وفي صحيح البخاري ١٥٣٤ حديث .

وفي صحيح مسلم ١٨٩١ حديث .

وفي سنن أبي داود ٦٤٠ حديث .

وفي سنن الترمذي ٣٧٠ حديث .

وفي سنن النسائي ٩٠٢ حديث .

وفي سنن ابن ماجه ٤٣٠ حديث .

وفــاته :

قال الحافظ الذهبي في السير : قال يحيى القطان : توفي الزهري سنة أربع أو ثلاث وعشرين ومائة ، تابعه أبو عبيد ، ويحيى بن معين .

وقال عدة : مات سنة أربع وعشرين ومائة ، قال معن بن عيسى : حدثنا ابن أخي الزهري : أن عمه مات سنة أربع وعشرين ومائة ، وكذا قال إبراهيم بن سعد ، وابن عيينة ، زاد الواقدي : وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

وقال ابن سعد وخليفة والزبير : مات لسبع عشرة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة .

وقال ابن سعد : أخبرني الحسين بن المتوكل العسقلاني : قال : رأيت قبر الزهري بأدما ، وهي خلف « شغب » و« بدًا » ، وهي أول عمل فلسطين ، وآخر عمل الحجاز ، وبها ضيعة للزهري .

فرحم الله الزهري رحمة واسعة ، وقدس روحه ، ونور قبره ، بما خدم دين الله وسنة نبيه ﷺ

(١٢) تهذيب التهذيب ٩/٤٤٨ .

(١٣) تهذيب التهذيب ٩/٤٤٩ .

المدونة الكبرى

في الفقه المالكي

(٤)

للأستاذ د. محمود عبد المتجلي خليفة

هذا عرض لبعض ما اشتملت عليه المدونة من أبواب وفصول علما بأن مؤلفها جعل لها عناوين (كتاب كذا) ثم يقسمه إلى عناوين جانبية دون ذكر كلمة فصل .

هذا والمدونة مطبوعة طبعتين :

الأولى بخط كبير ، وهو مايعبر عنه بالبنط ٢٢ ، وتقع هذه الطبعة فى ثلاثة عشر مجلدا من الحجم المتوسط .

والطبعة الثانية بخط عادى ، وهو مايعبر عنه بالبنط ١٨ ، وتقع هذه الطبعة فى أربعة مجلدات من الحجم الكبير كل جزء حوالى (٤٥٠) صفحة .

وبها من هذه الطبعة الأخيرة من الأسفل (كتاب المقدمات الممهدات لبيان مافى المدونة من أحكام ومشكلات) للإمام ابن رشد الكبير .

وهذا هوبيان ما اشتملت عليه المدونة بإيجاز .

كتاب الطهارة : ماجاء فى الوضوء :

قال سحنون : قلت لعبدالرحمن بن القاسم : أرأيت الوضوء : أكان مالك يوقت فيه واحدة أو اثنين أو ثلاثا ؟ قال : لا ، إلا ما أسبغ ، ولم يكن مالك يوقت ، وقال مالك : إنما قال الله ـ تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ المائدة ـ ٦

فلم يوقت تبارك وتعالى ـ واحدة من ثلاث .

الوضوء من النوم :

قال ، وقال مالك : من نام فى سجوده فاستثقل نوما وطال ذلك أن وضوءه منتقض ، ومن نام نوما خفيفا ... الخطرة ونحوها ، لم أر وضوءه منتقضا .

فى الذى يشك فى الوضوء والحدث

قال ابن القاسم : وقال مالك ــ فيمن يشك فى بعض وضوئه يعرض له هذا كثيرا . قال : يمضى ولاشىء عليه وهو بمنزلة الصلاة . قال ، وقال مالك فيمن توضأ فشك فى الحدث ، فلا يدرى أحدث بعد الوضوء أم لا : إنه يعيد الوضوء ، بمنزلة من شك فى صلاته فلايدرى : أثلاثا صلى أم اربعا ، فإنه يلغى الشك .

فى مسح الوضوء بالمنديل

قال : وقال مالك : لابأس بالمسح بالمنديل بعد الوضوء . قال ابن وهب عن زيد بن الحباب عن أبى معاذ عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة ــ رضى الله عنها ــ أن رسول الله ﷺ كانت له خرقة ينشف بها بعد الوضوء .

فى المسح على الجبائر والظفر المكسى

قال سحنون : وسألت ابن القاسم عن المسح على الجبائر فقال قال مالك : يمسح عليها فأرى إن هو ترك المسح على الجبائر أن يعيد الصلاة أبدا

قال ، وقال مالك ــ فى الظفر يسقط ــ لابأس أن يكسى الرواء ويمسح عليه .

فى اغتسال الجنب فى الماء الدائم أى الراكد

قال : وسمعت مالكا يكره للجنب أن يغتسل فى الماء الدائم قال : وقد جاء فى الحديث : لايغتسل الجنب فى الماء الدائم .

فى الرجل الجنب يصلى ولايذكر جنابته

قال ، وقال مالك ــ فى الجنب يصلى بالقوم ، وهو لايعلم بجنابته ؛ فيصلى بهم ركعة أو ركعتين أو ثلاثا ثم يذكر أنه جنب . قال : ينصرف ويستخلف من يصلى بالقوم مابقى من الصلاة ، وصلاة القوم خلفه تامة . قال : وإن فرغ من الصلاة ، ولم يذكر أنه جنب حتى فرغ من الصلاة ؛ فصلاة من خلفه تامة وعليه أن يعيد هو وحده . قال مالك : وقد صلى عمر بن الخطاب بالناس وهو جنب ــ أى وهو ناس للجنابة ــ ثم قضى الصلاة ، ولم يأمر الناس بالقضاء .

ماجاء فى التيمم :

قال ، وقال مالك : التيمم من الجنابة والوضوء سواء . والتيمم ضربة للوجه وضربة لليدين : يضرب الأرض بيديه جميعا ضربة واحدة ؛ فإن تعلق بهما شيء نفضهما نفضا خفيفا .

قلت : أيتيمم فى الحضر إذا لم يجد الماء فى قول مالك ؟ قال : نعم

قال : وسألنا مالكا عمن كان فى القبائل ، فخشى إن ذهب يتوضأ أن تطلع الشمس قبل أن يبلغ الماء .. ؟

قال : يتيمم ويصلى .

قال : وسئل مالك عن الحصباء : أيتيمم عليها وهو لا يجد المدر أى الطوب ؟ قال : نعم .

وقيل لمالك فى الجبل : يكون عليه الرجل ، وهو لا يجد المدر أيتيمم عليه ؟ قال : نعم .

كتاب الصلاة :

ماجاء فى الأذان والإقامة :

قال ابن القاسم : قال مالك : الأذان : الله أكبر الله أكبر . أشهد أن لا اله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله . أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله . قال : ثم يرجع بأرفع من صوته بها أول مرة فيقول الشهادتين .

قال : فهذا قول مالك فى رفع الصوت . ثم حى على الصلاة حى على الصلاة . حى على الفلاح حى على الفلاح . الله أكبر الله أكبر . لا إله إلا الله . قال : وإن كان الأذان فى الصبح قال : الصلاة خير من النوم مرتين بعد : حى على الفلاح .

وقال مالك : ليس على النساء أذان ولا إقامة ، وإن أقامت المرأة فحسن . قال ابن القاسم : والإقامة مفردة إلا التكبير فى أولها وآخرها ، فإنه مثنى مع زيادة : قد قامت الصلاة ، بعد حى على الفلاح .

وقال ابن القاسم : وكان مالك لا يوقت للناس وقتا إذا أقيمت الصلاة يقومون عند ذلك على قدر طاقة الناس فمنهم القوى ومنهم الضعيف .

فى صلاة المريض :

قال ابن القاسم : قال مالك ـ فى المريض الذى لايستطيع أن يسجد ، وهو يقدر على الركوع قائما ويقدر على الجلوس ، ولايقدر على السجود والركوع جميعا ، ويقدر على القيام والجلوس ، قال : إذا قدر على القيام والركوع والجلوس قام فقرأ ثم ركع وجلس فأومأ للسجود جالسا على قدر ما يطيق ، وإن كان لايقدر على الركوع قام فقرأ وركع قائما فأوما للركوع ، ثم يجلس ويسجد إيماء .

فيمن صلى إلى غير القبلة

قال مالك : لو أن رجلا صلى فانحرف عن القبلة ، ولم يشرق ولم يغرب ، فعلم بذلك قبل أن يقضى صلاته . قال : ينحرف إلى القبلة ويبنى على صلاته ولايقطع صلاته .

قال ابن وهب عن الحارث بن نبهان عن محمد بن عبيدالله عن عطاء عن جابر بن عبدالله قال : صلينا ليلة فى غيم وخفيت علينا القبلة ، وعَلَّمْنا علما ، فلما أصبحنا نظرنا ، فإذا نحن قد صلينا إلى غير القبلة ، فذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : أحسنتم ، ولم يأمرنا أن نعيد .

صلاة الرجل وحده خلف الصفوف

قال : وقال مالك : من صلى خلف الصفوف وحده ؛ فإن صلاته تامة مجزئة عنه ، ولا يجذب إليه أحدا .

كتاب الصلاة الثانى :

ماجاء فى غير الطاهر يحمل المصحف :

قال مالك : لا يحمل المصحف غير الطاهر الذى ليس على وضوء لا على وسادة ولابعلاقة ، ولا بأس أن يحمل المصحف فى التابوت والغرارة والخرج ونحو ذلك وهو على غير وضوء .

الصلاة فى السفينة :

قال ، وقال مالك ـ فى الرجل يصلى فى السفينة وهو يقدر على أن يخرج منها . قال : أحب إلى أن يخرج منها ، وإن صلى فيها أجزأته ، ويجمعون الصلاة فى السفينة يصلى بهم أحدهم .

فى البيع والشراء يوم الجمعة :

قال عبدالرحمن بن القاسم : وقال مالك : إذا قعد الإمام يوم الجمعة على المنبر فأذن المؤذنون ، فعند ذلك يكره البيع والشراء . قال : وإن اشترى رجل أو باع فى تلك الساعة فسخ ذلك البيع .

الصلاة على قاتل نفسه

قال ، وقال مالك : يصلى على قاتل نفسه ، ويصنع به مايصنع بموتى المسلمين ، وإثمه على نفسه .

خروج النساء وصلاتهن على الجنائز :

قلت : هل تصلى النساء على الجنائز فى قول مالك ؟

قال : نعم .

قلت : هل كان مالك يوسع للنساء أن يخرجن مع الجنائز ؟ قال : نعم

كتاب الصيام

في ذوق الطعام ومضغ العلك والشيء يدخل في حلق الصائم . قلت : أكان مالك يكره أن يذوق الصائم الشيء ، وكذلك مضغ العلك – (اللبان) ومضغ الطعام للصبي فكره كل ذلك . وماسبق إلى حلقة من تراب أو ذباب فلاشيء فيه .

الصيام في السفر :

قال ابن القاسم : قال مالك : الصيام في رمضان في السفر أحب إلى لمن قوى عليه .

في الذى يصوم متطوعا ويفطر من غير علة :

قلت : أرأيت من أصبح صائما متطوعا فأفطر متعمداً أيكون عليه القضاء في قول مالك ؟ قال : نعم .

في الذى يصوم في رمضان وهو ينوى به قضاء رمضان آخر .

قلت : ما يقول مالك فيمن كان عليه صيام رمضان فلم يقضه حتى دخل عليه رمضان آخر فصام هذا الداخل ينوى به قضاء الذى عليه ؟ فقال : قال لنا مالك في رجل كان عليه : نذر مشى إلى الحج ، ولم يحج حجة الإسلام فجهل فمشى في حجته ينوى بحجته هذه قضاء نذره وحجة الإسلام ، فقال مالك : أراه لِنَذْرِهِ ، وعليه حجة الإسلام .

قال ابن القاسم : وأما أنا فأرى في مسألتك أن ذلك يجزئه وعليه قضاء رمضان الآخر .

في القراءة في رمضان :

قال وقال مالك : لا بأس بقيام الإمام بالناس في رمضان في المصحف ، وكذلك في النافلة .

قال ابن وهب : قال ابن شهاب : كان خيارنا يقرأون في المصاحف في رمضان ، وأن ذكوان غلام عائشة كان يؤمها في المصحف في رمضان .

كتاب الزكاة الأول :

قلت – لعبد الرحمن بن القاسم : ما قول مالك فيما زاد على المائتين من الدراهم ، أيؤخذ منه فيما قل أو أكثر بحساب ذلك ؟ فقال : نعم ، ما زاد على المائتين قل أو كثر ففيه ربع عُشْرِهِ .

زكاة الحلى :

قال : وقال مالك – في كل حُلى هو للنساء اتخذنه للبس فلا زكاة عليهن فيه .

قال : فقلنا لمالك : فلو أن امرأة اتخذت حليا تكريه فتكتسب عليه الدراهم لذلك عملته ؟ قال : لا زكاة فيه .

زكاة السلع :

قال : وقال مالك : إذا كان الرجل إنما يشترى النوع الواحد من التجارة أو الأنواع وليس من يدير ماله فى التجارة ، فاشترى سلعة أو سلعاً كثيرة يريد بيعها فبارت عليه ، ومضى الحول فلا زكاة عليه فيها ، وإن مضى لذلك أحوال حتى يبيع ؛ فإذا باع زكى زكاة واحدة .

زكاة القرض وجميع الدين :

قلت : أرأيت لو أنى أقرضت رجلا مائة دينار فمكثت عند الذى أقرضتها إياه سنتين ، ثم ردها على ، ماذا يجب على من زكاتها قال : زكاة عام وهو قول مالك :

زكاة الخضر والفواكه :

قال : وقال مالك : الفواكه كلها : الجوز واللوز والتين وغيرها ، والخضر كلها : القضب والبقل والقثاء وما أشبه هذا من الخضر فليس زكاة ، ولا فى أثمانها حتى يحول على أثمانها الحول .

كتاب الزكاة الثانى :

فى زكاة ماشية المديان :

قال : وقال مالك ـ فيمن كان عليه دين ، وله ماشية تجب فيها الزكاة ، والدين يحيط بقيمة الماشية ولا مال له غير هذه الماشية : أن عليه الزكاة فيها ، ولا تبطل الزكاة عنه فيها بالدين الذى عليه .

ما أخذ الساعي فى قيمة زكاة الماشية :

قال : وسمعت مالكا فى رجل أجبر قوما ـ وكان ساعياً ـ على أن يأخذ منهم دراهم فيما وجب عليهم من صدقتهم ، فقال : أرجو أن تجزىء عنهم إذا كان فيها وفاء لقيمة ما وجب عليهم ، وكانت عند محلها .

كتاب الحج الأول :

ما جاء فى القرآن للمحرم :

قلت ـ لابن القاسم : أى ذلك أحب إلى مالك : القران أم الإفراد بالحج أم العمرة ؟ أى التمتع .

قال مالك : الإفراد بالحج أحب إلى .

قلت : ما قول مالك فى الصبى إذا أحرم به ؟

قال مالك : يجتنب به ما يجتنب الكبير ، وإن احتاج إلى شىء من الدواء أو الطيب صنع به ذلك وفدى عنه .

كتاب الحج الثاني :

قال وقال مالك : لو أن امرأة ـ دخلت بعمرة ومعها هدى ، فحاضت بعدما دخلت مكة قبل أن تطوف بالبيت : أوقفت هديها معها حتى تطهر ، ولا ينبغي لها أن تنحر هديها وهي حرام ، ولكن تحبسه ، حتى إذا طهرت طافت بالبيت ، وسعت بين الصفا والمروة ، ثم نحرت هديها ، وقصرت من شعرها ، ثم حلت .

قال : سألنا مالكا عن المحرم يحمل على رأسه الأطباق والغلال والغرائر وما أشبه ذلك .

فقال : لا بأس بذلك هذا إذا حمل لنفسه ، أما إذا حمل لغيره بأجرة ، أو متبرعاً فلا خير فيه ، وإن فعل فعليه الفدية ، وإنما رخص له لحاجته إليه .

كتاب الحج الثالث :

من لا تجب عليهم الجمعة :

قال : وقال مالك : لا جمعة بمنى يوم التروية ، ولا يوم النحر ، ولا أيام التشريق ، ولا يصلون صلاة العيد . قال : ولا جمعة بعرفة يوم عرفة .

ما نحر قبل الفجر :

قال : قال مالك : الهدايا كلها إذا نحرها صاحبها قبل انفجار الصبح يوم العيد لم تجزه ، وإن كان قد ساقها في حجه فلا تجزئه .

كتاب الجهاد :

في قتل النساء والصبيان والرهبان في أرض العدو :

قلت ـ لابن القاسم : هل كان مالك يكره قتل النساء والصبيان والشيخ الكبير في أرض الحرب قال : نعم .

قلت : فهل كان يكره قتل الرهبان المحبسين في الصوامع والديارات ؟ قال مالك : لا يقتل الراهب . وأرى أن يترك لهم من أموالهم ما يعيشون به ، ولا يأخذوا منهم أموالهم كلها فلا يجدون ما يعيشون به فيموتون ، وروى ابن وهب عن جرير بن عبدالله البجلي قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية قال : « باسم الله وفي سبيل وعلى ملة رسول الله ، لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان » .

في الحربي المستأمن يموت ويترك مالا : ما حال ماله ؟

قلت : أرأيت لو أن رجلا من أهل الحرب دخل إلينا بأمان فمات عندنا وترك مالاً ، ما حال ماله هذا أيكون فيئاً أم يرد إلى ورثته ؟ قال : يرد إلى ورثته .

فى محاصرة العدو وفيهم المسلمون أسارى :

قلت : أرأيت لو أن رجالاً من المشركين فى حصونهم حاصرهم أهل الإسلام ـ وفيهم قوم من المسلمين أسارى فى أيديهم ـ أيحرق هذا الحصن أو يغرق وفيه هؤلاء الأسارى ؟

قال مالك : لا أرى أن تلقى عليهم النار ـ ونهى عن ذلك . يقول الله ـ تعالى ـ فى كتابه العزيز لأهل مكة : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الفتح ـ ٢٥ .

إنما صرف النبى عن أهل مكة لما كان فيهم من المسلمين .

كتاب الصيد :

قلت ـ لابن القاسم : صف لى البازِ المعلم والكلب المعلم فى قول مالك . قال : قال مالك : هو الذى يفقه : إذا زجر ازدجر ، وإذا أشلى ـ أى أرسل ـ أطاع .

كتاب الضحايا :

قلت : أرأيت إن كانت مكسورة القرن . هل تجزىء فى الهدايا والضحايا فى قول مالك ؟

قال مالك : نعم إن كانت لا تدمى فإن كانت تدمى فلا تجزىء لأنه مرض من الأمراض .

كتاب النذور الأول :

فى الرجل يحلف بهدى جميع ماله ، أو بشىء بعينه وهو جميع ماله :

قال : وقال مالك : إذا قال الرجل : إن فعلت كذا وكذا فلله علىّ أن أهدى مالى ، فحنث فعليه أن يهدى ثلث ماله ويجزئه ، ولا يهدى جميع ماله .

الرجل يحلف بعهد الله وميثاقه :

قلت : أرأيت إن قال : علىّ عهدُ الله وذمته وكفالته وميثاقه ؟

قال : قال مالك : هذه أيمان كلها إلا الذمة فإنى لا أحفظها من قوله . قال مالك : إذا حلف بهذه فعليه فى كل واحدة يمين .

كتاب الطلاق :

طلاق الحائض والنفساء :

قلت : أرأيت إن قال رجل ـ لامرأته وهى حائض : أنت طالق أيقع عليها الطلاق وهى حائض أم حتى تطهر ؟ قال : إنها تطلق مكانها ، ويجبر الزوج على رجعتها .

فى عدة الصبية التى لا يجامع مثلها وسكناها من الطلاق والوفاة ؟

قلت : أرأيت الصبية التى لا يجامع مثلها ، وهى صغيرة ، ودخل بها زوجها فطلقها البتة :

أتكون لها السكنى فى قول مالك ؟ قال : قال مالك : لا عدة عليها ولذلك لا سكنى لها ، وعليها فى الوفاة العدة ؛ لأنها من الأزواج ، وقد قال الله ـ تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ البقرة ـ ٢٣٤ .

فهذه زوجة .

كتاب النكاح الأول :

نكاح الشغار :

قلت لعبدالرحمن بن القاسم : أرأيت إن قال : زوجنى مولاتك ، وأزوجك مولاتى ، ولا مهر بينهما أهذا من الشغار عند مالك ؟ قال : نعم .

النصرانى يعقد نكاح ابنته :

قال : سألت مالكا عن النصرانية يكون لها أخ مسلم ، فخطبها رجل من المسلمين : أيعقد نكاحها هذا الأخ ؟

قال مالك : أمن نساء أهل الجزية هى ؟ قلنا : نعم . قال مالك : لايجوز له أن يعقد نكاحها ... ماله ومالها .. ؟ قال الله ـ تبارك وتعالى : ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ الأنفال

قلت : فمن يعقد نكاحها عليها : أهل دينها أم غيرهم ؟

قال ابن القاسم : أرى أن يعقد النصرانى نكاح وليته النصرانية لمسلم .

كتاب النكاح الثانى :

فى الرجل يزوج ابنته ويضمن لها صداقها .

قلت : أرأيت لو أن رجلاً زوج ابنته وضمن الصداق لها . أيكون للبنت أن تأخذ الأب بذلك الصداق فى قول مالك ؟ قال : نعم . قلت : ويرجع به الأب على الزوج ؟ قال : لا يرجع به الأب على الزوج ، لأن ضمانه الصداق عنه فى هذا الموضع صلة منه له ، وإنما التزويج فى هذا على وجه الصلة والصدقة ؛ فلا يرجع عليهم بشىء ، ومما ضمن عنه . قلت : أرأيت إن مات الأب قبل أن تقبض البنت صداقها ؟ قال مالك : تستوفيه من مال أبيها .

كتاب النكاح الثالث :

نكاح أهل الذمة وأهل الشرك وطلاقهم .

قلت : أرأيت نكاح أهل الشرك وطلاقهم إذا أسلموا . أتجيزه فيما بينهم فى قول مالك ؟

قال : كل نكاح يكون فى الشرك ـ جائزا فيما بينهم ـ فهو جائز إذا أسلموا عليه ، وكان قد دخل بها ولا يفرق بينهما .

كتاب إرخاء الستور :

قلت – لعبدالرحمن بن القاسم : أرأيت إن تزوج امرأة وخلا بها وأرخى الستور ، ثم طلقها . فقال : لم أمسها وصدقته المرأة ؟ قال مالك : لها نصف الصداق ؛ لأنها صدقته على أنه لم يمسها ، وعليها العدة كاملة ، ولا يملك زوجها رجعتها ، لأنه قد أقر أنه لم يمسها . قلت : فإن قال : قد جردتها وقبلتها ولم أجامعها . وصدقته المرأة ؟ قال مالك : لا يكون عليه إلا نصف الصداق إلا أن يكون قد طال مكثه معها يتلذذ بها فيكون عليه الصداق كاملاً .

كتاب التخيير والتمليك :

قلت – لعبد الرحمن بن القاسم : أرأيت إذا قال الرجل – لامرأته وهي مدخول بها : اختاري نفسك .. فقالت : قد اخترت نفسي ؛ فناكرها الزوج ؟

قال : قال مالك : لا تنفعه المناكرة ، وهي ثلاث تطليقات .

قلت : أرأيت : إن قال لها : أمرك بيدك فهذا تمليك ويكون للزوج أن يناكرها فيما زاد على الطلقة الواحدة .

كتاب الرضاع : في تحريم الرضاعة :

قلت : أرأيت المرأة وخالتها من الرضاعة : أجمع بينهما في قول مالك ؟ قال : لا .

في الظهار لأجل :

قلت : أرأيت إن قال : أنت على كظهر أمي اليوم أو هذا الشهر أو هذه الساعة . أيكون مظاهراً منها إن مضى ذلك اليوم أو ذلك الشهر أو تلك الساعة ؟

قال : قال مالك : هو مظاهر منها ، وإن مضى ذلك اليوم أو هذا الشهر أو هذه الساعة .

د. محمود عبدالمتجلي خليفة
عضو لجنة الفتوى بالأزهر

الرجعة

للشيخ زكريا أحمد محمد نور

الرجعة - بفتح الراء وكسرها والفتح ، أفصح من الكسر - هي لغة : المرة من الرجوع ، وقد وردت في القرآن الكريم ، بمعنى الرجعة وبمعنى الرد .

قال - تعالى - في كتابه الكريم : ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ (فصلت : ٥٠) ، وقال في موضع آخر ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ (الكهف : ٣٦) ، فرددته ورجعته بمعنى واحد ، ذلك تعريف الرجعة من حيث اللغة .

أما تعريفها - في اصطلاح الشرع فهو : (رد المرأة إلى النكاح من طلاق غير بائن في العدة على وجه مخصوص) .

وأما الدليل على مشروعيتها فلا خلاف بين الفقهاء على اختلاف مذاهبهم في ثبوتها بالكتاب والسنة والإجماع ، والأصل في ثبوتها - قبل الإجماع - قوله - تعالى :

﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢٢٨) . وقوله تعالى : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ (البقرة : ٢٢٩) ، وقوله تعالى - ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ (البقرة : ٢٣١) .

فالرد والإمساك الواردان في هذه الآيات مفسرات بالرجعة عند جماعة العلماء وأهل التفسير .

وأما ثبوتها بالسنة : فيؤخذ من قول النبي ﷺ أتاني جبريل فقال : راجع حفصة ، فإنها صوامة قوامة ، وإنها زوجتك في الجنة . (أبو نعيم في الحلية جـ ٢ ص ٥٠) وما روى أن ابن عمر طلق امرأة وهي حائض ، فسأل عمر النبي ﷺ فقال : ومره فليراجعها (رواه الترمذي) .. إلى غير ذلك من النصوص الدالة على ثبوتها .

وقد ذكر صاحب مغني المحتاج (ج ٣ ص ٣٣٥) أن للرجعة أركانا ثلاثة : مرتجع ، وصيغة ، وزوجة ، فشرط المرتجع - وهو الزوج - أن يكون أهلا لعقد النكاح أي ، بالغا ، عاقلا ، مختارا ، غير مُكْرَه ، وألا يكون مرتدا ؛ لأن الرجعة كإنشاء النكاح لا تصح في الردة ،

والصبا والحنون ولا من مكره .

ويشترط في الصيغة ــ عند بعض الفقهاء ــ أن تكون بألفاظ صريحة ، كراجعتك ورجعتك وارتجعتك ، وأصح منها: رددتك وأمسكتك ؛ لأنهما وردا في الكتاب ، لكن لاتبطل الرجعة بألفاظ الكناية على الصحيح .

الرجعة والقرآن الكريم :

ولنبدأ بعرض الآيات التي تناولت أحكام الرجعة ، ثم نذكر بعد ذلك آراء الفقهاء في تلك الأحكام ، وما اشترطوه لصحتها من شروط .

قول الله ــ تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ إلى قوله ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ﴾ البقرة : ٢٢٨ .

فهذه الآية توضح الحكم الثاني من أحكام الطلاق ، وهو رد الرجل امرأته إلى عصمته قبل انقضاء عدتها ، وبعولة جمع بعل ، وهو الزوج ، يقال : بعل وبعولة ، كما يقال في جمع الذكر : ذكر وذكورة ، ويسمى الزوج بعلا لعلوه على الزوجة ، بما قد ملكه من زوجية ، فهو بمعنى السيد المالك ، يقال : من بعل هذه الناقة ؟ أي من ربها ، ومنه قوله تعالى ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾أي ربا لعلوه في الربوبية في رأيهم .

فالمراد من قوله تعالى : ﴿وبعولتهن أحق بردهن﴾ أن الزوج أحق بمراجعة زوجته ، أي : ردها إلى نكاحه ما دامت في عدتها منه ، وإن كرهت المرأة ذلك ، بشرط أن يكون قد دخل بها وطلقها طلقة واحدة أو طلقتين أما إن كان لم يدخل بها أصلا أو دخل بها وطلقها طلقة أو طلقتين ولم يراجعها حتى انقضت عدتها منه كانت أحق بنفسها منه ، وليس له حق في ردها إلى عصمته إلا بخطبة جديدة ونكاح جديد ، بمهر جديد بولي وشاهدين «هذا إذا رضيت الزواج منه» ، وهو مايعبر عنه بالطلاق البائن بينونة صغرى .

قال ابن المهلب : «وكل من رجع في العدة ، فإنه لايلزمه شيء من أحكام النكاح ، غير الشهود على الرجعة فقط وهذا إجماع من العلماء ، لقوله تعالى ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ .

سورة الطلاق ٢

ومما يؤيد وجوب الإشهاد في الرجعة ما روى عن عمران بن الحصين ، إنه سئل عن الرجل يطلق امرأته ثم يقع بها ، ولم يشهد على طلاقها ، ولا على رجعتها ، فقال : طلقت لغير سنة ، وراجعت لغير سنة ، أشهد على طلاقها ، وعلى رجعتها ولا تعد .

فبهذا الأثر قد استدل من قال بوجوب الإشهاد على الرجعة ، وممن قال بوجوب الإشهاد : مالك والشافعي .

وذهب أبوحنيفة وأصحابه والشافعي في أصح قوليه إلى عدم الإشهاد على الرجعة واحتج لهم في نهاية المجتهد بالقياس على الأمور التي ينشئها المرء لنفسه فإنه لايجب فيها الإشهاد ، وقالوا : إن الأثر المروى عن عمران بن حصين لايصلح للاحتجاج به ، لأنه قول صحابي في أمر من مسارح الاجتهاد ، وماكان ذلك فليس بحجة ، لولا ما وقع من قوله : طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة .

مايكون به الرجل مراجعا :

اختلفت الفقهاء فيما يكون به الرجل مراجعا

فى العدة ، وهل تصح الرجعة بالفعل والقول ؟ أم بالقول فقط ؟

فى ذلك خلاف تشعب إلى أقوال كثيرة ، فمالك ومن وافقه يرون أن الرجل إذا وطأ المرأة ، وهو يريد الرجعة ، وجهل أن يشهد فهى رجعة ، ولكن ينبغى للمرأة أن تمنعه من الوطء حتى يشهد ، وبه قال إسحاق لقوله ـ عليه الصلاة والسلام : «إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء مانوى» (متفق عليه) .

وقال أبوحنيفة وأصحابه : إن وطئها أو لمسها أو نظر إلى فرجها بشهوة فهى رجعة ، وهو قول الثورى أيضاً ، وفى قول لمالك والشافعى وإسحاق وأبى ثور : لاتكون رجعة ، قاله المنذر .

وقال فى المنتقى : لاخلاف فى صحة الارتجاع بالقول . أما بالفعل فقال القاضى أبومحمد : تصح الرجعة بالفعل ، وبسائر الاستمتاع للذة .

وقال الشافعى : لا تصح الرجعة إلا بالقول ، وإن جامعها ينوى الرجعة أو لم ينوها فليست برجعة ولها عليه مهر مثلها .

وقال مالك : لا شىء لها عليه لأنه لو ارتجعها لم يكن عليه مهر فلايكون الوطء دون الرجعة أولى من الرجعة . قال أبوعمر : ولا أعلم أحدا أوجب عليه مهر المثل غير الشافعى ، وليس قوله بالقوى لأنها فى حكم الزوجات ترثه ويرثها فكيف يجب مهر المثل فى وطء امرأة حكمها ـ فى أكثر أحكامها ـ حكم الزوجة إلا أن الشبهة فى قول الشافعى قوية لأنها عليه محرمة إلا برجعة لها ، وقد أجمعوا على أن الموطوءة بشبهة لها مهر ، وحسبك بهذا .

ومما تقدم يتضح لك أن المطلقة طلقة أو طلقتين تبقى محرمة على مطلقها تحريم من بت طلاقها حتى يراجعها بأية صورة من صور المراجعة ، سواء كانت بالفعل أم بالقول ، وهل تحرم الرجعة إرادة الضرر بالزوجة ؟

ظاهر الآية ﴿إن أرادوا إصلاحا﴾ فإن كلمة (إن) للشرط فإذا انتفى الشرط انتفى الحكم عند انتفائه فيلزم من ذلك أن إرادة الإصلاح إذا لم توجد كان حق الزوج فى ارتجاع زوجته غير ثابت .

ولكن الإمام الفخر الرازى أجاب عن هذا السؤال فى تفسيره (جـ ٢ ص ٣٧٠) بأن إرادة الإصلاح صفة باطنة لا اطلاع لنا عليه ، فالشرع لم يوقف صحة المراجعة عليها بل جوازها فيما بينه وبين الله موقوف على هذه الإرادة ، حتى إنه لو راجعها لقصد المضارة استحق الإثم ، وقد نهى الله الأزواج عن الإمساك للضرر بقولـــــــــه ﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ﴾ وفى ذلك تصريح بأن ارتجاع المرأة قبل القضاء عدتها لإيقاع الضرر بها اعتداء من الزوج عليها .

عن السدى قال : نزلت هذه الآية فى رجل من الأنصار يدعى ثابت بن بشار طلق امرأته حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة راجعها ثم طلقها ففعل بها ذلك حتى مضت لها تسعة أشهر فأنزل الله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ﴾ .

وإن نساء الإسلام لو رجعن إلى دينهن ، وتأملن تعاليمه ومايطوى عليه من حكمة لوجدن فيه إنصافا للمرأة لا يوجد له نظير فى جميع قوانين الأرض ولو تشبثن بمنزلتهن التى دفعهن إليها الإسلام لوجدن أنفسهن أرفع نساء العالمين منزلة

وأرقاهن حضارة وأسعدهن حياة .

وأي إنصاف للمرأة أكبر من أن ترى القرآن الكريم ينهى الزوج عن إيقاع الضرر بها ؟ بل ويعتبره معتديا ، وطالما قصد بالمراجعة مضارتها ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ أى : ومن يمسك المرأة بقصد الإضرار بها فقد ظلم نفسه بتعريضها لعذاب الله وسخطه .

إن شريعة الإسلام لم تجعل الحياة الزوجية ومايتعلق بها من حقوق وواجبات ملهاة يلعب بها الطيش ، أو مسلاة يتسلى بها الإنسان ، وكأنها شيء تملكه يده فهو حر في أن يتصرف فيه كيف يشاء ، أو يسير به حيث يحب ، وإنما للحياة الزوجية في شريعة الإسلام حدود رسمها الله بحكمته ، لا يجوز لأى كائن من كان أن يتعداها أو يخرج عليها ، وإلا كان في نظر الإسلام ظالما .

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ وهذا وعيد صارم لمن يهملون حدود الله ، فيتجاوزونها إلى حيث تدعوهم إليه شهواتهم وأهواؤهم ، ومن كانوا كذلك كانوا مستحقين للعنة الله، ألا لعنة الله على الظالمين .

وقبل أن نترك الكلام على الرجعة يجب أن نشير إلى أن الإجماع منعقد على أن حق الرجل في الرجعة مقصور على المطلقة طلاقاً رجعيا لم تنقض عدتها منه ، أما من انقضت عدتها منه فلا حق له في ارتجاعها إلا برضاها ، وبنكاح مستأنف إن كان الطلاق غير مكمل للثلاث ، أما إن كان بت طلاقها بالبينونة الكبرى ، فلا خلاف في أنه لا حق له في ارتجاعها إلا بعد أن تنكح زوجا غيره ، وقد تقدم بيان هذا .

الزوجة المطلقة دون الثلاث في مدة التربص :

قد اختلف الفقهاء كذلك في المطلقة دون الثلاث في مدة التربص ، هل حكمها حكم الزوجة أم لا ؟

يقول الإمام مالك ـ رضى الله عنه : إنها ليست كالزوجة فلا تعطى حكمها ، فلا يجوز لمطلقها أن يخلو معها ، أو يدخل عليها من غير إذن ، ولا يرى شيئا من محاسنها ، فهى منه حكم الأجنبية حتى يراجعها.

ويقول الإمام أبو حنيفة ـ رضى الله عنه ـ وأصحابه : حكمها في مدة التربص حكم الزوجة له أن يدخل عليها وأن يباشرها ، لأنها مادامت في مدة التربص فهى في حكم الزوجة وتكون مباشرته لها رجعة معتبرة ، ونرى أن خلافهم يرجع إلى اختلافهم في تفسير الآية ، فالمالكية أولوا قوله ـ تعالى : ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ ﴾ بأن الله سماهم بعولة باعتبار ما كان قبل الطلاق وأن قوله ﴿ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾ معناه أن الأزواج أحق برد أزواجهن إلى الزوجية ، لأن الرد لايكون إلا لشيء قد انفصم .

أما الحنفية فقد اعتبروا الرجعية زوجة في مدة التربص ، وأن معنى قوله ﴿ **أحق بردهن** ﴾ أن الزوجات كن بهذا الطلاق الرجعى سائرات في طريق لولا الرجعة لخرجن به عن الزوجية ، وإنما الرجعة ردٌّ لهن عن المضى في هذا الطريق إلى نهايته ، تلك آراء الفقهاء في حكم ارتجاع الزوجة من طلاق غير بائن ، والله أعلم .

الرسول ﷺ وأدب الحوار

للأستاذ الدكتور مصطفى محمد على الشكعة (*)

إن الذى يتابع سيرة رسول الله ﷺ ، لا يكاد ينتهى من استيعاب معنى كريم حتى يصادف معنى آخر أكثر سموًا ويلتقى بموقف أرفع شأنا وأذكى مقاما ، ذلك أن مواقف رسول الله ﷺ على طول سيرته العطرة ، من الوفرة بمكان ، ومن السمو بشأن ومقدار ، بحيث يتحيّر المرء حين الخيار أيها يدع وأيها يختار .

لقد هيأ الله محمدا لكى يحمل أسمى رسالة ويبلغها إلى الناس أجمعين ، فاختاره من بين سائر خلقه للاضطلاع بحمل هذه الرسالة ، وتأدية تلك الأمانة ، وأفاض عليه من أسباب التكريم ما لم يمنحه لغيره من البشر ، وخاطبه بقوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ۝ ﴾ سورة الأحزاب

ويعده الله سبحانه ـ بألوان أخرى من التكريم فى الآخرة مثل : الشفاعة والحوض والكوثر .

وتتلاحق صنوف التكريم من لدن الخالق الأعظم ـ جل وعلا ـ على رسوله ﷺ فيقول جل من قائل : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝ ﴾ .

وتتابع صيغ الإيثار التى يسبغها المولى ـ سبحانه ـ على رسوله وخير خلقه ومصطفاه على مسار آيات كتابه الكريم ، فيقول جل من قائل :

﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ۝ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ۝ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ۝ ﴾ .

لقد ذهب أكثر المفسرين فى تفسير قوله تعالى ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ بأنه إذا ذكر الله ـ سبحانه ـ ذكر محمد ﷺ معه ، يتحقق ذلك فى صيغة الشهادتين التى يرددها كل مسلم ، وفى الأذان خمس مرات كل يوم ، وفى التشهد فى كل صلاة ، وفى الإقرار بعقيدة الإسلام الذى لا يتحقق إلا بقول : **«لا إله إلا الله محمد رسول الله»** .

ويبلغ التكريم الربانى لمحمد ﷺ غايته ، ومداه

(*) الكاتب : عضو مجمع البحوث الإسلامية .

وقمته في قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

تلك نماذج آيات التكريم التي خص الله بها محمداً ﷺ في كتابه العزيز ، خلع عليه فيها الكثير من علامات الرضا .

لقد كان محمد ﷺ أحسن الناس خلقا ، وأكملهم شمائلا ، يستوى في ذلك سلوكه قبل المبعث وبعده ، فلما خصه الله بالرسالة قال صلاة الله وسلامه عليه : «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فإذا ما سأله أحد من الصحابة عن حسن أدبه وكمال بيانه قال : «أدبني ربي فأحسن تأديبي» .

كانت السيدة عائشة أم المؤمنين إذا سئلت عن خلقه قالت : «كان خلقه القرآن» أي التزام ما أمر الله به في القرآن والكف عما نهى عنه ، ولذلك كانت صفاته العدل والحلم والعفو والعقل والسماحة والشجاعة والنجدة والكرم والزهد والتواضع والفصاحة والبيان والتواضع وأدب الحوار واحترام الناس ، وفي ذلك تقول أم المؤمنين عائشة : ما دعاه أحد من أصحابه إلا قال : «لبيك» .

كان أنس بن مالك خادما لرسول الله ملازما له في المدينة ، وقد روى أخبارا كثيرة عن أدب رسول الله ﷺ وحلمه ولطفه مع العام والخاص ، وكذلك فعل الصحابة رضوان الله عليهم الذين رووا بدورهم كثيرا من الأخبار حول أدب رسول الله ﷺ وسلوكه . وإن تناول صفة واحدة من صفاته ﷺ يحتاج إلى عشرات الصفحات بل مئاتها ، ومن ثم فقد يكون من المناسب أن نختار في هذا المقام صفة واحدة من صفاته ﷺ ولتكن أدب الحوار ، وغير بعيد عمن ألفوا القراءة في سيرة رسول الله ﷺ أن كثيرا من عتاة المشركين قد أعلنوا إسلامهم بعد حوار جرى بينهم وبين الرسول ، وهذا شأن الدعوة كلها ، قامت على الحوار ولم تقم بالسيف كما زعم بعض من لم يقرأوا القرآن . ولم يستوعبوا كنه الإسلام ، ولم يمعنوا النظر في حديث رسول الله ﷺ .

لقد كان محمد ﷺ المعلم الأمي والمحاور الأرق ، وهو في ذلك مستجيب لأمر الخالق الأعظم في قوله عز وجل :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾

النحل الآية ١٢٥

فإذا كان الحوار مع أهل الكتاب ، فإن الله يأمر رسوله أن يكون وافر اللطف في مجادلتهم ، وذلك في قوله تعالى :

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾

العنكبوت ـ ٤٦ .

في هذه الآية يأمر الله ـ سبحانه ـ محمدا أن يجادل أهل الكتاب بالأسلوب الليّن كمقابلة الخشونة باللين ، والغضب بالرضى ، والصخب بالهدوء ، وقد فعل هذا الأسلوب الحكيم فعله العظيم بتحول كثير من المعاندين ، فأسلموا بعد كفرهم وآمنوا بعد شركهم .

هكذا كان أسلوب رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الله قائما على الحوار المضيء ، فالحوار الهادئ ضرب رفيع من ضروب الحضارة ، وهو يتفق مع

جلال الإسلام واستقامة دعوته . وما أحوج المسلمين فى العصر الحديث إلى أن يلتزموا منهج الحوار فى الدعوة إلى الإسلام والتعريف بجوهر رسالته بعد أن أساءت قلة من أبناء المسلمين إلى دينهم باتجاههم أسلوب الخشونة وسبيل العدوان ، مما ساعد خصوم الإسلام وأعداءه على تشويه صورته الوضاءة وتزييف قيمه الرفيعة .

كان سلوك رسول الله ﷺ يتجسم فى حواره مع الآخرين : أفراداً كانوا أم جماعات ، حضراً كانوا أم بدْواً ، مشركين كانوا أم موحِّدين ، كتابيين كانوا أم مسلمين ، أنصاراً كانوا أم مهاجرين ، وهذا يقتضى أن نورد أمثلة من حواره ﷺ مع نماذج مختلفة من البشر .

إنه ﷺ يأخذ لكل حالة مقتضاها ، ولكل موقف لبوسه فى نطاق من نصاعة البيان ، وسلاسة القول ، ورقة الحوار ، وسعة الصدر ، وفيض التسامح ، وكظم الغيظ ، ويسر الإقناع ، ضاربا بذلك الأمثال للمسلمين ـ بل للناس جميعا ـ أن يتمثلوا حلمه ، وينتهجوا أدبه ، ويحفظوا قوله ، ويلتزموا سبيله ، ويتبعوا سنته ، ويقتفوا أثره .

فمن النماذج : الحوار الذى جرى بين الرسول ﷺ وبين واحد من البدو من مشركى العرب ، ذلك الحوار الذى أجراه ضِمَامُ بن ثعلبة مبعوث قبيلة سعد بن بكر وأورده ابن هشام على النحو التالى[1] : بعث بنو سعد بن بكر «ضِمامَ بنَ ثعلبة» وافدا إلى رسول الله ، فقدم عليه ، وأناخ ضمام بعيره على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله جالس فى أصحابه .

وكان ضمام رجلا جلداً أشعر ذا غديرتين ، فأقبل حتى وقف على رسول الله فى أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبدالمطلب ؟ فقال رسول الله ﷺ : «أنا ابن عبدالمطلب» ، قال : أمحمد ؟ قال ﷺ : «نعم» .

قال : يا ابن عبدالمطلب ، إنى سائلك ومغلظ عليك المسألة فلا تجدنّ فى نفسك . قال : «لا أجد فى نفسى ، فسل عما بدا لك» .

قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك : آلله بعثك إلينا رسولا ؟ . قال : «اللهم نعم» .

قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك : آلله أمرك أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئا وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : «اللهم نعم» .

وفى رواية أنه قال : يامحمد ، أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك ، قال : «صدق» قال : فمن خلق السماء ؟ قال :«الله» قال : فمن خلق الأرض ؟ قال :«الله» قال : فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال : «الله» قال : فبالذى خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبـال : آلله أرسلك ؟ قال :«نعــم» . قال ضمام : وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا ؟ قال : «صدق» قال : فبالذى أرسلك : آلله أمرك بهذا ؟ قال : «نعم» .

ثم جعل ضمام يذكر فرائض الإسلام وشرائعه على هذا النحو حتى إذا فرغ قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ،

(١) السيرة النبوية ٢ / ٥٧٣ .

وسأؤدى هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتنى عنه ، ثم لا أزايد ولا أنتقص ، وانصرف إلى بعيره راجعا . فقال رسول الله ﷺ : «إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة» فأتى ضمام بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : بئست اللات والعزى !! فقال له قومه : مه ياضمام ، اتق البَرَصَ ، اتق الجُذَام ، اتق الجنون . قال : ويلكم ، إنهما والله لا يضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به عما كنتم فيه ، وإنى أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه .

قال : فوالله ما أمسى فى الحَىّ من ذلك اليوم رجل ولا امرأة إلا مسلما .

إن المتتبع لهذا الحوار يظن أنه كان من جانب واحد ، ذلك أن ضماما كان يسأل فى صيغة الاستيضاح ، وكان الرسول ﷺ يجيب بما يفيد الإيجاب ، ولكن حقيقة الأمر أن حوارا قد جرى بين ضمام وبعض قومه عن الإسلام حتى إنه استوعب أركانه بشكل إجمالى تجلى فى صيغ الأسئلة التى وجهها إلى النبى ﷺ ، ثم جرى حوار آخر بينه وبين نفسه انتهى به إلى اليقين الذى جعله يؤمن بتلك القيم فيما لو تحقق من أن ما بلغه عن الإسلام صحيح . ثم جاء ضمام بعد ذلك إلى رسول الله الذى قرأ فى وجهه ـ وجه ضمام ـ ملامح الإيمان ، وإذا كانت فراسة المؤمن لا تخيب فإنه يكون من باب أولى ألا تخيب فراسة النبى ، لذلك كان النبى ﷺ فى حوار ضمام معه لا يزيد فى إجاباته عن «نعم» و «اللهم نعم» . وكانت هذه «النعمات» أبلغ إجابة فى هذا المقام ، ولذلك فإن ضماما لم يتردد ولم يضع وقتا ، بل سارع إلى إعلان إسلامه والنطق بالشهادتين وأبدى الامتثال للعمل بأركان الإسلام التى أقره عليها رسول الله ﷺ وانصرف على الفور .

هنا يقول الرسول ﷺ : «إن صدق ذو العقيصتين ـ يعنى الضفيرتين ـ دخل الجنة» . لقد كان ضمام عند صدق فراسة رسول الله ، إذ أنه لم يكتف بإعلان إسلامه وحده ، وإنما بات معه جميع قومه مسلمين .

إن عبدالله بن عباس يعلق على هذا الأمر قائلا : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .

كان حوار ضمام مع رسول الله ﷺ فيه خشونة البداوة ، ولكن حلم رسول الله تذوب أمامه كل خشونة وتلين حياله كل شدة ، وتلك سمة حواره ﷺ الذى ينتهى بمحاوره إلى شاطىء النجاة .

فإذا ما انتقلنا إلى ذكر حوار آخر ، لوافد آخر عليه ثياب الملك ، وجدنا كرم رسول الله يأخذ لونا مختلفا فى نطاق السماحة التى عرفت عنه ﷺ ، فقد تلطف مع ضيفه واحتفى به ، وكان قد بشر بمقدم هذا الضيف الملكى قبل وصوله بليال ثلاث .

عن وائل بن حُجْر ـ رضى الله عنه ـ قال : بلغنا ظهور رسول الله ﷺ وأنا فى ملك عظيم ورفاهة عظيمة ، فرفضت ذلك ـ أى رفضت الرفاهة ـ ورغبت إلى الله ـ عز وجل ـ وإلى رسول الله ﷺ ، فلما قدمت عليه أخبرنى أصحابه أنه بشر بمقدمى عليهم قبل أن أقدم بثلاث

ليال ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ سلمت عليه ، فرد السلام ، وبسط لى رداءه ، وأجلسنى عليه ، ثم صعد منبره وأقعدنى معه ، ورفع يديه وحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وصلى على النبى ، واجتمع الناس إليه فقال لهم : «ياأيها الناس ، هذا وائل بن حُجْر قد أتاكم من أرض بعيدة ، من حضرموت ، طائعا غير مكره ، راغبا فى الله وفى رسوله وفى دين نبيه ، بقية أبناء الملوك» فقلت : يارسول الله ، ما هو إلا أن بلغنا ظهورك ونحن فى ملك عظيم وطاعة ، وأتيتك راغبا فى دين الله ، فقال : «صدقت»(١) .

هكذا كان احتفاء رسول الله ﷺ بوائل بن حجر الحضرى الملك بن الملوك ، يجلسه على رداائه ، ويضمه ، ويصعده معه على المنبر ؛ لأنه يعلم أن بقية من رواسب الملك لا تزال تسرى فى دمائه برغم إسلامه ، ولقد كان وائل ـ بالفعل ـ على ما تصوره رسول الله ، فقد أمر ﷺ معاوية بن أبى سفيان أن يرافقه وينزله منزلا «بالحرّة» ، يقول معاوية ـ رضى الله عنه ـ : فانطلقت به وقد أحرقت رجلىّ الرمضاء ، فقلت : أردفنى . قال : لست من أرداف الملوك .قلت : فأعطنى نعليك ، قال : لا ، إنى لم أكن لألبسهما وقد لبستهما ، قلت : إن الرمضاء أحرقت قدمىّ ، قال : امش فى ظل ناقتى كفاك به شرفا .

قال معاوية : فأتيت النبى ﷺ فأنبأته بقوله : فقال : «إن فيه لَعُبِّيَّة من عُبِّيَّة الجاهلين» .

هكذا كان يتعامل رسول الله ﷺ بالوافد أو بالوفود فيتعامل معهم طبقا لطبيعتهم ، ويحاورهم بما يتسق وأحوالهم .

ومن نماذج الحوار الفريد الغريب الذى جرى فى سماحة ووداعة ودفء وإقناع ، : ذلك الذى كان بين رسول الله ﷺ وبين واحد من شباب المسلمين وقع تحت سلطان شهوة البدن فبدا له أن يستأذن رسول الله فى ارتكاب معصية كبرى ، ذلك أن شابا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ، أتأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس بالشاب وهمّوا أن ينالوه بأذى ، ولكن النبى ﷺ قال : «قرّبوه ، ادْنُ منى» فدنا حتى جلس بين يديه ، فقال-عليه الصلاة والسلام : «أتحبه لأمك ؟» . قال : لا ، جعلنى الله فداك . قال : «كذلك الناس لايحبونه لأمهاتهم ، أتحبه لابنتك ؟» قال : لا ، جعلنى الله فداك . قال : «فكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم» وظل الرسول يسأل الشاب حتى ذكر العمة والخالة ، والشاب يقول فى كل مرة : لا ، جعلنى الله فداك ، والنبى ﷺ يقول : «كذلك الناس لا يحبونه» ثم وضع الرسول ﷺ يده الشريفة على صدر الشاب وقال : «اللهم طهّر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه» فلم يكن شىء بعد ذلك أبغض إلى هذا الشاب من الزنا .

إن نماذج الحوار التى أسلفنا التمثيل بها كانت بين الرسول ﷺ وبين أفراد بذواتهم ، بعضهم ممن كان انتوى الدخول فى الإسلام ، وبعضهم كان حديث عهد بالإسلام ، وبعضهم كان ينقصه سلوك راشد فوجد الرشاد والهدى فى حواره مع رسول الله ﷺ .

إن ثمت ألوانا أخرى من الحوار ذات مضامين إيمانية كانت سببا فى دخول بعض أفراد ذوى خطر

---

(١) سبل الهدى والرشاد ٦/٦٦٥ .

وقدر إلى ساحة الإسلام السمحة ، وتحولوا من صفاتهم كأهل كتاب إلى حقيقتهم كصحابة لرسول الله الذين قال فيهم عليه صلاة الله وسلامه : «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» .

من هذا اللون ذى الطراز المختلف فى مبنى الحوار ومعناه ، وطبيعته ومبناه ، وأسلوبه وهداه ، ذلك الذى جرى بين رسول الله ﷺ ، وبين الحبر بن سَعْنَة اليهودى .

قال الصحابى عبدالله بن سلام : إن الله ـ عز وجل ـ لما أراد هُدَى زيد بن سَعْنَة ، قال زيد : ما من علامات النبوة شىء إلا وقد عرفتها فى وجه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين نظرت إليه إلا اثنتان لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده شدة الجهل إلا حلما ، فكنت أتلطف إليه لأخالطه فأعرف حلمه من جهله ، فخرج ـ أى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوما من الحجرات ومعه على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ ، فجاء رجل يسير على راحلته كالبدوى ، فقال : يا رسول الله ، إن قرية بنى فلان أسلموا ودخلوا فى الإسلام ، وحدثتهم أنهم إن أسلموا أتتهم أرزاقهم رغدا ، وقد أصابتهم سنة ـ يعنى قحط ـ وشدة وقحوط من الغيث ، وإنى مشفق أن يخرجوا من الإسلام طمعا ، كما دخلوا فيه طمعا ، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشىء وتعينهم به ، فعلت ، فقال زيد بن سعنة : أنا أبتاع منك بكذا وكذا وَسْقاً فبايعنى ، وأطلقت هميانى ـ يعنى انصرفت ـ وأعطيته ثمانين دينارا فدفعها إلى الرجل وقال : اعجل عليهم بها وأغثهم

فلما كان قبل المحل ـ يعنى حلول السداد ـ بيوم أو يومين أو ثلاثة ، خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى جنازة بالبقيع ومعه أبو بكر وعمر فى نفر من أصحابه ، فلما صلى على الجنازة ودنا من الجدار ، جذبت بردية جذبة شديدة حتى سقط من عاتقه ، ثم أقبلت بوجه جهم غليظ فقلت : ألا تقضينى يا محمد ؟ فوالله ما علمتكم بنى عبد المطلب لَمُطْل ، وقد كان لى بمخالطتكم علم .

قال زيد : فارتعدت فرائص عمر رضى الله عنه كالفلك المستدير ، ثم رمى ببصره ثم قال : أى عدو الله ، أتقول هذا لرسول الله ؟ وتصنع به ما أرى ؟ وتقول ما أسمع ؟ فوالذى بعثه بالحق لولا ما أخاف فوته لسبقنى رأسك ، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر فى تؤدة وسكون ، ثم تبسم ، ثم قال : « لأنا وهو أحوج إلى غير هذا : أن تأمرنى بحسن الأداء ، وتأمره بحسن اتباعه » .

ثم قال رسول الله ﷺ : « اذهب به يا عمر فاقض حقه ، وزده عشرين صاعاً من تمر مكان ما رعته » قال زيد بن سعنة : فذهب بى عمر ـ رضى الله عنه ـ فقضانى حقى وزادنى عشرين صاعاً من تمر ، فقلت : ماهذا ؟ قال : أمرنى رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رعتك ، فقلت : أتعرفنى يا عمر ؟ قال : لا ، فمن أنت ؟ قلت : أنا زيد بن سعنة ، قال : الْحَبْر ؟ قلت : الحبر ، قال : فما دعاك أن تفعل برسول الله ﷺ ما فعلت ، وتقول له ما قلت ؟ قلت : يا عمر ، إنه لم يبق من علامات النبوة شىء إلا وقد عرفتها فى وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتان لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فقد اختبرته منه ، فأشهد

يا عمر أنني قد رضيت بالله ربًا ، وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً ، وأشهدك أن شطر مالي - فإن أكثرها مالاً - صدقة على أمة محمد ﷺ ، فقال عمر : أو على بعضهم فإنك لا تسعهم كلهم ، قلت : أو على بعضهم .

قال : فرجع عمر وزيد بن سعنة إلى رسول الله ﷺ فقال زيد : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وهكذا لم يستغرق الحوار بين رسول الله وبين زيد أكثر من جمل معدودة ظهر فيها حلم الرسول في ذروته ، مازاد على أن ابتسم وقت أن هوجم بكلمات شداد ، ثم الكلمات الطيبة الرطبة يحس بها توجيه عمر ، ثم سداد الدين ومعه زيادة بدلاً عن الترويع الذي أوقعه عمر في قلب زيد . لقد آمن زيد وصدق بمحمد ﷺ وبايعه وشهد معه مشاهد كثيرة .

لقد أسهم خُلُق رسول الله ﷺ وتعامله مع الناس وحواره معهم في هدايتهم إلى الإسلام وبناء مجتمع سعادة الدنيا والآخرة

وفي هذا المقام يمكن الإشارة إلى حواره - صلى الله عليه وسلم - مع نصارى نجران ، وحواره مع سفّانة بنت حاتم الطائي وأخيها عديّ بن حاتم ، وحواره - صلى الله عليه وسلم - مع الأنصار بعد غزوة حنين ، وحواره مع فقراء الصحابة وقد ظنوا أن الأغنياء قد استأثروا بالثواب دونهم

إن أفضل ما نتقرب به إلى الله تعالى في مناسبات ذكرى محمد - صلى الله عليه وسلم - هو أن نتمثل خلقه ، وأن نقتدى بسيرته ، وأن نجعل الحوار - نحن المسلمين - بيننا وبين أنفسنا ، وبيننا وبين الآخرين سبيلاً للتفاهم ووسيلة للتعريف بفضائل الإسلام وصفاء عقيدته ، وأن نتخذ من محمد - صلى الله عليه وسلم - قدوة وإماماً ، وأن نجعل من الإسلام سلوكا ومنهاجا ، فنلتزم برابطة الأمة الإسلامية ، وأن نحي فريضة طلب العلم ، وأن نجعل شعارنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يكون أمرنا شورى بيننا .

الزهـد وتوازن الإسـلام

الشيخ معوض عوض إبراهيم

من الحقائق التى ظلمها الناس ، ولم يعرفوها على أصح وجوهها من منهج حياة رسول الله ﷺ . وسلف هذه الأمة فى خير العصور . حقيقة الزهد . فليس الزهد هو منع النفس مما أحل الله من طيبات المآكل والمشرب والملبس والمركب والمسكن والمناكح . ولكنه التوازن والاعتدال اللذان يظهران بوضوح من حال رسول الله ﷺ . وقد أكل وشرب ولبس الخشن واللين . وصحيح أنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ما شبع من خبز البر ولا الشعير ثلاثة أيام متتابعة .

أخرج ابن حجر فى المطالب العالية/ جـ ٤ عن مجاهد قال : «إن الرجل من العوالى كان يدعو رسول الله ﷺ شطر الليل على خبز الشعير فيجيبه» .

والحديث مرسل رواته الثقات ، وأخرجه الهيثمى من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما ، ورواه الطبرانى ووثقه .

وقد كان يمر الهلال والهلالان والثلاثة أهلة ما توقد نار فى بيوت نسائه وهن تسع ، كل ذلك وأكثر منه كان ، ولكنه ﷺ أخذ من طيبات المآكل والملبس ما زادهُ شكراً لربه ، وعرفاناً لفضله ، وغبطة بأن يرى أضعافه عند أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ وكان يدعو الله لهم بالسَّعَة فى الرزق والبركة فى الأهل والولد .

أخرج ابن حجر قول أنس ـ رضى الله عنه : «كان فيما دعا لى النبى ﷺ : اللهم وآته مالاً وولداً» ، فما أعلم أحداً أصاب من لين العيش أفضل مما أصبت .. الحديث ، وهو مخرج بنحو هذا بغير هذا اللفظ عند الشيخين وغيرهما .

وقد سقى عمرو بن الحمق رسول الله ﷺ لبناً ، فدعا ﷺ وقال : «اللهم أمتِعْهُ بشبابه» فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء .

أفكان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يدعو لهم إلا بالخير ، وهو يكره لهم ما يكره لنفسه ، ويحب لهم ما يحبه لها ، لكنه لاريب كان أقدر على مواجهة الصعاب ، وأنهض ما يكون بالرضا عن الله ـ تعالى ـ معطيا وآخذا ، وقد كان من دعواته ﷺ : «اللهم أحيني مسكينا ، وأمتني مسكينا ، واحشرنى فى زمرة المساكين» . (الترمذى وابن ماجة عن أبى سعيد الخدرى) .

ويقول : «اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا» . متفق عليه بلفظ : «آل محمد قوتا» عن أبى هريرة بمعنى : «مايسد الرمق» ، وكأنه ﷺ بذلك يرجو أن يكون عزاء أو سلوى للذين قد

قدر الرحيم الكريم عليهم أرزاقهم حتى يوسع الله عليهم ، ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ سورة الشرح

« ولو كان العسر فى حجر ، لأرسل الله إليه يسرين فأخرجاه » (العجلونى ، كشف الخفاء ج٢) . « ولن يغلب عسر يسرين » .

يقول ابن القيم الجوزى – رحمه الله – فى زاد المعاد/ جـ ١/ص ٣٥ : ولبس ﷺ القميص ، وكان أحب الثياب إليه ، وكان كمه إلى الرسغ ولبس الجبة والفروج ، ولبس العباء ، ولبس فى السفر جبة ضيقة الكمين ، ولبس الإزار والرداء (قال :) ولبس ﷺ ثوبا أسود ، ولبس الفروة المكفوفة بالسندس ، وروى الإمام أحمد وأبو داود – بإسنادهما – عن أنس – رضى الله عنه – أن ملك الروم أهدى النبى ﷺ مستقة من سندس فلبسها ، فكأنى أنظر إلى يديه باديتان ..

قال الأصمعى : المساتق فرى « جمع فروة » طوال الأكمام .

قال الخطابى : يشبه أن تكون هذه المستقة مكفوفة بالسندس ؛ لأن الفروة لا تكون سندسا .

وما كان هديه فى طعامه – صلوات الله وسلامه عليه – إلا كما قال ابن القيم – رحمه الله : « وأكل الحلوى والعسل ، وكان يحبهما ، وأكل لحم الجزور ، والضأن ، والدجاج ، ولحم الحُبَارى ، ولحم حمار الوحش ، والأرنب ، وأكل الشواء ، وأكل الرطب والتمر » إلى آخر ما ذكر صاحب زاد المعاد ..

وصح عنه – صلوات الله وسلامه عليه – أنه كان – إذا انتهى من الطعام – حمد الله – تعالى – كما سمّى فى أوله ، فيقول – عند انقضائه : « الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، غير مكفى ولا مودّع ولا مستغنى عنه ربنا » .

أو يقول آخرا « الحمد لله أوله وآخره » .

وربما قال : « الحمد لله الذى يُطْعِمُ ، منّ علينا فهدانا وأطعمنا وأسقانا ، وكل بلاء حسن أبلانا .

الحمد لله الذى أطعم من الطعام ، وسقى من الشراب ، وكسى من العرى ، وهدى من الضلالة ، وبصّر من العمى ، وفضل على كثير ممن خلق تفضيلا » .

وفى دعائه – عليه الصلاة والسلام – إضافة دالة على عظيم تقواه لمولاه – سبحانه ، وأنه فى النعمة يرى فضل الله ، ويجد فى ميسور رزق الله مبعث رضاه – صلوات الله وسلامه عليه .

وكان هدى النبى والخير كثير يأكل ويشرب كما ، قال : المقدام بن معد يكرب العبدى قال قال رسول الله ﷺ : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلات ، يقمن صلبه ، فإن كان لابد فاعلا ؛ فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » . الترمذى – وقال : حديث حسن .

وفى جـ ٢ ص ٢٢ من زاد المعاد يقول الإمام ابن القيم : « وكان ﷺ إذا دخل على أهله ربما سألهم : هل عندكم طعام ؟ وما عاب طعاما قط ، إذا اشتهاه أكله ، وإن كره تركه وسكت ، وربما قال : أجدنى أعافه » ..

وقد ذكر – رحمه الله – وذكر غيره أنه كان يعاف الضبّ ، وما عابه ، وربما أكله غيره على مقربة منه – صلوات الله عليه .. قال : « وكان يمدح الطعام أحيانا ، لما سأل أهله يوما : هل

عندكم من إدام ؟ فقالوا : ماعندنا إلا خلّ ، فجعل يأكل منه ويقول : «نعم الإدام الخلّ» .

ودفع ابن القيم اعتراضا قد يرد ، فقال :

«وليس فى هذا تفضيل للخل على اللبن واللحم والعسل والمرق ، وإنما هو مدح له فى تلك الحال التى حضر فيها . قال : «ولو حضر لحم أو لبن كان أولى بالمدح منه ، وقال هذا تطييبا وجبرا لقلب من قدمه ، لا تفضيلا له على سائر أنواع الإدام» .

وقد كان - صلوات الله وسلامه عليه - إذا أكل اللحم قال - بعده : «الحمد لله ، اللهم بارك لنا فيه ، وارزقنا خيرا منه ، فإذا شرب اللبن ، قال : الحمد لله ، اللهم بارك لنا فيه ، وزدنا منه» .

وهو - صلوات الله وسلامه عليه - وقد سنّ لنا ثلث البطن للطعام ، وثلثه للشراب ، وثلثه للنفس ، كان ربما أعاد على من قدم له النبى ﷺ اللبـــن أن يشربه مرات ، كما فى حديث أبى هريرة - رضى الله عنه : فما زال يقول للرجل : اشرب حتى قال : «والذى بعثك بالحق نبيا لا أجد له مسلكا» .

فهو - صلوات الله وسلامه عليه - كما قال تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ الأحزاب/ ٦ يسقط الكلفة ، ويرفع الحرج ، ويخفف من هيبتهم له ، ليضاعف من إقبالهم عليه وارتياحهم إليه .

والله - تعالى - يقول : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾

(الأعراف : ٣١ - ٣٢)

وقد أخرج الإمام أحمد بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : «كلوا وتصدقوا والبسوا فى غير سرف ولا مخيلة» ..

والمخيلة : العجب والكبر ، وإنما كان أظهر ما فى السرف من معنى أنه الحرام ، وهذا الحديث أخرجه بلفظ متقارب الإمام البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ..

وفى ذلك كفاية من دليل على أن الإسلام دين التوازن والقصد والاعتدال والوسطية ، وذلك هو الزهد الذى نراه فى سنة نبينا ﷺ .. وفى قوله سبحانه : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ الأعراف/ ٣٢

رحم الله صاحب تفسير «روح المعانى» العلامة : الألوسى ، فقد أثلج الصدور بما أورد من حال رسول الله فى الأخذ من أطيب الحلل ، وحال ابن عباس - رضى الله عنهما - وهو يلقى الخوارج مبعوثا من على - رضى الله عنه ، ومن حال تميم الدارى وهو يقوم ليلة عند المقام . وحال ثياب أبى حنيفة النعمان ، ووائم أحسن موائمة بين كل ذلك ، وحال قميص عمر الخليفة الراشد - رضى الله عنه - وهو وجه وضيء للأئمة والولاة إلى آخر الزمان ؟

القدس وأموال العرب المغتصبة

بقلم الأستاذ
عادل رفاعى خفاجة

زعم رئيس الوزراء الإسرائيلى بالنيابة شيمون بيريز أن «القدس لم تكن أبداً عاصمة عربية» .

إن هذا الزعم خير دليل على ماتود أن تبتلعه إسرائيل مما تبقى من حقوق المسلمين ـ على مرأى ومسمع من هذا العالم ـ العالم الذى لم يساند الحق يوما فى فلسطين ـ مغمضة أعينها عن هذا التاريخ العريض الذى يثبت الحق الإسلامى والفلسطينى ، ولتثبت ـ أيضاً فى تحد وصلف ـ أن الجشع الإسرائيلى الذى أتخمته أموال العرب منذ عام ١٩٤٨ ، يستعد لالتهام القدس ذاتها .

ترى : لماذا لم يدفعه نفس التبجح إلى القول بأن القدس لم تكن ـ أيضاً ـ إسلامية .. حتى يتم لهذه الأكذوبة من الخرافة أن تكون دائرة وهم فى آذان إسرائيل .

وبين أيدينا ـ وهو حجتنا ـ كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شاهدان على حقوقنا نحن العرب والمسلمين من خلفنا فى ملكيتنا للقدس وغيرهم .

لمحة تاريخية :

تعتبر التوارة المتداولة أحد الأدلة على وجود الشعب العرقى الفلسطينى بهذه المنطقة منذ أكثر من ٣٥٠٠ عام تنطق بذلك حروب اليهود بتلك الأرض .

ثم كان الفتح الإسلامى لفلسطين عام ٦٣٨م فى عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ الذى رفض أن يصلى فى إحدى كنائس «أورشليم» بناء على دعوة من البطريرك ، مخافة أن يأتى المسلمون من بعده ، فيتخذوها مسجدا ، ويقولوا : هاهنا صلى عمر ـ رضى الله عنه .

من هذا التاريخ يمكن أن نؤرخ للتاريخ الإسلامى للقدس . أو منذ بسط الإسلام عدالته وسماحته وإنصافه ليعم فلسطين ـ موثقا ـ بكتاب الصلح بين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وبين أهل إيلياء إذ يقول فيه :

« هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها ، وسائر ملتها أنه لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ، ولاينتقص منها ولا من حيزها ، ولامن صليبهم ولا من شيء من أموالهم ، ولايكرهون على دينهم ، ولايضار

أحد منهم ،، ولايسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .. »[1] ولم يكن ذلك الفتح إلا لتأكيد ذلك الارتباط – بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى – الذى جاء به القرآن الكريم فى قول الحق تبارك وتعالى :

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ①﴾ سورة الإسراء

فكان الإسراء أولا ، حين أسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ؛ ليؤكد امتداد حق الإسلام فى فلسطين ، وليؤكد ارتباط فلسطين بأرض الإسلام كلها ، وبمكة المكرمة ارتباطا وثقته هجرة إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ؛ ليؤكد الأنبياء بذلك عهدهم الذى أخذه الله منهم وإقرارهم بنبوة محمد ﷺ وميثاقهم الذى وثقوه .

ثم انطلقت كتائب الإسلام من المدينة المنورة ، لتعيد الإسلام إلى فلسطين ، وتعيد فلسطين إلى الإسلام ، إلى أهلها وأصحابها ، إلى الأمة المسلمة الواحدة التى تحمل رسالة الله فى الأرض[2] .

لقد أمر الله ـ تعالى ـ المسلمين فى كل أصقاع المعمورة أن يتجهوا فى صلاتهم إلى قبلة واحدة إلى بيت الله الحرام ، ولم يكن الاتجاه إلى بيت المقدس إلا امتحانا وابتلاء لقلوب المؤمنين ، يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ البقرة/١٤٣

وتبقى فلسطين ساحة ابتلاء وتمحيص ، ويظل الإسلام يخوض أشد المعارك فى جهاد كريم . «إنه صراع الإيمان والتوحيد مع الشرك بمختلف ألوانه . إنهم يسمونه أحيانا صراعا بين «الحضارات» ، ليزكى المشركون أنفسهم ، ويعلوا من شأن فسادهم فيسمونه «حضارة» .

إنه صراع بين الحق والباطل ، امتد واتسع وأخذ جميع أشكال الصراع : فمن صراع القنا والرماح والقنابل والمدافع ، إلى صراع الفكر والعقيدة إلى صراع العلم والثقافة ، والكلمة والأدب والسياسة ، وصراع الاقتصاد والمال والمصالح المتشابكة . لقد شهدت فلسطين جميع أنواع الصراع الذى امتد حتى يومنا هذا بأشكاله المختلفة ليجد الإسلام اليوم أعظم تحد عرفه التاريخ ، وأخطر مرحلة يمر بها المسلمون ، ابتلاء منه سبحانه وتعالى»[3] . وهو ماأشار إليه النبى الكريم ـ صلوات الله عليه ـ فعن أبى أمامة الباهلى قال : قال رسول الله ﷺ : «لاتزال طائفة من أمتى على الدين ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لايضرهم من خالفهم ولا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك» قالوا يارسول الله وأين هم ؟

قال : «ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس»[4] .

وإذا كانت تلك الصفحة البيضاء الناصعة

---

(١) يمكن الرجوع إلى نص هذا الكتاب فى : ـ تاريخ الطبرى سنة ١٥ هـ .

(٢) د. عدنان على رضا النحوى : فلسطين بين المنهج الربانى والواقع ص ٣٤ دار النحوى للنشر والتوزيع ط ٣ الرياض/ ١٩٩٢

(٣) د. عدنان على رضا النحوى : المرجع السابق ص ٣٩ : ٤٠

(٤) أخرجه الإمام أحمد .

سطرها الحق بحروف من نور ، نور العدل والمساواة والأمان : الأمان الذى لايخشى معه الراعى على غنمه إلا الذئب . وإذا كانت تلك الصفحة المشرقة قد طويت - لحين - لتنشر صفحة أخرى يسوِّدها الظلمُ ويُسوِّدُها ، ولنرى فلسطين : أرض الرسالات السماوية يسودها إرهاب «بيجن» الذى يقول : «نحن نقاتل ، إذن نحن موجودون ، بالدم ، والنار ، والدموع ، والدخان ، وبنوع جديد من الإنسانية نوع مجهول تماما للعالم ، منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام : اليهودى المحارب»(٥) .

من هذه الرؤية الدموية وتلك الصياغة التى تعلو لناحم بيجن أن يستخدمها ؛ ليثبت أن القتال فلسفة صهيونية ، وأن التفكير الصهيونى تتكون مفرداته من الدم ، والنار ، والدموع ، والدخان ..!! من هذه الرؤية الدموية يمكن أن تستجلى صورة الكيان الجديد .

نشأة إسرائيل :

ارتبطت نشأة إسرائيل إرتباطا وثيقا بسقوط دولة الخلافة العثمانية الإسلامية ، وتقسيم أراضيها بين «الدول الإمبريالية» خاصة بين بريطانيا وفرنسا بموجب اتفاقية «سايكس - بيكو» .

ثم صدور تصريح (وعد) من «آثر جيمس بلفور» وزير خارجية بريطانيا إلى المليونير اليهودى الانجليزى ، البارون «آدمون دى روتشيلد» فى الثانى من نوفمبر عام ١٩١٧م ، جاء فيه :

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إقامة وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، ولسوف تبذل كل مساعيها لتيسير تحقيق هذا الهدف .. على ألا يؤدى هذا إلى المساس بالحقوق السياسية والدينية للسكان غير اليهود الموجودين فى فلسطين أو المساس بالحقوق السياسية لليهود فى أى بلد آخر .. وأكون ممتنا لو أنك نقلت هذا الإعلان (الوعد) إلى علم المنظمة الصهيونية»(٦) .

وهنا نقدم ما لاحظه المفكر الإسلامى رجاء جارودى حيث يقول تعليقا على ذلك الإعلان :

«وهنا ملاحظتان على الأقل بصدد هذه الوثيقة ، التى كانت ذات تأثير حاسم على التاريخ اللاحق لفلسطين :

أولا : من ناحية الواقع التاريخى ، فإن من يطلق عليهم «المجتمعات غير اليهودية» كانوا يشكلون فى ذلك الوقت ٩٢٪ من سكان فلسطين .

وثانيا : من الناحية القانونية : فإن إعلان بلفور يخص أرضا لم يكن لبريطانيا العظمى فيها أى حق ، ومن ثم لم تكن تستطيع أن تتصرف فيها»(٧) .

ولم يكن ما أعلن بشأن عدم المساس بحقوق الفلسطينيين - أهل الأرض - هو ما أضمر ؛ إذ جاء فى مذكرة اللورد بلفور مايلى :

«ليس فى نيتنا حتى مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين»(٨)

«إن القوى الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية ، وسواء أكانت الصهيونية على حق أم

(٥) رجاء جارودى : فلسطين أرض الرسالات الالهية : ترجمة د/عبدالصبور شاهين ص ٣٥٥
(٦) لواء ا . ح دكتور فوزى محمد طايل : النظام السياسى فى إسرائيل ص ١٤ دار الوفاء للطباعة والنشر - المنصورة ١٩٩٢م .
(٧) رجاء جارودى : مرجع سابق ص٣٣٨ ، ص٣٣٩ دار التراث القاهرة ١٩٨٦
(٨) لواء أ . ح دكتور فوزى محمد طايل : المرجع السابق

على باطل ، جيدة أم سيئة فإنها متأصلة الجذور فى تقاليد «العهد القديم» ، وهى تلبى الحاجات الحالية والآمال المستقبلية ، وهى ذات أهمية تفوق بكثير رغبات وميول السبعمائة ألف مسلم الذين يسكنون الآن هذه الأرض القديمة .

ينبغى أن تكون فلسطين متاحة لأكبر عدد من المهاجرين اليهود ، لذا فإن من المرغوب فيه أن تكون لها السيادة على الموارد المائية التى تحفها بشكل طبيعى ، سواء أكان ذلك عن طريق توسيع حدودها شمالا أم عن طريق عقد معاهدة مع سوريا الواقعة تحت الانتداب»[9]

ولنا أن نتصور ماينتجه هذا التحالف الأثيم بين الدول الأربع ومايمكن أن تتمخض عنه تلك العلاقة التى تعلن أمام العالم الحرص على مصالح «غير اليهود» ثم تمرر مذكرة فى الخفاء لتؤكد عدم حرصها حتى على مشاعر السكان الفلسطينيين ؟ كانت النتيجة الحتمية لذلك الأسلوب المقيت : زيادة شراهة اليهود للمال والدم العربى .

فتوالت الهجرات والاستيلاء على الأراضى الزراعية ، ثم كانت مذبحة «دير ياسين» التى قتل فيها معظم السكان العرب يوم ٩ ابريل ١٩٤٨ ، مما أدى إلى نزوح قرابة ٢٠٠,٠٠٠ فلسطينى من الأراضى التى خصصتها توصية الأمم المتحدة لليهود .

لعل فيما سبق استجلاء لجزء من تلك الصورة الظالمة المظلمة التى أوضحت كيف نشأت تلك الدولة الدخيلة على النار والدخان والدم والدموع ذلك المناخ المناسب لقيام مثل تلك الكيانات الشيطانية .

يتبع ذلك صفحة أكثر ظلما ، بعد قيام ذلك الكيان الدخيل وبعد أن أصبح له سلطات ، تسن القوانين وتشرع التشريعات .

فنرى فى عام ١٩٥٠م تشريعا باسم (**قانون الغائبين**)[10] يُسن خصيصا للاستيلاء على أموال العرب ، إذ وضعت أموال العرب تحت الحراسة ، بموجب ذلك القانون ، حيث وضع أموال كل من كان فى ٢٩ نوفمبر ٤٧ خارج فلسطين ، وكل شركة أو جمعية نصف أعضائها ورأسمالها خارج فلسطين تعتبر مالكا غائبا ! وأعطت الحارس صلاحيات لبيع هذه الأملاك ، لتستخدم هذه الأموال فى توطين المهاجرين اليهود !

ثم إصدار تشريع «قانون (استملاك) الأراضى» استهدف استملاك الأراضى العربية تحت ستار الحاجة إليها لأغراض التعمير والإنماء والاقتصاد لشئون تتعلق بالأمن والدفاع .

تبع ذلك قانون «نزع الملكية» أصدر لتتمكن السلطات اليهودية من هدم عشرات القرى وألوف المنازل والبيوت العربية فى القدس الجديدة وحيفا ويافا وصفد وطبريا والرملة وغيرها بحجة التنظيم والتحسين وشق الطرق والشوارع .

ثم **«قانون التصرف»** : وينص هذا القانون على أنه إذا لم يتصرف صاحب الملك بأرضه تصرفا فعليا «أى بنفسه وبيده» وكانت الحكومة محتاجة إليها للأغراض الدفاعية أو لأغراض التوطين ، فإنها تصبح بأمر وزير المالية ملكا للدولة . وهكذا لاتحتاج إسرائيل للاستيلاء على أراضى العرب ـ وبشكل قانونى ـ إلا إصدار قرار بمنع التجول ..

(٩) لواء أ . ح دكتور فوزى محمد طايل : المرجع السابق ص ١٥ ، ١٦ .

(١٠) د. يعقوب الخورى : أملاك العرب وأموالهم المجمدة فى فلسطين المحتلة ـ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .

ثم يأتى دور وزير المالية ليصادر تلك الأراضى وفقا لقانون التصرف !

لمحة مما جناه الصهاينة من اغتصاب أملاك العرب :

- فى الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٣ أقيمت ٣٧٠ مستعمرة جديدة ، منها ٣٥٠ مستعمرة يهودية أقيمت على أملاك الغائبين العرب .

- إن مدنا كـ (يافا) و (اللد) و (الرملة) و (عكا) و (بيسان) ومئات القرى لم يكن فيها ساكن يهودى واحد ، باتت آهله باليهود .

- بلغ مقدار ماصدرته إسرائيل من بساتين الحمضيات الخاصة بالعرب عام ٥٢/٥١ ١،٢٥٢،٠٠٠ صندوق من الثمار وهو يعادل نصف ماصدرته إسرائيل فى ذلك العام ، كما يعادل ٢٩٪ مما جنته من العملة الأجنبية ثمنا لصادراتها .

- استولت السلطات الإسرائيلية على جميع الأموال المنقولة الخاصة بمليون عربى بما فيها جميع السلع ومحتويات المحلات التجارية ، والحلى والمجوهرات التى سلبها اليهود من المدن العربية التى داهموها على نحو ماحدث فى : اللد والرملة وجميع المدن والقرى فى الجليلين الشرقى والغربى .

- كما استولوا على الأملاك العقارية فى اثنتى عشرة مدينة عربية بالإضافة إلى ٧٠٠ قرية .

وقد قدر الخبراء الثروة العربية فى فلسطين بحوالى ألفى مليون جنيه استرلينى موزعة كما يلى :

١٠٠ مليون جنيه مزارع الحمضيات بما فيها من أبنية ومحركات .

١ مليون جنيه مزارع الموز .

٢٧٥ مليون جنيه مزارع الفاكهة والزيتون والأشجار الأخرى .

٣٠ مليون جنيه الأراضى نصف الزراعية .

١١٠٠ مليون جنيه العمارات والمبانى والأملاك فى المدن والقرى

٢٠٠ مليون جنيه الأموال المنقولة بما فى ذلك المفروشات والحلى والسيارات .. الخ .



نسب ملكية الأرض للعرب واليهود فى مختلف أقسام فلسطين حتى عام ١٩٤٥ :

القسم	عرب	يهود
صفد	٪٦٨	٪١٨
عكا	٪٨٧	٪٣
طبريا	٪٥١	٪٣٨
بيسان	٪٤٤	٪٣٤
الناصرة	٪٥١	٪٢٨
حيفا	٪٤٢	٪٣٥
جنين	٪٨٤	أقل من ١٪
نابلس	٪٧٦	أقل من ١٪
طولكرم	٪٧٨	٪١٧
رام الله	٪٩٩	أقل من ١٪
القدس	٪٨٤	٪٢
الخليل	٪٩٦	أقل من ١٪
يافا	٪٤٧	٪٣٩
الرملة	٪٧٧	٪١٤
غزة	٪٧٥	٪٤
بير سبع	٪١٤	أقل من ١٪

راجع النسب السابقة وهى نقلا عن الخريطة رقم ٩٤ لهيئة الأمم المتحدة .

ويبدو فيها واضحا أن القدس عربية ؛ حقيقة تقولها أرقام الأمم المتحدة وأن السكان العرب كانوا يمثلون ٨٤٪ من مجموع السكان فى حين كان اليهود يمثلون ٢٪ فقط من ذلك المجموع [١١] .

ترى ، هل هذه الحقائق كافية لتكف إسرائيل عن إدعائها ؟ وبخاصة والقدس ، ليست قضية أموال أو أراضى مغتصبة ، إنما هى مسألة عقيدة فهى مسرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفيها أولى القبلتين وثالث الحرمين ودونها يهون كل مرتخص وغال .

وبعد ، فنسأل المولى العلى القدير أن يلهم قادة الأمة الإسلامية إلى لم الشمل وضم الصف لمواجهة هذا الموقف ، متمسكين بقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ صدق الله العظيم

(١١) د. يعقوب الخورى : المرجع السابق ؛ ص ٢٦ : ٢٨ .

أسرار التشريع الإسلامي وفلسفته

إعداد وتقديم: د. عبد الفتاح حسين الزيات

أربعة عشر قرنا مضت منذ أن بزغ فجر الإسلام على الجزيرة العربية ، وعم ضوؤه أرجاء المعمورة . وقد جاء بتشريع محكم ، حوى كل الخير للإنسانية .

لقد تناول هذا التشريع الباحثون والمتخصصون والراسخون فى العلم ، شرحا وتحليلا وتفصيلا ، ورأينا ثمار بحوثهم واجتهاداتهم فى رسائل علمية شتى .

فهل أحاطوا بهذا التشريع علما ، وهل سبروا بحثه غورا .. ؟ أم لا زالت أسرار هذا التشريع خافية تطلب من يكشف عنها حين يريد الله ـ عز وجل .

قد تغيب فلسفةالتشريع الإسلامي عن الأذهان أو تبعد عن بؤرة التصور أو تدق ، حتى يخال الباحث أن ليس لها وجود . وملاك الأمر كله فى يد الله الذى يعطى فضله من يشاء ، لاستكناه هذه الأسرار ، وسبر غورها ، وإخراجها إلى حيز الوجود ، لتضاف إلى معجزات الإسلام ، هذا الدين الخاتم والشريعة العامة ، وما ذلك على الله بعزيز ، وهو وحده الذى يعلم حيث يجعل رسالته . يقول الأستاذ :

خلق الله الإنسان مؤلفا من طبيعتين متباينتين : إحداهما ملكية علوية ، والأخرى حيوانية شهوانية ، فمن غلبت شهوته عقله التحق بصنف البهائم ، ومن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة .

وقد شرع الله التكاليف امتحانا لخلقه ، ثم قرنها بالزواجر والعظات ؛ لتكون عونا لعقله على التغلب على دواعي الشهوات فيه .

فالتكاليف الشرعية قاصرة على نوع الإنسان كما قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾(١)

وقد فسر أكثر العلماء الأمانة بالتكاليف الشرعية . على أنه لم يقصد من هذه التكاليف تسخير الإنسان أو تحميله ما لا قبل له به ، ولكن

(١) سورة الأحزاب .

أريد بها تطهيره وتخليص جوهره من الكدور التي علقت به ، كما قال تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ ﴾(٢).

وقد عمل المسلمون الأولون بهذه التكاليف فصحت عقولهم وأجسامهم ، وقويت نفوسهم وإراداتهم ، وتقمصتهم روح علوية سموا بها على جميع الأمم المعاصرة لهم حتى سادوا عليها وأصبحت لهم خلافة الله في الأرض .

فإذا كانت هذه الكمالات ثمرة التكاليف الإسلامية ، فكيف لا يحرص عليها المسلمون ويعملون بها ويتدارسونها ويجعلون التواصي بها أمرا محتما على كل منهم فردا فردا ؟

هذا وقد تفضل الله على الإنسان بهبات عظيمة جثمانية وروحانية ، ومتعه بخصائص عالية صورية ومعنوية ، أفلم يكن من حقه عليه أن يشكره على هذه النعم الجليلة ، والعطايا الجزيلة بالإقرار بفضله ، والإخبات لعزته ، والخشية من جبروته ، لذلك وجب علينا أن نقابل هذه الآلاء الإلهية بالشكر الجميل ، وأن نفهم أن الأرواح قبل أن تدنس بالعالم الجسماني قد خضعت لربها فانطبع فيها الإقرار بالوحدانية ، فالواجب علينا أن نقر بها ، وأن نعترف بالعبودية لبارئها ، وأن تبقى حافظة لعهدها القديم ، بعد أن لابستها تلك الأجسام البشرية ، وأحاطت بها إحاطة السوار بالمعصم .

إذاً فالعبادة لله أقدس غاية من غايات الأرواح ، وأسمى مقصد من مقاصدها ، وثمرة العبادة خلاص الإنسان من أسر جثمانه ، وعروجه بروحه إلى أرقى درجات الكمال من وجوده الصوري والروحاني . وهذه غاية يجب أن يعنى بها ،وتراض النفوس لبلوغها ، فإنها أسمى الغايات على وجه الإطلاق .

وقد فرق النبي ﷺ بين الإسلام والإيمان فقال : « الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا » قال :

« والإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره »(٣) .

والأحاديث صريحة في أن الأعمال الظاهرة للإنسان من الإيمان ، كقول الرسول ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها : قول لا إله إلا الله ، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق »(٤) . وقوله لوفد عبدالقيس : « آمركم بالإيمان بالله وحده ، أتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم »

ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانا بالله بدون إيمان القلب ، لما قد أخبر في غير موضع

---

(٢) سورة المائدة .
(٣) رواه الخمسة .
(٤) صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه .

أنه لابد من إيمان القلب ، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان .

وفي المسند عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال : « الإسلام علانية ، والإيمان في القلب » .

وقال سفيان بن عيينة : كان العلماء فيما مضى يكتب بعضهم إلى بعض بهذه الكلمات : « من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه » . رواه ابن أبي الدنيا في الإخلاص .

وثبت عنه ﷺ من وجوه متعددة أنه قال : « الحياء شعبة من الإيمان » . وهذا من حديث ابن عمر وابن مسعود وعمران بن الحصين .

وقال أيضاً : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » وقال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه »[٥] .

وقال ﷺ : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ! » قيل : من يا رسول الله ؟ قال : « الذي لا يأمن جاره بوائقه » . وقال ﷺ : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[٦] .

وقال ﷺ : « ما بعث الله من نبي إلا كان في أمته قوم يهتدون بهديه ويستنون بسنته ، ثم إنه يخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

وفي الحديث المتفق عليه من رواية أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ورواه البخاري من حديث ابن عباس قال النبي ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب النهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن » .

ثم إن العلماء قد اختلفوا فيما بينهم في : هل الإيمان يزيد وينقص ؟ ، أو أنه لا يزيد ولا ينقص ؟ وتشعب البحث تشعبا أفضى إلى كثرة من القول مستفيضة . ثم إننا كنا قطعنا مع القراء شوطا بعيدا في مشروعية النكاح وأسبابه ، ومن يجوز نكاحه ومن لا يجوز ، وقد بقي أن نتكلم عمن حرم نكاحهن المحصورات في عشرين محرمة .

كذلك كنا قد وعدنا حضرات القراء باستتمام البحث في حكمة إرسال الرسل . غير أن بحثنا الراهن لا يتسع لكل هذه التفاصيل . لذلك نستميحهم عذرا في الوقوف بهم عند هذا الحد اليوم من البحوث المتشعبة .

---

(٥) رواه الخمسة إلا أبا داود .
(٦) رواه الخمسة إلا البخاري .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

«شكر .. النعمة»

النعمة إذا شكرت قرت ، وإذا كفرت فرت .

وقيل : لا زوال للنعمة إذا شكرت ، ولا بقاء لها إذا كفرت .

وقيل : النعمة وحشية فقيدوها بالشكر . والله - سبحانه - وعد بالزيادة لمن شكر . ولم يستثن فيه ، واستثنى فى خمسة أشياء : فى الإغناء والإجابة ، والرزق ، والمغفرة ، والتوبة .

فقال - جل وعلا - : ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ﴾ التوبة ٢٨

وقال : ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ ﴾ الأنعام - ٤١

وقال : ﴿ يرزق من يشاء ﴾(٣) آل عمران - ٣٧

وقال : ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ البقرة - ٢٨٤

وقال : ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ﴾ سورة التوبة

وقال - تعالى - فى الشكر من غير استثناء : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ، والشكر يكون بالقلب ، واللسان ، والأفعال ، قال الشاعر :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة

يدى ولسانى والضمير المحجبا

«أظلم الناس لنفسه»

روى عن الإمام محمد بن إدريس الشافعى ، أنه قال : أظلم الناس لنفسه : اللئيم ؛ فإنه إذا ارتفع جفا أقاربه ، وأنكر معارفه ، واستخف الأشراف ، وتكبر على ذوى الفضل .

«ابنتها .. عنك»

قيل لمعاوية - رضى الله عنه - وهو يداعب بنية له - رضى الله عنهما - : ابنتها عنك يا أمير المؤمنين : فوالله إنهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء ، فقال معاوية : لا تقل ذلك ، فما ندب الموتى ، ولا تفقد المرضى ، ولا أعان على الحزن مثلهن .

«نصيحة»

لا ترغبن إلى من قصرت همته عن همتك ، وزاد حرصه على حرصك ، وكانت حيلته أوسع من حيلتك .



استأذن نصيب بن رباح على عمر بن عبدالعزيز فلم يأذن له ، فقال : أعلموا أمير المؤمنين أنى قلت شعرا أوله : الحمد لله ، فأعلموه ، فأذن له فأدخل عليه ، وهو يقول :

الحمد لله ، أما بعد : ياعمر
فقد أتتنا بك الحاجات والقدر
فأنت رأس قريش وابن سيدها
والرأس فيه يكون السمع والبصر
فأمر له بحلية سيفه



إذا غامرت فى أمر مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير
كطعم الموت فى أمر عظيم



ربّ قريب أبعد من بعيد ، وبعيد أقرب من قريب ، والغريب من لم يكن له حبيب .

« ماتشتهى ؟ »

قيل لرجل : ماتشتهى ؟ فقال : جنى النحل وجنى النحل ، فقيل : أيهما أحب إليك ؟ قال : أشفاهما وأنقاهما .

« مايهمكم من ذلك » !!

قيل لأبى حازم : غلتِ الأسعار !! فقال : مايهمكم من ذلك ، إن الذى يرزقنا فى الرخص ، هو الذى يرزقنا فى الغلاء .

« لا يتم المعروف إلا بثلاث »

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما : لا يتم المعروف إلا بثلاث : تعجيله وتصغيره وستره ، فإنه إذا عجله هنأه ، وإذا صغره عظمهُ ، وإذا ستره تممه .



اللهم ياعالم الخفيات ، ويارافع الدرجات ، ياغافر الذنب ، وقابل التوب ، نسألك أن تذيقنا بَرْد عفوك ، وحلاوة رحمتك .. يا أرحم الراحمين .

العلوم الكونية

العلوم التقنية فى التراث الإسلامى

٢

عرض وتحليل أ.د/ أحمد فؤاد باشا

واكب انتشار الإسلام واتساع رقعة الدولة الإسلامية قيام نهضة عمرانية كبرى تمثلت فى ظهور مدن جديدة ، ونمو مدن أخرى كانت قائمة قبل الإسلام ، وبنيت الأسوار والحصون ، وأنشئت المساجد والقصور ، و «البيمارستانات» (المستشفيات) والمدارس وخزانات المياه .. وقد أضافت العمارة الإسلامية تقنيات ونظما لم تكن معروفة من قبل ، منها : أنظمة المساجد والأضرحة والمدارس ، كذلك ابتكرت العمارة الإسلامية عناصر كثيرة منها : أشكال العقود والتيجان والقباب والمحاريب والمآذن والمنارات وغيرها .

وازدهرت تقنية الزخارف المعمارية الإسلامية ، واتخذت لها خصائص متميزة ، سواء من حيث تصميمها وإخراجها ، أو من حيث موضوعاتها وأساليبها . واستخدم التقنيون المسلمون خطوطا زخرفية رائعة المظهر والتكوين ، وجعلوا من المجموعات الزخرفية نماذج انطلق فيها خيالهم إلى اللانهاية والتكرار والتجدد والتناوب والتشابك ، وابتكروا المضلعات النجمية وأشكال التوريق وأشكال التوشيح العربى ، الذى أطلق عليه الأوروبيون صفة «الأرابسك» *ARABESQUE* ، ولايزال هذا النسق العربى فى الزخرفة يحظى بالاهتمام فى بلدان عديدة ، منذ ظهر لأول مرة فى الزخرفة الفاطمية ، وفى مسجد الأزهر ، فى منتصف القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى)[1] .

وصاحب ازدهار التقنيات المعمارية الإسلامية نهضة مماثلة فى الحرف والصناعات المعنية بإنتاج التحف الثمينة من الخشب والعاج والخزف والزجاج والمعادن والجلود والمنسوجات الكتانية والحريرية والصوفية .

وسوف نعرض فيما يلى لعدد من تقنيات العمارة الإسلامية بشيء من الإيجاز للوقوف على أهميتها ، ودور علماء الحضارة الإسلامية فى استحداثها أو تطويرها :

(أ) تقنية الصوتيات المعمارية :

يدين علم الصوتيات *ACOUSTICS* بنشأته وإرساء أصوله المنهجية السليمة لعلماء المسلمين فى عصر النهضة العلمية الإسلامية ، وقد أفادوا منه فى مجالات حيوية مختلفة ، من بينها تطوير تقنية

(١) د . أحمد فكرى «فى العمارة والتحف الفنية» فصل فى كتاب «أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوربية الحديثة» ، إشراف مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونسكو) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .

الهندسة الصوتية ، واستخدامها فيما يعرف الآن «بتقنية الصوتيات المعمارية» .

فقد عرفوا أن الصوت ينعكس عن السطوح المقعرة ويتجمع فى بؤرة محددة ، شأنه فى ذلك شأن الضوء الذى ينعكس عن سطح مرآة مقعرة .

وإذا أجرى حساب دقيق لهندسة السطوح المقعرة ، فإنه يصبح بالإمكان تسليط الأمواج الصوتية المنعكسة ، وتركيزها فى اتجاهات معينة ، بحيث تزيد من وضوح الصوت وشدته . أما إذا لم تراع الحسابات الدقيقة لأماكن السطوح المقعرة وأبعادها ، بالنسبة لأماكن إصدار الصوت واستقباله ، فإنه ينتج عن ذلك «تشويش» لدى السامع . وقد استخدم «التقنيون» المسلمون خاصية تركيز الصوت *FOCUSING OF SOUND* فى أغراض البناء والعمارة ، وخاصة فى المساجد الجامعة الكبيرة لنقل وتقوية صوت الخطيب والإمام فى أيام الجمعة والأعياد .

مثال ذلك : مسجد أصفهان القديم ، ومسجد العادلية فى حلب ، وبعض مساجد بغداد القديمة ، حيث كان يُصمَّم سقف المسجد وجدرانه على شكل سطوح مقعرة موزعة فى زوايا المسجد وأركانه بطريقة دقيقة تضمن توزيع الصوت بانتظام على جميع الأرجاء .

وإن هذه المآثر الإسلامية الباقية حتى اليوم لخير شاهد على ريادة علماء الحضارة الإسلامية فى تقنية الصوتيات الهندسية ، وذلك قبل أن يبدأ العالم المعروف «والاس ك سابين» حوالى عام ١٩٠٠م ، فى دراسة أسباب سوء الصفات الصوتية لقاعة محاضرات فى جامعة «هارفارد» الأمريكية ، وتتبع سلوك الخواص الصوتية للقاعات وحجرات غرف الموسيقى[٢] .

ولكى نقف على مدى أهمية تطوير المسلمين لتقنية الصوتيات المعمارية ، تكفى الإشارة إلى أن خاصية تركيز الصوت تستخدم فى الحضارة المعاصرة ، كجزء أساسى من هندسة الصوتيات المعمارية ، حيث تزود المسارح وقاعات الاحتفال الكبيرة ، بجدران خلفية مقعرة ، تعمل على ارتداد الصوت وزيادة وضوحه . ويمكن تحسين الحالة الصوتية فى القاعات باستخدام ألواح من مواد ماصّة للطاقة الصوتية ، مثل «الفلين» و «الجبس» ونسيج «الألياف الزجاجية» ***FIBERGLASS*** ، وتوضع هذه الألواح فى أماكن معينة على السقف والجدران ، بغرض تقليل دوىّ الصوت أو التخلص منه .

(ب) تقنية العقود والقباب :

يقرر أهل الاختصاص فى مجال العمارة الإسلامية[٣] أن أول ما ظهر من عناصر وأشكال التقنيات المعمارية الإسلامية هو «العقد المتقوّس» ، الذى استخدم فى المسجد الأموى بدمشق عام

---

(٢) س . ج . فوربس وأ . ج . ديكسترهوز ، تاريخ العلم والتكنولوجيا ، الجزء الثانى : القرنان الثامن عشر والتاسع عشر ، الترجمة العربية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٦٦ م ، ص ٦٨ . وتجدر الإشارة من جانبنا إلى ما جاء فى هذا الكتاب من اعتبار «سابين» رائداً فى مجال بناء قاعات استماع الموسيقى على أساس علمى ، وكانت الأمانة العلمية والإنصاف يقتضيان أن ينوّه فى الترجمة العربية على الأقل إلى الريادة الحقيقية لعلماء المسلمين فى مجال تقنية «الصوتيات المعمارية» ، ولعل هذا يؤكد أهمية الحاجة إلى تنقية الكتب العلمية المترجمة والمؤلفة من المغالطات التى تسربت أو تتسرب إلى ثقافتنا .

(٣) راجع فى ذلك : د . أحمد فكرى ، مرجع سابق .

٨٧ هـ = ٧٠٦ م ، وعُمّم استخدامه بعد ذلك بحيث أصبح عنصراً مميزاً للعمارة الإسلامية ، وخاصة فى بلاد المغرب والأندلس ، ثم اقتبسه البناة الأوروبيون ، وأكثروا من استخدامه فى بناء كنائسهم وأديرتهم .

كذلك طور المسلمون تقنية «العقود ثلاثية الفتحات» ، التى كان مصدرها فكرة هندسية بحتة قائمة على القسمة الحسابية ، وهو ما استدل عليه الباحثون من رسم باق على جدار فى أطلال مدينة «الزهراء» . وانتشر استعمال هذا النوع من العقود فى الكنائس الإسبانية والفرنسية والإيطالية .

وهناك أيضاً تقنية العقود المفصصة ، أو المقصوصة ، وهى عقود قُصّت حوافها الداخلية على هيئة سلسلة من أنصاف دوائر ، أو على هيئة عقد من أنصاف فصوص ، ولعل هذا العقد المفصص قد اشتق من شكل حافة المحارة ، غير أنه اتخذ فى العمارة الإسلامية المظهر الهندسى البحت ، وأصبح فيها ابتكارا ، ظهر أول ما ظهر ، فيما تبقى من الآثار ، فى أوائل القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) ، واتضحت معالمه الهندسية كاملة فى بناء قبة المسجد الجامع بالقيروان فى سنة ٢٢١ هـ = ٨٣٦ م .

واحتفظ العقد المفصص بمظهره الهندسى فى تطوره بعد ذلك بالرغم من تعدد أشكاله ، ثم تشابكت العقود المفصصة فى القرون التالية ، وازداد عدد الفصوص ، وتصاغرت ، وتداخلت فيها زهيرات ووريدات ، وأصبح شكلها زخرفيا جذابا ، حليت به المآذن والمحاريب .

ومن المغرب والأندلس اشتقت العمارة المسيحية فى أوروبا أشكال العقود المفصصة لتزيين واجهات الكنائس .

وإلى جانب هذه الأنواع من العقود ظهرت فى العمارة الإسلامية أشكال أخرى منها : العقود المدببة والصماء والمنفرجة ، وقد انتشر استخدامها فى بلاد المشرق والمغرب على السواء ، وتوجد أمثلة منها فى العمارة الأوربية . فعلى سبيل المثال : انتقل العقد المنفرج إلى العمارة الإنجليزية ، وعمّ استعماله فى القرن السادس عشر باسم «العقد التيودورى» *TUDOR ARCH* ، بينما سبقت العمارة الإسلامية إلى استخدامه قبل ذلك بخمسة قرون فى مساجد : الجيوشى والأقمر والأزهر بالقاهرة . ولا تختلف أمثلة العقد التيودورى فى إنجلترا ، مظهراً وعنصراً ، عن أمثلة العقود المنفرجة فى القاهرة ، وإن كانت أعمدتها هنالك رفيعة وأكثر طولاً ، وهذا أمر طبيعى أملاه التطور التقنى فى غضون خمسة قرون .

أما القباب فقد تطورت كثيراً فى العمارة الإسلامية ، واتخذت فكرتها الهندسية أشكالاً مختلفة فى قبة المحراب بالمسجد الجامع بالقيروان ، ومسجد الزيتونة بتونس ، والمسجد الجامع بقرطبة ، وقد ظهرت آثار هذا التطور بوضوح فى العمارة الأوربية خلال القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين .

(ج) تقنية الزخارف المعمارية :

اتخذت هذه التقنية خصائص مميزة كان لها عظيم الأثر فى إبراز المظهر الحضارى لنهضة المسلمين ، وقد حذق أهل هذه التقنية صنعة



النحت المسطح والغائر على الخشب أو الحجارة أو الرخام ، ومهروا فى استخدام المواد الملونة ، وإجادة النقوش وتنوع التوريق والتوشيح العرق (الأرابيسك) . واحتل الخط الكوفى مكانة ممتازة بين الموضوعات والعناصر الزخرفية العربية .

واقتبس الأوربيون من كل ذلك ما تشهد به تيجان الأعمدة فى كنائسهم ، أو عقود بواباتها ، ولعل من أكثر الآثار الأوربية تعبيراً عن التأثيرات الإسلامية فى العمارة والزخرفة المعمارية ، تلك المجموعة من الكنائس التى بنيت فى مدينة «البوى» فى وسط فرنسا ، فى الربع الأول من القرن الثانى عشر الميلادى . فقد تجمعت فى هذه المبانى أمثلة عديدة من العقود المنفوخة والمفصصة والثلاثية الفتحات ، لا تختلف عن نظائرها فى العمارة الأندلسية ، وظهر على واجهات هذه المبانى وعقودها تناوب الألوان ، منظما بالشكل الذى يبدو عليه تماماً فى قبة مسجد الزيتونة بتونس ، وفى عقود مسجد قرطبة .

وانتشرت فى تلك «الآثار» مجموعة من التيجان الحجرية المنحوتة بالنحت الغائر على غرار منحوتات مدينة الزهراء . واتخذت هذه التيجان شكلاً فريداً ظهر أول ما ظهر فى مسجد قرطبة ، ونجد فوق هذا كله خاتم العروبة والإسلام مطبوعا على إحدى بوابات كاتدرائية «البوى» ينطق بعبارة عربية مقروءة واضحة المعنى هى «الملك لله»[4] .

ومن الجدير بالذكر أن جماليات العمارة الهندسية الإسلامية امتدت لتشمل القناطر المائية والجسور والقنوات ، وكانت تقنياتها رائعة التخطيط والتنفيذ ، تعطى الماء المار فى القنوات والأنهار بُعداً جمالياً إضافياً عند المشاهدة . وهذا يعنى أن العمارة الإسلامية وتقنياتها الهندسية والجمالية كانت مظاهر طبيعية لعصور الازدهار فى حضارة الإسلام ، أو امتداداً طبيعيا لهذه الحضارة العريقة .

وعن علاقة الحضارة بالعمران يقول ابن خلدون فى مقدمته : « إن الدولة والملك للعمران بمنزلة الصورة للمادة ، وهو الشكل الحافظ لوجودها ، وانفكاك أحدهما عن الآخر غير ممكن على ما قرر فى الحكمة ، فالدولة دون العمران لا يمكن تصورها ، والعمران دونها متعذر ، فاختلال أحدهما يستلزم اختلال الآخر ، كما أن عدم أحدهما يؤثر فى عدم الآخر »[5] .

ولا يزال للموضوع بقية فى العدد القادم إن شاء الله .

(٤) د . أحمد فكرى ، المرجع السابق .

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ، عن : د . عادل عوض ، «المدينة العربية الإسلامية والمدينة الأوربية » ، مجلة العلم والتكنولوجيا ، معهد الإنماء العربى ، بيروت - لبنان ، العدد ٢٧ (١٩٩٢) ، ص ٣٢ .

من أمراض الطفولة

فقر الدم الناجم عن زيادة تحلل كرات الدم الحمراء

للدكتورة / جيهان أحمد مصطفى (*)

تحدثنا في مقالاتنا السابقة ، عن فقر الدم الناجم عن زيادة معدل تحلل كرات الدم الحمراء ، نتيجة لعوامل داخلية INTRINSIC FACTORS ، تتعلق بوجود خلل في تكوين كرات الدم الحمراء ناجم عن وجود خلل آخر في تكوين الغشاء الخلوى ، أو نقص في أحد الإنزيمات الهامة داخل الخلية ، أو خلل في تكوين مادة الهيموجلوبين .

واليوم نستأنف حديثنا عن فقر الدم الناجم عن زيادة معدل تحلل كرات الدم الحمراء ، نتيجة لوجود عوامل خارجية EXTRINSIC FACTORS ، بالرغم من عدم وجود أى خلل من تكوين كرات الدم الحمراء :

EXTRINSIC HAEMOLYTIC ANAEMIAS

● أسباب هذا النوع من فقر الدم :

* في حالات نقل دم مخالف لفصيلة دم الطفل .

INCOMPATIBLE BLOOD TRANSFUSION

* تكوين الجسم لأجسام مضادة لكرات الدم الحمراء ، تتحد معها ، وينجم عن هذا تكسر كرات الدم الحمراء .

AUTOIMMUNE HAEMOLYTIC ANAEMIA

يوجد نوعان من تلك الأجسام المضادة وهما :

أ ـ النوع الدافىء من الأجسام المضادة :

WARM ANTIBODIES

ب ـ النوع البارد من الأجسام المضادة :

COLD ANTIBODIES

* أولاً : فقر الدم الناجم عن تحلل الدم ، نظراً لوجود أجسام مضادة دافئة ، ضد كرات الدم الحمراء .

WARM ANTIBODIES

ويتميز هذا النوع من فقر الدم بوجود أجسام مضادة لكرات الدم الحمراء تكون نشطة وتزيد

(*) ماجستير في طب الأطفال .

عن درجة حرارة ٣٧ درجة مئوية ، ولهذا أطلق عليها الأجسام المضادة الدافئة .

وهذه الأجسام المضادة تابعة للأجسام المضادة « ج » IMMUNOGLOBULIN G (IGG) واتحادها مع كرات الدم الحمراء لا يحتاج لوجود المتمم COMPLEMENT ، وهو بروتين يساعد في عملية التهام وتحلل الميكروبات بواسطة الجهاز المناعي .

● أسباب تكوين الجسم لهذا النوع من الأجسام المضادة :

١ ـ في الكثير من الأحيان لا يوجد سبب واضح لتكوين هذه الأجسام المضادة IDIOPATHIC .

٢ ـ تناول الطفل لأحد العقاقير مثل :

● المضادات الحيوية : مثل عقار البنسلين PENICILLIN والكيفالوسبورينز CEPHALOSPORINES حيث يتحد هذان العقاران بشدة مع الغشاء الخلوى لكرات الدم الحمراء ، المتحدة مع العقار ، تؤدى إلى تحلل كرات الدم الحمراء ، وبالتالى إلى حدوث فقر دم .

● عقار الريفامبيسين RIFAMPICIN الذى يتحد مع البروتينات الموجودة في المصل SERUM PROTEINS ، ويقوم جسم الطفل بتكوين أجسام مضادة للعقار ، تتحد معه ، ثم تلتصق بتلك الأجسام المضادة ، المتحدة مع العقار IMMUNE COMPLEX ، بسطح خلايا الدم الحمراء ، وفي وجود المتمم COMPLEMENT يحدث تحلل لخلايا الدم الحمراء .

● عقار الميثيل دوبا METHYL DOPA المستخدم في علاج ارتفاع ضغط الدم ، ويسبب تحلل كرات الدم الحمراء ، بطريقة غير معروفة .

٣ ـ إصابة الطفل بأحد الأمراض ، التى يحدث فيها خلل في وظيفة جهازه المناعي ، حيث يقوم بتكوين أجسام مضادة ضد خلايا الجسم نفسه : AUTOIMMUNE DISEASES مثل مرض الذئبة الحمراء (SYSTEMIC LUPUS ERYTHROMATOSIS) ، ومرض الروماتيد المفصلى .

JUVENILE RHEUMATOID ARTHRITIS وغيرها

٤ ـ إصابة الطفل بأحد الأورام الخبيثة مثل الورم اللمفى LYMPHOMAS أو سرطان الدم اللمفى LYMPHATIC LEUKAEMIA .

٥ ـ إصابة الطفل بأحد الالتهابات ، خصوصاً الفيروسيّة VIRAL INFECTIONS .

● أعراض المرض :

يحدث المرض في صورتين :

● الصورة الحادة المؤقتة .

● الصورة المزمنة .

أ ـ الصورة الحادة المؤقتة :

ACUTE TRANSIENT FORM

● وهذا النوع هو الأكثر شيوعاً عند الأطفال ، وفي العادة يسبقه إصابة الطفل بأحد الالتهابات ، وعادة : التهابات الجهاز التنفسى RESPIRATORY INFECTIONS ، ولايكون الطفل مصاباً بمرض عضوى SYSTEMIC DISEASE مثل الأورام الخبيثة

أو خلل فى الجهاز المناعى ، كما سبق وذكرنا ، وتتجلى الأعراض فى الآتى :

١ ـ إصابة الطفل بهتان مفاجىء ACUTE PALLOR ، وارتفـاع فى درجـة الحرارة FEVER .

٢ ـ حدوث اصفرار فى جلد الطفل ، وبياض عينيه JAUNDICE ، مع إحمرار لون البول .

٣ ـ تضخـم طحـال الطفـل SPLENOMEGALY .

من الجدير بالذكر أن هذا النـوع الحاد يستجيب للعلاج بعقار الكورتيزون ، ويحدث شفاء تام فى خلال ثلاثة شهور من بدء المرض ، ونادراً ما يؤدى إلى وفاة الطفل .

ب ـ الصورة المزمنة غير المؤقتة :

CHRONIC PROLONGED TYPE

● وهذا النوع هو الأقل شيوعاً عند الأطفال ، ويحدث بصورة تدريجية ، وعادة ما يحدث نتيجة لإصابة الطفل بمرض عضوى ، مثل إصابة الطفل بأحد الأورام الخبيثة ، مثل الورم اللمفى ، أو سرطان الدم اللمفى ، أو حدوث خلل فى وظيفة الجهاز المناعى للطفل ، حيث يقوم جسم الطفل بتكوين أجسام مضادة لكرات الدم الحمراء ، تؤدى إلى تحللها . وتتجلى الأعراض فى الآتى :

١ ـ حدوث شحوب وبهتان للطفل تدريجياً .

٢ ـ تضخم الطحال .

٣ ـ حدوث نزف (داخلى أو خارجى) ، نظراً لوجود أجسام مضادة للصفائح الدموية .

ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من فقر الدم تطول مدته لشهور ، أو سنوات وتختلف استجابته للعلاج بعقار الكورتيزون من مريض لآخر ، ولكن فى المُجمل تكون أقل استجابة من النوع الحاد المؤقت ، وبالتالى تزداد نسبة الوفيات من هذا المرض عن النوع السابق .

وسوف نستأنف حديثنا عن هذا النوع من فقر الدم فى مقالنا التالى ـ بإذن الله تعالى ـ بإلقاء الضوء على وسائل التشخيص والعلاج الأمثل .

«وَيخلقُ ما لا تعلمُون...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد: د/ نجوى السيد أحمد (*)

طريقة جديدة لعلاج الصمم

أثبتت البحوث الطبية أن حالات الصمم سببها اضطراب فى الدورة الدموية الدقيقة فى الأذن ، ثم يحدث خلل فى أداء خلايا العصب السمعى ، وأخيراً يحدث موت لهذه الخلايا ، ولذلك قام أحد الأطباء فى الصين باستخدام طريقة جديدة لعلاج الصمم ، وهى عبارة عن جلسات علاج بالموجات الكهرومغناطيسية ، المنبعثة من مصدر للأشعة تحت الحمراء ، ومسح بأشعة ليزر الهليوم والنيون ، مع تدليك صينى للنقاط الحيوية المرتبطة بالأذن بجهاز للذبذبات ، واستخدام خليط علاجي من الأعشاب لتحسين دوران الدم ولزيادة الطاقة الحيوية ، وكانت النتائج مدهشة ، إذ استعادت بعض خلايا العصب حيويتها ، وانبعث خلايا جديدة ، واستعاد كثير من المرضى جزءاً من قدرتهم على السمع .

* باحثة بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى

اكتشاف علاقة تكافل متميزة بين النمل والفراشات

اكتشف أحد العلماء الأمريكيين ـ بجامعة تكساس ـ علاقة التكافل المتميزة بين النمل ومعظم أنواع الفراشات ، حيث تمكن من تسجيل بعض النداءات الصوتية المحدودة السعة التي توجهها اليرقات إلى النمل ، لتجذبه وتحافظ على استمرار العلاقة بينهما ، ومن بين هذه النداءات تم تمييز نوعين من الأصوات : إحـــداهما : نداءات مقسقات عالية التردد ، والأخرى : إيقاعات طبول منخفضة التردد ، ومن المعروف أن النداءات الترددية يعتمد عليها النمل كثيراً للإبقاء على اتصال أفراده بالأعشاش ، ولقد أثبتت الأبحاث التي قام بها العالم الأمريكي أن نداءات الفراشات هي من نوع النداءات الترددية للنمل ، مما يكشف عن أن هذه الفراشات قد استثمرت نظام الاتصال السمعي عن النمل لتقيم علاقات التكافل والنفع المتبادل معه .

شـــريحة الكترونيـــة للمكفوفــــــين

أعلن فريق من الباحثين الأمريكيين أنهم توصلوا لتطوير شريحة الكترونية خفيفة الوزن جدًّا ومتناهية الصغر ، لا يزيد طولها على نصف سنتيمتر ، تثبت فى شبكية العين ، ويمكنها إرسال إشارات ضوئية بصرية للمخ ، ويأمل الباحثون فى أن يؤدى هذا الابتكار إلى إعادة جزء من البصر للمكفوفين ، باستخدام نظارات خاصة ترسل شعاع ليزر غير مرئى يصطدم بالشريحة ، فتحوله إلى المخ الذى يقوم بترجمته وتحويله إلى صورة مرئية .

تقنيـــة متقدمـــة لوحـــدة رســـم الشخصيات

أنتجت شركة إنجليزية النموذج الجديد لوحدة رسم الشخصيات للطراز الثلاثى الأبعاد ، الذى يستخدم الحاسب الآلى فى الأداء ، وفى رسم الشخصيات ، بعد إضافة أكثر من ٧٥ ميزة هندسية جديدة ، ويتضمن النموذج الجديد وحدة لتربيط الأشياء مثل : عظام ومفاصل الهيكل العظمـــى ، ورسم الشخصيــــات بوضوح ، ويتضمن أيضاً وحدات المراجعة السريعة ، حيث يمكن مراجعة المشاهدة الساكنة والمتحركة ، باستخدام نظام التظليل النسبى .

آلة تصوير لتسجيل حركة النبات

قام عالم بريطانى باستخدام آلة تصوير مبرمجة بواسطة الحاسب الآلى ، لكى تزيد أو تقلل من سرعة لقطاتها ، مع استخدام اللقطات العريضة والبعيدة حول النبات ، على مستوى لم يعرف له مثيل من قبل ، لعمل تسجيل صور لحركة النبات ، وقد تبدو الفكرة بسيطة ، ولكن الأمر المدهش هو تصور نمو بعض النباتات المائية ، والتغلب على كثير من المشاكل التى تنتج عن الرطوبة ومستويات المياه والضوء وفقاعات غاز الميثان الناتج من التحلل العضوى والرياح المفاجئة وتقلب المناخ .

كبسولة لاستكشاف الأمراض وعلاجها

طور أحد المهندسين الباحثين فى مؤسسة علاجية بفرنسا كبسولة أمكن إنتاجها صناعيا ، ويمكن ابتلاعها واستعادتها بعد عملية الإخراج ، وتتكون من قطع الكترونية صغيرة ، ومحاطة بغلاف من الجيلاتين يذوب بعد ابتلاع الكبسولة ، ويرسل البيانات المطلوبة إلى جهاز الكترونى خارجى ، وتستطيع هذه الكبسولة أثناء سيرها داخل الجهاز الهضمى أن تستكشف أى مرض ، كما يمكنها أن تأخذ عينة من السائل المعوى لتحليلها ، أو أن تصنع علاج كيماوى فى مكان محدد أثناء مسارها .

نظام إنذار جديد يستخدم الدخان

ابتكرت إحدى الشركات البريطانية نظام إنذار جديد يستخدم الدخان فى إرعاب اللصوص ، ويحول هذا النظام المنزل فى لحظة إلى ساحة أشبه بأفلام الرعب ، ويعتمد على إطلاق سحابة من الدخان تملأ المكان بضباب كثيف ، يمنع اللصوص من الرؤية والهروب قبل وصول الشرطة ، والفكرة تعتمد على مرور محلول «جليكول الإيثيلين» على سطح ساخن ، فيتحول المحلول إلى دخان دقيق ينطلق بضغط عال ، وهو غير مضر للإنسان ، ولا للأجهزة الالكترونية ، ولا يترك آثاراً برغم أنه يحتاج إلى وقت طويل نسبيا لكى يتم التخلص منه .

ناقلات للطاقة من «السيراميك»

تمكنت إحدى الشركات الفرنسية من إنتاج ناقلات للطاقة الكهربائية من «السيراميك» المكثف ، وهذا النوع الجديد من « التكنولوجيا» يسمح لناقلات الطاقة أن يكون أداؤها على مستوى عال من الجودة ، فهى حساسة جدًّا ، وتتميز باتساع الحيز ، وأن لها مستوى ممتاز فى عزل الصوت بين العناصر ، وأن درجة ارتداد الصوت ضعيفة جدًّا ، ولها تجانس كهربى صوتى ممتاز بين مختلف العناصر .

صاروخ مضاد للأقمار الصناعية

تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بإنتاج جيل جديد من الصواريخ المضادة للأقمار الصناعية تستطيع إتلاف أهدافها وإصابتها بالعمى الكامل والدائم بسرعة غريبة وبكفاءة تامة ، وهو يحتوى على « رادار» شديد الحساسية يلتقط أشعة الشمس التى تنعكس من الهدف ويتجه إليه مباشرة ، وهو لا يدمر هدفه ويحوله إلى نفايات فضائية .

طبقات المحققين والمصححين(*)

دراسة وتقويم

للأستاذ الدكتور / السيد الجميلي

توطئة :

كان ظهور الطباعة خيراً وبركة للعلم وأهله ؛ فقد فتح ظهورها أبواب المعرفة والثقافة على مصاريعها لينهل منها الدارسون والباحثون ، ويسَّرت الطباعة الكشف عن كنوز القدماء والأسلاف الكرام من علم محصن نافع فتح أبواب الخير العميم والفضل العظيم ، وكانت قبل ذلك تكاد تكون موصدة إلا على ثرى يملك أن يدفع للناسخ أجره .. هذا الأجر الذى يرتفع مع قيمة الكتاب وحجمه وعدد مجلداته ، حتى ليصل إلى آلاف الدنانير .

من ثم كانت الطباعة صلة مبرورة بين الماضى العريق ، والحاضر المتطور الذى لايستغنى عن علم وتجارب السلف الصالح فى يسر وسهولة .

وأول مطبعة عربية ظهرت فى أرض عربية جاء بها نابليون إلى مصر سنة ١٧٩٨م ــ ثمان وتسعين وسبعمائة وألف من الميلاد ، والحق يقال : إنها كانت النواة الأولى فى عالم الطباعة العربية ، وفى تلك المطبعة طُبِعَ كتاب : « أمثال لقمان الحكيم » مع ترجمته إلى الفرنسية . كما طبع فيها كل المنشورات والأوامر باللغة العربية ، وبعض الرسائل الطبية وغيرها .

(*) يسر كاتب هذه الحلقات أن يدلى فيها كلُّ ذى نصيب من العلم بأمرها ، ويرسل إلى مجلة الأزهر بحقيقة مايعلم فى هذا الموضوع حتى نقضى حقاً واجباً علينا أداؤه إلى هذه الطبقة الكريمة التى كانت همزة الوصل بين الماضى والحاضر .. والتى لولاها لتأخرت نهضتنا العلمية والأدبية سنين لايعلم مداها إلا المولى ــ عز وجل ... ثم يجانب هذا الواجب تعلم الأجيال حقيقة هذه الحقبة لتتواثق الصلة العلمية على يديها بين الماضى والحاضر فلا تقع فى فجوات التاريخ أو عثرات الغموض .

ثم أنشأ محمد على باشا ـ رحمه الله ـ المطبعة الأهلية سنة ١٨٢١م (١٢٨٩هـ) ، ووضع الأوربيون الفهارس الدقيقة التى تحتوى عليها المكتبات وخزائن الكتب المختلفة ، سواء كانت هذه الكتب مخطوطة أم مطبوعة .

والحقيقة الثابتة التى لاخلاف عليها أن الكثرة الكاثرة من مخطوطات لاحصر لها كانت أشلاء متناثرة قد علاها غبار الزمن ، وأكل عليها الدهر وشرب ، هذا فضلاً عن تشتت مخطوطات الكتاب الواحد فى أماكن متفرقة من مكتبات العالم ، وتعذر الوصول إليها جميعاً فى تلك الأوقات لمشقة وصعوبة المواصلات من جهة ، ومايقتضيه البحث عنها من جهد ومن مال من جهة أخرى .

هذا على ماكانت عليه أصلا من أغلاط النساخ من تصحيفات وتحريفات وأخطاء لغوية : نحوية أو صرفية أو إملائية لا حصر لها ؛ لأن أكثر النساخ لم يكونوا من أهل العلم إلا القليل منهم .

من ثم فقد تظاهرت عوامل متعددة على هذا التراث الضخم من المخطوطات ابتداء من ضياع أجزاء من المخطوطة ، أو سقوط فصول منها أو إصابتها بـ (الأرضة) ، مع رداءة أكثر الخطوط ، وإدراج بعض أقوال الناسخين وإدخالها فى المتن الأصلى عن عمد تارة ، أو جهل أخرى .

كل هذه الأحوال ألقت بمسئوليات جسيمة على كاهل العلماء المحققين ، والمصححين المخلصين ، الذين قيضهم الله ليعملوا على إخراج هذه الكنوز العربية المأهولة ، وتنقيتها وضبطها فى أدق وأتم وأكمل صورة منظورة ، حتى يستوى الكتاب بين يدى قارئيه واضحاً جلياً منزهاً من الأغلاط ، مبرءاً من التخليط والسقط ، وغيره من عوامل التعرية التى أتت عليه أو كادت ، ولكى يكون أقرب شىء جدًا إلى أصل المؤلف .

ولو أن القارىء رأى مخطوطات الكتاب القديمة التى مرت عليها قرون وقرون ، ثم نظر بعد ذلك فى الكتاب بعد تحقيقه وطبعه وإخراجه ، لعرف مدى مايعانيه المحققون والمصححون من جهد فى الضبط وإحكام النص ، مراجعة وتدقيقاً مرات ومرات قبل وصوله إلى ماكينات الطباعة .

وقد أثار هذه الخواطر فى نفسى حديث ذو شجون مع أخى وصديقى الحميم الأستاذ الدكتور على أحمد الخطيب رئيس تحرير مجلة الأزهر ، حيث عهد إلىّ بالكتابة عن هذه الفترة المفقودة ، غير الجلية وغير الظاهرة ، والتى عمل فيها كثيرٌ من الأعلام والأقطاب الأبطال من المحققين والمصححين الأوائل ، الذين جاءوا على قدرٍ مع النهضة الطباعية الميمونة المباركة ، ولازالت أعمالهم الجليلة حتى الآن بين ظهرانينا ناطقة ببراعتهم وإتقانهم وإخلاصهم المشهود .

وقد ذكر لى الأستاذ الدكتور على الخطيب مقولة رائعة مضى عليها نحو ربع قرن أو تزيد قليلاً فى معرض حديث بين فضيلته وبين الأديب الأستاذ أحمد حسن الزيات ـ رحمه الله ـ وكان ـ وقتها ـ رئيس تحرير مجلة الأزهر ، وكان مدار الحديث حول عبارة « إن فلاناً أخذ دكتوراه فى فلان أو فلان » ، فقال الأستاذ الزيات للدكتور الخطيب : « إن الذى يستحق الدكتوراه هم

أولئك المصححون الذين جعلونا نقرأ التراث ، وهو مثل الكناسة » .

وكان ـ رحمه الله ـ قاصداً بأولـــئك المصححين ـ مصححى « المطبعة الميرية » وأمثالهم ، وهم فى تقسيمنا الطبقة الأولى من المصححين العلماء ، منهم : الشيخ قطة العدوى ، والشيخ حسن العدوى ، ومن فى طبـقتهم ـ رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة كفاء ماقدموا وأخلصوا وما أسْدَوْا للعلم والعلماء ـ.

هذه توطئة لابد منها ولا يفوتنى تجليته نقطة فى غاية الأهمية ألا وهى أن هذه الدراسة ليست على سبيل الحصر لكل أطراف الموضوع ودقائقه لأسباب شتى ..

منها : إننا لن نتكلم على كل آحاد المحققين والمصححين ، إنما على صفوة الأعلام والمبرزين منهم ، حيث إن كثيراً منهم لم يكن معروفاً عنه غير اسمه وحسب ، وكان كل همهم التفانى فى عملهم بعيداً عن الشهرة ، والظهور والتبريز ...

فكان عملهم فى صمت ناطقاً ومحدثاً بليغاً عما كانوا عليه من علم سابغ ، وتواضع شديد بالغ بدا فى إنكار ذواتهم ، وعدم التعرج على الشكليات « وتلك آثارهم تدل عليهم » ، وهى فى ميزان حسناتهم إن شاء الله ، وسنذكر عن كل واحد منهم ماتيسر لنا من معلومات بعد مشقة وجهد ، والاتصال بأبنائهم وأحفادهم ومعارفهم لتقديم صورة حية ناطقة إحياء لذكرى هؤلاء الأعلام الأحياء فى ضمائرنا ودخائلنا ولاتبعد أسماؤهم طرفة عين عن باحث أو دارس أو قارىء ، فهم غائبون حضور .

ليس ـ كذلك ـ فقط ـ إنما ينبغى أن يعلم القارىء ـ مدى تمكن هذا الرعيل من قراءة مخطوطات خالية من النقط والشكل ، وكل ماينيح للقارىء أن يسترسل فى قراءته بلا عقبات .

وفى هذا المقام أشكر كل من أمدنى بالوثائق عنهم للمعاونة والمؤازرة ، وعلى رأسهم الدكتور على أحمد الخطيب صاحب الفكرة الأولى ، ثم الأستاذ المحقق الكبير العلامة الدكتور عبد المجيد دياب ، والأستاذ الدكتور نبيل عبد السلام هارون ، والأستاذ الدكتور خالد محمد أبو الفضل ، والأستاذ الدكتور إسحاق كال مصطفى وغيرهم وغيرهم .

ولا يسعنى إلا أن أشكر قبل كل شىء وبعده مجلة الأزهر فى عصرها الذهبى على ما تقدمه بجهود رجالها العلماء الراسخين من موائد علمية دسمة ، برعاية الإمام الأكبر شيخ الإسلام والمسلمين فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ حفظه الله وسدد خطاه ـ والله المستعان .

وأعتذر سلفاً عما قد يقع من سهو أو تقصير غير مقصود لأحد منهم ، فإننى أعد بأن يُجمع هذا كله إن شاء الله بعد ذلك فى دراسة جامعة تقطع الأمر بحثاً بكل دقائقه ، وهذا عملٌ شاقٌ كل المشقة يحتاج إلى وقت نراه الآن ليس ميسورا .. والله ـ وحده ـ مأمول أن يرزقنا الإخلاص فى القول والعمل .

بداية التحقيق وطبقات المحققين ومراتبهم

بدأ فن التحقيق بنخبة من المصححين العلماء يرأسهم الشيخ محمد قطة العدوى ، وهو ـ رحمه الله ـ ابن الشيخ عبد الرحمن الشهير بـ (قطة العدوى) ، وكان مصححاً فى دار الطباعة المصرية ببولاق .

من أعماله الجليلة :

« فتح الجليل » شرح على شواهد ابن عقيل بهامش شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوى .

وذيل الفتوحات المكية بترجمة صاحبه ابن عربى .

وغير ذلك من الأعمال الطيبة . وقد توفى إلى رحمة الله سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف من الهجرة المشرفة ـ رحمه الله رحمة واسعة .

ولعل أشهر تحقيقاته كافة : كتاب (خطط المقريزى) .

وجدير بالذكر أنه ـ فى أول الأمر فى مطبعة بولاق ـ كان يُطْلَقُ على المراجـع لقب : (مصحح) . وكان محتوماً أن يكون هذا المصحح عالماً من هيئة كبار العلماء ، وليس من أنصاف المتعلمين .

كما كانوا يقولون عادة : « نشره فلان » .

وجدير بالذكر أيضاً أن أول من ذكر كلمة « تحقيق فلان » ـ فيما أعلم ـ هو شيخ العروبة أحمد زكى باشا ـ رحمه الله وأكرم مثواه ـ .

ثم إن أول كتاب ـ أراه ـ ذُكِر عليه كلمه (تحقيق) كان كتاب : « الأصنـام » ، ثم كتاب : « أنساب الخيل » .

صدرت أول كتب التحقيق بمطبعة الخانجى متمثلة فى « معجم البلـدان » و« معجـم العمران » .

اسـتدراك

نشرت مجلة الأزهر فى عدد جمادى الأولى ١٤١٦ هـ قصيدة بعنوان « الأزهر وشيخه » للشاعر محمود محمد شرف الدين وقد نسبت خطأً إلى شاعر افريقى وقد ألقيت فى المؤتمر الدولى للإغاثة .

وقد تلقت المجلة رسالة من بعض الطلاب اليمنيين بقسم الصحافة والإعلام ـ جامعة الأزهر تفيد أن قائل القصيدة يمنى هو وكيل الهيئة العامة للمعاهد العلمية فى اليمن وأحد شعرائها المشاهير .



مع

الدكتور عبدالوهاب عزام

فى كتابه مجالس السلطان الغورى

بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

شهدت القاهرة ، منذ سنوات بعيدة ، العديد من الندوات والصالونات الأدبية ، التى كانت تموج بالشعراء والأدباء والنقاد ، وتثرى الحياة الثقافية ـ أسبوعياً أو شهرياً ـ بالزاد الرفيع من المعرفة والفنون المختلفة ، وتتيح للشداة من الناشئين الاحتكاك بالأفذاذ المجلين ، من جيل الأساتذة الأعلام ، فى الشعر والأدب .. وفى ذلك ما فيه من إنتشاء وارتواء ، مما قد لا تحققه القراءة المنفردة الصامتة ، فى أمهات الكتب ..

لقد عمرت القاهرة بالندوات ، ومن هذه الندوات ـ التى مازالت قائمة على قدم وساق حتى اليوم ـ : ندوة (رابطة الأدب الحديث) ، التى تعقد مساء يوم الثلاثاء من كل أسبوع ، ويتولى رئاستها ـ بعد رائدها الأول المرحوم مصطفى عبداللطيف السحرتى (شيخ النقاد) ـ الأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى ، مد الله فى عمره .

ومن الندوات التى توقفت ـ بسبب رحيل ، أو انشغال ، مديريها عنها ـ : ندوة كامل كيلانى ، وندوة الدكتور محمد بن فتح الله بدران بمنزله بحدائق شبرا ، وندوات صُولت الحلوانى ، وآل عبدالرازق ، وندوة قبة الغورى ، التى كان يديرها المرحوم الدكتور عبدالوهاب عزام ، وكان صديقنا الشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين يغشاها فى صباه ، ليستمتع بسماع نخبة الشعراء الذين كانوا يجتمعون فيها ، ويتبارون فى إلقاء خرائدهم ، بأداء أخاذ .

وربما كانت رئاسة الدكتور عبدالوهاب عزام ـ رحمه الله ـ لندوة قبة الغورى ، هى التى حفزته على البحث والتنقيب ، عن الزمان والمكان ، كدأبه فى تعمق الأمور .. فعمد إلى إصدار كتاب :

(مجالس السلطان الغورى) ، كصفحة من تاريخ مصر ، فى القرن العاشر الهجرى . وهو يذكر فى مقدمة هذا الكتاب[1] ، أنه اطلع منذ سنين على كتاب فى دار الكتب المصرية ، اسمه : (الكوكب الدرى فى مسائل السلطان الغورى) ، يتضمن آراء السلطان الغورى ـ آخر سلاطين المماليك المصريين ـ فى مسائل من الفقه والتفسير ، وغيرهما ، عرضت له فى مجالسه . والكتاب نسخة مصورة ، عن نسخة فى استنبول ، هى نسخة السلطان ، التى كتبت له فى القاهرة ، وأهديت إلى خزانة كتبه ..

يقول الدكتور عزام : « قرأت الكتاب ، وتعرفت سيرة السلطان ، فى العلم والأدب ، فعثرت على أبيات له بالعربية ، والتركية » .

إلا أن الدكتور عزام لم يتمكن من العثور على نسخة الكتاب الأصلية . وبعد سنوات ، أتيح له العثور على نسخة تقع فى مجلد ، فيه نصف الكتاب المفتقد ، باللغة التركية (التى كان يجيدها الدكتور عزام) وجده فى مكتبة الأمير إبراهيم حلمى .

وسافر الدكتور عزام إلى استنبول عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) ، وأثناء تنقيبه فى مكتباتها عن (الشاهنامة) التركية ، وكتب أخرى ، انتهى به البحث إلى العثور ـ فى مكتبات السلاطين العثمانيين ، فى سراى (طُوبْ قَبُو) ـ على نسخة كاملة من الكتاب ، فى مجلد واحد ضخم ، فيه صور ملونة جميلة ، واكتشف أنها هى النسخة الأم من هذا الكتاب ، أى النسخة الأولى التى كتبها المترجم بيده فى القاهرة ، وقدمها إلى « السلطان الغورى » .

* * *

وبعد اطلاع الدكتور عزام على مقدمة الكتاب ونهايته ، تبين له مدى عناية السلطان الغورى بالأدب ، ورعاية أهله .

ثم اطلع الدكتور عزام ، بعد ذلك ، على كتاب آخر ، يحمل عنوان : (نفائس المجالس السلطانية) ، يتضمن طرفاً من آراء السلطان ، ومحاوراته فى مجالسه . وبعد استيعاب الدكتور عزام لما جاء بهذين الكتابين ، قام بإعداد بحث عنهما ، ألقاه فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد فى بروكسل سنة ١٩٣٨ .

ثم قام الدكتور عزام ، بعد ذلك ، بطبع مختاراته من الكتابين : (نفائس المجالس السلطانية) و (الكوكب الدرى) ، مقتصراً فى اختياره على ذكر مسائل وافية ، بتصوير مجالس الغورى ، وتبين آرائه ، وآراء العلماء والكبراء ، الذين كانوا يغشون مجالسه ، لتكون ـ بين دفتى كتابه هذا ـ بمثابة صفحات نابضة بالحياة ، من تاريخ بلادنا ، فى القرن العاشر الهجرى .

(١) ط التأليف والترجمة والنشر سنة ١٣٦٠ هـ ـ ١٩٤١ م .

وفى مستهل الكتاب ، يذكر الدكتور عزام نبذة مستفيضة عن مكانة مصر فى أواخر عصر المماليك ، ومواقفها فى تباشير العصور الحديثة ، بين الشرق والغرب ، وصلاتها بدول أوربا ، والدول الإسلامية ، وخاصة دولة بنى عثمان ..

وكان السلطان الغورى يدير ملكاً واسعاً ؛ هو ملك مصر ، والأقطار التى تتبعها فى أكثر العصور .. ذلك الملك الذى ذكره المتنبى وهو يمدح كافور الأخشيدى ـ (قبل أن يقلب له ظهر المجن) ـ بقوله :

يُدَبِّـــر المُـــلْكَ من مصرٍ إلى عَدَنٍ إلى العراق ، فأرض الروم ، فالنُّـــوَبِ

وكان للغورى ـ كما يقول الدكتور عزام ـ ، ولسلاطين المماليك من قبله ، الزعامة بين ملوك المسلمين ، لتوليهم خدمة الحرمين الشريفين ، ولمكان الخلافة العباسية فى مصر .

ولاتزال آثار السلطان الغورى ظاهرة فى مصر والحجاز ، ومازال جامع الغورى قائماً بالغورى ، وقد تم بناؤه ـ كما يقول ابن إياس ـ فى غاية الحسن والتزخرف ، وصنع به مئذنة لها أربعة رءوس ، وهو أول من اتخذ ذلك .. » وتجاه الجامع بناء آخر يساميه ويشابهه ، فيه قبة الغورى ، وقاعة كبيرة للدرس » ومن إنشاءات الغورى أيضاً بالقاهرة : خان الخليلى ، وقصر المقياس فى الروضة ، والمكتب والسبيل فى الغورى ، وأحواض فى طريق الحاج عند العقبة ، وغيرها .

* * *

وفى وصف مجالس السلطان الغورى ، يقول الشاعر الشريفى ـ ما ترجمه الدكتور عزام نثراً ـ : « ما أجمل مجلسك أيها السلطان ، إنه يشبه الجنة ، كل شىء مهيأ فى هذا المجلس ، إنه فى الحقيقة : منبع العلوم ، ومجمع الأفاضل بلا ريب .. مجلس تيسر فيه المشاكل ، أى مجلس هذا ؟! : إنه حديقة وبستان ، تقال فيها العبارات ، بكل اللغات ، وتسير على قانونه الرموز والإشارات » .

ومن شعر السلطان الغورى بالعربية ، قوله :

لله فى أيامنـــــا نفحـــــات من دهرنــا .. تزكــو بها الأوقــات
فيها : ألا فتعـــرضوا وتضرعـــوا فيها : تجاب لكـــم بها الدعــوات
هذى مواسمهـــا لنـــا قد أقبلــت ودنــا بموعدهـــا لنـــا ميقـــات

* * *

ويقول « حسين بن محمد الحسينى » مؤلف كتاب (نفائس المجالس السلطانية) ـ بترجمة د. عزام ـ : « وقد سجلت كثيرا من مسائل هذه المجالس فى كتابين يصوران تصويرا حسنا ، كثيرا

من أحوال مصر ، فى عهد السلطان الغورى ، منها : (كتاب نفائس المجالس السلطانية فى حقائق الأسرار القرآنية) .

وقد جعل المؤلف كتابه فى مقدمة ، وعشر روضات . والمقدمة قصيرة ، تتضمن كلام بعض السلاطين ـ ومنهم الغورى ـ والروضات العشر ، يذكر فى كل واحدة منها ، مجلس السلطان فى شهر . وكانت المجالس تجتمع فى كل أسبوع مرة ، أو اثنين ، أو ثلاثاً .. وأولها مجلس رمضان ، سنة عشر وتسعمائة .

وربما كانت فكرة (الفوازير) التى درجنا على الاحتفاء بها وتقديمها فى شهر الصيام ، مستقاة من (الألغاز)[٣] التى قيلت فى مجالس السلطان ، ومنها قول الشاعر مُلْغِزًا :

ألا فأخبرونى أى شىء رأيتمـــــو ... من الطير فى أرض الأعاجم والعـرب
فيؤكل مطبوخـاً لذيـذا ، وتـارة ... فيؤكل مشويا إذا اشتد فى اللـهب
ولـيس له أيـد ولـيس له فم ... ولـيس له رجـل ، ولـيس له ذنب
ولـيس له مخ ولـيس له دم ... ولـيس له عظـم ولـيس له زغب

والجواب : قال مولانا السلطان : هو البيض .

المناسب لهذا المجلس :

أنه قيل : جماعة من الشعراء اجتمعوا فى خدمة سيف الدولة ، وقصدوا إيذاء (المتنبى) ، وقالوا : إنا نبيض فى هذا المجلس !.. (وكان مع كل واحد بيضة مخفية) .. فلما جاءت نوبة المتنبى .. صاح صيحة الديك ، فقال السلطان :

ـ ما هذا ؟ قال المتنبى : لابد لهذه الدجاجات .. من ديك !

وتستمر الأسمار والأحاديث فى هذه المجالس ، فيذكر أحدهم لغزاً آخر ، فى قول الشاعر :

وميت بقبر طعمـه عند رأسه ... إذا ذاق من ذاك الطعام : تكلمـا
يقوم ويمشى : ناطقـاً بفصاحـة ... ويأوى إلى القبر الذى كان قيمـا

قال : هو القلم ..

(٣) واللغز فى الأصل : جحر يحفره اليربوع ، ملتوياً منحرفاً ، يلجأ إليه حين يُقْصَدُ فى جحره المستقيم ، وقد أريد به ما أخفى معناه من الكلام وألبس ـ تشبيها بلغز اليربوع . ، أنظر عدد مجلة الأزهر الصادر فى غرة صفر سنة ١٣٧٢هـ ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٢ باب (سمر) للأستاذ محمد على النجار .

ولغز آخر :

خليــلان ممنوعــان من كل لذة ... يبيتــان ، طوال الليــل ، مجتمعــان

إذا أمسيــا كانــا على النــاس حارساً ... وعنــد طلــوع الفجــر .. يفترقــان

قال : هو الباب (بمصراعيه حينا يقفلان ويفتحان) .

ولغز آخر :

وذى سفــــر لا يحب المقــــام ... ولا يسأم السير فى كل حال

يبيــــد الليــــالى فى مرّة ... وتفنيــه ــ فى مرّهــن ــ الليــالى

قال : هو القمر .

ولغز آخر :

وآكلــــة بغير فم وبطــــن ... لها الأشجــار والحيــوان قوت

إذا أطعــمتها انتعشت وعــاشت ... وإن أسقــيتها ماء .. تموت !

قال : هى النار .

ولغز آخر :

وذات ذؤابــــة تنجــــر طولا ... تراهــا فى المجىء وفى الذهــاب

ومــا لبست ، مدى الأيــام ، ثوبــاً ... وتــكسو النــاس أنــواع الثياب

قال : هى الإبرة . وفى هذا المعنى قلنا من قصيدة لنا : عريانة لكنها تكسو ملايين البشر .

* * *

ومما يدل على سرعة بديهة السلطان الغورى وسعة إطلاعه عندما سئل : ما فائدة الدعاء ، مع أن القضاء لا رد له ؟ فأجاب :

ـ قال الغزالى : « اعلم أن من جملة القضاء ، رد البلاء بالدعاء .. فالماء سبب لخروج النبات ، كذلك الدعاء سبب لرد البلاء ، وليس من شرط الاعتراف بالقضاء ، عدم حمل السلاح ، لأنه ـ تعالى ـ أمرنا بحمله ، بقوله : « فليأخذوا حذرهم وأسلحتهم » .

وعندما سئل : لأى شيء جعل الله الملوحة فى العينين ، والمرارة فى الأذنين ، والماء فى المنخرين ، والعذوبة فى الشفتين ؟ فأجاب : إن الله ـ تعالى ـ خلق العينين ، فجعلهما شحمتين ، وخلق الملوحة فيها لحفظ العين ، ولولا ذلك لذابتا ، فذهبتا .. وجعل المرارة فى الأذنين ، لأنه لو لم يكن كذلك ، لهجمت الدواب وأكلت الدماغ .. وجعل الماء فى المنخرين ، ليصعد منه النفس وينزل ، ويجد منه الروائح الطيبة ، من الروائح الكريهة .

وعندما سئل : إذا قتل ذمى ذميا ، ثم أسلم ، فما حكمه ؟

فأجاب : نقتله وندفنه فى مقابر المسلمين ؛ لأن الإسلام يرفع حق الله ، لا حق الناس .

* * *

ويقول المؤلف فى الكتاب الثانى : (الكوكب الدرى فى مسائل الغورى) : « جمعت شيئا يسيرا ، وفات منى شىء كثير ، فجمعت من بحار فوائده قطرة ، ومن شموس محاسنه ذرة ، ولم أقدر أن أجمع إلا واحداً من ألف ، بل من مائة ألف ؛ لأننى كنت فقير الحال ، متزلزل الأحوال » .

والكتاب المذكور يحتوى على ألفى مسألة وأجوبتها ، من المسائل التى دار البحث فيها ، فى مجالس الغورى . وكما يقول الدكتور عزام : « والمطلع على الكتاب يرى صوراً من أفكار علماء مصر وأمرائها فى ذلك العصر ، يرى المسائل الدينية ، وهى معظم الكتاب ، ومسائل تاريخية وجغرافية ، ويرى انتقال الحديث ، من تفسير آية كريمة أو حديث شريف إلى السؤال عمن بنى الأهرام ، أو عن زرقة السماء ، أو السؤال عن (كيومرث) ، أول ملوك الشاهنامة : أكان قبل نوح ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ أم بعده ؟ أو عن شهر المحرم : لماذا جعل أول التاريخ الهجرى » ..

كذلك يجد القارىء ـ بين الحين بعد الحين ـ فكاهة للسلطان أو نادرة . ونقتصر على ما قدمنا من الشواهد .

وصفوة القول أن هذا الكتاب يصور ، على الجملة ، بعض النواحى الفكرية والاجتماعية ، فى مصر والعالم الإسلامى ، فى ذلك الوقت .

هذا ، ومازالت الندوات الأدبية وفرسانها ـ فى وقتنا الحاضر على أقل تقدير ـ بحاجة إلى تأريخ مدون .. ولعل بعض الباحثين الجادين ، الذين هم فى فسحة العمر وعزم الشباب ، ينهضون للسير قدما فى هذا الطريق الذى عَبَّدَهُ أمامهم الدكتور عبدالوهاب عزام ـ رحمه الله ـ بهمته ودأبه ، لنظفر منهم بكنوز أوشكت على الضياع والاندثار .. مقتفين بذلك أثر الشاعر محمود حبر ، رحمه الله ، الذى أصدر كتابا رائعا عن (الندوة البدرانية) جمع فيه الكثير من أفانين الشعر والنثر التى ألقيت بهذه الندوة ، مع وصف بديع لها ، وللجو الشائق الذى سادها ، كمهرجان أدبى كبير ، يحرص الأدباء والشعراء على التمتع به ، والإسهام فيه ، ببدائعهم وروائعهم .

وبالله التوفيق ..

عبدالحليم الجندى

الإمام الشافعى

ناصر السنة .. وواضع الأصول

صورة بطل

وَدِدتُ أن جميعَ الخلقِ يعلمون كتبى
ولا ينسبون إلىّ منها حرفاً
الشافعى

عرض وتقديم الأستاذ

عبدالسلام ناصف

الكتاب الذى بين أيدينا من أنفس كتب التراجم فسيرة الإمام الشافعى الذى ملأ طباق الأرض علما أكثر من أن يحتويها سفر واحد ـ غير أن كاتبها القدير المستشار عبدالحليم الجندى المتخصص فى التنقيب عن فضائل الأئمة الكبار استطاع أن يوجزها فى صفحات هذا الكتاب الذى يزيد عن الأربعمائة من القطع الكبير فى أبواب تسعة مقسمة إلى فصول .

بدأت برسم صورة رائعة لحضارة الدولة الإسلامية فى العصر العباسى خاصة فى عهد الخليفة هارون الرشيد الذى ازدهرت الحضارة فى عهده إزدهاراً يفوق كل تصور فقد عم الكون كله عبق أريجها فقد كثرت المؤلفات والتراجم والكتب فى كل مناحى الحياة ـ كما اتسعت دائرة الترجمة من كل بقاع الدنيا فى ثورة علمية جارفة ـ وإليكم الكتاب .

من رحمة الله بهذه الأمة أنه لم يحرمها من إمام حتى يهبها إماماً آخر ، ففى العام الذى توفى فيه الإمام أبو حنيفة النعمان ولد إمام آخر هو محمد بن إدريس الشافعى ـ رضى الله عنهما ـ فقد ولد الإمام الشافعى القرشى النسب أباً وأماً فى (غزة) أثناء رحلة لوالده فيها للتجارة ـ وشاءت الأقدار

أن يموت خلالها ويتركه طفلا فى رعاية والدته التى عادت به إلى مكة المكرمة موطن أهله وأهلها خوفاً عليه ، وأملا فى الوصول إلى حقه فى النسب وفى الإرث من بيت مال المسلمين ﷺ وكان لها الفضل العظيم فى رعايته وتنشئته وتربيته وتعليمه ﷺ وراتبه من بيت المال حينذاك لم يكن يكفيه ، فعاش عيشة ضنكا . ومع ذلك أدخلته الكُتّاب ، وتبدت نجابته فى سرعة حفظه فحفظ القرآن الكريم ولم يتعد السابعة واستخدمه المعلم فى تحفيظ الصبيان بالكتّاب ـ ثم جوده على خير أهله فى المسجد الحرام وكان يُبكى كل من يسمعه ﷺ وكان يؤم القوم فى صلاتهم باعتباره أحفظهم ﷺ وما أن بلغ الثالثة عشرة حتى جمع كل ما فى مكة من علم ؛ إذ أنكب على حلقات الدرس وتفانى فى التحصيل بغية أن يكون من أهل الرسول الأمين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بعلمه فتفانى فى دراسة سنته على أعلم المسلمين بها ليصبح الفهم للسنة خصيصيته حتى سما وارتقى بعلمه وتوفيق الله له ، وارتبط فكره بابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أعلم أهل زمانه بما أنزل على محمد ﷺ ، وتعلم على يد تلاميذه شيوخ مكة أمثال سفيان بن عيينة ، والإمام مسلم ، وغيرهما فبرع فى الفقه واللغة واعترف سفيان بعلمه فقال عنه :

إنه أفضل أهل زمانه وأذن له الإمام مسلم أن يُفتى وهو لم يبلغ العشرين لكنه آثر أن يقطع فى العلم أشواطاً وأشواطاً ، فاتجه إلى اللغة العربية وآدابها كمصدر لفهم الكتاب والسنة ، وارتحل إلى قبيلة (هذيل) فى البادية لينتهج النهج العلمى فى التحصيل ، من المنبع حيث التقشف والفصاحة والبلاغة وكان يعتبر الشعر الجاهلى مفتاح اللغة العربية ومن ثم فقد سلم أسلوبه وازدان بالجزالة وارتفع أسلوبه فى الفقه إلى أعلى مستويات البلاغة فصاحة وجزالة ووضوحا إلى جانب حذقه للرياضة والرماية وركوب الخيل . وعلا عن سفاسف الأمور واكتسب المبادرة الهادفة والاتزان فى الانطلاق والتركيز على الهدف والغرض ، فعلا عند الله والناس بعد أن جلس إلى علية القوم فى أعظم البقاع ، وكانت حياته كلها كرما وسخاء وشجاعة وتقوى بتواضع جم وخلق حسن ، وكان يدعو إلى طلب العلم بذلّ النفس وضيق العيش وكان يميل إلى الوسطية ، وكان مضرب الأمثال فى تأنيه وكان يكره الحيمة ويكره قبولها وسماعها .

ولقد تزوج ـ رحمه الله ـ من حفيدة الخليفة عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ فولدت له محمدا المكنى بأبى عثمان وزينب وفاطمة .

ولقد خلف ـ الإمام الشافعى ثروة عظمى من المؤلفات الطوال مقسمة ومبوبة على نسق الكتب العصرية التى تتصدى لأدق العلوم التى أثرى بها التراث الأدبى وفرة وعلوا وكالا ومعنى تحس فى لغته طعما سائغا فى الفم وتوقيعا بديعا فى الأذن كأنما يسلك الجواهر فى عقود الجمان .

ولقد سبق شعره نثره ، وارتفع بأسلوب الكتابة إلى أعلى مستوى البلاغة باختيار اللفظ الملائم ، والتركيب السائغ واشتقاق الكلمات وإضفاء السلاسة والسلامة والمتعة والفائدة فى إيجاز فسما بالفقه عن ضجة الجدل ، وزحمة الخلق إلى ما يشبه المناجاة ، وأضاف إلى اللغة العربية كنوزاً ألافة لم يُعرف لها نظائر ومن ثم كان إماماً فى الفقه واللغة .

وعن شاعريته فحدث ولا حرج ، إذ كان أشعر الشعراء فى الحكمة ولولا أنه كان يخشى الشعر فى غير الورع لملأ الدنيا شعراً فهو القائل :

ولولا الشعـــر بالعلمـــاء يزرى
لكنت اليوم أشعــر من لبيـــد

ولعله كان يتمثل محبة رسول الله ﷺ للشعر الذى كان يقول : (إن من الشعر لحكمة) لكنه اختار الفقه ميدانا لاجتهاداته بعدما هبت رياح بغداد العاصفة على أهل السنن فى مكة ونسائم المدينة تحييه منعشة ـ فعزم الرحيل إلى المدينة المنورة تبركا وتعلما وقصد إمام دار الهجرة (مالك ابن أنس) ليتزود من (موطئه) ـ وأعجب كل منهما بالآخر فقال مالك عنه : (ما جاءنى قرشى أفهم من هذا الفتى) أما هو فقال عن مالك : (إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب) وتغنى بكتابة الموطأ فقال : ما فى الأرض كتاب فى الفقه والعلم أكثر صواباً من كتاب مالك) . وأصبح كل علماء المدينة أصحابه .

وفى الفصل الثانى من الباب الثالث يحكى المؤلف أن والى اليمن قد اصطحب الشافعى بعد وفاة مالك ليعينه قاضيا فى (نجران) فاستزاد من علم أهلها ودرس الطب والرياضيات ـ ولقد التزم بالعدل فى قضائه لكن عدله لم يرق للمبطلين فمكروا به عند الخليفة الرشيد وكان أعظم حكام الدنيا فى القرون الوسطى فى كل مناحى الحضارة ، فأمر بحمله إليه مكبلا ولما مثل أمامه وكان قاضيه محمد بن الحسن سيد علماء عصره فاستشهد به الإمام فشهد له ، وشاءت العناية الإلهية أن تنقذه من مصير من سبقوه جميعاً إلى المحاكمة والاعدام ـ فبرئت ساحته فوقف عالى الرأس ، هادىء النفس ، وازداد يقينا بربه العزيز الحكيم .

صحيح أنه قد ساق حجته على أعلى مستوى يتصوره دفاع عن متهم من شخص الخليفة ، ومن القاضى الفقيه الجالس على منصة الحكم ، ومن كونه قرشى متمكن أن كل نفس ذائقة الموت وأنه لا يهابه .. إلا أن هذه إرادة الله عز وجل . فخرج من بلاط الرشيد ليعود لمكة أكثر علما وليصبح فيها أعلم رجل فى الدين والدنيا ـ ولقد استقبلته استقبالا يليق بعلمه فأوسعت له مكانا بجوار مقام الخليل إبراهيم داخل المسجد الحرام حيث كان فى الرابعة والثلاثين فى يده علم العراق وسنن الحجاز فأمسك بأدوات الفقه فى يديه ووازن بينهما واستنبط منهما فقها من القرآن والسنة ، فالقرآن بأحكامه ، والسنة يشرحها لمجمل آياته وأسباب نزوله إلى جانب تبحره فى السير والبلاغة والشعر والأدب فصار من أهل القرآن وخاصته ، وجلس يحدث بلسان فصيح حسن التلاوة ، قوى البيان ، مهابا بحس دقيق عميق منبعث من جوار الكعبة ـ فقد كان أقدر الأئمة على تفسير القرآن وأوضحهم حجة بلسان عربى مبين مزوداً بأشعار العرب وآثار السلف من الصحابة والتابعين . ثم عكف على كتب العراقيين فراجعها ونقدها وبوبها وفندها لتظهر مدرسة جديدة فى الفقه بعدما توفر له الإلمام باللغة والنحو والصرف ، والاشتقاق والمعانى ، والبديع ، والقراءات ، والأصول ، وأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والحديث ، والفقه فانطلق يفسر عن علم وثقة وكان مجلسه قبالة ميزاب الكعبة ، وكان يفسر وكأنه شاهد تنزيل .

ولقد جلس الإمام أحمد بن حنبل إليه فى

المسجد الحرام أثناء حججه فى عامى ١٨٧ ، ١٩١ هـ فراعه ما سمعه من علمه وبلاغة وأستاذتيه وكان الناس يتقاطرون عليه من كل صوب من كل أرجاء العالم ، حيث كان يجادل بنصوص الكتاب وبنصوص الأحاديث والسنن ـ عدته وأساس منهجه ـ وكأن الله قد أعاد لمكة سيادة الفقه على يديه وهو العرق القرشى الذى ملأ طباق الأرض علما ، والذى يجتهد فى الرأى ويجاهد فى سبيله فالإسلام عنده علم وعمل .

ولقد أعجب الإمام الشافعى بمدينة العلوم (بغداد) فى عصر الرشيد حين دخلها غير أنه اصطدم بالفرق والمذاهب المتعددة المتنافرة ، وحذر من المعتزلة وآمن بالمشيئة ـ وأن الإيمان قول وعمل وكانت أعماله وأفكاره واضحة وكان يدلل بالكتاب والسنة ، ووضع للقياس ضوابطه وموازينه حتى أطلق عليه (واضع علم الأصول) إذ كان الفقه فى حاجة إلى منهج وكان مناهجه العمل بالرأى أو القياس كأبى حنيفة أو العمل بالنصوص والسنن كمالك وله فيها كتب الرسالة ، وأحكام القرآن ، واختلاف الأحاديث ، والقياس فى جماع العلم ، وكان يرى أن القياس والاجتهاد معنى واحداً يحتاج إلى العلم ، ومن هنا يمكن القول بأنه قد أرسى منهاج الكتاب والسنة والاجماع .

ولقد أخبر عنه الإمام أحمد بن حنبل بأنه أعظم منة على الإسلام وأن الله قد بعثه على رأس المائة الثانية ليقيم لدولة الإسلام أمر دينها ـ وأنه القرشى الذى يملأ طباق الأرض علماً .

وهكذا يمكن القول بأن الشافعى كان تلميذ مالك وأستاذ ابن حنبل وآل إليه علم أبى حنيفة وكان الإمام الذى اجتمع فيه الأئمة الأربعة بالعقل وبالفكر . أى جماع علم أهل السنة .

ولقد غادر بغداد هربا من صراعاتها وعواصفها وفتنها إلى مصر بلد الحضارات الراسخة أملا فى نشر مذهبه حين انشق المصريون على أنفسهم بين مذهبى مالك وأبى حنيفة ، وكانت غريزته تهتف به لتخليد فقهم تخليداً للفكر الإسلامى فى بلاد قانونها تخليد الحضارة وآثارها شاهد على الخلود إضافة إلى خصبة تربتها وغنى مواردها التى جذبت العرب عامة والعلماء خاصة فاستزاد الشافعى من علمائها الذين اتخذوا من جامع عمرو داراً لهم واتخذ لنفسه حلقة فيه أقبل عليها المسلمون مبهورين وكان يستفتح بالقرآن الكريم ثم بالحديث الشريف ويتبعهما بمناقشات فقهية ، ويختم بعلوم اللغة وآدابها ـ فكانت حلقة متكاملة وكانت قولته الشهيرة : (من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن نظر فى الفقه نبل قدره ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر فى اللغة رق طبعه ومن نظر فى الحساب جزل رأيه ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه) . وكان الحوار طريقه للدرس وكان يقسم ليله بين الكتابة والنوم والصلاة ، وكان لا يميل إلى الجدل ، ويكره التقليد . ولقد ألف أكثر من ١١٣ كتاباً وقيل ١٤٣ فى التفسير والفقه والأدب منها كتاب الأم فى سبع مجلدات لا يرقى إلى مكانته مؤلف آخر .

ولقد كان الشافعى أقرب إلى المحدثين وهم إليه أميل ، وكان أقرب إلى الحنفية بتأييده للقياس والاجتهاد ووضع القواعد لهما فقرب بين المذهبين فظفرت به مصر إماماً اجتمع فيه علم الأئمة الأربعة .

وكان له تلاميذ لزموه وخدموه وسجلوا مسائله كالربيع المرادى والربيع الجيزى ويوسف بن يحيى وغيرهم إلى جانب تلاميذ لهم كانوا امتداداً له فكانوا كالموجات التى يزدحم بها الوجود فى انتظار من يتلقاها لتعمل وتضيء .

لقد كان يعلل الأحكام لتوضيحها ، وكان يستنبطها من القرآن والسنة بعد أن أحاط بالعلوم الدينية فكان علم أصول الفقه ، وكانت له قواعد عملية التزم بها الفقهاء فى شتى المذاهب ، فهو يتكلم عن البيان الوارد بنص فى القرآن الكريم كالفرائض ويستعين بالسنة فيما ليس فيه نص ثم بإجماع المسلمين أو بالقياس . ولقد طلب الحديث ليكون نواة للفقه ومصدراً له متى صح سنده والإجماع حجة بعد الكتاب والسنة وقبل القياس وأوله إجماع الصحابة ثم إجماع أهل العلم . والقياس أن يكون الشيء فى معنى الأصل ، أوله فى الأصول أشباه ، والمصالح المرسلة هى المصالح التى يلمحها العقل ولا يأباها الشرع . وإذا كان المستحسنون يستنبطون أحكامهم لخدمة المسلمين تبعاً للشريعة كما فى الكتاب والسنة وإجماع العلماء ، فلا عليهم .

وبهذا استطاع الفقهاء أن يقعدوا القواعد الفقهية التى جعلت شريعتهم صالحة لكل زمان ومكان ، فمن اعجاز القرآن أن تتفق نصوصه مع مصالح الجنس البشرى فى كل الفروع ومناحى الحياة ، إذ التشريع يهدف إلى تحقيق مصلحة الأمة ودفع الضرر عنها ورفع المشقة عن أفرادها .

وفى الباب قبل الأخير يتغنى ــ المؤلف ــ بحياة الشافعى الملحمة والقدوة التى رسمت للناس أن الدين علم وعمل ، وأن الجزاء الأوفى للعمل ...

ولقد كان ــ رضى الله عنه ــ دائم العمل حتى أصبح مثلا أعلى فى الكفاح بالسهر وبالترحال وبالعبادة ، والزهادة ، والتقشف ، والعطاء ، ونذر حياته لحلقاته وكتاباته فثبت وتعمق . وكان عمله باليد واللسان والقلب لصالح الإسلام فخلف ما يشبه الغيث فسالت أودية بقدرها فى كل فن من فقه وعلم ، وفلسفة ، ولغة . ولقد كان اهتمامه باللغة واستخراج كنوزها يفوق كل تصور ففرض تعلمها وجوبا على كل مسلم حيث كان إماماً فيها وإماماً بها وهو لا يجيز الصلاة بغير العربية لذا لقب بإمام العرب .

ويفرد المؤلف الكبير بابه الأخير من كتابه القيم عن مرض الإمام بعد أن ألح عليه الداء وبعد أن تجمعت عليه آثار الجهد الذى أكل جسمه على أثر النزيف الدامى الدائم ــ فأقعده المرض ــ رضى الله عنه ــ وناجى ربه داعياً :

فلما قسا قلبى وضاقت مذاهبى
جعلت رجائى نحو عفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته
بعفوك ربى ، كان عفوك أعظما
فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منة وتكرما

وأسلم إمام المسلمين وجهه لله ، وكان يمسح على وجهه داعياً : اللهم أعنى على كرب الموت ... فما أحوج ابن آدم لرضى ربه يوم يلقاه .

وصعدت روحه إلى بارئها عند أذان العشاء من ليلة الجمعة التى توافق التاسع والعشرين من شهر رجب سنة أربع ومائتين للهجرة وحمل نعشه

ـ رحمه الله ورضى عنه ـ عصرها إلى مثواه الأخير ودفن بمقبرة القرشيين بالمقطم بالقاهرة .

ولما بلغ ابن حنبل نبأ وفاته توجع واسترجع وقال : رحمه الله كان كالشمس للدنيا وكالعافية للناس .

فانظر .. فهل لهذين من خلف أولهما من عوض .

ولقد انتشر مذهبه فى كل بقاع أرض الإسلام بما لكنه استبقى مكانته فى قلب شعب مصر حتى اليوم .

فلقد ظل مذهبه يدرس فى حلقات جامع عمرو ابن العاص .. حتى صار الأزهر لكل المذاهب فأقبل عليه الدارسون من كل صوب ، ولقد اهتم بمذهبه القائد صلاح الدين الأيوبى فأسس المدرسة الناصرية ووقف عليها أوقافاً بنى عليها مسجده .

فلقد سعدت مصر بالشافعى حياً وميتاً ـ فهو الذى أفنى حياته فى سبيل وحدة الأمة بالقرآن والسنة والعربية والوحدة . ولقد ضرب البناة على قبره قبة عالية رفعوا فوقها زورقاً دقيق الصنع يسبح سبحانه العليا فى ضمير العصور ، وكأنما يطير أو يشق صفحة الماء زرقاء صافية وصفت القبة فوق هضاب القاهرة كواسطة العقد ترى للعين المجردة من كل مكان .

فما هو إلا أحرف من نور سطرت بها السماء سطراً من أسطار الخلود للإسلام فى هذه البقعة المباركة من البلد الذى شرف بذكره فى القرآن الكريم .

وبعـد :

فإن الله سبحانه وتعالى قد وهب كاتبنا الكبير المستشار عبدالحليم الجندى مقدرة طيبة فى كتابة السير لاسيما سير الأئمة الأربعة ذوى المناقب السامية ، فقد تخصص فى إبرازها فى صورة بلاغية وأسلوب رشيق وتسلسل أدبى رفيع ، يستسيغه القارىء ويتذوقه ..

ولقد كنا نأمل أن نجد فى طيات الكتاب تاريخ مولد الإمام الشافعى أسوة بما اتبعه سيادته فى التنقيب عن مولد غيره من الأئمة الكبار ، وسيرا على نهج التركيز على تاريخ وفاته ، ولا يفوتنا أن نذكر أن سيادته قد حدد يوم الوفاة بيوم الجمعة الذى يوافق التاسع والعشرين من رجب عام أربعة ومائتين للهجرة ووافقه فى ذلك مسند الإمام الشافعى الذى جاء بمقدمته أنه توفى فى آخر أيام شهر رجب من ذات العام .. وجاء بكتاب (تذكرة الحفاظ) للإمام الذهبى ـ رضى الله عنه ـ أنه توفى فى أول أيام شهر شعبان من نفس السنة فى المجلد الأول منه بصفحة ٣٦٢ ـ ولم يأت بأيهما تاريخ مولده محددا بالشهر واليوم ـ غير أن ذلك لا يقلل من أهمية الجهد الذى بذل فى تأليف واخراج ونشر هذا الكتاب القيم .

بين المجلة والقراء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

نحو وعي بالاقتصاد الإسلامي

من حين لآخر تثار بعض الشبهات حول « حرمة الربا » سواء كان بحسن نية أو غير ذلك ، وما انفك علماؤنا يتصدون لمثل هذه الشبهات التي يثيرها غير المتضلعين بأحكام الشريعة الإسلامية .

والحقيقة أن الله تعالى هو الذي حرم الربا وهو الذي هدد آكليه بالحرب إذا لم ينتهوا عن التعامل به ، فقال ـ سبحانه : ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ البقرة : ٢٧٥ ، وقال ـ أيضاً : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ البقرة : ٢٧٩ ، وبهذا التحريم الإلهي استقرت النظم المالية في الإسلام ، وصلحت المعاملات مدة ازدهار التعامل به .

ولقد سارع الأزهر الشريف ببيان الحكم الشرعي فيها على وجه التفصيل ، بما أصدر من بيانات عدة وقرارات لمجمع البحوث الإسلامية ، وفتاوى لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، الشيخ/جاد الحق علي جاد الحق[1] ، وما قدمه فضيلة الدكتور/علي أحمد الخطيب بمجلة الأزهر وهداياها ، من دراسات تخدم هذه القضية للفيف من كبار العلماء[2] ، وغير ذلك من الكتابات الفقهية المتعمقة التي كتبت بأيدي علمائنا ، ونشر بعضها بالصحف والمجلات وبعضها الآخر في إصدارات وندوات ومؤتمرات متخصصة .

---

(١) بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة ـ جـ٢ باب البنوك وما يتعلق به ، إلى غير ذلك من فتاوى لاحقة .

(٢) هدية مجلة الأزهر عدد شعبان ١٤١٠ هـ : والربا والقضايا المعاصرة ، على سبيل المثال .

ومن ثم فإننا نحيل إليها القارىء الذى يريد أن يتبين وجه الحقيقة من شريحتنا القرّاء ، كما نحيل غيره من الواقعين تحت تأثير الأفكار المستوردة إلى هذه البحوث والدراسات الفقهية لعلمائنا الأفاضل الذين أنار الله بصيرتهم فاستندوا إلى دليل لا يخطىء وهادٍ لا يضل : « كتاب الله وسنة رسوله ﷺ » ، عسى أن يجدوا فيها ما يبدد الشبهات التى تفتقد الدليل ، ويعين على النهوض باقتصادنا الإسلامى .

وسوف يجد القارىء فى هذا العدد كلمة تسير فى هذا الاتجاه ، كما يجد غيرها من كلمات عديدة بأقلام قرائنا الأعزاء ، إلى جانب الردود والتعليقات والإجابة عن الاستفسارات .

المحرر

حرمة الربا فى الإسلام

وقد تلقى الباب هذه الكلمة عن أهمية تعميم نظام الاقتصاد الإسلامى بلادنا ، كتبها الأستاذ/يحيى السيد النجار من محافظ دمياط :

قال تعالى :

﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ البقرة : ٢٧٥ ، والاقتصاد الإسلامى يعد ضرورة ملحة .. خاصة بعد اتفاقية (الجات) وعالمنا العربى والإسلامى .. مع بدايات العمل بالمصارف الإسلامية أو شركات الاستثمار الإسلامى منذ ثلاث عقود مضت .. أتساءل ؟؟ عبر مجلة الأزهر هل حققت الأمة نموها الاقتصادى لخلق بيئة اقتصادية ناجحة تعزز التكافل الاجتماعى ، والأمة لازالت تفتقد كثيراً من مجالات التبادل التجارى والاستثمارى ، وكلها سمات تنعش الاقتصاد الإسلامى ، والاقتصاد الإسلامى تنحصر محاوره ومجالات تعاونه بين البلدان العربية والإسلامية .

وبعض القرارات مازال حبيسة الأدراج .. ولاتزال الأسواق العربية مفتوحة لكل السلع دون تفضيل للعربى منها .

فهل ينظر الأداء الحالى إلى الاقتصاد الإسلامى نظرة متكاملة ويوجه إليه سياساته على أنه كيان واحد يمثل جسداً واحداً ؟ لعل أهم هدف فى توجيه الاقتصاد على المسار الإسلامى هو : تحقيق التكافل والتضامن فى بنيان الأمة الواحدة ، ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ الأنفال : ٦٠ ، إن الأمة اليوم تواجه تكتلات شديدة التباين والقسوة فى آن واحد ، فهلا وعينا درس الاقتصاد الإسلامى ؟

فضل حب الله ورسوله

وكتب الأستاذ/الحاج عبدالقادر سرور المدرس الثانوى بمحافظة البحيرة ـ كوم حمادة ـ كفر بولين ـ تلك الكلمة :

حب الله نور .. لا يهتدى به إلا المؤمنون المخلصون .. وحب رسول الله ﷺ برهان على حب الله ـ عز وجل ـ ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ آل عمران : ٣١ .. لا تقل : نفسى .. فإن حب الله ورسوله أولى ..

لاتقل : أهلي .. فإن حب الله ورسوله أغلى ..
لاتقل : مالي . فإن حب الله ورسوله أحلى ..

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ التوبة

روى البخارى قول رسول الله ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار » .. وهذا عمر - كما ثبت عند البخارى - يقول : والله يارسول الله لأنت أحب إلىّ من كل شىء إلا من نفسى ، فقال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه » فقال عمر : فأنت الآن والله أحب إلىّ من نفسى . فقال ﷺ : « الآن ياعمر » .. أى الآن كمل إيمانك .. أو كما قال .

عاقبــة الماكريــن

وكتب الشيخ/ سليمان عبدالحميد الفقى شيخ معهد قراءات دمنهور ، هذه الكلمة عن المكر وعاقبته ، جاء فيها :

يقول - تعالى : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ الأنفال / ٣٠ ، فى الكون نواميس ثابتة لاتتبدل ولاتتحول والقرآن يقرر هذه الحقيقة ويعلمها للنــاس كى لاينظــروا إلى الحوادث فرادى ولايعيشوا الحياة غافلين عن سنتها الأصيلة : فالمكر معناه الاحتيال والخديعة وهو صفة مذمومة غير محمودة وعقوبته معجلة فى الدنيا ، ولايليق بالمؤمن إن يكون ماكرا أو مخادعا أو غادرا أو باغيا أو يبيت بليل لأخيه المؤمن . فالمكر السيىء لاينزل إلا بأهله وليعرف كل ماكر أنه مهما دبر فهناك مدبر مطلع على كل شىء ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال

ويقول الله تعالى :
﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ فاطر / ٤٣ .

ويقول عليه الصلاة والسلام : إياك ومكر السيىء فإنه لا يحيق المكر السيىء إلا بأهله(*) وهم من الله طالب وقال محمد بن كعب القرظى : ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به ما مكر ، أو بغى ، أو نكث ، وتصديقها فى كتاب الله تعالى :
﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ ٤٣ فاطر .
﴿ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴿٢٣﴾ ﴾ يونس .
﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴿١٠﴾ ﴾ الفتح .

والمتتبع لآيات القرآن الكريم فى المكر ، يجد

(*) مجلة الأزهر حريصة على بيان مصدر الحديث ، نرجو أن يوافينا فضيلة الكاتب بالمصدر لنلحقه بالعدد القادم .

عقوبة المكر : الدمار والخسران وأنه مردود على صاحبه ؛ فقوم ثمود فى مكرهم بسيدنا صالح وإصرارهم على قتله ليلا هو وأهله وأن يقولوا لولى دمه : ما فعلنا ولا شهدنا قتله ، راجع فى ذلك قول الله ـ تعالى ـ فى مكرهم ونجاه سيدنا صالح من هذا المكر: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ الآيات من ٤٨ ـ ٥١ بسورة النمل

ويقول الله ـ تعالى ـ فى تهديد أصحاب المكر : ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ النحل

زينة الحياة الدنيا

يقول تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ سورة الكهف ، سبحان الله ما أوسع زينة الحياة الدنيا وبهجتها فى خدمة الإنسان وتمتعه ، وتعل فى مقدمة هذه الزينة «المال والبنون والنساء» وقد جعلها الله ـ عز وجل ـ من شهواتها التى زينت للإنسان ، ومن ثم كان حريصا عليها متكالبا على طلبها ، كما يقول تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾ آل عمران

ولكن على العاقل أن لايغتر بزينة الدنيا وبهجتها ، وألا ينكب على غرورها وحبها وطلبها وإنما يعتبرها أدوات تذكره بنعم الله عليه فينشغل بطاعته ولا ينصرف بالنعم عن المنعم .

عماد الدين عبدالمنعم

دار طباعة النقد

من إبداعات القراء

من قصيدة : النفس ملأى

للشاعر : محمد ثابت السيد

لا تحزنوا إن قلت شعرى من « سقر »
الحلم .. مات الحلم والسيف انكسر
والنفس ملأى .. بالعذاب وبالضجر
والقدس تحيا فى المعاناة والصور
وعلى « سرايفو » دمار ..... مستمر
والقتل فى الشيشان أمر لا يذر
والسيف فى أيدى البغاة قد انتصر

ردود وتعليقـــات

الكاتب/ محمد مصطفى الغمرى ـ من أسنيت بنها .

نداؤكم الطيب إلى منهج الإسلام والعمل بمقتضاه منذ كنت طالبا بمعهد القاهرة الأزهرى عام (١٩٤١) ، يعكس مدى حبكم للبحث العلمى البعيد عن شوائب الجمود والعصبية ، منذ ذلك الوقت المبكر ، وكم هو طيب حقا أن يمضى الرجل عمره فى تنمية إدراكه العلمى ، فمن شب على شىء شاب عليه ، ما أحوج شبابنا إلى هذه الروح العلمية .

● القارىء/ سيد محمود محمد ـ المرج ـ القاهرة

نشكركم على فائق عنايتكم بمجلة الأزهـــر ومتابعتكم لمادتها وبعون الله ترون مبلغ العناية بها وهو يزداد شهرا بعد شهر .

● القارىء/ مُلقّب نفسه بأبى الطيب المصرى

القارىء/ حسين محمود محمد ـ مدير مدرسة عزبة النصر بديروط

● القارىء/حمدى محمـــد عبداللطيـــف .. المدرس بالتربية والتعليم

تلقينا رسائلكم وماتضمنته من أشعار وهى قيد النظر ، خالص التقدير لمواهبكم ومتابعتكم .

● القارىء/ أحمد عبدالله أحمد .

● القارىء/ على محمد حامد الفشنى ـ دمنهور ـ البحيرة .

● القارىء/ سيد عبدالعزيز العيـــوى ـ المنيا

● القارىء/محمد فتحى نعيم حسن .. كلية الهندسة ـ جامعة المنصورة

بعض الناس يتعجلون نظم الشعر قبل أن يصقلوا موهبتهم بدراسة العروض ؛ فتختل معهم الأوزان ويميلون إلى النثرية والأفكار المعادة ، لذا لابد من دراسة الأوزان ومعرفة العلل والزحافات قبل هذه المحاولات .. والله المستعان .

● وبمشيئة الله ـ تعالى ـ سيوالى الباب اهتمامه بالرسائل التى تلقاها ويحلقاها تباعاً .



تقديم الأستاذين / عمر البسطويسي . مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يشهد حفل ختام الدورة الثلاثين للأئمة من العالم الإسلامي

شهد فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جادالحق على جادالحق شيخ الأزهر الشريف بعد ظهر يوم السبت الموافق ٤ جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ ٢٨ أكتوبر ١٩٩٥ م حفل ختام دورة الأئمة والوعاظ من العالم الإسلامي الثلاثين ، حيث قام فضيلته بتسليم أعضاء الدورة شهادات التخرج ومنحهم مكتبات إسلامية تعينهم على مداومة القراءة والاطلاع حتى يتمكنوا من القيام بواجبهم كدعاة مثقفين . وقد وجه فضيلته إليهم كلمة أكد فيها على : أن طلب العلم فريضة على كل مسلم وأن الله يثيب طالب العلم الذى يبتغى به وجهه ـ سبحانه وتعالى ـ ودعاهم إلى أن يكونوا رسل علم يقتدى بهم فى سلوكهم ، وأن يكونوا من الداعين إلى وحدة الأمة ونبذ الخلافات فيما بينهما والعمل بمقتضى : كتاب الله وسنة رسوله ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ ودعاهم فضيلته إلى أن يكونوا على صلة دائمة بالأزهر الشريف من خلال ما يصدر عنه من : مؤلفات وفتاوى وتوصيات وقرارات ، عن المؤتمرات التى يعقدها ويشارك فيها .

اشترك فى هذه الدورة أكثر من ثلاثين إماما وواعظا مثلوا دول « زنزبار والكاميرون ونيجيريا وسيراليون وجزر القمر وليبيريا والسنغال » ، حضر الحفل فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر ، والسادة سفراء الدول المشاركة فى الدورة ، ولفيف من قيادات الأزهر الشريف ، وفضيلة المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية التى تستضيف هذه الدورات التى تنظمها اللجنة العليا للدعوة الإسلامية .

الإمام الأكبر يبعث ببرقيتين لرئيس إندونيسيا ونائبه

بعث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ببرقية التعزية التالية لفخامة الرئيس سوهارتو رئيس دولة أندونيسيا :

فخامة الرئيس سوهارتو . رئيس جمهورية أندونيسيا :

هزت مشاعرنا أنباء الزلزال المدمر الذى

أصاب جزءا عزيزا من بلدكم الشقيق جزيرة سومطرة ، وتلقينا النبأ ببالغ الأسى والحزن الذى أصاب الكثير من إخواننا . وإذ أعرب لفخامتكم وللشعب الأندونيسى باسم الأزهر الشريف ، طلابه وعلمائه وجميع العاملين بكافة هيئاته ، وباسمى عن خالص التعازى لأسر الضحايا . أدعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يمن على المصابين بالشفاء العاجل وأن يرحم الشهداء ويحفظ الشعب الإندونيسى من كل سوء إنه سميع مجيب .

شيخ الأزهر الشريف
جادالحق على جادالحق

كذلك بعث فضيلته ببرقية مماثلة للسيد نائب الرئيس الإندونيسى هذا نصها :

معالى السيد / ترى سوريستو .. نائب رئيس جمهورية أندونيسيا ، تلقيت ببالغ الأسى والحزن فجيعة الزلزال المدمر الذى أصاب جزيرة سومطرة ، وباسم الأزهر الشريف طلابه وعلمائه وجميع العاملين بكافة هيئاته ، وباسمى نقدم تعازينا لسيادتكم ولأسر الضحايا .

وأدعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يمن على المصابين بالشفاء العاجل وأن يرحم الشهداء ويحفظ الشعب الإندونيسى من كل سوء .

شيخ الأزهر الشريف
جادالحق على جادالحق

الإمام الأكبر يستقبل وزير العدل الباكستانى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ـ صباح يوم الإثنين ٢١ جمادى الأولى ١٤١٦ هـ ١٦ أكتوبر ١٩٩٥ م ـ السيد الوزير د . ن خان وزير العدل الباكستانى والوفد المرافق له بصحبة السيد السفير منصور علم سفير باكستان بالقاهرة .

. تم خلال اللقاء شرح وجهة نظر الأزهر العلمية والشرعية حول مسألة تنظيم الأسرة التى طرحها السيد الوزير لمواجهة مشكلة التزايد السكانى التى تعانى منها باكستان .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس هيئة الإفتاء بنيجيريا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ـ صباح يوم الأربعاء غرة جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ ٢٥ أكتوبر ١٩٩٥ م ـ السيد إبراهيم صالح الحسينى رئيس هيئة الإفتاء بنيجيريا والوفد المرافق لسيادته ، تم خلال اللقاء بحث دعم سبل التعاون بين الأزهر الشريف ونيجيريا ، وقد وجه الضيف الشكر لفضيلة الإمام الأكبر على دعمه المستمر لأبناء المسلمين فى نيجيريا الراغبين فى الدراسة بالأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس وزراء ماليزيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ـ صباح يوم الأربعاء الموافق ٨ جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ ١ نوفمبر ١٩٩٥ م ـ معالى الدكتور عبدالحميد عثمان الوزير بمكتب رئيس وزراء ماليزيا للشئون الدينية والوفد المرافق لسيادته .

فى بداية اللقاء أعرب الضيف عن تقديره وتقدير حكومته للدور الكبير الذى يقوم به الأزهر الشريف لخدمة الإسلام والمسلمين فى شتى بقاع الأرض ، ورعايته الدائمة لعلوم اللغة العربية ، والدين .

وقد تناول اللقاء عدة موضوعات كان من بينها موضوع معادلة الشهادة الثانوية الماليزية بشهادات المعاهد الأزهرية ، حيث تم الاعتراف بمعادلة بعضها ، ومازال البعض قيد البحث والدراسة ، شهد اللقاء السيد سفير ماليزيا بالقاهرة ورجال السلك الدبلوماسى بالسفارة .

الإمام الأكبر يستقبل وفد وزارة الشئون الدينية بإندونيسيا

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ـ صباح يوم الأربعاء الموافق ٨ جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ ١ نوفمبر ١٩٩٥ م ـ وفد وزارة الشئون الدينية الأندونيسية برئاسة الدكتور قرشى شهاب رئيس الجامعة الإسلامية ، وبموافقة السيد سفير أندونيسيا بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث أوجه التعاون المشترك والمؤسسات الدينية بأندونيسيا فى إطار البرتوكول التنفيذى لاتفاقية التفاهم المشترك التى تم التوقيع عليها أثناء زيارة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لأندونيسيا الشهر الماضى .

هذا وقد تم عقد لقاء بين المسئولين من قيادات الأزهر الشريف بتوجيه من فضيلة الإمام الأكبر والوفد الإندونيسى لبحث تنفيذ اتفاقية التفاهم المشترك لتلبية احتياجات إندونيسيا فى شتى المجالات العلمية .

الإمام الأكبر يستقبل سفير الكاميرون فى القاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ـ صباح يوم الأربعاء غرة جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ ٢٥ أكتوبر ١٩٩٥ م ـ السيد / موشيلى إسماعيل سفير الكاميرون بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث أوجه التعاون بين الأزهر الشريف ودولة الكاميرون والدور البارز للبعثة الأزهرية بالكاميرون والمنح التى يقدمها الأزهر الشريف لأبناء المسلمين من الراغبين فى الدراسة بالأزهر الشريف .

وقد قدم السيد السفير الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة الكاميرون للمشاركة فى الاحتفالات التى تقام بمناسبة مرور مائة عام على دخول الإسلام للكاميرون .

الإمام الأكبر يستقبل مستشار رئيس جمهوريـــة إيـــران

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ـ صباح يوم الإثنين ٢١ جمادى الأولى ١٤١٦ هـ ١٦ أكتوبر ١٩٩٥ م ـ السيد / مسيح مهاجرى مستشار رئيس جمهورية إيران الإسلامية للشئون الاجتماعية .

تناول اللقاء بحث سبل التوصل إلى وحدة المسلمين وذلك من خلال تبادل وجهات النظر فى هذا الشأن حيث أشار فضيلة الإمام الأكبر إلى ضرورة العمل على وحدة المسلمين بالتوقف عن تصدير المذاهب وترك الحرية للناس كى يتعبدوا وفق مذاهبهم التى تعلموها مؤكدا على ضرورة أن تشكل منظمة المؤتمر الإسلامى نواة قوية بهذه الوحدة ، ومؤكدا كذلك على ضرورة تقوية موقف المنظمة فى المحافل الدولية ، مشيراً إلى أن وحدة المسلمين لها عناصرها القوية المتمثلة فى وحدة قبلتهم ومبادىء وأركان دينهم الحنيف .

النشاط الطلابى بالمعاهد الأزهرية

عقدت الإدارة العامة لرعاية الطلاب بقطاع المعاهد الأزهريــة مؤتمرى اتحاد عام طلاب وطالبات المعاهد الأزهرية للعام الدراسى ٩٥ / ١٩٩٦ وذلك يومى ٣٠ ، ٣١ / ١٠ / ٩٥ لانتخاب المكتب التنفيذى على مستوى الجمهورية .

حضر المؤتمرين فضيلة الشيخ محمد بشير عبدالعال رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والأستاذ أحمد القمرى مدير عام رعاية الشباب ولفيف من قيادات الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يستقبل وزير العدل والشئون الإسلامية بجيبوتى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ـ صباح يوم الأحد الموافق ٥ جمادى الآخرة ١٤١٥ ٢٩ أكتوبر ١٩٩٥ ـ السيد الأستاذ / مؤمن بهدون صالح وزير العدل والشئون الإسلامية بجمهورية جيبوتى والوفد المرافق لسيادته والسيد القائم بأعمال سفارة جيبوتى بالقاهرة .

تناول اللقاء بحث سبل دعم التعاون بين الأزهر الشريف ووزارة الشئون الإسلامية بدولــة جيبوتى ، كما تم بحث مشروع إقامة معهد أزهرى بالعاصمة جيبوتى يشرف عليه الأزهر الشريف ، وقد أصدر فضيلة الإمام الأكبر توجيهات بسرعة اتخاذ الاجراءات اللازمة لإنجاز هذا المشروع الهام الذى ينتظره أبناء المسلمين فى جيبوتى ، حيث يمهد هذا المشروع لهم الطريق للالتحاق المباشر بجامعة الأزهر الشريف .

كذلك تم خلال اللقاء بحث تخصيص بعض المنح للدراسة بالكليات العملية مثل : الطب والهندسة والصيدلة والزراعة والعلوم وغيرها ، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة الموضوع والعمل على تلبية احتياجات دولة جيبوتى فى هذا المجال فى أقرب فرصة ممكنة .

وفى نهاية اللقاء أعرب الضيف عن شكره وامتنانه للمجهودات التى يقوم بها الأزهر الشريف فى خدمة قضايا الدعوة الإسلامية .

الأنماط الحديثة للرعاية الطبية تحت رعاية الإمام الأكبر

عقد بجامعة الأزهر المؤتمر السابع لكلية الطب تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر تحت عنوان (الأنماط الحديثة للرعاية الطبية) .

وقد شهد فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الجلسة الافتتاحية للمؤتمر نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر ، كما شهدها الأستاذ الدكتور على عبدالفتاح وزير الصحة ، والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ، والدكتور زكريا الشيخة عميد كلية الطب ، والدكتور حمدى السيد نقيب الأطباء .

وقد ألقى فضيلة وكيل الأزهر الشريف كلمة أمام الجلسة الافتتاحية أشار فيها إلى : أن قضية نقل الأعضاء البشرية وزرعها مازالت تحت الدراسة بمجمع البحوث الإسلامية لبيان موقف الشريعة منها ، مؤكدا على أن الآراء التى سوف ينتهى إليها مجمع البحوث ستحال إلى كليات الطب بالجامعات للاسترشاد بها فى هذا المجال .

هذا وقد أوصى المؤتمر فى ختام أعماله بالاهتمام بتوفير المياه الصالحة للشرب ، واتخاذ إجراءات عاجلة وصارمة لحماية مياه النيل من التلوث بكافة أشكاله ، ومحاولة التقليل من تلوث الهواء .

تعيينات جديدة بجامعة الأزهر

أصدر الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء والوزير المختص بشئون الأزهر القرارات الآتية بتعيين الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق نائبا لرئيس جامعة الأزهر الشريف لفرع البنات ، وتعيين الأستاذ الدكتور محمد حسين عويضة نائبا لرئيس جامعة الأزهر الشريف للدراسات العليا والبحوث . كذلك قرر سيادته تعيين الأستاذ الدكتور يحيى الدين أحمد الصاق عميدا لكلية أصول الدين بالقاهرة والأستاذ الدكتور محمد أحمد العرب عميدا لكلية اللغة العربية بالمنصورة والأستاذ الدكتور محمد أبوالنور صقر عميدا لكلية الدراسات الإسلامية العربية بنات المنصورة . والأستاذ الدكتور محمد سعيد محمد عميدا لأصول الدين بالزقازيق .

جاءت هذه القرارات بناء على ترشيحات فضيلة الأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر .

فرع جديد بصعيد مصر

وافق الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر على بدء إنشاء أول فرع للجامعة ببنى سويف على الأرض المخصصة للجامعة منذ عام ١٩٨٢ بمدينة بنى سويف الجديدة ومساحة قدرها خمسمائة فدان .

جاء ذلك خلال استقبال فضيلة رئيس الجامعة لوفد المجالس المحلية بمحافظة بنى سويف حيث أبلغهم فضيلته بقرارات لجنة إعداد استراتيجية التنمية بالجامعة والتى تتضمن إنشاء ثلاث كليات ببنى سويف هى : الدراسات الإسلامية والعربية للبنات والتربية (بنين) وأصول الدين والدعوة .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدي عبد الحميد بشير

فلسطين

انسحبت القوات الإسرائيلية من مقر الاحتلال التابع لها فى مدينة جنين بالضفة الغربية فى الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم الإثنين الموافق ٢٠ من جمادى الآخرة ، وذلك تحت جنح الظلام تجنبا لما يمكن أن يحدث من المتاعب ، مثلما حدث عندما انسحبت من قطاع غزة .

وعلى الرغم من ذلك تجمعت حشود الفلسطينيين هناك احتفالا بهذا الحدث التاريخى الذى طال انتظاره ، كما وصل عدد من رجال الشرطة الفلسطينية لتسلم مقاليد الأمور فى الأراضى المحررة .

جدير بالذكر أن إسرائيل انسحبت مرحليا من ست مدن وآلاف القرى الأخرى وذلك بحلول نهاية هذا العام تمهيدا لانتخابات شهر رمضان المقبل وتنفيذا للاتفاق الموقع بواشنطن فى ٢٨ سبتمبر الماضى .

هذا وقد أنزل العلم الإسرائيلى إعلانا بانتهاء ثمان وعشرين سنة من الاحتلال البغيض ، كذلك انتهت اليوم اجتماعات اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بإصدار بيان يطالب إسرائيل بتنفيذ التزاماتها بعملية السلام فى الشرق الأوسط .

وقال مصدر فلسطينى مطلع : إنه يعتقد أن المنظمة وحركة المقاومة الإسلامية (حماس) على وشك الاتفاق .

ويأتى انسحاب إسرائيل الذى قوبل بالفرحة والابتهاج بعد استشهاد رئيس منظمة الجهاد الإسلامى فى مالطة على يد الموساد الإسرائيلى وكذا اغتيال رئيس وزراء إسرائيل الراحل على يد إسرائيلى فى يوم السبت الرابع من نوفمبر الذى يطلق عليه البعض (يوم عيد الحب) بينما يعتبره آخرون يوما لمقارعة الاستكبار العالمى .

وهذا وقد أطلع السيد رئيس منظمة التحرير الرئيس مبارك على الموقف الفلسطينى من مختلف القضايا وفى مقدمتها الانتخابات الفلسطينية فى مطلع شهر رمضان المعظم ، وكذا قرار الكونجرس الأمريكى بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس .

أفغانستان

أرغمت القوات الموالية للرئيس الأفغانى قوات حركة الطالبان على التراجع لمسافة ١٠ كم غرب العاصمة « كابول » وقال متحدث باسم وزارة الدفاع هناك أن قوات الحكومة حققت تقدما باتجاه مدينة « ميدان ــ شهر » الواقعة جنوب غرب كابول بعد أن شنت هجوما استولت فيه على ٢٠ قرية وطالبت إيران بوضع حد فورى لهذه المعارك ، وأعرب المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيرانية عن قلق بلاده العميق حيال مقتل الكثير من المدنيين الأبرياء، وأضاف : أن الاقتتال لن يساهم فى حل المشاكل الداخلية ، فضلا عن أنه يحرم المتقاتلين من جنى ثمار الكفاح الذى استمر ما يربو على عقد من الزمان ضد الغزاة الشيوعيين .

دكا

نشرت الصحف فى بنجلاديش إعلانات من المغتربين يطالبون فيها بوضع حد للأزمة السياسية فى ذلك البلد الإسلامى . كما دعوا جميع الأحزاب السياسية إلى رفض العنف وبدء المفاوضات . وجاءت تلك الإعلانات فى وقت واصلت فيه أحزاب المعارضة حملتها لإجراء الانتخابات العامة تحت إشراف حكومة انتقالية محايدة . وزعم مراسل لندن فى العاصمة دكا أنه لا توجد أى فرص حقيقية لدخول الحكومة والمعارضة فى محادثات جادة وهو زعم الأيام كفيلة بدحضه .

المنامة

أكد وزراء داخلية دول مجلس التعاون الخليجى الست فى بيانهم الختامى بعد انتهاء اجتماعهم الرابع عشر بالمنامة عاصمة البحرين عزمهم على التصدى للأفكار الهدامة وذلك بتضافر مختلف الأجهزة الأمنية فى محاربة جرائم العنف والإرهاب والتطرف وانتشار المخدرات حيث إنها فى اضطراد بدأ يأخذ طابع الجريمة المنظمة . هذا وكان وزراء داخلية مجلس التعاون الخليجى الست قد اختتموا أعمال مؤتمرهم يوم الأحد ١٩ من جمادى الآخرة وذلك فى إطار التحضير لقمة قادة المجلس المقرر عقدها فى مسقط عاصمة عمان أوائل ديسمبر القادم .

باكو

انتهت مساء الأحد ١٩ من جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ أول انتخابات نيابية لاقرار دستور جديد فى أذربيجان وأعلنت اللجنة المكونة للانتخابات أن نسبة المشاركة بلغت ٥٤,٠٦ من الناخبين البالغ عددهم أكثر من ٤ مليون ناخب . وفور إعلان النتائج الأولية للانتخابات التى شهدها حوالى ٢٠٠ من المراقبين الدوليين وتنافس فيها ٦٠٠ مرشح لشغل ١٢٥ مقعد يمثلون ٨ أحزاب حيث حرم من الانتخابات أحزاب أخرى أهمها الحزب الشيوعى . وتوقع الرئيس حيدر علييف أن يحل النزاع مع أرمينا المجاورة حول مسألة ناجور نو ــ قرابغ قريبا .

الريـــاض

أجرى الرئيس حسنى مبارك اتصالا هاتفيا بالعاهل السعودى وذلك للاطمئنان عقب حادث الانفجار الذى وقع ظهر الاثنين العشرين من جمادى الآخرة بالعاصمة السعودية حيث عبر سيادته عن أسفه لإصابة الأبرياء وبينهم عدد من أفراد البعثة الأمريكية وهو ما يتناف مع القيم الإنسانية ومبادىء الأخلاق الكريمة، وقد أعلن : أن القتلى سبعة أفراد منهم ٥ امريكيين، وفلبينى واحد، وسعودى، كما أصيب ٦٠ بإصابات معظمها بسيطة، وأوضح بيان سعودى أنه فى حوالى الساعة ١١,٣٠ صباح الاثنين وقع الانفجار فى أرض لموقف السيارات إلى جانبها بعض العمائر السكنية بشارع الثلاثين بمنطقة العالية بالرياض، وأعلنت منظمة مجهولة تدعى نمور الخليج : مسئوليتها عن الانفجار، وذلك فى مكالمة هاتفية لمكتب وكالة الأنباء الفرنسية بنقوسيا بقبرص .

وأكد أن الانفجارات ستستمر حتى رحيل آخر جندى أمريكى عن الأراضى السعودية .

القاهــــرة

عقد الرئيس حسنى مبارك والرئيس الرومانى الزائر محادثات هامة بالقاهرة ظهر الاثنين .

وصرح وزير الخارجية عمرو موسى، بأن المحادثات المصرية الرومانية تناولت تطورات عملية السلام فى الشرق الأوسط والأوضاع فى البلقان ودعم العلاقات الثنائية وأضاف سيادته أن حجم التبادل التجارى والاستثمار بين البلدين سيصل هذا العام إلى أكثر من نصف مليار دولار ويتوقع أن تصل إلى مليار دولار .

هذا وقد وقعت ثلاث اتفاقيات بين مصر ورومانيا فى مجالات الصحة والعمل والشئون الخارجية .

باريـــس

قام الرئيس حسنى مبارك بزيارة لفرنسا استمرت يومين حيث استقبله الرئيس الفرنسى على غداء عمل أقيم على شرفه تم فيه مناقشة المسائل ذات الاهتمام المشترك .

وصرح سفير مصر فى باريس أن الرئيس مبارك استجاب لدعوة مدير عام « اليونيسكو » حيث يلقى سيادته كلمة فى احتفال المنظمة بالعيد الفضى لقيامها وذلك إظهارا لدعم رسالة إحدى المنظمات العامة التابعة لهيئة الأمم المتحدة واهتماما بالدور الحيوى للعلم والثقافة فى حياة الإنسان بشكل عام وفى برامج التنمية المصرية بشكل خاص وكذلك تعبيرا عن مجهودات خلاقة بذلتها المنظمة العربية لانقاذ وترميم التراث المصرى الثمين .



par incapacité ni pour trahison". Othman accéda au pouvoir et Sa'ad demeura le soldat fidèle dans l'armée musulmane. Puis commencèrent les dissidences entre Ali et Mu'awiya, Sa'ad se retira et ordonna même à ses parents et à son fils de ne lui raconter aucun détail à ce sujet. Quelques uns des compagnons craignant pour la notoriété de l'état vinrent chez Sa'ad avec son neveu Hicham Ibn Otba Ibn Abou Waqad et Abdallah Ibn Omar, ils lui dirent: Ô Oncle! Voilà cent mille épées qui te considèrent comme le plus digne de cela. Sors pour que les gens te prêtent le serment d'allégeance. Sa'ad répondit: "Je voudrais une épée qui: si elle touche le croyant, elle refuse de le tuer et si elle touche l'incroyant elle le tue". Les compagnons se retirèrent et respectèrent sa retraite. Les jours passèrent et Sa'ad dépassa ses quatre vingts ans, les émigrés moururent l'un après l'autre et Sa'ad était le seul survivant: Quand vint l'heure du départ, son fils tenait la tête de son père dans son giron et le pleurait. Sa'ad lui dit: "Qu'est ce qui te fait pleurer Ô mon fils? Allah ne me punira pas car je suis l'un des élus du paradis. Le Messager d'Allah (b.s.) me l'a annoncé... Ô fils! ouvre cette armoire, tu y trouveras un vêtement de laine, c'est mon linceul. J'ai combattu les polythéistes en le portant le jour de Badr et je l'ai gardé pour ce jour".

Son âme partit vers son Seigneur, son testament fut exécuté et il fut enseveli dans son vêtement en laine. Les gens le portèrent sur leurs épaules à la mosquée. Marawane Ibn Al Hakam ainsi que les épouses du Prophète (b.s.) firent la prière sur lui. Il fut enterré au cimetière d'Al Baki aux côtés des compagnons purs et admirables, ceux qui l'avaient précédé vers le jour du contentement et le paradis.

Adieu Sa'ad, Adieu héros de Nahawand, conquérant d'Al-Madaïne, celui qui a éteint pour toujours le feu adoré par les polythéistes et de la Perse.

Omar confia le gouvernement de l'Irak à Sa'ad, celui-là instaura l'Islam dans le large pays, protégea les maisons des Musulmans et les frontrières après l'aggrandissement de l'état.

Mais voilà que le feu de l'envie s'alluma dans les coeurs de quelques uns des nouveaux convertis si bien qu'ils envoyèrent leurs plaintes au prince des croyants à Médine en prétendant que Sa'ad ne faisait pas la prière comme il se doit: Omar convoqua Sa'ad à Médine et le questionna, celui-ci lui répondit! Je fais la prière comme le Messager d'Allah (b.s.) la faisait... J'allonge les deux premières Raka'as et je raccourcis les deux dernières". Omar lui dit: "C'est ce que nous pensons de toi, Ô père d'Isaak". Sa'ad retourna à Koufa et Omar envoya des hommes après lui pour s'enquérir de la conduite de Sa'ad. Tous les gens lui rendirent hommages à l'exception d'un homme nommé "Abou-Sa'ada". Celui-ci l'accusa d'avoir prononcé un jugement inéquitable, d'avoir fait un partage irrégulier et de suivre un comportement incorrect: Omar démit Sa'ad. C'est alors que Sa'ad invoqua Allah contre cet homme en disant: "Seigneur! si cet homme a parlé pour se vanter, fais qu'il en soit déshonoré, prolonge sa vie et sa pauvreté et expose le aux tentations". Ses invocations furent exaucées: la vie de l'homme fut longue, si bien que ses sourcils tombèrent sur ses yeux; il s'appauvrit et les gens le virent faire la cour aux esclaves à travers les rues à Koufa. Lorsqu'on le blâmait, il disait: "Un vieillard séduit, frappé par les invocations de Sa'ad".[1]

Après un moment, "Omar voulut que Sa'ad retournât à Koufa. Sa'ad refusa et lui dit: "Tu m'ordonnes de retourner chez un peuple qui prétend que je ne fais pas la prière à la perfection?".

Les jours s'écoulèrent, puis quand Omar le prince des croyants fut poignardé, sur son lit de mort, il désigna six parmi les compagnons du Messager d'Allah (b.s.) pour lui succéder au califat. Ces six sont: Othman, Aly, Talha, Az-Zoubaïr, Abd Ar Rahman Ibn Awf et Sa'ad Ibn Abou Waqas. Il dit à leur sujet: "Le Messager d'Allah (b.s.) est mort satisfait d'eux. Si Sa'ad la détient il en est digne, si un autre la détient qu'il demande à Sa'ad de le seconder... Par Allah! Je ne l'ai pas destiné

1. Hadith cité à la fois par Al Bokhary et Muslim.

Sa'ad Ibn Abou Waqas

par Hoda Hussein Chaâraoui

— 2 — (Suite)

Tous les assistants approuvèrent ce choix. Le prince des croyants lui confia le drapeau et Sa'ad Ibn Abou Waqas sortit pour combattre les Perses. Avant la bataille, le prince des croyants lui envoya une lettre lui disant :

"Ô Sa'ad, ne te leurres pas par le fait qu'on dit de toi que tu es l'oncle (maternel) du Messager d'Allah (b.s.) car nul ne s'apparente à Allah que par son obéissance. Tous les gens, qu'ils soient riches ou pauvres, sont égaux devant Lui... Ils ne se distinguent que par Son pardon et ne recevront Sa grâce qu'à cause de leur obéissance... Ô Sa'ad observe comment le Messager d'Allah (b.s.) s'est comporté depuis qu'il nous fut envoyé et jusqu'à sa mort... Suis son exemple car c'est un ordre... Ô Sa'ad écris-moi pour me faire part de votre état... Où vous campez? où se trouve l'emplacement de votre ennemi par rapport à vous? Que je sois informé par tes lettres autant que si je vous regardais et que si j'étais parmi vous".

Sa'ad exécuta tous les ordres de Omar, lui écrivit chaque jour, lui expliqua tous les détails en demandant son conseil. Les deux armées se confrontèrent. Sa'ad avança à la tête de l'armée sur son cheval, l'épée à la main, en s'écriant: "Avancez vers le Paradis". Il répéta "Allah est le plus grand' 4 fois et mena l'armée musulmane de victoire en victoire dans les batailles du "Jisr" et Nahwand". Il poursuivit les bataillons vaincus, franchit le fleuve du Tigre en disant: "Allah nous suffit: Il est notre meilleur Protecteur! Sa'ad pénétra à Madaïne la capitale de la Perse, s'empara du palais de Cosroès, prit sa couronne, ses bracelets, ses trésors et les envoya à Omar à Médine, car l'état perse fut complètement détruit.

[Il y a sur la terre des lopins voisins, des jardins plantés de vignes, des champs de cultures, des palmiers aux souches communes ou bien dispersées. Ils sont tous arrosés avec la même eau; pourtant nous trouvons les uns plus savoureux que les autres]

Sour. "Al Ra'd" (Le Tonnerre) le sens du verset 4.

Le Corant mentionne egalement cette découverte scientifique moderne: le sol des terres élevées est généralement plus fertile que celui des terres basses :

[Semblable a un jardin sur une colline sur lequel tombe une forte pluie; alors il donne une double quantité de fruits].

Sour. "Al Baqara" (La Vache) le sens du verset 265.

(à suivre)



[De même, les deux ondes ne sont pas égales, celle-ci d'eau fraîche, douce, au boire agréable, et celle - là salée, amère; cependant, de chacune vous mangez une chair fraîche et extrayez des parures que vous portez]

Sour. "Fater" le sens du verset 12.

[Il a fait confluer les deux mers pour qu'elles se rencontrent; mais entre elles il y a une barrière qu'elles ne peuvent dépasser :
Quel est donc celui des bienfaits de votre séigneur que, tous deux, vous nierez ?
Les perles et le corail proviennent de ces deux mers].

Sour. "Al Rahmân" (Le Miséricordieux) le sens du verset 19 à 22.

13. L'agriculture

Lors de l'irrigation des terres agricoles, l'eau s'infiltre dans le sol qui se dilate, enfle, se fissure, et ce mouvement fait vibrer le sous-sol qui bouge avec le mouvement des racines des plantes et des vers de terre qui contribuent à ouvrir les pores de la terre: Tous ces phénomènes -ignorés par les anciens- ne sont pas visibles à l'oeil nu, car ils ont lieu à une échelle infiniment petite; mais il ont pu être déterminés grâce à une observation minutieuse et à des études mises au point par la science moderne. Or, le Coran les décrit en détails :

[Tu vois la terre inerte et sans vie; mais dès que Nous y faisons descendre de l'eau, voilà qu'elle remue, qu'elle gonfle et fait germer des couples de toutes espèces de plantes d'une beauté éclatante]

Sour. "Al Hadj" (Le Pèlerinage) le sens du verset 5.

Les terres agricoles diffèrent totalement d'un lieu à l'autre, par leurs composantes plysiques, par leurs constituants chimiques et biologiques, par leur productivité et par la qualité des récoltes qu'elles donnent, comme le fait constater le verset suivant :

12. Les sources d'eau

Les anciens ignoraient que les fleuves prennent leur source dans les hautes montagnes. Lorsque les nuages se heurtent à leur sommets froids, ils laissent tomber leur charge sous la forme de pluie ou de neige qui fond graduellement.

Alors l'eau coule - par la volonté d'Allah - dans le lit du torrent, jusqu'au lieu fixé par Lui.

Le Coran a en fait souligné le lien qui existe entre les hautes montagnes et les sources des fleuves.

{N'y avons-Nous pas placé des montagnes élevées? Ne vous-Nous pas donné à boire une eau douce?}

Sour. "Al Morsalat" le sens du verset 27.

D'autre part, les hommes n'ont découvert que récemment que les eaux des puits et des sources jallissant des nappes d'eau souterraines, proviennent également des pluies tombées du ciel et qui s'infiltrent dans les couches souterraines du sol, pour se rassembler et former ces nappes. Le Corant a signalé cela avec une clarté miraculeuse dans le verset suivant :

{Ne vois-tu pas qu'Allah a fait descendre du ciel une eau qu'Il achemine dans la terre vers des sources jaillissantes}

Sour. "Al Zumur" le sens du verset 21.

Dès sa création, l'être humain a connu les fleuves et les eaux souterraines comme sources d'eau douce pour se désaltérer, abreuver les animaux et arroser des plantes.

Il a connu également la mer et les océans comme étant des sources lui fournissant les poissons et les pierres précieuses. Ce n'est que récemment qu'il a découvert que les fleuves d'eau douce contiennent également des pierres précieuses telles que les perles, (dans les Iles Britanniques, la Tchécoslovaquie, et le Japon), ainsi que diverses autres pierres précieuses, telles que les diamants, les rubis, le Zircon, qui se trouvent dans les fleuves et dans divers dépôts fluviaux.

Ainsi s'est réalisé ce qui a été expliqué par le saint Coran :

[Ne vois-tu pas qu'Allah pousse les nuages, puis qu'Il les rattache intimement les unes aux autres]

Sour. "Al Nûr" le sens du verset 43.

Cette accouplement mène à la formation de lourds nuages, prêts à faire tomber la pluie, accompagnée d'une forte décharge électrique, prenant la forme d'orage et d'éclairs.

[C'est Lui qui vous fait voir dans l'éclair la crainte et l'espoir, et qui forme les lourds nuages; et le tonnerre célèbre Ses louanges]

Sour. "Al Ra'd' le sens du verset 12-13.

Les nuages, dans leur extension, prennent deux formes: les uns s'étendent horizontalement (les nuages étendus), et les autres s'étendent verticalement dans le ciel, comme des montagnes (les nuages amoncelés), que le voyageur par avion, à l'époque actuelle, peut voir nettement.

L'expression coranique suivante souligne la différence entre ces deux sortes de nuages, par l'usage du verbe "étendre" pour désigner la première forme,

[Allah est Celui qui envoie les vents qui soulèvent des nuages. Il les étend ensuite dans le ciel]

Sour. "Al Rûm" (Les Romains) le sens du verset 48.

Et les expressions "amoncellement" et "montagnes' pour désigner la seconde forme :

[Ne vois tu pas qu'Allah pousse les nuages puis qu'Il les rattache intimement les uns aux autres, et les amoncelle? Tu vois alors l'ondée sortir de leur profondeur. En Allah fait descendre de la grêle des montagnes qui se trouvent dans le ciel]

Sour. "Al Nûr" (La Lumière) le sens du verset 43.

Ce sont uniquement les nuages amoncelés qui sont susceptibles de faire tomber la grêle, comme le confirme le second verset qui nous signale également que la pluie (l'ondée) tombe du sein des nuages et non de leur surface inférieure comme pourrait le penser la majorité des gens.

Les Preuves Scientifiques de l'Islam

Extrait de l'ouvrage
Traduit par

Dr. Rokeya Gabr

(Suite)

11. La pluie

La vapeur d'eau s'accumule dans l'atmosphère, tout en se condensant autour de noyaux chargés d'électricité, sous l'effet de vents qui activent ces noyaux - par des particules de poussières provenant de la surface de la terre, de buées provenant de la mer, ou de gaz cosmiques ionisés sous l'effet des rayons solaires - formant ainsi des nuages.

Le Coran dit à ce sujet :

[Allah est Celui qui envoie les vents qui soulèvent des nuages]

Sour. "Al Rūm" (Les Romains) le sens du verset 48.

[Allah est Celui qui envoie les vents, lesquels, ensuite, soulèvent des nuages]

Sour. "Fater", le sens du verset 9.

Il semble ici que les vents "fécondent" les nuages grâce à ces noyaux, comme on le trouve mentionné dans le verset coranique suivant :

[Nous envoyons les vents comme fécondateurs, puis Nous faisons descendre du ciel une eau]

Sour. "Al Hijr" le sens du verset 22.

Les vents poussent ensuite les nuages dans le ciel jusqu'à ce que leurs charges négatives et leurs charges positives s'attirent, c'est-à-dire s'accouplent.

REVUE AL-AZHAR

Vol 68 Part VII

Ragab 1416 Higrah — November — December 1995

Section Française

Consider the following examples; Sura 90, Verses 1-2 :

According to the opinion of many exegetes such as Al-Sabuni (1976 : 561) and Al-Muntakhab (1986-908). the /wäw/ which links both verses in the above example, is that of status. However, as we shall see in Khatib's version, as well as in other versions, the /wäw/ is rendered as 'and' as if it were simply a coordinator. Their versions are rendered as follows :

Khatib (808):

"It needs not to swear by this city, and by your lodging in this city."

Y. Ali (1650) :

"1. I do call to witness This city-"

Pickthall (807) :

"1. Nay, I swear by this city -

2. And thou art an indweller of this city -"

Arberry (645) :

"No, I swear by this land, and thou art a lodger in this land;"

Sura 92, Verses, 1-3 :

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾

Sura 93, Verses 1-2 :

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾

B- The /wāw/ used for inception :

The inceptive /wāw/ in Arabic is often used to introduce a sentence or a new thought. An example of such /wāw/ can be illustrated in :

Sura 98, Verse 5 :

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

According to Ibn Khalaweih (1989:164) the /wāw/ in the above example is an inceptive particle which introduces the following sentence : ðālik-a dīn-u-l-qayyim-ah/. The /wāw/ in such case has no equivalent in English. This is because the sentence in English, unlike that in Arabic, seldom starts with 'and'. This fact is being understood by the translators in question who dismiss 'and' in their version, unlike Y. Ali who seems to be careful not to dismiss any particle, even if it is not necessary;

Y.Ali (1679) :

"And that is the Religion Right and Straight.'

Other successful versions are represented as follows :

Arberry (653) :

"- that is the religion of the True."

Khatib (816) :

"That is the upright religion.

Pickthall (815) :

"That is true religion."

C. The /wāw/ used for status :

Khatib (806) :

"By the day break, by the ten nights, by the even and the odd, by the night when it pursuses its course."

Arberry (643) :

"By the dawn and ten nights, by the even and the odd, by the night when it journeys on!"

Y. Ali (1644) :

1. By the Break of Day;
2. By the Nights twice five;
3. By the Even And Odd (contrasted);
4. And by the Night When it passeth away -

Nevertheless, perhaps one of the mismatches made by Arberry and Khatib is that they dropped out 'and' completely in their versions which is supposed to link the conjoined oaths together. It should have been mentioned only once before the last oath, as Y. Ali does in his version;

"And by the Night When passeth away."

We may thus realize that these different functional approaches adopted by translators (except for Y. Ali's version) consequently affect the lexical features of the translated versions, and these, in turn, will have a bad effect on the semantic evaluation of the TL text when compared to the SL text.

Similar mismatches apply to the translation of the first seven verses of Sura 91 :

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا
﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾

Al-Muntakhab (1986:910) explains that this Sura starts by giving different oaths : by the sun, the moon, the day, the night, the heaven, the earth and by the human soul.

Further similar attitudes and mismatches relating to the /wāw/ of oath and that of coordination, apply to the translations of :

addition, and that which has other semantic implications. The /wäw/ used for oath, for instance, is often misinterpreted as 'and', and would, therefore, lead to many mismatches on the semantic level, as will be discussed in the following section.

A. The /wäw/ used for oath :

Translators are often confused between the /wäw/ used for oath, and that of coordination, as the following examples illustrate :

Sura 89, Verses 1-4 :

وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ

The Sura starts by giving four contrasting oaths to reveal Allah's Power and Justice. This is clear in Al-Muntakhab's exegesis (1986-905) in which he asserts the fact that the first /wäw/ used is that of oath, while the following successive /wäw/s, according to Al-Ansari (n.d. : Vol. 3, 35), are to be considered coordinators which link the oaths together.

The /wäw/ used for oath is usually rendered as 'by' in English. However, by comparing the four translations in question we will find that they have different attitudes regarding the /wäw/ mentioned at the beginning of each of the above verses. Pickthall, for instance, renders the /wäw/ of oath only once in the first verse, whereas in the other three verses, he uses the coordinator 'and'.

Pickthall (805) :

1. By the Dawn
2. And ten nights,
3. And the Even and the Odd,
4. And the night when it departeth.

Perhaps Pickthall, by his attitude, wants to avoid repetition of the particle 'by'. However, it is believed that the coordinator 'and' used by Pickthall in the last three verses, should have been followed by the /wäw/ of oath, rendered as 'by', or else dropped out, as we see in Khatib's, Arberry's and Y. Ali's rendering of the same verses :

Difficulties in Translating coordination in Qur'anic verses

Part VII

By Dr. Maha Y. El Tagouri

Semantic Evaluation of Translating Coordinators :

The semantic evaluation of translation is mainly represented in functional and communicative mismatches. These constitute aspects such as wrong selection of coordinators or substitution of one coordinator for another. In the following sections an application of these aspects to each of the four coordinators is presented.

Wrong Selection of Coordinators :

This section mainly deals with the connotative and denotative meaning of coordinators in 'Amma' Part. "Connotation" and "Denotation" are two opposite terms explained by Crystal (1980:82) as parts of the classification of types of meaning. 'Coonotation' is mainly concerned with "the emotional associations (personal or communal) which are suggested by, or are part of the meaning of a Linguistic Unit, especially a LEXICAL ITEM." 'Denotation', by contrast, "covers the relationship between a linguistic unit and the non-linguistic entities to which it refers. "Both terms are distinguished in the two following sections where wrong selection of coordinators exists, and which perhaps constitutes one of the commonest semantic mismatches that lies in the path of translators. This can be clearly illustrated when dealing with the particle /wāw/ which bears several semantic implications, whether as a coordinator or a non-coordinator.

Wrong Selection of Coordinators with the /wāw/ :

Due to the various semantic implications of the /wāw/, it should not always be rendered as 'and', that which implies addition and combination. However, translators may often confuse between the /wāw/ of

fact, became tenants of the Muslims, because when they asked the prophet (PBUH), after their defeat, to allow them to stay on thir land provided that they would plant it and grow their crops upon it in the interests of the Muslims, the prophet accepted their plea and agreed to their request. But, in the meantime, the prophet (PBUH) stressed an important fact, namely that the Muslims would always have the right to expel them from their lands if ever they had reason to do so.

The Jews hatred to the prophet (PBUH) and their hostility to his religion became clearer after the fall of Khaibar and they could not any more hide this vicions hatred, thus they tried to murder him. During his stay in Khaibar, one of the Jewish women prepared for the prophet (PBUH) a dish of poisoned meat. When the prophet tasted a morsel without swallowing it, he spat it out and warned his comrades that it was poisoned. One Muslim, named Bisha Ibn Albora'a, who had already swallowed a mouthful, died immediately. The prophet (PBUH) himself, from the mere taste of it, derived the illness which eventually caused his death, because, he was, apparently, never entirely able to rid his body of the effects of the poison. As for the woman who had cooked the poisoned meat to avenge the humiliation of her people, the prophet (PBUH) forgave her.

As a matter of fact, the same year that witnessed the fall of the treacherous Jews of Khaibar, had witnessed the fulfillment of the prophet's (PBUH) vision, viz visiting the Holy Place at Mecca unopposed. In accordance with the terms of the truce stipulated in the Hudaybiyya treaty, the idolaters evacuated the city and from the surrounding hieghts they watched the religious rituals performad by the Muslims. At the end of the stipulated three days the chiefs of Qureish sent to remind the prophet that the time was up. He then withdrew and the idolaters reoccupied the city.

After the fall of Khaibar and after visiting Mecca for (Al Umra) the lesser pilgrimage, the Muslims were strongly assured that Allah had never and would never forsake them and they would be always victarious because it is Allah's will for as He says :

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ

"Allah did indeed fulfil this promise to you..."

Sura : Ä 'li Imran, 152) (Yousuf Ali, P. 166)

into three separate strongholds; one named 'Alnotat', one 'Alkatiba' and one 'Alshiba'. Each stronghold was sub-divided in turn into three other strongholds. Thus, the prophet (PBUH) came to the conclusion that the Muslim attack should be made against the first group of strongholds which was called 'Alnotat'. Therefore, he ordered his followers to camp to the east of this group of strongholds at a distance which would be out of danger from the reach of the arrows of the Jewish bowmen. After that the prophet (PBUH) ordered his men to cut down their palm trees. Shortly after cutting down almost 400 palm trees, the Muslims launched their initial assault against the Jews who were guarding the strongpoint. For several days, the Muslims kept launching a number of swiftly attacking raids to keep the Jews alarmed. Capturing one of the Jews who was trying to make his way out of the stronghold, the prophet (PBUH) was informed by him that the Jews inside the stronghold were almost at the point of exhaustion. This Jewish captive was of a great help to the prophet (PBUH) for he showed his readiness and willingness to help him in penetrating into this stronghold and also to lead him to the place where the Muslim army could find a mangonel in addition to many shields and swords which would be beneficial to the army in the destruction of the remaining strongholds.

When the Muslims had finally completed their preparations, they launched their massive attack against the strongpoint of the fort and succeeded in storming it. However, the Jews who were defending the stronghold rapidly retreated to the next stronghold. But the Muslims followed them to where they had gone, and, once again, succeeded in storming the strongpoint. In short, the strongholds of Khaibar were reduced one after the other until the Muslim army achieved its ultimate victory. When the Jews had seen the continuous success of the Muslims in storming their strong forts one by one, they felt frustrated and they promptly agreed to surrender, provided that the Muslims would not kill them & would allow them to leave Khaibar. The Muslims agreed to let them go with no harm on one condition that each one of them would not be allowed to carry more than the clothes he wore on his back. It is noteworthy to mention here that the Jews of Khaibar, since the fall and the defeat of their city, became the tenants of the Muslims until the expulsion of the Jews from Arabia in the Caliphate of Omar. The Jews, in

the decision to besiege Khaibar. Therefore, he prepared his campaign and led his followers to a place which was midway between Ghatafan and Khaibar, with the objective of preventing and hindeing Ghatafan from sending support to the Jews of Khaibar. Meanwhile, the prophet (PBUH) was sure that Qureish would not hasten to help the Jews because they had been prevented by their obligation under the Hudaybiyya peace treaty from supporting the Jews against Muslims as well as from taking any part in such a conflict. The Ghatafan, who thought that the prophet (PBUH) was on his way to attack Khaibar, moved swiftly forward towards Khaibar to support their allies. But, to their astonishment, they found that the prophet (PBUH) had sent a mounted force of his men to move swiftly, and attack the tribe of Ghatafan, by surprise, in their own territory. As soon as the warriors of Ghatafan, who were advancing towards Khaibar, knew of the Muslim attack against their own territory, they immediately withdrew to defend their own people. But, then, directly after it was known that the Ghatafans had withdrawn, the prophet (PBUH), at the head of his main army, moved in strength, towards Khaibar, in order to attack it.

It was the normal practice of the prophet, during his military campaigns, to wait for the sun to rise before giving his orders to launch an attack against his enemies. The reason for this, was that if the prophet could hear the call to prayer, he would unimediately refrain from launching his attack because any call to prayer meant that there were Muslims living within the city, otherwise he would give his orders to commence the battle. In the case of Khaibar, the prophet (PBUH) heard no call for prayer so he knew that there were no Muslims living within the city, but only the treacherous Jews whose sole aim was the destruction of the prophet of Allah together with his new religion.

On reaching Khaibar, the Islamic forces completely surrounded the city within 24 hours and it was entirely besieged from all sides. The siege of the Muslim army made the Jews of Khaibar feel great panic and they confined to their strongholds and forts and never dared to come outside the city.

In order to understand the prophet's (PBUH) military craft it is necessary to know that attacking Khaibar was not an easy mission because of its strong defenses. Khaibar's main defenses were divided

north Arabia, and as time had passed it became a hornets nest of the prophet's (PBUH) enemies.

Concerning Khaibar, it was a big Jewish colony which was some 100 miles distant and to the south-west of Medina. The Jews of this colony had been carefully and quietly supporting the other Jews in their military confrontation against the prophet (PBUH), without being, in any way, involved in these conflicts. However, when the prophet (PBUH) had been able to drive out the treacherous Jews of Bani Qaynuqa'a, An-Nadeer and Quraiza, the Jews of Khaibar became extremely alarmed. They had been fearing the possibility of a direct confrontation which could be prepared by the Muslims against them.

It was the Jews of Khaibar who provoked the prophet (PBUH) to lead a campaign against them in the seventh year of the Hijrah. The real reason for this was that the following year after the Hudaybiyya peace treaty, when the prophet (PBUH) had set out for Mecca to perform his religious ceremonies (A Umra) the Jews of Khaibar quickly took advantage of the opportunity of his absence and made a decision to launch a surprise attack on Medina to seize the prophets family and his companion's families. Moreover, the Jews of Khaibar had, during this time, established an alliance with the tribe of Ghatafan and gained their support against the Muslims.

In the meantime, the Prophet (PBUH) was already convinced that Khaibar was the last remaining strong fort of the treacherous Jews which should be completely destroyed to safeguard Islam. In addition, he was quite aware that any confrontation with Khaibar would not be of the same straightforward nature as those which had been launched against their akin Jews of Bani Qaynuqa'a An-Nadeer and Quraiza. The Prophet (PBUH), because of his deep military insight, was fully convinced that such a task was not an easy one. The main reeson that made such a task a heavy burden was the great distance which separated Khaibar from Medina, and the greatly strengthened defenses and effective weapons which had been installed to defend it. The Muslims were certain that it was very difficult for them to attack and overrun the city.

Though the prevailing conditions were discouraging and though the defeat of Khaibar was a sort of impossibility, yet the Prophet came to

the Arab lands and began to build strong defenses around their villages. Moreover, the Arabs were so divided and different that they had never been able to rid themselves from the Jews or at least stop their increasing widespread and their increasing animosity to Islam even after they became unified as Muslims.

Since the prophet's (PBUH) arrival to Medina, he tried always to avoid the Jews' betrayal and conspiracies by entering into a peace treaty with them. This treaty was to the effect that the Jews had the right to live among the Muslim in peace, they had the right to practice freely their daily life and their own religious duties and they had the right to earn their living. In other words, the peace treaty stipulated peaceful co-existence between both parties, the Jews and the Muslims. In addition, the prophet (PBUH) assured them that their lives, their lands and their possessions were secure but only on one condition that they would not betray the Muslims and collaborate with the idolaters against them. The prophet (PBUH), who was greatly tolerant with them, strongly warned that if it was proven that they had helped or aided the idolaters against the Muslims in any way, they would certainly pay for their treachery.

This may, in fact, explain why the prophet (PBUH) had fought and defeated the Jews of Bani Qaynuqa'a, An-Nadeer and Quraiza. Moreover, this stresses the fact that the Muslims were never agressors or transgressors and they never fought anyone unless for clear obvious reasons, i.e. the Muslim's agression against treachery and paganism had always been justified. There is no doubt that the continuous betrayal of the Jews and their constant treachery to the Muslims together with the failure in converting them to a better way of life, made him finally decide to drive them completely out from the lands of the Arabs so as to ensure the safety of the Muslims and the new religion of Islam.

As we have seen, in the earliest battles of Islam, the prophet (PBUH) had been forced to take punitive action against some of the Jewish tribes because of their treachery. Thus, after the prophet (PBUH) had successfully defeated the Jews of Bani Qaynuqa'a, An-Nadeer and Quraiza, he together with the Muslims became determined to attack and defeat the Jews of Khaibar which was the stronghold of the Jewish tribes in

The Great Battles of Islam

5 — The Defeat and Fall of Khaibar

By: Nahed Mohamed Wasfi Ph.D.

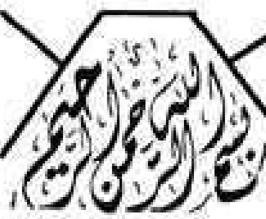
It had been quite evident since the early beginning of Islam that the Jews had only one aim in their life, viz the destruction of this new religion. Though they knew very well that the prophet (Peace Be Upon Him) was the true messenger of Allah, yet they could not conceal their hostility to him and to his new religion. They tried always to take the advantage of any opportunity to undermine this newly born religion. They always endeavoured to create conflicting divisions among the Muslims to the extent that some of them tried to undermine and shake the belief of the Muslims by attributing, to verses of the Qur'an, Biblical interpretations. If we trace the reasons latenting behind this vicious hatred and envy that the Jews had against the Arabs in general and the prophet (PBUH) and his new religion in particular, we will find that the Jews had, as history tells, for a long time been waiting in hope, for a prophet from among their own community. They believed that being the chosen people of Allah, the coming prophet should be from among themselves and not from any other nation. Accordingly, when prophet Muhammad (PBUH) had been sent by Allah to the Arabs and the Jews had come to realize that he was leading humanity along a righteous path, they were filled with an intense hatred against both him and the Muslims.

In order to understand the true character of the Jews and their evil intensions we should briefly cite how they came to Al-Hijaz and managed to live with the Arabs. The Jews were, in fact, mainly small groups had survived from those who had been scattered by the Romans, and who had wandered until they had at last chosen to settle down with the Arabs because they had found security in the Arab lands. But it had not been long before the Jews began to stir up conflicts to disturb the Arabs. They began, as well, to extend their settlements into colonies in



AL-AZHAR MAGAZINE

1 Ragab 1416



ENGLISH SECTION

Vol 68 Part VII

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah: .
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهـــرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

أسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي عبد الفتاح عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل غانم خفاجة

المراسلات: باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٩٩٦ - ٩٢٣٨ - ٥٠٤٧٣ - ٥٩٠

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين



فصل من محنة الأمة بشأن القدس

الأمر كذلك في تقدير الغرب منذ عام ١٩٤٨ م .

ولكن من قبل حديثنا في تقديرات الغرب نقول :

إن قضية القدس قضية إسلامية بحتة ، مثلها - في ذلك - قضية فلسطين نفسها . من هنا توالت بيانات الأزهر الشريف تسمع العالم ، والمسلمين - خاصة - واجبهُمْ نحو القدس وفلسطين ، وحتى تؤكد هذه الحقيقة نُحيلهم إلى ما نشرته هذه المجلة من أوائل الثمانينات الهجرية من القرن الماضي (١٣٨٠) منذ بداية المؤتمرات العالمية لمجمع البحوث الإسلامية إلى يومنا هذا ، .. بل إلى آخر عدد صدر من هذه المجلة .

فالقدس بلدة إسلامية ، لا نزاع فى ذلك إلا نزاعا طريفًا « عطاء من لا يملك لمن لا يستحق » كما قال الرئيس عبد الناصر ــ يوما .

وهذا « العطاء » قصته المخزية التى سطرها السيد « جون فوستر دلاس » مندوب الولايات المتحدة ــ حين ذاك ــ فى الأمم المتحدة ، وأودعها كتابه : « حرب أم سلام »[1] ولست أريد هنا أن أمزق نياط قلوبنا بما سطره هذا الرجل عن عام ١٩٤٨ م (أى عام الاعتراف بإسرائيل) وبما رمانا به من خزى نال من كرامة كل عربى ومسلم ، وحسبنا ــ هنا ــ قوله ص ٧٣ ــ من فصل (إسرائيل) :

« وقد سرت الإشاعات فى أروقة (ليك سكس) بأن جيوشا عربية كبيرة ستزحف إلى فلسطين ، وتغمرها بجنود لا حصر لها ، ولكن ذلك لم يحدث لسببين :

الأول : أن العرب لم يكن لديهم الشجاعة الكافية للقيام بهذه المغامرة .

والثانى : أن اليهود ــ فى فلسطين ــ كانوا يكونون عصبة متحدة ومنظمة قوية الشكيمة ، ولم يحدث ذلك ــ أيضا ــ لأن الأمم المتحدة كانت قد منحت تأييدها الأدبى لفكرة إنشاء الدولة اليهودية الجديدة .

وبصدد اتخاذ قرار يجعل إسرائيل أمرا واقعا ، قال ص ٧٥ :

« وأخذت على عاتقى هذه المهمة بمعاونة أعضاء آخرين فى وفد الولايات المتحدة ، وقبل قليل من أخذ الأصوات فى الجمعية [أى الجمعية العامة للأمم المتحدة] أمضيت ليلة مع المندوب العراقى الذى يشغل أكبر منصب رسمى فى الوفد العراقى ، وكان يعتبر المتحدث الرسمى باسم البلاد العربية ، وشرحت له فى أقوى العبارات : أن دولة إسرائيل ستنشأ ، وأنه من الحمق والخطأ مقاومتها .

وبنفس الصفحة ــ ٧٥ ــ قال :

« وبقى كثير من المسائل دون حل ، وخاصة : وضع مدينة القدس ، والأماكن المقدسة ، ومصير اللاجئين العرب .. » .

ولا تزال هذه المسائل باقية إلى يومنا هذا ، ولا تزال ــ أبدا ــ تثير فينا تاريخ تلك الحقبة الأثيمة ، وكنا شبابا نؤمل فى الخير والحق .

ولقد كذّبَ الشهيد البطل أحمد عبد العزيز ــ بداية ــ فكر « دلاس » وقاد المتطوعين حتى كادوا يستولون على « تل ابيب » نفسها عاصمة « اسرائيل المزعومة » كذا كان يقال عنها يومذاك ــ حتى إذا كانوا منها على ثمانية عشر كيلو متراً ، توالى الغدر ، فقُتل الشهيد أحمد عبد العزيز ــ أسكنه الله فسيح جناته ورضى عنه وأرضاه ــ وكُشِفَ فجأة الجناح الأيمن لجيشنا المصرى الباسل فضاع منه آلاف الشهداء كما قال وقتها : الأستاذ محمد التابعى ــ رحمه الله .

(١) جون فوستر دلاس ــ حرب أم سلام ــ ط العالمية للطبع والنشر ــ القاهرة .

كانت الحوادث كلها تقول : صدق إسماعيل صدقى ـ أحد رؤساء وزارات مصر ـ فيما قبل الخمسينات ـ فقد حذر قومه ألا يدخلوا جيشا عربيا رسميا أرض فلسطين ، وإنما عليهم أن يمدوا أهلها داخلها بالسلاح ؛ فليس لهم ميدان قتال خارجها .

والحديث شجن

فأما عن فلسطين فقد انتشر شعار الصهيونية للتبرع لأهدافها يحمل أربع كلمات : « ادفع دولاراً تقتل عربيا » (كذا) وطاف الشعار الولايات المتحدة ، والتقطه صحفى أمريكى رأى أن يدرس القضية لدى الطرف الآخر .. لدى العرب ، وكتب دراسته تحت عنوان الشعار نفسه ، وأسرع الأستاذ إحسان عبد القدوس ـ رحمه الله ـ فنشر الكتاب إلى جانب سلسلته التى كتبها فى الأسلحة الفاسدة ، ليرفع الستار عن حقائق المأساة ، وقد اختفى الكتاب فى لحظات .

وأُحبطَ الشباب ، وما أشد الألم فى إحباط الشباب كان إحباطا أشبه بالعاهة المستديمة .

لقد أمطرنا بوابل من الأحاديث المازجة .. هذا « ألفريد ليلنتال » قدم إلى الناس بصفة اليهودى المنصف يتحدث عن : حق العرب .. حتى « شارل شابلن » إلى ـ والله تعالى ـ أدلى بدوره فى الدلاء ، وتبين من مكنون السياسة للقدس ؛ ما تحدث به أحد العالمين ببواطن الأمور عن القدس ؛ التى اعتبرها « دلاس » واحدة من القضايا الثلاث المعلقة ؛ فأفصح المتحدث عن مآلها إلى « الفاتيكان » ليعمل (الفاتيكان) على تدويلها .

لكن :

على الفاتيكان أن يعلم أن (القدس) شيء و (فوكلاند) شيء آخر ... والأمر مختلف تماماً .

لقد شرب جيل الأربعينات المرارة ، وهو الذى لم يقصر فى شيء .. له الله ! .. والله من ورائهم محيط .

د. على أحمد الخطيب

بيان
فضيلة الإمام الأكبر
شيخ الأزهر

بمناسبة

الإسراء والمعراج

أصدر فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر بياناً بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج وصف فيه هذا الحدث الجليل بأنه : تكريم لرسول الله ﷺ وتثبيت لإيمان المؤمنين .. وتحدث فيه عن بيت المقدس والمسجد الأقصى وواجب المسلمين لاستردادهما .

بدأ البيان بقول الله - سبحانه وتعالى - فى القرآن الكريم :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ① ﴾ . سورة الإسراء

ثم قال :

هذا الإسراء أى : السير ليلاً بالنبى ﷺ من المسجد الحرام فى مكة ، إلى المسجد الأقصى فى القدس ، تكريم لرسول الله ﷺ وتسرية عنه وخروج به مما أحاط به من متاعب وآلام ، فى سبيل تبليغ الرسالة ، تثبيتا لعزيمته وإمضاء لإرادته بعد إذ وقف يناجى ربه ويناديه ، حين تكاثرت من حوله النائبات ، وتحرش به قومه ، وتربصوا له وحين ذهب إلى الطائف يدعو أهلها إلى دين الله ، لكنهم كانوا كجيرانهم قريش ... قست قلوبهم ، ولووا رءوسهم فكانت شكواه إلى ربه وتضرعه ومناجاته .

وأضاف البيان : أنه وسط هذه النوازل كانت رحمة الله وعافيته تحوط رسوله وتكرمه فكان الإسراء إلى بيت المقدس رحلة أرضية تحقق عنها هدفان :

الهدف الأول : تثبيت قلوب المؤمنين الذين آمنوا بالله وبرسالة محمد ﷺ ودعوته ، وليكبت المشركين . إذ أنه ما إن عاد الرسول ﷺ من رحلته القدسية وأخبر قومه بأنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس حتى كذبوه وسخروا منه ، بالرغم من أن الرسول ﷺ قد وصف لهم بيت المقدس وصفاً دقيقاً ، مع علمهم بأنه لم يسبق له رؤية هذا البيت قبل هذه الليلة ، بل وأخبرهم بما ضل من رواحلهم

الآتية عن طريق القدس ، وأنه قد شرب مما تحمله من ماء ، وأنبأهم بأن هذه القافلة ستصل قبل طلوع الشمس ووصلت فى هذا الموعد ، ومع هذه المؤكدات لصدقه ، سأل أحدهم أبا بكر - رضى الله عنه - مستنكراً : « إن صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس » . فقال أبو بكر : قد صدقناه فى خبر السماء أفلا نصدقه فى خبر الأرض ؟ فسمى أبو بكر من هنا بالصديق .

أما **الهدف الثانى** : لهذه الرحلة الأرضية الإسراء فإن الله - سبحانه - جمع الأنبياء والرسل فى بيت المقدس وصلى بهم رسول الله ﷺ إماماً إبرازاً لعهد الله وميثاقه على من سبقه من الرسل فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) ﴾ سورة آل عمران

ذلك لأن الرسول محمداً ﷺ خاتم النبيين ، وشريعته للناس جميعاً وللعوالم جميعها ، ودعوته عامة لا تختص بزمان ولا مكان ، أما دعوة من سبقه من الرسل فقد كانت خاصة بأقوامهم ، نجد ذلك واضحا فى رسالاتهم التى حدثنا عنها القرآن الكريم ودعائهم على من لم يؤمن بهم من قومهم وهلاك هؤلاء ليكونوا عبرة لمن يأتون بعدهم .

مقاصد المعراج

وكان للمعراج وهو الصعود برسول الله محمد ﷺ إلى السموات مقاصد عالية ومعانى سامية ، فقد شرفه الله بهذه الرحلة ورفعه مكانا عليا ، وأراه من آياته الكبرى ، حتى انتهى إلى سدرة المنتهى بعد أن التقى بالرسل والأنبياء كل فى موقعه من السموات ، وكان له مع كل منهم حوار وثناء وترحيب .

وقد فرضت الصلاة فى هذه الرحلة السماوية ، ومن ثم كانت عماد هذا الدين بحق ، كيف لا ؟ وهى آية ظاهرة على وحدة المسلمين ؛ إذ يتجهون فيها إلى قبلة واحدة فى عبادة موحدة فى أوقات محددة وإذ تعود هذه الذكرى بالمسلمين اليوم .. عليهم أن يذكروا المسجد الأقصى الأسير ، الذى كان أول قبلة للمسلمين ، وكان إليه مسرى الرسول ﷺ ، وصلى فيه إماما للأنبياء والمرسلين ، والذى تسلمه عمر بن الخطاب وظل المسلمون سدنة أعتابه وحراسا فى رحابه ، يعمرونه بالصلاة ، وفيه ترتفع نداءات المؤذن فى وقت كل صلاة . وكم من حلقات للعلم قد انعقدت فى جنباته ، وكم من الفقهاء والعلماء والأدباء قد أفاض الله عليهم فى رحابه علوما نافعة فى الدين والدنيا .

يذكر المسلمون القدس - وأنها دارهم ، وأن عليهم أن يجمعوا أمرهم ليستردوا أرضهم ، وليكونوا صفا واحدا كما كان أسلافهم الذين حافظوا على البلاد وأقاموا أحكام الإسلام .

لنتخذ من هذه الذكرى مددا وسندا لوحدتنا ، وعضدا لقوتنا ولنثق فى وعد الله الذى لا يتخلف .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) ﴾ سورة الحج

شهر شعبان

وليلة النصف منه

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

لشهر شعبان فى الإسلام مكانة خاصة بين الشهور ، فهو شهر النفحات والفيوضات والبركات .

ولقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخص هذا الشهر بالكثير من الصوم ، روى النسائى عن أسامة بن زيد ـ رضى الله عنهما ـ قال : قلت يا رسول الله ، لم أرك تصوم فى شهر من الشهور ما تصوم فى شعبان . قال : « ذلك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » .

والمراد أنهم يغفلون عن تعظيم شعبان بالصوم كما يعظمون رمضان ، وكانوا يعظمون شهر رجب فى الجاهلية .

قال الشوكانى : ولعل الحكمة فى صوم شهر شعبان أنه يعقبه رمضان وصومه مفترض ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكثر من الصوم فى شعبان قدر ما يصوم فى شهرين غيره لما يفوته من التطوع الذى يعتاده بسبب صوم رمضان .

وعن أم سلمة ـ رضى الله عنها : « أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان يصل به رمضان » .

رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه وحسنه .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصوم حتى تقول : لا يفطر ، ويفطر حتى تقول لا يصوم ، وما رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان ، وما رأيته فى شهر أكثر منه صياما فى شعبان .

وفى رواية : قالت : كان يصوم شعبان كله .. متفق عليه .

وعن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ قالت : « ما رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان » رواه الترمذى . وقال حديث حسن وأبو داود ولفظه قال : « لم يكن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصوم فى السنة شهرا تاما إلا شعبان كان يصله برمضان » رواه النسائى باللفظين جميعا .

وفى الحديث الذى رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه عن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « يَطَّلِع الله على جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » .

وفى رواية الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « يَطَّلِع الله ـ عز وجل ـ إلى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده إلا إثنين : مشاحن أو قاتل نفس » .

هذه الأحاديث وغيرها تعلى من شأن ليلة النصف من شعبان ، وتعظم ذلك اليوم وتدعو المسلمين إلى الإقدام على طاعة الله فيها ، وصوم يومها طلبا لرحمة الله ومغفرته واستزادة من مرضاته ، واستقبالا لخيره الذى لا ينقطع عمن تاب إليه وأناب ، فإنه ـ سبحانه ـ يوفى الطائعين الصابرين الصائمين أجرهم بغير حساب ، وخير ما يعبد الله به فى هذه الليلة المباركة الصلاة ، وتلاوة القرآن والدعاء بما يفتح الله به على المسلم فى خشوعه وعبادته ، وخير الدعاء ما علمنا الله إياه فى القرآن ، وما ورد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلنحرص على إحياء هذه الليلة بالطاعة ، بالصلاة ، وتلاوة القرآن ، والاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير وسائر أنواع الذكر ، وعلى صوم يومها كما أثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

هذا : ولم يؤثر عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ دعاء خاص فى هذه الليلة . ولعل الأولى التأدب بأدب القرآن ، والتزام ما جاء فيه من أدعية جرت بها آياته ، وما أثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من جوامع الدعاء ؛ إذ بها تتنزل الرحمات ، وتقضى الحاجات ، وتغلق أبواب الشرور والآفات .

ومن أدب الدعاء الإخلاص والإقبال على الله ، فادعوا الله مخلصين له الدين وأقبلوا على الله لا سيما في مواسم الخير والبر يكن الله معكم .. بالحفظ والرعاية والتوفيق .

ومن الحوادث العظيمة التي وقعت في هذا الشهر المبارك تحويل القبلة في الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة ففي الصحيحين عن البراء بن عازب ــ رضي الله عنه ــ قال : كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ صلى نحو المقدس ستة عشر شهرا ــ أو سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ .

سورة البقرة ــ آية : ١٤٤

فتوجه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس ــ وهم اليهود ــ :

﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

سورة البقرة ــ آية : ١٤٢

فصلى مع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ رجل ثم خرج بعدما صلى ، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال : هو يشهد أنه صلى مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأنه توجه نحو الكعبة ، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة .

وقد ضبط أهل الحديث والسير أن الأمر بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام في قوله تعالى :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ .

هذا الأمر كله كان في شعبان من السنة الثانية للهجرة ، وقد كان استجابة لدعائه وابتهاله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأمر بالتوجه إلى القبلة التي كان يود التوجه إليها ويرضاها ، وأن ذلك هو الحق من الله ، والكعبة هي قبلة إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .



فتوى للإمام الأكبر

حكم ميراث الولد العاق لأبويه

أو لأحدهما وتارك الفروض

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله :

وبعد ...

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطاب من رئيس تحرير جريدة الشرق الجديد في لندن جاء فيه :

برجاء التفضل بإفتائنا عن (حكم الشرع بتوريث الولد العاق تارك الصلاة والزكاة والصوم ، ناهيكم عن حج البيت) وذلك للرد على أسئلة ترد إلينا بهذا الخصوص من قرائنا ، أفادكم الله ، ونفعنا بعلمكم ، وسدد خطانا على أثر أهل العلم من أمثالكم .

بانتظار سريع جوابكم إذا تفضلتم ، دمتم وسلمتم ، والله يحفظكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

عبدالوهاب حنال

رئيس التحرير

والجــواب

أولاً : إن للوالدين فضلا عظيما وحقا كبيرا على أولادهما ، يدل على هذا : أن الله سبحانه قد قضى في القرآن الكريم بتوحيده وعبادته وحده لا شريك له ، ثم ثنى بقضائه بالإحسان إلى الوالدين وطاعتهما ، وحسن الخلق معهما ، وخفض الجناح لهما ، تواضعاً ورفقاً بهما ، ونهى عن الإساءة إليهما ولو بكلمة «أف» تصدر من اللسان تؤذيهما - وبخاصة - إذا تقدمت بهما السن ، واحتاجا إلى الرعاية وحسن المودة ، والإكرام . قال تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا (٢٤) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾[1] .

وفي الحديث النبوي الشريف عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : سألت رسول الله - ﷺ - أي العمل أحب إلى الله قال : الصلاة على وقتها . قلت ثم أي قال : بر الوالدين . قلت ثم أي قال : الجهاد في سبيل الله[2] .

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ - قال : (رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد)[3] .

وقد عدّ رسول الله - ﷺ - عقوق الوالدين من الكبائر تحذيرا للأبناء من مغبته وسوء عاقبته ، فعن أنس - رضي الله عنه - قال ذُكر عند رسول الله - ﷺ - الكبائر فقال : (الشرك بالله وعقوق الوالدين)[4] .

ثانياً : اصطلح فقهاء الإسلام على تسمية المواريث بعلم الفرائض أخذاً من قول الله تعالى : ﴿ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾[5] والفرائض جمع فريضة ، بمعنى مفروضة ، أي مقدرة وهي : من الفرض وهو القطع ، يقال فرضت لفلان كذا أي قطعت له شيئاً مقدراً ، وقد حث الرسول - ﷺ - على الاهتمام بعلم الفرائض والعناية به فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي على الاهتمام بعلم الفرائض والعناية به فقد أخرج الإمام أحمد والترمذيّ والنسائي وصححه الحاكم عن ابن مسعود مرفوعاً : (**تعلموا الفرائض وعلموها الناس فإني امرؤ مقبوض ، وإن العلم سيقبض حتى يختلف الاثنان في الفريضة فلا يجدان من يفصل بينهما**) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - ﷺ - قال : (أقسموا المال بين أهل الفرائض على كتاب الله تعالى)[6] .

---

(١) الآيات رقم ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ من سورة الإسراء .
(٢) رواه البخاري ومسلم - الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ١٣٥ .
(٣) رواه الترمذي بسند صالح - التاج الجامع للأصول جـ ٥ ص ٦ .
(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي - الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ١٤١ .
(٥) من الآية رقم ٧ من سورة النساء .
(٦) رواه مسلم وأبو داود - التاج الجامع للأصول جـ ٢ ص ٢٨١ .

ثالثاً : أسباب الميراث : نسب أو نكاح أو ولاء ،

ودليل التوارث بالنسب ، قول الله ـ تعالى :

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(7).

ودليل التوارث بالنكاح قول الله ـ تعالى :

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾(8).

ودليل التوارث بالولاء ، وهو عصوبة سببها نعمة المعتق على عتيقه ، ويرث به المعتق وعصبته المتعصبون بأنفسهم ، فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن النبى ﷺ قال : « الولاء لمن أعطى الورق وولى النعمة »(9) وفى رواية (إنما الولاء لمن أعتق) ومعنى أعطى الورق أى دفع ثمن العبد واشتراه وأولاه نعمة الإعتاق .

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ (مات رجل ولم يترك وارثاً إلا غلاماً كان أعتقه ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ هل له أحد ؟ قالوا : لا إلا غلاماً أعتقه فجعل رسول الله ـ ﷺ ـ ميراث له)(10) .

فإذا مات العتيق ولم يترك وارثاً وترك مالاً ، فإنه يرثه : المعتق أو عصبته الذكور بولاء الإعتاق ، وهذا باتفاق ، وأما العتيق فإنه لا يرث من معتقه إذا لم يترك وارثاً وهو رأى الجمهور ، إلا شريحاً وطاووس فورثاه استدلالاً بحديث ابن عباس سالف الذكر .

رابعاً : الموانع التى تمنع الشخص المتصف بها من الإرث هى : اختلاف الدين ، والقتل ، والرق ، وقد جمع هذه الموانع الثلاثة مؤلف كتاب (الرحبية) فى بيتين نظماً فقال :

ويمنع الشخص من الميراث
واحدة من علل ثلاث
رق وقتل واختلاف دين
فافهم فليس الشك كاليقين

وعن أسامة بن زيد ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ ﷺ قال : « لا يرث المسلم الكافر ولا يرث الكافر المسلم »(11).

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ قال : « القاتل لا يرث »(12) فالقاتل لا يرث من مقتوله شيئاً ولو كان القتل خطأ ، ولو كان المقتول أصلاً أو فرعاً له وعليه الجمهور ،

---

(7) الآية رقم 11 من سورة النساء .

(8) من الآية رقم 12 من سورة النساء .

(9) رواه الخمسة ـ التاج الجامع للأصول جـ 2 ص 291 .

(10) رواه أصحاب السنن بسند حسن المرجع السابق جـ 2 ص 291 .

(11) رواه البخارى ومسلم والترمذى ـ التاج الجامع للأصول جـ 2 ص 281 .

(12) رواه أصحاب السنن بسند ضعيف ولكن عامة أهل العلم على العمل به .

وقال مالك والنخعي : إن القاتل خطأ يرث من المال دون الدية[13] وحكمة منع الإرث بالكفر والقتل : أن الأرث حق نشأ عن صلة القرابة بالنسب أو الزوجية أو نعمة العتق ، والكفر قاطع للولاء بينه وبين الإسلام ، والقاتل قطع كل صلة بينه وبين مقتوله ، وبانقطاع الصلة انقطع الإرث ، وقُدّم المانع على المقتضى ..

أما المنع بالرق فمعلوم : أن العبد الرقيق مملوك لسيده ، فإن مات سيده والعبد على رقه فلا يرث العبد بل يورث عن سيده لورثته ..

خامساً : عقوق الأبناء لوالديهم معصية كبرى ، وخلق ذميم ؛ لكنه ليس مانعاً من موانع الإرث وعلله الثلاث المبينة سابقاً ، فمن مات أبواه أو أحدهما وكان عاقاً لمن مات منهما والعياذ بالله ـ فإنه لا يحرم من ميراثهما أو ميراث أحدهما ، ولا يمنع منه مادام مؤمناً بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، ومادام كذلك غير جاحد لفرائض الإسلام الخمسة ، ولم يكن قاتلا لمورثه من أب أو أم ، ومادام حاله على هذا ورث بحق الشرع ، نصيباً مفروضاً ، لادخل لأحد فيه لأن الميراث تمليك شرعي مضاف لما بعد موت المورث ، لايتدخل فيه ؛ لأنه بموت المورث قد انتهت ملكيته ، وارتفعت يده عن المال ، وتوقف تصرفه ، وأصبح المال للورثة يقتسمونه بينهم على كتاب الله تعالى ، وقد أرشد لذلك الرسول ـ ﷺ ـ بقوله : « اقسموا المال بين أهل الفرائض على كتاب الله تعالى .

والأمر لله من قبل ومن بعد فهو القائل جل شأنه :

﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[14]

لما كان ذلك . كان عقوق الوالدين أو أحدهما ، وترك أداء الصلاة والزكاة والصوم وحج البيت ، أو واحد من هذه الفروض دون جحود لفرضيته ، كل أولئك غير مانع من الأرث . بل هو كبيرة من الكبائر والإرث مرهون .. بتحقق أحد أسبابه ، الزوجية ، أو النسب ، أو الولاء . على نحو ما تقدم ثبوته بالنصوص المشار إليها من القرآن ، ومن السنة . مع انتفاء وجود مانع من موانع الإرث الشرعية سالفة الذكر ، هذا وننصح أولئك العاقين من البنين والبنات لآبائهم وأمهاتهم أن يتوبوا إلى الله من هذه الكبيرة وأمثالها وأن يطيعوا الله فيما أمر به وأن يقولوا كما علمنا في شأن الوالدين :

﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾

هذا بعد وفاتهما . اما في حال حياتهما فيكون التعامل معهما على وجه ما قضى الله ورسوله في النصوص في الوصية بالوالدين في آيات القرآن الكريم . وأن يؤدوا كذلك فرائض الله .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

شيخ الأزهر الشريف

جادالحق على جادالحق

---

(13) شرح التاج للجامع للأصول جـ 2 ص 282 .

(14) من الآية رقم 11 من سورة النساء .



سورة يس

أ.د/ ابراهيم خميس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم
بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ
يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن
لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن
يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا
يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي
يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)
وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾

إجابة الرسل على تهديد أهل القرية وتطيرهم بهم :

﴿ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ .

إن الرسل لم يعبأوا بتهديد أهل القرية ووعيدهم وتشاؤمهم بهم ، بل مضوا فى تبليغهم يؤدون الواجب الملقى على عاتقهم لأنهم واثقون بنصر الله لهم فى النهاية ، والمعنى : قالوا رداً على أهل القرية « طائركم معكم » يعنى : سبب شؤمكم معكم لا من قبلنا – كما ترعمون – وهو سوء عقيدتكم وقبح أعمالكم .

قال ابن عباس « الطائر » هو نفس الشؤم أى شؤمكم معكم ، وهو بإصراركم على الكفر . أما نحن فلا شؤم معنا لأننا ندعو إلى التوحيد وعبادة الله – تعالى – وفيه اليمن والخير والبركة وقال أبو عبيدة والمبرد : « طائركم » أى : حظكم ونصيبكم من الخير والشر معكم من أفعالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

وقوله – تعالى : « أئن ذكرتم » أسلوب شرط جوابه محذوف يفهم من سياق الكلام ، والمعنى أئن وعظتم تشاءمتم ؟ ، والاستفهام إنكارى بمعنى النفى أى لا ينبغى أن تتشاءموا من وعظنا إياكم .

وجملة الشرط والجواب مستأنفة ، وبل فى « بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ » وقال قتادة : مسرفون : مجاوزون الحد فى تطيركم وقال يحيى بن سلام : مسرفون فى كفركم . وقال ابن بحر . السرف هنا : الفساد ومعناه بل أنتم قوم مفسدون ، وقيل : « مسرفون » مشركون . والإسراف : مجاوزة الحد والمشرك يجاوز الحد . وكلها أقوال متقاربة .

وموقف أهل القرية فى تطيرهم برسلهم مشابه لموقف كل الكفرة ، مثل قوم فرعون ، حيث قال الله عنهم ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ ﴾ الأعراف : ١٣١ ، ومثل قوم صالح ﴿ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ النمل

ذكرت الآيات السابقة على هذا الحوار الذى دار بين الرسل وبين المكذبين من أصحاب القرية ، وهو مثل أصحاب القلوب المغلقة الذين عناهم بقوله : ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وبقوله : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ سورة البقرة

وفى هذه الآيات يذكر نموذجاً للإيمان الصادق فيمن أثر فيه الإنذار وانتفع به وهم من عناهم الله بقوله : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ﴾ .

صديق أهل القرية :

يخبر الله فى هذه الآيات أن رجلاً جاء من أقصى المدينة ـ أى من أبعد أطرافها ـ يسرع المشى لما سمع بخبر الرسل ، وأن أهل القرية عزموا على الفتك بهم ، رَجُلٌ آمن وستر إيمانه عن أهل هذه القرية . جاء ليعظ قومه ويطلب منهم أن يصدقوا الرسل ويتبعوهم ويؤمنوا بدينهم الداعى إلى التوحيد والبعث ، وترك ما هم فيه من عبادة الأصنام : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

أى : اتبعوا رسل الله الذين أتوكم لإنقاذكم من الضلال .

﴿ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ دليل إخلاصهم فى دعوتهم وصدق بلاغهم أنهم لايسألون على ذلك أجراً ولا يطلبون منفعة دنيوية . وإذا كانوا كذلك فهم صادقون مبلغون عن الله يدعون إلى نهج واضح وعقيدة لاخرافة فيها ولاغموض ؛ فهم مهتدون إلى نهج سليم وطريق مستقيم .

وقد كان كل رسول يذكر لقومه أنه لا يطلب على دعوتهم إلى الحق أجراً ولا يرجو منهم مغنماً .

قال الله ـ تعالى ـ على لسان نوح ـ عليه السلام : ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ « هود : ٢٩ » .

وقال هود لقومه : ﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ سورة هود

وقد أمر الله خاتم الأنبياء محمد ﷺ أن يقول لقومه : ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ « الشورى : ٢٣ » .

وكلمة « من أقصى المدينة » توحى بأن الرسل لم يقصروا فى التبليغ والإنذار حتى بلغ خبرهم القاصى والدانى ، وتوحى أيضاً بأنه كان وحده ـ وليس صاحب جاه ولا سلطان ولم يكن فى عزوة من قومه أو منعة من عشيرته .

والقرآن الكريم لم يذكر اسم ذلك الرجل ولاحرفته ولكن قيل : هو (حبيب بن مرى) وكان نجارا ، وقيل إسكافا ، وقيل : قصاراً .

وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل : هو حبيب بن إسرائيل النجار ، وكان ينحت الأصنام ، وهو ممن آمن بنبى ذلك الزمان . وقال وهب : وكان حبيب مجذوماً ، ومنزله عند أقصى باب من أبواب المدينة ، وكان يعكف على عبادة الأصنام سبعين سنة يدعوها لعلها ترحمه وتكشف ضره فما استجابت له . فلما أبصر بالرسل ودعوه إلى عبادة الله فقال : هل من آية ؟ قالوا : نعم . ندعوا ربنا القادر فيفرج عنك ما بك فقال : إن هذا لعجيب أدعو هذه الآلهة سبعين سنة تفرج عنى فلم تستطع ؛ فكيف يفرجه ربكم فى غداة واحدة ؟ قالوا : نعم ، ربنا على ما يشاء قدير ، وهذه الآلهة لاتنفع شيئاً ولا تضر أحداً ، فآمن ودعوا ربهم فكشف الله ما به كأن لم يكن به بأس ، فحينئذ أقبل على التكسب ؛ فإذا أمسى تصدق بكسبه ، فأطعم نصفاً وتصدق بنصف . فلما هم قومه بقتل الرسل جاءهم:

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ .

قال قتادة : كان يعبد الله فى غار فلما سمع بخبر المرسلين جاء يسعى فقال للمرسلين : أتطلبون على ما جئتم به أجراً ؟ قالوا : لا ، ما أجرنا إلا على الله فاعتقد صدقهم وآمن بهم وأقبل على قومه .

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

وكل هذه الأقوال لم تسند إلى رسول الله ﷺ ، ولا إلى أحد من صحابته ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ فيجب الوقوف عند ماجاء به القرآن الكريم ، فلو كان فى تعيين اسمه فائدة لذكره الله ـ تعالى .

﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

المعنى : وما يمنعنى من إخلاص العبادة لله وحده ، الذى خلقنى وإليه المرجع والمآل يوم الحساب ؛ فيجازيكم على أعمالكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، فقد عاد يحدثهم عن نفسه وعن أسباب إيمانه ؛ ويناشد فيهم الفطرة التى استيقظت فيه فاقتنعت بالبرهان السليم على أن الله أنشأه من العدم ، وأوجده على غير مثال سابق . فالتوجه إليه هو الأولى وهو الأول . والرجل المؤمن يحس كل هذا فى قرارة نفسه فيعبر عنه هذا التعبير الواضح البسيط بلا تكلف ولاتعقيد ؛ فيقول ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ كما يرجع كل شىء إلى مصدره ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

وتفيد العبارة أيضاً التلطف فى الإرشاد بإبرازه فى معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النصح لهم حيث أراهم أنه اختار لهم ما يختار لنفسه ، كما تحمل تقريعاً لهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره وفيها مبالغة فى التهديد والوعيد .

ثم أكد سلامة منهجه وفساد ما هم عليه فقال : ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ .

الاستفهام فى « أأتخذ » إنكارى بمعنى النفى ، أى لا ينبغى أن أتخذ آلهة من دون الله ، والمراد بالآلهة كل ماعبد من دون الله من حجر أو شجر أو بشر أو منصب أو جاه .

وقوله «بضر» يعنى بسقم، أو كل ما تنفر منه الطباع من بلاء، ومعنى «ولا ينقذون»: لايخلصونى مما أنا فيه من هذا البلاء.

وفى تعبير الرجل المؤمن دلالة على أنه لن يتخذ من دون الله آلهة يعبدها ويشرك من يستحق العبادة، وهو الذى فطره: إن أراده الرحمن بسوء لم تنفعه شفاعة هذه الآلهة التى يعبدونها ولاتخلصه من ورطة السوء فإنها لاتملك من الأمر شيئاً إذ أنها لاتدفع ضراً ولاتجلب نفعاً ولاتنقذ أحداً مما هو فيه فضلاً عن أنها لاتستطيع الدفاع عن نفسها إذا هوجمت واعتدى عليها. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ «الحج».

ثم يستمر الرجل فى نصحه لقومه بطريق التلطف والتعريض بهم فيقول: ﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾، والتنوين فى «إذا» عوض عن جملة ـ على طريقة القرآن فى الإيجاز ـ أى إنى إذا اتخذت غير الله إلها أكون فى هلاك بيّن ظاهر، والتعبير بـ «فى» فيه دقة وبلاغة حيث أفادت تمكنه من الضلال وانغماسه فيه كتمكن المظروف من ظرفه بوضعه فيه. فما أبلغ وما أوجز هذا التعبير ومن أصدق من الله قيلا؟

ثم صرح بإيمانه وأعلن عن عقيدته فألقى بكلمته الواثقة المطمئنة، وأشهدهم عليها، وهو يوحى إليهم أن يقولوها كما قالها، ولايبالى بهم ولابإيذائهم بعد تمكن الإيمان من قلبه ووثوقه بربه الذى آمن به، فقال: ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ والخطاب للرسل.

قال ابن مسعود: ـ رضى الله عنه ـ خاطب الرسل بأنه مؤمن بالله ربهم، ومعنى «فاسمعون» فاشهدوا لى بالإيمان.

وقيل: إن الخطاب لقومه، قال كعب ووهب: إنما قال ذلك لقومه: إنى آمنت بربكم الذى كفرتم به، وقيل: إنه لمّا قال لقومه ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا ﴾ رفعوه إلى الملك وقالوا: قد تبعت عدونا فطول معهم الكلام ليشغلهم بذلك عن قتل الرسل إلى أن قال «إنى آمنت بربكم» فوثبوا عليه فقتلوه.

قال ابن مسعود: وطئوه بأرجلهم حتى خرج معاه من دبره، وألقى فى بئر وهو «الرس» وهم أصحاب «الرس» قال تعالى:

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴾

«ق»

وفى كيفية قتله أقوال كثيرة.

وقيل: لم يقتل بل رفعه الله إلى السماء فهو فى الجنة لايموت، فذلك قوله ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ **فلما شاهدها قال**: ﴿ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ وكان قوله هذا من حبه لهدايتهم بالرغم من الإيذاء والتعذيب. فقد أحب هذا المؤمن كشأن كل مؤمن أن يبادر قومه إلى الإيمان بمثل ما آمن به ليحظوا بما حظى به من النجاة والنعيم الأبدى السرمدى.

قال ابن عباس نصح قومه حيا وميتا.

﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ قول صادر من الله تعالى أومن الملائكة بأمره سبحانه، إخبار منه بأنه وجبت له الجنة لأن دخولها يستحق بعد البعث.

وقال قتادة : أدخله الله الجنة ، وهو فيها حي يرزق . ويكون على هذا من الشهداء الذين قال الله فيهم ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ آل عمران

وفي قوله : ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ تنبيه عظيم ودلالة واضحة على وجوب كظم الغيظ ، والحلم عن أهل الجهل ، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي ، والتشمر في تخليصه والعمل على افتدائه ، والاشتغال بذلك عن الشماتة والدعاء عليه . ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل ، وهم كفرة وعبدة أصنام .

فلما قتل الرجل المؤمن غضب الله وعجل النقمة على قومه . فأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم .

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ .

هذه الآية ومابعدها تتمة قصة أصحاب القرية . أبان الله تعالى فيها حال المكذبين رُسُلَهم ، وأوضح سنة الله في أمثالهم من العذاب الدنيوي ، والجند : الملائكة النازلون للإهلاك والانتقام .

والمعنى : لم ننزل على قوم الرجل المؤمن من بعد قتلهم له بسبب دعوته لهم إلى الإيمان بالله جنداً من الملائكة ، وماكنا بحاجة إلى هذا الإنزال ؛ بل كان أمر إهلاكهم أولى من ذلك .

وقد سبق قضاؤنا بأن إهلاكهم بالصيحة لا بإنزال الجند .

فإذا سأل سائل : لم أنزل الجنود من السماء يوم « بدر » و « الخندق » ؟.

قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ﴾ « الأحزاب : ٩ »

وقال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ « الأنفال : ٩ » مع أنه كان يكفي ملك واحد . فقد أهلكت قرى قوم « لوط » بريشة من جناح جبريل وديار ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة .

فالجواب أن الله أرسل ملائكة لمحمد ﷺ في حربه مع قومه تعظيماً لشأنه وتفضيلاً له على سائر الأنبياء وأولى العزم وأولاه من أسباب الكرامة والإعزاز ما لم يوله أحداً ، وعلى هذا يكون الغرض من قوله ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا ﴾ ومن قوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لايؤهل لها إلا مثلك يامحمد .

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وسلم .

وقيل - في معنى الآية : وما أنزلنا عليهم من رسالة ولابعثنا إليهم نبيا من بعد قتل الرجل المؤمن حتى جاء محمد ﷺ ، وهذا المعنى الثاني بعيد كل البعد عن سياق القصة .

ثم بيّن ما عوقبوا به فقال :

﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ .

« إن » في « إن كانت » نافية بمعنى « ما » ، والمعنى : ما كانت عقوبتهم إلا أن صاح بهم جبريل فأهلكهم عن آخرهم .

« خامدون » ساكنون هامدون ميتون في مكانهم بالصيحة لا يسمع لهم حس كالرماد الخامد ، والمعنى الأصلي للخمود انطفاء النار ، والمقصود به هنا الموت . ووصف الصيحة بأنها واحدة للتأكيد . فإن أمر إهلاكهم هين عند الله تعالى ، وقد شبه إهلاكهم بخمود النار ، وهو

صيرورتها رماداً ؛ لأنهم كانوا كالنار الموقدة فى القوة الغضبية ، حيث قتلوا من نصحهم وتجبروا على من أظهر المعجزة لديهم . وكلمة «فإذا» فى الآية توحى بسرعة الإهلاك لما فيها من المفاجأة ، ولما فى (الفاء) من الترتيب والتعقيب . وكيف لا يكون الإهلاك سريعاً ، والمهلك هو الله الذى لا يعجزه شىء . ومن أوصافه الجبار والقهار والقدير .

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

خلاصة لأهم دلالات قصة أصحاب القرية

١ ـ قصة أصحاب القرية قصة حقيقية ، حدثت فى ماضى الزمان ، والمحققون من العلماء على أن قصص القرآن واقعى ؛ وليس رمزياً ، وحقيقى وليس تمثيلياً ، بمعنى أن هذا القصص كان لحوادثه وجود واقعى حقيقى فى سالف الزمان ، وأن أبطاله كانوا أشخاصاً أحياء حقيقيين وأن أحداثه جرت عملياً على وجه الأرض . قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ «يوسف : ١١١» .

وقصة أصحاب القرية والرجل المؤمن لاتخرج عن هذا المضمون ؛ فهى تعرض قصة قوم جرت بينهم الحوادث التى أشارت إليها آيات القصة وكانت حوادث حقيقية واقعية .

٢ ـ ما جاء فى هذه القصة من مبهمات كاسم القرية واسم الرجل الذى جاء من أقصى المدينة يسعى لايقبل فيه إلا ماعينه القرآن أو جاء به الرسول ﷺ أو أحد صحابته ـ رضوان الله عليهم ـ وغير ذلك يكون مردوداً ، وإن جاءت به أكثر التفاسير . وهذه قاعدة يؤخذ بها فى جميع قصص القرآن الكريم .

٣ ـ أصحاب القرية والرجل المؤمن الذى جاء ينصح قومه نموذجان بشريان مكروران فى كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٤ ـ وجوب استفادة الدعاة إلى الله من أسلوب القرآن الكريم فى الدعوة والبيان ، وذلك بإيراد القصص وضرب الأمثال .

٥ ـ الإيمان هو صمام الأمان لصاحبه ، فيبقى مستعليا بإيمانه معتزاً بربه لا يضعف ولايذل ولايجبن . فأنت ترى الرجل المؤمن يجىء من أقصى المدينة غير عابىء بالصعاب والمشاق التى تواجهه ، ولا خائف من تهديد أصحاب القرية ووعيدهم ، ينصحهم ويبين لهم المصير المشئوم إن لم يؤمنوا .

٦ ـ عذاب الله واقع بالمنحرفين المكذبين للرسل فقد أهلك الله أهل القرية بصيحة جبريل وثواب الله واقع للمؤمنين الصادقين كما وقع للرجل المؤمن حيث أدخل الجنة .

٧ ـ لاينعدم الحق فى كل زمــان أنصار يستمسكون به ويدافعون عنه ويضحون فى سبيله ، وإن كانوا قلة وكان أهل الباطل كثرة .

٨ ـ أن الرسل على حق وهدى لايطلبون على تبليغ رسالتهم أجراً ، وهذا دليل عدم اتهامهم بمأرب دنيوى .

٩ ـ أصحاب القرية الكفار أعماهم البطر والغرور عن رؤية الحق فقتلوا الرجل المؤمن ، وهكذا كل من اغتر بالمظاهر الدنيوية الزائلة .

١٠ ـ يكون الرسل عادة من جنس المرسل إليهم حتى لايبادروا إلى الإعراض بحجة المغايرة والمخالفة . فتكون شبهة الكافرين ببشرية الرسل فى غير محلها ، وإنما الباعث لدى المناهضين لهم هو الاعتزاز بالنفس والاستعلاء والاستكبار .

الإخلاص لله عز وجل

أ.د/ محمود سالم الخطيب

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « من فارق الدنيا على الإخلاص لله ـ وحده ـ وعبادته لا شريك له ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، مات والله عنه راض » . أخرجه ابن ماجه والحاكم.

ترجمة راوي الحديث

هو أنس بن مالك بن النضر النجاري ، خادم رسول الله ﷺ عشر سنين . قال أنس : ما قال لي رسول الله ﷺ لشيء صنعته لم صنعت ، ولا لشيء تركته لم تركت . وكان أكثر الصحابة ولداً ؛ لأن أمه قالت : يا رسول خويدمك أنس ادع الله له . قال : « اللهم بارك في ماله وولده وأطل عمره واغفر ذنبه » . فكان له بستان يحمل في السنة مرتين ببركة دعائه ـ عليه الصلاة والسلام . قال أنس لقد بقيت حتى سئمت الحياة وأنا أرجو الرابعة .. يعني المغفرة عاش مائة سنة . وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة سنة ٩٣هـ ، في زمن الحجاج ودفن في قصره على بعد فرسخ من البصرة .

روى البخاري له ثمانية وستين ومائتي حديث .

المفردات

معنى فارق الدنيا : مات ، ومعنى الإخلاص تبرؤهم من التشبيه والتثليث[1] .

وهو أيضا قصد العبد بعمله ونيته رضا الله لا يشوبه بشيء من غرض الدنيا[2] ، حيث لا يطلع على عملك إلا الله ـ سبحانه وتعالى :

معنى « وأقام الصلاة » : أي وفاها حقها وثبت وداوم عليها ، مقرا بوجوبها[3] وأداها بشروطها وأركانها كما بينها رسول الله ﷺ .

(١) المفردات من الراغب ١٥٤ .

(٢) الفتوحات الإلهية بتصرف ٥٨٩ جـ ٣ .

(٣) المفردات للراغب بتصرف ص ٤١٨ .

معنى « وإيتاء الزكاة » : إيتاء بمعنى إعطائها للمستحقين ، والزكاة هي : النمو والبركة التي يضعها الله للمزكي . وعند الفقهاء : مال مخصوص يؤخذ من مال مخصوص بشروط مخصوصة بينها الفقهاء .

المعنى العام للحديث :

يبين لنا رسول الله ﷺ أن الإخلاص مطلوب في كل الأمور من عقائد وعبادات وجهاد ، وكل عمل يقوم به المسلم .

وهذا الحديث قد تضمن الإخلاص في العقيدة في قوله : « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له » فهذا يدل على وجوب الإخلاص لله في العبادة فيفرده - تعالى - بالربوبية والوحدانية ، ولا يعبد صنماً ولا شجراً ولا حجراً ولا إنساناً ولا شيطاناً ، إلى آخر المعبودات الباطلة التي توصل عُبادها إلى النار قال الله - تعالى - لنبيه - عليه الصلاة والسلام - :

﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥) ﴾[٤]

والمعروف أن في حديث النبي ﷺ حث وترغيب لأمته ليكون إيمانها على درجة رفيعة من الإيمان بالقدوة - عليه الصلاة والسلام - قال - تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[٥]

وقد أمر الله - سبحانه وتعالى - المؤمنين بالإخلاص .. فقال :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[٦] .

وإخلاص الدين معناه : أن المسلم يفعل كل ما أمر به ويجتنب كل ما نهي عنه والحنفاء - في الآية - جمع حنيف ، والحَنَفُ : هو الميل عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق ، وهو : الإسلام ، فالحنيف : من مال عن كل عقيدة باطلة ، وأسلم وجهه لله - عز وجل .

قال - تعالى :

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[٧]

أقول : إن هذا الحديث تضمن : العقيدة ، وذكر من العبادات : الصلاة والزكاة ، فالإخلاص في الصلاة : أن يأتي بها الإنسان كاملة الأركان والشروط كما بينها رسول الله ﷺ .

لا يقصد بصلاته إلا وجه الله - تعالى - فلا يقيم وزناً لبشر ولا يبغي سمعة أو شهرة أو مدحاً من أحد ، كما قال ﷺ : « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[٨] .

والزكاة عليه أن يؤديها كما بينها السنة والفقهاء

(٤) سورة الزمر آية : ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

(٥) سورة الأحزاب آية : ٢١ .

(٦) سورة البينة آية : ٥ .

(٧) سورة الكهف آية : ١١٠ .

(٨) رواه البخاري .

قاصداً بذلك ذات الله ـ تعالى ـ فقط .

ويذكر هذا الحديث الشريف بقية الفرائض وهي جميعا يلزمها : الإخلاص في أدائها لله وحده ، ومنها الصيام . قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الإخلاص في الصيام عن الله ـ عز وجل : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به » إلى آخر الحديث الذى رواه البخارى .

وكذلك الإخلاص في الحج قال ـ عليه الصلاة والسلام : « من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه » المرجع السابق، وفى رواية أخرى : خرج من ذنوبه كما ولدته أمه .

والإخلاص مطلوب في كل عمل مشروع يؤديه المسلم، فعليه أداؤه على الوجه الأكمل ابتغاء مرضاة الله تعالى . فعلى من كُلف بأى عمل أو مهنة أو صنعة أن يتقنها ويؤديها كما أمر الله . قال رسول ﷺ : « إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملًا أن يتقنه »[9] .

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ قال يارسول الله أوصنى ، قال «أخلص دينك يكفيك العمل القليل »[10]

وقال ـ عليه الصلاة والسلام : « طوبى للمخلصين الذين إذا حضروا لم يُعْرَفوا ، وإذا غابوا لم يُفتقدوا أولئك هم مصابيح الهدى تنجلى بهم كل فتنة ظلماء »[11] .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام .. **من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان »**[12] .

قال رسول الله ﷺ : « **إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وعملكم »**[13] ومعنى النظر هنا : الإحسان والرحمة والعطف ، أى لا ينظر إلى حسن صوركم وكثرة أموالكم الخالية من الخيرات ، وخص القلوب بالذكر لأنها محل النية والتقوى : اللذان يقوم عليهما الإخلاص .

ولا مخلص للمسلمين مما بهم من الشدائد ولا منقذ لهم من الضيق والتفرق ؛ إلا بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والتمسك بأخلاق الإسلام ، وأهمها : الإخلاص ، فعليهم أن يجددوا العزم ويصدقوا النية مع الله .. قال رسول الله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله . فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه »**[14] .

ويؤخذ من الحديث :

١ ـ أهمية الإخلاص في العقيدة والقول والعمل والجهاد .

٢ ـ نصيحة النبى ﷺ لأمته وحرصه عليها .

٣ ـ أن من مات مطبق لهذا الحديث المذكور أول الباب مات والله راض عنه فيدخله الجنة لطاعته .

(٩) البيهقى .
(١٠) البخارى ومسلم .
(١١) أخرجه الحاكم .
(١٢) البيهقى .
(١٣) الترمذى .
(١٤) مسلم عن أبى هريرة .

قبس من أنوار النبوة

لقد آتيت البينات

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن عمرو بن مرة قال : سمعت عبدالله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال يهودى لصاحبه :

اذهب بنا إلى هذا النبى [صلى الله عليه وسلم][(1)] نسأله عن هذه الآية ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ فقال : لاتقل له : نبى ، فإنه لو سمعك لصارت له أربع أعين . قال : فسألاه .

وفى سنن الترمذى :

فأتيا النبى فسألاه ـ فقال النبى ﷺ « لاتشركوا بالله شيئا ، ولاتسرقوا ، ولاتزنوا ، ولاتقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ولاتسحروا ، ولاتأكلوا الربا ، ولاتمشوا ببرىء إلى ذى سلطان فيقتله ، ولاتقذفوا محصنة ، وأنتم يايهود عليكم خاصة ألا تعْدُوا فى السبت » فقبلا يده ورجله .

وفى الترمذى : يديه ورجليه .

وقالا : « نشهد أنك نبى . فقال : مامنعكما أن تسلما » قالا : إن داود ـ عليه السلام ـ دعا أن لايزال من ذريته نبى ، وإنا نخشى إن أسلمنا أن تقتلنا يهود .

رواه الحاكم وقال ـ حديث صحيح .وقال الذهبى: لا نعرف له علة بوجه من الوجوه والترمذى وقال حسن صحيح ، والنسائى وابن ماجه وغيرهم .

تفسير الآيات التسع

جاء فى « أحكام القرآن » لابن العربى . فى تفسير الآيات ـ التسع التى أعطاها الله عز وجل ـ لموسى عليه السلام ـ خمسة أقوال :

١ ـ قال ابن عباس : هى : يده ، وعصاه ، ولسانه ، والبحر ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم .

٢ ـ أنها : الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والبحر ، وعصاه ، والطمسة ، والحجر . قاله محمد بن كعب لعمر ابن عبدالعزيز فقال له عمر : ماالطمسة قال قوله ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ (٨٨ يونس) .

(1) ليست من كلام اليهوديين .

٣ ـ روى ابن وهب عن مالك هى : الحجر ، والعصا ، واليد ، والطوفان : والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والطود .

وقال مالك : الطوفان : الماء .

٤ ـ روى مطرف عن مالك هى ، الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، والعصا ، واليد ، والبحر ، والجبل فى أقوال كثيرة .

رواية أخرى للحديث :

روى الترمذى وغيره : عن صفوان بن عسال المرادى : أن يهوديين سألا النبى ﷺ عن التسع الآيات فقال : هى ألا تشركوا بالله شيئا ، ولاتسرقوا ، ولاتزنوا ، ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ، ولاتمشوا ببرىء إلى ذى سلطان ليقتله ، ولاتسحروا ، ولاتقذفوا المحصنات ولاتولوا الأدبار عند الزحف ، وعليكم خاصة يهود : ﴿ **ألا تعدوا فى السبت** ﴾ فقبلا يديه ورجليه ، وقالا : نشهد أنك نبى : فقال : ومايمنعكما أن تتبعانى ؟ فقالا : «إن داود دعا ألا يزال من ذريته نبى ، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود» .

وبعد فليس بعد الشرك ذنب ؛ فإنه الكفر بعينه ، إذ من «الموبقات» أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، وتشرك معه مالا يملك لك رزقا ، ولا خلقاً ولاضرا ولانفعا ، قال : ـ تعالى :

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ﴾ (يونس) .

فعن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ، قال كنت ردف النبى ﷺ أى يركب خلفه ـ على حمار فقال : «يامعاذ هل تدرى ماحق الله على عباده وماحق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولايشركوا به . وحق العباد على الله ألا يعذب من لايشرك به شيئا» (متفق عليه) .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾

(النساء/ ١١٦) .

٢ ـ ولاتسرقوا : والسرقة : أخذ مال الغير خفية من حرز مثله وللسرقة عقوبتها المقررة فى الإسلام ـ قال تعالى :

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

المائدة ٣٨

والسرقة من العادات السيئة التى إذا فعلها المرء مرة تشوق إليها أخرى . ولهذا قال رسول الله ﷺ «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده» رواه أحمد وغيره والمراد : أنه إذ أخذ القليل ابتداء أخذ بعده النصاب الذى تقطع فيه يده وهو ربع دينار من الذهب أو مايساويه : ومن الفضة ثلاثة دراهم أو مايساويها .

ولقد حاول بعض الدعاة للغرب أن يرد عقوبة الإسلام فى السرقة ، إما برفض قطع يد السارق ومااليها من أحكام ، أو بتوجيه القطع إلى المجاز بأن اعتبر سجن السارق قطع ليده عن السرقة بسبب وجوده داخل جدران السجن .

ولقد نسى هذا وأمثاله أن القانون هنا غير رادع ؛ بل هو ناشر للجريمة على أكبر نطاق من جهة عن طريق تعليم السارق غيره كيفية السرقة ، ومن جهة أخرى بممارسته لها بعد خروجه ، ثم إن إيواء السارق مدة حبسه كائنة على أموال الأمة التي سرق أحد أبنائها .

وأيا كان الأمر ، فإن هذا الداعي وأمثاله لو سرقوا مرة ، وحرموا من أموالهم وواجهوا المصاعب التي يكابدها المعتدى عليهم لأقروا لله – تعالى – بالفضل والعرفان .

٣ – «ولاتزنوا» فالزنا الفاحشة الكبرى ، لا يأتيها الزاني وهو مؤمن ، ولقد تهاون الغرب في أمرها ، وعدها من صميم الحرية الشخصية ، وأباح القانون في الغرب كل مايتعلق بأمرها .. وكانت النتيجة ماحدثنا عنه الرسول ﷺ

والإيدز : وغيره من الأمراض كان نتيجة مباشرة لهذه الفاحشة ، ولازال يطوف الأرض ، ويلقى بضحاياه الذين تمردوا على أحكام الله – عز وجل .

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) ﴾ (الإسراء)

والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم

٤ – ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ وقتل النفس بغير حق جريمة منكرة ، لايقرها شرع ، ولا يقبلها وضع ، تنشر الخوف وترفع الأمن ، وتقطع روابط الإخاء . فيها اعتداء على بنية الله وقد توعد الإسلام فاعلها بالعذاب الشديد : قال تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣) ﴾ (النساء)

قال الله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة ٣٢)

وعن البراء من عازب أن رسول الله ﷺ قال : «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق» رواه ابن ماجه وغيره .

وفي رواية البيهقي : «لزوال الدنيا جميعاً أهون على الله من دم سفك بغير حق» وزاد الأصفهاني : «ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه اشتركوا في دم مؤمن لأدخلهم الله النار» .

وقال ﷺ : «لا يحل دم مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة» رواه البخاري ومسلم .

٥ – «ولاتسحروا» وفي السحر استعانة بالأرواح الخبيثة على الإفساد أو تخييل العقل أو التفرقة بين الزوجين أو غير ذلك مما يباشره شياطين الإنس مستعينين على فعله بمردة من شياطين الجن ، وهو من أكبر الكبائر . وقد يؤدي إلى قتل النفس .

قال القرطبي : واختلف الفقهاء في حكم الساحر ، فذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفرا يقتل ولا يستتاب وهو قول أحمد بن حنبل ، وأبي ثور ، وإسحاق والشافعي وأبي حنيفة ، وروى قتل الساحر عن عمر وعثمان وغيرهما ، وعن سبعة من التابعين روى الترمذي عن الحسن مرسلا : عن النبي

ﷺ : حد الساحر ضربه بالسيف .

وقد أمرت أم المؤمنين حفصة بقتل ساحرة .

قال القرطبي : واختلفوا هل يسأل الساحر حل السحر عن المسحور فأجازه سعيد بن المسيب على ماذكره البخاري : وكرهه الحسن البصري ..

٦ ـ « ولاتأكلوا الربا » فإنه أشد المعاصي ، يفوق كل الخطايا ـ فيما عدا الكفر بالله ـ عز وجل ـ والعياذ بالله .. وباتجاه الربا إلى جانب استغلال الفقر ومآسي الفقراء كان رذيلة لاتفوقها رذيلة .. وتتسع جوانب الربا الأخرى حتى اخترع لها مايسمى عملية (خلق النقود) وهذه العملية صور شتى في معاملات البنوك الربوية يتشعب فيها الكسب الحرام إلى فروع عديدة لأصل واحد فقط ، وكلها تناقض ما في الإسلام من رحمة وتعاون ، وحسبك رذيلة يعلن فيها المولى عز وجل ـ ورسوله ﷺ الحرب على فاعلها ، ثم يمحق الله تعالى ـ ماله كله ـ قال ـ تعالى :

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي الصَّدَقَٰتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ البقرة ٢٧٦

٧ ـ « ولاتمشوا ببرىء إلى ذى سلطان فيقتله » . إن إلصاق التهم بالأبرياء ـ وإن صغرت ـ كبيرة ، فكيف بها إذا حيكت لبرىء لتقضى عليه ، جاء في القرآن الكريم قوله ـ عز وجل :

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾

ولايزال المسلم في فسحة من دينه حتى يصيب وما حراماً فإن أصابه فقد أقصى نفسه عن رحمة الله .. ولو كان السبب في الإطاحة ببرىء كلمة أو جزء كلمة .

٨ ـ « والتولى يوم الزحف ـ أو قذف المحصنات » .

وكلاهما من الكبائر . فقد أمد الله المؤمنين بالثبات عند لقاء الذين كفروا وألايولوهم الأدبار . قال تعالى : ﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ الأنفال/ ١٦

وقذف المحصنات من صفات أهل الكبائر . وهم الذين يرمون العفائف من حرائر المسلمين بالزنى . فحدهم الجلد ثمانين جلدة وذلك لأنهم خالفوا أمر الله وخرجوا عن طاعته فقسقوا فيها .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَٰتِ الْغَٰفِلَٰتِ الْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ سورة النور/ ٢٣

٩ ـ « وأنتم يايهود عليكم خاصة ألا تعدوا في السبت » : عليكم يايهود ألا تجاوزا حدود الله في اليوم الذى أمركم الله ـ سبحانه ـ بتعظيمه وهو يوم السبت في تعدوا فيه ولاتباشروا فيه العمل .

قال الله ـ عز وجل :

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ سورة الأعراف

أغراهم وجود الحيتان على وجه الماء يوم السبت .. فتركوا التوقف عن العمل وانتهكوا حرمات الله وهذه هي الآيات التسع التى أوتيها موسى عليه السلام والتى أخبر بها رسول الله ﷺ الرجلين ، فصدقاه وقبلا يديه ورجليه .

المدونة الكبرى

في الفقه المالكي

الجزء الأخير

للأستاذ د. محمود عبد المتجلي خليفة (*)

كتاب الإيلاء :

قلت لعبدالرحمن بن القاسم ، أرأيت إن حلف أن لا يطأ امرأته أربعة أشهر أيكون مؤليا في قول مالك ؟ .

قال : لا . قلت فإن زاد على الأربعة الأشهر ؟ قال يكون مؤليا قلت : أرأيت إن حلف أن لا يغتسل من امرأته من جنابة أيكون مؤليا ؟ قال : نعم يكون مؤليا لأن هذا لا يقدر على الجماع إلا بكفارة .

كتاب المواريث : في الشهادة على الميراث

قلت : أرأيت إن شهد قوم على رجل ميت أن فلانا ابنه وهو وارثه لا يعلمون له وارثا غيره أيقضى له بالمال في قول مالك أم لا يقضى له بالمال حتى يشهدوا على البتات أنه لا وارث له غيره ؟.

قال : إذا شهدوا أنه ابنه لا يعلمون له وارثا غيره قضى له بالمال وهو قول مالك .

في ميراث المسلم والنصراني :

قلت : أرأيت إن مات رجل من المسلمين وبعض ورثته نصارى فأسلموا قبل قسم الميراث أو كان جميع ورثته نصارى فأسلموا بعد موته قبل أن يؤخذ ماله ؟

قال : قال مالك : إنما يجب الميراث لمن كان مسلما يوم موته ، ومن أسلم بعد موته فلا حق له في الميراث .

(*) عضو لجنة الفتوى بالأزهر .

قال ، فقيل لمالك : فإن مات نصراني وورثته نصارى فأسلموا قبل أن يقسم ماله ، علام يقتسمون ماله ، أعلى وراثة الإسلام أم على وراثة النصارى ؟ قال : بل على وراثة النصارى التى وجبت لهم يوم موت صاحبهم .

كتاب الصرف :

التأخير والنظرة فى الصرف :

قلت : أرأيت إن اشتريت حليا مصوغا فنقدت بعض ثمنه ولم أنقد بعضه ـ أى الباقى ـ أتفسد الصفقة كلها ويبطل البيع بيننا ؟

قال : نعم ، وهو عند مالك صرف .

قلت : أرأيت لو أن لرجل علىّ مائة دينار ذهبا فقلت : بعنى المائة دينار التى لك على بألف درهم ففعل ، فدفعت إليه تسعمائة درهم ، فارقته قبل أن أدفع إليه المائة الباقية ؟ .

قال قال مالك : لا يصلح ذلك وترد الدراهم وتكون الدنانير عليه كلها ، ولو قبض الدراهم كلها كان ذلك جائزا .

التأخير فى صرف الفلوس :

قلت : أرأيت إن اشتريت فلوسا[1] بدراهم فافترقنا قبل أن نتقابض ؟

قال : لا يصلح هذا فى قول مالك ، وهذا فاسد . قال لى مالك فى الفلوس : لا خير فيها نظرة ـ أى تأخيرا ـ بالذهب ولا بالوَرِق ـ أى الفضة ، ولو أن الناس أجازوا بينهم الجلود حتى تكون لها سِكّة وعين لكرهتها أن تباع بالذهب والورق نظرة .

فى بيع السيف المفضض بالفضة إلى أجل :

قلت : أرأيت السيف المحلى تكون حليته فضة الثلث فأدنى ، أيكون لى أن أبيعه بدراهم نسيئة ؟ .

قال : لا يجوز عند مالك أن تبيعه بنسيئة لا بذهب ولا بورق إذا كان فيه من الذهب أو الفضة شىء قليل أو كثير .

كتاب السلم الأول

التسليف فى تمر قرية بعينها :

قلت : أرأيت إن أسلفت فى تمر قرية بعينها أو فى حنطة قرية بعينها ؟

قال : قال مالك من سلف فى تمر هذه القرى العظام مثل : خيبر ووادى القرى ، فلا بأس أن يسلف قبل إبان الثمر ، ويشترط أن يأخذ ذلك تمرا فى أى (الإبان) شاء ، ويشترط أن يأخذ ذلك رطبا فى إبان الرطب أو بسراً فى إبان البسر .

---

(١) الفلس : أقل العملات قيمة وجمعه فلوس .

السلف ـ أى السلمة فى السلعة فى غير إبانها تقبض فى إبانها

قلت : أرأيت إن سلف رجل فى بطيخ أو فى الرطب أو فى القثاء أو التفاح أو ما أشبه هذه الأشياء مما ينقطع من أيدى الناس ، سلف فى ذلك فى غير إبانه ، فاشترط الأخذ فى إبانه ؟

قال : قال مالك : ذلك جائز ، قلت : فإن سلفت فى إبانه واشترطت الأخذ فى غير إبانه قال : لا يجوز .

كتاب السلم الثانى

فى الرجل يسلف ببلد ويشترط أن يقضى بآخر

قلت : أرأيت إن أسلمت إلى رجل فى طعام ، وشرطت عليه أن يوفينى ذلك ببلد من البلدان فلما حل الأجل قال لى : خذ الطعام منى ببلد أخرى ، وخذ منى الكراء إلى البلد الذى شرطت أنك أن أقضيكه فيه ؟

قال : قال مالك : لا يصلح ذلك ، لأن البلدان بمنزلة الآجال .

كتاب السلم الثالث :

فى الرجل يسلف فى ثياب موصوفه إلى أجل ، فلما حل الأجل استقاله فأقاله من النصف على أن يأخذ النصف الآخر .

قلت : أرأيت لو أنى أسلمت دراهم فى ثياب موصوفة إلى أجل ، فلما حل الأجل أقلته من نصفها على أن تأخذ النصف الآخر ، أيجوز ذلك ؟

قال : لا يجوز هذا فى قول مالك ، لأن هذا يصير فضة نقدا بفضة وثياب إلى أجل ، فلا يجوز ذلك .

فى بيع الشاة بالطعام إلى أجل :

قلت : أرأيت إن اشتريت شاة أريد ذبحها بطعام موصوف إلى أجل ، أيجوز ذلك فى قول مالك أم لا ؟

قال : إن كانت الشاة حية صحيحة مثلها يقتنى ليس شاة لحم فلا بأس به ، وإن كانت شاة لحم فلا خير فيه إلى أجل ، وكذلك قال لى مالك .

هدية المديان :

قلت : ما يقول مالك فى رجل له على رجل دين ، أيصلح له أن يقبل منه هديته ؟

قال : قال مالك : لا يصلح أن يقبل منه هديته ، إلا أن يكون رجلا كان ذلك بينهما معروفا وهو يعلم أن هديته ليست لمكان دينه فلا بأس بذلك .

كتاب البيوع الفاسدة :

فى الرجل يبتاع بقيمتها أو بحكمهما أو بحكم غيرهما .

قلت : أرأيت إن اشتريت سلعة بقيمتها ، أو بحكمي ، أو بحكم البائع ، أو برضاى أو برضا البائع أو برضا غيرنا ، أو بحكم غيرنا ؟

قال : لا يجوز عند مالك .

كتاب المرابحة :

ما يحسب فى المرابحة وما لا يحسب :

وقال مالك فى البر ـ أى القمح ـ يشترى فى بلد فيحمل إلى بلد آخر .

قال : أرى أن لا يحمل عليه ـ أى لا يضاف إلى ثمنه ليحسب عليه الربح ـ أجر السماسرة ولا النفقة ولا أجر الشد ، ولا أجر الطىّ ولا كراء بيت ، فأما كراء الحمولة فإنه يحسب فى أصل الثمن ، ولا يجعل لكراء الحمولة ربح .

فى الرجل يبيع السلعة بعرض أو طعام فيبيعها مرابحة :

قلت : أرأيت من اشترى سلعة بعرض من العروض ، أو يبيع تلك السلعة مرابحة فى قول مالك ؟

قال : قال مالك : لا يبيعها مرابحة إلا أن يبين . قلت : فإن بين أيجوز ؟ قال : نعم ويكون على المشترى مثل تلك السلعة فى صفتها ، ويكون عليه ما سمّياً من الربح .

كتاب الغرر

قلت : أرأيت إن اشترى ثيابا مطوية ولم ينشرها ولم توصف له ، أيكون هذا بيعا فاسدا فى قول مالك ، لأنه لم ينشر الثياب ، ولم توصف له ؟

قال : نعم ، هو فاسد فى قول مالك .

فى الرجل يشترى طريقا فى دار رجل :

قلت : أرأيت أن اشتريت طريقا فى دار رجل ، أيجوز ذلك فى قول مالك ؟ قال : نعم ، قلت : وكذلك أن لو باعه موضع جذوع له من حائط يجعل عليه جذوعا له ؟

قال : نعم هذا أيضاً قوله ، إذا وصف الجذوع التى تحمل على الحائط .

كتاب الوكالات

أخبرنا سحنون بن سعيد قال : قلت ـ لابن القاسم : أرأيت لو أن رجلا أمر رجلا يشترى له سلعة من السلع ولم يدفع إليه ثمنها أو دفع إليه ثمنها فمات الآمر ثم اشتراها ـ وهو لا يعلم بموت الآمر ـ واشتراها ثم مات الآمر ؟

قال : ذلك كله لازم لورثته كلهم ، فإن اشتراها ، وهو يعلم بموت الآمر ، لم يلزم ذلك الورثة ، وكان ضامنا للثمن ، لأن مالكا سئل عن الرجل يوكل الرجل بالبلد يجهز إليه المتاع فيبيع له ويشترى ، وقد مات صاحب المتاع .

فقال : أما ما باع واشترى قبل أن يعلم بموت الآمر فذلك جائز على الورثة ، وأما ما اشترى وباع بعد أن يعلم فلا يجوز ذلك ، فمسألتك مثل هذا لأن وكالته قد انفسخت .

كتاب العرايا

قلت ـ لابن القاسم : صف لى العرايا ما هى ؟ وفى أى الثمار هى ؟ ولمن يجوز له بيعها إذا أعريها ؟

قال : قال مالك : العرايا فى النخل وفى جميع الثمار كلها مما ييبس ويدخر مثل العنب والتين والجوز واللوز وما أشبه مما ييبس ويدخر ، يهب صاحبها ثمرتها للرجل ، ثم يبدو لصاحبها الذى أعراها أن يبتاعها من الذى أعريها ـ والثمر فى رءوس النخل بعد ما طابت أنها تحل لصاحبها الذى أعراها أن يشتريها بالدنانير والدراهم وإن كانت أكثر من خمسة أوسق ، ويشتريها بالطعام الذى هو من غير صنفها إذا جدها ـ أى قطعها ـ مكانه أو بالعروض نقدا أو إلى أجل ، ويبتاعها بخرصها ـ وهو التخمين بمقدار ما فيها من تمر ـ بصنفها إلى جدادها إذا كانت خمسة أوسق فأدنى ، وإن كانت أكثر من خمسة أوسق لم يصلح بيعها بتمر إلى الجداد ، ولا يصلح بتمر نقدا ، ولا ينبغى له أن يبتاعها بشىء من الطعام مخالف لها إلى أجل .

فى زكاة العرايا وسقيها

قلت : زكاة العرايا على من هى ؟ قال :

قال لى مالك : هى على الذى أعراها ، وهو رب الحائط ، وليس على الذى أعريها شىء . وقال مالك : السقى على رب المال .

كتاب التدليس بالعيوب

فيمن اشترى دارا أو حيوانا فأصاب بها عيبا :

قال ابن القاسم : سئل مالك عن الرجل يشترى الدار وبها صدع فقال : إن كان صدعا يخاف على الدار الهدم منه فإن هذا عيب ترد به ، وإن كان صدعا لا يخاف على الدار منه فلا أرى أن ترد منه ، لأنه قد يكون فى الحائط الصدع ، فيمكث الحائط وبه ذلك الصدع زمانا طويلا ، فلا أرى هذا عيبا ترد الدار منه .

فى الرجل يبيع السلعة ويدلس فيها بالعيب وقد علمه

قلت : أرأيت إن بعت ثوبا من رجل دلست له بعيب وأنا أعلم ، أو كان به عيب لم أعلم به ؟

قال : قال مالك : إذا دلس بالعيب ـ أى أخفاه ـ ثم أحدث المشترى فى الثوب صبغا ينقص الثوب أو قميصا أو ما أشبه ذلك ، فإن المشترى بالخيار إن شاء حبس الثوب ورجع على البائع بما بين الصحة والداء ، وإن شاء رد الثوب ولا شىء عليه ، وإن كان الصبغ قد زاد فى الثوب ، فإن شاء حبس الثوب ، ويرجع على البائع بما بين الصحة والداء ، وإن شاء ردَّ الثوب ، وكان شريكا للبائع بما زاد الصبغ فى الثوب .

كتاب الصلح :

الدعوى فى الصلح على دم عمد وأنكر صاحبه !

قلت : أرأيت لو أن لى على رجل دم عمد ، أو جراحات فيها قصاص ، وادعيت أنى صالحته منها على مال ، فأنكر ذلك وقال : ما صالحتك على شيء ؟

قال : ما سمعت من مالك فيه شيئا إلا أن الذى أرى على ما قال مالك فى الطلاق لى أنه لا يُقْتَصُّ منه ، وله عليه باليمين .

كتاب تضمين الصناع

القضاء فى تضمين الصناع :

قلت : أرأيت لو أنى دفعت إلى قصار ثوبا ـ هو مثل من يكوى الثياب ـ ليغسله لى فغسله ، أو دفعت إلى خياط ثوبا ليخيطه لى ففعل ، ثم ضاع بعد ما فرغ من العمل فأردت أن أضمنه ـ فى قول مالك ـ كيف أضمنه ؟ أقيمته يوم قبضه ، أم أدفع إليه أجره وأضمنه قيمته يوم فرغ منه ؟

قال : سألت مالكا ـ أو سمعت مالكا يُسأل عن الرجل يدفع إلى القصار الثوب فيفرغ من عمله ، وقد أحرقه أو أفسده ، ماذا على العامل ؟ قال : قيمته يوم دفعه إليه ، ولا ينظر إلى ما ابتاعه به صاحبه غاليا كان أو رخيصا .

كتاب الجعل والإجارة :

قال عبدالرحمن بن القاسم : قال مالك بن أنس فيمن باع سلعة من رجل بثمن على أن يتجر له فى ثمنها سنة قال مالك : أن كان اشترط إن تلف المال أخلفه له البائع حتى يتم عمله بهما سنه فلا بأس بذلك ، وإلا فلا خير فيه وفسخ ، وهذا يشبه الذى يستأجر رجلا ليرعى له غنمه هذه بأعيانها ، فهو إن لم يشترط أن ما مات منها فعلى رب الغنم خلفها ، فلا خير فى هذه الإجارة .

فى إجارة المصحف :

قلت : أرأيت المصحف هل يصلح أن يستأجره الرجل يقرأ فيه ؟ قال : لا بأس بذلك قلت : لم جوزه مالك ؟ قال : لأن مالكا قال : لا بأس ببيع المصحف ، فلما جوز مالك بيعه جازت فيه الإجارة .

عن ربيعة بن أبى عبدالرحمن أنه قال : لا بأس ببيع المصحف ، إنما يبيع الورق والحبر والعمل .

باب فى إجارة الخمر

قلت : أرأيت مسلما آجر نفسه من نصرانى يحمل له خمراً على دابته ، أو على نفسه أيكون له من الأجر شيء أم تكون له إجارة مثله ؟

قال : قال مالك : لا تصلح هذه الإجارة ، ولا أرى أنا له من الإجارة التى سمى ولا من إجارة مثله قليلا ولا كثيرا ، لأن مالكا قال فى الرجل المسلم يبيع خمرا ، قال مالك : لا أرى أن يعطى من ثمنها قليلا ولا كثيرا ، فالكراء عندى بهذه المنزلة ، لا أرى أن يعطى من الإجارة لا قليلا ولا كثيرا .

في جُعل السمسار :

قلت : أرأيت هل يجوز أجر السمسار في قول مالك ؟

قال : نعم ، سألت مالكا عن البزاز ـ تاجر القماش ـ يدفع إليه الرجل المال يشترى له به بزا ، ويجعل له في كل مائة يشترى له بها بزا ثلاثة دنانير . فقال : لا بأس بذلك ، وهذا من الجعل .

كتاب كراء الدور والأرضية

في اكتراء الحمام والحوانيت

قلت : أكان مالك يكره إجارة الحمام أم لا ؟

قال قال مالك : لا بأس بكراء الحمامات .

كتاب المساقاة

قلت ـ لعبدالرحمن بن القاسم : أرأيت إن أخذت نخلا مساقاة على أن لى جميع ما أخرج الله منها ؟

قال : قال مالك : لا بأس بذلك .

قلت : لِمَ أجازه مالك ؟ قال : لأنه بمنزلة المال يدفعه إليك مقارضة على أن لك ربحه ، ولأنه إذا جاز له أن يترك نصف الثمرة بعملك في الحائط ، جاز أن يترك لك الثمرة كلها .

كتاب الجوائح

ما جاء في جائحة المقائىء

قلت لعبدالرحمن بن القاسم أرأيت المقائىء ـ أى مزارع الخضر ـ هل فيها جائحة في قول مالك ؟

قال : نعم إذا أصابت الثلث فصاعدا ، وضع عن المشترى ما أصابه من الجائحة .

كتاب الشركة :

في الصناع يشتركون على أن يعملوا في حانوت واحد ، وبعضهم أعمل من صاحبه .

قلت : أرأيت الصباغين أو الخياطين إذا اشتركوا على أن يعملوا في حانوت واحد ، وبعضهم أفضل عملا من بعض أتجوز الشركة بينهم ؟ قال : قال مالك : إذا اشتركوا على أن يعملوا في حانوت واحد ، فالشركة جائزة .

قال ابن القاسم : والناس في الأعمال لابد أن يكون بعضهم أفضل عملا من بعض .

كتاب القراض :

القراض بالدنانير والدراهم والفلوس

قال سحنون : قال ابن القاسم : قال مالك : لا تصلح المقارضة إلا بالدنانير والدراهم قلت : فهل تصلح بالفلوس ؟

قال : ما سمعت فيه شيئا ولا أراه جائزا ، لأنها تحول إلى الكساد والفساد فلا تنفق ، وليست الفلوس عند مالك بالسكة البينة ، حتى تكون عينا بمنزلة الدنانير والدراهم .

كتاب الأقضية :

قلت لابن القاسم : ما قول مالك في الخصمين إذا أتيا إلى القاضي ، فتبين للقاضي الحق لأحدهما فأراد أن يحكم على الذى اتضح الحق عليه ؟

قال : سمعت مالكا وهو يقول : من وجه الحكم في القضاء إذا أدلى الخصمان بحجتهما وفهم القاضي عنهما ، فأراد أن يحكم القاضي بينهما أن يقول لهما : أبقيت لكما حجة ؟ فإن قالا : لا ، فصل بينهما وأوقع الحكم ، فإن أتيا ـ بعد ذلك يريدان نقض ذلك لم يقبل منهما إلا أن يأتيا بأمر يرى أن لذلك وجها .

قلت : ما معنى قول مالك : يرى لذلك وجها ؟

قال : معناه أنه إذا أتى بشاهد عند من لا يرى الشاهد واليمين ، وقال الخصم : لا أعلم لى شاهدا آخر فوجه القاضي عليه الحكم ثم قدر على شاهد آخر بعد ذلك أنه يقضى بهذا الشاهد الآخر ، وما أشبه هذا مما قال مالك : يعرف به وجه حجته .

كتاب الشهادات :

في شهادة المغنى والمغنية والنائحة والشاعر :

قلت : أرأيت شهادة المغنى والمغنية والنائحة والشاعر أتقبل ؟ قال : سألت مالكا عن الشاعر : أتقبل شهادته ؟ قال : إن كان ممن يؤذى الناس بلسانه ويهجوهم إذا لم يعطوه ويمدحهم إذا أعطوه فلا أرى أن تقبل شهادته ، فأما النائحة والمغنية والمغنى فما سمعت فيه شيئا إلا أنى أرى أن لا تقبل شهادتهم إذا كانوا معروفين بذلك .

كتاب الدعوى :

في المرأة تدعى أن زوجها طلقها ولا تقيم شاهدا : أتحلف على ذلك أم لا ؟

قال مالك : لا يحلف لها إلا أن تقيم المرأة شاهدا واحدا . قلت فإن لم يكن لها شاهد أتحلفه له ؟

قال : نعم .

كتاب التفليس :

في الرجل يقوم عليه بعض غرمائه بتفليسه

قلت لابن القاسم : أرأيت إن كان لرجل على رجل دين فقام عليه فأراد أن يفلسه .

قال : ذلك له عند مالك .

قلت : فإن قال الذى عليه الدين : أن على أموالا لقوم غيب قال : لا يصدق إذا لم يكن أقر بذلك قبل التفليس .

كتاب الكفالة والحمالة :

ما جاء في الحميل بالوجه يغرم المال :

قلت لابن القاسم : أرأيت إن تكفل رجل بوجه رجل - أي باحضاره - إيكون هذا كفيلا بالمال في قول مالك أم لا ؟

قال قال مالك : من تكفل بوجه رجل إلى رجل فإن لم يأت به غرم .

كتاب الحوالة :

في الرجل الذى يحال بحقه على رجل فيموت المحال عليه ؟

قلت : أرأيت الحوالة ، أيكون للذى احتال بحقه على رجل إن ما شاهدوا المحال عليه فلم يجد عنده شيئا أيكون للذى له الحق أن يرجع على الذى أحاله بحقه أم لا في قول مالك ؟

قال : قال مالك : إن كانت إحالة الذى أحاله وله على المحال عليه دين ولم يغره من فلس ، فلا يرجع عليه .

قال : قال مالك : وإن كان غره ، أو لم يكن له عليه شيء ، فإنه يرجع على من أحاله إذا أحاله وليس له على الذى أحال عليه دين ، فإنما هي حمالة .

كتاب الرهن

في الرهن يجوز غير مقسوم

قال سحنون : قلت لابن القاسم : ما قول مالك في الرهن ، أيجوز غير مقسوم أم لا يجوز إلا مقبوضا ؟

قال : نعم يجوز غير مقسوم إذا قبضه صاحبه وحازه مع من له فيه شرك ، وكان يكريه ويليه مع من له فيه شرك فهو جائز ، وإن كان غير مقسوم ، وهذا قول مالك .

كتاب الغصب :

قلت لابن القاسم : أرأيت لو أني كسرت صحفة لرجل كسرا فاسدا صيرتها فلقتين ، أو كسرتها كسراً غير مفسد ، أو كسرت له عصا ، أو شققت له ثوبا ؟

قال قال مالك : في رجل أفسد ثوبا لرجل : إن كان الفساد يسيراً ، رأيت أن يرفوه ، ثم يغرم ما نقصه بعد الرفو ، وإن كان الفساد كثيرا ، فإنه يأخذ الثوب ويغرم قيمته يوم أفسده لرب الثوب وكذا المتاع مثل ما قال مالك في الثوب فكل الذى سألته عنه هو عندى على مثل هذا المحمل .

كتاب الاستحقاق

في الرجل يكرى الدار فيستحق الرجل بعضها أو بيتا منها

قلت : أرأيت إن اكتريت دارا فاستحق بعضها أو بيت منها ؟

قال : قال مالك : في رجل ابتاع دارا فاستُحِقّ بيت منها أو بعضها : قال : إن كان البيت الذى استحق منها هو أيسر الدار شأناً فأرى أن يلزم البيع ، ويرد من الثمن مبلغ قيمة ذلك البيت من

الثمن ، وإن كان الذى استحق منها نصفها أو جلها فإن أحب أن يردها كلها ردها وأخذ الثمن كان ذلك له ، وإن أحب أن يماسك بما لم يُسْتَحَقّ منها على قدر قيمته من الثمن فذلك له .

كتاب الشفعة :

باب تشافع أهل الذمة :

قلت ـ لعبدالرحمن بن القاسم : هل لأهل الذمة شفعة فى قول مالك ؟

قال : سألت مالكا عن المسلم والنصرانى تكون بينهما الدار فيبيع المسلم نصيبه ، هل للنصرانى فيه شفعة ؟ قال : نعم ، أرى ذلك له ، مثل ما لو كان شريكه مسلما .

كتاب القسمة

جاء فى بيع الميراث

قلت ـ لعبدالرحمن بن القاسم : أرأيت لو أنى بعت مورثى من هذه الدار ، ولم أُسَمِّ ما هو : أخمس أم ربع أم عشر أم نصف ، أيجوز هذا البيع ؟ قال : لا خير فى هذا البيع عند مالك .

كتاب الوصايا :

فى الرجل يوصى للرجل بعشر شياه من غنمه فتهلك غنمه إلا عشرة

قلت : فإن أوصى له بعشرة من هذه الغنم وهى مائة شاة ، فهلكت كلها إلا عشرة منها ، والثلث يحمل هذه العشرة . قال : فله العشرة كلها عند مالك قلت : فإن كانت هذه العشرة تعدل نصف الغنم لأنها أفضل الغنم ، أيعطيه إياها إذا كان الثلث يحملها ؟ قال : نعم .

كتاب الهبات :

فى الرجل يهب حنطة فيعوض عنها حنطة أو تمرا .

قلت : أرأيت لو أن رجلا وهب لى حنطة فعوضته منها بعد ذلك حنطة ، أو تمرا ، أو شيئا مما يؤكل ، أو يشرب ، مما يكال أو يوزن ؟

قال : لا خير فى ذلك ، لأن مالكا قال فى الهبة : إذا كانت حليا فلا يعوضه منها إلا عرضا ، فهذا يدلك على أن مالكا لا يجوز فى عوض الطعام طعاما . قلت : فإن عوضه قبل أن يتفرقا ؟ قال : لا بأس بذلك ، لأن الهبة بيع من البيوع فيعوضه مثل طعامه فى صفته وجودته .

كتاب الحبس والصدقة :

فى الحبس فى سبيل الله ـ تعالى .

قال سحنون : قلت لابن القاسم : أرأيت إن حبس ـ أى وقف الرجل فى سبيل الله فأى سبيل يكون هذا ؟

قال : قال مالك : سبيل الله كثيرة ، ولكن من حبس شيئا فى سبيل الله فإنما هو فى الغزو .

كتاب الوديعة :

فيمن خلط دراهم فضاعت :

قلت : أرأيت الدراهم إذا خلطها فضاع بعضها ، أيكون الضياع منهما جميعا ويكونا شريكين فيما بقى بقدر ما لهذا فيها ؟ قال : نعم إذا كان لا يقدر على أن يميز دراهم هذا من هذا .

وها هى ذى الكتب الباقية من المدونة مع ترك ذكر نماذج منها

كتاب حريم الآبار ـ كتاب الحدود فى الزنا والقذف ـ كتاب الرجم ـ كتاب الأشربة .

كتاب السرقة ـ فيمن سرق مصحفا أو شيئا من الطعام والفواكة :

قلت : أرأيت إذا سرق مصحفا .

قال يقطع .

قلت : أرأيت الطعام الطبيخ واللحم والقثاء وما أشبهه من الطعام الذى لا يبقى ؟

قال : يقطع إذا بلغ ربع دينار فى قيمته .

كتاب المحاربين ـ كتاب الجراحات ـ كتاب الجنايات ـ كتاب الديات .

ما جاء فى الفارسين يصطدمان أو السفينتين :

قلت : أرأيت إذا اصطدم فارسان فقتل كل واحد منهما صاحبه ؟ قال : قال مالك : عقل ـ أى دية ـ كل واحد منهما على قبيلة صاحبه وقيمة فرس كل منهما فى مال صاحبه .

قلت : أرأيت إن كانت سفينتان صدمت إحداهما الأخرى فكسرتها فغرق أهلها ؟ قال مالك : إن كان ذلك من الريح غلبتهم أو شىء لا يستطعون حبسها منه ، فلا شىء عليهم ، وإن كانوا لو شاءوا أن يصرفوها صرفوها ، فهم ضامنون .

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، والحمد لله رب العالمين .

البيوع
التي تضر بالدين

أ.د/ رمضان حافظ السيوطي[*]

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين .

وبعد : فهذا بحث (موضوعه البيوع التي تضر بالدين) ولهذا الموضوع أهميته ؛ فإن الغالب في هذه البيوع أن ضررها يرجع إلى الدين ، وليس للمال ، كالبيع عند أذان الجمعة ، وبيع الأخ على بيع أخيه ، وبيع العنب لمن يعصر خمراً ، وبيع السلاح لأهل الحرب ، سميت بهذه التسمية إذ الضرر منها حقيقة يرجع للدين ولايرجع للمال ، وقد أشار إلى هذا المعنى من طريق خفي ابن رشد حيث (الباب السادس : في النهي من فعل وقت العبادات)[1] ، ولاشك أن النهي عن البيع عند أذان الجمعة إنما يتعلق ضرره بالدين وليس بالمال ، وكذا يقال في البيع الذي يضر بالأنساب ، والبيوع التي تضر بالعقل ، والتي تضر بالأموال ، وهذا أقرب إلى حصر المسائل وفهم المقاصد ، والمقصود الأسمى هو معرفة الحرام كي يتجنبه المسلم ولايقع فيه .

والله الهادي إلى سواء السبيل

الفصل الأول

في بيع الأصنام والأوثان والصلبان

- حكم بيعها .
- حكم بيعها إذا وقع .
- علة النهي عند بيعها وحكمة ذلك .

المبحث الأول

في حكم بيع الأصنام والأوثان

إن حكم بيع الأصنام[2] والأوثان حرام شرعاً . قال صاحب (الفتح) : « باب بيع الميتة والأصنام » أي يحرم ذلك . ثم قال : « ويلتحق بها في الحكم الصلبان التي تعظمها النصارى ، ويحرم نحت ذلك وصنعته »[3] .

دليل تحريم بيعها :

أما دليل تحريم بيعها فالكتاب والسنة والإجماع .

(*) الكاتب أستاذ الشريعة والقانون سابقاً .

(1) بداية المجتهد جـ٢ ص١٦٩

(2) الأصنام جمع صنم ، قال الجوهري هو الوثن ، وقال غيره : الوثن ما كان له جثة ، والصنم ما كان مصوراً .

(3) فتح الباري جـ٤ ص٤٢٤ .

أما الكتاب فقوله ـ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[4] .

وجه الدلالة :

أن الله تعالى وصف الأنصاب ، وهى : ما نصب من صنم للعبادة بأنها من عمل الشيطان ، وأنها رجس وأمر باجتنابها ، وهذا يدل على حرمة بيعها .

أما السنة :

فحديث جابر ـ رضى الله عنه ـ أنه سمع النبى ﷺ يقول : « إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام »[5] .

وأما الإجماع : فقد أجمع المسلمون على حرمة بيع الجميع .

المبحث الثانى

فى حكم بيع الأصنام والأوثان والصلبان إذا وقع

لا خلاف بين العلماء فى أن بيع الأصنام والصلبان حرام شرعاً ، وإنما الخلاف بينهم فى بيعها إذا وقع . هل هو بيع باطل مطلقاً أم صحيح ؟ خلاف بينهم ، وفى هذه المسألة قولان :

القول الأول : أن بيعها باطل مطلقاً سواء كان ينتفع بها بعد كسرها أم لا ، وهو قول الجمهور . وحجتهم فى هذا أنها ليست ينتفع بها شرعاً . يقول ابن دقيق العيد : « وعدم الانتفاع يمنع صحة البيع »[6] وعلى ذلك فيجب رد الثمن للبائع .

القول الثانى : الصحة وهو « قول الروياني من الشافعية »[7] قال عنه النووى : وهو قول شاذ .

القول الثالث : التفصيل . وهى إن كانت لاتعد مالاً بعد كسرها فلا يجوز بيعها . وإن كانت تعد مالاً بعد كسرها ؛ ففيها ثلاثة أوجه حكاها النووى . فقال :

« وإن كان بعد رضاضها تعد مالاً ففى صحة بيعها وبيع الأصنام والصور المتخذة من الذهب والفضة وغيرها ثلاثة أوجه : أصحها : البطلان . وبه قطع كثيرون .

والثانى : الصحة .

والثالث : وهو اختيار القاضى حسين فى تعليقه والمتولى والغزالى : أنه إن اتخذ من جوهر نفيس صح بيعها . وإن اتخذ من خشب ونحوه فلا »[8] .

وقال صاحب الفتح : « إن كانت بحيث ينتفع برضاضها[*] جاز بيعها عند بعض العلماء من الشافعية وغيرهم »[9] .

والراجح من هذا : القول الثالث ، وهو أنها إن كانت ينتفع بها بعد كسرها صح بيعها مع الإثم ، فلو كانت مصنوعة من معدن نفيس أو مخلوطة بذهب أو فضة أو كانت من ذهب أو فضة خالصين صح البيع مع الإثم ؛ لأن ما فيها يعتبر مالاً متقوما بعد كسرها .

(٤) الآية (٩٠) من سورة المائدة .

(٥) رواه الجماعة . نيل الأوطار جـ٥ ص١٤٢ .

(٦) إحكام الأحكام لابن دقيق العيد جـ١ ص١٥٢ .

(٧) المجموع للنووى جـ٩ ص٢٤٤ .

(٨) المجموع جـ٩ ص٢٤٤ .

(*) كذا ، ويبدو ـ والله أعلم ـ أنه برضاضها .

(٩) فتح البارى جـ٤ ص٤٢٦ .

المبحث الثالث

فى بيان علة النهى عن بيع الأصنام والصلبان

لقد بين العلماء علة النهى عن بيع الأصنام ، ويقاس عليها الصلبان . قال صاحب الفتح : « والعلة فى منع بيع الأصنام عدم المنفعة المباحة » . ثم قال : « فعلى هذا إن كانت بحيث إذا كسرت ينتفع برضاضها جاز بيعها عند بعض العلماء من الشافعية وغيرهم » .. ثم قال : « والأكثر على المنع حملا للنهى على ظاهره » ثم قال : « والظاهر : أن النهى عن بيعها للمبالغة فى التنفير منها » ثم قال : « ويلتحق بها الصلبان التى تعظمها النصارى »[10] .

وقال ابن دقيق العيد : « وأما بيع الأصنام فلعدم الانتفاع بها على صورتها ، وعدم الانتفاع يمنع صحة البيع » . ثم قال :« وقد يكون منع بيعها مبالغة للتنفير منها »[11] .

وقال الشوكانى : « والعلة فى تحريم بيعها عدم المنفعة المباحة ؛ فإن كان ينتفع بها بعد كسرها جاز عند البعض ومنعه الأكثر »[12] .

وقال الصنعانى : « وأما علة تحريم بيع الأصنام فقيل : لأنها لامنفعة فيها مباحة ، وقيل : إن كانت بحيث إذا كسرت ينتفع بأكسارها ــ جمع كسر ــ جاز بيعها ، ثم قال : والأولى أن يقال : لايجوز بيعها وهى أصنام للنهى . ويجوز بيع كسرها . إذ هى ليست بأصنام . ثم قال : ولا وجه لمنع بيع الأكسار أصلا »[13] .

وبعد : فيتضح لنا من أقوال الفقهاء أن فى علة النهى عن بيع الأصنام قولين :

القول الأول : أن علة النهى هى عدم المنفعة المباحة شرعاً ، وعليه فتكون العلة متعدية تشمل كل ما لا منفعة فيه فلا يجوز بيعه .

القول الثانى : أن علة النهى هى التحريم تنفيراً من بيعها .

أما حكمة النهى عن بيعها ؛ فإن فى بيعها إعانة على الشرك ، فهو ــ وإن لم يكن بيعها شركا وكفراً ــ فلا أقل من أن يكون معصية ، وأنها تضر البائع فى دينه ، وتعرضه لغضب الله ونقمته حيث اقترف ما نهاه عنه . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[14] .

الفصل الثانى

فى البيع عند أذان الجمعة

وفيه خمسة مباحث :

* **فى حكم البيع عند أذان الجمعة ودليله .**
* **فى تحديد وقت حرمة البيع .**
* **فى بيان من يحرم عليه البيع .**
* **فى أقوال الفقهاء فى حكم البيع إذا وقع عند أذان .**
* **فى علة النهى عن البيع عند أذان الجمعة وبيان حكمته .**

المبحث الأول

فى حكم البيع عند أذان الجمعة ودليل ذلك

أولاً : حكم البيع :

أجمع الفقهاء على أن البيع عند أذان الجمعة

(10) فتح البارى جـ4 ص426 .
(11) إحكام الأحكام جـ3 ص152 .
(12) نيل الأوطار جـ4 ص161 .
(13) سبل السلام جـ3 ص5 .
(14) الآية (2) من سورة المائدة .

حرام ، وإن كانوا قد اختلفوا فى تحديد هذا الوقت الذى يحرم فيه البيع والشراء .

ثانياً : دليل حرمته :

قد ثبتت حرمته بالكتاب والإجماع .

أما الكتاب :

فقوله ـ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[15] .

وجه الدلالة :

أن الأمر فى قوله ـ تعالى ﴿ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ للوجوب ، وهو يقتضى حرمة البيع عند الأذان بنص الآية .

وروى السدى عن أبى مالك قال : كان يوم يجلسون فى بقيع الزبير فيشترون ويبيعون إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة ولايقومون ؛ فنزلت الآية :

﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ﴾[16] .

أما الإجماع :

فقد نقله إلينا ابن رشد وابن كثير . يقول ابن رشد : قوله ـ تعالى : ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ ـ وهذا أمر مجمع عليه فيما أحسب ـ فهى مع البيع عند الأذان الذى يكون بعد الزوال والإمام على المنبر[17] .

وقال ابن كثير : (اتفق العلماء ـ رضى الله عنهم ـ على تحريم البيع بعد النداء الثانى[18]) .

فإن قيل : كيف يتحقق الإجماع على منع البيع عند أذان الجمعة وقد نقل الألوسى عن (الأكمل فى شرح المنار) أن البيع مكروه كراهة تنزيهية ثم قال :

وكأنه مأخوذ من زعم القاضى الأسيمانى أن الأمر فى الآية للندب)[19] .

أقول :

والجواب عن هذا من وجوه :

الوجه الأول : أن الإجماع قد وقع قبله فلا تضر مخالفته له ، ولعل عذره أنه لم يطلع عليه .

الوجه الثانى : أن خلاف الأكمل والقاضى الأسيمانى خلاف شاذ عار عن دليل ، ومخالف لقواعد الأصول . إذ الأصل فى الأمر الوجوب ، ولاينصرف عن الوجوب إلا بدليل ، ولا دليل عندهما على أن الأمر للندب .

ولهذا قال الألوسى : قول الأكمل إن الكراهة تنزيهية مردود . وقال : قول القاضى الأسيمانى إن الأمر فى الآية للندب زعم باطل ، فهذا الخلاف الشاذ لايضر الإجماع كما يقول السيوطى :

وليس كل خلاف قد جاء معتبراً .

إلا خلاف له حظ من النظر .

الوجة الثالث : أن المراد بالإجماع قول الأكثر فلا تضر مخالفة القليل النادر .

المبحث الثانى

فى تحديد الوقت الذى يحرم فيه البيع والشراء يوم الجمعة

أجمع الفقهاء على أن البيع والشراء وقت الجمعة

(15) الآية 9 من سورة الجمعة .

(16) تفسير الطبرى جـ18 ص17 .

(17) بداية المجتهد جـ1 ص169 .

(18) تفسير ابن كثير جـ4 ص367 .

(19) تفسير الألوسى جـ28 ص91 .

حرام ، لكنهم قد اختلفوا في تحديد هذا الوقت الذي يحرم فيه البيع والشراء : هل هو الأذان الثاني ؟ أو الأول ؟ أو وقته بعد الزوال ؟ خلاف بينهم يتبين لنا هذا من نصوصهم الآتية :

الحنفية : قال صاحب الهداية :

(وإذا أذن المؤذن الأذان الأول ترك الناس البيع والشراء وتوجهوا إلى الجمعة لقوله ـ تعالى : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ ، وإذا صعد الإمام المنبر جلس ، وأذن المؤذنون بين يدى الإمام ، ثم قال : بذلك جرى التوارث ، ولم يكن على عهد رسول الله ﷺ إلا هذا الأذان ، ثم قال : ولهذا قيل هو المعتبر في وجوب السعي وحرمة البيع ثم قال : والأصح هو الأول إذا كان بعد الزوال لحصول الإعلام به)[٢٠] .

وقال الطحاوى : (وإذا زالت الشمس يوم الجمعة جلس الإمام على المنبر ، وأذن المؤذن بين يديه ، وامتنع الناس من البيع والشراء وأخذوا في السعي إلى الجمعة)[٢١] .

الشافعية :

قال الخطيب : (ويحرم على من تلزمه الجمعة التشاغل بالبيع وغيره بعد الشروع في الأذان بين يدى الخطيب حال جلوسه على المنبر ؛ لقوله ـ تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ . ثم قال : فورد النص في البيع وقيس عليه غيره)[٢٢] .

المالكية :

جاء في (جواهر الإكليل) : (وفسخ بيع بأذان ثان أى عند الشروع فيه ، وهو الذى عقب جلوس الخطيب على المنبر إلى السلام من الصلاة)[٢٣] .

الحنابلة :

قال صاحب (الشرح الكبير) : (ولا يحل البيع بعد نداء الجمعة قبل الصلاة . ثم قال : والنداء الذى يتعلق به المنع هو النداء عقب جلوس الإمام على المنبر . ثم قال : وحكى القاضى عن أحمد أن البيع يحرم بزوال الشمس ، وإن لم يجلس الإمام على المنبر)[٢٤] .

ابن حزم :

قال في (المحلى) : (ولا يحل البيع من نزول[*] الشمس من يوم الجمعة إلى مقدار تمام خطبتين والصلاة)[٢٥] .

وبعد ، فيتضح لنا من أقوال الفقهاء السابقة أن الوقت الذى يحرم فيه البيع يوم الجمعة فيه ثلاثة أقوال :

القول الأول :

أنه وقت الأذان الثانى الذى يكون بين يدى الإمام على المنبر . وهو قول المالكية والشافعية والحنابلة ، وقول الطحاوى من الحنفية .

القول الثانى :

أنه وقت الأذان الأول بشرط أن يكون بعد الزوال . وهو الأصح عند الحنفية .

---

(٢٠) شرح فتح القدير جـ٢ ص٦٩ .
(٢١) مختصر الطحاوى ص٣٤ .
(٢٢) الإقناع للخطيب جـ١ ص١٥١ .
(٢٣) الجواهر والإكليل على خليل جـ١ ص٩٩ .
(٢٤) المغنى والشرح الكبير جـ٤ ص ٣٩ ، ٤٠ .
(*) كذا ويبدو أن المراد ـ والله أعلم : زوال .
(٢٥) المحلى جـ٩ ص٦٤٧ .

القول الثالث :

أنه بعد الزوال وإن لم يجلس الإمام على المنبر . وهو قول لأحمد كما حكاه عنه القاضي ، وقول ابن حزم .

الأدلة :

دليل الجمهور : استدلوا بما يلي :

أن سبب نزول آية : (وذروا البيع) مبين للوقت الذي يحرم فيه البيع ، فعن إسماعيل السدي عن أبي مالك قال : كان قوم يجلسون في بقيع الزبير فيشترون ويبيعون إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ولا يقومون ، فنزلت .

﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ ﴾[٢٦] .

فهذا الوقت الذي أمر فيه بالسعي للجمعة وحرمة البيع فيه عند الأذان الثاني الذي يكون بين يدي الإمام على المنبر ، أما الأذان الأول فلم يكن موجوداً عند نزول الآية ، وإنما حدث في عهد عثمان ـ رضي الله عنه .

فعن السائب بن يزيد قال : كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر فلما كان زمن عثمان ـ رضي الله عنهم ـ وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء[٢٧] .

دليل القول الثاني :

استدل الحنفية على أن الوقت الذي يحرم فيه البيع هو عند الأذان الأول بعد الزوال :

أولاً : أن الأذان الأول هو الذي يحصل به الإعلام ، وأن البيع والشراء عنده يفوت على المصلي أداء السنة وسماع الخطبة ، وربما تفوته الجمعة إذا كان بيته بعيداً من الجامع[٢٨] .

ثانياً : أن الأذان المعروف الآن على المئذنة ونحوها يوجب السعي إلى الصلاة ويحرم عنده البيع ، لأنه نداء مشروع ، والآية عامة فلم تخصه بالأذان الذي بين يدي الخطيب[٢٩] .

دليل القول الثالث :

لم يذكر صاحب (الشرح الكبير) دليلاً على قول أحمد القائل بأن وقت حرمة البيع بعد الزوال وإن لم يجلس الإمام على المنبر ، ولعل دليله هو أن الحرمة متعلقة بالوقت . ووقت الجمعة إنما هو بعد الزوال ، وأما الأذان فهو إعلام فقط بدخول وقتها ، فالتحريم تعلق بالوقت لا بالنداء ، فالنداء ليس مقصوداً لذاته وإنما هو مقصود لغيره وهو الصلاة .

بيان القول الراجح :

أقول : والراجح من حيث النظر والأثر ما ذهب إليه الجمهور ، وهو حرمة البيع أو الشراء عند الأذان الثاني الذي يكون بين يدي الخطيب ، وذلك لما يلي :

أولاً : أن الأصل الذي أنيط به وجوب السعي للجمعة وحرمة البيع هو الأذان الثاني الذي كان في عصر النبوة ، أما الأذان الأول فلم يكن في عصر النبي ﷺ ، وإنما استحدث في عصر عثمان ـ رضي الله عنه ـ نقل هذا عن الطحاوي وهو حنفي المذهب : قال :

(٢٦) تفسير الطبري جـ١٨ ص١٧ .
(٢٧) شرح فتح القدير جـ٢ ص٦٩ .
(٢٨) الفقه على المذاهب الأربعة جـ١ ص٣٧٦ .
(٢٩) الفقه على المذاهب الأربعة جـ١ ص٣٧٧ .

(المعتبر الأذان عند المنبر بعد خروج الإمام ، فإنه هو الأصل الذى كان للجمعة على عهد رسول الله ﷺ ، وكذلك فى عهد أبى بكر وعمر . ثم قال : وهو اختيار شيخ الإسلام)[٣٠] .

ثانياً : قول الحنفية إن الآية عامة فى تحريم البيع عند سماع الأذان ـ سواء كان الأذان الأول أو الثانى ـ غير مسلم ، لأن سبب نزول الآية مبين ومخصص للمراد من الأذان ، وهو الثانى الذى يكون بين يدى الخطيب ..

أما الأذان الأول ففيما يكن موجوداً عند النبى ، وهذا هو دليل التخصيص ، فالقول بالعموم غير مسلم لوجود ما يخصصه أو ما يدل على أنه غير عام .

ثالثاً : قول أحمد بأن حرمة البيع تعلقت بما تعد الزوال فى الرواية الثانية عنه قول ضعيف وغير مسلم ، قال عنه صاحب (الشرح الكبير) : (ولايصح هذا ، لأن الله ـ تعالى ـ علقه على النداء لا على الوقت ، ولأن المقصود بها إدراك الجمعة ، وهو حاصل بما ذكرنا دون ما ذكروه .

ثم قال : ولأنه لو اختص تحريم البيع بالوقت لما اختص بالزوال ، فإن ما قبله وقت أيضاً)[٣١] .

المبحث الثالث
فى بيان من يحرم عليه البيع عند أذان الجمعة

اختلف الفقهاء فيمن يحرم عليه البيع وقت نداء الجمعة :

هل هو من يجب عليه السعى لها ؟

أو كل مؤمن ولو لم تجب عليه ؟

خلاف بينهم ، وإليك أقوالهم :

المالكية :

قال ابن رشد : قال مالك : (وأما على من يفسخ(*) فعند مالك على من تجب عليه الجمعة ، لا على من لا تجب عليه)[٣٢] .

وقال (صاحب الجواهر) :(وفسخ بيع وقع ممن تلزمه الجمعة ولو مع من لم تلزمه)[٣٣] .

الحنفية والشافعية :

قالوا : (لايحرم البيع الا على من تجب عليهم الجمعة)[٣٤] .

الحنابلة :

قال صاحب (الشرح الكبير) : (ولا يحل البيع بعد نداء الجمعة قبل الصلاة لمن تجب عليه الجمعة .

ثم قال : فأما من لا تجب عليه الجمعة من النساء والمسافرين غيرهم فلا يثبت فى حقه هذا الحكم .

ثم قال : وذكر ابن أبى موسى فيه روايتين لعموم النهى ، ثم قال : فإذا كان المسافر فى غير المصر أو كان مقيما بقرية لا جمعة على أهلها لم يحرم البيع ولم يكره وجها واحداً ، فإن كون أحدهما مخاطباً بالجمعة دون الآخر حرم على المخاطب وكره للآخر لما فيه من الإعانة على الإثم . ثم قال : ويحتمل أن يحرم[٣٥] لقوله ـ تعالى : ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[٣٦] .

(٣٠) شرح فتح القدير جـ٢ ص٦٩ ، ومختصر الطحاوى ص٣٤

(٣١) المغنى والشرح الكبير جـ٤ ص٣٩ ، ٤٠ .

(٣٢) بداية المجتهد جـ٤ ص١٦٤ .

(*) ويعنى فسخ البيع فساده لتحريمه فى هذا الوقت .

(٣٣) الجواهر والإكليل جـ١ ص٩٩ .

(٣٤) الفقه على المذاهب الأربعة ج٢ ص٣٧٦ .

(٣٥) المغنى والشرح الكبير جـ٤ ص٣٧٦ .

(٣٦) الآية ٢ من سورة المائدة .

مذهب أهل الظاهر :

قال ابن حزم : (ولايحل البيع من زوال الشمس من يوم الجمعة . ثم قال : لا لمؤمن ، ولا لكافر ، ولا لامرأة ، ولا لمريض)[٣٧] .

وقال ابن رشد ـ حاكياً مذهبهم أيضا : (فأما أهل الظاهر فتقتضى أصولهم أنه يفسخ على كل بائع)[٣٨] .

وبعد : فيتضح لنا مما سبق أن فى المخاطب بتحريم البيع عند نداء الجمعة قولين :

القول الأول :

أن المخاطب بالتحريم هو من تجب عليه الجمعة ، وهو قول جمهور الفقهاء .

القول الثانى :

أن المخاطب بالتحريم كل مسلم ولو لم تجب عليه الجمعة ، وهو قول الظاهرية وفى رواية عن الحنابلة رواها ابن أبى موسى .

الأدلة :

استدل الجمهور القائل بأن المخاطب بتحريم البيع عند نداء الجمعة هو من تجب عليه الجمعة بما يلى :

قال صاحب (الشرح الكبير) : (إن الله ـ تعالى ـ إنما نهى عن البيع من أمره بالسعى فغير المخاطب بالسعى لا يتناوله النهى .

ثم قال : لأن تحريم البيع معلل بما يحصل به من الاشتغال عن الجمعة ، وهذا معدوم فى حقهم)[٣٩] .

دليل أصحاب القول الثانى :

القرآن : قال ـ تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾[٤٠] .

وجه الدلالة :

عموم النهى فى الآية لكل مخاطب .

وقال ابن حزم : (برهان صحة قولنا قول الله ـ تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ .

ثم قال ابن حزم : فيهما أمران :

السعى إلى ذكر الله ـ تعالى ـ وترك البيع . فإذا أسقط أحدهما بنص ورد فيه كالمريض والخائف والمرأة والمعذور لم يسقط الآخر إذ لم يوجب سقوطه قرآن ولا سنة ـ وجب إلزام الكفار لقوله ـ تعالى :

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾[٤١] .

بيان القول الراجح :

والراجح من حيث النظر هو قول الجمهور القائل بأن تحريم البيع مختص بمن تجب عليه الجمعة لما يلى :

أولاً : أن هذا الحكم وهو حرمة البيع عند النداء معقول المعنى ، وهو أن الاشتغال بالبيع قد يفوت على المكلف الصلاة ، وهذا المعنى معدوم فى حق من لم تجب عليه الجمعة .

(٣٧) المحلى جـ٩ ص٦٤٧ .

(٣٨) بداية المجتهد جـ٤ ص ١٦٩ .

(٣٩) المغنى والشرح الكبير جـ٤ ص٤٠ .

(٤٠) الآية (١١) سورة الجمعة .

(٤١) الآية (٤٩) من سورة المائدة

ثانياً : دعوى العموم فى الآية غير مسلمة ؛ بل الأمر بترك البيع عند النداء خاص بمن أمر بالسعى ، وهذا ما يقتضيه السياق وهو توحيد الضمائر ، وجعل المخاطب بالسعى هو المخاطب بترك البيع ، وهو أولى من القول بأن الضمير فى (اسعوا) خاص والضمير فى (وذروا) عام لأنه يلزم عليه تفكك الضمائر والتغاير بينها من غير دليل ؛ بل قام الدليل على خلافه ، وهى علة النهى القاضية بأن المخاطب بترك البيع هو المأمور بالسعى للجمعة ، وليس هو كل مؤمن ولو كان عبداً أو امرأة أو مسافراً أو مريضاً ..

المبحث الرابع
فى حكم البيع عند نداء الجمعة إذا وقع

اختلف الفقهاء فى حكم البيع عند نداء الجمعة إذا وقع ، فبعضهم قال بصحته مع الإثم ، وبعضهم قال ببطلانه . وهاك أقوالهم :

الحنفية :

قال صاحب الهداية : (والبيع عند أذان الجمعة . قال ـ تعالى : ﴿ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ ثم قال : وكل ذلك يكره ولا يفسد به البيع ؛ لأن الفساد فى معنى خارج زائد ، لا فى صلب العقد ، ولا فى شرائط الصحة)[٤٢] .

المالكية :

جاء فى شرح الرسالة لابن زروق ما نصه : (فإن باع من تلزمه فثالثها المشهور فسخه ما لم يفت بحوالة سوق فأعلى ، فإن فات مضى بالثمن عند المغيرة وسحنون ، وبالقيمة عن ابن القاسم وغيره .

ثم قال : وروى عن ابن وهب إن باع استغفر ، ولا شىء عليه .

وقال عبدالملك : لا يفسخ إلا إذا اعتاد ذلك)[٤٣] .

الشافعية :

جاء فى (تكملة المجموع) ما نصه : (إن النهى عن البيع وقت النداء لما لم يرجع إلى ذات العقد لم يقتض الفساد)[٤٤] .

الحنابلة :

جاء فى الشرح الكبير ما نصه : (لا يحل البيع بعد نداء الجمعة قبل الصلاة لمن تجب عليه الجمعة لقوله ـ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ .

ثم قال : فإن باع لم يصح البيع للنهى عنه)[٤٥] .

الظاهرية :

جاء فى (المحلى) : (وكل بيع وقع فى الوقت المذكور ـ يعنى منذ زوال الشمس ـ فهو مفسوخ)[٤٦] .

وبعد : فقد اتضح لنا من نصوص الفقهاء السابقة أن البيع وقت نداء الجمعة إذا وقع فيه قولان :

القول الأول : أن البيع صحيح مع الإثم . وهو

---

(٤٢) شرح فتح القدير جـ٤ ص٢٤١ .
(٤٣) شرح الرسالة لابن زروق جـ١ ص٢٤٥ .
(٤٤) تكملة المجموع جـ١١ ص ٢٧٨ .
(٤٥) المغنى والشرح الكبير جـ٤ ص ٣٩ .
(٤٦) المحلى جـ ٩ ص ٤٤٧ .

قول الحنفية والشافعية وقول ابن وهب من المالكية .

القول الثاني : أن البيع باطل ويفسخ ، وهو قول المالكية والحنابلة والظاهرية .

سبب الخلاف :

قد بين صاحب (المقدمات) سبب الخلاف بين الفقهاء ؛ فقال : (ما طابقه النهي ولم يخل فيه بشرط من الشرائط المشترطة في صحته مثل البيع وقت الجمعة ، وبيع حاضر لباد . وما أشبه هذا من البيوع فيختلف أهل العلم فيها إذا وقعت على قولين : فمن رأى أن النهي لايقتضي فساد المنهي عنه لم يفسخها . وإن كانت السلعة قائمة . ومن رأى أن النهي يقتضي فساد المنهي عنه فسخها إن كانت قائمة ، وإن كانت فاتت رد قيمتها ، وكان رد قيمتها كرَدِّ عينها ، ثم قال : وفي هذا النوع من البيوع قول ثالث :إنها تفسخ ما كانت السلعة قائمة فإن فاتت مضت بالثمن ولم ترد إلى القيمة)[47] .

الأدلة :

استدل أصحاب القول الأول القائلون بأن البيع عند نداء الجمعة صحيح مع الإثم ، وهم : الحنفية والشافعية وبعض المالكية بما يلي :

الدليل الأول :

ما ذكره (صاحب الهداية) فقال : (لايفسد البيع لأن الفساد في معنى خارج زائد لا في صلب العقد ، ولا في شرائط الصحة)[48] .

وقال صاحب (تكملة المجموع) : (إن النهي عن البيع وقت النداء لم يرجع إلى ذات العقد فلم يقتض الفساد فليس البيع منهيا عنه أصلاً ؛ بل هو من حيث هو مباح والبيع وقت الجمعة منهي عنه لاشتماله على التفويت)[49] .

الدليل الثاني :

القياس وهو أن البيع وقت النداء كالصلاة في الأرض المغصوبة . قال الآلوسي : (وعامة العلماء على صحة البيع ، وأن حرمة نظيره ما قالوه في الأرض المغصوبة ، أو في الثوب المغصوب)[50] .

دليل أصحاب القول الثاني :

استدل المالكية والحنابلة القائلون بأن البيع عند نداء الجمعة باطل ، ويجب فسخه بما يلي :

أن الله ـ تعالى ـ نهى عن البيع وقت نداء الجمعة ، والنهي يقتضي الفساد .

بيان القول الراجح :

أقول : والراجح ـ في نظري والله أعلم ـ القول القائل بصحة البيع مع الإثم ، وذلك لما يلي :

أولاً : أن هذا البيع قد استوفى ركنه وشرطه ، وإنما كان الفساد لأمر خارج عن ذات العقد .

ثانياً : أن القول بأن النهي يقتضي الفساد ليس على إطلاقه ؛ فإن علماء الأصول قالوا : إذا كان النهي لذات المنهي عنه اقتضى البطلان كالزنا ، وإن كان لخارج عنه ، غير ملازم ، لا يقتضي البطلان ، والبيع عند النداء ليس منهياً عنه لذاته ، وإنما لخارج عنه وهو وقوعه وقت نداء الجمعة .

(47) المقدمات لابن رشد البيوع الفاسدة جـ2 ص540 .

(48) شرح فتح القدير جـ4 ص239 .

(49) تكملة المجموع جـ11 ص278 .

(50) تفسير الألوسي جـ28 ص91 .

المبحث الخامس

فى بيان علة النهى عن البيع عند أذان الجمعة

علة النهى عن البيع والشراء وقت أذان الجمعة هى الخوف من ضياع الصلاة للانشغال بالبيع والشراء . وكل ما يؤدى إلى ترك واجب أو فعل محرم يجب اجتنابه محافظة على الواجبات وبعداً عن المحرمات . ولذا قال صاحب (الشرح الكبير) من الحنابلة : (ولأن تحريم البيع معلل بما يحصل به من الانشغال عن الجمعة)[٥١] .

وقال الكمال مبيناً حكمة النهى : (إن البيع والشراء عنده (يعنى الأذان) يفوت على المصلى أداء السنة وسماع الخطبة ، وربما تفوته الجمعة إذا كان بيته بعيداً من الجامع)[٥٢] .

وبعد :

فقد وضح لنا من هذا أن حكمة النهى عن البيع وقت أذان الجمعة سواء كان هذا البيع عند الأذان الأول أم الثانى أو بعد الزوال : هى الخوف على المسلم من ضياع الصلاة ، ولاشك أن ضياع الصلاة على المسلم ضرر فى دينه ونقص فى إيمانه . يقول (عليه الصلاة والسلام) : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليسع إلى الجمعة ، ومن استغنى عنها بلهو أو تجارة استغنى الله عنه ، والله غنى حميد »[٥٣] .

وقال ﷺ :

(لينتهين أقوام يسمعون النداء يوم الجمعة ثم لا يأتونها أو ليطبعن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين)[٥٤] .

أقول :

ولاشك أن الانشغال عن الجمعة ضرر للمؤمن فى دينه كما أوضحته السنة المطهرة .

- يتبع -

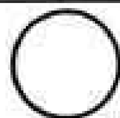
(٥١) المغنى والشرح الكبير جـ٤ ص٤٠ .

(٥٢) شرح فتح القدير جـ٢ ص٦٩ .

(٥٣) ، (٥٤) رواهما الطبرانى ، راجع الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى جـ١ ص٥٠٨ .

زكاة المدين في الشريعة الإسلامية

د/ أحمد محمود كريمة



١ - المدين بدين العباد

اتفق فقهاء الشريعة الإسلامية على أن المدين بدين - أو أكثر - للعباد - أفراداً أو مؤسسات وما ماثلها - فإن كان الباقى من ماله بعد الدين يبلغ النصاب الشرعى (حوالى ٨٤ غرام من الذهب بسعر اليوم الذى يريد إخراج الزكاة فيه) وحال عليه الحول (مرور سنة قمرية كاملة) فإنه تجب عليه الزكاة (فى الباقى بعد الدين) .

واختلفوا فيما لو كان الدين مستغرقاً لجميع المال أو ينقصه عن النصاب . وذلك على أقوال أشهرها ثلاثة :

القول الأول : لا تجب الزكاة فى مال مثل هذا المدين . قال بهذا الحنفية والشافعى فى القديم وأحمد فى رواية[1] .

القول الثانى : تجب الزكاة فى مال مثل هذا المدين . قال بهذا الشافعى فى الجديد والظاهرية[2] .

القول الثالث : تجب الزكاة فى الأموال الظاهرة لمثل هذا المدين ، ولا تجب فى الأموال الباطنة قال بهذا المالكية وبعض الشافعية وأحمد فى رواية[3] .

الأدلة

استدل أصحاب القول الأول على ما ذهبوا إليه بدليل السنة والأثر والمعقول :

أولاً - دليل السنة النبوية : حديث معاذ - رضى الله عنه - لما قال له الرسول ﷺ حينما بعثه إلى اليمن : « .. فأخبرهم أن الله - تعالى - قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم .. »[4] .

وخبر : « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى »[5] .

وجه الدلالة : الصدقة تجب على الأغنياء ،

(١) فتح القدير ١٦٠/٢ ، المجموع ٣١٧/٥ ، المغنى ٦٧/٣ .
(٢) المجموع ٣١٧/٥ ، المحلى ١٠١/٦ .
(٣) حاشية الدسوقى ٤٥٩/١ ، المغنى ٦٧/٣ .
(٤) صحيح البخارى رقم ١٤٩٦ .
(٥) صحيح البخارى رقم ١٤٢٦ .

والمدين ليس بغنى ، فهو فى حاجة إلى سداد دينه ؛ فإذا سدده لا يكون مالكاً للنصاب الذى يتحقق به الغنى وتجب به الزكاة .

ثانياً ـ دليل الأثر : ما روى أن عثمان ـ رضى الله عنه ـ قال : « هذا شهر زكاتكم ، فمن كان عليه دين فليؤده حتى تخرجوا زكاة أموالكم »[6].

وجه الدلالة : أمر عثمان المدين قضاء دينه ثم يخرج الزكاة بعد ، وعليه فإن كل الباقى بالغ النصاب . ففيه الزكاة ، وإلا فلا ، وقد قاله بمحضر من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ولم ينكروا عليه[7]*.

ثالثاً ـ دليل المعقول: بوجوه منها :

ا ـ المدين محتاج إلى المال لسداد دينه دفعاً للضرر فكان ماله فى حكم المعدوم شرعاً ، كالماء المحتاج إليه لشربه أو لشرب نفس محترمة[8].

ب ـ الزكاة تجب شكراً لله ـ تعالى ـ ومواساة للفقراء ، ومن المعروف أن المدين محتاج إلى قضاء دينه كحاجة الفقير بل أشد ، وليس من الحكمة ولا من المعهود شرعاً تقديم حاجة الغير على حاجة النفس .

● استدل أصحاب القول الثانى على ما ذهبوا إليه من إيجاب الزكاة على المدين بدليل النقل (النص) والعقل :

أولاً: دليل النقل (النصوص القرآنية ، والأحاديث الصحيحة النبوية) الدالة على وجوب الزكاة : مثل قوله ـ تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[9]. وقوله ﷺ : « وإيتاء الزكاة »[10].

وجه الدلالة : النصوص الشرعية الدالة على وجوب الزكاة لم تفرق بين مدين وغيره[11].

ثانياً ـ دليل العقل ـ بوجوه منها :

أموال المدين مملوكة له تمكنه من التصرف فيها ، ومادامت كذلك وجبت فيها الزكاة[12] .

● استدل أصحاب القول الثالث على ما ذهبوا إليه من وجوب الزكاة فى الأموال الظاهرة للمدين وعدم وجوبها بالنسبة للأموال الباطنة على النحو التالى :

أولاً : بالنسبة لعدم وجوبها فى الأموال الباطنة : أدلة القول الأول .

ثانياً : فيما يتعلق بوجوبها فى الأموال الظاهرة : بدليل السنة والمعقول :

١ ـ دليل السنة : ثبت أن رسول الله ﷺ وخلفاءه من بعده بعثوا السعاة لأخذ الزكاة ممن وجبت عليهم بشروطها ، وذلك مما يعدوه ظاهراً .

وجه الدلالة : إن السعاة لم يسألوا المزكين عن الدين ، فكان هذا دليلا على وجوبها على المدين[13].

٢ ـ دليل المعقول : أن تعلق الزكاة بالأموال الظاهرة يجعل وجوب الزكاة فيها آكد لظهور الأموال وتعلق قلوب الفقراء بها .

(٦) موطأ مالك ٢٤٧/٣ .

(٧) المغنى ٦٧/٣ ، * ويكون اجماعا .

(٨) شرح العناية ١٦٠/٢ .

(٩) سورة البقرة ، الآية ٤٣ .

(١٠) متفق عليه عن ابن عمر .

(١١) المحلى ١٠١/٦ .

(١٢) المجموع ٣١٧/٥ .

(١٣) المغنى ٦٨/٣ ، المقدمات لابن رشد ٢٠٨/٢ .

المناقشة

يناقش أصحاب القول الأول بما يلي :

مناقشة دليل السنة : العبرة بالغنى إنما بحسب الظاهر ، والمدين غني بهذا الاعتبار ، والصدقة تحتمل صدقة التطوع ، وهي خارجة عن محل النزاع .

يجاب : ملك المدين في هذه الحال ملك ناقص أو في حكمه؛ لأن الدائن مستحق لدينه ، وبعد أخذه يصير المدين فقيراً أو في حكمه ، فكذلك الحال مع وجود المال تحت يده[14].

والصدقة حين تطلق يراد بها الزكاة ، قال الله ـ تعالى :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[15]

● مناقشة دليل الأثر : أثر عثمان منقطع فلا يصح الاحتجاج به ، وإن سلم عدم انقطاعه فهو موقوف على عثمان ، وهو قول صحابي في حجيته خلاف .

● يناقش أصحاب المذهب الثاني بما يلي :

أن النصوص الموجبة للزكاة خرج من حكمها المدين للأدلة التي ساقها أصحاب القول الأول فتكون من قبيل العام الذي دخله التخصيص . وما استدلوا به من دليل المعقول : أن ملك المدين ملك غير تام لأن الدائن مستحق الوفاء لدينه ، ولاشك أن الدين يؤدى ـ غالباً أو عادة ـ من المال .

● يناقش أصحاب القول الثالث بما يلي :

لم ينقل نص شرعي ولم يقم دليل عقلي يعتد به على التفرقة بين المال الظاهر والمال الباطن .

● الرأي المختار : وبعد عرض هذه الأقوال بالأدلة والمناقشة ، فقد اتضح لي رجحان القول الأول من عدم إيجاب الزكاة في المال الذي يستغرقه الدين أو ينقصه عن النصاب لما يلي :

ـ قضاء الدين ولو استغرق المال كله أولى وأهم ، وهو المجمع عليه فيما يتعلق بالحقوق في تركة الميت فقبل تقسيمها بين الورثة تقضى منها الديون ولو استغرقتها فكذا هنا ـ لتحقيقه مصلحة ، والمصالح معتبرة شرعاً .

٢- المدين بدين الله تعالى

إن كان الإنسان مديناً بدين لله ـ تعالى ـ ، فإن كان الباقي من المال بعد أداء حقوق الله ـ تعالى ـ يبلغ نصاباً فلا خلاف في وجوب الزكاة .

وإن كان الباقي قلّ عن النصاب فهل تجب الزكاة على المدين أم لا ؟ اختلفت كلمة الفقهاء في ذلك على أقوال ، أشهرها قولان :

القول الأول : تجب الزكاة على مثل هذا المدين . قال بهذا الحنفية والمالكية والشافعية ـ على المعتمد ـ والحنابلة ـ في أحد الوجهين[16].

القول الثاني : لا تجب الزكاة على مثل هذا المدين . قال بهذا الحنابلة[17] .

---

(١٤) شرح العناية ٢/١٦٠ .

(١٥) الآية ١٠٣ من سورة التوبة .

(١٦) حاشية ابن عابدين ٢/٢٦٦ ، المجموع ٥/٣١٨ ، تحفة المحتاج ٣/٣٧ .

(١٧) المغني ٣/٦٩ .



الأدلة

استدل أصحاب القول الأول بدليل المعقول : الزكاة آكد من الدين المذكور لتعلقها بعين المال ، ولا يسوى بين دين العباد ودين الله ـ تعالى ـ في هذا ، لتوجه المطالبة بدين العباد .

● استدل أصحاب القول الثاني على ما ذهبوا إليه بدليل السنة والمعقول : ما روى أن « رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن أمي ماتت وعليها صوم شهر ، أفأقضيه عنها ؟ قال : نعم فدين الله أحق أن يقضى »(١٨) .

وجه الدلالة : أن دين الله ـ تعالى ـ أحق بالوفاء .

المناقشة

يناقش أصحاب القول الثاني بما يلي :

ما قالوه غير مسلّم ـ في وجه الدلالة ـ بإطلاقه ، لأن الزكاة من حقوق الله ـ تعالى ـ فكانت أولى بالوفاء ، وتترجح على غيرها من ديون الله ـ تعالى ـ بتعلق حق الفقراء بها .

● الرأي المختارة ما ذهب إليه الجمهور ـ أصحاب القول الأول ـ من وجوب الزكاة على المدين بدين لله ـ تعالى ـ لقوة ما استدلوا به ، وتحقيقه مصالح معتبرة شرعاً .

والله أعلى وأعلم

(١٨) صحيح البخاري الحديث رقم ١٩٥٣ ـ باب من مات وعليه صوم .

حقيقة التأمين .. وأركانه .. وأنواعه

٣

للدكتور/ عبدالله مبروك النجار

تعريف المصلحة :

والمصلحة فى التأمين يمكن تعريفها : بأنها فائدة جدية ومشروعة للمؤمن له من عدم تحقق الخطر المراد التأمين منه ، وهذا التعريف يلقى قبولاً من الفقه ، لكن هذا القبول العام لم يتوافر حول انطباق هذا التعريف على حالات التعويض من الأضرار والتأمين على الأشخاص ، ونبين ذلك فى فرعين :

الفرع الأول
المصلحة فى التأمين من الأضرار

اتفق فقهاء القانون على أن المصلحة ركن رابع فى التأمين من الأضرار ، بجانب الخطر والقسط ومبلغ التأمين[١٨] ، وتتوافر هذه المصلحة بالنسبة للمؤمن فى العلاقة المالية بينه وبين محل التأمين بصرف النظر عن القيمة المالية لهذا المحل ، ولا يجب أن يفهم من نص المادة (٧٤٩ مدنى) الذى يشير إلى وجود مصلحة اقتصادية مشروعة تعود على الشخص من عدم وقوع خطر معين ، عدم إمكان تصور وجود مصلحة أدبية للشخص على التأمين من الأضرار[١٩] ، إذ كثيراً ما يؤمن الأشخاص على أشياء عديمة القيمة المالية من الأضرار التى تلحقها ، لأن لهم تعلقاً بها[٢٠] ، ومع ذلك فإن المشكلة الحقيقية التى دفعت المشرع للإشارة إلى المصلحة الاقتصادية هو ما يكتنف إثبات المصلحة الأدبية من صعوبات ، والرأى الراجح فى الفقه أنه يجوز التأمين من الكسب الفائت بثلاثة شروط[٢١] .

---

(١٨) د . أحمد شرف الدين ــ ص ٢٥٥ وما بعدها ، د . خميس خضر ــ فقرة ٢٧٩ ، د . توفيق فرج ــ فقرة ٥٤ ــ د . محمد حسام ــ السابق ، د . عبد المنعم البدراوى ــ فقرة ١٩٥ ، د . محمد على عرفه ــ ص ٦٢ وما بعدها ، د . عبد الرازق فرج ــ ص ٨٧ بيكار وبيسون ــ ص ٥٦ وما بعدها وراجع :

Bout : le driot Assuances Edition PUF Que Sais je?. P. 65 et.s

(١٩) د . محمد حسام ــ ص ٢٢٧ ، د . أحمد شرف الدين ــ فقرة ١٩٧ ، د . خميس خضر ــ فقرة ٢٨ .

(٢٠) راجع فى جواز توافر المصلحة الأدبية : بيكار وبيسون ــ فقرة ٢٦٩ ، وفى جواز التأمين على حياة الزوج والأقارب حتى الدرجة الثانية ، ولو كانت مصلحة المؤمن عليه أو المستفيد مصلحة غير مالية ، راجع د . أحمد شرف الدين ــ ص ١٩٠ وما بعدها ، وقد قضت المحاكم الأمريكية بصحة التأمين الذى تبرمه امرأة على حياة خطيبها مستندة إلى أن الخطبة تعتبر سبباً معقولاً لتوقع الحصول على فائدة مالية من استمرار حياة خطيبها ، راجع : د . عبد الودود يحيى ــ ص ٩٦ هامش ١ .

(٢١) الوسيط للسنهورى ــ السابق ــ فقرة ٧٥٩ ، د . حسام الأهوانى ــ ص ٩٣ ومابعدها ، د . محمد حسام لطفى ــ ص ٢٢٧ ، بيكار وبيسون ــ فقرة ١٨٣ ، د . أحمد شرف الدين ــ ص ١٨٦ .



أولها : الاتفاق على ذلك صراحة بين الأطراف ، فإذا تخلف الاتفاق اقتصر أثر التعويض على الضرر الذى وقع بالفعل .

ثانيهما : أن يكون الكسب محققاً ونهائياً ، والمثال التقليدى لهذا الشرط ، هو التأمين على المزروعات من خطر الصقيع ، حيث يستهدف المؤمن له تسويقها بعد جنيها ، فإذا أصابها الصقيع وجب تعويضه عن الضرر الذى حدث ، والربح المؤمل الذى فات .

ثالثها : أن تعين عناصر الكسب الفائت بدقة فى العقد . وإذا تعين ذلك ، واتهينا إلى جواز التأمين من الضرر الواقع والربح الفائت ، يبقى أن نعرف أصحاب المصلحة فى التأمين من الأضرار ، وقد رأينا أن كل من يرتبط بشىء ذى قيمة معينة مالية أو أدبية ، يكون بها صاحب مصلحة مباشرة أو غير مباشرة فى عدم تحقق الخطر بشأنه ، يمكن أن يبرم عقد التأمين من الأضرار عن هذا الشىء[22] ، وبهذا يمكن اعتبار أصحاب الحقوق العينية الأصلية والتبعية ، لهم مصلحة جدية وأكيدة فى التأمين على الشىء ، وتجعله حريصاً على بقائه[23] ، ويجوز للدائن المرتهن أن يبرم عقد تأمين على الشىء المرهون إذا كان مؤمناً عليه من مدينه بالفعل ، حيث إن له مصلحة فى ذلك لتجنب سقوط حق مدينه فى التأمين لأى سبب من الأسباب ، فهو يضمن بالوثيقة التى يبرمها حصوله على دينه عند هلاك المال المرهون ، ولا يكون للدائن المرتهن مصلحة فى التأمين على الشىء المرهون إذا كان هناك دائنون آخرون يتقدمون عليه فى الترتيب فى استيفاء حقوقهم ، وقد نصت على ذلك صراحة المادة (١/٧٧٠ ، ٢ مدنى مصرى) بقولها : إذا كان الشىء المؤمن عليه مثقلاً برهن حيازى أو تأمينى أو غير ذلك من التأمينات العينية ، انتقلت هذه الحقوق إلى التعويض المستحق للمدين بمقتضى عقد التأمين إذا شهرت هذه الحقوق ، أو أعلنت إلى المؤمن ، ولو بكتاب موصى عليه ، فلا يجوز له أن يدفع ما فى ذمته للمؤمن له إلا برضاء الدائنين ، ورغم ورود هذا النص بشأن التأمين على الحريق ؛ إلا أنه لا خلاف فى سريانه على كل أنواع التأمين[24] .

الفرع الثانى

المصلحة فى التأمين من الأشخاص

رأينا أن هناك شبه إجماع من الفقه على أن

---

(٢٢) د . محمد حسام – ص ٢٢٨ ، د . أحمد شرف الدين – ص ١٧١ ، الوسيط للسنهورى – فقرة ٧٥٧ ، بيكار وبيسون – فقرة ٢٦٩ ، ويدخل فى هؤلاء المالك وصاحب حق الانتفاع ، ومالك الرقبة والدائن العادى (حيث يستطيع أن يؤمن نفسه من إعسار المدين ، وهو ما يسمى بتأمين الثقة أو التوكى) والدائن ذى الحق العينى على عين معينة ، والتأمين لحساب الغير ، والتأمين لحساب من يثبت له الحق فى ملكيته وقت وقوع الكارثة ، راجع : د . عبد الرازق حسن فرج – ص ٩٥ وما بعدها ، د . أحمد شرف الدين – ص ١٧٩ وما بعدها ، وفى جواز تأمين الربح المنتظر – ص ١٨٤ وما بعدها .

(٢٣) د . محمد حسام لطفى – ص ٢٢٨ المرجع السابق – ص ٢٢٩ – وراجع د . عبد الودود يحيى – العقود المسماة – ص ٢٢٦ .

(٢٤) د . حسام الأهوانى – ص ٩٥ ، د . محمد حسام لطفى – ص ٢٢٩ ، د . عبد الغنى حجازى – فقرة ٨٠ ، د . توفيق فرج ، ص ٦١ ، د . عبد الرازق حسن فرج – ص ٩٨ .

المصلحة تعتبر ركناً أساسياً فى التأمين على الأشياء ، وهى تتمثل فى كل مصلحة اقتصادية يهدف المؤمن بها إلى بقاء الشىء المؤمن عليه ، ولكن التساؤل قد أثير حول ما إذا كان للمصلحة نفس صفة الركنية فى التأمين على الأشخاص ؟ فذهب رأى فى الفقه إلى القول : بأن المصلحة لاتعتبر ركناً فى التأمين على الأشخاص بصفة عامة ، وفى التأمين على الحياة بصفة خاصة ، وإلى أنها لازمة فى حالة التأمين على الأشياء ، وهذا ما أخذ به المشرع فى قانون التأمين الفرنسى ، إذ أورد المصلحة بين النصوص الخاصة بعقد التأمين على الأشياء ، ونص فى المادة (٥٧ منه) على بطلان التأمين على حياة الغير بدون رضائه كتابة ، أو إذا كان قاصراً لم يبلغ عمره الثانية عشرة أو كان محجوراً عليه أو مختل العقل ، أو محجوزاً فى مستشفى للأمراض العقلية[٢٥] (مادة ٥٨) .

وذهب رأى آخر إلى التمييز فى تأمين الأشخاص ، بين تأمين الشخص على حياة نفسه والتأمين على حياة الغير ، ففى حالة التأمين على حياة الشخص مصلحة فى المحافظة على حياة نفسه أو على سلامته الجسدية ، أو صحته تكون واضحة ، أما فى حالة التأمين على حياة الغير فتبدو المصلحة عنصراً لازماً فى التأمين ، لأن انعدام المصلحة هنا قد يدفع المؤمن له إلى إيقاع الخطر المؤمن منه طمعاً فى مبلغ التأمين ، ولكن المشرع فى سبيل الحيلولة بين المؤمن له ، وبين إيقاع الخطر بالمؤمن عليه ، جعل من الاعتداء على حياة الغير ، المؤمن عليه سبباً لحرمان المستفيد من التأمين (المؤمن له) من مبلغ التأمين ، كما أنه اشترط فى حالة التأمين على حياة الغير موافقة هذا الغير كتابة قبل إبرام العقد .

والراجح فى الفقه أن المصلحة فى التأمين على الأشخاص تعتبر عنصراً فى التأمين ، كما هو الشأن بالنسبة للتأمين على الأشياء ، بدليل أن المشرع حين نص فى المادة (٧٤٩) على شرط المصلحة ، أورد هذا النص فى الأحكام العامة لعقد التأمين ، فينطبق على كل أنواع التأمين ، سواء منها تأمين الأشياء أو تأمين الأشخاص[٢٦] .

ومما يرجح ذلك : أنه فى التأمين على حياة الغير ، يجب أن يهتم القانون من ناحية بوضع الوسائل الكفيلة بتنبيه المؤمن على حياته إلى المخاطر التى يتعرض لها ويمنع المؤمن له أو المستفيد من استعجال وفاة الغير المؤمن عليه[٢٧] ، ومن ناحية أخرى بفرض شروط تباعد هذا التأمين عن نطاق المضاربة غير المشروعة[٢٨] ، ذلك أنه إذا لم يكن للمؤمن له أى مصلحة فى استمرار حياة المؤمن

(٢٥) د . أحمد شرف الدين ــ السابق .

(٢٦) من هذا الرأى : د . عبد الحى حجازى ــ فقرة ٨٦ ، د . عبد المنعم البدراوى ــ فقرة ٢٠٠ ، د . حسام الأهوانى ــ ص ٩٧ وما بعدها ، د . توفيق فرج ــ ص ٦٢ ، د . عبد الرازق فرج ــ ١٠٠ ، د . أحمد شرف الدين ص ١٩٢ ، د . محمد على عرفه ، ص ٢٢٨ وقارن : ماذهب إليه الدكتور السنهورى من عدم اعتبار المصلحة فى التأمين على الأشخاص ، بشرط الموافقة الكتابية للمؤمن على حياته لأن هذه الموافقة تدل على أن المؤمن عليه لا يخشى تسبب المؤمن له أو المستفيد فى وفاته عمدا ، وراجع : الوسيط ــ السابق ــ فقرة ٥٦٤ ، وفقرة ٧٠٦ ، بيكار وبيسون ــ فقرة ١٨١ .

(٢٧) د . محمد على عرفه ــ ص ٢٢٦ .

(٢٨) د . حسام الأهوانى ــ ص ١٠١ ، د . أحمد شرف الدين ــ ص ١٩٤ .

عليه ، فلن يصيبه أى ضرر من وفاته ، فيجد مجالاً واسعاً للمضاربة على هذه الحياة ، كأن يؤمن عليها بمبلغ كبير ، أو بعدد التأمين عليها لدى مؤمنين مختلفين مؤملاً أن يتحقق الخطر بوفاة المؤمن عليه ، خاصة إذا كان متقدماً فى العمر أو كانت احتمالات وفاته أكبر من احتمال حياته ، فيكسب المؤمن له مبلغ التأمين دون أن تسبب الوفاة له أى ضرر ، ومما قد يشجعه على ذلك أن المبدأ التعويضى لا يعمل به فى مجال التأمين على الأشخاص ، فالمؤمن له هنا كالمقامر أو المراهن يعمل على وقوع الخطر ، أو يتمنى وقوعه ، لأن هذا يجلب له ربحاً دون خسارة ، فى حين أن عدم وقوعه يسبب له خسارة دون ربح ، ولا يؤثر فى هذه المضاربة رضاء المؤمن عليه بها ، لأنه قد يوافق على الاشتراك فيها مع المؤمن له فى مقابل مبلغ يدفعه له هذا الأخير ، وإذن فشرط المصلحة يحقق حماية وقائية لحياة الغير طالما أن المؤمن له لن يستفيد من عقد التأمين ، حتى ولو لم يثبت تعمده قتل المؤمن عليه ، متى كان هذا العقد باطلاً بطلاناً مطلقاً منذ البداية لعدم توافر محله وهو مصلحته فى استمرار حياة الغير المؤمن عليه(٢٩) .

وبهذه الإعتبارات مجتمعة ؛ يمكن تفسير نصوص القانون المصرى ، على أنها تشترط لصحة التأمين على حياة الغير ، فضلا عن موافقته الكتابية ، توافر مصلحة المؤمن له أو المستفيد فى بقاء المؤمن عليه حياً(٣٠) .

نوع المصلحة :

والمصلحة فى التأمين على الأشياء كما قلنا يجب أن تكون مصلحة اقتصادية لما لهذا النوع من التأمين من صفة تعويضية ، ومع هذا فإنه فى التأمين على الأشخاص قد يتصور وجود هذه المصلحة ، فقد يكون للمتعاقد مصلحة اقتصادية فى بقاء المؤمن على حياته عند إبرام عقد التأمين ، ففى التأمين على حياة الغير يكون للزوجة مصلحة فى بقاء زوجها الذى ينفق عليها ، وللدائن مصلحة فى بقاء مدينه إذا كان يعتمد فى استيفاء حقه على عمل يقوم به المدين لدى المؤمن له ، وقد يكفى توافر المصلحة الأدبية أو المعنوية كما سبق أن رأينا .

ويشترط أن تكون المصلحة جدية ، فإذا ذكر فى وثيقة التأمين أن للمؤمن له مصلحة فى بقاء المؤمن على حياته ، ثم اتضح من الظروف ما يخالف ذلك كان التأمين باطلا ويترك تقدير هذا للقضاء(٣١)

وقت وجود المصلحة :

.. ونظرا لقيام شرط المصلحه على اعتبارات تتصل بالنظام العام ، فإنه يلزم توافر هذا الشرط ، سواء وقت إنعقاد العقد أو أثناء مدته ، فإذا تخلف هذا الشرط وقت إبرام العقد فإنه يقع باطلا بطلاناً مطلقاً ، ولا ينتج أى أثر من آثاره ، ويستطيع كل ذى مصلحة أن يطلب إبطاله ، ويتعين رد المتعاقدين إلى الحالة التى كانا عليها قبل التعاقد ، أما

---

(٢٩) د . أحمد شرف الدين ــ ص ١٩٥ .

(٣٠) المرجع نفسه ، د . محمد على عرفه ــ ص ٢٢٨ .

إذا توافر شرط المصلحة وقت إنعقاد العقد ، ولكنه تخلف فيما بعد ، فإن العقد ينعقد ، ويظل صحيحاً فترة وجود المصلحة ، ولكنه ينقضى منذ لحظة زوالها[32] ، كما لو أمن الزوج على زوجته بصفتها هذه ثم يحدث الطلاق بينهما فتزول هذه الصفة ، ينقضى عقد التأمين تبعاً لذلك ، أو أن يؤمن الدائن على حياته مدينه ثم يستوفى حقه منه ، فهنا تزول مصلحة الدائن فى التأمين فينقضى العقد ، ومتى انقضى العقد بقوة القانون فإن التزام المؤمن له بدفع الأقساط اللاحقة يسقط ، ولكنه لا يستطيع أن يسترد ما دفعه من أقساط عن المدة السابقة على زوال المصلحة ، فهذه الأقساط كانت مقابل تحمل المؤمن تبعة الخطر بناء على عقد صحيح خلال هذه المدة[33] .

والخلاصة : أنه يتعين أن تكون المصلحة شرطاً أو ركناً فى عقد التأمين أياً كان نوعه ، وأن المصلحة هى التى تكفل التمييز بين التأمين والمقامرة أو الرهان ، ويجب أن تكون المصلحة جدية ، وإلا انقلب العقد إلى مضاربة غير مشروعة[34] .

المبحث الثانى

أنواع التأمين وتقسيماته

للتأمين أنواع مختلفة ، ومن هذه الأنواع ما يرجع إلى شكل التأمين ، أو الفن المتبع فى إدارة نظامه ، ومنها ما يرجع إلى موضوعه ، وسوف نبين أنواع التأمين من خلال هذا التأصيل وذلك فى مطلبين :

المطلب الأول ـ التقسيم الفنى للتأمين :

وأساس هذا التقسيم كما سبق ، هو الشكل الذى تتخذه هيئة التأمين فى إدارة عمليات التأمين ، فينقسم إلى تأمين تعاونى ، وتأمين بقسط ثابت (التأمين التجارى) .

أولا ـ التأمين التعاونى :

فى هذا النوع من التأمين يتفق مجموعة من الأشخاص فيما بينهم على تعويض الأضرار التى قد تصيب أحدهم عند تحقق خطر معين ، وهذا النوع من التأمين لا تقوم به هيئة مستقلة ، وإنما يقوم به المؤمن لهم أنفسهم ، ولا يهدف إلى تحقيق ربح .

فالأشخاص المنتفعون به هم الذين يقومون بدور المؤمن والمؤمن لهم ، أما فى التأمين بقسط ثابت ، فإن الذى يقوم بالتأمين فيه شركة من شركات التأمين التى أوجب فيها القانون رقم (١٩٥ لسنة ١٩٥٩) أن تتخذ شكل الشركة المساهمة ، ولهذا التأمين سمات هى :

أولا : من سمات هذا النوع من التأمين أن مقدار ما يدفعه المشترك فيه لا يتخذ طابع الثبات ، وذلك أن مقدار ما يدفعه كل عضو من المشتركين يتوقف على عدد الحوادث التى تقع خلال السنة ومن ثم فإنه يزيد بزيادتها وينقص بنقصانها ، وعلى هذا الأساس فإن كل عضو لا يعلم مقدار ما سيلتزم به مقدماً ، وإذا أضير أحد الأعضاء المشتركين فى هذا النوع من التأمين فإن المستأمن لا يأخذ إلا جزءاً من التعويض .

---

(٣٢) د. أحمد شرف الدين ـ ص١٩٦ ، وقارن : د. عبدالحى حجازى ـ ص١٠٣ .

(٣٣) د. حسام الأهوانى ـ ص١٠٢ ، د. محمد على عرفة ـ ص٦٤

وما بعدها ، د. محمد حسام ـ ص٢٣٤ ، د. عبدالودود يحيى ـ التأمين على الحياة ـ ص٩٤ .

(٣٤) د. توفيق فرج ـ فقرة ٧١ ، د. محمد حسام ـ ص٢٣٥ .

على إحصاءات معينة ، فإذا تبقى منه شيء فإنه يعتبر بمثابة احتياطى يمكن أن يستغل لمواجهة الأخطار والكوارث التي يعجز الحد الأقصى عن تغطيتها .

أما فى التأمين بقسط ثابت ، فإنه يحدد به مقدماً مقدار ما سيدفعه كل مشترك .

ثانياً : ومن سمات هذا النوع من التأمين أنه يقوم على فكرة التضامن بين الأعضاء المؤمنين ، فالموسر من الأعضاء يتحمل نصيب المعسر ، ومن المؤكد أن التأمين بقسط ثابت لا يوجد فيه تضامن بين المؤمن لهم ، ويعتبر المؤمن وحده هو الملزم بدفع مبلغ التعويض عند تحقق الخطر المؤمن منه . وذلك لاستقلال المؤمن عن المؤمن له فى هذا النوع من التأمين(٣٥) .

نقاط الاتفاق بين النظامين :

ومع وجود تلك الفروق بين هذين النوعين من التأمين ، فإن العمل قد قارب بينهما ، واستعار كل منهما من الآخر بعض مميزاته ، فقلت الفوارق بينهما .

فالتأمين التعاونى أصبحت الأقساط تحدد فيه بصورة ثابتة إلى حد كبير يمكن به مواجهة المخاطر دون طلب زيادة ، مع استخدام المبالغ الزائدة كاحتياطى يلجأ إليه عند الحاجة ، وقد بدأ التأمين التعاونى من هذه الناحية يتحول إلى تأمين ذى قسط ثابت .

ومن ناحية أخرى فقد تأثر التأمين بقسط ثابت ببعض مزايا التأمين التعاونى حين قرر اشتراك المستأمنين فى الأرباح وذلك فى التأمين على الحياة ؛ وهذا يقترب من نظام التأمين التعاونى ، حيث يسترد الشركاء الفائض عما يغطى الكوارث فى حالة استخدام هذا الفائض فى تكوين احتياطى .

المطلب الثانى ــ التقسيم الموضوعى للتأمين :

وينقسم التأمين من حيث الموضوع إلى تأمين برى ، وبحرى ، وجوى ، وإلى تأمين الأضرار وتأمين الأشخاص ، وإلى تأمين خاص ، وتأمين اجتماعى .

أولاً ــ التأمين البرى والبحرى والنهرى والجوى :

من المعروف أن التأمين البحرى هو أقدم أنواع التأمين ، ويهدف هذا النوع من التأمين إلى تغطية مخاطر التأمين البحرى الخاصة بالسفينة ، أو بحمولتها من البضائع ، ولا يدخل فيه تأمين الأشخاص المعرضين لمخاطر البحر ، وينظم هذا النوع من التأمين المواد من (١٧٣ ــ ٢٣٤) من قانون التجارة البحرى ، ويدرس ضمن مؤلفات القانون البحرى .

أما التأمين النهرى فإنه يهدف إلى تأمين مخاطر النقل فى الأنهار والترع العامة بالنسبة للسفينة أو

(٣٥) د. حسام الأهوانى : ص٢٢ ، د. أحمد شرف الدين ــ ص٢١ ، د. عبدالرزاق السنهورى ــ ص١٠٩٩ ، د. عبدالودود يحيى ــ ص١٨ ، د. أحمد شرف الدين ــ السابق ص٢١ ، بيكار وبيسون فقرة ٢٠ ، محمد كامل مرسى ، ص٢٩ ، د. محمد على عرفة ــ ص٢٤ ، د. عبدالمنعم البدراوى ــ فقرة ٢١ ، د. محمد حسام ــ ص٤٢ ، د. عبدالرزاق حسن فرج ــ ص٢٠ وما بعدها .

حمولتها من البضائع ، وهذا النوع من التأمين يسرى عليه ما يسرى على التأمين البحرى من أحكام وذلك عن طريق القياس .

وأما التأمين البرى فإنه يغطى المخاطر التى تحدث فى البر ويشمل كل عمليات التأمين مطروحاً منها ما كان متعلقاً بالتأمين البحرى والنهرى والجوى[٣٦] .

وأما التأمين الجوى فهو وارد على خطر النقل بالطائرات من ناحية التأمين على الطائرة أو حمولتها ، وقد ظهر فى القرن العشرين ويدخل ضمن دراسة موضوعات القانون الجوى .

ثانياً ـ تأمين الأضرار :

١ ـ أما تأمين الأضرار : فإنه يهدف إلى تعويض الشخص عن ضرر يصيبه إذا ما تحقق خطر معين ، وهو يشمل نوعين من التأمين :

النوع الأول ـ تأمين الأشياء :

وهو يهدف إلى تعويض المؤمن له عن خسارة تلحق بأحد أمواله ، ولا يوجد فيه فى العادة سوى طرفين هما : المؤمن والمؤمن له ، وهو ذاته المستفيد ، ومنه التأمين ضد الحريق أو السرقة أو الصقيع أو الإعصار أو موت الماشية[٣٧] .

النوع الثانى ـ التأمين من المسئولية :

وهو يهدف إلى حماية المؤمن له من دعاوى التعويض التى قد يرفعها الغير عليه بسبب الضرر الذى يسأل عنه ، أى أنه يؤمن الشخص ضد سلوك خاطىء يمكن أن يسأل عنه مستقبلا ، ويطلب التأمين على مسئوليته عنه فى حدوده ، ومع ذلك فإنه قد يحدد موضوع المسئولية عند إبرامه عقد التأمين كما هو الشأن فى حالة التأمين على العين المستأجرة من الحريق (م ٥٨٤) مدنى ، ففى هذه الحالة الأخيرة يخضع موضوع التأمين من المسئولية لكونه محدداً لقاعدة التخفيض النسبى ، كما هو الحال فى التأمين على الأشياء .

والمؤمن هنا يدفع مبلغ التعويض المقضى به بدلاً من المؤمن له[٣٨] .

وذلك كالتأمين من حوادث السيارات ، وحوادث العمل وحوادث النقل البرى ، وفى هذا النوع من التأمين ثلاثة أطراف هم : المؤمن ، والمؤمن له ، والمستفيد ..

ويلاحظ أن موضوع التأمين من المسئولية غير محدد فى الغالب ولا يمكن فيه معرفة نتائج المسئولية مقدماً ، ولهذا يقوم المستأمن بتحديد مبلغ معين

يتبع

(٣٦) السنهورى ص١١٥٦ ، د. حسام الأهوانى ص٢٣ ، د. أحمد شرف الدين ص٢٢ ، د. عبدالرازق فرج ـ ص٢٣ ، د. عبدالمنعم البدراوى ـ فقرة ١١٦ ، د. محمد كامل مرسى ص٢٤ ، د. عبدالرازق فرج ـ ص٢٣ ، د. عبدالمنعم البدراوى ـ فقرة ١١٦ ، د. محمد كامل مرسى ـ ص٢٤ ، د. أحمد شرف الدين ـ ص٢٦ ، بيكار وبيسون ـ فقرة ١٨ .

(٣٧) د. عبدالمنعم البدراوى ـ فقرة ١٢٠ ، د. أحمد شرف الدين ـ ص٢٤ ، وراجع له كتاب : عقود التأمين وضمان الاستثمار ـ فقرة ٤ ، ٥ .

(٣٨) د. عبدالمنعم البدراوى ـ السابق ، د. حسام الدين الأهوانى ـ ص٢٧ ، د. السنهورى ـ فقرة ٥٦٥ ، طبعة ١٩٦٤م ، د. أحمد شرف الدين ـ ص٢٥ .

محاسبة النفس

فضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠ ﴾ سورة الشمس

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ ﴾ سورة ق

كثيرا ما تكون النفس البشرية راضية مرضية صادقة أبية مؤمنة تقية ، تراقب الله سرا وعلانية فى كل قول وفعل ، فهى موصولة بالله لاتعبد إلا إياه ولا تزل لأحد سواه ، لإيمانها بأن من طلب العز بغير الله ذل ، وليقينها بأنه لا ملجأ من الله إلا إليه ، ولا اعتماد إلا عليه ، ولعلمها بأن الله هو الواحد الأحد الفرد الصمد ، وهو الذى نقف بين يديه لنقول « إياك نعبد وإياك نستعين » بقلوب ضارعة خاشعة قانتة لله وحده لا شريك له .

﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾

سورة الشعراء

ولكن قد تكون النفس خداعة لصاحبها تصرفه عن مواطن النقص فيها حتى يرضى عنها وينصرف عن معالجة أمراضها ، وبهذا يعيش أنانيا شحيحا طامعا ، كل همه أن يشبع نهمه فلا يرضى بالقليل ولا يقنع بالكثير ، وقد استعاذ رسول الله ﷺ من نفس لا تشبع ، لأن الانسان قد أوجده الله على ظهر هذه الأرض ليعيش لنفسه ولوالديه ولولده ولبلده وللأقربين وللناس أجمعين :

وصفوة الناس من الورى رجل
تقضى على يده للناس حاجات
قد مات قوم وما ماتت فضائلهم
وعاش قوم وهم فى الناس أموات

وذلك لأن خير الناس أنفعهم للناس ، ولا خير فيمن لا ينفع نفسه ولا نفع غيره .

« خيركم من طال عمره وحسن عمله ، وشركم من طال عمره وساء عمله » .

ومن رحمة الله بالناس أن جعل لهم باب المتاب مفتوحا ليراجع المرء نفسه بنفسه بضمير حىّ يقظ ، ونفس أوّابة لوامة توابة ، وإحساس وجدانى قوى ، ووازع دينى نقى ، يعاتب ويراقب ويحاسب النفس على ماقدمت وأخرت قائلا لها :

« يا نفس قد بعث القرب من إهلك .. بثمن بخس حقير هالك » .

ورحم الله من شبه النفس بالطفل فقال :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ولو أن كل ذي عقل سليم وتفكير قويم حاسب نفسه ونهاها عن هواها لاستقام الأمر واستتب الأمن ، فإن لم يتغلب عليها يهداها غلبته بهواها .

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ ﴾ سورة النازعات .

وكثيرا مايكون المرء راضيا عن نفسه ، وهي ليست أهلا للرضا ، ومن رضي عن نفسه في أخطائها كثر الساخطون عليه ، لأنه لم يراقب أعمالها الباطنة والظاهرة ، فخلط عملا صالحا وآخر سيئا ، ومن لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ ، من أجل هذا طالبنا ديننا بضبط النفس عند الغضب لكيلا تبطش بخصمها وتنزل به الأذى ، وهو غير قادر على دفع هذا الشر عن نفسه .

أي الإسلام أفضل ؟

وقد سئل رسول الله ﷺ : أي الإسلام أفضل ؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

وعن عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » . رواه البخاري .

وفي رواية : قالوا : أي الإسلام أفضل ؟ قال « من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

وفي هذا الحديث الشريف اختبار للنفس ، وامتحان لها في أقوالها وأفعالها ، امتحان للمسلم الذي يقول : أسلمت وجهي لله رب العالمين ، ومن قال هذا لابد أن يكون محسنا ، والإحسان هو « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك » وذلك بأن يترك المسلم هوى نفسه ابتغاء مرضاة الله ليكون رضاه أحب إليه من والديه وولده ونفسه التي بين جنبيه ، إذا تم له هذا فقد أسلم ذاته لله إسلاما صادقا لاخداع فيه ولاريب .

والله يقول : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝ ﴾ سورة لقمان

والمعنى أن يقول المسلم لنفسه : أسلمت ذاتي وجوارحي وقواي كلها لربي الله ، فلا أتصرف إلا بما يرضيه وحده ؛ فهو مالكها وخالقها وبيده ملكوت كل شيء ، فلا أغفل عن ذكره وشكره وحسن عبادته وكريم طاعته .

والتوبة انتصار على النفس :

التوبة لغة : الرجوع ، وشرعا : الندم على المعصية مع العزم الصادق على عدم العودة إليها إذا قدر على ذلك « إنما الأعمال بالنيات » ، ونية المرء خير من عمله ؛ فمن تاب من شرب الخمر وإدمان المخدرات لمرض أصابه أو ضعف حل بأعصابه أو عقله أو لإتلاف مال فليس توبة إلى الله ، ولكن التوبة ندم على المعصية التي اقترفها وارتكبها خوفا من آثار المعاصي الكريهة التي تنأى بالإنسان عن ربه اتباعا لخطوات الشيطان ، واحتراما للإيمان

واتباعا للصراط المستقيم ، وطمعا فى مغفرة التواب الرحيم ، القائل : ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ ، والذى يقول :

﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم﴾ . سورة التحريم

والتوبة النصوح تقرب العبد من ربه وهو غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى .

متى تحقق الإيمان الصادق من شخص تحقق عليه حكمه ، وهو عصمة النفس والمال ، وهى حق للمسلم « أى العصمة » على سائر المسلمين فلا يعتدى مسلم على أخيه المسلم فى نفسه أو ماله ، ولقد أوجب الله للمسلم حقوقا تكفل القرآن الكريم والسنة المطهرة بيانها ، وكلها تضع الحواجز بين النفس ونزواتها وهواجسها ووساوسها ؛ فلا شذوذ ولا شرود ولا عدوان على القواعد والحدود لأن المؤمنين إخوة متحابون متعاونون على البر .

﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون ⓾﴾ سورة الحجرات

والإسلام يعلم المسلمين أنه « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » وتلك هى المشاعر الكريمة التى لا تقبل طمعا ولا جشعا ولا طغيانا ولا عدوانا ، لأن الحق أحق أن يتبع ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾ الآية ٩٠ من سورة النحل .

وهذه هى الشمائل الإسلامية التى تصنع الكمال فى نفوس الأبرار وقلوب الأخيار ﴿وأولئك هم خير البرية﴾ ، ﴿ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا﴾ الآية ٢٥ من سورة الإسراء .

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ الآية ١١ من سورة المجادلة .

نفس أمارة بالسوء :

لا ريب أن من النفوس نفسا شريرة خبيثة مدمرة لصاحبها تنأى به عن كل فضيلة وتجره إلى كل رذيلة ؛ فاللوم سجيتها والغدر طبيعتها ، فهى تكذب إذا حدثت وتخلف إذا وعدت وتخون إذا ائتمنت ، تحب المال الحرام لتستحوذ عليه بأية وسيلة وتقتنيه بأية حيلة بالخيانة أو الرشوة أو بالنصب والسلب أو الغصب والغش أو بالسطو ليلا أو نهارا ؛ فترى فى الصحف ذئابا بشرية تفترس أعراضا أحيانا بغير حياء من الله أو من الناس بلا دين يردع ولا ضمير يمنع ؛ لأن الشيطان قد استحوذ عليهم فأنساهم ذكر الله وأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون .

والنفس الشريرة مصابة بالنفاق والخداع والتضليل ، وقول الزور وقسوة القلب وفقدان العفة والرحمة ، فليس من بينها صغير يوقر كبيراً ، ولا كبير يرحم صغيراً ولو كان يتيماً ضعيفاً ، والنفس الأمارة بالسوء نزاعة للمداهنة ، ميالة للضر والأذى ، تحترف الشر والفجور فهى عدوانية شيطانية حاقدة جاحدة تعيش فى وحدة تنغص عيشها ، فلا تألف ولا تؤلف : فهى فى غم دائم وحزن مؤلم وهم لا ينقطع ، ولا علاج من هذه العلل إلا بالعودة إلى الله ، واستقامة الحياة ، والإقلاع عن العيوب ، وعدم الرجوع إلى

الذنوب ومطاردة الشيطان والهوى ، ورحم الله القائل :

وخالف النفس والشيطان واعصهما
وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصماً ولا حكما
فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

الضمير حارس أمين :

أقام الإسلام الوازع الديني (الضمير الحي) حارساً أميناً على تصرفات المسلم في جميع شئونه وأحواله : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » ، وفي « وخالق الناس بخلق حسن » دليل كمال الأدب مع الآخرين ، ومن الخلق الحسن الحلم والأناة ، ومن الحلم مقابلة خشونة الألسنة باللين وغلظة القول بالرفق ، بأن تقول للمخطيء : إن الصواب في غير ما نطقت به وأن الحق في غير ما رأيت ، أو تقول للمفسد : إن الخير في غير ما أتيت بدل قول سيىء يؤذيه فيستبدل بتعبير كريم يبعده عن اللغو أو التنابز بالألقاب وينأى به عن الإثم ليقتبس غيره منه أخلاقاً سامية ، ومما لاريب فيه أن الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من جليس السوء ، فلا خير في مجلس لا يتعاون جلساؤه على البر والتقوى ، ويتعاونون على الإثم والعدوان كالقدح في الأعراض والسعي بالنميمة ويبددون أوقاتهم في ارتكاب الاثم ؛ لأنهم لا يعرفون للوقت قيمته .

والعبد مسئول عن عمره : فيم أفناه ؟ وعن شبابه : فيم أبلاه ؟ وعن ماله : من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن عمله : ماذا عمل به ؟ ، فلنتق الله قبل فوات الأوان ، والعمر هو الفرصة الوحيدة للعمل ، وليس بعد انتهاء الأجل عمل يباشره العبد :

﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾

[سورة هود الآيات : ١٠٥ ـ ١٠٨]

والصبر دواء نفسي :

ما أعظم الإسلام في عقيدته وشريعته ، ما أكمل نظامه وهدايته ، وما أكرم أخلاقه ، وما أجل رسالته ودعوته ؛ لأنه دين أكمله الله .... أكمل به الملة ، وأتم به النعمة ، فلا يقبل تعطيلاً ولا تعديلاً ولا تبديلاً :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

[سورة المائدة آية : ٣]

استعينو بالصبر والصلاة :

الصبر قوة كبرى يتحملها أهل العزيمة الصادقة ولا يقدر المهازيل على احتمالها .

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝ ﴾

[سورة لقمان]

أما بعد

فنقول للباحثين عن العزة والرفعة والجاه :

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾

[سورة فاطر الآية : ١٠]

خلق المسلم

بقلم الدكتورة/ فاطمة عمر نصيف (*)

عناية القرآن والسنة بالأخلاق

إن رسالة الإسلام من الكمال والجمال والعظمة والشمول والسمو بحيث شملت كل حقائق الوجود ، وتضمنت كل الكمالات الإنسانية في كل جوانب الحياة ، بل وفي كل شعيرة من شعائر هذا الدين العظيم ، فأصبحت بعظمتها خاتمة الرسالات السماوية واستحقت بجدارة هذا الشرف .

ومع هذه العظمة يظهر واضحاً أن الأخلاق الفاضلة ، والكمالات الإنسانية قد احتلت مكاناً مرموقاً ومنزلة عالية رفيعة في هذا الدين ، يؤكد ذلك التوجيهات القرآنية والنبوية الكثيرة التي شغلت حيزاً كبيراً من الكتاب والسنة والسيرة العطرة ، حتى صارت الأخلاق عنواناً لرسالة الإسلام كلها ، وصفة لصاحب الرسالة العظمى سيدنا محمد ﷺ فقد اجتمعت له ﷺ وهو رسول هذه الأمة مكارم الأخلاق ، فأثنى عليه ربه في كتابه الكريم بهذا الثناء الفريد .

قال ـ تعالى :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ . أي : على دين عظيم . وقال عطية : هو أدب القرآن . وحقيقة الخلق في اللغة هو : ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب ، فذلك يسمى خلقاً لأنه يصير كالخلقة فيه . فلم يذكر خلق محمود إلا وكان للنبي ﷺ منه الحظ الأوفر ، وقيل سمي خلقاً عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه[٢٦٠] فصار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له ﷺ وخلقاً تطبّعه ، طبعاً جبلياً ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه[٢٦١] .

(*) الكاتبة : أستاذ مشارك جامعة الملك عبدالعزيز جدة .

(٢٦٠) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، م٩ ، ص ٢٢٧ .

(٢٦١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ٤ ، ص٤٠٢ .

وقد ورد في الحديث عن سعد بن هشام قال : (سألت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن خلق الرسول ﷺ فقالت : أتقرأ القرآن ، فقلت نعم فقالت كان خلقه القرآن)(٢٦٢) . فكان كل أمر في القرآن ، وكل نهي مترجم ترجمة واقعية في حياته صلى الله عليه وسلم .

وقد عبر عن ذلك خادمه أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً(٢٦٣) .

لقد بلغ ـ عليه الصلاة والسلام ـ القمة في الكمال الإنساني وهو الذي ارتقى بسلوكه وأخلاقه إلى هذا الأفق العالي من العظمة ، فاستحق هذه الصفة والتي لها دلالتها في تمجيد العنصر الأخلاقي في ميزان الله ، وأصالة هذا العنصر في الحقيقة الإسلامية .

جوانب من صوره المشرقة ﷺ

وسوف أتناول بعضاً من تلك الصور المشرقة .

لقد وصفه الله ـ عز وجل ـ بوصف آخر . قال ـ تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾(٢٦٤) .

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : (كان محمد ﷺ رحمة لجميع الناس .. فمن آمن به وصدق به سعد)(٢٦٥) . فهو الرحمة المهداة للبشرية ، وتشهد السيرة بتلك الرحمة التي شملت الأصدقاء ، والأعداء ، والصغير ، والكبير ، والإنسان ، وحتى الحيوان .

فالرحمة ذلك الخلق الرفيع من مستلزمات النبوة ، فالدعوة إلى الله تحتاج إلى لين ورفق ورحمة ورأفة . قال ـ تعالى :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾(٢٦٦) .

أي لو كنت سيء الكلام ، قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك ، ولكن الله جمعهم عليك ، وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم(٢٦٧) . كما قال عبدالله بن عمرو ، إني أرى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة : إنه ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح(٢٦٨) .

وهذه الصفة ، صفة الرحمة واللين والرأفة تكررت في القرآن في أكثر من موضع ، فقال ـ تعالى ـ يصف رحمة الرسول بالمؤمنين :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾(٢٦٩) .

ولقد استدلت أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ بما كان عليه من مكارم الأخلاق على صدق

---

(٢٦٢) الحاكم النيسابوري أبو عبدالله محمد بن عبدالله ، المستدرك على الصحيحين في الحديث ت ٤٠٥هـ ، جـ٢ ، ص٦١٣ دار الكتب العلمية بيروت .

(٢٦٣) الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، توفي عام ٢٧٩هـ : الجامع الصحيح ، وهو سنن الترمذي دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

(٢٦٤) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .

(٢٦٥) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، جـ٦ ، ص٣٥٠ .

(٢٦٦) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

(٢٦٧) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، جـ١ ، ص٤٢٠ .

(٢٦٨) الحاكم ، المستدرك ، جـ٢ ، ص٦١٤ .

(٢٦٩) سورة التوبة آية ١٢٨ .

رسالته ، عندما جاءها رسول الله ﷺ بعد نزول الوحي (أول مرة) يخبرها الخبر وهو خائف يقول لها لقد خشيت على نفسي . فقالت : (كلا لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الدهر)(٢٧٠) .

ومعنى كلام خديجة : إنك لن يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق . وذكرت بعضاً منها ـ كالكرم والشجاعة ، والنجدة ، والحلم ، والصدق ، والأمانة ، وفي هذا دلالة على أن خصال الخير ومكارم الأخلاق سبب السلامة من مصارع السوء(٢٧١) .

كان من حرصه ﷺ على مكارم الأخلاق دعاؤه وطلبه وابتهاله لربه ، فيدعو قائلاً : (وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لاشريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ، واهدني لأحسن الأخـــلاق لايهدى لأحسنها إلا أنت)(٢٧٢) .

وكان يستعيذ بالله من منكرات الأخلاق فيقول : (اللهم اني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء)(٢٧٣) .

وهكذا ، كان ﷺ مبعوثاً ليتمم مكارم الأخلاق ، ومعلماً لمكارم الأخلاق ، فكان القدوة الحسنى ، والأسوة العظمى ، اجتمع فيه ما تفرق في غيره من مكارم الأخلاق ، فكان مجمع الكمالات الأخلاقية : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .. فكل أقواله وأعماله وتوجيهاته وإرشاداته وسيرته للأخلاق وبالأخلاق .

إن اهتمام القرآن الكريم بالجانب الأخلاقي يبدو واضحاً حتى يكاد الباحث يحس بطغيان هذا الجانب على غيره ، فقد اهتم القرآن الكريم به اهتماماً عظيماً ، حيث قدمه على الجانب التعبدي في أكثر من موضع دلالة على أهميته ، فعندما وصف ـ سبحانه وتعالى ـ عباده الخلص « عباد الرحمن » بدأ بصفات خلقية يمتدحهم بها ، وهي التواضع والحلم والقول الحسن ، ثم عقب على هذه الصفات بصفة تعبدية عظيمة وهي صلاة الليل ، قال ـ تعالى :

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾(٢٧٤) .

هؤلاء العباد الذين اصطفاهم الله ورضي عنهم وشرفهم بنسبتهم إليه ، ووعدهم بالدرجات العلى في الجنة ، بدأ بحليهم وبصفهم وصفاً أخلاقياً سلوكياً ، مزكياً أدبهم الجم وهذا يدل على مكانة الأخلاق ومنزلتها العالية عند الله .

يقول ابن كثير(٢٧٥) . (هذه صفات عباد الله المؤمنين الذين يمشون على الأرض هوناً .. أي بسكينة ووقار) ، كقوله ـ تعالى :

---

(٢٧٠) مسلم صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الكتب العلمية ط ١ عام ١٩٣٠م جـ ٢ ، ص ١٩٧ .
(٢٧١) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٠٢ .
(٢٧٢) الترمذي ، الجامع الصحيح ، جـ ٥ ، ص ٤٨٤ .
(٢٧٣) الحاكم ، المستدرك ، جـ ١ ، ص ٥٣٢ .
(٢٧٤) سورة الفرقان آية ٦٣ ، ٦٤ .
(٢٧٥) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ٣٢٤ .

﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ .

أى إذا سفه عليهم الجهال بالقول السيء لم يقابلوهم عليه بمثله بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيراً ، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً . وكما قال ـ تعالى :

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾(٢٧٦) .

وكذلك عندما وصف الله ـ عز وجل ـ الجماعة المختارة فى أواخر سورة الشورى أعطاها : صفات خلقية رائعة لا تخرج عن نطاق دائرة مكارم الأخلاق ، فلو تأملناها لوجدنا أنها تبدأ بفضيلة الصبر والتوكل ثم طهارة القلب ونظافة السلوك ، ثم خلق السماحة والعفو والصفح .. تأتى بعدها صفة المداومة على الصلاة لحماية تلك الأخلاق ، كذلك كان من صفاتهم أن الأمور تتم بالمشاورة فيما بينهم ، فلا تحكم بالرأى ، ثم بصفة الإنفاق « السخاء والكرم » . ثم صفة العدل ، ثم صفة الاعتدال والتوازن .. وهذا يدل على قيمة الفضائل الخلقية والأخلاق الحسنة الجميلة فى دين الله ، وكذلك نجد صفات خلقية أخرى لعباد الله المؤمنين فى أواخر ـ هذه السورة ـ سورة الشورى .

مكانة الأخلاق فى السنة النبوية

ولقد أكدت السنة النبوية على أهمية الأخلاق ومكانتها فى الشريعة الإسلامية بأحاديث كثيرة وردت عنه ﷺ ، منها : أنه جعلها من دلائل كمال الإيمان ، فقد جاء عنه ﷺ أنه قال : (**من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله**)(٢٧٧) . فالمؤمن لا يكتمل إيمانه إلا إذا اكتملت أخلاقه وحسنت سيرته ، وبذلك يستحق صفة الخيرية فيصبح من خيار المؤمنين .

قال رسول الله ﷺ : (**إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً**)(٢٧٨) . ولعل أهم الأحاديث التى وردت فى حسن الخلق هو : قول النبى ﷺ : (**إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً ، وإن من أبغضكم إلى وأبعدكم منى يوم القيامة : الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون**)(٢٧٩) .

هذه الأحاديث تدل على أن مكارم الأخلاق هى الجالبة لمحبة الله ولمحبة الرسول ﷺ وهى الموجبة للقرب منه يوم القيامة ، وهل هناك مكانة ومرتبة أعلى من أن يكون المرء مع رسول الله ﷺ ، فى أعلى عليين . وهذا الفهم يكشف لنا سبب تمسك الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بالشيم الكريمة رغبة منهم فى الحصول على هذه المرتبة الرفيعة العالية يوم القيامة ، فكانوا بذلك نجوم الهدى وأئمة تقتدى ـ رضوان الله عليهم أجمعين .

علاقة الأخلاق بالترقيات

إن الحوافز الكثيرة التى وضعها الرسول ﷺ للملتزمين بآداب الإسلام ، المنضبطين سلوكياً ،

---

(٢٧٦) سورة القصص آية ٥٥ .

(٢٧٧) المرجع السابق .

(٢٧٨) الحاكم ، المستدرك ، جـ ١ ، ص ٥٣ .

(٢٧٩) ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى ، جـ ١٠ ، ص ٤٥٦ .



وأخلاقياً ، كلها تؤكد أن الأخلاق من أفضل الطاعات والقربات . فحسن الخلق سبب في رفع درجات العبد المؤمن يوم القيامة قال ـ عليه الصلاة والسلام : (**إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة قائم الليل صائم النهار**)[٢٨٠] .

ومكارم الأخلاق يضمن المؤمن بيتا في أعلى الجنة . قال ـ عليه الصلاة والسلام : (**أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقاً ، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**)[٢٨١] . فيضمن صاحب الخلق العظيم لصاحب الخلق الحميد بيتا في أعلى الجنة . بل يجعل الرسول ﷺ حُسن الخلق : جماع الخير ، فقد جاء في الحديث عن النواس بن سمعان ـ رضي الله عنه ـ قال : (**سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال : البر : حسن الخلق ، والإثم : ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس**) . فالبر يكون بمعنى الصلة وبمعنى اللطف والمبرة ، وحسن الصحبة والعشرة ، وبمعنى الطاعة .. وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق[٢٨٢] .

ولأهمية حسن الخلق جاء الأمر صريحاً منه ﷺ بالتزامه ، فعن مالك أن معاذ بن جبل قال : آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حين وضعت رجلي في الغرز أن (**قال : أحسن خلقك للناس يا معاذ ابن جبل**)[٢٨٣] .

إن توجيهات الرسول ﷺ أخذت مدى أبعد من ذلك ، فاشترط في الزوج الصالح الخلق الحسن ، فقال : (**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ، قالوا يا رسول الله وإن كان فيه ، قال : إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه ثلاث مرات**)[٢٨٤] .

فالدين المقصود به : الصلاة والتقوى والأخلاق الحميدة لدى مريد الزواج هو الذي يضمن دوام العشرة ، ويحقق المودة والألفة ، وهو السياج الذي يحمي الأسرة من عوامل التفكك والانحراف .

كما وردت العديد من التوجيهات الربانية في تنظيم العلاقات بين أفراد المجتمع على أسس خلقية عظيمة ، كالتكافل والتراحم والتناصح والأمانة والعدل والمحبة والإخلاص والصدق ، وهي صورة لمجتمع فريد في قيمه ، فلو أننا تصفحنا القرآن لرأينا سوراً بأكملها قد عنيت بهذا الأمر ، واهتمت به ، ومنها : (سورة النساء) فمحور السورة يدور حول تنظيم المجتمع المسلم على تلك الأسس والارتفاع بها إلى مستوى يتميز بها عن سائر الأمم بأخلاقه وعاداته ، ونظمه المستمدة من القرآن الكريم ، فجاءت الآيات تنظم العلاقات بين أفراد المجتمع المسلم ، وتحمي الفئات الضعيفة فيه ، فجاءت بالتشريعات العملية لحماية اليتامى والنساء وتنظيم الأسرة على غير غرار سابق .

وكذلك جاءت « سورة الحجرات » تمحو ملامح المجتمع الجاهلي ، وترتقي بالأخلاق الإنسانية .

---

(٢٨٠) الترمذي . الجامع الصحيح ج٢ ص١٩٦ .

(٢٨١) الحاكم ، المستدرك . ج١ ص٦٠ .

(٢٨٢) أبو داود : سليمان بن الأشعث الأزدي : سنن أبي داود ، ج٤ ص٢٥٤ مكتبة الرياض الحديثة . الرياض .

(٢٨٣) مسلم . صحيح مسلم بشرح النووي ج١٦ ص١١١ .

(٢٨٤) مالك بن أنس ، الموطأ ج٢ ص٩٠٣ . دار إحياء التراث العربي ١٩٥١م .

وكذلك سورة النور التى دارت آياتها كلها تقريباً حول إصلاح النفس الإنسانية وتهذيبها وتقويم الأخلاق وتصحيحها ووقاية المجتمع من الثغرات الخلقية ومواضع الخلل ، بوصف الداء والدواء . وقد أعطى الله ـ تعالى ـ هذه التوجيهات والإرشادات صفة الإلزام ، فبدأت السورة بقوله ـ تبارك وتعالى :

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ..

وفى الآية تقرير : أن كل ما جاء فى هذه السورة من حدود وتكاليف وأخلاق وآداب هى بمثابة فرائض شرعية ، وهذا يدل على اهتمام القرآن بالعنصر الأخلاقى فى الحياة حيث جعله فريضة كباقى العبادات .. ومن هذه الآداب : أدب الاستئذان داخل البيوت وخارجها ، وأدب نقل الأخبار ، وآداب الضيافة ، وآداب معاملة الرقيق .. إلخ .

فالمتأمل لكتاب الله يرى أن مكارم الأخلاق قد شغلت مساحة كبيرة منه حتى لا تكاد تخلو منها سورة ، بل إننا نرى آيات الأخلاق بين آيات العقيدة ، ونراها مع آيات العبادة ، ومعهما مجتمعات ، ومع المعاملات فى كل معاملة .

ومن الملاحظ أيضاً أن أغلب هذه الآداب والمكارم ؛ جاءت على شكل أوامر ونواهى (تكاليف شرعية) مثلها مثل باقى العبادات والطاعات .. ولكن من العجب أن لا نرى صورة الآداب القرآنية والمكارم الخلقية فى المجتمعات الإسلامية كما نرى مظاهر العبادات (ولا أقول جوهرها) ، كالاهتمام الظاهرى بالصلاة والزكاة والصوم والحج ، هذا يدل على ضعف الوازع الدينى واهتزاز العقيدة فى النفوس فهى الدافع والضابط لسلوك الأفراد والجماعات ..

فكل ما يصدر عن الإنسان من سلوك وتصرفات إنما هو ثمرة طبيعية لحقيقة إيمانية ، فمن المظاهر المؤلمة حقاً التى هى نتيجة حتمية لاهتزاز حقيقة الإيمان أن نرى الرجل يصوم ويصلى وفى الوقت نفسه لا يبالى بتجارة يحتكرها ، أو جيران يؤذيهم ، أو عمال يمنعهم حقوقهم ، بل نرى من يبالغ فى الورع والتقوى فلا يكتفى بالفرائض بل يؤدى حتى النوافل ، ومع هذا يعق أمه ويظلم زوجته ويماطل فى دين مستحق . ولقد نعى القرآن الكريم على أمثال هؤلاء بأساليب متنوعة تعرض فى كل مرة لما ينبغى أن يكون عليه المسلم ، ووجوب أن يعيش فى حقيقة الإيمان لا فى صورته . وشتان بين الأصل والصورة والمظهر والجوهر . ولكى يصحح كل مسلم مظهره وصورته فلابد أن يطهر قلبه وينقى سريرته ، فإذا صلحت صلح القلب ، وصلحت الأعمال كلها .. قال ـ عليه الصلاة والسلام : (**إلا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله**)[٢٨٥] .

(٢٨٥) الألبانى ، محمد ناصر الدين ، إرواء الغليل ج١ ص٢٦٦ . المكتب الإسلامى .

القدس مفتاح السلام والحرب في الشرق الأوسط

بقلم د. / مصطفى دسوقي كسبه (*)

أحدث قرار الكونجرس الأمريكي بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس ردود فعل على مستوى العالم الإسلامي، أفراداً وهيئات وحكومات. حيث إن هذا القرار يحسم مشكلة مدينة القدس كعاصمة أبدية لإسرائيل، وهذا ليس في صالح عملية السلام وإدخال إسرائيل في الهيكل الاقتصادي للمنطقة.

وهذه الدراسة محاولة للتأكيد على أن القدس مهوى الأفئدة للديانات السماوية الثلاث، وأن الإسلام هو خاتم الرسالات السماوية الثلاثة، وأن القدس لم تكن تقبل أبداً التقسيم أو التدويل.

والدراسة تنقسم إلى:

تمهيد:

١ ـ موقف الكونجرس الأمريكي من القدس.

٢ ـ تهويد القدس.

٣ ـ أحقية إسرائيل في القدس كعاصمة أبدية لها.

١/٣ ـ حقائق التاريخ السياسي لليهود.

٢/٣ ـ الصهيونية.

٣/٣ ـ الشخصية الإسرائيلية.

٤ ـ أحقية المسلمين في القدس.

١/٤ ـ منزلة القدس عند المسلمين.

٢/٤ ـ الظروف الدولية التي ساعدت إسرائيل على تهويد القدس.

٣/٤ ـ الخبرة التاريخية بشأن القدس.

٥ ـ الخاتمة.

تمهيد:

القدس إحدى حقائق الإسلام الكبرى؛ فهي التي شهدت اكتمال حلقات عقيدة التوحيد: توحيد الله، وتوحيد دين الله، حيث اتجه المسلمون إليها للصلاة، ثم حين أسرى إليها النبي العربي خاتم الرسل محمد ﷺ على نحو ما ورد في معجزة الإسراء والمعراج، وسجل القرآن الكريم -

(*) رئيس قسم الاستشارات بمركز الاقتصاد الإسلامي ـ جامعة الأزهر.

هذه الأحداث، في قرآن يتلوه المسلمون في شتى بقاع الأرض، وحين فتحها المسلمون، فتحوا أبوابها أمام المسيحيين واليهود، وحرسوا معابدهم، وعمروا مقدساتهم، حتى إن الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وبعده صلاح الدين قادوا بأنفسهم أعمال التنظيف والتطهير والترميم لمقدسات أهل الكتاب من اليهود والنصارى دون استثناء[1].

إن القدس ترمز لحقيقة الإسلام، الدين الذي يعترف بسائر الأديان كما أنزلها المولى عز وجل، ويجل ما أنزل الله – تعالى – فيها، ويحترم رسلها وأنبياءها، بل يجعل الإيمان بهم جزءاً لا يتجزأ من العقيدة نفسها.

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

سورة البقرة

١ – موقف الكونجرس الأمريكي من القدس[2]:

موقف «الكونجرس الأمريكي» من القدس ليس جديداً، وهو عندما أصدر مشروع قرار بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس لم يكن يتخذ موقفاً وديّاً من إسرائيل بمقدار ما أراد أن يتخذ موقفاً لا مبالياً من العرب.

وسواء كانت أكثرية الكونجرس ديمقراطية أو جمهورية، وأيّاً كان الرئيس الأمريكي فذلك لا يقدم ولا يؤخر في رأي الولايات المتحدة الرسمي بالقدس.

الجديد في قرار الكونجرس الأخير أنه أحدث ضجيجاً أكثر من سابقاته بسبب عيد الأمم المتحدة الخمسين، وبسبب تزامنه مع بدء الانسحاب الإسرائيلي من الضفة الغربية المحتلة.

وهذه ثالث مرة منذ ١٩٨٠ تبدي الولايات المتحدة رسمياً وخطياً ممانعتها لعروبة القدس، وتميل إلى الإجراءات اليهودية الرامية ليس فقط إلى تهويد المدينة المقدسة، بل إلى جعلها عاصمة أبدية لإسرائيل.

وثمة تلميحات إلى أن الرئيس «بيل كلينتون» لن يستخدم فيتو الرئاسة كي يجمد مشروع الكونجرس، والأرجح أنه يهدف من وراء التلويح بـ(الفيتو) إلى إبلاغ الكونجرس بأن القرار سيلحق الضرر بمحادثات السلام في الشرق الأوسط، ولعل الرئيس كلينتون يسجل كسباً انتخابياً كبيراً إذا ما أقنع الأمريكيين بأن مشروع الكونجرس مضر بمصالح أمريكا والشعب الأمريكي في الخارج، وفيما يلي سجل بالمواقف الأمريكية بشأن مدينة القدس في الأمم المتحدة.

المواقف الأمريكية بشأن القدس:

الموقف الأول:

في ٣٠ يونيه ١٩٨٠م حيث كان الديمقراطيون في الحكم في البيت الأبيض، وفي إسرائيل كان لليكود (مناحيم بيجن)، صدر عن مجلس الأمن

---

(١) انظر: كلمة كامل الشريف (الأمين العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة) في ندوة «القدس مدينة السلام» جامعة الدول العربية ١٢ – ١٤/٣/١٩٩٥م، ص١ – ٢.

(٢) شكري نصر الله «قراءة في قرار الكونجرس الأمريكي من «القدس»، الشرق الأوسط ١١/٤/١٩٩٥م.

الدولى القرار رقم (٤٧٠) الذى يعارض إصرار إسرائيل على تغيير الطبيعة المادية والتركيب السكانى وبنية المؤسسات والمركز القانونى لمدينة القدس .. ويعبر عن قلقه العميق من الخطوات التشريعية المتخذة فى الكنيست الإسرائيلى بهدف تغيير صفة ومركز المدينة المقدسة .. وأكد مجلس الأمن على مضمون قراراته السابقة الخاصة بعدم شرعية كل الإجراءات التشريعية والإدارية التى اتخذتها السلطات المحتلة واعتبارها لاغية .

صوت مجلس الأمن على هذا القرار فوافقت عليه الدول الأعضاء الخمس عشرة باستثناء الولايات المتحدة التى امتنعت عن التصويت .

الموقف الثانى :

شهد نفس العام حدثين بالغى الأهمية :

الأول : فى شهر أغسطس ١٩٨٠م عندما وافقت الحكومة الإسرائيلية على قانون أقره الكنيست ينص على ما يلى :

١ ـ أن القدس الموحدة هى عاصمة إسرائيل .

٢ ـ القدس مقر رئيس البلاد ، والكنيست والحكومة ، والمحكمة العليا .

٣ ـ الأماكن المقدسة ستحمى من التدنيس .. إلخ .

٤ ـ تشرف الحكومة على تطوير وإنماء المدينة .. إلخ .

انعقد مجلس الأمن بعد هذا القرار الإسرائيلى بأيام قليلة ، وفى ٢٠ من نفس الشهر صدر عنه القرار رقم ٤٧٨ ، وجاء فيه ما يلى :

١ ـ يستنكر القرار الإسرائيلى .. إلخ .

٢ ـ يؤكد أن إقرار إسرائيل القانون الأساسى يشكل انتهاكاً للقانون الدولى ، ولا يؤثر فى التطبيق المستمر لاتفاقية جنيف الرابعة المؤرخة فى ١٢ أغسطس ١٩٤٩م .

٣ ـ يصمم (مجلس الأمن) على أن جميع الإجراءات التشريعية والإدارية والأعمال التى قامت بها إسرائيل ـ السلطة المحتلة ـ والتى غيرت أو تهدف إلى تغيير طابع المدينة المقدسة ووضعها القانونى ، وخاصة القانونى الأساسى الأخير بشأن القدس : باطلة ولاغية ويجب أن تلغى .

٤ ـ يؤكد أن هذا العمل يشكل عائقاً خطيراً أمام تحقيق السلام .. إلخ .

٥ ـ يقرر ألا يعترف بالقانون الأساسى وبأعمال إسرائيل الأخرى الناجمة عن هذا القانون ، والتى تهدف إلى تغيير طابع مدينة القدس ووضعها القانونى .. ويدعو جميع الدول إلى :

١ ـ أن تقبل بهذا القرار .

٢ ـ أن تدعو الدول التى أقامت بعثات دبلوماسية فى القدس أن تسحب هذه البعثات .

مرة أخرى جرى التصويت على هذا القرار فأيدته جميع الدول الأعضاء الخمس عشرة باستثناء الولايات المتحدة التى امتنعت عن التصويت .

الموقف الثالث والأخير للكونجرس الأمريكى :

ففى حين نص اتفاق إعلان المبادىء الذى جرى التوقيع عليه فى ١٣ سبتمبر ١٩٩٣م فى البيت الأبيض على ترك مسألة القدس إلى آخر بنود التفاوض بين إسرائيل والعرب ، وفى حين أخذ البيت الأبيض والرئيس الأمريكى بيل كلينتون على عاتقه هو وموسكو رعاية هذا الاتفاق وتطبيقه خرج الكونجرس ليعلن تأييده لنقل سفارة بلاده إلى القدس ، وهو بذلك يريد أن يعترف صراحة

وعلماً بأن القدس هى عاصمة إسرائيل ، ذلك أن العواصم تكون ـ وفى الغالب ـ مقار البعثات الدبلوماسية والحكومة ، ورئاسة الدولـــة ، والمحكمة العليا والبرلمان . وقد احتوى قرار إسرائيل ضم القدس وجعلها عاصمة أبدية لها فى أغسطس ١٩٨٠م بنداً ذكر قبل قليل ، ويتناول بالتحديد أن تكون القدس عاصمة ، ومقراً للحكومة والهيئات الرسمية والبعثات الدبلوماسية والأجنبية .

ومعروف فى واشنطن ـ وفى الكونجرس خصوصاً ـ أن إسرائيل حاولت ضم القدس وجعلها عاصمة لها ومقراً للسفارات الأجنبية منذ عام ١٩٤٨م .

وفى ٢٣ يناير ١٩٥٠م وافقت الحكومة على إعلان القدس عاصمة لإسرائيل ، ونقلت كل وزاراتها إليها ماعدا وزارة الخارجية التى بقيت فى تل أبيب بسبب بقاء السفارات الأجنبية هناك .

بعد حرب ١٩٦٧م استكملت إسرائيل ربط القدس الشرقية بالقدس الغربية ، وقررت أن يكون القسمان قسماً واحداً موحداً .

موقف مجلس الأمن من قضية القدس :

ومنذ ١٩٦٧م حتى ١٩٨٠م تاريخ تشريع ضم القدس .. صدرت عن مجلس الأمن الدولى ستة قرارات برفض واستنكار كل إجراءات إسرائيل فى القدس :

(أ) فى ٢٧ إبريل ١٩٦٨م صدر عن مجلس الأمن القرار رقم ٢٥٠ الذى يدعو إسرائيل إلى الامتناع عن إقامة عرض عسكرى فى القدس .

(ب) فى ٢ مايو ١٩٦٨م صدر القرار رقم ٢٥١ الذى أبدى المجلس فيه أسفه على إقامة العرض العسكرى الإسرائيلى فى المدينة فى نفس التاريخ .

(جـ) فى ٢١ مايو ١٩٦٨م صدر عن مجلس الأمن القرار رقم ٢٥٢ ، وجاء فيه أن مجلس الأمن يعتبر كل الإجراءات الإدارية والتشريعية والأعمال التى قامت بها إسرائيل ، بما فى ذلك مصادرة الأراضى والأملاك التى من شأنها أن تؤدى إلى تغيير الوضع القانونى للقدس .. إجراءات باطلة .

(د) فى يوليو ١٩٦٩ م أصدر مجلس الأمن القرار رقم ٢٦٧ الذى ندد فيه مرة أخرى بكل الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل لتغيير معالم القدس واعتبرتها إجراءات لاغية .

(هـ) فى ١٥ سبتمبر ١٩٦٩م أصدر مجلس الأمن القرار رقم ١٧ ، ندد فيه وأدان مسئولية إسرائيل فى حريق المسجد الأقصى .

(و) وفى ٢٥ سبتمبر ١٩٧١م أصدر المجلس القرار رقم ٢٩٨ الذى أكد فيه ـ بعد أن أشار إلى عدم تجاوب إسرائيل مع قراراته السابقة وقرارات الجمعية العامة ـ أن جميع الأعمال التشريعية والإدارية التى قامت بها إسرائيل فى القدس لاغية كلياً ، ولا يمكن أن تغير ذلك الوضع .

واستناداً إلى حوالى (٤٠) أربعين قراراً وتوصية من الجمعية العمومية ومجلس الأمن تدين إسرائيل بأوضح العبارات ، وتعتبر كل إجراءاتها فى القدس وامتلاك الأراضى الفلسطينية لاغية ـ يمكن القول أن ما أصدره الكونجرس الأمريكى أخيراً هو ضربة مزدوجة واحدة لمصلحة إسرائيل الناخب القوى جداً فى الولايات المتحدة ، والأخرى ضد المرشح المقبل (بل كلينتون) ،

وإبلاغه أن الكونجرس بمجلسيه يملك أكثرية مطلقة من الجمهوريين ، وبالتالى فهو يملك ورقة الانتخابات المقبلة .

لكن الخوف أن يطول السكوت وعدم الرد المناسب على إسرائيل عربياً ودولياً فتصبح المسألة أمراً واقعاً ، على الرغم من أن القناعة العربية الشاملة هى أن واشنطن لا تزال تكيل بمكيالين غير عابئة بالغضب الإسلامى والعربى الذى قد ينقلب إلى كارثة حقيقية .

٢ - تهويد القدس :

استهدفت إسرائيل تهويد القدس من خلال ما يلى :

أولاً : محو الملامح والصفات والخصائص العربية والإسلامية للمدينة .

ثانياً : خلخلة الكثافة السكانية وعزلها عن محيطها العربى .

ثالثاً : تكثيف الوجود اليهودى بحيث تصبح لهم الأغلبية المطلقة .

رابعاً : إقامة احتفالات ومهرجانات بمرور ثلاثة آلاف سنة على تأسيس القدس كعاصمة لليهود على يد الملك داود . أعنى (نبى الله داود البرىء من هذه الأفعال - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام) .

أولاً : محو الملامح والصفات والخصائص العربية والإسلامية للمدينة : بالسيطرة على أكبر قدر من الأراضى العربية ، فاستولت على أراضى الأملاك العامة ، وصادرت كثيراً من الأملاك الخاصة ، وفرضت إرادة المحتل على المدينة بخلق أمر واقع لايمكن تغييره ، وذلك من خلال إقامة العديد من المستوطنات التى تتشكل مبانيها المقامة على شكل قلاع على رءوس الجبال ، أحزمة أو أطواق تتيح اتساع رقعتها التوسع الدائم لصالح اليهود ، وتحاصر فى الوقت نفسه المواطنين العرب ، وتقضى على أى فرصة لهم للتوسع .

كذلك سنت سلطات الاحتلال القوانين الخاصة بمدينة القدس واعتبرتها جزءاً من أراضيها ، واتخذت العديد من الإجراءات لتغيير طابع المدينة السياسى والدينى[٣] .

* * *

وبهدف إضفاء الطابع اليهودى على المدينة اتخذت الإجراءات التالية :

١ - مصادرة عشرات الآلاف من الدونمات (الدونم = ١٠٠٠ متر مربع) لأراضى تخص المواطنين العرب داخل البلدة القديمة من مدينة القدس وحول هذه المدينة .

٢ - إقامة أحياء سكنية إسرائيلية داخل البلدة القديمة من مدينة القدس ، وإقامة عشرات المستوطنات حول هذه المدينة من الجهات الجنوبية والشرقية والشمالية بحيث تحاصر هذه المدينة وتعزلها عن سائر مناطق فلسطين .

٣ - توسيع مسطح مدينة القدس على حساب الأراضى العربية بهدف إقامة « القدس الكبرى » بحيث تصبح نسبة اليهود عام ٢٠٠٠م حوالى ٧٥٪ من السكان .

---

(٣) انظر : مروة أديب جبرة ، « القدس تحت الاحتلال الإسرائيلى جغرافياً ، وديموغرافياً » ، ندوة « فلسطين عبر عصور التاريخ » ، مركز البحوث والدراسات التاريخية - كلية الآداب جامعة القاهرة ، ٤ - ٥ نوفمبر ١٩٩٥م ، ص ١ .

٤ ـ حرمان السكان العرب من منح رخص بناء لهم ضمن مدينة القدس ؛ لأن الذى يدير مدينة القدس مجلس بلدى إسرائيلى[٤] .

ويمكن إجمال الخطوط العامة للاستيطان كما يلى[٥] :

الطوق الأول ويشمل :

ـ الحى اليهودى :

بدأت عمليات الاستيطان فيه من خلال قيام بعض العائلات اليهودية بالانتقال إلى داخل القدس القديمة ، وشغلها لبعض المساكن التى تركها أصحابها من الفلسطينيين .

وقد أعقب ذلك صدور قرار الحكومة الإسرائيلية فى يوليو ١٩٦٧م لبدء الاستيطان فى المدينة ، وعلى الفور قامت السلطات بإعادة إعمار الحى اليهودى دون انتظار وضع الخطة الشاملة لعملية الاستيطان فى القدس . وقد حاولت هذه السلطات توسيع حدود هذا الحى حتى بلغت مساحة الأراضى التى أقيم عليها ضعفى مساحته عام ١٩٤٨م ، وذلك بإلحاق مجموعة من الأحياء العربية المجاورة بعد تهجير سكانها وهدمها ، والأحياء هى :

ـ حى المغاربة الملاصق لحائط البراق .

ـ باب الشرف .

ـ باب السلسلة .

ـ حى الباشورة .

جعلت هذه الأحياء امتداداً للحى اليهودى بحيث بلغت مساحة الأراضى التى أقيم عليها حوالى (١١٦) دونماً ، تحتوى على (٣٢٠) وحدة سكنية وسوقاً تجارية وكنيسة للصلاة .

الحديقة الوطنية المحيطة بسور القدس من الشرق والجنوب ، واعتبارها حزاماً أخضر يحيط بسور القدس ، ومحاولة إخلاء بعض الأحياء السكنية الواقعة فى الغرب فى « سلوان » و « عين الحلوة » .

المركز التجارى الرئيسى للمدينة ، وذلك لاستكمال محاصرة القدس من الشمال والغرب ، وفصلها عن الأحياء العربية المجاورة . ولتحقيق التحام المدينة بالقدس الغربية من خلال إزالة المنطقة العازلة بين شطرى القدس . ويقوم هذا المركز على الأحياء العربية فى « باب الساهرة » و « باب الصمود » و « الشيخ جراح » وأجزاء من « حى المصرارة » و « سعد » ، و « سعيد » من المناطق المحتلة عام ١٩٤٨م .

والجدير بالذكر أن هذا الطوق يركز على الاستيطان داخل الأحياء العربية فى القدس القديمة من خلال هدم الأحياء القديمة والتاريخية ، كما يهدف لطرد أكبر عدد ممكن من سكان القدس ؛

(٤) انظر : الشيخ عكرمة صبرى (مفتى القدس والديار الفلسطينية وخطيب المسجد الأقصى المبارك) ، « منزلة القدس فى الإسلام وتأثير الاستيطان والحفريات عليها » ، ندوة القدس ـ جامعة الدول العربية ـ القاهرة ١٢ ـ ١٤/٣/١٩٩٥ ، ص ٧ .

(٥) انظر : غازى خلف « القدس والاحتلال » استراتيجية الأطواق وفرض الوقائع » ، مجلة النور لندن ـ السنة الخامسة ـ العدد الثانى والخمسون ـ سبتمبر ١٩٩٥م ـ ص ٨ ـ ٩ ، وانظر أيضاً .

ـ خالد عايد ، « القدس فى إطار الأمر الواقع الإسرائيلى » مجلة الدراسات الفلسطينية ، العدد (١٥) ، بيروت ١٩٩٣م ، ص ١٠١ ـ ١٠٧ .

خصوصاً سكان تلك الأحياء المزدحمة الموجودة في الوسط .

الطوق الثاني ويشمل :

بناء سلسلة من الأحياء السكنية الضخمة في جميع المناطق الواقعة ضمن حدود أمانة مدينة القدس لتحيط بالمدينة من ثلاث جهات ، مدعومة بمجموعة من المستوطنات الخلفية على النحو التالي ..

ـ الناحية الشمالية ، وتتكون من مستوطنات .. « رامات أشكول » و« معالوت دفنة » و« حي شابيرا» في التل الفرنسي ، و« حي سانهدريا » قرب « شعفاط » .

وتستند هذه المستوطنات إلى مستوطنات خلفية أبعد منها ، هي « النبي يعقوب » و« راموت » قرب « النبي صمويل » و« عطاروت الصاعية » قرب « قلنديا » من الناحية الجنوبية ، وتتكون من مستوطنات الحي السكني لطلبة الجامعة العبرية ، وهي « تل بيوت » قرب « جبل أكملبر » و« صورباهر » . ويستند إلى مستوطنة خلفية هي « جيلو » (شرفات) قرب « صفافا » .

ـ من الناحية الشرقية ، أقيمت هذه السلسلة من بعض الأحياء السكنية التابعة للجامعة العبرية ، ومستشفى « هداسا » ، وكذلك حي « تمضعات همفتار » في « الشيخ جراح » ، ويستند هذا التشكيل إلى مستعمرة خلفية هي « معالية أوريم » في منطقة الخان الأحمر .

ـ ويهدف هذا الطوق إلى عزل مدينة القدس عن التجمعات العربية في الشمال والجنوب والشرق ، ومنع اتصال الأحياء العربية في القدس بالقرى المجاورة ، كما يهدف للحد من نمو الأحياء العربية القليلة المتبقية داخل مدينة القدس ، فضلاً عن إخراج المدينة برمتها من قلب الضفة الغربية ، وجعلها مندمجة مع الوجود الإسرائيلي في الغرب ، ويشكل هذا الطوق بأبنيته الخرسانية الضخمة حزاماً أمنياً يضع أمراً واقعاً جديداً يصعب على التسوية السياسية تجاهله .

الطوق الثالث يشمل :

وهذا الطوق في طور التنفيذ العملي ، ويهدف إلى إقامة سلسلة من المستوطنات في حدود القدس الكبرى « الموسعة » ، ويشمل السيطرة على المنطقة الممتدة من « رام الله » شمالاً حتى أطراف مدينة « الخليل » ، ومن منطقة الخان الأحمر شرقاً حتى « اللطرون » غرباً ، بما يعادل ٣٠٪ في المائة من مساحة الضفة الغربية ، ويمتد المشروع ليشمل عدة مدن عربية مثل : رام الله ، بيت لحم ، بيت جالا ، وبيت ساحور ، إضافة إلى (٦٠) قرية عربية تضم حوالي ٣٠٠ ألف نسمة .

وتستهدف إسرائيل من وراء هذا المشروع ليس فقط زيادة عدد اليهود في هذه المناطق ، وتهويد القدس ، وابتلاع مساحات واسعة من أراضيها وتشتيت سكانها ، وإنما ـ أيضاً ـ تمزيق الضفة الغربية ككل ، وشطرها إلى نصفين منفصلين جغرافياً وسكانياً .

ثانياً : السكان ..

استطاعت إسرائيل بما اتخذته من إجراءات تغير النسبة السكانية لليهود في البلدة القديمة (القدس

الشرقية) من صفر عام ١٩٦٧م إلى ما يزيد قليلاً عن ٥٠٪ عام ١٩٩٣م ، أما القدس الموحدة بشطريها الشرق والغرق فإن نسبة المواطنين العرب تتراجع لتصبح الأغلبية لليهود .

ومن وجهة نظر « سارة كامفكر » المتخصصة الإسرائيلية فى مجال تخطيط المدن ، (إن الإنجاز الذى حققته إسرائيل فى القدس هو من أعظم التغييرات السكانية فى تاريخ العالم)[٦] .

ومن أهم الإجراءات التى اتخذتها إسرائيل لتحقيق ذلك ..

١ ــ تهجير أكبر عدد ممكن من السكان العرب من القدس إلى خارج حدودها بطرق متعددة .

٢ ــ فرض الضرائب المرتفعة والمتعددة على السكان العرب فى المدينة لتعجيزهم اقتصادياً .

٣ ــ فرض حصار عسكرى على المدينة المقدسة ، ومنع المسلمين من أنحاء فلسطين من الوصول إلى هذه المدينة ، وحرمانهم من الصلاة فى المسجد الأقصى المبارك ، وبخاصة فى شهر رمضان المبارك[٧] .

ثالثاً : الناحية الدينية :

عملت إسرائيل فى اتجاهين متوازيين ، يكمل كل منهما الآخر ..

الاتجاه الأول :

هو الاتجاه الرسمى ، ويتمثل فى الحفريات حول حرم المسجد الأقصى الشريف ، تلك الحفريات التى بدأت منذ وقت مبكر من الاحتلال ولا تزال مستمرة ، وقد مرت تلك الحفريات بالعديد من المراحل[٨] .

والحفريات أسفل العقارات الوقفية الأثرية ، التى تلاصق السور الخارجى للمسجد الأقصى المبارك من الجهتين الغربية والشمالية ، تقوم بها السلطات الإسرائيلية المحتلة منذ عام ١٩٦٧م ، وحتى الآن ، بدعوى البحث عن هيكل سليمان ــ المزعوم ــ وبدعوى البحث عن آثار عبرية لإثبات وجود لهم فى هذه الديار إلا أنهم لم يعثروا على شىء[٩] .

الاتجاه الثانى :

وهو الاتجاه غير الرسمى الذى أخذ شكلاً متنامياً منذ الاحتلال وحتى الآن ، ويتزعم هذا الجانب غير الرسمى الجماعات الدينية المتطرفة التى تتزايد ، ويتزايد معها تأثيرها على مراكز اتخاذ القرار فى إسرائيل[١٠] .

هذا فضلاً عن المحاولات المتكررة من اليهود والمتطرفين لإقامة صلواتهم فى ساحة المسجد الأقصى المبارك بدعوى أن هيكل سليمان ــ المزعوم ــ يقع تحت الأقصى .

ومجزرة الأقصى التى وقعت عام ١٩٩٠م ليست ببعيدة ، حينما تصدى المواطنون العرب للمتطرفين اليهود الذين حاولوا مس قدسية المسجد الأقصى ، مما دفع الجيش الإسرائيلى لإطلاق الرصاص على المصلين المسلمين بشكل

---

(٦) مروة أديب جبرة ، مرجع سابق ، ص ١ .

(٧) عكرمة صبرى ، مرجع سابق ، ص ٧ .

(٨) انظر : مروة أديب جبرة ، مرجع سابق ، ص ٢ .

(٩) عكرمة صبرى ، مرجع سابق ، ص ٨ .

(١٠) مروة أديب جبرة ، مرجع سابق ، ص ٢ .

متعمد مما أدى إلى استشهاد (٢١) شخصاً وجرح العشرات ، واعتقال المئات من العرب[١١] .

وعلى مدى ثلاثة عقود (تقريباً) من الزمن وضعت إسرائيل يدها على مانسبته (٣٣٪) من مساحة القدس الموسعة ، أو ما يقارب (٢٤) كيلو مترا مربع .

فمساحة القدس قبل عام ١٩٦٧م تبلغ (٦،٥) كيلو متراً مربعاً ، وبعد عام ١٩٦٧م بلغت (٧٠،٥) كيلو متر مربع ، وبهذا الأسلوب استطاعت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة أن تخلق واقعاً جغرافياً وسكانياً في القدس الشرقية ، وأخذ الصراع العربي الإسرائيلي على منطقة القدس مظهراً سكانياً ، فقفز عدد السكان اليهود عام ١٩٦٧م من صفر إلى ١٦٠ ألفاً ، شكلوا لأول مرة أغلبية يهودية في الشطر الشرقي من القدس المحتلة ، وقد أقيمت (١٥) مستعمرة على هذه الأراضي ، وتم بناء (٣٠ ألف) وحدة سكنية لليهود مقابل (٥٥٥) وحدة للعرب[١٢] .

رابعاً : الاحتفال بمرور ثلاثة آلاف سنة على تأسيس القدس كعاصمة لإسرائيل على يد الملك داود : [أعني نبي الله داود ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام]

أقامت إسرائيل ابتداء من سبتمبر عام ١٩٩٥م مهرجانات واحتفالات وعروضاً ثقافية وفنية تحت شعار القدس ٣٠٠٠ ، وذلك بمناسبة ماتدعيه أنه الذكرى الألفية الثالثة لتأسيس القدس كعاصمة لليهود على يد الملك داود . وتستمر خمسة عشر شهراً مستغرقة كل العالم ١٩٩٦م ، وهي الفترة التي كان ينبغي خلالها مناقشة مصير القدس حسب اتفاق أوسلو[١٣] .

ـ بدأ فلسطينيون وإسرائيليون يوم الثلاثاء ٥ يوليو ١٩٩٥م حملة سياسية أطلق عليها « القدس لنا » هدفها إيجاد حل لقضية المدينة المقدسة من خلال جعلها « مفتوحة وموحدة وعاصمة لدولتين » .

وصرح أوري أفنيري : أن حملة « القدس لنا » تعد لتنظيم (مؤتمر دولي للقدس) تحت شعار « احتفالات الألفية الخامسة للقدس » . وأن هدف المؤتمر هو التصدي لاحتفالات الألفية الثالثة للقدس ، والتي تعد لها بلدية القدس التي تعتبرها الذكرى الألفية الثالثة لاتخاذ الملك داود القدس عاصمة لها . ونبه أفنيري إلى أن هذا زعم تاريخي باطل ، فالقدس كانت موجودة قبل ذلك التاريخ بألفي سنة على الأقل ، داعياً إلى « بدء المفاوضات على القدس فوراً ، شرط وقف كل النشاطات الاستيطانية الإسرائيلية فيها »[١٤] .

يتبع

(١١) عكرمة صبري ، مرجع سابق ، ص ٧ .

(١٢) خليل التفكجي ، « تهويد القدس حقائق وأرقام » ، ندوة .. « القدس مدينة السلام » ، جامعة الدول العربية ، ١٢/٣/١٩٩٥م ، ص ٤ .

(١٣) انظر : ناصر الدين الشاعر ، « احتفالات القدس ٣٠٠٠ .. تثبيت لواقع سياسي وتجاهل لحقائق التاريخ » ، الحياة ـ ٥/٩/١٩٩٥م .

(١٤) الحياة ٥/٧/١٩٩٥م .

قــراءة فى :

قرار الكونجرس

أ. د/ حسن محمد وجيه*

الدورة الرابعة بعد المائة للكونجرس الأمريكى

الجلسة الأولى

والجلسة رقم ١٣٢٢ (منذ الإنشاء)

بخصوص نقل سفارة الولايات المتحدة فى إسرائيل إلى القدس ، ولأغراض أخرى .

إنه فى يوم ١٣ أكتوبر فى عام ١٩٩٥ اجتمع أعضاء الكونجرس (الوارد أسماؤهم بالنص الإنجليزى) مرتين وأقروا مشروع القانون الخاص بنقل السفارة قبل وضعه على جدول الأعمال رقم ٢٠٧ .

على أن يعمل به اعتباراً من العاشر من أكتوبر .

مشروع قانون

مشروع قانون بخصوص نقل سفارة الولايات المتحدة بإسرائيل إلى القدس ولأغراض أخرى .

١ ـ يصبح هذا القرار سارى المفعول من قبل مجلس الشيوخ والنواب بالولايات المتحدة المجتمعين معاً .

القسم الأول : عنوان مشروع القانون

يوضع هذا القرار تحت عنوان « تنفيذ نقل سفارة القدس الصادر عام ١٩٩٥ » .

القسم الثانى : النتائج

توصل الكونجرس الأمريكى إلى النتائج التالية :

١ ـ ان لكل دولة ـ ذات سيادة ـ طبقاً للقانون الدولى والأعراف الدولية أن تحدد عاصمتها .

(*) عضو هيئة التدريس بكلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر .

٢ ـ أنه ومنذ عام ١٩٥٠ كانت مدينة القدس لاتزال عاصمة دولة إسرائيل .

٣ ـ ان مدينة القدس هي مقر الرئيس الإسرائيلي ، البرلمان ، والمحكمة العليا ومقر العديد من الوزارات الحكومية والمؤسسات الاجتماعية والثقافية .

٤ ـ ان مدينة القدس هي المركز الروحي لليهودية وتعتبر ـ أيضاً ـ مدينة مقدسة لكل معتنقي الأديان .

٥ ـ انه ومن عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٦٧ ، كانت القدس مدينة مقسمة وكان المواطنون الإسرائيليون من كل المعتقدات ، بالإضافة إلى المواطنين اليهود من كل الدول لايسمح لهم بالدخول إلى الأماكن المقدسة التي كانت تحت سيطرة الأردن .

٦ ـ انه وفي ١٩٦٧ تم إعادة توحيد مدينة القدس أثناء صراع ما عُرف بحرب الأيام الستة .

٧ ـ انه ومنذ عام ١٩٦٧ ، كانت القدس ولاتزال مدينة موحدة تديرها إسرائيل التي تكفل الحقوق الكاملة للجميع من الأديان المختلفة لدخول الأماكن المقدسة داخل المدينة .

٨ ـ ان هذا العام يعتبر العام الثامن والعشرين على التوالي والذي يشهد ان القدس كانت ولاتزال تدار كمدينة موحدة وتحترم وتؤمن فيها حرية الجميع من الأديان المختلفة .

٩ ـ انه وفي عام ١٩٩٠ ، تبنى الكونجرس وبالإجماع قرار مجلس الشيوخ رقم ٨٠٦ والذي يعلن ان الكونجرس « يؤمن بشدة بأن القدس ينبغي ان تبقى موحدة وان تحترم بها حقوق كل الجماعات العرقية والدينية » .

١٠ ـ في عام ١٩٩٢ ، تبنى كل من مجلس الشيوخ والنواب وبالإجماع قرار مجلس الشيوخ رقم ١١٣ ، الذي أصدره تشكيل الكونجرس رقم ١٠٢ والذي يحيي الذكرى الخامسة والعشرين لإعادة توحيد القدس ، والذي يؤكد من جديد تعاطف الكونجرس الخاص بأن تبقى القدس موحدة .

١١ ـ في ١٣ سبتمبر ١٩٩٣ ، حدد إعلان مبادىء ترتيبات الحكم الذاتي المؤقت ، جدولاً زمنياً للوصول إلى الوضع النهائي للعديد من القضايا بما فيها القدس .

١٢ ـ كانت اتفاقية غزة ـ أريحا والتي وقعت في ٩٤/٥/٤ هي نقطة البداية لمدة انتقالية من خمس سنوات ، حددها اتفاق إعلان المبادىء .

١٣ ـ انه وفي مارس ١٩٩٥ ، وقع ٩٣ عضواً من مجلس الشيوخ الأمريكي على خطاب موجه لوزير الخارجية وارين كريستوفر للتشجيع على التخطيط من الآن لنقل السفارة الأمريكية للقدس .

١٤ ـ ان الولايات المتحدة الأمريكية تحتفظ بسفارة لها فى العاصمة الفعلية لكل دولة ، إلا فى هذه الحالة مع الدولة الصديقة التى تتمتع بالديمقراطية والتى تعد الحليف الاستراتيجى وهى دولة إسرائيل .

١٥ ـ ان الولايات المتحدة تجرى اللقاءات الرسمية وأعمال أخرى فى مدينة القدس ، وهو الأمر الذى يعد اعترافاً فعلياً بوضع المدينة كعاصمة لإسرائيل .

١٦ ـ انه وفى عام ١٩٩٦ ستحتفل إسرائيل بمرور ٣٠٠٠ سنة على الوجود اليهودى بالقدس .. أى منذ دخول الملك داود للقدس .

القسم الثالث : جدول :

(أ) ـ بيان للسياسة المنتهجة ـ انه من صميم سياسة الولايات المتحدة ان :

١ ـ ان القدس ينبغى وأن تبقى مدينة موحدة ، تحترم وتؤمن فيها حرية وحقوق جميع ممثلى الجماعات العرقية والدينية .

٢ ـ لابد من ان يتم الاعتراف بالقدس كعاصمة لدولة إسرائيل .

٣ ـ لابد من نقل السفارة الأمريكية فى إسرائيل إلى القدس فى موعد اقصاه ٣١ مايو ١٩٩٩ .

(ب) قرار افتتاح السفارة :

يتم تعليق ما يقرب من نسبة الـ ٥٠٪ من الأموال المخصصة لوزارة الخارجية من أجل امتلاك وصيانة المبانى بالخارج للعام المالى ١٩٩٩ حتى يعزم وزير الخارجية الأمريكية النية ويقوم بتقديم تقرير للكونجرس يؤكد فيه انه تم افتتاح السفارة الأمريكية بالقدس بصورة رسمية .

القسم الرابع : التمويل المالى للعامين الماليين ٩٦ ، ٩٧ :

(أ) العام المالى ٩٦ : وبخصوص الأموال المخصصة والتى تم اعتمادها لغرض امتلاك وصيانة مبانى بالخارج للخارجية ، فإن هناك ما لا يقل عن ٢٥ مليون دولار . ينبغى وان تخصص وتنفق فقط على عملية نقل السفارة الأمريكية بإسرائيل إلى عاصمتها القدس .

(ب) العام المالى ١٩٩٧ : يخصص من الأموال المخصصة والتى تم اعتمادها لغرض امتلاك المبانى وصيانتها بالخارج لصالح وزارة الخارجية فى العام المالى ٩٧ ما لا يقل عن ٧٥ مليون دولار لحساب تكاليف نقل السفارة الأمريكية فى إسرائيل لعاصمتها القدس .

القسم الخامس : تقرير بخصوص التنفيذ :

على وزير الخارجية الأمريكى ، وفى موعد اقصاه ٣٠ يوماً من تاريخ إصدار هذا القرار ، ان يقدم تقريراً لرئيس مجلس النواب وللجنة العلاقات بمجلس الشيوخ يتضمن تفاصيل خطة وزارة الخارجية لتنفيذ هذا القرار .

وينبغي ان يتضمن هذا التقرير ما يلي :

١ ـ التواريخ المتوقعة للانتهاء من كل مرحلة من مراحل عملية نقل السفارة الأمريكية بما فى ذلك تحديد مواصفات موقع السفارة ، وملكية الأرض التى تبنى عليها ، الرسوم المعمارية والهندسية والدراسات المساحية ، وإعداد الموقع للعمل وللتشييد .

٢ ـ تقديم تقدير بخصوص التكاليف والأموال اللازمة لتنفيذ القرار ، بما فى ذلك رصد لكل التكاليف التى سيترتب عليها نقل السفارة الأمريكية إلى القدس .

القسم السادس : التقارير نصف السنوية :

ابتداء من ١ يناير ١٩٩٦ ، ينبغى تقديم تقارير نصف سنوية (كل ستة أشهر) من قبل وزير الخارجية إلى رئيس مجلس النواب ولجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ بخصوص مدى التقدم الذى تم احرازه بشأن افتتاح السفارة الأمريكية بالقدس .

القسم السابع : تعريف :

ان مصطلح « السفارة الأمريكية » كما تم استخدامه فى صياغة هذا القرار ، يعنى كل مكاتب البعثة الدبلوماسية الأمريكية وكذلك مقر إقامة رئيس هذه البعثة .

قراءة فى نص قرار الكونجرس وخطورتها لعام ٩٩ :

بعيداً عن الاستطراد نود أن نقدم قراءة لنص مشروع القانون الذى أصدره الكونجرس الأمريكى بخصوص نقل السفارة الأمريكية للقدس فمن اللافت للنظر ان نلاحظ الدوافع التالية التى جاءت لتبرر إصدار هذا القرار وهى كالآتى :

دوافع تاريخية !

وتتمثل فيما ورد فى القسم الثانى من القرار (البند رقم ١٦) وهو ان « لليهود الحق فى المدينة من يوم ان دخلها الملك داود منذ ٣٠٠٠ سنة » وهذا يتجاهل ببساطة ان العرب هم أصحاب المدينة تاريخياً منذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة .

لغة الدوافع العاطفية غير الموضوعية !

يدهش المحلل الموضوعى من لغة القرار التى ينبغى وان تكون قانونية وعلمية فى المقام الأول .. ولكننا نجد أفعال تؤكد على العاطفة لا المنطق كما ورد فى القسم الثانى رقم (٩) .. وهى ان الكونجرس **يؤمن** بشدة بأن القدس ... » وفى رقم (١٠) .. ان الكونجرس يحيى الذكرى الخامسة والعشرين لاعادة توحيد القدس والذى يؤكد من جديد **تعاطف** الكونجرس الخاص .. » .

الإقرار بعدم مسئولية العرب

القسم الثانى : رقم (٥) يقول بأنه ومن عام ٤٨ إلى ٦٧ ، كانت القدس مدينة مقسمة وكان المواطنون الإسرائيليون من كل المعتقدات ، بالإضافة إلى المواطنين اليهود من كل الدول لا يسمح لهم بالدخول إلى الأماكن المقدسة التى كانت تحت سيطرة الأردن .

وهنا لا أدرى إذا كانت هذه الممارسات صحيحة أم فيها إدعاء وإن كانت صحيحة فلقد استغلها صانع القرار بالكونجرس بشكل لا يؤكد فيه إلا على عدم مسئولية العرب واحتقارهم لحرية العبادة للجميع .. وهو الأمر الذى يتناقض والقيم العربية الإسلامية الحقيقية .

قيود قانونية لتأكيد التنفيذ

حفل القرار فى كثير من مواقعه بربط تنفيذ نقل السفارة بإجراءات قانونية وأهمها تعليق صرف بنود المال المخصصة لامتلاك وصيانة المبانى الخارجية للخارجية الأمريكية بكل ما يتعلق بعملية نقل السفارة إلى القدس وما يستتبع ذلك من نفقات .

كذلك حمل وزير الخارجية الأمريكية فى عام ١٩٩٩ على ان يقر بتقديم تقرير يؤكد فيه افتتاح السفارة فى ذلك الحين .

تحليل آخر لتفنيد مقولات حول القرار

هذه القيم التى وضعت فى نص القرار إنما تعبر عن الأخذ بكل أسباب نقل السفارة . ولكن هناك مقولات فى واقعنا العربى تحتاج إلى التفنيد وهى :

ان القرار تحد للخارجية والبيت الأبيض وللعالم أجمع

هذا العنوان ورد بجريدة عربية بتاريخ ٩٥/١٠/٢٦ .. وهو ـ مع الأسف ـ يؤكد ما ورد فى بيان الكونجرس عن عدم مسئولية العرب ولكن بمثال آخر .. فلقد بلع الكثير الطعم باعتراض كلينتون على القرار ونسوا انه وفى معرض تقديم المرشح بيل كلينتون للرئاسة قال ان « القدس هى عاصمة إسرائيل ويجب ان تبقى مدينة موحدة ومفتوحة للناس من جميع الأديان » . وفى مؤتمر (ايباك) أى (العرقى الصهيونى) الذى تحدث فيه كلينتون وكان يحمل عنوان « العام المقبل فى القدس » لأول مرة وكان دعمه لاسرائيل فى كل الأمور لانهائى .

ان مشروع القرار الذى تمت الموافقة عليه بشكل ساحق (٩٣ ضد ٥ أصوات) (أى حوالى ٩٩٪ مثل انتخابات العالم الثالث) إنما يدل وبما لا يدع مجالاً للشك عن غياب تام لآلاف الدبلوماسيين العرب وللجالية العربية وانشغالهم بأى شىء إلا قضايا الوطن العربى والعالم الإسلامى الحقيقية .

هذه مقولة حقيقية ان التحدى الأكبر موجه لنا جميعاً ـ وكذلك وبدون شك ـ لكل قرارات الشرعية الدولية متمثلة فى الأمم المتحدة وللعالم أجمع .. ولعل ذلك ما حث الكثير فى العالم على إدانة القرار وأهم هذه الإدانات والتحركات ما يقوم به ـ حالياً ـ وزير خارجية بريطانيا الذى يفهم ما يمكن ان يحدثه هذا القرار من آثار مدمرة لعملية السلام .. لا شك إنها الفرصة الأخيرة لنا لكى نقول : « لا » للولايات المتحدة وان نستثمر كل الاعتراضات ولكن ليس فقط على مستوى الانفعال والتنديد والإدانة ولكن على مستوى إلا يتحقق ما يراد للقدس .. وما يهدر من حقوقنا المشروعة .. علينا ان نضع خطة لنفس التاريخ تعتبر عام ١٩٩٩ عام استرداد حقوقنا فى القدس .. ولا يكون للاحتفال بمرور ٣٠٠٠ عام على دخول داود للقدس !!

bassy, including site identification, land acquisition, architectural, engineering and construction surveys, site preparation, and construction; and

(2) an estimate of the funding necessary to implement this Act, including all costs associated with relocating the United States Embassy to Jerusalem.

SEC. 6. SEMIANNUAL REPORTS.

Beginning January 1, 1996, and every six months thereafter, the Secretary of State shall report to the Speaker of the House of Representatives and the Committee on Foreign Relations of the Senate on the progress made toward opening the United States Embassy in Jerusalem.

SEC. 7. DEFINITION.

As used in this Act, the term "United States Embassy" means the offices of the United States diplomatic mission and the residence of the United States chief of mission.

(1) Jerusalem should remain an undivided city in which the rights of every ethnic religious group are protected;

(2) Jerusalem should be recognized as the capital of the State of Israel; and

(3) The United States Embassy in Israel should be relocated to Jerusalem no later than May 31, 1999.

(b) Opening Determination. — Not more than 50 percent of the funds appropriated to the Department of State for fiscal year 1999 for "Acquisition and Maintenance of Buildings Abroad" may be obligated until the Secretary of State determines and reports to Congress that the United States Embassy in Jerusalem has officially opened.

SEC. 4. FISCAL YEARS 1996 AND 1997 FUNDING.

(a) Fiscal Year 1996. — Of the funds authorized to be appropriated for "Acquisition and Maintenance of Buildings Abroad" for the Department of State in fiscal year 1996, not less than $25,000,000 should be made available until expended only for construction and other costs associated with the relocation of the United States Embassy in Israel to the capital of Jerusalem.

(b) Fiscal Year 1997. — Of the funds authorized to be appropriated for "Acquisition and Maintenance of Buildings Abroad" for the Department of State in fiscal year 1997, not less than $75,000,000 should be made available until expended only for construction and other costs associated with the relocation of the United States Embassy in Israel to the capital of Jerusalem.

SEC. 5. REPORT ON IMPLEMENTATION.

Not later than 30 days after the date of enactment of this Act, the Secretary of State shall submit a report to the Speaker of the House of Representatives and the Committee on Foreign Relations of the Senate detailing the Department of State's plan to implement this Act. Such report shall include —

(1) estimated dates of completion for each phase of the relocation of the United States Em-

(9) In 1990, the Congress unanimously adopted Senate Concurrent Resolution 106, which declares that the Congress "strongly believes that Jerusalem must remain an undivided city in which the rights of every ethnic religious group are protected".

(10) In 1992, the United States Senate and House of Representatives unanimously adopted Senate Concurrent Resolution 113 of the One Hundred Second Congress to commemorate the 25th anniversary of the reunification of Jerusalem, and reaffirming congressional sentiment that Jerusalem must remain an undivided city.

(11) The September 13, 1993, Declaration of Principles on Interim Self-Government Arrangements lays out a timetable for the resolution of "final status" issues, meluding Jerusalem.

(12) The Agreement on the Gaza Strip and the Jericho Area was signed May 4, 1994, beginning the five-year transitional period laid out in the Declaration of Principles.

(13) In March of 1995, 93 members of the United States Senate signed a letter to Secretary of State Warren Christopher encouraging "planning to begin now" for relocation of the United States Embassy to the city of Jerusalem.

(14) The United States maintains its embassy in the functioning capital of every country except in the case of our democratic friend and strategic ally, the State of Israel.

(15) The United States conducts official meetings and other business in the city of Jerusalem in de facto recognition of its status as the capital of Israel.

(16) In 1996, the State of Israel will celebrate the 3,000th anniversary of the Jewish presence in Jerusalem since King David's entry.

SEC. 3. TIMETABLE.

(a) Statement of Policy. — It is the policy of the United States that —

A BILL

To provide for the relocation of the United States Emoassy in Israel to Jerusalem, and for the other purposes.

Be it enacted by the Senate and House of Representatives of the United States of America in Congress assembled,

SECTION 1. SHORT TITLE.

This Act may be eited as the "Jerusalem Embassy Relocation Implementation Act of 1995".

SEC. 2. FINDINGS.

The Congress makes the following findings :

(1) Each sovereign nation, under international law and custom, may designate its own capital.

(2) Since 1950, the city of Jerusalem has been the capital of the State of Israel.

(3) The city of Jerusalem is the seat of Israel's President, Parliament, and Supreme Court, and the site of numerous government ministries and social and cultural institutions.

(4) The city of Jerusalem is the spiritual center of Judaism, and is also considered a holy city by the members of other religions faiths.

(5) From 1948-1967, Jerusalem was a divided city and Israeli citizens of all faiths as well as Jewish citizens of all states were denied access to holy sites in the area controlled by Jordan.

(6) In 1967, the city of Jerusalem was reunited during the conflict known as the Six Day War.

(7) Since 1967, Jerusalem has been a united city administered by Israel, and persons of all religious faiths have been guaranteed full access to holy sites within the city.

(8) This year marks the 28th consecutive year that Jerusalem has been administered as a unified city in which the rights of all faiths have been respected and protected.

نص قرار الكونجرس الأمريكى
الذى تقدمت دراسته

Calendar No. 207

104TH CONGRESS
1ST SESSION

S. 1322

To provide for the relocation of the United States Embassy in Israel to Jerusalem, and for other purposes.

IN THE SENATE OF THE UNITED STATES

OCTOBER 13 (legislative day, OCTOBER 10), 1995

Mr. Dole (for himself, Mr. Moynihan, Mr. Kyl, Mr. Inouye, Mr. D'Amato, Mr. Helms, Mr. Brown, Mr. Mack, Mr. Specter, Mr. Bond, Mr. Tiiurmond, Mr. Pressler, Mr. Faircloth, Mr. Bradley, Mr. Levix, Mr. Gramm, Mr. Dewine, Mr. Ilarkin, Mr. Shelby, Mr. McConnell, Mr. Lott, Mr. Ilatch, Mr. Coats, Mr. Baucus, Mr. Thomas, Mr. Gorton, Mrs. Boxer, Mr. Grassley, Mr. Inhofe, Mr. Hollings, Mr. Heflin, Mr. Burns, Mr. Domenici, Mr. Liererman, Mr. Nickles, Mr. Santorum, Mr. Cohen, Mr. Grams, Ms. Moseley-Braun, Mr. Ashcroft, Ms. Snowe, Mr. Robb, Mr. Congrad, Mr. Smith, Mr. Warner, Mr. Craig, Mr. Kempthorne, Mr. Reid, Mr. Coverdell. Mrs. Hutchison, Mr. Ford, Mr. Frist, Mr. Campbell, Mr. Murxowski, Mr. Cochran, Mr. Roth, Mr. Feingold, Mr. Stevens, Mr. Rocrefeller, Mr. Biden, Mr. Bryan, and Mr. Bennett) introduced the following bill, which was read the first time.

OCTOBER 18, 1995

Read the second time and placed on the calendar

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

سل حاجتك

دخل رجل من أهل الشام على أبي جعفر المنصور فاستحسن لفظه وأدبه ، فقال له : سل حاجتك ، فقال : يبقيك الله يا أمير المؤمنين ، ويزيد في سلطانك فقال : سل حاجتك فليس في كل وقت يمكن أن يؤمر لك بذلك ، فقال : : ولم يا أمير المؤمنين ، فوالله ما أخاف بخلك ، ولا أستقصر أجلك ، ولا أغتنم مالك ، وإن عطاءك لزين ، وما بامرىء بذل وجهه إليك نقص ولا شين ، فأعجب المنصور كلامه ؛ وأثنى عليه في أدبه ووصله .

قانون بخيل

قال بعض البخلاء : إني لا آكل إلا نصف الليل قيل له : ولم ؟ قال : يبرد الماء وآمن فجأة الداخل ، وصرخة السائل .

سقوط العصى

لما خطب السفاح يوم بويع سقطت العصى من يده فتطير من ذلك ، فقام بعض أصحابه فأخذها ومسحها ودفعها إليه ثم أنشد :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى
كما قر عيناً بالإياب المسافر

صحبت الناس

قال وهيب بن الورد : صحبت الناس منذ خمسين سنة ، فما وجدت رجلاً غفر لي زلة ، ولا أزاح لي علة ، ولا أقالني عثرة ، ولا ستر لي عورة .

حقاً

وكل كسر فإن الله يجبره
وما لكسر قناة الدين جُبْرانُ

وصية أعرابية

أوصت أعرابية ابنا فى سفر فقالت : يا بنى : إنك تجاور الغرباء ، وترحل عن الأصدقاء ولعلك لا تلقى غير الأعداء ، فخالط الناس بجميل البشر ، واتق الله فى العلانية والسر ، ومثل بنفسك ما استحسنت من غيرك فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فإن المرء لا يرى عيب نفسه .



حسن الجوار

قال الحسن البصرى : ليس حسن الجوار كف الأذى ، ولكنه الصبر على الأذى .

نصيحة

لا تعتذرن إلا إلى من يحب أن يجد لك عذرا ، ولا تستعين إلا بمن يحب أن يظفرك بحاجتك ، ولا تحدثن إلا من يرى حديثك مغنما ، ما لم يغلبك اضطرار .

دعاء

اللهم أصبح ظلمى مستجيراً بعفوك ، وذنبى مستجيراً بمغفرتك ، وخوفى مستجيراً بأمنك وفقرى مستجيراً بغناك ، وضعفى مستجيراً بقوتك ، وذلى مستجيراً بعزك ، ووجهى الفانى مستجيراً بوجهك الدائم الباقى .

الإسلام والمرأة والتاريخ

في الشرق الأدنى[1] في سومر وبابل

بقلم : عبير عبد الواحد

المرأة السومرية ابنة[2] :

ولم تكن بأسعد من أختها في الهند والصين فقد كان والدها يفخر بأن يهب جمالها ومفاتنها لتخفيف مايعترى حياة الكهان المقدسة من ملل وسآمة ، وكان يحتفل بإدخال ابنته في هذه الخدمة المقدسة ، ويقرب القرابين في هذا الاحتفال ، كما كان يقدم بائنة [مَهْرَ] ابنته إلى المعبد الذى تدخله .

المرأة السومرية زوجة ..
حقوق .. ولكن ..

قد يكون هناك بعض امتيازات للزوجة السومرية في طبقة ما . فقد تحتفظ لنفسها بما يقدمه أبوها من بائنة ، ومع أن زوجها كان يشترك معها في القيام على هذه البائنة ، فقد كان لها وحدها أن تقرر من يرثها بعد وفاتها . وكان لها من الحقوق على أولادها ما لزوجها نفسه ، وإذا غاب زوجها ولم يكن لها ابن كبير يقيم معها كانت هي تدير المزارع كما تدير البيت . وكان لها أن تشتغل بالأعمال التجارية مستقلة عن زوجها ، وأن تحتفظ بعبيدها أو تطلق سراحهم .. وكانت تسمو أحيانا إلى منزلة الملكة كما سمت (شوب ــ آد) وتحكم مدينتها حكماً رغداً قوياً ..

وكان لنساء الطبقات العليا من النعم مايكاد يعدل بؤس أخواتهن الفقيرات ، لكن الصورة في جوهرها ليست بهذا القدر من الإشراق ، فالرجل كان هو السيد المسيطر في الأزمات جميعها ، وكان من حقه في بعض الظروف أن يقتل زوجته أو يبيعها أمة وفاء لما عليه من الديون ... وكان الحكم الأخلاقى على الرجل يختلف عن الحكم الأخلاقى على المرأة حتى ذلك العهد السحيق ،

(١) الشرق الأدنى المقصود به بلاد آسيا الجنوبية الغربية الممتدة جنوب الروسيا والبحر الأسود وغرب الهند وأفغانستان .. وأدخل ول ديورانت في كتابه مصر هنا لأنها كانت شديدة الاتصال بذلك الجزء من العالم كما كانت مركزاً انتشرت منه الحضارة الشرقية .

(٢) أرض سومر : إذا تتبعنا المجرى المشترك المكون من نهرى دجلة والفرات من مصبه في الخليج الفارسى إلى أن يتصل المجريان (عند بلدة القرنة الحديثة) ثم تتبعنا نهر الفرات متجهين إلى الغرب وجدنا في شماله وجنوبه المدن السومرية القديمة المطمورة .

وذلك نتيجة لأزمة لاختلافهما فى شئون الملكية والوراثة .. فزنى الرجل كان يعد من النزوات التى يمكن الصفح عنها ، أما زنى الزوجة فكان عقابه الإعدام ، وقد كان ينتظر منها أن تلد لزوجها وللدولة كثيراً من الأبناء ، فإذا كانت عاقرا جاز طلاقها لهذا السبب وحده ، أما إذا كرهت أن تقوم بواجبات الأمومة ، فكانت تقتل غرقاً . ولم يكن للأطفال شيء من الحقوق الشرعية ، وكان للآباء ـ إذا تبرءوا من أبنائهم علنا ـ أن يحملوا ولاة الأمور على نفيهم من المدينة ..

وكان ذلك ـ وحده ـ من ألزم تعاسة حالة المرأة السومرية وبؤسها .. على الرغم من بعض الحقوق التى نالتها ..

مركز المرأة فى بابل[3]

أهم ما يلفت النظر فى حياة البابليين ، تلك العادة التى وصفها هيرودوت : «ينبغى لكل امرأة بابلية أن تجلس فى هيكل الزُهَرة مرة فى حياتها ، وأن تضاجع رجلا غريبا[4] أما الكثرة الغالبة منهن فيتبعن الطريقة الآتية :

تجلس الكثيرات منهن فى هيكل الزهرة وعلى رءوسهن تيجان من الحبال ، بين الغاديات والرائحات اللاتى لاينقطع دخولهن وخروجهن . وتخترق جميع النساء ممرات مستقيمة متجهة فى كل الجهات ، التى يمر فيها الغرباء ليختاروا من النساء من يرتضون . فإذا جلست امرأة هذه الجلسة كان عليها ألا تعود إلى منزلها حتى يلقى أحد الغرباء قطعة من الفضة فى حجرها ويضاجعها فى خارج المعبد .. ومهما يكن من صغر القطعة الفضية فإن المرأة لايجوز لها أن ترفضها ، فهذا الرفض يحرمه القانون لنا لها (اى هذه القطعة) فى نظرهم من قداسة . وتسير المرأة وراء أول رجل يلقيها إليها ، وليس من حقها ان ترفضه ايا كان ..

ومن كانت من النساء ذات جمال وتناسب فى الأعضاء ، لاتلبث أن تعود إلى دراها ، أما المشوهات فيبقين فى الهيكل زمنا طويلا ، وذلك لعجزهن عن الوفاء بما يفرضه القانون ، ومنهن من ينتظرن ثلاث سنين أو أربعا[5] ، وظلت «الدعارة المقدسة» ـ على ما يسمونها ـ عادة متبعة فى بلاد بابل حتى ألغاها قسطنطين (حوالى عام ٣٢٥ ق.م) وكان إلى جانبها عهر مدنى منتشر فى حانات الشراب التى يديرها النساء .

وما (هذه الدعارة) إلا أثر من آثار الشيوعية الجنسية وهى إعطاء عريس المستقبل حق الليلة الأولى ..

المرأة البابلية والزواج :

نظام الزواج فى بابل كان تقريبا نظام بيع وشراء ، فكان الخطيب يتقدم إلى والد العروس بهدية قيمة ، ولكن كان يُنتظر من الوالد أن يهب ابنته بائنة أعظم قدرا من الهدية .. على أن بعض الزيجات كانت بيعـــا صريحا ، من ذلك أن (شمشتريز) حصل على عشرة شواقل (٥٠ ريالا) ثمنا لابنته ..

يقول هيرودوت : «من كان لهم بنات فى سن الزواج يأتون بهن مرة فى كل عام إلى مكان يجتمع فيه حولهن عدد كبير من الرجال ، ثم يصفهن (دلال) عام ، ويبيعهن جميعا واحدة فى إثر واحدة ، فينادى أولا على أجملهن ، وبعد أن يقبض فيها ثمنا عاليا ، ينادى على من تليها فى الجمال . ولكنه لم يكن يبيعهن إلا بشرط أن يتزوجهن المشترون ، وهذه العادة المستهجنة لم

---

(٣) بابل الأرض الممتدة على نهر الفرات .

(٤) ول ديورانت ، قصة الحضارة ـ الشرق الأدنى ـ ترجمة محمد بدران ص ٢٢٩ .

(٥) نفس المرجع ص ٢٣٠ .

يعد لها الآن بقاء[6] ، وكانت الحرية المباحة للأفراد قبل الزواج يتبعها إرغام شديد على الاستمساك بالوفاء الزوجي بعده ، وكان القانون ينص على إغراق الزوجة الزانية ومن زنت معه إلا إذا أشفق الزوج على زوجته فآثر أن يستبدل بهذه العقوبة إخراجها إلى الطريق عارية إلا من القليل الذي لايكاد يستر شيئا من جسمها .. وكان في وسع الرجل أن يطلق زوجته ، ولايتطلب منه هذا أكثر من رد بائنتها إليها ، وقوله لها : «لست زوجتي» ، أما إذا قالت هي له «لست زوجي» فقد وجب قتلها غرقا .. وفي القانون «إذا لم تكن سيدة حريصة على آداء واجبها ، بل كانت دوارة غير مستقرة في منزلها ، مهملة لشئون بيتها ، مستخفة بأطفالها ، وجب أن تلقى في الماء[7] .

وكان للمرأة من الوجهة العملية أن تفارق زوجها ، وإن لم يكن من حقها أن تطلقه ، إذا أثبتت قسوته عليها مع إخلاصها له ، وكان في وسعها في هذه الحال وأمثالها أن تعود إلى أهلها ، وأن تأخذ بائنتها وماعسى أن تكون قد حصلت عليه لنفسها بعدئذ من المتاع .

يعقب ديورانت بعد ذلك بقوله : « نلاحظ أن نساء انجلترا لم يستمتعن بهذه الحقوق إلا في أواخر القرن التاسع عشر » .

وإذا غاب الزوج عن زوجته في عمل أو حرب زمنا ما ، ولم يترك لها ما تعيش منه ، كان لها أن تعيش مع رجل آخر ، دون أن يحول ذلك من الوجهة القانونية بينها وبين انضمامها مرة أخرى إلى زوجها بعد عودته من غيبته .. والطبقات السفلى لم تكن نساؤها أكثر من آلات لصنع الأطفال .. وإذا لم تكن لهن بائنات كانت مكانتهن لاتكاد تفترق عن مكانة الإماء يقول هيرودوت :

« إن البابليين إذا حوصروا كانوا يخنقون زوجاتهم لكيلا يستهلكن ماعندهم من الطعام » .. لهذه الدرجة انعدمت لدى البابليين الكثير من صفات الشهامة والفروسية .. والتقاليد التي تمنح أكبر ذكور الأسرة سلطة لاتكاد تقف عند حد ، كانت تحول دون ماعساه أن يكون باقيا في أرض الجزيرة من أزمنة ماقبل التاريخ من نزعة لتغليب سلطان الأم ..

حقوق حصلت عليها المرأة البابلية :

كان من حقها أن تمتلك الثروة والاستمتاع بدخلها ، والتصرف فيها بالبيع والشراء ، وأن ترث وتورث ، ومن النساء من كانت لهن حوانيت ، يتجرن فيها ، بل إن منهن من كن كاتبات ،

مجمل القول أن مركز المرأة في بابل كان أقل منه في مصر وفي روما ، ولكنه مع ذلك لم يكن أقل من مركزها عند اليونان الأقدمين أو عند الأوربيين في العصور الوسطى ..

وماقيل هنا بالنسبة للمرأة في سومر وبابل يقال أيضا عن المرأة الحيثية (منطقة آسيا الصغرى : من حيث : وجود امتيازات لبعض النساء دون بعض . والسماح لبعضهن بالتجارة ، ووجود استرقاقها في بعض الأحوال ، ووجود الإعدام غرقا في حال الزنى[8] .. الخ

(٦ ، ٧) ول ديورانت ، قصة الحضارة ، مرجع سابق ص٢٢٢

(٨) راجع «ل . ديلابورت - بلاد ما بين النهرين - الحضارتان البابلية والآشورية la Mesopotamie سلسلة الألف كتاب رقم ٣٥ . فصل العائلة ص ٨٨ في البابلية ، وفصل « الأسرة » ص ٣٤٧ في « الآشورية » .

وراجع « ا . و . جرني - الحيثيون The Hittites سلسلة الألف كتاب رقم ٤٥١ فصل « الأسرة » ص ١٣٥ منطقة آسيا الصغرى .



من أعلام الأزهر

محمد بخيت المطيعي

علم الإفتاء في عصره

للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي

انتهت إلى العلامة الكبير الأستاذ الشيخ محمد بخيت المطيعي ـ رحمه الله ـ أمانة الإفتاء في مدى ثلاثين عاماً من أوائل هذا القرن بعد رحيل الأستاذ الإمام محمد عبده ١٩٠٩ ، وإذا كان لم يتولَّ منصب الإفتاء الرسمي إلا بعد تسعة أعوام من وفاة الإمام ، فقد كان صاحب إفتاء أهلي ـ إن جاز التعبير ـ بين الناس منذ نال شهادة العالمية من الأزهر ، ونشر فتاواه الدينية في الجرائد تارة وفي كتيبات صغيرة تارة أخرى ، وحين أطالع تاريخ الفقيه الكبير أجد أنه تعرض لهجوم حاد من كتاب الصحف ، لم ينقطع دَوِيّه ، ففي حياة الأستاذ الإمام كان الرجل زميلاً له ، ولكنه كان يعارضه في اتجاهاته الفكرية ، وينضم حوله نفراً ممن يطيب لهم أن ينازعوا المصلح العالم المجدد .

وللأستاذ الإمام شيعته التي تهتف برأيه ، وتتناول معارضيه بالنقد وفي طليعتهم الشيخ محمد بخيت ، ثم مضى عهد الإمام ، وغلب الاحتلال

بطائفة ممن تعلموا في بلاده ، ورجعوا يدعون إلى ما يخالف الشريعة سيراً فيما يزعمون في ركاب التحرر ، وقد وقف الشيخ لهؤلاء بآرائه الصادقة ،

وله جهارة ومكانته ، وسلطته منصب ، فانثالوا عليه ناقدين ، وفي الفترة التي تلت الحرب العالمية

الأولى كثر التهجم على حقائق الإسلام وتاريخه انبهاراً ببريق أوربا الخادع ، وتتبع المنى الأكبر ما يقول هؤلاء تزييفاً ونقداً ، فشدُّوا في الحملة عليه شدًّا عنيفاً ، تركوا مكمن الحوار الفكرى ، وتعرضوا لما تخيلوه من مواقف يرونها غير جديرة به ، إذ لم يكن نصيراً لحزبهم السياسي ، وهكذا اتصل العداء والنقاش حول الرجل ولكن ذلك لم يزعزع من مكانته ، لأن آراءه تؤيد بالدليل ، ولأن العالم الإسلامي جميعه في شتى ربوعه من

عربية وأعجمية يرجع إليه فيما يجدّ من أمور تتصل بالدين ، فسيل الخطابات المنهلة من الشرق والغرب لاينقطع عن بريده ، والرجل مجاهد دءوب يعلم أن النكوص عن الافتاء لدى مثله يملك فقهه تقصير في دين الله ، وقد أعد نفراً من شباب العلماء ليساعدوه في تسطير الفتوى حين تكل يده عن التسطير ، بل إنه وظف ثلاثة من هؤلاء لهذا الغرض بذاته ، وقد تبلغ الفتوى ست صفحات ، كما قرأنا بعض ذلك عند من نشروا فتاوى الشيخ المرسلة إليهم خاصة بالبريد ، وأسأل نفسي ، لم لم يحرص الشيخ على تسجيل هذه الفتاوى وقد بذل فيها جهد الباحث ، وصبر المنقب ، وضلاعة المستدل ، فتكون مرجعاً فقهياً كبيراً يضاف إلى مجموعة من الفتاوى الخاصة بكبار الفقهاء في القديم والحديث ؟ أسأل نفسي هذا السؤال ، فلا أجد الجواب ، غير ما يوحى به التواضع العلمي لدى فقيه متزن يقدر في فتواه الخطأ والصواب معاً ، وله أجهره عند الله في الحالين ، ولعله بذلك يعطى درساً لنفر نشاهدهم الآن يتجرءون على الإفتاء دون استعداد ، ثم يطبعون ما يذهب صوابه في لجج خطئه ، فإذا نقدهم ناقد تعادوا عليه ناهشين آكلين !

لقد أحسن الأستاذ أحمد حسن الزيات حين نعى الشيخ محمد بخيت المطيعى في عبارة موجزة كدأبه الدائم ، فقال في تركيز دقيق : « في اليوم الثامن من هذا الشهر (اكتوبر ١٩٣٥) استأثرت رحمة الله بالفقيه العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الديار المصرية السابق ، وهو خاتمة طبقة من العلماء المحققين الذين تميزوا في حياة الأزهر بالتبسط في العقائد والتعمق في الفقه فانتهت إليه الأمانة فيهما حيناً من الدهر كان ــ غفر الله له ــ من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التى قام بها الإمام محمد عبده ، ودفعه إلى ذلك شهوة المنافسة من ناحية ، وتحريض أولى السلطان من جهة أخرى ، وكان في الشيخ زكانة شاهدة ، ودعابته لطيفة ، وطموح إلى مساماة الإمام في منصبه ونفوذه وشهرته حرّك فيه الأخذ بنصيب من الأدب والثقافة الحافة ، ولعله كان أعلم أهل جيله بدقائق الفقه الحنفى ، وأبسطهم لساناً في وجوه الخلاف بين أصحاب الشافعى وأصحاب أبى حنيفة » .

ولى وقفة يسيرة عن قول أستاذنا الزيات إن الشيخ قد اندفع إلى معارضة الإمام ، وراء شهوة المنافسة ، وبتحريض أولى السلطان ، فقد يكون هذا مما نظن لدى النظرة العاجلة ، ولكن المسألة ترجع في صميمها إلى اتجاهين علميين يتنازعان مدى الأحقاب ، اتجاه التجديد الوثاب ، واتجاه المحافظة المتئدة ، فملابسات الإمام ورحلاته وثقافاته المتسعة دعته إلى التجديد عن اعتقاد ، وقد سد بذلك مسدا لا يقوم به سواه ، وعكوف الشيخ بخيت على الكتب الأزهرية وحدها ، وهى على عهده كتب المتون والحواشى والتقارير قد دفعه إلى الانحياز إلى ما قرأ في هذه الكتب دون أن يمتد به النظر إلى غيرها ، كان ذلك على عهد الإمام ، ولكن الشيخ بعد رحيل الإمام أخذ يتصل بالثقافة المعاصرة قدر طاقته ، وهو ماعناه الزيات في قوله : أنه حصل على نصيب من الأدب والثقافة ، وقدار ارتفعت منزلة الإمام لديه بعد وفاته ، وكتب عنه ما ينبيء عن تقديره الجم ، كما

رأس الحفلة الكبرى التى أقيمت لتأبينه سنة ١٩٢٢ فوفاه حقه الصحيح من التقدير ، وحين ألف كتابه (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) ورأى الأستاذ على عبد الرازق ينقل عن كتاب « رسالة التوحيد كلاماً » يفسره على غير وجهه الذى عناهع الأستاذ الإمام قال فى قوة[1] .

وكل ما نقله من رسالة التوحيد للمغفور له الأستاذ الشيخ محمد عبده ــ رحمه الله ــ قد ساقه للتمويه والمغالطة على غير الغرض الذى ساقه له المغفور له الأستاذة الجليل ، وحوله إلى غرضه ليوهم الناس أن له سلفاً صالحاً فيما يقوله ، ألا وهو الشيخ الجليل ، والأستاذ الكامل الحجة الشيخ محمد عبده ، وماهؤلاء ، وللشيخ محمد عبده ، وهم ما عاصروه ولا خالطـوه تمام المخالطة ، ولا اجتمعوا معه فى درس ولا أخذوا عنه شيئاً من العلم ، وإنما هؤلاء يتشبثون بكل من اشتهر بالفضل والعلم وهو برىء منهم «براءة الذئب من دم ابن يعقوب» فهذه الشهادة العلمية الصريحة للامام الحجة تغنى عن كل تدليل ..

أما مجلة الأزهر فقد نعت الفقيه الأكبر إلى العالم الإسلامى فى كلمة معبرة ألمت بطرف من حياته العلمية الخصيبة ، وقد قال كاتبها الأستاذ محمد فريد وجدى عن الشيخ الكبير[2] (كانت داره مثابة للمستفتين والمستفيدين ، وكان لا يبخل على أحد بالفتيا ، حتى إذا كان بعيداً عنه تكلف له كتابة الفتوى وأرسلها إليه بالبريد ، وكانت شهرته قد تجاوزت مصر إلى العالم الإسلامى كله فكانت ترد إليه الاستفتاءات تترى فى مختلف المسائل ، ومنها مشاكل تحتاج إلى مراجعات كثيرة مضنية فلا يضن بنفسه عن القيام بها فيحررها ويرسلها للمستفتين ، ومما انفرد به أنه استخدم كاتباً لنقل فتاواه وتولى إرسالها إلى طلابها فى مختلف الأقطار متحملاً مكافآتهم شهرياً ، وأجر ما يرسل بالبريد من الكتب والرسائل ، وقد عرف رحمه بالزعامة فى علم الأصول ، فكان يرجع إليه جلة العلماء فيما يشكل من مسائله ، ويصادفون لديه لكل مشكلة حلّا ، كأنها مرت به من قبل فعالجها ، وانتهى إلى مايحسن السكوت عليه من أمرها » .

والإشارة العابرة إلى ما يتكبد الرجل مالياً من توظيف الكتاب له بأجر شهرى ، تذكرنا بموقف رائع له ، قل أن نجد نظيره اليوم ، فقد كان قاضياً كبيراً فى محكمة شرعية تختص بنزاع على وقف كبير ، فأصدر الحكم بما اقتنع به من رأى ، وفرح المحكوم له بما نال ، فذهب إلى الشيخ ــ وهو أمير كبير ــ يحمل صكاً بمبلغ خطير للشيخ لموقفه القضائى ولكن الشيخ رمى المظروف فى وجهه ، وصاح به ، نحن نحكم بشرع الله ولا نحفظ أمثالك لدينا ونحن نحكم ! وخرج الأمير صاغراً ، هذا موقف دينى باهر يقابله موقف سياسى للشيخ الأكبر ، حين قامت الثورة المصرية ، واحتدم اللهيب فى الأزهر متنقلاً إلى شتى ميادين القاهرة فأوفدت الحكومة الانجليزية اللورد ملنر للتفاوض مع الوطنيين ، دون الزعماء المعتقلين ، فأصدر الشيخ فتواه بتحريم الاتصال بلجنة ملنر ، وذاعت

---

(١) حقيقة الإسلام وأصول الحكم ص ٣٦٦ للعلامة الشيخ بخيت المطيعى . ط السلفية .

(٢) مجلة الأزهر ص ٥٨٣ المجلد السادس سنة ١٩٣٥م .

الفتوى في الناس فخاب سعي اللورد ومعاونوه ، واهتز سعد زغلول في معتقله فرحاً وأبرق للشيخ يقول : هذه الفتوى جديرة بأكبر مفت للإسلام ! وللشيخ عبد الوهاب النجار كلمة ضافية مشبعة عن الرجل أشار فيها إلى أمثال هذه المواقف نشرها في مجلة الشباب المسلمين ، وليست تحت يدي الآن ، فلتقرأ الشبيبة أمثال هذه المواقف ليجدوا القدوة الحسنة لدى سلفهم الكريم ..

ولد الشيخ في بلدة (المطيعة) بمحافظة أسيوط سنة ١٨٥٦ ، فنشأ نشأة دينية حيث إليه حفظ القرآن وتجويده وتعلم القراءة والكتابة ، ثم انتقل إلى القاهرة طالباً بالأزهر بعد أربعة عشر عاماً من مولده ، فطلب العلم على أساتذته الكبار أمثال الدمنهور والمهدى والشربيني والمنباوي ، كما ذكر صاحب كنز الجوهر في تاريخ الأزهر[٣] ، ومن أساتذته الشيخ حسن الطويل ، وجمال الدين الأفغاني ، وأنا أرى أن أثرهما قليل في نشأته العلمية لأن طريقته التأليفية تنحو منحى لا يتفق مع مشربهما ، وقد نال الدرجة الأولى حين تقدم لامتحان العالمية ، وعين مدرساً بالأزهر ثم انتقل إلى القضاء بمديريات القليوبية والمنيا وبورسعيد والسويس وأسيوط على مدى ثلاث عشرة سنة انتقل بعدها إلى تفتيش المحاكم ، ومازال يرقى حتى صار رئيساً للمحكمة في عدة بلاد ، وختم هذا العمل القضائي بتعيينه مفتياً للديار المصرية سنة ١٩١٤ ، وقد اختاره السلطان حسين كامل من بين عدة مرشحين لهم كفاءتهم العلمية ، ودعاه إلى مقابلته عقب تعيينه فقال له[٤] اعلموا أنكم تخاطبون بفتاواكم العامة فالزموا فيها الصراحة حتى لا تكون محتملة للتأويل ، ولتكن لكم أسوة حسنة في المرحوم الشيخ المهدي الذي لبث يخدم دينه أربعين عاماً يفتي الناس في أمور دينهم وقد ترك أثراً صالحاً ومثالاً جليلاً من الفتاوى لايزال رجال الدين إلى اليوم يرجعون إليه في الوقوف على المعضلات الشرعية ، وهذا التوجيه من سلطان البلاد يدل على اهتمامه بمنصب الافتاء ومعرفته السابقة في حلبة الفتوى من العلماء ، وقارىء الفتاوى المهدية مقارنة بفتاوى الشيخ بخيت يلمس الشبه القريب بين الاتجاهين ، لأن الشيخين الكبيرين يهتمان بالنصوص المدونة لأئمة التشريع ، ولا تكاد ترى غير النصوص أمامك متتابعة حتى يجيء التعقيب النهائي في آخر الفتوى ، مرجحاً رأياً على رأي ، هذا طابع الافتاء المتقارب لدى الشيخين ، فهل يكون توجيه السلطان للشيخ ذا أثر في هذا الاتجاه .

إن قراءة ما كتبه الشيخ بخيت قبل أن يعين مفتياً للديار المصرية بأكثر من عشر سنوات تدل على أنه يلتزم هذا النهج من قديم ، فقد قرأت كتيباً لطيف الحجم تحت عنوان (أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام) وقد طبع بمطبعة الشعب سنة ١٩٠٣ ، وكان الأستاذ عضواً بالمحكمة الشرعية العليا وإذ ذاك ، قرأت هذا الكتيب فوجدت المنهج في الماضي لا يختلف عن المنهج فيما بعده ، حيث أجاب الأستاذ عن أسئلة وصلته من الشام خاصة بمعنى البدعة وهل تكون

(٣) كنز الجوهر ص ١٧٣ للشيخ سليمان الحنفي .

(٤) الكنز الثمين : ص ٥١ .

منها قراءة سورة الكهف ، ورفع الصوت بالأذان يوم الجمعة ورفع الصوت فى الجنازة فأجاب الأستاذ بما شفى الصدر حقاً فارقاً بين (البدعة اللغوية) و (البدعة الشرعية) ومستنداً إلى نصوص الاثبات من العلماء ، وإن كانت اللغة من الضيق والكزازة بحيث كان الموقف يحتاج إلى بسط ، ولأصحاب هذه الطريقة عذرهم إذ يعلمون أنهم فى الفتوى يقننون قانوناً ، لكل جملة فيها معنى ، ولكل لفظ حد لا يخرج عن مدلوله ! فالايجاز — فى منطقهم — أولى وأسد ، ولكن أكثر كتب السابقين — قبل عهود الحواشي — ذات بسط وإشباع ، وما راج كتاب الإحياء للإمام أبى حامد الغزالى هذا الرواج إلا لتدفقه فى بسط الأحكام وإقناع القارىء بما يشفى غلته من البيان المستطاب .

أعلم ان احتجاز الكاتب وراء النصوص المتتالية قد يدل على اختفاء الشخصية ، وذلك واقع فى البحوث الأدبية ، أما البحوث العلمية فلها وضع آخر ؛ لأن هذه النصوص لم تأت عفواً ، ولكنها جاءت وراء تتبع واستقصاء ، إذ قام الباحث بقراءة نصوص غيرها ، ثم اختار ما اطمأن إليه منك قوة الدليل ، وهذا الاختيار المنتخب من عشرات النصوص يدل على جهد مستتر لا يدركه غير من كابد التأليف العلمى فى جوانب كثيرة من فروعه .

يقول الأستاذ عباس العقاد بصدد حديثه عن مؤلفات الأستاذ مصطفى عبد الرازق[٥] « ومن خبر الكتابة التاريخية وعرف انتقاء الشواهد والأمثلة ، فهو خليق أن يعرف أن الانتقاء من الشواهد الكثيرة ، لا يأتى بغير ميزان مستقل يعتمد عليه المؤلف فى اختياره وترتيبه ، فكتاب مثل (التمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية) كان يمكن أن يتضمن عشرة أضعاف الشواهد التى اشتمل عليها . ولا يحس القارىء بها أثراً للترتيب والدلالة المفيدة ، ولكنه تضمن هذه الشواهد دون غيرها ؛ لأنها أقرب إلى مقياس المؤلف وميزانه ، وأدل على وجهته وحكمه ، وأنفع لمن يريد المراجعة والاستناد ، ومن هنا كان القارىء لا يحس شخصية المؤلف مقحمة بين السطور » .

قد أكون أطلت فى هذه الفكرة بعض الشىء ، وذلك شىء تعمدته ؛ لأن بعض ناقدى آثار الشيخ بخيت المطيعى قد خاض فيها خوضاً دون تأمل ومن هؤلاء الأستاذ محمد كرد على حين قال فى مقال تحت عنوان (القول فى تآليفنا) :[٦]

« يتذوق أكثر المتعلمين اليوم البلاغة ، ولذلك لا يرضيهم من المؤلف أن يكتب موضوعه كما اتفق : بل يرغبون أن تصوغه فى قالب مقبول ، ويعرض عليهم زبدة مما محص وحقق ، مثال ذلك كتب الشيخ محمد بخيت وكتب الشيخ أحمد ابراهيم فى الفقه ، فالأول على جلالة قدره فى هذا الفن لم يكتب لمصنفاته القبول كما كتب لمصنفات الشيخ الثانى ، وذلك لأن الشيخ بخيت لم يرزق من نعمة البيان ما يؤهل كتبه للاستحسان عن العارفين ، ونالت مصنفات الآخر موقعاً من

(٥) مجلة الكتاب (ابريل سنة ١٩٤٧) .

(٦) أقوالنا وأفعالنا للأستاذ محمد كرد على ص ٣٩٣ .

النفوس لما كتبت به من طراز جميل » واستطرد الأستاذ كرد على فيما يشبه هذا القول ، وأنا لا انتقص كتب العلامة الشيخ الكبير أحمد ابراهيم ـ رحمه الله ـ فإنها فى الذروة ، ولكنى أقول إن الرجل الكبير كان يكتب محاضرات لطلبة كلية الحقوق ، وطلبة الدراسات العليا بها ، فاضطر إلى نظام خاص يلائم المنهج الجامعى ، أما الأستاذ الشيخ بخيت المطيعى فيكتب للخاصة والعامة معاً ، ولا يلتزم نهجاً جامعياً ، وإذا كانت النصوص الفقهية تتوالى فى آثاره على نحو ما أشار الأستاذ العقاد متحدثاً عن آثار الأستاذ مصطفى عبد الرازق فإن هذه النصور فى صميم الصميم من الموضوع ، وأذكر أن الأستاذ محمد كرد على قد ملأ كتابه عن « الحضارة العربية » بجزءيه الكبيرين بنصوص كثيرة من المحدثين والقدماء شرقاً وغرباً ، بحيث لو جردت الكتاب من هذه النصوص لم يكد يبقى منه شىء ، وما قال قائل إن النصوص المتوالية قد أضعفت الكتاب ، هذا وهو يكتب فى موضوع اجتماعى حضارى . لا فى مسائل فقهية ذات دقة وتركيز .

الحق أن الرجل الكبير قد ظلم الشيخ حين نقده ، وفى صفحات أخرى من كتابه (أقوالنا وأفعالنا) أشاروا إليه تعريضاً على وجه الانتقاص[٧] ، وهاجم غيره من الفضلاء وهو مما يجعلنا نبحث عن سبب فى ذلك لأن السياق العام للموضوع لا يقتضى هذا الشرود .

محاضرات الشيخ بخيت

هذا وللشيخ بخيت محاضرات عامة ألقاها فى الجمعيات الاسلامية ، لم تكن تعتمد على كثرة النصوص ، لأن لكل مقام مقالاً ، والذى يحاضر فى موضوع عام يطرد فيه القول اطراداً دون كثرة استشهاد ، لا يعوزه أن يجعل تأليفه كمحاضرته لو أراد ، ولكنه فى المحاضرة أقرب إلى الخطيب فهو يرعى مواقف التأثير ونواحى الإمتاع ، كما يرعى مواقف التدليل ونواحى الإقناع ، كما أنه فى البحث يحاول أن يستند إلى نصوص نظنها ملزمة ، كيلا يقوم متسرع فيرميه بالشطط ، ومع هذا الاحتياط الكبير ، فقد رمى بالشطط حين ألقى محاضرة (عن نظرية داروين) فقال ناقدوه ما للشيخ وداروين ؟ ونسوا أنه يتعرض للذود عن الإسلام فى أصل من أصوله ، لأن أشياع هذه النظرية ظنوها هو ما للأديان جميعاً ومن بينها الإسلام ! أفيسكت مفتى الإسلام عن إبداء رأيه فيها ؟ .

ـ يتبع ـ

(٧) أقوالنا وأفعالنا ص ٥٩ .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر



روح الإسلام والمذاهب الفلسفية

لصاحب الفضيلة الشيخ / صادق إبراهيم عرجون

إعداد وتقديم / د. عبد الفتاح حسين الزيات

لم يكن الدين أبداً مناهضاً للعلم ولا مناوئاً له وكيف وهو من صميم الدين ؟ والدين معه يهذبه ويوجهه ليكون نافعاً مفيداً ، وقد أخذ بالعلم السابقون الأولون من علماء المسلمين فعبر عن روح الإسلام ، دين القلوب لا دين القوالب .

والفكر الفلسفي فرع من فروع العلم ، ورافد من روافد المعرفة ، ولذلك لم يجد زعماء الفكر الإسلامي غضاضة في الاشتغال بالفلسفة على اعتبار أنها ثمرة من ثمار الفكر الإنساني ، فقط كان الدين يكبح جماح بعض الفلاسفة إذا شط بهم الخيال عن جادة الصواب أو صادمت الفلسفة وقعاً محسوساً .

ومن هذا المنطلق تناول مفكرو المسلمين علوم الغابرين ومذاهبهم الفلسفية بالنظر ، ولم يأخذوها حقيقة واقعة أو قضية مسلمة ؛ بل درسوها وطرحوها على بساط البحث وقد عبر عن ذلك فيلسوف الإسلام ابن رشد بقوله : « ينبغي لنا أن نضرب في كتبهم ، فننظر ما قالوه فإن يكن صواباً قبلناه منهم ، وإن كان فيه ما ليس بصواب نبهنا عنه » .

قال الأستاذ ـ رحمه الله :

روح الإسلام والمذاهب الفلسفية

« وإذا كانت هذه الشرائع حقاً وداعية إلى النظر المؤدي إلى معرفة الحق، فإنا معشر المسلمين نعلم على القطع أنه لا يؤدي النظر البرهاني إلى مخالفة ما ورد به الشرع ، فإن الحق لا يضاد الحق ، بل يوافقه ويشهد له » .

(الفيلسوف ابن رشد)

« وليس في المعارف الحقة الصحيحة المستقرة شيء يمكن أن يناقض أصول الدين ويهدمها » .

(الأستاذ المراغي)

بلغ الفكر الإنسانى طوراً سامياً من أطواره فى الكشف عن حقائق الوجود ، ولا تدعى أنه منتهى شوطه ، بل لا يمكن لإنسان أن يزعم أن للنشاط الفكرى نهاية لأن النهاية إنما تكون للمحدود ، ومجال للفكر لا يعرف التحديد .

وقد كانت هذه الحقيقة قبل الإسلام سبباً فى النفرة بين الدين والفكر ، وأحرى أن يقال بين المتدينين والمفكرين ، ولأن الدين نبه على حقائق ، وندب القلوب إلى اعتقادها ، فاستعصى سر غورها على العقول ، وأبى الفكر الحر أن يقف أمامها ساهماً واجماً ، فمشى إليها فى ثقة قوية ليكشف عنها ، فانتهض المتدينون لذوده عن مقامه بحجة أن الدين من وحى الله ، فهو سر من أسرار الله ليس للفكر فيه مجال ، فنجم حينئذ ذلك التدافع الدامى فى تاريخ الإنسانية .

فلما جاء الإسلام قرر فى أولى حقائقه أنه إذا كان الدين من وحى الله فالفكر من فيض الله ، وبهذا وضع الإسلام قاعدة التآخى بين الفكر والدين ، فتصافحا فى ظله ، وأخذا فى سبيل هداية الإنسانية متعاونين على قيادة الوجود إلى سعادة الخلود .

ومن ثم كان أصحاب رسول الله ﷺ يأخذون الدين بفطرة نقية وفكر مهذب ، فلم تعوّقهم عقبات الجدل الأجوف عن العمل الصادق فى نشر الدين فى أقطار الأرض ، ففتحوا الأقطار ، ومصروا الأمصار ، ولكن هذه الفطرة أصابتها الحياة بالصدأ بعد إذ بَعُد العهد بنور الوحى ، فاحتاجت فى أخذها الدين وفهم حقائقه إلى أداة من البحث ، وكانت علوم الأوائل قد وصلت إلى أيدى المسلمين ، فلم يحجموا عن النظر فيها والاستعانة بها ، لأنهم وجدوا من الإسلام ديناً آخى بين الفكر والدين ، وهذه المؤاخاة هى روح الإسلام الخالدة .

وإذا كانت الفلسفة آية من آيات الفكر الإنسانى ، فهى من صميم الإسلام ، لأن الفلسفة ليست شيئاً أكثر من النظر فى الموجودات ، وتعرّف صلتها بالخالق ، وإبراز خصائصها . وهذا المعنى هو الحكمة فى لسان العرب ، والحكمة جعلها الله من أعظم منته على أخصاء عباده فقال تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(1) .

تناول مفكرو المسلمين علوم الغابرين ومذاهبهم الفلسفية بالنظر ، وخاضوا خضمها ، ودرسوا مذاهبها فى الإلهيات والطبيعيات ، والفلكيات ، وعلوم النبات والحيوان بعقول راجحة ، لا ترد الحق ، ولا تقبل الباطل ، قال الفيلسوف ابن رشد : « ينبغى لنا أن نضرب بأيدينا إلى كتبهم (الأوائل) فننظر فيما قالوه من ذلك ، فإن كان صواباً قبلناه منهم ، وإن كان فيه ما ليس بصواب نبهنا عليه » .

نعم لم يسلم فلاسفة الإسلام من النقد والتحامل فى فترة قصيرة من الزمن ، فشن بعضهم الغارة على أمراء الفكر ، وقادة الرأى ، ورموهم

(1) سورة البقرة آية ٢٦٩ .

بالزندقة ، ولكن ما لبثت هذه السحب أن تقشعت ، فخلّف المفكرون لنا ثروة علمية وذخيرة أدبية يدوم لنا فخرها مادام أمر الفكر الإنسانى نافذاً فى الوجود .

عرضوا لأدق النظريات الفلسفية فبحثوها ، وأثبتوا لهم فيها رأياً قوياً تكتنفه الحجة الصادقة ، ويحوطه البرهان المبين ، فابن سينا لم يترك نظرية إلا درسها وكتب فيها محققاً ناقداً ، والفارابى لقب لعظمته فى البحث بالمعلم الثانى ، وابن رشد قالوا عنه : إن كتب أرسطو ما كانت لتصل إلى أيدى الناس لولاه ، وأبو حامد الغزالى الملقب « بحجة الإسلام » سبق (ديكارت) بتقرير نظرية الشك عند البحث حتى لا يسيطر التقليد على الذهن ، فقال فى كتاب (ميزان العمل) : « ولو لم يكن فى هذه الألفاظ إلا ما يشككك فى اعتقادك الموروث لكفى بذلك نفعاً ، فإن من لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر بقى فى العمى والحيرة » .

هذا حال علماء الإسلام الأقدمين فى فهم روح الإسلام ، وإقبالهم على دراسة المذاهب الفلسفية على اختلاف اتجاهاتها ، وبلوغهم فيها درجة جعلتهم أعلام الدنيا ، فما شأننا نحن : وكيف فهمناك روح الإسلام ؟ وما موقفنا من دراسة ما جدّ فى الحياة من مذاهب فلسفية قامت عليها حضارة العالم ؟ وكم فى عداد المسلمين الآن من فيلسوف ؟ بل كم فيهم من مطلع على الفلسفة اطلاع المفكر الحر ؟ إن الجواب على ذلك مؤلم مؤسف ، ولكن علينا أن نجابه الحقيقة العريانة لنفهم أنفسنا ، ونفهم مكاننا الصحيح من ديننا وتاريخنا ، فلذلك أجدى علينا من المراوغة والمداورة .

منذ خمدت الحركة الفلسفية الإسلامية فى الأندلس ، وانتقلت إلى أوربا ، سارت مترسمة خطواتنا حيناً من الدهر ، ثم ارتقت فابتكرت مذاهب جديدة صعدت بها إلى ذروة المجد ، وبقينا نحن متخلفين ، بل بقينا متكرين ساخطين ، فتأخر تفكيرنا وخمدت قرائحنا وأصابنا العقم ، فما تنتج شيئاً فيه ريحنا وعليه طابع ديننا .

جدّت مذاهب فى بعضها هداية نحن أحق بالسبق إليها ، وفى بعضها إلحاد وزيغ نحن أحق بفهمها لننقدها ولنزيف باطلها ، وجدّت مذاهب فى الطبيعة استخدمت بها أوربا مرافق الوجود فى السماء والأرض .

من الذى درس من المسلمين مذهب (دارون) فى النشوء والارتقاء ، وطابق بينه وبين ما يقوله القرآن الكريم فى أصل الإنسان ؟ ومن الذى بحث نظرية الجاذبية التى كشفها (نيوتن) وعرف صلتها بقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾ .
فاطر ٤١

والله ـ جل شأنه ـ لا يمسك السماء والأرض كما يتصور الجاهلون ، وإنما يمسكها بناموس الارتباط العام بين ذرات العالم أجمع ؟ ومن الذى درس من علماء الإسلام مذهب استحضار الأرواح وعرف صدقه من كذبه ، وقد ملأ دويه

الدنيا ، وقلب كثيراً من الحقائق التي كان يدين بها الماديون ؟ ومن الذي درس مذهب (ديكارت) وعرف فرق ما بينه وبين مذهب الغزالي ؟ ومن الذي درس نظرية النسبية التي وضعها (انشتين) وعرف قيمتها ؟..

أنا لا أنكر أن أفراداً من أذكياء المسلمين منتثرين هنا وهناك وجهوا أفكارهم هذا الاتجاه الصالح ، فدرسوا واطلعوا ، ولكنهم قليلون ، وهم مع قلتهم لم يبلغوا أن تكون لهم آراء تقوم إلى جانب آراء فلاسفة الغرب ، كما كان لأسلافنا من الاستقلال الفكري ، ونحن لا نريد أن نقف من الحياة موقف المتفرج ، ولا موقف المقلد ، لأن ديننا وتاريخنا يأبيان علينا ذلك الجمود ، ويحثاننا على النظر والدرس :

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ ؟

إن الأزهر ، وهو أعظم معاهد الإسلام ، يجب عليه أن يمد يده إلى هذه المذاهب الحديثة ويدرسها ليخرج فيها فلاسفة يقودون الأمة إلى مراق الفلاح ، وإنه لا فلاح لأمة جامدة التفكير . يقول الفيلسوف ابن رشد : « يجب علينا إن لقينا لمن تقدمنا من الأمم السالفة نظراً في الموجودات واعتباراً لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان أن ننظر في الذي قالوه من ذلك ، وما أثبتوه في كتبهم ، فما كان منها موافقاً للحق قبلناه منهم وسررنا به ، وشكرناهم عليه ، وما كان منها غير موافق للحق نبهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم » . بهذا النحو من التفكير تقدم ابن رشد على الناس :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ .

المجلد السادس

١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٦م

استدراك :

تلقينا من القارىء / صبيح صبيح طراز ... الطالب بمعهد رشيد الثانوى الأزهرى ـ تصويباً لما جاء فى مقال « مع تفسير سورة يس » ـ الذى نشر بالعدد الماضى ـ عن : موقع قرية « أصحاب القرية » من أنها تقع فى شمال سوريا على البحر الأبيض المتوسط ، وليست على البحر الأحمر .. تحية للقارىء على متابعته .



العلوم الكونية

العلوم التقنية في التراث الإسلامي

٣

عرض وتحليل أ.د/ أحمد فؤاد باشا

ثالثاً : تقنية الأجهزة العلمية :

أدرك علماء الحضارة الإسلامية حقيقة العلاقة بين العلم والتقنية من خلال ممارستهم للمنهج التجريبي الاستقرائي ، فعرفوا أن التقنية لا يمكن أن تزدهر أبداً بمعزل عن العلم والبحث العلمي ، وأن تطوير التقنية ينعكس بدوره على تقدم العلوم الأساسية بشقيها النظري والعلمي ، وكان طبيعياً أن يتوخوا الدقة في نتائج أبحاثهم ، وأن يجدوا دائماً في استحداث طرائق وأساليب جديدة أكثر دقة وإحكاماً من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية ، وهو ما عبر عنه الحسن بن الهيثم بوضوح في كتابه « المناظر » بقوله : « ... ونجعل غرضنا في جميع ما نستقر به ونتصفحه استعمال العدل لا اتباع الهوى ، ونتحرى في سائر ما نميزه وننتقده طلب الحق لا الميل مع الآراء ، فلعلنا نهتدي بهذا الطريق إلى الحق الذي به يثلج الصدر ، ونصل بالتدريج والتلطف إلى الغاية التي عندها يقع اليقين ، ونظفر مع النقد والتحفظ بالحقيقة التي يزول معها الخلاف ، وتنحسم بها مواد الشبهات »[1] .

وعلى ضوء هذه المنهجية التجريبية في البحث العلمي طور علماء المسلمين تقنيات الأجهزة والأدوات العلمية المستخدمة في الأوزان ، والمكاييل ، والمقاييس ، والعمليات الكيميائية ، والجراحة الطبية وغيرها .

وسوف نعرض فيما يلي بإيجاز لبعض هذه التقنيات :

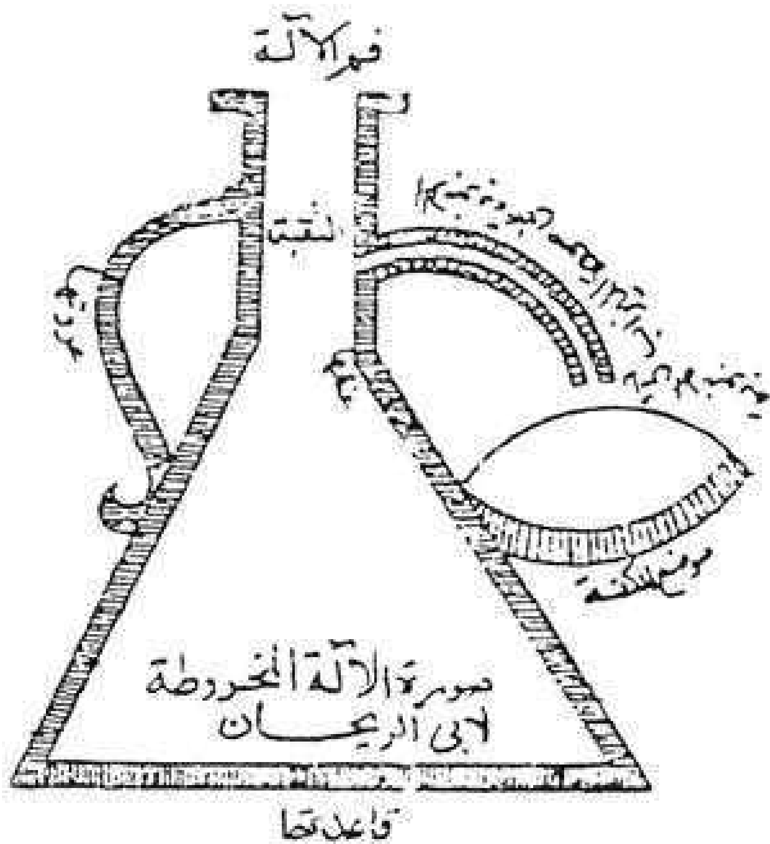
(أ) تقنية الموازين والمكاييل :

أبدع المسلمون أنواعاً مختلفة من الموازين لحاجتهم الماسة إليها في تعيين الثقل النوعي (الكثافة) لبعض الأجسام الصلبة والسائلة ، وفي تحضير الأدوية ومزجها بمقادير معلومة ، وفي التمييز بين الفلزات الثمينة والأحجار الكريمة وبين تلك التي تكون مشوبة أو غير نقية .

وقد اعتمدت نظرية عمل الموازين على مبدأ « الرافعة » « Lever » كما هو الحال بالنسبة للميزان العادي ، أو القبان الذي تقسم إحدى ذراعيه أقساما يحرك عليها جسم ثقيل يسمى « الرمانة » للوصول إلى التوازن الدقيق ، ويكون التوازن تاماً عندما يصبح عمود (قب) الميزان أفقياً تماماً ، ويستدل على هذا بالعين مباشرة أو بواسطة

* أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

(١) مصطفى نظيف ، الحسن بن الهيثم : بحوثه وكشوفه البصرية ، القاهرة ، ١٩٤٢م .



شكل (١) : الآلة المخروطة لأبي الريحان البيروني ..

« لسان » يوضع في وسط العمود ، والمواضع التي تتحرك عليها « الرمانة » ينقش عليها أرقام وتسمى « شعيرات » .

وقد استخدم البيروني تقنية رائدة ؛ لتعيين الكثافة النوعية للمواد ، وصفها بقوله : « فلم أزل بعده أعمل آلة بعد أخرى وأحترس في أخيرتها عما كان يعترض عليّ في الأولى حتى عملت آلة مخروطة الشكل ، واسعة القاعدة ، ضيقة الفم بعد عنق ممتد بذلك الضيق من البدن إلى الفم ، وثقبت في أواسط هذا العنق بالقرب من أسافله ثقبة صغيرة مدورة ، وألحمت عليها بقدرها أنبوبة منكوسة الوضع ، رأسها إلى جهة الأرض ، تحت هذا الرأس ، كالحلقة لوضع كفة الميزان عليها وقت العمل »[٢] .

وكان البيروني يزن المادة التي يريد دراستها بعناية ، ثم يُدخلها في الآلة المخروطية التي تكون قد ملئت بالماء حتى غاية مصبها ، فتزيح المادة المولجة قدراً من الماء مساوياً لحجمها ، حيث يفيض هذا

(٢) عن كتاب « ميزان الحكمة » لعبد الرحمن الخازني ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٥٩ هـ ، ص ٥٨ .

الحجم المكافىء من الماء ويخرج من المصب ، حيث يجمع فى كفة ميزان لإيجاد وزنه ، ويجرى حساب الثقل النوعى بتحديد النسبة بين ثقل المادة وثقل حجم مساوٍ لها من الماء (أى ثقل كمية الماء المزاحة نتيجة إدخال المادة فى الآلة المخروطية) .

كذلك استعمل عبد الرحمن الخازنى مجموعة من الموازين بقصد عمل قياسات متعددة ، من بينها تعيين الثقل النوعى لبعض السوائل . وقد ضمّن كتابه القيم « ميزان الحكمة » وصفاً تفصيلياً لهذه الموازين التى تضمنت ميزانه الجامع الذى استخدمه لمعرفة نسب الفلزات بعضها إلى بعض فى الحجم ، وتمييز بعضها من بعض من غير سبك ولا تخليص ، ومعرفة الجواهر الحجرية ، وتمييز حقها من أشباهها وملوناتها[3] .

وقد بلغت القياسات التى قام بها البيرونى والخازنى ؛ لتقدير الوزن النوعى لبعض المواد الصلبة والسائلة درجة من الدقة تطابق تقديرات علماء العصر الحاضر[4] .

(ب) تقنية الأرصاد الجوية والفلكية :

اهتم علماء الحضارة الإسلامية برصد الظواهر الكونية على أساس علمى سليم ، واستعانوا فى أول الأمر بمعلومات القدماء : المصريين والبابليين والهنود والفرس والإغريق ، ثم قاموا بعد ذلك بأرصادهم الخاصة باستخدام الأجهزة والآلات ، وصنفوا فى هذا الفن العديد من الكتب والجداول الفلكية (الأزياج) . وانتشرت المراصد فى جميع أنحاء الدولة الإسلامية ، وتميزت بأجهزتها الدقيقة وبتفوق المشتغلين فيها ، حيث تمكن العلماء من تطوير أجهزة مثل : المزولة الشمسية والساعة المائية لتحديد الزمن ، ومثل « الأسطرلاب » الذى طوروا فيه أنواعاً مختلفة ؛ لتحديد الارتفاعات ومعرفة الزمن والأوقات .

وعن « الأسطرلابات » يقول الخوارزمى الكاتب فى كتابه « مفاتيح العلوم » ما يفيد بأن « أنواع الأسطرلابات كثيرة ، وأسماؤها مشتقة من صورها ، كالهلالى من الهلال ، والكرى من الكرة ، والزورقى ، والصدفى ، والمبطح ، وأشباه ذلك .. »[5] وتتوزع تقنيات « الأسطرلاب » إلى ثلاثة أنواع رئيسية بحسب ما إذا كانت تمثل مسقط الكرة (القبة) السماوية على سطح مستو ، أو تمثل مسقط هذا المسقط على خط مستقيم ، أو تمثل الكرة بذاتها دون أى اسقاط . ويعتبر « الأسطرلاب » المستوى أو المسطح ـ ويسمى أيضاً « ذات الصفائح » ـ أكثر الأنواع شهـرة ، ويتـركب من الأم ، والأقـراص المستديرة ، والعنكبوت أو الشبكة ، والعضادة أو المسطرة .

ويذكر البيرونى أنه ألف رسائل هامة فى « الأسطرلاب » ، وضع فى إحداها نظرية بسيطة لقياس محيط الأرض بدقة لا تختلف عن القيمة

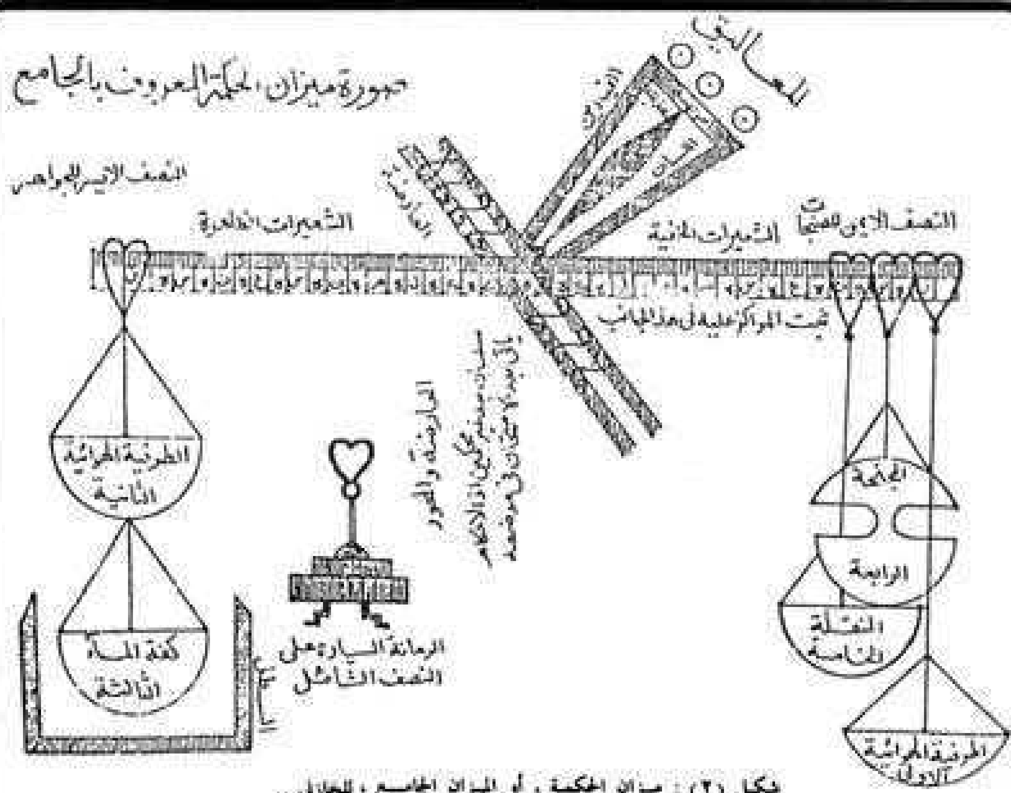
(3) المرجع السابق ، ص ١٠٢ وما بعدها .

(4) د. أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

(5) محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمى الكاتب (المتوفى سنة ٣٨٧هـ = ٩٩٧م) ، مفاتيح العلوم ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، طبعة دار الكتاب العربى بيروت ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م ، ص ٥٤ ، عن : جلال شوقى ، « مسيرة الحضارة من شك التجريد إلى يقين التجريب » ، عالم الفكر ، الكويت ، المجلد ١٩ ، العدد ٤ ، ١٩٨٩م ، ص ١٩٢ .

راجع أيضاً : س . م . ضياء الدين علوى ، الجغرافيا العربية فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجريين) ، الترجمة العربية ، جامعة الكويت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م .



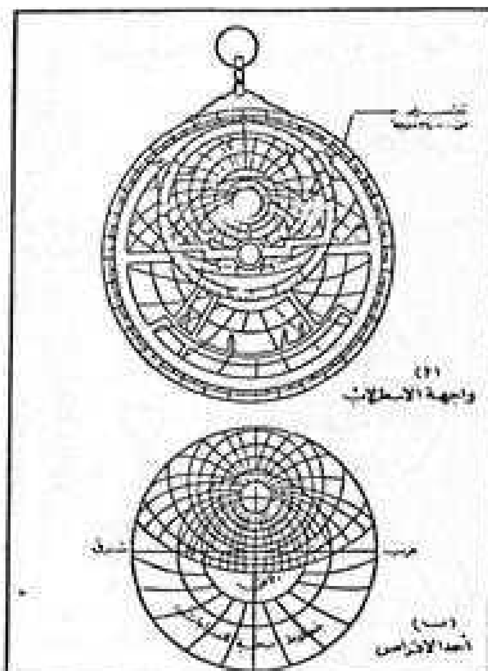


شكل (٢) : ميزان الحكمة ، أو الميزان الجامع ، للخازن ..

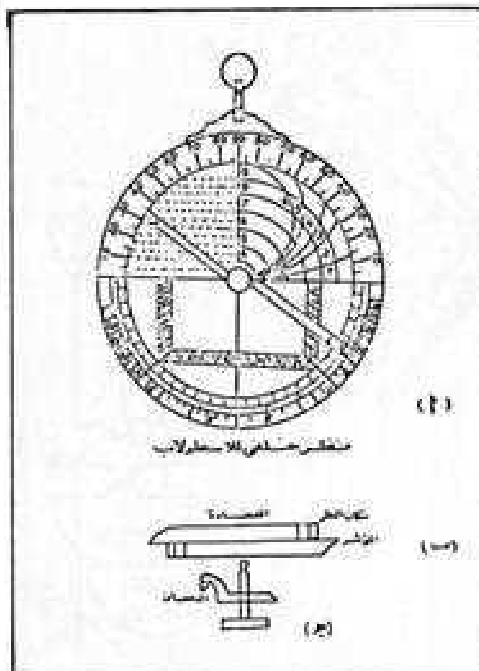
المعروفة حالياً ، ولا زالت هذه النظرية تدرس فى مناهج تعليم الفيزياء حتى اليوم ، وهناك مؤلفات أخرى عديدة فى « الأسطرلاب » للكندى والمروزى والزرقالى والمجريطى وغيرهم ، وقد شاع استعمال « الأسطرلاب » فى أوروبا فى القرن الرابع عشر الميلادى ، لكنه ظل مستخدماً فى البلاد العربية والإسلامية حتى القرن التاسع عشر الميلادى ، وباستخدام الساعات الميكانيكية والحسابات الفلكية والآلات الحاسبة المساعدة أصبحت تقنية الأسطرلاب غير ضرورية فى عصر تقنية الفضاء والأقمار الصناعية .

(جـ) تقنية الأدوات الكيميائية والطبية :

ازدهرت الكيمياء كثيراً فى عصر الحضارة الإسلامية على أساس المنهج التجريبى الذى تطلب القيام بطرق وعمليات متنوعة لتحضير المواد الكيميائية وتنقية الأدوية والعقاقير ، فعرف علماء المسلمين عمليات التقطير والترشيح والتبخير والتصعيد والطبخ والصهر والسحق والتبلور وغيرها ، وكانوا أول من أدخل تغليف الحبوب بالذهب والفضة ، وأول من حضر الأقراص بالكبس فى قوالب خاصة . وتطورت تقنية الأدوات والأجهزة الكيميائية تبعاً لذلك ، فعرف علماء المسلمين كيف يطورون الأدوات المناسبة لكل عملية كيميائية ، فصنعوا القارورة Bottle ، والقدح Beaker ، والأمبيق Alembie ، والقمع Funnel ، والقنينة



شكل (٣) : واجهة الأسطرلاب وأحد الأقراص ..





شكل (٤) : الأسطرلاب (منظر خلفي والعضادة) ..

Flask ، والمهراس Mortar ، والتنور Furnare ، والبوتقة Crucible ، وغيرها[٦] .

أما في مجال الطب فقد استحدثت أدوات وأجهزة طبية عديدة مناسبة للجراحة في مجالات الطب الباطني وطب العظام وطب الفم والأسنان وطب التوليد وغيرها ، ويعتبر أبو القاسم الزهراوي أكبر أطباء المسلمين شهرة في مجال الجراحة ، فقد ألف كتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف » الذي يعتبر موسوعة طبية تقع في ثلاثين جزءاً ومزودة بأكثر من مائتي شكل للأدوات والآلات الجراحية التي كان يستخدمها ، ومعظمها من ابتكاره . ولقد حظي هذا الكتاب باهتمام كبير لدى أطباء أوروبا وبقي كتاباً تدريسياً معتمداً في جامعاتها لعدة قرون ، ومن أمثلة الأدوات التي استعملها الزهراوي في الجراحة نذكر على سبيل المثال لا الحصر[٧] :

الجفت : وهو آلة لاستخراج العظام المكسورة من الفك أو أحد عظام الفم .

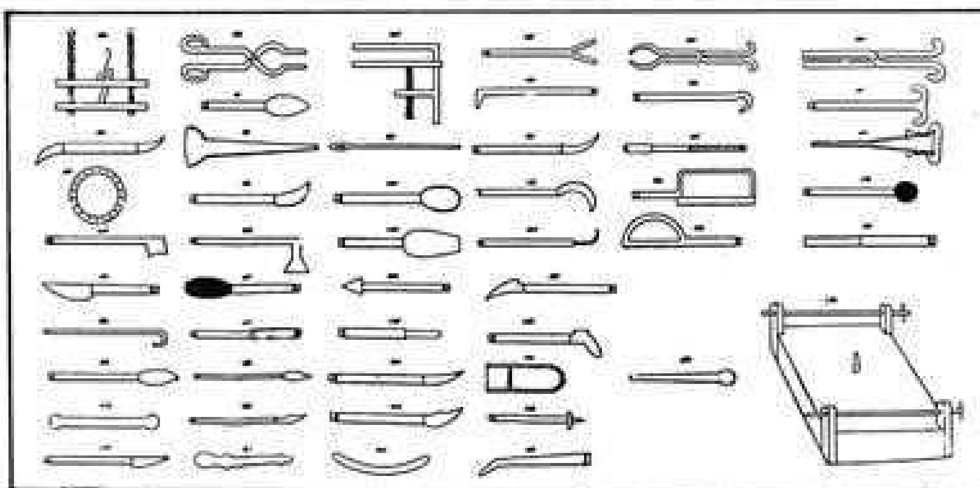
---

(٦) د. فاضل أحمد الطائي ، أعلام العرب في الكيمياء ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦ م .

(٧) د. عامر النجار ، في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية ، دار المعارف ، ١٩٩٤ م .

ـ الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، بإشراف د. محمد كامل حسين ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بدون تاريخ النشر .

ـ د. أحمد مختار منصور ، دراسة وتعليق على كتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف » للزهراوي ـ الجزء الثلاثون ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، المجلد السادس والعشرون الجزء الثاني ، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٢ م ، ص ٤٧٥ ـ ٥٤٠ .



صور بعض آلات الطب والجراحة والتوليد التي جاءت في كتاب التصريف للزهراوي ..

الضارة : فيها غلظ قليل لئلا تنكسر وبها يجذب الجنين .

المبضع : لشق الأورام والتجمعات الصديدية ، وهو كالمشرط المدوّر إلا أن نصله مستدير .

المبضع الشوكي : وهو مبضع طويل محدود الجهتين محدود الطرف ، وهو معد لثقب جدر البطن ثم تدخل مكانه أنبوب رقيقة لتفريغ الماء .

المِقْدح : وهو آلة كالمبضع يستخدم في قدح الماء النازل في العين .

خاتمة :

يتبين من العرض الذي قدمناه – على إيجازه – أن ما تركه علماء الحضارة الإسلامية من تقنيات مختلفة يدحض افتراءات الذين وصفوا هذه الحضارة بأنها لم تكن سوى حضارة نقل وترجمة لعلوم الإغريق ، ولئن كانت العلوم الأساسية من رياضيات وفيزياء وكيمياء وغيرها قد شهدت نهضة هائلة شهد بفضلها المنصفون من المستشرقين والمؤرخين ، فإن البحث والتنقيب في تراث أسلافنا يكشف عن ريادتهم وسبقهم إلى استحداث أدوات وأجهزة ساعدت في تشييد صرح المدنية الإسلامية ، ولولا جهودهم المخلصة في دفع حركة التقدم العلمي والتقني لتأخر سير الحضارة البشرية عدة قرون .

من أمراض الطفولة

فقر الدم الناجم عن زيادة تحلل كرات الدم الحمراء

للدكتورة/جيهان أحمد مصطفى (*)

تحدثنا فى مقالنا السابق عن فقر الدم الناجم عن زيادة معدل تحلل كرات الدم الحمراء نظراً لوجود عوامل خارجية - بالرغم من عدم وجود أى خلل فى تكوين كرات الدم الحمراء - وأهمها : تكوين الجسم لأجسام مُضادة لخلايا الدم الحمراء ، وبدأنا الحديث عن أحد نوعى هذه الأجسام المضادة ، وهو النوع الدافئ ، وتحدثنا عن أعراض المرض ، واليوم نستأنف الحديث عن هذا المرض بإلقاء الضوء على وسائل التشخيص ، وطرق العلاج الأمثل له .

● وسائل تشخيص المرض :

١ - القيام بعمل صورة دم كاملة : Complete blood Picture ويتجلى فيها الآتى :

(أ) قلة نسبة الهيمو جلوبين ، وقد يقل فى حالات متعددة عن ٦ جرام ٪ ، وقلة عدد كرات الدم الحمراء .

(ب) زيادة نسبة الخلايا الشبكية Reticulocytes ، وفى الكثير من الأحيان قد تزداد نسبة هذه الخلايا إلى أكثر من ٥٠ ٪ من خلايا الدم الحمراء ، كما قد توجد خلايا دم حمراء غير ناضجة تحتوى على نويات وأيضاً قد تزداد نسبة الخلايا المكورة الشكل Spherocytes .

(جـ) وفى الكثير من الأحيان يزداد عدد كرات الدم البيضاء ، نظراً لزيادة نشاط النخاع العظمى Bone Marrow Hyperactivity .

(د) وعادة ما تكون الصفائح الدموية وافية العدد ، ولكن فى بعض الأحيان قد يقوم جسم الطفل بتكوين أجسام مضادة للصفائح الدموية ؛ فيقل عددها ، ويصاب الطفل بالنزف . Immune Thrombocytopenic Purpura تحت

(*) ماجستير فى طب الأطفال .

الجلد أو نزف من الفتحات : (الأنف ، الفم ، نزف في البول ، نزف من فتحة الشرج ، وغيرها .

ويؤدي هذا النزف إلى قلة نسبة الهيمو جلوبين .

٢ ـ قياس نسبة مادة البيليروبين في مصل المريض : Serum bilirubin

تزداد نسبة البيليروبين غير المباشر indirect bilirubin نتيجة لزيادة تحلل كرات الدم الحمراء .

٣ ـ الاختبارات المناعية : Immunological Studies

● في بعض الأحيان قد توجد الأجسام المناعية المضادة لكرات الدم الحمراء حرة في مصل الطفل أي : (غير متحددة بكرات الدم الحمراء) . Free Antibodies in the serum وهي أجسام مناعية مضادة ، تنتمي للأجسام المضادة « ج » « Immunoglobulin G » وهي من النوع الدافئ ، أي الذي ينشط عند درجة حرارة الجسم (٣٧ درجة مئوية) ولا تحتاج لوجود مادة المتمم Complement وهو بروتين يساعد في عملية التهام وتحلل الميكروبات بواسطة الجهاز المناعي .

● القيام بعمل الاختبار المعمل الذي يثبت وجود الأجسام المناعية المضادة ، المرتبطة بخلايا الدم الحمراء : (اختبار كومبس) .Coombs test حيث يكون هذا الاختبار شديد الإيجابية Highly Positive ومن الجدير بالذكر أنه حتى يتم تشخيص وجود هذه الأجسام المضادة لكرات الدم الحمراء ، المتحدة بها ، لابد من وجود ـ (٢٥٠ ـ ٥٠٠) جزئ على الأقل من الأجسام المضادة على سطح كرات الدم الحمراء .

* * * *

● **علاج المرض : Treatment :**

١ ـ القيام بنقل دم للطفل المصاب :

في حالة حدوث فقر دم شديد ، ولكن جدوى ذلك تكون مؤقتة ؛ لأن خلايا الدم الحمراء المنقولة ، سرعان ما تتكسر بالأجسام المضادة لكرات الدم الحمراء ، وبالتالي يجب أن يتم نقل دم للطفل المصاب إذا كانت الحاجة له شديدة فقط (أي : عندما تقل نسبة « الهيمو جلوبين » عن ٦ جم ٪ حتى لا يصاب الطفل بهبوط في القلب) Anaemic heart Failire لأن نقل الدم يؤدي إلى قيام جسم الطفل المريض بتكوين المزيد الأجسام المضادة للخلايا المنقولة .

وفي الكثير من الأحيان تصعب عملية تحضير الدم للمريض نظراً لوجود تلك الأجسام المناعية المضادة ، حيث تؤدي إلى عدم التوافق بين الدم المنقول وبين دم الطفل المريض Bad cross matching وقد يصعب تحديد فصيلة دم الطفل ؛ نظراً لحدوث تجلط ذاتي للدم Autoagglutination ، مما يتطلب إعطاء الطفل عقار الكورتيزون ـ عن طريق الحقن ـ قبل تحضير الدم له ، وقد يحدث خطأ في تحديد فصيلة دم الطفل وتشخص على أنها من النوع « أب موجب » « AB + ve » .

٢ ـ العلاج بعقار الكورتيزون :

حيث يقلل من نشاط الجهاز المناعى للطفل Immuno Suppression وبالتالى يقلل تكوينه للأجسام المناعية المضادة لكرات الدم الحمراء .

ويعطى العقار عن طريق الفم لجرعة تساوى (٢,٥ ميلليجرام لكل كيلوجرام من وزن الطفل يومياً) وقد تزداد إلى (٦ ملجم / كجم يومياً) فى الحالات الشديدة الوطأة .

وفى الحالات الشديدة التى تستجيب للعلاج بالكورتيزون عن طريق الفم يجب إعطاء العقار عن طريق الحقن بجرعات أكبر وهو عقار « الميثيل بريدينزلون » Methyl prednisolone ولكن هذا العقار مرتفع الثمن وقد يؤدى إلى زيادة ضغط الدم ، ولهذا يجب قياس ضغط الدم قبل الحقن بالعقار وأثناء الحقن .

وفى الحالات التى تستجيب للعلاج بعقار الكوريتزون يتم علاج الطفل بالعلاج الكيماوى Cytotoxic drugs (وهى الأدوية المستخدمة فى علاج الأورام الخبيثة) .

ويجب أن يستمر العلاج حتى يقل تكسر كرات الدم الحمراء ثم تقلل جرعة العقار تدريجياً ، وفى حالات انتكاس المرض Relapse يجب إعطاء « الكورتيزون » مرة أخرى بنفس الجرعة .

٣ ـ الحقن بالأجسام المناعية المضادة :

Immunoglobulins Eransfusion

حيث تمنع ارتباط الأجسام المضادة التى يكونها الجسم بكرات الدم الحمراء وبالتالى لا تحدث عملية تكسر كرات الدم الحمراء .

Blocking Antibodies

٤ ـ استئصال طحال الطفل : Splenectomy

ويتم هذا فى الحالات الآتية :

- فى الحالات الشديدة الوطأة التى لا تستجيب للعلاج الطبى .
- فى الحالات المزمنة .
- فى حالة احتياج الطفل لجرعات كبيرة جداً من عقار الكورتيزون للحفاظ على نسبة الهيموجلوبين أكثر من ٦ جم ٪ .

٥ ـ إذا كان هناك سبب واضح للمرض :

مثل إصابة الطفل بأحد الالتهابات التى يجب أن يتم علاجها .

الحالات الشديدة الوطأة :

ومن الجدير بالذكر أن النوع الحاد من هذا المرض يستجيب للعلاج بعقار الكورتيزون ـ فى معظم الأحيان ـ ويحدث شفاء تام من خلال ثلاثة شهور من بدء المرض ونادراً ما يؤدى إلى وفاة الطفل .

أما النوع المزمن من هذا المرض قد تطول مدته لشهور أو سنوات ، وتختلف الاستجابة للعلاج بعقار الكورتيزون من مريض لآخر ، ولكن تقل الاستجابة للعلاج عن النوع الحاد ، ولهذا تزداد

نسبة الوفيات من هذا المرض ، عن النوع الحاد المؤقت .

● **ثانياً : إصابة الطفل بفقر الدم نظراً لوجود أجسام مناعية مضادة من النوع البارد ضد كرات الدم الحمراء : Cold antibodies**

وهذه الأجسام المضادة تكون نشطة عند درجة حرارة أقل من درجة حرارة الجسم (عند ٣٢ درجة مئوية) ولهذا يُسمى بالأجسام المناعية

الباردة ، وهى تنتمى للأجسام المضادة «م» « Immunoglobulin Mclass » ، وتحتاج لوجود مادة المتمم لتنشط .

وقد يقوم جسم الطفل المريض بتكوين هذه الأجسام المضادة الباردة لكرات الدم الحمراء بدون سبب واضح Idiopathic أو قد يكون هناك سبب مباشر وهو إصابة الطفل بأحد الالتهابات الفيروسية Viral in fections مثل « داء الحمى العقدية » Ifectious mononucleosis أو إصابة الطفل بالالتهاب الرئوى لميكروب الميكوبلازما Mycoplasma Pneumonia وقد ينجم المرض نتيجة لإصابة الطفل بأحد أورام الجهاز الليمفاوى .

ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من الأجسام المناعية المضادة قد يوجد بنسبة منخفضة ـ من الأحوال العادية ـ بعد إصابة الطفل بتلك الالتهابات ـ السابق ذكرها ـ

ولكن هذه النسبة قد تزداد بشدة وتؤدى إلى حدوث تجلط فى كرات الدم الحمراء Spontaneous agglutination and roul eaux formation

قد يحدث تكسر فى خلايا الدم الحمراء داخل الأوعية الدموية Intra vascular hemolysis ويحدث إحمرار فى لون البول لوجود الهيمو جلوبين به Hemoglobinuria ويحدث هذا من حالة زيادة نسبة تلك الأجسام المضادة فى حالة تعرض الطفل للبرد الشديد .

ومن الجدير بالذكر وجود صورة أخرى للمرض نظراً لقيام جسم الطفل بتكوين نوع معين من الأجسام المناعية المضادة الباردة Domath – landsteiner hemolysin تؤدى إلى تكسر خلايا الدم الحمراء عند تعرض المريض للبرودة وبالتالى زيادة نسبة الهيمو جلوبين فى الدم ونزوله فى البول مسبباً احمراره .

Paroxysmal cold hemoglobinuria

وقد يحدث هذا بدون سبب واضح Idiopathic ولكن ثلث المرضى يعانون من الإصابة بمرض الزهرى Syphilis سواء خلقى Congential (عن طريق العدوى من الأم) أو مكتسب acquired .

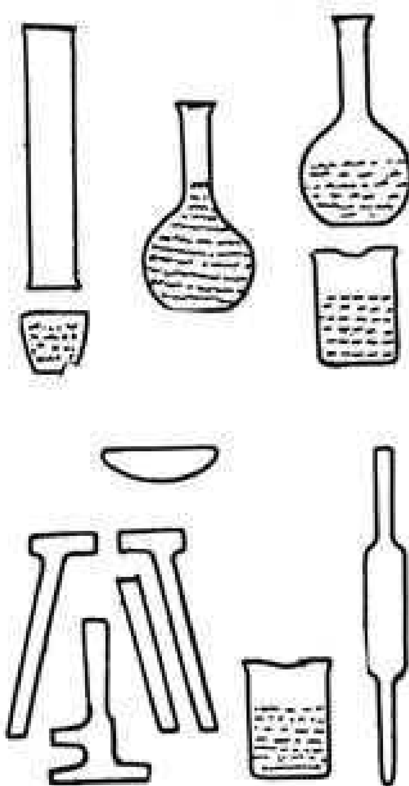
وفى حالات حدوث فقر الدم الشديد يجب أن يتم نقل دم للطفل المريض .

تكملة الفصل الأخير فى العدد القادم

«ويخلق ما لا تعلمون...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد: د/ نجوى السيد أحمد (*)



اكتشاف أكبر تجمع من المجرات

اكتشف علماء الفلك الفرنسيون تجمعا عملاقا من المجرات (مجموعات من النجوم والكواكب) ، وهو أكبر تجمع يكتشف حتى الآن ، حيث يضم ٢٧ ألف مجرة ويبلغ نصف قطره نحو ٢٩٠ مليون سنة ضوئية .

قام فريق الفلك الفرنسي بجمع المعلومات عن المجرات وقياسها من نصف الكرة الأرضية الشمالي والنصف الجنوبي ، وتم تخزين هذه المعلومات في جهاز « كمبيوتر » بجسد الأبعاد الثلاثة في مركز الفضاء الوطني باستراليا .

قبة سماوية لرصد العواصف الثلجية

اخترع مهندس معماري بـ « هاواي » قبة سماوية جديدة تستخدم في مجال الأرصاد الجوية لتوقع الرياح العالية والعواصف الثلجية والأمطار ، والقبة ذات جسم كروي مشطور وبه فتحة يمكن بواسطتها وضع مجال « التليسكوب » عند أي نقطة على منحنى الكرة .

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومي للبحوث ـ الدقي .

منظار جديد متعدد الفوائد

انتجت إحدى شركات الإلكترونيات بالولايات المتحدة الأمريكية منظارا مقربا جديدا ومتطورا يعمل بالليزر ، ويطلق إشارة ضوئية غير مرئية على الأشياء المراد رؤيتها ، وبانعكاس هذه الإشارة يقوم حاسب آلي صغير بالمنظار بحساب المسافة بدقة متناهية ، ويحتوى المنظار على بوصلة إلكترونية تحدد نوعية الأشياء بدقة ومكانها ، والمنظار يصلح لرجال الآثار والعاملين والرحلات العلمية في الغابات والجبال والبحار ، ويستخدم في إنقاذ المفقودين في البحار ، وفي أغراض أخرى مشابهة .

جدران سلكية لحماية الشواطئ

طورت شركة بريطانية نظاماً يساعد على سرعة إقامة جدران وحواجز بحرية لمنع تعرية الشواطىء ، ويتكون من سلسلة من هياكل شبكية سلكية مبطنة بغشاء أرضي ، ويتميز هذا النظام بسهولة النقل والمد والتركيب موقعيا ، ويمكن ملء النظام بالرمال والحصى ، ويستخدم ـ أيضاً ـ في إقامة حاويات للسدود والأسوار وحواجز السيطرة على الفيضانات .

جهاز يحمى السائق من النعاس

ابتكرت شركة يابانية للسيارات جهاز تنبيه آلي لإيقاظ السائق إذا غلبه النعاس أثناء القيادة ، يتولى الجهاز قياس التغييرات التى تحدث في ضربات قلب السائق وحركة عجلات السيارة ، ويقوم بإصدار صفارة عالية لإيقاظ السائق عند حدوث أي خلل ، وإذا لم تنجح هذه الوسيلة ، فإن الجهاز يحدث اهتزازات في مقعد السائق ويضغط آليا على الفرامل في نفس الوقت .

أحدث آلة تصوير «صوت وصورة»

انتجت شركة يابانية عالمية للإلكترونيات أحدث آلة لتسجيل الصوت والتقاط الصورة الضوئية في آن واحد ، وتتميز بخفتها وسهولة استعمالها وهي مزودة بعدسة مزدوجة تعطى قدرة هائلة على التقاط مشاهد رائعة وتغطى مساحة كبيرة مع المحافظة على الجو الطبيعي للمشهد ، وبها نظام تصوير عن قرب ، يسمح للعدسة الواسعة بتصوير فوري وتسمح ـ أيضاً ـ بالتقاط صورتين على شاشة واحدة .

جهاز لقطع الكهرباء باستخدام المجال المغناطيسى

تقوم شركة ألمانية بتوسيق جهاز قاطع للتيار الكهربائي ، باستخدام المجال المغناطيسي ، وهو مصمم لكى يقوم بكل المتطلبات الوظيفية ؛ لتوزيع الطاقة في المحطات الكهربائية الفرعية الأولية والثانوية والشركات الكبيرة والصغيرة والمحطات المساعدة لتوليد القوة الكهربائية ، والجهاز له قدرة فائقة ولا يشغل مساحة كبيرة ، حيث يتم استخدام أنابيب صغيرة الحجم ، لفصل التيار تحت ضغط مفرغ باستخدام مجال مغناطيسي محوري ، مما يجعله ملائما مع تركيبه المكون من عمود واحد وزنبرك واحد ، ومزود بنظام تحكم

للفتح والغلق منخفض الطاقة ، ويتميز ـ أيضا ـ بتحمله الفائق للكهرباء ، ولا يمثل أى خطورة من حدوث انفجار أو حريق ، كما أنه غير ضار بالبيئة .

القمر الصناعى لمساعدة فاقدى البصر

صمم طالب هندسة كندى ضعيف البصر جهازاً يساعد فاقدى البصر على السير فى أى مكان بدون مشاكل ، والجهاز يعتمد فى تصميمه على استقبال إشارات من نظام تحديد الموقع الأرضى ليقوم « كمبيوتر » صغير بترجمة هذه الإشارات إلى أسماء الشوارع والتقاطعـات فى المكـان المطلوب ، ونظام تحديد المواقع الأرضية عبارة عن مجموعة من الأقمار الصناعية تقوم بإرسال إشارات إلى الأرض يلتقطها جهاز استقبال ثم يخزنها على شكل إحداثيات للطول والعرض ، ويتكون الجهاز من حاسب متنقل يعمـل بالبطارية ، وجهاز لتركيب الصوت وجهاز مستقبل لنظام تحديد المواقع الأرضية وعندما يضغط الشخص المستخدم للجهاز على زرّ معين يقوم الجهاز بالبحث فى قاعدة المعلومات المخزنة فيه عن المعلومات التى تتفق مع إحداثيات الموقع الذى يسير فيه ، ثم يقوم الحاسب بقراءة النص أو الاسم الموافق للاحداثيات بواسطة جهاز لتركيب الأصوات .

انخفاض الكولسترول يسبب العنف

اثبتت دراسة بريطانية قام بها فريق علمى فى أحد المستشفيات أن مرتكبى الجرائم العنيفة يعانون من نقص نسبة الدهون المهمة لتغذية خلايا المخ فى دمائهم ، كما ثبت ـ أيضا ـ أن الأدوية التى تقلل من نسب الكولسترول فى الدم قد تخفض نسبة الاصابة بأمراض القلب لكنها قد تؤدى إلى زيادة العنف والعدوانية لدى من يتعاطونها .

اكتشاف المورثة المسببة لمرض تشوه الأطراف الوراثى

اكتشف طبيبان فى بلجيكا مسبب مرض تشوه الأطراف الوراثى ، حيث يرجع إلى وجود نسخة إضافية من جزء صغير (١٪) من المورثـة « الجين » رقم ١٧ ، وعثر الباحثان على سبب التشوه لدى جميع المرضى ، ومرض التشوه الوراثى للأطراف يصيب الأعصاب الطرفية كاليدين والقدمين ، ويؤدى إلى ضمور عضلى تدريجى وفقدان الإحساس بالأطراف وتشوهها بحيث تبدو الأطراف مجردة من العضل كليا .

تحذير من استخدام الزئبق فى حشو الأسنان

حذرت بعض الدراسات الحديثة من استخدام الزئبق فى حشو الأسنان ؛ لأنه يؤدى إلى تلف أعصاب وخ المريض والطبيب معا ، وأكدت التجارب العلمية التى أجريت بجامعة واشنطن على بعض أطباء الأسنان أنهم يعانون من أعراض التسمم الزئبقى ؛ لأنهم يستخدمونه بكثرة فى حشو الأسنان ، كما أن هناك دراسات أخرى أكدت أن ثلثى رواسب الزئبق داخل جسم الإنسان مصدرها الأسنان .



اللغة والنقد والأدب

ابن دريد ٣

ومنهجه في جمهرة اللغة

٢٢٣ ـ ٣٢١

د/ محمد رياض السيد كريم

٣ ـ يهتم ابن دريد بالتنبيه على أصول الأبنية المهملة فى كتابه ، كقوله : « ث ظ ظ ـ أهملت الثاء مع الظاء فى الثنائى »[٨٦] .

وقوله : « ج غ غ » أهملت الجيم والغين مع وجوه الثانى[٨٧] .

وقوله : « أهملت الجيم مع الظاء والطاء فى الوجوه الثنائية »[٨٨] .

وقوله : « ب ش ب ش ـ أهملت إلا ما لا يؤخذ به من الشيشة ، وليس له أصل فى كلامهم »[٨٩] .

وقوله : « ح هـ ح هـ ـ أهملت فى الوجوه إلا أن تكون فى كلمتين ، مثل : خة خة ، وما أقل ما تجىء . ح ى ح ى ـ أهملت »[٩٠] .

وقوله : « خ ظ خ ظ أهملت . خ ع خ ع ـ أهملت إلا فى قولهم : خُعخُع ، ضرب من النبت وليس بثبت »[٩١] .

وقوله : « أهملت الدال مع الزاى فى الوجوه ، وكذلك حالها مع السين والشين فى التكرير »[٩٢] .

وقوله : « خ د ظ ـ أهملت فى الثلاثى ، وكذلك حالها مع الظاء »[٩٣] .

وقوله : « خ د ق ـ أهملت . فأما خندق ففارسى معرّب ، وكذلك حالها مع الكاف »[٩٤] .

وهذا واضح فى كتابه :

٤ ـ اعتنى ابن دريد فى كتابه بالاستشهاد على ما يذكره غالبا ، وهذا أمر شائع فى معجمه ، ويتنوع الاستشهاد عنده بين القرآن الكريم ، والشعر ، والحديث ، والأمثال ، وأقوال العرب ، وقد مرت بعض أمثلة ذلك ، مما ذكرناه من أمثلة من كتابه فيما سبق ، وإليك بعض أمثلة أخرى لذلك :

يقول ابن دريد : « الأبّ : المَرْعى . قال الله عز وجل : ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾[٩٥] ، قال الشاعر :

جذ مُنا قيسٌ ونَجْدٌ دارُنا

ولنا الأبُّ بها والمكرَعُ

والمكرع : الذى تكرع فيه الماشية ، مثل ماء السماء ، يقال : كرع فى الماء ،

---

(٨٦) الجمهرة : ٤٦/١ . (٨٧) الجمهرة : ٥٣/١ . (٨٨) نفسه . (٨٩) الجمهرة : ١٢٦/١
(٩٠) الجمهرة : ١٣٩/١ . (٩١) الجمهرة : ١٤٠/١ . (٩٢) الجمهرة : ١٤١/١ . (٩٣) الجمهرة : ٢٠٠/٢
(٩٤) الجمهرة : ٢٠١/٢ . (٩٥) عبس /٣١ .

إذا غابت فيه أكارعه ، وكذلك نخل كوارع ، إذا كانت أصولها فى الماء »[٩٦] .

ومما يلاحظ عليه فى استشهاده بالقرآن الكريم أنه يشير إلى القراءات القرآنية أحيانا ، كقوله[٩٧] : « جاء فلانٌ خَلْفَ فلانٍ وخِلافَه ، إذا جاء بعده ، وقد قرىء : (وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ) و (خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا)[٩٨] .

وقوله : « وأما الروح فلا ينبغى لأحد أن يقدم على تفسيره ، لأنه ـ جل ثناؤه ـ قال : (وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى)[٩٩] ، وذكروا أن بعض أهل العلم سئل عن ذلك فقال : أَبْهَمَ ما أبْهَمَ الله . وروح الإنسان مختلف فيه ، فقال قوم : هى نفسه التى يقوم بها جسمه ، وقال : الإنسان مختلف فيه ، فقال قوم : هى نفسه التى يقوم بها جسمه ، وقال آخرون : الروح خلاف النفس ، وقد قرىء (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ) و (رُوحٌ وريْحانٌ)[١٠٠] وقال قوم : الرَّوْح : الراحة ، والرَّيْحان : الرزق[١٠١] .

وقوله : « الضَّعْفُ والضُّعْفُ لغتان ، وقد قرىء بهما . والضُّعْفُ لغة النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم (مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً)[١٠٢] فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : (ضُعْفٍ قوة) ياغلام[١٠٤] .

ومما يلاحظ على استشهاده بالشعر أنه يفسر الألفاظ الغريبة التى ترد فيه كما مر ، ويشير أحيانا إلى الروايات فيه ، مصححا الروايات التى وقع فيها خطأ ، كقوله : « الجُفُّ : الجمع الكثير من الناس ، قال الشاعر :

مَنْ مُبلغٌ عمروَ بن هندٍ آيةً
ومن النصيحة كثرةُ الإنذارِ
لا أعرفنَّك عارضا لرماحنا
فى جُفِّ ثَعْلَبَ وارِدِي الأَمْرارِ

الشعر للنابغة الذبيانى[١٠٥] ، يعنى : ثعلبة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وروى الكوفيون : فى جُفِّ تغلب ، وهذا خطأ ، لأن تغلب فى الجزيرة ، وثعلبة فى الحجاز ، وأمرار : موضع ، وجُفّ الطلعة وعاؤها

---

(٩٦) الجمهرة : ١٣/١ .

(٩٧) الجمهرة : ٢٣٧/٢ .

(٩٨) الإسراء /٧٦ . وقراءة خَلْفك بفتح الخاء وإسكان اللام بلا ألف قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وأبى بكر وأبى جعفر ووافقهم ابن محيصن واليزيدى ، وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى ويعقوب وخلف (خِلافك) بكسر الخاء وفتح اللام وألف بعدها ، ووافقهم الحسن والأعمش ، وهما بمعنى ، أى : بعد خروجك . (إتحاف فضلاء البشر : ص ٢٨٥) .

(٩٩) الإسراء /٨٥ .

(١٠٠) الواقعة /٨٩ . وقراءة (رُوح) بضم الراء قراءة رويس ، وانفرد بذلك ابن مهران عن روح ، ورويس عن أبى عمرو وابن عباس عن النبى ـ ﷺ ـ من حديث عائشة كما فى سنن أبى داود ، والباقون بالفتح . (الإتحاف : ص ٤٠٩) .

(١٠١) الجمهرة : ١٤٧/٢ .

(١٠٢) صحابى جليل مات بمكة سنة ٧٣ هـ (مشاهير علماء الأمصار : ص ١٧)

(١٠٣) الروم /٥٤ .

(١٠٤) الجمهرة : ٩٤/٣ .

(١٠٥) هو زياد بن معاوية المعروف بالنابغة الذبيانى ، شاعر جاهلى (الشعر والشعراء : ١٦٣/١) .

إذا جفت ، وفي الحديث : « طُبَّ النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فجعل سحره في جُفّ طلعة ذكر »[106] .

وقوله : « القُلقُل : معروف ، وتقلقل شَعْرُ الأسود ، إذا اشتدت جُعودته ، وربما سمى ثمر البَرْوَق قُلقُلاً تشبيها به ، قال الراجز ـ أبوالنجم العجلي :

واتحتْ من خرشاء فَلْج خَرْدَلُهْ

وانتفض البَرْوَق سُودًا قُلقُلهْ

وأقبل النمل قطارا ينْقُلُهْ

بين القُرى مُدبرة ومُقبلهْ

الخرشاء : ضرب من النبت له حب يشبه بالخردل ، والبروق : شجر .

ومن روى هذا البيت (سُودًا قُلقُله) فقد أخطأ ، لأن القِلقل ثمر شجر من العضاه ، وأهل اليمن يسمون ثمر الغاف قِلقلا ، وهو شبيه باللوبيا يدبغ به وتأكله الإبل ، وربما سُمّى ثمر القَـوص قِلقلا ، والأول أعلى »[107] .

ومن أمثلة استشهاده بالحديث غير الذى مر قوله : « خلف فوه خلوفة وخلوفا ، إذا تغيّر من صوم أو مرض ، وفي الحديث : لخُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك الأذْفَر »[108] .

وقوله : « المَبخلة : الشيء الذى يحملك على البُخل ، وفي حديث النبي ـ صلى الله على وآله وسلم ـ : الولد مَجْبَنة مَبْخَلة »[109] .

وقوله : « ويقال : عرّبت على الرجل ، إذا رددت عليه قوله ، وفي الحديث : (إذا سمعتم الرجل يعيب أعراض من الناس فعرّبوا عليه قوله) أى : ردّوا عليه قوله »[110] .

ومن أمثلة استشهاده بالأمثال قوله « الخَلْف : الردىء من الكلام ، ومثل من الأمثال (سكت ألفا ونطق خلفا) معناه : سكت ألف سكتة ثم نطق بهذا ، يقال ذلك للرجل يطيل الصمت ، فإذا تكلم تكلم خطأ »[111] .

وقوله : « الحبُور : السرور ، وكذلك الحَبْرة ، ومن أمثالهم : (كل حَبرة تُعقبها عَبرة)»[112] .

وقوله : « اليَلْمَع : السراب ، ومثل من أمثالهم : (أكذبُ من .. يلْمعَ) وقد قيل أيضاً : أخدع من يلْمع»[113] .

ومن أمثلة استشهاده بأقوال العرب قوله : « ذكر

---

(106) الجمهرة : 53/1 .

(107) الجمهرة : 162/1 .

(108) الجمهرة : 237/2 ، وقال ابن دريد (الجمهرة : 310/2) : « الذفر : حدة الرائحة من طيب أو نتن ، وربما خُص به الطّيب فقيل : مسك أذفر » .

(109) الجمهرة : 238/1 .

(110) الجمهرة : 267/1 .

(111) الجمهرة : 237/2 .

(112) الجمهرة : 218/1 .

(113) الجمهرة : 422/3 .

أبومالك أنه سمع : عين رافغ في معنى رافغ ، أي واسع[114] .

وقوله : « سَبَّعْتُ الإناء ، إذا غسلته سبع مرات ، وقال أعرابي لرجل أحسنَ إليه : سَبَّعَ الله لك ، أي : أعطاك أجرك سبع مرات[115] » .

٥ ـ يهتم ابن دريد في كتابه بالتنبيه على مالم يتأكد من صحته ، ومن ذلك قوله :ـ الهَيْرَمَة ، زعموا كثرة الكلام ، ولا أحقه[116] ـ .

وقوله :« سمعت أبا عمران الكلابي يقول : السُّتْعُبَّة : اللحمة الناتئة في وسط الشفة العليا ، ولا أدري ما صحته ، ولم أسمعه من غيره[117] » .

وقوله : « الحديقة : البستان من النخل والشجر ، والجمع حدائق ، وقالوا : الحُندوقة والحنديقة : الحدقة . ولا أدري ما صحته[118] » .

وقوله : « التَّجَعْثُم : الانقباض ودخول بعض الشيء في بعض ، ولاأدري ما صحته إلا أنهم قد سمّعوا جُعْثُمة[119] » .

وقوله : «الخُنْدُع : عيب يعاب به الرجل ، وأحسبه القليل الغَيْرة على أهله ، سمعته في بعض اللغات ولا أدري ما صحته[120] » .

وقوله : «الخَقِيلُ : ضربٌ من النبت إمامن الخلة وإما من الحمض ، ولا أعرف صحته[121] » .

٦ ـ يهتم ابن دريد أيضا بالإشارة إلى اللغات وبخاصة اللغة اليمانية ، ومن ذلك قوله : «الهاجَةُ : الضفدعة الصغيرة ، والجمع هاجات . وأهل اليمن يسمون الضفدعة الشفدعة[122] » .

وقوله : «الموت معروف ، مات يموت موتا ، وقالوا : مات يمات موتا لغة طائية[123] » .

وقوله : «الألفت في لغة بني تميم : الأعسر ، وفي لغة غيرهم الأحمق[124] » .

وقوله : «عتلتُ الرجل أعتُلة وأعتله عتلا ، إذا جذبته جذبا عنيفا ، والعتلة : المجثاث ، وهي الحديدة التي يقلع بها فسيل النخل ، والجمع : عُتَل ، وهي لغة أهل الحجاز[125] » .

وقوله : «سرَّحْتُ العبد ، إذا أعتقه ، لغة يمانية ... والسِّرحان : الذئب ، ويجمع سراحا وسَراحين ، وأهل الحجاز يسمون الأسد سِرحانا[126] » .

وقوله :«الهَتْشُ : إغراء الكلب ، يقال : هتشت الكلب أهتشه هتشا، إذ أغريته لغة يمانيه[127] » .

ولا يغفل ابن دريد الإشارة إلى لغة العامة ، والتنبيه على خطئها ، ومن ذلك قوله : «رجل

---

(١١٤) الجمهرة : ٢١٢/٢ .
(١١٥) الجمهرة : ٢٨٥/١ .
(١١٦) الجمهرة : ٣١٠/٣ .
(١١٧) الجمهرة : ٣١٠/٣ .
(١١٨) الجمهرة : ١٢٣/٢ .
(١١٩) الجمهرة : ٣١٦/٣ .
(١٢٠) الجمهرة : ٢٠٣/٢ .
(١٢١) الجمهرة : ١٧٩/٢ .
(١٢٢) الجمهرة : ١١٩/٢ .
(١٢٣) الجمهرة : ٢٩/٢ .
(١٢٤) الجمهرة : ٢٤/٢ .
(١٢٥) الجمهرة : ٢١/٢ .
(١٢٦) الجمهرة : ١٣٢/٢ .
(١٢٧) الجمهرة : ١٨/٢ .

خَذْث : حسن الحديث ، فأما قول العامة : حِدِّيث ، فخطأ ، ويقال : فلان حِدْث نساء ، إذا كان يتحدث إليهن (١٢٨).

وقوله : «العِثْيَر : الغبار ، ما رأيت له أثرا ولا عثيرا ، فأما قول العامة: عَثيرا، فليس بشيء» (١٢٩) .

وقوله : «السَّفِلَةُ من الناس : الرديء ، ولا يقال : سِفْلَة ، وإن كانت العامة قد أولعت به ، وإنما يقال : فلان من سَفِلة الناس (١٣٠) .

وقوله : «فأما قول العامة : غلفته بالغالية ، فخطأ ، إنما هو غلَّيته وغلّلته بالغالية (١٣١) .

وقوله : «وأما قول الناس : غفوت في النوم ، فخطأ ، إنما هو أغفيت إغفاء (١٣٢) .

وقوله : «يقال : قوزع الديك ، إذا فرّ من صاحبه ونقّ ، والعامة تقول : قنزع ، وليس بشيء (١٣٣) .

وجدير بالذكر أن بعض ما منعه ابن دريد وخطأه ، وأشار إلى أنه من لغة العامة ، ليس كذلك عند غيره ، من ذلك قوله السابق : (فأما قول العامة حِدِّيث فخطأ) ففي اللسان : «رجل حَدِثٌ وحَدْثٌ وحِدْثٌ وحِدِّيثٌ ومُحَدِّث بمعنى واحد ، كثير الحديث حسن السياق له (١٣٤) .

وفي القاموس : «رجل حَدْثٌ ، وحَدِثٌ ، وحِدِّيثٌ : كثيره (١٣٥) .

وقوله : (ولا يقال سِفْلة) ، في اللسان وغيره ما يرده ، ففي اللسان : «وسَفِلَةُ الناس وسِفْلَتُهم : أسافلهم وغوغاؤهم ، قال ابن السِّكِّيت(١٣٦) : هم السِّفْلَة لأراذل الناس .. ومن العرب من يخفف فيقول : هم السِّفْلَة ، وفلان من سِفْلَة القوم ، إذا كان من أراذلهم ، فينقل كسرة الفاء إلى السين (١٣٧) .

وفي القاموس : «وسِفْلَة الناس بالكسر ، وكفرحة : أسافلهم وغوغاؤهم (١٣٨) » .

وفي المصباح المنير : «وتَسَفَّل خلاف جاد ، ومنه قيل للأراذل : سَفِلة بكسر الفاء ، وفلان من السفلة ، ويقال : أصله سَفِلَةُ البهيمة ، وهي قوائمها ، ويجوز التخفيف فيقال : سِفْلَة ، مثل : كَلِمَة وكِلْمَة (١٣٩) .

وقوله : «فأما قول العامة غلفته بالغالية فخطأ » في اللسان ما يرده ، ففيه : «غَلَّف لحيته بالطِّيب والحِنّاء والغالية وغلَفها : لطَخها ، وكرهها بعضهم ، وقال : إنما هو غلّاها ، وتغلّف الرجل بالغالية وسائر الطِّيب واغتلف ، الأول عن ثعلب (١٤٠) وقال اللِّحياني (١٤١) : تغلَّف بالغالية

---

(١٢٨) الجمهرة : ٣٤/٢ .

(١٢٩) الجمهرة : ٣٩/٢ . وفي اللسان (عثر) : « لا تقل في العِثْيَر التراب : عَثيراً ، لأنه ليس في الكلام فَعْيَل بفتح الفاء إلا ضَهْيَد ، وهو ، معناه مصنوع الصلب الشديد » .

(١٣٠) الجمهرة : ٣٤٣/٣ .

(١٣١) الجمهرة : ١٤٧/٣ ، ١٤٨ .

(١٣٢) الجمهرة : ١٤٨/٣ .

(١٣٣) الجمهرة : ٣٦١/٣ .

(١٣٤) اللسان : ح د ث . (١٣٥) القاموس : ح د ث .

(١٣٦) هو يعقوب بن إسحاق السِّكِّيت . مات سنة ٢٤٤ هـ (هدية العارفين : ٥٣٦/٢) .

(١٣٧) اللسان : س ف ل . (١٣٨) القاموس : س ف ل .

(١٣٩) المصباح المنير : ص ٢٧٩ (س ف ل) .

(١٤٠) هو أحمد بن يحيى الشيباني . مات سنة ٢٩١ هـ (نزهة الألباء ص ٢٢٨) .

(١٤١) القاموس : غ ل ف .



وتغلّلَ ، وقال بعضهم : تغلّف بالغالية إذا كان ظاهرا ، فإذا كان داخلا في أصول الشعر قيل : تغلّل ، وغَلَفَ لحيته بالغالية غَلْفا ، وفي حديث عائشة رضي الله عنها : كنت أغلّف لحيته بالغالية ، أي ألطخها ، وأكثر ما يقال غَلَفَ بها لحيته غَلْفاً ، وغلّفها تغليفا . والغالية : ضرب مركب من الطيب (١٤٢) .

وقوله : « وأما قول الناس : غفوت في النوم فخطأ ، إنما هو أغفيت إغفاء » يرد عليه أن صاحب القاموس سوى بينهما ، ففيه : « غفا غَفْواً وغُفُوًّا : نام أو نعس ، كأغفى (١٤٣) .

٧ ــ ي بالإشارة إلى ما أميت من اللغة ، ومن ذلك قوله : « دعسم (١٤٤) اسم ، وسمدع فعل ممات ، ومنه اشتقاق السميدع ، وهو السيد الشريف » .

وقوله : « ث ث ل ــ استعمل منها الثّلّ ، ثم أميت (١٤٥) » . ولم يفسره .

وقوله : « الجعّ : أميت ، فألحق بالرباعي في جعجع (١٤٦) » .

وقوله : « الدَّلْسُ : فعل ممات ، منه دالسَ يُدالس ، مدالسة ، ودلاسا ، وكأنه الخيانة والغدر ، يقولون : فلان لا يُدالس ولا يوالس ، أي لا يخون ولا يغدر .

وقوله : « التّيحُ : فعل ممات ، واستعمل منه ما تَيَّحتُهُ بشيء ، أي ما أعطيته خيرا (١٤٧) .

وقوله : « الخَفْدُ : فعل ممات ، خَفَد .. يَخْفِدُ خَفْداً أو خفدانا ، إذا أسرع في المشي (١٤٨) .

وقوله : « العهج : فعل ممات ، ومنه اشتقاق ظبية عوهج ، وهي الطويلة العنق ، الواو زائدة (١٤٩) .

---

(١٤٢) اللسان : غ ل ف .

(١٤٣) الجمهرة : ٢٣٥/٣ .

(١٤٤) الجمهرة : ٢/٢ .

(١٤٥) الجمهرة : ٥٣/١ .

(١٤٦) الجمهرة : ٢٦٤/٢ .

(١٤٧) الجمهرة : ١٩٨/٢ .

(١٤٨) الجمهرة : ٢٠١/٢ .

(١٤٩) الجمهرة : ١٠٦/٢ .

طبقات المحققين والمصححين

يُملى علينا التاريخ حقيقتين أجد أنه لابد من الإشارة إليهما ، ونحن نتكلم عن الطبقة الأولى من المصححين المحققين الذين نقلوا المؤلف المخطوط إلى المطبعة ، واستطاعوا أن يحرروا كلمات هذه المؤلفات التى خلا أكثرها من النقط والهمز وما أشبه مما ييسر على القارىء الاستمرار فى مطالعته بيسر وسهولة :

دراسة وتقويم

للأستاذ الدكتور / السيد الجميلي

أولاهما : أننا لم نتوصل ـ بعد ـ إلى الصف الأول هذه المجموعة من المشايخ العلماء الأعلام القائمين فى المطبعة ـ إبان ذلك ـ بأمر التحقيق والتصحيح ، ومع ذلك فليس الوصول إليهم مستحيلاً ؛ بل إنه كلما وقع بأيدينا مطبوع قديم للمطبعة (الميرية) ببولاق مصر ـ مثلا ـ سوف نجد بآخر المطبوع كلمة صريحة تسجل ـ فى وضوح ـ اسم المصحح ، وتاريخ الطباعة ، واسم المطبعة .

ثانيهما : هو كَمّ هذه المطبوعات نفسها ، وتصنيفها ، لا من حيث المادة ؛ بل من حيث زمن الطباعة ، وبالتالى يتم لنا ـ بنفس الوضوح ـ بيان بـ (ثبت) هؤلاء العلماء من مشايخ الأزهر الأجلاء الذين تم على أيديهم الطفرة من المخطوط إلى المطبوع وذلك ـ بدوره ـ ليس عسيراً ، غاية الأمر أنه يحتاج إلى جهد البحث والتنقيب لنصل إلى أكبر قدر من هذه المطبوعات .

وبين أيدينا طبقة من هؤلاء المحققين المصححين يعود عملها إلى القرن الثالث عشر الهجرى :

(*) يسر كاتب هذه الحلقات أن يدلى فيها كلُّ ذى نصيب من العلم بأمرها ، ويرسل إلى مجلة الأزهر بحقيقة مايعلم فى هذا الموضوع حتى نقضى حقاً واجباً علينا أداؤه إلى هذه الطبقة الكريمة التى كانت همزة الوصل بين الماضى والحاضر .. والتى لولاها لتأخرت نهضتنا العلمية والأدبية سنين لايعلم مداها إلا المولى ـ عز وجل ... ثم بجانب هذا الواجب تعلم الأجيال حقيقة هذه الحقبة لتتواثق الصلة العلمية على يديها بين الماضى والحاضر فلا تقع فى فجوات التاريخ أو عثرات الغموض .

منهم «الشيخ عبده على ندا البراق» مصحح «شرح الجامع الصغير فى حديث البشير النذير للإمام العالم العلامة الحبر البحر الفهامة العزيزى» انتهى منه فى منتصف شوال سنة ثمان وسبعين ومائتين بعد الألف (١٢٧٨هـ) .

ومنهم العلامة الجليل الشيخ محمد الصباغ الذى صحح وحقق ، وأتم الطبعة الثانية لكتاب «الفتوحات الآلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» لمؤلفه الشيخ سليمان بن عُمر العجيل الشافعى الشهير بـ (الجمل) صححها وطبعها بالمطبعة الأميرية فى أواخر شهر رجب من عام اثنين وثمانين ـ أو ثلاث وثمانين ـ ومائتين وألف ١٢٨٢ ـ ١٢٨٣ من هجرة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هـ ، كان الصباغ أديباً عالماً كأكثر هذه الطبقة ، وقد ختم حديثه ـ فى هذه الطبعة ـ بهذه الأبيات :

إن لله فى جميـــــع الأنــــــام
منـــا عقدهـــا بديـــع النظـــام
أرسل الـــرسل بالشرائـــع واختــا
رلــــا منهم سليـــل الكـــرام
سيد العـــالمين قطب دائـــرة الكـو
ن وإنسان عين كل إمــــــام
خصه بالكتـــاب أشرف آيـــا
ت الهدى داعيــــا لنهج السلام
أفحـــم اللسنين آياتـــه الغـــر
م وحـــلت بهم كوقـــع السهـــام
والبلاغـــات أهلهـــا حين يتلى
سجـــد من جلال هذا النظــام
يا لآياتـــه الـــــى لذ منها
للنهى نشوة بأحلى مدام
ذاقهـــا الأذكيـــا ففـــاض عليهم
من سناهـــا ما طاح بالأحـــلام
دخلوا روضهـــا النـضير ففـــازوا
من شهـــى الجنـــى بكـــل المرام
شيـــدوا للأنـــام ماأحكمـــوه
وجلـــوا منـــه نير الأحكـــام
أبـــرزوا من مخدرات معانيـــه
م حسانــــا تروق بالأفهـــام
ونحا كـــنزه الجلالان فاختـــا
را من الجوهـــر اليتيم السامـــى
أبدعـــا فى نظامـــه وأجـــادا
فغـــدا حليـــة لجيـــد الفخـــام
وبـــدا فى ثمين مانظمـــــاه
كل حسنـــا جادت بكشف اللثـــام
بحواش رقت سدى وطـــــرازاً
شيـــة الجهبـــذ الوحيـــد الهمـــام
علم الفضل فى الورى الجمل الحبر
م سليمـــان ذى الكمـــال الهامـــى
لاح منها صبـــح الجبين فقـــرَّت
ذُجيـــة المشكـــلات بالأوهـــام
عذبت منهلا وراق سناهـــــا
وتبـــدت تزهـــو بحسن انسجـــام
وإذا ما بالطبـــــع تمت جمالاً
أرخـــوا حسنها بديـــع الختـــام

والذى تجدر الإشارة إليه هنا أن هذه الطبعة هى الطبعة الثانية ، ويعنى ذلك أن الأولى سبقتها بزمن . وإنك لتأسى أسى بليغاً حين تقارن هذه الطبعة بأخرى مستحدثة فى القرن الهجرى

الماضى من سنوات حين نجد هذه الأخيرة مشحونة بالأخطاء والنقص .

● وهناك أيضا صحيح البخارى المطبوع بـ «المطبعة البهية» بالقاهرة عام تسع وتسعين ومائتين وألف ١٢٩٩ بتصحيح «الشيخ أحمد مصطفى المكتبى» .

● ومسند أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ بتصحيح الشيخ محمد الزهرى الغمراوى مصحح بـ «المطبعة الميمنية» وقد تم طبعه عام ثلاثة عشر وثلثمائة وألف من هجرة النبى ﷺ .

لقد كان من هؤلاء الأقطاب «العلامة الشيخ قطة العدوى» الذى نود أن نلم بطرف من سيرته ، هو وغيره من هؤلاء الأعلام .

● ومن أعلام هذه الطبقة التى عاشت فى القرن الثالث عشر الهجرى، وامتد بها العمر إلى شىء من القرن الهجرى الماضى الشيخ العلامة (حسن العدوى الحمزاوى) المتوفى سنة ثلاث وثلثمائة وألف للهجرة النبوية المشرفة الموافق سنة ست وثمانين وثمانمائة والف للميلاد ، وكان على الراجح ـ بل المقطوع به تقريبا من أكبر وأقدم شيوخ هذه الطبقة الأولى فقد ولد سنة ١٢٢١هـ الموافق سنة ١٨٦٠م .

كان فقيها مالكياً من قرية «عدوة» بمصر ، تعلم فى الأزهر الشريف وقد توفر ـ رضوان الله عليه ـ على أعمال جليلة ، له منها : «النور الساري من فيض صحيح البخارى» وهو مطبوع فى خمسة مجلدات . وله أيضاً : «تبصرة القضاة والإخوان» مطبوع ، لكن ليس معروفاً .

ومن مطبوعاته النفيسة أيضاً : «إرشاد المريد فى خلاصة علم التوحيد» . كذا له : «المدد الفياض» وهو شرح (على الشفا) للقاضى عياض » وغير ذلك . وتوفى ـ رحمه الله ـ فى القاهرة ، فرضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مثواه .



● أحمد زكى باشا المتوفى سنة ١٣٥٣ ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف للهجرة

الموافق سنة ١٩٣٤ أربع وثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد . وأصله من بيت النجار من عكا . فهو عرقى أصيل .



كان أحمد زكي باشا عالماً باحثاً أديباً من كبار الكتاب ولد بالاسكندرية ، ثم تخرج في كلية الحقوق التي كانت تسمى مدرسة الحقوق وقتذاك بالقاهرة ، ثم أتقن بعض اللغات .

اتصل أحمد زكي باشا بعلماء المشرقيات ، ومثل مصر في مؤتمراتهم . وعمد إلى إحياء الكتب العربية بهمة عالية مشكورة غير مسبوق فيها ولا إليها .



وقد طبعت في عهده الحكومة المصرية مخطوطات عدة تولى هو بنفسه تصحيحها ومراجعتها .

وقد كانت له مكتبة عامرة في بيته بها زهاء عشرة آلاف كتاب . وكان وقفها على أهل العلم ، ثم بعد وفاته نقلت هذه المكتبة إلى دار الكتب المصرية باسمه ، وهي لاتزال حتى الآن مصدراً لكثير من المراجع القيمة مخطوطة ومطبوعة ينهل منها أهل العلم من دارسين وباحثين .



● أحمد تيمور باشا :

هو العالم الأديب الباحث النحرير صاحب التصانيف العالية والمحررات الجليلة ، وإليه يرجع فضل كبير في دفع يوسف إليان سركيس واستحثاثه واستنهاضه لتصنيف معجمه الشهير المسمى بـ (معجم المطبوعات العربية والمعربة منذ فجر الطباعة) أول عهدها حتى سنة تسع عشرة وتسعمائة وألف للميلاد ، وذلك على غرار المعاجم والفهارس الأوربية . وقد وضع أحمد تيمور باشا كل مكتبته العامرة تحت تصرف يوسف إليان سركيس على مدار ست عشرة سنة كاملة ، مع المعاونة الجادة والتوجيه السديد ، والتعهد الكامل والرعاية التامة حتى تم لكلا الرجلين ما أرادا .



● أمين الخانجي

(الوراق العالم) وهو فى الأصل تاجر حلبى اسمه محمد أمين بن عبد العزيز الخانجى ، وهو سورى الأصل شرفت به مصر ، ونهلت من علمه وأدبه ذخائر لا تزال باقية ... وكانت صلته وكيدة وطيدة بالعلامة أحمد تيمور باشا فما أن يسمع عن مخطوطة نادرة فى أى بلد أو مكتبة فى العالم ويخبر تيمور بذلك ؛ حتى يرسله على الفور إلى مكان وجودها لشرائها وجلبها إلى مصر على نفقة تيمور باشا ــ رحمه الله ، ورضى عنه وأرضاه ــ

ومن البلدان التى زارها : الأستانة والعراق وغيرهما . وقد كانت له أياد سابغة ندية مذكورة بالخير ... وكان العلامة المخطوطى محمد أمين الخانجى من واقع هذه المثابة على دربة وخبرة ودراية بعيدة بالمخطوطات المختلفة وأماكن وجودها ، وقيل : تيسر له نشر زهاء ثلاثمائة مخطوط من النوادر ... والصحيح أن المنشورات المخطوطة عنده قد بلغت قرابة الثلاثمائة وثمانية وسبعين كتاباً ورسالة .

وقد نشأ كما أسلفنا فى (حلب) فكان حلبياً مولداً ونشأة ، ثم عمل كاتباً فى ديوان ولاية حلب ، ثم عمــل فى بدايــة حياتــه بنسخ المخطوطات ، ثم مالبث أن انطلق إلى القاهرة وأدمن العمل فى ذلك ، وألقى فيها عصاه سنة ١٨٨٥ خمس وثمانين ، وثمانمائة وألف للميلاد .

وهو الذى أنشأ «مكتبة الخانجى» التى كان يشترى ويستجلب لها أخطر وأعجب المخطوطات وأندرها وأغلاها سعراً ، ثم يعمد هو بنفسه إلى تحقيقها ، وتصحيحها وضبطها ونشرها .

ومن جلائل أعمال هذا الوراقة العلامة كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموى ، وما أضفاه عليه من ذيل «سماه» : (منجم العمران فى المستدرك على معجم البلدان) وقد شايعه وآزره على إخراجه لفيف من العلماء الجهابذة . وقد كانت مكتبة ــ ولا تزال حتى الآن تزخر بالكثير من المطبوعات القيمة النادرة فى فنون اللغة العربية والأدب العربى ، سيما فقه اللغة ، والفروق اللغوية الدقيقة ، وقد أشرف عليها وحققها نخبة من أساتذة الجامعة المشهورين .

توفى الخانجى ــ رحمه الله ــ سنة ١٣٥٨ ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف للهجرة الموافق سنة ١٩٣٩ تسع وثلاثين وتسعمائة وألف ميلادية .

ولم تنطو بوفاته صفحة أعماله الجليلة البيضاء الممتداة إلى هذا الجيل والأجيال القادمة ، وهى تنطوى على خير وبركة وأفياء ظليلة ، وتوفى رحمة الله عن أربعة وسبعين عاماً .

مع

الدكتور عبدالوهاب عزام

في كتابه مهد العرب



بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

انتهى الدكتور عبدالوهاب عزام من عمله العلمي، بعمادته لكلية الآداب بالقاهرة سنة ١٩٤٥، وبعدها تم نقله للعمل بالسلك السياسي بالخارج، فاتسعت أمامه الآفاق، لخدمة العالم الإسلامي في كل مكان، والاحتكاك بشعوبه ورجالاته، والنهل من منابعهم، والصدور عن آمالهم واهتماماتهم .. إلى أن حط عصا الترحال بالمملكة العربية السعودية، سفيرا لمصر بها .. وبعد بلوغه السن القانونية للتقاعد، استدعته حكومتها لإنشاء أول جامعة بالمملكة وأنشأها وظل يعمل رئيسا لها في العاصمة (الرياض) ويُدعِّمها بأقصى الجهد، حتى وافته المنيَّة بين ظهرانيها.

***

أي أنه ظل في خدمة المعارف والآداب، حتى النفس الأخير. وكعادة الدكتور عزام، فإنه اهتبل هذه الفرصة التي سنحت له، ليتعمق الدراسة، لتاريخ (منزل الوحي) ومطلع النور، ليصل الماضي بالحاضر، والخروج بالدرس المستفاد، في ضوء الآية الشريفة: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1] وهكذا تكونت عناصر ومواد كتابه: (مهد العرب)، الذي قل حجمه وعظم نفعه، فهو بحق، مايمكن أن يقال فيه، إنه: (ماقل ودل) ..

***

وقد استهله بدراسة جامعة مستوعبة، لجزيرة العرب، التي تحدُّها البحار من معظم جهاتها وحدودها: فحفظتْ هذا الجنس القوى عن تقلُّب الجامعات، بعيدا من طرق المهاجرات، فبقي

(١) الأنبياء ـ ٩٢

يفرز الأجسام القوية ، والطباع السليمة ، والفطرَ الخالصة .. وإن أفنت الأقوام الأحداثُ ، ــ كما يقول الدكتور عزام ــ فالعرب لاتفنى ، وإن تنضبْ مَعِينُ الأمم ــ فلن يغيض الدم العرق الخالص ، مادامت أنهار الله جارية فى أرض الله ، ومادامت شموسه وهواؤه وأرضه ، تنمّيُ الأجسام ، وتطبع الأقوام .

ثم يتحدث عن الوطن العرق بأسره ، إذا استمسك بالعروة الوثقى ، بقوله : «وأما الثبات للحوادث الطبيعية والإنسانية .. فما دام هذا الوطن العظيم ، يعرف بعضه بعضا ، ويتصل بعضه ببعض فستجد كل ناحية من النواحي الأخرى ، مايُسْعفها بمطالبها إنْ قَحطَتْ ، ومايدرأ عنها الأحداث إن طغت عليها .. ومحال أن تعمها كلها الحوادث ، إلا أن يكون حادث القيامة ، حين يرث الله الأرض ومن عليها» .

ثم يضرب د. عزام الأمثال بما للعرب من هِمَّة ذَلَّلتْ المشرق والمغرب فى سنين قليلة : بنية تريد الخير للناس أجمعين ، وعدْل يسوى بين الجبارين والمستضعفين ؛ بل يمحو من الأرض كل جبار ومستضعف ، ويقف الناس جميعا إخوة على سنن من العدل المُطلق ، والمساواة الكاملة ، والأخوة الشاملة ..

ثم يتساءل الدكتور عزام ، بقوله : «هل يعرف التاريخ أمة جمعت فى سلطانها .. ماجمع العرب من أمم وأقطار ، ثم آخت بينهم ، وحفزتهم إلى الفضائل والآداب ، والعلوم والصناعات ؟ فإذا معظم العالم المتحضر ، متعاون على نسج حضارة واحدة عظيمة ، كل أمة على قدر مواهبها وقواها .. وما فعلوا ذلك كله إلا ابتغاء وجه الله ، وقصدا إلى إصلاح الناس ، وعمران الأرض» .

***

ويشيد د. عزام بعد ذلك باللغة العربية ، التى أنضجها الزمان المتطاول فى البقاع الشاسعة من الجزيرة أُخرجَتْها الفطرةُ السليمة ، والإحساس المرهف ، والإدراك النافذ .. حتى لتكاد تصور ألفاظها مشاهد الطبيعة ، وتُمثل كلماتُها خطرات النفوس .. «ويكفى أن الله تعالى قد أراد لها أن تكون لغة كتابه ، وترجمان وَحْيه ، وبلاغ رسالته ، فاشتملت على العالم الحسِّى والعقلى ، مصورا كلمات وآيات ، وجُزيت على هذا خلودا ما خلد الإنسان عقل وقلب ، وما استقام له إحساس وإدراك ..» ففى «خمسة عشر قرنا محت لغات ، وخلقت لغات ، وبدلت لغات وحرفت لغات .. والعربية هى العربية ، لم تمح ولم تبدل ، ولم تغير .. وما آية الخلود بعد هذا ؟!» .

***

ويتحدث د. عزام ، بلغة المؤرخ ، وبلاغة الأديب ، عن البوادى والحواضر ، وأقسام الجزيرة العربية الطبيعية ، ومدنها ونجوعها ، والأشعار التى قيلت فيها ، ويصف (الحجاز) مثلا ، بأنه :

«مولد الإسلام ، ومبعث النور ، ومصدر الهدى .. تتجه إليه القلوب والأوجه كل حين ، ويملأ كل قلب إليه حنين .. مدرج الإسلام ومرباه ، تُقفى هناك خُطاه ، فى كل مكان أثر مشهور ، وفى كل بقعة قول مأثور . كأن أحجاره ورماله ، وسهوله وجباله . ألواح فيها سيرة الرسول ــ صلى الله

عليه وسلم ـ وأقواله ، ومشاهده وأفعاله .. وفيه صدى القرآن ، وآيات الوحي والفرقان .. هناك منازل القرآن ومدارس سوره ، ومهبط بشائره ونذره » وهذا الترسل البديع المسجوع ، يذكرنا بنثر (شوق) المسجوع الرائع ، في كتاب : «أسواق الذهب»[2] ، وبصفة خاصة ، يقول شوقي عن (المسجد الحرام) ، إنه :

«الساحة الكبرى ، والدار اللموم[3] ، والموسم الحاشر[4] .. المنتدى والمؤتمر ، ومثابة الشهادتين . قال : فهذا قول مالك في رفع الصوت ثم حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله فضاء زكي ، لم يتنفس فيه الناس[6] ، وخلا إلا من حجر أو كناس ، الخ ...» .

***

ثم يسوق الدكتور عزام لنا ، ماظفرت به (نجد) من قصائد الشعراء الملهمين ، في وصف عرارها وقيصومها ، وصفاء جوها ، وأسحارها وآصالها ، ومن ذلك قول القائل :

أقول ـ لصاحبي ، والعيس تهوى ... بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار
ألا ياحبذا نفحات نجد ... وريا روضه بعد القطار
وأهلك إذ يحل الحيُّ نجدا ... وأنت على زمانك غير زارى
ليال ينقضين ، وماشعرنا ... بأنصاف لهن ولا سرار

وكم يشجينا تكرار كلمة (نجد) في معظم صدور الأبيات ، و(العرار) الذي سوف نفتقده بعد العشية ، أو بعد البعد عنه ، إلى أنحاء أخرى ، ناهيك بالموسيقى العربية التي تشيع في ثانيا هذه الأبيات ، كالأمواج المنسابة في ريث ، فتأخذ طريقها إلى مكمن الشعور والأحاسيس ، في صدق وعمق . ثم يورد لنا البيت المشهور :

ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد ... لقد زادني مسراك : وجدا على وجد

ويعقب عليه ، بقوله : «نجد التي أثارت الهوى والفتون ، ونشأت (ليلى والمجنون) . وكيف لا ؟ .. وفي نجد (اليمامة) ذات النخيل والزروع ، والأودية والعيون .. مسارح الجلال والجمال ، ومشاهد البداوة والحضارة ، ومجالي النشاط والقوة ، والمروءة والفتوة ..

(٢) انظر (أسواق الذهب) ط الهلال ص ٧٥
(٣) اللموم : التي تجمع الناس
(٤) الحاشر : الجامع
(٥) مثابة الزمر : مجتمع الناس
(٦) تنفس الناس : كناية عن وجودهم
(٧) الكناس : بيت الظبي من الشجر

وتحدث بعد ذلك عن باقى أقسام الجزيرة العربية : تهامة والعروض واليمن ، ويقول عن الأخيرة إنها «بلاد العرب السعيدة ، ذات الحضارة العتيقة ، والآثار القديمة .. وذات المياه الجارية ، والأشجار والزروع» .

ويتحدث عن جبالها ، ويشير إلى ما كان فى اليمن من حضارة وعمران ، وخصب ورخاء ، كما جاء فى سورة سبأ وصفها : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ﴾ سورة سبأ

كما أسهب فى وصف (عسير) ، التى تمثل القسم الشمالى من اليمن ، المجاور للحجاز ، وتحدث عن (معين) و (سبأ) و (حِمْيَر) ، وسائر مدن اليمن ، و (حضرموت) و (عمان) و (مهرة) .. ثم تحدث عن الصحراء الكبرى أو (الرَّبْع الخالى) ، وهى إلى اليوم مَجْهَل ، لم يُعرف داخلها إلا قليلا ..

* * *

ثم ينتقل إلى الحديث عن الزرع والشجر ، فالكَرْم فى جهات كثيرة ، مثل المدينة والطائف ، والموز والتفاح ، والرمان والبرتقال ، فى جهات قليلة .. ثم يركّز فى حديثه على (التَّمْر) ، بصفة خاصة ، لأنه أعظم ثمار الجزيرة ، والنخل فى عمان واليمامة والحجاز كثير ، ومما يدل كثرته بالنسبة لسنابل القمح ، أنَّ زكاة الفِطْر قُدِّرتْ بنصف صاع بُرٍّ ، أوْ صاع من تمر أو شعير .

وفى المدينة وحدها ، يوجد زهاء مائة صنف من التمر .

* * *

وتحدث بإفاضة عن جو وتضاريس الجزيرة العربية ، وعن أمراء الحيرة والغساسنة ، وساق بعد ذلك طائفة من روائع الشعر ، كالأبيات التى قالها (عدِىُّ بن زيد) ، فى المعنى الذى تُوحيه رؤية المقابر ، وكأنها تخاطب الأحياء جميعا ، يقول :

إيها الركبُ المخِبُّونَ   على الأرض .. المجدون
مثل ماأنتم .. حَيينا   وكما نحن .. تكونون

ويقول بعد ذلك : «وفى كتاب الهمدانى (يعنى الإكليل) منظومات تكلفها الشعراء ، لبيان المواطن والقبائل ، متعنى طولها من إثباتها ، فليرجع إليها من يشاء» .

---

(٨) المصحر : المسافر فى الصحراء

(٩) انظر كتاب الرافعى (وحى القلم) ، ط ٢ سنة ١٣٦/١٩٤١م جـ٢ ، ص ٢٣

ثم يتحدث عن سكان الجزيرة وتعدادهم ، حتى عام ١٩٤٦ ، الذى أصدر فيه كتابه .

وبالنسبة للحيوان فى الجزيرة العربية ، يذكر أن (الحصان) ـ الجواد العربى الكريم ـ قد ظفر بالنصيب الأوفر من تقدير العربى له ، واعتياده عليه ، وتقريبه له فى مجلسه ، حتى سميت الخيل : (المقربات) .. وقد ظفر فرس (امرىء القيس) ، بصفة خاصة ، بالبيت الخالد ، الذى يمثل أصالته وسرعة حركته وإقدامه .

مِكَرّ مِفَرّ مُقْبِل مدبر معا كجلمود صخر حَطَّه السيل من عل

***

وصفوة القول ، إن أبلغ الدروس التى نستخلصها من كتاب الدكتور عزام : (مهد العرب) ، هو حديثه : عن الوحدة العربية ، حينما كانت جميع البلدان الإسلامية ، بعد الفتوح ، أمة واحدة ، ذات قيادة حكيمة واحدة ، ومن ثم ، كانت ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران ـ ١١٠ كوصف القرآن الكريم لها .. وكيف لا ، وقد قال هارون الرشيد ـ فى عصره الذهبى ـ للسحابة ـ وقد مرت به ـ أمطرى حيث شئت ، فسيأتينى خراجك[١٠] ! وحينما أرسل الرشيد ، ساعة دقاقة ، هدية «شارلمان» تدق باستعمال الماء .. قال من شاهدوها فى فرنسا : إن فيها شيطانا !

ألا ليتنا نستوعب جيدا هذا الكتاب القيم : (مهد العرب) ، لضم الصفوف ، وإعداد العدة ، فى جميع أقطار أمتنا العربية الإسلامية لتحقيق ماقصد إليه شاعرنا العربى القديم ، حينما قال :

كونوا جميعا يابنى إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا .. آحادا

تأبى العصى إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن .. تكسرت .. آحادا

---

(١٠) انظر كتاب الداعية الإسلامى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى بعنوان (شبهات وأباطيل خصوم للإسلام والرد عليها . ط مكتبة التراث الإسلامى (بدون تاريخ) جمع وإعداد وترتيب الأستاذ عبدالقادر أحمد عطا ص ١١٠

مالك
تجارب حياة

تأليف : الأستاذ أمين الخولي

مكتبة الأنجلو والإرشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

عرض وتقديم : عبد السلام ناصف

كان حديثنا عن الإمام أحمد فاتحة نهج أمامنا لنبحث عن أئمة أهل السنة ، فقدمنا من بعد الإمام أحمد ، كتاباً عن الإمام الشافعي ، ثم دفعنى البحث إلى الإمام مالك ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنهم أجمعين ، فقد كان ـ الشافعي تلميذاً للإمام مالك ، وجلس إلى الشافعي الإمام أحمد فمالك ـ رحمه الله ـ رأس الفقه الذى تتلمذ عليه أولئك الأئمة الكبار .

كتب عن مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ كثير من الأئمة منذ بداية التدوين فى السفر ، ثم تتابعت الدراسات حتى أخذت مناهجها الغنية الحديثة ومنها ـ حديثاً ـ كتاب « مالك .. تجارب حياة » للأستاذ العلامة أمين الخولى ـ رحمه الله ـ صاحب المنهج الفريد فى كتابته ومصادرها .

والكتاب ـ على قدمه لصدوره من سنوات عدة ـ إلا أنه فى باب دراستنا عن الأئمة نود أن نضعه بين أيدى قرائنا ليكون بين صفحات المجلة دراسات شاملة عنهم ، ولقد كان من السبق الموفق لهذه المجلة ما قدمته من دراسة ، خاصة بالإمام الجليل (ابن ماجه) وهى دراسة غير مسبوقة بمثيل لها .

وكتاب : « مالك .. تجارب حياة » قطع متوسط صدر فى سلسلة « أعلام العرب » ، ويقع فى ثلاثين وأربعمائة صفحة ، ويحوى أربعة عشر فصلا ، عدا مقدمته التى يمهد بها الكاتب لكتابه ويوضح فيها أهمية التراجم التى تقدم على عملية جمع المعلومات بكل الوسائل والسبل الاستقصائية وتبويبها وتصنيفها ـ ثم نقدها وتفسيرها بأسلوب علمى ـ بعيداً عن الهوى ومؤثرات الحضارة الحديثة .

وفتح الكاتب الباب لمن يترجم له بأسلوب جديد ونظرة جديدة فى ظل حضارة متطورة نامية شاملة ـ وإلى نظرة فى الكتاب :

فى الفصل الأول الذى أفرده الكاتب ـ لأسرة الإمام ونشأته وهى أسرة رحلت من اليمن إلى الحجاز فى عهد جده (مالك بن أبى عامر) والد

أنس والذى سمى باسمه ــ ولقد كان ــ رحمه الله عالماً جليلاً شارك فى كتابة المصحف الشريف ، وكان له دور بارز فى الحياة السياسية فى الدولة الأموية حتى صار مستشاراً للخليفة عمر ابن عبدالعزيز الذى عرف بأنه : خامس الخلفاء الراشدين .

ولد الإمام مالك بالقرب من المدينة المنورة فى واحة ظليلة تبعد عنها نحو مائتى كيلو إلى الشمال، أثرت فى نشأته وتكوينه الجسمانى .

اختلف المؤرخون فى تحديد عام مولده ــ وإن كان يُرجح أنه عام ثلاثة وتسعين للهجرة وكان والده يعمل فى صناعة النبال ، فقد كان مقعداً .

وفى المدينة المنورة بجوها الروحى الذى أزكى حسّ الإمام فتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وجوّده برواية نافع ــ ثم اتجه إلى الفقه ، فتبع أساطينه حتى بلغ الله به إلى أعلى المراتب ..

أخذ ــ رحمه الله تعالى ــ من (ربيعة الرأى) رضى الله عنه وأرضاه أدبا وعلما وفقهاً ــ وكأنه كان الباب الذى دلف فيه الإمام إلى حلبة العلم فى مهبط الوحى ، ومشهد الأحداث ، ونفحة الأرض من السماء ، بين القبر والمنبر.. فى الروضة الشريفة ، حيث غدا صاحب الدعوة والدين ــ ﷺ ــ فنهل الإمام من علمائها وقضى فيها سنى تعليمه ، وهو واضح الشعور بمميزاتها وامتيازها .. يجمع من أشياخها الأفاضل الأجلاء ويأخذ من سلوكهم وأسلوب حياتهم ماهيأه ربه لخير العالمين .

وكانت دراسته فى هذا الجامع والجامعة بعد صلاة الفجر ، وبين المغرب والعشاء ، وفيه تلقى على أئمة الفقه ، أمثال : جعفر الصادق وابن شهاب الزهرى ، ونافع بن سرجس وغيرهم ، والتقى بالبعض الآخر عند : حجه أو عند زيارتهم للمدينة المنورة ــ إذ كان ــ رحمه الله ورضى عنه ــ لا يميل إلى الارتحال بعيدا عنها باعتبارها خير الأمكنة .

ومنهاج الإمام مالك ــ كان منهجا نقلياً يعتمد على التدوين ، وتأثر بتيار المدينة الفياض فى الأحاديث والسنن والأفعال والأقوال ، فالتصق بها ، وكأنه قد استجاب الله لدعوة رسوله الأمين ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ لأهلها بألا يضاموا ؛ فابتعد مالك عن مواطن الحكام بعد ما لمس من تقلبات سياسية وحزبية وعقائدية إلى جانب ظهور حركات الترجمة والتأليف والنشر ؛ لاسيما فى العصر العباسى فكان إنساناً عالماً ومعلماً ومجتهداً وإماماً .

كان للإمام مورد ثابت من بيت المال يعيش عليه ــ ورزق ــ رضى الله عنه ــ بأربعة أولاد ، وكان يسكن فى منزل عبدالله بن مسعود ــ رضى الله عنه ــ وكان أثاث بيته وملبسه ينبىء عن النعمة ، وكان يرى أن الزهد ــ فى بعض أحواله يضر بالمنهج النقلى ودقة الرواية إذ قد يغفل الزاهد . وكان يميل إلى العزلة وعدم الحركة ، ويركن إلى الاعتكاف لكنه مع هذا كان حاذقاً بشئون الدنيا والآخرة . وكان كامل المروءة يتمثل بشمائل الصحابة والتابعين ويتمتع بعقل متزن ــ لذا أمر الخليفة هارون الرشيد والى المدينة أن يستشيره فى كل الأمور قبل أن يقطع فيها برأى ــ فَعَلَتْ مكانته وسمت لدى كل الولاة ــ برغم ما كان ينكره على بعضهم من أقوال وأفعال.. حتى إنه نقد الخليفة الرشيد يوماً فقال له : (يا أمير

المؤمنين كلّ ماق يدك ليس لك) .. ثقة من أن لرجل الدين مكانته السياسية ، لكنه كان يرى أن احتمال ظلم الحكام أفضل من الفساد الذى ينتج عن مقاتلتهم أو محاربتهم فقد يكون ذلك فساداً لا يمكن إصلاحه ، وكان يميل إلى بنى أمية ، ويكره الخوارج ، وأهل الشيعة الذين غالوا وتجاوزوا حد الشريعة ، وكان يحترم جعفر الصادق .

ثم يتعرض - المؤلف - لمحنة الإمام مالك - فى عهد الخليفة المنصور حين وشى إليه من أعدائه بما عرف عنه من محبة للأمويين وإفتائه بالخروج مع (محمد النفس الزكية) وفتواه بأن وليس على مستكره يمين - فأمر الخليفة بجلده على ظهره العارى - وترك الجلد عليه آثاراً كالحلى يتحلى بها ، وكان ذلك عام ستة وأربعين ومائة .

درس مالك وتلقى وألقى وجرّب وأفتى ونقى ، وترك للتاريخ ثمرة حياته ورسالة عمره ؛ فقد كان فقيهاً وضع كل الحلول لمشكلات الحياة وتصرفات الناس فيها ، وربط بين العلم وبين التقوى ، فالعلم نور يضعه الله فى القلوب ، والجدل يذهب بنوره .. ومن ثم كان إماماً فى الحديث والسنة ، وتحمل المشقة فى (التجريح والتعديل) ، ولم يأخذ عن سفيه أو جاهل أو كذاب أو صاحب هوى . فكان حديثه نقياً وكان فقهه سديداً ، وهو يرى أن الفقه هو : الإدراك والفهم والفطنة والرأى السديد وهو ما حدا به إلى الأخذ برأى الصحابة والتابعين فى أحكامهم وفتاويهم .

ففرق بين الإيجاب ، والندب ، والتحريم ، والكراهة ، والإباحة . حيث كان يرهب تقرير الحل والحرمة .. وكثيراً ما كان يقول : الحلال ما أحله الله ورسوله ، والحرام ما حرم الله ورسوله . وكان يميل إلى الوسطية فى أحكامه بعبارات : لا بأس ، أو لا يصلح ، أو لا خير فيه) . تحرجا من خوفه بالجهر بالحل والحرمة .. لكنه كان يلتزم برأى صاحب الدعوة - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه رضوان الله عليهم - وتابعيهم .. فقد رحمهم الله ، وهكذا كان متبعاً متشدداً لا مبتدعاً .

منهجه الفقهى

ويبن المؤلف - رحمه الله - أن الإمام مالكاً كان يسوق الآيات ، ويوق النقل فى الاستدلال الفقهى على الأحكام كما كان يسوق الأحاديث - على ترتيب تواردها وتواترها ومشهورها وظواهرها ومفهومها - ثم يلجأ إلى الإجماع وهو : اتفاق أهل الحل والحرمة على حكم من الأحكام ، خاصة إجماع أهل المدينة المنورة ، وأخيراً استدلاله بالقياس وبأصوله الثانوية : كالاستحسان والمصالح المرسلة الضرورية .

وأوضح المؤلف أن مالكاً كان مصنفاً فى كتاباته يجمع ويدوّن ويصنف . فألف فى النجوم وحساب دوران الزمان ومنازل القمر ، وألف فى التفسير كتاب (التفسير لغريب القرآن) وفى علم الكلام ألف : كتاب (رسالة إلى ابن وهب) ويكفيه كتابه : (الموطأ) الذى جاء محكماً جمع أحاديث رسول الله ﷺ وصحابه والتابعين وإجماع أهل المدينة المنورة ، وهو يصور تطور الصلة بين الفقه والحديث .

ولقد عنى به الكثير واهتم به الخليفة المنصور - وطلبه وأخرجه ، وقال عنه الإمام الشافعى -

رحمه الله ورضى عنه : إنه أصبح كتاب بعد كتاب الله ـ عز وجل ـ واهتمت به مصر منذ القدم ، فشاركت فى طبعه وشرحه ونشره ولازالت ، وانتشر مذهبه فى كل بلاد العالم الإسلامى ، خاصة فى بلاد المغرب ، وصعيد مصر والسودان ، والعراق والحجاز ، ودول الخليج وأصبح اسمه مضرب الأمثال حيث يقال :

(لا يفتى ومالك فى المدينة) ، ويقال : (قال فيه ما قال مالك فى الخمر) وهاهى كتاباته تنتشر فى القرن العشرين ، ولسوف تنتشر إلى ما شاء الله ـ نتيجة لجهده وتركيزه ـ رغم هزات عصره واضطرابه فأكبره الناس وأشاعوا مذهبه .

تلك معان إنسانية نقدر بها الإمام مالك بما هو أهل له ـ ولقد وقف من دنياه موقف الممارس المجرب للحياة ، وفى حياته موقف الإمام الفقيه ينظم شئون الدنيا .

ثم يتحدث المؤلف ـ فى مناجاة ـ عن وداع الإمام :

أبا عبدالله .. امض راضياً مرضياً .. لقد أفنيت عمرك تفتى ، غدوت إلى الروضة الشريفة ورحت مصلياً متبتلا ، ودارساً متعلماً ، وراوياً معلماً ، واليوم تغدو إلى ذات الروضة مسجى محمولاً على الأعناق يصلّى عليك ، ويشهد الناس لك ، وإن كان صاحب الدعوة ـ عليه الصلاة والسلام ـ خير شاهد .. وفى ثرى المدينة التى أشفقت أن يطأه حافر دابة تركبها ، لأن محمداً ﷺ ثاو فيه سلام عليك يوم ولدت ويوم مت ، ويوم تبعث حياً ..

توفى مالك عام ١٧٩ تسعة وتسعين ومائة للهجرة ودفن بأرض البقيع فى المدينة المنورة .

وبعد :

فقد أحسن الأستاذ المؤلف الحديث عن مناقب الإمام مالك .. إمام دار الهجرة ، وأورد ـ رحمه الله ـ مولد الإمام فى سنة من إحدى ثلاث : العام الثالث والتسعين ، أو الرابع والتسعين ، أو الخامس والتسعين ، ولقد نجد من الباحثين من يتعقب البحث فى مثل هذه الحال فى ضوء شخصيات عاصرت هذه التاريخ ويدرس من أحوالها ما يعين على تحديد إحدى هذه السنوات .

أما ما يقال عن تجاربه العلمية ـ فإن القارىء المدقق لا يجد لهذه التجارب مساحة تذكر فى سيرة الإمام الجليل ـ ويصر أستاذنا المؤلف على أنه لم يعمل بالتجارة ـ خلافاً لما اتخذه من عنوان لهذا الكتاب ـ غير أن أكثر من اهتموا بسيرته قد اهتموا بعمله بالتجارة وبالمضاربة ، وركزوا على أهميتها فى رفاهية معيشته .

وما يقال عن تاريخ مولده يقال عن تاريخ وفاته ـ فلقد توفى ـ رحمه الله ورضى عنه ـ فى يوم الأحد الذى يوافق اليوم العاشر من ربيع الأول لعام تسع وسبعين ومائة بعد الهجرة ـ ولعل أبلغ قول قيل فى رثائه هو قول امرأة :

بكيت بدمع واكف فقد مالك
ففى فقده ضاقت على المسالك
ومالى لا أبكى عليه وقد بكت
عليه الثريا والنجوم والشوابك
حلفت بما أهدت قريش وحللت
صبيحة عشر حين تقضى المناسك
لنعم وعاء الفقه والعلم مالك
إذا عد مفقود من الناس مالك

رحم الله الإمام رحمة واسعة .

عقيدة السلف وأصحاب الحديث

عرض وتقديم الأستاذ . عادل رفاعى خفاجة

هذا الكتاب فى العقيدة ، قصد به تقديم معلومات مركزة ، بعيداً عن التفاصيل والاستطراد وهو أحد تصانيف الإمام المحدث شيخ الإسلام أبى عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابونى من علماء القرن الرابع الهجرى توفى سنة ٤٤٩ هـ .

وقد همّ لإخراج هذا الكتاب وتحقيقه وتخريج أحاديثه الأستاذ أبو عبد الله نبيل بن سابق السبكى ، الذى يقدمه بدوره إلى كل من لم يسعفه الوقت لمراجعة المطولات من كتب الاعتقاد .

يقع الكتاب فى مائة صفحة وصفحة واحدة من القطع الصغير ، طبع دار طيبة. بالرياض ١٤١٣ هـ .

ويبدأ الكتاب بفصل عن سند الكتاب إلى مؤلفه ، وأن ما دعا المؤلف إلى كتابته إنما جاء تلبية لرغبة إخوانه الذين طلبوا إليه : أن يقدم لهم شيئاً فى أصول الدين موجزاً ، فكان هذا الكتاب .

عالج المؤلف فى هذه الرسالة أموراً عدة هى :

- معتقد أصحاب الحديث فى صفات الله .
- استواء الله على عرشه .
- اعتقادهم بنزول الرب سبحانه ومجيئه .
- موقف السلف من هذه الأخبار .
- البعث بعد الموت .
- الشفاعة .
- الحوض والكوثر .
- رؤية المؤمن ربه فى الآخرة .
- الإيمان بالجنة والنار وأنهما مخلوقتان .
- الإيمان « قول وعمل » يزيد وينقص .
- لا يكفر أحد من المسلمين بكل ذنب .
- حكم تارك الصلاة عمداً .
- خلق أفعال العباد .
- الهداية من الله .
- الخير والشر .
- مشيئة الله .
- عواقب العباد مبهمة .
- المبشرون بالجنة .
- أفضل الصحابة وخلافتهم .
- الصلاة خلف الإمام البار والفاجر والجهاد معه .



- موقف أهل السنة إزاء الصحابة .
- دخول الجنة بفضل الله ورحمته .
- لكل مخلوق أجل .
- وسوسة الشياطين .
- السحر والسحرة .
- آداب أصحاب الحديث .
- علامات أهل البدع .
- علامات أهل السنة .

ومع هذا القدر الكبير من الموضوعات ، نجد المؤلف قد وفّاها فى هذا القدر اليسير من الصفحات المشار إليه .

ونسأل الله ـ العلى القدير ـ أن يوفقنا لالقاء الضوء على أكثر هذه النقاط أهمية ، والتى نرى أنها تستأثر بانتباه القارىء .

معتقد أصحاب الحديث فى صفات الله :

يقول الشيخ أبو عثمان : إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة .. يشهدون لله ـ تعالى ـ بالوحدانية .. ويعرفون ربهم ـ عز وجل ـ بصفاته التى نطق بها وحيه وتنزيله ، إلى ما شهد له بها رسوله ﷺ .. ويثبتون له ـ جل جلاله ـ منها ما أثبت لنفسه فى كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه وأنه يجب عند فهم معنى من الآيات عدم الجنوح إلى **التكييف أو التشبيه** وإنما يكون الفهم من منطلق قول الحق تبارك وتعالى .

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾
سورة الشورى / ١١

ثم يستشهد بما قاله الإمام بن أنس حين سأله سائل عن قول الله ـ تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ فأجابه : « الكيف غير معلوم ، والاستواء غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وإنى لأخاف أن تكون ضالاً » ثم أمر به فأخرج .

الشفاعة :

فإذا بلغنا مع الكاتب موضع الشفاعة ، نجده يقول : ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول ﷺ لمذنبى أهل التوحيد ومرتكبى الكبائر . فمن ثابت عن أنس عن النبى ﷺ قال : « **شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى** »[1] .

وأخرج البخارى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال : « **لقد ظننت أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحدٌ أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث . إن أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله خالصاً من قِبل نفسه** » .

رؤية المؤمنين ربهم فى الآخرة :

يوضح المؤلف ـ بشأنها ـ أن أهل السنة يشهدون أن المؤمنين يرون ربهم ـ تبارك وتعالى ـ يوم القيامة بأبصارهم وينظرون إليه ، ثم يثبت الأستاذ أبو عبدالله نبيل بن سابق ـ محقق الكتاب ـ قول الإمام النووى : إن الرؤية مختصة بالمؤمنين ، وأما الكفار فلا يرونه ـ سبحانه وتعالى .

(١) أخرجه أبو داود والترمذى وأحمد وابن ماجه .

وقيل : يراه منافقو هذه الأمة وهــذا ، ضعيف ، والصحيح الذى عليه جمهور أهل السنة : أن المنافقين لا يرونه كما لا يراه باقى الكفار باتفاق العلماء .

وفى القرآن الكريم : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة/٢٥ .

وقول الرسول الكريم : « **إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر** » متفق عليه .

الإيمان يزيد وينقص :

يجمع أهل الحديث على أن (الإيمان قول يصدقه العمل ، وأنه يزيد وينقص) وقد أحسن مؤلف هذا الكتاب ، حيث سأل عشرة من الفقهاء منهم : ابن جريج ، وسفيان الثورى ، وفضيل ، وسفيان بن عيينة ، وغيرهم ، سألهم جميعاً : عن الإيمان فقالوا : « قول وعمل »

وليس كثرة السؤال إلا من باب التأكيد على شيء ذى بال ، وأن الإيمان هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل .

لا يكفر أحد من المسلمين بكل ذنب :

وبإيجازنا لهذه القضية نقول : يرى المؤلف أن أهل السنة يعتقدون أن المؤمن « وإن أذنب ذنوباً كثيرة – صغائر كانت أو كبائر – فإنه لا يكفر بها وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى الله – عز وجل – إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة ، وإن شاء عذبه مدة بعذاب النار ثم عفا عنه ولم يخلده فيها ، بل يعتقه ويخرجه منها إلى نعيم دار القرار .

مشيئة الله :

ومن المعلوم أنه لا يقع فى ملك الله إلا ما يريد ، ويوضح المؤلف ذلك فيقول : إن الله – عز وجل – مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها ، لم يؤمن أحد إلا بمشيئته ، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ سورة يونس/٩٩ .

ولو شاء أن لا يُعْصَى ما خلق إبليس ، فكفْرُ الكافرين وإيمانُ المؤمنين ، كل ذلك بقضائه – سبحانه وتعالى – وقدره .

ولكن الله – سبحانه وتعالى – يرضى لعباده الإيمان ولا يرضى لهم الكفر[٢] . قال – عز وجل : ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ الزمر/٧ .

ثم يختم المؤلف ذلك العمل بذكر **علامات أهل السنة** فيذكر منها :

– التمسك بسنة رسول الله ﷺ والعمل بها والاستقامة عليها والدعوة إليها .

– وجوب تعظيم أخبار رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم والتصديق .

– حبُّ أئمة السنة وعلمائها وأنصارها .

وبعد ..

فقد قدم المؤلف كتاباً سهلاً يسيراً ، أوضح فيه بلفظ بسيط أخطر القضايا ، بعيداً عن التعقيد والمسائل الخلافية ، فأثبت كل ما هو من المسلمات ، التى أجمعت عليها الأمة وقد قدّم ما يلزم من الأدلة والآيات والأحاديث النبوية الشريفة .

(٢) لذا يرى علماء التوحيد : أن الإرادة غير الرضى ، ولهم فى ذلك بحوث قيمة .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

ضوابط الإسلام في الأمر والنهي

للإسلام أدب ونظام وأسلوب في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجدير بنا أن نعي ذلك ونتدبره ونلتزم به ونضبط أسلوبنا وخطانا على طريقه ، فإن فعلنا ذلك فقد سلكنا الطريق السوى ، قال ـ تعالى :

﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

سورة يوسف

وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية ، فإن الذي يتولاه ويقوم به ؛ لابد أن يكون حكيماً يتلطف مع من يأمره وينهاه ، ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٤] ، فكثير من الناس لا يزيدهم العنف إلا عناداً ومكابرة ، فيكون الضرر بدلاً من النفع .

وعلى هذا المبدأ العظيم الذي سنه رسول الله ﷺ يوم أن بال الأعرابي في المسجد ، فثار عليه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فقال لهم رسول الله ﷺ : « اهرقوا عليه ذنوباً أو سجلاً من ماء »[1] . على هذا النهج سار صحابة رسول الله ﷺ والتابعون بإحسان .

غير أن ما ينبغي أن يتصف به المصلحون هو الإخلاص لرب العالمين ، وطلب التوفيق

---

(١) الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد جـ ١ ص ٢٢٩

منه ، كما قال نبي الله شعيب :

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

[هود : ٨٨]

وفى هذا العدد يجد القارىء كلمة فى هذا المعنى ، وكلمات أخرى متنوعة ، فضلاً عن الردود والتعليقات والإجابة على الاستفسارات .

المحــرر

مسئوليات الأمر والنهى

وكتب الأستاذ / يحيى السيد النجار ـ من الخزاوى محافظة دمياط ـ هذه الكلمة عن واجبات ومسئوليات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

جاء الإسلام رسالة سماوية عالمية خاتمة .. فالإسلام عقيدة وشريعة ودين ودنيا .. وللإسلام منهج فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. قال تعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٤] .

وضع الإسلام .. قواعد حكيمة .. واختار الوسائل المجدية لدفع المنكر .

والمنكر : هو ما ترفضه الفطرة السليمة وترفضه شرعة الإسلام ، **والمعروف** : ما ترتضيه الفطرة السليمة وتقرره شريعة الإسلام .. وهما ـ معاً ـ من أعظم المهام الملقاة على عاتق أمة الإسلام .. قال ـ تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾

[آل عمران : ١١٠] .

لكن للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبات ومسئوليات على من يتصدى لذلك .. وهل هو الحاكم ، أم العلماء ، أم أى إنسان .. حتى لا تختلط الأمر ؟ فإن العلماء يرون أن :

اليد : تجب على صاحب التنفيذ الشرعى لأنه المكلف بإقامة الحدود ..

واللسان : على علماء الأمة .

أما الإنكار بالقلب فهو لعامة المسلمين .. ويجب على الإنسان المسلم ترك أى مجلس يرتكب فيه إثم حتى لا يعد شريكاً فى الإثم قال تعالى :

﴿ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾

[الأنعام : ٦٨] .

لكن الأوراق اختلطت .. وأصبح يتقمص دور العلماء من لا علم لهم بالفقه والفتوى ، فما سر انتشار بعض السلبيات بين الشباب ؟

الجواب : فقدان دور التربية .. وعدم قيام الزوجين بتربية الأبناء تربية إسلامية فكيف تهتم الأسر بالملبس والمأكل وشراء آليات اللهو الحديثة ثم تترك عقل النشء وروحه .. وقد قال ـ تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] .

هؤلاء عرفوا الله ـ عز وجل ـ

وكتب هذه الكلمة الأستاذ / محجوب كامل محمود ـ بكلية آداب سوهاج ـ جامعة جنوب الوادى ـ عن رقة قلوب الصحابة والتابعين بسبب ما درجوا عليه من تقوى الله ـ عز وجل ـ والخوف منه :

حين حضر الموتُ سلمان الفارسى ـ رضى الله عنه ـ أخذ يبكى !! ودخل عليه أصحابه فسألوه : (ماذا يبكيك وأنت من قال رسول الله ﷺ فيه : سَلْمَانُ منّا آل البيت ؟) فقال : (والله لقد رأيت مصعب بن عمير حين قتل لم نجد ما نكفنه فيه سوى ثوبه : إذا غطينا به رأسه انكشفت قدماه ، وإذا غطينا به قدميه انكشفت رأسه ، وكان خيراً منى ، وها هى الدنيا قد بسطت لنا ، ونخشى أن تكون طيباتنا قد عُجّلت لنا) .اهـ .

إن عمر الدنيا قصير وزادها قليل وخطرها كبير ، فاعمل ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، ومما ينسب إلى رابعة العدوية :

وإن لاحت الأسرار فهى رسائلٌ
فهل لرسالات المحبُ جوابُ
فليتك تحلو والحياة مريرةٌ
وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الذى بينى وبينك عامرٌ
وبينى وبين العالمين خرابُ
إذا صحّ منك الودُّ فالكل هيّنٌ
وكلُّ الذى فوق التراب تراب
متى لم يكن بينى وبينك ريبة
فكلُّ نعيمٍ صدَّ عنك عذابُ

فلنكن من الذين آمنوا

كتب الأستاذ / نجاح عبد القادر سرور ـ المدرس الثانوى بكوم حماده ـ محافظة البحيرة ـ تلك الكلمة القيمة فى العلاقة بين الإيمان وحب الله ـ عز وجل :

إن من آمن بالله أحبه .. ومن أحب الله اتقاه .. والله تعالى يعطى الدنيا لم أحب ومن لا يحب .. ولا يعطى الدين إلا لمن أحب .. وإذا أحب الله عبداً .. كان سمعه وبصره .. ويده وقدمه .. روى البخارى قول رسول الله ﷺ : «يقول الله ـ تعالى : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه ، ومايزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددت عن شىء أنا

فاعله ترددى عن نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت ، وأنا أكره مساءته » .

إن المؤمن حبيب الله يعيش له ويموت له :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ [الأنعام : ١٦١ ـ ١٦٢] .

فإذا ما أحبه الله تعالى .. أحبه أهل السماء والأرض .. روى البخارى قوله ﷺ : « إذا أحب الله العبد ، نادى جبريل : إن الله يحب فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ، فينادى جبريل فى أهل السماء : إن الله يحب فلاناً ، فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض » فلنكن من الذين آمنوا ، قال ـ تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

خطر الإسراف

فى الطعام والشراب

وكتب الشيخ / خيرى محمد أبو الروس ـ إمام مسجد بكفر الجرايدة ـ بيلا ـ كفر الشيخ ـ هذه الكلمة :

قال الرسول ﷺ : « ما ملأ آدمى وعاءً شراً من بطنه حسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه . فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لِنَفَسِه » صدق رسول الله ﷺ .. رواه الإمام الترمذى فى السنن وقال حديث حسن صحيح .

ومعنى : حسب .. أى يكفى . ومعنى : صُلْبَه .. أى ظهره .

فى هذا الحديث الشريف يوضح المصطفى ﷺ : أن الإسراف فى الطعام يجلب الشر للإنسان ، فما يملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه ، إذ يُسبب له الأمراض المختلفة ، فالمعدة بيت الداء

ويكفى أنه يأكل من الطعام ما يستطيع به أن يتقوى على أداء عمله ، فليكن أكله بحساب ، ثلث للطعام ، ويترك الثلثين الباقيين للشراب وللنفس ، وبذلك لا يُجهد نفسه ولا يضر معدته وكذلك أيضاً لا يتعرض للأمراض ويظل سليماً معافى . ولذلك حارب الإسلام الإسراف والتبذير لأنهما يدفعان إلى الضرر الفردى ، والضرر الجماعى ، ومن ثم دعا الإسلام إلى الاعتدال ونهى عن الإسراف والتبذير .

مصر والأزهر والإعلام الإسلامي

وكتب الأستاذ / أحمد محمود الطباخ ـ المدرس بالأزهر ـ أبو حمص بالبحيرة .. هذه الكلمة عن مكانة مصر ودور الأزهر فى مواجهة العلمانيين وأعداء الإسلام :

مصر هى قلب الأمة الإسلامية النابض وصمام أمنها ، فمن مصر خرجت كتائب الجند مدافعة وفاتحة بقيادة صلاح الدين الأيوبى الذى استرد للأمة الإسلامية أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ﷺ .

وفى العصر الحديث استردت مصر للأمة العربية كرامتها بانتصارها على العدو فى العاشر من رمضان ، ولقنت الأعداء المتربصين بنا درساً لن ينسوه .

وقد نشطوا فتنوا فى وسائل إعلامهم عبر الأقمار الصناعية ما هو أشد وأنكى من صور لا توارى عورة ولا تستر جسداً لنشر الانحلال والفساد ، وهم بهذا يودون القضاء المبرم على إسلامنا وقيم أهلنا ومبادىء شعوبنا .

وعلى الرغم من قيام الأزهر المعمور بدورة خير قيام من خلال علمائه والدارسين به فى كل مكان من العالم ؛ إلا أن فلول العلمانيين وأعداء الإسلام مازالوا ينشطون من أجل إفساد عقول وأذواق الأمة ، وهنا تبرز أهمية الإعلام الإسلامى لتنقية الساحة الإسلامية من الزيف وأساليب البهتان .

ردود وتعليقات

● **القارىء / زكريا عبد المحسن على سيد ـ أسيوط ـ جزيرة الوسطى .**

يمكنكم أن تكتبوا إلينا نقرأ ونحن فى انتظار إبداعاتكم ، أما البيت الذى نشر فى إبداعات القراء ، واشتبه فيه البعض خطأً لغوياً ؛ هو :

ما لى أرى فى ذا المكـــان جمالًا
هل حمص أتى فى السما تتـــلالا

الواقع أن (ذا) ليست من الأسماء الستة حتى تجر بالياء ، إنما هى هنا اسم إشارة . أى فى هذا المكان . ومعروف أن اسم الإشارة هو (ذا) والهاء للتنبيه .

● **القارىء / يسرى صابر فنجر ـ الطالب بكلية الشريعة والقانون .**

كلمتكم عن « الإنسان فى ظل العلمانية والأنظمة الوضعية » تبين لنا مدى التخبط الذى وقع فيه أولئك الذين عميت قلوبهم وأبصارهم ، ولعلنا لسنا فى حاجة إلى الرد على مزاعمهم الفاسدة بعد أن أصبح العالم فى هذا العصر يشهد

ذيوع الإسلام وانتشاره فى كافة أنحاء الدنيا ، وبخاصة فى أقاليم أوربا وأمريكا ، إذ يدخل حملة الشهادات العالية ، والمتخصصون فى العلوم والآداب فى هذا الدين - دين الاسلام - الذى جاء من عند الله - عز وجل - ليظهره على الأديان

● **القارىء/ ربيع عبد الرءوف الزواوى - من الأسكندرية - المانوفيل .**

مبحث التأمين للدكتور/ عبد الله النجار ، لم ننته بعد من نشر مباحثه ، وسوف ننتظر تعقيبكم بعد نشره كاملا ، فلعل أحكامه بعد تمامه تكون قد شفت الغليل وروت العليل . والذى نلفت النظر إليه أن البحث سوف يعقب بأحكام الإسلام تفصيلا بشأنه .

● **القارىء / محمد عبده عبد القادر نجم .. رئيس الشئون القانونية بإدارة السنبلاوين التعليمية .**

تلقينا رسالتكم بتقدير بالغ ونشكركم على غيرتكم على مجلة الأزهر ومتابعتكم لها وسترون ما يسركم بمشيئة الله - تعالى :

● **القارىء / شحاته أحمد أبو بكر - بنى سويف - ببا .**

فيما يتعلق برغبتكم الملحة فى نشر أشعار الإمام الفقيه الأصولى ابن حزم ، لا سيما قصيدته فى الدفاع عن الإسلام ، فإننا نود من سيادتكم إرسالها لنا ، فإن الوقت لايسمح لنا بالبحث

● **القارىء / محجوب كامل محمود - بكلية آداب سوهاج - جامعة جنوب الوادى .**

تلقيت بتقدير بالغ كلماتك الطيبة المعبرة ، وكم أرجو الاهتمام بتخريج الأحاديث النبوية وبيان المصدر العلمى لها كاهتمامكم ببيان موقع الآيات

● **القارىء/ أحمد محمود الطباخ - المدرس بالأزهر - أبو حمص - بحيره .**

● **القارىء / معوض أحمد حماد - مدرس العلوم بمعاهد الأزهر .**

بالفعل مجلة الأزهر هى أقرب الصحف لنشاط الأزهر وجامعته ومعاهده ، نسأل الله - تعالى - أن ييسر لنا قريباً متابعة ونشر ما يحصل بذلك من أخبار ، وفيما يتعلق بمقترحاتكم الأخرى ، فهى محل عنايتنا وتقديرنا .

● **القارىء / وسيم عبد العليم عزب - المدرس بشمال سيناء - العريش .**

نرجو أن يتسع لكم الوقت لتحقيق هذه المسألة ، فليست لدينا المراجع اللازمة لها .

● **القارىء/ محروس عبد الفتاح ياسين - حى السلام بالاسماعيلية .**

نشرنا ما تيسر من المعادلة الأربعة ، رجاء الاهتمام بذكر المصادر العلمية .

● **القارىء / عبد القادر نوح أرسلان - قنا - قوص - الكلاله .**

قصيدتكم فى مدح الرسول ﷺ على ما تضمنته من القدرة على التصوير والتعبير ، إلا أن أوزانها تحتاج إلى بعض العناية لتستقيم أبياتها ، خالص التقدير ، وفى انتظار إبداعاتكم الأخرى

● **القارىء / إيهاب محسن بيومــى - من مشتول السوق بالمراغة شرقية .**

« هذا بيان للناس » كتاب الأزهر - جزآن ، يباع بمركز مبيعات الكتب بإدارة التوريدات بنهاية حنيهات ، خلف مدينة البعوث بالقاهرة

● **وبمشيئة الله - تعالى - يواصل الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى تلقاها ويتلقاها تباعاً .**



تقدير الأستاذين / عمر البسطويسى ● مصطفى عبد المجيد

الحمد لله على نعمة الشفاء

أجريت لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف مساء يوم الثلاثاء ٢١ نوفمبر ١٩٩٥ م عملية جراحية دقيقة بقسم الرمد بمستشفى عين شمس التخصصى .

وقد صرح الفريق الطبى الذى قام بإجراء العملية الجراحية لفضيلته بإشراف الأستاذ الدكتور ممدوح سلامة بأن العملية الجراحية تمت بنجاح والحمد لله .

توافد على المستشفى كبار رجال الدولة والمسئولون والعلماء ورجال الدين الإسلامى والمسيحى ، وكان على رأس هؤلاء مندوب السيد رئيس الجمهورية والسيد الأستاذ الدكتور عاطف صدقى رئيس مجلس الوزراء .

وقد غادر فضيلته المستشفى إلى فترة نقاهة ويستأنف بعون الله ـ تعالى ـ بعدها العمل فى القريب العاجل .

الإمام الأكبر يستقبل سفير الكويت بالقاهرة

استقبل فضيلته قبل مرضه صباح ١٣ من جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ الموافق ٦ نوفمبر ١٩٩٥ م بمكتبه سعادة السفير فيصل عبدالرازق الخالد سفير دولة الكويت بالقاهرة .

فى بداية اللقاء نقل الضيف لفضيلة الإمام الأكبر تحيات سمو أمير دولة الكويت ، وشكره للأزهر الشريف على ما يقدمه لدولة الكويت من إيفاد للمدرسين والعلماء ، وكذلك نقل الضيف شكر أمير الكويت لمصر على ما تقدمه من إسهامات فى مختلف التخصصات منذ إنشاء دولة الكويت . وأكد الضيف على أن الكويت تضع جهودها من خلال صندوق التنمية الكويتى وغيره لخدمة المشاريع الإسلامية فى مختلف الدول الإسلامية ودعما للأقليات الإسلامية بمختلف بلاد العالم مشيراً فى هذا الصدد إلى المجهودات المبذولة بالتعاون مع الأزهر الشريف لخدمة الدول الإسلامية مثل : إندونيسيا وباكستان والأقليات من خلال المشروعات التنموية المختلفة كما أشار سيادته إلى دور الأزهر الشريف البارز فى مجال نقل الخبرات العلمية لهذه الدول بمختلف دول العالم .

الإمام الأكبر يستقبل وفد نيجيريا

استقبل فضيلته ـ نفس اليوم ـ بمكتبه الوفد النيجيرى برئاسة سماحة الشيخ إدريس أمير آزاريا من كبار الشخصيات الإسلامية النيجيرية .

فى بداية اللقاء نقل رئيس الوفد لفضيلة الإمام الأكبر تحيات الجنرال سانى أباتشا رئيس الجمهورية ، كما نقل شكر مسلمى نيجيريا على الدور الكبير الذى يقوم به الأزهر لخدمة الإسلام والمسلمين من خلال إيفاد العلماء والمدرسين وتقديم المنح الدراسية لطلاب العالم الإسلامى .
تناول اللقاء بحث سبل التعاون بين الأزهر الشريف والمسلمين فى نيجيريا من خلال تقديم المنح الدراسية بالكليات العلمية بجامعة الأزهر الشريف ، وتقديم المساعدة فى تسهيل تدريب بعض المهندسين النيجيريين فى مجال الرى والطيران المدنى لحاجة نيجيريا لذلك .

الإمام الأكبر يلتقى بوفد مجلة الشباب

التقى فضيلته صباح الاثنين ٢٠ من جمادى الآخرة ١٤١٦هـ الموافق ١٣ نوفمبر ١٩٩٥م بوفد مجلة الشباب الذى يمثل مختلف محافظات الجمهورية ، برئاسة السيدة : راوية سالم نائبة عن السيد رئيس تحرير المجلة .

تناول اللقاء : التعريف بالأزهر الشريف ودوره الحيوى فى العالم ، ونبذه عن سيرة فضيلته العلمية ووظائفه القيادية ، ثم قام فضيلته بالرد على الأسئلة والاستفسارات التى طرحها الشباب فى مختلف الموضوعات الفقهية والشرعية والدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية ، ومنها : دور الأزهر الشريف فى الأحداث الجارية ، وقضية القدس ، واختلاف الفقهاء فى بعض الفتاوى ، وظاهرة التطرف والعلاج الناجع لها ، وطاعة أولى الأمر ، وخطبة الجمعة وقوافل التوعية الدينية ، وموقف الغرب المعادى للإسلام ، وحكم الإسلام فى العمليات التى تقوم بها شركات التأمين وشهادات الاستثمار وفوائد البنوك ومرتبات العاملين فيها ، والحكم الشرعى لتعليم طلاب كليات الطب على الأجزاء البشرية وهياكلها ، ورأى الدين فى السينما والتليفزيون والمسرح والغناء وغيرها .

وفى نهاية اللقاء وجه فضيلة الإمام الأكبر للوفد النصح والإرشاد ، ودعاهم إلى الإخلاص فى العمل وبذل الطاقة والتحمل بالصبر والأمانة ، حتى يكونوا قدوة لغيرهم من الزملاء وعيا وفكرا ومنهجا ..

الإمام الأكبر يستقبل وفد غينيا كوناكرى

كذلك استقبل فضيلته بمكتبه ظهر يوم الثلاثاء الموافق ٢١ جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ ١٤ نوفمبر ١٩٩٥ م وفد غينيا كوناكرى برئاسة سماحة الشيخ إبراهيم باه زعيم المسلمين وإمام المسجد الكبير بغينيا كوناكرى والوفد المرافق له .

فى بداية اللقاء نقل الضيف لفضيلة الإمام الأكبر تحيات وشكر السيد رئيس جمهورية غينيا كوناكرى على ما يقدمه الأزهر الشريف وفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف من دعم للمسلمين هناك وفى جميع أنحاء العالم .

وقد تم خلال اللقاء بحث عدة موضوعات تهم المسلمين ببلاده : تتعلق بتنظيم الأسرة والختان

والإجهاض . وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر على كافة أسئلة الضيوف واستفساراتهم فى هذه القضايا .

وفى نهاية اللقاء أمد فضيلته الوفد بنسخة من فتاوى الأزهر الشريف فى الختان ، وقرار مجمع البحوث الإسلامية فى هذا الشأن .

وكيل الأزهر يلتقي سفير الفاتيكان بالقاهرة

التقى فضيلة الشيخ/ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه بالسيد/ يولو جوليو سفير الفاتيكان بالقاهرة الذى قدم شكر الفاتيكان للأزهر الشريف على مشاركة ممثليه فى لقاء روما التمهيدى لأعمال مؤتمر بكين الذى انعقد فى يونيو ١٩٩٥م الماضى .

وقد تقدم السيد السفير الضيف بطلب تشكيل لجنة مصغرة من الأزهر الشريف والمجلس الأعلى البابوى للحوار بين الأديان لوضع أسس التعاون والحوار المشترك . وسلم الضيف لفضيلة الوكيل رسالة خطية مرسلة إلى فضيلة الإمام الأكبر أعرب فيها عن شكر المجلس البابوى لفضيلته على ما قدمه فى مجال التعريف بالإسلام والقيم الدينية .

وفى نهاية اللقاء أعرب السيد السفير عن شكر المجلس البابوى على تعاون الأزهر الشريف فى مجال الحوار والتعرف بين الأديان . وصولا للتفاهم المشترك..

وكيل الأزهر يلتقي سفير بروناي بالقاهرة

التقى فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف بمكتب فضيلته بالسيد بهوا داتو حاج سليمان سفير بروناى بالقاهرة صباح السبت الموافق ٢٥ جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ ١٨ نوفمبر ١٩٩٥ م

تم خلال اللقاء بحث سبل دعم التعاون المشترك بين الأزهر الشريف ودولة بروناى وقد قدم الضيف شكر بلاده حكومة وشعبا لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ما يقدمه الأزهر من دعم لدولة بروناى فى مجال الخدمات العلمية والتعليمية ، كذلك امتدح الضيف دور بعثة الأزهر الشريف فى دولة بروناى وما تقوم به من دور فعال لأبناء المسلمين هناك وقد أعرب السيد السفير عن سعادته للصورة المشرفة التى يحظى بها أبناء بروناى من خريجى الأزهر الشريف مشيرا فى هذا الصدد إلى أنهم يشغلون فى بلادهم المناصب الهامة والقيادية بمختلف قطاعات الدولة .

مصر تتبرع للاجئي البوسنة

تقدمت مصر للاجئين من مسلمى البوسنة والهرسك المقيمين فى معسكرات المجر بما تراه واجبا عليها من حق نحو اللاجئين ، فقد وافق فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق والدكتور محمد على محجوب وزير الأوقاف على تقديم مساعدات مالية لضحايا العدوان الصربى .

قام سفير مصر فى بودابست مختار الحمزاوى بتسليم شيكات التبرع إلى لجنة مسلمى البوسنة فى حضور إمام الجامع الإسلامى بالمعسكر .

هذا وقد تلقى مكتب فضيلة الإمام الأكبر

شيخ الأزهر الشريف رسالته من السيد السفير مدير شئون البلقان وجنوب أوروبا بوزارة الخارجية يفيد بأن السيد سفير جمهورية مصر العربية فى بودابست قام بتسليم (شيك) المساعدة يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٩٥ م إلى اللجنة الثلاثية الممثلة للاجئى البوسنة بالمجر .

برقيـــــــات

بعث فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ببرقيات عدة ، منها برقية إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية إثر حادث التفجير الذى وقع بمدينة الرياض ، وأودى بحياة الأبرياء عبر فيها فضيلته الإمام الأكبر عن استنكاره لهذا العمل الإجرامى الذى لا يصدر إلا عن نفوس شريرة خبيثة ، داعيا الله ـ عز وجل ـ أن يحفظ المسلمين من كل مكروه وسوء .

كذلك بعث فضيلته ببرقية مماثلة للأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء السعودى .

وقد تلقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف برقيتى شكر من خادم الحرمين الشريفين وصاحب السمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز ، عبرا فيهما عن خالص شكرهما للمشاعر الطيبة الصادقة التى حملتها برقيات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لكل منهما .

كذلك بعث فضيلته ببرقية عزاء إلى خادم الحرمين الشريفين فى وفاة سمو الأمير محمد هذا نصها :

خادم الحرمين الشريفين/ الملك فهـد بن عبدالعزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلقيت ببالغ الأسى والحزن نبأ وفاة صاحب السمو الأمير محمد بن سعود بعد حياة حافلة بالخير والعطاء فى سبيل الإسلام والمسلمين . وإذ نعزيكم فى مصابكم ..

ندعو الله سبحانه وتعالى أن يسكنه فسيح جناته .

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۝ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۝ ﴾

سورة الفجر

وقد تلقى فضيلته برقية شكر من خادم الحرمين الشريفين على برقية العزاء التى بعث بها فضيلته .

وتلقى فضيلة الإمام الأكبر برقية من السيد الرئيس سوهارتو ، شكر فيها فضيلته مواساته فى الزلزال الذى ضرب سومطرة هذا نصها :

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد

فأود أن أعرب عن تقديرى لمشاعركم

الكريمة وتعزيتكم فى المأساة المدمرة التى ضربت جزيرة سومطرة وتسببت فى فقد عدد هائل من الأرواح والممتلكات .

إن تعبيركم بالتعزية الخالصة لها تقديرها التام وخاصة من الضحايا والأسر المنكوبة .

وتقبلوا فضيلتكم خالص اعتبارى

وبالله التوفيق والهداية

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سوهارتو

رئيس جمهورية اندونيسيا

مؤتمـــــرات

بعث فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق نائب رئيس جامعة الأزهر الشريف ، والأستاذ الدكتور على على أحمد شعبان الأستاذ المساعد بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر الشريف ؛ لحضور المؤتمر المنعقد فى مدينة نابولى بإيطاليا وينظمه معهد سورارسولا تينكازا .

يناقش المؤتمر أوجه الخلاف فى الأديان السماوية الثلاثة فى المدة من ١٣ : ١٥ ديسمبر ١٩٩٥ .

كذلك أناب فضيلته الأستاذ الدكتور مصطفى محمد على الشكعة عضو مجمع البحوث الإسلامية ، وفضيلة الشيخ عبدالحكيم عبداللطيف عبدالله ، الموجه الأول لشئون القرآن الكريم بقطاع المعاهد الأزهرية لحضور الاحتفال الذى يقام بمدينة كيب تاون ـ بجنوب إفريقيا بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس مسجد الحبيبة الصدفية ، والذى يشرف عليه فضيلة رئيس مسجد الحبيبة لكيب تاون .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدي عبد الحميد بشير

دمشق

أكد الرئيس السوري أن سوريا جادة في عملية السلام وملتزمة بها وبأسسها وعازمة على بذل الجهد للوصول للهدف الموضوع لها . جاء ذلك خلال اتصال هاتفي تم مساء الأثنين ١٨ من رجب ١٤١٦ هـ بينه وبين الرئيس الأمريكي حيث دار الحديث حول عملية السلام .

وأكد الرئيس كلينتون التزام الولايات المتحدة بعملية السلام وأعلن أنه سيرسل وزير خارجيته إلى العاصمة السورية لإطلاع المسئولين السوريين على جهود أمريكية تبذل لدفع عجلة السلام إلى الأمام .

الريـــــاض

نفت المملكة العربية السعودية الأنباء المغرضة التي زعمت أن القوات السعودية ـ حاولت التوغل داخل الأراضي اليمنية أو تحركت قرب الحدود .

وأكد مصدر سعودي مطلع في وزارة الدفاع والطيران : أن النبأ الذي بثته وكالة « أسوشيتد برس » حول التوغل المزعوم في أراضي اليمن الشقيق نبأ عار من الصحة تماماً ويفتقر إلى الدقة والموضوعية .

واختتم المصدر تصريحه قائلا .. إن السعودية حريصة على التعاون مع الأشقاء في اليمن انطلاقاً من مذكرة التفاهم المشترك التي وقعها البلدان.

هذا .. وتفيد آخر الأنباء المتعلقة بصحة الملك فهد أن العاهل السعودي مصاب بشلل نصفي وهو في طريقة إلى الشفاء إن شاء الله .

المنامــة

استقبل أمير البحرين وزير الدولة الكويتي لشئون مجلس الوزراء والتخطيط أثناء زيارته للمنامة الشهر الماضي حيث تم تبادل الآراء ووجهات النظر خلال اللقاء حول آخـر المستجدات على الساحة الخليجية والعربيـة

والقضايا ذات الاهتمام المشترك وقد تمت موافقة مجلس العموم البريطاني على مشروع القرار الخاص بالحد من طلبات اللجوء السياسي بغير وجه حق إلى انجلترا ، حيث كانت الحركات المناوئة لأنظمة الحكم في تلك البلدان تجد هناك المأوى والتأييد الذي يقوي بذور الشقاق .

باريس

قام وزير الخارجية المصري بزيارة لفرنسا دامت ثلاثة أيام شارك خلالها في اجتماعات مجموعة الاتصال الإسلامية الخاصة بالبوسنة ، والاجتماع المشترك للجنتي الاتصال الإسلامية والدولية .

كما شارك سيادته في الاحتفال الرسمي الذي استضافته العاصمة الفرنسية يوم الخميس ٢١ من رجب الماضي للتوقيع النهائي على الاتفاق الخاص بتحقيق السلام في البوسنة والذي وقعه بالأحرف الأولى كل من : رؤساء البوسنة والكروات والصرب ، وذلك في مدينة دايتون بولاية أوهايو بأمريكا .

هذا .. وأكد السيد عمرو موسى استعداد مصر للمشاركة في القوة متعددة الجنسيات لحفظ السلام في البوسنة وتأتي هذه المهام الدبلوماسية المصرية امتدادا لمواقف سابقة إزاء البوسنة . فقد شاركت مصر بجنات الجنود في قوة الأمم المتحدة لحفظ السلام في البوسنة ورحبت بتشكيل قوة انتشار عربية لمساعدة قوات المنظمة الدولية .

كما اتجهت مصر لتشكيل مجموعة اتصال إسلامية وذلك أثر تخاذل حلف الأطلنطي في مواجهة التغطرس الصربي .

الصين

أكد سفير الصين في القاهرة أن العلاقات المصرية الصينية تشهد حاليا نموا مطرداً بفضل جهود الرئيس حسني مبارك والزيارات المتبادلة بين كبار المسئولين في البلدين . وأعرب عن أمله في أن تشهد هذه العلاقات تقدما كبيرا في المستقبل خصوصا في المجال الاقتصادي والتجاري .

وجدد سيادته تأييد بلاده لمسيرة السلام في الشرق الأوسط وقال : إن بلاده كانت أول من أيد اتفاق «أوسلو» للسلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين وقررت فتح مكتب لتمثيل صيني في غزة ، وتمنى المسئول الصيني تحقيق تقدم مماثل في عملية السلام على المسارين: السوري واللبناني.

والجدير بالذكر أن أعداد المسلمين في الصين في ازدياد مطرد .

الشيشان

نظم أنصار الرئيس الشيشاني جوهر داود صباح الاثنين ١١ ديسمبر ١٩٩٥ مظاهرة حاشدة وسط العاصمة جروزني وذلك في ذكرى مرور عام على الحملة العسكرية الروسية الغاشمة لاجتياح الجمهورية المسلمة التي أعلنت استقلالها عن روسيا الاتحادية .

وطالب المتظاهرون بخروج القوات الروسية المعتدية وإلغاء الانتخابات المزمع إجراؤها هناك يوم الأحد ٢٤ من رجب .

هذا .. وأكد الرئيس الشيشاني أن المقاتلين

الشيشان سيواصلون قتالهم ضد القوات الروسية الغازية مالم تتحقق مطالبهم .

والمعروف أن السيـــد رسلان حزب الله طوف ـ وهو شخصية هامة فى البرلمان الروسى ـ قد أعلن انسحابه من تلك الانتخابات .



أوضح السيد رئيس بلدية قلقيليا أن القوات الإسرائيلية ستقوم بإخلاء مواقعها فى المدينة يوم الأحد ٢٤ من رجب ١٤١٦هـ .

وأشار سيادته فى حديث خاص لإذاعة صوت العرب إلى أن أجواء الفرحة والبهجة تعم الشارع الفلسطينى الذى يستعد لاستقبال قوات الشرطة الفلسطينية العائدة إلى مدن الضفة مؤكدا أن قلقيليا ستشهد يوما تاريخيا مع انسحاب القوات الإسرائيلية .

وقال المسئولون هناك : إن الجيش الاسرائيلى انسحب قبل الموعد المحدد تحاشيا للاحتجاجات التى يمكن ان يقوم بها المناوئون لعملية السلام .

والجدير بالذكر أن نابلس ـ أكبر مدن الضفة الغربية ـ هى ثالث مدينة تُسَلَّمُ مقاليد الحكم فيها للسلطة الفلسطينية .

ومن المقرر أن تنسحب إسرائيل من ثلاث مدن أخرى بنهاية هذا العام .

إلى حضرات الكتـــاب

عادت شيكات عدة ـ فى الأشهر الأخيرة ـ للسادة الكتاب أرسلتها إليهم مراقبة الحسابات بمجمع البحوث الإسلامية المختصة ـ وحدها ـ بصرف المكافآت ، حيث لا علاقة لإدارة مجلة الأزهر بالصرف ، ولوحظ أن الشيكات عادت دون صرفها ، لذا نوضح للسادة الكتاب :

أن مراقبة حسابات المجمع تتعامل مباشرة مع بنك مصر فرع الأزهر بشارع الأزهر ، ولا مشكلة فى إعداد الشيك على هذا البنك اطلاقاً .

ويمكن إعداد شيك المكافأة للسيد الكاتب على أى بنك شريطة أن يكون له به رقم حساب يمُدُّ به مجلة الأزهر التى سترفعه بدورها إلى إدارة الشئون المالية والإدارية بمجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ـ مدينة نصر ـ موضحاً فيه أنه كتب مقالاً بالمجلة شهر كذا .

فيما عدا هاتين الحالتين ، فإن الصرف يتم عن طريق خزانة مجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر ، وقد أوضحت إدارة مجلة الأزهر للسادة الكتاب عدم مسئوليتها عن صرف المكافآت ، إذ هى جهة تقدير المكافأة لاصرفها .

وأيضا نلفت كريم نظر الكاتب إلى ضرورة بيان الأمور الثلاثة التالية :

الاسم الثلاثى ـ العنوان ـ جهة العمل . وذلك تسهيلاً لصرف المكافأة التى يتم صرفها فى حدود عشرين يوما من تاريخ النشر .

إدارة مجلة الأزهر

le coup qui fut si fort qu'elle saigna. Elle lui dit en pleurant: "Nous nous sommes soumis à Allah! Fais ce que tu veux". La vue du sang sur le visage de sa soeur attendrit le coeur de 'Omar qui essaya de consoler sa soeur en lui disant: "Faites-moi entendre ce que vous lisiez". Khabab sortit de sa cachette en espérant un augure favorable et il lut: [Ta - Ha (1)

— Nous n'avons pas fait descendre sur toi le Coran pour que tu sois malheureux (2).

— Mais comme Rappel pour quiconque craint Allah (3).

— Comme une Révélation de Celui qui a créé la terre et les cieux sublimes (4).

— Le Tout Miséricordieux s'est établi sur le Trône (5).

— A lui appartient ce qui est dans les cieux, sur la terre, ce qui est entre eux et ce qui est sous le sol humide (6).

— Et si tu élèves la voix, Il connaît certes les secrets; même les plus cachés (7).

— Allah! Point de divinité que Lui, Il possède les noms les plus beaux (8).] Sourate Taha.

Les larmes coulèrent des yeux de 'Omar et dit: "Rensignez-moi sur le lieu où se trouve Mohammed". Rapporté par Anas et Ibn Ishak.

Voilà comment Saïd a été la cause de la conversion de 'Omar qui sera plus tard le prince des croyants et un modèle de justice pour ceux qui veulent suivre le chemin des hommes pieux.

les enterrer vivantes. Il pourvoyait à leur subsistance et, lorsqu'elles grandissaient, il les rendait à leurs parents si ces derniers le désiraient.

C'est dans la lumière de la foi qui éclairait cette maison que Saïd Ibn Zaïd vit le jour. Il grandit en adorant un seul Dieu, ne se prosterna devant aucune des statues et ne mangea que de ce qui est licite; c'est pour cela qu'il fut appelé "le monothéiste le fils du monothéiste". Ceci nous explique pourquoi il se dépêcha d'embrasser l'Islam lorsqu'il apprit que Mohammed (b.s.) était chargé du Message. Zaïd, son père mourut avant la mission du Prophète (b.s.).

Saïd Ibn Zaïd était réputé durant toute sa vie pour la noblesse de son caractère, son dévouement et sa loyauté.

La communauté islamique toute entière lui doit l'honneur de la conversion de 'Omar Ibn Al-Khattab. Mais comment cela arriva-t-il ? Saïd était parmi les premiers convertis à l'Islam et il se référait pour l'étude du Coran à l'un des premiers convertis nommé: Khabab Ibn Al-Arat. Saïd était marié à Fatima bent Al-Khattab, la soeur de 'Omar Ibn Al-Khattab. Fatima était le meilleur appui pour son mari, elle étudiait le Coran avec lui, préparait les repas pour son mari et ses invités.

Au début, l'Islam se répandit secrètement parmi les jeunes: les affranchis, les esclaves et les personnes libres. Les chefs du Koraïch voulurent éliminer ce danger qui les menaçait et risquait de détruire leur pouvoir. Omar était parmi ceux qui s'acharnèrent contre le Prophète (b.s.). Un jour, il sortit de sa maison, l'épée à la main avec l'intention de tuer le Prophète (b.s.). Un homme alla à sa rencontre et lui demanda: "Où vas-tu?". "Je vois, répondis Omar, tuer celui qui a méprisé nos rêves, a maudit nos idôles et à éloigné le fils de son père". L'homme lui dit: "Commence par ta famille, Omar: ta soeur s'est convertie ainsi que son mari". Plein de colère, il se rendit chez sa soeur; là, il entendit une certaine récitation, ce qui le poussa à frapper la porte violemment. Khabab se réfugia dans un des coins de la maison, Fatima ouvrit la porte et Saïd s'interposa entre sa femme et son beau-frère. Omar demanda l'explication de ce qu'il avait entendu; comme ils refusèrent de répondre, Omar leva la main pour gifler son gendre; celui-ci recula et Fatima reçut

Saïd Ibn Zaïd Ibn Nofaïl

Le monothéiste, fils du monothéiste

par Hoda Hussein Chaâraoui

Nous sommes à la Mecque durant l'époque pré-islamique. Le paganisme règne partout: les arabes se prosterment devant les statues déposées autour de la Ka'aba, immolent leurs offrandes en invoquant les noms de leurs idôles, consultent leur sort au moyen des flèches, pratiquent l'usure et enterrent leurs filles vivantes.

Mais où est donc la religion transmise par le Prophète Ibrahim ? N'y a-t-il pas de vrais croyants qui suivent les traces de cette religion ? Non: en effet, il n'y a pas de vrais croyants qui adorent exclusivement le Seigneur et respectent ses prescriptions à l'exception de Zaïd Ibn Amr Ibn Nofaïl. Asma' fille d'Abou Bakr a dit: "J'ai vu Zaïd le dos appuyé contre la Ka'aba dire: Ô peuple de Koraïch! Je suis le seul parmi vous qui professe la religion d'Ibrahim". Rapporté par Al-Bokhary. Zaïd ne se prosterna jamais devant une statue, refuta les actes de son peuple et immola au nom de Son Seigneur. On raconte que, du vivant du Prophète (b.s.) avant sa mission, des gens présentèrent au Prophète (b.s.) et à Zaïd de la nourriture contenant de la viande. Le Prophète (b.s.) s'abstint d'en manger, Zaïd fit de même et leur dit: "Je ne mange pas ce qui a été immolé au nom de vos idôles, je ne mange que ce qui a été immolé en invoquant le nom de mon Seigneur". Rapporté par Al-Bokhary.

Zaïd reprochait à Koraïch leurs offrandes aux idôles et leur disait: "La chèvre est une créature d'Allah, il a fait descendre de l'eau du ciel pour l'en abreuver, il a fait pousser des plantes pour la nourrir et vous l'immoler pour un autre que Lui négligeant Sa majesté et reniant Son pouvoir?". Rapporté par Al-Bokhary. On raconte aussi que sa maison était pleine de filles qu'il sauvait des mains de leurs pères qui voulaient

santé de l'individu et de la société: par une propreté corporelle — qui est l'un des fondements du culte — grâce aux ablutions et à la lotion (bain entier pour la purification), à l'usage de la tige sèche (Siwak) pour brosser les dents, ainsi que les gargarismes (durant les ablutions).

De plus, le Prophète — à lui bénédiction et salut — a recommandé la modération dans la consommation des aliments, ainsi que la nécessité de mastiquer lentement, de se lever les mains avant et après les repas et de se rincer la bouche.

L'Islam a également insisté sur la propreté des vêtements et du lieu où l'on se trouve: le principe de quarantaine médicale en période d'épidémie pour éviter la contagion, le fait d'éviter les lieux infectés, la préservation de l'environnement des excréments humains pour éviter la propagation des bactéries.

Toutes ces pratiques de l'Islam ont précédé de loin tout ce que les civilisations humaines ont fini par découvrir et qui sont les raisons de toutes ces législations contenues dans le Coran et la Sunna du Prophète — à lui bénédiction et salut — et que tout musulman doit observer.

période d'allaitement jusqu'à deux ans, ce qui concorde avec le verset suivant :

[Les mères allaiteront leurs enfants deux années entières pour celles qui veulent leur donner un allaitement complet]

Sour. "Al Baqara" (La Vache) v.233.

17- Les aliments et l'hygiène :

Le Coran insiste sur l'importance du miel en tant que remède

[Il sort de leurs entrailles une boisson aux couleurs diverses et où se trouve un remède pour les humains]

Sour. "Al Nahl" (Les Abeilles) v.69.

Or, la médecine moderne a découvert les multiples usages et la valeur incomparable du miel en tant que remède, mais aussi pour la prévention contre certaines maladies et même comme antiseptique pour les plaies.

D'un autre côté, on est en train de découvrir, jour après jour, les raisons médicales qui justifient la prohibition de certains aliments et des boissons alcooliques par la jurisprudence islamique. Ces prohibitions s'appliquent aux animaux morts, au sang liquide et à la viande de porc. De plus, l'Islam insiste sur la nécessité d'égorger l'animal de manière à laisser le sang s'écouler.

Le Coran a également prohibé l'adultère ainsi que l'homosexualité qui représentent un grand danger tant social et psychologique que médical (Comme étant l'un des facteurs de propagation du SIDA et d'autres maladies vénériennes).

Il interdit également les rapports sexuels entre époux durant la période des menstrues.

D'autre part, le Prophète -b.s.- a signalé plusieurs règles d'hygiène jugées essentielles par la médecine moderne pour la protection de la

[Nous vous avons créés de poussière, puis d'une goutte liquide, puis d'une adhérence, puis d'une masse charnue, ayant pris ou non une forme]

Sour. "Al Hadj" (Le Pèlerinage) v.5.

[Puis Nous en avons fait une goutte de sperme solidement implantée; puis, de cette goutte, Nous avons fait une sorte de sangsue, puis, de cette sangsue, Nous avons fait une masse de chair et, de cette masse, des os; ensuite Nous avons revêtu les os de chair; alors Nous en fîmes une autre créature].

Sour. "Al Mu'minûm" (Les Croyants) v.13-14.

Tout au long de la grossesse, l'embryon flotte dans un liquide qui lui assure toute la nourriture dont il a besoin. Ce liquide est retenu dans une membrane solide (amnios) qui puise la nourriture au moyen d'une seconde membrane (le placenta) qui assure l'approvisionnement de l'embryon en matières nutritives utiles tout en le débarrassant des déchets qui sont rejetés sur la paroi de la matrice. Cette dernière est tapissée d'une troisième membrane spongieuse et hypertrophiée (La membrane allantoïde) Ces trois membranes sont décrites par le verset suivant :

[Il vous créé dans les ventres de vos mères, création après création, à l'intérieur de trois ténèbres]

Sour. "Al Zumar" (Les groupes) v.6.

16- L'Allaitement :

Les versets coraniques recommandent d'allaiter le nouveau-né durant deux années entières. Or, ceci concorde exactement avec les principes de la médecine moderne qui insiste sur l'importance primordiale de l'allaitement au sein. Ce dernier contient une valeur nutritive à laquelle aucune autre lait n'est comparable; de plus il convient parfaitement à la croissance du nourrisson, tout en fournissant au bébé les antidotes nécessaires pour son immunité contre les maladies et les allergies. Ajoutons que la science moderne a confirmé la nécessité de prolonger la

[Nous avons créé l'homme à partir d'une goutte de sperme hétérogène]

Sour. "Al Insân" (L'Homme) v.2.

Un seul spermatozoïde parmi des milliers d'autres réussit à féconder l'ovule. Les versets font allusion à cette quantité minime :

[N'était-il pas une goutte de sperme éjaculé?]

Sour. "Al Qiyama" (La Résurrection) v.37.

Dans la langue, le terme "Nutfa" signifie" trace" ou infime quantité d'un liquide. C'est pour cette raison également qu'il est scientifiquement impossible — sauf pour Allah — de déterminer à l'avance le sexe de l'embryon, avant que son corps n'ait atteint un certain degré de développement. Par là, nous pouvons nous rendre compte de la véracité du Coran dans ce verset — et dans plusieurs autres qui développent la même idée :

[Allah sait ce que porte chaque femelle].

Sour. "Al Ra'd" (Le Tonnerre) v.8.

Aussitôt que l'ovule est fécondé, il revient à l'utérus où il s'implante dans sa paroi et s'y "suspend" au moyen de cellules qui y adhèrent. Or, ceci confirme la véracité du discours coranique qui mentionne la création de l'homme à partir d'une "adhérence" :

[Lis au nom de ton Seigneur qui a créé!
Il a créé l'homme à partir d'une adhérence]

Sour. "Al'Alaq" (L'Adhérence) v.1-2.

Ensuite ou trouve les versets suivants qui exposent le développement du foetus qui devient un morceau de chair "Mudgha", chose mâchée sans forme définie où commencent à apparaître graduellement les différents organes: on a ainsi un mélange de parties non formées et d'autres encore formées. Puis les cellules cartilagineuses commencent à apparaître pour évoluer plus tard et former la structure osseuse. Ensuite ces os se couvrent graduellement de muscles. Comparons cela à ce qui est dit dans les versets suivants :

[Etablissez vos demeures dans les montagnes, dans les arbres et les ruches]

[Puis mangez de tous les fruits et suivez ainsi docilement les voies de votre Seigneur]

Sour. "Al Nahl" (Les Abeilles) v.68-69.

L'eau est à l'origine de la vie de tout ce qui existe: les humaines les animaux et les végétaux et même les créatures microscopiques.

Or, ceci a été affirmé il y a plusieurs siècles dans le Coran :

[Allah a créé tous les êtres vivants à partir de l'eau]

Sour. "Al Nûr" (La Lumière), v.45.

[Nous avons créé, à partir de l'eau, toute chose vivante]

Sour. "Al Anbiya" (Les Prophètes) v.30.

Le Coran a également décrit minutieusement la mécanique de la formation du lait chez les animaux, tels les vaches et les chèvres: les aliments digérés se transforment en sang, en lait et en excréments. On peut voir cela dans le verset suivant :

[Nous vous abreuvons de ce qui est dans leur ventre, entre les excréments[1] intestinaux et le sang: un lait pur et délicieux à boire]

Sour. "Al Nahl" (Les Abeilles) v.66.

15- L'Embryologie :

Les versets coraniques parlent de la formation et des phases du développement de l'embryon. On y trouve une description minutieusement conforme à la science moderne de l'embryologie. La conception a lieu à partir de la rencontre d'une cellule du sperme mâle avec un ovule femelle qui se combinent tous deux pour former une cellule fécondée. Les caractéristiques génétiques sont déterminées en fonction des chromosomes respectifs combinés ensemble.

Le Coran nous apprend à ce sujet :

(1) Le mot arabe "Farth" désigne le "chyme" qui désigne les excréments de l'appareil digestif.

Les Preuves Scientifiques de l'Islam.

Extrait de l'ouvrage

Traduit par Dr. Rokeya Gabr

(Suite)

14- Le monde animal: la Zoologie :

Les récentes études portant sur la vie des animaux a confirmé qu'ils existent en très grande diversité et que les savants ont divisés en espèces, en classes, en catégories, en familles etc. Chacune de ces variétés forme une communauté indépendante où règnent des relations, des coutumes et un langage, exactement comme dans les communautés humaines, ce qui confirme ce verset :

[Il n'y a pas de bête sur la terre, ni d'oiseau volant de ses ailes qui ne vive, comme vous, en communauté]

Sour. "Al An'am" (Le Bétail) v.38.

Celui qui observe le comportement des animaux, des oiseaux, des poissons et des insectes, et la réaction de chacun en fonction de son environnement, leur coopération et leurs conflits, peut s'assurer des vérités établies par ces versets :

[Celui qui a créé et formé harmonieusement, puis qui a fixé les destins et les a dirigés]

Sour. "Al A'la" (Le Très-Haut) v.2-3.

[Notre seigneur est celui qui a doté chaque créature de sa forme, puis qui l'a guidée]

Sour. "Ta-Ha" v.50.

Voici également ce qui a été dit dans le Coran au sujet des abeilles :

REVUE AL-AZHAR

Vol. 68 part VIII

Shaaban 1416 Hijrah January 1996.

Section Française

Allah, The Almighty also said :

وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

"When in effect it — The Qur'an — is but a universal message which people have yet to learn, and an admonition and a counsel of the greatest concern".[11]

And it is mentioned in the *Al-Hadith Asahih* (the authentic sayings of the Prophet) (PBUH); "In the past, Prophets had been sent to their own particular people; but I have been sent to all mankind". It is also mentioned: "And after me there shall be no more Prophets".

The universality and eternity of Islam is one of its own characteristics, because it consists of all the elements of maturity and comprehensiveness which can meet the needs of mankind, Allah, The Almighty said :

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا

"Today I have completed your religion for you, and graded you with the divine influence which operates in men to regenerate and sanctify and to impart strength to endure trial and result temptation, and made all grace abound in you. And I have chosen for you Islam, as the acceptable system of faith the worship, not only to guide you into all truth, but also to make you better men".[12]

---

11 — (Sura 68 : 52) 12 — (Sura 5 : 3)

"And say to the people of the Book (Torah and Gospel) and to the illiterates (Are you now satisfied with what you heard and have your doubts been satisfied?) (If you are, then conform to Islam). If they do, then they are on the path of rectitude, but should they turn a deaf ear and their hearts have no ears for the truth nonetheless, you are only responsible for relating the message, and Allah keeps a watchful eye upon His creation and the way they conduct themselves in life and He knows the attributes Inherent in each and all".[8]

As for previous religions, they were all of them restricted. They were sent to particular people and limited to particular times. Islam alone, is the one religion which bears the seal of universality and eternity. This mark has adhered to it eversince the beginning of its call. It is not therefore the idea of a moment afterwards cast upon it. Allah Most High said in the Meccan's Surates :

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا

"Praise be to Allah and blessed is He Who has revealed to, His servant (The Apostle Muhammad), The Qur'an, which He sent down to serve as the canon which illuminates the intellect and imparts the soundness of judgement in the choice of means and ends, in the choice of what is normally good, honest and straight forward, the canon which conduces him — The Apostle — to act as a spectacle and warning to all (intellectual) created beings".[9]

Allah Almighty also said :

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا

"Say to them (O Muhammad): O you people: you had better believe that I have been sent to you all with a divine message from Allah".[10]

---

8 — (Sura 3 : 20)

9 — (Sura 25 : 1)

10 — (Sura 7 : 158)

"My people; if you have really accepted Allah and conformed to His Will, then in Him you must trust, if indeed you have conformed to Islam",[4]

IN SHAREEAH, (LAWFULLY) ("ISLAM") is conferred upon the religion which Allah revealed to Prophet Muhammad, (PBUH), to preach to all mankind. He has made it the last of religions; and after it, there shall be no other religion. Nor shall any other religion be acceptable, As stated in the Holy Quran. Allah Most High said :

إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ

"Religion, as a system of faith and legislation, commanded by Allah is Islam",[5]

Allah the Almighty also said :

مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ

"Muhammad is not the Father of anyone of your men (so that he be prohibited to carry into effect the edict of Allah), but he is the Apostle of Allah and he is the ultimate of the Prophets, the last of the long line of Apostles and the seal of Apostleship and of Prophethood.[6]

He also said :

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾

"And he who adopts a system of faith and worship other than Islam, or submission to Allah's blessed will and His will alone — simply bends on a system of faith and worship which does not have the standing upon the vantage ground of rtuth; such system of faith shall not be accepted from him and he shall be a great loser Hereafter".[7]

The call of Islam is directed to all mankind; the same to those who believe in a religion as to those who do not believe in a religion. Allah Most High said :

وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

4 — (Sura 10 : 84)   5 — (Sura 3 : 19)   6 — (Sura 33 : 40)   7 — (Sura 3 : 85)

THE RELIGION OF ISLAM

By : Sheikh Muhammad M. Gemea

Religion has been ordained for the happiness of mankind in this world, and in the hereafter. The word, "Islam", carries the meaning of submission and surrender to the Will of Allah. This means that, Islam is the religion of all the Prophets. Allah, Most High said, by the tongue of Noah: as stated in the Holy Quran

وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾

"And I have been commanded to be among those who conform to Islam",[1]

By the tongue of Ibrahim :

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ

"(And make of us both) O Allah, our creator, two Muslims who conform their will to your will and of our progeny a Muslim nation who conform their will to your will",[2]

By the tongue of Joseph :

تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾

"(Disembody my soul, O Allah, impressed with the image of religious and spiritual virtues, and join me to those whose deeds had been imprinted with wisdom and piety)",[3]

By the tongue of Moses :

وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾

Note : The translations of the Quaranic verses is a mere interpretation of the meaning as mentioned at Al-Montakhab [The Select] in the interpretation of the Holy Qur'an Arabic-English translated by Dr. Abdel Khaleq Himat Abu-Shabanah.

1 — (Sura 10 : 72) 2 — (Sura 2 : 128) 3 — (Sura 12 : 101)

Pickthall (802) :

2. who createth then disposeth;
3. Who measureth, then guideth;
4. Who bringeth forth the pasturage,
5. Then turneth it to russet stubble.

In this way, Pickthall's interpretation of these verses derives its excellence not only from his success on the lexical and semantic levels, but on the functional and communicative levels as well.

Another occurrence of misinterpretation of the /fā?/ of succession lies in the same Sura;

Sura 87, Verse 15 :

وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾

Y. Ali (1993), the same as Khatib has made the same error by rendering the /fā?/ as 'and' except for verse 5 where the 'and' is followed by 'then';

Y. Ali (1636) :

2. Who hath created,
And further, given
Order and proportion:

3. Who hath ordained laws.
And granted guidance;

4. And who bringth out
The (green and luscious) pasture,

5. And then doth make it
(But) swarthy stubble.

Perhaps Y. Ali in his use of the word 'further', following 'and' in verse 2, is meant to make clear that the act of fashioning (giving order and proportion) comes after the act of creation. But due to the interval of time between both actions, whether long or short, it would have been better to use the coordinator 'then' instead of 'and', followed by the word 'further'.

Arberry, on the other hand, is somewhat successful when he mentions 'then' only once in verse 6, whereas the other VPs, in the two preceding verses, are conjoined by means of 'and' as equivalent to the /fā?/;

Arberry (641) :

who created and shaped,
who determined and guided,
who brought forth the pasturage
then made it a blackening wrack.

Finally, Pickthall is the only one who succeeds in conveying the lexical and semantic meaning of the coordinator /fa?/ in verses 2—5 in the SL text by rendering it as 'then';

Perhaps another instance of misinterpreting the causal /fā?/ can be illustrated in the following Suras :

Sura 93 Verses 6-8 :

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾

Sura 91, Verses 7-8 :

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾

C- The /fā?/ used for succession :

Consider the following examples :

Sura 87, Verses 2-5 :

الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾

Exegetes such as Al-Zamakhshari (1987), among others, explain that the /fā?/ used in these verses implies that Allah has made Man capable of progress through ordered, wonderful and continuous processes which make us contemplate in gloriying Allah's name. Y. Ali (1993:1636), in his footnote explains these steps as follows :

> First, He brings us into being. Secondly, He endows us with forms and faculties exactly suited to what is expected of us, and to the environments in which our life will be cast, giving to everything due order and proportion.

However, Khatib, in his rendering of these verses, has disregarded the /fā?/ completely except before the last conjoined element;

Khatib (803) :

"who created and fashioned, and who decreed, and guided, and who brought forth the pasturage, then made it dingy chaff."

Instead of interpreting the /fā?/ as 'then' to imply sequence in the process of creation, Khatib has only used 'and'. He, thus, fails to convey the same lexical and functional effect, as well as the semantic value of the originally conjoined VPs by means of the /fā?/.

In translating verse 9. Arberry is thus realized to be, somewhat, not keen in preserving the functional as well as the semantic effect of the coordinator /fā?/, implying causation.

On the contrary, Khatib, has succeeded in conveying the functional and semantic implication of the causal /fā?/ in /fa ?amm ā/. He translates it quite appropriately as 'hence', as in the following version:

Khatib (812) :

> "Hence, oppress not the orphan, and rebuke not the beggar, and your Lord's favour proclaim."

Y. Ali's and Pickthall's attitudes are somewhat similar to Khatib. They succeed in conveying the causal relationship of verse 9-11 with their preceding verses 6-8.

Y. Ali (16647 :

9. Therefore treat not
The orphan with harshness
10. Nor repulse the petitioner
(Unheard);
11. But the Bounty
Of thy Lord -
Rehearse and proclaim!

Pickthall (811) :

9. Therefor [sic], the orphan oppress not,
10. Therefor [sic] the beggar drive not away,
11. Therefor [sic] of the bounty of the Lord be thy discourse.

However, Pickthall's repetition of the sentence connector 'therefore', even though it has no existence in the SL text, has a bad effect on his version.

However, notice that the four translators in question have succeeded in not rendering the second /fā?/ in /fa lā taqhar/, /fa lā tanhar/ and /fa haddi( )/ This is because such /fā?/ which is used for reward or sanction and is called /fā?/-u-l-jazā?/, has no equivalent in the English language.

Y. Ali (1670) :

6. Except such as believe
and do righteous deeds :
For they shall have
A reward unfailing.

Khatib (813) :

"save those who believe and do righteous deeds, theirs will then be an uninterrupted wage."

Pickthall (812) :

6. Save those who believe and do good works, and theirs is a reward unfailing."

Notice that the /fā?/, mentioned in the above example, has different implications apart from being inceptive. In Y. Ali's version it implies causation; in Khatib's version, succession; whereas in Pickthall's version it implies addition and participation in meaning. However, it is believed that these implications are not possible in this verse, and that inception is the only possible implication.

B- The /fā?/ used for causation :

In the Qur'anic example given before :
Sura 94, Verses 9-11 :

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

Arberry seems to be the only translator who does not actually comprehend the causal relationship between constituents by means of the /fā?/. His version is rendered as follows :

Arberry (648) :

As for the orphan, do not oppress him.
and as for the beggar, scold him not;
and as for the Lord's blessing, declare it.

Difficulties in Translating coordination in Qur'anic verses

Part VIII

By Dr. Maha Y. El Tagouri

Wrong Selection of coordinators with the /fä?/ :
A) The /fä?/ used for inception :

One semantic implication of the /fä?/, when used as a non-coordinator is the inceptive /fä?/. However, this type of /fä?/, the same as the /wäw/, is sometimes overlooked in the translation process. To illustrate such point, let's consider the following example from the Qur'an :

Sura 95, Verse 6 :

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾

The /fä?/ in this verse, according to Al-Alusi (1270) and Ibn Khalaweih (1989:147), is used for inception for it starts a new sentence. That is why it should not be translated into English. Arberry is the only translator who is successful in his attitude when he replaces the /fä?/ by just a semi-colon;

Arberry (650) :

"save those who believe, and do righteous deeds;
they shall have a wage unfailing."

Arberry's attitude differs from that of the other translators in rendering the /fä?/ in the above verse. Y. Ali, for instance, uses the conjunction 'for'; Khatib uses 'then' and Pickthall uses 'and'. Their versions are represented as follows :

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION



Shaaban 1416 Hijrah

Vol. 68 part VIII

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:.
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
Al. - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهـرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

أسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل غامى خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير .. الإدارة الأزهر

بالقاهرة

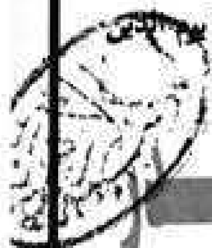
ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين



غزوة بدر

هل كانت وحدها كبرى غزوات الرسول ﷺ

نعم ...!

كانت كبرى غزواته - عليه الصلاة والسلام - فقد كانت ذات نتائج فريدة توفرت لها - وحدها - فصارت ميزات لها لا نجدها مجتمعة في غيرها من الغزوات، ولقد يكون غيرها أوسع منها فتحا، وأكثر جندا، وأضخم عدادا، وأبسط أرضا لكنه لم يحظ بكل خصائص الفتح التي تمثلت في غزوة بدر:

فحسبنا - ابتداء - أنها يسرت لكل فتح بعدها.

وحسبنا - ابتداء - أيضا أنها يسرت للمسلمين العزة بين العرب، فأضحت القبائل العربية على حذر منهم، وعلى حساب لشأنهم.

وحسبنا - كذلك ابتداء - أنها قضت على آمال زعامة قريش للعرب أجمعين، تلك الزعامة التي نشدها أبوجهل، الحكم بن هشام، وهو يصر على حرب المسلمين في بدر.

ثم حسبنا ـ فى بدايتنا ـ هذه الخطوة التى نالها جندها ـ جند رسول الله ـ ﷺ .

روى البخارى ـ فى صحيحه ـ قول رسول الله ﷺ : « لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد وجبت لكم الجنة ، أو قد غفرت لكم » ورواه أحمد ـ رضى الله عنه ـ بسنده إلى أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « إن الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

لقد كان حق المهاجرين ثابتا فى أموال قريش ، وحسبنا شهادة المولى ـ عز وجل ـ به ، فإنه ـ سبحانه ـ القائل عنهم : ﴿ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ (١) فإذا رأوا فى قافلة قريش التجارية العائدة إلى مكة من الشام ـ حقا فى الاستيلاء عليها مقابل بعض اموالهم وديارهم التى استولى عليها وثنيو مكة فما تجاوزوا عدلا ، ولا أتوا شططا :

وتلك هى القافلة التى عُرفت بـ (عير قريش) يقودها أبوسفيان صخر بن حرب الأموى الذى استطاع أن ينجو بها فلم تقع بأيدى المسلمين لا هى ولا رجالها .

إننا سنتجاوز ـ فى كلمتنا هذه ـ كثيرا من الأمور التى يعرفها القراء لنخلص ـ فقط ـ إلى هذه الميزات ، فإنها ـ وحدها ـ مناط تسجيلنا ، إذ هى المرسى الصلب الذى رست عليه سفينة الإسلام .

أولى هذه الميزات :

أن هذه الغزوة قضت ـ تماما ـ على الزعامة الأولى لقريش ، تلك الزعامة التى اتسمت بصلابة الكفر ، وقسوة القرار ، وقصر النظر ـ أعنى الغباء ـ وعلى رأس هذه الطبقة أبوجهل ، الزعيم الذى تجمعت فيه خصائص هذه الزعامة العتية .

كان قصر النظر متمثلا لدى أبى جهل فى اعتياده على القوة وحدها ، يدفعها دفعا صُلْبًا بقسوة لا نظير لها ، وكان هنا مكمن الغباء ، إذ القوة ذات طرفين :

أولهما : السلاح ، وهو آلة صماء لا تدير نفسها ، ولا تعى شيئا عن فعلها .

ثانيهما : الجند الذى اعتمد عليه ، وفى الحق أنه القوة نفسها ، إذ هو المحرك لآلاتها ، وهذه القوة حين يشتد الكرب ، تُفيق لنفسها ، وتعود لبصيرتها ، فإن آمنت بأنها سيقت إلى ما لا خير لها فيه نفضت أيديها ، وأسلمت الزعامة الغبيَّة لمصيرها التعس .

ذلك أن الإنسان لا يمكن (بَرْمَجَتُهُ) حتى عندما يفقد كرامته ، أو يتخلى عنها راضيا .

من هنا كانت القوة جديرة بالنجاح إذا كان ـ بين يديها ـ قضية عادلة ، إذ القلوب ـ وهى مستقر العقول ـ تجتمع لها ، ولا تتفرق إزاءها ، وللقلوب زمام لا يملكه إلا الله ـ وحده ـ فيوليها النصر ، يقول ـ تعالى :

﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الأنفال ـ ١٠

---

(١) الحشر آية ٨ .

فأما هذا اللون من زعامة أبي جهل بما اجتمع لها من قسوة وغباء فأصحابها أحق بكلمة الله ـ تعالى ـ فيهم :

﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ الأنبياء ـ ٤٣

فلا هم ينتصرون ، ولا هم يُوفقون .

ولقد بدأت النظرة الفاحصة ـ في هذه الزعامة ـ في مكة نفسها أثناء تعبئة أبي جهل حملته ضد المسلمين ، وفي أثناء سيرها ، بل وفي محطاتها الأخيرة :

ها هم بنو عدى ، وهم بطن من قريش ، رهط عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ امتنعوا تماما عن الانضمام لهذه الحملة ، فلم يخرج منهم رجل واحد ، وظلوا بمقامهم من مكة .

ونتيجة لفكر حصيف لم يجد أفراد آخرون حرجا في الامتناع عن مصاحبة الحملة ، منهم طالب بن أبي طالب الذي آثر مجانبة خَرْق القيادة ، ونزق الغباء في الزعامة .

والأخنس بن شريق الثقفي ، كان حليفا لبني زُهْرَة القرشيين ، وهو الذي سار بهم في تلك الحملة ، وفكر في أمرها طويلا ، إذ هو يعلم جيداً أنه ليس قرشياً ، ولكنه حليف لهذا البطن من قريش ، وإذا كان فيهم مطاعا فكيف يقودهم إلى ما لا خير فيه ، واقتنع الرجل بأنه إنما يقودهم إلى معركة خاسرة ـ فلما صاروا بالجحفة ، على بعد أربع مراحل من شمال مكة قال لهم :

يا بني زهرة ، قد نجّى الله أموالكم ، وخلّص لكم صاحبكم مخرمة[٢] بن نوفل ، وإنما نفرتم (أى خرجتم) لتمنعوه ومالَهُ ، فاجعلوا بي جبنها (أى انسبوا إليّ الجبن في منعكم من المشاركة في بدر) وارجعوا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضيعة ، لا ما يقول هذا ـ (يقصد أبا جهل) .

فرجعوا فلم يشهدها زهريٌّ واحد ، أطاعوه وكان فيهم مطاعا .

وهذا التاريخ الحديث يسجل موقفا كهذا لمثل زعامة أبي جهل ، زعامة ترى « أنها هي العالم ، والعالم هي » حتى إذا اشتبكت في حرب مع دولة بجنوب شرق آسيا ـ أبى كثير من أبنائها أن يجندوا أنفسهم لهذه الحرب .

ظلت الأصوات الداعية إلى تجنب الحرب تلاحق زعامة مكة هذه وتحاول ـ في رجاء ، وهذا من نكستها ـ أن تمنع الحرب وتطالب بالرجوع عن بدر :

من أولى هذه الأصوات صوت أبي سفيان نفسه ، قائد العير فقد أرسل إلى قريش في وقت مبكر ، وقد تمكن من النجاة بالقافلة ـ يقول : « إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ، فقد نجاها الله فارجعوا » .

فقال أبوجهل : والله لا نرجع حتى نَرِدَ (بدراً) .. فنقيم عليه ثلاثا ، فننحر الجزور ، ونطعم

---

(٢) كان في العير التي نجت .

الطعام ، ونسقى الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبدا ، فامضوا .

وهذا حكيم بن حزام يقول ـ لعتبة بن ربيعة ـ بأرض بدر قبل بداية المعركة : يا أبا الوليد ، إنك كبير قريش ، وسيدها المطاع فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر ..؟

قال : وما ذاك يا حكيم ..؟

قال حكيم : ترجع بالناس ...

قال عتبة : قد فعلتُ : أنت عليّ بذلك ... فأت ابن الحنظلية (يعني أبا جهل) فإني لا أخشى أن يشجُرَ (يُفسِد) أمْرَ الناس غيرُه ، ثم قام عتبة خطيبا فقال :

« يا معشر قريش ، إنكم ـ والله ـ ما تصنعون بأن تلقَوْا محمداً وأصحابه شيئا ، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر إلى وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه ، أو ابن خاله ، أو رجلا من عشيرته ، فارجعوا » .

وضاع النصح سُدًى ، وانطوت هذه الأصوات تحت رعونة ابن الحنظلية ـ لعنه الله ـ إذ ما بلغه الذى حدث حتى قال : والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ، ولكنه رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابْنُهُ ، فقد تخوَّفكم عليه »

هكذا . سبحانك اللهم . وصلِّ ـ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

دفع أبوجهل عامرَ بن الحضرمى ، فصرخ فى الناس بثأره ، فاشتعلت الحرب ، ودارت تحطم حتى أنهت حياةَ سبعين ، وأتت على هذه الزعامة جمعاء ، فقُتِلَ : الأسود بن عبد الأسد المخزومى ، وأمية بن خلف ، وأبوجهل ، والنضر بن الحارث ، وعقبة بن أبى مُعَيْط ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة أخوه ، وزمعة بن الأسود ، وأخواه : عقيل والحارث ، ونبيه بن الحجاج ، وأخوه : منبه ، وغيرهم من هذه الطبقة التى لم تنظر لأمرها فى شىء .

وهكذا أتت بدر على هذه الزعامة فاستأصلت شأفتها ، وقضت معها على كل من لا خير فيه ـ كما يقول سيدنا ـ ابن كثير فى سيرته ـ رضى الله عنه ـ ممن لحق بها عصبية ، أو تجنبا لعار يتوهمه ، وتخلصت مكة من شؤمها ، وأبى الله ـ تعالى ـ أن يدنس مكة بجثثهم فأرديت فى القليب ، ولعل أرض مكة انتشت فرحا بالخلاص من هذه الزعامة التعسة البائسة .

د. على أحمد الخطيب



مع الإمام الأكبر

جاد الحق علي جاد الحق

شيخ الأزهر

رمضان

موسم الصفاء والنقاء والصلح مع الله

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ
جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

قال الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)
أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ
طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ
الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ
بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) ﴾

افتتح الله آيات الصوم (١٨٣ ـــ ١٨٥) من سورة البقرة بهذه الآية يمهد بها نفوس المسلمين لفريضة الصوم ، ويدعوهم إلى الإقبال على أدائها باعتبار : ان الصوم أقوى العبادات تأثيرا على الانسان قلبه وقالبه ومعلنا لهم : أن تقرير هذه الفريضة عليهم ليس بدعا أو أمرا خاصا بهم ، وإنما هي ركن من أركان كل دين ، وذلك أدعى للإذعان .

والصوم فى اللغة الإمساك والكف عن الشيء ، أو هو الإمساك عما تنزع إليه النفس ، وفى الشرع الامتناع عن الأكل والشرب ، وعن المخالطة الزوجية من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس إحتسابا لله ـــ تعالى ـــ وإعدادا للنفس وإمدادا لها بما يعينها على تقوى الله ومراقبته وتربية إرادة الصائم ؛ ليقوى بذلك على ترك المحرمات وكبح الشهوات .

(لعلكم تتقون) بيان وتعليل لفرض الصوم وإبراز للغاية من فرضه ، وتحريض على الإقدام على أدائه ، حتى يعد الصائم نفسه لتقوى الله ورضوانه بترك المباح من الشهوات الميسورة امتثالا لأمر الله . واحتسابا للأجر عنده ، ومتى درب المسلم النفس وكفها عن المباحات ملك زمامها وحال بينها

وبين المحرمات ، وتربت عنده ملكة الصبر على ما يشير إليه الرسول ﷺ : (الصيام نصف الصبر) .

(ولعل) في تلك الآية للترجي ، والرجاء إنما يكون فيما وقعت أسبابه ، وموضعه هنا المؤمنون المخاطبون بالآية ، ومن ثم كان من لم يصم بالنية وقصد التقرب إلى الله بعيداً عن أن تترقى عنده ملكة ترك المحرمات ولم ترج له ومنه التقوى ، فليس الصيام في الاسلام لتعذيب النفس ، بل لتربيتها وتزكيتها .

ثم إن إعداد الصيام نفوس الصائمين ، وتوجيهها إلى تقوى الله يظهر من وجوه أعظمها : أنه أمر موكول إلى ذات الصائم ، فالصوم سر بين العبد الصائم وبين ربه لا يطلع عليه إلا الله سبحانه و إذ لولا إخلاصه ومراقبته لله ومعرفته اطلاع ربه عليه لما كان له اصطبار عن تناول ما صام عنه ، وفي تكرار الصوم تنمية وتقوية لملكة المراقبة لله والحياء منه أن يراه حيث نهاه ، وهذه الملكة هي التي استبدلنا بها ما شاع على الألسنة في عصرنا وسميناه (الضمير) .

هذه المراقبة لله وخشيته وحده متى استقرت عليها الأنفس الصائمة لله ترقبا لسعادة الآخرة ، تؤهل ــ أيضا ــ لسعادة الدنيا ، فمن راقب الله وصام إيمانا واحتسابا عمر قلبه بخشية ربه ، فلم يقدم على غش الناس وخداعهم ، ولم يأكل الأموال بالباطل ، ولم يحتل على الله ؛ لمنع الزكاة أو لأكل الربا ، وأموال اليتامى ، ولم يقترف المنكرات سرا وعلانية وبالجملة : اكتسب صفات الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم .

إن صاحب هذه المراقبة لا يسترسل في المعاصي ، ولا تطول غفلته عن الله وطاعته ، وإذا نسى أو استهواه الشيطان فاقترف السيئات ، كان سريع التذكر والرجوع بالتوبة إلى ربه .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ سورة الأعراف

فالصيام سر بين الصائم وربه ، وأعظم مرب لملكة المراقبة والإرادة وأقوم طريق للتقوى .. والصوم يجعل الصائم رءوفا رحيما بالفقراء ، سخيا بالصدقات مؤديا للزكوات ، إذ عندما يجوع يتذكر من لا يجد القوت .

ثم أليس من الصفات المحمودة للمسلمين أن يكونوا رحماء بينهم ؟

لقد وصف الله بهذا السابقين الأولين إلى الإسلام ، ونحن من هذه الأمة ينبغي ألا ينفك عنا هذا الوصف الرباني المحمود ..

ولابد للصائم أن يحفظ جوارحه عن الآثام فلا غيبة ولا نميمة ولا غضب ولا قول زور ، وإلا كان بهذه المعاصي وهو صائم كمن يبني قصرا ويهدم مصرا ..

إن على المسلمين أن يتخذوا من صوم رمضان زادا للتقوى ، والتقرب إلى الله ، وألا يصوموا جوعا وعطشا ، ثم هم من وراء ذلك لا يرعون الله فى أعمالهم وتجاراتهم وذوى أرحامهم وجيرانهم وأوطانهم ، بل عليهم أن يصوموا لله قانتين ، حتى لا يدخلوا فى نطاق ما حذر منه رسول الله ﷺ (كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش) ..

فلنلتزم بالصوم الموصل إلى التقوى إيمانا واحتسابا لربنا ، ولنلجأ إليه فى شهرنا المبارك أملا فى معونة الله ومدده لأمة القرآن حتى تكون خير أمة أخرجت للناس ..

ولا ينبغى أن ننتقم بالليل من النهار فنقضى نهارنا نعد لموائد الليل الطعام والشراب ونتمادى فى الإسراف غافلين عن حكمة الصوم وفوائده ، وعن قول الله فى محكم كتابه (لعلكم تتقون) ..

إنه شهر فى العام ـــ (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) أقام الله فيه مدرسة للصوم ، فيها نعتاد الطاعة لربنا ، وبه تقوى عزائمنا ونراقب الله ونخشاه ، ونرجو ثوابه ، فيه تصح أجسادنا ، كما تطهر قلوبنا . بهذا أخبر الصادق الرسول محمد ﷺ فى قوله (صوموا تصحوا) وقوله : (من لم يغفر له فى رمضان فمتى ؟) هذا الصوم متى التزمناه صحيحا كان الوازع الدينى وكانت الأمانة . وفى الحديث الشريف : (إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته) .

إن مدرسة الصوم : مدرسة إصلاح نفسى وجسدى واقتصادى ، أستاذها الوازع الدينى ودوام المراقبة لله سبحانه ، والامتثال لأمره ، به ترق الأخلاق إذا اصطلحنا فيها مع الله ، فأعلنا التوبة إليه والأوبة إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ ، نحتكم إليهما فى كل أمورنا دون أن نلتفت إلى أولئك الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، يضلون الناس ، وما يضلون إلا أنفسهم ، تخلوا عن أمانة الكلمة فخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

تعالوا أيها المسلمون نتخذ شهر رمضان موسما نتخفف فيه من أعبائنا الاقتصادية التى أثقلت كواهلنا أفرادا وجماعات وحكومات .

تعالوا إلى صوم نتقرب به إلى الله ، لا رياضة نفسدها بالليل بكثرة ما نعد من ألوان الطعام والشراب واللهو ، جربوا أيها المسلمون الاعتدال فى أموركم ، والاستغناء عما لا ضرورة له .

خذوا من مدرسة الصوم ما تستطيعون من فضل وفضائل ، أقيموا حلقات القرآن التى استبدلتم بها ندوات الشيطان ، فنزع الله البركة من أموالكم بالرغم من كثرتها ووفرتها ، وبخلتم وأمسكتم عن أداء ما فرض الله عليكم فكانت الآفات والأمراض والأوجاع التى لم تكن فيمن كانوا قبلكم ، كان سلفنا يتجمعون فى القرى والأمصار حول الفقراء يتلون عليهم القرآن ، ومع العلماء يجلون لهم آيات الله ، فكانت البركات والرحمات ونعمة الرضا تحوطهم فضلا من الله ونعمة ، وكانت القلوب مطمئنة ، والنفوس راضية مرضية ، والرحمة سائدة والمودة غامرة ، والتعاون على البر شعارهم

ودثارهم ، فلما صرفكم عن القرآن الصارفون واستجبتم لهم وانصرفتم عن كتاب ربكم أنساكم الشيطان صالحكم وأضلكم عن سبيل الله ، وتفرقت بكم السبل ، حتى صرتم شيعا يقاتل بعضكم بعضا .

أقول وأكرر : أيها المسلمون ، إن سلفكم الصالح ما عالجوا ضائقة اقتصادية ألمت بهم بالإغداق والإسراف والاستدانة ومزيد من إنفاق الأموال فى غير محلها ، وإنما بالاقتصاد وبالاستغناء عما فى أيدى الغير والعمل الجاد مع الاتجاه إلى خالقهم ورازقهم ومدبر أمورهم .

فلنحزم أمرنا ، ولنجرب ما نجح به سلفنا ، ولنتخذ من شهر رمضان مدرسة نعدل بها عاداتنا التى أسرعت بنا إلى هذا الغلاء الذى تاهت به دخولنا ، والتى أثقلت كاهل الدولة بالاستدانة والقروض بالربا ، الذى ما دخل فى تعامل إلا كان معه الخراب والدمار ونزع البركة ذلك وعيد الله وقوله فى شأن تحريم الربا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

[البقرة/٢٧٨ ، ٢٧٩]

هذا موسم الطاعة لله فأقبلوا عليه ، واصطلحوا مع ربكم يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ، اعقدوا فيه ندوات القرآن والسنة ، واغلقوا مزامير الشيطان ووسائل الفساد .

أولى بالمؤمنين أن يكونوا مع الله فى شهر رمضان ، فإنه ــ سبحانه ــ قال على لسان رسوله ﷺ : (الصوم لى وأنا أجزى به) .

اصطلحوا مع الله بطاعته فى رمضان ، لتصير الطاعة لكم عادة تستقيم عليها حياتكم اصطلحوا مع أنفسكم ، مع الوالدين ، مع الجيران ، مع المجتمع كله . إن كل أب وكل أم وكل رئيس فى عمل مسئول عما ولاه الله عليه فاحملوا المسئولية وأحسنوا القيام بها ، وخذوا من الصوم حكمته ، ولتكن مصاحبة لكم فى سركم وعلنكم ، وخذوا على أيدى المجاهرين بالفطر فى نهار رمضان حتى لا يزيد المجتمع فسادا واستهتارا ، وعلى أصحاب الأعذار أن يستتروا حتى لا يساء الظن بهم ، واعلموا أن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع .

اصطلحوا مع الله يصلح لكم نفوسكم ويغفر لكم ذنوبكم ويرفع عنكم إصركم ، والتزموا الطاعة فى شهر رمضان تتغير به عاداتكم وتقلعوا عن أهوائكم ، ويكن الوسيلة إلى تغيير الحال ، وصدق الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

[الرعد/١١]

واعلموا أن الله ـ سبحانه ـ منح هذه الأمة ما لم يمنحه لأمة سابقة فقال :

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

[الأنفال/٣٣]

وقد بقيت لنا الأخيرة طريق نجاة ووسيلة حماية ، فلنلجأ إليها ولنعذ بربنا ونستغفره فى هذا الشهر شهر القرآن ، ولنصدق التوبة والرجوع إلى الله رجاء أن يرفع عنا ما نزل بنا .

وإنا وقد بدت فى آفاق المسلمين بشائر تزاور الزعماء واجتماعاتهم فى سبيل الوفاق ـ فيما بينهم وإصلاح ذات البين ، نأمل أن يكون فى هذا الخير للأمة على طريق الله الذى رسمه فى قوله تعالى :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ .

[آل عمران/١٠٣]

وإن الأزهر الشريف ليبارك للزعماء هذا السعى الدءوب إلى التعاون على البر والتقوى أملا أن يكون شهر رمضان دافعا لمزيد من هذا التعاون .

أيها المسلمون :

أهنئكم ببدء الصوم فى شهر رمضان حكاما ومحكومين ، وأدعوا الله أن يصلح به نفوسنا ويجمع فيه كلمتنا ، ويرفع الخلف من بيننا وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .

فتوى للإمام الأكبر

فى بيان حكم مختلس أموال الزكاة

وهل يمنع من دخول المسجد للصلاة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ..

وبعد ..

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة (عن طريق الفاكس) من مؤسسة محمد على الإسلامية ـ بالولايات المتحدة الأمريكية ـ تتضمن طلب بيان الحكم الشرعى بشأن الموضوع التالى :

(عن رجل اختلس أموال الزكاة والصدقة ، ولايزال مصراً على هذا بالرغم من تقديم النصيحة له من إخوانه بالتوقف عن ذلك ..

(هل يسمح لهذا الرجل بدخول المسجد ، والصلاة فيه مع المسلمين ؟ .

وما هى الخطوات التى تتبع لتوجيه هذا الرجل إذا أراد التوبة ؟ .

وما هى الخطوات التى يجب أن يقوم بها الأخوة المسلمون إذا لم يتوقف هذا الرجل عن هذا الأمر ؟) .

والجـــواب :

فرض الله الزكاة ، لتحقيق المقاصد الشرعية المترتبة عليها ، والتى من أهمها : رعاية حقوق الفقراء والمساكين وذوى الحاجات المذكورين فى قول الله تعالى فى سورة التوبة :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَٰكِينِ وَالْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ وَالْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

حيث بيّن هذا القول الكريم أن الزكاة قد شرعت لمواجهة حاجة هذه الطوائف بحيث تكون هى المصرف للزكاة ، وقد دلت عبارة هذه الآية على اختصاص تلك المصارف باستحقاق الزكاة ، فلا يجوز إدخال غيرها فيها ، كما لا يجوز حرمان من يوجد منها من أخذ نصيبه ؛ لأن الله قد حدد تلك المصارف بالنص عليها مما يدل على انحصار استحقاق أموال الزكاة فيها ، وذلك متى اتسعت الزكوات للأصناف الثمانية ، وإلا كان التوزيع بالترتيب الوارد فى الآية أخذاً من نسقها وإن كان هذا غير واجب .

ويلاحظ أن هناك فرقا بين الزكاة والصدقة فى الحكم الشرعى ، وإن كانت الزكاة من الصدقات ، فالزكاة فرض على من ملك نصابا وحال عليه الحول ، وهى محددة بمقدار معين لا يجوز إنقاصه ، وما زاد على هذا القدر يكون صدقة ؛ فالزكاة فرض ، والصدقة مستحبة ، وفيما عدا هذا الوصف ، فإن مصارف الصدقة هى مصارف الزكاة ، بمعنى أن ما يخرجه الممول للصدقات سواء مع مقدار الزكاة أو قبلها أو بعدها يكون واجبا توجيهه إلى هذه الأصناف الثمانية أو بعضها حسبما تقدم فى وجوب إعطائها لمستحقيها ؛ لأن المال فيهما (أى الزكاة والصدقات) مرصود لجهة معينة فيكون الصرف إليها ولا يجوز تحويله عنها .

أما عن حكم التعدى على مال الزكاة أو الصدقة بالاختلاس فهو جريمة وإثم كبير ، لأن من يختلس مال الزكاة أو الصدقة ، فإنه بجانب أنه يأخذ مالا غير مستحق له يكون قد ارتكب جريمة الاغتصاب لمال الغير ، وهم أولئك الأصناف الثمانية وهذا عمل محرم ويدخل فى مشمولات قول الله تعالى فى سورة النساء :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ ﴾ (٢)

وقول الله سبحانه فى سورة البقرة :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ ﴾ (٣) .

فالمعتدى على مال الزكاة يعتبر آكلا لمال الغير بالباطل ، وهو من المحرمات بهاتين الآيتين ، وغيرهما من أدلة الشرع ، ومع حرمته والنهى عنه بهذا الاعتبار ، فإنه يزيد فى إثمه وجسامته أنه يُضيّع حق الفئات المنصوص عليها فى آية ﴿ إنما الصدقات ﴾ ويصادر مقصد الشارع نحو هذه الفئات ، وتلبية حاجتها ، فجريمة الاختلاس لمال الزكاة واردة على مال يتعلق به حق الله فى وجوب صرفه للمصالح المتعلقة به ، وحق العباد من ناحية انحصار استحقاقه فيمن نصت عليهم تلك الآية .

---

(١) الآية رقم ٦٠ .
(٢) الآية رقم ٢٩ .
(٣) الآية رقم ١٨٨ .

واختلاس أموال الزكاة خائن للأمانة ، وقد نهى الله عن هذا بقوله في سورة الأنفال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) .

وكان الواجب أن يعمل الشخص المسئول عنه بقول الله تعالى في سورة النساء : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (٥) .

ومن هنا كان على هذا المختلس لمال الزكاة أن يسارع إلى الندم ويتوب إلى الله توبة نصوحا ، يعزم فيها على ألا يعود لهذا العمل ، وأن يقوم برد جميع الأموال التي اختلسها من مال الزكاة أو الصدقة ، حيث لا يحل له أخذها ، ولا يستقر ملكه عليها ، لأنها على حكم ملك الله تعالى إلى أن تؤدي إلى أصحابها الذين حدد الشارع صرفها إليهم ، وإذا لم يمتثل ويرد ما أخذه من مال الزكاة باختياره ، فإنه يُعزل عن الأعمال المتصلة بالزكاة ويُمنع من مباشرتها على أي وجه ، ويباعد بينه وبين أموال الزكاة أو الصدقة ، ويُقتضى منه ما أخذ بالإجراءات الشرعية والقانونية التي تجبره على ذلك .

وليس لأحد منعه من دخول المسجد للصلاة مع المسلمين ، فإن المساجد بيوت الله ، ولا يمنع عنها أحد ، وذلك عملا بقول الله تعالى في سورة الجن :

﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ (٦)

كما أنه لا تضاد بين اقتراف معصية اختلاس مال الزكاة ووجوب أداء الصلاة على هذا المختلس جماعة في المسجد ، وتمكينه من ذلك ، فليست المعصية مسقطة لمشروعية أداء الصلاة جماعة في المسجد ، بل لعله بالصلاة يخشى الله ويتقيه ويرد ما ضيع ، ويتحقق فيه قول الله :

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ (٧) .

ولذلك لا يجوز منعه من دخول المسجد للصلاة مع المسلمين فيه ، بل يوسع له ويوعظ لعله يذّكر أو يخشى .

وهذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال ..
والله سبحانه وتعالى أعلم ..

شيخ الأزهر الشريف
« جاد الحق علي جاد الحق »

---

(٤) الآية رقم ٢٧ .
(٥) الآية رقم ٥٨ .
(٦) الآية رقم ١٨ .
(٧) من الآية رقم ٤٥ من سورة العنكبوت .

كلمة الإمام الأكبر فى احتفال ، مؤسسة أم حبيبة ، الإسلامية بمدينة ، كيب تاون ، بجنوب افريقيا

ألقاها بالإنجليزية نيابة عن الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / مصطفى محمد الشكعة

أصحاب السعادة ، وأيها الأخوة والأخوات :

تلقيت بوافر السرور والتقدير ، دعوتكم الكريمة لمشاركتكم الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على وصول مؤسس مسجد الحبيبة الصوفية إلى هذه الديار ، وبناء اثنى عشر مسجداً أخرى ، ولكن أعباء العمل ، وبعد المشقة ، ومتاعب السفر ، قد حالت بينى وبين هذه المشاركة التى وددتُ أن أجعلها حقيقة واقعة ، وإنى آمل أن تقبلوا شكرى واعتذارى ، وسوف يسرنى أن أستجيب بقدر ما أستطيع إلى طلباتكم من الأزهر الشريف .

أيها السادة :

إن ما تقومون به اليوم من احتفالات ، هو بمثابة عيد للمساجد فى جنوب أفريقيا ، ذلك البلد الطيب ، والحقيقة أن المسجد فى الإسلام هو العنوان الباهر للوجود الإسلامى فى أية بقعة من العالم يُبْنَى فيها ويُشادُ عليها .

أن الإسلام هو التوحيد الخالص لرب العزة ، وهو المتمم لرسالات النبيين السابقين ، ومن ثم كان لُبُ عقيدة المسلم أن يؤمن بالله الواحد لا شريك له ، وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

ولهذا السبب فإنى أرغب إليكم أن يكون المسلم عنوانا مضيئا لدينه ، وأن يكون قدوة حسنة للآخرين فى قوله وعمله وسلوكه ، لأن رسالة الإسلام حملت فى جوهرها تكريم الإنسان ، وإشاعة العدالة ، وتكريس المساواة بين الناس ، والقضاء على التفرقة العنصرية ، وعلى استغلال الإنسان لأخيه الإنسان ، واستهدفت تحقيق الأخوة ، والمساواة بين المؤمنين .

ويتوجُ رسالة الإسلام : المنهج الإلهى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، طبقا لقول الله ـ عز وجل :

* السفير المقيم من ١٧ ـ ٢٤ رجب ١٤١٦ / ١٠ ـ ١٧ ديسمبر ١٩٩٥ .

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

آل عمران الآية ـ ١٠٤

أيها الأخوة والأخوات :

إن المساجد هي بيوت الله في الأرض ، وإن عمرانها بالبناء والتشييد ، أو بالصلاة والعبادة هو : برهان الإيمان ودليل خشية الله ، وقد تمثلت هذه المعاني خير تمثيل في قول الله ـ عز وجل :

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾

التوبة الآية ـ ١٨

ومن ثم فإنني سأقصر كلمتي الموجزة تلك على : المسجد في الإسلام ، إن من أكثر الأعمال قربى إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ بناء المساجد ، وقد دعا رسول الله ﷺ إلى ذلك في أحاديث كثيرة يقول الخليفة التقي ـ ثالث الراشدين ذو النورين ـ عثمان بن عفان : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من بنى مسجدا ابتغى به وجه الله بنى الله له مسجدا في الجنة » .

ويقول رسول الله ﷺ في تشجيع الناس على بناء المساجد وإغرائهم بتشييدها : « من بنى لله مسجدا كمفحص قطاة أو أصغر ، بنى الله له بيتا في الجنة » .

(ومفحص القطاة هو : موضع الدجاجة تصلحه برجليها وتجعله موضعا لتبيض فيه) .

وفي العناية بالمساجد والحفاظ عليها نظيفة أنيقة معطرة ،يقول الله ـ سبحانه وتعالى :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ .

الأعراف الآية ـ ٣١

وقد جاء في الخبر أنه يستحب تجمير المسجد بالبخور ، وكان عبد الله ابن المجمر يجمر المسجد إذا قعد عمر بن الخطاب على المنبر .

واستحب بعض السلف ـ تخليق المساجد ـ يعني تطييبها بالخلوق الزعفران والطيب ، وقد ورد في الأخبار أيضاً أن عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ لمّا بنى الكعبة طلا حيطانها بالمسك .

أيها السادة :

إن للمساجد مكانة رفيعة عند الله ورسوله ، تتمثل هذه المكانة في قول رسول ﷺ : **« أحب البلاد إلى الله مساجدها ، وأبغض البلاد أسواقها » .**

ومفهوم الحديث الشريف : أن المساجد دائمة العمران بالإيمان الكامن فى قلوب مرتاديها من المصلين الراكعين الساجدين ، وأما بغض الأسواق فلأن فيها : الغش والمماكسات والتطفيف فى الكيل والميزان وحلف الكذب والإقبال على الدنيا والانصراف عن الآخرة .

ويقول رسول الله أيضاً فى شأن المساجد ومكانتها عند الله : « **تذهب الأرضون كلها يوم القيامة ، إلا المساجد فإنها ينضم بعضها إلى بعض** » ومن هنا يكون قربها إلى الله ورضاه الذى يكثر من المكوث فى المساجد ، وذلك مصداق قوله ـ ﷺ : إن الله ـ عز وجل ـ ضمن لمن كانت المساجد بيته : الأمن والجواز على الصراط يوم القيامة .

إن هذا الحديث الشريف يذكرنا بشعيرة الاعتكاف وفضلها وثوابها ، وأن أكثر ما يكون الاعتكاف فى العشر الأخيرة من شهر رمضان ، ولكنه يستحب لمن يدخل المسجد فى أى وقت من أوقات اليوم أن ينوى الاعتكاف سواء طال مكوثه فيه أو قصر ، وقد جاء فى كتاب الأذكار : أنه يصح اعتكاف من دخل المسجد مارا ، والأفضل أن يقف لحظة ثم يمر .

أيها الأخوة والأخوات :

إن وظيفة المسجد فى الإسلام لا تقف عند حدود أداء الصلاة وحسب ، ولكنها تتجاوز حدود ذلك إلى وظائف أخرى تعليمية وتربوية واجتماعية .

فالمساجد فى الإسلام كانت مقارا للجامعات والمعاهد ـ ولا يزال بعضها كذلك ـ كان جامع عمرو بن العاص فى مصر فى القرون الأولى يشكل : جامعة إسلامية كبرى عرفت باسم : جامعة الفسطاط ، قام بالتدريس فيها الإمام الشافعى ، وعدد من تلامذته على رأسهم البويطى : وكذلك عبد الرحمن ابن القاسم ، الذى أملى فيه «المونة» كتاب الفقه المالكى ، وعبد الله ابن وهب ، وكثيرون غيرهم .

كذلك كان كل من : جامع القيروان فى تونس ، والقرويين فى فاس ، والجامع الكبير فى قرطبة ، يقوم بنفس الغرض .

وغنى عن البيان أن المسجد الحرام ومسجد رسول الله فى المدينة المنورة كانا البداية الأولى فى حلقات الدروس .

فى هذه الجامعات تخرج عدد كبير من علماء المسلمين وأدبائهم ومفكريهم :

إن الرسول ﷺ كان يبارك التعليم فى المساجد ويشجع عليه ويقوى شباب المسلمين بالانخراط فى حلقات العلم التى تنعقد فى المساجد ، وذلك فى قوله ﷺ : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

وفى المساجد يستحب عقد الزواج ، فى إشهار الزواج ركن أساسى فى صحته وليس هناك أفضل من المسجد كوسيلة لإشهار الزواج ، وقد روى الترمذى حديث رسول الله ﷺ : « أعلنوا النكاح فى المسجد » .

أيها الأخوة والأخوات :

المسجد فضلا عن كونه مقرا للتعليم ، ومكانا لإشهار الزواج ؛ فهو أيضاً منتدى يجتمع فيه المسلمون كلما سنحت الفرصة ليناقشوا قضاياهم ، ويعالجوا مشكلاتهم من خلال الحوار البناء ، وتبادل الرأى بين عقلائهم ، فما أكثر قضايا المسلمين ومشكلاتهم ، التى تحتاج إلى الرأى والمشورة ، مثل : العدوان على أراضيهم أو ازدراء عقيدتهم ومحاولات تحريفها أو ظهور الفاحشة بينهم ، أو غلاء الأسعار واضطراب الأمن ، وتفشى الظلم ، وما إلى ذلك من المشكلات التى لا يخلو منها مجتمع ولا يبرأ منها مكان .

أيها السادة :

إن المساجد بعد ذلك كله تمثل صروحا شاهقة لفن العمارة الإسلامية ، وهى شواهد حية فى جميع المدن الإسلامية الكبيرة على الفن المعمارى الإسلامى الرفيع من : مآذن وقباب وأسقف وزخارف ، ولا يزال غير المسلمين يفتنون بفن العمارة الإسلامى المتمثل فى المساجد المنتشرة فى الأقطار الإسلامية التى يصعب حصرها .

وإذا كان فريق من فقهاء المسلمين لا يرتضى تجميل المساجد فإن الجمهرة منهم لا توافقهم على ذلك ويستشهد العلماء بقول الإمام البغوى : من زوق مسجدا تبرعا لا يعد (عمله) من المناكير التى يبالغ فيها كسائر المنكرات ، لأنه يفعله تعظيما لشعائر الإسلام .

أيها الأخوة والأخوات :

أكثروا من بناء المساجد كلما استطعتم ، فإنها بيوت الله ، وعمروا قلوبكم بفيوض الإيمان الذى يتجلى فى التردد عليها ، وأكثروا من عقد حلقات العلم فيها ، واجعلوا منها ندوة تقرب بينكم ، وتوحد صفوفكم وتجمع شملكم وتزرع المحبة فى قلوبكم ، وتجعلكم ـ فى محبة الله ورسوله ـ إخوانا .

أسأل الله أن أن يبارك جمعكم وأن يحفظكم ويرعاكم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



مما دار بين فضيلة الإمام الأكبر وكبير أساقفة « كنتربيرى »

للأستاذ عبدالسلام ناصف

مما لاشك فيه أن هناك أسئلة تدور فى عقول رجال الدين المسيحى حول دور الأزهر فى الدعوة الإسلامية بدءاً من رسالته التعليمية ومروراً بمعاهده فى المراحل المختلفة ، وانتهاءاً برسالة جامعته العريقة ، إلى جانب دوره فى الدعوة ونشر مبادئه السامية فى كل بقاع الدنيا ، خاصة فى العالم الإسلامى . .

وحين سنحت الظروف لرئيس أساقفة كانتربيرى ورئيس الكنيسة الإنجيلية البريطانية ـ والوفد المرافق له بصحبة السيد السفير البريطانى بالقاهرة ـ لزيارة الأزهر الشريف ، ولقاء فضيلة الإمام الأكبر ، سنحت الفرصة كذلك للأسقف أن يلم بتاريخ الأزهر الشريف ، وما يريده من معلومات بشأن ما يقوم به الأزهر فى مجال الدعوة .

وكانت البداية فى سؤال لكبير الأساقفة عن تاريخ الأزهر ، وأجابه فضيلة الإمام بإيجاز مقنع أن الفضل فى إنشائه يعود إلى القائد العظيم جوهر الصقلى الذى أنشأه لتدريس مذهب الفاطميين حتى عصر صلاح الدين الأيوبى الذى فتح الله عليه برعاية كل المذاهب وتدريسها حول أعمدته إلى أن هيأ الله من يعنى به كأقدم جامعة إسلامية تتغذى على روافد ابتدائية واعدادية وثانوية منتشرة فى أغلب حواضر الأقاليم وكانت تضم كليات اللغة العربية ، والشريعة ، وأصول الدين . وفى العصر الحديث سايرت الجامعة مثيلاتها من جامعات العالم وتطورت أساليب الدراسة بها ، وضمت كليات علمية جديدة عملية ونظرية تجمع بين علوم العصر الحديث ، ومناهج العلوم العربية والشرعية .

وتوسعت روافدها فى عواصم المحافظات ومراكزها الإدارية وقراها ، بل وكفورهـا ونجوعها ـ بل وتوابعها بالجهود الذاتية .

وتم إنشاء المعاهد الأزهرية للبنين والفتيات كل على حدة ـ وأفرد لهذه الأخيرة كليات خاصة فى شتى ميادين التخصصات أسوة بكليات البنين .

وأوضح فضيلة الإمام أن الدراسة بهذه الكليات والمعاهد ليست قاصرة على أهل مصر أو العالم العربى وإنما تتعداه إلى دول المشرق والمغرب ـ دون أية تفرقة إذ لا فرق بين أبيض ولا أسود والكل أمام الإسلام سواء والإقبال على الدراسة فيه منقطع النظير برغم تشديد فضيلته على ضرورة حفظ القرآن الكريم قبل الالتحاق ـ وتأكيد سيادته على التزام لجان الامتحانات بالجمهورية كلها بهذا الشرط .

وسأل الضيف عن مدى عمق الدراسة ومدى إلمام الدارسين بالديانات الأخرى خاصة الديانة المسيحية ـ وأجابه فضيلته بعلم وثقة :

إن كليات الأزهر المتخصصة تضم بين مناهجها دراسة مقارنة للمذاهب الإسلامية ، ودراسة مقارنة للأديان ذات الأصل السماوى ومن بينهما المسيحية ؛ إذ الإسلام غير مجاف للواقع ، لذا يلم بكل الشرائع ويدعو إلى دراستها ـ والتعايش مع أهلها ومعتنقيها .

ولعل هذا ما دفع الضيف أن ينقل لفضيلة مضيفه تخوّف الجاليات الإسلامية فى المجتمعات الغربية من صعوبة التعايش فيها خاصة بالنسبة للأجيال القادمة .

ولقد أسف فضيلته على ذلك إذ أن الجاليات الغربية تحيا فى عالمنا الشرق دون متاعب ودون إهدار لحقها فى العبادة ، بينما يلقى المسلمون فى الغرب مصاعب جمّة ؛ إذ يطيب لأهلها رميهم بالتطرف والعنف وهم منهما براء ـ واستشهد فضيلته بما يحدث للأقليات المسلمة من قتل وتشريد واغتصاب تحت بصر وسمع الغرب الذى تمسك بحظر توريد الأسلحة للمستضعفين المسلمين للدفاع عن أنفسهم .

● ● ●

وانتهز الضيف الفرصة ليؤكد أن الكنيسة البريطانية قد أدانت هذا العنف ، وأن حكومته قد بعثت بمساعداتها ودعمتها بقوات لإيصالها للمحاصرين ـ وبذكاء خارق يتميز به فضيلته ألمح إلى أنه لا يقصد بلده وإنما يعنى موقف الغرب المتخاذل ككل .

ولا يبدأ كبير الأساقفة ويرجع ما يحدث على أرض يوغوسلافيا إلى العوامل العرقية والجنسية دون عامل الدين ـ ويجدها فضيلة الإمام منفذاً جديداً فيندر باهتمام العالم الغربى بالمحافظة على الحيوانات ومساعدتها فى شدتها عن اهتمامه بالإنسان الذى كرمه ربه وفضله على الكثير من خلقه ... ومن هنا يبرز دور رجال الدين ومهمته فى تبصير الشعوب وحثهم على احترام الإنسان وتحقيق آماله وطموحاته فى جو آمن مطمئن .

ولقد وافق كبير الأساقفة على رأى فضيلة الإمام ، ودعا إلى حث رجال الدين أن يبذلوا غاية جهدهم للتأثير فى القيادات السياسية وشعوبهم لإيجاد الحلول الملائمة للمشاكل لصالح البشر دون أى تفرقة عنصرية من أجل سلام العالم وأمنه ـ بالتعاون المثمر بين دعاة جميع الأديان ذات الأصول السماوية .

ولقد كانت إجابات فضيلة الإمام الشافية المقنعة إضافة إلى حسن استقباله لضيوفه ـ لله وفى الله ـ مثاراً للاحترام والتبجيل والشكر والدعوة إلى تكرار مثل تلك اللقاءات الجادة المثمرة .

ولقد تمنى كبير الأساقفة وسفير بريطانيا أن تشرّف بلادهم بزيارة خاصة يقوم بها فضيلة الإمام الأكبر ـ دعماً للروابط بين رجال الدين من أجل سلام العالم وتخليص البشرية من همومها ومشاكلها .

● ● ●

ولقد سنحت الفرصة للأسقف أن يلقى كلمة فى جامعة الأزهر ليقدم الشكر لرئيسها على ما يبذله سيادته من أجل التعاون المثمر والبناء بين

الجامعة وبين جامعة (برمنجهام) ، وقد أكد فيها على أن للمسلمين والمسيحيين مسئولية تجاه الأسرة الإنسانية بما أدوه من خير للمجتمعات قاطبة .

فلقد انتهت الصراعات بين الديانتين العملاقين التى كانت سائدة فى العصور الوسطى ، والتى كانت تسعى لتقسيم العالم وتحطيم العلاقات بينهما .. والتى لازالت آثارها باقية حتى الآن ـ وهو هنا يقدم اعتذاره عما وقع بشأن ذلك من حروب صليبية .

وألمح إلى ما يجرى فى يوغوسلافيا السابقة من صراع عرقى مدمر لا يمكن تصوره أو قبوله ـ ربما لتأثر سكانها المسيحيين بما أذكاه فيهم المؤرخ الانجليزى « نويل مالكولم » من روح العداء بمعلومات مضللة .

ولعل اتفاق الأطراف على المصالحة فيما بينهم تدعو قيادات الأديان لتحمل مسئوليتهم فى تحقيق هذه المصالحة وضمان تحقيق سلام دائم يعتمد على إيجاد مناخ قوامه الصداقة والتفاهم والتبادلية والتعاون بين الديانة الإسلامية والديانة المسيحية لإيجاد مجتمع يسوده العدل والأمن .

فالقوانين الوضعية تتطلب أساساً أخلاقياً يدعمها ويضمن لها البقاء والاستمرار وكلا الديانتين تسعيان لزرع هذه القيم الأخلاقية للتغلب على الشرور والآثام التى تهدد الأسرة الإنسانية .

وهو يعتقد أن التعاون بين الأديان قد يقهر الفقر والبؤس بين الناس . فكل مجتمع غارق فى مشاكله يسعى كل فرد فيه لايجاد حلول مناسبة لها دون جدوى . غير أن التعاون بين الأديان قد يخلص المجتمعات من مشاكلها ويضرب لذلك مثلا حيًا يتمثل فيما تقوم به وكالات الإغاثة الإسلامية وهيئات المساعدة المسيحية فى عمل مشترك بينهما لتخفيف معاناة سكان البوسنة .

وهو يرى أن السلام بين الشعوب يمكن تحقيقه بكثير جهد من القيادات الدينية التى يمكنها القضاء على الصراعات المريرة خاصة بعد انتشار ظاهرة ما يسمى ـ بـ« الإرهاب » ـ أو « التطرف » بما يسببه من دمار وتقتيل لا يرضى عنه أى دين ونحن نسعى جميعاً إلى غرس التسامح والانسجام ورعايته والعمل من أجل تحقيقه فى وسط هذا العنف البغيض .

ويختم ـ سيادته ـ محاضرته ـ بأن إعجابه بدينه المسيحى لا يمنع إعجابه بمعتقدات وتقاليد المجتمعات الإيمانية الأخرى ، وأن لها دوراً فى البحث عن السلام والنظام والانسجام بين الأمم ـ وأن الأمل معقود على قيادات الديانة الإسلامية والمسيحية والتعاون بينهما ـ ونسيان الماضى بروح كريمة سخية .

ولابد من بذل الجهد من أجل الحوار الدينى والعمل المشترك من أجل غد تحيا فيه المجتمعات فى سلام وتكون الصداقة والفهم والتعاون فى نسيج جديد لعلاقة جديدة يمكن أن يعيش من خلالها الإسلام والمسيحية معاً .



سورة يس

أ. د / ابراهيم خميس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٠) أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢) وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ (٣٤) لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥) سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) ﴾

بعد الأحاديث فى الآيات السابقة عن المشركين الذين واجهوا دعوة الإسلام بالتكذيب ، وبعد المثل الذى ضربه الله لهم فى قصة أصحاب القرية المكذبين وما انتهى إليه أمرهم فإذا هم خامدون .

يبدأ الحديث فى هذه الآيات بالتعميم فى موقف المكذبين بكل ملة ودين ، ويذكر صورة البشرية الضالة على مدار القرون وينادى على العباد نداء الحسرة وهم لا يتعظون بمصارع الهالكين الذين يذهبون أمامهم ولا يرجعون إلا يوم الدين ويطلبون تعجيل العذاب غير مصدقين . فتبدأ الآيات بعرض مشهد من مشاهد القيامة يرون فيه مصيرهم الذى يستعجلونه كأنه حاضر تراه العيون .

﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٠) ﴾ .

والحسرة : انفعال نفسى على حال مؤسفة لا يملك الإنسان شيئا حيالها سوى أن يتحسر وتألم نفسه ، وقيل : هى شدة الندم مشوبا بتلهف على نفع فائت ، وقال بعض المفسرين : الحسرة : الغم على ما فات والندم عليه ، كأن المتحسر تحسر عنه قواه من فرط ذلك ، أو أصابه إعياء عن تدارك ما

قرط منه ، قال أبو حيان : هى أن يركب الإنسان ـ من شدة الندم ـ ما لا نهاية بعده حتى يبقى حسيرا ، وكل هذه الأقوال متقاربة يكمل بعضها بعضا .

وقد اختلف العلماء فيمن صدر منه هذا النداء . فقال بعضهم : هو صادر من الملائكة .

قال مجاهد والضحاك : إنها حسرة الملائكة على الكفار حين كذبوا الرسل ، ويجوز أن يكون من كلام المؤمنين ، أو من تحسر الكفار على أنفسهم يوم القيامة أن لو كانوا آمنوا فى الدنيا . وأياما كان صدور التحسر ، فالمقصود تهويل أمرهم وتشنيعه وتقبيحه ، فالمستهزئون المكذبون أحقاء بأن يتحسروا على أنفسهم ويتحسر عليهم غيرهم ، وقد يكون المتحسر هو الله ويكون الكلام على سبيل المجاز ، والمراد تعظيم جرمهم وتفظيعه لأن الندم مستحيل صدوره من الله . « وأل » فى العباد إما للعهد ، وهم الذين أخذتهم الصيحة من أصحاب القرية فيا حسرة على أولئك ، أو للجنس وتكون لجنس الكفار المكذبين ، وعلى هذين القولين يكون « على » فى قوله : « على العباد » على بابها ، وتكون « على » بمعنى « من » إذا اريد بالعباد الرسل . فيكون التحسر صادرا منهم على عدم إيمانهم . روى الربيع عن أنس عن أبى العالية أن العباد هنا : الرسل ، وذلك أن الكفار لما رأوا العذاب ينزل بهم قالوا : « يا حسرة على العباد » فتحسروا على قتلهم الرسل وترك الإيمان بهم فتمنوا الإيمان حين لا ينفعهم التمنى ، وقال ابن جرير : المعنى يا حسرة من العباد على أنفسهم وتندما وتلهفا فى استهزائهم برسل الله ، وقيل : هى من قول الرجل الذى جاء من أقصى المدينة يسعى ؛ يتحسر على عدم إيمان هؤلاء .

﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

مستأنفة لبيان ما كانوا عليه من تكذيب الرسل والاستهزاء بهم ، وأن ذلك هو سبب التحسر عليهم ونظير هذه الآية قوله ـ تعالى ـ فى سورة الزمر :

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

وفى هذا دليل على أن الحسرة سوف تكون عند معاينة العذاب . يفتح الله لهم أبواب رحمته بإرسال الرسل إليهم الحين بعد الحين ، ولكنهم يتجافون أبواب الرحمة ويسيئون الأدب مع الله مع ما يرونه من مصارع الغابرين حيث يهلكون ولا يرجعون .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

الاستفهام هنا للتقرير ، ويروا بمعنى يعلموا لأن الموجودين لم يبصروا إهلاك الغابرين بل علموه بطريق النقل ، وكم خبرية بمعنى كثير ، والقرون جمع قرن ، وهم القوم المقترنون فى زمن واحد « كعاد » و « ثمود » وفى قوله : ﴿ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ معنيان :

الأول : أهلكوا إهلاكا لا رجوع لهم الى من فى الدنيا .

الثانى : هو أنهم لا يرجعون إليهم ، أى : الباقون لا يرجعون إلى المهلكين بنسب أو ولادة .

يعنى : أهلكناهم وقطعنا نسبهم ، ولا شك فى أن الإهلاك الذى يكون مع قطع النسل أتم وأعم والوجه الأول أشهر نقلا ، والثانى أظهر عقلا ، وفائدة ذكر « أنهم إليهم لا يرجعون » : التهكم بهم وعدهم من الحمقى ، حيث لم يعتبروا بمن أهلكوا قبلهم ، وتقرير تصوير الإهلاك لزيادة التخويف ، ولاستحضار الصورة فى الإهلاك ، أى : إهلاكا لا طماعية معه لرجوع إلى الدنيا ، ولقد كان فى إهلاك المكذبين وعدم رجوعهم عظة لمن يتدبر ، ولكن العباد البائسين لا يتدبرون وهم صائرون إلى ذات المصير ، فأية حالة تدعو إلى الحسرة كهذا الحال الأسيف . إن الحيوان ليرتعد ويخاف أشد الخوف عندما يرى مصرع أخيه أمامه ، ويحاول أن يتوقاه قدر استطاعته ؛ فما بال الإنسان يرى المصارع تلو المصارع ، ثم يسير مندفعا فى ذات الطريق لا يرتجر ولا يرعوى ولا يفكر ، وإذا كان الهالكــون الذاهبــون لا يرجعون إلى خلفائهم المتأخرين ، فإنهم ليسوا بمتروكين ولامفلتين من حساب الله بعد حين .

﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾

لما بين الله الإهلاك ؛ بين أنه ليس من أهلكه تركه بل بعده جمع وحساب ، وحبس وعقاب قال تعالى :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ المؤمنون ١١٥

وقال ــ تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة ص

فالآية : بيان لرجوع الكل إلى المحشر بعد بيان عدم الرجوع إلى الدنيا .

ولو أن من أهلك ترك لكان فى الموت راحة .

قال الشاعر :

ولــو أنـــا إذا متـــا تركنـــا
لكـــان الموت راحـــة كل حى
ولكنـــا إذا متـــا بعثنـــا
ونسأل بعـــــده عن كل شيء

قرىء ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا ﴾ بتشديــــد الميم وتخفيفها ؛ فالتشديد على أن « إن » نافية ، و « لما » بمعنى إلا ، وبالتخفيف على أن « إن » مخففة من الثقيلة ، واللام هى الفارقة بين « إن » النافية و « إن » المخففة ، وذكرت لتأكيد النسبة ، والتنوين عوض عن المضاف إليه ، أى : وإن كل أحد و « لدى » بمعنى : عند . وقد يقول قائل : ما فائدة ذكر « جميع » بعد « كل » مع أن الظاهر أنهما . بمعنى واحد ، والقرآن لا تكرار فيه ؟ .

والجواب : أنهما يختلفان فى المعنى ، فلفظ « كل » يفيد الإحاطة والشمول ، و « جميع » يفيد اجتماعهما فى مكان واحد ، وهو المحشر ، وزمان واحد وهو : عند النفخة الثانية ، والمعنيان مختلفان ، « ومحضرون » أى للحساب ، وقيل « محضرون » بمعنى معذبون ، والأول أولى ، والمعنى : وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدى الله ــ عز وجل ــ فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ هود ١١١ .

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ .

بعد أن ذكر الله – تعالى – ما يدل على الحشر بإحضار جميع الأمم إليه يوم القيامة للحساب والجزاء ؛ ذكر ما يدل على إمكان البعث بإنبات النبات من الأرض الجدباء بالمطر وإيجاد البساتين وتفجير الأنهار ، إن الكفار يكذبون الرسل ولا يتدبرون مصارع المكذبين ، ولايدركون دلالة ذهابهم وعدم رجوعهم .

والرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده ، وكل ما حولهم فى الوجود شاهد بوحدانية الله وقدرته الباهرة .

ومن هذه الأدلة الكونية : هذه الأرض القريبة منهم ؛ يرونها ميتة لا حياة فيها فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من أصناف الزروع والثمار ما شاء الله عليها أن تنبت .

قال – تعالى – :

﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ سورة الحج

وقال – تعالى – فى سورة فصلت :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فصلت/٣٩ ، ومعنى موت الأرض : جفافها وجرازها ؛ لخلوها من حياة النبات فيها ، وأحياؤها معناه : خروج النبات منها من العشب والكلأ والزرع ، وتزينها به ، وحياة الأرض معجزة لا تملك يد البشر أن تجريها إنما هى يد الله التى تجرى المعجزات وتبث روح الحياة فى الموات .

قال – تعالى – :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ سورة السجدة

والغرض من ذكر قوله – تعالى – : « وآية لهم الأرض » .... الخ : إقامة الدليل على البعث بعد الموت وعلى وحدانية الله – تعالى – فكونها دالة على البعث يوحى به « أحييناها » وكونها دالة على الوحدانية يوحى به قوله : « وأخرجنا منها حبا » إلى قوله : « أفلا يشكرون » . ومع ذلك ففيها تذكير بنعم الله – تعالى – على عباده .

منها : « الأرض » ، فهى مكانهم ومهدهم الذى يجدون فيه الراحة والاستقرار .

قال – تعالى – : فى سورة طه : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ ٥٣ وكثير من الآيات فيها دلالة على أن « الأرض » نعمة كبرى من نعم الله على الإنسان .

النعمة الثانية : إحياء الأرض بحيث تخضر فتصير أحسن وأنزه وأبهج فى عين الناظر إليها .

والنعمة الثالثة : إخراج الحب منها : بحيث يصير قوتهم فى مكانهم ؛ يحصلون عليه بدون بحث عنه فى سماء أو هواء .

والمراد بكلمة « حبا » جنس الحب ، والفكرة قد تفيد العموم فى الإثبات إذا كان السياق للامتنان كما فى هذه الآية ، وفى ذكر الإخراج تنبيه على كمال إحياء الأرض ، والفاء فى « فمنه » داخله على المسبب ، « ومن » لابتداء الغاية أو للتبعيض ، وقدم الجار والمجرور على عامله « يأكلون » لإفادة أن – الحب – معظم ما يؤكل ويعاش به ، وما أحوج بنى آدم إلى الحب فهم يقتاتونه ويعلفون به دوابهم .

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

الفرق بين الخلق والجعل :

أن الخلق : ايجاد من الله على غير مثال سابق ولا دخل فيه لأحد .

أما الجعل : فهو من الله ، ولكن لغير الله مدخل فيه ، فإيجاد النخل والعنب من الله ، وللعباد غرسه وسقيه وتعهده ، والجنات بساتين ذات أشجار مثمرة كالنخيل والأعناب ، وأصل كلمة جنات مأخوذ من الاجتنان وهو الاستتار لأن جذورها مستورة في الأرض ومن دخلها استتر عن الخارجين عنها ، ومن في « من نخيل » : بيانية ، والمعنى : وأوجدنا في الأرض التي أحييناها بساتين مثمرة من نخيل وأعناب وغيرها ، وجعلنا فيها أنهارا موزعة في أماكن مختلفة يحتاجون إليها لسقي هذه الجنات وشربهم وشرب مواشيهم ، وقيل في معنى فجرنا : فتحنا وشققنا فيها شيئا من العيون .

وقوله « ليأكلوا من ثمره » متعلق بجعلنا لبيان فائدة جعل الجنات في الأرض ، وقد اختلف المفسرون . علام تعود الهاء في « من ثمره » ؟ ، كما اختلفوا في معناها . فإذا أريد بالثمر ما تنبته الشجرة ، فالضمير يعود على الله لأنه لولا خلق الله لها ما كانت تلك الثمرة ويجوز أن يعود على النخيل ، وتكون الأعناب داخلة فيها ، ويجوز أن يكون الضمير عائدا على المذكور وإذا أريد بالثمرة الفائدة ؛ عاد الضمير على التفجير المفهوم من فجرنا تفجيرا ليأكلوا من فوائد ذلك التفجير ، وفوائده أكثر من الثمار ، بل يدخل فيه ما قاله الله - تعالى - : ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ عبس

فأثر التفجير في هذه الآيات كما ترى كثير يزيد على ما ذكرته السورة » .

ويرجح هذا الوجه : أن الضمير يعود على أقرب مذكور ، وأقرب مذكور هو التفجير والمتأمل في الآية يجد أن الله ذكر شجر التمر ولم يذكر التمر ، وذلك العنب ولم يذكر شجره ، وهو : الْكَرْم والسر في ذلك : أن شجرة النخل ينتفع بكل جزىء فيها ساقها ، وسعفها ، وليفها وجريدها ، أما شجر العنب فالمقصود الأعظم هو الانتفاع بثمرها ، ثم إن القارىء والسامع لهاتين الآيتين يجد أن الله - تعالى - حين ذكر الحب ذكر عقبة فائدته فقال : « فمنه يأكلون » وحين ذكر النخيل والأعناب أخر التنبيه على الانتفاع به ، وفصل بينهما بتفجير العيون ، وحكمة ذلك أن الحب قوت قد يتم وجوده بمياه الأمطار ، وهذا لطف من الله حيث جعل ما يحتاج إليه الإنسان أعم وجودا .

وأمـــا الثمار فلا تتم إلا بالأنهار ولا تصير الأشجار حاملة للثمار إلا بعد وجود الأنهار فلهذا أخر قوله : « ليأكلوا من ثمره » .

وما في « وما عملته أيديهم » يجوز أن تكون نافية ، ويكون المعنى : وما عملت التفجير أيديهم بل الله فجر ، ويجوز أن تكون موصولة ، والمعنى وما عملته أيديهم أي : بالتجارة كأنه ذكر نوعيّ ما يأكله الانسان بهما : أي الزراعة والتجارة .

وهناك معنى آخر على موصوليه أى ، والذى عملته أيديهم من الغراس بعد التفجير يأكلون منه أيضا ، ويأكلون من الثمر الذى أخرجه الله بلا سعى من الناس ، فعطف الذى عملته أيديهم على ما خلق الله من غير مدخل للإنسان فيه ، ويجوز أن تكون « ما » مصدرية ، ولا يتأتى هذا الوجه إلا على قراءة « وما عملت » بدون الهاء . والمعنى ليأكلوا من عمله وعمل أيديهم ، يعنى : يغرسون والله ينبتها ويخلق ثمرها ، فيأكلون مجموع عمل أيديهم وخلق الله ، وسبحان من أودع فى اللفظ معان كثيرة .

أفلا يشــكرون :

الفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ، أى أيرون هذه النعم ، أو أينعمون بها فلا يشكرون المنعم بها ؟ والاستفهام فيها : إنكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المتعددة . إن رؤية الزرع النامى والجنان الوارفة والثمر اليانع ليفتح العين والقلب على يد الله المبدعة ، وهى تشق التربة على النبتة المتطلعة للحرية والنور ، وتنضر العود المستشرف للضياء ، وتزين الغصن اللدن بالورق والثمار ، وتفتح الزهرة وتنضج الثمرة وتهيئها للجنى والقطاف ، ويد الله هى التى أقدرتهم على العمل ، كما أقدرت الزرع على الحياة والنماء وكل ذلك يقتضى شكر الله ــ تعالى ــ ولذا ختم الآية بقوله « أفلا يشكرون » ومآل هذا التنزيل : أمر العباد بشكر الله ، والشكر : صرف كل نعمة فيما خلقت له والاعتراف لله بالوحدانية واحتياج العباد إليه فى كل شئونهم .

ولكى يرسخ الشكر فى نفوس المؤمنين أورده بطرق متعددة فأمر به فى قوله ــ تعالى ــ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ سورة البقرة

وجاء به مضارعا فى قوله : تعالى ﴿ **أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى** ﴾

وفى سورة « لقمان » جاء بلفظ المضارع والأمر معا فقال ــ تعالى ــ ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾ لقمان/١٢

وفى آية أخرى جعل الشكر سببا لبقاء النعمة وزيادتها ، قال ــ تعالى ــ : ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾ إبراهيم :٧ ، وصدق من عرف الشكر فقال : **الشكر قيد الموجود وصيد المفقود.**

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴾

لما قال سبحانه وتعالى : « أفلا يشكرون » آمرا إياهم بالشكر وقد تركوه ، ولم يكتفوا بترك الشكر ، بل عبدوا غير الله وأشركوا به ، قال ــ تعالى ــ : سبحان الذى خلق الأزواج » وهذه الآية استئناف مسوق لتنزيهه ــ تعالى ــ عما فعلوه من ترك شكره ــ عز وجل ــ واستعظام ما ذكر فى حيز الصلة من بدائع آثار قدرته وأسرار حكمته وروائع نعمائه الموجبة لشكره ــ تعالى ــ وتخصيص العبادة به سبحانه ، والتعجيب من إخلالهم بذلك والحال هذه .

قال : أبو السعود فى « الإرشاد » سبحان : علم على التسبيح ، الذى هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا ، والمعنى . أنزه الله عما لا يليق به

اعتقادا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه ـ عز شأنه .

وهذا إخبار منه ـ تعالى ـ بتنزهه وبراءته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وهو فى الوقت نفسه تلقين للمؤمنين أن يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يُخلوا به ولا يغفلوا عنه ، وكما تفيد « سبحان » التنزيه تفيد التعجيب ، أى عجبا لهؤلاء فى كفرهم مع ما يشاهدونه من هذه الآيات ، **ومن تعجب من شىء قال : سبحان الله** .

والأزواج : جمع زوج ويقال : لكل واحد من القرينين ، ولكل ما يقترن بآخر مماثلا له ، أو مضادا ، وكل ما فى العالم زوج من حيث أن له ضدا أو مثلا ما ، والمراد بالأزواج فى الآية : الأصناف والأنواع فكل زوج صنف ، لأنه مختلف فى الأنواع ، والأشكال ، والطعوم ، والصغر ، والكبر .

وقد فسر الأوائل الأزواج : بالأصناف ، قبل أن يكتشف العلم أن بين كل شىء فى الكون ذكورة وأنوثة ، أما بعد اكتشاف العلم لذلك فلا مانع من تفسير « الأزواج » فى الآيات بالذكورة والأنوثة ، ففى النبات والجماد ذكورة وأنوثة(*) .

قال ـ تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الذاريات/٤٩ .

قال قتادة يعنى : الذكر والأنثى فكان تفسيره هذا تنبأ بالاكتشاف العلمى الحديث .

ومن فى قوله : « مما تنبت الأرض » بيانية ، وقد ذكرت الآية أمورا ثلاثة تنحصر فيها المخلوقات ، فقد قال « مما تنبت الأرض » ، ويشمل هذا : كل ما فى الأرض من الأمور الظاهرة كالنبات ، والثمار ، وقوله : « ومن أنفسهم » يدخل فيها : الدلائل النفسية ، ومما لا يعلمون يدخل فيها ما فى أقطار السماوات ، وتخوم الأرض من أزواج لم يطلع الله الإنسان عليها بطريق من طرق المعرفة قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ المدثر/٣١ .

ووجه الاستدلال بهذه الآية : أنه إذا انفرد بالخلق والإيجاد فلا ينبغى أن يشرك به غيره فى العبادة والاستغاثة والاستعانة .

ويستفاد من الآيات ما يأتى :

١ ـ أن إحياء الأرض الهامدة بالنبات الأخضر وإخراج الحب منه الذى هو قوام الحياة وأساس القوت والمعاش ؛ من الأدلة على وجود الله ووحدانيته ، وكمال قدرته على البعث .

٢ ـ ومن الأدلة أيضا خلق بساتين فى الأرض من نخيل وأعناب ، وتفجير الينابيع فى البساتين للأكل من ثمر ماء العيون .

٣ ـ هذه النعم تستوجب شكر الخالق المنعم المتفضل ، وأن شكره يكون : بعبادته والإذعان لسلطانه وإرادته .

٤ ـ وجوب تنزيه الخالق عما لا يليق به والبعد عن صنيع الكفار الذين عبدوا غير الله مع ما رأوا من نعمه وآثار قدرته .

٥ ـ إن آثار قدرة الله ومظاهرها فى العالم كثيرة ، منها : خلق النبات والثمار المختلفة الألوان والطعوم والأشكال والأحجام صغيرا وكبيرا ، ومنها : خلق الأولاد والأزواج ذكورا وإناثا ، ومنها خلق الأصناف الأخرى التى لا يعلمها البشر فى البر والبحر والسماء والأرض .

(*) كنا نود من فضيلة الكاتب أن يذكر المصدر العلمى الذى استند إليه ... مجلة الأزهر .

قبس من أنوار النبوة

الأعمال - عند الله - سبحانه - سبعة

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

« الأعمال عند الله ـ عز وجل ـ سبعة : عملان موجبان ، وعملان بأمثالهما ، وعمل بعشر أمثاله ، وعمل بسبعمائة ، وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله ـ تعالى ـ فأما الموجبان : فمن لقى الله يعبده مخلصا لا يشرك به شيئاً وجبت له الجنة ومن لقى الله قد أشرك به وجبت له النار . ومن عمل سيئة جُزى بمثلها . ومن هم بحسنة جُزى بمثلها . ومن عمل حسنة جُزى عشرا . ومن أنفق ماله فى سبيل الله ضعف له : نفقة الدرهم بسبعمائة ، والدينار بسبعمائة . والصيام لله ـ عز وجل ـ لا يعلم ثواب عامله إلا الله »

رواه الطبرانى ، والبيهقى (المنذرى ـ وجامع الأحاديث) .

خلق الله ـ عز وجل ـ بنى الإنسان لحكمة سامية ، وغاية رفيعة ، أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب لتحقيقها ، وختم الكتب بالقرآن الكريم ، والرسالات برسالة الإسلام ، وختم الرسل بنبى الإسلام محمد ﷺ ؛ ليعلن هذه الحقيقة وتلك الغاية من خلق المكلفين : أن يعرفوا ربهم ، وأن يعبدوه وحده لا شريك له .

لقد خاطب الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه محمدا ﷺ بقوله :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ . الأنبياء

﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ .

الأعراف ـ ٥٩

إن السر فى خلق المكلفين هو عبادتهم لله وحده كما قال الله ـ تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾

الذاريات / ٥٦ ـ ٥٨

وإن الاعتقاد بوحدانية الله ـ سبحانه ـ يعنى الإيمان بأمور أخرى يتحقق بها كمال الإيمان فى مقدمتها : التصديق برسالة خاتم المرسلين ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

الأعراف ـ ١٥٨

قال الله في شأنه ﷺ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝٤٧ ﴾ سورة الأحزاب

ثم إن هذه العقيدة الراسخة في القلب : يبرهن على تحققها واستقرارها عمل الصالحات : من عبادات جليلة يمارسها المؤمن والمؤمنة على ما يريده الله تعالى ، ومن معاملات نبيلة ، ترتفع إلى السماء لتنال من الله القبول والرضا ، ويظهر أثرها بين الناس حبا وتعاونا وعطفا .

قال ـ تعالى :

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾

فاطر ـ ١٠

ثم الإيمان عقيدة راسخة ـ بالله رب الأرض والسماء ـ ويقين بما أعده ـ سبحانه ـ يوم المعاد من جزاء ، وتصديق بمن اصطفى من عباده المكرمين ، وما أنزل من كتب على النبين . ثم هو بذل وسخاء لذوى القرابة والفقراء والمساكين واليتامى والمعوذين ، وإخلاص في أداء الصلاة ، وسماحة في بذل الزكاة ، ووفاء بالعقود والعهود ، وبر بالوعود ، وصبر في البأساء والضراء ، وشكر في السراء على النعماء ، وثبات في الميدان عند اللقاء .

تلك صفات البررة المؤمنين الصادقين وأمارات المتقين المخلصين ، الذين قال الله ـ تعالى ـ في شأنهم :

﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْءَاخِرِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ وَالْكِتَٰبِ وَالنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِى الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا وَالصَّٰبِرِينَ فِى الْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝١٧٧ ﴾

البقرة ـ ١٧٧

إن من يحقق العبودية بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا . « وجبت له الجنة » .

« ومن لقى الله قد أشرك به » بأن جنح إلى عدم إخلاص العبودية له ـ تعالى ، ومثله من آمن بالله دون الرسل ، أو آمن بالله وببعض الرسل . فأولئك نعى الله ـ تعالى ـ عليهم جميعا وسلكهم في حكم واحد وأعد لهم سوء المصير : قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝١٥١ ﴾

سورة النساء

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾

النساء ـ ٤٨

وهذا الصنف « وجبت له النار » .

أما العملان اللذان بأمثالهما : فقوله :

﴿ من عمل سيئة جزى بها ﴾

حيث قال الله تعالى :

﴿ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾

الأنعام ـ ١٦٠

وقال تعالى فى الحديث القدسى :

« إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها ، وإن تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة »

رواه البخارى فى التوحيد

« من هم بحسنة جزى بمثلها» المراد بالهم : الإرادة وهى ترجيح الفعل على الترك عند بعض العلماء . وقال آخرون : المراد بالهم ، العزم والتصميم .

روى الإمام أحمد « ومن هم بحسنة يعلم الله أنه قد أشعر قلبه بها .. » .

« ومن عمل حسنة جزى عشرا » كما قال ـ تعالى ـ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، فمن تقرب إلى الله بطاعة مخلصا لله يضعف ثوابه إلى سبعمائة ضعف .

قال تعالى :

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة

روى الشيخان ـ البخارى ومسلم ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه ـ تبارك وتعالى ـ قال : إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك : فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة .. .

« والصيام لله ـ عز وجل ـ لا يعلم ثواب عامله إلا الله » .

إن الصيام أحب العبادات إلى الله ، والمقدم عنده حيث أضافه إلى ذاته ، حيث يتحلى فيه الإخلاص ، فهو سر بين العبد وربه يتحرر به الإنسان من سلطان غرائزه ويتغلب على نزعات شهوته وينتصر على حيوانيته ويتشبه بالملائكة ، الذين لا يأكلون ولا يشربون ، والصائم يجوع وأمامه الطعام ، ويعطش وبين يديه الشراب ، ويعف وبجانبه زوجته لا رقيب عليه إلا الله ، فهذه تربية وإرادة قوية ومراقبة لله ، وصبر واحتمال . وفى الصوم تمام العبودية لرب الناس الذى قال ـ فى كتابه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

البقرة ـ ١٨٣

فكان جواب أهل الإيمان :

﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

البقرة ٢٨٥

ولهذا نسب الله الصيام إلى حضرته وتولى جزاء الصائمين بنفسه فقال : فيما رواه ابن خزيمة ـ « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به ، يدع طعامه من أجلى ، ويدع شرابه من أجلى ، ويدع لذته من أجلى ، ويدع زوجته من أجلى » .

ولهذا كان جزاء الصيام عند الله بغير حساب .

وفقنا الله لصالح القول والعمل . وهدانا سواء السبيل .

أرفع الأعمال

للدكتور محمود سالم الخطيب

عن رجاء بن حيوة عن أبي أمامة قال : أنشأ رسول الله ﷺ غزوا . فأتيته فقلت : يارسول الله ، ادع الله لي بالشهادة فقال : اللهم سلمهم وغنمهم ، فغزونا فسلمنا وغنمنا .

ثم أنشأ رسول الله ﷺ غزوا آخر ، فقلت : يارسول الله ، ادع الله لي بالشهادة ، فقال : اللهم سلمهم وغنمهم ، فغزونا فسلمنا وغنمنا .

ثم أنشأ رسول الله ﷺ غزوا ثالثا ، فقلت : يارسول الله إني أتيك مرتين تدعو لي بالشهادة ، فقلت : اللهم سلمهم وغنمهم ، فغزونا فسلمنا وغنمنا ، ثم أتيته بعد ذلك في الرابعة . فقلت : يارسول الله مرني بعمل آخذه عنك ينفعني الله به ، قال عليك بالصوم فإنه لا مثل له فكان أبو أمامة وامرأته وخادمه لا يُلفوْن إلا صياما ، فإذا رئي نار أو دخان بنهار في منزلهم عرفوا أنهم اعتراهم ضيف . .

قال : ثم أتيته بعد ذلك فقلت : يارسول الله إنك قد أمرتني بأمر أرجو أن يكون الله قد نفعني به . فمرني بعمل آخر ينفعني الله به ، قال : « اعلم إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفع لك بها درجة ، وحط عنك بها خطيئة » أخرجه الإمام أحمد في مسنده .

راوي الحديث :

رجاء بن حيوة من أفاضل الصحابة تحدث عنه أبو نُعيم في كتابه : «حلية الأولياء» فذكر أنه كان تقيا صالحا يكثر من الصلاة والصوم ، وغزا مع رسول الله ﷺ ثلاث غزوات ، وكان لا يوقد في بيته نار ، ولا يظهر عنده دخان إلا إذا جاءه الضيفان . وقد ارتحل هذا الصحابي الجليل إلى الشام .

المفردات :

أنشأ : إذا خرج وابتدأ ـ يقال هو ينشئ « الأخبار أي يبحث عنها ويطلبها ، الغزوة : المرة من الغزو ، وكثير مما سمي غزوة خرج فيها رسول الله ﷺ مع الجيش قائداً بخلاف السرية فهي التي لم يخرج فيها رسول الله ﷺ .

معنى فسلمنا ، أي نجونا من القتل ، وغنمنا : حُزْنا من أموال أهل الحرب .

ومعنى : ادعو الله لي بالشهادة ، أي أموت شهيداً وأقتل مجاهدا في سبيل الله .

والصيام ـ هو الإمساك عن كل ما يفطر .

ومعنى : اعتراهم ضيف .. أى قصدهم .

ومعنى لا يُلقون إلا صياما : أى هم دائما على صيام .

والدرجة : هي المنزلة الرفيعة عند الله من أثر الطاعات .

الخطيئة : الإثم والذنب(١) .

المعنى العام للحديث

هذا الحديث يبين لنا مدى حرص الصحابة على الاستشهاد والجهاد فى سبيل الله لما لهما من الفضل العظيم والثواب الكبير ، ويدل على فضل الاستشهاد فى سبيل الله ، ومن ذلك قوله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

سورة آل عمران آية ١٦٩ ـ ١٧١

ومما يدل على فضل الجهاد والمجاهدين قوله ﷺ ، فيما رواه أبو سعيد الخدرى : « من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا دخل الجنة » . فتعجب من ذلك أبو سعيد وقال : يارسول الله ، أعدها على . فأعادها ، ثم قال : وشيء آخر يرفع الله به العبد مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض . فقال : ما هو يارسول الله : قال الجهاد فى سبيل الله » رواه مسلم .

ومن ثم تكرر طلب الصحابى الجليل « رجاء ابن حيوة » ـ رضى الله عنه ـ من رسول الله ﷺ بأن يرزقه الله الشهادة ثلاث مرات .

فذكر له رسول الله ﷺ أن يحافظ ويكثر من الصلاة والصوم ، فهما ركنان عظيمان من أركان الإسلام . أما الصلاة فقد كرر الله ـ سبحانه وتعالى ـ : الحث عليها فى القرآن الكريم فى مثل قوله ـ تعالى :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

البقرة : ١١٠

وقد بين لنا رسول الله ﷺ : فضل الصلاة وأنها تمحو الذنوب والخطايا كما يزيل الماء الأوساخ الحسية .

روى أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا** »(٢) **وقال عليه ـ السلام : « أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء »**(٣) .

ومعنى الدرن : الوسخ .. كذلك للصوم فضل كبير ويكفى أن نعلم أن رسول الله ﷺ بين أن الله ـ تعالى ـ هو الذى يتولى بنفسه جزاء الصائم .

(١) أنظر فى معانى المفردات لابن الأثير ـ النهاية فى غريب الحديث .

(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائى .

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل : إني صائم (مرتين) .. والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ، الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها » رواه البخاري .

والحديث الشريف يقرن الثواب هنا بـ (الأدب) والخلق الكريم فلا كمال لصيام الصائم إلا بخلقه الكريم ، فلا يأتي بفحش في الكلام ، ولا يمارس أفعال الجهال .

والجزاء هنا مقرون بقسم رسول الله ﷺ تأكيداً لثبوته ، وسبحانه هو الغني الحميد واسع العطاء .

وقال – عليه الصلاة والسلام – في فضل الصوم :

« إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم – يقال أين الصائمون .. ؟ فيدخلون منه ، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد » رواه مسلم ، والصوم أحد أركان الإسلام الخمسة الواردة في حديثه – عليه الصلاة والسلام : **« بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان »** رواه الشيخان والترمذي والنسائي .

نسأله – تعالى – أن يوفقنا في طاعته ، والعمل بكتابه ، وسنة رسوله ﷺ .

تكفل الحديث الشريف ببيان : فضل الصلاة والصوم والجهاد وحرص المسلمين على الاستشهاد في سبيل الله ، والأخذ من علم رسول الله ﷺ وهو المعلم الأمين الأعظم ، وحرصه – عليه الصلاة والسلام على تزويدهم بأركان الإسلام ، وما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، كما يعطينا الحديث الشريف بيانا عن تكريم هؤلاء الصحابة – رضي الله عنهم – لضيوفهم . وفقنا الله – تعالى – إلى كل خلق حسن .

مذكرة لكل صائم

لفضيلة الدكتور / محمود عبد المتجلى خليفة

- نية الصوم :

قال الإمام أبوحنيفة ـ رضى الله عنه ـ يجزىء صيام رمضان وكل صوم يتعين بنية من النهار ، فإذا نوى الإنسان صيام رمضان فى نهار آخر يوم من شعبان صحت هذه النية ، وكذلك أثناء نهار رمضان ، واستدل الإمام أبوحنيفة على صحة النية فى النهار بأن النبى ﷺ أرسل صبح عاشوراء إلى قرى الأنصار التى حول المدينة : من كان أصبح صائما فليتم صومه ، ومن كان أصبح مفطر فليصم بقية يومه ، ومن لم يكن أكل فليصم . رواه البخارى ومسلم . قال الإمام أبوحنيفة : وكان صوم عاشوراء واجبا متعينا .

- النية مرة واحدة لجميع الشهر :

قال الإمام مالك وإسحاق بن راهوية : تكفى نية واحدة لصيام جميع شهر رمضان إذا نوى صوم جميع الشهر ، وهو قول للإمام أحمد .

- النية الحكيمة :

تكفى النية الحكيمة فى صحة الصوم فى المذهب المالكى ومثالها أن يتسحر الإنسان ولم يخطر بباله الصوم ، وكان بحيث لوسئل : لماذا تتسحر ؟ أجاب بقوله : إنما تسحرت لأصوم . كفاه ذلك .

وجاء فى الفقه الحنفى : أن القدر الكافى من النية أن يعلم الإنسان بقلبه أنه يصوم كذا ومن عزم على الامتناع عن المفطرات أثناء النهار مخلصا لله فهو ناو كذلك وإن لم يتسحر .

- صوم الأبناء والبنات قبل البلوغ :

هؤلاء الصغار وإن كان الصيام غير واجب عليهم ، إلا أنه ينبغى للوالدين أن يأمراهم بالصيام ليعتادوه من الصغر ، ماداموا مستطعين له وقادرين عليه ، للحديث الذى ذكرته قبل ذلك فى رواية البخارى ومسلم عندما أمر النبى ﷺ بصيام يوم عاشوراء : قالت الربيع بنت معوذ ـ رضى الله عنها : فكنا نصومه بعد ذلك ونصوم صبياننا الصغار منهم ، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من الصوف فإذا بكى أحدهم من الجوع أعطيناه اللعبة حتى يجىء وقت الافطار .

- **المرأة تتناول دواء يقطع عنها الحيض طول شهر رمضان**

قال ابن قدامة الحنبلي في كتابه المغني : سئل الإمام أحمد ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن تناول المرأة دواء يقطع عنها الحيض لتصوم شهر رمضان كاملا . فقال : لا بأس أن تشرب المرأة دواء يقطع عنها الحيض ، إذا كان دواء معروفا .

- **ما يباح للصائم :**

هناك أشياء يباح للصائم فعلها ولا يبطل صيامه وبيانها كالتالي :

الاستحمام والانغماس في الماء لا يفسد الصوم وإذا فعله الصائم فلا شيء عليه لما رواه الإمام مالك والإمام أحمد وأبوداود عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام أحد فقهاء المدينة السبعة عن بعض أصحاب النبي ﷺ أنه حدثه فقال : لقد رأيت رسول الله ﷺ يصب على رأسه الماء وهو صائم من العطش أو الحر .

- **استعمال الكحل والقطرة :**

إذا وضع الإنسان القطرة في عينه أو تكحلت المرأة في نهار رمضان لا يفسد الصوم حتى ولو وجد الإنسان أثرا لكحل أو القطرة في حلقه فالصوم صحيح في المذهب الحنفي والشافعي وذلك لأن العين ليست بمنفذ معتاد إلى الجوف .

قال الترمذي في جامعه : لم يصح عن النبي ﷺ في القطر بما يصل إلى الجوف عن طريق العين شيء .

- **تقبيل الزوجة :**

إذا قبل الصائم زوجته وكان يقدر على التحكم في نفسه ولم تتحرك شهوته ولم ينزل منه شيء فإن صومه يكون صحيحا .

روى أصحاب السنة عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : كان رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم ، ويباشر وهو صائم ولكنه أملككم لإربه .

وروى أحمد وأبوداود عن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : هششت أي نشطت يوما فقبلت وأنا صائم فأتيت النبي ﷺ فقلت: صنعت اليوم أمرا عظيما ، قبلت وأنا صائم فقال رسول الله ﷺ : أرأيت لو تمضمضت بماء وأنت صائم ، قلت : لا بأس بذلك فقال ﷺ : ففيم ؟ أي ففيم السؤال ؟ .

ولكن معلوما أن التقبيل يكره لمن تتحرك به شهوته خصوصا الشاب والذي ننصح به ترك التقبيل أثناء النهار سدا لباب الفتنة .

- **الحقنة**

إذا احتاج الصائم لأخذ حقنة سواء كانت في العرق أو في العضل أو تحت الجلد فإن صيامه صحيح ، لأن الحقنة وإن وصلت إلى الجوف ، فإنها تصل إليه من غير المنفذ المعتاد .

الحجامة أو الفصد :

الحجامة أخذ الدم من الرأس والفصد أخذ الدم من أى عضو من الجسم إذا احتجم الصائم أوأخذ من جسمه دم بطريق الفصد والتشريط بالموس لجزء من جسمه فإن ذلك لا يضر صيامه ، إلا إذا كانت هذه الأشياء تضعف الصائم فإنها تكره له . روى البخارى أن النبى ﷺ احتجم وهو صائم .

وروى البخارى وغيره عن ثابت البنانى أنه قال لأنس بن مالك ـ رضى الله عنهما : أكنتم تكرهون الحجامة للصائم على عهد رسول الله ﷺ ؟ قال : لا إلا من أجل الضعف .

المضمضة والاستنشاق :

إذا تمضمض الصائم أواستنشق سواء كان ذلك فى وضوء أو غسل أو فى غيرهما فإن صيامه صحيح ولا شيء عليه .

لكن يكره للصائم المبالغة فى الاستنشاق أوالمضمضة خشية أن يسبقه شيء من الماء إلى جوفه .

وذلك أن النبى ﷺ قال للقيط بن صبرة : فإذا استنشقت فأبلغ إلا أن تكون صائما . رواه أصحاب السنن بسند صحيح .

إذا تمضمض الإنسان أواستنشق فى الطهارة فسبق الماء إلى حلقه من غير قصد ولا إسراف فإن صيامه صحيح ولا قضاء عليه فى المذهب الحنبلى ، وهو للشافعى فى أحد قوليه وذلك لأن الماء وصل إلى حلقه من غير إسراف ولا قصد ابتلاع الماء فأشبه ما لو طارت ذبابة إلى حلقه وهو صائم حيث لا يعتبر مفطرا بها فكذلك سبق الماء وبهذا فارق الشخص المتعمد ابتلاع الماء مع المضمضة أو الاستنشاق ..

غبار الطريق وغربلة الحبوب أوالدقيق أو كيلهما :

إذا كان الإنسان سائرا فى طريق فهبت الريح فأثارت غبارا فدخل فى حلقه فإنه لا يغير صيامه ، وكذلك إذا كان الصائم يعمل فى جبس أوجير فطار شيء منه ودخل إلى حلقه فإن صيامه صحيح .

ومثل ذلك من يغربل الحبوب أو ينخل الدقيق بالمنخل أو يكيل هذه الأشياء فسبق شيء من تراب الحبوب أومن أثر الدقيق إلى حلقه فإن صيامه صحيح ولا شيء عليه ، والسبب فى صحة الصوم من دخول هذه الأشياء إلى الجوف أنها أمور يعسر الاحتراز منها وهذا هو مذهب الحنفية والمالكية .

شم الروائح :

إذا شم الصائم رائحة طيبة كالمسك وأنواع العطور المختلفة ، فلا يفطر ولو استنشقها لأنها لا جسم لها لكن يكره شمها فى المذهب المالكى .

● وضع دواء على الجرح الواصل للجوف :

إذا وضع الصائم دواء على جرح نافذ للجوف فى البطن أو الظهر أو الصدر مثلا أو الجنب فإن هذا لا يفسد الصيام فى المذهب المالكى .

وذلك لأن الدواء لا يصل إلى محل الأكل والشرب .

● الحائض أثناء النهار :

إذا طهرت الحائض من الدم أثناء النهار يباح لها الأكل فى بقية يومها ، ولا يستحب لها الامساك بقية اليوم.

● قدوم المسافر المفطر إلى بلده :

إذا كان شخص مفطرا فى سفره ثم قدم إلى بلده أثناء النهار فإنه يباح له تناول المفطرات بقية النهار ولا يندب له الامتناع عن المفطرات بقية اليوم .

● استعمال السواك :

يباح للصائم أن يستعمل عود الأراك فى السواك وهو صائم طول النهار سواء كان ذلك قبل الظهر أوفى آخر النهار فى المذهب المالكى .

وقد روى البخارى أن النبى ﷺ قال : لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة . فعم الحديث الصائم وغيره ومعلوم أن صلاة العصر فى آخر النهار وننصح الصائم أن لايستعمل معجون الأسنان أثناء النهار خشية أن يصل منه شيء إلى جوفه فيفسد صيامه القيء إذا غلب القيء الصائم ولم يرجع منه شيء إلى جوفه بعد أن يتمكن من طرحه فإن صيامه صحيح ولا شيء عليه .

لكن ذا تعمد القيء بمعالجة إخراجه بأن أدخل إصبعه فى فمه مثلا حتى تقايأ فإن عليه قضاء يوم بدل هذا اليوم الذى تعمد القيء فيه .

روى أصحاب السنن عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه تعالى ـ أن النبى ﷺ قال : من ذرعه ـ أى غلبه ـ القيء فليس عليه قضاء ، ومن استقاء عمدا فليقض .

● ابتلاع الريق والبلغم والنخامة :

إذا ابتلع الصائم ريقه فإن ذلك لا يؤثر فى الصيام وكذلك إذا ابتلع البلغم الذى يخرج من الصدر أو إذا ابتلع النخامة التى تنزل من الدماغ فكل ذلك لا يفسد الصوم وليس فيه قضاء .

وكذا إذا بلع ريقه وقد بقى بلل بفمه من أثر المضمضة فابتلعه مع الريق فلا يفسد صومه عند الأحناف .

● ذوق الطعام :

إذا ذاق الصائم الطعام بلسانه ولم يبتلع منه شيئا ومن ذلك ذوق الخل ليشترى منه فإن صيامه صحيح ويجوز له هذا الفعل بشرط أن يحترس حتى لا يصل إلى جوفه شيء منه .

● مضغ الطعام للطفل :

يجوز للإنسان أن يمضغ الطعام لطفله ولا يضر ذلك صيامه بشرط أن يحتاط حتى لا يصل شىء من الطعام إلى جوفه .

وقد جاء فى الآثار أن الحسن البصرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ كان يمضغ الطعام لابن ابنه وهو صائم .

● مضغ اللبان :

إذا مضغ الصائم شيئا من أنواع اللبان وكان لا يتحلل منه شىء صح صومه مع كراهة ذلك المضغ عند الأحناف والشافعية والحنابلة .

فإذا تحللت أجزاء من اللبان ونزلت إلى الجوف فسد الصوم وعلى ذلك الشخص قضاء ذلك اليوم .

● الفطر بسبب النسيان :

إذا نسى الصائم فأكل أوشرب وهو صائم فصيامه صحيح ولا قضاء عليه عند الحنفية لما رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : من نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما الله أطعمه وسقاه .

● إدخال الإصبع فى القبل :

إذا أدخلت المرأة إصبعها فى قبلها ولو كانت الاصبع مبتلة فلا يفسد صومها فى المذهب الحنبلى .

● إذا أصبح الصائم جنبا :

إذا عاشر الصائم زوجته قبل الفجر ثم طلع الفجر قبل أن يغتسل فإن صيامه صحيح وعليه الغسل للصلاة سواء أمكنه الغسل قبل طلوع الفجر أم لا .

روى البخارى عن عائشة وأم سلمة ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أن النبى ﷺ كان يصبح جنبا من جماع غير احتلام ثم يصوم فى رمضان .

● الحائض ينقطع منها الدم قبل الفجر :

إذا انقطع دم الحيض قبل الفجر صح الصيام ولو لم تغتسل قبل الفجر وعليها أن تغتسل للصلاة وصيامها صحيح سواء أمكنها الاغتسال قبل طلوع الفجر أم لا .

● الاحتلام فى نهار رمضان :

إذا احتلم الإنسان وهو صائم فى رمضان فإنه يستمر فى صيامه ولا يؤثر الاحتلام فى صحة الصيام ويغتسل لأجل الصلاة .

● السفر والصوم :

إذا سافر الإنسان فى خلال شهر رمضان سفرا يزيد على ثمانين كيلو مترا جاز له الفطر كما يجوز له أن يصوم إن قدر على الصوم بغير مشقة زائدة ، والصوم أفضل من الفطر لمن قدر عليه لقول الله تعالى « وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » .

وروى البخارى ومسلم عن عائشة أن حمزة بن عمرو الأسلمى ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال للنبى ﷺ أأصوم فى السفر ؟ وكان كثير الصيام فقال ﷺ : إن شئت فصم وإن شئت فأفطر .

ورويا عن أنس رضى الله تعالى عنه : قال : كنا نسافر مع رسول الله ﷺ فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم وفى رواية مسلم : فيصوم الصائم ويفطر المفطر فلا يعيب بعضهم على بعض .

● المسافر إذا أفطر فى سفره ؟

إذا أفطر المسافر فى رمضان لعذر السفر وجب عليه بعد رمضان قضاء أيام بعدد ما أفطر ولا يشترط التتابع فى القضاء ، وذلك لقول الله تعالى : « فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

● صوم المريض :

المريض إذا قدر على الصوم صح صيامه ويجوز له الفطر إذا خاف زيادة المرض أو تأخر الشفاء أو حدوث مرض آخر وتكون معرفة ذلك بتجربة فى نفسه أو بأخبار طبيب حاذق مسلم ثقة ، وعلى المريض إذا أفطر أن يقضى أياما بعدد ما أفطر بعد أن يمن الله عليه بالشفاء .

● تقدم السن :

الرجل المتقدم السن والمرأة العجوز والمريض مرضا ميئوسا من شفائه منه هؤلاء يحل لهم الافطار إذا لم يقدروا على الصوم ولا يتصور منهم القضاء وفى المذهب المالكى يندب لكل واحد منهم أن يطعم عن كل يوم يفطره مسكينا والذى نفتى به أن يقدر الاطعام بثلاثة جنيهات عن كل يوم فإذا لم يطعم كل منهم فلا إثم عليه فى المذهب المالكى .

روى البخارى عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » .

قال ابن عباس : ليست بمنسوخة هى للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا .

● صيام الحامل والمرضع :

إذا خافت المرأة الحامل وهى صائمة فى شهر رمضان على مافى بطنها أو خافت فعلا على نفسها أو حدوث مرض ويعرف ذلك باخبار طبيب حاذق مسلم تفطر وتقضى ما أفطرته بعد الولادة وانقضاء أيام النفاس وليس عليها إطعام فى المذهب المالكى وكذلك المرضع يباح لها الفطر

إن خافت على ولدها أو على نفسها ولم تجد من تستأجرها لإرضاع طفلها أو وجدت ولكن الطفل لا يقبل غير ثدى أمه فيجوز أن تفطر وعليها قضاء بعدد الأيام التى أفطرت فيها بعد فطام ولدها ويجب عليها مع القضاء أن تطعم عن كل يوم مسكينا .

روى أصحاب السنن عن أنس بن مالك الكعبى أن رسول الله ﷺ قال : إن الله عزوجل وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة وعن الحامل والمرضع الصوم .

وروى أبوداود فى سننه عن عكرمة أن ابن عباس قال فى الآية الكريمة « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » : أثبتت للحبلى والمرضع .

● من تناول مفطرا مع الشك فى طلوع الفجر :

إذا أكل الصائم أو شرب أو جامع مع شكه فى طلوع الفجر ثم تبين أن الفجر كان طالعا فعليه القضاء فقط فى المذهب الحنفى لوجود شبهة بقاء الليل وإذا استمر على شكه فلا قضاء عليه عند الامام أحمد وكذا عند الشافعى .

● من تناول مفطرا فى آخر النهار ظانا غروب الشمس :

الفطر لايحل إلا بعد تحقق غروب الشمس فإذا ظن الإنسان غروب الشمس فأكل ثم تبين أن الشمس لم تغب فعليه قضاء ذلك اليوم . روى البخارى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما قالت : أفطرنا يوما فى غيم على عهد رسول الله ﷺ ثم طلعت الشمس .

● من كان فى فمه طعام فسمع أذان الفجر أو كان فى حالة اتصال جنسى :

إذا طلع الفجر على إنسان وهو يتناول مفطرا وجب عليه إلقاء مافى فمه وترك تكملة العملية الجنسية فإن لفظ الطعام أو نزع صح صومه وإن ابتلع مافى فمه من طعام مختارا أو استدام الحالة الجنسية فسد صيامه . روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى ﷺ قال : إن بلالا يؤذن بليل فكلوا وأشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم « رجلا أعمى » لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت .

ابتلاع ما بين الأسنان أثناء الصوم لا يضر إذا كان يسيرا فى المذهب المالكى .

والله الهادى إلى سواء السبيل

د . محمود عبدالمنجى خليفة ـ عضو لجنة الفتوى بالأزهر

رخصة الفطر للمسافرين

فى هدى سيد النبيين صلى الله عليه وسلم

بقلم الدكتور / عبد الفتاح إبراهيم سلامة

الناس وموقفهم من رمضان :

● الناس ورمضان فريقان : منهم من يرتقب مقدمه ارتقاب الخليل الوامق يرتقب طلعة خليله ، وتتهلل أساريره استبشاراً باللقاء ؛ لأنه من عباد الرحمن الذين علموا أن للجنة باباً يقال له : « الريان » يدخل منه الموفقون لصيام رمضان .

● ومنهم من ضعف إيمانه : وهم ـ والحمد لله ـ قليل ، فإذا أحدهم متبرم « بالتكاليف » ضجر بأداء الفرائض ينتحل المعاذير انتحالاً ، ويختلق مبررات الانفلات من الفريضة اختلاقاً ؛ لأنه ليس من الخاشعين اللائذين بقول رب العالمين :

﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ [البقرة : ٤٥] .

وإذا فارق الخشوع قلب الإنسان ، فالفريضة عنده أثقل من جبل « ثهلان »[١] .

طوائف الناس فى العمل بالتراخيص:

تباينت مواقف الناس فى فهم التراخيص والعمل بها ، فتفرقوا فى ذلك ثلاث طوائف ـ وقانا الله أجمعين عواقب المتفرقين ـ وإليكم بيانها :ـ

١ ـ فطائفة قاصدة مقتصدة : تضع العزيمة مواضعها ، وتأخذ بالرخصة حين يحسن الأخذ بها .

٢ ـ وطائفة خالفت سبيل التيسير : وسلكت منهج التعسير ، فضيقت على الناس ما جعل الله فيه سعة .

٣ ـ وطائفة ساء فهمها لقضية التيسير وانتهجت نهج التبرير ، فهى تنتهب التراخيص ما وجدت إلى الترخيص سبيلاً ، فإن لم تجد الرخصة تذرعوا[٢] بأنهم أهل الرجاء فى المغفرة ، فإن ضاقت السبل أمام تبريراتهم وأمانيهم : عالنوا بالانفلات ، وأظهروا التحلل والانسلاخ .

(١) « ثهلان » : جبل ضخم بنجد ، يطل على مدينة الشعراء ، وانظر المعجم الكبير جـ ٣/٣٥٦ .

(٢) استعملت « واو الجماعة » بالحمل على معنى الطائفة ، والطائفة : الجماعة من الناس .

ويحضرني طرفة تمثل نهج المتمسحين بالتراخيص ، وهي أن تقياً قال لشقي « جاءك رمضان » فقال الشقي « لأقطعن أوصاله بالترحال والأسفار » فهو يريد أن يتذرع بالأسفار فراراً من تبعات الصوم مع الأبرار .

العمل بالتراخيص يتطلب فقهاً وورعاً :

لا شك أن التحريم يحسنه الكثير ، وأن التسيب والتبرير يمارسه الأكثرون ، وأما وضع الرخصة مواضعها ، فهو فقه دقيق ، وإخلاص مخبت ، ومراقبة لله رب العالمين .

هدى رسول الله ﷺ في الفطر عند السفر :

عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ خرج من المدينة ، ومعه عشرة آلاف مقاتل ، وذلك على رأس ثمانية أعوام ونصف من مقدمه المدينة ، فسار ومن معه من المسلمين إلى مكة : يصوم ويصومون حتى بلغ (الكَدِيد) وهو بين (عُسفان) و(قُدَيْد)[3] أفطر وأفطروا » أ هـ .

هذا الحديث أخرجه البخاري[4] ومسلم والنسائي ، ومالك في « الموطأ » ويستفاد من هذا الحديث : أن الرسول ﷺ خرج من المدينة عام الفتح وهو صائم ، وصام المسلمون الذين خرجوا معه إلى الجهاد ، وظلوا جميعاً صائمين حتى بلغوا الكديد ، ويقدر بُعْدُه عن مكة بنحو ثلاثين ميلاً أي أنهم صاموا جُلَّ الطريق .

ـ وفي رواية أخرى عن ابن عباس ـ رضي الله عنه : « أن الرسول ﷺ لما أفطر بـ (الكديد) لم يزل مفطراً حتى انسلخ الشهر » أ هـ .

قال ابن شهاب الزهري[5] تعليقاً على الحديث السابق : « وكانوا يتبعون الأحدث فالأحدث من أمره ، ويرونه الناسخ المحكم » أ هـ .

ـ ووردت هذه الرواية في صحيح مسلم[6] من حديث ابن عباس ، ونصها هكذا : « وكان صحابة رسول الله ﷺ يتبعون الأحدث فالأحدث من أمره » أ هـ .

لذلك عدها العلماء عبارة مدرجة في الحديث ، وقال سفيان : لا أدري مِنْ قَوْلِ مَنْ هذه ؟

---

(3) الكديد : على وزنه كريم « موضع بين « عسفان » و « قُدَيْد » و« عسفان » على وزن « عثمان » موضع على مرحلتين من مكة ، انظر القاموس المحيط جـ ٣ ص ٧٥ و« قديد » بالتصغير بضم أوله وفتح ثانيه انظر المصباح المنير جـ ٢/ ٨١١ ، وورد في « أخبار مكة » للأزرقي جـ ٢/ ١٥٢ بالهامش أن « عسفان » تقع الآن بين وادي فاطمة وخليص أ هـ ، وفي « أخبار مكة » جـ ١/ ١٣٢ بالهامش أن عسفان تبعد عن مكة بستة وثلاثين ميلاً .

(4) انظر صحيح البخاري جـ ٤/ ٢١٣ ، وانظر كذلك « جامع الأصول » لابن الأثير الجزري جـ ٦/ ٤٠٣ .

(5) انظر « فتح الباري » جـ ٤/ ٢١٣ .

(6) انظر « صحيح مسلم بشرح النووي » جـ ٧/ ٢٣١ .

ومعنى هذه العبارة : أن الصيام فرض في العام الثاني من الهجرة ، وغزوة الفتح كانت بعد ثمانية أعوام من الهجرة فالآخر من فعله ﷺ أن القادر على الصوم في السفر له أن يصوم ، وأما من وجد مشقة فله أن يفطر ، وهذا رد على دعوى من ادعى : أن الفطر في السفر منسوخ ، وهذه الدعوى سيتضح لنا « خفتها » في الميزان من خلال هذا البحث .

ونقض وهم لبعض أهل العلم :

قال بعض أهل العلم : « إن من استهل عليه رمضان في الحضر ، ثم سافر بعد ذلك ، فليس له أن يفطر ، لقوله ـ تعالى :

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر[7] هذا الزعم ، ورد عليه بقوله : « وقال أكثر أهل العلم : لا فرق بينه وبين من أهل عليه رمضان في السفر » أي له أن يفطر .

مناقشة رأى من يرى أن المسافر يفطر على كل أحواله ، وبيان آراء الأئمة في ذلك :

وقد استدل أصحاب هذا الرأي بقوله ﷺ : « ليس من البر الصيام في السفر » أ هـ . ويروى : « ليس من امبر امصيام في امسفر »[8] .

وهذا الحديث له واقعة « تبين مراد رسول الله ﷺ من هذه العبارة[9] : فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال : « كان رسول الله ﷺ في سفر ، فرأى رجلًا قد اجتمع الناس عليه ، وقد ظلل عليه ، فقال : مَالَهُ ؟ قالوا : رجل « صائم » ، فقال رسول الله ﷺ : ليس من البر الصوم في السفر » وقد روى البخاري[10] هذا الحديث بالرواية السابقة وعنون له بقوله : « باب قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه ، واشتد الحر : ليس من البر الصوم في السفر » .

وقال ابن حجر :[11] « ... أشار بهذه الترجمة إلى أن سبب الحديث ما ذكره من القصة ، وأن من روى الحديث مجرداً فقد اختصر القصة .. فالحاصل أن الصوم لمن قوى عليه أفضل من الفطر ، والفطر لمن شق عليه الصوم ، أو أعرض عن قبول الرخصة أفضل من الصوم ... » وأن من لم يتحقق المشقة : يخير بين الصوم والفطر .. » .

وذهب أكثر العلماء : ومنهم مالك والشافعي وأبو حنيفة إلى أن الصوم أفضل لمن قوى عليه ولم يشق عليه ، وقال كثير منهم : الفطر أفضل عملًا بالرخصة ، وهو قول الأوزاعي وأحمد وإسحاق .. » أ هـ . ملخصاً .

---

(٧) انظر « فتح الباري » جـ ٢١٣ .

(٨) أم : أداة تعريف بمعنى « أل » في لغة طيء ، وحمير ، وانظر « مغني اللبيب » ص ٧٠ ، ٧١ .

(٩) ، (١٠) ، (١١) انظر « فتح الباري » جـ ٢١٦/٤ .

دقيقة فى استنباط الأحكام من وعاء ابن دقيق :

تتفاوت أقدار العلماء وفقاً لدقة فهمهم للنصوص ، وليس بالتقليد العتيد ، وقد وجدنا عند ابن دقيق العيد ، كلمات فى طرق الاستنباط ، ومناهج الاستدلال ، يحسن بنا أن نتدبرها ملياً ، قال ـ رحمه الله : « أخذ من هذه القصة أن كراهة الصوم فى السفر مختصة بمن هو فى مثل هذه الحالة : فمن يجهده الصوم ويشق عليه ، أو يؤدى به إلى ترك ما هو أولى من الصوم : من وجوه القرب ، فينزل قوله ﷺ : « ليس من البر .... » على مثل هذه الحالة .

قال : والمانعون (من الصوم) فى السفر يقولون : إن اللفظ عام ، والعبرة بعمومه ، وليست بخصوص السبب ، قال : « وينبغى أن يتنبه إلى الفرق بين دلالة السبب والسياق والقرائن على تخصيص العام ، وعلى مراد المتكلم ، وبين مجرد ورود العام على سبب ، فإن بين العامين فرقاً واضحاً ، ومن أجراهما مجرى واحداً لم يصب ، فإن مجرد ورود العام على سبب لا يقتضى التخصيص به كنزول آية السرقة فى قصة سرقة رداء صفوان ، وأما السياق والقرائن الدالة على مراد المتكلم ، فهى المرشدة لبيان المجملات ، وتعيين المحتملات كما فى حديث الباب » أ هـ .

نقول عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ فى هذه المسألة :

قال الحافظ فى الفتح[12] : « وقد روى أحمد من طريق أبى طعمة قال رجل ، لابن عمر : إنى أقوى على الصوم فى السفر ، فقال له ابن عمر : من لم يقبل رخصة الله ، كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة » . قال الحافظ بن حجر : « وهذا محمول على من رغب عن الرخصة ، لقوله ﷺ : « من رغب عن سنتى فليس منى » وكذلك من خاف على نفسه العجب أو الرياء ، إذا صام فى السفر ... وقد أشار إلى ذلك ابن عمر قال : « إذا سافرت فلا تصم ، فإنك إن تصم ، قال أصحابك « اكفوا الصائم ، ارفعوا للصائم ، وقاموا بأمرك ... فلا تزال كذلك حتى يذهب أجرك »أ هـ .

ـ وهذه النقول إن صحت عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ فهى اجتهاد ووجهة نظر ، وسيأتى فصل القول من فعل رسول الله ﷺ وقوله ، ومن أقوال جمهور الأصحاب والتابعين ـ رضى الله عنهم .

الإمام النووى يذكر آراء الأئمة فى المسألة :

قال الإمام النووى[13] : قال جماهير العلماء أهل الفتوى ، يجوز صومه فى السفر ، وينعقد ويجزيه ، واختلفوا فى أن الصوم أفضل ؟ أم الفطر ؟ أم هما سواء ؟

(12) انظر « فتح البارى » جـ ٢١٧/٤ .

(13) انظر « شرح النووى على صحيح مسلم » جـ ٢٢٩/٧ .

ـ فقال مالك وأبو حنيفة والشافعى والأكثرون : الصوم أفضل لمن أطاقه بلا مشقة ظاهرة ولاضرر ، فإن تضرر به ، فالفطر أفضل واحتجوا بصوم النبى ﷺ وعبد الله بن رواحة وغيرهما ، وغير ذلك من الأحاديث ، ولأنه يحصل به براءة الذمة فى الحال ، وقال سعيد بن المسيب والأوزاعى وأحمد وإسحاق وغيرهم : الفطر أفضل ، وحكاه بعض أصحابنا قولاً للشافعى وهو غريب » أ هـ .

ونلاحظ هنا أن النووى ـ رحمه الله ـ وهو من كبار علماء الشافعية يستغرب نسبة القول الثانى للشافعى ؛ لأن الثابت عن الشافعى هو القول الأول .

● رأى الظاهرية فى المسألة :

قال ابن حزم الظاهرى[14] ـ غفر الله لنا وله ـ: ومن سافر فى رمضان ـ سفر طاعة ، أو سفر معصية ، أو لا طاعة ولا معصية ـ ففرض عليه الفطر إذا تجاوز ميلاً ، أو بلغه ، أو إزاءه ، وقد بطل صومه حينئذ ، ولا قبل كذلك ، ويقضى بعد ذلك فى أيام أخر ، وله أن يصومه تطوعاً ، أو عن واجب لزمه » أ هـ .

تعليق :

العجيب من أبى محمد بن حزم ـ رحمه الله ـ أنه يرى بطلان صوم الفريضة للمسافر فى رمضان ، ويرى صحة صوم التطوع فى السفر ، فإذا كان المسافر قادراً على الصوم فأى العبادتين أولى بالأداء : أداء الفريضة أم أداء النافلة ؟! وما هى العلة التى جعلت هذا الصوم صحيحاً ، وذاك باطلاً ؟!

ولا ندعى مع ذلك أن ابن حزم قال ما قال من فراغ ، لكنه وقف عند نصوص وتجاهل غيرها ، واتبع منهجه الظاهرى المعروف ، وقد أوقعه هذا فى تناقضات ، فقبل صفحة واحدة من موضوعنا هذا وجدنا له هذه العبارة[15] : « .... وفيهم من هو مفسوح له فى الصوم إن قدر عليه ، وفى الفطر إن شاء : وهو المريض الذى لا يشق عليه الصوم .... » أ هـ .

فابن حزم : يرى أن المريض مفسوح له فى الصوم إن قدر على الصوم ، ومعلوم أن المرض أشد وطأة وثقلاً ، فمن المرض ما يعجز ويقعد ويشل عن الحركة ، ومنه ما يعوق ويقلل من النشاط فالمرض فى كل أحواله ابتلاء ومحنة ، والنفوس تكرهه ، وتستعيذ بالله من شره .

وأما السفر فحركة وكدح ونشاط ، وقد يكون أحياناً ترفيهاً وترويحاً ، ووسائل المواصلات الحديثة خففت الكثير من أعبائه وأهواله .

ولما فى الأمرين : المرض والسفر من مشقة ، ورد النص القرآنى برخصة الفطر فيهما فى آية واحدة هى قوله تعالى : ﴿ ...فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ

---

(١٤) انظر « المحلى » جـ ٦/٢٤٣ .

(١٥) انظر « المحلى » ٦/٢٤٣ .

أَيَّامٍ أُخَرَ .... ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

لكن ابن حزم ـ رحمه الله ـ يرى : أن المريض مخير بين الصوم والفطر ، وأما المسافر فهو منهي عن الصوم[16] حتى لو قدر عليه ولو صام كان عاصياً ، وقد قدمنا بعض عباراته منذ قليل ، ونذكر عبارات أخر ليكون القارىء من الأمر على بينة ، فقد قال ـ عند حديثه عن المكلفين بالصوم ... (إلا أن فيهم من هو منهي « عن الصوم جملة » ، ولو صام كان عاصياً كالحائض والنفساء ، والمسافر ، والمريض الذي يؤذيه الصوم ...) .

ولا خلاف في أن الحائض والنفساء منهيتان عن الصوم ، ولا صوم لهما ، وأما المسافر والمريض فليس الأمر كما ادعى « ابن حزم » بل في المسألة تفصيلات .

● تفسير الجمهور للآية الكريمة :

إن من كان من المكلفين مريضاً أو مسافراً : (فأفطر) فعليه قضاء ما أفطره من رمضان ، فمعنى : « .... فعدة من أيام أخر ... » أي فقضاء أو فصيام عدد من أيام أخر : يساوي عدد الأيام التي أفطرها .

● رأي الإمام الطبري في تفسير هذه الآية :

ما قرره « ابن حزم » في نهي المسافر عن صوم رمضان ، وأنه لو صام كان عاصياً ، رأي كان معروفاً في البيئة الإسلامية[17] منذ القرن الأول للإسلام ، وتبنته قلة من العلماء ، وأكثرهم كانوا على نقيضه ، وقد أورد الطبري[18] الأحاديث والآثار الواردة في المسألة ثم انتصف وانتصر للرأي القائل : « من صام فحَقٌّ أداه ، ومن أفطر فرخصة أخذ بها » وهو مروي عن عطاء ـ رحمه الله ـ ثم قال[19] : « وهذا القول عندنا أولى بالصواب ، لإجماع الجميع على أن مريضاً لو صام شهر رمضان ـ وهو ممن له الإفطار لمرضه ـ أن صومه ذلك مجزىء عنه ، ولا قضاء عليه إذا برأ من مرضه : بعدة من أيام أخر ، فكان معلوماً بذلك أن حكم المسافر حكمه[20] : في أن لا قضاء عليه إن صامه في سفره ، لأن الذي جعل للمسافر من الفطر ، وأمر به من قضاء عدة من أيام أخر : مثل

(١٦) انظر « المحلى » جـ ٥٤٣/٧ .

(١٧) القارىء لكلام « الطبري » يظن أنه يرد على ابن حزم ، مع أنه سابق عليه ولذا نذكر ترجمة للإمامين ، لتظهر لنا جلية الأمر : « ولد الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري عام ٢٢٤هـ ، وتوفي رحمه الله ٣١٠هـ ، ويلقب بشيخ المفسرين ، وله كثير من المؤلفات الرائدة في التفسير ، والتاريخ ، والفقه ، وكتابه « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » من أهم مراجع التفسير بالمأثور .

« وأما « ابن حزم » : فهو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، ولد بقرطبة ٣٨٤هـ ، وتوفي ٤٥٦هـ : إمام وفقيه ظاهري ، وأديب ومؤلف في مقارنة الملل والنحل .

(١٨) انظر « تفسير الطبري » الطبعة المحققة جـ ٤٨٦/٣ .

(١٩) « الطبري » جـ٣ ص ٤٧٠ .

(٢٠) يعني : أن حكم المسافر هو حكم المريض .

الذى جعل من ذلك للمريض ، وأمر به من القضاء ، ثم فى دلالة الآية كفاية مغنية » عن استشهاد شاهد على صحة ذلك بغيرها ، وذلك قول الله ـ تعالى ذكره :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ..... ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

ولا عسر أعظم من أن يلزم من صامه فى سفره عدة من أيام أخر ، وقد تكلف قضاء فرضه فى أثقل الحالين عليه حتى قضاه وأداه .

فإن ظن ذو غباوة أن الذى صامه لم يكن فرضه الواجب ، فإن فى قول الله ـ تعالى ـ ذكره :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ...... ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ...... ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

ما ينبىء أن المكتوب صومه من الشهور على كل مؤمن : هو شهر رمضان مسافراً كان أو مقيماً ،... وأن قوله :

﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ.. ﴾ [البقرة : ١٨٥]

معناه : ومن كان مريضاً أو على سفر فأفطر برخصة الله ، فعليه صوم عدة أيام أخر ، مكان الأيام التى أفطر فى سفره أو مرضه ، ثم فى تظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بقوله ـ إذا سئل عن الصوم فى السفر : « إن شئت فصم ، وإن شئت فأفطر » الكفاية الكافية عن الاستدلال على صحة ما قلنا فى ذلك بغيره » .

● نقض الاحتجاج بحديث ضعيف :

ومما احتج به المانعون من الصوم فى السفر : حديث ضعيف هو : « الصائم فى السفر ، كالمفطر فى الحضر » .

ـ وقد تكلم الإمام ابن حجر[٢١] فى الفتح مبيناً ضعف هذا الحديث . فقال : « أخرجه ابن ماجه مرفوعاً من حديث ابن عمر بسند ضعيف ، وأخرجه الطبرى من طريق أبى سلمة عن عائشة مرفوعاً أيضاً ، وفيه ابن لهيعه وهو ضعيف ، ورواه الأثرم من طريق أبى سلمة عن أبيه مرفوعاً ، والمحفوظ عن أبى سلمة عن أبيه (موقوف) وكذلك أخرجه النسائى وابن المنذر ، ومع (وقفه) فهو منقطع ، لأن أبا سلمة لم يسمع من أبيه » أ هـ .

ـ وتكلم الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعى ـ من المحدثين وعلماء الأحناف ـ عن هذا الحديث بشيء من الاستفاضة ، وبين أن هذا الحديث لا حجة فيه لمن احتج به . وقال ـ فى سنده ـ ما يقارب مانقلناه عن الإمام ابن حجر آنفاً ـ وكان مما قاله[٢٢] : « وفى سماع أبى سلمة من أبيه نظر ، وفى كلام ابن القطان ما يدل على عدم سماعه منه .. » وتكلم قبل ذلك عن معناه ـ حتى على

(٢١) انظر « فتح البارى » جـ ٢١٧/٤ .

(٢٢) انظر « نصب الراية لأحاديث الهداية » جـ ٤٦٢/٢ لأبى محمد الزيلعى المتوفى ٧٦٢هـ .

فرض صحته ـ فقال[23] : « ولو ثبت مرفوعاً لكان خروج النبى ﷺ حين خرج فصام حتى بلغ الكديد ، ثم أفطر ، دليل » على نسخ هذا الحديث « لأنه يؤخذ بالآخر فالآخر من فعله ﷺ » .

صوم رسول الله ﷺ فى سفر وحر شديد :

ونذكر غير ما قدمنا ما رواه البخارى[24] بسنده عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال : « خرجنا مع النبى ﷺ فى بعض أسفاره فى يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر ، وما فينا صائم » إلا ما كان من النبى ﷺ وابن رواحة » .

وصرح مسلم[25] فى إحدى روايتيه للحديث أن هذا السفر كان فى رمضان ، ولفظها : عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ فى شهر رمضان فى حر شديد ... » .

وأما الرواية الأخرى عند مسلم فلفظها كلفظ الرواية السابقة للبخارى .

وإنما ذكرنا هذه الرواية لما فيها من زيادة « فى شهر رمضان » ، وقد علق الإمام ابن حجر[26] على هذه الزيادة بقوله : « وبهذه الزيادة يتم المراد من الاستدلال ، ويتوجه الرد بها على أبى محمد بن حزم فى زعمه أن حديث أبى الدرداء ، هذا : لا حجة فيه لاحتمال أن يكون هذا الصوم تطوعاً » لقد رد ابن حجر على ابن حزم وكناه بأبى محمد ـ احتراماً له وتوقيراً ـ وأما ابن حزم ـ غفر الله لنا وله ـ فقد تورط فى إنكار هذه الزيادة ، وليس من بين يديه دليل صحيح يعينه عليه ، ثم وهى واردة فى صحيح مسلم .

هل هذه السفرة هى غزوة الفتح ؟

هذه السفرة التى ذكرناها آنفاً : رجح الإمام ابن حجر أنها ليست غزوة الفتح للأسباب الآتية :

١ ـ أن عبد الله بن رواحة ـ رضى الله عنه ـ الذى ورد ذكره فى هذا الحديث قد استشهد فى غزوة « مؤتة » وهى قبل غزوة الفتح ، وذلك بلا خلاف ، وإن كانت الغزوتان جميعاً فى سنة واحدة .

٢ ـ فى سياق أحاديث غزوة الفتح : أن الذين استمروا من الصحابة صياماً كانوا جماعة وفى هذا الحديث أن الذى صام مع رسول الله ﷺ هو عبد الله بن رواحة بمفرده .

٣ ـ أن هذه الغزوة ليست كذلك غزوة بدر ، لأن هذا الحديث مروى عن أبى الدرداء ولم يكن قد أسلم وقت غزوة بدر .

(٢٣) انظر « نصب الراية لأحاديث الهداية » جـ ٢/٤٦٢ لأبى محمد الزيلعى المتوفى ٧٦٢هـ .
(٢٤) انظر « صحيح البخارى مع شرحه فتح البارى » جـ ٤/٢١٥ .
(٢٥) انظر « صحيح مسلم بشرح النووى » جـ ٧/٢٣٨ .
(٢٦) انظر « فتح البارى » جـ ٤/٢١٥ .

الإمام يفطر في السفر ليراه الناس :

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة ، فصام حتى بلغ « عسفان » ، ثم دعا بماء فرفعه إلى يديه ليراه الناس ، فأفطر حتى قدم مكة وذلك في رمضان فكان ابن عباس يقول : « قد صام رسول الله ﷺ وأفطر ، فمن شاء صام ومن شاء أفطر » رواه البخاري[28] . وقول الرواي في الحديث : « فرفعه إلى يده » الأصل أن يقال : « فرفعه بيده » وأجاب الكرماني[29] أحد شراح البخاري بقوله : « يحتمل أن يكون المعنى : رفعه إلى أقصى طول يده » وفي رواية أبي دواد : « فرفعه إلى فيه » وهذا أوضح . وقول ابن عباس : « ليراه الناسُ » بالرفع في كلمة : « الناس » على الفاعلية وروى « لِيُرِيَهُ الناسَ » بنصب كلمة « الناس » على المفعولية .....» .

أصحاب النبي ﷺ لم يَعِبْ بعضهم بعضا في هذه المسألة :

ـ روى البخاري ـ بسنده ـ[30] عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : « كنا نسافر مع النبي ﷺ فلم يعب الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم » .

ـ وقد روى مسلم[31] بلفظ آخر ـ هذا الحديث عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : « كنا نغزوا مع رسول الله ﷺ في رمضان ، فمنا الصائم ومنا المفطر ، فلا يجد الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم ، يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن » ، ويروى أن من وجد ضعفاً فأفطر ، فإن ذلك حسن . ويروى عبد الله بن أبي مليكة : أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ حدثته بمثل هذا الحديث .

ـ ومعنى قول الراوي : « فلا يجد الصائم على المفطر ... » أي فلا يغضب عليه ، فتقول العرب : وجد عليه موجدة ، أي غضب عليه .

جواز سرد الصوم حتى في السفر :

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت : سأل حمزة بن عمرو الأسلمي رسول الله ﷺ عن الصيام في السفر ؟ فقال : « يا رسول الله إني رجل أسرد الصوم ، أفأصوم في السفر ، قال : صم إن شئت ، وأفطر إن شئت » . وفي رواية أخرى قال : « إني أجد بي قوة على الصيام في السفر ، فهل على جناح ؟ فقال ﷺ : هي رخصة من الله ، من أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » .

---

(٢٧) انظر « المحلى » لأبي حزم جـ ٦/٥٥٣ .

(٢٨) انظر « صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري » جـ ٤/٢٢٠ .

(٢٩) نقلا عن « فتح الباري » جـ ٤/٢٢٠ ، ٢٢١ بشيء من الاختصار .

(٣٠) انظر « صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري » جـ ٤/٢١٩ .

(٣١) انظر « صحيح مسلم بشرح النووي » جـ ٧/٢٣٤ .

ـ قال الإمام النووى فى شرحه لهذا الحديث « فيه دلالة لمذهب الجمهور ، أن الصوم والفطر جائزان ... وفيه دلالة لمذهب الشافعى ، وموافقيه ، أن صوم الدهر ، وسرده غير مكروه ، لمن لا يخاف ضرراً ، ولا يفوت به حقاً ... لأنه ﷺ أخبر بسرده ، ولم ينكر عليه ، بل أقره عليه ، وأذن له فيه فى السفر ، ففى الحضر أولى ... ، وأما إنكاره ﷺ على عبد الله بن عمرو بن العاص ، صوم الدهر ، فلأنه علم ﷺ أنه سيضعف عنه وهكذا جرى ، فإنه ضعف فى آخر عمره ، وكان يقول « ياليتنى قبلت رخصة رسول الله ، وكان ﷺ يحب العمل الدائم ، ولو قل ؛ وكان يحثهم عليه » ا هـ ملخصاً .

كلمة توجيهية للمغتربين خارج الديار الإسلامية :

يسافر بعض المسلمين إلى الأقطار غير الإسلامية ويعملون فيها لمدد طويلة ، معلومة لهم سلفاً ، إلا أن يشاء الله شيئاً ، وهذه المدد الطويلة التى غالباً ما تكون أعواماً طوالاً تجعل لهم حكم المقيم تماماً ، فهم مستقرون فى مساكن ، استأجروها لشهور ، أو لأعوام ، ومنهم من هو موظف فى سفارة عربية وإسلامية ، ومنهم من هو موفد فى بعثة تعليمية إلى غير ذلك من الأنشطة الحيوية ، وهؤلاء واجبهم أن يكونوا دعاة للإسلام بأخلاقهم ، وسلوكياتهم ، وتطبيقهم لأحكامه ، فإذا سارع بعض من قل علمهم بالنصوص ، وضاقت أذهانهم عن التصور المستوعب للأمور ، أقول إذا قام نفر على هذه الشاكلة ، وأفتى هؤلاء بالفطر ، وترك الجُمَعِ والجماعات لأنهم مسافرون ، يكون بهذه الفتيا قد جنى على المسلمين ، وأساء إلى نفسه ، وإلى أولئك الذين غرر بهم ، والله ـ جل ذكره ـ يقول :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ [المدثر : ٣٨ ، ٣٩] .

جعلنى الله وإياكم من أصحاب اليمين .

أثر الصوم في بناء الفرد والمجتمع

لفضيلة الشيخ محمد ذاكر سليمان

الصوم فريضة دينية . وطاقة روحية ، وتربية نفسية : ذلك لأن الصوم عمل جليل وصبر جميل ، فإن النفس البشرية قد تكون صادقة صابرة عفيفة أبية راضية مرضية موصولة بربها الذى خلقها فسواها . وألهمها فجورها وتقواها وقال :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾

سورة الشمس

وتزكيتها بالاعتصام بحبل الله : وبإسلام الوجه لله مع الإحسان والطاعات والإخلاص لله فى العبادات .

والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، : والله يقول :

﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾

(الآية ـ ٢٢ من سورة لقمان)

وقد جاءت الشريعة الإسلامية المطهرة الخالدة بكل ما يهذب الإنسان ويطهره من أدران الدنايا والخطايا ودنس الذنوب والعيوب ، وبكل ما يحميه من الخضوع المذل للشهوات الدنيئة والنزوات الرديئة لكيلا تستعبده الأهواء وتشهويه الشياطين من الإنس والجن ، إذ المسلم لا تذل رقبته إلا لله ولا يركع لأحد سواه ، وبهذا يصبح إنسانا نقيا مخلصا تقيا يصل ما أمر الله به أن يوصل

● مدير عام الوعظ والإرشاد سابقا .

ويهى عن الفساد فى الأرض ، وهذه هى صفات الأفراد الذين يتم بهم بناء المجتمعات الإسلامية المثالية التى تجمع شملها وتؤسس بنيانها على تقوى من الله ورضوان . فإن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ولأن الإسلام جعل الأمة المحمدية كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . ولأنهم قوة بناءة فهذه هى صورتهم فى القرآن الكريم :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الآية ٢٩ ـ من سورة الفتح) .

لذلك فرض الله العبادات لحفظ التوازن بين مطالب الجسد والروح :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (سورة البينة ـ ٥)

وقد تكون النفس خداعة لصاحبها ، فتصرفه عن مواطن الضعف فيها ليرضى عنها (والحالة هذه) فيذل ويضل ولا يفكر فى علاجها من عللها وآفاتها وأدوائها ، فتظل كذلك يقودها هواها ويسيطر عليها شيطانها لتعيش فى جهالات ومتاهات بسبب شرود نفسه الخداعة عن ربها وإعراض صاحبها عن ذكر الله « وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ » (الآية ـ ١٢٤ من سورة طه) .

(الصوم وصدق العزيمة)

لا ريب أن قوة الإرادة وصدق العزيمة فى تنفيذ كل ما هو خير قوة فى قلوب مَنْ اقتربوا من ربهم بطاعته هذا التقرب الذى ينأى بهم عن معصيته : فمن العجز أن يكون الإنسان مؤمنا بالله ثم هو يكسل عن آداء ما فرضه عليه ربه ، وفى ذلك الكسل ضرره ؛ لأنه قعد مع القاعدين المثبطين للهمم المعوقين للأمم ولأن الرجل القوى صاحب الهمة العالية لا ينثنى عن فعل الخير وعمل البر ، فهذا أبوبكر ـ رضى الله عنه ـ قد صمم بقوة إرادته وصدق يقينه على محاربة المرتدين ومانعى الزكاة ؛ لأنه على يقين صادق بأنه على حق فى هذا الأمر ، فقد تتلمذ على يد رسول الله ﷺ فاكتسب شدة البأس وعزة النفس فكان بحق خليفة رسول الله ﷺ الذى قال الله ـ تعالى ـ فيه : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ سورة الصف

ولو تقاعد أبوبكر عن جهادهم لتفشى فى قبائل العرب وباء الردة الفتاك ، ولم يستقم الأمر فكانت نتيجة جهاده أن أظهر الله على يديه دينه على الدين كله بعودة الأمة المحمدية إلى وحدتها وسلامة عقيدتها وإحياء شريعتها التى فرضت الزكاة والصوم والحج والصلاة وثبت الله بهذا الجهاد أمر الفتوحات الإسلامية فعادت « المياه إلى مجاريها » فكان من المؤمنين رجال صدقوا (بعزيمتهم) ما عاهدوا الله عليه .

وكثير من الفضائل توحى بها قوة الإرادة كالإباء والتعفف بشرف الهمة وطهارة الذمة والبعد عن المحرمات والشبهات والإقبال على أداء

الواجبات بشعور فياض ينتصر به الحق على الباطل في كل الحالات والمجالات كإتقان العمل بانتصار مضطرد على النفس التي يقول فيها القائل :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وإن تعجب فعجب أمر المجاهرين بالمعاصي وبالإفطار في نهار رمضان في المطاعم والمقاهي بسبب ضعف ارادتهم وقلة عزيمتهم فقادتهم بطونهم لاعقولهم ؛ وويل لإنسان تبلد حسه فقهرته نفسه فقسا قلبه ، فساء حاله وخابت آماله وحبطت أعماله وأضحى همه أن يشبع نهمه ، وإذا شرد المرء عن ربه ونسي الله أنساه نفسه وتركه يتخبط في الضلالات فتجبر وتكبر وطغى واختال ولم يراقب ربه الكبير المتعال ، وأضحى يمشي مكبا على وجهه ؛ لأن الله يقول في هؤلاء :

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ سورة الحجر

ويقول الله ــ تبارك وتعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ سورة فصلت

(ما أحوج الناس إلى الصوم)

والنفوس التي غرقت في الترف وانغمست في لذائذ النعيم الزائل وشهوات الدنيا الفانية في أشد الحاجة إلى هداية الله المربي الأعظم ــ جل جلاله ــ ليكون المسلم قوى البصيرة حسن السيرة طاهر السريرة بطاعة الله الذي كرمه وفضله ، وارتضى له الإسلام دينا ؛ وجعل الصوم عبادة قوية تضيء جوانب النفس بما يعدها للتقوى ولتلقى الفيوضات الإلهية والإشراقات الربانية ، فهو مشكاة للمؤمن ومرقاة إلى مرضاة الله وبذلك يستنير قلبه وينشرح صدره ويرتفع قدره ، فيمارس طاعة الله بيسر لأن الله حبب إليه الإيمان وزينه في قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان فتغلب على نفسه بهداها ولم تغلبه بهواها فأضحى عبدا شكورا ؛ صوَّاما صبورا بذلك زكت نفسه بفضل الله وبرحمته ، واستراح ضميره من وخزات المعاصي التي تلاحقه بسبب ما يحدث للعصاة على ما فرطوا في جنب الله اهمالا وكسلا من تأنيب يحس به أصحاب النفوس اللوامة التي تستيقظ من سباتها فتتوب إلى الله ــ تعالى ــ والصوم جُنَّة وجزاؤه الْجَنَّة ؛ وهو دواء وشفاء وتربية وتقوية وجهاد للوقاية من الرذائل لتستجيب النفس لنداء الفضيلة بقوة الإرادة وصدق العزيمة وبمراقبة الله ــ تعالى ــ وخشيته ، سرا وعلانية :

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ ﴾ سورة النازعات

والصوم خروج من ظلمة الشهوات الحيوانية إلى السمو الملائكي ليكون الصائم إنسانا بجسده ملكا بروحه ؛ لأن التشبه بالملائكة المجبولين على طاعة الله يقرب العبد من ربه ؛ فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ؛ ولمثل عملهم فليعمل العاملون ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وللصائم عند الله أجر كبير ومقام كريم لا يخضع لتقدير لأنه هبة الكريم العظيم وهذا شأن العطاء الإلهي إذ أضافه الله إلى نفسه فقال وأنا أجزى به كما ورد في الحديث القدسي عن سيد البشر ﷺ ؛ يقول الله ــ تعالى : « كل عمل ابن آدم فهو له ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلا

الصيام فإنه لى وأنا أجزى به ، للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه »[1] ولئن كانت العبادات كلها لله لكن الله قد ميز الصوم بنسبته إليه ، وقد بلغ من عظيم منزلته أن رسول الله ﷺ أقسم بالذى نفسه بيده « لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك »[2] .

وقال وكيع فى تفسير قوله ـ تعالى : « كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية » إنها أيام الصوم حيث تركوا فيها الأكل والشرب .

وفى قوله ـ تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر ـ ١٠)

قال بعض المفسرين إنها فى أيام الصوم أيضا فهى التى اتصف الصائمون فيها بالصبر والرضا والرجاء والدعاء والطهر والنقاء فهم الصابرون على طاعة الله إبتغاء مرضاته .

(الصلة بين الصوم والصبر)

الصوم فريضة والصبر فضيلة : وكلاهما له أجر كبير تولاه الله بنفسه بغير تقدير والله مع الصابرين والله يقول فى هذا « إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ » ويقول فى الصوم « .. وأنا أجزى به » فالتقدير فيهما هو تقدير العزيز العليم ـ جل جلاله ـ لأنه خبير بما يعانيه الصائمون والصابرون من جهاد للنفس فى مكافحة الهوى عملا بقول الله ـ عز وجل : « وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ » (من الآية ـ ٢٦ من سورة ص) .

وكل هذا إبتغاء رضوان الله القائم على كل نفس بما كسبت

﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝ ﴾

سورة الملك

والزكاة كذلك فى حاجة إلى ضبط النفس بكفها عن شحها ومقاومة البخل والأنانية .

واستئثار الإنسان بأخذ الحق المعلوم للسائل والمحروم وضمه إلى ثروته لم يوق شح نفسه .

وكذلك الحج لا بد فيه من الصبر والاحتمال وبذل الجهد والمال فى سبيل تلبية دعوة الله ـ تعالى ـ لزيارة بيته العتيق العريق .

أما الصبر فى الصلاة فإن الله ـ تعالى ـ يقول : « وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا » (من الآية ـ ١٣٢ من سورة طه) وذلك لأن الصلاة خشوع واطمئنان قلبى ونفسى وذكر وفكر وصلة بين العبد وربه وكل ذلك يحتاج للصبر والأناة ، وهكذا كل الطاعات بحاجة شديدة إلى الصبر ؛ ولا بد منه فى كل مشروع يرضى الله ، وليس من الهنات الهينات ترك الصبر ؛ ولا سيما عند النوائب ، ولا يخفى أن الزمن مشحون بالحوادث والكوارث ، فإن لم نصبر اكتوينا بنيران الجزع ولهيب الفزع والله يقول : « وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ... » (من الآية ـ ١٧ من سورة لقمان) ونسبة الصبر للأخلاق الإسلامية كنسبة الماء للحياة « وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ » (الأنبياء ـ ٣٠)

---

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه الترمذى وغيره .

وكذلك تجد الصبر لابد منه فى الانتهاء عن المحظورات والله يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ سورة البقرة

أما بعد : فإن الصائم عليه أن يصون لسانه وسائر جوارحه لأن الصوم طهارة لا تقبل التلوث فلا منازعات ولا مشاحنات ولا عبث ولا جهالات ولا غش ولا ضلالات لكنه الخلق الكريم والسلوك المستقيم كما بينه رسول رب العالمين المبعوث لهداية البشر أجمعين ، فهو يقول ـ صلوات الله وسلامه عليه : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » وفى رواية قالوا أى الإسلام خير قال من سلم المسلمون من لسانه ويده . رواه البخارى .

وللتربية الإسلامية السليمة أثرها فى حياة المسلم الذى يخشى الله إينما حل وأنى وجد ، وبذلك يحيا حياة طيبة آمنة مطمئنة لايضل فيها ولايشقى ولايذل ولايخزى، فلا يخدعه بريق الأهواء ولا إغراء حب المال الحرام لعلمه بأن التقوى تنفع الذرية وتعمر الديار وتسعد المجتمعات . وتحمى الأرزاق من الـزوال . وبالتقوى يستتب الأمن ويستقر الأمر وهى خير ما تُساس به الأفراد وتسعد به الأمم وهى التى تقيم صروح العدالة وتهذب النفوس وتحقق المثالية ولو حفظ المسلمون حدود الله ـ تعالى ـ فى أعمالهم وأقوالهم لسارعوا إلى الخيرات ، واختفت العداوات ، ولـو راقبوا ربهم لصانوا عقولهم وأنسابهم وأعراضهم وأموالهم وأبدانهم ولحفظوا ألسنتهم وأسماعهم من فحش القول والأكاذيب ، وأبصارهم من المحرمات فاحفظ عليك ـ أخى المسلم ـ لسانك ، ولْيَسَعْكَ بيتك ، وابك على خطيئتك ، وقل : آمنت بالله ، ثم استقم .



الإشاعة بضاعة المنافقين

بقلم : فضيلة الشيخ/ عوض عوض إبراهيم

الخبر كلام يحتمل الصدق والكذب ، يرسله اللسان الذى قيل فيه :

إن الكــلام لفــى الفــؤاد وإنما
جعــل اللســان على الفــؤاد دليــلا

والخبر - لا ريب - يخالف الإشاعة التى هى كلام من الباطل يلقيه لسان يتلقفه إنسان ويشيعه ويذيعه قبل أن يستيقن حقيقته كما قال - تعالى :

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ . سورة النور - آية : ١٥

وكم أحسن بعض المفسرين فيما قالوا : « فائدة قوله - تعالى : ﴿ بألسنتكم ﴾ و ﴿ بأفواهكم ﴾ الإشارة إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب ، لأنهم لم يعلموا حقيقته بقلوبهم .

والإشاعة عمل المرجفين ، وبضاعة المنافقين الذين لا يريدون للحق أن يعلو ولا للنفوس أن تأمن فى مجتمع يتواصل بكلمة التوحيد ، وشريعة الخلود ، ووشائج الإخوة الإنسانية ، وأواصر الأخوة الإيمانية الحانية ، ويأبى الذين فى قلوبهم مرض إلا أن ينقسم الصف أو تشيع الفرقة ، ويستمر الخُلف ، فتمزق الأمة وتمكن منها عدوها ، يقول ﷺ : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » قال قائل : أوَمِنْ قِلّة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ فقال : لا ، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، قالوا وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت » رواه أبو داود وأحمد فى المسند .

وغثاء السيل لا يُناط به كبير أمل ، والأمة فى ذلك المستوى لا تملك مقومات الأمة الحقة وقد جهلت وظيفة اللسان ، وخطر الكلمة ، فلا عجب أن تحول الغفلة دون أن تعرف للسان قدره ، وللكلمة أثرها فى شدّ العُرَى وتوطيد

الكيان ، ودعم الصف فى الجماعة التى قطعت الطريق على من يوغر فيها الصدور على الصدور ، ويقلبوا لها الأمور ، ويجعلوها فتنة ، حتى ترى الأشياء على غير حقيقتها ، وتلك محنة عرفها الذى قال :

يُقضى على المرء فى أيام محنته
حتى يرى حسَناً ما ليس بالحسن

فالكلمة لها مسئولية ، وكذلك الجوارح ، يقول - تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ .

سورة الإسراء - آية : ٣٦

ولقد نهى الله عن القول بغير علم ، وعن الظن السيىء - الذى هو التوهمُ والخيال - كما قال الإمام ابن كثير .

وانظر إلى قول رسول الله ﷺ : « إياكم والظنّ فإن الظن أكذب الحديث » وقوله : « بئس مطية الرجل : زعموا » - أحمد وأبوداود ، عن حذيفة ، والله تعالى يقول :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ **سورة الحجرات**

إنها السورة التى وصف الله فيها رجلا - فى لحظة من لحظات الضعف البشرى - تكلم عن هوى فقال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾ .

سورة الحجرات - آية : ٦

لقد كادت كلمات ذلك الرجل تُعقِب شراً ، لولا أن هذى الله مصطفاه ، فانفعل بما جَبَلَهُ الله عليه من علم ، وحرص على تبيّن الأمور قال - تعالى :

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ... ﴾ **سورة الحجرات - آية : ٧**

ولو أنصف الإنسان من نفسه لَعَلِمَ أنه أحق بالملام ممن انتقد هم نبأ أقواله وأفعاله ، فالقول عملٌ - لا ريب - وعَمَلُ جارحة اللسان : النطق التى قالوا فيها « المرء مخبوء تحت لسانه » .

وما تزال الكلمة تتحرك فى خاطرى وخاطرك ونحن نملكها ، فإذا انطلق بها اللسان ، وانفرجت عنها الشفتان ملكتنا ، وصارت شاهدا للناس علينا ، ورحم الله سيدنا « عبدالله بن مسعود » فقد قال : « ما من شىء أحق بطول الحَبْس من اللسان » .

وكم جهل أسْرَى ألسنتهم أن الله - تعالى جعلها فى أفواههم وراء سجنَيْن من أسنانهم وشفاههم !! وكم سعد بالكلمة الطيبة أقوامٌ فكروا قبل كل شىء فى كل كلمة منطوقة فرجحت فى ميزان إيمانهم ، ولَطُفَ وقعها فى وجدانهم ، وأخذت سبيلها إلى الآذان والأذهان فأشاعت خيرا ، وأضاءت فى دنيا الناس نورا ، أحق الحق ، وأبطل الباطل ، وعلى عكس ذلك ما تفعل الكلمة التى تنطلق بغير علم ، فهى حصائد الألسنة فى قول رسول الله ﷺ لمعاذ - رضى الله عنه - « هل يكب الناس على مناخرهم فى جهنم إلا حصائد ألسنتهم ؟ » أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه .

إن مستصغر الشرور إن لم تسارع إلى إخماده وإيقاف مده عند اللحظة الأولى ، استحال نارا تأتى على الأخضر واليابس ، وكذلك تفعل الكلمة الفاجرة فى المجتمعات التى غفلت عن هدايات الله ـ تعالى ـ فى مواجهة الحدث الجلل الذى عرضته سورة النور .. قال ـ تعالى :

﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ سورة النور

إن المتكلم بالباطل شيطان ناطق . وإن الساكت على الحق شيطان أخرس ، ولا قيام للباطل إلا فى غفلة الحق .

إن الأكاذيب والمفتريات والشائعات تجد سبيلها فى دنيا النفاق ، والمؤمن الحق يقول بالحق ويتكلم بالثقة واليقين ، وتنفعه من نفسه عبرة « الأذنين واللسان الواحد » ، فهو يسمع أضعاف ما يتكلم .

ولنا أن ننصح برأى إمام دار الهجرة مالك بن أنس ـ رضى الله عنه ـ « إذا هممت بأمر ففكر فى عاقبته ، فإن كان رشداً فأمضه ، وإن كان غيا فانته عنه » والله ـ تعالى ـ يقول :

﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾

سورة النساء ـ آية : ٨١

يعْلَمُ سبحانه كل ذلك منهم وتكتب ملائكته عليهم حتى يجزيهم بما كانوا يعملون .

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ . سورة النور

والإمام ابن كثير يعرض قول الله ـ تعالى فى المنافقين .

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

سورة النساء ـ آية : ٨٣

فيقول : « إن الله ينكر على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها ، فيخبر بها ويفشيها وينشرها ، وقد لا يكون فيها صحة » وأورد من مقدمة شرح صحيح مسلم ما رواه أبوهريرة : أن رسول الله ﷺ قال : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » وذكر الحديث المتفق عليه : أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حين بلغه إن الرسول طلّق نساءه . فجاء من منزله حتى دخل المسجد ، فوجد الناس يقولون ذلك ، فلم يصبر حتى استأذن على النبى ﷺ فاستفهمه أطلقت نساءك ؟ فقال : لا .. فقلت : الله أكبر .. وذكر الحديث بطوله .. كما روى مسلم « فقلت أطلقتهن ؟ فقال : لا ، فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتى .. لم يُطلق رسول الله ﷺ نساءه » ونزلت هذه الآية :

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ **حتى قال : فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر**

فقد استخلصه ـ رضى الله عنه ـ واستخرجه من مَعْدِنِه ، من استفهامه رسول الله ﷺ ، فليت المجتمعات المسلمة حين تبلغها الشائعات تسارع إلى وأدها فى مهدها حتى لا تكون فتنة ، وحتى لا يشيع فساد ويسيطر شرّ ؟ ولله عاقبة الأمور ..

حقيقة التأمين .. وأركانه .. وأنواعه

٤

للدكتور/ عبدالله مبروك النجار

ثالثاً ـ تأمين الأشخاص :

وهذا النوع من التأمين يستهدف دفع مبلغ معين من النقود إذا ما حدث خطر معين للإنسان يهدد وجوده أو سلامته ، فموضوعه هو شخص المؤمن عليه وهو نوعان :

١ ـ التأمين على الحياة : ويراد به إما مواجهة خطر الموت ، وهذا هو التأمين لحال الوفاة ، أو عند البقاء عند سن معينة ، وهذا هو التأمين لحال الحياة ، وقد يكون التأمين على الحياة لأجل محدد ويدفع المؤمن مبلغ التأمين سواء كان حياً أو ميتاً ، والتأمين على الحياة له ثلاث حالات[٣٩] :

الحالة الأولى : التأمين لحالة الوفاة .

الحالة الثانية : التأمين لحالة البقاء .

الحالة الثالثة : التأمين المختلط .

الحالة الأولى ـ التأمين لحالة الوفاة :

وهذه الحالة من التأمين يذكر فقهاء القانون لها ثلاث صور ، هي التأمين العمرى ، والتأمين المؤقت ، وتأمين البقيا .

الصورة الأولى ـ التأمين العمرى :

وفي هذه الصورة يدفع المؤمن مبلغ التأمين للمستفيد عند وفاة المؤمن على حياته ، أياً كان الوقت الذى تحدث فيه الوفاة ، فهو تأمين عمرى ، لأنه يبقى طول عمر المؤمن على حياته ، ولا يستحق مبلغ التأمين إلا عند حدوث هذه الوفاة مهما طال عمره[٤٠] .

الصورة الثانية ـ التأمين المؤقت :

وفيه يدفع المؤمن مبلغ التأمين للمستفيد إذا مات المؤمن على حياته في خلال مدة معينة ، فإن لم يمت في خلال هذه المدة برئت ذمة المؤمن واستبقى أقساط التأمين التى قبضها .

الصورة الثالثة ـ تأمين البقيا :

وهو عقد يلتزم بموجبه المؤمن ، في مقابل أقساط بأن يدفع مبلغ التأمين في وقت معين إذا كان المؤمن على حياته قد ظل حيا إلى ذلك الوقت ، ويغلب أن يكون المؤمن على حياته هو المستفيد . فيستحق مبلغ التأمين إذا بقى على قيد الحياة عند حلول الأجل المعين في وثيقة التأمين ، أما إذا مات

(٣٩) د. السنهورى ـ الوسيط السابق فقرة ١١٨ ، د. أحمد شرف الدين ـ ص٢٦ ، د. حسام الأهوانى ـ ص٢٥ ، د. عبدالمنعم البدراوى ـ فقرة ١١٩ ، د. توفيق فرج ، ص١١٤ ، د. عبدالرازق فرج ـ ص٢٥ وما بعدها .

(٤٠) د. عبدالناصر العطار : المرجع نفسه ـ ص٩ .

قبل ذلك فإن التأمين ينتهي ، وتبرأ ذمة المؤمن ، ويستبقي أقساط التأمين التي قبضها ، ويبدو أن حق المستفيد في التأمين لحالة البقاء حق احتمالي غير مؤكد ، إذ أن مبلغ التأمين قد يستحق إذا بقي المؤمن على حياته حياً عند حلول الأجل المعين وقد لا يستحقه إذا مات المؤمن على حياته قبل ذلك .

الحالة الثانية ـ التأمين لحالة البقاء :

وهو عقد يلتزم بموجبه المؤمن ـ في مقابل أقساط ـ بأن يدفع مبلغ التأمين في وقت معين إذا كان المؤمن على حياته قد ظل حيا إلى ذلك الوقت ، ويغلب أن يكون المؤمن على حياته هو المستفيد ، فيستحق مبلغ التأمين إذا بقي على قيد الحياة عند حلول الأجل المعين في وثيقة التأمين ، أما إذا مات قبل ذلك فإن التأمين ينتهي ، وتبرأ ذمة المؤمن ، ويستبقي أقساط التأمين التي قبضها ، ويبدو أن حق المستفيد في التأمين لحالة البقاء حق احتمالي غير مؤكد ، إذ أن مبلغ التأمين قد يستحق إذا بقي المؤمن على حياته حيا عند حلول الأجل المعين وقد لا يستحقه إذا مات المؤمن على حياته قبل ذلك .

الحالة الثالثة ـ التأمين المختلط :

وهو عقد يلتزم المؤمن بموجبه في مقابل أقساط بأن يدفع مبلغ التأمين ، رأس مال أو إيراداً مرتباً إلى المستفيد إذا مات المؤمن على حياته في خلال مدة معينة ، أو إلى حياة المؤمن على حياته نفسه إذا بقي حياً عند إنقضاء هذه المدة المعينة ، فهو يجمع بين التأمين لحالة الوفاة إذا مات المؤمن على حياته ، في خلال المدة المعينة ، والتأمين لحالة البقاء إذا مات المؤمن على حياته حياً ، عند انقضاء هذه المدة[41] .

٢ ـ التأمين من الإصابات : وهو يهدف إلى تأمين الشخص ضد خطر الحوادث التي تمس سلامة جسمه ، والتي تنجم من حادث خارجي قد يؤدي إلى الموت أو العاهة أو العجز الكلي أو الجزئي الدائم أو المؤقت .

٣ ـ التأمين من المرض : وهو يدخل ضمن تأمين الأشخاص ، وذلك للتأمين ضد المرض ، وفي الحدود التي يغطي فيها التأمين العجز الناتج من المرض .

٤ ـ تأمين الزواج وتأمين الأولاد : والأول يغطي النفقات التي يستلزمها زواج المؤمن له أو المستفيد ، إذا تزوج قبل أن يبلغ سناً معينة ، أما الثاني فيغطي نفقات ولادة طفل للمؤمن له خلال مدة التأمين ، ومن هذا أيضاً تأمين المهور ، كأن يؤمن الأب لصالح ابنه الذي يستحق مبلغ التأمين إذا بلغ سناً معينة تكون عادة هي سن الزواج كي يتمكن من دفع مهر زواجه[42] .

نتائج تقسيم التأمين إلى تأمين أشخاص وتأمين أضرار :

يعتبر التأمين من الأضرار تأميناً تعويضياً ، يخضع تقدير مبلغ التأمين فيه لمقدار الضرر ، أما

(٤١) المرجع السابق ـ ص١٠ ، د. عبدالرزاق السنهوري ـ ص١٣٩٠ ، د. حسام الأهواني ـ ص٢٥ ، ود. عبدالمنعم البدراوي ـ ص١٨٠ ، د. أحمد شرف الدين ـ ص٢٦ .

(٤٢) د. أحمد شرف الدين ـ المكان السابق .

تأمين الأشخاص فإنه يستلزم دفع مبلغ التأمين المحدد سواء وقع ضرر أم لا .

ففى تأمين الأضرار : يلتزم المؤمن بتعويض الضرر الناتج عن الحادث فى حدود مبلغ التأمين ولا يجوز أن يتعدى العوض مقدار الضرر الحاصل بالفعل ، أى أن التعويض يقدر بحسب جسامة الضرر الناشىء عن الخطر المؤمن منه ، فتسرى عليه قاعدة النسبية ؛ حيث لا يجوز أن يكون هذا التأمين اداة اثراء واغتناء ، ولهذا يلزم المستأمن بإثبات وقوع الضرر بجانب إثبات وقوع الخطر ، كما لا يجوز للمستأمن أن يجمع بين مبلغ التأمين ودعوى التعويض ضد الغير الذى يسأل عن الحادث ، حيث حل المؤمن محل المستأمن فى الدعوى ضد من تسبب فى وقوع الضرر ، وقد نصت على هذا المادة (٧٧١) مدنى بقوله : « يحل المؤمن قانوناً بما دفعه من تعويض عن الحريق فى الدعاوى التى تكون للمؤمن له قبل من تسبب بفعله فى الضرر الذى نجمت عنه مسئولية المؤمن ، ما لم يكن من أحدث الضرر قريباً أو صهراً للمؤمن له ممن يكونون معه فى معيشة واحدة ، أو شخصاً يكون المؤمن له مسئولا عن أفعاله » .

وفى **تأمين الأشخاص** : لا يقاس مبلغ التأمين بمقدار الضرر ولكنه يحدد سلفاً عند إبرام العقد ، وهذا التحديد نهائى يدفع بلا نقص أو زيادة ولا تسرى عليه قاعدة النسبية ، وفى هذا النوع من التأمين يجوز الجمع بين مبلغ التأمين والتعويضات الأخرى ، ومن المسئول عن الحادث ولا يجوز للمؤمن أن يحل محل المؤمن له أو المستفيد قبل المسئول ، وقد نصت على هذا الحكم المادة (٧٦٥) مدنى ، كما يجوز الجمع فى هذا التأمين بين العديد من عقود التأمين ، لأن قيمة الشخص المؤمن عليه كقاعدة عامة لا حدود لها ، ومن ثم فإنه يجوز أن يبرم شخص عقود تأمين متعددة على الحياة ، ويكون للمستفيد أن يقبض كل مبالغ التأمين فى جميع الحالات فكل مؤمن يلتزم فى النهاية بمبلغ التأمين ، ونظرا لهذا فإن هذا النوع من التأمين يجعل لشخصية المتعاقد اعتباراً وقت إبرام العقد من ناحية حالته الصحية وعمره ، ولهذا يوقع عليه كشف طبى للتأكد من سلامة صحته ، وهذا غير موجود فى تأمين الأضرار .

موقف الشريعة الإسلامية من التأمين :

بعد بيان نظام التأمين فى فقه القانون ، يكون من المنطقى أن نردفه ببيان موقف التشريع الإسلامى من هذا النظام ، وفى نظرنا ، أن هذا النظام يأتلف أولا : من فكرة ، وثانياً : من أساليب تنفيذ هذه الفكرة .

أولا ـ فكرة التأمين :

أما فكرة التأمين فإنها تتمثل فى كونه مبدأ يسعى لتحقيق أهداف التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع ، ولاشك أن كلا من التعاون والتضامن بين أفراد المجتمع ، مما يتفق مع مقاصد الشريعة الإسلامية العامة ، وتدعوا إليها نصوصها الجزئية ، ولهذا فإن التأمين كفكرة تدور حول تلك الغاية الشرعية ، وتستهدف تحقيقها ربما لا يخالف فى شرعيته أحد من الباحثين .

ولو كان الأمر متوقفاً عند هذا الحد ما كانت هناك مشكلة تستدعى البحث ، وتقتضى الإجتهاد

لمعرفة مدى مشروعيته ، ولكن الغاية شيء والوسيلة التي تؤدى إلى تلك الغاية شيء آخر ، والشريعة الإسلامية حين حددت الغايات والمقاصد ، بينت الطرق والأساليب التي توصل لتلك الغايات ، ولهذا حتمت أن يكون المقصد مشروعاً ، والوسيلة التي توصل إليه مشروعة كذلك ، فالتشريع الإسلامي لا يعرف المبدأ القائل : بأن الغاية تبرر الوسيلة ، إلا بالنسبة للوسائل المسكوت عنها في الشرع[٤٣] .

ولا يجوز في منهج الإستدلال الصحيح ، أن يستدل بشرعية الغاية على جواز كل ما يوصل إليها من وسائل ، مع إهمال الأدلة الشرعية المانعة من بعض هذه الوسائل ، وقد استبان من الدراسة أن القائلين بمشروعية نظام التأمين ، قد استدلوا بشرعية غايته من التعاون والتضامن على شرعية عقود التأمين ، مع أنهم يعلمون بل ويسلمون أن تلك العقود تقوم على الغرر والمخاطرة وتتضمن الربا ، وكان من الصواب أن يقولوا : إن عقود التأمين ، إذا تضمنت الغرر والربا والمخاطرة ، كانت عقوداً باطلة ، وإن كانت في زعم البعض محققة للتعاون والتضامن ، وإذا كانت خالية من الغرر والربا ، كانت صحيحة ، دون الإستناد إلى أنها تؤدى إلى التعاون والتضامن ، لأن الأصل في العقود والتصرفات هو الحل والجواز ، والحظر والمنع ؛ استثناء لا يثبت إلا بالدليل[٤٤] .

والخلاصة أن التأمين كفكرة مجردة عن وسائلها ، تستهدف التضامن والتعاون يعد مشروعاً ، وأن حكمه ليس بحاجة إلى بحث تستهدفه تلك الدراسة ، وأن شرعيته لا تستلزم بالضرورة شرعية ما تضمن الغرر من العقود التي توصل لتلك الفكرة وتعمل على تحقيقها .

ثانياً ــ وسائل التأمين :

وأما بالنسبة لوسائل التأمين فقد استبان لنا أن تلك الوسائل يمكن ارجاعها إلى الأنواع الثلاثة الآتية :

النوع الأول ــ التأمين الاجتماعى :

وهو التأمين الذى تقوم به الدولة نفسها أو تعهد بإدارته إلى احدى هيئاتها ، ويقصد به تأمين طبقات الشعب ضد أخطار مهنة معينة ، كتأمين العمال ضد البطالة ، والمرض والعجز ، والشيخوخة ، وتقوم به في مصر الهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية .

النوع الثانى ــ التأمين التبادلى :

وهو الذى تقوم به الجمعيات التعاونية لتبادل التأمين ، وهى جمعيات لا تهدف منه إلى استثمار المال والحصول على الربح ، وليس فيها بائع أمن وطالب أمان ، بل كل عضو في هذه الجمعيات مؤمن ومؤمن له يبذل الاشتراك بقصد التعاون وبذل التضحية ، ومن غير قصد إلى تثمير رأس مال أعده صاحبه للتنمية والاستغلال ، وإن كان شيء من ذلك ، فمن غير قصد ولا هدف .

النوع الثالث ــ التأمين بقسط ثابت (أو التأمين التجارى) :

وهذا النوع من التأمين هو الذى تقوم به شركات التأمين ، وهى شركات قد أقيمت برأس

(٤٣) في هذا المعنى : د. حسين حامد ــ ص٤٤ وما بعدها .

(٤٤) المرجع نفسه ــ ص٤٥ .

مال قدمه المساهمون فيها بقصد الربح من ورائه وشركة التأمين مستقلة تماماً عن المؤمن لهم ، وهى التى تتعاقد معهم ، ومصالح الطائفتين فى علاقاتهم تختلف وتتعارض .

وهذه الأنواع الثلاثة ، هى محل البحث ، ومناط وجود الحكم الشرعى الذى يختلف من نوع إلى آخر من أنواع التأمين ، وذلك بحسب خلوه من الغرر أو وجوده فيه ، أو كان فيه غرراً ولكن الشارع أهدر اعتباره لغاية أسمى ، أو بدليل أقوى من أدلة تحريم الغرر ، ومعلـوم أن الشارع سبحانه ، قد أهدر اعتبار الغرر فى عقود التبرع ، تشجيعاً على فعله ، وحثاً للناس على عمل الخير ، ولأن المتبرع له لن يضار من الغرر ، لأنه لم يبذل فى مقابله شيئاً ، وسوف تجلى تلك المسألة أكثر خلال الدراسة ، وبالنظر فى النوعين الأولين ، وهما التأمين الاجتماعى ، والتأمين التبادلى ، نجد أنهما يلتقيان فى هدف واحد ؛ هو التكافل والتعاون الذى يبعد عن مجال الربح والتجارة ، ويمكن جمعهما تحت مسمى : التأمين التعاونى ، وهما بهذا المعنى يقابلان النوع الثالث وهو التـأمين التجارى ، الذى يستهدف الربح بالدرجة الأولى .

الحكم الشرعى للتأمين التعاونى

والتأمين التعاونى يندرج تحته نوعان من التأمين ، هما التأمين التبـادلى ، والتـأمين الاجتماعى ، ورغم أن الفكرة فى هذين النوعين واحدة ، وهى تحقيق التكافل والتعاون بين مجموع المؤمنين دون توخى الربح ، إلا أن التأمين الاجتماعى تقوم به الدولة ، والتأمين التبادلى تقوم به جمعيات تعاونية تنشأ لهذا الغرض وليس يخاف أن تحديد نطاق التعاون فى التأمين يتوقف إلى حد كبير على شخص القائم به (المؤمن) ، ولهذا يكون من المنطقى أن نقسم هذا الباب إلى فصلين : نخصص أولهما : لبيان الحكم الشرعى للتأمين التبادلى ، ونخصص ثانيهما : لبيان الحكم الشرعى للتأمين الاجتماعى الذى تقوم به الدولة .

الحكم الشرعى للتأمين التبادلى

تكاد كلمة الكاتبين تتفق على جواز التأمين التبادلى الذى تقوم به جمعيات ، أو مجموعة من الأفراد على تعويض الأضرار التى قد تلحق بعضهم ، وهو تعاون على البر ، كما أنه تبرع فى الأصل ، ولما كان كذلك فإنه لاتفسده الجهالة الفاحشة فى تحديد مبلغ التأمين ، كما لايفسده الغرر فى إستحقاق مبلغ التأمين ، ولاتعتبر زيادة مبلغ التأمين فيه عن الأقساط ربا ، لأن هذه الزيادة ليست فى مقابل الأجل ، وإنما هى تبرع لتعويض أضرار الخطر المؤمن منه ، ولهذا لم أقرأ لفقيه من فقهاء الشريعة الإسلامية ما يحرم هذا النوع من التأمين ، بل أن بعض الفقهاء قد دعا إلى العمل به[٤٥]

---

(٤٥) الشيخ محمد أبو زهرة ، والشيخ عبد الرحمن عيسى ، والصديق الضرير ـ أسبوع الفقه الإسلامى بدمشق ـ صفحات ٥٢١ ، ٤٧٠ ، ٤٤٩ على التوالى ، وراجع : د. عبدالناصر العطـار ـ السابـق ـ ص٧١ ، د. حسين حامـد حسان ـ السابق ـ ص٤٦ وما بعدها وراجع : د. رمضان حافظ عبدالرحمن ـ فى كتابه موقف الشريعة الإسلامية من الميسر والمسابقات الرياضية ـ ص١٣٦ ، حيث يرى أن هذا النوع من التأمين يحتاج لفهم حقيقة وعرض صوره على أحكام الشريعة وقواعدها حتى يتبين لنا حكمه من الحل والحرمة ، لكن بعض العلماء الفضلين قد أفتى بحله والمسئولية أمام الله ـ تعالى ـ على من أفتى لا على من نقل .

ودليل الجواز فى هذا النوع من التأمين :

أن أساس المنع فى التأمين هو اشتماله على الغرر الذى نهى الشارع عنه ، ونهى الشارع عن الغرر ينطبق على العقود التى يقصد بها المعاوضة ، لأن النهى عن الغرر ورد فى عقد البيع وهو عقد معاوضة ، فكان حكم النهى شاملا لجميع المعاوضات ، أما التبرعات فقد بقيت على أصل الحل والجواز وإن دخلها الغرر عند من يعتد برأيه من الفقهاء

وواضح من بيان طبيعة التأمين الذى تمارسه جمعيات التأمين التبادلى ، أن هذا النوع من التأمين لايقصد به المعاوضة ، وإنما هو اتفاق تعاونى يقصد التضامن بين جماعة من الناس يتعرضون لأخطار من نوع واحد فى معاونة من تعرض منهم للخطر على تفادى آثاره بدفع مبلغ مما تعاون الجميع فى جمعه يكفى لجبر ما لحقه من ضرر هذا الخطر ، فهذه الجمعيات لا تهدف من وراء عملية التأمين إلى الربح فليس فيها مؤمن ومستأمن ، بل جميع أعضاء هذه الجمعيات مؤمنون ومستأمنون فى نفس الوقت ، وما يدفعه كل عضو فى هذه الجمعيات من اشتراك يقصد به التبرع لمن لحقه ضرر من جراء خطر معين من أعضاء جمعيته[46].

والثابت أن المتبرع إذا تبرع لجماعة وصفت بصفة معينة فإنه يدخل فى الاستحقاق مع هذه الجماعة إذا توافرت فيه هذه الصفة ، كمن تبرع لطلاب العلم ، فإنه يستحق نصيبا فى هذا التبرع إذا طلب العلم ، ومن تصدق أو وقف على فقراء مكة ، دخل فيهم واستحق معهم إذا صار فقيرا ، وعلى ذلك فباذل القسط أو الاشتراك فى تلك الجمعيات يعد متبرعا .

وقد يقال بأن المشتركين فى هذه الجمعيات ، لا يعرفون على وجه التحديد عند دفع الأقساط مقدار ما يخصهم من مبالغ تلزم لجبر من وقع عليه الضرر من أعضاء الجمعية لأنهم يدفعون اشتراكا محددا فى بداية العام ، ثم تحسب التعويضات التى دفعت لمن وقع عليه الضرر من أعضاء الجمعية ، فما نقص من قيمة اشتراك العضو عما يخصه من هذه التعويضات طولب به وما زاد رد إليه وهذا غرر .

وجواب ذلك : أن هذه الجمعيات تقوم على التبرع والتعاون وبذل المال ، وليس يشترط فى جواز التبرع أن يعرف المتبرع ابتداء مقدار ما يتبرع به على وجه التحديد وهذا معنى قول الفقهاء : إن الغرر والجهالة يغتفران فى التبرعات تشجيعا على فعل الخير من جهة ، ولعدم تضرر المتبرع إليه بالغرر والجهالة من جهة أخرى ، لأنه لم يبذل عوضا فى مقابل هذا التبرع[47].

(يتبع)

(46) د. حسين حامد حسان ـ السابق ـ ص47 ، د. أحمد شرف الدين ـ ص21 .

(47) المرجع نفسه ، د. عبد الناصر العطار ـ المرجع السابق .

من أعلام الأزهر

محمد بخيت المطيعي

علم الإفتاء في عصره

للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي

الجزء الأخير

ألف الأستاذ الشيخ محمد بخيت المطيعي كتبا كثيرة منها : إرشاد الأمة إلى أحكام أهل الذمة ، وهو كتاب ينصف الإسلام ممن أشاعوا عنه التعصب والعداء لغيره ظلماً وبهتانا ، وكتبا شتى تتحدث عن الإسراء والمعراج والوقف والطلاق ، ثم اهتم به معاصروه وأثاروا حوله نوعا من النقاش ، فحاول الشيخ أن يبدى رأيه على طريقته الخاصة ، في جمع الأسانيد والاستشهاد بالنصوص ، أما أثره الأهم فهو ما سجله من فتاوى فقهية جمعت وزارة الأوقاف بعضها في المجلدات الأولى من سلسلة الفتاوى الإسلامية ونشرت المجلات الإسلامية بعضا منها وتفرق بعض ثالث لدى من أرسلت إليهم الفتوى في رسائل خاصة ! ونحن أعرض لما قرأته من هذه الفتاوى أقف عند بعضه مما كان نادراً في بابه ، لأنه يدل على سعة النظر وصواب الرأى .

وفى طليعة ما أشير إليه فتواه الخالدة حين سألته وزارة المالية بتاريخ ١٩٢٠/٢/٢٥ عن عريضة مرفوعة من امرأة فقيرة لا تملك شيئاً وليس لها قريب ما يستطيع أن يعولها مع تقدم السن ، وضعف البنية وهى تطلب من الدولة نفقة شهرية باعتبارها مواطنة مصرية ، فدرس الشيخ الكبير الموضوع من جوانبه الفقهية وقوّاه بالسند القانونى حين ذكر أن بيت المال (وزارة المالية) تجبى الأموال من مرافق مختلفة حددها بالاسم ، ومنها التركاتُ التى لا وارث لها أصلا ، أوْ لها وارث ويبقى شىء من التركة .

وهذا النوع على المشهور من المذاهب يُصرف للفقراء الذين لا أولياء لهم ومصرفه لكل عاجز عن الكسب ومتى كانت المرأة فقيرة محتاجة وليس لها عائل كان الحق لها أن تأخذ من مصارف الخراج الخاص بالأراضى الزراعية ومن ضرائب الجمارك

ومن التركات التى لا وارث لها فيجبُ على الحكومة أن تُعطيها الكفاية من مرفقى الضرائب أو التركات[1] .

ولم تكن الحكومة متوقعة هذا الرد الحاسم فأبطأت فى التنفيذ ، ولكن ما أثاره الشيخ الأكبر قد أحدثت صداه لدى بعض القضاة بالمحاكم الشرعية ، يقول المحامى الكبير الأستاذ عزيز خانكى مشيرا إلى قضية مماثلة رَفعتْها سيدة مريضة متقدمة فى السن تطالب الحكومة بالنفقة عليها بعد أن عجز عائلها وتقطعت عنها أسباب الرزق : يقول الأستاذ خانكى[2] : « والواقع أن القضية رفعت سنة ١٩٢٠ أمام محكمة نجع حمادى الشرعيــة ، فحكــمت المحكمــة بتـــاريخ ١٢/٤/١٩٢٠م برياسة فضيلة الأستاذ الشيخ محمد فرج السنهورى « وزير الأوقاف وعضو مجمع البحوث فيما بعد » بإلزام وزير الماليّة باعتباره والى بيت المسلمين بأداء النفقة التى فرضتها المحكمة ، على أن يكون المفروض إلى المدعة دينا على زوجها يرجع به وزير المالية إليه » هذا ما قرره الأستاذ السنهورى متأثراً بفتوى المرحوم الأستاذ الشيخ بخيت ، وقد أراد بالرجوع إلى الزوج احتمالا لغناه فيما بعد ، لأنه فقير عاجز لا يملك شيئا ، وذلك تخفيف لوقع الحكم على المسئولين ، ومع ذلك فقد عارض التفتيش القضائى الشرعى حكم الأستاذ ، وأرسل مذكرة المحاكم الشرعية بعدم سماع مثل هذه الدعاوى ؛ لأنها غير ملزمة ! وكلمة غير ملزمة مما يحار أمامها العقل ، فالمدعية فقيرة مريضة والدولة عليها حق الرعاية ، وباب النفقة حَدده الشيخ بخيت ، وحصره فى ضرائب الأرض والجمارك والتركات التى لا وارث لها ! والمحكمةُ شرعيةٌ لا أهلية ، فكيف يحدث هذا ؟ .

وبعد أكثر من عشرين عاما ، وفى أثناء الحرب العالمية الثانية ، ظهر ما يسمى بمشروع (بيفردج) الخاص بالتأمين الاجتماعى فى بريطانيا وبه نصٌ يقرر حق الفقراء والعجزة والضعفاء فى مال الدولة إذ لابدّ من رعاية حَق كل مواطن وقام الكاتبون فى مصر يتحدثون عن إنسانية المشروع وأنه سبق ظافر لمدنية الغرب ، فهل علم هؤلاء ، فتوى الشيخ محمد بخيت ، وحُكْم الشيخ محمد فرج السنهورى ! قبل أن يشيدوا بحضارة غربية لم تصل إلى ما وَصلنا إليه منذ ظهر الإسلام فى الوجود ! .

وحين قامت الشيوعية رسميا بنجاح الثورة الروسية ١٩١٧ ، وُجدت كتب خاصة تشيد بمبادئها ، وتعلن أنها الحلّ النهائى لمشكلات العالم أجمع ، ورأى مفتى الديار المصرية الشيخ محمد بخيت أن يُعلن رأيه استجابة لأسئلة المصريين ، فكتب فتواه مصدرة ببحث تاريخى[3] عن شبيه هذه الدعوات فى فارس حين نادت المجوسية لفترة ما ــ بإباحة الأموال والأعراض للجميع فعجلت بانتشار الفوضى فى ربوع فارس لأمد غير قصير ، حتى جاء الإسلام ، فنظّم العلائق الاجتماعية ، وشرع العقود الناقلة للملك من هبة وبيع ووصيّة ، وبين المواريث وحدّد لكلّ وارثٍ نصيبه المعلوم وبيّن أنّ الله هو الذى يبسط الرزق لمن يشاء

(١) تراجع الفتوى بالمجلد الأول من مجموعة الفتاوى الإسلامية ص ٣٠١ وما بعدها .

(٢) مجلة الثقافة ــ العدد ٢٢٥ ــ ٢٠/٤/١٩٤٣م .

(٣) الفتاوى الإسلامية (المجلد الرابع) ص ١٣٦٧ وما بعدها .

ويقدر ، وجاءت خطبة حجة الوداع دستورا إنسانيا يحمي الحرمات ويحفظ الحقوق ، وبعد أن أفاض الشيخ في تقرير هذه الحقائق بأدلة حاسمة يقرؤها المسلمون في كتابهم ويرون تطبيقها في تيسير الصحابة ومن تبعهم بإحسان ، بعد ذلك كله قرر أن البلشفية تهدم الشرائع السماوية وتجعل الناس فوضى في معاملاتهم فهم يهدفون إلى هدم الكيان الاجتماعي ، ويحرضون الطبقات الفقيرة لتثير حرباً عوانا على كل نظام اجتماعي ، يستند إلى قواعد الفضيلة والأدب وإذا كان هؤلاء لا يعتقدون في شريعة من الشرائع الآلهية ، ولا يعتقدون ديناً سماوياً فهم كافرون .

وحين نشر الأستاذ فتواه الصريحة صاح الصائحون ما للشيخ بخيت والحكم على المذاهب الأوربية ولماذا لا يحصر نفسه في نطاق الإسلام ، كما صاحوا بالرجل من بعد حين هاجم الأسطورة الدروينية ، وعدُّوه يتكلم فيما لا يعرف ، وقد نسي هؤلاء أن الرجل هو المفتي الرسمي للبلاد ، وأنه سئل عن رأى الإسلام في أمور قد انتقلت عدواها من الغرب إلى الشرق ! وإذا كان المستشرقون يحكمون على الإسلام زوراً وبهتاناً في كثير مما يكتبون ولا يقول لهم أحد أنكم تتكلمون عن الشرق وأنتم غرباء عنه ، بل تُقابل كتاباتهم عند ذيولهم بمنتهى الإجلال والتوقير وكأنها حق لا مرية فيه ! إذا كان المستشرقون يفعلون ذلك ، ولا يجدون من يقول لهم إنكم تتجاوزون الحق في أكثر ما تكتبون ، أفيلام عالمُ الاسلام حين يرى من يحاول أن يهدم أسس دينه القويم ، ويُعد فضوليا لأنه دفع المنكر بما يستطيع ؟!! .

وقد كان الشيخ متشددا في فتواه في أمور قد لا تقتضي هذا التشدد ، فقد سئل عن حكم تشريح الميت بعد وفاته ، فكتب عدة صفحات تتضمن نقولا عن ابن قدامة وشارحة وعن المهذب لأبى إسحاق الشيرازى ، وعن شارحة الإمام النووى في المجموع ، وعن ابن حجر والطيبى وعن ابن الهمام وابن الملك منها إلى ما قرره في قوله :

« من هذا يُعلم أن الميت في وجوب احترامه ، وعدم إهانته كالحي سواء بسواء ، فإذا مات لا تجوز إهانته بعد موته كما لا تجوز إهانته في حياته ، وإن اختلف العلماء في الشق وعدمه في مواضع ، لكن الذى يؤخذ منهم جميعا هو وجوب احترام الإنسان حيًا وميْتاً ، وبناء عليه فلا يجوز شق بطن أى ميت كان إلا في المواضع المتقدمة وأن التشريح الذى من لوازمه شق البطن بلا سبب سوى بحث الأعضاء ومعرفة وظائفها وما بها من الأمراض ، فهذا لا يسوغ ولا يجيز فتح بطن الإنسان بعد موته ويمكن الوقوف على وظائف الأعضاء بواسطة فتح بطن حيوان آخر غير الإنسان ، لأن كل الحيوانات متساوية في وظائف الأعضاء الحيوانية[1] » .

وهذه الفتوى فريدة بين فتاوى أخرى لأعلام من المعاصرين ، تُجيز ما حرمه الشيخ بخيت من تشريح الميت لمعرفة وظيفة العضو وسبب مرضه وصحته ومنهم : الأستاذ يوسف الدجوى ، وقد أشرت إلى قوله فيما كتبته عن ترجمته من قبل ، ومما قاله بهذا الصدد : « ومن نظر إلى أن التشريح قد يكون ضروريا في بعض الظروف كما إذا اتُّهم شخصٌ بالجناية على آخر وقد يبرأ من التهمة عندما

---

(١) مجلة الأزهر – المجلد السادس سنة ١٩٣٥م ص ٦٣١ .

يظهر التشريح أن ذلك الآخر غير متهم ، وقد يُجنى على رجل ثم يُلقى بعد الجناية عليه فى بئر بقصد إخفاء الجريمة وضياع الجناية إلى غير ذلك مما هو معروف ، فضلاً عما فى التشريح من تقدم العلم الذى تنتفع به الإنسانية كلها وينقذ كثيرا ممن شفى على الهلكة أو أحاطت به الآلام من كل ناحية ، فيأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت مما لا داعى إلى الإطالة فيه ، مَنْ نظر إلى ذلك الإجمال وما يتبعه من التفصيل لم يسَعه إلا أن يُفتى بالجواز تقديما للمصلحة الراجحة على المفسدة المرجوحة[٥] » .

وقد هبت فئة من بعض المتسببين للعلم وليسوا من أُصلائه حول تفضيل صاحب مذهب فقهى على إمام مماثل ، وبادر بعضهم بطبع كتاب يُسمى (مغيث الخلق فى ترجيح القول الأحق) يُنسب إلى الإمام أبى المعالى الجوينى ، وفيه سبٌّ صريح وافتيات منكر على الإمام أبى حنيفة ، وكان الشيخ بخيت حينئذ فى مرضه الأخير ، حيث لقى ربه بعد أمد قريب منذ تصدر لقمع هذه الفئة الباغية ، فقد أرسل إليه من يظن أن الرجل الكبير سيكيل بالصاع صاعين لمن شاق أبا حنيفة بل لصاحب المذهب الذى ينتسب إليه الجوينى ، وهو الإمام الشافعى ، وخاصة ما جاء بالكتاب من أن أبا حنيفة قليل البضاعة فى علم الحديث ، ولكن الرجل الكبير والإمام الحجة البصير ، ألقى درسا كبيرا فى صفحات متتالية فى وجوب احترام الأئمة جميعا ، وقال فى خاتمة حديثه (إذا تقرر هذا فمذهبُ أبى حنيفة ومذهب غيره من الأئمة سواء، ولا يمكن لأحد من المجتهدين أن يعتقد أن مذهب غيره خطــــــــــــــــــــأ لا يحتمل الصواب ، وأن مذهبه صواب لا يحتمل الخطأ ، وإلّا لكان مذهب هذا المجتهد بمنزلة كلام المعصوم الذى لا يخطىء وليس هذا فى وسع بشر سوى الرسل ــ عليهم السلام ــ ، فلا وَجْه إذنْ لتخصيص مذهب وتفضيله على مذهب آخر ، وعلى هذا إما أن يكون ما ذكر فى الكتاب (مغيث الخلق) مدسوسا على الإمام الجوينى إمــــام الحرمين ، والرجل برىء منه وهو أكبر الظن عندنا ، وإما أنْ يكونَ صحيحا وهو يناقض آراءه ونقوله التى ذكرها فى البرهان وغيره ، ولو أردْنا تقصى كلّ ما جاء فى سؤال السائل مما ذكر فى الكتاب لوجدنا له ردا وأقمنا لهُ من الحق ضدا ، ولكنّا نكون بذلك قد خُضْنا متعصبين لمذهبنا ، مفضلين إمامنا ، فنفتح فيما وقع فيه إمام الحرمين ، وما أريدُ بهذه العجالة إلا أنْ ألفت نظر السائل الباحث وجميع المسلمين إلى وجوب الاعتقاد بأنّ : الأئمة الأربعة كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفاها ، وأنهم من الكمال وعناية الله بهم بحيثُ لا يُقاسُ عليهم غيرهم[٦] .

فهذا الموقف من إمام كان لا يوقع مقالاته بغير (محمد بخيت المطيعى الحنفى) يدلّ على نصَفَةٍ تامّة ، ويصوِّر خلقا نبيلًا يجب احتذاؤه ، وقد لاحظتُ أنهُ لا يجزم بعدم نسبة كتاب (مغيث الخلق) إلى الإمام أبى المعالى الجوينى ، بل يرجحّ ذلك .

أما أنا فأجزم بعدم النسبة لأمر واحد أخذته من كلام الشيخ بخيت نفسه ، وهو أن الآراء الفقهية المدوّنة فى (مغيث الخلق) تخالف آراء أبى المعالى

(٥) مجلة الأزهر ــ المجلد السادس سنة ١٩٣٥م ص ٤٧٣ .

(٦) مجلة الإسلام السنة الرابعة سنة ١٩٣٥م .

التى ذكرها فى كتبه المختلفة ومنها : كتاب (البرهان) أليس هذا دليلا على أن مُغرضاً من ذوى التعصب كتب الكتاب ثم نسبَهُ إلى كبير من أئمة فقهاء الشافعية ليلقى الرواج ! والكتب المنحولة أكثر من أن تندرج تحت حصر فى شتى فروع المعرفة ، ومثل الجوينى لا يَجْهل قدر إمام كبير كأبى حنيفة النعمان .

ولا أترك هذا المقال دون أن أشير إلى كتاب (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) الذى رَدَّ به الشيخ بخيت على كتاب (الإسلام وأصول الحكم) للأستاذ على عبد الرازق ، فقد أبانَ هذا الكتاب عن ثقافة متشعبة الفروع لدى الفقيه الكبير ، وإذا كان تضلعه الوثيق فى علمى : الفقه والأصول مما يشهد كل قارىء لمؤلفاته وتحقيقاته ، وبخاصة فيما كتبه تعليقا على شرح منهاج الأصول للعلامة الأسنوى بمجلداته الثلاثة الكبار ، فإن كتاب (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) قد جمع بين علوم الفقه والأصول والتاريخ والسياسة والاجتماع ، بما أصبح به فريدا فى مؤلفات الأستاذ الكبير وقد اطَّرد به الحديث فى فصولٍ عِدّة اطرادا يدل على تدفق الخاطر وسلاسة اليراع ، ففى الباب الأول : مبحث شاق يُثبت أن المسلمين كانوا أوَّل من جهـر بأنَّ الأمـة : مصدر السلطات ، وهى عبارةٌ حرص الشيخ على تسجيلها بدستور سنة ١٩٢٣ المصرى ، وقد كان من أبرز الأعضاء الذين قاموا بتدوينه ، كما كان أول من سجل بهذا الدستور : أن الإسلام هو الدين الرسمى للدولة ، فأذعن له الأعضاء عن طواعية وترحيب ، وفى الباب الثانى رَدَّ على من أنكر وجوب الخلافة ناقضاً ما تورط فيه الأستاذ عبد الرازق من شُبه يحسِبُها أدلةً ، وهى فقاعات تتطاير فى الهواء ، ثم مَضَى الحديث العلمى القويم متتابعا فى فصول الكتاب وقد بلغ أكثر من أربعمائة وخمسين من الصفحات ، ليعرضَ القدرْ المعلوم فى كتب الأصول عن : الإجماع وحال القضاء فى زمن الرسالة ، والوظائف والعمالات ، وما يُضاف إلى الإمامة العامة من مُلحقات كالوزارة والحجابة ، ومَغْزى رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك ، وبعثاته المتكررة إلى القبائل دعوة للإسلام وتحببا فى الصلح وإعطاء الأمان ، فإذا وفَّى حديث الرسالة فى عهد الرسول حقه ، تكلم بإفاضة وإشباع عن عهد أبى بكر والتزامه بما بدأ به الرسول ، باسطا مجال القول فى الجهاد وضرورته ومبينا عثرات التناقض فيما بدا فى كلام الشيخ على عبد الرازق ، ومِنْ أنفس فصول الكتاب مَادَحض به الرأى القائل : بأن شريعة الإسلام مقصورة على الأمور الدينية ، وهى دعوى كاذبة يرددها العلمانيون بغياً دون حق ، لأنهم قرءوا القرآن وعرفوا ما به من آيات السياسة والجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر امتثالا لحكم الله ، وإذا ارتكز المؤلف المنقود على زعمه : أن الشريعة الإسلامية روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ فقدْ عَصَف الشيخ بكل ما قاله فى وضوح ساطع لا يقْبل المراء ، وكذلك ما قرّره فى دُحض ادعائه : بأن الخلافة ليسْت من الخطط الدينية وأنها نظام عتيق يجب أن يهدم ! هذا الكتاب الجليل مضافاً إلى كتابى الأستاذين : محمد الخضر حسين ، ومحمد الطّاهر بن عاشور (وقد برَّزا فيما

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر

يقدمها فضيلة الشيخ / السيد العراقى

● كتب السيد ـ أ ـ إبراهيم يطلب الفتوى فى المسائل الآتية ، نوجزها باختصار

● لى قريبة متزوجة ، وزوجها بصحة جيدة ، ولكنه لايعمل ، وإن عمل فبمال يسير ، وهى تنفق على أولادها بالعمل فى منازل أقاربها ، ونصح زوجها كثيراً .

● وأولاد أخ متوفى ، بعضهم مجند ، وآخر يعمل ، ولهم معاش يسير وحالتهم يسيرة ، ولادخل لهم سوى ذلك فهل لى أن أخرج لهم من الزكاة أم أدفع زكاتى إلى إحدى الجمعيات الخيرية الموثوق بها .

● وهل يجوز اخراج مقدار من مال الزكاة إلى طلاب العلم الفقراء أو إلى المرضى المحتاجين .

وبعرض الأمر على لجنة الفتوى أجابت بالآتى :

أريد أن أخرج زكاة مالى إلى أقرباء كثيرين محتاجين . هل يجوز إخــراج جزء منها على المرضى والمسنات وما الحكم :

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد :

فنفيد بأن الزكاة التى شرعها الله سبحانه وتعالى فى المال تكون واجبة حين يبلغ هذا المال النصاب المقرر شرعاً وهو مقدار ٨٤,٥ جراماً من الذهب الخالص وأن يمر على هذا المال حولاً (سنــة قمرية) .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز الأصناف الثمانية التى تعطى اهم زكاة المال فقال : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ » ولاتعطى الصدقات على هذا النحو الا لمستحقيها والبحث عنهم واجب حتى لاتكون الصدقة فى غير محلها أو فى غير ما أراد الله ﴿تعرفهم بسيماهم لايسألون النــاس إلحافاً﴾ .

فإذا كان للقارىء أقارب أو معارف أو جيران من هذه الأصناف فإنهم أحق من غيرهم . والممنوع فقط من أخذ الزكاة هو أصل الشخص كأبيه وأمه أو فرعه كابنه أو أبنائهم والله تعالى أعلم .



استفتاء من م. ع. أ - يقول فيه ماحكم الاستمناء ؟ وما حكم الذى اقسم بالله أن لايفعله ولكنه لم يستطع الصبر ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد :

بأن الاستمناء باليد أو بأى طريقة محرم شرعاً ويسمى (زنا اليد) وهو منهى عنه لحرمته وخطورته ، وحرمته تأتى من كونه إهداراً للماء الذى يجب المحافظة عليه .

وقد جاء فى الأثر (احفظوا ماءكم فإنه عصب الحياة) .

وعن خطورة هذا الفعل القبيح يقول الأطباء إنه يؤدى إلى أمراض منها الجنون والعياذ بالله .

وللإقلاع عن هذه العادة السيئة فإننا ننصح بكثرة الصيام عملاً بقول رسول الله ﷺ : «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة ، فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» أى وقاية من هذه الأفعال السيئة كما ننصح أيضا بكثرة القراءة المفيدة وعدم التفكير حسياً فى أشياء تحرك إلى ممارسة هذه العادة السيئة . وياحبذا لو قطعت هذا التفكير بالوضوء فإن الوضوء سلاح المؤمن .

وعلى كل فإن المسألة لاتخل بالايمان فيجب أن تكون عندك إرادة قوية وثقة بنفسك حتى تقلع عن هذه العادة والله الهادى إلى سواء السبيل والله تعالى أعلم ويلزمك كفارة عن القسم وهى إطعام عشرة مساكين فإن لم تستطع فصيام ثلاثة أيام .

بقية ص ١٣٢٢

كتاب خير تبريز) معاول هدم لكل افتراء عن حقيقة الحكم فى الإسلام .

ولو كانت النفوس تميل الى الحق لوجه الحق حين ترى الدليل الساطع كالقمر المتألق فى السماء ما كان لهذا المراء الذى بدأ به الأستاذ على عبد الرازق ، وامتد إلى الآن كيان ينهض به ، ولكن الغرض يُعمى ويصُم ، لدى قوم يخافون من شريعة الإسلام أن تأخذهم بما يخطئون ، وذلك هو السبب الأصيل .

هذا بعض ما يقال عن الشيخ الكبير ، أكتبه مستمطرا عليه سحائب الرحمة ، ولا أزال أذكر ما قاله شاعر السودان الأستاذ عبد الله عبد الرحمن فى قصيدة عامرة نشرها بالرسالة عقب وفاته :

وأوْدَى المُطيعى حُجةُ الله فى الورى
فغاب به كنْزُ من العلم قيِّم
مضى يملأ الدنيا علوما وحكمة
فويل على ركن الهدى يتهدم

وقد صدق فيما قال .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

كتاب الله قبل كتاب الخليفة

دخل أبو النصر سالم مولى عمر بن عبيد الله على عامل للخليفة ، فقال له : يا أبا النصر ، إنه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا نجد بدا من إنفاذها ، فما ترى ؟ .

قال أبو النصر : قد أتاك كتاب الله قبل كتاب الخليفة ، فأيهما اتبعت كنت من أهله .

ما رأيت أنت ولا آباؤك مثلها

أهدى الشريف إلى الملك صلاح الدين الأيوبي ابن أيوب هدايا ، وكان الرسول يخرج منها واحدة واحدة . ويعرضها على الملك فأخرج مروحة من خوص النخل ، وقال : أيها الملك هذه مروحة ما رأى الملك ولا أحد من آبائه مثلها ، فاستشاط الملك غضبا وتناولها منه ، وإذا عليها مكتوب

أنا من نخلة تجاور قبرا
ساد من فيه سائر الناس طرا
شملتني سعادة القبر حتى
صرت في راحة ابن أيوب أقرا

فعرف صلاح الدين أنها من خوص النخل الذى فى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقبلّها الملك ووضعها على رأسه ، وقال للرسول : صدقت ، صدقت ..

ما تقول فى القدر ؟

قدم أعرابى البصرة ، فقيل له : ما تقول فى القدر ؟ ، فقال : أمر تغالت فيه الظنون ، واختلف فيه المختلفون ، فالواجب أن نرد ما أشكل علينا من حكمه إلى ما سبق من علمه .

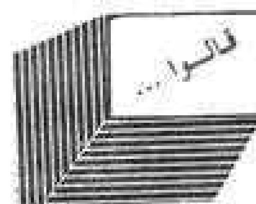
لا تعرفك

أعطى عبدالله بن جعفر امرأة سألته مالا عظيما ، فلاموه ، وقالوا : إنها لا تعرفك وإنما كان يرضيها اليسير ، فقال : إن كانت ترضى باليسير ، فإنى لا أرضى إلا بالكثير وإن كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسى .

لا ترض بأوكس النصيبين

قال رجل للمنصور : يا أمير المؤمنين ، إن الانتقام انتصاف ، والتجاوز فضل ، والمتجاوز قد جاوز حد النصف ، ونحن نعيذ أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين ، وأن لا يرتفع إلى أعلى الدرجتين ، فاعف عنا يعف الله عنك فعفا عنهم وأنشدوا :

إذا بغى باغ عليك بجهله
فاقتله بالمعروف لا بالمنكر



الحيوان الذى لا يصلح شأنه إلا برئيس أو رقيب : الناس والغرانيق والكراكي والنحل ، فأما البقر والإبل والحمير فتتخذ رئيسا من غير رقيب .

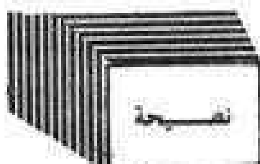
حقاً

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى
عقيلة مال الفاحش المتشدد

إلى

بليت

إنى بليت بأربع يرميننى
بالنبل قد نصبوا على شراكا
إبليس والدنيا ونفسى والهوى
من أين أرجو بينهن فكاكا
يارب ساعدنى بعفو إننى
أصبحت لا أرجو لهن سواكا



إذا اشتبه عليك أمران ، فلم تدر فى أيهما الصواب ، فانظر أقربهما إلى هواك فاجتنبه .

أسوأ الناس حالا

قيل لبعض الحكماء : من أسوأ الناس حالا ؟ .
قال : من اتسعت معرفته ، وضاقت مقدرته ، وبعدت همته .

دعاء

اللهم إليك خرجت ، وما عندك طلبت ، فلا تحرمنى خير ما عندك لشر ما عندى .. اللهم وإن كنت لم ترحم نصبى وتعبى ، فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته .

من روائع الماضي مجلة الأزهر



النبى والفيلسوف

لصاحب الفضيلة الشيخ يوسف الدجوى

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

شتان بين الشخصيتين ، وفرق بين الرسالتين ـ إذا اعتبرنا الفلسفة رسالة تجاوزا .

وربما يحدث الخلط عند بعض الناس ، فيظن أن هناك أوجه شبه بين الفيلسوف والنبى من الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم أجمعين وهذا الخلط ناشىء عن قصر نظر أو سطحية فى التفكير ، أو جهل تام بحقيقة الشخصيتين .

والفروق كثيرة بين النبى والفيلسوف ، وهى فروق يحكمها الواقع ويحسمها الدليل المشاهد ـ وهو أن رسالة النبى لا تخضع للمناقشة إلا من جاهل أو جاحد أو حاقد ، لأنها محسومة من قبل الله ـ عز وجل ـ بينما رسالة الفيلسوف ستظل تخضع للمناقشة والأخذ والرد مادام هناك فكر إنسانى يعمل .

وهناك فروق بدهية أخرى واضحة يستطيع بها كل من التبس عليه الأمر أن يفرق بها بين النبى والفيلسوف ذاتا ورسالة عنى الكاتب بتقديمها فى هذه الكلمة العلمية .

قال الأستاذ ـ رحمه الله .

جاءنا هذا السؤال من صاحب الإمضاء ، قال بعد الديباجة : إننا نرى حكما عالية وقوانين صالحة للاجتماع والعمران لفلاسفة اليونان وغيرهم ، ونرى لهم بجانب ذلك معرفة بالله وثناء على الله . وقد جاء عن سقراط وأفلاطون وغيرهما شىء كثير من ذلك ، وقد كانوا قبل المسيح ، فلماذا لا نعتبرهم أنبياء ، وقد أسسوا مدنية فاضلة وتلاميذ صالحين ؟

نرجو من فضيلتكم بيان ذلك والإسهاب فيه كما هى عادتكم ، أبقاكم الله للعلم والدين ، وحفظكم للإسلام والمسلمين بمنه وكرمه ،

عبد الرحمن محمد

أستاذ بالمدارس

الجـــواب

الحمد لله رب العـالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد معدن الأسرار ومنبع الأنوار ، أعرف خلق الله بالله ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : قد سئلت مثل هذا السؤال منذ زمان بعيد من عظيم من عظماء المصريين ، فأجبته بما اقتنع به إذ ذاك . واليوم نذكر لك خلاصة ذلك الجواب ، ثم نفيض في الموضوع إفاضة لا تدع في النفس شكا ، ولا في الأمر ريبة ، فنقول - وبالله التوفيق :

قلنا لذلك الباشا عندما سألنا عن ذلك : إن هناك فروقا كثيرة بين النبي والفيلسوف ، منها :

أن الفيلسوف إذا نزلت به نازلة أو سئل عن معضلة ، فزع إلى فكره فشحذه وإلى نفسه فأيقظها ، وإلى معلوماته فاستعرضها ، عسى أن يعثر فيها على حل أو يظفر منها بجواب .

أما النبي فإنه على العكس من ذلك : يعمد إلى نفسه فيسكن من حركتها ، وإلى أفكاره فيهدىء من ثورانها ، وإلى حواسه فيقلل من تعلقاتها ويبعدها عن محسوساتها[1] ، ثم ينتظر الوحي من الله والتلقي عن الملأ الأعلى ، فإذا نزل عليه الوحي من عند الله صدع بذلك في وضوح لا يمازجه تعقيد ، ولا يشوبه التواء عن المقصد ، ولا تحير في الغاية ، ولا تحيل على إصابة الصواب ، ولا استعانة بتجربة أو التجاء إلى مقدمات طويلة كثيرا ما تنحرف بالناس أو ينحرف فيها صاحبها عن النهج القويم والصراط المستقيم ، فيعدل به نظره القاصر وضعفه البشرى عن الحق ، وقد يوقعه في شقاء بالغ من حيث لا يشعر ، فالنبي يروى عن رب المخلوقات المحيط بها ، العليم بأسرارها :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾
الملك - ١٤

فلو زار أفلاطون أعتاب قدسه
ولم يُعشه عنها سواطع أنوار
رأى حكمة قدسية لا يشوبها
شوائب أنظار وأدناس أفكار

فالسبيل المأمونة والجادة الواضحة ، إنما هي سبيل الأنبياء والمرسلين ، لا سبيل الفلاسفة التي ترمي بك في ظلمات الأوهام البشرية ، وشبهات التخيلات النفسية ، على ما ستسمع اليوم ، إن شاء الله .

ثم قلت لذلك العظيم :

إن الفلاسفة أنفسهم لم يدّعوا النبوة ،وربما كانوا غير قائلين بها ، فكيف ندعيها لهم وهم لم يدعوها لأنفسهم :

ثم إن للنبوة آيات لابد منها : من صفات ذاتية ، ومعجزات حسية ومعنوية ، ونفوس جاوزت أطوار البشرية ، واستقرت في تلك العوالم القدسية ، فهي لا تعرف غير الله ، ولا تحدث عما سوى الله إلا بما جاءها عن الله ، قد اتسع نظرها وتم نورها ، فعلمت من حقائق الأشياء ما لا يعلمه غيرها ، وعرفت من جلال الله ما لا يعرفها سواها . إلى آخر ما قلت لذلك الباشا في ذلك العهد .

(١) الشهير الآن استعمال الحسات ومحطئة من يعبر بالمحسوسات وهو خطأ بين كما أوضح ذلك كل الإيضاح صاحب الجاسوس . ولصاحب القصص ما يفيد ذلك أيضا (راجع الجاسوس على القاموس) .

ولنبيّن ذلك الإجمال ، ونذكر لك شيئا من صفات النبوة وخصائصها التى جبل عليها الأنبياء ، فنقول :

إن فى ذات النبى نورا خلقيا فى أصل تكوينه اقتضته درجة روحه الشريفة (وبين الأرواح من التفاوت فى الدرجات واختلاف الاستعدادات مالا يعلمه إلا الله تعالى) . وبذلك النور يمكن تلك الذات التى خلقتْ على هذا الوجه إلا أن تكون على أكمل الفضائل . فهى مثلا تقول الحق وتقدسه ولو كان فيه حتفها وهلاكها ، فإن ذلك من سجيتها وطبيعتها . وقد طلب المشركون منه ﷺ أن يرجع عن قوله وراودوه على ذلك بكل حيلة ، فأبى وامتنع ، ثم نصبوا له العداوة ورموه عن قوس واحدة ، فما زاده ذلك إلا ثباتا ورسوخا ، لأن الذات الشريفة مطبوعة على قول الحق لا يتصور منها غيره .

ومن تلك الصفات التى جبل عليها النبى ، **الرحمة بجميع المخلوقات حتى الحيوان الأعجم** ، ولذلك جاء ﷺ فى باب التحذير من القسوة بما تعجب له ، وأبان من جزاء الشفقة على خلق الله مالا غاية وراءه ، فذكر فى الحديث الصحيح أن امرأة دخلت النار فى هرة عذبتها . وجاء فى الصحاح أيضا أن رجلا مسرفا على نفسه وجد كلبا يلهث من العطش فسقاه حتى أرواه فشكر الله له ذلك فغفر له . إلى غير ذلك مما ينبئك عما كانت تمتلىء به نفس رسول الله ﷺ من الرأفة والرحمة بجميع المخلوقات .

وهكذا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فهم أبر الناس بالناس ، وأنفع الناس للناس . وأعظمهم فى ذلك نبينا ﷺ ، حتى إن ما تراه من شدته ﷺ على الكفار والمشركين ، فمنشؤه إنما هو رحمته بهم وشفقته عليهم أن تجتالهم الشياطين فتأخذهم عن السعادة الأبدية إلى الشقاء الأبدى ، فيشقون وتشقى بهم الانسانية ، فكان حربه ﷺ فى الحقيقة حربا لجند الشيطان الذى يريد أن يسلب الإنسان سعادته . إلى آخر مالا يسع المقام تفصيله وبيان أسراره .

ومما يجب أن نبينه هنا **أن للأنبياء أذواقا فى الأشياء لا يعرفها إلا الخواص من عباد الله** ، فإن أكثر من فى الأرض لا يذوقون إلا الحسيات ، ولا ذوق لهم فى المعنويات وما أودع فى الأشياء من لطائف وأسرار . وقد يقرّب إليك ذلك بعض التقريب ما ترى أو تسمع به من عشق أرباب النفوس الطاهرة لمعالى الأشياء ، وإيثارهم العلم والمعرفة على كل شىء ، لأنهم يذوقون من ذلك لذة تفوق كل لذة مادية ، وقد قال قائلهم :

سهرى لتنقيح العلوم ألذّ لى ... من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلى طربا لحل عويصة ... أشهى من النغمات للعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها ... نقرى لألقى الرمل عن أوراق

ولعلك ذقت من هذا شيئا ، فلا نطيل فيه .

ولابد لنا فى هذا المقام من أن نشير إلى أن **أرواح الأنبياء من طراز آخر فى علمها وقوتها وكل صفاتها ، ولذلك تظهر عليها خوارق العادات** ، من كشف المغيبات وظهور الآيات ، مثل ما حصل له ﷺ ليلة الإسراء والمعراج . ومن ذلك ما يقال إن عيسى عليه السلام كان

يمكث أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وقد قال ﷺ : « أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني[2] » فهو لا يحس بتلك المؤلمات إلا إذا رجع لهذا العالم وسادت عليه أحكامه وقوانينه ، أما مادام عند ربه فهو أرفع من أن تؤثر فيه تلك النواميس المعروفة ، أو تسيطر عليه هاتيك القوانين المشاهدة . إلى غير ذلك من المعجـــزات المأثـــورة ، والخوارق المشهورة .

أما علمهم بحقائق الأشياء وما غيب عنا من أمور الآخرة وما يكون فيها ، فهو علم يشبه علمنا بالمبصرات بالبصر والمسموعات بالسمع ، بل حواسنا قد تخطىء ويقع الغلط والاشتباه في مدركاتها ، بخلاف علمهم ومـــا ينـــكشف لبصائرهم من الحقائق والمغيبات . ثم تلفتك بعد ذلك إلى ما تعرفه من تفاوت الناس في العلم ، وأن ما يكون قطعيا لبعض الناس يكون ظنا لبعض آخر ، بل قد ينكره كل الإنكار لبعد ما بينه وبينه حتى لا يتأتى له أن يفهمه أو يسلّمه .

وبالجملة فاستعداد الرسول أشرف استعداد ، وتكوينه أجل تكوين ، وبهذا كان مهيئا للرسالة والتلقي عن الملأ الأعلى ، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى :

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

الأنعام ١٢٤

فليس قلبه كبقية القلوب ، وإنما هو قلب امتلأ بنور الله ، لكونه غارقا في عظمة الله ، مفعما بجلاله ، معرضا عما سواه .

وأين للفلاسفة ذلك النور الذى كان يرى به ﷺ كما في الحديث الصحيح ـ أصحابه ، في الصلاة وهم خلفه كما يراه أمامه ، وفيه أنه رأى بيت المقدس عيانا وهو بمكة ، ورأى قصور الشام وأبواب صنعاء ومدائن كسرى وهو يحفر خندق المدينة ، ورأى النجاشي بالحبشة حين مات وهو ﷺ بالمدينة ، فخرج إلى المصلى فصلى عليه ، إلى غير ذلك .

ذلك كله من أجل ما أودع فيه من النور الساطع والاستعداد الرفيع الذى أهلّه لخرق العادات بطريقة لا يكاد يعرفها الماديـــون ولا يعقلها غير الروحانيين . وكيف يدركون بشريتهم الظلمانية أسرار ملكاته النورانية ؟

ولنقرب لك الأمر بعض التقريب فنقول :

إن الروح من عالم آخر له نواميس أخرى يستوى فيها القريب والبعيد والظاهر والخفى .

على أننا رأينا في عالم الماديات من العجائب ما يسهل عليك التصديق بذلك عن بصيرة واقتناع بعد ما ورد في دينك وشريعتك ، فإن أشعة « رونتجن » تحوّل الأجسام الكثيفة المعتمة إلى أجسام لطيفة شفافة ، وتُظهر ما يتخللها من العظام وغيرها ، وأشعة « أف » التى بواسطتها يمكن كشف المعادن في باطن الأرض وإحراق البارود في باطن البواخر ومكامن الحصون ، فما بالك بأشعة الله الذى خلق أشعة رونتجن وأف وعلّم الإنسان ما لم يعلم ؟ فلابد أن تعرف أن للأنبياء قوى روحانية اختصوا بها فلا توجد في غيرهم . ولذلك سمع سليمان عليه السلام كلام النملة ، فما سمعه إلا بسمع الروح لا بسمع الجسم الطبيعى . (وكيف تستغرب ذلك وعلماء الحيوان الآن يثبتون للنحل وغيره حاسة لا توجد فينا ،

(٢) حديث صحيح .

ويذكرون من أفاعيل الجمل ما يعجب له الإنسان العاقل ؟) وقد قال يعقوب على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام : إنى لأجد ريح يوسف ، فأحس بها وشمها من مسيرة أيام . فكيف يقاسون على غيرهم فى شىء من الإحساس والعلم والإدراك ؟ ولا غرو فقد قال الله تعالى فى الحديث القدسى فى حق عبده الذى تقرب إليه : « فإذ أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الــذى يبصر به »(٣) الخ .

وإجمال القول : أن نفوس الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ صنف مخالف لسائر النفوس فى قواها الظاهرة والباطنة ، فنعوتهم وصفاتهم التابعة لها يجب أن تكون مخالفة لسائر النعوت والصفات التى فى غيرهم ، ومتى كان الروح الفاعل والجسم القابل فى غاية الكمال كانت الآثار فى غاية القوة والشرف والصفاء . ولذا قيل : إن صفات الأنبياء وقواهم الذاتية من خوارق العادات ، وإنه لو أمكن الناس أن يقفوا على كمال تلك النفوس لما احتاجوا فى التصديق برسالتهم إلى معجزة ، فإن فضيلة الصدق والأمانة مثلا إذا بلغت حد الكمال والإعجاز لا يقع معها كذب أو خيانة . وقد آمن كثير من الصحابة وغيرهم (حتى من الأوربيين) بمعجزة النعوت غير ملتفتين لتلك الخوارق والمعجزات الظاهرة التى لا يعول عليها فى إيمانه إلا العامة . وقد قال قائلهم فى حقه ﷺ :

لو لم تكن فيــه آيــات مبينــة
كانت خلائقــه تنبــيك بالخبر

وقد ذكر فيلسوف الإسلام العلامة ابن خلدون فى مقدمته أن النفوس البشرية على ثلاثة أصناف : صنف عاجز بالطبع عن الوصول إلى الإدراك الروحانى ، فينقطع منحطا إلى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية ، وتركيب المعانى من الحافظة والواهمة على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية الفكرية ، وهذا فى الأغلب هو من أن الإدراك البشرى الجسمانى إليه تنتهى مدارك العلماء وفيه ترسخ أقدامهم .

وصنف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحانى ، والإدراك الذى لا يفتقر إلى الآلات البدنية بما خلق فيه من الاستعداد ، فيتسع نطاق إدراكه عن الأوليات ، ويسرح فى قضايا المشاهدات الباطنة ، وكلها وجدانات لا حدود لها . وهذه مدارك العلماء الأولياء أهل العلوم اللدنية والمعارف الربانية ، وهى الحاصلة بعد الموت لأهل السعادة فى البرزخ .

وصنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة إلى الملكية من الأفق الأعلى ، ليصير فى لمحة من اللمحات ملكا بالفعل ، ويحصل له شهود الملأ الأعلى فى أفقه ، وسماع الكلام النفسانى والخطاب الإلهى فى تلك اللمحة ، وهؤلاء هم الأنبياء صلوات الله عليهم ، فهم يتوجهون إلى ذلك الأفق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاءوا ، بتلك الفطرة التى فطــروا عليها ، لا باكتساب ولا صناعة ، فإذا انسلخوا عن بشريتهم وتلقوا من الملأ الأعلى ما يتلقونه ، عاجوا به على المدارك البشرية ، فتنزلوا به إلى قواها لحكمة التبليغ وبها

(٣) جزء من حديث قدسى .

أهـ بهذا كله تعرف سر ما توجبه لهم في علم التوحيد من أمهات الفضائل : كالأمانـــة ، والصدق ، والتبليغ ، والفطانة ، وما تحيله عليهم من السفاسف والدنايا التي تجوز على غيرهم .

وبعد : فهنا طريق قريب يعرفك ما بين الأنبياء والفلاسفة من الفرق الشاسع والبون البعيد ، وهو أن تقارن بين ما صححه عنهم وما صححه عن الفلاسفة ، ثم تحكم بعد ذلك ، فانظر مثلا إلى مثل ما جاء في القرآن في تقرير علمه تعالى بكل شيء ، مثل قوله : « وعنده مفاتح الغيب » الخ . « وماتكون في شأن وماتتلو منه من قرآن » « مايكون من نجوى ثلاثة » الخ . ثم لقول الفلاسفة إنه لا يعلم الجزئيات ، إلى غير ذلك مما يحتاج إلى كتاب كبير .

الفلاسفة :

أما الفلاسفة فليست لهم هذه المراتب العالية ، ولا ذلك الاستعداد الرفيع الذي يؤهلهم للأخذ من الملأ الأعلى ، فهم يقولـــون بأفكارهـــم وعقولهم ، ولهذا قد تجد لهم من الخطأ الشائن والهفوات المزرية ما يسقط الإنسان العادي فضلا عن الفيلسوف . ولسنا ننكر أن لهم حكما بليغة ، إلا أن ذلك غير مقصور على من اشتهروا بالفلسفة ، فكثيرا ما تجد للمجربين وذو النفوس الكبيرة في كل عصر ما يوازي حكمة أرسطو وأفلاطون . ولعلماء الأمة المحمدية وصلحائها من ذلك مالا تسعه الدفاتر . ولعلنا نورد شيئا منه ومن كلام الفلاسفة ، ونقارن بينهما في عدد آخر وفلسفة هذا شأنها غير مأمونة ولا معصومة ، فإنها تعتمد اللباقة في التعبير ، والإغراب في التفكير ، وبهذا تعد فلسفة ، ولو كانت مستمدة من منبع الشهوات والأهواء كفلسفة أبيقور وأتباعه . ولعلنا نذكر شيئا منها بعد .

ولنفكهك الآن بشيء من فكاهـــاتهم أو ترهاتهم ، فنقول :

شيء من ترهات الفلاسفة وفكاهاتهم :

إن (فيثاغورس) من أكبر فلاسفة اليونان ، وله أشياء نفيسة ، ومع هذا فقد كان يقول : « إن ذنب من يقتل الذبابة أو الزنبور أو غيرهما من الهوام مثل ذنب من يقتل إنسانا » . ويزعم (انكسفوراس) أن السماء صنعت من حجارة كهذه الحجارة . وسبب ظنه ذلك أنه قد اتفق ذات يوم أن حجرا سقط من جهة السماء ، فظن انكسفوراس أن السماء مصنوعة من حجارة ، ثم أخذ يفكر في علة لبقائها أبد الآباد فقال : « إن دوران الفلك أوجب بقاء تلك الصنعة بلا خلل بحيث لو اختل الدوران لحظة لفسد نظام السموٰات والأرض » فانظر إلى ذلك الخيال الواسع ومجازاته إلى حيث يريد :

ويذكر عن (أرستيب) الفيلسوف أن الملك بصق في وجهه يوما من الأيام ، فعيب عليه في ذلك ، فقال بفلسفته الحمقاء : « إن الصياد يتحمل مشقة الصيد حتى يبتل بالبحر لصيد سمكة صغيرة ، فكيف لا أتحمل ريق الملك لصيد الحوت الكبير ! » واتفق أيضا أنه ترجى الملك ديلنسي لبعض أصدقائه فرده الملك ولم يقبل رجاءه ، فخر أرستيب : « لا لوم في ذلك عليّ إنما اللوم على الملك حيث وضع أذنيه في قدميه » .

ومن كلامه الذى لا أدرى أستحسنه أم تستقبحه قوله : « إن الحكيم لا ينبغى له أن يلقى بيديه إلى التهلكة لأجل حفظ وطنه فإن الدنيا كلها وطنه ، فليس من الإنصاف أن يخاطر بنفسه لأجل حماية الجانين » . وأكسينوقراط كان من عادته التى اقتضتها فلسفته تعطير أقدامه ، فسئل عن ذلك فقال : إن رائحة العطر الذى يوضع فى الرأس تطير فى الهواء ، بخلاف ما إذا عطرت الأقدام فإن الروائح تصعد إلى الأفق . وذكروا فى تاريخ الفلاسفة أن أرستيب سافر إلى (مدينة قورنته) وركب البحر فصادفته ريح عاصفة أحدثت الرعب فيه إلى حد ممقوت إقافا من الهلال ، فسخر منه إخوانه فى السفينة ولاموه وقالوا له : كيف نحن مع جهلنا لم يصادف قلوبنا ما صادف قلبك من الفزع والخوف وأنت من عظماء الفلاسفة ؟ فما هذا الوجل وما هذا الاضطراب ؟ فأجابهم بقوله « إن أنفسكم ونفسى ليسوا فى درجة واحدة بل شتان ما بين الذى أخسره وبين ما تخسرون » . فانظر إلى تلك الفلسفة المعكوسة التى تشقى صاحبها بلا شفقة ولا رحمة . لا جرم أن الجهل خير من تلك الفلسفة .

ثم انظر بعد ذلك إلى ما جاء به الأنبياء من تعظيم الحياة الأخرى وما فيها من السعادة الأبدية ، وتحقير هذه الحياة الدنيا حتى جعلها القرآن متاعا وقتيا ، وجعل الآخرة هى دار القرار . حقرها صلى الله عليه وسلم حتى جعلها لا تساوى جناح بعوضة ، إلى آخر ما جاء فى الكتاب والسنة ، وهو كثير .

ومما يجدر التنبيه عليه أن الأنبياء يصدّق بعضهم بعضا فيما جاءوا به من العلم فى غير الأحكام الجزئية التى يقتضيها اختلاف العصور وتباين الاستعداد . أما الفلاسفة فلا يكادون يثبتون على رأى واحد ، بل يتخالفون ويتناقضون .

وقد كانت فلسفة أرسطو مقدسة عند الأوربيين ، حتى جاء الفيلسوف (راموس) فنقضها ، فقتلوه فى وقعة (سان برسلمى سنة ١٥٧٢ م) وهى الواقعة التى قتل فيها كاثوليك فرنسا البروتستانت .

كلمة أفلاطون فى أصناف الناس :

ولنختم موضوعنا هذا بما روى عن أفلاطون كبير فلاسفة اليونان ورئيس الحكماء الإشراقيين فنقول :

قسم أفلاطون الناس إلى ثلاثة أقسام :

١ ــ المشرعون أى الفلاسفة .

٢ ــ الجنود .

الصناع وأهل المهن . قال :

أما الأولون فهم المخلوقون للسيادة دون غيرهم ، وسماهم الصنف الذهبى .

أما الجنود فهم حراس المملكة ، وأطلق عليهم الصنف الفضى .

وأما الصناع فهم المخلوقون للصناعة العمياء ، ودعاهم الصنف الحديدى .

أما العبيد فقال عنهم : إنهم ماشية الأمة ، مثلهم كمثل البهائم السائمة . فانظر إلى هذا وقارن بينه وبين من أوجب قتل الإنسان إذا قتل الذبابة ، وما بينهما من التناقض ، فإن أحدهما يحترم كل

ذى روح ولو كان من أحقر الأشياء ، والآخر على العكس من ذلك فى أشرف نوع وأعلاه وهو نوع الإنسان ، ولهذا كانت الفلسفة فى كل عصر مثار الشكوك والأوهام ، ومبعث الاختلاف والتنازع ، حتى قيل :

نهاية إقدام العقول عقال
وأكثر سعى العالمين ضلال[٤]
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

حتى حرم بعضهم النظر فى كتب الفلسفة ، لأن ضررها أقرب من نفعها ، وشكها أكثر من يقينها . ثم قارن بعد ذلك كله بين كلام أفلاطون الذى يدعى بأفلاطون الإلهى ، والذى أحترمه وأجله ، وبين ما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم من احترام أفراد النوع الإنسانى ، وعقد المساواة بينهم ، وبث الديمقراطية الحقة فى الناس جميعاً ، فلم يجعل لأحد فضلا على أحد إلا بالتقوى .

وقد جاء فى القرآن الكريم :

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾
الحجرات - ١٣

وقد سمع صلى الله عليه وسلم أبا ذر يقول لعبده : « يا ابن السوداء[٥] » فنقم عليه ذلك وقال له : « إنك امرؤ فيك جاهلية » ، فأعتقه أبو ذر وصار من ذلك اليوم يسوى خادمه بنفسه ، حتى إنه إذا لبس حلة ألبسه مثلها . وقد جاء فى تعظيم سلمان الفارسى وبلال وغيرهما شئ كثير . ومن ينظر فى التاريخ يجد الموالى فى الإسلام قد اعتلوا من المناصب السامية والمنازل العالية مالا يسامى

يوسف الدجوى
من هيئة كبار العلماء

---

(٤) كان بعض أشياخنا يقرأ العالمين فى البيت بكسر اللام لا بفتحها .
(٥) رواه أبو داود .

الشعر والشعراء

رؤية تراثية في الشعر العربي

الشعر العربي، وبخاصة ما رواه صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعتبر مرجعا علميا للتاريخ العربي ، ويخطىء من يظن أن تراثنا العربي يرتبط بالجانب النثرى ، أو اللغوى ، أو التاريخى ـ وحده ـ ، فالتراث ـ شعرا أو نثرا ـ معا ، كان يمثل حضارة الأمة العربية عندما كانت هى الأمة الأولى فى العالم .

لكن كثيرا ما يغيب هذا الفهم بسبب اختلاف مشارب الدارسين المعاصرين ؛ الذين تأثروا ـ إلى حد بعيد ـ بالحضارة الحديثة القائمة على ما نقل عن الغرب ، ومن ثم برزت نزعة رفض القديم بدعوى « التجديد » ، وثارت معارك الأدب بين « القدامى » الذين يعرفون فضل القديم الرصين من الشعر ، و « المحدثين » الذين تجهموا للشكل العربى القائم على العامود الشعرى ، وانتصروا للشعر المرسل المتحلل من وزنه وقافيته ، وما لبث هذا الأخير أن انهار ، فلم تكن له قدم راسخة فى ميدان الأدب ، فما أسرع ما زلت قدمه ، وبدا منه لون لن يكون أدبا على الإطلاق ، إذ هو نثر فج رغم روائه بالتلحين .

وفى تقديرنا أننا لا زلنا بحاجة إلى القيام بجهد حقيقى ينمى موروثاتنا القيمة بدلا من هدمها أو التنكر لها بدعوى « البناء والتجديد » ، فهى ثروة فكرية ـ بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ـ ، وكم شقى آباؤنا وأجدادنا فى تدوينها وجمعها ورد عوادى الزمن والضياع عنها ! .

ومن ثم تظهر أهمية الحفاظ على تراثنا الشعرى ، وإبرازه ، والاستمداد منه ، والبناء عليه بما تمليه علينا طبيعة العصر الذى نعيشه من صور وأخيلة تستمد من حضارتنا الحديثة وأدواتها .

وعليه فإن « الثابت » ينبغى أن يظل قائما فى أذهاننا ، نحافظ عليه ، ونضيف إليه من فكرنا الذى يمكن أن « يتغير » إلى الأروع ، وهذه سنة الحياة التى قضت بتطور الفكر وتجديده .

فلا يزال رأس الإنسان أعلى جزء فى جسده من ملايين السنين ، ولم يبدله المولى ـ عز وجل ـ فيضعه بمكان آخر ، ومع ذلك لازال يحمل ألوانا رائعة من الجمال فى كل طور ، ولقد انهارت نظرية التجديد التى تنسلخ تماما عن القديم ، وانحاز الأدب منها فلم تجد مكانا بين صفحاته[1] .

وإسهاما منا فى خدمة تراثنا الأدبى عامة ، وإيمانا بقيمة ذلك التراث الشعرى فى تاريخنا العربى خاصة ، وأهمية التطلع إلى معايشته والاستمداد من معطياته ، نقدم هذه النماذج المختارة من الشعر لقارئنا المعاصر بغية النظر فى روائعه ، وخصائصه ، ومدى امتلاك أصحابه ـ فى ذلك الوقت ـ لنبوغ العبقرية وازدهارها .

(١) راجع فن الأدب لتوفيق الحكيم .

١ـ مع الإمام البوصيرى

هو محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله بن صنهاج ، كان أحد والديه من (أبوصير) ، والآخر من (دلاص) ـ بالوجه القبلى ـ فركبت له منهما نسبة ، فقيل (الدلاصيرى) ، ثم غلبت شهرته (البوصيرى) .

ولد الإمام البوصيرى سنة (٦٠٨) هـ ، وعمل فترة بمحافظة الشرقية ، وتوفى بالإسكندرية سنة (٦٩٧) هـ ،[٢] وله فيها مقام معروف فى مسجد كبير يطل على البحر المتوسط .

وضعته « البردة » فى مصاف كبار الشعراء ، إذ هى فريدة فى مدح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ووصفه ، وتاريخ حياته ، وبيان معجزاته ، وجهاده ، وهذه بعض أبياتها فى مدح سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

أستغفرُ الله مِنْ قولٍ بلا عملِ
لقد نسبتُ به نسلاً لذى عُقُمِ
أمرْتُكَ الخيرَ لكنْ ما ائتمرتُ به
وما استقمتُ فما قولى لكَ استقمِ
ولا تزودتُ قبلَ الموتِ نافلةً
ولم أصلِّ سوى فرضٍ ولم أصُمِ
ظلمتُ سُنَّةَ مَنْ أحيا الظلامَ إلى
أن اشتكتْ قدماهُ الضُّرَّ من ورمِ
وشدَّ مِنْ سغبٍ أحشاءَهُ وطوى
تحتَ الحجارةِ كشحاً مترفَ الأدمِ
وراودتهُ الجبالُ الشُّمُّ من ذهبٍ
عنْ نفسهِ فأراها أيما شممِ
وأكَّدتْ زهدهُ فيها ضرورتُهُ
إنَّ الضرورةَ لا تعدو على العصمِ
محمدٌ سيدُ الكونينِ والثقلينِ
والفريقينِ من عُربٍ ومِنْ عجمِ
نبيُّنا الآمرُ الناهى فلا أحدٌ
أبرَّ فى قولِ « لا » منهُ ولا « نعمِ »

(٢) وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٤٣ ، والدكتور زكى مبارك : المدائح النبوية ـ طبعة البابى الحلبى (١٩٣٥) ص ١٤٠ .

هو الحبيب الذى ترجى شفاعته
لكل هول من الأهوال مقتحم

دعا إلى الله فالمستمسكون به
مستمسكون بحبل غير منفصم

فاق النبيين فى خلق وفى خُلُق
ولم يدانوه فى علم ولا كرم

وكلهم من رسول الله ملتمس
غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

فهو الذى تم معناه وصورته
ثم اصطفاه حبيباً بارئ النسم

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم
واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بفم

يا نفس لا تقنطى من زلة عظمت
إن الكبائر فى الغفران كاللمم

لعل رحمة ربى حين يقسمها
تأتى على حسب العصيان فى القسم

يا رب واجعل رجائى غير منعكس
لديك واجعل حسابى غير منخرم

والطف بعبدك فى الدارين إن له
صبراً متى تدعه الأهوال ينهزم

وأذن لسحب صلاة منك دائمة
على النبى بمنهل ومنسجم

٢ ـ مع الفرزدق

« الفرزدق » هو : أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة من بني دارم ـ بطن بني تميم ـ ولد بالبصرة في أواخر خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ، وتوفي سنة (١١٠) هـ ، وهو ثاني ثلاثة اشتهروا بالنقائض والهجاء مع « الأخطل التغلبي وجرير الخطفي » .

كان الفرزدق شديد الاعتزاز بنفسه وكثير الفخر بعشيرته ، لا يخفي ذلك حتى وهو في مجالس الخلفاء ، وعلى الرغم من أنه من أبرز الذين مدحوا خلفاء بني أمية ، إلا أنه كان متعاطفا ـ إلى حد بعيد ـ مع العلويين .

ولعل ما يترجم هذا التعاطف مع آل البيت هذه القصيدة التي مدح فيها الإمام علي بن الحسين الملقب « بزين العابدين » وسجن بسببها[٣] ، ذلك أنه لما حجَّ « هشام بن عبدالملك » ـ في خلافة أبيه بعهد بني أمية ـ جهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه ، فلم يقدر عليه لكثرة الزحام ، فنُصبَ له منبرٌ فجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أعيان الشام ، فبينما هو كذلك ، إذ أقبل : زين العابدين ـ رضي الله عنه ـ وكان من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجا ، فطاف بالبيت .

فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم ، فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة ؟ فقال هشام : لا أعرفه ، قال ذلك ـ مخافة أن يرغب فيه أهل الشام ، فيملكوه ـ وكان الفرزدق حاضرا ، فقال ، أنا أعرفه ، فقال : من هو يا أبا فراس ؟ فارتجل قصيدته هذه التي تعَدُّ وثبة شعرية في تصوير شخصية زين العابدين ، ودليلا على حبه لآل البيت وتعاطفه معهم :

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وَطأتَهُ ... والبيتُ يعرفُهُ والحِلُّ والحرَمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ الله كُلِّهِم ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العَلَمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إنْ كُنْتَ جاهلَهُ ... بجدِّهِ أنبياءُ الله قد خُتِمُوا
وليسَ قولُكَ مَنْ هذا بضائرِهِ ... العُرْبُ تعرفُ مَنْ أنكرْتَ والعَجَمُ
إذا رأتْهُ قُرَيْشٌ قال قائِلُها ... إلى مكارمِ هذا ينتهي الكَرَمُ
يُغضي حَياءً ويُغضَى من مَهابتِهِ ... فما يُكَلَّمُ إلا حينَ يبتسِمُ
الله شَرَّفَهُ قِدَمًا وعظَّمَهُ ... جرى بذاكَ لهُ في لوْحِهِ القَلَمُ
مَنْ يَشْكُرِ الله يَشْكُرْ أوَّلِيَّةَ ذا ... فالدِّينُ مِنْ بيتِ هذا نالَهُ الأُمَمُ

(٣) المرجع السابق ص٤٦ بتصرف .

كِلْتَا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا ... تُسْتَوْكَفَانِ وَلَا يَعْرُوهُمَا عَدَمُ
سَهْلُ الخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ ... يَزِينُهُ اثْنَانِ : حُسْنُ الخَلْقِ وَالشِّيَمُ
مَا قَالَ : (لَا) قَطُّ إِلَّا فِي تَشَهُّدِهِ ... لَوْلَا التَّشَهُّدُ كَانَتْ (لَاؤُهُ) نَعَمُ
لَا يُخْلِفُ الوَعْدَ مَأْمُونٌ نَقِيبَتُهُ ... رَحْبُ الفِنَاءِ أَرِيبٌ حِينَ يَعْتَزِمُ
مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الأَنْبِيَاءِ لَهُ ... وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الأُمَمُ
مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ نَبْعَتُهُ ... طَابَتْ مَغَارِسُهُ وَالخِيمُ وَالشِّيَمُ
يَنْشَقُّ ثَوْبُ الدُّجَى عَنْ نُورِ غُرَّتِهِ ... كَالشَّمْسِ تَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلَمُ
مِنْ مَعْشَرٍ حُبُّهُمْ دِينٌ ، وَبُغْضُهُمُ ... كُفْرٌ ، وَقُرْبُهُمُ مَنْجًى وَمُعْتَصَمُ
مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ ... فِي كُلِّ بَدْءٍ وَمَخْتُومٌ بِهِ الكَلِمُ
إِنْ عُدَّ أَهْلُ التُّقَى كَانُوا أَئِمَّتَهُمْ ... أَوْ قِيلَ : مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ قِيلَ : هُمُ
يُسْتَدْفَعُ الشَّرُّ وَالبَلْوَى بِحُبِّهِمُ ... وَيُسْتَرَبُّ بِهِ الإِحْسَانُ وَالنِّعَمُ
لَا يَنْقُصُ العُسْرُ بَسْطاً مِنْ أَكُفِّهِمُ ... سِيَّانِ ذَلِكَ إِنْ أَثْرَوْا وَإِنْ عَدِمُوا
يَأْبَى لَهُمْ أَنْ يَحُلَّ الذَّمُّ سَاحَتَهُمْ ... خِيمٌ كَرِيمٌ وَأَيْدٍ بِالنَّدَى دِيَمُ

● ● ●

وقيل : إن زين العابدين أنفذ له وهو في الحبس اثنى عشر ألف درهم ، فردها ، وقال : « مدحته لله ــ تعالى ــ لا للعطاء » ، غير أنه قبلها بعد ذلك ــ ولا يخفى ذلك منه ــ بعد أن تلطف زين العابدين وقال : « إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده » .

« ماذا يقول لدى الخلود رثائى »

فى رثاء الأستاذ الدكتور حسن جاد
عميد كلية اللغة العربية الأسبق

شعر: إبراهيـــم عيســى

أخفيْتُ فى ضحِك الحيـاة نُواحـــى … وعلــى جراحـــى كم طويْتُ جناحـــى
وسعيتُ أحمل نعمتــى .. وجــوانحى … فيها من الأيــــــام فيضُ نُواح
حتـــى إذا جاء النعــىّ بنبــــأةٍ … جلّتْ عن الـــكتمان والأتــــراح
فجَّرتْ آمـاقى .. ونــاحت دمعـــة … حيرى على جفـــن الأسى الجـــاح



لا .. لست صمتا فى ظلام الأضرحــة … ياطير مازالت ترف الأجنحـــــة
وأراك ملء ضميرنـــــــا أنشودةً … وأراك فى قلبـــى هوى لن تبرحـــه
وأراك عنـد الفجـر تسبيـح السنـــا … يحنو على من قد رمـــاه وجرّحــه
هذا الصفاء البكْر لن يفنـى .. ولـن … تبقيـــه كف بالـــردى مُترنّحــه



نثر الخلـودُ النـــوز فى أبيـــاتك … ووهـــبت نار الحرف كل حيـــاتك
حتـى احترقْتَ به .. ولكــن لم تزل … تشدو .. وتسقـى الحب كل سُقـاتك
ما انتفضْ سامـرك الــذى غنّيتــهُ … وهـــفتْ لياليـــه إلى نايـــاتك
فانتفضْ بها صدأ السكـــون .. فطالما … حنّ الحنين إلى رؤى أبيـــــاتك



الناس - يا (حسن) القرى - قالت لكم : … ثم (جاد) كفُ الخير فى العهد الشحيح
ما كان صوتك فى بلادى كالصدى … يشدو .. ويمضى .. ثم يغدو قبض ريح
يا فارسا صهواتـــه كلماتـــه … إن كنت آثرت الرحيل لتستريح
حصلات نور الشمس قد صفـــرتها … شعرا سخيا بيد القدر السميح



إنى أكاد أراك ملء جوانحى … وتكاد تلمس راحتيك ذراعى
ولكم عزلت لك العبير قصيدة … فوهبت برعمها حفاوة ساع
هل أنت مُستمِعٌ كعهدك ؟ .. كلما … أشدو فتطرَبُ .. أم نسيت سماعى ؟
يا أيها السَّبّاق حتى للردى … مَنْ لى إذا عصف الأسى بشراعى ؟!



وأتيتُ أعزل هفتى ووفاق … ماذا يقول لدى الخلود رفاق ؟
والخلد أبلغ شاعر .. ياشاعرا … سكب الضحى فى حانة الظلماء
بالأمس شدت لنا عكاظ فها هنا … صارت عليك اليوم حشد بكاء
كنتُ أدخرتك فوق أرض رحمة … فغدوت فى فلك الخلود سماتى



سمّار شدوك قد أتوْا ياشاعرى … فاملأ بشعرك أمسيات السامر
وتلفتتْ روحى عليك .. وليتها … تدرى بأنك فى الضلوع مجاورى
لما أتوْا بك للقبور وقد سرى … نعشٌ الربيع بضم أعرد طائر
كادت زفات الهالكين تضمه … وتقوم إجلالا لركب الشاعر



فإذا ارتمى فجرى بأغلال الدجى … هتف السنا : ياليل أين صباحى
والحزن أطلق فى دروب جوانحى … خيلا .. تداهمنى بغير جماح
فصرختُ ياليل الأسى حتى متى … يطوى الظلام شواطىء الملاّح
حاربتُ فى ساح الممات .. وإنما … عند المنية قد وضعتُ سلاحى

مرحبا .. ياشهر الرضا

للشاعر / محمد فخر الدين القعقاع

طابت فضائلك العليّة ... وسرت بشائرك الهنيّة
أشرقت فى كلّ قلب ... وطلعت أنواراً بهيّة
رمضانُ ياشهرَ الهُدى ... والجود .. والأريحيّة
عشنا على الشوق عاماً ... نرنو إلى أحلى هديّة
فصيام يومك راحةٌ ... للروح ، والنفس التقيّة
وقيام ليلك توبةٌ ... وتبتّلٌ .. وصفاءُ نيّة
فيك العبادةُ روضةٌ ... وثمارها تُجنى شهيّة

* * * *

الذكرُ فيك نزولُهُ ... وحياً على خير البريّة
إقرأ محمدُ باسمنا ... وادعُ الأنام إلى السّويّة
بشّرْ ، وأنذرْ فى الورى ... فلقد سبتهمْ جاهليّة
إنى أنا الله الذى ... لاربّ غيرى للرعيّة

* * * *

رمضانُ .. هل أهديتنا ... بدراً .. وذكراها الزكيّة
أم ليلة القدر التى ... تحظى بكل الأفضليّة
وبألف شهر تفتدى ... وبكلّ تقدير حريّة
أم فتح مكة إنّه ... فتح لنا .. ربح القضيّة
فالنصر جاء مؤزّراً ... والحقّ منصورُ الهويّة

* * * *

يارب .. فى شهر الرضا ... وبحق أيام رضيّة
ندعوك فالطف فى القضا ... وارحمْ إذا نزلت بليّة
عُدنا إليك .. فأنقِنا ... عن كل عيب فى خفيّة
داو الجراح .. وقوّنا ... بالصبر وامنحنا الرويّة
زدنا يقيناً .. زكّنا ... دوْماً بأخلاق سنيّة

(*) طبيب مصرى فى استانبول ـ تركيا .

العلوم الكونية

قراءة إيمانية فى كتاب الكون

بقلم ا. د أحمد فؤاد باشا

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) ﴾(١)

فى هاتين الآيتين الكريمتين من كتاب الإسلام الخالد ــ الذى أنزله الله على النبى العربى الأمى الخاتم فى شهر رمضان المعظم ــ دعوة إلى تأمل كتاب الكون الجميل الصفات، العجيب التكوين والتلوين، لكى يتدبره العلماء الذين يعبدون الله ــ سبحانه وتعالى ــ حق عبادته ويدركون قدرته المبدعة عن طريق العلم المنهجى الصحيح، ولما كانت الألوان تتعلق بكل ما فى الكون من إنسان وحيوان ونبات وجماد، فإن دعوة العلماء إلى تأملها هى فى حقيقتها دعوة الى التفوق فى مجال العلوم الكونية المعنية بدراسة هذه المخلوقات والظواهر المتصلة بها للإفادة منها فى تطوير حياة البشر وفهم أسرار الوجود.

تأملات علمية فى ألوان الكائنات:

فإذا تأملنا عالم النبات الذى يزخر بما لا يحصى من الآيات الناطقة بعظمة الخالق وجلاله نجد أن النباتات جميعها تتغذى وتنمو فى وجود مصادر واحدة تقريبــا من: الماء والضوء والحرارة والكربــون والأوكسجين والهيــدروجين والنتروجين والفوسفور والكبريت والبوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسيوم والحديد.. ومع أن الغذاء بهذه المواد والعناصر واحد، إلا أن الأرض ينبت فيها ما لا يحصى من أنواع النبات والثمار متعددة الأشكال والألوان والروائح والطعوم قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ

* أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

(١) سورة فاطر

خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾[٢].

وإذا تأملنا خلق الجبال وجدنا أن السبب فى اختلاف ألوانها يعود إلى اختلاف المواد المكونة لصخورها ، فالجبال البيضاء تتكون أساساً من الطباشير والحجر الجيرى ، والجبال السوداء يكثر فيها المنجنيز والفحم ، والجبال الحمراء غنية بالحديد ، وغير ذلك من الجبال النارية تتكون من : الجرانيت والبازلت ، وتحتوى على : عروق الحديد والنحاس والذهب ومعادن أخرى تؤدى إلى تعدد أنواع الجبال وألوانها وأنواعها ، رغم أنها ترجع أصلا إلى أرض واحدة كانت تكون مع الشمس والسموات رتقا واحد متصلا ، يشير إلى وحدانية الخالق المبدع .

وإذا تأملنا عالم البشر وجدنا ان اللون من الخصائص الجسمية الظاهرة التى يدل اختلافها وتنوعها على قدرة البارىء المصور . فالناس ينقسمون من حيث لون البشرة إلى فئات ثلاث تشمل : بيض البشرة وصُفر البشرة وسود البشرة . أما ذوو البشرة السمراء الذين يتراوح لونهم بين الأصفر الفاتح والأسمر المشرب بحمرة والأسمر الغامق ، فإنهم ــ حسب التصنيف « الانثروبولوجى » ــ يعتبرون شعبة من البيض ؛ وقد أثبت الدراسات العلمية أن لون الجلد يتوقف على مقدار المادة الملونة فيه والتى تعرف باسم « الميلانين » وتعتمد على نشاط الخلايا الصانعة لها . هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى تؤثر على تشكيل لون الجلد النهائى مثل : عامل انكسار الضوء على سطح الجلد ، وعامل امتصاص البشرة للضوء ، وسمك طبقات الجلد المختلفة ، ووجود مواد ملونة أخرى مثل الكاروتين (الأصفر) والهيموجلوبيـــــن (الأزرق) والأوكسى هيموجلوبين (الأحمر) ولكن يظل الميلانين (البنى) هو أهم ما يؤثر فى اللون النهائى لجلد الإنسان ، وعدد الخلايا الصانعة له لا يختلف من جنس إلى آخر وهى موجودة فى جميع أنسجة الجسم تقريبا ولكن كثافتها تكون عالية جدا فى البشرة والغشاء المخاطى والشعر وأغشية المخ والعين[٣] .

وإذا تأملنا عالم الدواب والأنعام نجد أن هناك تنوعا وتغيرات تحدث فى لون فروة الحيوان ، خاصة فى حيوانات الغابات التى يحدث فيها تساقط أوراق الشجر .

إن ضوء الشمس المتناثر كنقط بين الأوراق يعطى للحيوانات المنقطة (مثل بعض أنواع النمور) ميزة للتخفى ، ولكن فى المناطق الباردة تسقط الأوراق فى الخريف ، وبهذا يكون لها ميزة التنقيط فى الحيوان كوقاية خلال أشهر الشتاء . وهناك بعض الحيوانات مثل الدب القطبى ــ يستمر أبيض الفروة طوال العام ، وبعضها مثل الأرنب البرى يتغير لون فروتها الى الأبيض فى الشتاء .

وهكذا يكون النظر فى اختلاف ألوان الكائنات دليلًا إلى الكشف عن آية عظمى من

(٢) سورة الأنعام : ٩٩

(٣) د . عبد الحميد محمد عبد العزيز ، الطب والاسلام ، كتاب اليوم الطبى ، مؤسسة أخبار اليوم ، القاهرة العدد ٨٦ (١٩٨٩) .

آيات الله في الخلق ، فتبارك الله أحسن الخالقين .

إدراك الألوان وتمييزها :

إن الألوان من الناحية العلمية ظاهرة ضوئية يدركها الإنسان والحيوان عن طريق حاسة البصر ، وقد ظل تفسيرها غامضا لآلاف السنين ، إلى أن جاء عصر الحضارة الإسلامية بعلمائها النابهين أمثال : ابن الهيثم والبيروني وابن سيناء وغيرهم وشهد علم الضوء على أيديهم قفزة نوعية غير مسبوقة ، مهدت لاكتشافات جديدة في عصر النهضة الأوربية الحديثة ، حيث تمكن العالم الإنجليزي « إسحق نيوتن » من إجراء تجربة عملية بسيطة استخدم فيها منشورا زجاجيا ثلاثيا وسمح بسقوط أشعة الشمس على أحد جانبيه واستقبالها من الجانب الآخر على حاجز أبيض ، فوجد أن ضوء الشمس الأبيض قد تحلل إلى عدة ألوان تميز العين منها سبعة ألوان هي : الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والنيلي والبنفسجي وهي شبيهة بحزمة قوس الألوان ، وتشكل ما يسمى علميا « بطيف الضوء المرئي » الذي يتكون في حقيقته من عدد لا نهائي من الألوان المتدرجة في التغير .

وبعد أن استقرت نظرية الضوء في العصر الحديث ، وأمكن إثبات خاصيته الموجية أصبح من المألوف التفرقة بين الأضواء الملونة المختلفة بدلالة الطول الموجي لكل منها . فالضوء الأحمر هو أطول موجات الطيف المرئي ويليه بالتدريج بقية الألوان حتى اللون البنفسجي وهو أقصرها .

وبرغم أن تحليل الضوء الأبيض خلال مروره في منشور زجاجي يعطينا سبعة ألوان ، إلا أن الألوان الأساسية فيه ثلاثة فقط هي : الأحمر والأخضر والأزرق .

فإذا ما تم مزج اثنين أو أكثر من هذه الألوان الأساسية الثلاثة حصلنا على بقية الألوان بدرجات متفاوتة ، أي أن مزج اللونين الأحمر والأخضر يعطي اللون الأصفر ، ومزج اللونين الأحمر والأزرق يعطي اللون الأحمر القرمزي (الماجنتا) ومزج اللونين الأزرق والأخضر يعطي اللون الأزرق « السيانيدي »[4] .

والعين ترى الأشياء بألوانها التي ترتد منها بعد أن تمتص كل الألوان الساقطة عليها ، فأوراق الشجر تبدو للعين خضراء اللون ؛ لأنها تمتص جميع الألوان فيما عدا اللون الأخضر وزهرة عباد الشمس تمتص كل ألوان الضوء الساقط عليها ولا يرتد منها إلى العين سوى اللون الأصفر ، وهكذا تكتسب الأشياء ألوانها المميزة التي نراها عليها . أما الجسم الأبيض فينعكس جميع الألوان ، بينما يمتص الجسم الأسود كل ألوان الضوء الساقط عليه .

ولقد أظهرت الأبحاث العلمية أن سطح شبكية العين مغطى بشبكة كثيفة من الأعصاب بعضها ذو شكل أسطواني (قضبان) ويتأثر بالضوء الأبيض ، والبعض الآخر مخروطي الشكل ويميز بين الألوان المختلفة ومرجع هذا الإدراك للألوان هو أن هذه الشعيرات المخروطية تتكون من ثلاثة أنواع حساسة بدرجة خاصة للألوان الأساسية الثلاثة من الشعيرات المخروطية بدرجة واحدة ،

(٤) هذه هي طريقة مزج الألوان في « التليفزيون » الملون ، وطريقة خلط ألوان الطلاء بدرجاتها المختلفة .

والعكس صحيح أى أنه إذا تم إثارة الأنواع المخروطية الثلاثة بدرجة متساوية نشأ عن ذلك إحساس باللون الأبيض .

وأكثر مواضع شبكية العين حساسية للضوء هى المنطقة الواقعة مقابل إنسان العين مباشرة وتسمى « البقعة الصفراء » بينما توجد على جانبها من ناحية الأنف منطقة أخرى تتجمع فيها الأعصاب البصرية الدقيقة المكونة للعصب البصرى الرئيسى تسمى « النقطة العمياء » حيث أن حساسيتها للضوء قليلة .

وعندما تنظر العين السليمة إلى طيف الضوء المرئى كله فى لحظة واحدة فإن أعلى حساسية تبلغها فى المدى ما بين اللونين الأصفر والأخضر ، بينما تقل حساسيتها بدرجة كبيرة لطرفى الطيف (أى اللونين الأزرق والأحمر) ذلك أن اللونين الأصفر والأخضر يقعان فى وسط الطيف المرئى ولا يحتاجان إذا ما قورنا بالطرفين الأزرق والأحمر الى جهد من عدسة العين حتى تتم عملية التكيف أو التهيؤ للرؤية ؛ لذا فإن النظر إليهما لا يسبب أى شعور بالتعب أو الملل أو الصداع .

وتتم رؤية الأشياء بواسطة العين نتيجة استقبالها الأشعة الضوئية التى تحمل معها صور المرئيات وألوانها ، فتتكون لها صور حقيقية مقلوبة على الشبكية ، وتقوم شبكة الأعصاب الحساسة على الشبكية بنقل الصور إلى المخ على هيئتها السليمة فى الواقع ولا يزال العلم عاجزاً — حتى الآن — عن معرفة حقيقة ما يحدث فى العين ذاتها عندما ترى منظرا معينا وتحول صورته المقلوبة على الشبكية إلى إحساس بلون خاص مميز . ولا يملك أى عاقل أمام هذا الاعجاز فى خلق العين وأدائها لوظيفتها فى إبصارها للأشياء بألوانها كما هى فى الواقع إلا أن يشكر الله ويحمده على نعمائه فهو القائل فى محكم التنزيل :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (٥) .

من لطائف علم الألوان وتأثيرها :

ذكرنا أن اللونين الأصفر والأخضر يحتلون موقعاً وسطا فى طيف الضوء المرئى ، كما أن النطاق البصرى لموجاتهما أضيق من النطاقات البصرية لموجات بقية الألوان ، ولذا فإنهما يريحان البصر ولا يجهدان العين ، وهناك نقطة علمية أخرى ذات مغزى هى أن الإحساس بالإبصار ينتج من أثر موجات ضوئية ، والموجات المختلفة فى أطوالها تعطى إحساسا بألوان مختلفة . وهذا يعنى أن لكل لون درجات مختلفة تعتمد على طول موجته ، فإذا حدث وكانت موجة اللون الأصفر — مثلا — ليست هى السائدة فى الضوء الساقط على العين فإن هذا يعطى إحساسا بلون باهت وغير مشبع ، وكلما زادت السيادة للون الأصفر بزيادة طول موجته فإنه يقال : إن اللون الأصفر أصبح أكثر تشبعا حتى يصل إلى الضوء (أو اللون) الموحد الذى يكون فيه التشبع كاملا ويصبح اللون أصفر فاقعا تبصره العين دون أى شعور بالتعب أو الملل ، ذلك لأن درجة تشبعه هذه تجعله فى أعلى درجاته تأثيرا على الخلايا العصبية المخروطية ، ويكون أكثر وضوحا بحيث يبعث السرور فى نفس الناظرين

(٥) سورة الأنعام : ٤٦ .

إليه . ولعل هذه الرؤية العلمية توافق معنى العبارة القرآنية التي وصفت بقرة بني إسرائيل حين سألوا عن لونها بأنها :

﴿بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾(٦)

وتزيد هذا المعنى إيضاحا بما هو معروف في أصول علم الطب البيطرى من أن خير الأبقار وأفضلها هو ما كان لونها شديد الصفرة في صفاء ، وأنه على قدر صفاء اللون وسلامة الأسنان تكون صحة البقرة ، وكذلك من علامات عافيتها إثارتها للغبار على الأرض بحوافرها ، وذلك بفعل قوتها وشدتها وبخاصة إذا لم تجهد بالعمل في حرث الحقل أو ماشابهه من الأعمال الزراعية . ولعل هذا - أيضا - يوافق ما جاء في وصف بقرة إسرائيل ذات اللون الأصفر الفاقع بأنها : ﴿بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾(٧)

أما بالنسبة للون الأخضر فإنه يبعث السرور داخل النفس ، ويثير فيها بواعث البهجة وحب الحياة ، فضلا عن أنه هو الآخر يتوسط مدى الإحساس البصرى ولا يسبب أى إجهاد للعين ، وقد توصل الباحثون في خصائص الألوان وآثارها إلى اعتباره اللون المفضل في غرف العمليات الجراحية لثياب الممرضات والجراحين .

وما أكثر ما يرد ذكر اللون الأخضر في آيات القرآن الكريم ، ليدل على الحياة والنعيم وكثرة الخيرات في الدنيا ، وبما الله به المؤمنين الفائزين من عباده في الدار الآخرة ذلك أن اللون الأخضر في الدنيا أساسى في تكوين النبات والثمار ، مصداقا لقوله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝٦٣﴾(٨)

وقوله عز من قائل : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾(٩) أما في الدار الآخرة ، فإن الجنة يغلب عليها اللون الأخضر من بين الألوان جميعا(١٠) بما فيها من أشجار عالية ، وبما يلبس المؤمنون من ثياب خضر « مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ »(١١) ويجلسون « مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ »(١٢)

وكل ذلك أدعى إلى شكر نعم الله تعالى ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(٦) سورة البقرة : ٦٩

(٧) سورة البقرة : ٧١

(٨) سورة الحج : ٦٣

(٩) سورة الأنعام : ٩٩

(١٠) سيد خضر ، من سمات الجمال في القرآن الكريم ، دار الصحابة للتراث ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

(١١) سورة الكهف : ٣١ .

(١٢) سورة الرحمن : ٧٦ .

سن اليأس

للدكتور / أحمد رجائي عبد الحميد

سن اليأس : وهى التى ينقطع فيها الحيض بعد انتهاء مرحلة الخصوبة،تلك المرحلة التى تتراوح بين سن الرابعة عشرة وسن التاسعة والأربعين فى المتوسط ، ويعتبر سن اليأس بالنسبة لبعض السيدات مشكلة،حيث يعانى نحو خمس وعشرين فى المائة منهن من أعراض حادة تضطرهن إلى استشارة الطبيب ، وحوالى خمسين فى المائة يشكون أعراضا أقل حدة ، لا تحتاج إلى استشارة طبيب ، أما الباقى أى نحو خمس وعشرين فى المائة فقط لا يعانين من شىء .

وتبدو سن اليأس عندما يعجز المبيضان عن إفراز البيضات وعن إنتاج الهرمونات (هرمونى : الأستروجين والبروجستيرون أساساً) اللازمة لتنشيط الجدار المبطن للرحم[1] ، وبذلك لا ينشط هذا الجدار ، وتتوقف الدورة الشهرية .

وسن اليأس تبدأ بضعف نشاط المبيض ، وتمتد فترة قد تستمر سنوات عديدة ، ولا يمكن تحديد بَدْءِ سن اليأس قبل حدوثه ؛ إذ لا يمكن تشخيص الحالة إلا بعد توقف الدورة الشهرية لمدة عام على الأقل حيث إنه فى بعض الحالات تتوقف الدورة الشهرية لمدة قصيرة ، وبعدها ينشط المبيض ثانية .

حكمة سن اليأس :

فى اعتقادى أن وجود سن اليأس فى النساء له حكمة كبيرة ، فإن توقف قدرة المرأة على الإنجاب حوالى سن الأربعين ، يتيح لها فرصة لتربية الأطفال والعناية بهم . وبالمقارنة بالرجل الذى يستطيع الإنجاب إلى فترة سن متأخرة لا تستطيع المرأة الإنجاب الطبيعى إلا فى فترة الخصوبة التى تنتهى فى كثير منهن حوالى سن الخامسة والأربعين ، ، وبلوغ السيدات سن اليأس وتوقفهن عن الإنجاب فإنهن يتفرغن لنقل حنانهن ورعايتهن وحكمتهن إلى الأولاد .

أعراض سن اليأس :

لسن اليأس أعراض منها :

الإحساس بالفورات الساخنة ، والعرق الليلى ، وجفاف المهبل ، وحدوث آلام عند الجماع والإجهاد والتوتر العصبى ، والصداع ، والأرق ، والاكتئاب ، والتهيج* (أى العصبية الزائدة) ، وآلام المفاصل ، وخفقان القلب ... كل ذلك من الأعراض المعروفة ، ويزيد من حدة هذه الأعراض إحساس السيدة بأنها قد وصلت إلى

(١) فى أثناء فترة الخصوبة تحدث تغيرات فى الجدار المبطن مما يؤدى إلى نزول دماء الدورة الشهرية .

السن التى لايمكن فيها إثبات خصوبتها .

وفيما يلى تفصيل بعض هذه المشاكل :

الفورات الساخنة :

قد تشعر بعض السيدات بسخونة فى وجوههن وبعض أعضاء من أجسادهن ، وبعضهن تعرق بغزارة . وهذه ـ أو تلك ـ أعراض تظهر بسبب تأثير اضطراب التوازن الهرمونى على الأوعية الدموية .

المشاكل الجنسية المصاحبة لسن اليأس :

يوجد نوعان من المشاكل الجنسية المصاحبة لسن اليأس :

(أ) ألم الجماع .

(ب) فقدان الرغبة الجنسية .

(أ) الألم عند الجماع :

يحدث الألم عند الجماع بسبب نقص الهرمونات مما يؤدى إلى رقة جدار المهبل ، وجفاف إفرازاته ، والبدء فى ضموره .

(ب) فقدان الرغبة الجنسية :

من الطبيعى أن السيدة التى تعانى من آلام عند الجماع تفقد الرغبة فيه ، وكذلك يرجع هذا العرض إلى فقدان هرمونات الأنوثة .

آلام العظام والمفاصل :

تحدث هذه الآلام بتأثير نقص الهرمونات فتسترخى أربطة المفاصل ، وكذلك بنقص (الكالسيوم) فى العظام بسبب نقص (هرمون الاستروجين) فترق العظام ، مما يتسبب فى مزيد من الآلام ، وكذلك تكون العظام عرضة للكسر بسهولة .

العــلاج :

تختلف الآراء فى علاج الأعراض المصاحبة لسن اليأس .

فالرأى الأول : يعتبر أن هذه ظاهرة طبيعية ، ولذلك فإن كل مايلزم ـ حينئذ ـ هو شرح هذه الأعراض بالتفصيل للسيدة ، ووصف بعض الأغذية الغنية بالكالسيوم ، والنصح بممارسة الرياضة البدنية .

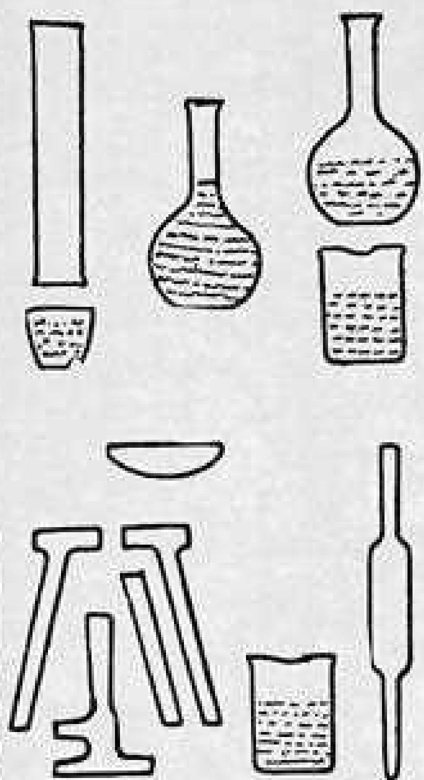
والرأى الثانى : هو إعطاء السيدة بعض المهدئات والأدوية المضادة للاكتئاب وعلاج الأعراض ، فمثلا إعطاء مسكنات فى حالات آلام العظام والمفاصل .

والرأى الثالث : هو العلاج الهرمونى ، وتوجد حالياً ـ بعض الأدوية التى تحتوى على هرمونات لتعويض ما فقد من السيدة ، وقد زادت كفاءة هذه الأدوية ، وقلت مضاعفاتها فى الآونة الحديثة .

«ويخلق ما لا تعلمون...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد: د/ نجوى السيد أحمد(*)



محرك كهربائي متعدد الأغراض

نجح مهندس بريطاني في اختراع محرك كهربائي جديد، متعدد الأغراض، خفيف الوزن، دائري الشكل، يتركب من شرائح نحاسية، وتتفوق كفاءته على (الموتورات) التقليدية المماثلة، وتزيد هذه الكفاءة مع ازدياد التيار الكهربائي، ويمكن استعماله في الزوارق الكهربائية التي تعمل بالدفع، وفي سيارات المعاقين، وفي مجال الطيران، والمعدات والأدوات التي تعمل بالبطاريات.

برنامج الكتروني جديد لمراقبة الطائرات في الجو

طور الباحثون الأمريكيون بمركز المواصلات في «كمبردج» برنامجا جديدا لمساعدة الطيارين على تجنب مواقع الصواعق، والابتعاد عن الأحوال الجوية السيئة خلال طيرانهم، والبرنامج عبارة عن نظام للخرائط الإلكترونية، يحدد موقع جميع الطائرات في المجال الجوي في لحظة معينة،

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومي للبحوث ـ الدقي.



ويمكن بواسطته مراقبة أى طائرة فى الجو ومعرفة المعلومات الخاصة بها من حيث اسم شركة الطيران ، ورقم الرحلة ، وطراز الطائرة ، وارتفاعها ، والمدة الزمنية لبعدها عن وجهتها النهائية وسرعتها ، والمطار الذى ستهبط فيه .

عادم الطائرات يهدد القطب الشمالى

أكد علماء البيئة البريطانيون أن العوادم والأبخرة المنبعثة من الطائرات — التى تطير على ارتفاعات شاهقة — تهدد طبقة « الأوزون » التى تحمى الأرض من الأشعة فوق البنفسجية الضارة ، وأعلنوا أنهم تمكنوا من اختراع أجهزة حديثة ترشد الطيارين للمسارات التى لا تضر بطبقة « الأوزون » وبخاصة مع الزيادة المتوقعة لحركة الطيران فوق منطقة القطب الشمالى التى تعبر فوقها جميع الرحلات الجوية بين اليابان وأوربا .

وقــود نظيــف للســيارة

استطاع أحد الباحثين الأمريكيين إنتاج وقود جديد نظيف ، من خلط وقود ديزل السيارات بالماء داخل محرك الاحتراق الداخلى وذلك بواسطة « الكمبيوتر » حيث أدى ذلك إلى خفض نسبة الغازات بعادم السيارة ، وبالتالى تقليل نسبة التلوث فى البيئة ، وتجرى — حاليا — تجربة الوقود الجديد فى بعض الشوارع الأمريكية حتى يثبت نجاحه وفاعليته .

جهاز لحام يعمل باستخدام الهواء الساخن

اتجحت شركة فرنسية جهاز لحام يعمل باستخدام الهواء الساخن للحام الأنابيب البلاستيكية والمعدنية ، وهو يلائم جميع أشكال الأنابيب ولا يحتاج الى ضبط لكل نوع أو شكل من الأنابيب ، ويحتوى الجهاز على مفتاح واحد للانتقال من شكل إلى آخر أو من مادة إلى أخرى ، والجهاز اقتصادى ؛ لأنه يوفر الوقت ويعطى لحاماً جيداً من أول مرة ، مما يؤدى إلى عدم إتلاف الأنابيب .

الفطــريات لإبــادة الجــراد

توصل مجموعة من الباحثين فى المعهد الدولى للمقاومة البيولوجية فى انجلترا إلى فطر يقضى على الجراد الصحراوى ، ولا يسبب تلوث البيئة مثل المبيدات الكيميائية ، ويستعمل هذا المبيد الفطرى بالرش حيث ترسو الجراثيم على الجراد وتخترق جسد الحشرة وتقضى عليها تماما ، وقد أعطت التجارب الحقلية — التى أجريت — نتائج مبشرة ، ومن المعروف أن حشرة الجراد تتغذى على أوراق النباتات والمحاصيل مسببة خسائر فادحة .

مصابيح الأشــعة فوق البنفســجية

لتحســين الرؤيــة الليليــة

ثبت أن المصابيح الأمامية للسيارات عندما تعتمد على تقنية الأشعة فوق البنفسجية تساعد فى

تقليل حوادث الطرق عن طريق تحسين الرؤية الليلية لدى السائقين ، حيث طورت شركة سويدية هذه المصابيح لكى تساعد سائقى السيارات على رؤية راكبى الدراجات الذين يرتدون ملابس باهتة ليلا ، وهم على مسافة ١٥٠ مترا ، بعد أن كانت لا ترى فى ضوء المصابيح العادية على مسافة ٥٠ متر .

أحدث ساعة يد لقياس ضغط الدم

صنعت إحدى الشركات اليابانية للإلكترونيات ساعة يد جديدة لقياس ضغط الدم بحدَّيه : « العالى والمنخفض ، وتقرأ — أيضا — سرعة النبض بسرعة ودقة ، وتحتوى الساعة على ذاكرة لتحتفظ بـ ٣٠ قراءة سابقة يمكن استحضارها فى أى وقت ، وهى مزودة كذلك بجهاز إنذار للتحذير بصوته المميز فى الحالات التى يرتفع فيها ضغط الدم أو ينخفض بدرجة كبيرة ، هذا بالإضافة إلى استخدامها كساعة يد عادية ، لتحديد الوقت بالساعات والدقائق والثوانى وتقويم الزمن .

شاشة تليفزيونية يمكن طيها

حققت وحدة بحوث « البوليمز » فى جامعة « كمبردج » قفزة علمية مهمة لصنع شاشة تليفزيونية بسمك الورقة العادية ، إذ نجح فريق عمل تابع لهذه الوحدة فى صنع بلاستيك متوهج قادر على إصدار الألوان الحمراء والخضراء والزرقاء عندما يتم تنشيطه بالتيار الكهربائى ، ومن المعروف أن « البوليمرات » غير موصلة للكهرباء

غير أن هناك نوعا من البلاستيك يسمى البوليمر الموصل يمكن للالكترونات أن تتنقل بحرية عبر سلسلته ؛ لتنقل التيار الكهربائى .

الجبهان للوقاية من تسوس الأسنان

اكتشف فريق من جامعة « باركلى » بكاليفورنيا مدى فاعلية الجبهان ضد نخر الأسنان وتسوسها بالإضافة إلى العديد من فوائده المعروفة فى فاعليته فى طرد الغازات المعدية ، ونجح العلماء فى عزل عشرة عناصر فعالة يحتوى عليها زيت الجبهان وأثبتت تأثيرها على البكتريا التى تسبب نخر الأسنان وتسوسها ، وتم تصنيع معجون للأسنان ومحلول تنظيف لها ، يحتوى على زيت الجبهان الذى يتميز برائحته الزكية فضلاً عن وقاية الأسنان من التسوس .

حبر جديد يحمل الصفات الشخصية

فى الولايات المتحدة الأمريكية تم إنتاج حبر جديد يحمل بعض الصفات الشخصية للإنسان لا يمكن أن تتماثل مع شخص آخر ، لمنع عمليات التزوير وتقليد التوقيعات . تستخدم تقنية الهندسة الوراثية لفصل بعض المورثات من لعاب الشخص أو شعره وإضافتها إلى مواد صناعة الحبر الذى يصبح بمثابة البصمة المميزة للشخص .



اللغة والنقد والأدب

تعريف بكتاب

« الصيام من البداية حتى الإسلام »

تأليف الدكتور / على أحمد الخطيب

تقديم فضيلة الشيخ / طوسون إبراهيم حواش

الحمد لله ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد :

فقد أصدرت سلسلة البحوث الإسلامية ، بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، عددا من الكتب التى تتحدث عن الصيام ، وهى كتب لها قيمتها ومكانتها ، تحدث معظمها عن الصيام من الناحية التشريعية فى شريعة الإسلام ، كما تحدثت عن أحكام هذه الفريضة : ما تصح به ، وما يبطلها ، وكل مايتعلق بها من أحكام .

أما كتاب « الصيام من البداية حتى الإسلام » : فهو يختلف عن هذه الكتب جميعا ، إذ أنه يعتبر من أشمل الموضوعات التى كتبت عن الصيام ، وأدقها وأقواها وأوسعها ، وأعمقها ، وأبعدها أثرا ، فهو يشتمل على كل مايحتاجه الباحثون ، والدارسون ، والوعاظ ، والخطباء ، والمعلمون ، والموجهون من معالم الصيام على مدى التاريخ .

ولقد قدم لهذا الكتاب فى طبعته الثانية ، فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد السيد أحمد سعود وكيل الأزهر ، والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ، ونبه فضيلته فى مقدمته إلى أهمية هذا الكتاب وحاجة المسلم إليه .

والكتاب قد اهتم بالحديث عن الصيام ، وعلاقته بالعقائد المختلفة ، سواء كانت عقائد سماوية من تشريع الله رب العالمين ، أو كانت عقائد من صنع البشر واختراعهم لها ، وليس فيها من عند الله شيء .

ولقد كان لحديثه عن النبوة الأولى ، وهبوط آدم ــ عليه السلام ــ إلى الأرض يحمل المعرفة التى علمه الله إياها ، أهمية كبرى .

كما كان لحديثه عن آدم ، وإدريس ، ونوح ــ عليهم السلام ــ من صام منهم ومن لم نستدل له ــ

على صيام – ما يثلج الصدر ويريح النفس .

وطوف بنا هذا الكتاب متتبعاً الأمم السابقة من أهل الكتاب ، ومن غيرهم ، حتى انه وصل إلى القبائل البدائية سالكا شتى الطرق ، فاستخلص من كتب التاريخ المختلفة ، والمتنوعة ، صورا مختلفة ، ومتنوعة من الصيام الرياضى الصحى ، التأديبى ، والتعزيرى ، باذلا المجهود الضخم فى الوصول إلى كل هذا ؛ حتى وصل إلى شىء من صيام الهند ، وفارس والروم ، واليونان ، وقدماء المصريين ، وهؤلاء وهؤلاء مما لا يمكن لهذا المقال أن يحصيهم .

وأما حديثه عن صيام بنى إسرائيل ، وتحريه للدقة فى أدلته فقد بلغ به شأواً بعيدا .

ولما أراد أن يفسر قول الله – تعالى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) ﴾

البقرة

استند فى تفسيرها إلى الأقوال المعتمدة والأدلة القوية مرجحاً ما كان صوابا من وجهة نظره مدللا على ذلك .

كما حدثنا عن الصيام فى : النصرانية ، ومذاهبها المختلفة : من كاثوليكية ، وأرثوذكسية ، وبروتستنتية . متتبعاً مختلف الممارسات لهذه العبادة عند هؤلاء ، كاشفا اللثام عن كثير من الغموض الذى لا يهتدى إليه الإنسان من غير بحث وتنقيب .

أما حديثه « أى الكتاب » عن الصيام فى الشريعة الإسلامية – شريعة سيدنا محمد ﷺ فقد بدأه بلمحة عن صيام العرب فى الجاهلية ، وأنواعه ومصادره قبل الإسلام ، خاصة أن بعض طوائف اليهود قد سكنت هذه الجزيرة ، وبعض النصارى ويسر الله – تعالى – له أن يعرف اسم الصيام عن الكلام فى العربية (الضرس) .

وأولى المؤلف نصيبا لصيام النفل فى غير رمضان ، وصيام النبى – ﷺ – وصيام أصحابه ونوع هذا الصيام .

وتطرق إلى دراسة الصيام فى الشريعة الإسلامية جملة ، وحديثه عن صيام رمضان كان حديثا قيما ، وبليغا ، ومهما جدا حيث تعرض لشرح الآيات التى نزلت فى هذا الشأن مبينا أن الله تكفل بتفصيل أمر الصيام عناية منه – سبحانه – بهذه العبادة ، فتحددت فى القرآن الكريم بيان أنه فرض ، وأنه شهر ، هو شهر رمضان ، وأن بدايته من الفجر إلى الغروب ، وهو تحديد لم يأت فى عبادة غير رمضان ، ولعل ذلك بسبب مانال شريعة الصيام من تلاعب فيما كان قبل الإسلام

غير أن المؤلف لم يتعرض لأحكام الصيام فيما يرد على الصائم من أمور قد تكون سببا فى فطره أوصحة صومه ، وكان يمكن أن يزيد فى ذلك بضعة صفحات ، ونرجو أن يتاح له هذا فى طبعة تالية .

وبالجملة فالكتاب لا غنى عنه لكل طالب علم .

هذا فالأزهر يقدمه للمسلمين راجيا الله سبحانه أن ينفع به وأن يجزى مؤلفه خير الجزاء والله الهادى إلى الطريق المستقيم .

الشواهد النحوية بين الدلالة اللغوية والمتعة الأدبية

للأستاذ / عبد الغنية فرغلي علي القرني

الأخوة وأثرها فى معترك الحياة :

طالما تمثلنا بهذا البيت المأثور حينما نتلفت حولنا فلا نجد إلا الأخ الصادق الذى ينجد فى الملمات ، ويشفع فى المهمات ، ويقيل عند العثرات .. هذا البيت هو :

أخـاك أخـاك إن من لا أخالـه ... كساع إلى الهيجـا بغير سلاح

والبيت لشاعر إسلامى مشهور بلقبه هو « مسكين الدارمى » ، وقد استشهد به النحاة فى باب الإغراء .

والإغراء : هو الحث على فعل أمر محمود ، والاسم الذى ينصب على الإغراء يسمى مُغْرىً به ، وهو مفعول لفعل محذوف وجوباً أو جوازاً تقديره : الزم .

والمغرى به . فى هذا البيت هو كلمـة «أخاك» .

وإذا تكرر المغرى به أو عطف عليه وجب حذف الفعل الذى ينصبه ، أما إذا لم يكرر أو يعطف عليه جاز حذف الفعل .

فإذا قلت : «الأمانة الأمانة» أو «الأمانة والصدق» كان الفعل وتقديره «الزم» محذوفا وجوبا .

أما إذا قلت «الأمانة» فقط دون تكرار أو عطف ، كان الفعل محذوفا جوازا ، وعلى هذا فكلمة «أخاك» فى البيت المذكور منصوبة على الإغراء ، أى أنها مفعول به لفعل محذوف وجوباً تقديره الزم .

وعلة حذف الفعل وجوباً ـ كما ذكر النحاة ـ أنهم جعلوا الاسم الأول كالفعل ، والاسم الذى يجيىء بعده ـ سواء أكان تأكيداً أو معطوفاً ـ كالمفعول به ، فكأنَّ كلمة (أخاك) فى البيت بمنزلة الفعل (الزم) فلا يحسن حينئذ أن يبرز الفعل فيكون تكراراً .

معنى البيت :

والبيت معناه واضح ، فإن الشاعر يدعو فيه إلى اتخاذ الأخ والتزامه ، ويعلل ذلك بالتشبيه الجميل الذى جاء بعده ، فإن الذى لا يتخذ أخاً فى الحياة ، يكون كالمحارب الذى يمضى إلى ميدان القتال ولا سلاح معه ولا عدة له ، فكيف يحارب ؟ وكيف يتقى عدوه ؟ .

وهو يشير بذلك إلى أن الحياة كميدان القتال لا تخلو من الصراع ، ولا تفرغ من النوازل ، والذى يقى الإنسان ضرباتها ونزاعاتها ونوازلها هو الأخ الصادق الناصح الذى يكون عُدّة لصديقه عند الشدائد ، يفزع إليه ، يشكو له همه فيواسيه بنفسه وماله ، أو يفرج عنه بمشورته ورأيه ، كما قال الشاعر الحكيم :

ولابد من شكوى إلى ذى مروءة
يواسيك أو يُسليك أو يتوجع

الدعوة إلى الإخاء من الدين :

وقد دعا النبى ﷺ إلى اتخاذ الإخوان ، والاستظهار بهم ، وهو الذى آخى بين المسلمين قبل الهجرة وبعدها ، وقال فى دعوة شريفة إلى الإخاء: «المرء كثير بأخيه» ـ أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير ج ٢ ص ١٩٢ ـ وقال : أخرجه ابن أبى الدنيا عن سهل بن سعد .

وقد أخذ المحققون هذا الحديث ، وتمسكوا به وجعلوه مبدأ فى سيرهم إلى الله ، ودعوا إلى الاستكثار من الإخوان ، وقد نظم الشيخ حسن رضوان فى كتابه القيم «روض القلوب المستطاب» الذى يتناول المعارف الصوفية . هذا المعنى فى كتابه فقال :

وكثرة الإخوان شرعاً تطلب
لما لها من كل خير يرغب
فكل مؤمن له شفاعة
مطلوبة فى أمر هول الساعة
ومن على صدق اشتياقه نظر
إلى أخيه نظرة فاق البشر
وكان مثل من بصدقه اعتكف
عاماً بمسجد النبى ذى الشرف

شواهد أخرى فى البيت :

وهذا البيت فيه شواهد نحوية أخرى غير ما ذكرناه من دلالة الإغراء ـ ففيه جواز قصر الممدود ، فالهيجا ـ وهى الحرب ـ أصلها الهيجاء بالمد . قال البغدادى فى «خزانة الأدب» لقد أورد ابو عبيد القاسم بن سلام هذا البيت فى أمثاله ، وقال : هو مثل فى استغاثة الرجل بأهل الثقة . والهيجا : الحرب تمد وتقصر . قال ابن خلف : وهى فعلاء أو فعلى فيمن قصرها ، فيكون المحذوف المد دون ألف التأنيث ، وإنما كان حذف ألف المد أولى من حذف ألف التأنيث لوجهين :

أحدهما أن ألف التأنيث لمعنى ، وألف المد لغير معنى ، فكأن حذف ما ليس لمعنى أولى مما جاء لمعنى .

الثانى : أن جميع ما قصر مما همزته للتأنيث لا ينصرف بعد القصر ، ولو كان المحذوف منه همزة التأنيث لانصرف الاسم لزوال علامة التأنيث . وقد ورد هذا اللفظ مقصوراً غير منصرف فى قول الشاعر :

يارُبَّ هيجا هى خير من دَعَة

فلو كان المحذوف منه ألف التأنيث لقال : يارب هَيْجاً هو خير من دعه

وفيه شاهد آخر :

هو أن (أخا) فى البيت اسم للا النافية للجنس وهو منصوب بالألف لأنه مضاف ـ واللام بعده مقحمة بين المضاف والمضاف إليه وهو الهاء . وخبر لا محذوف تقديره موجود .

وإقحام اللام بين المتضايفين له نظير فى قول العرب مثل «يابؤس للحرب» أصله : يابؤس الحرب . .

قال ابن هشام فى المغنى : ومن ذلك قولهم : لأبا لزيد ولا أخا له .. وبعضهم اعتبره من قبيل إلزام الأسماء الخمسة الألف ، وحذف التنوين شذوذاً ـ راجع خزانة الأدب ج ٢ ص ٢٠٤ .

مناسبة البيت :

وهذا البيت ورد ضمن أبيات أنشدها مسكين فى مناسبة تعرض لها صاحب الأغانى قال : كان يزيد بن معاوية يصطفى مسكيناً ويؤثره على غيره من الشعراء ويصله .

ولما أراد معاوية أن يعقد البيعة لابنه يزيد ، تهيب ذلك ، وخاف الطامعين فى الخلافة ، من أمثال سعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم ، وعبد الله بن عامر ، فأوعز يزيد إلى مسكين أن يزين ذلك لأبيه .

فوفد مسكين على معاوية وعنده وجوه العرب فأنشده :

إليك أمير المؤمنين رحلتها
تثير القطا ليلا وهن هجود
ألا ليت شعرى ما يقول ابن عامر
ومروان أم ماذا يقول سعيد ؟
بنى خلفاء الله مهـلا فإنما
يبوئها الرحمن حيث يريد
إذا المنبر الغربى خلاه ربـه
فإن أمير المؤمنين يزيـد
على الطائر الميمون والجد صاعد
لكل أناس طائر وجـدود

لقد أشار مسكين فى أبياته على معاوية بأن يعقد ولاية العهد لابنه .

وانتهز مسكين هذه الفرصة فطلب من معاوية أن يفرض له . ولكن معاوية كان لا يفرض إلا لأهل اليمن . فرفض أن يفرض له ؛ لأن مسكينا ليس يمنيا كما سيأتى فى التعريف به بعد . فغضب مسكين وخرج من عند معاوية وهو يقول :

أخاك أخاك إن من لا أخا لـه
كساع إلى الهيجا بغير سلاح ؟
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه
وهل ينهض البازى بغير جناح ؟
وما طالب الحاجات إلا مغرر
وما نال شيئاً طالبٌ كنجاح
لحا الله من باع الصديق بغيره
وما كل بيـع بعتـه بربـاح
كمفسد أدناه ومصلـح غيره
ولم يأتمر فى ذاك غير صلاح

معاوية يراجع :

وظل الأمـر كذلك حتى كثرت اليمن وتضعضعت عدنان ، فبلغ معاوية أن رجلا من اليمن قال : هممت أن لا أحل حبوتى حتى أخرج كل نزارى بالشام . ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس .

وقدم على معاوية عطارد بن حاجب التميمى ، فسأله معاوية قائلا : ما فعل الفتى الدارمى الصبيح الوجه الفصيح اللسان ؟ يعنى بذلك مسكينا . فقال : صالح يا أمير المؤمنين . يعنى بكلمة صالح أنه مازال على قيد الحياة .

فقال : أعلمه أنى قد فرضت له فى شرف العطاء وهو فى بلاده ، فإن شاء أن يقيم ، وإن شاء يقدم فإن عطاءه سيأتيه ، وبشره أنى قد فرضت لأربعة آلاف من قومه .

التعريف بمسكين :

ومسكين لقب ، أما الاسم الحقيقي له فهو – كما جاء في مهذب الأغاني ج ٥ ص ١٢٠ وغيره – : ربيعة بن عامر بن أُنَيف الدارمي ، ينتهي نسبه إلى زيد بن مناة بن تميم ، فهو من شعراء تميم ، أو شعراء دارم . ودارم بطن من تميم .

وهو شاعر شجاع من أهل العراق ، عاش في صدر الدولة الأموية ، كان معاصراً للفرزدق وجرير والأخطل وأضرابهم .

أما لقب «مسكين» فجاءه من قوله :

أنـــا مسكين لمن أنكـــرني
ولمن يعرفنـــي جِدُّ نَطِـــق

فهو أحد الشعراء الذين لقبوا بأبيات قالوها واشتهرت عنهم .

وهذا البيت من قصيدة رائعة من شعره تنطق بالحكمة ، وفيها يقول :

اتق الأحمـــق أن تصحبـــه
إنما الأحمق كالثوب الخَلَقْ

كلمـا رقعت منـــه جانبـــاً
حركته الريح وهناً فانخرقْ

أو كصَدْعٍ في زجاج فاحش
هل ترى صَدْعَ زجاج يتفق ؟

وإذا جالستــــه في مجلس
أفسد المجلس منه بالخُـــرُق

إذا نهنهتـــه كي يرعـــوي
زاد جهلا وتمادى في الحمق

وإذا الفـــاحش لاقى فاحشاً
فهنـــاكم وافق الشَّنُّ الطبق(١)

إنما الفحش ومـــن يعتـــاده
كغراب السوء ما شاء نعق

أو حمار السوء إن أشبعتـــه
رمح النـــاس ، وإن جاع نهق

أو غلام السوء إن جوَّعتـــه
سرق الجار ، وإن يشبع فسق

أيها السائل عمـــا قد مضى
هل جديد مثل ملبوس خلَق

أنـــا مسكين لمن أنكـــرني
ولمن يعرفنـــي جِدُّ نَطِـــق

ولقد كان جِدُّ نطق فعلا حين قال هذه الأبيات .

شعر مسكين :

ولمسكين شعر جيد يرفعه إلى طبقـــات الفحول ، مع سهولة تسلك إلى قلوب السامعين وتنفذ إلى عقولهم في يسر . حتى لقد كان الفرزدق يخشاه ، ذلك أن مسكينا رثى زياد بن أبيه حين مات فقال :

رأيت زيـــادة الإسلام وَلَّت
جهاراً حين وَدَّعنـــا زيـــاد

فعارضه الفرزدق وكان يبغض زيادا ويخافه فقال :

أمسكينُ أبكى الله عينك إنما
جرى في ضلال دمعها فتحدرا

بكيت على علج بميسان كافر
ككسرى على عدَّانه أو كقيصرا

أقـــول له لما أتـــاني نعيُّـــهُ
به لا بظبـــي بالصريمة أعفـــرا(٢)

(١) وافق شنٌّ طبقه : مثل يضرب في ائتلاف الجنسين .

(٢) يعني أنه لا يساوى موته موت ظبي بالصريمة ، وقال الميداني : إن هذا مثل يضرب في الشماتة .

فقال مسكين يجيبه :

ألا أيها المرء الذى لست قاعداً
ولا قائماً فى القوم إلا انبرى لبا
فجئنى بعم مثل عمى أو أب
كمثل أبى، أو خال صدق كخاليا
كعمرو بن عمرو أو زرارة ذى الندى
أو البشر[3] من كل فرعت الروابيا

فأمسك الفرزدق فلم يجبه، وتكافّا. وقال الفرزدق فى ذلك : نجوت من ثلاثة لا أخاف بعدهم شيئا : نجوت من زياد حين طلبنى، ونجوت من ابنى رميلة وقد نذرا دمى وما فاتهما أحد طلباه، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمى، لأنه لو هجانى اضطرنى أن أهدم شطر حسبى وفخرى، لأنه من بحبوحة نسبى وأشراف عشيرتى ـ فكلاهما تميمى ـ فكان جرير حينئذ ينتصف منى بيدى ولسانى ..

ومن شعر مسكين الذى يعد من عيون الحكمة :

اصحب الأخيار وارغب فيهم
رب من صاحبته مثل الجرب
واصدق الناس إذا حدثتهم
ودع الكذب لمن شاء كذب
رب مهزول سمين عرضه
وسمين الجسم مهزول الحسب

ولهذه الأبيات مناسبة ذكرها أبو الفرج فى أغانيه ـ قال : خطب مسكين فتاة من قومه فكرهته لسواد لونه وقلة ماله، وتزوجت رجلا من قومه ذا يسار ليس له مثل نسب مسكين.

فمر بهما مسكين ذات يوم وتلك المرأة جالسة مع زوجها فقال :

أنا مسكين لمن يعرفنى
لونى السمرة ألوان العرب
من رأى ظبياً عليه لؤلؤ
واضح الخدين مقروناً بضب[4]
أكسبته الورق البيض أباً
ولقد كان وما يدعى لأب
رب مهزول سمين عرضه
وسمين الجسم مهزول النسب
أصبحت ترزق من شحم الذرا
وتخال اللؤم دُرًّا ينتهب[5]
لا تلمها إنها من نسوة
صخبات ملحها فوق الركب[6]
كشموس الخيل يبدو شغبها
كلما قيل لها هال وهب[7]

ونحن ما أحوجنا فى أيامنا هذه إلى التمسك بمضمون هذا البيت. فإن الأخ الصادق عدة الزمان، وذخر الحياة، وقد قالت الحكماء : رب صديق أود من شقيق.

(٣) يقصد بالبشر احد أخواله من النمر بن قاسط.

(٤) يعرض بجمال المرأة وقبح زوجها الذى يشبه الضب.

(٥) شحم الذرا : شحم السنام، يقول : غرها المال والرزق الواسع فعميت عن الحقائق.

(٦) فى أمثال الميدانى : «ملحها فوق الركبة» مثل يضرب لمن يغضب سريعا ويكون سيء الخلق أدنى شيء يغيره، كما أن الملح إذا كان على الركبة أدنى شيء يبدده.

وقيل : الملح هنا كناية عن الرضاع ـ والمعنى أنها لم تحافظ على حرمة الرضاع كأن اللبن الذى رضعته كان موضوعا فوق الركبة.

(٧) هال وهب كلمات زجر للخيل، والخيل الشموس : النافرة.

الجيل الثانى أو الطبقة الثانية من المحققين الأعلام (٢)

للأستاذ الدكتور / السيد الجميلى

● وتمثل أعلام هذه الطبقة فى المحققين الذين استفادوا كثيرا ـ إلى جانب تمكنهم من العربية ـ من طرق المستشرقين فى التحقيق ، ومن هؤلاء من كانوا فى القسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، وكان يمثلهم وعلى رأسهم أستاذى وصديقى الخيب المحقق الجهبذ الأديب العلامة المؤلف الشهير إبراهيم الإبيارى ـ رحمه الله رحمة واسعة ، ونور له ضريحه ، وجعل حسناته مقبولة وفرطاته مغفورة .

بيّض الله صفحته ، ولقنه حجته ، وأتحفه الفردوس الأعلى لقاء ما أسدى وأعطى ـ فقد كان مفطوراً على الحلم ، مطبوعاً على الحياء الشديد ، مجبولا على التواضع وإنكار الذات ... وقد أكرم الله محرر هذا البحث بمخالطة هذا العالم الجليل وأفاد منه إفادات جمة أسأل الله ـ تعالى ـ أن يتولى عنى جزاءه .. آمين .

ولد الأستاذ إبراهيم الإبيارى سنة اثنتين وتسعمائة وألف للميلاد ، ولقى ربه وأفضى إلى رضوانه يوم السادس من شهر أبريل سنة أربع وتسعين وتسعمائة وألف ميلادية . وكان ـ رحمه الله ـ قبيل وفاته ينعم بحياة صحية متوازنة ، ويعمل فى همة وانتظام كما لو كان شاباً فتياً بعزيمة وهمة وقادة متجددة .

كان الأستاذ الإبيارى مدرسة ـ وحده ـ فى التحقيق ، تبعه فيها الكثير ، ومن أبنائه الأعلام فى هذا الميدان :



المحقق العلامة إبراهيم الإبيارى

الأستاذ الدكتور عبدالمجيد دياب المحقق الكبير المعروف ـ أطال الله عمره ـ وقد حظى بالقرب من أستاذه بمنيل الروضة ، متفيأ من ظلاله ، سائراً على دربه ، مسترشداً بمشكاته .

تفرد الأستاذ إبراهيم الإبيارى بنشاط تأليفى وتحقيقى ملحوظ .

بدأ ـ رحمه الله تعالى ـ حياته بالتدريس فى المدارس الأميرية ، ثم عمل فى شبابه الباكر موظفاً بدار الكتب المصرية القديمة (بباب الخلق) وقد تهيأ له ما لم يتهيأ لكثير من أضرابه من فرص جليلة أفاد منها ، وأعطى بسخاء وجود منقطع النظير .

وقد ذكر لى ـ رحمه الله ورضى عنه ـ أن أول كتاب حققه هو « المعجم فى بقية الأشياء » لأبى هلال العسكرى بالمشاركة مع الأستاذ عبدالحفيظ شلبى ـ رحمه الله ـ وكانا يعملان سوياً بعد تخرجهما فى (دار العلوم) بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية ، هذا القسم الذى كان يحن إليه ويذكره فى كل مناسبة ، وأذكر أنه ـ قبل وفاته ببضعة أشهر ـ ذكر لى أن المجد الأدبى وازدهاره موقوف ومصروف تماماً إلى عودة القسم الأدبى بدار الكتب المصرية إلى ما كان عليه سلفاً من إعادة واهتمام ورعاية .

قدم الأستاذ الإبيارى للمكتبة أكثر من ستة عشر كتاباً من تأليفه ، وكتاباً واحداً مترجماً عن الإنجليزية هو « الحمراء » وفى حديث لى معه ـ رحمه الله ـ من نحو عشر سنين سألته : كم كتاباً قدمت يا أستاذ .. ؟

فقال : مائة وخمسون كتاباً .

ولم أستوضح منه ـ يومئذ ـ المحقق منها والمؤلف ... وبعض ما حققه كان بالمشاركة مع آخرين ، وها نحن نقدم من تراثه ما يلى :

تأليفاً :

١ ـ تاريخ القرآن .
٢ ـ مغيب دولة (الدولة الأموية) .
٣ ـ ميلاد دولة (الدولة العباسية) .
٤ ـ نهاية المطاف (الدولة الفاطمية) .
٥ ـ الدولة الإخشيدية .
٦ ـ الدولة الأيوبية .
٧ ـ مع الأيام .
٨ ـ عذراء البصرة .
٩ ـ معاوية بن أبى سفيان فى الميزان .
١٠ ـ ألوان فى الأدب العربى .
١١ ـ كيف تتكلم الإسبانية (بالأسبانية للعرب .
١٢ ـ كيف تتكلم العربية (للمتعلمين الأسبان) .
١٣ ـ الوليد بن يزيد .
١٤ ـ هند (لا يزال مخطوطا لم يطبع بعد) .
١٥ ـ كتاب لم يسم بعد .
١٦ ـ الموسوعة الشوقية (شرح ديوان الشوقيات) عشرة أجزاء .
١٧ ـ مقتطفات من كتب الأدب العربى بالمشاركة مع الدكتور طه حسين ، والأستاذ على البجاوى ، والأستاذ عبدالسلام هارون ـ رحمهم الله .
١٨ ـ فصول مختارة من كتب التاريخ بالمشاركة معهم (٣) أجزاء .
١٩ ـ مُهَذَّب السيرة النبوية للكبار .
٢٠ ـ مُهَذَّب السيرة النبوية للأطفال .
٢١ ـ السيرة النبوية لابن هشام .

وترجمة :

ـ الحمراء (عن الإنجليزية) .



وتحقيقا :

- المعجم في بقية الأشياء لأبي هلال العسكري بالمشاركة .

- ديوان عبد المطلب - بالمشاركة .

- السيرة لابن هشام - (أربعة أجزاء) - بالمشاركة .

- شرح ديوان المتنبي للعكبري (أربعة أجزاء) - بالمشاركة .

- الوزراء والكتاب للجهشياري - بالمشاركة .

- فقه اللغة للثعالبي - بالمشاركة .

- أزهار الرياض - (ثلاثة أجزاء) - بالمشاركة .

- العقد الفريد لابن عبدربه (ستة أجزاء) - بالمشاركة .

- تعريف القدماء بأبي العلاء .

- شرح سقط الزند (ستة أجزاء) - بالمشاركة .

- اللزوميات (الجزء الأول) .

- سير أعلام النبلاء (الجزء الثاني) .

- الغصون اليانعة لابن سعيد .

- الأيام والليالي والشهور للفراء .

- المغرب لابن دحية - بالمشاركة .

- المقتضب من تحفة القادم لابن الأبار .

- إعراب القرآن للزجاج (ثلاثة أجزاء) .

- المحكم لابن سيده (الرابع) .

- اختصار القدح المعلى لابن سعيد .

- لطائف المعارف للثعالبي .

- تجريد الأغاني (ستة أجزاء) .

- المعجم الكبير (الجزء الأول) .

- المغني للقاضي عبدالجبار .

- ترجمة حادثة بدر .

- مختار الأغاني لابن منظور .

مراجعة تحقيق :

- رفع الإصر عن قضاة مصر (جزآن) .

- المقتضب فيما وافق لغة مصر من لغة العرب .

تقديم كتب تحقيق :

- مهذب الأغاني (جزء المغنين) .

- طوق الحمامة لابن حزم .

هذا غير عديد من المقالات والبحوث المنشورة في الشعر والنثر واللغة على مدار سبعين عاما أو يزيد .

الشيخ العلامة المؤلف المحقق المجهد/
محمد محيي الدين عبد الحميد إبراهيم

إمام الأئمة ، شيخ الشيوخ ، العلامة اللغوي النحوي الفقيه الأصولي ، الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد إبراهيم ، ولد في قرية « كفر الحمام » من أعمال مركز الزقازيق بمديرية الشرقية سنة ١٩٠٠م ألف وتسعمائة للميلاد ، الموافق سنة ثمان عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة في يوم الثالث والعشرين من شهر سبتمبر .

حفظ الشيخ محمد محيي الدين القرآن في صباه في كتاب القرية ، كما كان الشائع في عصره ، ثم تلقى تعليمه ودراسته الأولية ، ثم بعد ذلك التحق بمعهد دمياط الديني ، ثم معهد القاهرة بعد ذلك .

تخرج في الأزهر ، ثم حصل على شهادة العالمية سنة أربع وعشرين وتسعمائة وألف ،

وهى شهادة العالمية النظامية مع أول فرقة نظامية ، ثم نال درجة التخصص فى التدريس سنة خمس وعشرين وتسعمائة وألف .

بموجب هذه الدرجة العلمية وعقب تخرجه تم تعيينه مدرساً فى معهد القاهرة الأزهرى .

ثم اختير بعد ذلك للتدريس فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف عند إنشاء كليات الجامع الأزهر سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة وألف .

ولما أن أنشىء قسم الدراسات العليا (تخصص المادة) اختير للتدريس به . وقد أُعير للسودان سنة أربعين وتسعمائة وألف ، وكان منوطا به وضع منهج للعلوم اللغوية والدينية لمدرسة الحقوق السودانية التى أنشئت وقتذاك ، وهى كلية الحقوق بجامعة الخرطوم .

وعلى مدار سنوات أربع ظل الطلاب والدارسون السودانيون ينهلون من علمه الفياض ، وحتى يومنا هذا لاتزال مؤلفاته اللغوية والدينية مرجوعاً إليها كمراجع وثيقة لانظير لها سواء كانت مؤلفات ، أو تحقيقات لأمهات وعيون كتب التراث .

ثم رجع إلى القاهرة سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وألف ، حيث عُيّن وكيلًا لكلية اللغة العربية ، ثم اختير بعد ذلك مفتشاً للغة العربية بالمعاهد الدينية ، ثم انتقل وتحول بعد ذلك إلى التدريس بكلية أصول الدين سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وألف للميلاد .

ثم تم تعيينه سنة اثنين وخمسين وتسعمائة وألف مديراً لتفتيش العلوم الدينية والعربية بالجامع الأزهر ، والمعاهد الدينية .



العلامة المحقق محمد محيى الدين

ثم شغل منصب عميد كلية اللغة العربية سنة أربع وخمسين وتسعمائة وألف ومكث فيه خمس سنوات كاملة .

وفى سنة تسع وخمسين تولى التدريس بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف ، ثم أُعيد فى أكتوبر سنة أربع وستين عميداً لكلية اللغة العربية .

وقد أُحيل إلى المعاش عندما بلغ سن التقاعد سنة خمس وستين وتسعمائة وألف ، وكان قد بلغ من عمره الحافل فى ذلك الوقت خمساً وستين سنة .

ثم بعد ذلك اختير رئيساً للجنة الفتوى التى يقع مقرها بالجامع الأزهر ولاتزال به إلى يومنا هذا ، ورئيساً للجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية . كذلك اختير ـ رحمه الله ـ عضواً بمجمع اللغة العربية ، ثم عضواً بمجمع

البحوث الإسلامية بالقرار الجمهورى رقم ٧٢٢ سنة ١٩٧٢ .

والشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد إبراهيم كان نموذجاً فريداً ، ومثلاً مضروباً للعالم الموسوعى النحرير ، الذى أحاط بالعلوم اللغوية وأنواعها ، والعلوم الشرعية وأصولها إحاطة شاملة ، كانت وظلت ولاتزال لافتة للأنظار .

وخيرُ شاهد ومستدلٍ به على ذلك تلك التحقيقات والشروح والحواشى الجليلة النافعة على المتون ، وإسهامه العلمى الدقيق فى تحقيق أمهات الكتب عن مخطوطات نادرة ، ثم نشرها على أوسع نطاق ، كذلك إعادة النظر فى تحقيقات أخرى سابقة عليه أو معاصرة له .

لقد كان الشيخ العميد محمد محيى الدين عبدالحميد امتداداً لعنصر كريم ، وأرومة طيبة ، وجرثومة ممحوضة ، وذرية طاهرة ، وضريبة نقية ، فقد كان أبوه مفتياً لوزارة الأوقاف ، ثم تم تعيينه قاضياً .

فرفع الله سبحانه وتعالى ـ درجة والده ـ وأعلا شأنه ، وخلّد ذكره بأن رزقه من صلبه علماً مرفوعاً ، وعملاقاً ملحوظاً ، ظل وسيظل اسمه بالعلم والفضل مذكوراً ، وقد عين الملك فؤاد والده مفتياً سنة اثنين وعشرين وتسعمائة وألف ، فشغل هذا المنصب مع صغر سنه .

وتوفى والده ـ رحمه الله ـ سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وألف ، قبل تخرج ابنه الشيخ (محمد محيى الدين) بسنة واحدة .

تزوج الشيخ محمد محيى الدين من كريمة المرحوم الشيخ محمد هارون ، رئيس المحكمة الشرعية العليا ، وقد كان ـ رحمه الله ـ قاضياً فى السودان فى ذلك الوقت قبل الشيخ المراغى .

وهذا القاضى الكريم هو والد المحقق العلامة البحاثة الشهير الأستاذ عبدالسلام محمد هارون .

عاش الشيخ محمد محيى الدين إبراهيم حياة أسرية هادئة مستقرة مع كريمة الشيخ محمد هارون شقيقة المحقق الكبير عبدالسلام محمد هارون ، وقد رزقه الله ـ تعالى ـ من هذه العقيلة الكريمة بثمان بنات وابن واحد ، هو المهندس نبيل محمد محيى الدين .

وعلى الرغم من اهتماماته العلمية الواسعة ، وجسامة المسئولية الملقاة على عاتقه ، والمناصب الرفيعة المسندة إليه ، والأثقال الفوادح المنوطة به ، على الرغم من هذا كله ، كان أباً باراً حنوناً ، شديد الشفقة والحدب ، والتحنن على بناته .

ولم يعوقه هذا العدد الكبير للأسرة عن رسالته ومهماته ، فإنه لمن الشاق ومن الصعب ممارسة الكتابة تأليفاً أو تحقيقاً فى أسرة من عشرة أفراد أو تزيد ... لكن الشيخ ـ رحمه الله ـ كان مطبوعاً على الخير ، مفطوراً على الفضيلة فلم يزده هذا إلا حماساً وهمة .

وكما كان يسعد بوجوده وسط أبنائه محوطاً بهم ، منظوراً منهم وناظراً إليهم ، كان يطيب إلى نفسه وقلبه وخاطره أن يراهم حلقة منظومة حوله كالقلادة حول العنق وكان ـ أيضاً ـ يسعده كثيراً زيارة أقربائه وأهله ... فقد كان (كبيراً للعائلة) ؛ لأن أباه مات قبل تخرجه ، وكانوا يعتبرونه كبير الأسرة بعد أبيه ـ رحمه الله .

اشتُهرَ أهل الشرقية بالسخاء والكرم والجود

السابع غير المحدود ، مع الأريحية وسلامة الصدر ، وطيبة القلب .. فإذا قيل لك : إن فلانـاً شرقاوىٌ ... فلابد أن يكون كريم الخلق سرىّ النفس ، مرضىّ الشمائل ، ندىّ اليد طلق الوجه ، سهلَ الطبيعة .

ومن كانت هذه خلاله ، وتلك سجاياه كان زائراً ومزوراً ، ومعطياً قبل أن يكون آخذاً ... وهو طيب الخاطر سعيد بالانتماء لأهله وبلده .

من ثم كان مستراحاً للصادر والوارد فالبيت مفتوح الأبواب ، مريع الجنات ، يتهلل للضيوف الطوارق ليلاً أو نهاراً . وبيت مثل هذا البيت يظل على مدار الأربع والعشرين ساعة مثابة للعفاة والنزلاء ، أقربين وغرباء ، مسكوناً بالخير والبر والملائكة ، لاتزايله البركة طرفة عين .

لم يكن البيت المسكون المعمور أقل انفتاحاً من قلب الشيخ السمح الذى تتقاطر منه الفضائل المنفوحة ، وتنثال من عرقاته المنح الجليلة ، والعواطف الدافقة ، والمشاعر الرقيقة .

وفى الليلة الظلماء يُفتقدُ البدرُ ... فإنه عند المشكلات الجسام ، والمعضلات المستغلقة ، والأمور المستحكمة المستعجمة ، وعندما تنوب النوب ، وتدلهم الخطوب ، لايكون مندوباً لها إلا فتاها الندب النحرير .

كانَ يحمل على كاهله كل هذه المسئوليات والتبعات الكثيرة ، سواء لأهله (وبلدياته) وأقربائه ، أو أصدقائه وتلاميذه ومريديه .

كما كان مرتاداً مقصوداً من العلماء الأعلام فى عصره وهم من مشايخ الأزهر لكونه قريباً من الأزهر فى منطقة الحلمية .

وقد قال الشاعر العربى :

تنزل الطيرُ حيثُ يُلتقطُ الحبُّ
وتُغشـــى منـــازِلُ الكرمـــاءْ

من أجمل سجاياه ، وأطيب خلاله ، وأندى معروفه أنه كان كثير الإجلال والتقدير والحب لمشايخه وأساتذته الأزهريين ، وهم الذين كانوا يزورونه ، ويترددون عليه دائماً ، منهم : الشيخ عيسى مانون وكان أستاذاً له ، وكان رجلاً عالماً شامياً . تقلد عمادة كلية الشريعة وكان كثير الاتصال وثيق الصلة به .

والشيخ الظواهرى ـ رحمه الله ـ وقد كان ظريفاً حاضر النكتة محباً للظرفاء . وغيرهما كثير ، من علماء الشام وتركيا وروسيا وأفغانستان ويوغوسلافيا ، والشيشان .

وعندما ذهب (على ماهر) باشا للسودان ، وحضر الحاكم العام الإنجليزى هناك لاستقباله ، وكان الشيخ محمد محيى الدين هناك حاضراً هذا الاستقبال ، فسلّم الشيخ على (على ماهر) ثم على الحاكم العام الإنجليزى ، وذلك لشدة حرصه على قوميته وانتمائه إلى بنى جلدته ، حتى إن على ماهر باشا قال له : لقد أحرجتنا ياشيخ محيى الدين !!

كان الشيخ يعطى دروسا دينية فى السودان لكبار الموظفين هناك فى ندوة أسبوعية بمثابة صالون دينى وأدبى ، كما كان يذهب إلى الجيش المصرى هناك يوم الجمعة قبل الصلاة لإقامة ندوات مفتوحة مع العساكر والضباط ، وكان ممن حضر ندوته من الضباط المصريين فى ذلك الوقت جمال عبدالناصر ، وزكريا محيى الدين .

من الوقائع المشهودة أن علماء جنوب السودان علموا أن الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد حضر للسودان لتأسيس بعض كليات (جامعة الخرطوم)، وكان يعرفون مكانته وقدره ، فسرعان ما قدموا إليه مترجلين ، فما أن رأوه خلعوا نعالهم ومشوا متقدمين إليه تكريماً له وإكراماً لمنزلته ... وهذا على عادتهم فى ذلك .

إن الكلام عن هذه الشخصية الكبيرة فوق مستوى البحوث المحدودة والوريقات المعدودة ، لكنها أجدر بالإفراد بدراسة متعمقة مفصلة لتجلية جوانب العبقرية والشموخ والرسوخ والتمكين فى هذه العبقرية الفذة المؤثرة التى لايزال ، وسيظل إشعاع حياتها ووميض أثرها يضىء كثيراً من أغفال وجوانب حياتنا العلمية والفكرية ، فنسأل الله - تعالى - أن يقوينا ، ويعيننا على أداء هذه الرسالة على الوجه المرضى . فليس هناك أجمل من رد الاعتبار . وعرفان الجميل لأرباب الفضائل وأصحاب الفضيلة .

من أجمل ما قيل فى الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد ، ما أعلنه الأستاذ عبدالسلام محمد هارون فى حفل تأبينه قائلاً :

إنى - وأنا من أقرب الناس إليه ، ومن أعرفهم بقدره - لا أستطيع إلا أن أستعلن عجزى عن تبيان فضله ومآثره ، إلا أن أصنع فى ذلك كتاباً أظل أنمقه دهراً ، لكنى أرانى قد ألقيت شيئاً من الضوء على حياته الحافلة المباركة المفعمة بالتوفيق ، المادفقة الخدمة والإسعاد لبنى وطنه المصرى ، ووطنه الإنسانى .

نشاطه العلمى التحقيقى والتأليفى

من نشاطاته الجليلة فى التأليف والتصنيف ، والتحقيق إصدارات نافعة عظيمة القدر نفيسة القيمة ، وهى عشرات الكتب والمطبوعات التى تربو على ثلثمائة كتاب فى شتى العلوم والفنون المختلفة .

وهذه قائمة ببعض تحقيقاته ومؤلفاته ، علماً بأن شروحه على كتب بعينها تعنى تحقيقه لهذه الكتب أيضاً :

تفسير القرآن العظيم (جزء عم) (تأليف) .

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك .. ابن عقيل - ٤ أجزاء .

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك .. ابن هشام - ٤ أجزاء .

- شرح قطر الندى وبل الصدى .. ابن هشام - مجلد واحد .

- منتهى الأدب بشرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب .. ابن هشام - مجلد واحد .

- مطالع السرور الجامع بين مقررات القطر والشذوذ .. ابن هشام - مجلد واحد .

- الانصاف فى مسائل الخلاف .. ابن الأنبارى - (جزأين) .

- الانتصاف من الانصاف (تأليف) مغنى اللبيب عن كتاب الأعاريب .. ابن هشام - جزأين .

- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك .. الأشمونى - ٤ أجزاء .

- تنقيح الأزهرية (تأليف) - جزء واحد .

- التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية - جزء واحد .
- شرح شافية ابن الحاجب - ٤ أجزاء .
- دروس التصريف (تأليـف) - جزء واحد .
- مروج الذهب .. المسعودى - ٤ أجزاء .
- وفيات الأعيان .. ابن خلكان - ٦ أجزاء .
- فوات الوفيات .. ابن شاكر - ٤ أجزاء .
- تاريخ الخلفاء .. السيوطى - جزء واحد .
- سيرة النبى ﷺ .. ابن هشام - ٤ أجزاء .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب .. المقرى - ١٠ أجزاء .
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفـى .. (السمهودى) - ٤ أجزاء .
- يتيمة الدهر وعصرة أهل العصر .. الثعالبى - ٤ أجزاء .
- صحيح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار .. لابن بلهيد النجدى .
- المنهج الأحمد فى تراجم أصحاب الإمام أحمد - جزأين .
- زهر الآداب وثمر الألباب .. الحصرى - ٤ أجزاء .
- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده .. ابن رشيق - جزأين .
- أدب الكاتب .. ابن قتيبة - جزء واحد .
- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر .. ابن الأثير - جزأين .
- مجمع الأمثال .. الميدانى - جزأين .
- شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة - جزء واحد .
- شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى - جزء واحد .
- شرح ديوان الحماسة .. التبريزى - ٤ أجزاء .
- شرح القصائد العشر .. التبريزى - جزء واحد .
- شرح المعلقات السبع .. الزوزنى - جزء واحد .
- شرح ديوان الشريف الرضى .
- الموازنة بين أبى تمام والبحترى .. الآمدى - جزء واحد .
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص .. العباسى - ٤ أجزاء .
- رسالة الآداب فى علم أدب البـحث والمناظرة (تأليف) - جزء واحد .
- بدائع الصنائع .. الكاسانى .
- جواهر الألفاظ .. قدامة بن جعفر - جزء واحد .
- شرح الرحبية - جزء واحد .
- فتح المبدى بشرح مختصر الزبيدى - جزأين .
- الموافقات فى أصول الأحكام .. الشاطبى - ٤ أجزاء .
- الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية (ابن قيم الجوزية) .
- الشرح الصغير - ٦ أجزاء .
- المسودة فى أصول الفقه .. ابن تيمية - جزء واحد .
- مقالات الإسلاميين .. الأشعـرى - جزأين .

ـ رسالة التوحيد .. محمد عبده ـ جزء واحد .

ـ الحاوي للفتاوى .. السيوطي ـ جزآن .

ـ الفرق بين الفرق .. البغدادي ـ جزء واحد .

ـ توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ـ جزآن .

ـ الداء والدواء .. ابن القيم ـ جزء واحد .

ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول .. ابن تيمية ـ جزء واحد .

ـ الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع .. الخطيب الشافعي .

ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء .. ابن حبان البستي .

ـ الاختيار لتعليل المختار .. الموصلي ـ ٤ أجزاء .

ـ سنن أبي داود ـ ٤ أجزاء .

ـ الترغيب والترهيب .. المنذري ـ ٦ أجزاء .

ـ شرح ألفية السيوطي في مصطلح الحديث ـ جزء واحد .

ـ منهاج الوصول في معرفة علم الأصول .

ـ المسامرة بشرح المسايرة .. الشافعي ـ جزء واحد .

ـ اللباب في شرح أدب الكتاب .. الميداني ـ ٤ أجزاء .

ـ شرح جوهرة التوحيد .. اللقاني ـ جزء واحد .

ـ شرح السراجية .. الجرجاني ـ جزء واحد .

ـ سبيل الفلاح شرح نور الإيضاح (تأليف) .

ـ كفاية الطالب الرباني .

ـ موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول .. ابن تيمية .

ـ اللباب في شرح الكتاب ـ الميداني (٤ أجزاء) .

ـ شرح جوهرة التوحيد اللقاني (جزء واحد) .

ـ شرح السراجية .. الجرجاني (جزء واحد) .

ـ سبيل الفلاح شرح نور الإيضاح (تأليف) .

ـ كفاية الطالب الرباني .

ـ موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول .. ابن تيمة .

ـ رحمة الأمة في اختلاف الأئمة .

ـ الدروس الفقهية على مذهب السادة الشافعية ـ جزء واحد .

ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين .. ابن القيم ـ ٤ أجزاء .

ـ أحكام المواريث في الشريعة الإسلامية على المذاهب الأربعة (تأليف) ـ جزء واحد .

ـ الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية مع الإشارة إلى ما يقابلها في الشرائع الأخرى (تأليف) ـ جزء واحد .

ـ المختار في صحاح اللغة بالاشتراك مع عبد اللطيف السبكي ـ جزء واحد .

ـ أبو الطيب المتنبي ما له وما عليه ـ جزء واحد .

وقفة مع كتاب جاد

الصراع الأدبي بين القديم والجديد

تأليف الدكتور/ علي العماري

بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

يحمل مؤلف هذا الكتاب(*) ميزاناً دقيقاً ـ كميزان الذهب ـ إن صح التعبير ـ لا يحيد عن الحق والحقيقة ، قيد أنملة ، وطفق يزن به تطورات المعارك التي دارت حول دعوة التجديد في الأدب العربي ، بعد رصد الصحيح والزائف منها ، لينقد ، من خلال ذلك كله ، إلى كشف ذوى الأغراض المريبة ، وهم يتشحون بوشاح الدعوة إلى التجديد ، لحاجات في نفوسهم ، أبعد ما تكون عن الإنصاف .

وأشار إلى ذلك كله ، وأثره على الشادين في رياض الأدب ، وهم يخطون خطواتهم الأولى ، في البحث عن الوجهة الأصيلة التي يتعين أن يتجهوا إليها ، وهم ينشدون مثل الإبداع الأدبي ، للاقتداء والاحتذاء .

وشدد النكير على بعض من ينتسبون إلى العربية ، وهواهم مع أعدائها .. مستهينين بالقيم والمقدسات ـ كما أوضح ذلك في مقدمة كتابه ـ بقوله : « .. ومجدنا الإسلام ، والعربية من أغلى نفائسنا ، ولن نهادن مارقاً ينال من الإسلام ، عن طريق النيل من لغته ، ولا خائناً يعمل جاهداً على محو تراثنا الذي تعتز ـ وتعتز الحضارة الإنسانية به » ..

وعلى الرغم من مرور زهاء ثلاثين عاماً على صدور هذا الكتاب القيّم ، فإن الباحث يجد نفسه بحاجة إلى الرجوع إليه ، بين الحين والآخر ، كمرجع هام في الدراسات النقدية ، لما اشتمل عليه من آراء صائبة ، لتصحيح المفاهيم التي سادت الساحة الأدبية في الآونة الأخيرة ، ونستطيع أن نلمس مدى الجهد الكبير الذي بذله مؤلف الكتاب ، في إعداد فصوله ، التي نشرها تباعاً من قبل ، في بعض المجلات الأدبية والدينية ، وهي تدور في مُجملها ، حول مصاولة مَنْ حاولوا :

(*) طبعة دار الكتب الحديثة (١٩٦٥) م .

«التبديد بادعاء التجديد» ، وهدّم القديم الرصين ، لإقامة (الجديد) الهش .. وليت المؤلف الفاضل يقوم بإصدار طبعة جديدة من كتابه هذا ، ليعمّ النفع به ، ويتجدّد ..

وقد قام الأستاذ أحمد حسن الزيات ـ رحمه الله ـ بتقديم هذا الكتاب ، وتلخيص ما جاء بفصوله ، بإيجاز بليغ واف حيث قال : «عرَضَ قصة الصراع الأدبي ، في خلال القرون ، منذ تجهّم النقاد الأولون لشعر عديّ بن زَيْد ، إلى أن نشبت في العهد الأخير معركة (الديوان)[1] ثم تكلم على نزعات التجديد في القدامى والمحدثين ، وكشف عن الاعتدال والقَصْد ، أو الإسراف والغلوّ ، في أولئك وهؤلاء .. وأبان عن الزيغ والزيف ، في أقوال المنحرفين المعاصرين ، وضرب لهم مثلين :

١ ـ شيخاً أحمق ، يزعم أن تراثنا ـ بعد القرن الثالث ـ ينبغي أن يُلْقَى في المحيط !

٢ ـ ناقداً أخرق ـ يدّعي أن الشكل القديم للشعر العربي ، هو علة ما أصابنا من فساد ، في الأدب ، والخُلُق ، والسياسة !

ثم قطع ، (أي الدكتور العماري) ، ألسنة المتطاولين على شيوخ الأدب في مصر ، بالحجة الدامغة ، والمنطق السليم . وحمل على دُعاة العامّيّة حَمْلة فضحتْ المخبوء في سرائرهم ، من كَيْد للإسلام ، وحقد على العروبة . وعرض وجوه الصراع الأدبي ، الذي يتجدّد ، على تعاقب العصور ، ويتولد من اختلاف الظروف .. والجامد الذي يعارض ولا يُغيِّر ، والمعتدل الذي يَقْبل ولا يُسرف» أهـ .

ونحن نعتقد أن من يطّلع على هذا الكتاب ـ من الناشئة بصفة خاصة ـ يُنير الطريق أمامه ، ويُجنبه العثرات ، ووعْثاء الطريق ويختصر له المسافات ، فيُصبح على بيّنة من أمره ، في أمور كثيرة تصادفه ، لايستطيع ـ وحده ـ أن يُدركها ، ويحيط بها الاحاطة اللازمة ، للتبصُّر والاستيعاب .

وكل فصل من فصول هذا الكتاب القيم ، يُغرى بوقفة تُتابع فيها فكر المؤلف الفاضل ، وما انتهى إليه من آراء سديدة .

ففي الفصل الأول : يذكر أن (التجديد .. غير التبديد) ، وهو في دفاعه عن التراث ، يرى أنه لايسوغ لعاقل ، أن يُلقى في أعماق البحر بثروة طائلة ، تعب آباؤه وأجداده في جمعها وتنميتها ، وبذلوا كل ما في وسْعهم للمحافظة عليها ، وردّ عَوَادِي الزمن والضياع عنها» .

ثم يناقش رأى أحد الهدّامين الذين يرون أن الشكل القديم : بـ (البحر والقافية) ، كان تعبيراً مناسباً عن جمود الأمة العربية من جانب ، ثم كان له فعْلُه في تأكيد هذا الجُمود ، واستمراره من جانب آخر .

(١) يعني كتاب (الديوان) الذي أصدره العقاد والمازني سنة ١٩٢١

ويرد المؤلف على هذا الزعم ، بأن هذا الشكل قد عبر ـ فى أزهى عصور الأمة العربية ـ عن تقدُّم الأمة ونهضتها ، ولم تعرف للشعر الحديث ـ الذى يُسمّيه ناظموه شعراً (تجوُّزا) ـ أثراً يُذكر فى التعبير عن نهضتنا الحاضرة .

ويرى صاحب هذه السطور ـ فى مجال تفنيد هذا الزعم ـ أن (البحر) ـ أو وزن القصيدة ـ وهو فى صميمه يعبر عن : الجو النفسى لأعماق الشاعر ، حين التكوين الفنى ـ لم تُسلك فيه الألفاظ عبثاً .. ليست (القافية) مجرد لفظة ، ولكنها لمة يَكرُّ على وحدة الموضوع[٢] .

ويقول المؤلف بحق : إن هذا الشكل ظلّ ألفَيْن من السنين ، يؤدّى به أدقّ الخلجات النفسية ، وأسمى العواطف الإنسانية ، وأروع الأخيلة الشعرية .. ولم يظهر جُمُوده وتحجُّره ، إلا حين عجز عن الأداء به « حفنةٌ من الناشئين ، أرادوا أن يُشْعِروا ، فنثروا .. وأبوا أن يسمُّوا نثرهم باسمه الصحيح ، فاستعاروا له اسم : الشعر ، ليصحَّ أن يُوصفوا بأنهم .. شعراء !

وكيف جمَدَ هذا الشكل منذ البدء ، والشعراء ظلوا يغنون فى بُحوره وأضْرُبه وأعاريضه ، وما استعْصى على النابغين منهم أداء أدق معنى يحس به ؟

ويختتم الدكتور العمارى هذا الفصل ، بقوله : «وقد رأينا ـ منذ أوائل هذا القرن ـ محاولات لتجديد العربية ، رأيْنا (مجمع البحور) ، ورأينا (الشعر المرسل) ، ورأينا الكتابة بالعامية .. ومع ذلك ، لم يُكتب لمحاولة من هذه المحاولات البقاء .. فمجمع البحور مات يوم وُلد ، والشعر المرسل ، لم تُكتب به قصيدة جيّدة إلى اليوم ، والكُتّاب الآن ، يفضّلون الكتابة بالفصحى ، والجمهور نفسه أصبح يتذوق الفصحى ، أكثر مما يتذوق العامية .

ثم يتحدث المؤلف ، بعد ذلك ، عن (تجديد الألفاظ) ، ولُبّ لُباب هذا الفصل هو : دَحْض حُجَّة وغرور مَنْ يقول : (أنا اللغة !) ، بمعنى أن له مطلق الحرية فى أن يختار من الألفاظ ، ما يوافق ذوقه ، سواء رضيتْ اللغة أم كرهتْ ، وما دام يُرضى ذوقه هو ، فلا عليْه ، ولو غضب ألْف لغوىّ ! .. ويسوق لنا قول المرحوم الدكتور عبدالوهاب عزام ، فى ضرْبه المثل بقول مسلم ابن الوليد وهو يصف الصحراء ، بقوله :

ومَجْهَلٍ كاطِّراد السيف مُحْتجِزٌ عن الأدلاء مَسْجورُ الصياخيد
تمشى الرياحُ به حَسْرَى مُوَلَّهةً حيرى .. تلوذ بأطراف الجلاميد

ثم تساءل الدكتور عزام : ما الرأى فى (مسجور الصياخيد وأكناف الجلاميد) ؟ أهى ملائمة لذوق العصر الحاضر ؟ وهل يُرى غيرها أجدر بمكانها فى هذا الشعر ؟

إنها لاريب حَسَنةٌ فى موْقعها ، بالغةٌ ماأُريد بها من وصْف الصحراء ، حين تشتعل فيها الهواجر ..

---

(٢) من مقال لنا نشر بعدد مجلة (الرسالة) الصادر ٢١ من مايو سنة ١٩٥١

ويُعقِّب المؤلف على هذا الرأى ، بقوله : «ولعل خير الطرق فى هذا الشأن ، أن نترك الأفذاذ من الكتّاب والشعراء فى حدود الأصول اللغوية ـ يستعملون من هذه الألفاظ المهجورة ، ما تُسيغه أذواقهم ، ويشتقّون ما يرون أنه ضرورى ، لأداء معانيهم » .

إلى أن يقول : «وما أظن أحداً من هؤلاء يستسيغ استعمال الكلمة الخشنة ، مهما كانت دِقّتها فى أداء المعنى .. ذلك أن الأديب لاينطبع فقط بما يقرأ ، بل يخضع لمؤثرات كثيرة ، والبيئة التى تُحيط بأدباء عصرنا لاتطبع أذواقهم على تَقَبُّل مثل هاتيك الكلمات ، التى ما كان يستسيغها إلا العربى القحُّ المُلَفَّف بشملته» .

لكنه يستدرك بعد ذلك ، قائلاً : «ولست مع أولئك الذين يعيبون كل كلمة قاموسية ، غفل الاستعمال الحديث عنها ، فإنى رأيت من كتابنا الكبار ، مَنْ يستعمل ألفاظاً مهجورة ، وهى مع ذلك ، من أعذب الألفاظ وأرقها» ولعله يعنى (المازنى) رحمه الله ، الذى أثر عنه هذا الصنيع[1] .

وكم كنا نود أن يضرب لنا المؤلف الفاضل ، بعض الأمثلة فى هذا المجال ، تؤيد رأيه هذا ، ليزداد القارىء اقتناعا به .

ثم يُبدى ، بعد ذلك ، رأيا سديداً ، حين يستقل قائلاً : «ولابأس علينا ـ بعد أن نجهد جهدنا ـ فى إحياء ألفاظ موائمة سائغة ، أن نخلق ألفاظاً جديدة ، على أن لانشذ عن قوانين اللغة وأصولها» .

وحين يقول بعد ذلك : «والذين يريدون أن يحجروا على الكتاب والشعراء ، أن يستعملوا من الألفاظ مالا يجرى على ألسنة اليوم ، إنما يأبون أن يفرقوا بين لغة الصحافة ولغة الأدب .. فهم يتمسكون بنظرية لاتثبت للنقد ، تلك هى : القول بأن المعنى هو : كل شىء ، واللفظ إنما هو إطار خارجى ، يلجأ اليه لمجرد توضيح المعنى .. وهذه النظرية تنكر قيما كثيرة ، كان الأدب ـ ولايزال ـ يسمو ويعتز بها»[2] .

ويختم هذا الفصل من كتابه القيم بأبيات طريفة لصفى الدين الحلى ، حينما عاب عليه نقاد عصره سهولة شعره ، وخلو ديوانه من الألفاظ الغريبة ، فقال ساخراً أبياته المشهورة فى الرد عليهم :

---

(١) كذلك كان الدكتور زكى مبارك يفعل فى مقالاته ، ويقول : إن هذه الكلمات ليست غريبة ، إنما تناساها الكتاب والشعراء المعاصرون ، فأضيفت ظلماً إلى الغريب ..... عنه الأزهر .

(٢) صفى الدين الحلى (٦٧٧ ـ ٧٥٠ هـ) ولد بمدينة الحلة بالعراق وكان ذا شاعرية متدفقة ، وإتقان للعربية جعلته شاعر عصره بلامنازع واسمه : عبدالعزيز سرايابن على بن أبى القاسم ، وحضر إلى القاهرة سنة ٧٢٦ ومدح علاء الدين بن الأثير ، الذى أوصله إلى السلطان الناصر بن قلاوون . وله ديوان كبير ، أعيد طبعه عدة مرات .

ومن أشهر قصائده بديعيته التى يستهلها بقوله :

خلع الربيع على غصون جبابة

حللا فواضلها على الكثبان الخ

أنظر كتاب (فنون العربية) للدكتور محمد محمود فهمى وآخرون ط القاهرة سنة ١٩٧٩ .

إنما الحيزبـــون والدردبيـــس والطخا والنقـــاخ والعطلبيــس
والعطاريس والشقحطيب والشرقـ ـب والجربصيص والقيطمـــوس
والجراجيح والعفنـــقس والعفـ ـلق والطرفـــان والعطـــوس
لغـــة ، تنفـــر المسامـــع منها حين تروى ، وتشمئز النفـــوس
وقبيح أن يسلك النافر الوحـ ـشي منها ، ويتـــرك المأنـــوس
إن خير الألفاظ ما طرب السا مع منـــه ، ويتـــرك المأنـــوس
درست هذه اللغات ، وأضحى مذهب الناس : مايقول الرئيس
إنما هذه القلـــوب .. حديـــد ولذيـــذ الألفـــاظ مغناطيـــس

ولعله – أي الحلى – كان يعنى نفسه بكلمة : (الرئيس) ، فى عجز البيت السابع .. أى رئيس الشعراء غير منازع ، كما نقول فى أيامنا هذه : أمير الشعراء وسيد البلغاء الخ .. ومهما يكن من شىء ، فإن (الجاحظ) يحسم هذا الأمر ، بقوله : «وكما لا ينبغى أن يكون الكلام عاميا ، وساقطا سوقيا فكذلك لاينبغى أن يكون غريبا وحشيا ... وكلام الناس فى طبقات ، كما أن الناس أنفسهم فى طبقات ، فمن الكلام : الجزل والسخيف ، والمليح والحسن ، والقبيح والسميج ...»(٤) .

وفى فصل : (تجديد التعابير) ، يسوق الكاتب رأيا للأستاذ أحمد أمين ، رحمه الله ، عن الشاعر الحديث – يقول فيه منددا «بالذى يبكى الأطلال ولا أطلال ، ويرى لزاما أن نستمد من حياتنا الواقعية ، ومن كل مايحيط بنا ، جملاً حية ، تلائم ما فى نفوسنا ، وأن نخترع عبارات من المجازات والتشبيهات ، والاستعارات والكنايات ، نستمدها من الحياة التى نعيشها ، والمخترعات التى نستخدمها ، وما وصلت إليه علوم : النفس والاجتماع ، والسياسة والاقتصاد» ويعقب الدكتور العمارى ، على هذا الرأى ، بقوله : «وقد استرعى انتباهى فى كلمة الأستاذ أحمد أمين ، قوله : ويبكى الأطلال .. ولا أطلال .. وهى عبارة تبناها كثير من دعاة التجديد ، يعيبون بها ، مَنْ يسمونهم المقلدين والمحافظين» «وليس العيب أن يبكى الشاعر الديار ، وأن يقف عندها ، وأن يذكر ماضيها ، وماكانت عليه ، وماكان فيها من أحباب (كما فعل ناجى فى قصيدته الأطلال مثلا) .. فهذا ليس قصراً على عصر دون عصر ، فليست الديار التى يترحل عنها أهلها ، أو يهجرها ساكنوها ، هى ديار الجاهليين فحسب ، بل توجد تلك الديار فى كل عصر» «كل هذا ليس بعيب ، وإنما العيب أن يترسم الشاعر خطى شعراء الجاهلية فيبكى دارا غير موجودة ، أو يقف على طلل لا حقيقة له ، أو يبتدىء بهذا البكاء قصيدة ، فى غرض آخر ، على طريقة المتقدمين» .

وهكذا نرى أن الدكتور العمارى ، قد انتهى إلى مشاركة الأستاذ أحمد أمين الرأى ، فى الفقرة الأخيرة ، بعد الاحتراز الذى قدمه فى الفقرة السابقة .

(٤) البيان والتبين ١/١٤٤

وفى حديثه عن (عبْر التاريخ) ، يذهب الدكتور العمارى إلى أنه : إذا كان يعيب الداعين إلى أطراح كل قديم ، فهو - أيضاً - ليس مع أولئك الذين يردون كل حديث ، مادام مصدره ، أو مبعثه : الرغبة فى التجديد .. ثم يسهب فى الحديث عن تاريخ الصراع بين القديم والجديد ، مبيناً أن التطرف ، لم يُحمد من أحد ، ويستشهد بقول شوقى - وهو يمتدح الأزهر الشريف ورجالاته ، وعلمائه وأعلامه :

لاتحذ حذو عصابة مفتونة ... يجدون كل قديم شىء منكرا
واخشع مليا ، واقض حق أئمة ... طلعوا به زهراً .. وماجوا أبحرا
كانوا أجل من الملوك جلالة ... وأعز سلطانا ، وأفخم مظهرا

وفى حديثه عن : (الشيوخ والشباب) ؛ يذكر أن بعض الشباب لديهم استعداد لأن يكونوا أدباء أو شعراء ، ولكن الذى قعد بهم ليس هو عدم اعتراف الشيوخ لهم بالتفوق ، ولكنها أسباب أخرى منها : حبهم المبكر للشهرة والظهور ، ومنها : قلة صبرهم على المطالعة والدرس ، ومنها : الغرور المتبجح ، الذى يبلغ ببعضهم أن ينشر كل مالفظته قريحته ، وإن كان غثا بارداً ! ثم يقول : ولئن كان عند بعض شيوخ الأدب (أنانية) ، فإنها لايمكن أن تقف مانعاً دون تيار الشيوخ إذا تدفق .

ويختم هذا الفصل الممتع ، بقوله : «العقاد حاول هدم شوقى لأنه كثير المدائح ، بل كان شعره - أى شوقى - حين أخرج العقاد وزميلاه (يعنى : المازنى وعبدالرحمن شكرى) - كتاب (الديوان) .. فى المديح .. وإن كان العقاد قد عاد فأثنى على شعر المديح ، وإذا كان الباعث عليه التقدير الخالص للممدوح ..

ولنا هنا ملاحظة هامة ، تعقيباً على قول الدكتور العمارى : فحواها : أن شكرى لم يشترك مع العقاد والمازنى فى تأليف كتاب (الديوان) سنة ١٩٢١ ، بل كان شكرى هو أحد من تناولهم هذا الكتاب بالنقد القاسى الموجع ، من يراع المازنى ، الذى كان صديقاً صدوقاً لشكرى ، ثم قلب له ظهر المجن ، بعد اتهام شكرى له ؛ بانتحال بعض معانى الشعر الانجليزى الرومانسى ، فى بعض قصائده[٥] ..

ومهما يكن من أمر ، فإن فصول كتاب (الديوان) فى النقد بصفة عامة ، تتفق واتجاه شكرى فى الأدب والنقد ، واشتراكه معهما فى مصادر الثقافة ، التى نهلوا جميعاً منها ، وصدروا عنها .. وعن الجفوة التى وقعت بين المازنى وشكرى ، قال العقاد فى رثائه لشكرى :

نفرا - وأصفى - بينهما ... نفرة ، ما عرفتُ فى القلب حقدا
أنا أدرى مالطوى بينهما ... من رضىً أصفى من الطلِّ وأندى
فيم كان البعد ، فيم اختلفا ... فيم كان الهجر : إمعانا وشدا
أفلا كان لقاءٌ بيننا ... قبل أن يفترقا : لغدا ولغدا ؟!

(٥) راجع مجلة الأزهر (رجب ١٤١٢ ، ومجلة الأزهر الحجة ١٤١٢) حيث أوضحنا القضية بحثاً .

شرح ومعاني جزء (عم) ●

تأليف الأستاذ / محمد عتريس

عرض وتقديم الأستاذ / أحمد أبو الفضل عوض الله

منهج المؤلف في شرح المعاني :

الكتاب شرح لجزء «عمّ» بمنهج جديد لخصه المؤلف بقوله : « ولقد وجدتُ زادًا طيبا ، وفتوحات عظيمة تفضّل الله بها عليّ من توفر على تفسير كتابه ، ومنها نهلت مادة هذا الكتاب الذى يتناول بالشرح والتوضيح معظم كلمات جزء «عمّ» ـ إن لم يكن جميعها ـ حسب ترتيبها فى آيات كل سورة ، مع بيان مواضعها ..

وفى سبيل ذلك يَرُدُّ الكتاب الكلمة إلى أصولها ومصادرها اللغوية لبيان اشتقاقها ، كما وردت فى معاجم اللغة مثل : «المعجم الوسيط» ، وفى معاجم القرآن مثل : « معجم ألفاظ القرآن الكريم» لمجمع اللغة العربية / القاهرة ويرجع المؤلف إلى كتب التفسير قديمها مثل : «تفسير القرطبى» ، وحديثها مثل : « تفسير الشيخ محمد عبده » ـ حينما يبحث عن معانى الكلمة .

كما يورد القراءات المختلفة للكلمة ، فهذه القراءات ـ كما يقول المؤلف «تزيد المعانى لمعاناً وبياناً » .

ويولى المؤلف : «العناية كاملة لمسائل النحو والإعراب بحسبانها الأساس فى بيان العلاقات بين الكلمات ، ومن ثَمَّ إبراز معانيها » .

ويلفت المؤلف بال القارىء إلى : « محيط البلاغة والفصاحة ، وإلى الثروة الزاخرة من الصور الحية المحتشدة فى سور جزء «عمّ» ، وإلى موسيقية الكلمات ، ووقع التراكيب وإيقاعاتها ، تلك التى تدفع الدمع إلى المآقى وتغرق السامع فى حالة من التجلى والنشوة الروحية .

وينقل المؤلف رأيا للعلامة الإنجليزى « آرثر آربرى » الذى شبّه محاولات النقاد تطبيق قياسات التحليل النقدى على القرآن العظيم بمحاولة قياس المحيط بالكستبان ، والكستبان : هو أصغر قالب يضعه الخياط فى أصبعه لدفع الإبرة داخل الثوب المخيط .

ويبنى المؤلف منهجه فى تفسير معانى جزء «عمّ» بقوله :

« لقد توالت ، ولسوف تتوالى ، اجتهادات بنى البشر فى مجال تفسير القرآن العظيم ، إلا أن

● وعد فضيلة مدير التحرير بكلمة تابعة لما ننشره عن هذا الكتاب وبعد اطلاعه على هذا المقال ، وجد به ما كان يود قوله فاكتفى به .. التحرير

اللفظ القرآنى يبقى ، والسياق القرآنى يبقى ، فى كل مرة ، أكثر ثراء ، وأوسع مدى ، ولا تزال إيحاءاته فى الذهن ، وآثاره فى القلب أكبر من كل التفسيرات والاجتهادات » .

وهكذا القرآن الكريم : كما ينسب إلى على بن أبى طالب : « فيه خبر ما قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار إلا قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، وهو الذى لا يبلى من كثرة الترداد ، وهو الذى لا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ .

فمن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا به هُدِىَ إلى صراط مستقيم .

التعريف بالمؤلف :

بعد أن عَرَفْتُ بمنهج المؤلف فى شرح معانى جزء «عمّ» أنتقل للتعريف به .. والطريف أن القارىء سيعجب ـ كما عجبت أنا من قبل ـ حينما يعلم أن المؤلف الأستاذ : محمد محمد عتريس إبراهيم وكيل الوزارة ـ بمجلس الشعب ، قد تخرج فى قسم اللغة الإنجليزية جامعة القاهرة عام ١٩٦١ . ثم حصل على ماجستير الترجمة الفورية والتحريرية عام ١٩٧٣ .

والجدير بالذكر ـ كما لمسته بنفسى ـ أنه يتقن اللغة العربية كما لو كان قد تربىّ فى أحضان البادية منذ نعومة أظفاره بين قبيلة بنى ربيعة ، فشبّ يتقنها إتقاناً ، يتحدث بها ويكتب بها ، وهى ميزة قلما تتوفر فى شخص واحد ، وعندما التقيت به لأول مرة فى مجلس الشعب أتتابنى إحساس بأنه واحد من أساطينها ، ولم أستطع إخفاء إعجابى به ، وأنا واحد ممن تخرجوا فى قسم اللغة العربية بآداب القاهرة ، وممن يبذلون أقصى جهدهم للحفاظ عليها ، ولكن لم يطل عجبى حين علمت أنه كان قد بدأ تعليمه بحفظ القرآن الكريم ، والقرآن ـ ولا شك ـ هو خير سبيل لتقويم اللسان العربى ، فهو الكتاب الذى تحدى كل إنسان وأعجز .

ـ والأستاذ : محمد عتريس له جاذبية خاصة حينما يتحدث ، تتمثل فى أناقة العبادة ورصانتها ، ودقة اختيار الألفاظ الموحية تماما بما يقصد التعبير عنه .

ـ عمل عند تخرجه فى التدريس والترجمة ، ثم تفرغ للترجمة حيث عمل فى جهات عديدة داخل وخارج مصر .

ـ اشترك فى ترجمة ومراجعة عدد من الكتب ، منها كتاب : «وسائل الإعلام المقارنة» . وله تحت الطبع كتاب « المصطلحات البرلمانية والتشريعية والسياسية » بالإنجليزية ، وملحق به معجم متخصص إنجليزى / عربى .

ـ كتب العديد من المقالات فى مجلات : الطيران المدنى ، الأهرام الاقتصادى ، ومجلة الأزهر ، وفى صحف : الأخبار ، الأهرام ، الجمهورية . ومن هذه المقالات : أحكام العدد وتمييزه من القرآن الكريم ، معجمنا العربى : ما له وما علينا ، المعاجم القرآنية .. تيسير وتفسير .

ـ كما ألجأه عمله فى حقل الترجمة إلى التعمق فى دراسة اللغتين العربية والإنجليزية ، وإلى التعامل اليومى مع المعاجم الإنجليزية والعربية ، ووجد أن المعاجم العربية قليلة قليلة ، بينما المعاجم الإنجليزية كثيرة كثيرة ، ووجد أن المعاجم الإنجليزية المتخصصة تغطى كل فروع العلم والفن والمعرفة .

التعريف بالكتاب :

صدر هذا الشرح لمعانى جزء «عمّ» فى سلسلة كتاب الجمهورية ، التى تصدر عن دار التحرير للطبع والنشر ، بالقاهرة . ولكتاب يقع فى ثلاثة أقسام من القَطْع المتوسط .

القسم الأول :

يقع فى (١٤٥) صفحة .. ويضم بين دفتيه : التقديم ، المؤلف ، والكتاب ، السور القرآنية الأولى من جزء «عمّ» :

● شرح ومعانى سور النبأ والنازعات ، وعبس ، والتكوير والانفطار والمطففين والانشقاق ولا يفوتنى قبل أن أعرض ـ نماذج من شرح ومعانى جزء «عمّ» التى ضمها القسم الأول ، أن أقدم بعضاً من تقرير فحص ومراجعة الكتاب الذى صدر عن الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة التابعة للأزهر الشريف فقد جاء فى هذا التقرير بتاريخ ١٦ / ٧ / ١٩٩٤ م : «نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ، ولا مانع من طبعه ونشره على نفقتكم الخاصة ، مع التأكيد على العناية الخاصة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة » .

ثم لننظر فى الكتاب :

قال المؤلف فى الصفحة السابعة من القسم الأول « كان القرآن الكريم محيط المعارف والأسرار ـ ومدده لا ينفد ، ومن منهله يمكن للعاشقين أن يغترفوا مادة قشيبة لمعاجم قرآنية متخصصة : بعضها فى العقيدة ، وبعضها فى الأحكام ، وثالث فى التعبيرات القرآنية ، وغيرها وغيرها » .

وعن طموحاته ، يعبر المؤلف عن آماله التى أرجو أن تتحقق لتثرى المكتبة القرآنية ، يقول المؤلف :

« يطمح كتاب : شرح ومعانى جزء «عمّ» أن يكون نواة لمعجم قرآنى متخصص يلح على توضيح وجلاء معنى الكلمة القرآنية متوسلا إلى ذلك باجتهادات المفسرين ومعاجم اللغة وعلوم الإعراب والقراءات والبيان وغيرها » .

لقد شغف المؤلف منذ كان طفلا صغيرا بحفظ سور جزء «عمّ» ، فتدرب لسانه ـ وهو لم يزل غضاً ـ على النطق الصحيح لمخارج الحروف والقراءة السليمة لقوله تعالى :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾

(١٥ ـ ١٧ ، التكوير

قوله :

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾

(١ ـ الهمزة)

وغيرها وغيرها مما تحفل به سور جزء «عمّ» من تتابعات صمية وعجيبة للحركات والسكنات والشدّات ، إلى أن يقول المؤلف : « ولما شرعنا فى

تعلم اللغات الأجنبية بعد ذلك ، كانت هذه الدُّرْبة الغالية ، وكان هذا المران العزيز ذخرا لنا على إجادة نطقها والتفوق فيها على الأقران . واهتزت وجداناتنا ونحن أطفال صغار – ولم تزل – للايقاعات المعجزة المتنوعة المبثة فى حنايا جزء «عمّ» رعبة مزلزلة فى مواقع :

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾

(١ – ٤ / الانفطار)

وهى رقيقة أنيسة فى مواقع أخرى :

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝٢٤ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴾

(٢٢ – ٢٥ / المطففين)

وغيرها وغيرها ، ونحن أطفال صغار ، استوقفتنا – ونحن لا نعى لماذا استوقفتنا – آيات عجب تقول :

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ (٤ – الفجر)

﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾

(١٨ – التكوير)

﴿ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾ أى النار

(٧ – الهمزة)

وغيرها وغيرها من مجازات وكنايات وبلاغات ما برحت تَشُدُّ المشاعر وتخلب الألباب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وما عليها ، إلى أن يقول : « وعلى امتداد عشرات السنين ، شاء الله أن يسر لى أسباب المطالعة والبحث فى كتب التفسير ومعاجم اللغة رجاء إطفاء غلة الظمأ إلى معرفة شىء عن هذه الأسرار العلوية التى تزخر بها سور جزء «عمّ» وكلها مكية .

فيما عدا سور : «الزلزلة[1]» و «البيّنة» و «النصر» ، ولها طابع خاص يجعلها وحدة فى موضوعاتها وإيقاعاتها وصورها ، وظلالها . إنها طَرَقاتٌ متوالية على الحِسّ ، وصيحات بِنُوَّمٍ مستغرقين فى سباتهم : أن هُبّوا واستيقظوا ، وانظروا وتدبروا – إن هناك إلهاً ، وإن هناك تدبيراً ، وإن هناك حِساباً ! .

نماذج من القسم الأول لشرح ومعانى جزء عمّ : مِهاداً :

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴾

٦ – النبأ (٧٨)

مَهَدَ الفراش يَمْهَدُه مَهْدًا : بسطه ووطّأه .

والمهاد : الفراش . والمِهَاد : المهد للصبى .

والمِهاد : اللَّيِّنُ كالمهد .

وجَعْلُ الأرضِ مهاداً للحياة – وللحياة الإنسانية بوجه خاص – شاهد لا يمارى فى شهادته بوجود الواحد المدبر من وراء هذا الوجود الظاهر ، فاختلال نسبة واحدة من النسب الملحوظة فى خلق الحياة هكذا بجميع ظروفها أو اختلال نسبة واحدة من النسب الملحوظة فى خلق الحياة لتعيش فى الأرض – الإختلال هنا أو هناك لا يجعل الأرض مِهاداً ، ولا يبقى هذه الحقيقة التى يشير إليها القرآن هذه الإشارة المجملة .

(١) سورة «الزلزلة» مدنية فى قول ابن عباس وقتادة ، ومكية فى أقوال ابن مسعود وعطاء وجابر ، وجاء فى تفسير ابن كثير أنها مكية .

فمثلا يكسو الماء ثلاثة أرباع قشرة الأرض ، ومن فوق المحيطات واليابسة كلها يوجد محيط من الهواء يسمى الجو ، ولولا هذا الجو لما كان على الأرض حياة . فالهواء يقف حائلا دون وصول أشعة الشمس القوية التى تقضى على الحياة . وتلك الأشعة التى يسمح لها الهواء بالنفاذ هى تلك التى ترفع الماء فى الهواء (بعد أن يتبخر من المحيطات) ويعود إلى الأرض فى شكل مطر تعيش بمياهه الكائنات الحية وتنمو و ٧٨ ٪ من الغلاف الجوى للأرض نيتروجين تحتاجه كل الكائنات الحية لأجل الغذاء ، و٢١ ٪ من هذا الغلاف هو غاز الأوكسجين اللازم للتنفس والاشتعال ، ولو زادت نسبته على ذلك لما أمكننا السيطرة على النار ولتحولت إلى حرائق تدمر كل شىء . وجاذبية الأرض لو قلت عما هى عليه الآن لتحول مشى الإنسان عليها إلى قفز . وتحدث قوة جاذبية القمر فى البحر حركتى المد والجزر اللتين تحفظان توازن الأرض وتجعلانها تدور بنفس السرعة دائما . وفى ضوء الشمس تأخذ النباتات الخضراء غاز ثانى أوكسيد الكربون من الهواء ، وبطريقة عجيبة تحتفظ بالكربون غذاء لها وتنفث الأوكسجين لتنفسه الكائنات الحية . أنظر كتاب Between Earth And Space تأليف كلايد أور .

ومن سورة «النازعات» نورد شرح معنى كلمة (تزكَّىٰ) : القسم الأول ص ٥٤ « تزكَّىٰ : تتزكَّىٰ وتطهر من الشرك وما يتبعه من رذائل الأخلاق . وقرأ نافع وابن كثير «تزَّكَّىٰ» بتشديد الزاى على إدغام التاء فى الزاى لأن أصلها تتزكَّىٰ . وقرأ الباقون «تزَكَّىٰ» بتخفيف الزاى على معنى طرح التاء . قال أبو عمرو بن العلاء فى معنى قراءة التشديد : الصدقة . وقال فى معنى قراءة التخفيف : تكون ذكيا مؤمنا . انظر «فتح القدير» للشوكانى ج ٥ ، ص ٣٧٧ . «هل لك إلى أن» أى : هل ترغب فى أن ؟ ويقال : هل لك فى كذا ؟ وهل لك إلى كذا ؟ بمعنى : هل ترغب فيه وإليه ؟ وهو استفهام يقصد به العرض والطلب ، وهو أفضل أنواعه وأرفقها باللطف والأدب .

نموذجان من القسم الثانى :

﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾

٣ ـ البروج ٨٥

اختلف فيهما ، فقال علىٌّ وابن عباس وأبو هريرة : الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة . روى ابن جرير عن النبى ﷺ أنه قال « اليوم الموعود يوم القيامة ، وأن الشاهد : يوم الجمعة ، وأن المشهود : يوم عرفة ، ويوم الجمعة ذخرهُ الله لنا » .

وقال الحسين بن الفضل : الشاهد هذه الأمة ، والمشهود : سائر الأمم ، بيانه :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ البقرة ـ ١٤٣

وقيل : الشاهد : الحَفَظَة : الملائكة الذين يحصون أعمال العباد . والمشهو : بنو آدم .

قال القرطبى : وقد يشهد المال على صاحبه ، ففى صحيح مسلم عن النبى ﷺ : « .... وإنه من يأخذه (أى المال) بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيداً يوم القيامة » .

وقيل : فى ذلك اليوم الذى تعرض فيه الأعمال ، وتعرض فيه الخلائق ، فتصبح كلها

مشهودة ، ويصبح الجميع شاهدين ، ويُعْلَمُ كل شيء ويظهر مكشوفاً .

اليسرى :

﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴾

٨ ــ الأعلى (٨٧)

اليُسْرَى : السَّهْل واليُسْر

لِلْيُسْرَى : للطريقة اليسرى ، وهى عمل الخير ، وقيل : توفقك للشريعة اليسرى ، وهى الحنيفية السمحة التى يسهل على النفوس قبولها ولا يصعب على العقل فهمها . وقيل اليسرى : هى الأمور الحسنة فى الدين والدنيا والآخرة .

هذه الآية بشرى لشخص الرسول وبشرى لأمته ، وتقرير لطبيعة هذا الدين ، وحقيقة هذه الدعوة .. إن الذى يسره الله لليسرى يمض فى حركة هينة لينة مع الوجود كله ، ومع الأحداث والأشياء والأشخاص ، اليسر فى يده ولسانه وخطوة ، واليسر فى تصوره وتفكيره ، واليسر مع نفسه ومع غيره . هكذا كان رسول الله ﷺ : « ما خُيِّر بين أمرين إلاَّ اختار أيسرهما ما لم يكن إثما » كما روت عائشة فيما أخرجه الشيخان .

نموذجان من القسم الثالث :

القَدْر (ليلة القَدْر) :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴾

(١ ــ ٢ ــ القدر (٩٧)

الضمير فى أنزلناه للقرآن ، وإن لم يتقدم له ذكر ، أُنْزِلَ جملة واحدة فى ليلة القدر إلى سماء الدنيا من اللوح المحفوظ ، وكان ينزل على النبى ﷺ نجوماً على حسب الحاجة ، وكان نزول أوله وآخره على رسول الله ﷺ على مدى ثلاث وعشرين سنة .

قَدَرَ الشيىء يَقْدِرُه قَدْرًا : بيَّن مقداره ، وقَدَرَ فلانًا : عَظَّمَهُ . ﴿ليلة القدْر﴾ : ليلة التقدير والتدبير ، فالله يُقَدِّر فيها ما يشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة ؛ أى أنه يريد أن يظهر ما قضاه فى الأزل من الأمور ، لا أنه يقدر ابتداء ؛ من أمر الموت والرزق والأجل وغيره ، فهى الليلة التى جاء ذكرها فى سورة «الدخان» :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۞ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۞ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۞ ﴾ سورة الدخان

وقيل : إنما سُمِّيت بذلك لعظمها وقدرها وشرفها . فهى الليلة الموعودة المشهورة التى سجلها الوجود كله فى فرح وغبطة ، ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلى ، ليلة بدء نزول القرآن على قلب محمد ﷺ بما تضمنه هذا القرآن من عقيدة وتصور وشريعة وآداب تشيع السلام فى الأرض والضمير .

قال عائشة : يارسول الله إن وافقتُ ليلة القدر فما أقول ؟ قال : قولى : « اللهم إنك عفوٌ تُحِبُّ العَفْو فاعْفُ عنِّى » .

لُمَزَة :

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾

١ ــ الهُمَزة (١٠٤)

لمزة يلمزه لمزاً : ضربه . ولمزه : عابه . ولمزه : أشار إليه بعينه ونحوها كالرأس أو الشفة مع كلام خفى .

واللمزة : العيّاب للناس ، ومن يعيب الناس فى وجوههم (للذكر والأنثى) .

« لكل همزة لمزة » ، قال ابن عباس : هم المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبُرآءِ العيب ، فعلى هذا : الهمزة اللمزة بمعنىً .

وقال النبى ﷺ : « شرار عبدا الله تعالى المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب »[٢] .

كشاف كلمات جزء عم :

تسهيلا للقارىء فى الوصول إلى معرفة شرح الكلمات التى ورد شرحها فى أقسام الكتاب الثلاثة ، ألحق المؤلف كشافا رُتِّبت فيه الكلمات ترتيبا (ألفبائيا) حسب النطق ، ووفق الحروف الأول للكلمات ، ودون اعتداد بأصل الكلمة الذى اشتقت منه ، أى أن القارىء لن يكون بحاجة إلى ردّ الكلمة ، التى يبحث عنها ، إلى مصدرها ، كما هو الحال بالنسبة لمعجمنا العربى ، وإنما سيجدها حسب ترتيب حروفها فى الكشاف ، وذلك على طريقة المعاجم الإنجليزية والفرنسية .

فكلمة « مَفَازًا » مثلا يطلبها القارىء فى حرف «الميم» مباشرة ، وهو الحرف الأول منها ، ولا يردها إلى مصدرها «فوز» كى يبحث عنها فى حرف : «الفاء» . وكلمة «مؤصدة» يطلبها القارىء فى حرف «الميم» مباشرة ، وهو الحرف الأول منها ، ولا يردها إلى مصدرها «آصد» كى يبحث عنها فى حرف «الهمزة» .

لكن على القارىء أن يجرد الكلمة من الحروف التى تلحق بأولها ومن هذه الحروف : أداة التعريف «أل» ، فكلمة «المعصرات» مثلا يُبحث عنها فى حرف «الميم» .

● وحروف العطف :

مثل كلمة : «فارغب» يُبحث عنها فى حرف الهمزة .

● وسين الاستقبال :

مثل كلمة : «سيصلى» يُبحث عنها فى حرف الياء .

● ولام التوكيد :

مثل كلمة : «لَيُنْبَذَنَّ» يُبحث عنها فى حرف النون .

● وحروف الجر : مثل كلمة : «بالحسنى» يُبحث عنها فى حرف الحاء ، بعد تجريدها من الباء ومن أداة التعريف .

● وأدوات الاستفهام : مثل كلمة : «أرأيتَ» يُبحث عنها فى حرف الراء .

● ولام التعليل : مثل كلمة : «ليرَوْا» يُبحث عنها فى حرف الياء .. وهكذا .

والدليل إلى معرفة مكان الكلمة : هو رقم الصفحة ؛ وقد أثبت الكشاف أمام كل كلمة ، رقم الصفحة التى وردت فيها هذه الكلمة .

(٢) رواه أحمد وابن شيبة والطبرانى عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبى ﷺ خيار عباد الله الذين إذا رُءوا ذكر الله . وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرآء العنت .

أهم المصادر :

في شرحه لمعاني جزء عم ، رجع المؤلف الأستاذ محمد عتريس إلى بعض كتب التفسير الهامة مثل : الكشاف : للزمخشري ، وتفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن الكريم ، تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير ، تفسير الجلالين : جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي . فتح القدير : للشوكاني ، تفسير جزء عم : للشيخ محمد عبده . صفوة البيان لمعاني القرآن : للشيخ حسنين مخلوف .. الخ .

ومن المعاجم : رجع المؤلف إلى طائفة من أهم المعاجم اللغوية .. وهي :

- معجم ألفاظ القرآن الكريم : مجمع اللغة العربية - بالقاهرة .
- لسان العرب : لابن منظور .
- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية .
- المعجم الوجيز : مجمع اللغة العربية .

وبعـــد

فلا يسعني - بعد أن قدمت وعرضت لهذا الجهد القيّم والجاد الذي بذله الأستاذ الفاضل :

محمد عتريس في كتابه : شرح ومعاني جزء عم - لا يسعني إلا أن أحيّي هذا الجهد المشكور لخدمة كتاب الله ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فقد تعهد الله - الذي أنزله على حبيبه ومصطفاه - بحفظه ، حينما قال ، وقوله الحق :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٣)

الحجر - ٩

(٣) ... وكنا نود - بعد جولة الكاتب ، وهو متخصص باختيار دراسته - أن يقدم نقداً ينتفع به القارىء والمؤلف معاً .. جزاه الله خيراً .. مجلة الأزهر .

بين المجلة والقارئ

تقديم الأستاذ عادل رفاعي خفاجة

شهر الصوم وشهر الخيرات والبركات

يقول الله - تعالى -: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[1] .

ويقول الرسول ﷺ : إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد »[2] .

شهر يزورُ من الخطيئة ، وتزوَّرُمنه ، وتعمر فيه المساجد بالذكر والقلوب بالتقوى ، وينتشر فيه التكافل والإنصاف بين الناس ، وتزداد الطاعات والعبادات .

شهر كريم ، يأبى إلا أن يكون شهر الخير والبركات . نسأل الله رب العرش العظيم أن يرزقنا حسن صيامه وقيامه حتى تنالنا الرحمة فالمغفرة فالعتق من النار .... إنه نعم المجيب .

ولقد حرص بعض القراء على المشاركة فى استقبال هذا الشهر الكريم ، فبادروا بإرسال مساهماتهم الأدبية .

وقبل أن نقدم مقتطفات منها نود أن يلتفت معنا القراء الكاتبين والقارئات الكاتبات إلى وجوب إثبات المصدر إذا كتبوا نصوصاً من أحاديث رسول الله ﷺ أو من الحكمة ، أو غير

(١) البقرة : ١٨٣ .

(٢) الحديث رواه البخارى فى باب (الريان للصائمين) .

ذلك . ولقد وصلنا روائع من هذا القبيل، وبعضها له لياقة التامة بشهر رمضان الكريم ، ولم يسعنا إلا أن نتركها لفقدها عنصر إثبات المرجع .

نقول ذلك آسفين ، مع تقديرنا الكامل للأستاذ مدرس الثانوى صاحب موضوع (رحمة العالمين ﷺ) وصاحبه : (ما يقال عند رؤية الهلال) وزميلتها كاتبة (من وصايا لقمان لابنه) .

ونحن - إذ نأسف لعدم النشر - نرجو أن تكون كتاباتهم المقبلة حريصة على تسجيل المصادر . وسوف ننشرها بمجرد وصول كتاباتهم التى تسجل مصادر كلماتهم .

وإلى القارىء مقتطفات من الرسائل :

صيام الجوارح

عن صيام الجوارح وردت رسالة القارىء خيرى محمد إبراهيم أبو الـروس كفـر الجرايدة/بيلا/كفر الشيخ ، تكلم فيها عن صيام العين ، وصيام الأذن ، وصيام القلب ، وفيما يلى ننشر مقتطفات من كل ذلك :

صيام العين : هو غضها عن الحرام وإغلاقها عما نهى الله - تعالى - عنه ؛ فإنها منفذ القلب وباب الروح .

ومن لم يحبس نظره أصيب بأربع :

أولها : تشتت القلب فى كل واد ، فلا يقر له قرار ولا يهدأ له بال ، ولا يجتمع له شمل .

ثانيها : إتعاب النفس بفقد ما نظرت وعدم الحصول عليه .

ثالثها : ذهاب حلاوة الطاعة والعبادة بإطلاق النظر .

رابعها : ذنب عظيم وإثم كبير .

صيام الأذن : الأذن أمانة ، وشاهدة أمام الله - تعالى - عما سمعت له ، والصالحون هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . وصيام الأذن صرفها عن سماع ما نهى الله عنه ، والإعراض عن الاستماع إلى الخائضين فى أعراض الناس ، وعن اللغو ؛ فإنه يجر إلى المعصية ، وللأبرار صيام عظيم عن كل ما يغضب الله - تعالى - فى شهر رمضان وغيره من الشهور ؛ لأنهم يعلمون أن رب رمضان هو رب كل الشهور .

من الناس من يملأ أذنيه بسماع النغمة المحرّمة والكلمة الآثمة والمجون الأثيم ، وحرم أذنيه سماع أجمل وأحسن وأطيب والكلام : القرآن الكريم والذكر الحكيم إن علينا أن نطهر آذاننا مما علق بها من الآثام بكثرة قراءة القرآن - وبخاصة - فى شهر القرآن .

صيام القلب : وصوم القلب عن الكبر ، والعُجب وعن الحسد والرياء وعن المداهنة .

فهذه تصيب القلب بالأمراض وتطفىء نوره وتُعطِّل سيره إلى الله - عز وجل - .

إن على المؤمن الصادق أن يصوم عن الكبر والعجب والحسد ، ويحذر تقلب القلب كما قال الشاعر :

ما سمى القلب إلا من تقلبه
فاحذر على القلب من قلب وتحويلا

ليلة القدر وكيفية إحيائها

القارىء : محمد كمال كامل الشامى ـ كلية التربية/أسيوط أرسل إلينا تلك الكلمة عن ليلة القدر :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾

الدخان : ٣

تدل الآية الكريمة العظيمة على (قدر) ليلة القدر ومنزلتها ؛ ففيها تنزيل كلام رب العالمين ، وهى ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ القدر ـ ٣ . وقد اختصها الله ـ عز وجل ـ بنزول الملائكة فيها بإذن رب العزة لهم ؛ فيملأون جنبات الأرض ... » .

وعن كيفية إحياء هذه الليلة الكريمة كتب سيادته :

أول ما يجب أن يُفعل فى هذه الليلة هو استقبالها بإخلاص النيّة لله ـ عز وجل ـ وعقد العزم على قراءة ما تيسر قراءته من القرآن الكريم ، لتلتقى القراءة فى هذه الليلة مع مناسبة النزول ، ثم التقرب إلى الله بالدعاء ، فهو نعم المولى ونعم النصير » .

قرآنيـــات

وتلقينا هذه المساهمة من القارىء : عماد ميزار عبد العظيم جابر من محافظة الفيوم ـ قرية الأعلام عن القـــرآن وسوره وآياتـــه تحت عنـــوان « قرآنيات » يقول ـ على عهدته :

عدد سور القرآن : ١١٤ سورة

عدد أجزاء القرآن : ٣٠ جزءاً

عدد أحزابه : ٦٠ حزبا

عدد أرباعه : ٢٤٠ ربعاً .

عدد آياته : ٦٢٣٦ آية .

أطول سور القرآن : سورة «البقرة» وعدد آياتها ٢٨٦ آية .

أقصر سور القرآن : سورة «الكوثر» وعدد آياتها ثلاث آيات .

أطول آية : آية الدَّين وهى رقم ٢٨٢ من سورة البقرة وكلماتها ١٢٨ كلمة .

أقصر آية : طه . وهى الآية الأولى من سورة (طه) .

وأما أطول كلمة فهى :

﴿ فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾ من الآية ٢٢ من سورة الحجر .

وتعتبر سورة المجادلة : السورة الوحيدة فى القرآن الكريم كله التى ذكر اسم الله فى كل آية من آياتها .

التوكل على الله والأخذ بالأسباب

يقتضي التوكل على الله ـ تعالى ـ والاستعانة به ـ سبحانه ـ في إنجاح المقصود ـ أن تمارس الأسباب .

حول هذا المعنى وردت إلينا رسالة القارىء / سالم مهني عبد العظيم محمد من شبرا النونة ـ إيتاي البارود ـ البحيرة .

كثيراً ما يقع الإنسان في شدة ، أو تنزل به نازله ، فيفكر في أمره ، ويقدر ويدبر ؛ مبتغياً النجاة والخلاص ، فلا يجد إلى الهدى سبيلاً ، قد عميت عليه سبل النجاة ، فيسلم نفسه لليأس ، وما كان عليه إلا أن يتوجه إلى الله خاشع القلب ، صادق النيّة ، يسأله أن يكشف عنه الضر ، فهو ـ جل شأنه ـ غياث المستغيثين ، ومجير المستجيرين ، ومأمن الخائفين حتى تناله من الله الرحمة واللطف ويخلصه من شدته ، فهو القائل ـ جل شأنه ـ :

﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾

النمل (٦٢)

ثم يتوكل على الله ـ تعالى ـ ويجب ألا يفهم من التوكل ما يفهمه الجاهلون من أن التوكل مجرد كلمة تلوكها الألسن ، ولا تعيها القلوب ، وتتحرك بها الشفاه ، ولا تفهمها العقول ، أو هو نبذ للأسباب وترك العمل ، تحت شعار « التوكل على الله والرضا بما تجري به الأقدار » لا فإننا لا نعرف ما جرى به القدر فعلينا العمل ، فإنما المسلم من يفهم التوكل على الله بإحضار كافة الأسباب المطلوبة لأي عمل من الأعمال ، فلا يطمع في ثمرة بدون أن يقدم بذرتها ، ولا يرجو نتيجة ما دون أن يضع مقدماتها ثم التوكل بعد ذلك يكون نوعاً من الطاعة ، لأن إثمار تلك الأسباب وإنتاج تلك المقدمات مرده إلى الله ـ تعالى ـ هو ـ وحده ـ القادر عليه دون سواه .

إذن ، فالتوكل عند المسلم هو عمل وأمل مع هدوء قلبي وطمأنينة نفس ، واعتقاد جازم بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وعلينا أن نتدبر قول الرسول الكريم ﷺ : «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً» أخرجه الترمذي وحسنه .

ثابت بن قيْس الخزرجي

أما القارئة : شرين عبدالله نجيب ـ مدينة نصر فتشارك بتقديم بعض المعلومات عن ثابت بن قيس الخزرجي تقول :

« كان السكون مخيماً ، ورسول الله ﷺ يتلو قول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾

سورة الحجرات (٢)

وإذا بشخص ينفرد جانبا وعيناه مغرورقتان بالدموع إنه «ثابت بن قيس الخزرجي» صاحب الصوت الجهوري ، استدعاه الرسول ﷺ وسأله عما به فأجابه ثابت : لخوفي أن أكون من أصحاب النار ، لجهارة صوتي .

فيهدىء الرسول الكريم من روعه ويقول له : إنه سيعيش حميداً ويموت شهيداً ، مبشراً إياه بأنه من أهل الجنة ، وتنفرج أسارير ثابت ، فقد نال الوسام من رسول الله ﷺ .

ويعود ثابت ، خطيب الخزرج وشاعرها ، يتمنى أن يجاهد الأعداء . وحدث ما تمناه ، فشارك فى (قريظة) ، و (المصطلق) وظل يقاتل حتى لقى الله ، شهيداً ، فائزاً بما بشره به رسول الله ﷺ .

ردود وتعليقات

● **الطالب أ . ح . جامعة عين شمس :**

اطمئن ، لم تتجاوز الحد ، ويسعدنا أن يصلنا شىء مفصل .

● **القارىء : محمد عبدالمهيمن عبدالشكور ـ المنيا ـ دير مواس ـ العمارية الشرقية :**

يمكنكم الاشتراك بمجلة الأزهر عن طريق قسم الاشتراكات بجريدة الأهرام ، القاهرة ـ شارع الجلاء .. أما الاشتراك عن سنوات سابقة منذ عام ١٩٨٠ .. فقد نفدت أعدادها .

● **القارىء : أحمد فتحى السيد محمـــد ـ سمسطا ـ بنى سويف :**

وصلنا نشيدك للبوسنة ورجال البوسنة وندعو الله معك أن يوفق أهل البوسنة إلى إعادة البناء .

● **القارىء : حاتم إبراهيم محمد سلامة ـ معهد منوف الأزهرى ـ قرية سنجرج :**

وصلتنا رسالتك عن رؤية الله ـ تعالى ـ ومنها قول الرسول الكريم ﷺ : « إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر » متفق عليه .

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يمتعنا وإياكم بالنظر إليه .

● **عريف/محمد حشيش ـ القاهرة ـ المرج :**

أهلا بكم صديقاً عزيزاً ، وفى انتظار إسهاماتك وإبداعاتك .

● **القارىء : السيد سليمان السيد سليمان ـ الهيئة العامة للصرف الصحى بالاسكندرية :**

نشكر لكم حسن متابعتكم ، وقد تم نشر ملاحظتكم فى عدد شعبان ١٤١٦ هـ . ونأمل مواصلة الكتابة ، والمراسلة .

● **القارىء : شحاته أحمد أبو بكر ـ ببا ـ بنى سويف :**

أخى الكريم :

إذا لم ترعيناك أى جميل ، ورضيت لها أن تكون على مناعة من هذه الرؤية ، فهى بالضرورة ستجد كل شىء قبيحا ... لا عليك . ففى الكتاب العزيز :

(أ) ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ..... ﴾ وفيه .

(ب) ﴿ **عليكم أنفسكم** ﴾ .

مع أخلص تحياتى

● **القارىء : خالد هاشم أحمد ـ الجيزة يسأل عن المسابقة السنوية التى تقام فى شهر رمضان بإشراف الأزهر ووزارة الأوقاف .**

نفيدكم بالآتى :

شروط هذه المسابقـــة موجـــودة بوزارة الأوقاف . والأزهر لا يشترك مع الوزارة فيها . يمكنكم السؤال بمكتب الاستعلام بالوزارة .

من إبداعات القراء

من نفحات رمضان

رمضانُ شهرُ البرِّ والنفحاتِ ... وتلاوةُ القرآنِ في إخباتِ
شهرٌ أتانا بالصيامِ تقرباً ... لله كي نحظى بخيرِ صلاتِ
فالصومُ يوقظ في النفوسِ ضمائراً ... غرقت طويلاً في عميقِ سُباتِ

* * *

الأجرُ فيه على الدوامِ محققٌ ... والبذلُ فيه يضاعفُ الحسناتِ
فالمحسنون يواصلون جُهودَهم ... لينالوا عفوَ اللهِ بالقرباتِ
والذاكرون يرطِّبون لسانَهم ... مستغفرين اللهَ في الخلواتِ

* * *

في ليلةِ القدرِ التي وعدوا بها ... ما يكْفِهم من متعةٍ وهباتِ
الله شرَّفها وأعلا قدرَها ... مصداقُ ذلك محكمُ الآياتِ
يا باغي الخيراتِ أسرعْ لاتني ... حتى تفوزَ بأطيبِ الثمراتِ

* * *

يا صائماً إن كان صومُك كاملاً ... ستنال حتماً عالي الدرجاتِ
لكن إذا كان الصيامُ ملوثاً ... لن تجنيَ إلا منتهى الحسراتِ
واختمْ صيامك بالزكاةِ فإنها ... تُغني الفقيرَ وتمسحُ الآهاتِ

بقلم :
خيرى عبدالباسط السيد
القاهرة ـ ٦ أ شارع أحمد حاتة بسراى القبة

رسائلكم وصلت

السادة الأساتذة : إبراهيم الحفناوى ـ إبراهيم محمد رزق ـ إبراهيم محمد على ـ أبو شرف الدين ـ أحمد البسيونى ـ أحمد عبد الفتاح عبد المعطى ـ أسامة الأشمونى ـ أشرف الصعيدى ـ أشرف على جاد الله ـ الطالب / أ . ح بعين شمس ـ السعيد الريس ـ تمام محمد عبد الرحيم ـ حاتم إبراهيم سلامة ـ حبيش حسن ـ خالد محمد بكرى ـ ربيع الإكيادى ـ ربيع الزواوى ـ رمضان الأقرع ـ سيد حسين صالح ـ شريف مرشدى ـ شحاتة أبو بكر ـ شوق محمد محمود ـ طارق صابر سرحان ـ طلاب معهد الإمام المراغى ـ طه حامد أفندى ـ عادل على إسماعيل ـ عبد الباسط عبد الشافى أحمد ـ عبد رب النبى محمد على ـ عبد الحميد فتحى ـ على سيد جودة ـ عيد محمد إبراهيم ـ فتحى عبد الصادق عز ـ فتوح نصار ـ فراج حسن فراج ـ فؤاد شعيب ـ كمال عبد المنعم خليل ـ كمال محمد حميدة ـ لعمرى مدنى ـ ـ ماهر أحمد صوفى ـ محجوب كامل محمود ـ محروس عبد الفتاح ـ محروس محمد موسى ـ محمد الأمين كميتى ـ محمد أحمد مكرم ـ محمد الدمرداش ـ محمد سعد لطفى ـ محمد خيرى أبو ربيع ـ محمد عبد الفتاح على ـ محمد كامل الشامى ـ محمد محمد عثمان ـ محمد محمود حمام ـ محمود أبو سعيد ـ محمود على عبد التواب ـ مصطفى العمرى ـ مصطفى كمال عيسى ـ نجاح سرور ـ هانى المطيرى ـ وائل محمود حسن .

كما وصلتنا رسائل القارئات :

أم هاشم حسين يوسف ـ آمنة أحمد مكرم ـ نعيمة مبروك رجب ـ رجاء السروان .

● وبمشيئة الله ـ تعالى ـ يواصل الباب اهتمامه بعرض الرسائل التى تلقاها وبتلقاها تباعاً .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين/ عمر البسطويسي ، مصطفى عبد المجيد

برقية شكر من السيد رئيس الجمهورية لفضيلة الإمام الأكبر

بعث السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية ببرقية الشكر التالية إلى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف رداً على برقية التهنئة التى بعث بها فضيلته لسيادته بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج ، وهذا نصها :

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف .

يسرنى أن أبعث إليكم وأسرة الأزهر الشريف بوافر الشكر على تهنئتكم الرقيقة بذكرى الإسراء والمعراج وما حملته من مشاعر طيبة ، داعيا الله ـ تعالى ـ أن يعيدها عليكم بالصحة والسعادة وعلى مصرنا العزيزة والأمة الإسلامية بالخير والبركات .

وكل عام وأنتم بخير

محمد حسنى مبارك

١٥٠ ألف طالب يؤدون امتحانات الشهادتين الإعدادية والثانوية الأزهرية

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على اختيار رؤساء ومساعدى لجان امتحانات الشهادتين الإعدادية والثانوية ، التى يؤديها أكثر من ١٥٠ ألف طالب وطالبة ، كما وافق فضيلته على اختيار أعضاء لجان النظام والمراقبة للكنترولات لهاتين الشهادتين .

وقد أصدر فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف : القرار التنفيذى لاختيار أعضاء هذه اللجان ، حيث تقرر أن يكون فضيلة وكيل الأزهر : المشرف العام على الامتحانات ، وأن يكون فضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية رئيسا عاما لها ، يعاونه فضيلة الشيخ فؤاد البرعى وكيل القطاع ، وأن يكون فضيلة الشيخ سامى الشعراوى الرئيس العام لامتحانات الشهادة الثانوية الأزهرية .

بدء اختبارات الإعارات

لمدرسي الأزهر الشريف

وافق فضيلة الإمام الأكبر على بدء إجراء اختبارات الإعارات والبعثات لمدرسي المعاهد الأزهرية ، لاختيار المستوفين لشروط التقدم تمهيداً لإعارتهم خلال العام الدراسي القادم ٩٦ / ١٩٩٧ .

وقد أصدر فضيلة وكيل الأزهر الشريف القرار التنفيذي لبدء الاختبارات ، والتي تقرر أن تعقد : بمجمع مدينة نصر النموذجي بالقاهرة ، وتجرى في : حفظ القرآن الكريم ، والتمكن من اللغة العربية والفقه والتفسير والحديث النبوي الشريف ، واللغات الأجنبية لمن سيتم إيفادهم للدول غير الناطقة باللغة العربية .

المؤتمر الدولي الرابع

لهندسة الأزهر تحت رعاية شيخ الأزهر

وتحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ورئاسة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ، عقد المؤتمر الدولي الرابع الذي تنظمه كلية الهندسة بجامعة الأزهر كل عامين أقيم المؤتمر تحت عنوان « البحوث الهندسية وتحقيق الجودة » وقد شهد الجلسة الافتتاحية التي عقدت يوم الثلاثاء الموافق ٢٢ رجب ١٤١٦ هـ ١٩٩٥/١٢/١٥ م ، نائباً عن فضيلة الإمام الأكبر فضيلة الشيخ وكيل الأزهر الشريف ، الذي أكد في كلمته أمام المؤتمر على دور الجامعات في حل مشكلات المجتمع ، وطالب فضيلته : الجامعات وكليات الهندسة والكليات العلمية بضرورة المساهمة مع الأزهر الشريف للارتقاء بمستوى التعليم والبحث العلمي .

كذلك أكد رئيس جامعة الأزهر في الكلمة التي ألقاها في الافتتاحية : على أن الجامعة سوف تستمر في دعم البحث العلمي في كافة الاتجاهات بالاضافة إلى تنظيم المؤتمرات العلمية ومد جسور التعاون مع الجامعات في مصر وخارجها .

كما شهد الجلسة الأولى الدكتور محمد إبراهيم سليمان وزير الاسكان والمجتمعات العمرانية ، ولفيف من أساتذة جامعة الأزهر والجامعات الأخرى ، المشاركة في المؤتمر .

هذا وقد شارك في هذا المؤتمر علماء وباحثون من أكثر من ٣٥ دولة لمناقشة أكثر من خمسمائة بحث علمي في ثمانية مجالات هندسية شملت : الهندسة الميكانيكية والكهربية والتعدينية والمدنية والمعمارية والتخطيط العمراني والنظم والحاسبات والبترول .

الدكتور رشاد خليل

وكيلاً للشريعة والقانون

أصدر رئيس جامعة الأزهر قراراً بتعيين الأستاذ الدكتور / رشاد خليل أستاذ الفقه المقارن وكيلا لكلية الشريعة والقانون بالقاهرة .



قوافل التفتيش بالأزهر

أنهت قوافل التفتيش التي شكلها قطاع المعاهد الأزهرية لمتابعة سير الدراسة بالمعاهد الأزهرية على مستوى محافظات الجمهورية .

وصرح فضيلة الشيخ محمد بشير عبد العال رئيس قطاع المعاهد الأزهرية أن قوافل التفتيش قامت بعملها من الناحيتين : الدراسية والإدارية .

قام بأعمال التفتيش : المستشارون والموجهون الأوائل ، وبعض الموجهين وقيادات قطاع المعاهد الأزهرية .

ترشيح أساتذة جامعة الأزهر

لجائزة الدولة التقديرية

وافق مجلس جامعة الأزهر على ترشيح ستة من الأساتذة الأعضاء بهيئة التدريس بالجامعة لجائزة الدولة التقديرية لعام ١٩٩٥ لإنتاجهم العلمي والأدبي المتميز ، وهم الأساتذة :

الدكتور نبيل عبدالحميد عيسى في مجال العلوم الطبيعية .

الدكتور طارق على حسن في المجال الطبي .

الدكتور محمد أحمد اسماعيل العرقي في مجال العلوم الهندسية .

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في مجال الفنون والآداب .

الدكتور محمود طه أبو العلا في مجال العلوم الاجتماعية .

حركة ترقيات بهيئة التدريس

بجامعة الأزهر

وافق مجلس جامعة الأزهر برئاسة الأستاذ الدكتور رئيس الجامعة على ترقية وتعيين اثنين وأربعين أستاذا وأستاذا مساعدا ومدرساً بكليات الجامعة بالقاهرة والأقاليم ، شملت الحركة عدد (٩) أساتذة و (٢٢) أستاذا مساعداً وأحد عشر مدرساً .

كليتان للدراسات

الإسلامية بمدينة السادات

وافق الدكتور محمد إبراهيم سليمان وزير الإسكان والمرافق والمجتمعات العمرانية على تخصيص مبنيين بمدينة السادات لافتتاحهما كليتين ، أحدهما للدراسات الإسلامية والعربية للبنين ، والأخرى للبنات .

كما وافق سيادته على تخصيص مساحة ٥٠٠ فدان على مدخل مدينة السادات بالطريق الصحراوي (القاهرة ـ الأسكندرية) لإنشاء توسعات مستقبلية لمختلف الكليات الأزهرية .

وقد أعلن المهندس أسامة الإسناوى رئيس جهاز مدينة السادات بأنه قد تمت الموافقة على تخصيص ١٠٠٠ وحدة سكنية لهيئة التدريس والطلاب والعاملين بجامعة الأزهر فرع مدينة السادات ، ومن المقرر أن تبدأ الدراسة بهاتين الكليتين العام الدراسي القادم بمشيئة الله ـ تعالى .

مبعوثو الأزهر إلى الفلبين وتايلاند وكوالالمبور

أوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ، فضيلة الدكتور عبد الله مبروك النجار الأستاذ المساعد بكلية الشريعة والقانون ، وفضيلة الدكتور على جمعة عبد الوهاب الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر .

وذلك لحضور المؤتمر العام لعلماء المسلمين الفلبيين الذى عقد فى المدة من ٢٣ / ١٢ / ١٩٩٥ إلى ٣٠ / ١٢ / ١٩٩٥ م تحت رعاية رئيس جمهورية الفلبين ، لتوحيد وتنسيق العمل الإسلامى هناك ، ومناقشة المشاكل التى تواجه العالم الإسلامى فى الوقت الحالى وكيفية القضاء عليها طبقا للمعاهدات والقوانين التى تبرم بين الدول الإسلامية .

وأوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف : فضيلة الدكتور أحمد عيسى المعصراوى المدرس بكلية التربية قسم الدراسات الإسلامية - جامعة الأزهر - وعضو لجنة المصحف الشريف بالأزهر ، إلى تايلاند لحضور الاحتفال الذى أقامته دولة تايلاند فى الفترة من ٢٨ - ٣٠ ديسمبر ١٩٩٥ بمناسبة المولد النبوى الشريف .

حيث شارك فضيلته فى إجراء المسابقات التى عقدت لحفظ وتلاوة القرآن الكريم فى هذه المناسبة الكريمة .

وقد شارك فى الاحتفالات : الأمير ولى العهد وكبار رجال الدولة والمسئولين .

أوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فضيلة الشيخ محمد يوسف عفيفى عضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف إلى كوالا لمبور بماليزيا وذلك للاشتراك فى اجتماع الدورة العاشرة للجنة تنسيق العمل الإسلامى المشترك فى مجال الدعوة والذى يعقد فى الفترة من ١٢ - ١٥ يناير ١٩٩٦ .

وقد قدم فضيلته ورقة عمل عن : كيفية الإسهام وتبادل المعلومات بين المنظمات والجمعيات الإسلامية العاملة فى مجال الدعوة الإسلامية ، ويرافقه فى هذه الرحلة السيد السفير د / فتحى مرعى مستشار السيد وزير الخارجية .

خطة للنهوض بدور جامعة الأزهر الشريف فى الدعوة

أعلن رئيس جامعة الأزهر بأنه تقرر إنشاء أول كلية للدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية فى أسوان ، واستكمال شعب الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية فى كلية اللغات والترجمة بمدينة نصر ، فى إطار خطة جديدة للنهوض بدور جامعة الأزهر فى مجال الدعوة .

كما أعلن فضيلته بأن الخطة تتضمن أيضاً تطوير الدراسة بكلية الدعوة وأقسام الدعوة بكلية أصول الدين للنهوض بمستوى الدراسة وتخريج دعاة قادرين على مواجهة التحديات والقضايا المطروحة .



أصدر فضيلة الإمام الأكبر قراراً بالموافقة على سفر أصحاب الفضيلة الآتية أسماؤهم إلى البلاد قرينة اسم كل منهم

الجهات الموفد إليها	الاســـم	رقم
المركز الإسلامي فى هيمتون رودس الولايات المتحدة الأمريكية	الشيخ محمد على بدران	١
المركز الإسلامي فى هيوستون الولايات المتحدة الأمريكية	الشيخ إبراهيم يوسف محمد البنا	٢
المركز الإسلامي فى كنفرفيل (كنيفرال) بولاية تكساس ـ الولايات المتحدة الأمريكية	الشيخ محمد محمد عبدالعال تعفون	٣
المركز الإسلامي فى هامبتون بولاية فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية	الشيخ عبدالعزيز أحمد إبراهيم ندا	٤
الجمعية الإسلامية بمدينة زيورخ بسويسرا	الشيخ احمد نور الدين محمد محمد أحمد	٥
المؤسسة الثقافية الإسلامية بجنيف بسويسرا	الشيخ أحمد نور الدين محمد محمد أحمد	٦
الجمعية الإسلامية بكانبرا باستراليا	الشيخ سعد سلامة الألفى سعيد	٧
المركز الإسلامي بولاية جنوب استراليا	الشيخ أحمد أحمد ابو راس	٨

٩	الشيخ عبداللطيف حامد سالم القرارى	مسجد الأزهر الشريف سيدنى استراليا
١٠	الشيخ السيد على خليفة محرم	المركز الثقافى الإسلامى التابع لجمعية الدعوة الإسلامية هولاندا
١١	الشيخ الصاوى محمد عبدالمجيد خميس	المركز الثقافى الإسلامى التابع لجمعية الدعوة الإسلامية هولاندا
١٢	الشيخ معوض مبروك عباس	المركز الثقافى الإسلامى التابع لجمعية الدعوة الإسلامية هولاندا
١٣	الشيخ محمد محمد محمد العلباوى	المركز الإسلامى الجنوبى فى التيجمرى بفنزويلا
١٤	الشيخ محمد محمد محمد الشيخ	المركز الإسلامى فى سيد لباك الولايات المتحدة الأمريكية
١٥	الشيخ عبدالله السيد على المصرى	المركز الإسلامى فى جنوب ابلان ـ تكساس الولايات المتحدة الأمريكية
١٦	الشيخ شعبان محمد عوض حسن	مؤسسة سعيد الحنفى الإسلامية فى مراكينو بفنزويلا
١٧	الشيخ عبدالفتاح محمد إبراهيم سيد أحمد	دار الافتاء بأريتريا
١٨	الشيخ محمد محمد مشهور خليفة	دار الافتاء باريتريا
١٩	الشيخ عبدالموجود عبدالحكم حسين على	مجلس شيخ الإسلام ـ تايلاند



٢٠	الشيخ أحمد محمد جاب الله يوسف	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ أسبانيا
٢١	الشيخ سرور مهدى فرحات محمد	المركز الإسلامي ـ تورنى بيتورا ـ أسبانيا
٢٢	الشيخ حسن على على الخصوص	المركز الإسلامي ـ لاتروطى ـ أسبانيا
٢٣	الشيخ عرفة حسن عبدالموجود حسن	المركز الإسلامي ـ مدينة ساو باولو
٢٤	الشيخ محمد محمد أحمد الطايش	المركز الإسلامي ـ مدينة ساو باولو
٢٥	الشيخ محمود عبدالدايم فرج صالح	الجالية الإسلامية ـ جواتيمالا
٢٦	الشيخ فتحى شحاتة حسن رحيم	مجلس العلماء ـ زمبابوى
٢٧	الشيخ سعد حامد محمد الخولى	مدغشقر
٢٨	الشيخ محمد محمد فتح الله إبراهيم	المركز الثقافى الإسلامى بروما
٢٩	الشيخ السيد محمد محمد عبدالعاطى	هولاندا
٣٠	الشيخ أحمد محمد موسى حنين	سيدنى ـ أستراليا
٣١	الشيخ مرسى أبوالوفا قدرة	ولاية نيوجرسى ـ الولايات المتحدة الأمريكية
٣٢	الشيخ سعد عبدالحميد عوض جويدة	ولاية هدسون ـ الولايات المتحدة الأمريكية

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ مجدي عبد الحميد بشير

عمان

أصدر المؤتمر الاستثنائي للاتحاد البرلماني العربي بياناً في (عمان) رفض فيه المجتمعون قرار الكونجرس الأمريكي بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس والتأكيد على عروبة القدس ، إذ السلام العادل والشامل لا يمكن تحقيقه إلا بتطبيق القرارات الدولية التي دعت إسرائيل للانسحاب الكامل من الأراضي العربية المحتلة ، واتخذ الاتحاد قراراً برفض قرار الكونجرس باعتباره يتنافى مع الشرعية الدولية ، ويؤكد على مستقبل المدينة المقدسة ، وناشد النيابيون العرب دول العالم عدم نقل سفاراتهم إلى القدس ، وعدم الاعتراف بها عاصمة لإسرائيل ، واعتبار القدس عاصمة للدولة الفلسطينية الوليدة .

المعروف أن هذا المؤتمر عقد على هامش المؤتمر السابع للحوار البرلماني العربي الإفريقي بالعاصمة الأردنية .

اليمن

رفضت اليمن اقتراحاً من أريتريا بنشر مراقبين دوليين في (جزر حنيش) الكبرى بالبحر الأحمر ، وقال وزير خارجية اليمن ـ في مؤتمر صحفي : إن بلاده ترفض تدويل الجزيرة والنزاع حولها ، واستبعد لجوء بلاده للخيار العسكري ، وأكد وجود وساطات جارية في الوقت الحالي ، وأضاف أن اليمن تصر على حل النزاع في إطار القانون الدولي ، وقانون البحار ، وذلك لأهمية أرخبيل حنيش وجدير بالذكر أن كلا من مصر وفرنسا وأثيوبيا تتوسط لحل النزاع بين البلدين المسلمين بالطرق السلمية منعاً لإراقة الدماء ، وحرصاً على استتباب الأمن في تلك المنطقة الحيوية من العالم .

الجزائر

قام الرئيس الفلسطيني بزيارة الجزائر لإجراء محادثات مع الرئيس الجزائري ، وصرح في مؤتمر صحفي بأن الانتخابات الفلسطينية تتم في المناطق المحررة من الضفة الغربية وقطاع غزة في الوقت المحدد لها ومن المقرر أن تشارك الجزائر في الانتخابات الفلسطينية كمراقب ضمن سبع من دول عدم الانحياز عهد إليها مهمة (تقييم) عملية نزاهة الانتخابات .

قال ياسر عرفات :

إن هذه الانتخابات تضع الأساس لإنشاء الدولة الفلسطينية المستقلة ، ويتنافس فيها أكثر من ثمانمائة مرشح لشغل ٨٨ مقعداً تعتبر عدد مقاعد البرلمان الفلسطيني أما الانتخابات الرئاسية فيتنافس فيها إلى جانب السيد ياسر عرفات السيدة سميحة خليل ٧٢ سنة .

وعن مؤتمر باريس للدول المانحة للمساعدات الفلسطينية أعرب عرفات عن أمله فى أن تترجم إلى واقع ملموس .

وعن المفاوضات على المسار الفلسطينى الإسرائيلى حول السلام أكد سيادته أن شهر ذى الحجة القادم ـ مايو) سيشهد المرحلة النهائية للمباحثات بين الجانبين فى كل المسائل وفى مقدمتها القدس الشريف وهى العاصمة الموحدة للدولة الفلسطينية الوليدة ، وكذلك مسألة المستوطنات التى تمثل عقبة كأداء فى سبيل تحقيق السلام .

دمشــــــــــق

واصل وزير خارجية أمريكا جولاته المكوكية من أجل السلام بزيارات كان آخرها زيارته لكل من سوريا وإسرائيل ، وأوضح سيادته أنه ناقش مع المسئولين فى البلاد التى زارها عملية السلام فى الشرق الأوسط خصوصاً على المسار السورى وقال ـ فى مؤتمر صحفى مع كل من رئيس وزراء إسرائيل والعاهل الأردنى : إن هناك بداية طيبة لمرحلة جديدة فى العملية السلمية ، وذلك نتيجة للتقدم الذى نشأ عن اللقاءات التى جرت فى ولاية (ميرى لاند) بأمريكا مؤكداً أن حجـــم الانسحاب وعمقه أمر هام .

الشيشـــــان

واصل المجاهدون الشيشان نضالهم المشرف من أجل الاستقلال . لكن المقاتلين أرغموا على التوقف بعد نسف الجسر الذى كان مقرراً عبورهم عليه إلى داخل الشيشان ، وذلك فى خيانة سافرة للشروط المتفق عليها بينهم وبين السلطات الروسية . والمعروف أن المجاهدين أفرجوا عن ألفى رهينة قبل مغادرتهم (كيزيليار) أمـــا فى (جروزنى) العاصمة الشيشانية فقـــد هدد (الرئيس جوهر داود) الذى تمت العملية الفدائية تحت قيادة زوج ابنته بأحداث أخطر ، وقال ـ فى مقابلة نشرتها مجلة شيشانية : إن الوضع بكامله تحت سيطرته ، ولم يستبعد تكرار عمليات المقاتلين الشيشان إذا استمرت الحرب .

جاء ذلك فى لقاء أجرى مع الرئيس الشيشانى فى أحد المخابىء الجبلية الوعرة بالشيشان .

البوسنه والهرسك

استأنف أطراف النزاع فى البوسنه والهرسك مفاوضاتها فى النمسا لوضع قرارات تتعلق بانفراج عسكرى فى الوقت الذى تبادلت فيه القوات البوسنية والكرواتية القذف المدفعى فى (مدينة موستار) المقسمة ، كما عقد مسئولون رفيعو المستوى من الدول المعنية اجتماعات مغلقة تحت رعاية منظمة الأمن والتعاون الأوربى تطبيقاً لاتفاق السلام فى (ريتون) .

أعلنت القوات متعددة الجنسيات فى العاصمة البوسنيـــة أنها تملك صلاحيات لوقف الأعمال الإرهابية الصربية .

A ce moment-là tu ne seras point pardonné pour avoir suivi aveuglément tes parents, ta communauté ou des gens puissants.

[Quand ils verront le châtiment, quand tous les liens seront coupés, quand ceux qui auront été suivis désavoueront ceux qui les ont suivis]

Sour. "Al Baqara" (La Vache) v166-167.

[Les faibles diront à ceux qui étaient orgueilleux : "Nous avons suivi votre exemple; pouvez-vous (à présent) nous préserver du châtiment d'Allah?"]

Sour. "Ibrahim" (Abrahâm) v21.

[Ils disent plutôt : "Nous avons trouvé nos ancêtres qui suivaient toujours la même voie, et nous avons été guidés par leur exemple"].

Sour. "Al Zukhruf" (L'orenement) v22.

La porte du repentir est largement ouverte, à tout moment et pour tout le monde. Allez-y, pendant qu'il est encore temps.

[Ô Mes serviteurs! Vous qui avez commis des excès à votre propre détriment, ne désespérez pas de la clémence d'Allah : Allah pardonne tous les péchés"].

Sour. "Al Zumar" (Les groupes) v53.

L'Islam est un message universel adressé à toute l'humanité. Quiconque veut embrasser l'Islam a le droit de le faire sans avoir besoin d'intercesseur entre lui et Son Seigneur, ni d'autorisation préable de n'importe quelle autorité religieuse ou humaine.

[Nous t'avons envoyé à tous les humains, uniquement comme annoncateur de la bonne nouvelle et comme avertisseur].

Sour. "Saba" v28

Aprés mûre réflexion, choisis pour toi-même la voie que te dicte la saine raison; et souviens-toi de ces paroles d'Allah- le Très - Haut :

[Pas de contrainte en religion : la voie de la raison se distingue de celle de l'erreur].

Sour. "Al Baqara" (La Vache) v256

Dr. Rokeya GABR

gences et des crimes commis par les humains. Toutefois, la pollution et la dégradation des eaux-qu'il s'agisse de fleuves ou de mers - n'avait pas à l'époque d'explication naturelle. Ce n'est que vers la fin du XXe siècle que le monde a commencé à prendre conscience de la pollution aussi bien des eaux potables que des eaux de mer, ce qui représente une menace pour les trésors aquatiques. C'est là certes une prédiction qui date de quatorze siècles, et qui est une preuve du caractère miraculeux du Coran.

Conclusion

Cher Lecteur,

A présent que tu viens de lire cette étude qui t'expose simplement, objectivement et logiquement les preuves des vérités scientifiques énoncées dans le Coran et qui témoignent de la véracité du message de l'Islam, tu es - à partir de maintenant - responsable devant ton Seigneur, Allah - le dieu Unique - qui t'a créé et qui t'a envoyé ce message. Peut-être, dans un moment de vérité, te libéreras-tu de toute idée préconçue et tu sauras alors que ce n'est point une plaisanterie mais une affaire sérieuse : tu n'as point été créé en vain, ni par hasard :

[Pensiez-vous que Nous vous avions créés par pur divertissement et que vous ne seriez pas ramenés vers Nous?]

Sour. "Al Mu'minûn" (Les Croyants) v115.

Une fois que tu as eu les preuves sous les yeux, tu deviens apte à être jugé pour être rétribué ou puni. Il n'y a point à hésiter : hâte-toi de suivre l'appel de la Vérité avant qu'il ne soit trop tard : le terme d'une vie humaine peut-être bien court et ne dépend pas de toi.

[Allah n'accorde aucun sursis à celui qui est arrivé au terme de sa vie]

Sour. "Al Munafiqûn" (les Hypocrites) v11.

[Tu étais inconscient de cela. Nous avons oté ton voile et ta vue est perçante aujourd'hui]

Sour. "Qaf" v22.

[Le jour du Jugement Dernier, personne ne viendra à ton secours : ni ton clan, ni tes enfants, ni tes biens]

Sour. "Al Chu'ara' " (Les Poètes) v88

[Ils ont qualifié de mensonge ce qui ne relève point du domaine de leur savoir et ce dont ils n'ont pas encore reçu l'interprétation].

Sour. "Yûnus (Jonas) v39.

D'autre part, le Coran a prédit la conquête de la Mecque, alors que le message de Mohammad - b.s. - était attaqué de toutes parts par les adversaires de l'Islam.

[Selui qui t'a chargé du Coran, te ramènera certes à un beau lieu de séjour].

Sour. "Al Qasas" (Le Récit) v85.

[Allah a confirmé la vérité de la vision accordée à Son Prophète : Vos entrerez certes dans la Mosquée Sacrée, par la volonté d'Allah].

Sour. "Al Fath" (Le succès) v27.

Quelques années avant la mort du Prophète Mohammad - b.s. - les perses avaient fait subir une grande défaite aux romains et avaient conquis Jérusalem en l'an 614-615 J.C. Or, le Coran a prédit, contre toute attente à cette époque, que les romains remporteraient une victoire sur le perses.

[Alif, Lâm, Mim (A-L-M) Les romains ont été vaincus dans la terre la plus voisine. Mais, après leur défaite, ils seront vainqueurs]

Sour. "Al Rûm" (Les Romains) v1à3.

Or, cette victoire inattendue eut lieu à la suite d'une bataille décisive en l'an 622 J.C.; ce qui confirma la vérité des prévisions coraniques.

Enfin, Le Coran a prédit la pollution de l'environnement sur terre comme sur mer - par la main des humains.

[La corruption est apparue sur terre et dans la mer par suite de ce que les homme ont accompli de leur propres mains].

Sour. "Al Rûm" (Les Romains) v41.

Il n'est peut-être pas étrange de prévoir la dégradation et la pollution sur terre qui sont les conséquences naturelles des guerres, des négli-

donc une sourate semblable à cela, et faites appel à qui vous pouvez, en dehors d'Allah, si vous êtes véridiques"]

Sour. "Yûnus" (Jonas) v38.

[Si vous avez quelque doute au sujet de ce que Nous avons révélé à Notre serviteur, apportez donc une sourate semblable à ceci, et faites appel à vos témoins, en dehors d'Allah, si vous êtes véridiques]

Sour. "Al Baqara" (La Vache) v23

[Dis : "Si les humains et les djinns s'unissaient pour produire quelque chose de semblable à ce Coran, ils ne produiraient rien qui lui ressemble même s'ils s'aidaient mutuellement]

Sour. "Al Isrâ' " (Le Voyage Nocturne) v88.

Le Coran a également prédit que les vérités, le savoir et les secrets qu'il renferme, n'étaient point connus de la communauté à laquelle appartenait Mohammad - b.s. - à l'époque où eut lieu la Révélation. Ce n'est que graduellement que l'humanité a commencé à comprendre l'interprétation scientifique exacte de plusieurs versets coraniques dont le sens paraissait obscur aux humains.

[Nous leur montrerons Nos signes dans l'univers et en eux-mêmes, jusqu'à ce qu'ils voient clairement que c'est bien la Vérité]

Sour. "Fuçilat" (Ont été détaillés) v 53.

[Chaque nouvelle a un temps et un lieu fixés pour sa réalisation, et vous l'apprendrez un jour].

Sour. "Al An'am" (Le Bétail) v67

[Il vous montrera bientôt ses signes et vous les reconnaîtrez].

Sour. "Al Naml" (Les Fourmis) v93

[Vous en appendrez sûrement la nouvelle après quelque temps].

Sour. "Çad" v88.

Ce qui est miraculeux, c'est que le Coran a affirmé que le corps du Pharaon (de Moïse) serait conservé intact afin de servir de leçon pour les générations à venir :

[Mais aujourd'hui, Nous allons sauver uniquement ton corps, afin que tu sors un signe pour ceux qui viendront après toi].

Sour. "Yûnus" (Jonas) v 92.

20. Les prévisions Historiques :

Le Coran a prédit des événements qui se sont produits et qui n'auraient pu l'être si le Coran n'était pas une Révélation d'Allah, L'Omniscient.

La première de ces prédictions c'est la conservation du Coran à travers les âges, bien qu'il ait été révélé dans une communauté où régnait l'analphabétisme. Or, c'est le seul Livre divin dont le texte n'a subi aucune modification ni aucune falsification depuis quatroze siècles.

[Nous avons fait descendre le Rappel et c'est Nous qui en assumons la conservation].

Sour. "Al Hijr" v 9.

La seconde prédiction, c'est l'impossibilité pour n'importe quel humain de produire un discours qui soit semblable au Coran. Or, les Arabes étaient célèbres par leur éloquence; toutefois, ils ont été incapables de produire un discours qui puisse ressembler à l'éloquence du Coran dans la noblesse des idées, la beauté de l'expression, la composition rhétorique et surtout son effet sur l'âme de celui qui l'écoute. L'histoire a prouvé que, jusqu'à nos jours, aucun humain n'a pu relever ce défi. Ainsi le Coran est resté unique en son genre, totalement différent aussi bien de la prose que de la poésie des humains : un "Coran" inimitable :

[Ou bien ils disent - "Il l'a forgé de toutes pièces." Dis : "Apportez donc dix sourates forgés par vous et semblables à ceci, et faites appel à qui vous voulez, en dehors d'Allah, si vous êtes véridiques"]

Sour. "Hûd" (Houd) v13.

[Ou bien ils disent : "Il l'a inventé" Dis : "Apportez

Les Preuves Scientifiques de l'Islam.

Extrait de l'ouvrage

Traduit par Dr. Rokeya Gabr

(suite)

18. L'Histoire Naturelle :

La paléontologie est la science qui fait des recherces en vue de connaître les aspects de la vie préhistorique sur terre, ainsi que l'histoire des ères géologiques, et cela au moyen de l'observation des fossiles animaux et végétaux.

Or, Le Coran invite à faire ces recherches dans le verset :

[Parcourez la terre et voyez comment Il a commencé la création]

Sour. Al 'Ankabût' (L'Araignée) v20.

19. Pharaon et Moïse :

Plusieurs siècles se sont écoulés avant qu'on ne découvre - grâce à la pierre de Rosette - l'histoire des anciens égyptiens dont les vestiges restèrent longtemps enfouis sous terre.

Ensuite furent découvertes les tombes royales et les momies pharaoniques qui dévoilèrent aux hommes les secrets de ce passé lointain. Les hommes purent alors voir comment, au moyen de la momification, les corps des pharaons ont pu être conservés intacts après leur mort, (par exemple ceux de Thotmos, Ramsès et Aménophis). Or, ce dernier est - au dire des histoirens - le Pharaon qui périt noyé en poursuivant Moïse - à lui salut - et le peuple juif.

On a également trouvé toutes les momies des rois de la dixhuitième dynastie qui étaient contemporains de la lutte du peuple d'Israël avec le roi d'Egypte.

C'est au mois de Ramadân que le Corant fut révélé pour guider tous les humains vers la raison, et cela grâce à ses explications claires qui mènent à faire le bien et qui distinguent la Vérité de l'erreur, pour tous les temps et toutes les générations. Celui qui assite à ce mois en étant bien portant, sans être malade ni en voyage, doit le jeûner; quant à celui qui souffre d'une maladie que le jeûne risque d'aggraver ou qui voyage, il est autorisé à ne pas jeûner, à condition de compenser les jours du mois non jeûné . Allah ne veut pas vous imposer de contraintes par Ses prescriptions, mais Il vent ce qui est aisé pour vous. Il vous a indiqué le mois du jeûne et vous a aidé à le reconnaître, afin que vous vous acquittiez exactement du nombre de jours qu'il faut jeûner, que vous exaltiez la grandeur et la grâce d'Allah qui vous a guidés.] (Interprétations du verset 185 de la Sourate "Al Baqara)

Comme l'Islam est la religion universelle, elle est pratiquée par des musulmans qui vivent dans tous les coins du monde, des pôles à l'équateur, aussi bien dans l'hémisphère nord que dans l'hémisphère sud du globe terrestre. Or, il est juste qu'il n'y ait pas l'hommes qui jeûnent, par exemple, toujours en hiver alors que d'autres jeûnent toujours en été, car une saison fixe avantagerait certains jeûneurs tout en étant pénible pour d'autres. Ce changement des saisons de jeûne permet une juste répartition des avantages et des difficultés parmi les musulmans qui observent le jeûne du mois de Ramadân. En outre, cette rotation habitue le musulman ou à jeûner en toute saison. On remarque ainsi que, dans toute prescription imposée par l'Islam aux humains, il y a toujours présent un souci de rendre ces prescriptions faciles à mettre par les fidèles.

C'est donc avec une ample miséricorde qu'Allah — le Très-Haut — a imposé le jeûne aux musulmans; de plus, le Miséricordieux rétribue largement le fidèle qui jeûne le mois de Ramadân, comme en témoigne le Hadith suivant du Prophète Mohammad — b.s. — :"Quiconque jeûne le mois de Ramadân, en étant mû par la foi et sans convoiter de récompense, verra tous ses péchés absous."

Amr Ahmad Mokhtar

qui vous ont précédés.] Ce jeûne vise à cultiver en vous l'esprit de dévotion, à affermier votre âme et à vous éduquer.

L'Islam est la dernière religion révélée à l'humanité, sa mission est une suite et une mise au point de toutes les religions révélées précédentes qui proviennent toute d'une même source.

A l'époque du Prophète Ibrahim (Abraham), les Sabéens observaient un jeûne de trente jours sans manger ni boire, du lever du soleil jusqu'à son coucher mais ils faisaient cela en signe d'adoration pour la lune.

La prescription d'un mois de jeûne en Islam est donc une restauration de la religion "Hanéfite" du Prophète Ibrahim, en l'honneur d'Allah, le créateur de la terre et des cieux. En effet, le Coran condamne l'adoration du soleil ou de la lune ou de toute autre divinité en dehors d'Allah.

Les juifs jeûnent également. Les plus pieux d'entre eux jeûnent le lundi et le jeudi en mémoire des deux jours où Moïse — à lui salut — monta et revint du Mont "Al Tor" ou Sinaï. Ils jeûnent Vingt-quatre heures, certains jours de l'année dont le 10 du mois de Muharram ou "Achura" chez les musulmans.

Les premiers chrétiens observaient le Carême: c'étaient 36 jours réservés à l'abstinence et à la pénitence en souvenir du Christ.

Rappelons que le jeûne existe aussi dans d'autres religions, telles que la religion hindoue, boudhiste etc, mais il n'est observé nulle part comme il l'est chez les musulmans.

Le temps fixé pour le jeûne prescrit en Islam.

Les juifs et les chrétiens — comme les hindous — observent le jeûne suivant l'année solaire, de sorte que le temps fixé pour le jeûne revient toujours à la même saison. Quant aux musulmans, ils observent le calendrier lunaire; ainsi leur jeûne du mois de Ramadan est déclaré de dix jours par rapport à l'année solaire et passe graduellement et successivement par toute les saisons de l'année.

En effet, le Coran nous apprend que: [Ces jours de jeûne ont lieu durant le mois de Ramadân auquel Allah attribue un grand mérite.

Le Jeûne en Islam.

Dr. Amr Ahmad Mokhtar

Allah — gloire à Lui — a dit :

"Toute oeuvre du fils d'Adam lui revient, excepté le jeûne: il M'est dû et c'est Moi qui en fixe la rétribution"

(Hadith du Prophète — b.s. — rapporté par Abu Huraïra)

La suite de ce Hadith souligne que le jeûne est une protection et une préservation contre les péchés que l'homme peut commettre en se laissant guider par ses instincts et ses passions.

C'est pourquoi, on trouve dans le Coran la prescription du jeûne exprimée dans la Sourate "Al Baqara" (La Vache), où le verset 184 nous expliqué ceci:

[Le jeûne vous a été prescrit pour un nombre limité de jours qui auraient pu être plus nombreux si Allah l'avait voulu. Il ne vous a pas chargés dans le jeûne de ce qui est au-dessus de vos forces. Ainsi, celui qui souffre d'une maladie pour laquelle le jeûne est nuisible, ou celui qui est en voyage est autorisé à ne pas jeûner et à remplacer ces jours non jeûnes après sa guérison ou son retour de voyage. Quant à celui qui n'est ni malade ni en voyage, mais pour qui le jeûne est pénible, et cela pour une raison permanente, telle que la vieillesse ou un mal incurable, il a le droit de ne pas jeûner du tout, mais il doit nourrir un nécessiteux qui ne possède aucun moyen de subsistance. Quant à celui qui s'acaquitte de jeûnes surérogatoires — en plus du jeûne prescrit — cela est meilleur pour lui, car le jeûne est toujours un bien pour celui qui connaît véritablement les actes de dévotion].

Le jeûne en Islam et dans les autres religions :

Dans le verset 183 de la Sourate "Al Baqara", Allah — gloire à Lui — nous dit: [Le jeûne a été prescrit pour vous comme il a été prescrit à ceux

REVUE AL AZHAR

Vol 68. Part IX

Ramadan 1416 Hijrah, Jan./ Feb. 1996.

Section Française

of a full stop and Y. Ali's use of a semicolon between the two conjoined elements. One may still feel that Coordination by 'and' is basically weak for contrastive purposes in English.

It could, therefore, be concluded that the coordinator /wāw/ in Arabic need not necessarily be translated into 'and'. Otherwise, it would constitute a literalness that might spoil the fundational and communicative value as well as the rhetorical beauty contained in the original. To overcome this problem, one may substitute the /wāw/ for any other coordinator or sentence connector that may suit its original meaning. This is clear in the rendering of:

Sura 83, Verses 1-3:

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝

Notice that the coordinator /wāw/ which is used to link verses 2 to 3, connects the two conditional sentences in an adversative relationship. Thus, it is rendered as 'but' by all translators.

Arberry (635):

"Who, when they measure against the people, take full measure
but, when they measure for them or weigh for them, do skimp."

Y. Ali (1616):

2. Those who, when they
Have to receive by measure
From men, exact full measure,
3. But when they have
To give by measure
Or weight to men,
Give less than due.

Khatib (796):

"Who, when they take a measure from people, take it in full,
but when they measure for them, or weigh for them, they skimp."

Pickthall (795):

2. Those who when they take the measure from mankind demand it full,
3. But if they measure unto them or weigh for them,
they cause them loss.

Nevertheless, translators are sometimes not successful in their rendering of the /wāw/, as Sura 82, Verses 13-14 illustrate :

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾

Al-Sabuni (1976 : Vol. 3 : 529) clarifies trhe fact that the adversative relationship between the two conjoined nominal sentences is expressed by the coordinator /wāw/. This adversative and contrastive relationship distinguishes two classes of people : the righteous people who will be in bliss and the wicked people who will be in hell. However, the four translators, in rendering this verse, follow what they consider to be the literal and simple equivalent of the coordinator /wāw/. Their versions are illustrated as follows :

Khatib (796) :

"Surely the devout will be amidst felicity.
And certainly the libertine will be amidst al-Jahīm."

Y. Ali (1613) :

13. As for the Righteous,
They will be in Bliss;
14. And the Wicked -
They will be in the Fire.

Arberry (634) :

"Surely the pious shall be in bliss,
and the libertines shall be in a fiery furnace."

Unfortunately, it is believed that much of the emphatic adversative sense is lost by inserting the coordinator 'and' in English. 'But', 'while' or 'whereas' would be better contrastive equivalents. Pickthall offers us something a bit stronger;

Pickthall (795) :

"13. Lo! the righteous verily will be in delight.
14. And Lo! the wicked verily will be hell;"

At least the emphasis on the meaning of adversation is repeated in Pickthall's version by other devices. Perhaps, the separation of the second conjoined sentence with its coordinator from the first gives it more independent and contrastive sense. The same is with Khatib's use

Unlike his rendering of verses 4 & 5, Arberry uses the negative conjoined structure 'not ... and ... not' in verses 2 & 3.

Arberry (664) :

"I serve not what you serve
and you are not serving what I serve."

The change in Arberry's attitude towards the conjoined structures of the above verses shows inconsistency. Moreover, his use of different tenses, present simple in verse 2 conjoined with the present continuous in verse 3, and present perfect in the second part of verse 4 with the present simple in the second part of verse 5 proves his inconsistency.

Finally, Y. Ali and Pickthall use similar attitudes in rendering the above verses. However, they differ in that Y. Ali uses the negative conjoined structure, 'not ... and ... nor', whereas Pickthall uses : 'not ... nor ... and'. Their versions are represented as follows :

Y.Ali (1708) :

2, I worship not that Which ye worship.

According to Crystal (1980:338), when subordinators are used, the linguistic units "have different SYNTACTIC status, one being dependent upon the other, and usually a constituent of the other." Second, in the original meaning of the conjoined structure which may have a great communicative effect on the reader.

Moreover, it is believed that Arberry's, Y. Ali's and Pickthall's renderings of this /wāw/ as 'and' is unacceptable in English. This is due to the fact that one of the main rules of Coordination in English, according to Radford (1989:76), is that "Only identical categories can be conjoined, automatically." Thus the only way to overcome this difficulty is to replace the coordinator 'and' by another sentence connector such as 'for' as in Khatib's version. Even though this may change the conjoined structure on the formal and syntactic levels, yet it still maintains accuracy on the functional and semantic levels. According to Newmark (1988), what concerns the reader more is accuracy of the message rather than the formal similarities between the SL text and the interpreted version of the TL.

tion of the coordinator 'and' before 'neither', spoils the meaning and makes Khatib's translation a failure.

Suggested translations of the above verses could thus be illustrated as follows :

Suggested Versions :

a. He does not beget, nor is He begotten and there is no equal to Him."

or

b. He neither begets nor has he been begotten, and there is no equal to Him.

Perhaps the second interpretation with the correlative 'neither ... nor' gives more emphasis to the meaning of the text rather than with 'not ... nor'.

In addition to the above examples, substitution of one coordinator for another plays an essential role in conjoining idnetical constituents. An example for illustrations.

Sura 109, Verses 2-5 :

لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾

Perhaps Khatib's negligence of the coordinator /wāw/ in verses 4 & 5 and replacing it with the correlative "neither ... nort," besides the inversion of word order in both verses may, to some extent, be successful due to its emphatic influence on the reader, as compared to the original text :

Khatib (824)

"Neither am I worshipping what you worship, nor are you worshipping what you worship."

This same attitude of substituting for the /wāw/ is adopted by Arberry. However, Arberry differs in that he uses the correlative 'neither ... nor' in its inverted form in verses 4 & 5. This ivnersion may be used to give more emphasis, even if it is not acceptable in English.

Arberry (664) :

"Nor am I serving what you have served,
neither are you serving what I serve."

143), these correlatives "strenthen the connection between two coordinated elements." Their role is to emphasize the fact that two ideas are involved.

By examining the four translations under study, we will find that Arberry is the only one who uses the first method in rendering the three conjoined VPs : /lam yalid/, /lam yulad/ and lam yakun la-hu kufw-an ?ahad/.

Arberry (667) :

"Who has not begotten, and has not been begotten, and equal to Him is not any one."

The only mismatch which Arberry makes is the excessive use of 'and'. He should have dispensed with one 'and', that which links the second conjoined element to the first. This is because the comma is sufficient.

Y. Ali and Pickthall, on the other hand, adopted the second method in rendering the above verses, but by using the negative construction 'not ... nor' instead of the correlative 'neither .. nor'.

Y. Ali (1714) :

3. He begeteth not, Nor is He begotten;
4. And there is none Like unto Him.

Pickthall (825) :

"3. He begetteth not nor was begotten.
4. And there is none comparable unto Him."

Consequently, Y. Ali and Pickthall have succeeded in reproducing a stylistic effect similar to that of the original text.

Finally, Khatib tries in his version to give a new method of rendering, unlike that adopted by the other preceding translators.

Khatib (826) :

"He begets not, nor has He been begotten, and neither is there any equal to Him."

However, Khatib's approach is not successful. Instead of inserting the negative particle 'neither' before the first conjoined element, he postpones it to the third. This change of word order, besides the inser-

Difficulties in Translating Coordination

in Qur'anic Verses

PART IX

By Maha Yousry El Tagouri Ph.D.

Substitution of Coordinators with the /wāw/ :

In the following instances translators have selected other coordinators or conjunctions like subordinators or sentence connectors to substitute for the /wāw/. Substitution is applied, even though the particle used may not be identical to that of the original; yet it can overdo in at least certain contexts, without significant changes in the conceptual content of the utterance.

However, these particles may sometimes deviate from the functional and, consequently, communictive effect of the SL text. Examples of substitution for the /wāw/ can be illustrated as follows :

Sura 112, Verses 3-4 : لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝

The structure of Coordination in the above verses differs from one version to another. This mainly depends on how each translator attempts to reproduce the stylistic effect of the negation introduced by /lm/ in the SL text. The negative construction /lam .. wa lam/ in CA is believed to have two ways of being rendered into English :

i. not ... (and) not ... and not

ii. neither ... nor ... and
   not ... nor ... and

However, it is believed that the correlatives 'neither ... nor', the same as 'either ... or', are better be used to link only two conjoined elments and not three. According to Daiker, Kerek & Morenberg (1979 :

1. Wet dreams, The prophet (PBUH) is reported to have said : "A man's fast is not spoiled for involuntary vomiting or wet dreams".
2. Unintentional eating or drinking, the prophet (PBUH) is reported to have said : "A man who fasts and absentmindedly eats or drinks must conclude his fast, because Allah has fed and drunk him".

Disliked (Makrooh) actions while fasting :

The disliked actions while fasting are as follows :

1. To chew gum, on one condition: that it does not go down throat.
2. To collect one's saliva in the mouth and then swallow it, trying to quench one's thirst.
3. To complain of hunger and thirst.
4. To gargle more than the necessity.
5. To take water too much up the nostrils when cleaning the nose.
6. To argue, quarrel, use filthy or indecent words.
7. To backbite, tell a lie, swear, ..., etc.

5. To increase recitation of the Holy Qur'an.
6. To observe I'tikaf (Seclusion) inside the mosque and during the last ten days of Ramadan. Women can observe seclusion at home.

NULLIFICATION OF FASTING

The following are the actions which nullify one's fast and necessitate the observance of making up fast only :

1. To let water to go down the throat whilst, gargling, knowing that one is fasting.
2. To vomit a mouthful intentionally or to return the vomit down the throat.
3. To eat or to drink in error forgetting that one is fasting and thereafter to continue eating and drinking, thinking that the fast is broken.
4. To break the fast before time thinking that the sun has set, and then realizing one's fault.
5. To inhale smoke, snuff, etc, voluntarily.
6. To swallow blood from bleeding gums.

If any of the above actions occur while fasting, the fast will be broken and makes compensatin compulsory. Eating or drinking or breaking the fast of Ramadan in any other manner, for example, smoking, etc., deliberately and without a valid reason, will make both making up and Kaffaarah necessary.

Kaffaarah is to fast continuously for sixty days. However, If this is not possible due to continued sickness or ill-health, then one is permitted to discharge the Kaffaarah in any one of the following ways :

1. To feed sixty poor Muslims two meals.
2. To feed one poor Muslim two meals for sixty days.
3. To give to sixty poor Muslims 3.5 pounds.

(approximately 1.6 Kilograms) of wheat or its value in cash or kind to each person.

Things which don't spoil fasting :

Briefly they may be summed up as follows :

month, the devils are chained. In this month there is a night which is worth more than one thousand months".

Who must fast ? :

Fasting Ramadan is compulsory upon every Muslim, male or female, who has the

following qualifications :

1. To be a Muslim.
2. To be of age
3. To be sane and able (mentally and physically fit)

Who is exempted from fasting ?

Those who are exempted from fasting are as follows :

1. Children under the age of puberty and discretion.
2. The insane people and no compensation on them.
3. Men and women who are too feeble to undergo the obligation of fasting and bear its hardships. They must offer, at least one needy poor Muslim an average full meal or its value per person every day during Ramadan.
4. Sick people whose health is likely to be severely affected by fasting. They can postpone fast to later date for a day.
5. People in the course of long travelling. They should make up for the travelling days later.
6. The Expectant women and women-feeding their children, if its observance is likely to endanger their own health or their infants. But they must make up for it later.
7. Women in menstruation, they must postpone the fast till recovery and then make up for it, day for day.

Sunan actions during Ramadan :

The Sunan actions during Ramadan are as follows :

1. To partake a meal before the break of dawn.
2. To break the fast immediately after sunset, preferably with dates and water.
3. To perform Taraaweeh prayer at night.
4. To feed the poor and hungry.



2. The person who observes his fasting properly is certainly a man who can discipline his passionate desire, putting himself above physical temptations.
3. Fasting develops in man a great sense of adaptability and self-created power to overcome the unpredictable hardships of life.
4. It originates in man the real spirit of social belonging, of unity and brotherhood.
5. It cultivates in man inner peace, which is the source of permanent peace with Allah and, consequently with the universe.
6. It is an effective lesson in observing moderation and willpower.
7. It cultivates in man a vigilant and sound conscience.

The benefits of fasting :

1. Fasting is the best way of developing piety in Muslems. It is a source of safety from sin and protection from the fire of Hell for a Muslim.
2. Fasting develops self-discipline, self-control and helps to overcome selfishness, greed, laziness and other faults.
3. Fasting gives us the feeling of hunger and thirst, and this develops our feeling for the poor and hungry, and teaches us to restrain the love of comfort.
4. Fasting is a shield against acts of disobedience in this world and against fire in the next.

PERIOD OF FASTING :

Muslims are required to fast for 29 or 30 days of the month of Ramadan. The exact number depends on the appearance of the moon. Prophet Muhammad (PBUH) is reported to have said "Begin your fasting when you see the new moon and don't break your fasting until you see the new moon (again); and if it is cloudy, calculate its appearance". Another says that "If it is cloudy, thirty days should be completed".

The merit of Ramadan :

Abu Hurayra narrated that the prophet Muhammad (PBUH) is reported to have said at the beginning of Ramadan "A glorious and blessed month has come, Allah ordained that you fast it. During this

FASTING :
The fourth pillar of Islam

By : Sheikh Muhammad M. Geme'a

Indication :

Fasting is one of the five pillars of Islam it is compulsory on every adult Muslim male and female to fast. Moreover, Ramadan is the month that Allah chose to reveal the Holy Qur'an in, and is also the only month which is mentioned by name in the Qur'an. Allah says in the Holy Qur'an "Ramadan is the month in which was sent down the Qur'an as a guide to mankind, and clear (signs) for guidance and judgement (between right and wrong) — so every one of you who is present during that month should spent it in fasting". (2:185)

Meaning of fasting :

Fasting in Islam means to abstaining from food and drink and sexual intercourse from dawn until sunset, in obedience to, and for the love of Allah only. Fasting is not just hunger, as prophet Muhammad (PBUH), is reported to have said : "Many are the fasting persons who fast, but attain nothing by such fast except hunger, and many are the persons performing prayer by night but attain nothing by it except the discomfort of staying awake by night".

This Hadith clearly shows that, there are many people who attain no rewards by fasting, except hunger. Among there are those who tell lies, backbite, argue, swear and slander while fasting.

Significance of fasting :

Breifly they may be summed up as follows :

1. It cultivates in man patience and unselfishness.

Islamic cities. It shows the elevated art of Islamic architecture with its Domes and Minarets as well as its decoration and ornamentation. Until this day, non-Muslims overwhelmed by the architecture of Mosques all over the Islamic world.

Despite the presence of those amongst us who are against beautifying the Mosques, the majority of Muslims, however, are very much in favour of making them look appealing to the eye. To prove this, Imam Al-Baghawy said : "The decoration of a Mosque out of goodwill, will not be considered as an abominable or detestable act since he does it to glorify the rituals of Islam.

Dear Brothers and Sisters, build as many Mosques as you can, for they are the houses of Allah, and fill your hearts with faith by visiting the Mosques as often as your time permits. Hold the circles of knolwedge in them and make them seminars that bring you closer together, make them unite and strengthen you, and fill your hearts with love and compassion.

May Allah keep you and Bless you all

spread knowledge and learning in the same manner; these three are Al-Kairawan Mosque in Tunisia, Al-Karaweyn Mosque in Fas and El-Kabeer Mosque in Kurtuba. A great number of Muslim thinkers, philosophers and literary men have graduated from these universities. The Prophet (PBUH) blessed education in Mosques and incited the Muslim youth to take part in the learning (knowledge) circles that are held in the Mosques. He (PBUH) said:

> Whosoever follows a path to seek knowledge therein, Allah will make easy for him a path to Paradise. No people gather together in one of the houses of Allah, reciting the Book of Allah and studying it among themselves, without tranquility descending upon them, mercy enveloping them, the angels surrounding them, and Allah making mention of them amongst those who are with Him.

Marriage is preferred to be held in Mosques because it is desired in Islam that marriage be witnessed by the Muslim community, and there is no better way to declare a marriage and make it known than holding it in a Mosque. Al-Turmuzy said that the Prophet (PBUH) said in one of his Hadiths : "Declare Marriage in the Mosques".

Dear Brothers and Sisters, The Mosque is not only a place for learning and making marriages known to the community, it is also a meeting place where Muslims discuss various issues and solve their problems by objective debates. There is no doubt that there are numersous issues to be discussed and problems to be solved. Issues like the constant aggression on Muslim land, the attack on the concept of Islam, the appearance of social diseases among Muslims, the rising prices, inflation, social injustice and lack of security as well as numerous other problems that affect any society.

Dear Sirs, after all that has been said, the Mosques stand as a symbol for the huge architectual works of art in all large

and the Day of Judgement. The Prophet (PBUH) also said: "All the land will be destroyed on Dooms Day except the Mosques, they will come together and combine". This shows us the extent of which a believer who kneels to Allah and prays a lot is close to Allah. The Prophet (PBUH) said: "Allah has ensured the righteous path on the Day of Judgement for all those who made Mosques their secure homes."

This Hadith shows the benefits of seeking the Mosque and remaining in it for long periods of time and ensidering it as a place of security and sanction. People usually abide in the Mosque on the last ten days of the Holy month of Ramadan. However, it is preferred that he who ever enters a Mosque at any time of the day should intend retreat. اعتكاف (I'etkaf).

Whether he remains there for long or not does not matter. It is the intention which counts, because his intention is to use the Mosque as a retreat. In the book entitled Al athkar the intention of اعتكاف in the Mosque is also applied to those who just pass through the Masjid. Indeed it is better to stand in the Mosque for a second or two then go on walking.

Dear Brothers, the task of the Mosque is not only limited to prayer and worship, there are also other tasks that go beyond praying and preaching. Educational, moral and social activities are also major contributions of the Mosques to the communities that reside around them.

The Mosques in Islam were always places for Universities and Institutes of knowledge. For example, in the past centuries in Egypt The Amr Ibn El-Aas Mosque constituted a huge Islamic University which was called the University of Fostat. Among those who taught at that University were Al-Imam Al-Shafei and his disciple Al-Bowaiti as well as Abdul Rahman Ibn El-Kasem who dictated in it "Al-Modaw'wana" in Maleki jurisprudence, that is in addition to Abdullah Ibn Wahb and many others. The three other Islamic Mosques

« من بنى لله مسجدا يبتغى به وجه الله بنى الله له بيتا فى الجنة »

He who builds a Mosque for the sake of Allah will be rewarded by a house in Heaven that is built by Allah''. The Prophet (PBUH) incited people to build Mosques by saying: "He who builds a Mosque as big as a hen's nest or smaller, Allah will build a house for him in Heaven."

Concerning the issue of taking care of the Mosques and keeping them clean and smelling well, Allah Says:

يبني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد

"O children of Adam! Look to your adornment at every place of worship, and eat and drink, but be not prodigal. Lo! He loveth not the prodigals." (Surah VII, Ayah 31)

The mother of believers A'aisha said. "The Prophet (PBUH) ordered people to build Mosques among the houses and that these Mosques should always be cleaned and fragrant. It is also sayed that he (PBUH) liked filling the air of the Mosque with incence Abdullah Ibn Almujammer used to fill the Mosque with fragrant fumes of burning resins and gums on coal when Omar Ibn Al-Khattab sat on the Menbar. Many of our Muslim predecessors liked to make the Mosques smell fragrant by filling them with the smell of safron and resins as well as gums. Some have also said that when Abdullah Ibn Alzubair built the Ka'ba he painted its walls with musk.

Dear Believers, the Mosques are highly esteemed by Allah and His prophet; this eminence of the Mosque is expressed by the Prophet's words: "The countries which are loved best by Allah are the ones which are full of Mosques, and the most abhord countries are those which are full of markets''. This is because Mosques are always full of faith that resides in the hearts of the worshippers who go there to pray and to bow down and kneel to their Creator. As for the markets, they are hated because they are full of deceit, lying and incorrect scales. Thus, market places occupy people's minds with worldly gains and makes them forget their end

in Allah, His Angels, His Holy Books, His Messengers and the Day of Judgement.

Thus, a Muslim should be a glowing title for his religion, he should set a good example for others to follow, in what he says, in what he does and in his conduct. This is because, in its essence, Islam considers man as a noble being; it has spread justice and equality among all mankind, regardless of race, colour or creed. Islam has abolished racial discrimination. It is against the idea of man exploiting his brother man because its aim is to achieve brotherly feelings between all believers.

The Message of Islam is crowned with the Divine order of following the righteous conduct and forbidding indecencies. Allah The Almighty Says:

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

"And there may spring from you a nation who invite to goodness, and enjoing right conduct and forbid indecency. Such are they who are successful". (Surah III, Ayah 104)

Dear Brothers and Sisters, the Mosques are the houses of Allah on earth, and building it and praying in it is a sign of faith and proof of fearing Allah. These meanings are expressed quite clearly in the worlds of Allah :

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ

"He only shall tend Allah's sanctuaries who believeth in Allah and the Last Day and observeth proper worship and prayeth the poor-due and feareth none save Allah." (Surah IX, Ayah 18)

Also worthy of note is the fact that the building of Mosques is one of the actions most loved by the Propet (PBUH), and Mohamed (PBUH) has called for erecting Mosques in many of his Hadiths. The Caliphate Othman Ibn Affan says: "I heard the Prophet (PBUH) say that.

The Speech of His Eminence Sheikh Gad El Haq Ali Gad El Haq

on the Occasion of the one Hundredth Anniversary festival of OM Habiba Masjid South Africa.

*(10-17/12/1995)**

IN THE NAME OF ALLAH

Your Excellencies,

Dear Brothers and Sisters,

It was with great pleasure that I recieved your kind invitation to partake in this festival on the occasion of the One Hundredth Anniversary of the arrival of this Habiba Sufie Musjid as well as the building of twelve other Mosques in South Africa.

There is no doubt that this is a precious chance to see you and meet with you, however, the burdens of my position, the long distance between our countries and my inability to travel, have prevented me from taking part in this joyous occasion. Therefore, I hope that you would accept my sincerest thanks and apologies for not attending. However, it will be my pleasure to look into your requests and fulfil as many of my power permits.

Dear Sirs, the festivities you are holding today is actually a festival for all the Mosques in South Africa. The truth of the matter is that the mosque in Islam is a sign of the presence of our religion in any part of the world. Islam is the religion of unity under the Oneness of Allah the Almighty. It is the religion which concludes all the previous prophets' Messages, and that is why a Muslim must believe

(*) Translated and delivered by : Dr. Mostafa M. El Shaka'a on behalf of His Eminence grand Sheikh of Al-Azhar.

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION



Ramadan 1416 Hijrah,

Vol 68. Part IX

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

*"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah : .
Indeed it was the truth."*

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL RFFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهرس





الأزهر

مجلة شهرية جامعة

أسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فهمي خفاجة

المراسلات : باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٠٤٧٢ - ٩٢٣٨٥٩٩

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين .

للعلم الإنساني حدود

مَنْ يُرِد الله به خيراً يُفقِّهه في الدين ؛ فيعتصم بكتاب الله - عز وجل - راضياً بما أدركه منه من علم ؛ فإن لم يدرك لم يذهب يتأوّل في كتاب الله وفق هواه ؛ بل يفوض العلم فيه إلى الله - وحده .

تلك مقدمة يسيرة تبين ما يجب على المسلم أن يتّقيهُ حتى لا يزيغ : وحتى يجيء لنفسه الفرصة لطلب العلم ، وسؤال المختصين ليحيط علماً بما لم يفهمه ، ولكي يحفظ نفسه ودينه عليه ألا يستمسك بفهم خطأً حتى يتبين له الحق .. هذا ما علمناه من إرشاد ربنا وسنة نبينا ﷺ .



نقول هذا، لنشير إلى فتن تموج بين الناس كما ماجت بين المسلمين في نحو القرن الهجري الثاني ومابعده حين ترجمت الفلسفة الإغريقية وغيرها إلى العربية؛ وعكف عليها كثير من المسلمين، واندرج بعضهم في الجدل المرير، وسمح لنفسه أن يسلط ذلك كله على دينه ــ والعياذ بالله ــ عز وجل.

في ذلك الوقت جاء رجل إلى الإمام أحمد بن حنبل ــ رضي الله عنه ــ وسأله هذا السؤال العجيب:

كم بيننا وبين عرش الله ــ سبحانه وتعالى ...؟

فأجابه الإمام ــ رحمه الله: دَعْوَةُ مُسْلِمٍ يُجِيبُ الله دعوته.

وإنه لجواب مؤمن يعلم حدوده إزاء العلم، ويسير على هداها، فما كان من علم يسر الله ــ تعالى ــ وسائله، وأمكننا منها، فتوالت ــ بين أيدينا ــ نتائجه، فذلك علم وجب ألا نكتمه، ومن كتمه ألجمه الله ــ تعالى ــ يوم القيامة بلجام من نار. إلا أن يكون علماً يمس أمن الدولة الإسلامية، وفيه كيان سلامتها.

وما كان من علم لسنا على هُدى بيّن به فينبغي ألا نخوض فيه بالقول يدفعنا الغرور إليه حتى لا نكون ــ يوماً بعده ــ آفة تبعث على الضحك والسخرية مما قلناه مغرورين، وعلينا أن ننتظر حتى يفتح الله علينا أبوابه.

وماكان من علم قد استأثر الله ــ تعالى ــ به؛ فذلك مالا سبيل لنا إليه، وأنَّى للإمام أحمد أن يحدد المسافة بيننا وبين عرش الله ــ جل جلاله ــ كما يريد هذا السائل، فكان هذا الجواب من الإمام، وهو يعني: ليس بينك وبين الله ــ تعالى ــ مسافات؛ إنما بينك وبين الله ــ تعالى ــ دعوته فقط، تتجه إليه مخلصاً؛ فتكون معه مستجيباً لك، مهيئاً الخير بين يديك، قال ــ سبحانه:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾.

سورة ق: ١٦

نعم إن الله ـ سبحانه ـ يعلم ماخلق ، يعلم ذرّات جسدك التي لم يصل لتعدادها والعلم بمجموعها أحد إلا الله ـ وحده ـ وعِلْمُ الله ـ تعالى ـ أقرب إليك من الوريد في بدنك ، فمن السَّفه تجاوُزُ ما تعلم إلى مالا تعلم .

وعندما صعد الانسان إلى الكواكب في هذا القرن ، ويسّر المولى ـ عز وجل ـ له أسباب العلم التي رفعته إلى أجواء السماء كان الدين نفسه مشجعاً على ذلك ، حتى يلمس الإنسان نفسه عجزه أمام هذا الكون ، وحتى يعلم أن كل طبقة علوية عنا لها ميزاتها العلمية ومحتواها المخالف ـ تماماً ـ لأدناه وأعلاه ، فيعلم أن للكون خالقاً صانعاً معجزاً يَهَبُ العلم وقت يشاء لمن يريد ، ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [سورة طه : ١١٤] .

ليس بين المؤمن وبين الله مسافات ، ولا حدود ، ولا زمان ، إنما بينه وبين الله ـ تعالى ـ إخلاصه ، فإن توفر له هذا الإخلاص فهو بين يدى الله في كل وقت ، ولهذا الاخلاص عناصره ، وفي مقدمتها الرزق الحلال ، وطاعة الله ورسوله ﷺ والتواضع ، فإن كان المؤمن على ذلك فهو قريب من الله ـ عز وجل ـ فإذا رفع يديه إلى الله ـ تعالى ـ كان الله أكرم من أن يردهما خائبتين خاويتين وهو ـ سبحانه ـ القائل :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

نسأل المولى ـ سبحانه ـ أن يهبنا من العلم به ، والسلوك في طاعته مايرضى به عنا ، وينفعنا به في ديننا ودنيانا وآخرتنا . إنه سميع مجيب .

د. علي أحمد الخطيب



جائزة الله للمسلمين الصائمين

بقلم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ **جاد الحق على جاد الحق**
شيخ الأزهر

هذا عيد الفطر جائزة من الله للصائمين ، يوم شكر لله على نعمة التوفيق لصوم شهر رمضان ، وشكر النعمة ينبغي أن يكون عرفانا بفضل الله المنعم ، استدامة لمرضاته ، واستدرارا لإحسانه وإنعامه : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

سورة إبراهيم ـ آية : ٧

وإن من وسائل الشكر لله الإحسان إلى الناس ومودتهم ، وأن تلقاهم بوجه باش ، تعطى المحروم ، وتواسى المكلوم ، وتدخل السرور على أهلك وولدك وجيرانك وتوسع عليهم .

العيد فى الإسلام صلة للإرحام ، وبر بالأيتام ، وعطف على الفقراء والمساكين .

العيد فى الإسلام صفاء ونقاء ، فأصلحوا ما بينكم وبين الله بدوام طاعته ، والنزول على حكمه يصلح الله أعمالكم ويصلح ما بينكم ، ويرزقكم من فضله ، فإن وعد الله لا يتخلف أبداً قال ـ سبحانه : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .

سورة الطلاق ـ ٢ ، ٣

وقال عز وجل :

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ ..

سورة الطلاق

لا يكن انتهاء شهر رمضان والاحتفاء بيوم العيد انعزالا وإهمالا لفرائض الله وقعودا عن طاعته ، بل ومجاهرة بعصيانه ، فإن يوم الفطر من أيام الله حيث باركه باتخاذه عيدا للمسلمين يتعاونون فيه على البر والتقوى ، ويتباعدون عن الاثم والعدوان . إنه موعد للتهانى والإشراق ، والتزاور جمعا للكلمة ، وحفظا للدين ، ورقيا بالإنسانية عن أن تتصارع .. استمراء للعدوان ، ازديادا فى الطغيان .

هذا يوم عيد الفطر المبارك : فتسامحوا ، وتصافحوا ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالعفو وبالصبر ، إنكم إن فعلتم غفر الله لكم ويسر أموركم .

عن البراء - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا) .. رواه أبو داود .

إن استقبال هذا اليوم المبارك يكون بالبر نفاذا لسنة رسول الله ﷺ الذى دعا إلى صدقة الفطر ، ووفاء لحق الله وشكرا لنعمائه ، وإحسانا إلى المحتاجين :

(اغنوهم عن المسألة فى هذا اليوم) .. فأقبلو على سنة رسول الله ﷺ ، وأقيلوا أنفسكم من عثراتها ، واستجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ، حتى ترتفع أعلام الإسلام والمسلمين ، وتأخذ الأمة مكانتها وتقوى شوكتها وتتوثق وحدتها .

إن استقبال هذا العيد يكون باستدامة الطاعة ولزوم الجماعة ، بعدا عن الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق ، فكونوا عباد الله إخوانا : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ (١٥) ﴾

سورة الأعلى

ولنتدبر قول الله فى سورة الليل :

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١) ﴾ سورة الليل

فتوى للإمام الأكبر

ببيان أن عقد زواج المرأة المسلمة بغير المسلم كتابيا أو غير كتابى باطل

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعد

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة من الدكتور / (أحمد محمد على) الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى جاء فيها :

تلقت الرابطة معلومات بشأن مقابلة صحفية أجرتها مجلة (تليراما) الفرنسية ، العدد ٢٣٧٠ الصادر بتاريخ ١٤ / ٦ / ١٩٩٥ مع عميد مسجد باريس السيد / دليل أبو بكر ، ذكر أن القرآن لم يحرم زواج المسلمة من اليهودى والنصرانى ، وإنما فقهاء الإسلام من أجل التوسع فى المنع طلبوا أن يقاس اليهودى والنصرانى على من نزلت فيهم الآية التى تحرم الزواج من الكفار .

كما ورد فى المقابلة الصحفية أن السيد / دليل ذكر أن اليهود والنصارى ليسوا كفارا ، لأنهم سائرون فى طريق الله ويجب أن ينهوا مسيرتهم حتما إلى وحدانية الله القطعية .

وقد علمت أن هذه المقابلة سببت مشاكل خطيرة فى كثير من الأسر المسلمة المقيمة فى

فرنسا نتيجة للاختلاط بغير المسلمين .

ولا يخفى ما لهذه التصريحات من أثر خطير على المسلمين ، وقد تدفع بالمسلمات للوقوع في حبائل النصارى واليهود مما يؤدى إلى تقويض المجتمع المسلم المتماسك .

لذا أرجو من سماحتكم اتخاذ ما ترونه مناسبا حيال نصح المذكور والوسيلة التي ترونها كفيلة بدرء الفتنة .

وفقكم الله ونفع بكم الإسلام والمسلمين
والله يحفظكم

الأمين العام
د . أحمد محمد على

والجواب

تمهيد :

أولاً : من هم أهل الكتاب :

ذهب جمهور أهل الفقه إلى أن (أهل الكتاب) هم :

اليهود والنصارى بفرقهم المختلفة[1] .

وفي فقه مذهب الحنفية : أن أهل الكتاب هم :

كل من يؤمن بنبي ويقر بكتاب ، وقالوا :

إن هذا يشمل اليهود والنصارى ومن آمن بزبور داود ، وصحف إبراهيم وشيث ، باعتبار أن كلا من هؤلاء يعتقدون دينا سماويا منزلا بكتاب .

وقد استدل جمهور الفقهاء على ما قالوا بقول الله ـ تعالى ـ في سورة الأنعام :

﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾[2]

وأضافوا قولهم : ولأن تلك الصحف كانت مواعظ وأمثالاً ، لا أحكام فيها ، فلم يثبت لها حكم الكتب المشتملة على أحكام .

وطائفة السامرة من اليهود ـ وإن كانوا يخالفونهم في أكثر الأحكام .

وقد اختلف الفقهاء في (الصابئة) :

فذهب أبو حنيفة إلى أنهم من أهل الكتاب ، من اليهود أو النصارى .

وفي قول لأحمد ـ وهو أحد وجهين للشافعي : أنهم جنس من النصارى .

والمذهب عند الشافعي ـ وهو ما صححه ابن قدامة الحنبلي ـ أنهم أي [الصابئة] وافقوا اليهود والنصارى في أصول دينهم ، من تصديق الرسل والإيمان بالكتب ، فكانوا منهم ، وإن خالفوهم في أصول دينهم لم يكونوا منهم ، وكان حكمهم حكم عبدة الأوثان[3] .

أما المجوس : فقد اتفق الفقهاء على أنهم ليسوا من أهل الكتاب ، وإن كانوا يعاملون معاملتهم في قبول الجزية فقط ، ولم يخالف في هذا إلا أبو ثور ، إذ اعتبرهم من أهل الكتاب في أحكامهم .

---

(1) فتح القدير لابن الهمام ج ٣ ص ٣٧٣ وابن عابدين ج ٣ ص ٢٦٨ وتفسير القرطبي ج ٢٠ ص ١٤٠ والمهذب للشيرازي الشافعي ج ٢ ص ٢٥٠ والمغني مع الشرح الكبير ج ٧ ص ٥٠١ .

(2) من الآية ١٥٦

(3) المغني لابن قدامة ج ٨ ص ٤٩٧ والقليوبي ج ٤ ص ٢٢٩

وقد استدل الجمهور بحديث « ... سنّوا بهم سنة أهل الكتاب ... »[٤] فإنه يدل على أن المجوس ليسوا من أهل الكتاب ، ولو كانوا منهم لما توقف عمر في أخذ الجزية منهم حتى روى له هذا الحديث .

هذا :

وقد قال الزيلعي في كتابه « نصب الراية لأحاديث الهداية »[٥] : إن هذا الحديث بهذا اللفظ طرقه جميعها ضعيفة ، ولكن لقصة الحديث شاهد في البخاري في الجزية - حيث جاء في الفتح[٦] - « أتانا كتاب عمر بن الخطاب - قبل موته بسنة : فرقوا بين كل ذي رحم محرم من المجوس ، ولم يكن عمر أخذ الجزية منهم حتى شهد عبد الرحمن ابن عوف أن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر[٧] .

ثانياً : من هم الكفار :

الكفار أقسام ثلاثة :

أ - قسم أهل الكتاب - وهم من سبق ذكرهم .

ب - وقسم لهم شبهة كتاب وهم المجوس .

ج - وقسم لا كتاب لهم ولا شبهة كتاب ، وهم من عدا هذين القسمين من عبدة الأوثان وغيرهم .

وعلى هذا :

يكون أهل الكتاب من الكفار ، إذ الكفار - بهذا - أعم من أهل الكتاب فيشمل أهل الكتاب وغيرهم[٨] .

ثالثاً : من هم أهل الذمة :

الذمة في اللغة : الأمان والعهد ، فأهل الذمة هم : المعاهدون أي : بينهم وبين المسلمين عهد واتفاق ، والذمي هو المعاهد[٩] .

والمراد بأهل الذمة في اصطلاح الفقهاء : الذميون .

والذمية نسبة إلى الذمة ، أي : العهد من الإمام أو ممن ينوب عنه ، وذلك بالأمن على نفسه وماله نظير التزامه الجزية ونفوذ أحكام الإسلام[١٠] .

وتحصل الذمة لأهل الكتاب ومن في حكمهم بالعقد أو القرائن أو التبعية فيُقَرُّون على ما يعتقدون في مقابل الجزية .

عقد الذمة : مقتضاه ترك غير المسلم في دار الإسلام على عقيدته وعبادته بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الإسلام فيما عدا ما يتعلق بالعبادة والعقيدة ، وما اصطلح على أنه من مسائل الأحوال الشخصية .

والغرض من هذا أن لا يكلف غير المسلم القتال فإذا قاتل مع المسلمين دفاعا عن البلاد سقطت عنه الجزية ، وينعقد هذا العقد بالإيجاب والقبول باللفظ أو ما يقوم مقامه .

من يتولى هذا العقد ؟

يتولاه - كما تقدم - الإمام أو نائبه - بهذا جرى فقه الأئمة : مالك والشافعي وأحمد ؛ لأنه يتعلق

---

(٤) انظر كتاب نصب الراية لأحاديث الهداية ج ٣ ص ٤٤٨

(٥) ج ٣ ص ٤٤٨

(٦) ج ٦ ص ٢٥٧

(٧) المغنى لابن قدامة ج ٨ ص ٤٩٨ وابن عابدين ج ٤ ص ٣٣٦ وأحكام أهل الذمة لابن القيم حـ ١ ص ٢

(٨) المغني ج ٨ ص ٤٩٦

(٩) المصباح المنير ولسان العرب والقاموس مادة ذمم

(١٠) جواهر الإكليل ج ١ ص ١٠٥ وكشاف القناع ج ٣ ص ١١٦ وأحكام أهل الذمة ج ٢ ص ٤٧٥

بنظر الإمام أو ما يراه من المصلحة ، وأجاز الفقه الحنفي لكل مسلم إجراء عقد الذمة .

من يصح له عقد الذمة ؟ :

اتفق الفقهاء على جواز عقد الذمة لأهل الكتاب والمجوس ، كما اتفقوا على عدم جوازه للمرتد عن الإسلام .

واختلفوا فيما عدا هذا :

فاختص الشافعية والحنابلة جواز عقد الذمة بأهل الكتاب والمجوس فحسب .

وفي الفقه الحنفي : ورواية عند المالكية ، ورواية عن أحمد : يجوز عقد الذمة لغير المسلمين جميعا إلا عبدة الأوثان من العرب .

شروط عقد الذمة :[11]

هناك حقوق ملزمة تلزمهم بغير شرط وبمقتضى العقد . أهمها : التزام أحكام الإسلام – في غير العبادات – من حقوق الآدميين كالمعاملات ، وألا يُحِلُّوا محرما في الإسلام ، وألا يصيبوا امرأة مسلمة بزنى ، أو باسم الزواج .

وأهل الذمة – على ما سلف – هم :

المعاهدون من اليهود ومن النصارى ومن غيرهم ممن يقيمون في دار الإسلام ، ويُقَرُّون على كفرهم بشرط بذل الجزية ، والتزام أحكام الإسلام المتعلقة بالتعامل ، وتنظم الإدارة وغيرهما مما ليس من العبادات ، أو الزواج والطلاق وأحكامهما[12] .

وبهذا فلا تلازم بين أهل الذمة وأهل الكتاب ، فقد يكون ذمي غيرَ كتابي ، وقد يوجد كتابي غير ذمي ، وهؤلاء هم من كانوا في غير دار الإسلام من اليهود ، ومن النصارى .

وقد اتفق الفقهاء على أن أهل الكتاب (اليهود والنصارى) إذا قوبلوا بالمجوس فالمجوسية شر[13] .

وأما اليهود إذا قوبلوا بالنصارى فللفقهاء والمفسرين اتجاهات ثلاثة في هذا الشأن :

الاتجاه الأول :

أنه لا تفاوت بين اليهود والنصارى مثل جواز المناكحة فيما بينهم وشهادة بعضهم على بعض .

وبالنسبة للمسلمين جواز أكل ذبائحهم وحل نسائهم للمسلمين ، باعتبار أن اليهود والنصارى في مواجهة المسلمين أهل ملة واحدة وإن اختلفت نحلهم ، حيث يجمعهم اعتقاد الشرك بالله والإنكار لنبوة سيدنا محمد رسول الله ﷺ[14] .

وقد أخبرنا القرآن بشركهم فقال الله – سبحانه – في سورة التوبة :[15]

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾

---

(11) البدائع ج ٧ ص ١١١ ومغني المحتاج ج ٤ ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ والمغني لابن قدامة ج ٨ ص ٥٠٥ وكشاف القناع ج ٣ ص ١١٧ ، ١٢١ والأحكام السلطانية للماوردي ص ١٤٥ والأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ١٤٢ و ١٤٣

(12) القاموس وكشاف القناع ج ٣ ص ١١٦

(13) المبسوط للسرخسي ج ٥ ص ٤٨ وفتح القدير لابن الهمام ج ٣ ص ٢٨٧

(14) المبسوط للسرخسي ج ٤ ص ٢١٠ ، وج ٥ ص ٣٢ ، ٣٨ ، ٣٤ والمغني ج ٨ ص ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، وروضة الطالبين ج ٧ ص ١٣٥ ، ١٣٦ والحطاب ج ٣ ص ٤٤٧ والمدونة الكبرى ج ٤ ص ٣٠٦

(15) من الآية ٣٠

الاتجاه الثانى :

أن النصرانية شر من اليهودية ، لأن نزاع النصارى فى الإلهيات والنبوات ، ونزاع اليهود فى النبوات على ما هو وارد فى القرآن عن عقائد الفرقتين .

الاتجاه الثالث :

قضى القرآن فى ترتيبهم بالنسبة للمسلمين بأن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، وأقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى حسبما جاء فى سورة المائدة فى قول الله ـ سبحانه :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ .

وقد قال بعض الفقهاء وبعض المفسرين : إن سبب هذا مع ما جاء فى هذه الآية أن اليهود جحدوا نبوة رسولين : عيسى ـ عليه السلام ـ ومحمد ﷺ وأما النصارى فقد جحدوا نبيا واحدا هو رسول الله محمد ﷺ :

حقوق أهل الذمة :

القاعدة العامة فى حقوق أهل الذمة لدى الفقهاء : أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا ..

وقد جرت هذه القاعدة على لسان فقهاء الحنفية وفى كتبهم ، وتدل عليها عبارات فقهاء : المالكية والشافعية والحنابلة[١٧] ، ويؤيدها بعض الآثار عن السلف :

فقد روى عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قوله :

« إنما قبلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا » .

لكن هذه القاعدة ليست على إطلاقها ، وقد أورد الفقهاء فى بحوثهم حقوق أهل الذمة محددة ، فى : حماية الدولة لهم ، وحق الإقامة ، وحماية أموالهم وأعراضهم ، ودفع الظلم عنهم ، وحق التنقل ، وعدم التعرض لهم فى عباداتهم وعقيدتهم ، فيما عدا استيطانهم مكة والمدينة .

واختلف الفقهاء فيما سواهما ولهم تفصيلات فى ذلك .

وبعد هذا التمهيد :

وإذا كان قد نسب إلى د / دليل أبو بكر عميد مسجد باريس :

القول بأن القرآن لم يحرم زواج المسلمة من اليهودى والنصرانى ، وإنما فقهاء الإسلام توسعوا فى المنع ، فقاسوا اليهودى والنصرانى على من نزلت فيهم الآية التى تحرم الزواج من الكفار .. وأن اليهود والنصارى ليسوا كفارا ، لأنهم سائرون فى طريق الله ، ويجب أن ينهوا مسيرتهم حتما إلى وحدانية الله القطعية .

وإذا كان هذا ، وجب ـ فضلا عما سبق ـ أن نعرض لتعريف : التكفير ..

التعريف :

من معانى التكفير فى لغة العرب : التغطية

---

(١٦) من الآية رقم ٨٢

(١٧) بدائع الصنائع للكاسانى ج ٦ ص ١١١ والقوانين الفقهية لابن جزى ص ١٠٥ والمهذب للشيرازى ج ٢ ص ٢٥٦ والأحكام السلطانية للماوردى ص ٢٤٧ والمغنى لابن قدامة ج ٥٤٥ ، ٥٣٥ .

والستر ، وهذا المعنى هو أصل الباب

تقول العرب للزارع : كافرا : لستره البذر بالتراب — ومن هذا القبيل قول الله سبحانه فى سورة الحديد :

﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾[18]

ومن معانى هذا اللفظ : أن يقال للمحارب إذا تكفر فى سلاحه ، ويقال لمن يريد أن يعظم غيره ، فينحنى ويطأطىء رأسه قريبا من الركوع ، ومنه ماجاء فى حديث أبى معشر[19] « أنه كان يكره التكفير فى الصلاة » أى الانحناء الكثير حال القيام .

والكفر — فى اصطلاح الشرع : نقيض الإيمان ، وهو الجحود ، ومنه قول الله — تعالى — فى سورة القصص :

﴿ إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴾[20]

أى جاحدون وبهذا يتوافق المعنيان اللغوى والشرعى ، لأن الكافر ذو كفر أى ذو تغطية لقلبه بكفره .

وفى «الدر المختار» للحصكفى الحنفى :[21] الكفر شرعا : تكذيبه ﷺ فى شىء مما جاء من الدين بالضرورة .

والتكفير — نسبة أحد من المسلمين إلى الكفر .

والمستفاد من نصوص القرآن والسنة أن الكفر جحود الحق ، والإعراض عن النظر فى الدليل عليه عند الدعوة إليه .

والفرق بين الكفر والضلال : أن الضالّ من أخطأ طريق الحق مع طلبه أو جهله ، فلم يعرفه بنفسه أو بدلالة غيره .

أما الكافر فهو يرى الحق ويعرض عنه ويصرف نفسه عن دلائله وآياته ، فلا ينظر فيها .

والكفر — بهذا — أعم من الشرك فهو أحد أفراده[22] .

وإذا كانت القضية المعروضة هى : هل يحل زواج اليهودى والنصرانى بالمرأة المسلمة؟ قولا بأن تحريم هذا توسع من الفقهاء بطريق قياس حكم اليهود والنصارى فى زواج المسلمة بمن جاءت الآية بتحريم هذا عليهم وهم الكفار ، حالة أن اليهود والنصارى ليسوا كفاراً على ما ورد بورقة هذا السؤال حسبما تقدم نصا .

وإذا كان هذا القول واقعا ممن نسب إليه ، كان قولا بحل وبجواز زواج المسلمة من اليهودى أو من النصرانى — وهو على دينه — وكان متجاوزا لنصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة فى هذا الشأن .

فقد أجمع المسلمون منذ كان الإسلام على أن زواج غير المسلم بالمسلمة سواء أكان إسلامها أصليا أم طارئا زواج باطل ، وإذا وقع لا يترتب عليه حكم من أحكام الزواج ، فلا يحل الدخول والمعاشرة بهذا العقد الباطل ، ولا يثبت به نسب ولا تجب به عِدّة .

---

(18) من الآية رقم 20 ولسان العرب مادة — كفر

(19) كتاب النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير الحلبى ج 4 ص 188

(20) من الآية رقم 48

(21) ابن عابدين ج 3 ص 284

(22) لسان العرب والمصباح المنير والمغرب مادة (شرك) .

وكان سند هذا الإجماع قول الله ـ سبحانه ـ وتعالى :

﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ﴾[٢٣]

حيث جاء هذا الخطاب موجها من الله ـ سبحانه ـ إلى أولياء أمور النساء المسلمات ألا يزوجوهن من المشركين ومن على شاكلتهم ، ممن لم يدخلوا فى دين الإسلام ، وهذا النهى دال على التحريم ، فلا ينعقد زواج غير المسلم مطلقاً بالمرأة المسلمة ؛ بل يقع باطلاً ؛ لانتفاء المحلية للزواج بين المسلمة وغير المسلم ، ويقع الدخول بالمرأة المسلمة ومعاشرتها من رجل غير مسلم زنا ، ولا يترتب على عقد الزواج بينهما أية آثار ؛ لبطلانه .

وقول الله ـ سبحانه ـ فى سورة الممتحنة ـ فى شأن النسوة المؤمنات اللاتى هاجرن مسلمات .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾[٢٤]

حيث أفصحت هذه الآية عن أن المرأة المسلمة يفرق بينها وبين زوجها الكافر ؛ لأنها لا تحل له ولا يحل لها .

فإذا كان هذا حكم بانتهاء عقد الزواج القائم قبل إسلام الزوجة ، فأولى ألا ينشأ عقد زواج بين مسلمة وكافر أو مشرك حيث جاء قول الله ـ تعالى ـ صريحا فى الآية المتلوة آنفا :

﴿ ... لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ .

وبهذا فليس هناك قياس لليهود والنصارى على من نزلت فيهم تلك الآيات ، كما نسب ـ فى ورقة السؤال ـ إلى تلك الفتوى ؛ إذ لفظ القرآن مُقتضٍ لحكم التحريم خاصة هذه الآية من سورة الممتحنة ، وفيها :

﴿ ... لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾

أما القول بأن اليهود والنصارى ليسوا كفارا والآيات المستدل بها نصت على الكفار فذلك قول مجاف للغة العرب التى نزل بها القرآن ، والتى تقتضى : أن أهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ من الكفار ، وقد سبق النقل عن كتب اللغة قولها :[٢٥] والكفر أعم من الشرك فهو أحد أفراده ، وقد نقل فى لسان العرب قول الجوهرى : الشرك الكفر ، وقول الراجز : « ومشركى كافر بالفرق » أى بالفرقان أى القرآن .

وعلى هذا وغيره فمعنى الكفر لغة وشرعا ينطبق على أهل الكتاب .

---

(٢٣) تفسير القرطبى ج ٣ ص ٧٢ فى تفسير الآية ٢٢١ من سورة البقرة

(٢٤) من الآية رقم ١٠

(٢٥) لسان العرب والمصباح المنير والمغرب ـ مادة (شرك)

ويؤكد هذا ما أجاب به سعيد بن جبير ـ عبد الملك حين سأله عن الكفر : قال :

الكفر على وجوه :

فكفر : هو شرك يتخذ مع الله إلها آخر ، وكفر بكتاب الله ورسوله ، وكفر بادعاء ولد لله وكفر مدعى الإسلام ، وهو أن يعمل أعمالا بغير ما أنزل الله ، ويسعى فى الأرض فساداً ، ويقتل نفسا محرمة بغير حق .

وإذا كانت اللغة تقتضى أن المشرك من أفراد الكافرين ، وأن القرآن قد أخبرنا بأن اليهود قالوا : إن عزيرا ابن الله ، وأن النصارى قالوا : إن الله ثالث ثلاثة ، وإنهم بهذا من الكافرين .

وإذ قال الله ـ سبحانه ـ فى سورة البقرة :

﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾(٢٦)

فإنه قضاء من الله ـ سبحانه ـ بأنه لا تحل المسلمة للمشرك .

وإذا كان القرآن قد جاء مصرحا فى قول الله ـ تعالى ـ فى سورة الممتحنة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾(٢٧)

كان الأمر المقطوع به أن المرأة المسلمة لا تحل زوجا للمشرك ، كما أنها لا تبقى زوجا للكافر إذا أسلمت هى ، وبقى هو على دينه ـ يهوديا أو نصرانيا أو مشركا وثنيا .

فالمرأة المسلمة ليست محلا للزواج بغير المسلم أيا كان : صاحب دين سماوى آخر أو دين أشرك فيه بالله غيره ، وكان حتما مقضيا أنه لا تحل المسلمة زوجا لغير المسلم سواء أكان يهوديا أو نصرانيا أو من غيرهما ، وأن أهل هذين الدينين يصدق عليهما وصف الكفار ووصف المشركين ، وأن هذا الوصف الأخير من مفردات الكافرين ، وأن القول بغير هذا تجاوز فى فهم دلالات القرآن والسنة وتأويل باطل للقرآن ، وقول فى دين الله ـ الإسلام ـ بغير علم .

ثم ـ أخيراً ـ هذا هو القرآن بصريح العبارة يقول عن أهل الكتاب ـ إنهم من الكفار ـ من هذا ما جاء فى سورة البقرة :

﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(٢٨)

وفى سورة المائدة قول الله ـ تعالى ـ :

(٢٦) من الآية رقم ٢٢١
(٢٧) من الآية رقم ١٠
(٢٨) من الآية رقم ١٠٥

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ... ﴾(٢٩)

وفى ذات هذه السورة قول الله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾(٣٠)

وفى سورة البينة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ... ﴾(٣١).

فهل بعد أن ينص الله فى القرآن على أن أهل الكتاب كفروا ، بما قالوا على الله كذبا ، وعلى هذا الوجه الوارد فى هذه الآيات التى دمغتهم بالكفر يصح أن يقال ـ كما جاء فى السؤال ـ « إن اليهود والنصارى ليسوا كفارا » ؟

ألا : إن ما قال الله أقوم قيلا ، ومن أصدق من الله حديثا ، وإن الحق أحق أن يتبع .

وإذا كان ذلك كان القول بحل زواج غير المسلم بالمسلمة قولا باطلا ومخالفا لحكم الله فى القرآن ، ولسنة رسول الله ﷺ القولية والعملية ولإجماع الأمة ، وكان على المسلمات وأولياء أمورهن المسلمين أن ينزلوا عند حكم الله ويلتزموا به .

وهذا إذا كان الحال كما ورد بالسؤال .

والله سبحانه وتعالى أعلم

---

(٢٩) من الآية رقم ١٧ ومن الآية رقم ٧٢

(٣٠) من الآية رقم ٧٣

(٣١) من الآية رقم ٦

الإمام الأكبر في حديث صحفي



- التعايش السلمي مع إسرائيل وكيف يتحقق
- زيارة القدس بين التفاوض والتعبد

أجرى الحديث السيدة / سناء السعيد

بدأت سيادتها بالسؤال التالي[1] :

* هل تعد زيارة القدس من قبل علماء الدين الإسلامي الآن دليلا على أنه قد طرأ تغير على موقف المؤسسة الإسلامية حيال إسرائيل ، وكأنها تعني ضمنا إقرار الوضع الحالي للقدس كعاصمة موحدة لإسرائيل ؟

** إذا كان الأمر كما قلت من أن زيارة القدس بحالتها الآن ، وبادعاء إسرائيل أنها عاصمتها الموحدة يعد تأييدا للوضعية التي تريدها إسرائيل فأعتقد أن هذا بعيد عن الصواب ، وعلينا أن نعود إلى الحق ، وهو الواقع الذي تبتغيه دائما من استنطاق التاريخ الذي يشهد بصدقهم . أو يشهد على باطلهم ويعلنه .

وفي تقديري أن هذه الزيارة لا تفيد إسرائيل في إثبات ما تريد ولا تقف سندا يدعمها في احتلالها للقدس وإنما هي من المظاهر التي تضيفها إسرائيل لحجب الحق عن أصحابه وصرفهم عن المطالبة به ، وما دعوتها للشخصيات ذات الشأن في العالم إلا من هذا القبيل ، إنها تضفي الشرعية على موقفها وموقعها بغير ما هو شرعي .

*وجه شيمون شيريت وزير الأديان الإسرائيلي دعوة إلى علماء الدين في مصر لزيارة إسرائيل وأتساءل فيما إذا لبى أحد منهم الزيارة هل يعني هذا دعما لإسرائيل على أن القدس عاصمتها الموحدة ؟

** في يقيني أن زيارة رجل الدين المسيحي أو أحد علماء الأزهر لا تعطي سندا لإسرائيل أو

(1) نقلا عن صحيفة الوفد بتاريخ ٣ من رمضان ١٤١٦هـ - ١٩٩٦/١/٢٣م .

إقرارا مشروعا بأن القدس صارت إسرائيلية بهذا الوصف لأن فرداً واحداً إنما ينهض بشخصه لا بأمته ، ومع هذا فإن موقف العلماء من المسلمين ورجال الدين المسيحى فى مصر موقف موحد ، لأنه ينبعث من وطنيتهم المصرية التى تحمى أرضهم وعرضهم . فإذا سلمت إسرائيل بالحقوق التى اغتصبتها من الأمة العربية وعادت إلى ما كانت عليه فى الرابع من يونيو ٦٧ عندئذ ينظر ويتقرر الموقف بعد معرفة الحقوق التى استردت ، وما هو الباقى منها وعلى إسرائيل إذا رغبت سلما وسلاما أن تسلم الحقوق إلى أصحابها وأن تكف عن البغى والعدوان فى لبنان وفلسطين وغيرها . وهو العدوان الذى لا ينقطع عن العرب والمسلمين بل ولابد أن تكف عن الدسائس والمؤامرات وبذر بذور الشقــاق والخلاف على الأرض العربيـــة والإسلامية ، وإحيائها موات الخلافات العرقية والوطنية بين أطراف الأمة الإسلامية ككل . إن فعلت ذلك كان السلام مشتركا سلما وسلاما وإن بقيت على ما هى عليه فكما يقال : إن عادت الحية عدنا لها .

* علماء ورجال الدين قدوة وقد تحذو حذوهم العامة ويتطلعون إلى زيارة القدس وهى مازالت على وضعيتها الراهنة التى يؤكدها ساسة إسرائيل من أنها عاصمة موحدة أبدية للدولة اليهودية ؟

* * إذا ذهب العامة إلى القدس الآن سواء بدعوة من إسرائيل أو تلقائيا من أنفسهم فهم آثمون ، لأنهم لم يدركوا ما فعلته إسرائيل بأمتهم العربية وبغيا عليهم واستلابا منهم الأرض والعرض ، وأن الأمر يقتضى الحرص على أن تكون الأمة صفا واحدا حتى تأخذ حقها وتدفع عن أرضها المغتصب وتعيد الأرض إلى أصحابها ومتى عادت القدس إلى موقعها عاصمة عربية كما كانت مباحة لكل الناس أتباع الأديان السماوية الثلاثة لم يكن على من يزورها إثم عندئذ .

* معنى هذا أن هناك فرقا بين مسئول يزور القدس فى إطار عملية السلام وبين من يذهب إلى إسرائيل بدعوة منها لذاتها أو لغرض شخصى ؟

* * هذا الفرق هو أن العمل العلمى المسبب لا يحدث أثرا فى نفوس الشعب الذى منه هذا المسئول ، أما الزيارات السرية أو الشخصية فقد تؤثر على بعض الضعفاء الذين يرغبون فى أن يكونوا مثله .

* من المقرر أن يتم التفاوض حول القدس فى مايو القادم ، ما هى رؤيتكم وكيف يمكن الدفع بحق العرب الشرعى فى القدس الشرقية ؟

* * أعتقد أن الأمة الإسلامية تطلب القدس التى كانت مع الأردن وفى حوزتها قبل ٦٧ وقبل العدوان الإسرائيلى وضمها كل فلسطين .. هذه هى القدس التى يطالب العرب ، بل المسلمون ، بل المنصفون فى العالم كله بها ، ولا أدل على هذا من أن قرارات الأمم المتحدة قد أدانت هذا العدوان وأبرزت صراحة أن ما اغتصبته إسرائيل ينبغى أن يعود إلى أصحابه . القدس بهذا جزء من الأرض العربية التى كانت فى حوزة الأردن قبل عدوان إسرائيل سنة ٩٧ أما الوافدون عليها

من اليهود والذين أقاموا لهم بيوتا ومساكن فهم كأى إنسان وفد على دولة ما وهو ضيف عليها وليس صاحب حق وعليه أما أن يحسن الإقامة تحت سيادة الدولة العربية أو يرحل .

* منطوق العالمية يحمل ملامح تشكيل هيكلية جديدة تتوج فيها إسرائيل كدولة لها الصدارة فى المنطقة ؟

* * إن الأمة الإسلامية تحاول فى مسيرتها أن تتجمع وأن تكون جميعا تحت راية الإسلام ولو فى مضمونه العام ، وهى كذلك إن شاء الله لكننا نأمل أن تتعرف على أسباب الفرقة التى تمثلها القضايا الصارخة الواقعة الآن ، وتتجاوز هذه المحن وهذه الفتن بحيث لا توقف مسيرة تقدمها نحو ضم الصفوف، فهذه أوروبا فى الطريق إلى أن تكون لها كيان واحد ، وصارت حدود كل دولة مفتوحة لرعاياها يتنقلون كما يشاءون دون توقف أو تعثر .

ونأمل أن تتابع الأمة الإسلامية إصلاح ذات البين ، بحيث يتكامل فى جسدها الذى وصفه رسول الله ﷺ بقوله : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

* دعا بابا الفاتيكان مؤخراً إلى وجوب التآلف بين الأديان ، خاصة اليهود والمسيحيين لوجود قاسم مشترك بينهما يتمثل فى العهد القديم من التوراة ؟

* * ونحن المسلمين ندعو إلى التعايش بين اليهود والمسيحين والمسلمين بوصفهم من بنى الإنسان وبوصف أن الرسل الذين جاءوا إلى كل منهم هم موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام إنما جاءوا برسالات سماوية إلى بنى البشر وقد أوجب القرآن على المسلمين أن يؤمنوا بذلك جملة كما فى خواتيم سورة البقرة فى قوله سبحانه وتعالى:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ سورة البقرة

فهذا ميثاق بين أصحاب الأديان يتبادلون به التعايش والتآخى فى هذه الحياة .

* التخطيط الصهيونى الماكر أوصل إسرائيل إلى ما تريد فى خلسة من انقسام عربى وتمزق إقليمى ؟

* * هذا نتيجة حتمية لغفوة العرب فلقد جرتهم إسرائيل إلى مؤتمر مدريد ونجحت فى إيقاع الخلاف بينهم فيما عرض ، وفيما يعرض فى المؤتمرات اللاحقة ، ومقررات مؤتمر مدريد لا تزال تتنفس بصعوبة وما تم فى «أوسلو» تم بليل ، وفاجأ الجميع وكان عثرة كبيرة نسأل الله أن تتجاوزها الدولة الفلسطينية فى مفاوضاتها النهائية المزمعة فى مايو القادم . والأمل أن تتيح إسرائيل الفرصة لإنجاح المفاوضات الجارية مع سوريا ولبنان حتى يبلغ السلم غايته على أساس عودة إسرائيل إلى الحدود التى كانت قائمة فى الرابع من يونيو ٦٧ .



سورة يس

يقول الله - تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠ ﴾

أ. د / ابراهيم خميس

مناسبة الآيات لما قبلها :

لما استدل سبحانه وتعالى بأحوال الأرض على توحيد الله وقدرته فى قوله :

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا .. ﴾

والأرض هى المكان الكلى . استدل على ذلك أيضاً بتعاقب الليل والنهار وهو الزمان الكلى ، وبين دلالة المكان والزمان مناسبة . لأن المكان لا يستغنى عنه الجوهر ، والزمان لا يستغنى عنه العرض ، إذ كل عرض هو فى زمان ، ومثل ذلك مذكور فى قوله - تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾
فصلت - ٣٧

وقوله - تعالى :

﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا ﴾
الأعراف - ٥٤

وقوله - تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢ ﴾
سورة الفرقان

وقوله : ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ﴾
الزمر - ٥

والمعنى الأصلى للسلخ هو : كشط الجلد عن الشاة ، وهذا المعنى محسوس مشاهد لنا ، والمراد به فى الآية الكريمة : نخرج منه النهار إخراجا لا يبقى معه شىء من ضوء النهار ، أو ننزع منه النهار نزعا كما ينزع القميص عن البدن .

وقد جرت عادة القرآن الكريم أن يشبه الأمور المعنوية بأمور محسوسة لكى تستقر فى الأذهان ، فالمستعار له : إزالة ضوء النهار عن الأماكن التى تقع عليها ظلمة الليل ، بحيث تكون تلك الظلمة ظاهرة منكشفة ، والمستعار منه سلخ الجلد عن

الشاة ، وعلى هذا فالأصل الظلمة ، والنهار طارىء عليها ، فإذا غربت الشمس ينسلخ النهار من الليل وينكشف ويزول فتظهر الظلمة ، ومعنى « فإذا هم مظلمون » : داخلون فى الظلام مفاجأة وبغتة لابد لهم بعدئذ ، ولابد من الدخول فيه .

ومعنى الآية : ومن أدلة قدرته تعالى الباهرة ، خلق الليل والنهار وتعاقبهما دائبين . فينزع النهار من الليل فيأتى بالضوء وتذهب الظلمة ، وينزع الليل من النهار فيصبح الخلق فى ظلمة ويذهب الضوء ، وهكذا يتعاقبان يجىء هذا فيذهب هذا ، ويذهب هذا فيجىء هذا ، وذلك نتيجة لدوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق . فتشرق الشمس على نصف الكرة الأرضية وتغيب عن النصف الآخر ، وفى كل من الظلمة والنور نفع وخير . ففى الظلام ترك العمل وسكون النفس والراحة من العناء ، وفى النور متعة ولذة وحركة وعمل من أجل كسب الرزق ، ويذكرنا الله بتلك النعمة فيقول :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

سورة القصص

وفى سورة النبأ يقول ـ تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾

سورة النبأ

ويرد سؤال هو : أنه إذا كان المراد من الآية الاستدلال بالزمان على قدرة الله ووحدانيته . فلم اختار الليل حيث قال ـ تعالى :

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ ﴾ ؟ .

نقول : لما ذكر فى الآية التى قبلها الاستدلال بالمكان وهو الأرض التى تقع فيها الظلمة ذكر هنا الاستدلال بالزمان الذى فيه الظلمة ، وهو : الليل .

ووجه آخر وهو : أن الليل فيه سكون الناس وهدوء الأصوات ، وفيه النوم وهو كالموت ، ويكون بعده طلوع الشمس كالنفخ فى الصور فيتحرك الناس ، فذكر الموت ، كما قال فى الأرض : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ . فذكر من الزمانين أشبههما بالموت كما ذكر من المكانين أشبههما بالموت .

ويرد سؤال آخر يقول : إن الليل فى نفسه آية . فما فائدة ذكر ﴿ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ ﴾ ؟ والجواب على هذا : أن الأشياء تتميز بضدها ، وذكر الضد تتبين به المنافع والمحاسن . ولهذا لم يجعل الله الليل وحده آية فى موضع من المواضع إلا ذكر آية النهار معها ، وبضدها تتميز الأشياء .

إن هذا التعبير القرآنى فى قوله ـ تعالى :

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾

يصور هذه الحقيقة الكونية أدق تصوير حيث يصور النهار متلبسا بالليل ثم ينزع الله النهار من الليل « فإذا هم مظلمون » ، ولعلنا ندرك شيئا من سر هذا التعبير الفريد حين نتصور الأمر على حقيقته . فالأرض الكروية فى دورتها حول نفسها فى مواجهة الشمس تمر كل نقطة منها بالشمس فإذا هذه النقطة نهارا حتى إذا دارت الأرض والزوت

تلك النقطة عن الشمس انسلخ منها النهار ولفها الظلام ، وهكذا تتوالى هذه الظاهرة على كل نقطة بانتظام ، وكأنما نور النهار ينزع أو ينسلخ فيحل محله الظلام .

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

اختلف المفسرون فى قولـــه .. والشمس تجرى ، والقمر قدرناه . هل كل واحدة منهما آية مستقلة أو هما مع ما قبلهما آية واحدة ؟ نقول : يحتمل أن يكون الواو للعطف على الليل . والتقدير : وآية لهم الليل نسلخ ، والشمس تجرى والقمر قدرناه . فهى كلها آية واحدة ، وقوله ﴿ والشمس تجرى ﴾ : « إشارة إلى سبب سلخ النهار ، فإنها تجرى لمستقر لها وهو وقت الغروب فيسلخ النهار ، وفائدة ذكر السبب هو أن الله تعالى قال : ﴿نسلخ منه النهار﴾ وكان غير بعيد من الجهال أن يقول قائل منهم : سلخ النهار ليس من الله إنما ينسلخ النهار بغروب الشمس ، فقال تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾

بأمر الله . وعلى هذا فسلخ الليل من النهار وجرى الشمس آية واحدة ، ويحتمل أن قوله : « والشمس تجرى لمستقر لها » إشارة إلى نعمة النهار بعد الليل فيعود النهار بمنافعه .

وعلى هذا فيكون سلخ الليل من النهار آية ، وجرى الشمس آية أخرى ، وهذا هو الأرجح ، ويدل على ذلك مجيء الواو فى قوله :

﴿ والشمس تجرى ﴾

لأن العطف يقتضى المغايرة .

وقد اختلف فى المستقر الوارد فى قولـه ـ تعالى :

﴿ لمستقر لها ﴾

على أقوال كثيرة ، منها : أنها تنتهى فى سيرها لمستقر لها فتقف فيه ولا تنتقل عنه ، ومستقرها هو مكان تحت العرش تسجد فيه كل ليلة عند غروبها ، فتستمر ساجدة فيه طول الليل ، فعند طلوع النهار يؤذن لها فى أن تطلع من مطلعها أولا ، فإذا كان آخر الزمان لا يؤذن لها فى الطلوع من المشرق ، بل يقال لها : ارجعى من حيث جئت ، فتطلع من المغرب ، وقد صح عن النبى ﷺ فيما رواه «أبو ذر» قال : سألت النبى ﷺ عن قول الله ـ تعالى :

﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ﴾

قال : « مستقرها تحت العرش » ، وفى رواية قال النبى ﷺ لأبى ذر ـ رضى الله عنه ـ حين غربت الشمس : أتدرى أين تذهب الشمس ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها : ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها ، فذلك قوله ـ تعالى :

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ .

وحديث سجود الشمس تحت العرش . أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق .. صفة الشمس والقمر بحسبان ج ٤ ص ١٣٣ طبعة دار الحديث ، وأخرجه مسلم فى كتاب الإيمان ـ باب بيان الزمن الذى لا يقبل فيه الإيمان ـ ج ١ ص ١٣٨ ، قال الشيخ محى الدين النووى :

اختلف المفسرون فى المراد بهذا الحديث ، فقال جماعة : هو على ظاهره ، فعلى هذا القول إذا غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش إلى أن تطلع ، وقيل : تجرى إلى مستقر لها وأصل لا تتعداه ، وعلى هذا فمستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا ، وسجود الشمس ليس على حقيقته إنما هو تمييز وإدراك يخلقه الله تعالى فيها .

وقال بعضهم : إن الشمس فى الليل تسير وتشرق على عالم آخر من أهل الأرض وإن كنا لا نعرفه ، ويؤيد هذا القول ما قاله الفقهاء فى باب المواقيت من أن الأوقات الخمسة تختلف باختلاف الجهات والنواحى فقد يكون المغرب عندنا عصراً عند آخرين ، ويكون الظهر صبحا عند آخرين وهكذا .

وقد يراد بالمستقر : منقطع جريها ، ويكون المستقر على هذا زمان استقرارها وانقطاع حركتها ، وذلك يوم القيامة ، ويؤيد هذا المعنى قراءة « والشمس تجرى لا مستقر لها » .

ويبدو لى ـ والله أعلم ـ أن هذا الاختلاف فى المراد بالمستقر هو اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد ، فكل هذه الأقوال مرادة يحتملها التعبير القرآنى ، وأن منشأ هذا الاختلاف : مراحل المكتشفات العلمية المتتابعة ، وفى القرآن الكريم إشارة إلى كثير مما توصل إليه العلم ، وصدق الله العظيم : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ فصلت ـ ٥٣

يقول الدكتور / محمد أحمد الغمراوى فى كتابه الإسلام فى عصر العلم .. ص ٢٢٩ وما بعدها .

فالفعل «تجرى» ينطبق فى أعين الناس على حركة الشمس من المشرق إلى المغرب . وهو فى حرفيته يعبر عن حركة حقيقية أثبتها العلم للشمس بسرعة مخصوصة قدروها بنحو اثنى عشر ميلا فى الثانية فى اتجاه مخصوص فى فضاء الله .. ، والفعل ليس يدل فقط على حركة انتقالية ذاتية للشمس ولكن يدل أيضاً على عظم تلك الحركة فى الواقع ، فلا يصح للملحد أو مستشرق يكفر بالقرآن أن يقول : إن جملة «والشمس تجرى» هى من عند إنسان يصف ما يرى . أما وقد ثبت للشمس جرى حقيقى فى الفضاء متعين المقدار والاتجاه بعد نحو اثنى عشر قرنا من عصر القرآن . فالجملة القرآنية هى من عند خالق الشمس آية للناس على أن القرآن من عند الله .

وسوف تتوالى المكتشفات العلمية التى تظهر ما كان بعيداً عن أفهام الناس وعقولهم تحقيقا لما جاء عن رسول الله ﷺ فى وصف القرآن : « فيه نبأ ما قبلكم ، وحكم ما بينكم ، وخبر ما بعدكم ، لا تنقضى عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد » رواه الترمذى .

﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾

أى ذلك الجرى على هذا التقدير المتضمن للحكم التى تعجز العقول عن إحصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور . العليم المحيط علمه بكل معلوم . فليس جرى الشمس صدفة ولا فلتة عارضة .

﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾

التقدير : يطلق على جعل الأشياء بقدر ونظام محكم ، ويطلق على تحديد المقدار من شىء يطلب

معرفة مقداره ، مثل تقدير الأوقات وتقدير الكميات من الموزونات والمعدودات ، وكلا الإطلاقين مراد في الآية فإن الله قدر للشمس والقمر نظام سيرهما ، وقدر بذلك حساب الفصول السنوية والأشهر والأيام والليالي ، ومعنى «قدرناه منازل» : قدرنا سيره في منازل ينتقل بسيره فيها منزلة بعد أخرى ، والعرجون هو : عود العذق ما بين شماريخه التي - فيها البلح - إلى منبته من النخلة ، وهو في النخل بمنزلة العنقود في الكرم ، وإذا قدم عود العذق - العرجون - وعتق . دق وتقوس واصفر ، والقديم ما تقادم في العادة .

والعباد يرون القمر في منازله تلك يولد هلالا ثم ينمو ليلة بعد ليلة حتى يستدير بدرا ، ثم يأخذ في التناقص حتى يعود هلالا مقوسا كالعرجون القديم . ووجه الشبه هو الدقة والانحناء والاصفرار وهذا تشبيه بديع .

تخبرنا هذه الآية أن الله جعل للقمر منازل يسير فيها طوال الشهر ، وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في واحد منها ، ثم ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوما وليلة واحدة إن تسعة وعشرين . فإذا صار القمر في آخرها دق واصفر وتقوس وعاد إلى أولها .. حتى صار كالعرجون القديم .

ويستدل بمنازل القمر على : مضي الشهور كما أن الشمس يعرف بها الليل والنهار . قال - تعالى :

﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾

البقرة - ١٨٩

وقال - تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾

يونس - ٥

ومن يلاحظ القمر ليلة بعد ليلة على مدار الشهر كله يجده في لياليه الأولى هلالا وفي لياليه الأخيرة هلالا ، ولكنه في الأولى يظهر كأن فيه نضارة وقوة ، وفي الأخيرة يطلع وكأنما يغشاه شحوب وذبول ، وكلمة «القديم» توحي بذلك .

﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

بينت الآيات السابقة النظام الشمسي العجيب والقمري المدهش الغريب . وتبين هذه الآية النتائج المترتبة على تلك الظواهر الكونية .

والإدراك : اللحاق والوصول إلى البغية ، وفي ذكر هذه الآية :

أولا : التذكير بنعمة الليل ونعمة النهار ، فإن لكليهما فوائد للناس عظيمة ومنافع جمة فلو تخلص أحدهما من الآخر فاستقر في الأفق لتعطلت تلك المنافع وغيرها من حياة الناس والحيوان .

ثانيا : أن يزيد الله الناس عبرة وتعليما بأن للشمس سيرا لا يلاقي سير القمر ، وللقمر سيرا لا يلاقي سير الشمس ، ولا يمر أحدهما بطريق مسير الآخر .

ومعنى «لا ينبغي» : لا يصح ولا يتسهل للشمس أن تدرك القمر في سرعة سيره لأن القمر أسرع سيرا . حيث فلكه في شهر بخلاف الشمس فإنها لا تقطع فلكها إلا في سنة فهي لا تدرك القمر إذاً في سرعة سيره ، ولأنها كاملة النور . فلو

كانت بطيئة السير لدامت زمانا كثيرا فى مكان واحد فتحرق ما فيه ، ولو كانت سريعة السير لما لبثت فى مكان واحد بقدر ما يخرج النبات من الأرض ، والأوراق والثار من الأشجار ، وبقدر ما ينضج الثار والحبوب ، وكذلك لا ينبغى للشمس أن تدرك القمر فى آثاره ومنافعه مع قوة نورها وإشراقها . فإن لكل واحد من الشمس والقمر آثارا ومنافع تخصه ، وليس للآخر أن يدركه فيها . وأيضاً ليس للشمس أن تدرك القمر فى مكانه بأن تنزل منازله وتجرى حيث جرى .

فإن الله ـ تعالى ـ قدر لكل واحد منهما فلكا على حياله ، وليس لها أن تدركه فى سلطانه ، فسلطان القمر بالليل وسلطان الشمس بالنهار .

﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾

المراد بالفلك : الجسم المستدير أو الدائرة ، لأن أهل اللغة اتفقوا على أن فلكة المغزل ، سميت فلكة لاستدارتها ، وفلكة الخيمة هى الخشبة المسطحة المستديرة التى توضع على رأس العمود لئلا يمزق العمود الخيمة .

ومعنى «يسبحون» : يسيرون بانبساط . لأن كل من انبسط فى شىء ، فقد سبح فيه ، وإنما ذكر الضمير فى «يسبحون» جمعا مع أن المذكور شمس وقمر ، لأنه بالإضافة إلى دورة الشمس والقمر المذكورين هناك كواكب أخرى لكل منها دورة خاصة به ، وكل من الشمس والقمر وهذه الكواكب يسبح ويدور فى فلكه فى السماء كما يسبح السمك فى الماء .

ويتبين من كل ما ذكر أن لكل نجم أو كوكب فلكا أو مدارا لايتجاوزه فى جريانه أو دورانه ، والمسافات بين النجوم والكواكب مسافات هائلة . فالمسافة بين أرضنا هذه وبين الشمس كما قرأت ـ والله أعلم ـ أن على سبيل المثال تقدر بنحو ثلاثة وتسعين مليونا من الأميال ، والقمر يبعد عن الأرض بنحو أربعين ومائتى ألف من الأميال ... الخ

يستفاد من الآيات ما يأتى

١ ـ إن من العلامات الدالة أيضاً على توحيد الله وقدرته ووجوب ألوهيته : تعاقب الليل والنهار وما يتبعهما من ظلمة وضوء لتحقيق مصالح العباد وضبط السنين والحساب .

٢ ـ وجريان الشمس لمستقر لها هو محورها أو نهاية سيرها يوم القيامة وتقدير القمر ذا منازل هى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة بمنزل منها ، فإذا صار فى آخرها عاد إلى أولها ، فيقطع الفلك فى ثمان وعشرين ليلة ثم يستتر ، ثم يطلع هلالا فيعود فى قطع الفلك على المنازل .

٣ ـ جعل مدار مستقل وسلطان منفرد لكل من الشمس والقمر والأرض فلا يدخل أحدهما على الآخر ، وإنما لكل من الشمس والقمر والنجوم يجرى فى فلك خاص . والله أعلم .

يتبع



في ألفاظ القرآن الكريم

القرين

لفضيلة الشيخ / عبدالفتاح سيد جمعان

١ ـ ورودها في القرآن الكريم :

ذكرت هذه الكلمة وما اشتق من مادتها في الكتاب العزيز عدة مرات مرة في سورة النساء في قوله ـ تعالى :

﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾

ومرة في سورة إبراهيم عليه السلام في قوله ـ سبحانه :

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾﴾

ومرة في سورة الفرقان في قوله ـ تعالى :

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾

ومرة في الصافات في الآية الحادية والخمسين :

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾

ومرة في سورة ص في قوله ـ تعالى :

﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾

ومرة فى فصلت :

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾

وثلاث مرات فى سورة الزخرف هى قوله ـ تعالى :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

وقوله : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

وقوله : ﴿ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

ومرتين فى سورة ق من قوله ـ تعالى :

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

وقوله :

﴿ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

ونلاحظ أنها جاءت مفردة فى سبع مواضع وجمعا فى الست الباقية منها خمس مجموعة جمع مذكر سالما « مقرنون ـ ومقرنين ـ ومقترنين » وواحدة جمع تكسير «قرناء» .

مادة الكلمة :

مادة هذه الكلمة تدور حول الضم والجمع والوصل وما يلزم عنها ، كالملازمة والإحكام والإطاقة والتسخير ، وقد استعملت فى القرآن الكريم بكل هذه المعانى كما سنبينه بعد .

وأصل المادة (قَرَن) تقول : قرن الشيء بغيره شده إليه ، وكل منهما قرين بمعنى مقرون والجمع قرناء (وقيضنا لهم قرناء) .

واقترن الشيء وأقرن له : قدر عليه وأخضعه وسخره فهو مُقْرِن والجمع مقرنين (وما كنا له مقرنين) واقترن الأصدقاء اصطحبوا وانضم بعضهم إلى بعض فهم مقترنون (أوجاء معه الملائكة مقترنين) وقَرَّن الأسارى قيدهم فى قَرَن واحد فهم مُقَرَّنون (مقرنين فى الأصفاد) أى القيود ، والقرن الحبل (القاموس القويم لألفاظ القرآن الكريم ج ٢ ص ١١٤ ، ١١٥ بتصرف) .

واستعمالات القرآن الكريم لهذه المادة لم تخرج من هذه المعانى السابقة وإن كان لها معان

أخرى يقول الفيروز بادى فى بصائره : القرن الروق من الحيوان ، وموضعه من الإنسان ومن الجبل أعلاه وقَرْن الشمس ناحيتها أو شعاعها ، ومن الناس : سيدهم وزعيمهم كما يطلق القَرْن على الناس المجتمعين فى زمن واحد هو : مائة عام على الأرجح ، والقَرَن بفتح القاف والراء : الحبل (بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ج ٥ ص ٢٦٠ بتصرف) .

معانيها فى القرآن الكريم :

١ ـ معانى كلمة القرين :

جاءت هذه الكلمة فى كتاب الله سبع مرات ، كما سبق ست منها بمعنى : الشيطان وواحدة بمعنى الملك وقيل : ثنتان بمعنى الملك على اعتبار أن آية (ق) الثانية (قال قرينه ربنا ما أطغيته) يراد منها الملك أيضاً وسيأتى توضيح ذلك فى البيان التالى :

يقول ـ تعالى ـ فى سورة النساء :

﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ ﴾

فى الآية تصريح بأن المراد بالقرين هو : الشيطان ، وفيها إلى جانب ذلك ذم لهذا القرين الشيطانى لأنه زين لقرينه الآدمى : الرياء والكفر بالله واليوم الآخر ، فصار من المنافقين الذين ينفقون أموالهم للسمعة والرياء فاشبهوا اليهود المذكورين فى الآية السابقة .

﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ
مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾ سورة النساء

قال الألوسى فى روح المعانى فى تفسير القرين ، المراد إبليس وأعوانه والناس التابعون له من القوى النفسية والهوى وصحبة الأشرار وشياطين الأنس ، وعليه فإن الشيطان هنا لا يقتصر على شيطان الجن فحسب بل يدخل معه كذلك شيطان الأنس ، إذ من معانى القرين : الصاحب والخليل والمعين فى الخير أو الشر قال عدى بن زيد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقد ذم الحق ـ سبحانه وتعالى ـ هذا القرين سواء كان من الجن أو الإنس لأنه دعا صاحبه إلى المعصية المؤدية إلى النار ، وهو ـ أى الشيطان ـ مع قرينه أيضاً فى جهنم لأنه قارنه وقبل منه وسوسته فى الدنيا ، والمراد أن حالهما فى المصير السيء سواء ، وفى الآية كما يقول

الشيخ المراغي في تفسيره ، إيحاء إلى تأثير قرناء المرء فيه ، وأن الواجب اختيار القرين الصالح .

وإذا كان لفظ القرين الوارد في النساء يصدق على الإنس والجن فإنه في سورة الصافات لا يراد به إلا قرين الإنس فقد قال ـ تعالى :

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾

الآيات ٥١ ـ ٥٣ الصافات

أي وقال قائل من أهل الجنة وهو يسامر أخوانه في النعيم عندما ما أقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن أحوالهم في الدنيا ، قال : كان لي صاحب في الدنيا يكذب باليوم الآخر ويوبخني على إيماني ويسألني في دهشة أأنت من المصدقين بأننا مبعوثون فمحاسبون بعد أن نصير ترابا ، ثم خطر له أن يتفقد صاحبه ذاك في جهنم فتطلع فرآه في وسط الجحيم فدعا إخوانه من أهل النعيم إلى رؤيته معه ثم قال له لقد أوشكت أن توردني موارد الهلاك لولا أن الله أنعم على فعصمني من اتباع إغوائك .

﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ۝ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾

٥٤ ـ ٥٧ الصافات

ومما يؤكد أن المراد بقرين الصافات ، رجل من الإنس ما أورده **الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب قال** : قيل المراد به كما جاء في الكهف شريك له . روى أن رجلين كانا شريكين فربحا ثمانية آلاف دينار فقال أحدهما للآخر أقاسمك فقاسمه واشترى دارا بألف دينار فأراها صاحبه وقال كيف ترى حسنها ، فقال ما أحسنها ، فخرج وقال . اللهم إن صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار وإني أسألك دارا من دور الجنة ، وتصدق بألف دينار ثم إن صاحبه تزوج امرأة حسناء بألف دينار ، فتصدق هذا بألف دينار ، ثم إن صاحبه اشترى بساتين بألفي دينار ، فتصدق هذا بألفي دينار ثم إن الله أعطاه في الجنة ما طلبه ، ولهذا قال لإخوانه في الجنة « إني كان لي قرين » أما لفظ القرين المذكور مرتين في سورة الزخرف فيراد به شيطان الجن لا غير قال ـ تعالى :

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۝ ﴾

والمعنى أن من عمى عن آيات الله وذكره هيأ الله له شيطانا من الجن يوسوس له فقد اقتضت مشيئة الله فى الإنسان أنه حين يغفل قلبه عن ذكر الله يجد الشيطان طريقه إليه فيلزمه ويصبح له قرين سوء ، ووظيفة قرناء السوء من الشياطين أن يصدوا قرناءهم عن سبيل الله ، بينما هؤلاء يحسبون أنهم مهتدون ولا يفيقون من غفلتهم إلا حين يرجعون إلى ربهم ويرون مصيرهم الأليم ، عندئذ يقول كل منهم لقرينه « يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين » .

والذى يؤكد أن المراد بالقرين فى الزخرف شيطان الجن لا غير قوله ـ تعالى «نقيض» فهى مأخوذة من القيض وهو قشر البيضة المحيط بها الملاصق لها والملازم دوما ، ولذا يقول العرب فى التعبير عن الملازمة العامة «قَيْضٌ على بيض» وذلك لا يتأتى إلا إذا كان القرين ملازما للكافر أو العاصى ملازمة تامة لا يفارقه فى وقت من الأوقات ، وهذا لا يكون إلا إذا كان القرين جنيا لا إنسيا قال فى التفسير الواضح : « فهو له قرين لا يفارقه ودائما يدعوه إلى كل ضلال ويزين له كل شر لأنه تعامى أولا عن النظر فى القرآن الكريم .

وأخيراً نأتى إلى لفظ القرين المذكور مرتين فى سورة (ق) الأولى فى قوله :

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

ويكاد المفسرون يجمعون على أن المراد بهذا القرين الملك الموكل به فى الدنيا قال قتادة « قرينه الملك الموكل وهو كاتب سيئاته، يقول مشيراً إلى صحيفته، أو يشير إلى الإنسان «هذا ما لدى» وقال البعض : الأرجح أنه الشهيد الذى يحمل سجل حياته ، وعتيد : حاضر مهيأ لا يحتاج إلى تهيئة أو إعداد .

وفى تفسير المراغى : « هو الملك الموكل بالمرء فيقول للحق سبحانه هذا الذى وكلتنى به من بنى آدم قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله » .

وذهب صاحب التفسير الواضح إلى أن المراد بالقرين هنا : الشيطان الذى يقيض له فى الدنيا يشير إلى الكافر ويقول : هذا الذى عندى وفى ملكى ـ أى أغويته حتى ملكت أمره ـ عتيد لجهنم قد هيأته لها بإغوائى وإضلالى ، وهذا كما قلنا من قبل على خلاف الأرجح الذى أوشك المفسرون أن يجمعوا عليه ، وقد نقل القرطبى هذا الرأى أيضاً عن مجاهد ، كما نقل عن غيره أنه : من الإنس ، وهو فى غاية الضعف .

أما لفظة القرين الثانية فى (ق) (قال قرينه ربنا ما أطغيته) فيكاد يجمع المفسرون أيضاً على أن المراد منها الشيطان الجنى الموكل بإغوائه يقول متنصلا من إغوائه : إنه وَجدهُ وَجَده ضالاً فاستمع إلى إغوائه ، أو يقول ذلك تكذيبا للإنسان وردا على اعتذاره بقوله « ربى هذا الشيطان أغوانى

وأطغاني ، فيقول الشيطان ربنا ما أطغيته ولا أضللته ولكنه كان في ضلال سحيق ، فأنا زينت له السوء فقط وهو الذي ارتكب الإثم بنفسه بعد اختياره له وقصده أياه والعزم عليه وذلك كالذي يحكيه الله عنه في سورة إبراهيم : ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)﴾ . وفي الحديث « ما من مولود إلا معه قرينه من الجن قالوا حتى أنت يارسول الله قال حتى أنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم » رواه مسلم من حديث ابن مسعود،فالقرين هنا شيطان حتى تقترن حياته بحياة الإنسان من ساعة ولادته إلى أن يموت وعلى الإنسان أن يجاهده لينجو من شره ، بل على الأبوين أن يحصنا ولديهما منه ساعة الولادة بالأذان في أذنه اليمنى والإقامة في اليسرى ثم يحصنانه بعد ذلك بالتنشئة الحسنة والتربية الصالحة .

والشيطان ليس ملازماً للإنسان فحسب بل إنه يتخلل أعضاءه وشرايينه وأوردته ولذلك قال - عليه السلام - : « **إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش** » رواه البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه . ولبعض العلماء ملحظ طريف بالنسبة لقرين رسول الله ﷺ يقول فيه « العجب كل العجب أن يكون لرسول الله شيطان ومصاحب ولكن رسول الله أراد أن يبين لنا أن الشيطان ضعيف ويمكن للمؤمن أن يتغلب عليه بالمجاهدة والمصابرة فيقوده المؤمن إلى الخير والإسلام على الرغم أنه من ذرية إبليس اللعين ، وفي الحديث أيضاً إشارة إلى تأثير الإنسان الصالح في الشيطان لدرجة أنه يجعله يترك الكفر والشيطنة ويؤمن بالله ورسوله[1] .

ومع أن المفسرين يكادون يجمعون على أن القرين هنا من الجن ، حتى أن القرطبي نقل الإجماع عليه في تفسيره عن : المهدوي إلا أنه عاد وذكر رواية عن ابن عباس ومقاتل أن قرينه هو : الملك ؛ ذلك أن الوليد ابن المغيرة يقول للملك الذي كان يكتب سيئاته « رب إنه أعجلني » فيقول « ربنا ما أطغيته » أي ما أعجلته وقال سعيد بن جبير يقول الكافر « رب إنه زاد على في الكتابة » فيقول الملك « ربنا ما أطغيته » أي ما زدت عليه في الكتابة ، فحينئذ يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (٢٨) ﴾ .

ومن المفسرين من يعلل ذلك تعليلا لطيفا فيعزو قول الملك إلى التبرؤ من فعل الكافر مع أنه برىء ، فيقول بعد ترجيح أن القرين هو الشيطان : وقد يكون القرين هو الملك : ولكن هول الموقف يجعله يبادر إلى التبرؤ فعلى الرغم من صحبته لهذا الشقي لم تكن له يد في أي شيء من أفعاله وتبرؤ البرىء أدل على الهول المزلزل والكرب المخيف ، فالملك البرىء يرتجف ويفزع ويبادر إلى

(١) غوامض الجن للشيخ محمد على سلامة ص ٦٧ .

إبعاد ظل التهمة عن نفسه[2] .

معاني الكلمات التي جاءت بصيغة الجمع :

بعد أن استعرضنا الآيات التي جاءت فيها كلمة القرين حان الوقت لاستعراض الآيات التي جاءت فيها كلمات من هذه المادة مجموعة وهي :

أولا : قوله ـ تعالى ـ في سورة إبراهيم :

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾

أي مقرونين قرن بعضهم إلى بعض في القيود ، وضم كل لمشاركه في كفره وعمله ، فالتقرين هنا هو الجمع والربط في القرن ، والأصفاد : القيود فكما اجتمعوا على فعل الآثام في الدنيا جُمِعُوا قسْراً عنهم في العذاب أذلاء يوم القيامة .

ثانياً : قوله ـ تعالى ـ في سورة الفرقان :

﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾

ومعنى مقرنين كمعناها السابق في سورة إبراهيم أي : مقيدين ، غير أنه هنا لا يقيد مع غيره ولا يجمع معه في قيد لكن تجمع أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال ، وقيل مقرنين بالسلاسل مع الشياطين كل كافر مع شيطانه .

ثالثا : قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾

الكلمة هنا كسابقتها في الصيغة والمعنى ، غير أن المقرنين ليسوا الكفار في عذاب الآخرة ولكنهم المردة من جن سيدنا سليمان الذين خالفوا عن أمره ولم يطيعوه كباقي الشياطين الذين يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ، ومنهم البناءون والغواصون ، والمعنى : وسخرنا لسليمان شياطين يعملون له وشياطين آخرين تمردوا عليه وعصوا أمره فهم مقرنون مربوطون في السلاسل والأغلال عقابا لهم واتقاء لشرهم .

رابعا : كلمة قرناء في قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ فصلت ٢٥

وهي جمع قرين بمعنى الملازم والنظير والصديق كما مر والمعنى والله أعلم أن الحق ـ سبحانه ـ وتعالى هيأ وسبب للكفار قرناء من غواة الجن ـ وقيل والإنس أيضاً ـ وسلطهم عليهم ، يستولون عليهم استيلاء ، القيض على البيض ، فزينوا لهم الإثم والمعصية وأوهموهم أنه لا جنة ولا نار فاستمعوا إليهم واتبعوا مشورتهم فحق عليهم القول أنهم من الخاسرين كما حق على كثير من

(٢) كما يقول بعض المفسرين :

الأمم السابقة .

خامسا : كلمة مُقْرِنين وهى مختلفة فى المعنى ، والمراد عن كل كلمات المادة التى سبقت ، قال ـ تعالى ـ فى سورة الزخرف .

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

فمُقْرِنين جمع اسم فاعل من الفعل أَقْرَن الشيء بمعنى قدر عليه وأطاقه والمراد بها على ذلك مطيقين ، قال أبو عبيدة فلان مقرن لفلان أى ضابط له وأنا قرين لفلان أى مساو له ، وقال عمر بن معد يكرب .

لقد علـم القبائـل ما عقيـل لنـا فى النائبـات بمقرنينـا

أى ليسوا ، بمساوين ولا مطيعين لنا فى الحروب .. ومعنى الآية : أن الله خلق لكم الأنعام والفلك لتستوا على ظهور ما تركبون منها ثم تذكروا ربكم الذى أنعم بها عليكم وتقولوا تنزيها له : سبحان الذى ذلل لنا هذا الذى ركبناه وما كنا لولا تسخره بمطيقين لذلك ، ولولا ذلك ما انتفعنا بها إذ الإنسان مهما كان قويا لا يمكن أن يطيق الدابة ولو كانت ضعيفة ، روى أن قوما كانوا فى سفر فكانوا يقولون إذا ركبوا : (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) وكان فيهم رجل له ناقة ضعيفة فقال أما أنا فلها مقرن ، أى : مطيق ، فقمصت به فصرعته فاندق فى عنقه ومات .

سادساً : كلمة « مقرونين » وهذه جاءت فى الزخرف أيضاً فى قوله ـ تعالى :

﴿ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

أى : مجتمعين ومتتابعين لأن الاجتماع لازم الاقتران ، والمعنى : يقول فرعون عن سيدنا موسى:إذا كان رسولا حقا فلتأته الملائكة من قبل ربه الذى يدعى أنه رب السموات والأرض يأتونه متقارنين ليؤيدوه ويدفعوا عنه ، وربما كان لهذا الاقتراح بريق خادع ينطلى على الجماهير الذين استخفهم فرعون فأطاعوه ويرون فيه لغفلتهم بعض الوجاهة أكثر من اعتراضه السابق بأن يلقى على موسى أسورة من ذهب ، وهو رغم انطلائه على الجماهير المغلوبة على أمرها اقتراح واعتراض معاد ومكرر من قبل ومن بعد ، ألم يقترح كفار مكة على الرسول الخاتم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن تنزل عليه وعليهم الملائكة ؛ فملة الكفر واحدة وأساليب أهله متماثلة مهما اختلف الزمان وتباين المكان .

إيحاءات الكلمة :

وأخيراً فإن إيحاءات هذه الكلمة بالإضافة إلى معناها الأصلى وهو : الجمع والوصل تدور حول الملازمة والمشابهة والتناسب والإعانة والإطاقة والقدرة وقد أفادنا التعبير القرآنى ـ كما سبق أن عرفنا ـ كل ذلك فيما استعمله من مشتقات هذه الكلمة وصيغها .

الإيمان برسالة محمد ﷺ

بقلم أ. د محمود سالم الخطيب

عن أبي عبدالرحمن الجهني – رضي الله عنه – قال بينا نحن عند رسول الله ﷺ طلع رَكْبان فلما رآهما قال : كِنْديان مذحجيان . حتى أتياه . فإذا رجال من مذحج . قال : فدنا إليه أحدهما ليبايعه ، قال : فلما أخذ بيده . قال : يا رسول الله ، أرأيت من رآك فآمن بك وصدقك واتبعك ماذا له ؟ ، قال : طوبى له ، قال فمسح على يده فانصرف ، ثم أقبل الآخر حتى أخذ بيده ليبايعه ، قال : يا رسول الله ، أرأيت من آمن بك وصدقك واتبعك ولم يرك ؟. قال : طوبى له ، ثم طوبى له ، ثم طوبى له . قال : فمسح على يده فانصرف[1] .

والحديث في (الفتح الرباني)[2] .

راوى الحديث :

قيل : هو عقبة بن عامر ، وقيل : غيره ، وقال الحافظ ابن حجر في (التقريب) : أبو عبدالرحمن الجهني صحابي اسمه زيد نزل مصر . وقد ذكره في الصحابة كل من : البخاري والترمذي والبغوي والطبراني والدولابي وغيرهم ، وذكره ابن سعد في طبقة من شهد غزوة الخندق .

وقال ابن كثير في (الخلاصة) : هو عقبة بن عامر ، ذكره الدولابي في كتاب (الكنى) والله أعلم بالصواب .

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده جـ ٤ ص ١٥٢ .

(٢) جـ ١ ص ١٠٦١ .

مفردات في الحديث :

١ ـ بينا أصلها : بين فأشبعت الفتحة فصارت : ألفا . يقال : بينا وبينما ، وهما ظرفا زمان ، بمعنى المفاجأة[٣] .

٢ ـ رَكْبان تثنية رَكْب . وهو اسم جمع كنفر .

٣ ، ٤ ـ كنديان مذحجيان : تثنية كندة ومذحج . كمجلس ، وهما حيان باليمن .

٥ ـ ليبايعه : البيعة عبارة عن المعاقدة عليه والمعاهدة ، كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه . وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره .

٦ ـ اتبعك : أى جعلك إماما له في كل أعماله .

٧ ـ (الطوبى) : الحُسْنَى ، و (طوبى) في القرآن الكريم : (طوبى لهم) كل مستطاب في الجنة من بقاء بلا فناء ، وعز بلا زوال ، وغنى بلا فقر ، وصحة بلا سقم ، وكررت لتأكيد الحصول على الثواب .

الحديث :

يخبر الصحابى الجليل أبو عبدالرحمن الجهنى ـ رضى الله عنه ـ أنه كان جالساً مع رسول الله ﷺ إذ ظهر رَكْبان : أحدهما من كِنْدَة والآخر من مَذْحِج ، فقال النبى ﷺ : كِنْدِيَّان مَذْحِجيان ، وكان كما قال ـ عليه الصلاة والسلام .

فتقدم رجلان من رسول الله ﷺ واحداً بعد الآخر يسألانه عن جزاء من آمن به وجعل رسول الله ﷺ إماماً له . وحدد الأول سؤاله بمن رآه وآمن به وصدقه واتبعه ، وحمل سؤال الثانى نفس المعنى مضافاً إليه مَنْ لم ير رسول الله ﷺ فكان لكلا المُؤْمنَيْن الحسنى .. حسنى الجنة ذات النعيم الذى لا يحول ولا يزول ، وزاد نعيم من آمن برسول الله ﷺ ولم يره عن الأول أضعافا كثيرة .

وأكد النبى ﷺ استحقاق هذا الجزاء للثانى ثلاث مرات ، لأنه إذا آمن به وصدقه واتبعه ولم يره كان ذلك دليلا على صدق إيمانه وشدة امتثاله بما جاء به الرسول ﷺ .

وهذا الحديث يشبه الحديث الذى رواه أنس ابن مالك ـ رضى الله عنه ـ وهو .. أن رسول الله ﷺ قال : « وددت أنى لقيت إخوانى . قال : فقال أصحاب الرسول ﷺ : نحن إخوانك . قال : أنتم أصحابى ، ولكن إخوانى الذين آمنوا بى ولم يرونى »[٤] .

والحديث يبين أن من آمن بالرسول ﷺ وصدقه واتبعه حال حياته ، أو موته يستحق دخول الجنة بفضل الله ورحمته ، ومن المعلوم أن من آمن بالرسول ﷺ فى حياته فإن إيمانه يعنى أنه يبايعه ويعاهده على كل ما جاء به .

أما عن الإيمان ... ما هو .؟ فقد بينه الرسول ﷺ فى قوله : «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله »[٥] .

---

(٣) ص ١٧٦ جـ ١ النهاية بتصرف .

(٤) أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير وعزاه للإمام أحمد ، ورمز له بالصحة .

(٥) أخرجه مسلم من حديث سؤال جبريل للرسول ﷺ .

وأما عن اتباع رسول الله ﷺ وكونه قدوة لكل مؤمن . فقد بينه ـ عليه الصلاة والسلام ـ في قوله : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده . وزاد في رواية أخرى ـ عن أنس قوله : والناس أجمعين »[6] .

وقوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به »[7] .

ومعنى حتى يكون هواه إلخ : أن المسلم يعرض كل ما يقوم به من عمل على الكتاب والسنة ولا يخضعه لعاطفته .

ومصداق ذلك كل قوله ـ تعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ[8] بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

النساء : ٦٥

وأما بيعته ﷺ فمعناها : أن يتعهد المؤمن والمسلم بفعل كل ما أمر الله ورسوله به ، واجتناب كل ما نهيا عنه .

وفي حياته ﷺ تمت بيعات كثيرة : بيعات جماعية بعضها للرجال ، وبعضها للنساء .. وبيعات فردية .. وبيعات نصت على الجهاد .. وأخرى لم تنص عليه وعرفت هذه الأخيرة ببيعة النساء .

ما يؤخذ من الحديث

يؤخذ منه ما يأتي :

١ ـ فراسة الرسول ﷺ بمعرفته بأحياء العرب .

٢ ـ جواز سؤال الصحابي عن جزاء من آمن بالنبي ﷺ وصدق به واتبعه وبايعه في حياته .

٣ ـ وكذلك مصير من فعل ذلك في غير حياة الرسول ﷺ .

٤ ـ تلطف الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع أصحابه في مسحه وأخذه بيده عند البيعة .

٥ ـ تبشير النبي ﷺ من اتبعه ـ في حياته وبعد حياته ـ بالجنة .

٦ ـ جواز تأكيد الثواب ـ نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلنا من المؤمنين المحبين لاتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

---

(٦) البخاري .

(٧) أخرجه النووي في كتابه الأربعين النووية ، وقال عنه : إنه حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح .

(٨) معنى شجر ، أشكل أو التبس عليهم الأمر حتى اختلفوا فيه .

(٩) الحرج : الضيق والشك .

قبس من أنوار النبوة

المروءة

لفضيلة الشيخ علي حامد عبد الرحيم

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ ـ « تجافوا عن عقوبة ذوي المروءة » « رواه الطبراني في الكبير » .

وعن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال : « تجافوا عن عقوبة ذوي المروءة ، إلا في حد من حدود الله ـ تعالى » الطبراني في الأوسط .

المروءة خلق كريم ، وشاهد من شواهد الفضل ، وحلية للنفوس ، وزينة للهمم، بل « إن المروءة جماع الفضائل ، ورأس المكارم ، وعنوان الشرف .

« وصاحب المروءة » يتعفف عن الحرام ، وينصرف عن الآثام ، وينصف في الحُكم ويكف عن الظلم ، ولا يطمع فيما لا يستحق ، ولا يعين قويا على ضعيف ، ولا يؤثر فقيرا على شريف ، ولا يُسِرُّ ما يعقبه الوزر والإثم ، ولا يفعل ما يقبح الذكر والاسم » .

هكذا وصفهُ بعض البلغاء .

وسئل بعض الحكماء عن الفرق بين المروءة وبين العقل فقال : العقل يأمرك بالأنفع والمروءة تأمرك بالأجمل .

وتكاد لا تجد ذا مروءة إلا ونفسه شريفة وهمته عالية ، إذ شرف النفس يدعو إلى إعزازها

وإكرامها بالبعد عما يحط من شأنها ، وشريف النفس لا يقبل الهوان ، ولا يتحمل المذلة من أى إنسان فهو ـ من حيث يشعر أو لا يشعر ـ على سنن من قول القائل :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها
هوانا بها كانت على الناس أهونا
وإياك والسكنى بمنزل ذلة
يعد مسيئا فيه من كان محسنا

وعلو الهمة يحمل المتحلى به على الترفع عن الدنايا فلا ظلم منه للناس ولا كذب منه عليهم ، مع الرأفة بهم ، والتغاضى عن إساءتهم ، فقد كان ذلك خلق رسول الله ﷺ فما كان لينتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة لله ـ تعالى

وفى أدب الدنيا والدين : « من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت أخوته » .

ولأصحاب المروءات علامات تدل عليهم ، وأمارات ترشد إليهم ، فهم بتقوى الله عاملون ، وعن المحارم يتعففون ، كما يترفعون عن المآثم ، ولا يقربون الفحشاء ، ولا يخوضون فيما لا يعنيهم ، وهم لأرحامهم واصلون ، ولأموالهم فى إغاثة المحتاج باذلون .

روى أن معاوية بن أبى سفيان سأل عمر ـ رضى الله عنهما ـ عن المروءة فقال : « تقوى الله تعالى وصلة الرحم » .

وسأل المغيرة عنها فقال : هى العفة عما حرم الله تعالى ـ والحرفة فيما أحل الله تعالى .

وسئل الأحنف بن قيس عن المروءة فقال : صدق اللسان ، ومواساة الإخوان ، وذكر الله فى كل مكان ، ومن وصية الحكماء : الكامل المروءة مَنْ حصن دينه ، ووصل رحمه وأكرم إخوانه .

ولعمـــر الحق ، ما المروءة إلا فى التمسك بأهداب الفضائل ، والعمل بأوامر الدين ، فالدين يأمر بالإحسان ويرغب فيه ، ويحث على إغاثة اللهفان وإعانة المحتاج ، كما يأمر بصلة الأرحام ، وحفظ البطن والفرج عن الحرام ،فالمروءة هى الدين ، والدين هو المروءة .

وليست المروءة : أن تعين إنساناً بمالك أو جاهك فحسب ، ولكن أن تكون تقوى الله أساس عملك ، والعمل على مرضاته أول همك ، فلا تعمل عملا فى السر ، تستحى منه فى العلانية ، وإن صيانة النفس عن الابتذال وذل السؤال بالجد والكفاح فى الحياة بما يصلح حالك ، ويقوم بأود من تعول هو لب المروءة .ولن يضير ذوى المروءات أن يعملوا لكسب العيش من أى طريق ـ مادام سبيلا مشروعاً ، بل هذا هو الذى حث عليه الدين ، ورغب فيه سيد المرسلين ـ ﷺ ـ وعليهم أجمعين .

روى أن الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : لما أتينا بسبايا طيء وكان فى الناس جارية حسناء تقدمت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وقالت : يا محمد هلك الوالد وغاب الرافد ، فإن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب ، فإنى بنت سيد قومى ، كان أبى يفك العانى ـ الأسير ـ ويحمى الزمار ، ويقرى الضيف ،

ويشبع الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ولم يرد طالب حاجة ، أنا بنت حاتم الطائي ، فقال النبي - ﷺ - خلو عنها ، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق .

ومن تمام المروءة إيثار الغير على النفس ، قال الواقدي - رحمه الله - : كان لي صديقان ، أحدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة . فنالتني ضائقة . وحضر العيد ، فقالت امرأتي : أما نحن فنصبر على البؤس والشدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة بهم ، لأنهم يرون صبيان الجيران وقد تزينوا في عيدهم ، وأصلحوا ثيابهم ، وهم على هذه الحال من الثياب الرثة ، فلو احتلت بشيء تصرفه في كسوتهم ؟ قال الواقدي : فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة عليّ ، فوجّه إليّ كيسا به ألف درهم فأرسل إليّ الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي الهاشمي ، فوجهت إليه الكيس بختمه ، وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلتي مستحييا من امرأتي ، فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه

فبينا أنا كذلك إذ جاء صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته وقال لي : أصدقني عما فعلته فيما وجهت إليك ، فعرفته الخبر . فقال لي : إنك وجهت إليّ وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك . وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة . فوجه إليّ الكيس نفسه ، فتواسينا وتقاسمنا الألف أثلاثا . ثم نمي الخبر إلى المأمون ، فدعاني فشرحت له الخبر ، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار ، لكل واحد ألفان ، وللمرأة ألف .

وأي إيثار أعظم مما عرضه الأنصار على إخوانهم من المهاجرين أن يقاسموهم الأموال والديار ، حتى أشاد القرآن بذكرهم ، وأثنى على إيثارهم .

قال تعالى :

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

الحشر /٩ .

هذه هي المروءة : صلاح في الدين وإصلاح في المعيشة ، وسخاء في النفس وبرّ وإحسان ، وعطف على جيران وعفو عمن ظلم ، وإعطاء لمن حرم ووصل لمن قطع ، ونيل عظيم الثواب بصلة الأرحام ، وحسن الفعال . مع الناس أجمعين .

الأصول التي بنى عليها الإمام مالك مذهبه

للدكتور / محمود عبد المتجلي خليفة

لم يدون الإمام مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ الأصول التي بنى عليها مذهبه واستخرج على أساسها أحكام الفروع التي استخرجها ، والتي قيد نفسه في الاستنباط بقيودها . كما سبق أن قلنا .

ولكن الإمام وإن لم يذكر الأصول الفقهية لاستنباطه ، فقد أشار إليها بتدوين بعض فتاويه ومسائله والأحاديث المسندة بسند متصل والمنقطعة والمرسلة والبلاغات ، وإن لم يكن قد وضح المناهج ودافع عنه ، وبين البواعث التي بعثته على الأخذ به والاتجاه إليه دون سواه ، فمثلا يبين لنا الموطأ أنه كان يأخذ بمرسل الحديث ومنقطعه والبلاغات ، لأنه لم يكن قد أثير حول الإسناد ، ولكن تقيد المحدثون بعده بذلك لما كثر الكذب على رسول الله ﷺ ، فأراد المحدثون أن يستوثقوا من نسبة الحديث إلى النبي ﷺ وذلك بمعرفة الرجال ، فاشترطوا وصل السند ، ولم يأخذوا بالمرسل والمنقطع .

ومع ذلك فقد كان الإمام مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ ينتقي الأحاديث انتقاء المتعرف لأحوال الرواة ، الفاحص عن صفاتهم ؛ إذ قد اشتهر بنقد الرجال نقد الفاهم الخبير ، ووزن الحديث بكتاب الله ـ تعالى ـ ، والمشهور من السنة ، وما يراه مجمعا عليه من أهل المدينة ، وقد أثرت عنه كلمات في شروط الرجال الذين يستحقون أن يروى عنهم ، والذين كان يرفض روايتهم ، فكانت هذه الطريقة تعد بيانا لشروط الرواة الذين تقبل روايتهم .

فكان من قوله : لا يؤخذ العلم من أربعة ، ويؤخذ من سواهم :

لا يؤخذ من سفيه ، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو إلى بدعته .

ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس ، وإن كان لا يتهم على حديث رسول الله ﷺ .

ولا يؤخذ من شيخ له فضل وصلاح وعبادة ، إذا كان لا يعرف ما يحمل ، وما يحدث به ولهذا كان الإمام مالك يرفض أحاديث رجال كثير من أهل الصلاح ، مع أنه يعرف لهم فضلهم وتقواهم وصلاحهم .

وكان يقول : أدركت بهذه البلدة أقواما لو استسقى بهم المطر لسقوا ، قد سمعوا العلم والحديث كثيرا ، ما حدثت عن أحد منهم شيئا ؛ لأنهم كانوا الزموا أنفسهم خوف الله ، ولكن الحديث يحتاج إلى رجل معه تقى وورع وصيانة وإتقان وعلم وفهم ، فيعلم ما يخرج من رأسه وما يصل إليه ، فأما رجل بلا إتقان ولا معرفة فلا ينتفع به ، ولا هو حجة ، ولا يؤخذ عنه .

وكان يقول : إن العلم دين فانظروا عمن تأخذونه ، لقد أدركت سبعين ممن يقولون ، قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين ، فما أخذت عنهم شيئا ، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أمينا ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن .

كما اشتمل الموطأ على مسائل أخذ الإمام مالك فيها بالقياس : من ذلك قوله : زوجة المفقود إذا عاد إليها زوجها بعد أن تزوجت ، قاسها على من طلقها زوجها طلاقا رجعيا وراجعها ، وعلمت بالطلاق ولم تعلم بالرجعة فتزوجت على هذه الحال المعماة عليها .

جاء في الموطأ جـ ٣ ص ٥٦ بشرح الزرقاني : قال مالك : بلغني أن عمر بن الخطاب قال في المرأة يطلقها زوجها ـ وهو غائب ـ ثم يراجعها فلا تبلغها رجعته ، وقد بلغها طلاقه إياها ، فتزوجت : أنه إن دخل بها زوجها الآخر أو لم يدخل ، فلا سبيل لزوجها الأول الذى كان طلقها ـ عليها ، قال مالك : أحب ما سمعت في هذا زوجة المفقود .

فقد قاس هذه على زوجة المفقود إذا تزوجت بعد أربع سنين من فقده ، ثم جاء المفقود فلا سبيل عليها .



وهكذا نرى في الموطأ ما يشير ـ أن يصرح ـ بأصول الاستنباط عند الإمام مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ

هذا ولقد صنع فقهاء المذهب المالكى فى فقه إمامهم ما صنعه فقهاء المذهب الحنفى .

ذلك أن هؤلاء الفقهاء نظروا فى الفروع وتتبعوها ، واستخرجوا منها ما يصح أن يكون أصولا قام عليها المذهب المالكى فى الاستنباط ، ودونوا تلك الأصول التى استنبطوها على أنها أصول مالك .

فيقولون مثلاً : يأخذ مالك بمفهوم المخالفة ، وبفحوى الخطاب وهو مفهوم الموافقة ومظاهر القرآن ، ويقول فى العموم كذا وكذا .

وكل هذا مستخرج من الفروع التى أثرت عنه ، وأدلتها التفصيلية التى ذكرت بجوازها أو ذكرها الفقهاء من بعده لها .

هذا وقد ذكرت أصول المذهب المالكي مبثوثة في كتب علم الأصول التي كتبها مالكيون أو التعليقات التي علق بها مالكيون ، فإنهم كانوا يقولون ـ في كل قاعدة : رأى مالك فيها كذا وليس ذلك إلا ما أخذوها من جملة الفروع .

فنرى القراف في كتابه (التنقيح) في أصول الفقه ، وهو مقدمة كتاب (الذخيرة) في الفقه المالكي نرى القراف يذكر القاعدة ، ويذكر معها رأى مالك موافقا للجمهور أو مخالفا .

وهـذه نبـذة عن القراف :

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبدالرحمن الصنهاجي (البهفشيني) نسبة إلى قرية من قرى بني سويف بمصر تسمى (بهشين) فحصل في النسبة إليها تحريف ، وهو من مواليد مصر ، أحد الأعلام المشهورين ، انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك ـ رحمه الله ـ تفقه بعز الدين بن عبدالسلام ، ويعتبر القراف من علماء القرن السابع الهجرى ، له التصانيف الكثيرة منها كتاب (الذخيرة) في الفقه المالكي ، والذخيرة من أجل كتب المالكية .

وأصل القراف من (صنهاجة) ، وهي قبيلة من بربر المغرب ، ونسبته إلى (القرافة) ، وهي المكان المجاور لمشهد الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ بالقاهرة ..

وسبب نسبته إلى القرافة أنه لما أراد مسجل أسماء طلبة العلم أن يثبت اسم القراف في بيت الدرس كان حينئذ غائبا ، فلم يعرف اسمه ، وكان إذا جاء للدرس يقبل من جهة القرافة ، فكتبه المسجل باسم القراف ، فاشتهر بهذه النسبة ، ومع ذلك فهو مصرى المولد والمنشأ والوفاة ، ولد سنة ست وعشرين وستمائة من الهجرة ، وتوفى (بدار السلام) جنوبى القاهرة ، وكانت تسمى في ذلك الوقت (دير الطين) وكانت وفاته سنة أربع وثمانين وستمائة من الهجرة ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ .

أصـول مذهب مالك :

بعد هذه المقدمة نشرع في ذكر أصول مذهب مالك على ما أورده القاضي عياض بن موسى في (ترتيب المدارك لبيان أعيان مذهب مالك) وما ذكره رَاشِد بن أبي راشد الوليدى أبو الفضل صاحب كتابه (الحلال والحرام) وحاشية على المدونة .

توفى راشد بمدينة (فاس) سنة خمس وسبعين وستمائة هجرية ، وقد نقلت عنه هذه الأصول في شرح البهجة .

كما جرى التعديل في ذكر هذه الأصول على كتب تاريخ التشريع الإسلامي للشيخ محمد على السايس وزملائه وما كتبه الشيخ محمد الخضرى (بك) رحم الله ـ تعالى ـ الجميع .

فتلك الأصول هي في جملتها عشرون أصلا :

فمن القرآن الكريم خمسة أصول وهي : نص الكتاب وظاهره وهو العموم ، ودليله وهو مفهوم المخالفة ، ومفهومه وهو مفهوم الموافقة ، وتنبيه وهو التنبيه على العلة ، مثل قول الله ـ تعالى ـ في بيان علة تحريم لحم الخنزير ، وتحريم ما ذبح على غير اسم الله ـ تعالى ـ :

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

سورة الأنعام ـ آية : ١٤٥

ومن السنة أيضا مثل هذه الخمسة ، ومثال التنبيه على العلة في السنة ما رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ نهى عن المزابنة ، وهي اشتراء الثمر ـ بالمثلثة ـ بالتمر ـ بالمثناة ـ وجاء في بعض روايات هذا الحديث أن النبي ﷺ سألهم : أينقص الرطب إذا جف ؟ . قالوا : نعم . فقال : فلا إذن ، أي فلا تبيعوا الرطب بالثمر الجاف لعلة النقصان .

أما الأصل الحادي عشر الذي بنى عليه الإمام مالك فقهه : فهو الإجماع .

والأصل الثاني عشر : القياس .

والثالث عشر : عمل أهل المدينة .

والرابع عشر : قول الصحابي .

والخامس عشر : الاستحسان .

والسادس عشر : الحكم بسد الذرائع .

والسابع عشر : مراعاة الخلاف إذ كان الإمام مالك يراعيه أحياناً .

والثامن عشر : الاستصحاب .

والتاسع عشر : المصالح المرسلة .

والمتمم للعشرين : شرع من قبلنا .

وليس عمل الإمام مالك بهذه الأصول على هذا الترتيب في الذكر لا غير .

قال القاضي عياض في (ترتيب المدارك) ، بعد أن بين ترتيب الاجتهاد حسبما يقضي به العقل ، ويشهد له الشرع ، يكون على هذه الكيفية : تقديم القرآن الكريم على ترتيب أدلته في الوضوح ، وذلك بتقديم نصوصه ثم ظواهره ، ثم مفهوماته .

ثم كذلك السنة على ترتيب متواترها ، ومشهورها ، وآحادها ، ثم ترتيب نصوصها ، وظواهرها ، ومفهوماتها .

ثم الإجماع عند عدم الكتاب والسنة .

ثم عند عدم هذه الأصول كلها القياس والاستنباط منها :

قال القاضي عياض - بعد أن بين تلك الأصول وبرهن عليها : وأنت إذا نظرت - لأول وهلة - منازع هؤلاء الأئمة ، ومآخذهم في الفقه ، واجتهادهم في الشرع ، وجدت مالكا - رحمه الله - ناهجا في هذه الأصول مناهجها ، مرتبا لها مراتبها ومدارجها ، مقدما كتاب الله - تعالى - على الآثار ثم مقدما لها على القياس والاعتبار ، تاركا منها ما لم يتحمله الثقات العارفون لما تحملوه ، أو ما لا يجهلونه ، أو ما وجد الجمهور الجم الغفير من أهل المدينة قد عملوا بغيره وخالفوه .

دراسة في كل أصل :

والآن نتكلم بكلمة موجزة عن كل أصل من هذه الأصول :

أولا : نص الكتاب ، وهو ما لا يحتمل التأويل ، فهو عبارات قوية الدلالة في الأحكام بحيث لا يتطرق إليها الاحتمال ، وذلك مثل قول الله - تعالى - :

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ **البقرة - ١٦٣**

ومثل لفظ (خمسة) فإنه نص في معناه ، لا يحتمل الستة ولا الأربعة ، وكذلك سائر الأعداد ومثاله في القرآن الكريم :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ .

سورة التوبة - آية : ٣٦

فالسنة لا تزيد عن اثنى عشر شهرا ، والأشهر الحرم لا تزيد عن أربعة ولا تنقص عنها .

هذا ودلالة النص أقوى الدلالات ، لوجود ارتفاع الدلالة إلى غايتها ، وبهذا يكون النص مقابلا للظاهر .

ثانيا : الظاهر : وهو ما يحتمل التأويل ، فهو كما قال الغزالي والقرافي وغيرهما : الظاهر هو ما يتردد بين احتمالين أو أكثر ، ولكن دلالته على أحد الاحتمالين أرجح ، فيتبادر إلى الذهن بمجرد سماعه وقد مثل القرافي للظاهر بألفاظ العموم في دلالتها على المقصود حيث قال : اللفظ حتى ترجح احتمال من الاحتمالات - قلت أو كثرت - سمي ذلك اللفظ ظاهرا بالنسبة إلى ذلك المعنى كالعموم بالنسبة إلى الاستغراق ، فإن اللفظ ظاهر فيه دون الخصوص : تنقيح الفصول صـ ١٨ .

وبهذا يتبين أن دلالة اللفظ العام المجرد من القرائن على عمومه من قبيل دلالة الظاهر ، فهي إذن دلالة ظنية

ثالثا من الأصول : مفهوم المخالفة ، وهو ما يسميه المالكية دليل الخطاب :

وهو إثبات نقيض حكم المنطوق به للمسكوت عنه ، وذلك كقول رسول الله ﷺ فيما رواه الدارقطني في (سننه) وغيره : في سائمة الغنم إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة شاة واحدة . فهذا الحديث يدل بمنطوقه على وجوب الزكاة في الغنم التي يرعاها صاحبها ولا يعلفها ويدل بمفهومه على أن الزكاة لا تجب في غير السائمة وهي المعلوفة .

الرابع من أصول الاستنباط عند الإمام مالك : مفهوم الموافقة ، وهو ما يسمى فحوى الخطاب ، ودلالة النص ، أو دلالة الأولى .

وهو إثبات حكم المنطوق به للمسكوت عنه بطريق الأولى ، وذلك مثل قول الله ـ تعالى ـ :

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ . سورة الإسراء

فإن ذلك يشمل الضرب ، وهو أكثر استحقاقا للنهى من التأفف ، وكذلك الأذى فيه أكثر ، والأذى سبب النهى .

الخامس : التنبيه على العلة وهو ما مثلنا له ـ قبل ذلك بقليل عند عرض الأصول مجملة من القرآن والسنة ، ومثل هذه الخمسة خمسة أخرى من السنة النبوية المطهرة .

الحادى عشر : الإجماع ، فقد أخذ به الإمام مالك ومثاله : إجماع الصحابة على توريث الجدتين : أم الأم ، وأم الأب السدس ، تشتركان فيه .

وكان الإمام أكثر الأئمة في الأخذ بالإجماع ، ففي الموطأ يذكر حكم قضية على أنه الأمر المجتمع عليه .

الثانى عشر : القياس ، وقد أخذ به مالك وسبق التمثيل له بقياسه زوجة المفقود إذا عاد إليها زوجها بعد أن تزوجت ، قياساً على الزوجة التى طلقها زوجها طلاقا رجعيا وراجعها ، وعلمت بالطلاق ولم تعلم بالرجعة ، فتزوجت على هذه الحال المعماة عليها ، فهى للزوج الثانى الذى تزوجها .

الثالث عشر : عمل أهل المدينة ، فهو حجة عند الإمام مالك ، مقدمة على القياس وعلى خبر الواحد ؛ لأن عملهم في نظره أقوى من القياس وخبر الواحد ؛ لأن عملهم بمنزلة روايتهم عن رسول الله ﷺ ، ورواية جماعة عن جماعة أولى بالتقديم من رواية واحد عن واحد .

والإمام مالك يستدل على سلامة مذهب أهل المدينة وبُعدهم عن البدع بالحديث الذى ورد في الموطأ ـ والذى رواه البخارى وغيره ـ من قول النبى ﷺ : إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها . أى يرجع ..

وكان الإمام كثيرا ما يقول ـ بعد ذكر الأخبار والأحاديث : الأمر المجتمع عليه عندنا ويرى أن عمل أهل المدينة لا يصح أن يخالف ، وأن الناس لأهل المدينة تبع ، ولأن القرآن نزل فى المدينة ، وأهلها هم أول من وجه إليه التكليف ، وهم الذين خوطبوا بالأمر والنهى وأجابوا داعين الله فيما أمر ، وأقاموا عمود الدين ، ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون سبيلهم ويتبعون تلك السنن ، فالمدينة ورثت علم السنة وفقه الإسلام فى عهد تابعى التابعين وهو العهد الذى رآها فيه مالك ـ رضى الله عنه ـ .

الأصل الرابع عشر : قول الصحابى ، كان الإمام مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ يأخذ بقول الصحابى إذا صح سنده . وكان من أعلام الصحابة ، ولم يخالف الحديث المرفوع الصالح للحجية .

وقول الصحابى عند الإمام مالك حجة مقدمة على القياس .

ومن أمثلة أخذ الإمام مالك بقول الصحابى ما جاء فى الموطأ جـ ٣ ص ١١٧ بشرح الزرقانى عليه .

جاء فى بيع السلم الذى يشترط فيه مكان لتسليم البدل يكون بلدا آخر غير البلد الذى جرى فيه العقد ، وها هو نص الموطأ من رواية يحيى بن يحيى ، عن مالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب قال فى رجل أسلف رجلا طعاما ـ أى وقع بيع سلم ـ على أن يعطيه إياه فى بلد آخر . فكره عُمرُ ذلك فقال : وأين الحمل ؟ ـ يعنى حملانه ـ أى أين أجرة حمله .

ويعرف من هذا أن مالكا منع ذلك النوع من الشروط ، اعتمادا على فتوى عمر ـ رضى الله عنه ـ هذه .

النوع الخامس عشر من أصول مذهب مالك : الاستحسان :

والاستحسان فى مذهب مالك هو الأخذ بمصلحة جزئية فى مقابلة دليل كلى ، ومقتضاه الرجوع إلى تقديم الاستدلال المرسل على القياس .

وللاستحسان فى الشرع أمثلة كثيرة منها :

القـرض : فإنه ربا فى الأصل لأنه النقود بالنقود إلى أجل ولكنه أبيح لما فيه من الرفق والتوسعة على المحتاجين ، بحيث لو بقى على أصل المنع لكان فى ذلك ضيق على المكلّفين .

ومنه تخصيص بيع رطب النخلات التى تبرع بثمرها إنسان لفقير ثم يشترى رطبها بتمر جاف وجاء الدليل بمنع الرطب بالتمر لكنه أبيح فى هبة ثمار نخلات لما فيه من الرفق ورفع الحرج بالنسبة للمهدى والمهدَى له ، ولو امتنع مطلقا لكان وسيلة لمنع الهبات المسماة بالعرايا ومنه ـ أيضا ـ الاطلاع على العورات فى التداوى ، وإن كان الدليل العام يقتضى المنع من ذلك ولكن أبيح الاطلاع لضرورة التداوى واستحسن ذلك لرفع الضرر .

النوع السادس عشر الحكم بسد الذرائع :

وقاعدة سد الذرائع حكمها الإمام مالك فى أكثر أبواب الفقه .

والذريعة معناها : الوسيلة الموصلة إلى الشيء ، ومعنى سد الذرائع رفعها .

أما حقيقتها ـ شرعا : فهي التوسل بما هو مصلحة إلى مفسدة .

ويبنى على هذه القاعدة أن وسيلة المحرم محرمة ووسيلة الواجب واجبة .

فالفاحشة محرمة ، والنظر إلى عورة المرأة الأجنبية حرام ، لأن ذلك يؤدى إلى الفاحشة .

والجمعة فرض فالسعى لها فرض .

وترك البيع بعد النداء للجمعة فرض أيضا ، لأجل السعى لصلاة الجمعة .

والحج فرض ، والسعى إلى البيت الحرام وسائر المناسك فرض أيضا لأجل التمكن من أداء الحج . وأوضح مثال على ذلك بيع البضاعة بثمن مؤجل ثم اشتراؤها من نفس الشخص بثمن أقل نقدا . فإن عاقد البيع أولا على بضاعة بعشرة إلى أجل ظاهرة الجواز من جهةما يتسبب عن البيع من المصالح فى الجملة . فإذا جعل مآل البيع فى ذلك مؤديا إلى بيع خمسة نقدا بعشرة إلى أجل بأن يشترى البائع بضاعته من مُشتريها بخمسة نقدا ، فقد صار مآل هذا العمل إلى أن باع صاحب البضاعة من مشتريها منه خمسة نقدا بعشرة إلى أجل ، والبضاعة لغو لا معنى لها فى هذا العمل ، لأن المصالح التى شرع لأجلها البيع لم يوجد منها شيء .

فالأصل فى اعتبار سد الذرائع هو النظر فيما يؤول إليه الفعل ، وما ينتهى فى جملته إليه ، فإن كان يتجه نحو غاية حسنة من معاملات الناس بعضهم مع بعض كان مطلوبا بمقدار يناسب طَلَبَهُ وإن كانت مآلات الأعمال تتجه نحو المفاسد ، فإنها تكون محرمة .

النوع السابع عشر : مراعاة الخلاف :

وذلك أن الممنوعات فى الشرع إذا وقعت ، فلا يكون إيقاعها من المكلف سببا فى الحيف بأن يزاد على ما شرع له من الزواجر أو غيرها .

مثال ذلك الغصب إذا وقع ، فإن المغصوب منه لا بد أن يُوفَّى حقه ، لكن على وجه لا يؤدى إلى الإضرار بالغاصب فوق ما يليق به فى العدل والإنصاف ، فإذا طولب الغاصب بأداء ما غصب أو قيمته أو مثله وكان ذلك من غير زيادة صح ، فلو قصد فيه حمل على الغاصب لم يلزم ، لأن العدل هو المطلوب .

ومثال مراعاة الخلاف أيضا : استحقاق المرأة المهر والميراث عند مالك فيما إذا تزوجت بغير ولى ، فمالك ، مع كونه يقول بفساد النكاح بدون ولى ، إلا أنه فى ذلك يراعى الخلاف ، عندما ينظر فيما ترتب عليه بعد الوقوع ، يقول : إن المكلف واقع دليلا على الجملة ، وإن كان مرجوحا إلا أن التفريع على البطلان الراجح فى نظره يؤدى إلى ضرر ومفسدة أقوى من مقتضى النهى .

وكل هذه الأحكام بعد دخول الزوج بها ، فيثبت النكاح مراعاة لمن يقول بصحة النكاح بدون ولى ولرعاية حق الأولاد وحق المهر وثبوت الإرث .

ومثال مراعاة الخلاف أن التسمية قبل قراءة الفاتحة مكروهة عند الإمام مالك فى الفريضة إلا إذا قصد المصلى الخروج من الخلاف ؛ فإنه يسمى ولا تكون التسمية مكروهة .

هذا وبعض الأصوليين الذين ذكروا أصول الاستنباط عند الإمام مالك ذكروا بدل مراعاة الخلاف .

العرف والعادة :

فالعرف هو الأمر الذى تتفق عليه جماعة من الناس فى مجريات أمورها وحياتها .

والعادة : هى العمل المتكرر من الآحاد والجماعات ، فإذا اعتادت الجماعة أمرا صار عرفا لها والفقه المالكى يأخذ بالعرف ، ويعتبره أصلا من الأصول الفقهية ، فيما لا يكون فيه نص قطعى ؛ لأن المصالح دعاة الفقه المالكى فى الاستدلال ؛ لأن التكاليف مشروعة لمصالح العباد .

وأمثلة العرف : عقد الشركة إن كان مطلقا انصرف إلى المناصفة .

والعقد على الأرض يدخل فيه البناء والشجر ، والعقد على البناء تدخل فيه الأرض ، والعقد على الدار يدخل فيه أبوابها وسلمها ورفوفها .

وكذلك الشرب من فم السقاء يرجع فيه إلى العرف ، لأنه لا يدرى مقدار الماء الذى يشربه .

ودخول الحمام بغير مشارطة على الأجرة ، فإنه لا يعرف مقدار الماء الذى يستعمله المستحم .

فيرجع فى ذلك وفى مقدار الأجرة إلى العرف .

الثامن عشر من أصول مالك : الاستصحاب :

ومن أوضح تعريفاته أنه الحكم بثبوت أمر فى الزمان الثانى بناء على ثبوته فى الزمان الأول ، أى أن ثبوت الحكم فى الماضى والعلم به يجعل الشخص يغلب على ظنه أنه مستمر فى المستقبل .

وأمثلة : من ثبتت له الملكية بسبب من أسبابها شراء أو ميراثا أو غيرهما ، فإن الملكية تستمر إلى أن يوجد ما ينفيها .

وكمن علمت حياته فى زمن معين ، فإنه يغلب على الظن وجوده فى الحاضر والمستقبل حتى يقوم دليل على غيره ، فيحكم باستمرار حياته حتى يوجد ما يثبت الوفاة .

فالمفقود يحكم بحياته حتى يوجد ما يدل على وفاته ، أو تقوم الأمارات التى توجد غلبة الظن بأنه توفى ، ويحكم القاضى بالوفاة .

قال القراف : والدليل على كون الاستصحاب حجة أن غالب الظن أن الحال القائمة تستمر قائمة حتى يوجد ما ينفيها ، والظن الغالب حجة فى العمل كالشهادات ، فإنها تثبت ظنا راجحا وهى حجة ملزمة للكافة ، ولو أهملت ولم يعمل بها تضيع الحقوق ، إذ لا يكون هناك طريق لإثباتها .

التاسع عشر : المصالح المرسلة : وتسمى الاستصلاح :

ومعنى المصالح المرسلة : أنها المصالح التي لم يشهد لها من الشرع بالبطلان ولا بالاعتبار نص معين ، ومحل النزاع في العمل بها إذا صادفت دليلا آخر من نص أو قياس .

ومثال ذلك : ضرب المتهم بالسرقة ليعترف بها . قال بجوازه الإمام مالك ، مع مخالفة غيره له ؛ لأن هذه مصلحة تعارضها أخرى ، وهي مصلحة المضروب ؛ لأنه ربما كان بريئا ، وترك الضرب في مذنب أهون من ضرب بريء ، فإن كان فيه فتح باب يعسر معه انتزاع الأموال ، ففي الضرب باب إلى تعذيب البريء .

فالمصلحة المرسلة مصلحة ترجع إلى حفظ مقصود شرعي ، يعلم كونه مقصودا بالكتاب أو السنة أو الإجماع ، إلا أنها لا يشهد لها أصل معين بالاعتبار ، وإنما يعلم كونها مقصودة لا بدليل واحد ، بل بمجموع أدلة وقرائن أحوال ، ولا خلاف في العمل بها إلا عندما تعارضها مصلحة أخرى ، وعندئذ يكون الخلاف في ترجيح إحدى المصلحتين .

وتمام العشرين : شرع من قبلنا :

فالإمام مالك يرى أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ .

من ذلك قول الله ـ تعالى ـ في حق أتباع سيدنا موسى عليه السلام :

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ .

سورة المائدة ـ آية : ٤٢

وقوله ـ تعالى ـ لسيدنا موسى عليه السلام :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ . **سورة طه : آية : ١٤**

فهي تقتضي قضاء الصلاة لمن نام عنها أو نسيها ، ومن باب أولى من تركها عامدا ، لبقاء شغل ذمته بها حتى يؤديها ، وتوجه الخطاب إليه بقضائها ، وقد قال النبي ﷺ فيما رواه أصحاب السنن : من نسي صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك ثم تلا ﷺ قول الله تعالى :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ ﴾ . **سورة طه**

والله الهادي إلى سواء السبيل .

رحم الله الإمام مالكا رحمة واسعة وأدخله الفردوس الأعلى ونفعنا بعلمه وأفاض علينا من بركاته .

من ذكريات الأعياد ... اللهو المباح

لفضيلة الشيخ / عبدالعزيز أحمد رضوان(*)

بقدر ما يحرص الإسلام على تحبيب أتباعه فى الطاعة والعبادة ، بقدر ما يروّح عن نفوسهم باللهو المباح فى أوقات السرور والمرح والأعياد والأعراس ، وسائر المناسبات المباحة .

وذلك بصورة لا تخدش حياء ، ولا تجرح مروءة ، ولا تفرط فى واجب ، ولا تلهى عن عمل .

روى مسلم عن أبى ربعى ، حنظلة بن الربيع الأسيدى قال :

لقينى أبو بكر - رضى الله عنه - فقال : كيف أنت ياحنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة . قال : سبحان الله ما تقول ؟! قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنَّا رأىَ عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا[1] الأزواج والأولاد والضيعات[2] نسينا كثيرا .

قال أبو بكر - رضى الله عنه - : فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ فقلت : نافق حنظلة يارسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : (وماذاك) ؟ قلت : يارسول الله ، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنَّا رأى عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيرا . فقال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عندى لصافحتكم الملائكة فى فرشكم وفى طرقكم ، ولكن ياحنظلة ساعةً وساعة » ثلاث مرات .

وهؤلاء نساء الأنصار ينشدن على أسطح البيوت يوم استقبلت المدينة رسول الله ﷺ :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع[3]

(*) الكاتب : مفتش أول وعظ كفر الشيخ .
(1) لاعبنا الأزواج والأولاد .
(2) الضيعات : المعايش .
(3) إحياء علوم الدين ج ٦ ص ١١٣٥ ط الشعب .

وهذه أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ تقول : دخل علىَّ رسول الله ﷺ وعندى جاريتان تغنيان بغناء (بعاث)[4] فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه ، فدخل أبو بكر فانتهرنى وقال : مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ ؟ فأقبل رسول الله ﷺ وقال : (دعهما) فلما غفل غمزتهما فخرجتا[5] .

وعنها ـ رضى الله عنها ـ قالت : دخل علىَّ أبو بكر ، وعندى جاريتان فى أيام منى ، تدففان وتضربان ، والنبى ﷺ متغش بثوبه ، فانتهرهما أبو بكر ، فكشف النبى ﷺ عن وجهه وقال : «دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد »[6] .

وعنها ـ أيضاً ـ رضى الله عنها ـ قالت : وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب ، فإما سألت رسول الله ﷺ وإما قال : (تشتهين تنظرين) ؟ فقلت : نعم ، فأقامنى وراءه ، وخدى على خده ويقول : (دونكم يابنى أرفدة) حتى إذا مللت قال : (حسبك) ؟ قلت : نعم[7] .

وتروى السنة المطهرة عنها ـ كذلك ـ قولها : كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ قالت : وكان يأتينى صواحب لى ، فكن ينقنعن من رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يسر لجيئهن إلىّ فيلعبن معى[8] .

وفى رواية لأبى داود ـ بإسناد صحيح ـ أن النبى ﷺ قال لها يوماً : (ما هذا ؟) قالت : بناتى ، قال : (فما هذا الذى أرى فى وسطهن) ؟ قالت : فرس ، قال : (فرس له جناحان) ؟ قالت : أو ما سمعت أنه كان لسليمان ابن داود عليه السلام خيل له أجنحة ؟ قالت : فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه .

ويعلق صاحب الإحياء على هذا بقوله :

فهذه الأحاديث كلها فى الصحيحين ، وهو نص صريح فى أن الغناء واللعب ـ فيما يتعلق بالأمور المباحة ـ ليس بحرام[9] .

ثم إن القرآن الكريم بيّن أن سيدنا داود عليه السلام ، عندما كان يترنم بذكر الله وتسبيحه ، كانت الجبال والطيور تأوّب معه وترجّع ، قال ـ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾[10]

وقال :

﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[11]

وكانت الإبل تنفعل بحداء (أنجشة) لها ، فكانت تطرب وتهتز والنساء فوقهـــا على

(4) يوم من أيام العرب كانت الحرب فيه بين أوس والخزرج .

(5 ، 6 ، 7 ، 8) الصحيحان .

(9) إحياء علوم الدين ج 6 ص 1137 ط الشعب .

(10) سورة سبأ : من الآية 10 .

(11) سورة ص : الآيتان 18 ، 19 .

هوادجها ، حتى قال رسول الله ﷺ : « يا أنجشة رفقا بالقوارير »(١٢) .

ويراعى أن يكون اللهو المباح بقدر ، وفى المناسبات الداعية لذلك كالأعياد والأعراس والعقائق وما شابهها ، لأن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده .

هذا ، والإسلام فى مناسبة العيدين : الفطر والأضحى يهيء فيهما فرصة السرور واللهو المباح ، ويبطل بهما عادات اللهو واللعب بأيام الجاهلية وحروبها .

فعن أنس ــ رضى الله عنه ــ قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيهما ، فقال رسول الله ﷺ : « قد أبدلكُمْ الله بهما خيرا منهما ، يوم الأضحى ويوم الفطر »(١٣) .

وما أروع السرور فى هذين اليومين ، حيث يخرج المسلمون إلى المصلى لصلاة العيد ، يكبرون ويهللون ويصلون فى حشد مؤمن ، ومظهر مشرف مبهج ، كبارا وصغارا رجالا ونساء .

عن أم عطية ــ رضى الله عنها ــ قالت : أمرنا أن نخرج العواتق(١٤) والحيض فى العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين ، ويعتزل الحيض المصلى(١٥) .

ومظاهر الفرح والتكبير فى العيدين ، وإعلان الفرح والسرور ، ومخالفة الطريق فى الذهاب والإياب للمصلى ، كل ذلك ليس من باب التكبر والاستعلاء الممقوت ، وإنما هو من باب إظهار قوة الإسلام وهيبته التى هى فى باطنها رحمة وعدالة للمسلمين وغيرهم ممن يكونون تحت سلطانهم .

وهو ــ أيضاً ــ للسلام واللقاء والتسامح ، وإظهار شعائر الإسلام فى كل الفجاج ، ورفع الدرجات بكثرة الخطوات .

هذا :

ومن الواجب علينا أن لا ننسى إخواننا الذين يعيشون فى بلاد غير مسلمة ، ويتعرضون للعذاب والاضطهاد والقتل والتشريد ، فنبذل لهم المال بسخاء ، وكذلك الدواء والكساء ، والسلاح ، ونعطيهم القوة والتأييد ، لنثبت بحق أننا إخوة متحابون متضامنون ، وأننا من خير أمة أخرجت للناس .

---

(١٢) الشيخان .

(١٣) أبو داود والنسائى بإسناد صحيح .

(١٤) البنات الأبكار البالغات والمقاربات للبلوغ .

(١٥) متفق عليه .

الإسلام ونهضة الأمة

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومى

١ ـ أسس بناء الأمة :

الشرط الأساسى لنهضة الأمة ـ أى أمة كانت ـ أن يتوفر لها ثلاثة عناصر :

ـ المبدأ الصحيح الذى يوضح لها الطريق ويوجهها إلى غايتها .

ـ فهم الأمة له .

ـ إيمانها به .

بذلك يصبح بإمكانها أن تحقق لنفسها نهضة حقيقية ، وأن توجد التغيير الشامل فى حياتها « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

وأمتنا الإسلامية لا تفقد فى الحقيقة تلك العناصر ، فالمبدأ موجود لديها وهو دينها الإسلامى الذى سيبقى أبد الدهر أقوى ما يكون على تحمل أعباء القيادة وتوجيه الأمة وجهتها المثلى أى مركزها الوسط ، والأمة الإسلامية كلها مجمعة على الإيمان بهذا المبدأ دينا وعقيدة ، فالأمة تؤمن بالمبدأ الإسلامى إيمانا إجماعيا ، ولكنها لا تفهمه فهما إجماعيا ، وهذا هو التناقض الذى يبدو غريبا لأول وهلة ، فكيف تؤمن الأمة بالمبدأ وتدين له بالولاء ، وهى لا تفهمه حق الفهم ولا تعرف من مفاهيمه وأحكامه وحقائقه إلا نذرا يسيرا .

أتى الإسلام للناس بالتوازن بين العقل والإيمان ، وخط معالم اللقاء بين الجهد الإنسانى والكشف الربانى ، وهو أى الإسلام أيضا نقطة الاتصال التى تجمع بين المادة والروح ، وذلك مايعطيه قوة كامنة متطورة ومبدعة ، مداها الحقيقى يكاد أن يكون لا متناهيا ، وعلى الناس أن يعوها أولا ، وأن يستخدموها بعد ذلك فى استكشاف المصير الخالد للإنسان وبنائه بناء واعيا .

إن تاريخ الإنسانية يقرر أن الأمة الإسلامية قدمت للإنسانية فى عصور الإسلام الأولى العلم والمدنية ، وحققت نجاحا باهرا فى إنقاذ الحضارة البشرية من الانهيار ومكنت الإنسانية من التقدم والازدهار .

وهذه حقيقة تاريخية ، والأخرى أن علماء الأمة الإسلامية لم يدخروا جهداً فى إبداع منهج تجريبى رصين لم يكن للإنسانية عهد به وحرروا الفكر الإنسانى من الخرافات التى علقت به

وعززوا شمولية الكشف في جميع العلوم والفنون والمعارف بين الشرق والغــرب ، في تسامح وموضوعية ، وبهذا شيدوا حضارة إنسانية ، وقدموا مبتكرات علمية في علوم الطب والكيمياء والصيدلة والعلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية والاجتماعية والاختراعات العلمية ، وأسهموا في بناء الكيان الإنساني : فكرا وحضارة ، بعلوم لا تزال منبعا لهذا الفكر .

ولكي تنهض الأمة يجب أن تترابط في نسيج اجتماعي متواصل حتى تبلغ درجة الرشد الحضاري ، لتستطيع حمل رسالة الإسلام بمعناها الواسع . ولابد أن يكون لها كيان حضاري ، ولن تبلغه مالم تبذل جهودها المتواصلة لتطوير مؤسساتها التربوية والإدارية ، للقيام بالدراسة والتخطيط المستمر لإحكام تقدم الأمة والنهوض بها إلى المستوى الحضاري الراقي لتكون أهلا لحمل رسالة الخير التي دعا إليها القرآن الكريم .

قال تعالى :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾

سورة آل عمران

وفلاح الأمة يكون باستمرارية حملها لرسالتها وما يتفرع عنها في مجالات الحياة المختلفة .

والرسالة الإسلامية رسمت للأمة دائرة تتسع للإنسانية كلها فهي رسالة قيم ومثل عليا ، ونموذج كامل لجوانب الخير في سلوك الفرد والجماعة .

وحين تكتمل تزكية هذه المبادىء السامية وتقوم الأمة الإسلامية بحمل رسالتها وأدائها على الوجه الأكمل كما فعل أجدادنا الأوائل في عصور الإسلام الأولى ، تبدأ دورة أخرى ... دورة الإصلاح الديني والسياسي والاجتماعي والثقافي والصناعي بقوة ونشاط يؤهل الأمة إلى أن تتسلم إمامة الإرشاد والإصلاح والقيادة الرائدة في مجالات العلوم والفنون مادامت تقوم متكاتفة بأعباء الرسالة .

٢ ـ حيوية الأمة الإسلامية :

مما جعل حيوية الأمة الإسلامية قوية في عصور الإسلام الأولى أنها قامت على أسس سليمة ، أهمها مايلي :

أ ـ عقيدة التوحيد الخالصة من شوائب الشرك .

ب ـ الرباط الوثيق بين الدين والعلم .

جـ ـ إعلان حقوق الإنسان ، والمساواة بين الناس جميعا ، والمحافظة على كرامة المرأة .

د ـ استخدام العقل والنظر في الأنفس والآفاق .

وبذلك صارت الأمة الإسلامية رائدة الأمم ومؤثرة في الحضارات الإنسانية .. أمة راشدة متجددة ، ونسيج مجتمعها الإنساني وحدة مبادئه ، تلك المبادىء التي حررته من عبودية الوثنية وربقة الشرك ، وهي ولاشك مبادىء السماء .. مبادىء القرآن والسنة وما حصلته من تاريخها الحضاري وتراثها الإنساني فتكامل العقل بوحي السماء وشد هذا المنهج من أزر الأمة الإسلامية فكان لها مميزات وحدتها . ولقد كان لوثيقة المدينة ـ التي كتبها الرسول ﷺ عهدا بينه وبين أهل المدينة ـ الفضل في بيان عناصر حيوية

الأمة .. وتلك العناصر هي :

أولا : العنصر البشري ..

ثانيا : العنصر الفكري ..

ثالثا : العنصر الاجتماعي ..

رابعا : العنصر الزمني ..

ومن هذه العناصر تكونت الأمة الإسلامية وصارت نسيج مجتمع إنساني يتكون من مجموعة من الناس الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله وحملوا رسالة سامية حضارية نافعة للإنسانية والتزموا بتطبيق مبادىء الرسالة الإسلامية ، ولهذا ظلوا يحملون صفة الأمة حقا وصدقا عدة قرون من الزمان . ماداموا يحملون الرسالة ويطبقون مبادىء الإسلام .

والأمة حين تفقد عناصر تكوينها أو أهم العناصر فقد يطلق عليها اسم الأمة مجازا ؛ لأنها لن تكون الأمة النموذج الإسلامي الكامل ، كما هو الحال الآن .

لذلك ؛ فإن من أهم المسئوليات الملقاة على عاتق المؤسسات التربوية الإسلامية أن تقوم بمراجعة المنهج الذي تسير عليه الأمة ، وتعمل على تنظيم العلاقات السليمة بين شعوب الأمة الإسلامية قال الله تعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

آل عمران ١٠٣

ـ تأكيد على وحدة الأمة معتصمة بحبله وتوجيه هديه .

والتأكيد على دور التربية وقيام المؤسسات الإسلامية بترسيخ الشعور بالمسئولية إزاء متطلبات الانتماء إلى الأمة الإسلامية ، والتنبيه على خطورة ثقافات العصبيات القبائلية والطائفية والبيئية التي أضعفت الأمة الإسلامية وقع ذلك في بعض فترات التاريخ الاستثنائية التي أثرت في نسيج الأمة الإسلامية ومؤسساتها التربوية .

والتربية الإسلامية لا تتوقف عند إعداد الأفراد المؤمنين ، وإنما تتخذ من الإعداد وسيلة لهدف تحقيق الرسالة التي تحقق لها الاستقرار الاجتماعي والسياسي والازدهار الاقتصادي والرقي الحضاري .

والأمة الإسلامية مجتمع مفتوح غير مغلق ، وشرط الدخول فيه الإيمان الصادق والمشاركة بجد في حمل الرسالة ، والأمم تعيش النشاط الدائم في جميع ميادين الحياة والشعور بالمسئولية تجاه الله ـ تعالى ـ وتجاه الحياة والأحياء .

٣ ـ واقع العالم الإسلامي :

إن العالم الإسلامي اليوم أوسع مساحة جغرافية ، وأعظم أهمية سياسية ، وأغنى في الطاقات والإمكانيات ، ولكن مع هذا الحول والطول والعدد الهائل من البشر ، والإمكانيات البترولية لم يكن أهون ولا أضعف ولا أخف في الميزان السياسي الدولي يوما منه في هذا العصر .

بعد أن كان في عصور الإسلام الأولى أقوى المجتمعات الإنسانية وأمتنها رباطا وأغناها في علوم الدين والدنيا .

إن الضعف سرى فى روح الأمة وشخصيتها ومميزاتها الزمانية بعد أن كان لها فى الماضى يحسب لها ألف حساب وتخشى وترجى وتنفع ، وأصبحت الآن ليس لها بأس ولا حساب ..

وصار هدف المعسكرات الأجنبية على اختلافها فى المبادىء تلتقى جميعا على هدف الانتفاع بنزول العالم الإسلامى وامتصاص دم الشعوب الإسلامية .

وهان أمر الأمة الإسلامية ، لأنها أصبحت لا تمتلك قوة لترهب وتمنع المآسى والخلافات والتمزق ، لأنها اثاقلت إلى الأرض .

ورسالة الإسلام ليست فى التجزئة الإقليمية ، بل فى شمولية مذهبه التوحيدى وبقدر ما تثبت هذه الوحدة الروحية وتتأكد ، يكون للعالم العربى والإسلامى فى نظره هو ، وفى نظر سائر العالم أهمية حاسمة فى مستقبل الإنسانية ، وبقدر ما تكون الوحدة السياسية ـ الروحية المثل الأعلى والشغل الشاغل للشعوب الإسلامية يكون وعيها بوجودها وقوتها .

وليس الشأن فى الإسلام ، كما هو فى الأحزاب السياسية ، التى تفرض فيها أقلية منظمة مناضلة مذهبها وسلطتها على الشعب بأسره . ولو لزم أن يكون الإسلام حزبا لضم الأمة كلها ، بغير تمييز فى السن أو فى الجنس ؛ لأن المعيار الوحيد لاعتناقه ، إنما يكون فى الاقتناع بالانتماء إلى هذا الإيمان .

كان الإسلام هو الوحيد من الناحية العلمية ، الذى وضع الشعوب المغلوبة على قدم المساواة مع الغالبين ، لأنه منذ البداية ، قد خاطب الناس باسم المساواة والعدالة والحرية والإيمان ، حتى إن الشعوب التى دخلت فى الإسلام ، قد أخذت على عاتقها أن تنهض برسالته ، وأن تدعو إليه بمثل ماكان لأصحاب النبى ﷺ من إيمان وحماسة وتصميم .

غير أن العالم الإسلامى الذى يتمتع بموقع فريد لا نظير له ، والذى يطوى احتياطات من الطاقة غير محدودة ، والذى يضم خُمس سكان العالم ، ويقوم كيانه فى الحقيقة على إسلام الوجه لله نظاما كاملا ، لم يعد له من شأن إلا أن يكون منطقة سهلة للدول الأجنبية فى توسعها « الإيديولوجى » والاقتصادى .

وما تحقق من تقدم ليس على قدر الإمكانيات الحقيقية ، ومن العسير أن نتخيل ما سوف تكون عليه قوة هذه الأمة ، سواء فى المجال المادى أو المجال « الايديولوجى » ، إذا قدر لها يوما أن تكتشف وحدتها أو أن تعى ذاتها .

وبينما نرى العالم الإسلامى ممزقا فى حدوده ومنتهبا فى ثرواته ، ومتنازعا فى وجوده ، بينما هو يحمل إلى العالم رؤية جديدة دائما ، توفق بين متناقضات الفكر الإنسانى الظاهرة ، وهو ـ إذ يحافظ على ذاته ـ يستطيع أن يكون عاملا قويا فى التوازن الدولى طبقا للرسالة الإلهية التى ألقيت على كاهله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾

البقرة ١٠٣ .

وليس بوسعنا أن نخطو على طريق المستقبل ، ما لم تكن لنا معرفة كافية بمواردنا ووسائلنا وأهدافنا . وهذا معناه أن نستشعر ضخامة المسئولية ، وضخامة العمل التقني والعقلي والسياسي الذي يتطلبه مشروع المستقبل ، ولا يمكن النظر فيه الوعي الجماعي للأمة الإسلامية ، وخارج تصميمها على إقامة عالم مطابق لرسالته ، وذلك يفترض إذن ، التعاون الفعلي بين جميع الأمم الإسلامية بوضع المناهج وجمع الوسائل ، والشروع في الخطوات التي من شأنها أن تؤدي بها في جدية وإيجابية ، إلى التقارب السياسي والوحدة الإسلامية .

ليس في الإمكان أن نتطلع إلى مستقبل مشترك ، في غمرة الخلافات والمعارضات ، وإذا صح أننا مضطرون إلى التسليم بالتطور من خلال الخصائص القومية ، فمن الصحيح – أيضا – أنه بقدر ما تتلاقى الخطوط العريضة للتآلف بين المجموع بقدر ما يتوافر الاتساق والتوازن والإثراء المتبادل في الإسهام الأصيل لكل شعب .

٤ – الواجب علينا :

واجبنا الآن أن نعتبر بالحوادث التي تترى علينا وتقع من حولنا ، وأن نغير ما في نفوسنا حتى لا تغيرنا العوامل الطارئة التي تظهر في صفوفنا في الداخل ، أو الواردة إلينا من الخارج ، وتحاول أن تجوس خلال الديار ، لتفرق وتمزق شمل المجتمع والأمة .

هذه ملاحظات سريعة تنبهنا إلى واقع العالم الإسلامي الذي نشاركه جميعا ، وهذا الواقع يجب أن يتغير ، وفي صالح الأمة الإسلامية ومصير الإنسانية أن يتغير ويعود العالم الإسلامي إلى ما كان عليه في عصور مضت مشهود لها بالعلم والتقدم والخير والعزة .

حضرات السادة :

أرجو وآمل أن يكون هذا المؤتمر صدى في نفوسنا ، يكون له مفعول في نظام تفكيرنا ولنعمل على إعادة التربية والصياغة ، وتغيير البذور الفكرية لتنتج ثمارا تمد الأمة الإسلامية برجال الإصلاح والنهضة الشاملة في جميع الميادين

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

الرعد ١١

وأن مما يطمئن نفوسنا جميعا أن الواقع – والحمد لله – يدل – على الرغم من التزقات السياسية – أن هذه التزقات انحسرت بعيدا عن توجهات الأمة .

٥ – مستقبل الأمة الإسلامية :

إن مستقبل الأمة الإسلامية يتوقف على قوة إرادتها والتزامها بنهج الإسلام الذي يشمل التوازن الاقتصادي ، والتكافل الاجتماعي والتناصر وشيوع العمران وحسن انتظام الاجتماع وضخامة المقومات العسكرية التي تحفظ السلام والكرامة والعزة والأمن والنظام .

ويمكن التأكيد على أن مستقبل الأمة الإسلامية مرهون بحسب قوة تلك العناصر وضعفها ودرجة اكتمالها والصبغة التي تصبغ بها ، مع استمرارية الأمة في حمل رسالتها .

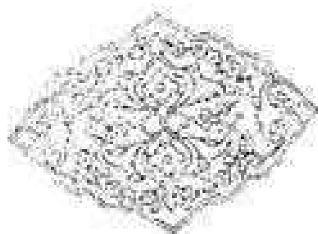
والنظرة المستقبلية لنهضة الأمة الإسلامية ينبغى أن تتم فى مهمتين فى آن واحد :

ـ الاصلاح فى ميادين الاقتصاد والتقنية والعلم ، بل وتشجيع قيام مبادلات مستديمة ومثمرة مع القوى العالمية .

ـ تجديد الفكر الإسلامى الذى ينسجم فيه تنوع الصور مع الوحدة الأساسية ، والولاء للمصادر الأولى مع الانفتاح العقلى . إن أرادت الأمة الإسلامية بعثا جديدا لمستقبل جديد فلا يمكن أن يتم لها ذلك إلا فى ضوء ما هو متاح للعالم الحديث من وسائل عقلية وعلمية ضخمة . فالفكرة الحية ـ على غرار الكائن الحى ـ لا تستطيع أن تحافظ على كيانها إلا إذا جددت نفسها .

والحق أنه متى توهم الناس أن شعبا من الشعوب ، أو أن فكرة من الأفكار ، أو أن ثقافة من الثقافات قد بلغت الكمال ، ولم تعد فى حاجة إلى تطور ، تحجرت وضمرت شيئا فشيئا ، وفتكت بها جراثيم التحلل والتعفن من الداخل ، وسبقتها قوى أكثر ديناميكية منها .

والشعوب التى تأتى بجلائل الأعمال لا تتشدق بالفخر بها ، لأن وقتها يضيق عن ذلك ، ولأنها تكون منصرفة إلى تحقيق غاياتها لا إلى استجداء آراء الآخرين ، ولكن الأمم إذا أقبلت على الأهم ثم انتهت من أداء رسالتها ، فإنها ربما عادت إلى الاستغراق فى الذكريات وفى التبجح بها .



بقلم الدكتورة/ فاطمة عمر نصيف

الخطوات العملية لاكتساب مكارم الأخلاق

بعد عرض موضوع الأخلاق في هذا البحث ، وبعد أن عرفنا موقعه ومكانته وأهميته في الإسلام ، أصبح واضحاً وجلياً أن صلاح أمر الدنيا والدين في التزام مكارم الأخلاق ، وأن فلاح الإنسان في تزكية نفسه بإلزامها بكل ما دعت إليه الأخلاق الفاضلة والشيم الكريمة والأفعال الحسنة الجميلة ، قال - تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾[1] وقال - تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[2]

يقول ابن كثير[3] : (قد أفلح من زكى نفسه - أي : بطاعة الله كما قال قتادة : وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل . وقد خاب من دساها : أي دسها وأخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى) .

ومعنى هذا أن سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة متوقفة على مدى تزكية نفسه بمجاهدتها على فعل الخيرات واجتناب المنكرات ، وتحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل ؛ حتى تكون طاهرة نقية من الظاهر والباطن ، قال - تعالى : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾[4] . وأن شقاء الإنسان بتدسية نفسه باتباع هواها وانفلاتها وراء لذاتها وشهواتها دون ضابط أو وازع ، أو خوف من عاجل نقمة الله وآجل عقوبته .

---

(١) - سورة الأعلى ، آية ١٤ - ١٥ .
(٢) - سورة الشمس ، آية ٧ - ١٠ .
(٣) - تفسير القرآن العظيم - جـ ٤ ، ٥١٦ .
(٤) - سورة الأنعام ، آية ١٢٠ .

ولقد أعان الخالق ـ سبحانه ـ مخلوقه على مجاهدة نفسه ، بما ركبه فيها بأصل الخلقة من صفاء وطهارة ونقاء ، قال تعالى :

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾[٥] . ولم يترك اللطيف الخبير الإنسان إلى فطرته الطيبة وحدها ، بل زوده بالاستعداد الفطرى إلى عمل الخيرات ، والميل إليها ، ثم ميّزه على سائر المخلوقات بالعقل والإرادة ، وأكرمه بالرسل وبالكتب ولم يدع وسيلة من وسائل الخير إلا وقد دله عليها ، ولم يترك باباً من أبواب الشر والرذيلة إلا وأرشده إلى سده ، وأرسل الرسل ؛ ليكونوا الأسوة الحسنى والقدوة العظمى للخلق فى تطبيق منهاج الله وسلوك طريق الخير والنجاة .

قال الإمام ابن القيم حين ذكر مراتب جهاد النفس :

أحدها : أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق .

والثانية : أن يجاهدها على العمل به بعد علمه ، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها .

والثالثة : أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلم وإلا كان من الذين يكتمونك ما أنزل الله من الهدى والبينات .

والرابعة : أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله ، وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله فإن استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين[٦] .

فعلى الإنسان أن يقوم بمجاهدة نفسه والارتقاء بها من النفس الأمارة بالسوء إلى النفس اللوامة التى تلوم صاحبها على فعل المنكرات إلى النفس المطمئنة ، وليس ذلك ببعيد ، فالحلم بالتحلم ، والصبر بالتصبر ، والعلم بالتعلم ، فالنفس قابلة للترويض ، والتهذيب والتزكية والتطهير ، فكل ما ورد من الأوامر والنواهى الإلهية فى منهاجه القويم لإصلاح النفس والمجتمع قابل للتنفيذ بسهولة ويسر ، قال تعالى :

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[٧]

فما أروع هدى الرسول المربى الذى يدلنا أن الناس معادن ، صلاحها يرفع قيمتها وفسادها يرخصها ، فميزان التفاضل تنقية النفوس باتباع إرشادات المنهاج الربانى وإلزامها على اتباعه ﴿ **من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين** ﴾[٨] .

فالفقه لغة : هو « الفهم » الذى يتبعه عمل مخلص جاد لمجاهدة النفوس حتى تكون لله وبالله وفى سبيل الله ، باطنها كظاهرها ، فهذا هو أعظم الفقه .

إن الخطوات العملية التى تعين المسلم على اكتساب مكارم الأخلاق كثيرة أشير إلى بعضها :

١ ـ الإيمان بالله واليوم الآخر :

إن الإيمان بالله واليوم الآخر هو المحور الأساسى الذى تدور عليه جميع الأوامر والتوجيهات والإرشادات القرآنية والأحاديث ، وهو الحافز

---

(٥) ـ سورة البقرة ، آية ١٣٨ .

(٦) ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبى بكر شمس الدين ، زاد المعاد جـ ٢ ص ٣٩ المطبعة المصرية ١٣٧٩هـ .

(٧) ـ سورة البقرة ، آية ١٨٥ .

(٨) ـ ابن حجر ، فتح البارى جـ ١ ص ١٦٤ .

والدافع الرئيسي لتنفيذها والالتزام بها طمعاً فى جنة الله ورضوانه وخوفاً من سخطه ونيرانه .

وقد سلك القرآن الكريم أنجح الوسائل لتهذيب النفس والارتفاع إلى مدارج الكمال ، فقد أكد القرآن أن الله يعلم خفايا النفوس وخطرات القلوب ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾(٩) ، وقال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾(١٠) .

ولقد عملت هذه الآيات وأمثالها عمل السحر فى نفوس المسلمين ، فعملوا جاهدين على اقتلاع خواطر السوء التى تشيع بين جنبات نفوسهم ، وظلوا ينظفونها من كل هاجسة حتى لا يبقى فيها شيء مما يكرهه الله .

وبهذه التربية القرآنية فى تأسيس اليقين فى نفوس المسلمين على أساس المعرفة الحقة بالله ، والإيمان الكامل بقدرته وتدبيره والإحساس الدائم برقابته ومحاسبته ، ظهرت تلك النماذج الخلقية الفريدة لجيل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ غير مسبوقة ولا ملحوقة .

(إن آيات القرآن المكية لم تضع أصول دولة وإنما جاءت مؤكدة فكرة أولى هى العماد الأعظم الذى يصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ـ وهى فكرة التوحيد . وكل ما جاء به القرآن فى مكة كان تمكيناً هذه الفكرة فى النفوس ، وإسلام الصحابة كان على أساس هذه الفكرة (التوحيد) ، فلما ملأت نفوسهم دخلوا صف الإسلام ، وجعلوا صدورهم حصوناً تدافع عنه)(١١) .

ومن ثم كان ميدان القرآن الأول هو عالم النفس والضمير ، وتأسيس اليقين ووسيلته الأولى للوصول إلى هدفه هى تربية فردية عميقة هادئة للنفس البشرية ، وترويضها على مكارم الأخلاق .

أما الإيمان باليوم الآخر والاعتقاد بالحساب والجزاء ، فهى تقترن مع جميع الأوامر والنواهى القرآنية ؛ لتكون ضابطاً للسلوك البشرى ، ودافعاً لعمل الخير ومرهباً من فعل الشر .

فحين يتذكر الإنسان وقوفه بين يدى الله يوم البعث والجزاء ، والحشر والنشر وتوزيع الصحائف ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، ويتذكر هول ذلك اليوم قال تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾(١٢)

يوم تشهد الأيدى والأرجل والأعين وسائر الجوارح على صاحبها يوم تنكشف السرائر . كل هذا وأمثاله يثير الخجل من الله المنعم ، والخشية من لقائه وحسابه والرغبة فى تجنب سخطه وغضبه والوصول إلى مرضاته والفوز بجناته والنجاة من نيرانه .

ومن آثار الإيمان بالله واليوم الآخر الإخلاص فى العمل لله ـ وحده ـ دون سواه فالمؤمن يخلص

---

(٩) ـ سورة ق ، آية ١٦ .

(١٠) ـ سورة غافر ، آية ١٩ .

(١١) ـ كامل ، عبدالعزيز ، المجتمع الإسلامى فى مكة ، ص ٨٢ ، المطبعة الأهلية بعماة .

(١٢) ـ سورة الحج ، آية ٢ .

فى عمله ويتقنه غاية الإتقان ويحسنه غاية الإحسان بمقتضى إيمانه بأن عين الله تراه ، فمن استشعر قلبه مراقبة الله ومحاسبته . لا شك أن ذلك خير دافع له على مداومة الطاعات ، والحذر من المعاصى والسيئات . فيحسن خلقه وتسمو نفسه ؛ لتصلح سيرته وسريرته .

٢ ــ أداء العبادات :

لقد بيَّن الله ــ تعالى ــ أنواع العبادات لتحقيق غاية الخلق ، فى قوله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١٣] . بالمفهوم الشامل الواسع للعبادة الذى يجعل بالنية الصالحة جميع أعمال الإنسان عبادة إذا قصد بها وجه الله .

والعبادة فى نظام الإسلام جزء مهم لابد من القيام به على الوجه الأمثل حتى تحقق هدف العبادة ووظيفتها .

(فالعبادة هى التى تجعل العقيدة حية فى النفس وتنقلها من حيز الفكر المجرد إلى حيز القلب الذى يحس ويشعر فيجعلها بذلك قوة دافعة لها حرارتها ولها نورها ، فشتان بين من يعلم عقلياً ويقتنع فكرياً بوجود الله ، ومن يحس ويشعر بإشراقه وهيمنته عليه ويعلمه بسرّه وعلنه ويتصور تصوراً قلبياً حتمية لقائه وحسابه ، فالعبادة فى الإسلام هى الوسيلة التى تنقل الإنسان من الحالة الأولى إلى الحالة الثانية فهى توقد جذوة العقيدة وتغذيها وتتغذى بها وتحيا عليها[١٤] .

والعبادة عند المؤمن نوع من الأخلاق ، لأنها من باب الوفاء لله والشكر للنعمة والاعتراف بالجميل والتوقير لمن هو أهل التوقير والتعظيم . وكلها من مكارم الأخلاق عند الفضلاء من الناس ومن أجلى ذلك يعقب القرآن على أوصاف المؤمنين القانتين المطيعين بمثل هذه الجمل : ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا ﴾[١٥] . ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ ﴾[١٦] .

والأصل فى العبادات أنها حق الله على عباده يجب أن تؤدى امتثالاً لأمر الله وأداءً لحقه على عباده ، شرعها الله تعالى لصحة قلب الإنسان كالأدوية لصحة بدنه .

ومن المؤكد الذى لا ريب فيه أن صلاح النفس وزكاة الضمير واستقامة الأخلاق هى الثمرة اللازمة للعبادة الحقة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١٧] وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١٨] .

فالتعبير بلعل دون التعبير بلام التعليل أو (كى) يفيد أن العبادة أو الصيام تجعلهم على رجاء التقوى وتعدهم لها ، فالعبادة التى لا تؤدى إلى التقوى تحتاج إلى إعادة وإجادة وإحسان .

---

(١٣) ــ سورة الذاريات ، آية ٥٦ .

(١٤) ــ المبارك ، محمد ، نظام الإسلام العقيدة والعبادة ، ص ١٦٤ .

(١٥) ــ سورة البقرة ، آية ١٧٧ .

(١٦) ــ سورة الحجرات ، آية ١٥ .

(١٧) ــ سورة البقرة ، ٢١ .

(١٨) ــ سورة البقر ، ١٨٣ .

٣ ـ الإقناع الفكرى :

ويكون ذلك عن طريق التعلم والتفقه فى دين الله وأول خطواته هو التدبر فى كتاب الله وهدى نبيه ﷺ ، ليدرك الآثار المحمودة للفضائل الخلقية ، والآثار المذمومة للمساوىء الخلقية فيقتنع بوجوب الالتزام بفضائلها ويرغب فى التطبيق .

فالقرآن استخدم كل الأساليب لبيان المنهج الأخلاقى وآثاره بالترغيب والترهيب والتشجيع والإكرام والمكافأة والتثبيط والإهانة والعقوبة ، وذلك لأن الناس أصناف فكل صنف له أسلوبه الذى يقتنع به ويختلف به عن غيره .

٤ ـ التدريب العملى والرياضة النفسية :

إن التدريب العملى وقصر النفس على غير ما تهوى من الأمور التى تكسب النفس الإنسانية الأخلاق والعادات المستحبة والسلوك السليم ، وهذا من الأمور الممكنة حتى ولو وجد الإنسان فى بادىء الأمر صعوبة فى الالتزام بها . قال أبو ذؤيب الهزلى :

والنفس راغبة إذا رغبتها
وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقد وضحت الأحاديث الشريفة عن إمكانية ذلك فكان من قوله ﷺ : « ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله »[١٩] . وقوله ﷺ أيضاً : « إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ـ ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه »[٢٠] . ومن هذه الأحاديث نفهم أمرين :

أولاً : فطرية الخلق :

ثانياً : قابليته للتعديل :

(وهذه هى الأخلاق المكتسبة وقد يبدو التخلق بخلق ما عملاً شاقاً على النفس وبخاصة إذا لم يكن ذلك من طبيعته الفطرية ولكن بالتدريب والمران يصبح سجية ثابتة . وقد أخبرنا بذلك اللطيف الخبير فى سورة الشمس كما مر بنا . قال تعالى :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾[٢١] .

فقد زود الله النفس الإنسانية باستعدادات فطرية للنزوع للخير والشر . والإنسان بالتدريب والمران يستطيع أن يعود نفسه الآداب المزكية والمطهرة ، ويحملها على فعل الخيرات ؛ لأن سعادته فى كلتا حياتيه موقوفة على مدى تأديب نفسه وتطييبها ، وتزكيتها ، كما أن شقاءها منوط بفسادها وتدسيتها ، وبإمكان المرء أن يتبع فى إصلاحها وتأديبها الخطوات التالية كتدريب عملى (كما وضحها الشيخ أبو بكر الجزائرى فى منهاج المسلم)[٢٢] .

---

(١٩) ـ ابن حجر العسقلانى ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ١١ ، ص ٣٠٩ .

(٢٠) أخرجه الخطيب فى تاريخه جـ ٩ ، ص ١٢٧ من حديث أبى هريرة وحسنه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ص ٣٤٢ .

(٢١) ـ سورة الشمس ، آية ٧ ـ ١٠ .

(٢٢) ـ ص ١١٦ .

(أ) التوبة :

بالتخلى عن سائر الذنوب والمعاصى ، فإذا ما ألم العبد بذنب سارع بالتوبة والإنابة إلى الله ـ قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[23] .

(ب) المراقبة :

يعود نفسه على مراقبة الله ـ تبارك وتعالى ـ حتى تصبح مستغرقة بملاحظة جلال الله وكماله ، شاعرة بالأنس فى ذكره ، واجدة الراحة فى طاعته ، راغبة فى جواره مقبلة عليه ، معرضة عمن سواه (قال سفيان الثورى عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية ، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء ، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة) .

(جـ) المحاسبة :

بحيث يخلو بنفسه ساعة من آخر كل يوم يحاسب نفسه فيها على عمل يومه ، فإن رأى نقصاً لامها ووبخها واستغفر وندم وعمل من الخير ما يراه مصلحاً لما أفسد .

(د) المجاهدة :

أن يجاهد نفسه التى بين جنبيه فهى أعدى أعدائه . فالنفس أمارة بالسوء ترغب فى الدعة والخلود والراحة وتنجرف مع الهوى ، فإن أحبت الراحة أتعبها ، وإن قصرت فى طاعة عاقبها ولامها ، حتى تطهر وتطيب ، وتلك غاية المجاهدة للنفس .

٥ ـ الانغماس فى البيئات الصالحة :

فمن طبيعة الإنسان أنه يكتسب من البيئة التى يعيش فيها أخلاقه وعاداته وتقاليده وسلوكه ومن الصعب إصلاح إنسان منحرف أخلاقياً ما لم يعزل عزلاً كاملاً عن أقرانه من المجرمين والأشرار ؛ لأن وجوده بينهم يكون عاملاً قوياً لاستمراره على فساده والخرافة ؛ ولذا جاء فى الحديث الشريف أن النبى ﷺ قال : « كان فيمن كان قبلكم رجلاً قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال : أنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة . فقال :لا . فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم . فقال : أنه قتل مائة نفس فهل له من توبة) فقال : نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ... الحديث »[24] .

فالشاهد فى الحديث أنه أمره بالانغماس فى البيئة الصالحة وترك البيئة الفاسدة ؛ لأن البيئة الصالحة ستعينه على الخير .

ويدخل تحت هذه الوسيلة اختيار الأصدقاء والقرناء ، فالصديق المصاحب له تأثير شديد على صاحبه ، ولذا كان التوجيه النبوى الكريم حيث قال : (إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء

---

(٢٣) ـ سورة آل عمران ، آية ١٣٥ .

(٢٤) ـ مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووى ، جـ ١٧ ، ص ٨٤ .

كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيباً ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد ريحاً خبيثة »[25] .

فاختيار الجليس الصالح من العوامل المساعدة للالتزام بالأخلاق الفاضلة والسلوك القويم ، ويؤيد ذلك قوله ﷺ « الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »[26] .

٦ – القدوة الحسنة :

وهى المثال الحى لمكارم الأخلاق ، فالإنسان القدوة هو المرتقى فى درجات الكمال الإنسانى كالرسول ﷺ فهو الأسوة الحسنة لأمته .

قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[27] . فهو من زكاه ربه بقوله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝ ﴾[28] .

وكذلك الأنبياء والرسل كانوا قدوات لأممهم ، ليسهل عليهم فهم الشرائع والأحكام والأخلاق والأدب إذا ما رأوها حية متحركة أمامهم ، ويصير لديهم القناعة بأن بلوغ هذا الكمالات من الأمور الممكنة .

والقدوة الحسنة عموماً مهمة فى العملية التربوية فهى تثير فى نفس العاقل دوام الإعجاب والتقدير والمحبة والرغبة فى التأسى والتقليد .

٧ – الضغط الاجتماعى من قبل الجماعة المسلمة القائمة بشرع الله :

إن الجماعة عادة تكون لها سلطة معنوية فعالة ومؤثرة على نفوس أفرادها ولذا فإن الشارع الحكيم قد اعتمد عليها فى تقويم أفرادها وإصلاحهم فقد جاء عنه ﷺ أنه قال « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالو : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »[29] .

فمن الأمور التى حض عليها الشارع الحكيم لزوم الجماعة المسلمة القائمة بأمر الله لما فى ذلك من فوائد عظيمة يجنيها الفرد والمجتمع بل الإسلام نفسه .

قال عليه الصلاة والسلام « يد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ فى النار »[30] .

وكان من هدية ﷺ أنه كان يحذر من الانفراد عن الجماعة بقوله « الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد ، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية »[31] .

وعند قراءتنا للسيرة نجد أن الرسول ﷺ بدأ بتربية المسلمين تربية جماعية فى دار الأرقم بن

(٢٥) ـ المصدر السابق ، جـ ١٦ ، ص ١٧٨ .

(٢٦) ـ الترمذى ، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، جـ ٥ ص ٥٨٩ ، حديث رقم ٢٣٧٨ .

(٢٧) ـ سورة الأحزاب ، آية ٢١ .

(٢٨) ـ سورة القلم ، آية ٥ .

(٢٩) ـ العينى ، بدر الدين أبو محمود ، عمدة القارى بشرح صحيح البخارى ، جـ ١٣ ، ص ٥٦ . دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

(٣٠) ـ الحاكم ، المستدرك ، جـ ١ ، ص ٧٧ .

(٣١) ـ الترمذى ، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، صحيح الترمذى ، جـ ٩ ، ص ٢٣٩ .

الأرقم ، وكانت هذه الجماعة هى نواة المجتمع الإسلامى الأول الذى جعله الشارع الحكيم رقيباً على أفراده وحارساً ومحاسباً ومعاقباً وناصحاً ، آمر بالمعروف وناهياً عن المنكر . قال تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٣٢) .

وقوله تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(٣٣) .

فمن شأن الجماعة المسلمة القائمة بأمر الله أن تملى على من ينضم إليها أو ينخرط فيها فضائل الأخلاق ، وتحاسب الفرد حتى لا يشذ عنها . قال عليه الصلاة والسلام : « لتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم »(٣٤) .

وقد أوضح الرسول ﷺ ـ ضمن وسائل التربية ، لإلزام الأفراد بالمنهج الأخلاقى ـ وسيلة الضغط الاجتماعى وكيف تربى الجماعة الأفراد بعقوبة الهجر والمقاطعة لله فى قصة الثلاثة الذين خلفوا .

٨ ـ :السلطة التشريعية :

للسلطة التشريعية أثر فعال فى إلزام الأفراد والجماعات بالمنهج الأخلاقى الذى رسمه الإسلام للناس ، وفى تربية نفوسهم على الفضائل الأخلاقية ، فهى التى تتولى رقابة الأفراد والجماعات ومحاسبة المنحرفين وذلك بوضع الأنظمة والقوانين المختلفة المرغبة والرادعة واتخاذ الوسائل اللازمة لحماية الأخلاق وصيانتها ، لأن وازع السلطة التشريعية أقوى وازع لإلزام الناس بالسلوك السليم ، كما قال عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه : « إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » .

وحينما تكون هذه السلطة قوية ووسائلها جيدة فإن انحراف الأفراد وشذوذ الجماعات يقل إلى أدنى نسبة ممكنة ، بل ربما تصبح حالات الانحراف الخلقى وحالات الإجرام فى حكم النادر ، كما حصل ذلك فى عهد الرسول ﷺ فى مجتمع المدينة المنورة ، وكلما كانت إدارة السلطة حازمة ويقظة كلما استقامت الجماعات والأفراد إلى درجة كبيرة كما حصل فى عصر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ .

وحتى يستطيع المسلم أن يستفيد من هذه الوسائل فى تقويم أخلاقه يجب أن لا ينسى الدعاء فيستعين بالله ويطلب منه أن يلهمه حسن الخلق ويعينه على ما أهمه من أمر دينه ودنياه ، اقتداء به ﷺ حيث كان يدعو ويقول : « واهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت »(٣٥) .

فلعل الله يعيد لهذه الأمة أمر رشدها فتستعيد مكانتها بين الأمم لتكون خير أمة أخرجت للناس . سائلة الله ـ عز وجل ـ للمسلمين الهداية والتوفيق إلى سواء السبيل وهو نعم المولى ونعم النصير .

---

(٣٢) ـ سورة البقرة ، آية ١٤٢ .

(٣٣) سورة آل عمران ، آية ١١٠ .

(٣٤) ـ أبوداود ، سنن أبى داود ، جـ ٢ ، ص ٤٣٦ .

(٣٥) ـ الترمذى ، الجامع الصحيح ، سنن الترمذى جـ ٥ ، ص ٤٨٤ .

الإرساليات الأمريكية في إفريقيا

م.د/ عبدالله نجيب محمد

تشير التقارير المعتمدة إلى أنه كان يعمل في إفريقيا في السبعينات ١٥٩٧٠ مبشراً بروتوستانتي من المجموع البالغ ٤٢٢٥٠ ، اى : زهاء ٣٥٪ تقريبا . مما يؤكد بكل دقة أن كنائس أمريكا الشمالية هي التي تسيطر الآن على مسرح الإرساليات في إفريقيا ، وتقرر مكتبة البحوث الإرسالية في نيويورك أن هذا العدد قد زاد في السبعينات ، وأن الانفاق عليها قد زاد ــ أيضا ــ مما يؤكد تواصل النشاط الإرسالي الأمريكي .

وإفريقيا من وجهة النظر الإرسالية الأمريكية هي قلب العالم ، ولها أهمية بالغة في مخططاتهم ، فهم يهدفون إلى تحويل العدد الأكبر من سكانها إلى النصرانية في أقرب وقت ممكن ، وهم يعتقدون أنهم جزء من الكنيسة التي هي ــ كما يقولون ــ « الآلة التي اختارها الرب لخلاص العالم وتنفيذ أغراضه » .

ويقول « إميل بروند » « إن الكنيسة قائمة على رسالة النصرانية كما تقوم النار على الاحتراق ، فإذا ما تطلعت الكنيسة إلى العالم الخارجي فليس لديها الخيار إلا في التنصير ، وهنالك حقيقة دور المبشرين في إفريقيا اليوم ، وهو العمل في نطاق مهمة الكنيسة الرئيسية في التبشير[1] .

وصور الدكتور « ثيودور . ل . تاكر » السكرتير التنفيذي للجنة الإفريقية قسم الإرساليات الأجنبية لمجلس الكنائس القومي في مؤتمر البحوث العليا في جامعة شيكاغو . صور الوضع في إفريقيا على النحو التالي : « إن مستقبل الإرساليات المسيحية في إفريقيا غير مستقر ونحن واعون تماما للموقف الجديد ، وما يتطلبه من

( ) الكاتب رئيس قسم اللغات بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية .

(١) الرب والله وجوجو ص١٨٣ ، جاك مندلسون ، ترجمة إبراهيم أسعد محمد ، دار المعارف بمصر .

تعديل فى التصرف والدور ، ونحن مصرون على استمرار المحاولة

وهم يضعون شرطين أو خاصتين فى أول قائمة الحقائق المطلوب توافرها فى المبشرين .

* اقتناع شخصى قوى مع معرفة تامة بعيسى المسيح .

* ومقدرة فائقة فى تفسير الإنجيل .

ويتلو ذلك تقدير واضح للعالم الذى يعيش فيه المبشر .

ويعنى هذا بالنسبة لإفريقيا الاعتراف بالقومية كهدف أسمى وقدرة على الاستجابة إيجابيا لمصالح الإفريقيين السياسية ، والاستعداد للعمل تحت الإدارة الإفريقية .

ويقول الدكتور « تاكر »ويلرمنا — أيضا — أن نكون على بينة من التغيرات التى طرأت نتيجة نمو المدن والصناعة فى كل مكان بافريقيا ، واذا كان معظم افريقيا ما زال ريفيا فإن المناطق المتحضرة فى زيادة مستمرة ، وتتزايد أهميتها وحيثما ينفذ نظام الهجرات العالية ، فان الكثير من الرجال البالغين يمضون معظم وقتهم بعيدا عن عائلاتهم ، وهم يعملون فى الصناعات ، وحتى الآن فإن إرسالياتنا تخللت المناطق الريفية فقط .. ولم تقم بمجهود كاف بانتهاز الفرص الجديدة لارتياد المدن(٢) .

ومن التطويرات الجديدة التى لجأت إليها الإرساليات اشتراط أن يكون المبشر فاهما للاسلام بعمق كما يزاول فى جنوب الصحراء ، للتعرف على المجهودات اللازمة لهداية الافريقيين من الإسلام إلى النصرانية كما يقولون .

ويتضمن تجنيد المبشرين الآن غربلة واختبارات نفسية دقيقة للتأكد من أن المرشح لكى يكون مبشراً **يستطيع أن يصمد لصدمة ثقافية جديدة وأن يكون قادراً على تكييف أحاسيسه للتعامل مع الإفريقيين . والمقصود بالصدمة الثقافية . الجديدة هى ثقافة الإسلام ، التى كثيراً ما تغير فكر المبشر وموقفه من الإسلام . وقد يعتنقه ويتخلى عن نصرانيته إذا فهم الإسلام جيداً .**

ومما هو جدير بالذكر ان بعض الشباب المتحمس لنشر النصرانية — فى إحدى الجامعات الأمريكية — قد اتفقوا على الذهاب للتبشير بالنصرانية فى عقر دار الإسلام ؛ فذهبوا إلى الجزيرة العربية ، واطلعوا على الثقافة الإسلامية عن قرب ؛ فتحولوا إلى الإسلام .

والغريب فى الأمر — أيضا — أن بعض المبشرين يشترط فيهم — أيضا — معرفة جيدة بمهارات فنية عالية فى الزراعة أو غيرها ، بهدف الاقتراب غير المباشر من الأفارقة والتقرب إليهم واستمالتهم .

ويقول الدكتور « أمورى روس » : إن المهمة الحقيقية الجوهرية الثقيلة لإفريقيا ولنا وللعالم هى خلق مجتمع نصرانى فى إفريقيا ، وذلك بمشاركة الأفارقة فى كل ما له صلة بحياتهم من أرض وغذاء وكساء ومأوى وصحة وتعليم ومواصلات ورياضة واقتصاد وعائلة ومجتمع وحكومة ، كل ذلك يجب أن يهتم به المبشر لكى يتمكن من أداء

(٢) المرجع السابق ص ١٨٥ .

عمله بصورة مرضية وجيدة ، وممن طبق هذه الأفكار بدقة « بروس سامل » الذى يتولى رياسة برنامج المزرعة النموذجية بإرسالية « أولد أومتالى » بزيمبابوى وله خبرة فى قيادة الجرارات وتربية الأرانب والدورة الزراعية ، مثلما يعرف عن الإنجيل .

ويقوم علماء الغرب ورجال الإرساليات بالاستعانة بعلوم أخرى أهمها :

المعرفة الأنثروبولوجية الجيدة بالشعب الذى يعملون به ، والاستعانة بدراسات قيمة توضح لهم الطريق وتنير لهم السبيل ، فهم يدرسون كيف يتعاملون مع النخبة الحاكمة والمثقفة،ويدركون جيدا موقفهم تجاه الدين ، ويدرسون ــ أيضا ــ الخلفية التاريخية والنفسية للشعوب وغير ذلك مما يساعدهم فى عملهم .

ويرى الإرساليون أن السنوات القلائل القادمة تعتبر حاسمة فى مستقبل إفريقيا الدينى ، وهم يسابقون الزمن للوصول إلى أهدافهم ويركزون على استخدام التعليم المنسق والتعليم الشكلى ووسائل الاتصال وغير ذلك بشكل منظم ودقيق .

والإسلام ــ كما هو معروف ــ له ميراث ضخم على مدى ثلاثة عشر قرنا من الاتصال بافريقيا ، ويتوقع الدكتور « نويل كنج » عالم اللاهوت النصرانى منذ سنوات فى جامعة غانا ، كما يتوقع آخرون أن الإسلام يحظى بمكاسب ضخمة فى كل إفريقيا برغم ضعف إمكانات الداعين إليه وعدم وجود هيئات إسلامية منظمة للقيام بمهمة الدعــوة ، ولــذلك فالإرساليــون كثيراً ما يطالبون بتحسين العلاقات بين المسلمين وأن يتقابلوا ويتناقشوا ، وأن يحاولوا التفاهم فى جو من الألفة والاحترام المتبادل ، وقــد استجاب كثير من علماء الدين المسلمين

لهذه المطالب النصرانية ، ولكن يبدو من كافة التقارير التى كتبت عن هذه اللقاءات وجدواها ، أنهم يتراجعون الآن عنها ، بل ويطالبون البشرية بالابتعاد عن هذه الحوارات والتخلص من مآزقها كما حدث فى لقائهم بـ الداعية « أحمد ديدات » فى جنوب إفريقيا ، والحاج « أغسطس » فى نيجيريا ، لأنهم أدركوا بكل بساطة أن الأفريقيين أكثر ميلا إلى الإسلام وأكثر تفهما له ، بل إن عددا من الكنائس قد وجدت فى المسيح نبيا وليس تجسيدا للإله كما حدث فى إحدى الكنائس الكينية منذ عهد قريب ، وأمثال هذه الكنائس تحارب ويضيق عليها .

وعلى أى حال ، فمن الواضح الجلى أن الإرساليات الأمريكية والأوروبية ــ بصفــة عامة ــ تبذل جهودا متتابعة لتحويل أفريقيا إلى النصرانية ، ويستخدمون أساليب علمية متقدمة ومدروسة بعناية بهدف التغيير ــ وكما سبق ذكره فإنهم يحددون الأهداف ويدققون فى اختيار المبشرين ، ويزودونهم بكافة ما يلزمهم من معارض وإمكانات ، وتساهم الحكومات والهيئات الخيرية الشعبية فى هذه المهمة بسخاء .

والسؤال الآن : كيف يمكن لنا نحن المسلمين أن نقوم بدور مماثل ؟ وما هى الوسائل

والفعاليات المناسبة للدعوة الإسلامية ؟ .

إن الإجابة على مثل هذه الأسئلة تطرح عددا من المطالب أهمها :

* أنه يجب أولا إعداد خطة مناسبة توزع فيها الأدوار وتشترك فى أدائها وتنفيذها كافة الحكومات الإسلامية والهيئات الشعبية الإسلامية .

* وثانيا : إعداد خطة مدروسة بعناية لتدريب الدعاة من المسلمين ، وإيقافهم على كافة التطورات التى تمر بها إفريقيا فى الوقت الحاضر ، وتزويدهم بالخلفيات التاريخية والنفسية لكل شعب من الشعوب ، وهذا مما يقتضى مزيدا من التواصل بين المعنيين فى كل البلاد الإسلامية ومزيدا من التواصل بين علماء الدين وغيرهم من المتخصصين فى الشئون الأفريقية .

والذى لا شك فيه أن تدعيم الثقافة الإسلامية فى إفريقيا ونشرها له عوائد ضخمة فى جميع النواحى ، وإفريقيا الحديثة - كما قيل - لن يتحدد مستقبلها على يد السياسيين ، والاقتصاديين فحسب،وإنما يشارك فى ذلك بقوة وفعالية رجال الدين وعلماء الاجتماع والتاريخ والثقافة وكثير من المتخصصين فى مجالات أخرى ، فهذا العصر هو عصر التقاء العلوم والعلماء وعصر تشابك المعلومات وتضافرها من أجل أداء جيد ومنسق ودقيق .

والأمل كبير فى قادتنا وعلمائنا أن يبذلوا كل جهد ممكن ؛ لأداء هذه الرسالة التى هى واجب ؛ بل فرض على كل مسلم ومسلمة فى هذا العصر ، ولهذه القارة التى عانت طويلا من الاستعمار والإذلال العنصرى والاستغلال البشع على أيدى من يدعون الآن رغبتهم فى هدايتها وتنميتها - فنحن أقرب إلى الأفارقة منهم . بل نحن جزء منهم ومصيرنا واحد ومستقبلنا واحد لا شك فيه .

والله المستعان .

القدس مفتاح السلام والحرب فى الشرق الأوسط

بقلم د. / مصطفى دسوقى كسبة (*)

الجزء الأخير

٣ ـ هل لليهود أحقية فى القدس كعاصمة أبدية لهم ؟

٣/١ ـ حقائق التاريخ السياسى اليهودى :

أحداث التاريخ السياسى اليهودى على مر عصور التاريخ القديم أدت إلى تفريغ فلسطين من السكان اليهود .

وبدأت عملية التفريغ هذه بخروج بنى إسرائيل من فلسطين إلى مصر زمن يعقوب ويوسف ـ عليهما السلام ـ لانتشار المجاعة والقحط فى فلسطين وفقاً لروايات التوراة والقرآن الكريم .

وقد استمر الوجود الإسرائيلى فى مصر لمدة تقترب من أربعمائة عام خلت فيها فلسطين من الإسرائيليين . ولم يبق فيها سوى سكانها العرب القاطنين فيها والمحيطين بها . وبعد الخروج من مصر زمن موسى ـ عليه السلام ـ شهدت حياة الإسرائيليين فترة عدم استقرار اشتملت على أحداث الخروج ، وفترة التيه فى شبه جزيرة سيناء ، وفترة الصراع مع الكنعانيين ، ويستمر هذا الوضع حتى قيام دولة داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ فى القرن العاشر قبل الميلاد ، والتى سرعان ما انهارت وانقسمت إلى دولتين الأولى إسرائيل والثانية يهوذا ، (وذلك عقب وفاة نبى الله سليمان ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام) وانتهت الأولى على يد الآشوريين فى عام ٧٢١ ق. م . وسقطت الثانية على يد البابليين ، وانتقلت حياة اليهود إلى المنفى فى بلاد النهرين ، وهربت أعداد كبيرة من السكان اليهود إلى مصر والشمال الأفريقى وشبه الجزيرة العربية ، وأدى ذلك إلى إخلاء فلسطين من اليهود[١٥] .

وبرغم صدور قرار العودة إلى فلسطين بواسطة الملك الفارسى (قورش) بعد سقوط البابليين ، فإن معظم السبى لم يستجيبوا لقرار العودة بسبب استقرار أوضاعهم فى بلاد النهرين .

(*) رئيس قسم الاستشارات بمركز الاقتصاد الإسلامى ـ جامعة الأزهر .

(١٥) د. محمد خليفة حسن أحمد « عروبة فلسطين فى التاريخ القديم » ندوة « فلسطين عبر عصور التاريخ » ، مركز البحوث والدراسات التاريخية ـ كلية الآداب ـ جامعة القاهرة ٤ ـ ٥ نوفمبر ١٩٩٥م ، ص ١ .

وأتى العصر اليونانى بمزيد من الهجرة اليهودية إلى مصر والشمال الأفريقى وإلى بلاد النهرين .

وفى العصر الرومانى وقع ما يعرف بالشتات اليهودى العام . وضعفت البنية السكانية ليهود فلسطين ، بسبب كثرة عدد قتلاهم فى حروبهم مع الرومان ، وما تعرضوا له من اضطهاد أدى إلى فرارهم ، ثم حدوث دمار أورشليم والهيكل(١٦) .

والتاريخ يؤكد أن الملك سالم اليبوسى الكنعانى العربى هو الذى أسس القدس فى العام ٣٥٠٠ قبل الميلاد . أى أن القدس مضى على تأسيسها حوالى ٥٥٠٠ سنة ، وليس ٣٠٠٠ سنة كما تحاول إسرائيل فى زعمها .



وعلى الرغم من أن السلطة اليهودية على المدينة لم تتعد ٧٧ عاما من عمر المدينة البالغ ٥٥٠٠ عام ، ومع أن القرارات الدولية كافة تؤكد عدم شرعية احتلال إسرائيل للقدس على اعتبار أنها مدينة محتلة مثلها فى ذلك مثل باقى الأراضى العربية التى احتلت فى العام ١٩٦٧ م ، والتى تخضع لاتفاقية جنيف الرابعة للعام ١٩٤٩م ، وتلتزم إسرائيل بعدم تغير وضعها السكانى ، وكان آخر هذه القرارات قرار مجلس الأمن ٧٩٩ الصادر فى ١٩٩٢/١٢/١٩م .

وأخيرا على الرغم من أنها قضية من القضايا المؤجل التفاوض بشأنها مع قضايا أخرى ، وفقا لحكم المادة الخامسة من (اتفاقية أوسلو) السابق لإسرائيل إبرامها مع منظمة التحرير الفلسطينية فى واشنطن فى ١٩٩٣/٩/١٣م ، بحضور شاهدى التوقيع أمريكا وروسيا تجاهلت إسرائيل كل ذلك ، ومضت فى الاستعداد لحفلها الذى أعلنت إشارة البدء به فى قرية سلوان العربيـــة فى ١٩٩٥/٩/٤م ليستمر ١٥ شهرا .

وقاطع كثير من الهيئات والشخصيات الدولية هذا المهرجان الذى يهدف إلى طمس معالم القدس العربية الإسلامية ، والتــى ترسخ هيمنتها الاستعمارية على المدينة الجريحة ، وإلى محاولة خلق أمر واقع وذلك بتحريف التاريخ وتزييف الواقع(١٧) .

٣/٢ ـ الصهيونية :

الأفكار الصهيونية ماكان يمكن أن يقدر لها أن

(١٦) د. محمد عليفة حسن ، مرجع سابق ، ص ٩ .

(١٧) انظر : حسن أحمد عمر ، «على هامش احتفالات الدولة العبرية» أورشليم ٣٠٠٠ سنة ، الحياة ـ ١٩٩٥/١٠/١٠م .

تتحول إلى كيان سياسى دون مساعدة قوة خارجية . وهنا يأتى الدور الذى لعبته الإمبريالية الغربية (ويهود الشتات) ، واستفادت الصهيونية من حاجة الاستعمار الغربى إلى قاعدة فى الشرق الأوسط ، وكذلك استفادت من المناخ الفكرى والحضارى الذى خلفته الإمبريالية .

القدس الكبرى

ولكن على الرغم من أن الصهيونية على المستويين الحضارى والاقتصادى ، مدينة بوجودها للاستعمار الغربى ، فإنها جزء متميز من كل .

هذا ومن ناحية أخرى هناك ثمة تشابه فى البنية بين الأفكار الصهيونية والأفكار الدينية اليهودية ، والسمة الأساسية لهذه الأفكار أنها تخلط بين المقدس والقومى ، وبين المطلق والنسبى ، وتمزجهما .

والفكرة المحورية فى «الإيديولوجية» الصهيونية هى فكرة الأمة اليهودية ، وفكرة اليهودى الخالص ، أى اليهودى الذى لاتشوبه شائبة غير يهودية ، وهو التعبير الحقيقى عن المثل الأعلى الصهيونى ، وتفترض فكرة اليهودى الخالص غياب العرقى ، وإلا اختل النسق «الأيديولوجى» وجابه تحديا واضحا[18] .

وفى مجال وضع هذا النسق موضع التنفيذ ، توجهت الصهيونية فى اتجاهين نحو اليهود ، ونحو العرب ، فحاولت نقل اليهود من المنفى إلى أرض الميعاد ، ونقل العرب من فلسطين إلى المنفى .

وعلاقة الصهيونية بيهود العالم ، هى علاقة عنصرية فى جوهرها ، فالصهيونية تنطلق من افتراضها أن ثمة شعبا يهوديا واحدا يجب أن ينقل شاء أم أبى ـ إلى الوطن القومى المزعوم أرض الميعاد . وفى محاولة نقل هذا الافتراض إلى واقع تنتقد الصهيونية الشخصية اليهودية ـ التى نمت وترعرعت فى المنفى ـ وتهاجم يهود الشتات وتحاول قلقلة أوضاعهم وإرهابهم .

أما عن علاقة الصهيونية بالعرب ، وبخاصة الفلسطينيين فهى أيضا علاقة عنصرية ، إذ إنه حسب التصور الصهيونى ، يجب تفريغ أرض الميعاد من سكانها ، ويجب سلب حرية وإرادة من تبقى منهم بعد ١٩٤٨م[19] .

والدكتور/ عبدالوهاب المسيرى يرى :

١ ـ أن المجتمع الإسرائيلى هو مجتمع صهيونى بالدرجة الأولى ، وأنه ـ برغم كل التحديات التى تواجه النسق «الأيديولوجى» الصهيونى المهيمن يحتفظ بسيطرته على الإسرائيليين ، نظرا لعوامل

(١٨) انظر د. عبدالوهاب المسيرى ، «الأيديولوجية الصهيونية دراسة فى علم اجتماع المعرفة» ، عالم المعرفة ـ الكويت ـ العدد ٦٠ ـ ديسمبر ١٩٨٣م ـ ص ٥ ـ ٧ .

(١٩) د. عبدالوهاب المسيرى ، مرجع سابق ، ص ٦ ـ ٧ .

سياسية واقتصادية كثيرة ، لعل أهمها أن المجتمع الإسرائيلى مجتمع تدعمه (الإمبريالية) ويهود الشتات الذين تهيمن عليهم الصهيونية ، وانعكس هذا الوضع على الوجدان الإسرائيلى الذى تحول إلى وجدان جبرى ، يقبل أن تكون حالة الحرب حالة نهائية .

٢ ـ الصهيونية تحتوى على قسط كبير من الأوهام والإدعاءات وتزييف التاريخ وتساندها أجهزة إعلامية وأكاديمية كثيرة ، تنجح فى خلق انطباع عام لدى الجميع من الأعداء والأصدقاء بصدق مقولاتها ، فنجد أنفسنا نردد مقولة مثل «الشعب اليهودى» أو «الاضطهاد النازى لليهود»[٢٠] .

٣/٣ الشخصية الإسرائيلية :

الذين يدرسون طبيعة الإجرام فى العصر الحديث يقسمونه إلى أنواع تتلخص فى ثلاث[٢١] :

١ ـ النفوس الشريرة بطبعها ، التى لا يكمن فيها وازع ولا ضمير ، ولا تريد بحال من الأحوال أن تحترم إنسانية الآخرين من البشر ، ولا ممتلكاتهم ولا أعراضهم ولامقدساتهم ولا آمالهم فى الأمن والرفاهية ـ واليهود ليسوا من هذا القسم .

٢ ـ النفوس المنحرفة ، أى أن نزعات العدوان عند هذه الطائفة من المجرمين ليست طبيعة متأصلة فى عجينة الشخصية ، ولكنها جاءت من المحيط الخارجى .

واليهود ليسوا من تلك الطائفة أيضا . وبروز كثير من مفكريهم على مر العصور الذين يريدون بإخلاص أن يسهموا فى سعادة الإنسان دليل آخر على ضعف دور الانحراف فى سبك الشخصية اليهودية .

٣ ـ النفوس المريضة ، وفى هذه الحالة نجد أن الشخصية الإجرامية تتمثل نتيجة لسلسلة من الإصابات العميقة ، وتحمل اضطرابا فى الشخصية سببها وراثة ثقيلة من أمراض الأسلاف ، ثم حالة من الصحة النفسية والاجتماعية تأبى الانخراط فى الحياة العادية للمجتمع الإنسانى .

والشخصية الإسرائيلية ـ فى رأى الدكتور حسن ظاظا ـ من هذا النوع الثالث ، وقد استفحل مرضها ، حتى وصل فى بعض الأحيان إلى الجنون المطبق ، بسبب أفواج المتطرفين والحمقى والمصابين بالهستيريا والملوسة وجنون العظمة وأحلام اليقظة وأزمات الاكتئاب واليأس والبكاء ، تولوا مقاليد هذه الجماعة ومقدراتها ، قديما وحديثا ، فكانت نتيجة كل ذلك الصهيونية .

فالصهيونية ـ فكرا وسلوكا وتطبيقا ـ موبوءة بالتعصب العنصرى والتعصب الدينى ، وعقدة الشعور بالاضطهاد ، والفزع من اللاسامية ، كما أنها مصابة بأورام انتقلت عدواها إليهم من طغاة كثيرين فتكوا بالإسرائيليين ، وتفننوا فى التنكيل بهم ، وكان من أواخر ذلك البوجروم (مذبحة منظمة ضد اليهود فى أوديسا عام ١٨٧١م)

---

(٢٠) المرجع السابق ، ص ٨ ـ ٩ .

(٢١) انظر : د. حسن ظاظا ، «الشخصية الإسرائيلية» ، عالم الفكر ـ الكويت ـ المجلد العاشر ـ العدد الرابع ـ يناير ـ مارس ـ ١٩٨٠م ، ص ٥٩ ـ ٦٠ .

والسامية الهتلرية ؛ فراح الغلاة من الصهاينة يقلدون أولئك السفاحين .

والعلاج من هذه المجموعة من الأمراض ، ماكان منها وراثيا ، وما أخذ بالعدوى ، وماتوصل في ثنايا الشخصية الإسرائيلية في الظروف التي شاء اليهود أن يعيشوا فيها أو التي أجبروا عليها ، لابد أن يكون طويلا يحتاج إلى صدق نية منهم في الشفاء ، وإلى نظرة إنسانية شاملة من جميع النفوس المحبة للخير . وهي تجربة ليست بالسهلة ؛ فمن السمات المميزة للشخصية الإسرائيلية العناد والإسراع إلى الارتداد عن طريق الخير . ووصفهم في التوراة بأنهم شعب صلب الرقبة أبعد الناس عن الطاعة وعن لين الجانب (الخروج ٣٢ : ٩ و ٢٣ : ٣ ، ٥ و ٣٤ : ٩ التثنية ٩ : ٦ ، ١٣) ، كما أكثر أنبياؤهم الشكوى من كفرهم وعنادهم وقسوتهم[٢٢] .

وقد حاول مفكرون من عظماء اليهود على مر الأجيال أن يعالجوا الأمة المريضة من دائها القديم فلم ينجحوا . من أمثال : موسى بن ميمون ، موسى مندلسون[٢٣] .

ويتساءل الدكتور حسن ظاظا ، هل هناك من حل ؟

ويجيب أن بداية الحل في استئصال أسباب المرض . وهذه الأسباب تحوصلت في العصر الحديث في الصهيونية . ولابد أن يقوم من الإسرائيليين أنفسهم فريق واع بحقائق الأمور ، مدرك خطورة المرض المستبد باليهود ؛ فيتعاون مع كل ذوى النفوس السليمة في العالم على الوصول إلى الشفاء .

هذا فضلا عن أن بقاء الشخصية الإسرائيلية حافظة لفضائلها متخلصة من رذائلها ، آمنة من شبح الانهيار الكبير الذي تعرضت له أكثر من مرة في التاريخ يتوقف على صدق النية في السلام .

أما الاغتصاب ، والتهديد بالقوة والعدوان المتكرر المستمر فإنه يطيل الداء ، ويبعد الشفاء .

ومما لاشك فيه أن العالم العربي لن يرضخ للجوار الدائم بجانب مريض ، لاسيما إذا كان مرضه في الشخصية ، بحيث يضعه على حافة الجنون . ولن يكون لليهود أمل في الخلاص ، الذي يعتبر ركنا من أركان الدين عندهم إلا إذا تخلصوا كذلك من المفسدين المعربدين الذى يوجدون في قياداتهم وزعاماتهم[٢٤] .

٤ ـ أحقية المسلمين في القدس :

٤/١ منزلة القدس عند المسلمين :

للمسلمين مجموعة من الارتباطات الوثيقة ، والحقوق والعلاقات الوطيدة بالقدس :

١ ـ الارتباط العقدى :[٢٥]

أ ـ حادثة الإسراء والمعراج فقد أسرى بسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المسجد الحرام

---

(٢٢) انظر : د. حسن ظاظا ، مرجع سابق ، ص ٦٠ .

(٢٣) انظر : المرجع سابق ، ص ٦١ .

(٢٤) انظر : المرجع السابق ، ص ٦٢

(٢٥) لمزيد من التفاصيل راجع بيان الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر «في شأن القدس» ، د. أحمد عمر هاشم ، «الإسلام والقدس» بحث مقدم لندوة «القدس : ماضيها ومستقبلها» ـ جامعة الأزهر ـ ١٦/١٠/١٩٩٥م .

ـ د. محمود حمدى زقزوق «المسجد الأقصى في الكتاب والسنة» بحث مقدم لندوة «القدس : ماضيها ومستقبلها» ـ جامعة الأزهر ـ ١٢/١٠/١٩٩٥م .

بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى المبارك بمدينة القدس . يقول الحق ـ تبارك وتعالى :

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء]

ب ـ القدس «أرض المحشر والمنشر» ستكون مدينة القدس أرضا للمحشر والمنشر يوم القيامة ففيها يجمع الناس ، وفيها يعرضون للحساب .

عن ميمونة مولاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالت : قلت : «يارسول الله ، أفتنا في بيت المقدس ؟ قال : أرض المحشر والمنشر ، ائتوه فصلوا فيه ، فإن الصلاة فيه كألف صلاة في غيره» رواه مسلم .

٢ ـ الارتباط التعبدى[٢٦] :

يتمثل ذلك فيما يلي :

١ ـ استقبل المسلمون بيت المقدس في صلواتهم مدة ستة عشر شهرا ، وذلك من بدء مشروعية الصلاة حتى نزول قوله تعالى :

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾

[سورة البقرة : الآية ١٤٤]

فأصبحت قبلة المسلمين المسجد الحرام ، لذا اعتبرت مدينة القدس أولى القبلتين .

٢ ـ حث رسول الله ﷺ على زيارة المسجد الأقصى بقصد العبادة وربطه بالمسجد الحرام بمكة المكرمة وبالمسجد النبوى في المدينة المنورة .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى» رواه البخارى وأحمد ومسلم .

٣ ـ إن المقيم في مدينة القدس له ثواب المرابطة في سبيل الله .

الحديث الشريف : «لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لايضرهم من خالفهم وما أصابهم من لأواء ، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك . قالوا : يارسول الله : وأين هم ؟ قال : ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس» رواه أحمد .

الارتباط الحضارى والثقافى[٢٧] :

١ ـ البناء الفريد لكل من المسجد الأقصى المعقود ، مسجد قبة الصخرة المشرفة بالإضافة إلى السبل (الأسبلة) ، والآبار في مساحة المسجد الأقصى علما بأن جميع المنطقة ـ والتى تبلغ مساحتها (١٤٤) دونما ـ تعتبر كلها المسجد الأقصى المبارك .

٢ ـ وجود مئات العقارات الوقفية والأثرية التى تعود إلى العصور الصلاحية والمملوكية والتركية ، حول المسجد الأقصى وفى البلدة القديمة .

٣ ـ وجود العشرات من المساجد في البلدة القديمة من مدينة القدس شيدت في عصور متعاقبة ، ويعود بعضها إلى العهد العمرى .

---

(٢٦) عكرمة صبرى ، مرجع سابق ، ص ٦ .

(٢٧) المرجع السابق .

٤ ـ إنشاء مئات المدارس والمعاهد والكليات والمكتبات ودور القرآن الكريم ودور الحديث الشريف والزوايا والأربطة والتكايا حول المسجد الأقصى المبارك وفى البلد القديمة منذ العهد الصلاحى وحتى يومنا هذا .

الارتباط السياسى :
ويتمثل ذلك فى أمرين :

١ ـ العهدة العمرية التى وقعت عام ١٥هـ/٦٣٧م، وذلك بعد أن تسلم الخليفة الراشد العادل عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ مفاتيح مدينة القدس من بطريك الروم «صفرونيوس» وقتئذ . ولم تكن هناك أى علاقة بين المسلمين واليهود فى مدينة القدس حين الفتح العمرى لهذه المدينة . وتمثل هذه الوثيقة أعدل وأوضح وثيقة سياسية عبر التاريخ .

٢ ـ حكم العرب والمسلمون هذه المدينة منذ الفتح العمرى وحتى ١٩٦٧ ـ حين وقوع المدينة تحت الاحتلال الإسرائيلى ـ حتى هذا اليوم مع الإشارة إلى فترة الحروب الصليبية التى حكم فيها الصليبيون مدينة القدس حتى حررها صلاح الدين منهم .

وتمكن الحكام العرب والمسلمون من تحقيق العدل والاستقرار والأمن والأمان للمسلمين وغيرهم[٢٨] .

٥ ـ الارتباط التاريخى :

اليبوسيون فخذ من أفخاذ القبائل الكنعانية العربية ، قاموا فى حوالى ٣٥٠٠ ق.م بإنشاء أول مدينة لهم على تل الضهور (تل أوفل) ـ يبعد عن الحرم القدسى ١٧٠ مترا ـ ولما كان ملكهم الكبير يدعى «سالم» أو «شالم» والذى يعنى «السلام» أطلقوا عليها اسم «أورشالم» أى مدينة سالم أو مدينة السلام ، حيث «أور» كلمة سومرية تعنى (مدينة) ، وأطلق عليها أحيانا «يبوس» ، وفى نقش مصرى قديم وردت **Aurshamen** ، وفى التوراة وردت «أورشليم» وذكرها الغرب حديثا **Jerusalem** ، أى جميعها تحريفات لاسمها الكنعانى العربى «أور ـ سالم» وأطلق عليها «إيلية» عام ١٣٥م الأمبراطور الرومانى هدريان .

أما بيت المقدس فقد ورد ذكره فى حديث «الإسراء» ، و«القدس» غلب بعد العصر الأموى ؟ وأقدم من أطلقه عليها .

وأخيراً «القدس الشريف» الذى أطلقه عليها الشريف يحيى بن سعيد الأنطاقى ، وبهذا اللفظ ذكرها ابن بطوطة ، وهذه التسمية تبناها العثمانيون . وفضلها الملك الحسن الثانى ـ ملك المغرب ـ عندما أسندت إليه رئاسة لجنة القدس الشريف بنعت نفسه بصفة «خادم القدس الشريف»[٢٩] .

٤/٢ الظروف الدولية والإقليمية التى ساعدت إسرائيل على تهويد القدس :

فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ظهرت كل من أمريكا والاتحاد السوفيتى كقوتين عظميين ، وأنشئت منظمة الأمم المتحدة والمؤسسات التابعة لها ، ويمكن تقسيم الوضع الدولى بعد الحرب

---

(٢٨) عكرمة صبرى ، مرجع سابق ، ص ٧

(٢٩) حسن أحمد عمر ، على هامش احتفالات الدولة العبرية بـ«أورشليم ٣٠٠٠ سنة» ، الحياة ، ١٠/١٠/١٩٩٥م . وانظر أيضا بيت المقدس والمسجد الأقصى ، تصنيف محمد حسن شراب .

الثانية إلى مرحلتين .

الأولى : استمرت ربع قرن ، ويمكن رصد أهم الظواهر السياسية فى هذه المرحلة :

١ ـ اتفاق القوتين العظميين وتواطئهما على قيام الدولة اليهودية فى فلسطين وتأمينها من قبلهما .

٢ ـ تقسيم باكستان التى استقلت عن الهند إلى باكستان الشرقية (بنجلادش) وباكستان الغربية (باكستان الحالى) ، وهناك محاولات لقوى دولية وإقليمية لفصل إقليم السند وعاصمته كراتشى عن باكستان .

٣ ـ دخول العرب أربعة حروب مع إسرائيل (١٩٤٨م ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧م ، ١٩٧٣م) .

الثانية : وتبدأ من حرب أكتوبر ١٩٧٣م وحتى نهاية القرن العشرين ، ويمكن رصد أهم الظواهر السياسية على النحو التالى :

١ ـ استغلال الخلاف المذهبى والعرق والحدودى بين العراق وإيران ، وإشعال فتيل الحرب بين إيران والعراق ؛ لتبديد مواردهما البشرية والمالية ، ولسهولة السيطرة على منابع البترول فى الخليج العربى ، ومنع أى قوة إقليمية من السيطرة عليه كإيران والعراق .

٢ ـ الإيحاء للعراق بغزو الكويت ، واستخدام ذلك كذريعة لتدمير الإمكانات والقدرات العسكرية والاقتصادية للعراق .

٣ ـ منع جبهة الإنقاذ الجزائرية من الوصول إلى الحكم فى الجزائر ، وإشعال فتيل حرب أهلية ، وإثارة النعرات العرقية بين العرب والبربر ، وإيجاد ذريعة لتدخل القوى الغربية فى الصراع .

٤ ـ السيطرة على منابع البترول ، والتحكم فى الأرصدة (البترودولارية) وإعادة إقراضها للعالم الإسلامى .

٥ ـ العمل على محاكاة وتقليد النمط الاستهلاكى التبذيرى الغربى لامتصاص الفوائض المالية وتدويرها مرة أخرى للاقتصاد الغربى ، والتى تضمن السيطرة للشركات المتعددة الجنسية ، والمصارف الدولية .

٦ ـ إبراز مفهوم الشرق الأوسط (المتعدد الثقافات والأعراف) بدلا من مفهوم العالم الإسلامى المتعدد الأعراق (العرب ، الأتراك ، الإيرانيون ، الأفغان ...) وذو الثقافة الواحدة والحضارة الواحدة التى تستمد جوهرها من الإسلام .

٧ ـ العمل على إنشاء سوق شرق أوسطية تهيمن عليه إسرائيل والشركات دولية النشاط بدلا من سوق عربية أو إسلامية ، وإنهاء المقاطعة لإسرائيل قبل حل المشكلة الفلسطينية .

٧ ـ الربط بين الإسلام والإرهاب ، وإظهار المسلمين والعرب فى وسائل الإعلام بصورة مشوهة ، ووضع بعض الدول العربية والإسلامية على قائمة الدول الراعية للإرهاب والمبالغة فى ذلك لأسباب استراتيجية ، وتبرير الاعتداء على تلك الدول أو فرض حصار اقتصادى عليها كإيران ، وسوريا ، وليبيا .. وغيرها .

٩ ـ رفض إسرائيل التوقيع على اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية ، وفى نفس الوقت تدمير القوة العسكرية العراقية ، ومنع أى دولة عربية أو إسلامية من الحصول على تكنولوجيا متقدمة ، ومنع المعونة عن باكستان لامتلاكها مقومات صنع أسلحة نووية .

١٠ – إخضاع الاقتصاد العالمى لسيطرة المؤسسات الدولية الثلاث (صندوق النقد الدولى ، البنك الدولى للإنشاء والتعمير ، ومنظمة التجارة الدولية) وفرض النموذج الغربى على العالم ، دون الالتفات إلى التوترات الاجتماعية والمشاكل المترتبة على النموذج الغربى من تلوث البيئة ، البطالة والبؤس والفقر . وسيطرة المؤسسات اليهودية على الاقتصاد العالمى ، وكذلك على وسائل الاعلام .

١١ – تفكك وانهيار الاتحاد السوفيتى ، وتكون كمنولث من الجمهوريات الاتحادية ، وظهور ست دول ذات أغلبية إسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز ، فضلا عن المسلمين فى روسيا الاتحادية . وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية فى تسيير شئون العالم .

وباختصار فإن أوضاع العالم الإسلامى والعربى وخصوصا بعد حرب الخليج الثانية والتى غزت فيها العراق الكويت ولّدت كمّا من الانشقاقات والانقسامات مما شجع على :

* اتخاذ قرارات بمصادرة بعض أراضى القدس ، وقرار نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس .

* وفشل الدول العربية فى إجبار إسرائيل فى التوقيع على تجديد اتفاقية حظر انتشار الأسلحة النووية .

وبالرغم من أن هناك إجماعا من الدول الأعضاء فى جامعة الدول العربية ، ومنظمة المؤتمر الإسلامى على رفض قرارات إسرائيل بجعل القدس عاصمة أبدية لإسرائيل إلا أن فاعلية الدول العربية والإسلامية مازالت محدودة . والتاريخ يحدثنا عن كيف ضاعت القدس من يد المسلمين ، وكيف أعادها صلاح الدين الأيوبى .

٣/٤ الخبرة التاريخية بشأن القدس :

فى مرات نادرة فى التاريخ ، فقدت القدس هويتها ، وضاعت شخصيتها تحت ضغط القوة الغاشمة ، وتخيل المعتدى أنه صنع لها كيانا جديدا ، لكن القدس استمرت ترفض ، واستمر الجسم العربى والإسلامى يرفض من حولها حتى عادت إليها روحها .

فى الحروب الصليبية أبرمت معاهدات أملتها الظروف السياسية والتقلبات العسكرية ، فضاعت معها القدس وفقدت هويتها ، لكن العوامل الحقيقية والتيارات الواقعية التى تحرك التاريخ وتقود الشعوب وتصوغ الأجيال مزقت تلك المعاهدات والاتفاقات ، وخرجت القدس من خلالها عربية الوجه ، إسلامية الروح ، تمارس دورها الإنسانى العالمى (أور سالم) مدينة السلام .

ومن خداع النفس أن تتصور إسرائيل أنها قادرة على فرض الاغتصاب على القدس بقرار يصدر من برلمانها بضم القدس أو إحاطته القدس كما تفعل اليوم بسوار واسع من القلاع والمستوطنات والحصون ، وإرهاب أهلها العرب من مسلمين ونصارى والتضييق عليهم ؛ ليهاجروا من القدس ويتركوا فراغا يملؤه الصهاينة المحتلون الوافدون من كل قطر[٣٠] .

---

(٣٠) كلمة كامل الشريف فى ندوة «القدس مدينة السلام» ص ٣ – ٤

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها فضيلة الشيخ : السيد العراقى

السؤال من العاملين بشركة أسمنت حلوان عنهم : صلاح سليم ، يقول فيه : نرجو الإفادة عن الآتى :

١ - زكاة الأسهم ، هل تدفع عن القيمة التى تم الشراء بها . أم تدفع عن القيمة السوقية الحالية لها ؟ أم تدفع عن صافى أرباحها ؟ وهل السيارة الخاصة عليها زكاة وما مقدارها ؟

والأرض الفضاء الخاصة بالبناء هل يستحق عنها زكاة بقصد التجارة والسكن . وهل تدفع الزكاة عن قيمة الشراء أم السوقية الحالية وما مقدارها وما الحكم ؟

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فنفيد عن السؤال الأول : بأن أسهم الشركات هى التى يشتريها الناس لتكون قيمتها مجتمعة :

رأس مال الشركة ، ويوزع على المساهمين فيها ، وما يخص كلا من ربح أو خسارة ، كشركة الحديد والصلب مثلا ، فإن كان القصد من شرائها هو الاتجار فيها ، أى عرضها للبيع كأية سلعة تعرض للبيع والشراء ، أو كانت الشركة تجارية ، وجبت فيها الزكاة كسائر أنواع التجارة ، والتجارة فيها زكاة كما ذهب إليه جمهور العلماء والفقهاء مستأنسين بحديث أبى داود والبيهقى عن سمرة بن جندب قال : إن النبى ﷺ كان يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذى نعده للبيع ، كنت أبيع الأدم والجعاب ، فمر بى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال : أد صدقة مالك فقلت : ياأمير المؤمنين إنما هى الأدم قال : قومه ثم أخرج صدقته

والأدم : الجلد - والجعاب : الأوعية التى يوضع فيها النبل ، وعلى هذا تقوم هذه الأسهم وحصة الشركة ويضم إليها ما حصل من أرباح ، فإن بلغت نصابا بعد تمام الحول أخرج منها ربع العشر (٢,٥ ٪) .

أما إذا قصد من شرائها أن يعيش على ريعها فإن أمكنه أن يعرف مقدار ما يخص السهم من الموجودات الزكوية للشركة ، فإنه يخرج زكاة أسهمه بنسبة ربع العشر ، وإن لم يعرف فأكثر الآراء على ضم الريع إلى سائر أمواله من حيث النصاب والحول ويخرج منها ربع العشر .

وخلاصة القول :

أن زكاة الأسهم تدفع عن القيمة السوقية الحالية لها ، مضافا إليها صافى أرباحها متى بلغ ذلك نصاب الزكاة ومر عليه الحول .

وعن السؤال الثانى والثالث : المنصوص فقهيا أن دور السكنى لا تجب فيها زكاة ، والأراضى المعدة للبناء ، وليست للتجارة تلحق بدور السكنى فلا تجب فيها أيضاً الزكاة ، لأنها أرض غير منتجة ، فلا هى أرض زراعية تجب فيها زكاة الزروع - ولا هى مبنية تستغل بالاستئجار .

وكذلك السيارات الخاصة ، فإن كانت هذه الأرض الفضاء المقصود منها التجارة واستوفت شروط الزكاة فإنها تقومُ فى آخر كل عام ويخرج عنها الزكاة ومقدارها ربع العشر (٢,٥ ٪) .

وقد نص فى (كتاب الدر المختار على متن تنوير الأبصار) الجزء الثانى (فى الزكاة ص ١٨ ، ١٩) ما نصه : والأصل أن ما عدا الحجرين (الذهب والفضة) والسوائم ، إنما يزكى بنية التجارة بشرط أن تكون النية مقارنة لعقد التجارة ، ولو نوى التجارة بعد العقد أو اشترى شيئاً للقنية ناويا إن وجد ربحا باعه لا زكاة عليه . ومن هنا يعلم أنه لا زكاة فى السيارات الخاصة التى يستعملها أصحابها فى تنقلاتهم ولا تدر عليهم دخلاً ؟ . والله تعالى أعلم .

وبعث السيد س . ع . ب بالسؤال التالى :

طلبت امرأة من زوجها الطلاق ، وهى فى حالة غضب ، فقال لها الزوج : أنت طالق . وكان الرجل فى حالة غضب هو الآخر ، وكانت المرأة حائضا عندما طلبت منه الطلاق ، فهل يقع الطلاق أم . لا .

الجـــــــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين : سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فنفيد بأنه إذا صدرت صيغة الطلاق المذكورة من هذا الرجل وهو غضبان غضبا شديدا بحيث أصبح لا يعى ما يقول وقته أصلا . وأصبح يغلب الخلل فى أقواله وأفعاله لم يقع بهذه الصيغة طلاق لعدم أهلية الزوج للإيقاع فى هذه الحالة .

أما إذا لم يصل به الغضب إلى الحالة المذكورة وقع بالصيغة المذكورة طلقة واحدة رجعية ، فإن لم يسبق ذلك طلقتان فله مراجعة زوجته مادامت فى العدة ، فإذا انتهت عدتها منه حلت له بعقد ومهر جديدين وبإذنها ورضاها . ولا عبرة بكونها كانت حائضاً أثناء تلفظ الزوج بالطلاق واللجنة تنصح الزوجين بالحضور إلى مقر اللجنة وعرض الموضوع عليها حتى يتسنى للجنة معرفة الحقيقة هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال ، والله تعالى أعلم .

وسأل السيد / محمد شرف الدين ـ دمنهور .

ما الحكم الأرجح فى الدين بالنسبة لموضوع الموسيقى (ليس الغناء) حيث إنى أحب الاستماع إلى الموسيقى وخصوصا (الكلاسيكية ، ولكنى سمعت مؤخرا أنها حرام ، ولما حاولت الاطلاع والبحث عن ذلك بنفسى وجدت كل الفتاوى تنصب على الغناء فقط .

وقرأت أيضاً أن كل الأحاديث فى هذا الموضوع أحاديث ضعيفة .

ما حكم الاستماع ، والعزف ، والتعلم ؟

الجـــــــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فنفيد بأن موضوع الموسيقى والغناء كثر الحديث فيه والخلاف فى حكمه ، وتفصيل القول فيه لا يتسع له المجال هنا وسنكتفى بما جاء فى فتوى دار الإفتاء المصرية فى ١٢ أغسطس لسنة ١٩٨٠ م حيث لخص المفتى الحكم فى هاتين الفقرتين :

١ ـ الضرب بالدف وغيره من الآلات مباح باتفاق فى أمور معينة .

ب ـ سماع الموسيقى وحضور مجالسها وتعلمها أيا كانت آلاتها من المباحات ، ما لم تكن محركة للغرائز باعثة على الهوى والغواية والغزل والمجون ، مقترنة بالخمر والرقص والعشق والفجور ، أو اتخذت وسيلة للمحرمات ، أو أوقعت فى المنكرات أو ألهت عن الواجبات . فكل ما يلهى عن ذكر الله محرم شرعاً .

نقل القرطبى قول القشيرى : ضُرِبَ بين يدى النبى ﷺ يوم دخل المدينة .

كما يدل على الإباحة قول الله ـ عز وجل :

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

الجمعة ـ ١١

والله الهادى إلى سواء السبيل والله أعلم .



الشعر والشعراء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

إن من الشعر لحكمة

تلك الحكمة هي خلاصة البيان وثمرته ، وقديما كان لدى العرب سلاحان ، هما : السيف والشعر ، وكان الجدال بالشعر من أمضى الأسلحة . ولقد كان الرسول ﷺ لا يقول الشعر ، ولا ينبغي له ﷺ مصداقاً لقوله ـ تعالى :

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ يس / ٦٩

إلا أنه ﷺ كان ينفعل لجيد الشعر ، وينشرح له ، وكان ﷺ يعجبه قول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطـــل ... وكل نعيم لا محالـــة زائـــل

وقد استخدم ﷺ سلاح الشعر في معركته مع مشركي قريش ، حينما كانوا يهجون الإسلام والمسلمين ، فيأمر حسان بن ثابت بالرد عليهم ، وقد روت كتب التاريخ الإسلامي من ذلك صولات مع شعرائهم ، مما يدل على منزلة الشعر الكبيرة منذ القدم .

ولقد عاشت روائع المعلقات وغيرها من الشعر الجاهلي غير الوثني ، وفي مقدمة ذلك : الحكمة على لسان المسلمين ، فلم يهملوها ، وهذا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان معجبا بشعر زهير ، إذ كان له حكم رائعات . وهذه نماذج من هذا الشعر الرصين والمعبر :

زهير بن أبي سلمى

زهير بن أبي سلمى المزني المضري من فحول الشعراء الجاهليين ، وأعفهم قولاً ، وأكثرهم تهذيباً لشعره ، امتاز شعره بكثرة الحكم والأمثال وتعد معلقته من روائع المعلقات وأنبلها غرضاً ، إذ كان موضوعها : الدعوة إلى السلم والتنفير من الحرب . مدح فيها : هرم بن سنان ، والحارث بن عوف ، لسعيهما في الصلح وتحملهما الديات في حرب داحس والغبراء[1] .

---

(١) الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدر الإسلام ، للدكتورين / محمد عبدالمنعم خفاجي ، وصلاح الدين عبد التواب (طبعة مكتبة الكليات الأزهرية) ص ١٦٠ وما بعدها بتصرف .

وقد جاء فيها :

١ ـ واعلم علم اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عمي .

٢ ـ ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره[٢] ومن لا يتق الشتم يشتم

٣ ـ ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم

٤ ـ ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه ... إلى مطمئن البر لا يتجمجم

٥ ـ ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... وإن يرق أسباب السماء بسلم

٦ ـ ومهما يكن عند امرىء من خليقة ... وإن خالها تخفى على الناس تعلم

• • •

حسان بن ثابت

ويعتبر حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ من المخضرمين ، وله قدم ثابتة في ميدان هذا الفن الرفيع ، وهذه صورة من قريضه بعد ما جاء الإسلام ، وطبع الإسلام بتعاليمه السمحة وجه الحياة العربية ، وجاوز حمية الجاهلية إلى التعبير عن روح الإسلام وعقيدته وهديه ، ومن ثم كان للشعر دوره في صدر الإسلام في الدفاع عن الإسلام وبيان محامده ، وقد ورد أن الرسول ﷺ كان يأمر حساناً أن يرد على خصوم الإسلام ؛ فحين وفد على رسول الله ﷺ وفد بنى تميم ـ بعد فتح مكة ـ ودخلوا المسجد ، وقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك فائذن لشاعرنا وخطيبنا ، فأذن لخطيبهم ، فقام « عطارد بن حاجب بن زرارة » فأمر رسول الله ﷺ « قيس بن ثابت » فرد عليه ، ثم قام شاعرهم « الزبرقان بن بدر » فقال :

نحن الكرام فلا حيّ يعادلنا ... منا الملوك وفينا يقسم الربع

ونحن نطعم عند القحط مطعمنا ... من الشواء إذا لم يؤنس القزع

ثم ترى الناس تأتينا سراتهم ... من كل أرض هويا ثم نصطنع

فلما فرغ «الزبرقان» أمر الرسول ﷺ «حسان بن ثابت» بالرد عليه ، فقال مرتجلا :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم ... قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

سجية تلك فيهم غير محدثة ... إن الخلائق فاعلم شرها البدع

فلما فرغ «حسان» من قصيدته ، قال «الأقرع بن حابس» أحد رجال الوفد[٣] :

---

(٢) يفره : يصونه

(٣) المرجع السابق ص ٣٠٨ .

والله إن هذا الرجل (يعني سيدنا محمد ﷺ) لمؤتى له - أي مسهل له في أمره - لخطيبة أخطب من خطيبنا ، وشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا .. ثم أسلموا .

مع الشيخ أبي مدين

يعتبر الشيخ أبو مدين من علماء القرن السادس الهجرى ، ولد في مدينة فاس بالمغرب ، ونشأ بها ، ونهل من معين علمائها وفقهائها ، كالشيخ : أبي الحسن بن حرزهم ، والشيخ : أبي عبد الله الدقاق ، تثقف «أبو مدين» في العلم والفقه حتى أصبح عالما فقيها زاهدا تائبا .

يقول مؤرخه الشيخ / عبدالحليم محمود[4] : استقر في (بجاية) - بالمغرب - ناسكاً نسكاً شديداً ، وسرعان ما اشتهر بولايته وعلمه ، وهرع إليه الناس من أقصى البلاد يسألونه ويأخذون عنه .. ، وكما كان أبو مدين عالما : محدثا وفقيها ، فإنه كان شاعراً ، وشعره شعر جميل في اللفظ والتركيب ، ذو ثراء في المعاني ، فهو شعر مستكمل النفاسة لفظاً ومعنى ، وقد تخيرنا من شعره هذه الأبيات :

إليك مددت الكف

إليك مددت الكف في كل شدة ... ومنك وجدت اللطف في كل نائب

وأنت ملاذى والأنام بمعزل ... وهل مستحيل في الرجاء كواجب

فحقق رجائي فيك يارب واكفنى ... شمات عدوٍ أو إساءة صاحب

فكم كربة تجلى من غمارها ... وكانت شجى بين الحشا والترائب

فلا قوة عندى ولا لى حيلة ... سوى أن فقرى للجميل المواهب

فيا ملجأ للمضطرّ عند دعائه ... أغثنى فقد سُدّت على مذاهبى

رجاؤك رأس المال عندى وربحه ... وزهدى في المخلوق أزكى مكاسبى

ويا محسناً فيما مضى أنت قادر ... على اللطف بى في حاله والعواقب

(٤) أبو مدين الغوث - دار المعارف - ط ٢ - ص ٥٣ وما بعدها بتصرف .

وإني لأرجو منك ما أنت أهله
وإن كنت خطّاءً كثير المعائب
وصلّ على المختار من آل هاشم
شفيع الورى عند اشتداد النوائب

• • •

غيّاث الورى

يامن يغيث الورى من بعد ما قنطوا
ارْحَمْ عبيداً أكف الفقر قد بسطوا
واستنزلوا جودك المعهود فاسقهمُ
ريّا يُريهمْ رضا لم يشبه سخطُ
وعامل الكل بالفضل الذى ألفوا
يا عادلاً لا يرى فى حكمه شططُ
إن البهائم أضحى الترب مرتعها
والطير تغدو من الحصباء تلتقطُ
والأرض من حلة الأزهار عارية
كأنها ما تحلت بالنبات قطُّ
وأنت أكرمُ مفضال تمدُّ له
أيدى العصاة وإن جاروا وإن قسطوا
تاجوك والليلُ حلّاه بهاءُ سنا
كما يحلي سواد اللمّة الشَّمَطُ(*)
فشاربٌ بذنوب الذنب غصّ به
وآخرون كما أخبرتنا خلطوا
ومُنعّمٌ فى لذيذ العيش وهو يرى
فى سلك من هو حول العرش ينخرط
ومُلحِدٌ يدّعى ربّاً سواك له
حيران فى شَرَكِ الإشراكِ يختبط
كل ينال من المقدور قسمته
قوم ترقّوا وقوم فى الهوى سقطوا
حُكمٌ من الله عدلٌ فى بريته
فرض علينا له التسليم مشترطُ
ومن تصدى لحكم الله معترضاً
فقد تصدى له الخذلان والغلط
وما ذنوب الورى فى جنب رحمته
وهل يقاسُ بفيض الأبحر النقط ؟!
فما لنا ملجأ غير الكريم ومن
يُلقى على الحوض وهو السابق الفَرَطُ
ذاك الرسول الذى كل الأنام به
يوم القيامة مسرورٌ ومغتبط
صلّ عليه صلاة لا نفاد لها
مَنْ اسْمُهُ باسمه فى الذكر مرتبط

• • •

(*) اللّمّة : شعر الرأس المجاوز شحمة الأذن .
الشمط : الشعر الأبيض .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أرجى الآيات القرآنية

قال سيدنا أبوبكر ـ رضى الله عنه ـ تلوت القرآن كله ، فما رأيت أرجى آية من قوله ـ تعالى ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ ﴾ سورة الإسراء ٨٤

لأن شاكلة العبد : المعصية وشاكلة الرب : الرحمة .

وقال سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : قرأت كتاب الله كله ، فلم أجد آية أرجى من قوله ـ تعالى :

﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ سورة غافر ٣

وقال سيدنا عثمان ـ رضى الله عنه ـ قرأت القرآن كله فلم أجد آية أرجى من قوله ـ تعالى :

﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

وقال سيدنا على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ لم أجد آية أرجى من قوله ـ تعالى :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

لا شيء معى أزهده

قيل ـ لابن المبارك ، العالم العابد ـ يازاهد ! فأنكر ذلك على قائله ، وقال : أنا زاهد ؟ وفيما زهدت ، ولا شيء معى أزهد فيه ؟! فالزاهد هو : عمر بن عبد العزيز ، جاءته الدنيا راغمة ، فأعطاها ظهره وزهد فيها .

إن استطعت

قال عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ : إن استطعت فكن عالما ، فإن لم تستطع فكن متعلماً ، فإن لم تستطع فأحبهم (أى العلماء) ، فإن لم تستطع فلا تبغضهم .

لا نهاية .. ولا غاية

قال سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يحتلم الغلام لأربع عشرة ، وينتهى طوله لإحدى وعشرين ، وعقله لسبع وعشرين ، إلا التجارب ، فلا غاية لها ولا نهاية .

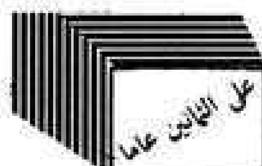
حسدني عليك

بعث عبد الملك بن مروان عامر الشعبي إلى الروم سفيرا ، وكان الشعبي عالما وربما كان فريد دهره ، فأدخلوه على ملكهم من باب ضيق ؛ حتى ينحني عند الدخول ، لكنه تقدم للملك رافع الرأس .

ولما رأى صاحب الروم كمال عقله وحسن جوابه وخطابه ، قال له : أمن بيت الخلافة أنت ؟ قال : لا ، أنا رجل من العرب .

فكتب ملك الروم إلى عبد الملك ، عجبت من قوم عندهم مثل هذا الرجل وَوَلَّوْا غيره !!

وعند قراءة عبد الملك جواب صاحب الروم ، التفت إلى الشعبي ، وقال له : حسدني عليك وأراد أن أقتلك .



أبدع الشاعر في إشارته إلى عصاه التي يتوكأ عليها ، وهو في الثمانين من عمره حين قال :

كأنها وهي في كفي أهش بها
على الثمانين عاما لا على غنمي

حقيقة

يصاب الفتى من عثرة بلسانه
وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالقول تذهب رأسه
وعثرته بالرجل تبرأ على مهل



قال أبو قدامة الشامي :

كنت أميرا على قوم ، فدعوت الناس إلى الجهاد ، فجاءت امرأة بورقة وصُرَّة ، فإذا في الورقة : إنك دعوتنا للجهاد ، ولا قدرة لي ، وهذه الصرة فيها ضفيرة شعري ، فخذها قيدا لفرسك ، لعل الله يرحمني بذلك .



قال طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنه : رأيت سيدنا عمر ـ رضي الله عنه ـ يدخل بيتا ، فدخلت ذلك البيت ، فإذا عجوز عمياء مقعدة .

فقلت : ما بال هذا الرجل أتى هنا .

قالت : يتعاهدني بالشيء من الطعام ويقيم البيت (يكنسه وينظفه) ويخرج الأذى منه .

دعاء

اللهم إني أسألك رحمة من عندك ، تهدي بها قلبي ، وتجمع بها شملي ، وتردُّ بها الفتن عني ، وتُصلح بها ديني ، وتحفظ بها غائبي ، وترفع بها شاهدي ، وتزكي بها عملي ، وتبيض بها وجهي ، وتُلهمني بها رشدي ، وتعصمني بها من كل سوء .



من أعلام الأزهر

الدكتور حسن جاد حسن

عميد كلية اللغة العربية الأسبق

١٣/١/١٩١٤ - ١١/١١/١٩٩٥

بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

فى حفل تأبينه الذى أقيم يوم الثلاثاء ١٨ من شعبان ١٤١٦ هـ الموافق التاسع من يناير ١٩٩٦ ، بالجامعة الأزهرية ، سها الأخ الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فذكر أن هذا اليوم ، يوافق تاريخ ميلاد الدكتور حسن جاد ، بعد مرور اثنين وثمانين عاما عليه ، وحقيقة الأمر ، أن يوم ميلاده هو ١٣ - يناير عام ١٩١٤ م، بقرية (منشأة الجمَّال) التابعة لمركز (دكرنس) بمحافظة (الدقهلية) وتوفى والده وهو فى الخامسة من عمره ، وحفظ القرآن الكريم فى (كُتّاب القرية) وأحسن تجويده ، والتحق بمعهد دمياط الدينى عام ١٩٢٦ م ، وكان من زملائه بالمعهد : الشيخ محمد خاطر مفتى الجمهورية ، وبعده التحق بمعهد الزقازيق الثانوى ١٩٣٠ ، زامل فيه الشيخ محمد متولى الشعراوى والدكتور محمد الطيب النجار (مدير جامعة الأزهر الأسبق) ، وقد ذكر فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم ، مدير الجامعة الأزهرية ، فى حفل التأبين أن الدكتور حسن جاد كان الأدب فى قمته ، والشعر فى روعته ، وأنه لابد من دراسة وافية لحياته وأدبه ، حتى يكون لتراثه وأخباره وجود ، ينتفع بها الطلاب والأدباء ، ويكون موضوعا للمسابقات الشعرية والأدبية . وأبدى فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم أسفه ؛ لأن الدكتور حسن جاد لم يطبع له ديوان حتى تاريخ وفاته فى الحادى عشر من نوفمبر ١٩٩٥ ، وأعلن فى الحفل عن كريم استعداده لتبنّى طبع (ديوان حسن جاد) ، بعد تجميعه من شتى المصادر والدوريات الأدبية ، استنقاذاً له من يد الشتات والتبدُّد .

ويُسعدنا أن نُعلن لفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم ، وكافة زملاء وأصدقاء وتلاميذ الدكتور حسن جاد ، رحمه الله ، - من فوق منبر مجلة الأزهر ، الحريصة على تكريم وإحياء ذكرى العلماء ◄

والأدبــاء الأعــلام ـ أنّ الشاعــر حسن جاد قد أصدر ديوانــا له بعنــوان (زورق الأشجان) سنة ١٩٣٤ ، وهو فى السنة الرابعة الثانوية . كما أن الأستاذ محمد عبد الرحمن إبراهيم خضير قد قام عام ١٩٨٤ م بإعداد رسالة ماجستير عن : « الاتجاهات الفنية فى شعر حسن جاد » ، تحت إشراف الدكتور عبد اللطيف خليف ، نائب رئيس جامعة الأزهر حينئذ ، وجعلها من قسمين فى مجلدين منفصلين :

القسم الأول :

قام فيه بجمع شعر الدكتور حسن جاد ، وضبطه وتبويبه ، وذكر أنه آثر أن يكون هذا القسم منفصلا عن قسم الدراسة ، حتى يكون ديوانا مستقلا ، يسهُل الاطلاع عليه ، والانتفاع به . وأفاد من صلته الوطيدة بالدكتور حسن جاد ، فى ذلك الحين ، لإرشاده عن تفاصيل وذكريات مراحل عمره المختلفة ، ومصادر شعره الذى سبق نشره بشتى الدوريات والمناسبات ، وبهذا يكون الباحث محمد خضير قد قدّم خدمة جليلة للأدب العربى الحديث ، حينما شمَّر عن ساعد الجد ، وقام بتجميع قصائد أستاذه دكتور حسن جاد ، وكاتب هذه السطور يدرك مدى الجهد الذى يتعين بذله فى هذا القصْد النبيل ، بعد ما عانيت من عقبات ، كانت تعترضنى أثناء قيامى بتجميع شعر بعض الأصدقاء ، منهم : الدكتور عزت شندى موسى ، رحمه الله ، وغيره ، وقام كل من المجلس الأعلى للآداب والفنون ، والهيئة المصرية العامة للكتاب ، بطبع ونشر دواوينهم ، على التوالى ، طوال زهاء عشرة أعوام . وهكذا يصبح مُتاحا أن نظفر بلفتة كريمة من فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ، لتحقيق ما وعد به ، بشأن طبع (ديوان حسن جاد حسن) .

للاحتفاء بصدوره ، وإعداد الدراسات الوافية المستوعبة له ، فى أقرب وقت ممكن .

القسم الثانى من رسالة (الماجستير) سالفة الذكر ، تُمدُّنا بذخيرة من المعلومات القيمة ، عن مراحل حياة الدكتور حسن جاد ، كما قدّمنا ، مع حصر شامل لمؤلفاته ورسائل الدكتوراه والماجستير التى أشرف عليها ، ومنها رسالة الماجستير التى قام بإعدادها الأستاذ الدكتور على الخطيب ، بعنوان : « وثنية العرب وأثرها فى الأدب الجاهلى » .

وقد قسَّم الباحث الأستاذ محمد خضير رسالته إلى ستة فصول ، بعد المقدمة .

الفصل الأول عن (حسن جاد : قصة حياة) .

الفصل الثانى : عن « شاعرية حسن جاد : عوامل وعوائق » .

والفصل الثالث : (الاتجاهات الموضوعية) ، تناول فيه كل موضوع من موضوعات شعره ، بالدراسة والتحليل ، واستظهار بواعثه النفسية ، ومواطن الجمال الفنية ، مستعينا بالشواهد والأمثلة .

والفصل الرابع عن (الاتجاهات المنهجية) .

والفصل الخامس عن (الاتجاهات الشكلية والمضمونية) .

والفصل السادس والأخير وقد جعل عنوانه : (الشاعر حسن جاد فى ميزان النقد) .

وَاسْتكمالاً للسيرة الذاتية للدكتور حسن جاد ، نذكر أنه التحق بكلية اللغة العربية فى ١٩٣٥ م ، وكان ترتيبه (الثانى) دائما ، وحصل على الشهادة العالية ، وجائزة (الملك فؤاد) عام ١٩٣٩ ، وكانت هذه الجائزة تمنح للأول والثانى فقط ، فى الشهادات العالية واتصل فى هذه الأثناء بكبار الشعراء والأدباء ، وكان يحرص على حضور ندوات (كازينو باب الخلق) الأدبية ، التى كانت تضم نخبة من لداته من الشعراء الشباب ، من أمثال : محمود حسن إسماعيل ، وأحمد فتحى ، وأحمد مخيمر ، والعوضى الوكيل ، ومحمد فهمى عبد اللطيف ، وغيرهم .

كما كان يرتاد ندوات الشعراء : أحمد الزرش ، ومحمد الهوارى ، ومحمد الأسمر التى كانت تعقد فى (مقهى الحلمية) وندوة الشيخ حسن القاياتى بعطفة (السكرية) ، عند بوابة المتولى .

وأخذ فى نشر قصائده فى الصحف والمجلات السيارة ، واشترك فى المسابقات الأدبية ، وحصل على كثير من (الميداليات) الذهبية ، وألقى قصائده الفائزة فى دار الأوبرا الملكية .

والتحق فى ١٩٣٩ بقسم الدراسات العليا ، متخصصا فى البلاغة والأدب ، وفى هذا العام اشترك فى (مسابقة الشعر البريطانية) ، التى كانت تقام كل عام من سنوات الحرب العالمية الثانية ، وفاز بالجائزة الأولى عن قصيدته التى اشترك بها فى المسابقة ، وعنوانها (دنيا الغد) ١٩٤٤ ، كما فاز بالجوائز الثلاث الأخرى ، عن قصائده : (أمل الفلاح) ، و (الجامعة العربية) و (نشيد النصر) فى عام ١٩٤٥ .

وكانت لجنة التحكيم مكونة من : الدكتور طه حسين ، والأستاذ العقاد ، والأستاذ الزيات .

* * *

وفى السنوات الأخيرة من دراساته العليا ، كان يلتقى كل ليلة ، فى ندوة تضم الشعراء : عبد الحميد الديب ، ومحمود أبو الوفا ، والدكتور عبد الرحمن عثمان ، فى منزل الأستاذ عبدالحميد قطامش المحامى ، بحى العمرى ، بـ ، (باب الخلق) . وأخيرا ، حصل على شهادة الدكتوراه فى البلاغة والأدب سنة ١٩٤٦ بتقدير (ممتاز) ، ولكن .. بعد شهر من وفاة والدته ، وحز ذلك فى نفسه كثيراً ، لأنه كان يُكنُّ لها أعمق الحب ، بعد تضحياتها الكثيرة التى مكنته من إتمام تعليمه ، برغم ضيق ذات اليد ، وقد وَدَّ ــ كما أخبرنى فى لقاء خاص لى معه بمنزله ــ لو أمكنه الحصول على هذه الدرجة العلمية ، فى حياتها ، لتقرَّ عينا وتطيب خاطرا بذلك ، ولتعويضها ــ بعد الالتحاق بالعمل ــ عن كل ما صنعته معه ، ببيع كافة ما كانت تملك من مُقْتنيات متواضعة ، للإنفاق عليه وعلى دراساته ــ منذ وفاة والده وهو فى الخامسة من عمره ــ وكانت الصدمة التى تلقَّاها بعد وفاتها ، سبباً فى عدم إحساسه بفرحة النجاح ، والحصول على هذه الدرجة العلمية الكبيرة : (الدكتوراه) .

وعين ـ بعد ذلك ـ مدرسا بكلية اللغة العربية ، فى أواخر ١٩٤٦ ، ثم أستاذا مساعدا ١٩٦٤ ، ثم أستاذاً ١٩٦٩ ، ثم رئيسا لقسم الأدب فى ١٩٧٦ ، ثم عميداً للكلية فى ١٩٧٨ . وفى هذا العام ، أو الذى قبله ، حج بيت الله الحرام . وفى ١٩٦٠ / ١٩٦١ أعير للعمل طوال هذا العام الدراسى بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

وعند إنشاء (جامعة الأزهر) الجديدة ، قدّم لعاهل الكويت ، فى حفل عام ، قصيدة عامرة الأبيات ، حفزت عاهل الكويت إلى التبرع للجامعة البازغة ، بنحو مائتى ألف جنيه ، الأمر الذى حفز الشاعر ، فيما بعد ، إلى قوله فى رثاء أمير الكويت الشيخ (عبد الله السالم الصباح) :

عرف الأزهر الوفىُّ له الفضل ... وقد هزَّ جانبه سماحة
نفحات له تَوالى نداها ... عاطراً كالشذا توالى نُفاحه
قدوة أكبرتْ رسالته الكبرى ... لمن ضاق بالعطاء شِحاحه
إنما المال للغنىِّ امتحانٌ فيه ... خسرانه ، وفيه رَباحه

ومن أبياته التى قالها لعاهل الكويت فى أبريل ١٩٦٦ :

هتف البشير به فشاق الأزهرا ... وأطل موكبه السنىُّ فكبَّرا
فى موكب خَرِسَ الجلالُ جماله وشأى ... الثريا وهو يخطر فى الثرى
هذا (الصّباح) مع (الجمال) تلاقيا . ... لله ما أسمى اللقاء وأبهرا
أخوان بالحب الوثيق تبادلا ... عهدا يُصان وذمة لن تُخفرا

واختتم خريدته ، بقوله :

يا(سالم) الغدوات ميمون السرى ... سلمت لحظاك وطاب وِرْدُك مصدرا
إن العروبة لم تجد من بينكم ... إلا السخىَّ الأريحىَّ الخيِّرا
وإذا ذكرت الأوفياء وعهدهم ... فاذكر على عهد الوفاء الأزهرا

ويبدو لسان صدق ووفاء للأزهر فى قصيدته : (مهرجان الجلاء) التى أنشدها فى احتفال الأزهر بالجلاء ١٩٥٤ بقاعة الإمام محمد عبده ، بحضور الرئيس جمال عبد الناصر وجمع من رجال الثورة والدولة ، اتخذ موقف المنافح عن (الأزهر) بعد ما عانى من الغبن ، بجرأة محمودة تتجلى فى قوله عن الأزهر :

ألحَّ عليه النُّقم من طول بأسه ... وشقّت من الحرمان مُطْلا مرائره
وأوهن بأس الظلم عزم شيوخه ... وكان أعزُّ المالكين يُحاذره
فصار يلقىَّ الأمر من كل تابع ... وكانت على الحكام تُملى أوامره

ولم يغضب جمال عبد الناصر من هذه الصراحة المؤلمة ، بل شد على يد الشاعر ـ كما أخبرنى فى حديث خاص بمنزله ـ ووعده عبد الناصر برفع الظلم عن الأزهر ، وأنجز الوعد .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر



« الاجتهاد والتقليد »

لصاحب الفضيلة المرحوم الشيخ / عبدالله المراغي

إعداد وتقديم / د. عبد الفتاح حسين الزيات

من قديم الزمان ، وإلى وقتنا هذا ، ستظل مسألة الاجتهاد والتقليد تحل مكان الصدارة في مجال البحث حول ما يجوز وما لا يجوز وحدود كل .

ومتغيرات العصر ، وإيقاعاته المتلاحقة ، قد تدفع البعض إلى استعمال أى منهما استعمالا قد يخرج به عن مضمار ما شرع الله . وفى هذا قال الإمام الغزالى - رحمه الله : « من لم يُحكم الآلة والأداة لم يصل إلى تمام الصنعة » .

فهذه كلمة حق لو تدبرها من يحاول الاشتغال أو الأخذ بهذا الفن ، فليحذر غير المختصين الذين يحلو لهم أن يهرولوا نحو هذه المسألة ، أن تنزلق بهم أقدامهم فى قرار سحيق ، وليفكروا ألف مرة قبل أن يصدروا حكما ، أو يأخذوا برأى ، لأن لكل علم أصوله ، ولكل فن رجاله ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه ، وقدر الآخرين قال الأستاذ الشيخ - رحمه الله :

الاجتهاد والتقليد

يثير البحث حول الاجتهاد والتقليد الفينة بعد الفينة فريق من الناس ظانين أن الاجتهاد والتقليد ليس لهما حدود ولا سور حصين يمنع تسلق كل من لم تتوافر فيه هذه الشروط .

وقد يخيل أحيانا لبعض الناس أن معالم الاجتهاد قد زالت ، وأن طريقه قد انطمست ، فيخترع لنفسه طريقا يرسمها ، ويحددها بالاجتهاد ، ويبنى أحكامه عليها ، ومثل هذا - ولا شك - قد حاد عن الجادة ، وانحرف عن المحجة ، وتاه فى بيداء الوهم والخيال . فهو طبيب يعالج المرضى بلا علم ولا تجربة ، لم تتهيأ له الوسائل لمهمته ، ومثل هذا كالنبت الخبيث لا ينبت إلا فى الأرض الخبيثة ، فأولى للمجتمع الصالح والبيئات العلمية الحية أن تتخلص منه حتى تتقى عدواه ، وتحفظ الناس من شروره وبلواه ، فهو ضرر لا نفع فيه ، وشر

لا خير فيه ، وداء عضال لا دواء له ، وعبء ثقيل لا يستطاع حمله .

وقد آثرت لهذه المناسبة كشف طريق الاجتهاد ، وطريق التقليد ، وتبيين محل الاجتهاد ، ومتى يكون التقليد ومتى يصح ، وتفصيل شروط الاجتهاد والتقليد ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة من أمرهم ، ويسيرون على طريق سوى حتى لا تلعب بعقولهم الأهواء ولا تهزهم أعاصير الأدعياء .

ولما كان تفاوت الناس في فهمهم وإدراكهم للأمور حالة طبيعية لا اختلاف فيها ولا امتراء ، لزم من ذلك تفاوتهم في إدراك الأحكام ، والوقوف على مصادرها الشرعية ، فمنهم من يصل إلى الحكم بعد بحث في النصوص ومدلولاتها والألفاظ ومعانيها ، وهؤلاء يسمون المجتهدين ، ومنهم من لا يستطيع النظر في النصوص ، ولا الوصول إلى إدراك الأحكام ، وهؤلاء يسمون المقلدين . والاجتهاد في اللغة مأخوذ من الجُهْد ـ بضم الجيم ـ وهو المشقة والطاقة ، وعند الأصوليين : استفراغ الوسع في طلب الظن بحكم من الأحكام الشرعية على وجه يدرك المجتهد من نفسه العجز عن المزيد عليه ، **فالمجتهد هو : الفقيه المستفرغ لوسعه لتحصيل ظن بحكم شرعي .**

وليس خافيا على كل من مارس فنا من الفنون ، أو علما من العلوم ، أو حرفة من الحرف ، أن وصف الممارس لهذه الأشياء بصفة منها لا يصل إليه إلا بعد طول معاناة ومزاولة ، ورياضة طويلة لهذا الفن أو العلم ، ولابد أن تحصل لصاحب الفن تجارب عديدة ، وتعرض له مشاكل كثيرة يحاول بنفسه وضع الحلول لها ، ويلم بكيفية معالجتها ، وهذا بعينه ما اشترطه الأصوليون في المجتهد إذ قالوا : **« لابد للمجتهد من حصول ملكة يقتدر بها على استخراج الأحكام من مآخذها »** .

ومن هذه الجملة القصيرة في مبناها ، الغزيرة في معناها الذى يوحى به الواقع والحس والمشاهدة ، يتبين أنه ليس من الحكمة ولا من العقل أن يذهب مريض يلتمس العلاج عند من لا يعرف الطب ولم تكن عنده ملكة به ، بل ليس من الحصافة أن يذهب من يبغى نوعاً خاصاً من التجارة إلى من لا يحذقها ، ولم تكن هذه التجارة الخاصة ملكة له ، وهذه قضية قد فرغ منها عند أولى الأحلام والنهى ، وعند من يعرفون الأمور على وجوهها من أهل العلم والعرفان ، وضابط هذا كله ما أرشدنا إليه القرآن الكريم بقوله تعالى :

﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

سورة الأنبياء

وبعد هذا نعود إلى الميدان الفسيح الذى يتبارى فيه المجتهدون ، وتنحصر فيه دائرة أبحاثهم وجولاتهم ، وذلك المجال هو الآن وبعد عصر النبوة : الكتاب الكريم ، والسنة الصحيحة ، والإجماع ، والقياس . فهى محل البحث للعقول المستنيرة التى توفر لأهلها شرائط الاجتهاد ، وقد سلك هذا الطريق أقوام تمرست عقولهم ، وتدربت أفئدتهم على أساليب اللغة العربية ، وفهم أوضاعها ، ودلالات ألفاظها الصريحة والظاهرة ، والخفية ونحوها ، وألموا بالسنة الصحيحة إلماما يؤهلهم لدرجة الاجتهاد ، وأحاطوا بمواقع

الإجماع إحاطة تكفيهم عن البحث والاجتهاد فى الأحكام التى أجمع عليها ، ونضجت قرائحهم

نضوجا يسمو بهم إلى إدراك الحكم فى تشريع الأحكام المنصوص عليها ، وإدراك الارتباط والجامع بين هذه الأحكام وغيرها من الحوادث التى لم ترد نصوص فيها ، ثم تفهم ما نص عليه فى ما لم ينص عليه ونقله إليه .

وبذلك المنهاج الواضح ، والدستور المحكم ، والضابط الشامل ، يظل معين استنباط الأحكام متدفقاً متفجراً لا ينضب ، ولا يجف ماء حياته ، ولا تفنى عناصر وجوده ، ولا يغلق بابه أمام من طرقه ، ولا يحرم من استعطاه . وقد تعرضت الكتب الأصولية لبسط شروط المجتهد ، وتحديد كل شرط منها ، حتى لا يتسابق فى ميدانه من يكبو جواد عقله ، ويخبو أوار فكره ، وتتبلد قريحته .

وأول هذه الشروط وأحراها بالتدبر والإمعان : معرفة قدر صالح من اللغة يمكن المجتهد من فهم لغات العرب ، والتمييز بين الألفاظ الوضعية ، والألفاظ الاستعارية ، والنص ، والظاهر ، والعام ، والخاص ، والمطلق ، والمقيد ، والمجمل ، والمفصل ، وفحوى الخطاب ، ومفهوم الكلام ، وما يدل على مفهومه بالمطابقة ، وما يدل بالتضمن ، وما يدل بالاستتباع ، والذى دعا الأصوليين إلى تحميل هذا الشرط كل هذه القيود ، وإحاطته بهذه السلسة صعبة الحلقات . إنما هو أخذ العدة ، واستيفاء الوسائل التى تشبه الآلة لكل صنعة من الصنائع ، وكل حرفة من الحرف ، أو مهنة من المهن ، وقد قيل : « من لم يحكم الآلة والأداة ، لم يصل إلى تمام الصنعة » .

ويذهب الغزالى فى مستصفاه إلى أن آيات الأحكام التى يلزم المجتهد معرفتها خمسمائة آية ، ولم يشترط حفظها عن ظهر قلب ، بل يكفى أن يكون المجتهد عالما بمواضعها بحيث يستطيع أن يحصل على الآية التى يحتاج إليها فى وقت الحاجة ، وهذا الشرط يبدو هينا سهلا ، وعسيراً صعباً ، فى وقت واحد . فهو يبدو يسيراً سهلا لمن لم يحط خبراً بلغة العرب ، ولم ير بحارها الزاخرة ، وأمواجها المتلاطمة التى لا يستطيع أن يسير فوق لجها إلا كل ربان ماهر خبير بمسالك البحار ، فمثل هذا الدخيل على لغة العرب مأفون العقل يخبط خبط العشواء لا يدرى مواضع أقدامه ، ولا مزالق أخطائه . ويبدو هذا الشرط عسيراً صعباً ، وفرساً جموساً لا يستطيع اعتلاءه إلا كل فارس اشتدت شكيمته ، وقويت عزيمته ، وأحاط خبراً بلغة العرب ، وتمرس بأساليبها ، فسلس له قيادها ، وجلس على أريكتها ، وأخذ بناصيتها ، يفهم تصريف القول ، وتنوع الأساليب ، ويميز بين الصريح منها والكناية ، ويلم بجيد التعابير ، ورفيع الأساليب ، ومثل هذا يعرف أين يضع قدمه ، وأين يسير ، وكيف يفهم ، وكيف يعبر ، وكيف يجيد الخطاب ويتصرف فى القول ؟

وقد أطلنا بعض الاطالة فى هذا الشرط لنضع حداً فاصلا ، وأعلاما واضحة بين رأيين اشتجرت بينهما الخصومة ، واشتد الجدل ، وحمى

الوطيس ، حتى أدى النزاع بينهما إلى الحيرة والاضطراب ، وبلبلة الأفكار فى أمر الاجتهاد ، وفتح بابه أو غلقه ، ووجود مجتهد فى كل عصر أو عدم وجوده ، وبالتالى أدى إلى أن الحوادث الطارئة والنوازل المستجدة ، هل تستطيع الشريعة الإسلامية أن تحكم فيها بما يؤدى إليه اجتهاد المجتهد على فرض وجوده فى كل عصر وزمان ، أم تقف الشريعة مكتوفة الأيدى ، عاجزة عن أن تحكم فى هذه الحوادث لعدم وجود مجتهد يستطيع أن يحكم فيها بما يؤدى إليه اجتهاده .

الاجتهاد والتقليد

وثانى الشروط : معرفة تفسير القرآن خصوصا ما يتعلق منه بالأحكام ، وما ورد من الآثار فى معانى الآيات ، وما روى عن الصحابة المعتبرين من أهل التفسير ، وكيف سلكوا مناهجها ، وأى معنى فهموا من مدارجها ، ولو جهل تفسير سائر الآيات التى تتعلق بالمواعظ والقصص ، قيل لم يضره ذلك فى الاجتهاد ، فإن من الصحابة من كان لا يدرى تلك المواعظ ولم يتعلم بعد جميع القرآن ، وقد كان يعد من أهل الاجتهاد .

ثالثهما : معرفة الأحاديث ، والفرق بين الأحكام ، فمعرفة الأخبار بمتونها وأسانيدها ، والإحاطة بأحوال النقلة والرواة ، عدولها وثقاتها ، ومطعونها ومردودها ، والإحاطة بالوقائع الخاصة فيها ، وما هو عام ورد فى حادثة خاصة ، وما هو خاص عمم فى الكل حكمه ، ثم الفرق بين الواجب ، والندب ، والإباحة ، والحظر ، والكراهة ، حتى لا يشذ عن وجه من هذه الوجوه ، ولا يختلط عليه موضوع بموضوع ، كل ذلك لازم للمجتهد ليكون محيطا بالسنة على وجه يمكنه من الاجتهاد .

واكتفى الغزالى من السنة بمعرفة الأحاديث التى تتعلق بالأحكام ، ولم يشترط حفظها بل تكفى استطاعة الرجوع إليها عند الحاجة .

وقيل : يكفيه من السنة خمسمائة حديث ، وضعف هذا القول بأن الأحاديث التى تؤخذ منها الأحكام الشرعية ألوف مؤلفة .

وقال ابن العربى فى (المحصول) : هى ثلاثة آلاف ، وقال أحمد بن حنبل : الأصول التى يدور عليها العلم عن النبى ﷺ ينبغى أن تكون ألفاً ومائتين . وقال الغزالى وجماعة من الأصوليين : يكفيه مثل سنن أبى داود ومعرفة السنن للبيهقى مما يجمع أحاديث الأحكام . ونازعه النووى قائلا : « لا يصح التمثيل بسنن أبى داود ، فإنها لم تستوعب ، وكم فى البخارى ومسلم من حديث حكمى ليس فيها !! » ، كما نازعه ابن دقيق العيد قائلا : « إن كلام أهل العلم فى هذا الباب من قبيل الإفراط أو التفريط » .

والحق الذى لا شك فيه ولا شبهة أن المجتهد لابد أن يكون عالما بما اشتملت عليه مجاميع السنة التى صنفها أهل الفن كالأمهات الست ، وما يلحق بها ، والكتب التى التزم مصنفوها الصحة . ولا نشترط فى هذا أن تكون محفوظة له ، مستحضرة فى ذهنه ، بل يكون ممن يتمكن من استخراجها من مواضعها بالبحث عند

الحاجة إلى ذلك لتمييز الصحيح منها ، والحسن ، والضعيف . وكذا يتمكن بالبحث فى كتب الجرح والتعديل من معرفة حال الرجال ، وما يوجب الجرح ، وما لا يوجبه من الأسباب ، وما هو مقبول منها ، وما هو مردود ، وما هو قادح من العلل ، وما ليس بقادح .

رابعاً : معرفة مواقع إجماع الصحابة والتابعين وتابع التابعين من السلف الصالحين حتى لا يقع اجتهاده فى مخالفة إجماع ، وليس بلازم أن يحفظ جميع مواقع الإجماع والخلاف ، بل كل مسألة يفتى فيها ينبغى أن يعلم أن فتواه ليست مخالفة للإجماع .

خامساً : أن يكون قادراً على الوصول إلى مواضع الأقيسة ، وكيفية النظر فيها ، من طلب أصل فى أول الأمر ، ثم طلب معنى يستنبط منه علة الحكم فيعلق الحكم عليه ، وبذلك يستطيع إلحاق الفرع بالأصل لوجود العلة المشتركة بينهما .

فهذه الشروط الخمسة لابد من مراعاتها حتى يكون المجتهد مجتهداً واجب الاتباع ، ويجب على العامى تقليده ، فلو ثبتت الأحكام بغير هذا الطريق ، كانت أحكاماً مرسلة تابعة للهوى ، ليست صادرة من الشارع ، فإذا حصل المجتهد هذه المعارف ساغ له الاجتهاد ، ويكون الحكم الذى أدى إليه اجتهاده سائغاً فى الشرع ، ووجب على العامى تقليده والأخذ بفتواه .

ومن غريب أمر المثقفين فينا أنهم يضعون حواجز منيعة ، وحدوداً مكينة ، وأسواراً ثابتة ، لكل علم ، ولكل فن من الفنون التى يقوم بالتخصص فيها طائفة معينة ، فتراهم يرمون بالجهل والادعاء كل من حاول الخوض والتكلم فى علم لم يكن من أهله ، ولا متخصصاً فيه ، على حين أن الخوض فى العلوم الشرعية أصبح مباحاً لمن ليس من أهله ، ولم يكن متخصصاً فيه ، بحجة أن الشريعة مباحة للجميع ، وليست قاصرة على من يسمون رجال الشرع ، ورجال الدين . وهذه مغالطة صريحة ، ومحاجة غريبة لم تسلك مسلك المعقول ، ولم تسر على طريق المنطق . فالشريعة مباحة لكل أحد ، وكل فن من الفنون مباح لكل أحد ، إذا ما توافرت له شروط الدخول والبحث فى هذا الفن أو العلم . فالطب مباح للجميع ، والجندية مباحة للجميع ، فهل يجوز لدجال غير ملم بالطب أن يتعرض لعلاج المرضى ، أو يجوز لمن لم يتدرب على الفنون العسكرية أن يخرج إلى ميدان القتال ، والدفاع عن الأوطان ، وهل يقول عاقل بذلك ؟ أم يجب الحجر على الطبيب الدجال ، والجاهل بفنون الحرب ، من أن يمارس كل منهما ما يريد أن يمارسه ، وأن يعمل ما يريد عمله ؟؟

ولعل من فى قلوبهم حب الشهرة والظهور ، والتكلم والكتابة والقول فى كل ميدان ، أن يلتزموا الحدود ، وأن يعملوا بقول الله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾

سورة الإسراء



العلوم الكونية

مشكلة المياه وحلولها في التراث الإسلامي (*)

بقلم: أ. د أحمد فؤاد باشا

تعالت خلال السنوات القليلة الماضية صيحات التحذير مدوية في أنحاء كثيرة من العالم، معلنة أن حروب القرن القادم لن تكون لأسباب سياسية أو اقتصادية، وإنما من أجل السيطرة على الموارد المائية التي ستكون بمثابة بذور الصراع من أجل الحياة في المستقبل القريب.

وقد أعلن البنك الدولي في شهر سبتمبر الماضي أن نقص المياه يهدد أكثر من ٨٠ دولة، وأن ٤٠٪ من سكان العالم، أي ما يزيد على ٢ مليار نسمة، يعانون من ظروف معيشية لا تتوافر بها أبسط قواعد الصحة العامة. ومن المناطق التي تشكو ندرة المصادر المائية منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وطالب البنك الدولي باستثمارات لا تقل عن ٦٠ مليار دولار خلال العقد المقبل، تخصص لمشروعات المياه والصحة العامة في جميع أنحاء العالم لنزع فتيل المشكلة، ونصح الدول النامية بالاعتماد على الذات في تدبير الجزء الأكبر من هذه الاستثمارات، لأن الثمن الذي ستدفعه الأجيال القادمة إن لم يتم استثمار هذه الأموال في مشروعات خاصة بالمياه سيكون فادحا[1].

وإذا كانت الأمة تواجه حاليا مشكلة مياه يعكف الخبراء على دراسة الحلول المقترحة لها، فإنها قد واجهت من قبل نفس المشكلة، وقدم أجدادنا لها حلولاً مبتكرة على أسس علمية وتقنية أفادت منها كل الشعوب التي جمعها الإسلام تحت لواء الحضارة الإسلامية.

(*) خالد عزب، دار القدس للبحوث والطباعة والنشر، القاهرة ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥ م.

(١) د. طلعت أحمد إبراهيم، «أزمة المياه بين الندرة وحتمية التنمية»، مقال بجريدة الأهرام، العدد الصادر في ١٠ شعبان ١٤١٦ هـ ـ ١ يناير ١٩٩٦ م.

والكتاب الذى نعرض لتحليله يتناول هذه القضية ، ليس فقط بهدف التأصيل لعلم استنباط المياه عند المسلمين ، ولكن أيضا بغرض التأكيد على أن من الأولويات التى يجب وضعها فى الحسبان - عند إعادة بناء الأمة - إزالة الهزيمة النفسية للمسلمين تجاه التقنية المعاصرة المستوردة من الغرب أو الشرق ، وذلك لأن أسلافنا استوعبوا ما لدى الأمم السابقة من انجازات علمية وتقنية ، ثم أقاموا صرحاً حضاريا شامخا نجد آثاره واضحة فى المخطوطات التى نشر منها القليل ، وعلينا أن نحذوا حذوهم فى استيعاب علوم العصر وتقنياته ، حتى لا نكون مجرد مستهلكين لتقنيات الآخرين ، ومن ثم نظل دائرين فى فلك التبعية لهم .

الماء فى الشرع الشريف :

يتحدث الفصل الأول من هذا الكتاب عن تصنيف مصادر المياه وأثر الفقه فيه : فيبين أن هناك مياه أنهار ، ومياه آبار ، ومياه عيون ، ولكل منها أفرع متعددة ، هذا بالإضافة إلى ما نعرفه فى عصرنا من مصادر أخرى متنوعة ، تشمل مياه البحر المحلاة ، ومياه المجارى المعاملة ، فضلا عن الأمطار .

وقد كان العرف قبل الإسلام هو المنظم لحقوق استثمار المياه ، حيث كانت القبائل المتنقلة فى أراضى شبه الجزيرة العربية تستقر فى مواقع خلال الترحال ، وفى هذه المواقع ترسم مناطق على الأرض تسمى « الحريم » تحدد للقبيلة مجال حق الانتفاع بالموارد المائية السطحية والجوفية القريبة إلى المضارب ، والواقعة ضمن نطاقها ، وذلك مع مراعاة حقوق باقى القبائل من المناطق المجاورة .

وكان هناك مفهوم آخر هو « الحمى» يعبر عن استعداد القبيلة للدفاع عن حقوقها ، وهو مكون من عنصرين : أحدهما يحدد خط الدفاع الفعلى المرسوم على الأرض ، والآخر يتضمن الاعتبارات المعنوية والحقوقية لكيان القبيلة ، وكان انتهاك أى من هذين العنصرين يدعو القبيلة للنهوض والذود عن الحمى .

ولما جاء الإسلام بوصفه قوة مصلحة ومجددة ، وافق على الأعراف السائدة ، لكنه ألغى كل المفاهيم التى تجيز احتكار الماء أو بيعه . وتطور مفهوم الحريم والحمى الذى كان يعبر عن نزعة قبلية فى تملك حقوق استثمار المياه والدفاع عنها ، ليأخذ شكلا عمليا بموجب أحكام الإسلام ، ويحقق العدالة فى توزيع هذه المياه .

علم استنباط المياه عند المسلمين :

يتناول الفصل الثانى : الأسس العلمية والتقنية لاستنباط المياه عند المسلمين ، ويوضح كيف رزق العرب من قديم الدهر فراسة حاذقة يتعرفون بها مكامن الماء فى بطن الأرض ببعض الأمارات الدالة على وجوده ، وبعده وقربه ، بشمّ التراب أو برائحة بعض النباتات فيه ، وقد سمى العلماء معرفتهم هذه علم « الريافة » . وتطورت هذه المعرفة الفطرية عند العرب إبان عصر النهضة الإسلامية ، فصارت بفضل جهود علماء الرياضيات والطبيعيات علما محررا ومدونا ، وفنا تطبيقيا بالغ الدقة ، ارتقى به بعضهم إلى اختراع موازين يزن بها ارتفاعات الأرض . ونصب نواعير ومضخات لرفع المياه .

ويؤرخ المؤلف في هذا الفصل لعلم استنباط المياه ، ودور علماء المسلمين في تطويره ، ممارسة وبحثا وتأليفا ، ويعرض بشيء من التفصيل لأمهات الكتب التراثية في هذا المجال .

من ذلك « كتاب أنباط المياه الخفية » للمهندس الرياضي أبي بكر محمد بن الحسن الكرجي المتوفى في القرن الخامس الهجري « الحادي عشر الميلادي » ، وفيه يقدم الكرجي نفسه باعتباره عالما وخبيرا ذا قدرة على تعويض قصور المتقدمين في صناعة الحفر لإنباط المياه الجوفية على أسس علمية وتقنية تتطلب معرفة الدورة المائية « الهيدرولوجية » وأنواع المياه الجوفية وطرق الاستدلال عليها . وقد ضمن الكرجي كتابه براهين رياضية ، وتحليلات هندسية ، وشرح عدداً من الحركات التي تحدث في الأرض ، وربط بين الاختلاف التضاريسي على سطح الأرض وحركة المياه من جهة ، وبين الأحـــواض المائيـــة الجوفيـــة والتكوينـــات « الجيولوجية » من ناحية أخرى ، ووصف بعض أجهزة القياس وطرق تنفيذ الأعمال الإنشائية ،

وصنّف أنواع الترب تبعاً لخصائصها ومدى صلاحيتها لأعمال الحفر ، وأفاض في بيان الأحكام والقوانين الشرعية الإسلامية التي تحكم مصادر المياه الجوفية ، مستشهداً بالأحاديث الشريفة ، ومعتمدا على اجتهادات الفقهاء .

وحرص الكرجي على توضيح منهجه العلمي مشيراً إلى أهمية الإدراك الواعي لطبيعة العلاقة بين العلوم الأساسية النظرية وتطبيقاتها التقنية ، فهو يقول : « ومن تصور ما ذكرته وحققه فقد عرف قطعة كبيرة من صناعة إنباط المياه ، لأن تصور طبع الأرض والمياه وكيفية وضعهما وخلقهما يدل على معرفة قوية في هذه الصناعة » . ويرى أهل الاختصاص أن الكرجي ، بهذا المنهج العلمي التطبيقي ، يكون قد أدخل الأعمال المساحية بوصفها جزءاً من عمل هندسي مائي في حيز العلوم التطبيقية ، فحوّلها من مجرد عمل حرفي يقوم به المسّاح إلى عمل هندسي دقيق له أسسه وقواعده العلمية والتقنية .

ويتضمن هذا الفصل أيضا عرضا لكتاب « عين الحياة في علم استنباط المياه » لأبي العباس أحمد بن عبدالمنعم الدمنهوري[٢] ، باعتباره من المؤلفات المتأخرة في هذا العلم . ولا ريب في أن جملة ما تضمنه هذا الكتاب هو من العلم النافع الذي عني به الفلكيون وعلماء الفلاحـــة وتداولوه ، وظل موضع نظر ودرس واعتبار على مسار رحلة العلم من زمن إلى زمن آخر ، ومن أوطان في الشرق إلى أوطان في الغرب ، لا تحجزه حدود ، ولا تقيده قيود ، ويدل تأليف هذا الكتاب في ذلك الزمن المتأخر على مدى تعلق علماء الإسلام على تعاقب العصور بعلوم الحياة ،

---

(٢) ولد أبوالعباس أحمد بن عبدالمنعم الدمنهوري في دمنهور بمصر سنة ١١٠١ هجرية ، وجد في تحصيل العلم ، واشتد ولعه بالفقه ، واجتهد في تعرف المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة ، وعنى بعلوم الهندسة والمساحة والهيأة « الفلك » والميقات والحساب وصنع المزاول « الساعات الشمسية » . وفي أواخر حياته ولي مشيخة الأزهر ، ولم تطل مدته فيها ، وتوفي في شوال سنة ١١٩٢ هـ .

دقيقها وجليلها ، فهم يدرسونها ويعلمونها ويؤلفون فيها .

وأشار المؤلف فى هذا الفصل أيضا إلى عدد من مصنفات علماء المسلمين فى علم استنباط المياه والموضوعات المتعلقة به ، منها : كتاب « علل المياه وكيفية استخراجها وانباطها فى الأرضين المجهولة » لأبى بكر أحمد بن وحشية ، وكتاب « علم المياه الجارية فى مدينة دمشق » لمحمد حسين العطار الدمشقى ، « وكتاب الخراج » للقاضى أبى يوسف يعقوب بن إبراهيم ، وكتاب « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » للقزوينى .

المواجهة :

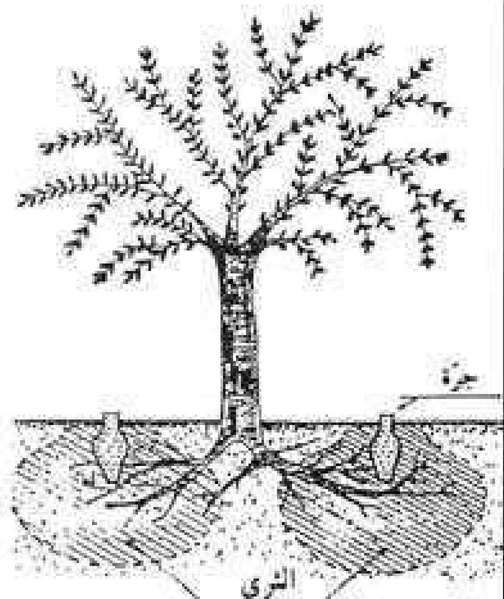
فى الفصل الثالث : يجيب الكتاب عن سؤال مهم هو : كيف واجه المسلمون مشكلة ندرة المياه ؟ .

ويسوق المؤلف عدداً من الأمثلة على سبيل الإيضاح . ففى الربذة تم الكشف عن منشآت مائية متنوعة منها برك المياه الكبيرة ، وكانت تستخدم لحفظ مياه الأمطار والسيول . وكذلك وجد بها نظام دقيق لخزن المياه داخل المنازل السكنية فى خزانات أرضية حفرت وبنيت بطريقة هندسية بارعة تحت مستوى أرضيات الغرف والساحات السكنية .

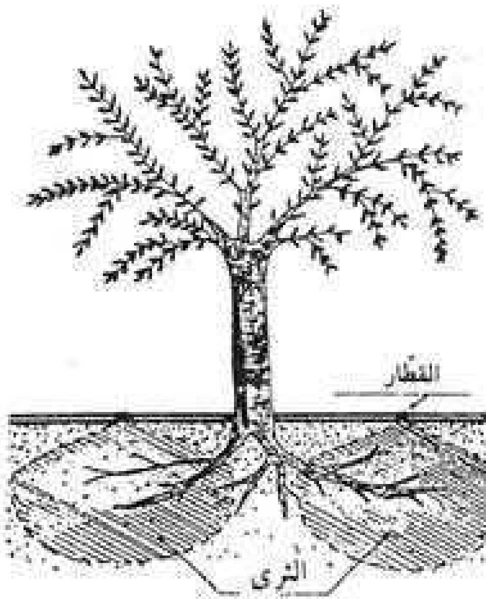
وفى جدة عنى السلطان قانصوه الغورى عندما كان حاكما للحجاز بأزمة المياه وتحويل مياه الشرب من الصهاريج التى تجمع بها مياه السيول والأمطار إلى المياه العذبة التى جلبت من المناطق القريبة من جدة ، فجلب الماء من « وادى قوس » الواقع شمال « الرغامة » (تبعد الرغامة عن جدة حوالى ١٢ كيلو مترا) .

واستخدمت أساليب أكثر تركيبا من الناحية الإنشائية فى توصيل الماء من مصادره البعيدة إلى المدن الكبيرة مثل مدريد ومراكش وبغداد وغيرها . وانتشرت فى العالم الإسلامى تقنيات متعددة لاستنباط المياه وتوزيعها أو تخزينها للإفادة منها وقت الحاجة . ولم يقتصر اهتمام المسلمين على إنشاء القنوات والمجارى والأنهار الصناعية ونصب النواعير على الأنهار لرفع المياه ، بل إنه امتد إلى الأنهار الطبيعية كنهر النيل . فأقيمت مقاييس لتحديد منسوبه ، أشهرها مقياس جزيرة الروضة المقابلة للفسطاط ، ويؤرخ له بسنة ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) .

ولعل أهم ما نود الإشادة إليه فى هذا الفصل هو حرص المؤلف على إيضاح حرص المسلمين على كل قطرة ماء ، وذلك بالتأكيد على سبقهم إلى الأخذ بفكرة « الرى بالتنقيط » التى أشار إليها أبو زكريا يحيى بن العوام فى كتابه عن « الفلاحة » فى القرن السادس الهجرى بقوله : « ... ولنجعل عند أصل الشجرة جرّتين كبيرتين من فخار جديد مملوءتين بماء عذب ، وفى أسفل كل جرة ثقب لطيف يجرى منه الماء إلى أصل الشجرة المغروسة جريا لطيفا دائما .. وكلما نقص ماؤهما ملئتا ... » ، وهذه هى فكرة الرى بالتنقيط التى ينسب اختراعها إلى الغرب حديثا ، حيث عوضت بالمواد « البلاستيكية » ليس غير .



فكرة قديمة تستعمل الفخار «ابن العوام».



الطريقة الحديثة تستعمل أنابيب البلاستيك.

شكل (١)

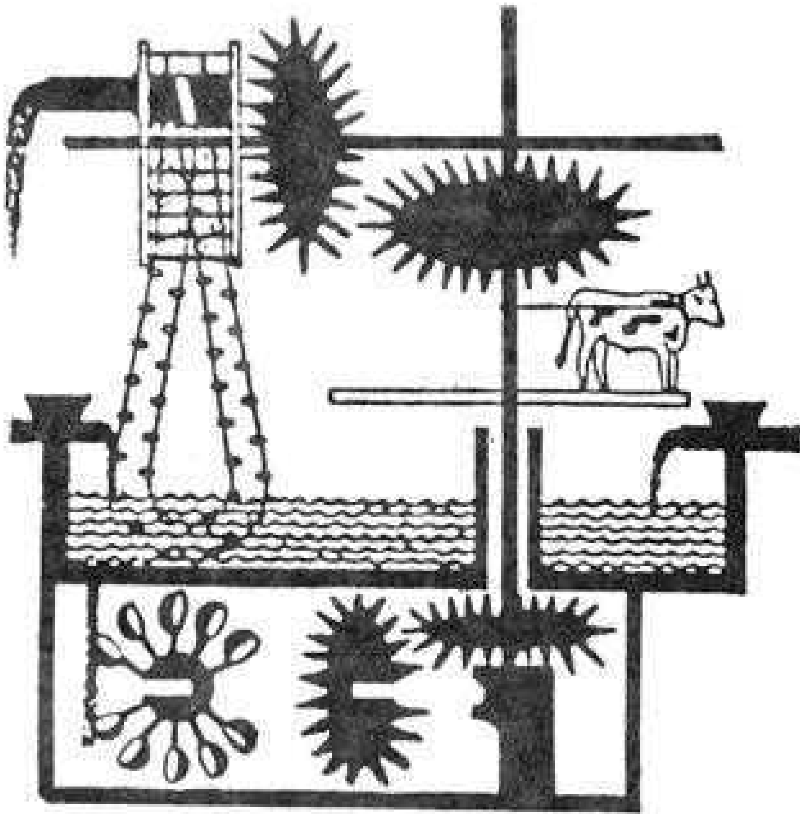
حلول تقنية :

فى الفصل الرابع والأخير : يتحدث الكتاب عن الحلول التقنية والابتكارات التى قدمها المسلمون للتغلب على مشكلة المياه، وذلك من خلال «علم الحيل» الذي يبحث فى الآلات «الميكانيكية» والتجهيزات الهيدروليكية [٣]، فقد طوروا آلات رفع المياه، وكانت «الساقية» هى الآلة الأوسع انتشارا والأكثر استعمالا، كما استخدموا مضخات تدار بقوة الريح أو بواسطة حيوان يدور بحركة دائرية . وأشار المؤلف إلى استخدام المسلمين لقوة جريان المياه كطاقة متجددة فى تشييد «الطواحين الهوائية»، وقدم عدة أمثلة مدعمة بالرسوم الإيضاحية .

والكتاب على هذا النحو يعتبر إضافة هامة للمكتبة العلمية الإسلامية، ويُحمد للمؤلف الكريم - وهو باحث جاد ومدقق - اقتحامه مجالاً صعبا من مجالات التعامل مع التراث العلمى

(٣) راجع فى ذلك :

د. أحمد فؤاد باشا «العلوم التطبيقية والتقنية فى تراث المسلمين»، مجلة الأزهر، الجزء السادس، جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ - نوفمبر ١٩٩٥ م .



شكل (٢) : الساقية ترفع الماء لحاجات المدن والمزارع . ترى فى الصورة ثورا خشبيا يبدو وكأنه يجر الآلة ، بينما هى فى الحقيقة دائرة بفعل أعجلة مائية مخفية عن الأنظار .

والتقنى الإسلامى ، يتعلق بالجوانب المنسية أو المغمورة التى لم يولها الباحثون اهتماما كافيا . وإن مثل هذا الجهد الطيب فى التعريف بجوانب مغمورة من تراثنا من شأنه أن يُسهم فى تفنيد دعاوى إسقاط الدور الإسلامى من حركة التاريخ ، فضلاً عن أنه يسهم فى تأصيل الثقافة الإسلامية لأبناء الأمة ، وتعزيز قيمتها فى نفوس النشء ، بحيث يكون سلوك الفرد متوافقا مع فكر أمته فى الإفادة من كنوز الماضى لتطوير الحاضر واستشراف آفاق المستقبل .

هذا ، والله من وراء القصد

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

سن اليأس
التغيرات الطبيعية

للدكتور/ أحمد رجائي عبد الحميد

وهى تغيرات تنذر فى مجموعها ـ بقدوم حالة على جسم الأنثى تجعلها مختلفة اختلافاً ما عما كانت من قبل ، حيث يحدث انقطاع الحيض إما فجأة بدون مقدمات ، أو تحدث بعض الأعراض ـ التى تكاد تكون تمهيدية ـ مثل امتداد طول فترة الدورة الشهرية ، وقلة كمية الدم المتدفقة فى الدورة عما كانت عليه عادة كل مرة .

أما فى حال نزول الدم « العادة » بطريقة غزيرة ، أو نزوله على فترات متقاربة فيلزم الفحص الطبى ، فقد يوجد ـ وذلك فى حالات نادرة ـ أمراض خبيثة مبكرة تؤدى إلى توقف المبيضين عن إفراز البيضات والهرمونات . وهنا ، فإن الأعراض تكون شديدة للغاية وتستمر لمدة طويلة ـ وقد يكون انقطاع الدورة الشهرية ناتجاً عن جراحة لإزالة المبيضين كعلاج لبعض حالات أورام الجهاز التناسلى ، أو بعض أورام الثدى .

التغيرات التى تحدث فى الجسم بعد توقف المبيض عن نشاطه :

يفرز المبيضان « هرموناً » رئيسياً يسمى « الاستروجين » وترجع معظم المشاكل التى تظهر فى سن اليأس إلى نقص هذا الهرمون حيث :

(أ) يقل ترسب الدهون فى مناطق معينة مثل الحوض والصدر وعلى الأعضاء التناسلية الخارجية ـ كما يختفى الدهن المبطن لجلد فتحة المهبل ، ويقل شعر العانة الموجود عليه . مما يؤدى نقص هذا الهرمون إلى رقة جدار المهبل وجفافه ، وهذا يسبب ضموراً فى قناة المهبل ، مما يؤدى إلى ضيق ، أو ألم عند الجماع إذ تفقد قناة المهبل مرونتها . كذلك ينكمش المهبل ، وتقل ـ أو تختفى ـ الإفرازات المهبلية مما يجعل المهبل جافاً ، ويصغر الرحم وعنقه كما ينخفض ، أو يضمر ـ الجدار ، وكل ذلك يؤدى إلى زيادة جفاف المهبل . كذلك تضمر وتختفى أربطة الرحم والمهبل مما يؤدى إلى ارتخاء الرحم واحتمال وجود ما يعرف بالسقوط المهبلى أو الرحمى ، وقد ترق كذلك الأغشية المبطنة للمثانة والقناة البولية مما يؤدى إلى بعض الأعراض فى المجارى البولية مثل زيادة التعرض للالتهابات البولية والإحساس بالرغبة فى التبول أكثر من المعتاد .

(ب) كذلك تقل مادة الكالسيوم فى العظام والمفاصل :

ذلك أن هرمون الاستروجين لازم لبقاء مادة الكالسيوم اللازمة فى مستواها الطبيعى ، وفقدان



هذا الهرمون بعد توقف نشاط المبيض يؤدى إلى نقص مادة الكالسيوم بمعدل ١٪ سنويا، وبذلك

تصير العظام هشة ، وذات قابلية للكسر ، لذا كانت السيدات ـ فى سن اليأس ـ أكثر عرضه لكسور العظام . مما يستدعى منهن انتباها وحذراً من التعرض لما من شأنه السقوط ، أو الوقوع ، أو الارتطام بشىء صلب .

(ج) وتحدث تغييرات فى الثدى :

بعد انتهاء فترة الخصوبة وانقطاع الطمث لا يتغير حجم الثـــدى كثيراً ، وإن تغيرت مكوناته ، فيضمر النسيج الغددى ويزداد النسيج الدهنى ، ثم بعد فترة يبدأ الثدى فى الضمور .

تغيرات هرمونية أخرى :

حين يقل إفراز الأستروجين من المبيضين ، تزيد إفرازات بعض الهرمونات التى تفرز من الغدة النخامية التى تقع أسفل المخ ، ويرتفع مستوى هذه الهرمونات فى الدم ، كما أن الجسم يقوم بتعويض بعض النقص الذى يحدث من نقص هرمون « الأستروجين » وذلك عن طريق الغدد الكظرية « جار الكلوية » كما أن هناك هرموناً آخر يتحول فى الجسم إلى « الاستروجين » .

لا يأس مع سن اليأس

يعتبر سن اليأس حالة طبيعية فى المرأة ، فهكذا خلقت إلا أنه قد يسبب وجود بعض الظواهر والأعراض التى قد تصبح مرضية مما يلزم معه التدخل الطبى أحياناً .

وهناك ثلاثة مدارس فى العلاج ..

١ ـ المدرسة الطبيعية :

وتعتبر سن اليأس فترة من فترات حياة الأنثى الطبيعية؛ فتهتم بشرح أعراضه ومسبباته للسيدات وبإشراك الأزواج يمكن التغلب على معظم مشكلاته .

٢ ـ علاج الأعراض :

تهتم هذه المدرسة بعلاج الأعراض ، فإذا ما كان هناك اضطرابات نفسية ، فإن العلاج يكون بالمهدئات ومضادات الاكتئـــاب ، وتعطـــى مضادات لإزالة الآلام فى حالة وجودها فى المفاصل .

والمدرسة الثالثة :

تُولى عنايتها لعلاج نقص هرمون الأستروجين الذى يسبب معظم أعراض سن اليأس ، ولذلك تلتزم هذه المدرسة بإعطاء السيدة هذا الهرمون ، وفيما يلى سنقوم بتفصيل هذه الطريقة فى العلاج .

العلاج بهرمون الاستروجين :

العلاج بهرمون الأستروجين يمكن تعاطيه بأربع طرق :

١ ـ أقراص عن طريق الفم .

٢ ـ حقن .

٣ ـ كريمات .

٤ ـ زرع حبة بها هرمونات تحت الجلد .

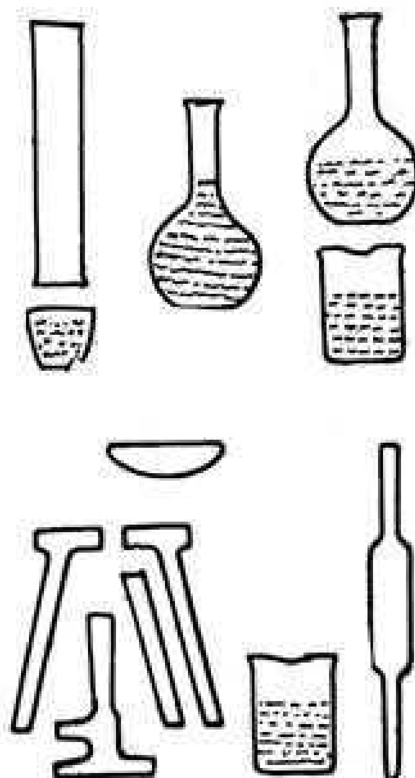
وتستخدم الكريمات موضعية فى المهبل فى بعض حالات وجود تقرحات به .

أما فى حالة استخدام أقراص أو حقن أو (كبسولات) فإنه يفضل تعاطى « هرمون البروجيسترون » مع هرمون « الاستروجين » إذا كان الرحم قد تم استئصاله حيث إن هرمون « البروجيسترون » يقلل من إصابة الثــدى بالسرطان .

«ويخلق ما لا تعلمون..»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد: د/ نجوى السيد أحمد (*)



الكسل يسبب أمراض القلب

توصل خبراء القلب الأمريكيون من خلال الأبحاث إلى أن الكسل وعدم النشاط هما السبب الرئيسى فى الإصابة بأمراض القلب فى أمريكا، وأكدوا أن الذين يعيشون حياة لا نشاط فيها يكونون أكثر عرضة للإصابة بنوبات القلب بنسبة مضاعفة عن الذين يمارسون الرياضة، والبعد عن التوتر، والعادات غير الصحيحة كالتدخين.

نخالة الشوفان تخلص الجسم من المعادن الثقيلة

أنتجت شركة تجربة أقراصاً جديدة مصنوعة من مستخرج عالى التركيز من ألياف نخالة الشوفان، يساعد الجسم على التخلص من المعادن الثقيلة الضارة به كالرصاص والاسترونشيوم المشع فى الدم.

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى..

الحاسب الآلى لمراقبة عمل شبكات التليفونات

ابتكر خبراء الاتصالات فى بريطانيا حاسباً آلياً جديداً لمراقبة عمل شبكات التليفونات من خلال شاشات « فيديو » متغيرة بصفة مستمرة بحيث تظهر فى كل لحظة صورا دقيقة توضح كيفية عمل شبكات التليفونات ، وتبلغ مساحة الشاشة ٢٥٠ متراً مربعاً بألوان مختلفة كل منها يدل على معلومات معينة ، والحاسب الآلى الجديد يتعامل مع كم هائل من المعلومات ، توازى فى كل ست ساعات ما تحتويه أجزاء الموسوعة البريطانية .

تحذير من استخدام السماعات الموسيقية

أثبتت التجارب التى أجريت فى جامعة « ميونيخ » بألمانيا أن الاستماع إلى الموسيقى عن طريق سماعات الأذن ، ولمدة ساعتين يومياً بصوت مرتفع ، يصيب الإنسان بالصمم ، وقد أصبح ٨٠ ٪ من الشباب المستخدم لهذه السماعات يعانى من ضعف فى السمع ، وأن ١٠ ٪ اضطروا إلى استخدام سماعات طبية .

أبحاث علمية تؤكد أن السمك يسبب الذكاء

أكدت الأبحاث العلمية التى أجريت بواسطة مجموعة من الخبراء اليابانيين أن مادة «DHA» (حمض الدوكوساهيكستونيك) المستخلصة من السمك تجعل الناس أكثر ذكاء ، وهى مادة دهنية تنشط نقاط الاتصال العصبى التى تنقل نبضات الذاكرة داخل المخ ، وتحمى البصر وتمنع الجلطات الدموية ، وتوجد هذه المادة بصورة مركزة فى شبكية عيون السمك ، وخاصة أسماك التونة والسردين ، ويقوم العلماء حالياً باستخلاص مادة «DHA» بصورة نقية لاستخدامها فى صناعة الأدوية وإضافتها للأغذية .

أصغر جهاز الكترونى لعلاج مرضى السكر

نجح اليابانيون فى صنع جهاز الكترونى أصغر من حبة الأرز ، يمكن أن ينطلق داخل جسم مرضى السكر ليقيس مستوى السكر فى الدم ، ويعطى المريض الجرعة المناسبة من « الأنسولين » ، ويأمل العلماء أن يكون هذا الجهاز صالح للتجربة مع حلول هذا العام .

حمامات السباحة خطر على الأطفال

أكدت دراسة فرنسية أن المواد التى توجد فى ماء حمامات السباحة تؤثر على الجلد وحاسة السمع عند بعض الأطفال ، وأن حمامات السباحة تعد مكانا مساعدا على التهابات الأذن التى غالبا ما يكون ضحيتها الأطفال الصغار ، لأن قناة السمع لديهم تكون ضيقة ، وهم يلجأون إلى الاستحمام فى المواقع التى يكون فيها الماء على مستوى منخفض وراكد حيث تكون الجراثيم موجودة بدرجة كبيرة .

بصمات الأصابع للكشف عن ضغط الدم

أظهرت آخر الأبحاث العلمية التي أجريت في إنجلترا أن بصمات الأصابع لا تكتسب أهميتها من الكشف عن مرتكبي الجرائم وحسب ، بل من إمكان الكشف عن احتمالات ارتفاع ضغط الدم لدى صاحبها ، وأوضحت الدراسة أن الأشخاص الذين لديهم بصمات من نوع « البصمة الدوامة » أو « المغزلية » ، والتي تتكون من مغازل أو دوائر متداخلة ، وتوجد على أصبع أو أكثر ، يكون لديهم ضغط الدم الانقباضي أعلى ممن ليس لديهم هذا النوع من البصمة ، كما أن أصحاب هذه البصمة لديهم الاستعداد للإصابة بتصلب الشرايين .

دراسة جديدة حول مرض الإرهاق المزمن

بدأ الأطباء في المركز الأمريكي للسيطرة على الأمراض دراسة حول مرض الإرهاق المزمن الذي يتراوح عدد المصابين به بين مليونين إلى خمسة ملايين شخص ، وهو يصيب الأشخاص من مختلف الأعمار ، ولكنه يتركز بين النساء بنسبة ٨٠ ٪ ، وعادة ما يظهر عقب مواجهة موقف يتسم بالتوتر الشديد ، وفي العادة يعاني المصابون به من أعراض فجائية مشابهة للإنفلونزا ، ويعقبها إحساس بالإجهاد والاكتئاب ، وأظهرت الدراسة أن هناك مجموعة من الأسباب المحتملة للمرض مثل : الإصابة بفيروس معين أو بعدوى بكتيرية أو وجود معادن ثقيلة بالجسم .

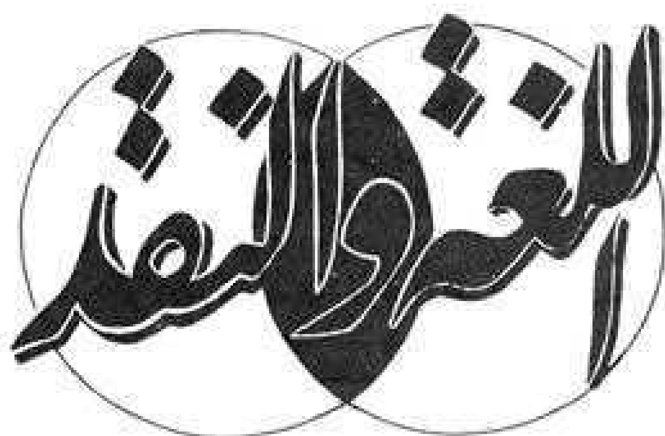
تقشير الطماطم بأشعة الليزر

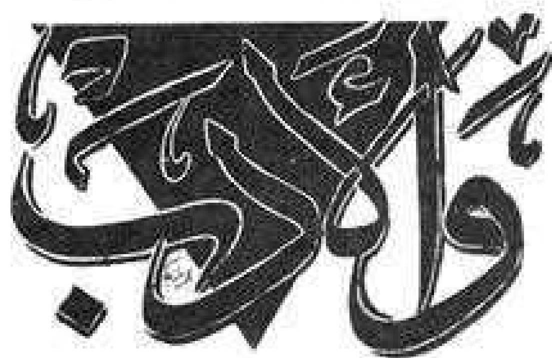
قامت إحدى الشركات في ولاية « أوهايو » بتصنيع جهاز يعمل بأشعة الليزر ، ويستخدم في تقشير كميات كبيرة من الطماطم التي تحتاجها مصانع الأغذية ، والتي تبلغ عشرات أو مئات الأطنان يومياً ، ويعتمد الجهاز على أشعة الليزر التي تعمل على القضاء على قشرة الطماطم وتبخرها ، بحيث لا يبقى منها إلا رماد الكربون والماء ، أما الطماطم نفسها وخاصة النشا الذي فيها فلا تصيبه الأشعة بسوء .

جهاز لري الصحراء من الهواء

ابتكر مهندس دنماركي جهازاً لري الصحراء من بخار الماء الموجود بالهواء ، وهو عبارة عن فرشاة دوارة ، قطرها نصف متر ، وبها آلاف الشعرات من الألياف الزجاجية التي تقدر مساحتها السطحية بمئات الأمتار المربعة التي يتكاثف عليها الماء ، ويقدر الماء الذي يمكن أن تجمعه شعرات الفرشاة بخمسة إلى عشرة لترات في اليوم الواحد تبعاً لحالة الجو أثناء الليل ، أما في النهار فإن الفرشاة يتم رفعها لتدخل في أسطوانة حيث يتجمع الماء داخلها وينتقل إلى الرمال تحت الجهاز .




الشعر والنقد



ابن دريد

ومنهجه فى جمهرة اللغة

٢٢٣ ـ ٣٢١

د/ محمد رياض السيد كريم

(٤)

٨ ـ يهتم بالمعرّب ، ومن فرط اهتمامه به فى كتابه ،يعقد له بابا فى نهاية الكتاب تحت عنوان (باب ما تكلمت به العرب من كلام العجم حتى صار كاللغة) ومما جاء فيه :

« السَّجَنْجَلُ روميّ معرّب ، وهى المرآة .. والقُسْطاس : الميزان ، وهو مُعرّب ، والقيروان : الجماعة ، وهو بالفارسية كاروان[١٥٠] » .

ولم يقصر ابن دريد اهتمامه بالمعرب فيما أورده فى هذا الباب ، بل يشير إليه فى أبواب الكتاب عند وروده فيها ، من ذلك قوله :

« البخت : فارسيّ معرّب ، وقد تكلمت به العرب ، وهو الجَدُّ[١٥١] » ، وقوله : « البَذَج بفتح الباء والذال : الحَمَل ، فارسيّ معرب ، وقد تكلمت به العرب[١٥٢] » ، وقوله : « الزَّرْدَقُ : السطر من النخل ، فارسيّ معرب ، وكذلك الصف من الناس ، يقال وقف القوم زَرْدَقاً ، إذا وقفوا صفاً[١٥٣] » . وقوله : « الدَّبَجُ : النقش ، فارسيّ معرب مأخوذ من الديباج[١٥٤] » .

٩ ـ يُعْنَى بالإشارة إلى اشتقاق الألفاظ ، ولاغرو فى ذلك ، فهو صاحب كتاب الاشتقاق الذى ألفه قبل « كتاب الجمهرة » يؤيد ذلك إشارته إليه فى الجمهرة فى قوله : « وتقول العرب : حُماداك أن تفعل كذا وكذا ، وحَماداك أيضا ، فى معنى : قُصاراك . وهذا باب قد استقصيناه فى « كتاب الاشتقاق[١٥٥] » .

وقوله : « العبد ضد الحر ، وأصل العبد من قولهم طريق مُعبَّد ، أى مُذلل ، وقد استقصينا شرح هذا فى كتاب الاشتقاق[١٥٦] » .

وقوله : « مَيّ : اسم قد تكلم به ، وقال قوم : بل مَيٌّ ترخيم مَيَّة ، واشتقاق هذا الاسم مشروح فى كتاب الاشتقاق[١٥٧] » .

ومن ذلك قوله : « النَّحْرُ محال القلادة من

(١٥٠) الجمهرة : ٣/٥٠١ .
(١٥١) الجمهرة : ١/١٩٣ .
(١٥٢) الجمهرة : ١/٢٠٧ .
(١٥٣) الجمهرة : ٣/٣٣٣ .
(١٥٤) الجمهرة : ١/٢٠٧ .
(١٥٥) الجمهرة : ٢/١٢٥ .
(١٥٦) الجمهرة : ١/٢٤٥ .
(١٥٧) الجمهرة : ١/١٢٣ .

الصدر ، ومنه اشتقاق نحرت البعير ؛ لأنك تطعنه في نحره[158] » .

وقوله : « الجَهْنُ : الغلظ في الوجه والجسم ، وربما وصف به الجسيم أيضا ، ومنه اشتقاق جُهينة أبو قبيلة من العرب ، وقد سمت العرب جَهْهانا ، وأحسب اشتقاقه من الجهن أيضا ، الياء زائدة[159] » .

وقوله : لَخْم : قبيلة من العرب ، اشتقاق أصله من قولهم : لَخم الرجلُ ، إذا كثر لحم وجهه وغلظ ، وهذا فعل ممات ، لايكادون يتكلمون به[160] » .

وقوله : « الحرف : هذا الحب الذى يسمى : الثفاء : عربى معروف ، ومنه اشتقاق طعم الشيء الحِرّيف الذى يلذع اللسان[161] » .

وقوله : « الهَرجبة : منه اشتقاق ناقة هرجاب وهى السريعة[162] » .

وقوله : هنبص اسم ، والنون زائدة ، واشتقاقه من الهبص ، وهو عَدْوٌ من عدو الذئب[163] » .

وقوله : « الململة وهى الانزعاج والاضطراب ، تركت فلانا متململا ، وهو التحرك من حزن ، وأحسب أن اشتقاقه من تململ اللحم على النار إذا تحرك[164] » .



فإذا خفى على ابن دريد وجه الاشتقاق نبه على ذلك ، كقوله : « و (بَنْقص) اسم ولم أسمع له اشتقاق[165] » . وقوله : « غبش اسم ، وأحسبه مأخوذاً من الغبش والنون زائدة ، وقد سموا غشبى ، والغشب : لاأدرى مم اشتقاقه[166] » ، وقوله : « خلتب اسم يوصف به البخيل ، ولا أدرى مم اشتقاقه[167] » .



واهتمام ابن دريد بالاشتقاق يرجع إلى مرحلة مبكرة فى حياته حين كان صبياً يتلقى العلم على أيدى أساتذته ، يظهر لنا ذلك من قوله :

« ثادق : اسم فرس من خيلهم معروف ، وثادق : موضع معروف ، قال أبو بكر[168] : وسألت أبا حاتم عن اشتقاق ثادق ، فقال :

لاأدرى . وسألت الرياشى ، فقال : إنكم يامعشر الصبيان تتعمقون فى العلم ، وسألت الأشناندانى ، فقال : من ثدق المطر من السحاب ، إذا خرج خروجاً سريعاً نحو الوَدْق[169] » .



١٠ – يهتم بنسبة الأقوال إلى أصحابها أحيانا فى كتابه ، من ذلك قوله : « خيرى عمى

(158) الجمهرة : 145/2 ، 146 .
(159) الجمهرة : 118/2 .
(160) الجمهرة : 242/2 .
(161) الجمهرة : 138/2 .
(162) الجمهرة : 298/3 .
(163) الجمهرة : 312/3 .
(164) الجمهرة : 164/1 .

(165) الجمهرة : 311/3 .
(166) الجمهرة : 311/3 .
(167) الجمهرة : 295/3 .
(168) هو ابن دريد .
(169) الجمهرة : 37/2 ، 38 . والودْق : القطر الذى يخرج من خلل السحاب قبل احتفال المطر كما قال ابن دريد (الجمهرة : 295/2) .

الحسين بن دريد عن أبيه عن ابن الكلبي(١٧٠) عن أبيه ، قال : الرحمن اسم الله ـ تبارك وتعالى ـ لايدعى به غيره ، والرحيم صفة ، لأن العرب تقول : كن لى رحيما ، ولم تقل كن لى رحمانا ، وفى القرآن دليل على هذا قوله عز وجل : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾(١٧١) . فالله اسم ليس لأحد فيه شركة ، وكذلك الرحمن(١٧٢) » .

وقوله : « أخبرنا أبو حاتم عن عبد الرحمن عن عمه ، قال : سمعت أعرابية تقول : هَيِّي أصابعَك فى رأسى ، وحَرِّكى أصابعك فيه(١٧٣) » .

وقوله : « الأَخ اسم ناقص ، وزعم قوم أن بعض العرب يقولون : أخٌّ ، وأخّة ، مثقل ، ذكره ابن الكلبى .

ولا أدرى ما صحة ذلك(١٧٤) » .

وقوله : « ذكر أبو عبيدة(١٧٥) ـ وأحسبه عن يونس أيضا ـ أن اشتقاق السيف من قولهم : ساف ماله ، أى هلك ، فلما كان السيف سببا للهلاك سمى سيفا ، ولم يقل هذا غيرهما(١٧٦) » .

وقوله : « قالوا : تاح الغُصنُ يتيح تَيَحا وتيحانا ، إذا تمايل ، ذكره أبو مالك عن العرب(١٧٧) » .

وقوله : « قال أبو حاتم : تقول العرب : ختنتُ الغلام وخفضتُ الجارية ، ولايكادون يقولون : ختنت الجارية ولاخفضت الغلام(١٧٨) » .

وقوله : « الضغط : الضيق ، عن أبى مالك ، وقال أبو عبيدة : هو الازدحام ، تضاغط القوم ، إذا ازدحموا ، تضاغطا وضغاطا ، والاسم الضغاط(١٧٩) » .

وقوله : « سمعت أبا حاتم يقول : سمعت الأصمعى يقول : شابٌّ عبعب : ممتلىء الشباب ، وقال مرة أخرى : العبعب : نعمة الشباب(١٨٠) » .

وقوله : « الجِبْتُ : كل ما عُبد من دون الله من صنم وغيره ، هكذا يقول أبو عبيدة(١٨١) » .

وقوله : « أخبرنا عبد الرحمن قال : قال لى عمى الأصمعى : رَشَنَ الكلب فى الإناء ، إذا أدخل رأسه فيه(١٨٢) » .

وقوله : « وسمعته [أى عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى] يقول : « أرض جلحظاء بالظاء معجمة وبالحاء غير معجمة ، وهى الصلبة التى لاشجر بها ، وخالفه أصحابنا فقالوا : الجلخطاء بالخاء المعجمة . قالوا : هى الأرض الصلبة ، فسألته فقال : هكذا رأيته فى كتاب عمى بخطه(١٨٣) » .

١١ ـ لا يغفل ابن دريد فى كتابه الإشارة إلى بعض كتبه ، وكأنه يحيل القارىء عليها ، وقد مر

---

(١٧٠) هو هشام بن محمد الكلبى المتوفى سنة ٢٠٦ هـ (الفهرست : ص ١٤٠) .
(١٧١) الإسراء/ ١١٠ .
(١٧٢) الجمهرة : ١٤٤/٢ .
(١٧٣) الجمهرة : ١٦٦/١ .
(١٧٤) الجمهرة : ١٥/١ .
(١٧٥) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى البصرى المتوفى سنة ٢٠٩ هـ (الأعلام : ٢٧٢/٧) .
(١٧٦) الجمهرة : ٤١/٣ .
(١٧٧) الجمهرة : ١٩٨/٢ .
(١٧٨) الجمهرة : ٢٢٩/٢ .
(١٧٩) الجمهرة : ٩٢/٣ .
(١٨٠) الجمهرة : ١٢٧/١ .
(١٨١) الجمهرة : ١٥١/٣ .
(١٨٢) الجمهرة : ١٥١/٣ .
(١٨٣) الجمهرة : ٤٥٤/٣ .

آنفا إشارته إلى كتابه الاشتقاق فى قوله : « وهذا باب قد استقصيناه فى كتاب الاشتقاق » وقوله : « وقد استقصينا شرح هذا فى كتاب : الاشتقاق » . وقوله : « واشتقاق هذا الاسم مشروح فى كتاب : الاشتقاق » .

ومن ذلك أيضا قوله : « الذى واللَّذُ ، واللذان واللذون والذين . أسماء مبهمة معروفة مستعملة ، وقد استقصيناها فى كتاب : القرآن(١٨٤) » .

وقوله : « الفرقان فى التنزيل له مواضع ، فمنه : الفرقان : القرآن ، ومنه قول الله ـ عز وجل : ﴿ نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾(١٨٥) أى القرآن ، والفرقان : النصر ، من قول الله ـ تعالى : ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴾(١٨٦) أى يوم النصر ، وهو يوم بدر ، والفرقان : البرهان ، وهذا مستقصى فى كتاب : اللغات فى القرآن(١٨٧) » .

ويبدو أن هذا الكتاب هو كتاب القرآن السابق .

مآخـــذ

مما يؤخذ على ابن دريد ما يلى :

١ ـ الاضطراب فى تطبيق منهجه فى كتابه ، ومن مظاهر هذا الاضطراب : التكرار والخلط ، فنجده يذكر الشىء فى باب ثم يعيد ذكره مرة أخرى فى باب آخر من أبواب الكتاب خالطا بين الأبنية التى ينبغى أن تكون بمنأى عن ذلك .

ولعل ذلك منشؤه تلك التقسيمات والتفريعات الكثيرة التى عمت الكتاب وشاعت فيه ، حتى كادت تصيبه بلون من ألوان الفوضى وعدم الإحكام ، وجعلت طلب اللفظ فيه ضربا من ضروب العنت والعناء ، يصيب الخاصة قبل العامة .

ولعل منشؤه أيضا أن ابن دريد أملى الكتاب من حفظه إملاء ، ولم يستعن فى إملائه بالرجوع إلى كتب اللغة ، اللهم إلا فى باب الهمزة واللفيف كما مر .

أضف إلى هذا اختلاف نسخ الكتاب حيث أملاها ابن دريد فى فارس ، ثم أملاها بالبصرة وبغداد من حفظه كما مر أيضا .

ومن أمثلة ذلك فى كتابه أنه ذكر (الجَحْمَة) فى أبواب الثلاثى الصحيح ، فقال : « الجحمة : العين ، لغة يمانية ، قال الشاعر :

فياجحمتا بكِّى على أمِّ واهبٍ
أكيلة قِلَّيبٍ ببعض المذانب

المذانب جمع مذنب ، وهى مجارى الماء فى الرياض إلى الأودية ، والقِلَّوْبُ والقِلَّيبُ : الذئب ، لغة يمانية ، وجحمتا الأسد عيناه بكل اللغات(١٨٨) » .

ثم عاد فذكرها فى أبواب الرباعى ، فقال : « الجَحْمَة : العين ، لغة يمانية ، وإنما أدخلناها فى هذا الباب (باب الجيم والحاء فى الرباعى) لأنه لامذكر لها ، فالهاء كالحرف اللازم ، وأما جحمة(١٨٩) الأسد فعينه فى كل لغة(١٩٠) » .

(١٨٤) الجمهرة : ٢٤٧/٣ .

(١٨٥) الفرقان/١ .

(١٨٦) الأنفال/٤١ .

(١٨٧) الجمهرة : ٤٠٠/٢ .

(١٨٨) الجمهرة : ٢/٥٩ .

(١٨٩) فى الجمهرة : حجمة ، تصحيف ، يؤيده ما ورد فى أبواب الثلاثى ، وما جاء فى اللسان (ج ح م) .

(١٩٠) الجمهرة : ٣٢١/٣ .

ومنها أنه ذكر (الكلمة) في أبواب الثلاثي الصحيح ، فقال : « الكلمة : الواحدة من الكلم والكلام[١٩١] » . ثم عاد فذكرها في أبواب الرباعي ، فقال : « باب الكاف في الرباعي ـ الكلمة واحدة الكلم[١٩٢] » .

وكأنه جعل تاء التأنيث من أصل بناء الكلمة فذكرها في أبواب الرباعي مع أن حقها أن تذكر في أبواب الثلاثي ، وقد ذكرها هو فيها ، فما كان له أن يكرر ذكرها في أبواب الرباعي ، لأنها إما أن تكون عنده ثلاثية وإما أن تكون رباعية ، ولا تكون ثلاثية ورباعية في آن واحد ، فإن كانت عنده ثلاثية كان عليه أن يقصر ذكرها في أبواب الثلاثي ، وإن كانت عنده رباعية كان عليه أن يقصر ذكرها في أبواب الرباعي ، أما ذكرها في أبواب الثلاثي وأبواب الرباعي معا فهذا أمر غريب .

وشبيه بهذا ذكره (المقلة) في أبواب الثلاثي وأبواب الرباعي أيضا ، وحقها أن تذكر في أبواب الثلاثي فقط ، ففي أبواب الثلاثي الصحيح قال : « المُقلة : مقلة العين ، وهو اسم يجمع السواد والبياض ، والمُقلة الواحدة من المُقَل ، وجمع مُقلة العين : مُقَل ، وما مقلته عيني ، أي ما رأته ، والمقلة : الحصاة التي يقسم عليها الماء في المفاوز[١٩٣] » .

وفي أبواب الرباعي قال : « باب القاف في الرباعي ـ المَقْلَة : الحصاة التي يُتصافن عليها الماء إذا اقتسموا بها في المفاوز إذا كان الماء قليلا ، يأخذون حصاة فيضعونها في الإناء ثم يصبون عليها الماء حتى يستوى بها ويشرب كل واحد منهم بمقداره ... والمُقلة مقلة العين وقد مضى[١٩٤] » .

ومن ذلك أيضا ذكره (عنبس) في أبواب الثلاثي وأبواب الرباعي ، على الرغم من أنه نص على أن النون فيه زائدة ، وفي أبواب الثلاثي قال : « العنبس : الأسد ، والنون زائدة فيه ، وهو من تقطيب الوجه[١٩٥] » . وفي أبواب الرباعي قال : « عنبس من أسماء الأسد ، والنون فيه زائدة ، لأنه من العبوس[١٩٦] » . وقد ذكر ذلك في (باب الباء والسين في الرباعي الصحيح) .

وفي أبواب الرباعي ذكر (زبعق) وقال : « زَبَعْبَق ليس هذا موضعه ، وهو الرجل السيء الخلق ، تراه في الخماسي إن شاء الله تعالى[١٩٧] » . وقد ذكره في (باب الباء والزاى في الرباعي الصحيح) .

وعلى الرغم من أنه صرح بأن موضعه في الخماسي فقد ذكره في أبواب الرباعي ، وفي أبواب الخماسي قال : « زبعباق : سيء الخلق ، وهذا فعلعال[١٩٨] » .

وفي أبواب الثاني الملحق ببناء الرباعي المكرر ذكر بناء (ج د ج د) وقال : « الجَدْجَدُ : الأرض الصُّلبة . قال الشاعر ـ ابن أحمر الباهلي[١٩٩] :

---

(١٩١) الجمهرة : ١٦٩/٣ .
(١٩٢) الجمهرة : ٣٤٧/٣ .
(١٩٣) الجمهرة : ١٦٣/٣ .
(١٩٤) الجمهرة : ٣٤٧/٣ .
(١٩٥) الجمهرة : ٢٨٦/١ .
(١٩٦) الجمهرة : ٣١٠/٣ .
(١٩٧) الجمهرة : ٣١٠/٣ .
(١٩٨) الجمهرة : ٤٠٤/٣ .
(١٩٩) هو عمرو بن أحمر الباهلي شاعر مخضرم . (الإصابة : ١١٢/٣) .

يمشي بأوظفةٍ شداد أسرها
صُمّ السنابك لا تقي بالجدجد

والجُدْجُدُ : خَشَشٌ من أحناش الأرض أو من حشراتها ، وهو الذي يسمى الصُّرصُرّ يقرض الأسقية ، قال الشاعر :

فاحفظ حَمِيتك[200] لا أبالك واحذرن
لا تَخرِمنَّكَ فارة أو جُدجُد[201] »

وفي أبواب الرباعي أعاد ذكره في (باب من الرباعي فيه حرفان مثلان) فقال : « الجُدجُد : دويبة تسمى الصُّرصُرّ ، والجَدجَد : الأرض الصُّلبة[202] » .

ويبدو أن أبا بكر بن دريد قد لمس هذا في كتابه فراح يعتذر عن ذلك في ثناياه ، ولذا وجدناه يقول : « وإنما أملَلنا هذا الكتاب ارتجالاً لا عن نسخة ولا تخليد في كتاب قبله ، فمن نظر فيه فليخاصم نفسه بذلك ، فيعذر إن كان فيه تقصير ، أو تكرير – إن شاء الله[203] » .

وهذا الاضطراب الذي وقع في الكتاب قد لفت نظر القدماء إليه ، فهذا ابن جني[204] يقول : « وأما كتاب الجمهرة ففيه أيضا من اضطراب التصنيف وفساد التصريف ما أعذر واضعه فيه ، لبعده عن معرفة هذا الأمر ، ولما كتبته وقعت في متونه وحواشيه جميعا من التنبيه على هذه المواضع ما استحييت من كثرته ، ثم إنه لما طال علي أومأت إلى بعضه ، وأضربت البتة عن بعضه[205] » .

وقد علق السيوطي في (مزهره) على قول ابن جني السابق بعد أن ذكره بقوله : « مقصوده الفساد من حيث أبنية التصريف ، وذكر المواد في غير محالها ... ولهذا قال : أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر ، يعني أن ابن دريد قصير الباع في التصريف وإن كان طويل الباع في اللغة ، وكان ابن جني في التصريف إماما لا يشق غباره ، فلذا قال ذلك[206] » .

---

(٢٠٠) الحَمِيت : الزق للدهن أو للزيت خاصة . (الجمهرة : ٢/٥) .
(٢٠١) الجمهرة : ١٣٣/١ .
(٢٠٢) الجمهرة : ٣٤٩/٣ .
(٢٠٣) الجمهرة : ٢٦٨/٣ .
(٢٠٤) هو أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢هـ (هدية العارفين : ٦٥٢/١) .
(٢٠٥) الخصائص : ٢٨٨/٣ .
(٢٠٦) المزهر : ٩٣/١ .

طبقات المحققين والمصححين

الجيل الثاني أو الطبقة الثانية من المحققين الأعلام

الأستاذ الدكتور/ السيد الجميلي

(٤)

● الأستاذ عبدالسلام محمد هارون ، شيخ المحققين وعميد المؤلفين عن جدارة واستحقاق ، رحمه الله رحمة واسعة ، وطيب ثراه ، وجعل الجنة مثواه ـ لقاء ما أعطى وأسدى وقدم للمكتبة العلمية من كنوز وعطاءات فريدة متميزة ، أنفق فيها من جهده ووقته ـ على مدار نصف قرن تقريباً من الزمان ـ بدأب وهمة ونشاط لا يعرف الملل ولا الكلل ولا السآمة .

كان عالماً فاضلاً ، وتقياً ورعاً رشيداً ، طيب القلب فسيح الصدر تعلوه همة الشباب ، ووقار الشيوخ ، وكانت له الأيادي البيض السابغة على كاتب هذه السطور ، وعلى جيله بل وأجيال متتالية .. وسيظل مذكوراً بكل ما أسداه ، وأعطاه بغير حدود للعلم وأهله ، في كرم وجود وأريحية وتواضع كريم ، ولين جانب وحياء شديد .



الأستاذ عبدالسلام محمد هارون

كانت صلته وثيقة العرى مع من يعملون معه في الجامعة ، أو المجمع اللغوي ، ولا يضن بعلمه ولا بتوجيهاته وإرشاداته عن أحد من الباحثين متى رآه مخلصاً ، جاداً مجتهداً في مطلوبه .

ووفاء له وعرفاناً بفضله نقدم تعريفا عنه وبيانا ببعض ما ألف وحقق :

ولد الأستاذ عبدالسلام محمد هارون فى الثامن عشر من شهر يناير سنة تسع وتسعمائة وألف من الميلاد بالاسكندرية ، حيث كان يعمل والده ـ رحمه الله ـ وكيلاً لمشيخة علماء الاسكندرية ، ثم انتقل مع والده إلى مدينة طنطا سنة اثنتى عشرة وتسعمائة وألف حيث عمل والده وكيلاً للجامع الأحمدى ، ثم رحل بعد ذلك معه إلى القاهرة سنة خمس عشرة وتسعمائة وألف ، حيث عُيّن أبوه رئيساً للتفتيش القضائى الشرعى بوزارة الحقانية .

وفى سنتين فقط حفظ القرآن الكريم فى صباه ، وهو فى السابعة أو الثامنة من عمره .

ختم القضاء بوالده ـ رحمها الله تعالى ـ عام عشرين وتسعمائة وألف ، وعمره نحو أحد عشر عاما ، ثم أعقبها والده ـ رحمه الله ـ تعالى ـ بعدها بسنتين ، فلقد لحق بالرفيق الأعلى عام ثنتين وعشرين وتسعمائة وألف ، ونسب أستاذنا بالعلم وثيق . كما عرفناه فى والده ، وهو كذلك فى أمه ، فهى كريمة الشيخ محمد الجزيرى ـ رحمه الله تعالى ـ الذى كان عضوا بالمحكمة الشرعية العليا .

بعد وفاة والده كفله عمه الشيخ أحمد هارون الذى كان وكيلاً للجامع الأزهر ، ومديراً للمعاهد الدينية ، وقد أشار عليه عمه بالالتحاق بتجهيزية دار العلوم ، خلافاً لرغبة والده الذى كان يرغب فى استمراره فى الدراسة بالجامع الأزهر . وكان أحد المقبولين فى مسابقة كبرى بتجهيزية دار العلوم إلى مدرسة دار العلوم العليا ، وكان ذلك سنة أربع وعشرين وتسعمائة وألف .

وفى سنة خمس وعشرين وتسعمائة وألف ظهر أول كتاب يحمل اسم الأستاذ عبدالسلام محمد هارون ، وهو ابن ستة عشر عاماً من العمر ، وهو كتاب : « متن الغاية والتقريب » لأبى شجاع أحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهانى وقد سرّه سروراً عظيماً أن ينشر هذا الكتاب : كتبىٌّ صغير بحى الأزهر كاتباً على صدره : ضبط وتصحيح ومراجعة الشيخ عبدالسلام محمد هارون .

أتم رحمه الله ـ سبحانه ـ تجهيزية دار العلوم فى سنوات أربع ، نال بعدها شهادة البكالوريس سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وألف ، وبعد أن تخرج فى أثناء السنة المذكورة ، التقى بالأستاذين الكبيرين : محب الدين الخطيب ، وأحمد تيمور باشا ـ رحمهما الله ـ سبحانه ـ فعرض عليهما فكرة تأسيس وإنشاء (جمعية الشبان المسلمين) وانتشرت ، بعد ذلك فروعها فى أرجاء المعمورة قاطبة .

فى سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وألف ، وهو ابن تسع عشرة سنة قام بإخراج كتاب آخر من تحقيقه ، وهو « خزانة الأدب للبغدادى» ونشره فى أربعة مجلدات بعد أن تخرج فى دار العلوم العليا .

نال الأستاذ عبدالسلام هارون إجازة دار العلوم العليا العلمية فى شهر يونيو سنة اثنتين

وثلاثين ، ثم تم تعيينه مدرساً بالتعليم الابتدائي ، منتقلا من مديرية إلى أخرى ، ثم تعددت نشاطاته التحقيقية والتأليفية العميقة القيمة بعد ذلك .

ولأول مرة في تاريخ الجامعة أصبح ينتدب ويطلب للتدريس في كلية الآداب ـ في جامعة فاروق الأول (الاسكندرية الآن) ـ مدرسٌ من التعليم الابتدائي فينقل إلى التدريس في الجامعة ، وهي طفرة لم تحدث في تاريخ الجامعات إلا لهذا العالم الجليل ، وقد قضى في التدريس بالجامعة خمس سنوات ، نقل بعدها أستاذاً في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

في سنة أربع وأربعين وتسعمائة وألف حصل الأستاذ عبدالسلام على الجائزة الأولى في النشر والتحقيق لمجمع اللغة العربية .

وفي صيف سنة ست وستين وتسعمائة وألف كان من جملة المختارين لإنشاء وتأسيس جامعة الكويت ، فعمد إلى تأسيس قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بها ، وكان هو أستاذاً ورئيساً لهذا القسم بتلك الجامعة التي تولى إدارتها لأول مرة : صديقه وزميله الدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبي .

واختير بعد ذلك وبالتحديد في سنة تسع وستين وتسعمائة وألف عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، تتويجاً لحياة علمية حافلة بجلائل الأعمال .

يتمثل إنتاج الأستاذ عبدالسلام محمد هارون العلمي في زهاء : مائة كتاب ما بين تأليف وشرح وتحقيق ، منها « تحقيق النصوص ونشرها» وهو أول كتاب مؤلف في موضوعه ، تتابعت بعد ذلك كتب كثيرة في مؤداه . و « الأساليب الإنشائية في النحو العربي» . و «الحيوان للجاحظ» ثمانية مجلدات ، و «والبيان والتبيين» للجاحظ في أربعة مجلدات ، و «ومعجم مقاييس اللغة» لابن فارس ، ستة مجلدات . و «المصون» لأبي هلال العسكري . و « معجم شواهد العربية» مجلدان ، و «خزانة الأدب» للبغدادي ، أربعة مجلدات من اثنى عشر جزءاً ، و « فهارس المخصص » لابن سيده .

ثبت بالتراث الذي حققه الأستاذ عبد السلام هرون

أولا : كتب مشروحة ومحققة مع دراسات وتحليلات فنية :

١ ـ الغاية والتقريب لأبي شجاع الأصفهاني مطبعة الشرق ١٩٢٥ م ـ (١) ٤٨

٢ ـ كتاب الحيوان للجاحظ (٨ مجلدات) فاز بالجائزة الأولى للمجمع ـ الحلبي ١٩٣٨ ـ ١٩٤٧ م ـ (٨) ٣٨٩٠

٣ ـ المفضليات الخمس دار المعارف ١٩٤١ م ـ (١) ٤٨

٤ ـ هزبيات أبي تمام . دار المعارف ١٩٤٢ م ـ (١) ٧٩

٥ ـ وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم ـ دار احياء الكتب العربية ١٩٤٥ م ـ (١) ٦٨٩

٦ ـ معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس (٦ مجلدات) دار احياء الكتب العربية ١٩٤٥ م ـ (٦) ٣٠٢٢

٧ ـ مجالس ثعلب (مجلدان) فاز بالجائزة الأولى للمجمع . دار المعارف ١٩٤٩ م ـ (٢) ٨١٤

٨ ـ البيان والتبيين ، للجاحظ (٤ مجلدات) لجنة التأليف ١٩٥٢ م ـ (٤) ١٥٧٧

٩ ـ شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقي (٤ مجلدات) لجنة التأليف ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ م ـ (٤) ٣٠٥٩

ثانياً : نوادر المخطوطات في مجلدين يشتملان على عدة كتب ورسائل ـ لجنة التأليف ـ ١٩٥١ م ـ ١٩٥٥ م ـ (٢) ٩٥٤

وفيما يلي أسماؤها :

١٠ ـ الرسالة المصرية ، لأبي الصلت ، أمية بن عبد العزيز الأندلسي .

١١ ـ المردفات من قريش ، للمدائني .

١٢ ـ كتاب من نسب إلى أمة من الشعراء ، لمحمد بن حبيب

١٣ ـ كتاب خطبة واصل بن عطاء .

١٤ ـ كتاب أبيات الاستشهاد ، لابن فارس .

١٥ ـ رسالة في أعجاز أبيات تغني في التمثيل عن صدورها ، للمبرد .

١٦ ـ كتاب العصا ، لأسامة بن منقذ .

١٧ ـ رسالة التلميذ ، لعبد القادر البغدادي .

١٨ ـ رسالة أبي عامر بن غرسية في الشعوبية .

١٩ ـ رسالة أبي يحيى بن مسعدة .

٢٠ ـ رسالة أخرى في الرد على ابن غرسية .

٢١ ـ رسالة في رد أبي جعفر بن الدوديس البلنسي .

٢٢ ـ رد أبي الطيب بن من الله القروي .

٢٣ ـ رسالة في شراء الرقيق وتقليب العبيد ، لابن بطلان .

٢٤ ـ هداية المريد ، في تقليب العبيد ، لمحمد الغزالي .

٢٥ ـ كتاب النيروز ، لابن فارس .

٢٦ ـ الرسالة النوروزية ، لابن سينا .

٢٧ ـ ذكر ما جاء في النوروز وأحكامه ، لبطليوس الحكيم .

٢٨ ـ حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق ، للسيد مرتضى الزبيدي .

٢٩ ـ كتاب أسماء المغتالين من الأشراف ، لابن حبيب .

٣٠ ـ كتاب الشعراء ، ومن غلبت كنيته على اسمه ، لابن حبيب .

٣١ ـ كتاب ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه ، لابن حبيب .

٣٢ ـ كتاب العقعقة والبررة ، لابن عبيدة .

٣٣ ـ كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها ، لعرام بن الأصبغ .

٣٤ ـ كتاب العثمانية ، للجاحظ دار الكتاب العربي ١٩٥٥ م ـ (١) ٣٨٦

٣٥ ـ الجزء الخامس عشر من كتاب الأغاني ، لأبي الفرج الأصبهاني دار الكتب ١٩٥٧ م ـ (١) ٥٣٠

٣٦ ـ الاشتقاق ، لابن دريد (مجلدان) . السنة المحمدية . ١٩٥٨ م ـ (٢) ٧٥٦

٣٧ ـ المصون ، لأبي أحمد العسكري . مطبعة الكويت ١٩٦٠ م ـ (١) ٢١٣

٣٨ ـ مجالس العلماء ، للزجاجي . مطبعة حكومة الكويت . ١٩٦٢ م ـ (١) ٤٢٠

٣٩ ـ أمالي الزجاجي . مطبعة المدني ١٩٦٣ م ـ (١) ٣٤٢

٤٠ ـ جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم . دار المعارف . ١٩٦٣ م ـ (١) ٧١٣

٤١ ـ شرح القصائد السبع الطوال ، لابن الانبارى . دار المعارف ١٩٦٣ م ـ (١) ٧٣٣

٤٢ ـ مجموعة رسائل الجاحظ (مجلدان يشتملان على ١٧ كتابا ورسالة) . مطبعة السنة المحمدية ١٩٦٤ م ـ (٢) ٨٨٨

ثالثاً : بيان بالكتب والرسائل :

٤٣ ـ مناقب الترك .
٤٤ ـ المعاش والمعاد .
٤٥ ـ كتمان السر وحفظ اللسان .
٤٦ ـ فخر السودان على البيضان .
٤٧ ـ فى الجد والهزل .
٤٨ ـ فى نفى التشبيه .
٤٩ ـ كتاب الفتيا .
٥٠ ـ رسالة إلى أبى الفرج بن نجاح الكاتب .
٥١ ـ فصل ما بين العداوة والحسد .
٥٢ ـ فى صناعات القواد .
٥٣ ـ فى النابتة ، إلى أبى الوليد محمد بن أحمد بن أبى داود .
٥٤ ـ كتاب الحجاب .
٥٥ ـ كتاب مفاخرة الجوارى والغلمان .
٥٦ ـ كتاب القيان .
٥٧ ـ كتاب ذم أخلاق الكتاب .
٥٨ ـ كتاب البغال .
٥٩ ـ رسالة فى الحنين إلى الأوطان .
٦٠ ـ تهذيب اللغة ، للأزهرى . (الجزء الأول والتاسع) المطبعة القومية العربية ١٩٦٤ ، ١٩٦٦ م ـ (٢) ١٠٠٤

٦١ ـ كتاب سيبويه (٤أجزاء) . مطبعة دار القلم ١٩٦٦م١٩٦٨ م ثم الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ ، ١٩٧٦ م ـ (٤) ١٤٤٦

٦٢ ـ خزانة الأدب للبغدادى (ثمانية أجزاء من عشرة أجزاء) دار القلم ١٩٦٦ ـ ١٩٦٩ م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٧٣ ـ ١٩٧٧ م ـ (٨) ٤٢٤٦

٦٢م ـ رسائل الجاحظ (المجلد الثالث والرابع يشتملان على ٢٨ كتابا ورسالة) المطبعة العربية الحديثة سنة ١٩٧٩ ـ (٢) ٧٤١

وهذه مجموعة أخرى من الكتب والرسائل :

٦٣ ـ الحاسد والمحسود .
٦٤ ـ المعلمين .
٦٥ ـ التربيع والتدوير .
٦٦ ـ فى مدح النبيذ وصفة أصحابه .
٦٧ ـ طبقات المغنين .
٦٨ ـ النساء .
٦٩ ـ مناقب الترك .
٧٠ ـ حجج النبوة .
٧١ ـ خلق القرآن .
٧٢ ـ الرد على النصارى .
٧٣ ـ الرد على المشبهة .
٧٤ ـ مقالة العثمانية .
٧٥ ـ المسائل والجنايات فى المعرفة .
٧٦ ـ الجد والهزل .
٧٧ ـ الوكلاء .
٧٨ ـ للأوطان والبلدان .



٧٩ ـ البلاغة والإيجاز .

٨٠ ـ تفضيل البطن على الظهر .

٨١ ـ النبل والتنبل وذم الكبر .

٨٢ ـ المودة والخلطة .

٨٣ ـ استحقاق الإمامة .

٨٤ ـ استنجاز الوعد .

٨٥ ـ تفضيل النطق على الصمت .

٨٦ ـ صناعة الكلام ، وآخر في : الشارب والمشروب .

٨٧ ـ الجوابات في الإمامة .

٨٨ ـ مقالة الزيدية والرافضة .

٨٩ ـ البرهان والمرجان ، للجاحظ ـ (١) ٥٧٠

رابعاً : كتب اشترك في تحقيقها وإخراجها :

٩٠ ـ تعريف القدماء بأبي العلاء (بالاشتراك مع لجنة إحياء آثار أبي العلاء) . دار الكتب المصرية ١٩٤٤ م ـ (١) ٦٩٥

٩١ ـ شروح سقط الزند ، للتبريزي ، والبطليوسي والخوارزمي (خمسة مجلدات بالاشتراك مع لجنة إحياء آثار أبي العلاء) دار الكتب المصرية ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩ م ـ (٥) ٢٢٨٨

٩٢ ـ إصلاح المنطق ، لابن السكيت (بالاشتراك مع الشيخ أحمد شاكر) دار المعارف ١٩٤٩ م ـ (١) ٥١٣

٩٣ ـ المفضليات ، للمفضل الضبي (بالاشتراك مع الشيخ أحمد شاكر) دار المعارف ١٩٥٢ م ـ (١) ٥١٤

٩٤ ـ تهذيب صحاح الجوهري (ثلاثة مجلدات ، بالاشتراك مع الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار) دار المعارف ١٩٥٢ م ـ (٣) ١٣٨٣

٩٥ ـ الأصمعيات ، للأصمعي (بالاشتراك مع الشيخ أحمد شاكر) دار المعارف ١٩٥٥ م ـ (١) ٣١٠

٩٦ ـ صحاح الجوهري (ستة مجلدات ، بالاشتراك مع الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار) دار المعارف ـ (٦) ٢٥٦٣

٩٧ ـ الإشراف على طبع المعجم الوسيط ، المجمع اللغوي (مجلدان) مطبعة مصر ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ م ـ (٢) ١٠٨١

٩٨ ـ همع الهوامع للسيوطي (الجزء الأول ، بالاشتراك مع الدكتور عبدالعال سالم) الكويت ١٩٧٤ م ـ (١) ٣٢٣

٩٩ ـ قطوف أدبية ـ مكتبة السنة ، (١٩٨٧) .

١٠٠ ـ كناشة النوادر ـ دار الطلائع ، (١٩٩٣) .

هذا ما قدمه الأستاذ عبدالسلام محمد هارون للمكتبة الإسلامية واللغوية من عيون أمهات كتب التراث المضنون بها ، وقد نفض عنها غبار الزمن بتحقيقاته الرصينة المشهورة غير المسبوق فيها .. والجدير بالذكر أن له من المؤلفات المحررة بقلمه تأليفاً وتصنيفاً ما يربو على هذا العدد المحقق ، وكلها محررات جمة النفع عظيمة الفائدة ولعل أقدمها في مضماره كتاب «تحقيق النصوص ونشرها» وغيره والله سبحانه ـ وتعالى ـ يتولى جزاءه وإثابته .

نظـرات وخواطر

حول شاهنامة الفردوسي

للأستاذ / محمد عبدالوهاب

لقد تابعت باهتمام وتمعّن ، مقالات الأستاذ أحمد مصطفى حافظ ، عن المغفور له الدكتور عبد الوهاب عزام ، وآثاره الأدبية القيمة[1] ، إلا أنني توقفت أثناء قراءتى لمقاله عن الدكتور عزام وشاهنامة الفردوسى ، ولاحظت أن المقال فى حاجة إلى التعقيب عليه ، وأن الشاهنامة ـ أو كتاب (أخبار الملوك) ـ مازال بحاجة إلى إبراز روائعه ، والتغلغل فى صميم مراميه ، وخاصة فيما يتعلق بالمعانى الإسلامية الرفيعة ، التى يزخر بها ، وتذكرت أن الأستاذ العلامة عبد الحميد العبادى ، عميد كلية الآداب السابق بجامعة الإسكندرية ، وعضو المجمع اللغوى ، سبق أن تحدث عن الشاهنامة ومؤلفه ، بإسهاب ، فى كتابه الذى يحمل عنوان (صور وبحوث : من التاريخ الإسلامى) .

(١) انظر عدد مجلة الأزهر الصادرة فى المحرم ١٤١٦ هـ .

ومن ثم أحاول فيما يلى أن أثبت بعض الفقرات البحث الذى أذاعه العبادى من محطة الإذاعة المصرية ، فى السابع عشر من ديسمبر ١٩٣٤ ـ استكمالا للفائدة[٢] ، والذى ذكر فيه أنه قصد إلى التحدث عن الفردوسى ، من حيث إن حياته تلقى الضوء على الحالة السياسية فى آسيا الوسطى الإسلامية ، فى القرن الرابع الهجرى ، ونوّه بأن من أراد سيرة الشاعر نفسه بالتفصيل ، فعليه أن يلتمسها فى مظانها ، وخاصة الشاهنامة ، كذلك يطالع مقدمة (مول) لترجمة الشاهنامة الفرنسية ، وكتاب (نولدكه) عن الشاهنامة ، و (مقدمة) الدكتور عزام لترجمة البندارى العربية للشاهنامة ، كما أوضح أن زميله الدكتور عزام قد نشر هذه الترجمة ، نشرا علميا محققًا .. كما بيّن العبادى أنه اقتبس النصوص الواردة فى بحثه من كتاب الدكتور عزام عن الشاهنامة ومؤلفها .

وفى حديثه عن الفردوسى يذكر أن احتفال الأمة الإيرانية بذكرى مرور ألف سنة على ميلاد شاعرها الأكبر أبى القاسم الفردوسى ، قد دام نحو شهر من الزمان ، ولم تكن الحفاوة بتلك الذكرى مقصورة على الإيرانيين ـ وحدهم ـ ولكن شاركهم فيها العالم المتحضر : شرقه وغربه ، فأوفدت ثمانى عشرة دولة كبيرة إلى إيران ، من يُمثّلها فى الاحتفال بذكرى الفردوسى ، وكان الدكتور عبد الوهاب عزام ـ رحمه الله ـ على رأس وفد مصر ، وألقى فى الحفل بحثا ضافيا عن الفردوسى وشاهنامته ، واحتفى بهذه الذكرى فى عواصمهم : الألمان فى برلين ، والإنجليز فى لندن ، والفرنسيون فى باريس ، والإيطاليون فى روما .

وهناك إضافة ذكرها العبادى ، لاعتذار ابنة الفردوسى عن قبول هدية السلطان محمود الغزنوى ـ بعد الذى كان بينه وبين الفردوسى ـ مما أشار إليه الأستاذ أحمد حافظ فى مقاله بالتفصيل ، وفحوى هذه الإضافة أن السلطان محمود الغزنوى ، أمر أن يُنفق المال فى بعض وجوه البر ، فعمّروا بها رباطا للمجاهدين على حدود إقليم (طوس) ، يقول الأستاذ عبادى معقبا !! وكذلك نفى السلطان عن نفسه ، آخر الأمر ، تهمة التقصير فى حق الشاعر الكبير .. فإن ادعى مُدّعٍ أنه ظلمه فى الأولى فقد أنصفه فى الثانية ، ودلّ بذلك على نفس كبيرة ، وحلم عظيم .

ثم يستطرد الأستاذ العبادى إلى القول بأن «الفردوسى» يتعمد أن يظهر أبطاله وملوكه عند استكمالهم أسباب العزة والجبروت ، فى مظهر النقص والافتقار إلى عون الله ومدده ، مبالغة منه فى توكيد ضرورة الإيمان فى الحياة ، ورغبة منه فى كبح جماح النفوس الطاغية ، وكسر شرة القلوب العاتية ، ويمثل العبادى لذلك من واقع الشاهنامة ببعض الأمثلة ، فعندما خرج الملك (كيخسرو) إلى قتال (أفراسياب) انتقاما لقتل ابنه : (سياوخش) ، جعل يدعو الله ـ تعالى ـ أن ينصره على عدوه ، ويصور ذلك الفردوسى فى الشاهنامة ، بقوله : « ... وبعد ذلك ، اغتسل (كيخسرو) ، ودخل متعبدا ، وجعل طول ليلته يتضرع إلى الله ـ تعالى ـ ويبتهل ويعفّر خديه

(٢) وأثبت البحث بكتابه الدكتور ص ٨٣ .

بالتراب ، ويستنصره على أفراسياب ، ويستعين به ــ تعالى ــ عليه .. » .

ومما ورد فى دعائه قوله :

إن هذا العبد الضعيف ، المُوجع الجسم والروح ، طاف الدنيا فسلك رمالها وقفارها ، وقطع جبالها وبحارها ، طالبا لأفراسياب ، الذى أنت تعلم أنه سالك غير طريق السداد ، وسافك بغير الحق دماء العباد ، وأنت تعلم أنى لا أقدر عليه إلا بحولك وقوتك ، فمكنّى منه .. وإن كنت عنه راضيا ــ وأنت تعلم ولا أعلم ــ فاصْرِفْنى عنه ، وأطفىء فى قلبى نائرة عداوته ، وقف بى على سواء الطريق ، والنهج القويم »[٣].

وعندما عبر الثلج (أسفنديار) وأصحابه فى طريق (هفتخوان) الوعر الشاق ، وجد ذلك البطل المغوار نفسه أمام قوة لا قبل له بها . لم يسعه إلا أن يسلم أمره لله ــ تعالى .. تقول الشاهنامة : « فبينما هم كذلك إذ أظلم الجو واشتدت الريح ، ونشأت سحابة أبرقت وأرعدت ، وأطبقت عليهم ثلاثة أيام بلياليها ، تهيل عليهم الثلج هيلا ، حتى امتلأت الأودية ، فصاح اسفنديار وقال : قد أشتد علينا الأمر ، وليس ينفعنا الآن رجولة ولا قوة ، والرأى أن نلجأ إلى من لا ملجأ منه إلاّ إليه ، فإنه الكاشف للضر ، والقادر عليه ، فاجتمعوا ورفعوا أيديهم وتضرعوا إلى الله ــ تعالى ــ مبتهلين ، ودعوه دعوة الصادقين ، فسكنت الهواء وانجلت السماء »[٤].

وصفوة القول :

أن الشاهنامة ، كما يقول العبادى : « تسترعى اهتمام غير واحد من خاصة المتأدبين ، فاللغوى يطالع فيه صفحة واضحة من تاريخ اللغة الفارسية الحديثة ، والاجتماعى يجد فيه عونا على تصور المجتمع الفارسى القديم ، ومعرفة أخلاق القوم وعاداتهم ومواضعاتهم ، والمَعْنِىّ بالأساطير القديمة ، ينتفع به انتفاعا جمًّــا فى دراسة (الميثولوجيا) الإيرانية المقارنة ، ومؤرخ الأديان يستخلص صورة مجملة لعقائد الإيرانيين القدماء ، والمؤرخ السياسى يرجع إليه فى دراسة النظم الفارسية القديمة ، ويجد فيه صدى قويا لعلاقة الفرس بمن جاورهم من الأمم ، وخاصة الهند والترك والعرب ، والفنان تستهويه بلاغة العبارة ، ودقّة المعانى ، وقوّة التصوير ، يُرى فى الشاهنامة مثلا لكل ذلك ، فالفردوسى يعرج فى سماء البلاغة حتى يُسامى النجم ، وهو فى الوقت نفسه يخاطب الناس بمألوف حديثهم ومتعارف معانيهم .. ثم هو وَصّاف مبدع ، إذا تصدّى لوصف واقعة حربية أراك ميدان القتال ، وجلا على عينك ما يجرى فيه من كرّ وفرّ ، وهجوم وتحيّز .. وأراك السيوف تلمع ، والرماح تُشرع ، وأسمعك تصاول الكُماة ، وصهيل الخيل ، وأنين الجرحى ، وصوّر لك ظَفَر الغالب ، وهزيمة المغلوب »[٥].

وبعد ، فأرجو أن أكون قد وُفّقتُ إلى ما إليه قصدت ، من رغبة فى خدمة البحث العلمى ، وإضاءة جوانبه ، وبالله التوفيق .

---

(٣) المصدر السابق ص ١٨٨ .

(٤) ، (٥) المصدر السابق ص ٩٤ .

بين المجلة والقراء

إعداد وتقديم د/ محمد عبدالحكيم محمد

ترقى الأمم وتتقدم بجهود أبنائها ، لا سيما هؤلاء الذين يحملون مشاعل النور والعلم فيها ، فهم الذين يمهدون لها المسالك الوعرة ويقدمون لها المنهج الأمثل الذى تتقدم به الحياة ـ بتهم ـ فى كل جوانبها ، وكثيراً ما يدفعون حياتهم فى سبيل أن تحيا شعوبهم حياة أفضل ، فهم يسطرون بذلك صفحات تاريخ الأمم .

ولا شك أن من واجبنا أن نبرز دور هؤلاء الرواد ونحكى هذا التاريخ المشرف لأبنائنا ، ففى ذلك شىء من الاعتراف بالجميل .

وفى باب « من أعلام الأزهر » ـ الذى تحرص إدارة التحرير عليه بمجلة الأزهر ـ شيئاً من هذا الوفاء لهؤلاء الرواد الأفاضل .

وقد وردت إلينا رسالة القارىء : محروس عبدالفتاح يس من كلية أصول الدين ـ الزقازيق . يعبر فيها عن أسفه لخلو الساحة الإعلامية من مثل هذا النشاط إلا الشىء اليسير حيث يقول : « الإعلام بشتى صوره ، وبمختلف أدواته ـ المرئية والمسموعة والمقروءة ـ أنيط به دور غاية فى الأهمية .

دور لا يقدر على أدائه ـ كما يجب أن يكون ـ إلا الإعلام ، حيث تصل أجهزته : التليفزيون ـ الراديو ـ الصحف ـ المجلات إلى كل فئات الشعب فى أى وقت وفى كل مكان .

هذا الدور يراد به إبراز المثل العليا والقدوة الحسنة [بين الرواد] وبيان ما أسهموا به من إثراء للحركة الفكرية والثقافة الدينية ، والتركيز على ما أنتجوا من كتب ومؤلفات أثرت عقلية المسلمين وأثرت فيهم ، فزادتهم إيماناً على إيمانهم ... ولكنك المشاهد ـ الآن ـ على الساحة الإعلامية شىء يدعو للأسى والحزن .

حيث لم ينل أعلام الفكر الدينى إلا النذر اليسير من الكم الهائل الذى تطالعنا به أجهزة الإعلام من برامج ومقالات .

وتلقى الباب هذه الرسالة من القارىء/ نجاح عبد القادر سرور ـ مدرس ثانوى وطالب ماجستير بمعهد الدراسات الإسلامية ـ محافظة البحيرة ـ كوم حمادة ـ كفر بولين بعنوان :

المصطفى رحمة العالمين صلى الله عليه وسلم

من فضل الله العظيم على نبيه المصطفى ﷺ أن جعله رحمة مهداة ونعمة مسداة .. فهو رحمة شاملة ، ونعمة كاملة .. يقول سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] ..

روى مسلم فى ـ صحيحه ـ عن أبى هريرة قال : قيل : يارسول الله ، ادع على المشركين . فقال : « إنى لم أبعث لعاناً ؛ وإنما بعثت رحمة » .. فهو ﷺ رحمة للجميع ؛ مسلمين وغير مسلمين .. كباراً وصغاراً .. وامتدت رحمته لتشمل الحيوان والجماد .. فلم يكن عجيباً أن يحن له هذا وذاك .

فقد سجد له جمل لأحد الأنصار استعصى على أصحابه .. وتعجب الصحابة وقالوا : سبحان الله .. بهيمة تسجد لرسول الله ﷺ ! فنحن أولى بالسجود لك يا رسول الله . فقال : لا ينبغى لبشر أن يسجد لبشر ؛ ولو أمرت بشراً أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها .. (رواه أحمد) .

هذا حجر كان يسلم على رسول الله ﷺ (مسلم) وجذع بكى حنيناً إليه ﷺ (البخارى ومسلم) ..

ورحم المصلين الضعفاء ؛ فقال : إن منكم منفرين فأيكم صلى بالناس فليتجوز ؛ فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة .. (رواه مسلم) .

وحين أتاه ملك الجبال وقال له : إن شئت نطبق عليهم الأخشبين . فقال أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئاً ..(البخارى ومسلم) . فهذه رحمة بمن كذب به وعاداه ..

يقول الترمذى : عن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « أنزل الله علىّ أمانين لأمتى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال : ٣٣] فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة . بل إنه رحم المنافقين معلومى النفاق .. واستغفر كثيراً لعبد الله بن أبىّ رأس النفاق .. حقاً إنه كما وصفه ربه عز وجل : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

القرآن الكريم

ويرسل إلينا القارىء خيرى محمد إبراهيم من كفر الشيخ ـ بيلا ـ كفر الجرايدة ـ أبو الروس . تحت عنوان « معارف عن القرآن » .. فيقول :

القرآن الكريم كتاب رب العالمين ، وهو المعجزة الخالدة ورسالة الإسلام الخاتمة ؛ لذا فهو

الكتاب السماوى الوحيد الذى تكفل الله ـ تعالى ـ حفظه ، يقول رب العالمين : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ [الحجر : ٩] والقرآن هو الكتاب الذى يعجز الثقلان ـ الإنس والجن ـ عن محاكاته والإتيان بمثله ، وفى ذلك يقول رب العزة : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ سورة الإسراء

وهو الكتاب الذى يبلغ الدرجة القصوى فى البلاغة والدقة مع السهولة واليسر مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [الحشر : ٢١] .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ . سورة القمر

فإن أحداً لا يبلغ بقوله ما يستحقه القرآن الكريم من درجة الكمال والجلال والعظمة .

وإننا إذ نشكر للقارىء مساهمته نذكر حديث رسول الله ﷺ عن فضل القرآن حيث يقول « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة ، ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مُرٌ ، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر »[1] .

أما رسالة الطالب/ طارق صابر سرحان ـ كفر سعد البلد دمياط .

فتحمل الكثير من الثناء على أسرة تحرير المجلة ونحن ـ بدورنا ـ نشكر له حسن شأنه ورقيق رسالته . ونبرز له ماورد فى نهاية رسالته ، إذ يقول :

« .. ولكن ـ أيها الفضلاء ـ اسمحوا لى أن أوجه لسيادتكم دعوة إلى مزيد من الاهتمام بكتب التراث ، وذلك من خلال هدية مجلتكم ، فنرجو أن تكون ضمن إصداراتكم تلك الكتب التراثية التى لم تصل إلينا ، أو وصلت إلينا ولم نستطع الحصول عليها : إما لندرتها أو لارتفاع ثمنها .

أو من خلال صفحات مجلتكم الغراء ، على أن تنشر على حلقات متتالية ، كما كنتم تفعلون من قبل فتكونون بذلك قد حققتم التواصل بين الماضى والحاضر و .... » .

ونقول للقارىء الكريم :

إن ما تفضلتم به هو الخطة الأولى لكتاب الهدية ، وهى خطة لا نتركها إلا أمام أمر ألمّ بالمسلمين يحتاج إلى سرعة الاستجابة له كما حدث أن فعلت المجلة بالنسبة للأفغان ، والبوسنة والهرسك ، والتعريف بالإسلام والمسلمين فى آسيا الوسطى والشيشان والسنغال واندونيسيا .

ولعل الأخ القارىء يعلم أن من مهمات الصحافة الأولى التلاقى مع الحوادث مع التزام مجلتكم الأزهر بخطها الأصلية .

---

(١) الحديث متفق عليه ورواه الإمام أحمد .

من ابداعات القراء

لا شك ، ونحن نعيش في مجتمع إسلامي ، أنه تسوءنا مظاهر التبرج . ولا شك كذلك أن هذه الأفئدة وتلك الألسن التى تلهج بذكر الله ـ تعالى ـ لن يثنيها شيء عن مواصلة الدعوة الحسنة التي تقودها الحكمة ، حتى تستقيم الأمة على الجادة ، وتتوب إلى طريق الله ـ عز وجل ـ المستقيم ، وحتى تتبوأ مكانتها التي أرادها الله ـ سبحانه ـ لها : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

حول هذا الموضوع وبداء لعودة الحجاب تلقينا هذه المساهمة من القارىء سيد عبد الرحيم :

أين الحجاب ؟

أختاه في عصر الذئاب لا تخلعي عنك الحجاب .
خافي من الله العذاب وتذكري يوم الحساب .

* * *

سيري على نهج الأوائل نهج الطهارة والفضائل ..
ودعي التبرج والرذائل .. فبذاك قد أمر « الكتاب » ..

* * *

لا تعبئي بالهازئين .. أو تسمعي للحاقدين ..
فلأنت دينك خير دين .. تعنو له كل الرقاب .

ويساهم القارىء : هاني محمد عطا المطيرى/ كلية الآداب/ قنا ـ قوص ـ المسيد مع الشاعر فكتب يقول :

« المرأة المؤمنة »

إن المرأة المؤمنة ـ حقا ـ هي التي يجب أن يدل مظهرها على مخبرها ، وأن يبدو لإيمانها وتقواها أثر في ملابسها ، مثلما يبدو في أقوالها وأفعالها .

ففي هذا الزمان فقد كثير من النساء احترامهن بعد أن جرين وراء (تقاليع الأزياء الغربية) ؛ فضاع من المرأة وقارها واحتشامها .

صدر العدد الثانى والثالث من « مجلة الأزهر – كيب تاون » وتلك صورة موجزة لبعض ما ورد فى العدد الثانى :

ففى المقالة الأولى : « معهد كيب تاون الأزهرى » تقرير عن حالة المعهد الدارسية وما وصل إليه الطلاب ، وبعض ما يدرس فيه من المواد التالية : القرآن الكريم – اللغة العربية – العبادات – الآداب العامة .

وفى المقال الثانى : تناول الكاتب (الحج) : «دروس ودلالات» فألقى الضوء على مناسك الحج – وما يستفاد منه .

«والمرأة فى الاسلام» :

فتناول المقال ثلاث نقاط هامة هى : (المساواة – تعدد الزوجات – الميراث) .

وخصص باب لـ « فتاوى الإمام الأكبر شيخ الأزهر » ويعد من أهم أبواب المجلة التى تقدم لغير الناطقين بالعربية .

ونعد القارىء بتقديم موجز عن العدد الثالث قريبا بمشيئة الله تعالى .

ردود وتعليقات

● **فضيلة الشيخ / عبده أحمد الأقرع – إمام مسجد الحناوى .**

● **فضيلة الشيخ / حبيش حسن حسين – خطيب بالأوقاف – طنسا – ببا .**

رجاء ان تكون نماذج الخطبة اكثر اختصاراً ، لتناسب النشر فى الباب ، وتكفى العناصر والاستشهادات مع ضرورة ذكر المراجع بالتفصيل ، حتى تكون تلك النماذج بمثابة الخطوط الرئيسة التى يشكل منها كل خطيب ما يناسب قدراته ، ومتطلبات المجتمع الذى يخاطبه .

● **فضيلة الشيخ / ربيع عبدالعظيم الاكيادى – فاقوس – شرقية .**

مرحباً بكم صديقا عزيزاً للمجلة ، وإذا كانت أمنيتك أن يظل الخط بينك وبين المجلة مفتوحاً ، فان هذا هو هدفنا الأول . وفقنا الله وإياكم .

● **القارىء أ . و . ح :**

نسأل الله – تعالى – لك التوفيق ، ونأسف إذ اضطررنا أن نقول لسيادتكم : إننا لا نقحم أنفسنا فى هذه الموضوعات ، فعليك بإنسان ثقة أمين يكون بجانبك فى هذه المسائل .

● **القارىء : عبدالباسط عبدالشافى – سوهاج .**

حولنا رسالتك إلى لجنة الفتوى بالأزهر .

● **القارىء .. بوبكر / تاجر بلدية .. / ولاية ... / الجزائر .**

وصلتنا صورة ضوئية غير واضحة لورقة أسئلتكم رجاء إرسال أصل مكتوب على الآلة الكاتبة ؛ حتى نتمكن من الرد المطلوب .

● **القارىء : شحاته أحمد ابوبكر – بنى سويف – ببا .**

وصلتنا رسالتك – غفر الله لنا ولك – ونذكرك بقول الله تبارك وتعالى :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة »

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين/ عمر البسطويسى . مصطفى عبد المجيد

برقية شكر من السيد رئيس الجمهورية لفضيلة الإمام الأكبر

الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف :

يسرنى أن أبعث إليكم وأسرة الأزهر الشريف بوافر الشكر على تهنئتكم الرقيقة بحلول شهر رمضان المبارك وما حملته من مشاعر طيبة أعاده الله عليكم وعلى الأمة الإسلامية باليمن والبركات .

الإمام الأكبر يفتتح ملتقى الفكر الإسلامى

افتتح فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ شيخ الأزهر الشريف ـ ملتقى الفكر الإسلامى الذى تنظمه : رئاسة الجمهورية سنويا بالتعاون مع الأزهر الشريف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف وذلك بحضور فضيلة الأستاذ الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف والسيد عمر عبد الآخر محافظ القاهرة ولفيف من قيادات الأزهر ووزارة الأوقاف .

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر فى حفل الافتتاح كلمة أهاب فيها بالمسلمين أن يغيروا عاداتهم وسلوكهم إلى الأفضل حتى يغير الله حالهم إلى أحسن حال ، وأن يجعلوا من هذا الشهر الفضيل فرصة لمجاهدة النفس وتكاتف الجهود لتحقيق الوحدة فيما بينهم والعمل على رفعة الأوطان وناشد فضيلته العلماء أن يبذلوا الجهد لتبصير الناس بأمور دينهم حتى يكونوا بحق خير أمة أخرجت للناس .

وقد افتتح فضيلته اللقاء بقوله : نلتقى فى هذه الليلة لافتتاح هذا اللقاء اليومى إحياء واحتفاء بشهر رمضان الذى كرمه الله فى كتابه الكريم وجعله مثلا للصوم الذى هو سر بين الإنسان وربه ، وكرمه بليلة القدر التى هى خير من ألف

شهر ، والتى فيها أنزل القرآن الكريم . وأضاف فضيلته قائلا : إن هذا الشهر يحوى طرق عبادات شتى طرحها الله ـ سبحانه وتعالى ـ علينا ويسرها لنا لنجعل من هذا الشهر الكريم موئلا لعبادته وتقواه حتى تتغير به عاداتنا وتقاليدنا السيئة إلى أحسن منها .

إن الأعراف والعادات تأتى وتتغير وتأبى إلا أن تكون مستقرة إذا كانت عادات حسنة وأعرافا طيبة ، والإسلام قد أقر العرف والعادة كمصدر للأحكام .

وها نحن أمام فرصة سانحة فى هذا الشهر لتغيير العادات السيئة ـ إذا أردنا ـ إلى عادات أفضل وأحسن ، وهذا التغيير لابد أن ينبع من داخلنا ، ونعمل على تحقيقه ؛ لأن الله ـ تعالى ـ قال :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

الرعد ١١

وقد جعل الله ـ تعالى ـ لهذه الأمة ميزة تلجأ إليها حينما تريد حيث قال ـ سبحانه :

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

الأنفال ٣٣

فإذا لحق الرسول ﷺ بربه ـ عز وجل ـ بقى لنا ـ نحن المسلمين ـ هذه الميزة وهى أن الله ـ تعالى ـ لن يعذبنا مادمنا نعبده ونستغفره ؛ فلنشغل أنفسنا فى هذا الشهر بتلاوة القرآن والذكر والصلاة والاستغفار وكل أعمال الخير حتى تستقيم أمورنا ، وتنصلح أحوالنا .

ولنقبل على الله بالتوبة ، ونحسن الصوم ، ظاهرا وباطنا ونخلص أعمالنا لله ، فالصوم ليس مجرد جوع وعطش وحرمان ، وإنما هو عمل صالح نبتغى به وجه الله ـ تعالى .

وإذا كان هذا الملتقى يبين للناس أحكام الإسلام فى كثير من مشكلات الحياة ؛ فعلى السادة المتحدثين أن يعرضوا على الناس الأحكام الشرعية فيما يطرأ من أمور ، وما يستجد من مشكلات فلا يكفى أن نقول : يا عباد الله اتقوا الله ، ولكن لابد أن نبين لهم وسائل التقوى ، ونعرض لما استجد فى هذه الأمة من ظهور محدثات من الذنوب والسيئات التى لم تكن فيمن كانوا قبلنا ، فلابد أن نبين أمر الله فى هذه المحدثات وكيف نتقيها ، ولا نقع فيها حتى تستقيم أمورنا وتحسن أحوالنا ، ونصل إلى الصواب فى حياتنا ، ونكون بحق خير أمة أخرجت للناس .

الإمام الأكبر يشهد حفل تخريج دعاة العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر بعد ظهر السبت الموافق ٧ رمضان ١٤١٦ هـ ١٩٩٦/١/٢٧ م حفل تخريج أئمة ووعاظ العالم الإسلامى الذين شاركوا فى الدورة الحادية والثلاثين التى ينظمها الأزهر الشريف حيث اشترك فى تلك الدورة أئمة ووعاظ من مختلف الدول : ساحل العاج ـ جزر القمر ـ الجابون ـ سنغافورة ـ كينيا ـ نيجيريا ـ السنغال ـ دول الكمنولث .

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر كلمة للمتخرجين أكد فيها على أن العلمانيين ليس لهم مكان بين المسلمين فى أى بلد إسلامى ، مشيرا إلى أن

الإسلام دين عمل وعبادة وفقا لما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة .

ودعا فضيلته الأئمة والدعاة أن يكونوا قدوة لمواطنيهم فى السلوك والعمل مشيرا إلى أن مسئولية الدعاة عظيمة وكبيرة مطالبا لهم بأن يأخذوا بمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن يكون هذا هو منهجهم فى الدعوة إلى الله .

شهد الحفل : السيد السفير مساعد وزير الخارجية للشئون الثقافية العامة والدينية بوزارة الخارجية سفراء الدول المشاركة فى الدورة ولفيف من قيادات وعلماء الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يشيد بالقوات المسلحة المصرية

دعا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف إلى الإشادة دائما بما حققه أبطالنا البواسل فى حرب العاشر من رمضان ١٣٩٤ هجرية الذى وافق يوم السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣ .

جاء ذلك فى بيان أصدره فضيلته بمناسبة ذكرى النصر العظيم ، وحيا فيه قواتنا المسلحة المصرية جنودا وضباطا وقادة ، أولئك الذين كان على رأسهم السيد الرئيس محمد حسنى مبارك قائد القوات الجوية آنذاك .

وقد أشاد فضيلته كذلك بموقف الشعب والجيش فى يوم النصر ، مشيرا إلى أن الأمة قد استعادت فى هذا اليوم المجيد ذكرى انتصارات غزوة بدر الكبرى .

ودعا فضيلته فى بيانه إلى الأمة أن تكون معركة الإصلاح بذات الجهد وقوة العزم والصدق والمثابرة التى سادت معركة الشرف والكرامة .

الإمام الأكبر يفتتح المجمع التعليمى الأزهرى بالعباسية

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يرافقه الأستاذ الدكتور حسين كامل بهاء الدين وزير التعليم ، مجمع الأمير سلمان بن عبدالعزيز التعليمى الأزهرى ، بمنطقة العباسية وذلك صباح يوم ٢٥ من شعبان ١٤١٦هـ الموافق ١٩٩٦/١/١٦م .

ساهمت كذلك فى إنشاء هذا المجمع : لجنة متضررى السيول لصالح مصر وتكلف ٢ مليون و٢٦٥ ألف جنيه ، واشتمل على معاهد لمراحل التعليم الثلاث الإبتدائية والإعدادية والثانوية .

حضر حفل الافتتاح : السيد الأستاذ عمر عبدالآخر محافظ القاهرة وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ولفيف من قيادات قطاع المعاهد الأزهرية .

فرعان لجامعة الأزهر فى روما وواشنطن

قررت جامعة الأزهر إنشاء فرعين لها فى : واشنطن وروما ، تتولى دراسة المشروع الجديد : لجنة مكونة من الأستاذ الدكتور محمد حسين عويضة والأستاذ والدكتور جعفر عبدالسلام نائبا

رئيس جامعة الأزهر الشريف والأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف .

جدير بالذكر أن اللجنة قد قدمت اقتراحا بأن تكون الدراسة بهذين الفرعين بنظام الأقسام وليس بنظام الكليات .

الإمام الأكبر يرأس اجتماع مجلس الأباء والمعلمين بالمعاهد الأزهرية

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اجتماع مجلس الآباء والمعلمين بالمعاهد الأزهرية ، وذلك صباح يوم الاثنين ٢٣ شعبان ١٤١٦ هـ ١٤ يناير ١٩٩٦ م .

تم خلال الاجتماع بحث الموضوعات المتعلقة بالعملية التعليمية والأنشطة الطلابية والشبابية المختلفة مما يعود بالنفع على العملية التعليمية بالأزهر الشريف .

حضر الاجتماع : فضيلة وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى بالأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ووكلاء قطاع المعاهد الأزهرية ولفيف من السادة علماء الأزهر .

تعاون علمي بين جامعة الأزهر والجامعات الإسلامية بأندونيسيا وماليزيا

تم مؤخرا في (جاكرتا) توقيع اتفاقية للتعاون العلمي والثقافي بين جامعة الأزهر الشريف ووزارة الشئون الدينية الأندونيسية التي تشرف على أربع عشر جامعة إسلامية .

وقد وقع الاتفاقية الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف ووزير الشئون الدينية الأندونيسية .

كما تم توقيع اتفاقية أخرى للتعاون العلمي والثقافي بين جامعة الأزهر والجامعة الإسلامية في ماليزيا .

افتتاح مبنى لكلية اللغة العربية بمحافظة كفر الشيخ

افتتح فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر يرافقه فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف المبنى الجديد لكلية اللغة العربية بمدينة دسوق بمحافظة كفر الشيخ .

تكلف المبنى ٥,٥ مليون جنيه وأقيم بالجهود الذاتية .

شهد حفل الافتتاح : السيد محافظ كفر الشيخ وقيادات وعلماء جامعة الأزهر الشريف .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / محمد عبد الحميد بشير

فلسطين

منعت السلطات العسكرية الإسرائيلية دخول المواطنين الفلسطينيين إلى القدس المحتلة لا سيما مَنْ كان منهم من قطاع غزة . كما حظرت على مواطنى الضفة الغربية أقل من الثلاثين سنة دخولها أيضا لحجة مرفوضة ، هى قولهم : تحسبا لمواجهات مع القوات الإسرائيلية بعد صلاة الجمعة الأولى فى شهر رمضان المبارك ، حيث منع الجميع من دخول المسجد الأقصى وتم احتجاز عشرات المصلين .

ومن ناحية أخرى صادر مستوطنون يهود خمسين (هكتار) من أراضى بلدة (حوارة) القريبة من مستوطناتهم فى مدينة نابلس وأقاموا عليها الأكواخ والأبنية ، كما أطلقوا النيران على الفلسطينيين من أبناء البلدة الذين احتجوا على مصادرة أراضيهم ، ومنعوا الاتحاد العام لعمال فلسطين من عقد جمعيته العمومية السنوية ببيت لحم .

البوسنه

أكد السيد مساعد وزير الخارجية المصرى للشئون الأوربية أن مصر تتمسك بمحاكمة مجرمى الحرب المتورطين فى جرائم ضد الشعب البوسنى وقال : إن هذا الإصرار يمثل موقفا دوليا لا تنفرد به مصر ، وأضاف : أن هناك اتجاها داخل الإدارة الأمريكية لملاحقة هؤلاء المجرمين ومحاكمتهم - وخاصة - بعد اكتشاف المقابر الجماعية فى مناطق عديدة ؛ بسبب المذابح التى ارتكبتها قوات الصرب ضد المسلمين . وقال سيادته : إن رفع العقوبات عن الصرب ينبغى أن يتواكب مع الحل النهائى للأزمة البوسنية ، وتنفيذ (اتفاق دايتون) للسلام ، وأكد أن مصر تتابع مدى التقدم فى تنفيذ هذه الاتفاقيات التى ارتضاها المجتمع الدولى .

دافوس

ألقى السيد عمرو موسى وزير خارجية مصر كلمة مصر أمام المنتدى الاقتصادى الذى عقد

السبت ١٤ رمضان ١٤١٦هـ الموافـــق ١٩٩٦/٢/٣م بمدينة (دافوس) السويسرية ، وشارك فيه ١٦٠٠ عضو من بينهم ١٦ رئيس دولة ، وتناول سيادته فى كلمته : رؤية مصر للتغيرات السياسية والاقتصادية والعالمية وخاصة فى منطقة الشرق الأوسط ، ورؤيتها لاتفاقية التعريفة الجمركية المعروفة باسم (الجات) إلى جانب تجربة الإصلاح الاقتصادى المصريـة الرائدة .

طاجيكستان

انسحبت قوات المعارضة الطاجيكية بعد قتال عنيف مع القوات الحكومية من عمق مدينة تبعد حوالى ١٥ كيلـو متـراً عن العاصمـــة (دوشامبى) . وكانت قوات المعـارضة قد استولت على إحدى نقاط التفتيش فى ضواحى عاصمة (طاجيكستان) لكن القوات الحكومية أجبرتها على الانسحاب إلى ممر جبلى يبعد ٣٥ كيلومتر عن العاصمة .

واتهم الرئيس الطاجيكى قوات المعارضة بمحاولة القيام بانقلاب عسكرى وخرق الهدنة التى اتفق الطرفان على التقيد بها خلال المفاوضات التى جرت بينهما يوم الاثنين التاسع من رمضان .

القاهرة

أعربت مصر عن أسفها الشديد للأحداث التى وقعت مؤخرا فى ولاية « جامو وكشمير » التى نتج عنها : تعريض أرواح الأبرياء العزل للخطر والمبانى الإسلامية للتدمير .. وذكر بيان وزارة الخارجية ، أن مصر تنتهز وجود علاقات قوية وصداقة مع كل من الهند وباكستان « الجارتين لسياسة ضبط النفس وتسوية النزاع بالطرق السلمية » وكانت الهند قد أطلقت صاروخين على أحد المساجد بكشمير ، وذلك أثناء خروج المصلين من صلاة الجمعة يوم السابع من رمضان الماضى مما أدى إلى استشهاد عشرين وجرح العشرات من المسلمين من جامو وكشمير .

البلقان

قام وزير الخارجية الأمريكى بزيارة إلى كل من (زغرب) و(سراييفو) (وتيرانا) و(بلغراد) وأجرى محادثات مع رؤساء كل من (كرواتيا) و(البوسنة) و(صربيا) وركز فى محادثاته فى الدول الثلاث على إزالة العراقيل والعقبات التى تحول دون تنفيذ (اتفاقه دايتون) للسلام فى البوسنة ومن ناحية أخرى قام الرئيس الإيطالى بزيارة لـ (سراييفوا) العاصمة البوسنية وأجرى محادثات مع الرئيس البوسنى (على عزت بيجوفتش) .

كما قام أيضا بتفقد القوات الإيطالية العاملة فى إطار حلف الأطلسى المنتشرة فى البوسنة لتطبيق اتفاق دايتون للسلام .

أنقـــرة

أعلن الرئيس التركي أنه سيكلف زعيم حزب الوطن الأم الذى فاز بـ ١٣٥ مقعدا فى انتخابات ديسمبر الماضى بتشكيل الحكومة الجديدة بعد فشل كل من زعيمة حزب الطريق القويم (١٣٢ مقعد) ونجم الدين أربكان زعيم حزب الرفاه الإسلامى الذى فاز بأغلبية غير حاسمة (١٥٨ مقعد) فى تشكيل حكومة ائتلافية ، وقال الرئيس التركي فى مؤتمر صحفى أنه لن يتدخل لتسوية الخلاف بين الأحزاب ، وأنه فى حالة فشل الجميع فى تشكيل الحكومة المنتظرة سيلتزم بنصوص الدستور الذى يدعو إلى إجراءات انتخابات برلمانية خلال ٦٠ يوما . والمعروف أن عدد مقاعد البرلمان التركي ٥٥٠ مقعدا موزعة على عدة أحزاب لم يحقق أى حزب منها أغلبية مطلقة تمكنه من تشكيل حكومة بمفرده .

الشيشـــان

أكد مسئول شيشانى أن الطيران الروسى شن عدة غارات على مناطق جبلية جنوب الشيشان حيث تدور معارك بين القوات الروسية والمقاتلين الشيشان .

صرح السيد صادق حسن أبو مسلموف الرجل الثانى فى الوفد الشيشانى المكلف بالتفاوض فى شأن مبادلة ١٢ شرطى روسى أسروا منذ احتجاز الرهائن فى داغستان فى رمضان الماضى صرح : بأن عمليات القصف الروسى تسفر عن سقوط قتلى وجرحى يوميا ، وأن معارك تدور فى جنوب شرق الشيشان حيث يطوق المجاهدون وحدة روسية ، ويأتى هذا التصريح تنفيذا وقهرا لما تشدق به القيادة الروسية والواقع أن الحل السلمى الذى ينادون به لن يتحقق إلا باستقلال الشيشان وخروج آخر جندى روسى من الجمهورية المسلمة .

The Final Troop

By : Amr Abdel Taw'wab Alian

O' the blood of the earth, Patience !!
It is not the end of my people
We can pass every hard way
One day, the final troop may sail
To resist all Serbs' troops
To fight all West's potentates
To walk in the same day
And reveal the word of Allah
Who swear that right must be restored

* * *

O' the blood of the earth, Patience !!
It is not the end of my heart
Which loves peace with all pulse,
Refuses injustice in the glorious land.
And lives today with tomorrow's dream.
The sound of the truth cries
Hates the time of the slavery.
The sword wears the dress of Poverty
And we pay the price of refusal.

* * *

O' the blood of the earth, Patience !!
It is not the end of my age
One day, the final troop may stand
To fall all disobedient castles
To revive the sound of right
And reveal the word of Allah
Who swear that right must be restored

Y. Ali : "Still labour hard."

Pickthall : "........ still toil."

Arberry (1971-649) is the only one who discards the /faʔ/ in /fa-nsab/, in a sound interpretation: "So, when thou art empty, labour." Nevertheless, in rendering the same type of /faʔ/ in the next verse, Sura 94, Verse 8 :

وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ٨

All translators seem to have discovered the true meaning of the /faʔ/ in Arabic and that it should not have any equivalent in English.

Moreover, some translators believe that the /faʔ/ may have equivalents other than that which expresses order or succession in time. This may be illustrated in :

Sura 80, Verse 21 :

ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ٢١

In this verse there is a short interval of time between the action of death and that of burial. This shortness in time is expressed by the four translators in question who use 'and' instead of 'then'.

Khatib (792) :

"Then He causes him to die, and buries him."

Y. Ali (1602) :

"21. Then He causeth him to die,
And putteth him in his Grave;"

Arberry (630) :

"Then makes him to die, and buries him."

Pickthall (791) :

"21. Then causeth him to die, and buries him;"

Since the meaning of the original verse expresses the fact that one action comes after another, and this requires the use of 'then' instead of 'and', therefore, it is realized from the above versions that the four translators fail in their choice of the suitable coordinator where they use 'and' instead of 'then'.

ding clause. This is illustrated in :

Sura 94, Verse 7 :

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝

Translators succeed in rendering the first /fā?/ in /fa ?ða/ as 'so' or 'therefore' which imply causality. This causal meaning is agreed upon by many exegetes like Ibn Khalaweih (1989:143) and Abu Al-Saoud (n.d.:173). Their versions read as follows :

Khatib (813) :

"So when you are relieved, then toil."

Arberry (649) :

"So when thou art empty, labour."

Y. Ali (1666-67) :

"7. Therefore, when thou art
Free (form thine immediate taske),
Still labour hard."

Pickthall (812) :

"7. So when thou art relieved, still toil."

On the other hand, the /fā?/ in /fa-nsab/, according to Al-Muntakhab (1986:915), is /fā?-al-jawāb/ (i.e. the /fā?/ of answering a condition). It is not usually translated into English. However, the attitude of translators towards such /fā?/ differs. Khatib (1984:813), for instance, considers it a coordinator which implies succession. That's why he renders it as 'then'; "so, when you are relieved, then toil." Of course, this is a wrong attitude. On the contrary Y. Ali, (1993:1667), as well as Pickthall (1930:812), uses the word "still" which conveys deliberateness, a meaning opposite to the logical relation expressed by /fa?-al-jawāb/.

As for the third and fourth occurrences of the /fā?/ in /fa damdam/ and /fa sawwā-hā/ in verse 14, we notice that the former denotes causality and should, thus, be rendered as 'so'; whereas the latter denotes combination or association rather than sequence or order. It is, thus, preferable to render it as 'and' rather than 'then'. In addition, Ibn Khalaweih (1989:123) explains this matter of combination and similarity in meaning in his exegesis. Consequently, the four translators in question have succeeded in conveying the appropriate communicative equivalent of the /fā?/ in English. This was achieved by substituting it for 'so' in the former, and 'and' in the latter, in a way that suits the functional value in this particular context.

Their versions read as follows :

Khatib (810) :

"So their Lord encompassed them (by retribution) for their perfidy, and made it all even."

Y. Ali (1656) :

So their Lord, on account
of their crime, obliterated
Their traces and made them
Equal (in destruction,
High and low) !

Arberry (646) :

"So their Lord crushed them for their sin, and levelled them;"

Pickthall (809) :

"14. ... so Allah doomed them for their sin and raised (their dwellings)."

B- The /fā?/ used for causation :

Another instance of substitution of conjunctions is the causal /fā?/ which introduces a clause that expresses the result or effect of the prece-

deals with such coordinator in this Qur'anic text as if it were simply an adversative particle.

Y. Ali (1655) :

"13. But the Messenger of Allah
Said to them : ...."

Pickthall, on the other hand, has rendered the /fā?/ as 'and', as if it simply denotes addition.

Pickthall (809) :

"13. And the messenger of Allah said : ...."

As for the first occurrence of the /fā?/ in verse 14 of Sura 91, it denotes an adversative relationship between what follows and what precedes. It means, as Al-Sabuni (1976: Vol. 3, 566) states, that, despite the warning of the prophet to the people of 'Thamud', yet they did not believe him and slaughtered the camel of Allah. Thus, the /fā ?/ in /fa kaŏŏab-ūh/ is quite appropriately rendered as 'but' as it appears in Khatib's, Arberry's and Pickthall's versions :

Khatib (810) : "But they cried lies to him."

Arberry (646) : "But they cried him lies."

Pickthall (809) : "But they denied him."

Y. Ali is the only one who renders it as 'then' as if it were simply the /fā?/ of succession.

Y. Ali (1655) :

"Then they rejected him
(As a false prophet)."

At the same time, the second occurrence of the /fā?/ in /fa çaqar-ū-hā/ of the same verse is rendered as 'and' by the four translators. Perhaps, this is because, according to Al-Sabuni (1976 : Vol. 3, 566-67), there is no time mentioning between the action of denying and that of slaughtering the camel; that is to say, both actions are associated with each other.

Difficulties in Translating Coordination in Qur'anic Verses Part X

By : Maha Yousry El Tagouri Ph.D.

Substitution of Coordinators with the /fa?/ :

A- The /fa?/ used for succession :

There are different approaches in rendering the coordinator /fa?/. These can be illustrated in :

Sura 91, Verses 11 - 14 :

كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾

It is believed that the first /fa?/ in /faqala/ denotes order or succession which, as discussed before, is used to express that a given action usually takes place after another. It should thus, be rendered as 'then', as it appears in Khatib's and Arberry's versions.

Khatib (810) :

"Then the messenger ...

Arberry (646) :

"Then the Messenger ...
They both convey the function of the original /fa?/, unlike Y. Ali who

AL-AZHAR MAGAZINE

Shaw'wal 1416 Hijrah,



ENGLISH SECTION

Vol. 68 part X

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah : .
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

الفهرس



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

إلى الرحمن الرحيم

أيها الراحل الكريم



(٥/٤/١٩١٧ - ١٥/٣/١٩٩٦)

رحمه الله



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور/ علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حافظ عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فاضل خفاجة

المراسلات: باسم مدير التحرير - الإدارة العامة للأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٥٩٩٠ - ٥٤٧٣٠٦٣٨ - ٥٩٠

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

ذو القعدة ١٤١٦ هـ - مارس / ابريل ١٩٩٦ م - الجزء الحادي عشر - السنة الثامنة والستون

حتى صباح الجمعة الخامس والعشرين من شوال سنة ست عشرة وأربعمائة وألف (١٥ / ٣ / ١٩٩٦) كان الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ فى منزله بـ «المنيل ـ بالقاهرة» يعكف على مراجعة البريد الوارد إلى مكتبه حتى صباح الخميس من كافة أنحاء العالم : أفراد ، وجماعات ، ومؤسسات ، مضافا إليه بريد الجهات الرسمية الأزهرية ، وهو بريد يُعَبَّأ له ـ عادة ـ فى بضعة مظاريف تصحبه إلى بيته حتى إذا نشط بعد قليل من الراحة قام بدراستها .. وطالت دراسة هذا اليوم مع ما تبقى لروحه من شعاع فى هذا الجسد المضنى حتى ما بعد الثانية من صباح الجمعة ، وقد بدأت القاهرة تستعد لاستقبال فجر جديد ، وأنشأت روح الشيخ تلتقط ما تبقى من شعاعها لترحل به إلى الملأ الأعلى .. إلى الرفيق الأعلى .. إلى الرحمن الرحيم .

ترك دنيانا على خير ما نعرفه من مرور الكرام ، ورصيدُهُ للعالم فقه زاخر ، ألقى نظرة سريعة على (مُجَلَّدهُ الخامس) بمكتبه فى هذا الخميس الأخير من حياته هذا المجلد الذى تسلمه مكتبه من مطبعته أخيراً ، بينما قبع فى مكتبه كمية من فتاويه تعادل نحو ثلاثة مجلدات أخر مماثلة للخمسة المطبوعة جامعة لفقهه وبحوثه .. وكل بين يديه ـ بمشيئة الله ـ زاد لآخرته ، وبين يدى العالم فقه كريم لما جدَّ على هذا العالم من شئون حديثة طلب فيها إلى الشيخ أن يبين له أحكامها فما تأخر .

رحل ـ رحمه الله الرحمن الرحيم ـ سليم الفتوى من الهوى ، مصونا من الإعجاب بالرأى .. إنما أحكام الكتاب العزيز والسنة الشريفة وفقه العلماء منذ عرف الإسلام علماءه يطوف الشيخ بين ذلك كله ليدفع به إلى ضياء القرآن الكريم ، ونور السنة الشريفة ليخلص بعد ذلك إلى حكم يستريح إليه ضمير العالم الحافظ ومن هنا كان حكمه على مؤتمر السكان ومؤتمر المرأة وغيرهما وغيرهما ..

كذلك كان الشيخ فى علمه ، وأمام أسماعنا وأبصارنا . نحن الذين شاء الله ـ تعالى ـ أن نعمل معه فأما الشيخ فى خُلُقه ، وفى معاملته لمن معه ، فقد عرفناه برا ورحمة فى مصر وخارج مصر وكم أرجو أن يُتاح لى وقت أسجل فيه ـ بكرامة الأديب ، وشرف القلم ، وسماحة النزاهة ـ ما أستطيع به أن أضع صورة حية لهذا الفقيه الجليل .

بقى أن أقول ما كان للشيخ أمنية سمعتها أذناى ووعاها قلبى بحضرة ثالثنا فضيلة الأستاذ الدكتور على جمعة بجامعة الأزهر الشريف ، ومنذ أشهر عدة ، قال الشيخ : «إن أحياه الله إلى عام سيعقد مؤتمر مجمع البحوث لينظر فى مواقيت الصلاة والمكاييل والموازين» أى لتكون معروفة للعالم الإسلامى ، وبخاصة وقت الفجر الذى يقتضى تحريه أن يكون بعد التوقيت الجارى العمل به ، وعند أخى د / على جمعة تفصيل ذلك .

وداعا أستاذنا الراحل .. لَلآخرةُ خير لك من الدنيا ، وحسبك مصابيحُ فقهك فى الناس .. رحمك الله الرحمن الرحيم ، وسلام عليك فى العاملين .

د. على أحمد الخطيب

.. الرئيس / محمد حسني مبارك .

ينعى إلى الأمة الإسلامية فقيد الأزهر

الشيخ جاد الحق على جاد الحق

قال الرئيس مبارك رئيس جمهورية مصر العربية فى نعى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق : لقد فقدت اليوم مصر والأمة الإسلامية ، عالما جليلا من علماء الأزهر الشريف ، ألا وهو فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ، الذى حمل الأمانة وأدى الرسالة محتصما بدين الله متمسكا بشريعة الإسلام ،ما تهاون يوما فى حق من حقوق الله أو واجب فرضته عليه مسئوليته حيال جموع المسلمين ، فحافظ على مرجعية وقدسية الأزهر الشريف ، ليظل منبرا لصحيح الدين تتجه إليه عقول العلماء والمفكرين وأفئدة كافة المسلمين .

فكان الفقيد الجليل دائما فى مقدمة علماء الأزهر الذى يحملون راياته عالية خفاقة ، ويوضحون جوهر الدين الحنيف فى السماحة والحرية والعدل والهداية والتنوير .

وأضاف الرئيس فى نعيه :

لقد فقدت مصر كلها وأزهرها الشريف عالما له تاريخه الطويل الحافل بكل ماهو رائع وجليل ، فكان عالما حين تولى مسئولية الافتاء كمفتى للديار المصرية ، وكان شامخا فى إمامته لأزهر المسلمين ، وكان للفقيد الجليل مواقفه فى قول كلمة الحق فى كافة قضايا الإسلام لايخشى فى ذلك غير المولى - عز وجل ، وكان شجاعا إزاء كل القضايا التى تربط الإسلام بالتحضر والتقدم والتطور .

رحم الله الفقيد وطيب ثراه وجعل الجنة مثواه وأسكنه فسيح جناته فى المقام الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولائك رفيقا .

وصية الإمام الأكبر وجنازته

وصية الإمام الأكبر

أوصى الإمام الأكبر أثناء زيارته الأخيرة لقريته (بطرة) بالدقهلية أن يدفن بجوار مسجده الذى بناه منذ عامين على نفقته ، وان يشهد غسله فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، وان يؤم صلاة الجنازة عليه فإذا لم يتمكن فليؤم المصلين الشيخ إسماعيل صادق العدوى إمام وخطيب الجامع الأزهر .

وقد تم تنفيذ كل وصايا الشيخ الجليل ، حيث صلى الجنازة عليه الشيخ الشعراوى وتم دفنه فى مسجده بقرية بطرة .

وفى موكب مهيب وعقب صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر ، ودعت مصر الإمام الأكبر وقد أمّ فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى صلاة الجنازة على جثمان الفقيد ، ثم خرجت الجنازة واتجه بها المشيعون الى حديقة الدراسة ، قبل أن يتم نقل الجثمان إلى مثواه الأخير بمقابر الأسرة بقرية بطره مركز طلخا بمحافظة الدقهلية .

تقدم المشيعين الدكتور كمال الجنزورى رئيس الوزراء مندوبا عن الرئيس مبارك ، والدكتور أحمد فتحي سرور رئيس مجلس الشعب ، والدكتور عصمت عبدالمجيد الامين العام للجامعة العربية ، وصفوت الشريف وزير الاعلام ، والدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف ، وحسن الألفى وزير الداخلية ، والدكتور زكريا عزمى رئيس ديوان رئيس الجمهورية ، والدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر وكبار علماء الإسلام ، وصفوة من رجال الكنيسة وعشرات الآلاف من المواطنين .

كلمات في رثاء الإمام الأكبر

نعى رئيس مجلس الوزراء والوزراء

قال الدكتور/ كمال الجنزورى رئيس مجلس الوزراء فى نعى فضيلته :

إن مصر وهى تودع فقيدها الغالى الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، لتدرك أن العالم العربى والإسلامى يشاطرها كل مشاعرها الحزينة إزاء فقد رجل استطاع بسجاياه الشخصية الفريدة ، ومنصبه الرفيع أن يقدم لمصر والعالم الإسلامى نموذجا للأداء المبهر فى بساطة آسرة ، وقدرة عالية على استجلاء جوهر الأمور والوصول بها إلى عقول وقلوب الآخرين ، فى قوة لاتجافى التسامح وفى عالم لايعرف الترفع . كل ذلك فى إطار شخصية حباها الله نورانية هادية ، وطدت مابينه وبين القلوب بالمحبة والعرفان . وإننى وزملائى الوزراء إذ ننعى إلى الأمة المصرية والعالم الإسلامى كله الفقيد العظيم ، نشعر بمدى الخسارة بفقد هذا المعلم الدينى والعلمى .

وعزائى أن ما أعطاه الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر لوطنه ولأمته الإسلامية سيظل نبراسا تهتدى به أجيالنا المتعاقبة . اللهم نسألك أن تتغمد الفقيد بواسع رحمتك ، وأن تجزيه خيرا عما أدى ابتغاء مرضاتك ، وان تلهم أسرته وتلاميذه القدرة على السلوان ، وأن تعوض عنه هذا الوطن العزيز لكى يظل دائما متجدد العطاء .

نعى رئيس مجلس الشعب

الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب ووكيلا المجلس وأعضاؤه والأمين العام ينعون بمزيد الحزن والأسى صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الذى انتقلت روحه الطاهرة إلى بارئها بعد حياة حافلة بالعطاء والعمل فى خدمة الدين والدعوة الإسلامية من أجل خير البشرية ويسألون المولى عز وجل أن يتغمد الفقيد الكريم بواسع رحمته ويلهم آله وذويه الصبر والسلوان .

فقيد الإسلام والأزهر الباحث دائماً عن الحقيقة

بقلم فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر

استعرض فضيلة الوكيل تاريخ الإمام الأكبر إلى ان عمل قاضيا ، ثم قال :

حصل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر - رحمه الله - على الشهادة العالية من كلية الشريعة بالأزهر الشريف عام ١٩٤٣م ، ثم على الشهادة العالمية مع اجازة القضاء الشرعي عام ١٩٤٥م وبعد حصوله على الشهادة العالمية عين بالمحاكم الشرعية عام ١٩٤٦م ثم قاضيا بتلك المحاكم .

وكان لعمل فضيلته في سلك القضاء منهج جعله يزن الأمور بميزان دقيق ، ويتريث جيدا قبل اتخاذ أى قرار فلما عمل بالإفتاء كانت هذه عادته - رحمه الله - وكان هذا دأبه ، هادىء الطبع ، حريص على التأصيل الفقهي والشرعي .

وكان له أسلوب علمي متميز ومسلك دقيق ، من حيث النظر إلى الفتوى وكأنها بحث علمي شامل ومتكامل ، وكان يرجع في بحثه دائما إلى أكثر من مصدر من المصادر المتنوعة والمراجع المختلفة .

وكان يضيف الكثير من المعلومات بل ربما كان يغير من رأيه نتيجة للوصول إلى حكمة كانت خافية ، أو رأى كان غائبا أو غامضا ، فكان دائم البحث عن الحقيقة وكان في بحثه - لاستخراج الحكم الصحيح - صبورا ودقيقا لا يكل ولا يمل .

ومما لا شك فيه أن هذا الأسلوب الرائع والمتميز للوصول إلى أدق المعلومات والنتائج جعل فضيلته - رحمه الله - موضوع ثقة في جميع المجالات التي عمل بها .

فلما انتقل - رحمه الله - إلى الأزهر الشريف كان يرى أن الأزهر هو صمام الأمان للدعوة الإسلامية ، بل هو صمام الشريعة والعقيدة وهي أصل الدين ، ذلك لأن الأزهر له دوره البارز ورسالته السامية .

ومما يؤثر عنه - رحمه الله - أنه كان يقول : « إن الأزهر ليس هو الجامع فقط أو المبنى فحسب - كما يقول البعض الذين لم يعلموا أن ظل الأزهر امتد في كل مكان ، واتسعت وانبسطت مظلته لتحنو في رفق كريم وظل ظليل على كل مكان في أرض مصر ، وفي خارج مصر حيث انتشرت فروعه من معاهد بلغت الآلاف وكليات تفوق الخمسين عمت الكثير من المدن في ربوع الوطن .

وإن الأزهر إيمانا منه برسالته الدينية والعالمية وإصراره على حماية هذه الرسالة ليبذل في سبيل تحقيقها كل شيء ليعم نفعه وتمتد فيضه إلى جميع أنحاء الدنيا في أسلوب لين سلس ، ليؤدى رسالته التى فرضت عليه وهى نشر الإسلام والذود عن حياضه ورفع رايته عالية خفاقة .

وكان فضيلته - رحمه الله - يرى أن أبناء الأزهر باتتمائهم لمعهدهم وأزهرهم العريق ، وبما غرسه فيهم من قيم سامية ومبادىء راسخة ، وعقيدة صادقة ، واعية ، لم يجرفهم تيار العنف إلى الانحدار في مغبة الغوغائية ، وذلك لأن هذا المعهد العتيد رسخ فيهم الأسس الثابتة لهذا الدين الحنيف ، وأصل فيهم القواعد المتينة التى تستطيع أن تقف صامدة مؤمنة بربها مدافعة عن دينها .

فرحم الله الفقيد وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى

ينعى الإمام الأكبر شيخ الأزهر

لا أجد فى استقبال ما أصابنا فى خير علمائنا : أخى خالد محمد خالد ، الذى انتقل من الشك لليقين ، وكان تراثه فى اليقين قاسما لتراثه فى الشك .

وأخى الغزالى فارس كل ميدان كلمة يقرأ ويعجب ، ولسانه يتكلم فيطرب ، سلوكه أسوة يعلم الناس ما التزم به .

والحال فى مصابنا شيخ الأزهر إمام المسلمين ، شيخى ومعلمى الشيخ جاد الحق على جاد الحق .

لا أستطيع فى هذا الموضع إلا أن نقول بما علمنا الله بلطفه : « إنا لله وإنا إليه راجعون » من يقولها يشعر ببرد الإيمان على كل مصاب ، وحسب كل مصاب ان يذكر مصيبته فى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

إن الموت الذى نشهده فى كل لحظة أمر يتفق فيه كل الكون ، ولا يخرج منه إلا المُكَوِّنُ لهذا الكون ، كل شيء هالك إلا وجهه ، فليس الإنسان وحده بل الكون كله .

قضية الموت قضية مشتركة يستوى فيها كل مُكَوَّنٍ من رب الكون ، ولها مع العقائد مواقف تتلخص فى أمرين : حينما تحدث الحق تبارك وتعالى عن الموت والحياة قدم الموت « الذى خلق الموت والحياة » نلاحظ أن الحياة لها غرور واستعلاء ، فيريد الله سبحانه وتعالى ألا نستقبل الحياة بغرورها .

فإن الكافرين الذين تمردوا على الله فكفروا ، والعاصين تمردوا على الله فلم يطيعوا ، كان لابد أن يكون لنا ـ بالموت ـ معهم وقفة فقد ذقتم الموت فلم لم تؤمنوا به؟ ولماذا لا تتمردون على الموت ؟! كان يجب أن تراجعوا أنفسكم ، وسيأتى اليوم الذى تشعرون بذلك .

إذن فلو لم يخلق الموت والحياة ، لما وجد من يكفر بالله .

إن تأبين شيخى يطول ، فله فى مجالات الخير والحق والدعوة ما سوف تذكره الأيام ولا ينساه التاريخ ، وحسبنا رئيس الدولة فى نعيه فى مصابنا قال : « أنه لم يخش إلا الله » أنه دافع عن مرجعية الأزهر وقدسيته ، ومعنى ذلك أن أى شيء فى الدين يؤول إلى الأزهر .

الشيخ الإمام الأكبر وقف فى مساجلات متعددة ، ومؤتمرات ، ومؤامرات قال فيها قولة الحق التى حرقت فيها كل بهتان .

وحسبنا ما يقوله رئيس الدولة فيه : أنه وقف من الإسلام مما يقال عن الإسلام .
علمنا من شيخنا أنه يجب ألا نُعصِّر الدين بل يجب أن ندين العصر فعصرنه الدين تعنى أنه غير كامل حاشا لله « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » فلا ترضوا بعقولكم عما رآه ربكم .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزى شيخنا خير الجزاء عما قدمه لدينه وأمته ومواقف صلبة قال عنها رئيس الدولة : « مواقف شامخة » .
وحسبه أنه مر بمراحل القضاء فتعلم منه دقة الميزان ، والافتاء وتعلم منه قوة الإيمان .. ثم جاء إلى الأزهر .. حقل القرآن .

فى وزارة الأوقــــــاف

الشيخ جاد الحق علامة مضيئة فى تاريخ مصر ، لأنه تربع على كرسى القضاء ، فكان الفقيه المتمكن ، والقاضى المتبحر الذى يجعل الحق يصل إلى أصحابه ولايخشى فيه لومة لائم ، ثم انتقل إلى دار الإفتاء فكانت فتاواه فى المسائل التى كان الكل يهاب الاقتراب من ساحتها ، لكنه بعلمه وسعة أفقه استطاع أن يجعل دار الافتاء ساحة يفد إليها الكل وهو يجد المكانة فى قلب المفتى العظيم الذى بدأ يقتحم المسائل العلمية بجدارة فقهية وعلمية .

وشاء القدر أن يكون وزيرا للأوقاف ، ومع تقدم سنه بدأ يجوب البلاد للتعرف على مشاكل الدعاة ويضع الحلول الفورية ، فهو أول من وضع الضوابط لمجالس الادارات بالمساجد ، كما أنه هو الذى قال لقيادات الدعوة بالوزارة : « افتحوا أعينكم على الأماكن النائية وابعثوا إليهم بالعلماء » ، فوضعت ضوابط قوافل التوعية إلى غير ذلك من المشاكل التى حلها بالروح العلمية مع جميع أخوانه من حوله .

ولما كان الرجل بطيب قلبه وسماحة نفسه وعلو همته وبعد نظره ورأيه الثاقب هيأ الله الأمر له ليكون إماما للمسلمين وشيخا لهم ، فجاب العالم وطاف فى المجتمعات وشارك فى المحافل وفى العالم الإسلامى ، وهكذا كان المثل الأعلى لإمام المسلمين لدى جميع المستويات التى التقت به وشرفت بالمثول بين يديه ، الأمر الذى جعل الأزهر فى مصر المكان المرموق الذى يفد إليه كبار الشخصيات العالمية .

نعى دار الإفتاء المصرية

● أما فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية فقد نعى فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وقال : لقد أدى فضيلته رسالته على الوجه الأكمل ، وخدم دينه خدمة عظمى ، وخدم أمته ، ودافع عن كل قضايا المسلمين ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل ماقام به فضيلته من جهود لخدمة دينه وأمته فى ميزان حسناته يوم نلقاه جميعا .. كما نسأل الله سبحانه وتعالى أن يلحقنا بفضيلته فى زمرة الصالحين .

واضاف فضيلة المفتى : لقد عرفناه عالما تقيا يجاهر بكلمة الحق ، ويعلن موقف الإسلام ، ينصح ويرشد ويوجه ، ويدعو المسلمين فى كل مكان إلى التوحد والتضامن والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، لذلك اكتسب حب الناس ورفع من شأن الأزهر .

ويؤكد الدكتور طنطاوى أن الإمام الراحل له جهوده المشهودة فى الابحاث الفقهية ، وقد أضاف الكثير لدار الافتاء خلال توليه المسئولية مفتيا ، فله منا جميعا كل محبة وتقدير ، وكل العاملين فى دار الافتاء يسألون الله سبحانه وتعالى أن يدخله فسيح جناته جزاء ماقدم للإسلام والمسلمين .

نعى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت

جناب الأزهر الشريف فى جمهورية مصر العربية ـ القاهرة ـ ومن جنابهم إلى أسرة الفقيد الراحل فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق رحمه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد آلمنا نبأ وفاة فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق رحمة الله ـ تعالى ـ عليه الذى سخر حياته لخدمة الإسلام والمسلمين ، وإننا إذ نتقدم منكم بأحر التعازى نسأل الله العزيز الرحيم أن يلهمكم الصبر والسلوان ويرحم الفقيد الغالى ويكرم مثواه .

وإنا لله وإنا إليه راجعون

دكتور على فهد الزميع
وزير الأوقاف والشئون الإسلامية

نعى جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية بلبنان

لقد فقدت الأمة الإسلامية بوفاة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق قطب من أقطاب الفكر الإسلامى ، فلقد أثرى الساحة الفكرية بفكره المستنير ، واتجاهه العلمى الغزير وقدم للمسلمين نموذجا للخلق الإسلامى الرفيع ، وسلك إلى الدعوة إلى الله الحكمة والموعظة الحسنة ، وتصدى للباطل ودافع عن الحق .

رحم الله الفقيد وخالص العزاء لنا وللأمة الإسلامية وللشعب المصرى الكريم وللأزهر الشريف ولأسرة الفقيد مع دعواتنا أن تكون سيرته العطرة قدوة لأجيالنا ، وأن يجزيه الله خير الجزاء عما قدمه لنا وللأمة الإسلامية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

نعى رئيس جامعة الأزهر الشريف

الدكتور أحمد عمر هاشم

أيها السادة :

ما أعظم مصابنا فى فقيد الإسلام والأزهر الشريف فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف الذى ودعناه بدموعنا ، والذى سيذكره التاريخ بأحرف من نور ، مسجلا للأجيال القادمة شموخ هذا الرجل الذى جسد للبشرية جماع الدور الريادى وعقيدتها ولغتها وأرسل علماءه إلى كافة بقاع المعمورة هادين ومبشرين ومنذرين .

فعزاؤنا اليوم أيها الأخوة فى مصابنا الجلل قول الرسول ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية أو ولد صالح أو علم ينتفع به » ولقد تجمعت هذه الخصال الحميدة فى إمامنا الراحل الذى نشر المعاهد الأزهرية على كافة ربوع ونجوع مصرنا الحبيبة وفى العديد من الأقطار الأخرى وامتد صرح أعماله الشامخة لتشمل جامعة الأزهر الشريف ، فأشرف على بناء العديد من فروع الجامعة فى داخل مصر وخارجها .

لقد جسد شيخنا وإمامنا الراحل عظمة الأزهر فى أعظم وأشمخ المعانى فى نفوس المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، فكلنا يعرف ـ مثلاً ـ ماحدث لفضيلته عند زيارته الى باكستان واستقبال الرئيس / ضياء الحق لفضيلته فى المطار ، وعندما قال لسيادته بعض مستشاريه أن البروتوكول يقتضى أن يقوم رئيس الوزراء باستقبال فضيلة الإمام الأكبر ، لأنه على نفس درجته فكان رد معالى الرئيس ضياء الحق شافياً للصدور حينما قال : يوجد مئات من رؤساء الجمهوريات ، ولكنه لايوجد إمام واحد للمسلمين إلا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ، فهل هذا كثير على رئيس مثلى ليكون فى شرف استقباله ؟

هذه لمسة من ألوف الأمثلة الشامخة التى توضح المكانة السامية لإمامنا الجليل فى قلوب المسلمين ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، وعزاؤنا فى فضيلته قول المولى عز وجل ﴿ ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ﴾ ولايفوتنى أن أزجى بالغ شكر الأزهر للسادة الحضور الذين قدموا للعزاء فى فقيدنا الراحل وأشكر جميع الدول العربية حكاماً وشعوباً وعلماء ومفكرين على شعورهم الصادق فى عزائهم لفقيدنا الراحل .

وأتضرع إلى ربى أن يُدخل شيخنا الراحل فى جنات عدن وأن يجعل مثواه مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً ، اللهم لاتحرمنا أجره ولا تفتنا بعده .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نعى منظمة المؤتمر الإســــلامى بجــدة

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أصحاب الفضيلة بمشيخة الجامع الأزهر الشريف حفظهم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ..

إن العين لتدمع والقلب ليحزن ولانقول إلا ما يرضى الرب ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

بقلوب مليئة بالحزن والأسى بلغنا نعى الفقيد العظيم ، الإمام الأكبر ، الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، شيخ الجامع الأزهر الشريف ، ورئيس مجمع البحوث الإسلامية ، والذى كانت له عدة مواقف مشهورة فى الدفاع عن الإسلام والمسلمين ، وإننى إذ أشاطركم - وأسرة الفقيد وحكومة مصر والشعب المصرى النبيل ، والأمة الإسلامية - الألم والأسى أعرب لكم جميعاً باسمى شخصيا وباسم أسرة مجمع الفقه الإسلامى بجدة ، عن أحر التعازى وأصدق المواساة ، سائلين الله عز وجل أن يتغمد الفقيد برحمته الواسعة ويدخله فسيح جناته ويلهمكم وأهله وذويه الصبر والسلوان .

محمد الحبيب ابن الخوجة

الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامى بجدة

نعــى أليم

يحتسب المشير عبدالرحمن سوار الذهب نائب رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والاغاثة ، ورئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية والأمين العام للمنظمة والمدير التنفيذى والعاملين بالمنظمة فى كل من افريقيا وأوربا الشرقية ودول الخليج :

يحتسبون - عند الله - تعالى - فقيد الأمة الإمام الأكبر الدكتور جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ورئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والاغاثة سائلين المولى - عز وجل - أن يتغمده بواسع رحمته مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وإنا لله وإنا إليه راجعون

المشير عبدالرحمن سوار الذهب

نعى المـركز الإسـلامى بلنــدن

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ / سيد سعود وكيل الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله

فقدت الأمة الإسلامية وجمهورية مصر العربية علما من أعلام الإسلام ومجاهداً بالفكر والكلمة من أجل إعلاء راية الاسلام فى ربوع العالم ألا وهو المرحوم فضيلة الشيخ / جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، طيب الله ثراه ، وجزاه خير الجزاء عما قدمه للإسلام والمسلمين .

وأئمة المركز الإسلامى بلندن يشاطرونكم الأحزان فى فقيد الأمة الإسلامية ، ويسألون الله أن يتغمده بواسع رحمته .

أئمة المركز الاسلامى بلندن

نعى البعثة الأزهرية بجمهورية المالديــف

أستاذنا الكبير فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الجامع الأزهر الشريف ـ حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،،،

فلقد تلقت البعثة الأزهرية بجمهورية المالديف نبأ وفاة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر الشريف ببالغ من الأسى والحزن .

ولقد كان هذا الواقع الأليم أشد الأسى فى قلوبنا وقلب الشعب المالديفى ، إذ أعلن الحداد فى هذه الجمهورية الإسلامية لمدة ثلاثة أيام ، ونكست الأعلام فى الدوائر الحكومية ، والبعثة الأزهرية تتلقى واجب العزاء فى فقيدها الراحل وتصلى صلاة الغائب اليوم فى جامع المركز الإسلامى الذى شارك فضيلته فى افتتاحه وساهمت مصر العربية فى بنائه .

ونحن نرفع الى فضيلتكم تعزية البعثة الأزهرية ومعهد الدراسات الاسلامية والمدرسة العربية الاسلامية إدارتيهما وهيئتى التدريس وطلابهما ، كما نرفع هذه التعزية إلى أسرة الفقيد الكريمة ـ ويشاركنا فى هذا الواجب وزراء جمهورية المالديف وكبار رجالها وشعبها المسلم سائلين المولى ـ تبارك وتعالى ـ أن يتغمد الفقيد برحمته الواسعة ورضوانه الكريمّ ، وأن يلهم أهله الصبر والسلوان ، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء .

إنا لله وإنا إليه راجعون

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فوزى أبو اليزيد محمد عبدالفتاح

رئيس البعثة الأزهرية بجمهورية المالديف

نعى نقــابة الصحفيين

كذلك نعاه مجلس نقابة الصحفيين فى اجتماعه يوم وفاة شيخ الأزهر ، برئاسة الأستاذ إبراهيم نافع نقيب الصحفيين ، وقال المجلس فى بيانه :

إن حياة الفقيد كانت حافلة لخدمة الأمة الإسلامية وتأدية رسالته السامية إلى العالم الإسلامى .

محافظة الدقهلية تكرم اسم الإمام الأكبر

وأكد السيد فخر الدين خالد محافظ الدقهلية على أن المحافظة سوف تكرم اسم شيخ الأزهر التكريم الذى يليق بشخصيته ومكانته الدينية فى العالم الإسلامى .

نعى المعهد الإسلامى بباريس

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

فوجئنا بوفاة المرحوم الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف عليه رحمة الله ، أحيا السنة وأمات البدعة . تلقفته أيد الملائكة ، ليحشر مع النبين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

كانت حياة الشيخ رحمه الله خالصة لوجه الله الكريم ، حافلة بالمآثر ، لم تشغله الدنيا عن الآخرة كرّس حياته للعلم النافع ، وأدى الأمانة كأحسن مايكون الاداء .

لقد بقى فينا تراثه وعلمه وإرشاداته وتوجيهاته ونصائحه .

جزى الله الفقيد عن الإسلام والمسلمين خيراً ، وألهم أهله الصبر والسلوان وأدخله فسيح جناته ، ووفق الجميع الى الاقتداء به .

قال تعالى : ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ صدق الله العظيم

الدكتور دليل أبو بكر
عميد المعهد الإسلامى بباريس

نعى سفارة جمهورية مصر العربية بالأرجنتين

السيد الأستاذ مدير مكتب فضيلة شيخ الجامع الأزهر تحية إسلامية صادقة .

أتشرف بأن أبعث رفق هذا : الفاكس الذى تلقته السفارة من جمعية الصحافة المصرية الارجنتينية للعزاء فى وفاة فقيد مصر والعالم الإسلامى الراحل شيخ الجامع الأزهر .

وإذ تقدم السفارة أيضا خالص العزاء فى الفقيد الكبير ، لترجو لأسرته خاصة والمسلمين عامة الصبر والسلوان .

ولا أراكم الله مكروها فى عزيز لديكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

نعى الجمعية المصرية الأرجنتينية

تشاطر جمعية الصداقة الأرجنتينية الأمة المصرية أحزانها فى الفقيد الكبير فضيلة شيخ جامع الأزهر تغمده الله برحمته وأدخله جناته .

نعى وزير التربية والتعليم بجمهورية المالديف

صاحب الفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الجامع الأزهر الشريف ـ حفظه الله ـ السلام عليكم ورحمة الله بركاته ، وبعد ،،،

فلقد تلقينا بالغ الحزن والأسى نبأ وفاة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ، الذى كان وبحق أبا رحيما ، وأستاذا كريما ، وعالما فاضلا ، وإماما جليلا يراعى أبناء المسلمين فى كافة أنحاء العالم ، وكان واسع الصدر حلو اللسان جميل الطبع ، وهذا ما أثر فينا ، ولقد كانت مصيبتنا فيه عظيمة ، إذ لاننسى استقباله لنا وتلبيته لجميع مطالبنا ، وقد ساهم إسهاما ملحوظا فى نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى جمهورية المالديف ، حيث كان فضيلته يولى معهدنا الإسلامى عناية فائقة واهتماما منقطع النظير أدى فى عهده إلى تطويره وتنميته وتخريج عدد كبير التحقوا بجامعة الأزهر الشريف ـ جزاه الله عنا وعن المسلمين أفضل مايجزى به .

وفى هذه المناسبة نبادر بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن جميع مستوى وزارة التربية والتعليم وموظفيها وطلابها ومدرسيها بتعزية فضيلتكم وعلماء الأزهر الشريف والعالم الإسلامى وأسرة الفقيد الكريمة ، وندعو الله سبحانه وتعالى أن يتغمد الفقيد برحمته الواسعة ، ورضوانه الكريم وأن يسكنه فسيح جناته ، وأن يلهمنا ويلهم أهله الصبر والسلوان .

ولا أراكم الله مكروها فى عزيز لديكم بعد اليوم ، إنا لله وإنا إليه راجعون

والسلام عليكم ورحمته وبركاته

نعى فرع الأزهر الشريف بجنوب أفريقيا

تلقينا نبأ وفاة المغفور له فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الراحل بالغ الأسى ، سائلين الله ـ عز وجل ـ له الرحمة والمغفرة ، وأن يجعل جهده فى خدمة الإسلام والمسلمين فى شتى بقاع العالم فى ميزان حسناته يوم القيامة .

دكتور / على فرج
المشرف على فرع الأزهر بجنوب أفريقيا

نعي الكاتب الكبير مصطفى أمين تحت عنوان (فكرة)

ثلاثة أقطاب ماتوا في أيام متقاربة : خالد محمد خالد ، والشيخ محمد الغزالي ، والإمام الأكبر جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر .

إنهم ثلاثة أعلام إسلامية امتازوا بأنهم مفكرون متفتحون . يؤمنون بالله إيماناً صحيحاً ولا يكفرون المؤمنين ، ولا يحاربون المفكرين ، ويعرفون أن الإسلام الصحيح لا يعرف العبث ولا المبالغات ، ولا يقبل التأويل واللعب بالدين .

عرفت الشيخ جاد الحق وهو مفتي الديار المصرية ، ثم وهو وزير في الوزارة ، وهو شيخ للجامع الأزهر ، عرفت رجلا يصمد دفاعا عن الإسلام الصحيح ويؤمن بالحرية ، ويرى أن الإسلام هو الديمقراطية ، والديمقراطية هي الإسلام . ويؤكد أن الإسلام الحقيقي هو حقوق الإنسان وأنه دين لا يعرف الاستبداد ويرفض الطغيان ويقاوم حكم الفرد .

من أعمال الإمام الأكبر في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة

وجاء في نعي السيد كامل الشريف الأمين العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة قوله في الإمام الأكبر الراحل :

لقد سعدت بالتعاون معه في نطاق المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة فقد كان رئيساً لهذا المجلس ، وكان مقتنعاً بفكرته حريصاً عليه ، واستطاع من خلاله أن ينقل أفكاره وأفكار الأزهر لمجالات واسعة ، وأن يلتزم طابع الاعتدال والاتزان في المنظمات الأعضاء ، سواء في مجال التعليم أو الدعوة أو الإغاثة ، وكان يدرك حاجة المسلمين للعون والمساعدة ، فواظب على حضور اجتماعات الإغاثة في عواصم مختلفة ، وأثار في المنظمات الإغاثية من روحه وعزيمته ، وبث فيهم الحماس والنشاط ، وكان من ثمار ذلك أن جمعت مئات الملايين التي أنفقت على المنكوبين والضحايا في البوسنة والشيشان والصومال .

ونرجو أن يكون كل ذلك في ميزان حسناته الكثيرة وأن يكون رصيداً له عند ربه .

أسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يتقبل صالح أعماله وأن يسلكه في منازل الصديقين والشهداء ، وأن يعوضنا في فقده ويثبتنا على طريق الحق والخير الذي ارتضاه لنفسه وهداه ربه إليه ، وإنني نيابة عن اخواني وأصدقائي الذين أنابوني عنهم ـ لاسيما قادة المنظمات الإسلامية الأعضاء في المجلس ـ أقدم أصدق مشاعر العزاء لمصر ولأسرة الفقيد الكريم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

نعى الدكتور عبد الله مبروك النجار تحت عنوان «قرآن وسنة»

كان من المفروض أن أمثل بين يدى الإمام الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق عقب عودتى من لندن مباشرة لأقدم إليه تقريراً عن مؤتمر حقوق الإنسان ، وأسرى الكويت الذى شرفنى بإيفادى إليه تمثيله فيه وإلقاء كلمته إلى المسلمين من خلاله ، ولم يخطر ببالى لحظة أننى سأعود لأكتب نعيه بدلا من أن أرفع التقرير إليه .

لقد كان الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ رحمه الله ـ نفحة إلهية أراد الله أن يجدد بها شباب الأزهر الشريف ويعيده إلى سابق مجده ، فأتاح لهذا الرجل أن يكون على قمة رئاسته ، وجعله سبباً لخير كثير أجراه الله على يديه للإسلام والمسلمين ، ومنذ أن تولى مشيخة الأزهر الشريف وهو يعيش هموم المسلمين دون كلل أو ملل ، فكان يواصل العمل ليلا ونهاراً من أجل الارتقاء برسالة الأزهر والنهوض بمسئولياته ؛ ليحتل مكانته اللائقة بين المسلمين

تنـــويه

ثم أخيـراً تجدر الإشارة إلى أن مشيخة الأزهر قد تلقت مناعى كثيـرة من بعض الهيئات والجمعيات والمنظمات الإسلامية والأفراد من شتى أنحاء العالم فى رثاء فضيلة الإمام الأكبر آخرها برقية من مؤسسة محمد على «كلاى» الإسلامية بشيكاغو وقد حال دون نشرها وغيرها فى مجلة الأزهر مثولها للطبع ، سائلين المولى – عز وجل – مكافأتهم عنا وأن يعظم أجرهم وأجرنا فى فقيدنا .

كلمات عن الحج



للإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر

مكانة الحج والعمرة فى الإسلام :

١ ـ الحج هجرة إلى الله ، وتلبية لدعوته فى قوله ـ سبحانه ـ فى سورة آل عمران :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ الآية/٩٧

وفى سورة البقرة قول الله ـ تعالى :

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ الآية/١٩٦ .

وروى الترمذى عن على ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « من ملك زادا وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام ولم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا » .

ولقد رغب رسول الله ﷺ فى الحج والعمرة فيما رواه البخارى عن أبى هريرة :

« من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

وقال فيما رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة :

« العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » ، وقال فيما رواه البزار عن جابر ـ رضى الله عنه :

« الحجاج والعمار وفد الله ، دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم » .

وقد أجمعت الأمة على فرضية الحج فى العمر مرة ..

وروى أحمد وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

خطبنا رسول الله ﷺ فقال :

« يا أيها الناس كتب عليكم الحج .. فقام الأقرع بن حابس فقال : أفى كل عام يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا ، الحج مرة واحدة فمن زاد فهو تطوع » .

والعمرة مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع ، فقد قال الله فى سورة البقرة : -

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾

وأخرج أحمد وابن ماجه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال :

« عمرة فى رمضان تعدل حجة » .

ويرى الشافعى وأحمد أن : العمرة فرض كالحج فى العمر .

ويرى مالك أن العمرة سنة مؤكدة مرة فى العمر وهو الصحيح فى المذهب الحنفى .. وما تظاهره الأدلة وأميل للأخذ به ؛ هو أن العمرة سنة مؤكدة على المستطيع كما قال الإمام مالك وغيره .

والحج لغة القصد ، وشرعاً : أعمال وأقوال مخصوصة تؤدى فى زمان ومكان مخصوص على وجه مخصوص ، وجملته عبادة تبدأ بالإحرام والطواف والسعى والوقوف بعرفة وسائر المناسك التى تلقتها الأمة عن رسول الله ﷺ استجابة لأوامر الله وابتغاء مرضاته وتأسياً بالرسول الكريم القائل فى هديه النبوى الشريف : خذوا عنى مناسككم ..

وهو أحد الأركان الخمسة للإسلام التى بينها الرسول ﷺ فى قوله :

« بنى الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا » .

وقد صارت هذه الأسس الخمسة معلومة من الدين بالضرورة .

أما العمرة فهى زيارة الكعبة والطواف حولها والسعى بين الصفا والمروة والحلق أو التقصير وكل ذلك يكون مبدوءا بالإحرام .

حكمة الحج :

إن الحج فريضة قديمة ونوع من الجهاد ، ففى الحديث الذى رواه النسائى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج والعمرة » .

والثابت من القرآن الكريم أن أول من رفع قواعد البيت الحرام هو إبراهيم ـ عليه السلام ـ وأنه طاف حوله مع ولده إسماعيل عليه السلام حيث سأل الله أن يريهما أعمال الحج ومناسكه حسبما يشير إلى ذلك قول الله فى سورة البقرة :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

سورة البقرة

والحج فى واقعه إقبال على الله وتخل وإعراض عن دواعى البشرية واتصاف بالكمالات الملائكية ففيه وبه تتكامل الفرائض ، وتتحقق العبودية لله فى أتم مظاهرها وحقائقها ، وفيه ـ إذا صدقت النية ـ تمليك القلب لله بتعظيم شعائره وأداء مناسكه احتسابا وطاعة ومحبة لله ، وهو توبة وأوبة إلى الله العلى الأعلى ، وفيه الإنابة والخضوع ، وفيه التخلص من الموبقات ، المهلكات التى لحقت بالمسلم واقترفها فى سالف أيامه .

إن الحج فى حقيقته ومعناه يلتقى مع سائر العبادات عند غاية واحدة هى تحقيق معنى العبودية لله بالإخلاص فى طاعته والتوجه إليه وحده والاستعانة به دون سواه ، والتخلص من سلطان النوازع البشرية ، والحج مؤتمر عام للمسلمين يلتقون فيه فى رحاب الله ، ويتعارفون على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأوطانهم ويتشاورون فى أمورهم باسم الله وبحكم الله ، تجمعهم كلمة الله وسنة رسول الله ، يهتفون ملبين لله مكبرين خاشعين متخلين عن أعراض الحياة وشهواتها ، ومن هنا كان الحج بشروطه وأركانه مطهرا للحاج من ذنوبه وآثامه مفيضا عليه من رحمة الله ورضوانه .

إن الحج كمؤتمر عام سنوى للمسلمين فرصة متاحة لكل شعوب الإسلام وحكامها وزعمائها أن يتكاشفوا ويتشاوروا فى شتى أمورهم السياسية والاقتصادية والثقافية والتجارية ، ويتحاورون فى المشاكل الفكرية والاجتماعية وصولا إلى الحلول الصحيحة وإلى وحدة تكفل لهم القوة والاتحاد ، فتعود للأمة الإسلامية عزتها ومكانتها .

الاستطاعة فى الحج ومداها :

تتحقق الاستطاعة التى هى من شروط وجوب الحج بما يأتى :

١ ـ صحة البدن والقدرة على أعباء الحركة التى تتطلبها المناسك والسفر بوجه عام ، وعلى تقلبات الجو قيظا وبردا ، فالمريض مرضا يعجزه عن الحركة أو يقلل قدرته عليها ومن تقدمت به السن وصار ضعيفا لا يجب عليه الحج بنفسه وإنما يجب إذا توافرت لديه نفقات من ينوب عنه .

٢ ـ أمن الطريق بحيث يطمئن الحاج على نفسه وماله ، فلو خاف من قطاع طرق أو وباء منتشر لا يلزمه الحج طالما كانت هذه الموانع قائمة .

٣ ـ ملك الزاد والراحلة بمعنى أن يكون لديه ما ينفقه على زاده فى السفر منذ الخروج إلى الحج والعودة إلى بلده ، وأجره وسيلة الانتقال كذلك سواء من بلده إلى الأرض الحرام موطن الحج أو وسيلة الانتقال الداخلية فى الأرض الحرام وذلك بحسب حاله ، وكذلك أن يكون مالكا لما يفى بحاجة أسرته ومن تلزمه نفقته حال سفره للحج وإلى حين العودة .

ذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قال :

﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾ .. وفسر رسول الله ﷺ هذا السبيل بتملك الزاد والراحلة ، والراحلة هى وسيلة السفر وقد تعددت هذه الوسيلة وتنوعت فى هذا العصر من طائرات إلى بواخر إلى سيارات .

ولا يجب الحج إلا على المسلمة والمسلم البالغ العاقل ، ومن ثم فحج الصبى قبل البلوغ وحج المجنون لا يجزىء عن الفريضة .

وإذا كان المسلم عاجزا جسديا ولكنه قادر ماديا أن يستأجر من يعاونه فى أداء المناسك وجب عليه الحج إذا لم يشق على نفسه ، وإذا توافرت للمسلم وللمسلمة الاستطاعة المالية والقدرة البدنية وتوجه لأداء الحج ، لكن عرض مانع كالدائن يمنعه عن الخروج للحج حتى يؤدى دينه امتنع شرعا خروجه للحج .

فقد روى أبو هريرة أن رجلا قال : يا رسول الله : على حجة الإسلام وعلى دين .. فقال الرسول : اقض دينك .. ولأن قضاء الديون سواء كانت لله أو للعباد واجب ، وسواء كانت ديون العباد حالة أو مؤجلة كل ذلك لازم سداده قبل الحج ، بل يسقط وجوب الحج بهذه الديون حتى تؤدى ، وإذا سقط وجوب الحج بالدين ، فبالاستدانة لا يصير واجبا ، ولأن الديون التى لله كالنذور والكفارات ، أو التى للعباد ؛ كما تُسْقِط وجوب الزكاة فى المال إذا اكتمل النصاب ، فكذلك يسْقُطُ بها وجوب الحج حتى يتم سداد الدين وتبرأ الذمة .

ويمتنع وجوب الحج ويسقط إذا لم يكن لديه ما يفى بحاجة أولاده من نفقة وغيرها مدة الحج وإلى ما بعد عودته ، لأن الإنفاق على العيال أولى . إذا ضاق المال عن الوفاء بهما معا ، لا سيما وقد قال الرسول ﷺ : كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت ..

وكذلك الأبوان إذا خيف عليهما الضياع بسفر ابنهما أو ابنتهما إلى الحج وتعذر وجود من يقوم عليهما ويرعاهما ، كان هذا من قبيل عدم الاستطاعة إلى الحج لأن قضاء الله برعاية الوالدين وبرهما والقيام على شئونهما أولى .

هذا :

وقد أجمع العلماء على أنه إذا لم يكن للمكلف مال يتزود به فى الطريق لم يلزمه الحج .

فقد روى البخارى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن أهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون : نحن المتوكلون ، فإذا قدموا مكة سألوا الناس ، فأنزل الله ـ تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ سورة البقرة/١٩٨ .

قال رجل لأحمد بن حنبل : أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل بغير زاد ، فقال له أحمد : اخرج فى غير القافلة . فقال :لا ، إلا معهم . قال : فعلى جرب الناس توكلت ـ أى : إنك توكلت على ما فى أوعية الناس من زاد ـ وإن وهب أجنبى الرجل مالا ليحج به ، لم يلزمه قبوله إجماعا لما يلحقه من المنة والأذى فى ذلك .

وإذا وهب رجل لأبيه مالا للحج ؟ قال الإمام الشافعى : يلزمه قبوله لأن ولد الرجل من كسبه ، ولا منة للولد على والده فى ذلك . وقال مالك وأبوحنيفة لا يلزم الأب قبول هبة الابن للحج ، لأن فيه سقوط حرمة الأبوة .

وقول الشافعى فى هذا أولى بالقبول .

وهل يستقرض الرجل ليحج ؟

روى عبدالله بن أبى أوفى قال : سألت رسول الله ﷺ عن الرجل لم يحج أيستقرض للحج ؟ قال : لا .. ومما يجب على الحاج قبل سفره وحين انعقاد نيته على الإعداد للحج :

١ ـ أن تكون نفقته من مال طيب حلال امتثالا لقول الله سبحانه فى سورة البقرة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧) ﴾

إذ هذه الآية خطاب للمؤمنين برسالة محمد ﷺ عامة وهى بعمومها تدعو إلى أن يكون الإنفاق فى سبيل الله وطاعته من الكسب الحلال وجيد الأموال وليست مقصورة على ما قيل فى مناسبة نزولها ، وهى النهى عن إنفاق الردىء من الأموال فى الزكاة بدلا من الجيد . وإنها دعوة إلى الإنفاق بجيد الأموال تطوعا إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

ويؤيد هذا ما رواه الطبرانى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : إذا خرج الرجل حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله فى الغرز ، فنادى : لبيك اللهم لبيك : ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور . وإذا خرج

الرحل بنفقة خبيثة فوضع رجله فى الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك .. ناداه مناد : لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مأجور .

٢ ـ إخلاص الحج أو العمرة لله وحده لأن الله لا يقبل إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم ..

ذلك قول الله ـ تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾

وفى الحديث الشريف : أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها : أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الفقر والغنى ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكرا ، ونطقى ذكرا ونظرى عبرا ..

٣ ـ أن يطهر الحاج نفسه ويخلصها من المظالم وحقوق الغير ، فيرد المظالم والحقوق إلى أربابها ما استطاع إلى ذلك سبيلا لقول الرسول ﷺ :

« من كان عنده مظلمة لأخيه من مال أو عرض فليتحلل منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح ، أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » .

٤ ـ محظور على الحاج المخاصمة والمشاحنة والجدال بالباطل امتثالا لقول الله ـ سبحانه وتعالى : ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ ... ومما يدخل فى هذه : المزاحمة والخشونة فى التعامل مع الناس قولا أو فعلا ، فالمسلم هين لين لاسيما فى الحج والعمرة .

٥ ـ أكثر أهل العلم على أنه يشترط فيمن يحج عن غيره أن يكون قد أدى الفريضة عن نفسه أولا مستدلين على ذلك بما رواه أبوداود وابن ماجه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول : لبيك عن شبرمة ، فقال رسول الله ﷺ للرجل : أحججت عن نفسك ؟ قال : لا ، قال الرسول ﷺ : فحج عن نفسك ثم حج عن شبرمة ..

٦ ـ على الحاج أن يستوثق من صحة إحرامه ويحافظ عليه وأن يستفتى أهل العلم فيما يعرض له ، وأن يحرص على الحضور فى الحرم ومداومة النظر إلى الكعبة والطواف حولها ما استطاع دون إرهاق أو مدافعة للآخرين ، والإقبال على الصلاة فى الحرم فروضا ونوافل ، وتلاوة القرآن الكريم ، وخير الدعاء ما صدر من القلب خالصا مخلصا لله ـ تعالى ـ والدعاء بالمأثور أولى ولا سيما بما جاء فى القرآن الكريم فإنه خير الدعاء .

إن على من وفقه الله وكتب له أداء هذه الفريضة أن يؤديها مستوفية أركانها وشروطها ، وأن يحافظ على الاستمساك بطاعة الله ارتقابا لجزائه ورضوانه ، والله عنده حسن الثواب .

فتوى للإمام الأكبر

الشيخ جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر الشريف

في بيان حكم من أنكر نسب أحد القصيين إليه، وحكم مسلم قال (مللت من دعاء لا يستجاب له)، وحكم قراءة المسلم قرآنا للمسلم الميت وهل يصل الثواب إلى الميت.

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله .

وبعد ..

فقد ورد إلى مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر «فاكس» من وزارة الخارجية وفيما يلي نصه :

نرجو التكرم بتقديم أجوبة على الفتاوى التالية :

١ ـ شخص أنجب ابنا بطريقة غير شرعية ، ثم لم يُدرج اسم هذا الابن ضمن قائمة أسماء أولاده ، ولم يذكر له أمه ، ثم راح يهدد بأن ينشر في الصحف أنه ليس ابنه ، وراح يلفق عنه أكاذيب أضرت بسمعة هذا الابن ، ومات دون أن يخبر ابنه هذا عن أمه ، وتآمر بعد ذلك إخوته عليه بمحاولة أكل نصيبه في الميراث ، فما حكم الإسلام في هذا ؟

هل ينسب هذا الابن لهذا الأب بعد كل هذا ؟

٢ ـ إذا قال المسلم «مَلَلْتُ من دعاء لا يستجاب له» فهل يعدّ كافراً ؟

٣ ـ إذا قرأ المسلم الحى للمسلم الميت قرآنا فهل يصل الثواب للميت ؟ وهل إذا ناداه يسمع الميت هذا الدعاء ؟

نرجو الرد بسرعة بواسطة الفاكس ..

(والجـــواب)

عن السؤال الأول :

إن الإنجاب الشرعي بين رجل وامرأة هو ما كان ثمرة نكاح زوج لزوجته ، باتصال جسدي بينهما في ظل عقد شرعي بحضره الشهود ، ويتحقق فيه الإيجاب والقبول بين ولي الزوجة والزوج أو الزوجة البالغ والزوج ، وما يقدره الله بينهما من أولاد ينسبون إلى كل من الأب والأم (الزوجان) نسبا شرعيا تترتب عليه آثاره ..

إن أي معاشرة جسدية بين رجل وامرأة ، لم يتحقق قبلها عقد الزواج الصحيح شرعا لا يكون في الإسلام زواجا مشروعا ، وإنما هو في حقيقة الأمر (زنا) وإن نتج عنه أولاد فلا ينسبون إلى هذا الرجل المرتكب لجريمة الزنا ، ولكنهم ينسبون إلى أمهم ، وعصبة أمهم عصبتهم ، ويرثونها ، وترثهم ؛ لأن ولد الزنا لا أب له كما لا ينسب إلى أب جبراً ، وإنما ينسب إلى من حملته وولدته باعتبار أن هذه الأم شاركت في واقعة مادية كان ناتجها هذا الولد فينسب إليها في حياتها دون غيرها .

من فقه الشريعة الإسلامية أنها اعتبرت النسب أحد الضرورات الخمس التي وجب الحفاظ عليها وهي (الدين والنفس والعقل والمال والنسل) .

والنسب للنسل حق من حقـــوق الله ــ تعالى ــ ، لا ينفسخ ولا يرد ولا يُحوّل ، فليس لرجل أن ينسب لنفسه طفلا ليس من زواج شرعي ، وليس له أن يجحد ولدا له من زوجة شرعية ، وليس لامرأة أن تُدخل على زوجها أو قومه ولدا ليس من زوجها الشرعي ، وكلتا الحالتين للرجل والمرأة محرمة شرعا ، وفي جزاء ذلك روى عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولم يدخلها الله جنته ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه ــ أي يعلم أنه ولده ــ احتجب الله عنه ، وفضحه على رءوس الأولين والآخرين[1]) .

وقد اتفق فقهاء المذاهب المعتبرة على أنه يشترط لصحة الإقرار بالنسب من المقر به على نفسه ما يلي :

١ ــ أن يكون المُقَرُّ به مجهول النسب .

٢ ــ أن لا ينازعه فيه منازع ؛ لأنه إن نازعه فيه غيره تعارضا ، فلم يكن إلحاقه بأحدهما أولى من الآخر .

٣ ــ وأن يمكن صدقه بأن يحتمل أن يولد مثله لمثله .

٤ ــ أن يكـــون ممن لا قول له كالصغير والمجنون ، أو يصدق المقر إن كان من أهل التصديق فإن كبر الصغير وعقل المجنون فأنكر لم يسمع إنكاره ، لأن نسبه قد ثبت فلا يسقط ، ولأن الأب لو عاد فجحد النسب لم يقبل منه[2] .

ولما كان هذا السؤال يفصح عن وقوع ولادة هذا الولد المسئول عنه بطريقة غير شرعية ، فإن

---

(١) بلوغ المرام شرح سبل السلام جـ٣ ص٢٤٦ .

(٢) المغني جـ٥ ص١٩٩ ــ ٢٠٠ ، وابن عابدين جـ٤ ص٤٦٥ ، والهداية والفتح والعناية جـ٦ ص١٣ ، والشرح الصغير جـ٣ ص٥٤٠ ، ومواهب الجليل والتاج والإكليل جـ٥ ص٢٣٨ ، والمهذب جـ٢ ص٣٥٩ ونهاية المحتاج جـ٥ ص١٠٦ ــ ١٠٩ .

هذا الولد ليس له أب معروف ، وإن كان له أم ولدته ولذا ينسب إليها ، وإن تخلت عنه بعد حمله وفصاله .

وإذ كان ذلك : فإن لا يقبل من هذا الشخص المنجب لهذا الولد بطريقة غير شرعية أن ينسبه إلى نفسه ، ولا يكون ضمن أولاده مادام قد مات مصرا على أنه نتاج لقاء جسدى غير شرعى ومصرحا بأنه ليس ولده ، كما لا يصلح لهذا الشخص أن يدعي بنوة هذا الولد مادام الأمر تم فعلا وواقعا بطريق مؤثم شرعا ، وذلك لأن الإسلام لا يقر الزنا وسيلة للإنجاب ، بل شرع الزواج بشروطه السابقة لكيلا يأثم رجل وامرأة بفعل الزنا المضيع لأبوة من يولدون سفاحا .

ومتى كان هذا فإن حكم الإسلام أن هذا الولد المسئول عنه لا ينسب لهذا الشخص حتى وإن ادعى نسبه ، مادام قد جحد نسبته إليه كما سبق بيانه .

وبناء على هذا فلا توارث بينهما ، لعدم وجود سبب من أسباب الميراث ، إذ الإرث يكون للمولود على فراش زوجية صحيحة ، لكن لا مانع لمن قام بتربية هذا الولد أن يقدم معونة وبرا كوصية له أو هبة منجزة .

وأولاد هذا الشخص ليسوا إخوة لهذا الولد ؛ لأنه دخيل عليهم غير معترف به شرعا ؛ لأن لم يتوفر بينه وبينهم سبب من أسباب الميراث الشرعية وهي : الزوجية والقرابة والعصوبة السببية ، والمراد بالقرابة : رابطة النسب الصحيح التى تربط بين الوارث والمورث برباط النسب الصحيح ـ فى أصول النسب : الأب والجد لأب .. الخ وبالفـــروع : الأولاد وأولاد الأولاد .. الخ والحواشي المتفرعة عن الأصول وهم الأخوة والعمومة الخئولة وفروعها .

ولما كان هذا الولد موضوع التساؤل ولد من سفاح ـ أى زنا ـ كما هو ظاهر السؤال فليس له نسب صحيح إلى أب معين وقد جحد الرجل نسبته إليه حتى وفاته ، ومن ثم فلم يتحقق بينهما سبب من أسباب الإرث الشرعي فلا توارث بينهما شرعا .

ومع هذا فإن الإسلام يوجب رعاية هذا الولد وأمثاله ـ ولو كانوا غير شرعيين ـ بواسطة أفراد متبرعين لا ينسبونهم إليهم

﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾[٣]

أو بواسطة جماعات أو منظمات تحمى إنسانيتهم ، حتى يكونوا نافعين يرجى خيرهم وتوقيا لشرهم ويستترون ولا يفتضحـــون ، ولا يُشهَّر بهم ولا تذكرهم بشأنهم من زنا ، ولا يهددون ولا تلفق لهم الأكاذيب .. ومما لا شك فيه أن تضييع هذا الولد جريمة منكرة ، والشخص الذى ارتكب مع أمه هذه الفاحشة حاسبه الله على ما اقترف ، وقد أضاف إلى هذا الولد ضياعا فوق ضياعه بعدم إخباره بأمه المنسوب إليها والتى لها وله حق التوارث فيما بينهما ، وعلى الله قصد السبيل وهو سبحانه يقضي بالحق .

وعن السؤال الثانى :

تعريفات :

الدعاء لغة : مصدر دعوت الله أدعوه دعاء ودعوى ، أى ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير .

---

(٣) سورة الأحزاب الآية رقم (٥) .

وهو بمعنى النداء ، يقال : دعا الرجل دعوا ودعاء أى : ناداه ، ودعوت فلانا صحت به واستدعيته ، ودعوت زيدا ناديته وطلبت إقباله .

ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة فهو داعى الله ، والجمع : دعاة وداعون . ودعاه يدعوه دعاء ودعوى: أى : رغب إليه ، ودعا زيدا : استعانه ودعا إلى الأمر : ساقه إليه[4] .

والدعاء فى الاصطلاح : الكلام الإنشائى الدال على الطلب مع الخضوع ويسمى أيضا سؤالا[5] وقد قال الخطابى : حقيقة الدعاء استدعاء العبد من ربه العناية ، واستمداده إياه المعونة ، وحقيقته إظهار الافتقار إليه ، والبراءة من الحول والقوة التى له ، وهو سمة العبودية وإظهار الذلة البشرية ، وفيه معنى الثناء على الله ، وإضافة الجود والكرم إليه[6] .

وقد ورد فى القرآن الكريم بمعان منها :

(أ) **الاستغاثة** : كما فى قوله ـ تعالى :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾[7] .

(ب) **العبادة** : كما فى قوله ـ تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾[8] .

وقوله ـ تعالى :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾[9] .

وقوله ـ تعالى :

﴿ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾[10] .

(جـ) **النداء** : ومنه قوله ـ تعالى :

﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ﴾[11]

وقوله :

﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾[12] .

(د) **الطلب والسؤال من الله** : وهو المراد هنا كما فى قوله ـ تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[13]

وقوله ـ تعالى :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[14] .

ويوافق هذا المعنى ما يقال : دعوت الله أدعوه دعاء ، أى : ابتهلت إليه بالسؤال ، ورغبت فيما عنده من الخير ، والداعى اسم الفاعل من الدعاء ، والجمع دعاة ، وداعون ، مثل قاضى وقضاة وقاضين[15] .

الاستغفار :

---

(4) لسان العرب ، وتاج العروس ، والمصباح المنير .

(5) قواعد الفقه للزركشى .

(6) اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين جـ ٥ ص ٢٧ ـ ٢٨ ط دار الفكر .

(7) سورة الأنعام الآيات رقم ٤٠ ـ ٤١ .

(8) سورة الأعراف الآية رقم ١٩٤ .

(9) سورة الكهف الآية رقم ٢٨ .

(10) سورة الكهف الآية رقم ١٤ .

(11) سورة الاسراء الآية رقم ٥٢ .

(12) سورة القصص الآية رقم ٢٥ .

(13) سورة البقرة الآية رقم ١٨٦ .

(14) سورة غافر الآية رقم ٦٠ .

(15) لسان العرب ، والمصباح المنير .

الاستغفار في اللغة طلب المغفرة بالقول والفعل ، وفي اصطلاح الفقهاء – أيضا – يستعمل في ذلك المعنى .

والمغفرة في الأصل الستر ، والمراد بالاستغفار طلب التجاوز عن الذنب فالمستغفر يطلب من الله – تعالى – المغفرة أي : عدم المؤاخذة بالذنب والتجاوز عنه . قال – تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾[16] .

والنسبة بين الاستغفار والدعاء العموم والخصوص المطلق ، فكل استغفار دعاء ، وليس كل دعاء استغفار[17] .

الذكر :

الذكر هو التلفظ بالشيء وإحضاره في الذهن بحيث لا يغيب عنه[18] .

وذكر الله بالمعنى الأعم شامل للدعاء وغيره . وبالمعنى الأخص الذي هو تمجيد الله وتقديسه وذكر أسمائه الحسنى وصفاته العليا مباين للدعاء .

فضل الدعاء:

ورد في فضل الدعاء نصوص كثيرة من الكتاب والسنة نورد بعضها فيما يلي :

قال – تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[19]

ومعنى القرب هنا كما نقل عن الزركشي ، أنه إذا أخلص في الدعاء واستغرق في معرفة الله امتنع أن يبقى بينه وبين الحق واسطة ، وذلك هو القرب[20] .

وقال – تعالى :

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[21] .

وقال – تعالى :

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾[22] .

وقال – تعالى :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[23] .

وروى النعمان بن بشير عن النبي ﷺ أنه قال :

(إن الدعاء هو العبادة)[24] .

ثم قرأ : (ادعوني أستجب لكم) الآية .

وقال ﷺ :

(الدعاء مخ العبادة)[25] .

وقال ﷺ :

(إن الله حي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين)[26] .

---

(16) سورة آل عمران الآية رقم ١٣٥ .

(17) مدارج السالكين جـ١ ص٣٠٨ ط السنة المحمدية ، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح جـ٣ ص ٤٦٠ ، وشرح ثلاثيات مسند أحمد جـ٣ ص٩٠٣ .

(18) قواعد الفقه للزركشي .

(19) سورة البقرة الآية رقم ١٨٦ .

(20) اتحاف السادة المتقين جـ٥ ص٢٨ .

(21) سورة الأعراف الآية رقم ٥٥ .

(22) سورة الإسراء الآية رقم ١١٠ .

(23) سورة غافر الآية رقم ٦٠ .

(24) أخرجه أبو داود جـ٢ ص١٦١ – والترمذي جـ٥ ص٤٥٦ ط الحلبي – من حديث النعمان بن بشير وقال الترمذي (حديث حسن صحيح) .

(25) أخرجه الترمذي (جـ٥ ص٤٥٦ ط الحلبي) من حديث أنس بن مالك ، وقال (هذا حديث غريب) .

(26) أخرجه الترمذي (جـ٥ ص٥٥٧ ط الحلبي) من حديث سلمان وقال (حديث حسن غريب) .

وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال :

(ليس شيء أكرم على الله ـ عز وجل ـ من الدعاء)[٢٧] .

وقال ﷺ :

(ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم)[٢٨] .

وقال ﷺ :

(سلوا الله تعالى من فضله ، فإنه تعالى يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج)[٢٩] .

أثر الدعاء :

الدعاء عبادة ، وله أثر بالغ وفائدة عظيمة ، ولولا ذلك لم يأمرنا الحق ـ عز وجل ـ بالدعاء ، ولم يرغب النبي ﷺ فيه ، فكم رفعت محنة بالدعاء وكم من مصيبة أو كارثة كشفها الله بالدعاء ، وقد أورد القرآن الكريم جملة من الأدعية استجابها الله ـ تعالى ـ بمنه وفضله وكرمه ، وكان من جملة أسباب النصر في موقعة بدر دعاء النبي ﷺ .

والدعاء سبب أكيد لغفران المعاصي ، ولرفع الدرجات ، ولجلب الخير ودفع الشر . ومن ترك الدعاء فقد سد على نفسه أبوابا كثيرة من الخير .

حكم الدعاء :

قال النووي : إن المذهب المختار الذي عليه الفقهاء والمُحدِّثون وجماهير العلماء من الطوائف كلها من السلف والخلف أن الدعاء مستحب[٣٠] .

وقد يكون الدعاء واجبا كالدعاء الذي تضمنته سورة الفاتحة أثناء الصلاة ، وكالدعاء الوارد في صلاة الجنازة ، وكالدعاء في خطبة الجمعة عند بعض الفقهاء .

ثم هل الأفضل الدعاء أم السكوت والرضا بما سبق به القدر ؟

نقل النووي عن القشيري قوله : (اختلف الناس في أن الأفضل الدعاء أم السكوت والرضا) ؟

فمنهم من قال : الدعاء عبادة لقوله ﷺ : (الدعاء هو العبادة)[٣١] ولأن الدعاء إظهار الافتقار إلى الله تعالى .

وقالت طائفة : السكوت تحت جريان الحكم أتم ، والرضا بما سبق به القدر أولى .

وقال قوم : يكون صاحب دعاء بلسانه ورضا بقلبه ليأتي بالأمرين جميعا[٣٢] .

والملل من عدم استجابة الدعاء لا يليق بالمؤمن أن يتصف به ؛ لأنه بملله هذا يغلق على نفسه باب إجابة الدعاء ، يقول رسول الله ﷺ : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوتُ ربي فلم يستجب لي)[٣٣] .

---

(٢٧) أخرجه الترمذي (جـ ٥ ص ٤٥٥ ط الحلبي) وقال ابن القطان (رواته كلهم ثقات وما موضع في إسناده ينظر فيه إلا عمران وفيه خلاف) كذا في فيض القدير (جـ ٥ ص ٣٦٦ المكتبة التجارية) .

(٢٨) أخرجه الترمذي (جـ ٥ ص ٥٦٦ ط الحلبي) من حديث عبادة بن الصامت وقال : حسن صحيح .

(٢٩) أخرجه الترمذي (جـ ٥ ص ٥٦٥ ط الحلبي) من حديث عبد الله بن مسعود وقال الترمذي (هكذا روى حماد بن واقد هذا الحديث ، وليس بالحافظ) وانظر اتحاف السادة المتقين مع الإحياء جـ ٥ ص ٣٠ .

(٣٠) الأذكار ص ٦٠٨ تحقيق محيي الدين .

(٣١) سبق تخريجه هامش ٢٤

(٣٢) الأذكار ص ١٠٩ .

وعلى المؤمن أن يقف على باب الرجاء دائما ، فالله يحب المُلِحّ في الدعاء ويجيبه بإحدى طرق ثلاث .

١ ـ أن يُعطى الداعي ما طلب وما سأل .

٢ ـ أن يُصْرف عن الداعي سوءا بدل ما طلب .

٣ ـ أن يدّخر الله ـ عز وجل ـ للداعي إجابة دعائه بخير يناله في وقت أراده الله أو في الآخرة .

ويُخشى على مؤمن يقول : (مللت من دعاء لا يستجاب له) أن يتلقفه الشيطان بالوسوسة ، فينكر أن الله مجيب الدعاء ، وعندئذ يُخشى على من يقول هذا من المسلمين أن يدخل في نطاق من ينكر قول الله ـ تعالى :

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[٣٤]

وقوله :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[٣٥]

هذا :

أما مجرد الملل ـ نعوذ بالله منه ـ واستعجال الإجابة مع طمأنينة القلب ، وعدم نكران آيات القرآن الدالة على وعد الله بإجابة الدعاء فإنه لا كفران فيه ، وعلى من وقع أو يقع في قلبه هذا الملل ، الاستغفار والتوبة ، فالملل المسئول عنه أقرب إلى المعصية منه إلى الكفر ، وليعلم المؤمن أن لإجابة الدعاء شروطا منها : أن يتحرى الداعي أكل الحلال وملبس الحلال ، وشرب الحلال ، ـ أيضا ـ لا يدعو الله بإثم ولا قطيعة رحم ، وعليه أن يرد المظالم لأهلها ، وأن يكون فاعلا للخير متباعدا عن الشر ، وإذا حقق المسلم الاتصاف بهذه الصفات السابقة فإن الله لا يرده خائبا بل يجيبه بواحدة من إحدى ثلاث سبق بيانها .. بل على كل مسلم حين يدعو الله أن يثق بوعده ، فلا ينبغي أن يكون سببا في الوقوع في إثم ، ومصداق هذا ما روى[٣٦] عن رسول الله ﷺ :

(إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين) قال :

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[٣٧] .

وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[٣٨]

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء :

يارب يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك ؟ .

هذا : وإذا كان حكم الدعاء بوجه عام أنه مستحب فيما عدا الدعاء الواجب على نحو ما

---

(٣٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه ـ الترغيب والترهيب للمنذري جـ ٢ ص ٤٩٠ .

(٣٤) سورة غافر الآية رقم (٦٠) .

(٣٥) سورة البقرة الآية رقم (١٨٦) .

(٣٦) رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة ـ الترغيب والترهيب للمنذري جـ ٢ ص ٥٤٥ ، ٥٤٦ .

(٣٧) سورة المؤمنون الآية رقم (٥١) .

(٣٨) سورة البقرة الآية رقم (١٧٢) .

سلف فلا ينبغى أن يكون الدعاء المستحب سببا فى الوقوع فى إثم ، بل على كل مسلم – حين يدعو الله أن يثق بوعده ، فإذا كان عجولا فخير له ألا يدعو الله حتى لا يقع فى إثم بمَلله أو بالعجلة التى تتسلط عليه .

عن السؤال الثالث :

إذا قرأ المسلم الحىّ للمسلم الميت قرآنا وصل ثوابه للميت ، لأن القرآن الكريم كلام الله الرحمن الرحيم المتعبد بتلاوته ، المنزل على سيدنا محمد ﷺ ، تحضر الملائكة لسماعه ، وبنزولهم تتنزل الرحمة ، وإذا قرىء القرآن كله أو بعضه بدون مقابل ووهب ثوابه للميت ينفعه إن شاء الله .

وقد ورد فى الحديث الشريف (ما من ميت يموت فيقرأ عنده « يس » إلا هوّن الله عليه)[39] وقراءتها تكون عند الاحتضار أو تكون بعد الموت سواء قبل الدفن أو بعد دفن الميت ، ولا مانع على فضل الله .

وقال رسول الله ﷺ :

(قلب القرآن « يس » لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له) اقرؤها على موتاكم[40] .

وإذا نادى الحىّ الميت سمع النداء ، ورد السلام على من يسلم عليه .

وفى حديث النبى ﷺ عن ابن عباس – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :

(ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فسلّم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام)[41] .

وقد روت السيدة عائشة عن النبى ﷺ قوله :

(ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد السلام عليه حتى يقوم[42]) .

وقد شرح النبى ﷺ لأمته السلام على أهل القبور بمثل : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين) وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ، ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم الجماد ، ومن هذه النصوص يكون سماع الأموات للأحياء ممكنا .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(39) رواه أبو نعيم عن أبى الدرداء وأبى ذر – جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٥ ص ٧٤٥ . وأسنده صاحب مسند الفردوس من طريق مروان بن سالم عن صفوان بن عمر وعن شريح عن أبى الدرداء وأبى ذر – نيل الأوطار للشوكانى جـ ٤ ص ٢٢ .

(40) رواه أحمد وأبو داود والنسائى واللفظ له ، وابن ماجه والحاكم وصححه – الترغيب والترهيب للمنذرى جـ ٢ ص ٣٧٦ .

(41) قال ابن المبارك : ثبت ذلك عن النبى ﷺ وصححه عبد الحق صاحب الأحكام – فتاوى ابن تيمية جـ ٢٤ ص ٣٣١ .

(42) إحياء علوم الدين للغزالى مع تخريج الأخبار للعراقى جـ ٤ ص ٤٤٧ حيث قال : أخرجه ابن أبى الدنيا فى القبور ، وفيه عبد الله بن سمعان ، ولم أقف على حاله ورواه ابن عبد البر فى التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الأشبيلى .

وفى جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٥ ص ٧٠٤ قول رسول الله ﷺ : (ما من رجل يزور قبر حميمه فيسلم عليه ويقعد عنده إلا رد عليه السلام وأنس به حتى يقوم من عنده) رواه أبو الشيخ والديلمى عن أبى هريرة .

وفى كتاب الروح لابن القيم ص ١١ عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : (إذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه ، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام) رواه ابن أبى الدنيا .

وفى كتاب الروح لابن القيم أيضا ص ١٠ قال : قال ابن عبد البر ثبت عن النبى ﷺ أنه قال : (ما من مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه ، حتى يرد عليه السلام) .

مع سورة يس

أ . د / ابراهيم خميس

قال تعالى :

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (٤١) وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ (٤٣) إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ (٤٤) وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥)
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾

مناسبة الآيات لما قبلها :

فى الآيات السابقة ذكر من دلائل قدرة الله تعالى وآلائه التى أسبغها على عباده : سباحة الكواكب فى أفلاكها ، ثم ذكر فى هذه الآية ما هو مثله وهو سباحة الفلك فى البحار فقال : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ وبين سباحة الكواكب والنجوم فى أفلاكها والفلك المشحون السابح فى الماء يحمل ذرية بنى آدم مناسبة لطيفة فى الشكل والحركة . وتسخير هذا وذاك بأمر الله تعالى وحفظه بقدرته فى السماوات والأرض سواء .

وهذه الآية كالتى قبلها يراها العباد ولا يتدبرونها بل إن آية الفلك فى البحار أقرب إليهم وأيسر تدبرا وتأملا لو فتحوا لها قلوبهم .

وفى المراد من قوله ﴿ وآية لهم ﴾ ثلاثة معان :

أحدها : عبرة لهم لأن فى الآيات اعتبارا لأولى الألباب .

الثانى : نعمة عليهم لأن فى الآيات إنعاما عليهم وفوائد لهم .

الثالث : إنذار لهم لأن فى الآيات إنذاراً بالعذاب إن لم يلتفتوا إليها ، ويقوموا بواجب شكر المنعم بها .

وفى إسناد « حمل » إلى ضمير العظمة « نا » إيماء بتعظيم حمل الفلك وأنه لا يقدر عليه إلا الله سبحانه ، والذرية مأخوذ من الذراء وهو الخلق . وهى تطلق على الأصول والفروع . فالفروع خلقت من الأصول والأصول خلقت منهم الفروع.

قال الراغب : الذرية أصلها الصغار من الأولاد وإن كانت تقع على الصغار والكبار فى العرف وتستعمل فى الواحد والجمع وأصلها الجمع . قال تعالى : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ﴾ [آل عمران : ٣٤]

وقال: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا ﴾ [النساء : ٩] .

وفى المراد بالذرية أقوال : منها أنها أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم أو صبيانهم أو نساءهم الذين يستصحبونهم فإن الذرية تطلق عليهم جميعا . وعلى هذا يكون المراد بالفلك السفن التى تركب وتمخر عباب الماء صغارا كانت أم كبارا ، وتخصيص النساء والأولاد بالذكر لأن استقرارهم فى السفن أشق وتماسكهم فيها أعجب .

والمعنى أن تسخير البحر والفلك كما أنه نعمة فى حق الذرية فهو نعمة فى حق الآباء أيضا لأنه لما كان فالصبر على القرار فيها أشق وأعجب كانت النعمة فى حقهم أتم .

وقيل المراد بالفلك سفينة نوح ، و« ال » فى « الفلك » للعهد . والمعنى . أنا حملنا أولادهم .

فعلى هذا كان الظاهر أن يقال : « إنا حملناهم وذريتهم » ، لأن أنفسهم أيضا محمولة فى فلك نوح عليه السلام ، إلا أنه قيل حملنا ذريتهم ؛ بتخصيص الحمل للذرية لكونه أبلغ فى الامتنان بكمال النعمة فى حقهم ؛ فإنه لو قيل حملناهم لكان امتنانا بمجرد تخليصهم — أى الآباء — من الغرق ، فلما قيل حملنا ذريتهم أفاد الكلام أن نعمة التخليص من الغرق لم تكن مقتصرة عليكم أيها الآباء ، بل هى متعدية إلى أعقابكم إلى يوم القيامة حيث حملنا معكم أولادكم إلى يوم القيامة فى ذلك الفلك ، ولولا ذلك لما بقى لكم نسل ولا عقب ، والأظهر أن المراد بالفلك الجنس لأن سفينة نوح لم تكن معروفة عندهم ولم يعلموا من حمل فيها . قال تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الجاثية]

وقال :

﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [فاطر : ١٢]

والقرآن يفسر بعضه بعضا ، ومما لاشك فيه أن الفلك فى هذه الآيات لم يرد به سفينة نوح عليه السلام ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴾

فى المراد بـ « مثله » أقوال :

قال أبو مالك : إنها السفن الصغار خلقها مثل السفن الكبار .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما . خلق لهم سفنا أمثالها يركبون فيها .

وقيل هى السفن المتخذة بعد سفينة نوح .

وقيل إنه للإبل والدواب وكل ما يركب .

والخلاصة فى هذا أن من دلائل قدرته ورحمته تبارك وتعالى ، تسخير البحر ليحمل السفن ، وركوب الذرية أى الأولاد فى السفن المملوءة بالبضائع التى ينقلونها من بلد إلى آخر لتوفير القوت والمعاش كما قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

[لقمان : ٣١] .

وقيل : الذرية آباؤهم الذين حملوا فى سفينة نوح وهى السفينة المملوءة بالأمتعة والحيوانات التى أمره الله تعالى أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين حفاظا على أصول المخلوقات . والمعنى أن الله حمل آباء هؤلاء وأجدادهم فى سفينة نوح .

﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ .

أى خلقنا للناس مثل تلك السفن سفنا برية وهى الإبل فإنها سفن البر يحملون عليها وعليها يركبون ؛ ويرى « الرازى » أن الضمير فى « مثله » يعود على الفلك على قول الأكثرين ، فيكون هذا كقوله تعالى :

﴿ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾

[ص : ٥٨]

وعلى هذا فالأظهر أن يكون المراد الفلك الآخر الموجود فى زمانهم وليس المراد الإبل ، ويحتمل أن يعود الضمير فى « مثله » إلى معلوم غير مذكور . تقديره من مثل ماذكرنا من المخلوقات .

وعلى هذا تشمل الآية كل وسائل النقل الحديثة من سيارات وقطارات وطائرات وغير ذلك ، ونظير الآية قوله تعالى :

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[النحل : ٨] .

ومهما يكن من شيء فإن السفن على اختلاف الأقوال فيها تسير بقدرة الله ونواميسه التى تحكم الكون وتصرفه ، وتحمل الفلك يعوم على وجه الماء بحكم خواص الفلك ، وخواص الماء ، وخواص الريح أو البخار أو الطاقة أو غيرها من القوى ، وكلها من أمر الله وخلقه وتقديره .

﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ۝ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ .

الغرض من ذكر هذه الآية أمران .

الأول : أن الناس فى حال النعمة ينبغى ألا يأمنوا عذاب الله تعالى .

الثانى : أنها ترد على الطبيعيين الذين يقولون إن السفينة تحمل ، بمقتضى الطبيعة والمجوف لا يرسب ليس الأمر كما زعمتم . بل لو شاء الله أغرقهم . وليس ذلك بمقتضى الطبع . ولو صح كلامهم الفاسد لكان لقائل أن يقول . ألست توافق أن من السفن ما ينقلب وينكسر ومنها ماينقبه ثاقب فيرسب وكل ذلك بمشيئة الله تعالى .

ومثل هذه الآية قوله تعالى : **﴿ لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ﴾** [يس] .

وقوله تعالى : ﴿ وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما ﴾ .

وقوله ﷺ : « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » أخرجه أبو داود فى كتاب الأدب من حديث طويل .

ومعنى الاستثناء فى قوله : ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ لا ينقذهم من الغرق أحد إذا أردنا إغراقهم إلا أن نفعل نحن ذلك الإنقاذ لرحمة صادرة منا وتمتع بالحياة إلى حين قدر لآجالهم ، أو إلا أن نرحمهم رحمة ونمتعهم تمتيعا إلى أجل يموتون فيه أو إلا برحمة منا ، أو ولاهم ينجون من الغرق البتة ولكن رحمتى هى التى تنجيهم .

وهذه الآية كقوله تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾

[سبأ : ٩] .

والمراد بالآيتين التخويف مما أحاطهم من العذاب من كل جانب أينما ساروا ، فهو أمامهم وخلفهم محيط بهم ، فليس فى وسعهم أن يتخلصوا منه بالهرب .

وفائدة الاستثناء فى قوله : ﴿ إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين ﴾ انقسام الانقاذ إلى قسمين الرحمة والمتاع . فمن علم الله أنه يؤمن ينقذه رحمة منه سبحانه ، ومن علم أنه لا يؤمن فليتمتع زمانا ويزداد إثما .

وما أحوج راكب الفلك إلى رحمة الله فالسفينة فى الخضم كالريشة فى مهب الريح مهما ثقلت وضخمت وأتقن صنعها ، إلا تدركها رحمة الله فهى هالكة فى لحظة من ليل أو نهار . فرحمة الله وحدها هى العاصم من العواصف والتيارات فى هذا الخلق الهائل التى تمسك يد الرحمة الإلهية عنانه الجامح ولا تمسكه يد سواها فى أرض أو سماء . وذلك حين يقضى الكتاب أجله ويحل الموعد المقدور فى حينه وفق ما قدره الحكيم الخبير .

قال تعالى :

﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[فاطر : ٢] .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾

[ياسين : ٤٥ ـ ٤٦]

فى الآيات السابقة بيان لإعراضهم عن آيات الله الكونية وفى هذه الآية بيان لإعراضهم عن آياته التنزيلية .

للقرآن عطاء غزير لمعان كثيرة يستنبطها القارىء فى كل جيل . وفى قوله : ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ ﴾ تحقيق لهذا القول . فقد يراد . مابين أيديكم من الوقائع فيمن كان قبلكم من الأمم وما خلفكم من الآخرة ، أو ما بين أيديكم ما مضى من الذنوب وما خلفكم ما يأتى من الذنوب ، أو مابين أيديكم ما مضى من أجلكم وما خلفكم ما بقى منه ، أو مابين أيديكم من أمر الآخرة وما عملوا لها وما خلفكم من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها . أو مابين أيديكم ما ظهر لكم وما خلفكم ما خفى عنكم وكل هذه المعانى مرادة .

وجواب إذا محذوف تقديره أعرضوا دل عليه ما بعده : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ قائل ذلك هم المؤمنون ، أو النبي ﷺ : أو الله ـ تعالى ـ والمعنى ، وإذا قيل لهؤلاء المعرضين عن آيات الله المكذبين بها احذروا أن يصيبكم مثلما أصاب من قبلكم من الأمم مما هو قدامكم من الآفات والنوازل وعذاب الدنيا ، وخافوا ما أنتم مقدمون عليه بعد الهلاك من عذاب الآخرة إذا أصررتم على الكفر حتى الموت لعل الله يرحمكم باتقائكم ذلك ويحميكم من عذابه ويغفر لكم . إذا قيل لهم ذلك أعرضوا عنه وإذا قيل لهم اتقوا لا يتقون .

«لعلكـــم ترحمون» أى راجين أن ترحموا والترجي فى لعل من جانب المخاطبين وليس من الله سبحانه أو كى ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم أن مناط النجاة ليس إلا رحمة الله . فلعل هنا للتعليل ولا يكون الترجي من جانب الله لأن الترجي طلب الأمر المشكوك فيه والله يعلم الأشياء علما قطعيا قبل وجودها فلا يقع منه الشك ، ولأن الترجي يكون من الأدنى للأعلى ولا يوجد من هو أعلى من الله حتى يرجوه .

﴿ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ﴾ .

صيغة المضارع فى « وما تأتيهم » للدلالة على التجدد والاستمرار ، وإضافة الآيات إلى اسم الرب المضاف إلى ضمير « هم » فى « من آيات ربهم » توحي بتفخيم شأن الآيات وتهويل ما اجترأوا عليه فى حقها من التكذيب والإعراض ، والمراد بها الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسوابغ آلائه الموجبة للاقبال عليها والايمان بها ، وإتيانها نزول الوحي بها أى ما نزل الوحي بآية من الآيات الناطقة بذلك إلا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء ، فلا تثير فى قلوبهم التطلع والتدبر والتقوى . وهذه الآيات كافية أن تثير فى القلب المفتوح رعشة وانتفاضة وأن تخلطه بهذا الوجود الذى هو كتاب مفتوح تشير كل صفحة من صفحاته إلى عظمة الخالق ولطيف تدبيره وتقديره .ولكنّ هؤلاء المطموسين لا يرونها وإذا رأوها لا يتدبرونها . والله سبحانه عظيم الرحمة بهم لا يتركهم بلا رسول ينذرهم ويدعوهم إلى رب هذا الكون ويحذرهم موجبات الغضب والعذاب وهى محيطة بهم من بين أيديهم ومن خلفهم إلا ينتبهوا لها يقعوا فيها فى كل خطوة من خطواتهم .

وتتوالى عليهم الآيات التنزيلية مضافة إلى الآيات الكونية التى تحيط بهم حيثما يتجهون ولكنهم مع كل هذا يظلون عنها معرضين وفى غيهم سادرين .

قبس من أنوار النبوة

العمل الطيب عبادة

لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم

عن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها » .

ـ رواه أحمد والبخارى فى الأدب . وغيرهما ـ

من مفردات الحديث :

١ ـ الساعة : الوقت الذى تقوم فيه القيامة .

٢ ـ فسيلة : ما يقطع من الأم أو يقلع من الأرض فيغرس ، واحدة الفسيل وهو صغار النخل .

إن منهج الإسلام القويم ، ونظامه البديع ـ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ يمزج بين طريقى الدنيا والآخرة ، وينتشل الإنسان من فرديته ، وينقذه من أنانيته وسلبيته ، ويغرس فيه وجوداً إيجابيا يبنى فى رحابه لآخرته مستقراً ، وفى دنياه أثراً .

هذا المنهج الإسلامى الذى يجعل من اليأس أملا ، والحيرة قراراً ، والدنيا عملا وعبادة .

وليس هناك غير طريق واحد اسمه الإسلام ارتبطت فيه الدنيا بالآخرة ، وامتزج فيه العمل بالعبادة ، عمل على ترقية الحياة لا يعترف بالخمول ، وعقيدة لا تعترف بالتخاذل . ولا تستقر إلا بجهاد ونية وإخلاص وإنتاج ، تتقدم به مرتبة الكادحين العاملين على الرهبان المتبتلين ، لأن حظ كل فرد فى هذا الدين بقدر إسهامه فى المنافع العامة لإسعاد الأمة ، وحتى يحقق الخلافة لعمارة الأرض ، ويحمل رسالة الحياة لخير نفسه ولخير الأجيال من بعده . ومن هنا كان الحديث الشريف يحث على العمل بهذه البلاغة النادرة ، فما علينا إلا العمل ، وما فى الغيب لا يعلمه إلا الله ـ عز وجل .

ومن غير محمد نبى الإسلام ﷺ يبلغ هذا المنهج الصحيح ، ويضع لمسيرة الإنسان فى حياته وبعد مماته ؛ قواما تتوطن به النفس الإنسانية فى شيء واحد اسمه : العبادة من أجل العمل ، والعمل من أجل العبادة ، حتى حين تقوم القيامة فواجبه أن يستمر بعمل ، إنه ﷺ يقول : « إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة » .

إن أقصى ما يدور بفكر الإنسان أن يدعوه الرسول ﷺ فى هذه الساعة إلى التوبة



والاستغفار ، ونفض الأيدى من تراب الدنيا ، والانسلاخ من رغبات الحياة ، ولا شيء يمنع من ذلك إلى جانب قوله ﷺ : فليغرسها .

ذلك أن العمل حق ، وأن واجب الإنسان إعمارُ الأرض لا ترقب وقوع الآخرة ، فقد كلف بالعمل من أجل سعادته وسعادة الناس فى الدنيا والآخرة ، والطيب من العبادة ، ومن هنا ـ والله أعلم ـ كان إرشاد رسول الله ﷺ له برسم هذا الهدف لتحقيق الغاية ببناء الحياة الإنسانية بناء مقصودا به وجه الله ـ تبارك وتعالى .

لقد كان الوجع يأخذ منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولم يُنْسِهِ أمته ، والعمل من أجلها وكذلك كانت الفسيلة فى هذا الحديث الشريف : «فليغرسها» حتى يشفع القول بالعمل . وحتى تنسجم النفس الإنسانية مع الحقيقة التى ـ رسمها الله فى القرآن الكريم :

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

سورة القصص ـ ٧٧

لقد حرص الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ على تحقيق هذه الغاية ، فعن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : **« ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سُرق منه له صدقة ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة » .**

رواه مسلم

كما يبشر بسعادة العاملين على إسعاد المسلمين ولو باليسير . حيث يقول : فيما رواه مسلم : **« لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين » .**

نقل الطيبى : أن رجلا مر بأبى الدرداء ، وهو يغرس جوزة فقال : اتغرس هذا وأنت شيخ كبير ؟ وهذه لا تطعم إلا فى كذا وكذا عاما فقال : ما على أن يكون لى أجرها ويأكل منها غيرى .

لقد كان المسلمون يقتدون برسولهم ﷺ وهو يحثهم على العمل لتعمير الأرض ، وغرس ما فى أيديهم من فسائل الخير فى كل مكان ، وهم يتجهون إلى الله ـ وحده ـ وإلى الدار الآخرة ، كما لا تبعدهم مطامع الأرض المبتة عن طريق الله ـ عز وجل ـ ، ولا تبعدهم شهوات النفس المبتة عن تقوى الله ـ عز وجل .

إن على المجتمع الإسلامى أن ينهض ويعمل فى كل ميدان من ميادين العمل : ميدان العلم . وميدان الصناعة ، وميدان الاقتصاد ، والتجارة وأن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ، ويعمل لأخراه كأنه يموت غدا . ويغرسوا الفسيلة ولو كانت القيامة تقوم اللحظة .

وما أحوجنا إلى أن نستضيء بهذه اللمحة الكاشفة الدافعة من جوامع كلم رسول الله ﷺ لتنير لنا ظلمة اليأس ، وتغرس فينا نبتة الأمل . كما تغرس الفسيلة فى الواحة الخصبة لتؤتى أكلها بعد حين بإذن ربها .

من فوائد الإنفاق

بقلم أ. د محمود سالم الخطيب

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله ـ عز وجل : أنفق أنفق عليك ، وقال يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار » أخرجه البخاري[1] .

وفي رواية أخرى عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله ـ عز وجل : أنفق أنفق عليك ، وقال : يمين الله ملأى سحاء لا يغيضها شيء الليل والنهار » أخرجه الإمام أحمد[2] .

ترجمة راوي الحديث

أبو هريرة هو عبد الرحمن بن عامر بن طريف ابن عتاب وهو دوسي من اليمن ، وفي اسمه خلاف كبير ، قيل شهرته بكنيته حتى نسي الناس اسمه وقال : كان اسمي في الجاهلية : عبد شمس فسماني رسول الله ﷺ عبد الرحمن . وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثا ، لكنه ـ رضي الله عنه ـ لم ينفرد بحديث ، وفي ذلك أبلغ الرد على من نال منه .

روى عنه كثير من الصحابة والتابعين : فمن الصحابة : ابن عمر وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وغيرهما .

ومن التابعين : مروان بن الحكم ، وسعيد بن المسيب ، وغيرهما رضي الله عن الجميع .

وقال البخاري : روى عن أبي هريرة ثمانمائة من أهل العلم ، وكان هو وأهل بيته يقسمون الليل للعبادة .

وأخرج البغوي عن أبي هريرة : أنه لما حضرته الوفاة بكى ، فسئل ، فقال : « من قلة الزاد وشدة المفازة » ، وكانت وفاته بالعقيق ـ قريبا من المدينة المنورة ـ وحمل إلى المدينة سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين هـ ـ رضي الله عنه وأرضاه .

ومعنى «عزَّ» أي صار عزيزا فهو الغالب لا يُغلب[3] ، ومعنى «جَلَّ» أي «الجليل» وهو الموصوف بنعوت الجلال والحاوي جميعها والذي جل كل شيء أي أظهره[4] .

وقد اختلف العلماء في معنى «يمين الله» وإضافة

---

(1) ج ٣ ص ١٢٤

(2) المجلد الثاني ص ٢٤٢

(3) من النهاية لابن الأثير بتصرف ص ٢٢٨

(4) المرجع السابق ص ٢٨٧ بتصرف .

مثل هذا إلى الله ـ تعالى ـ فقال : المتأخرون منهم : معناها قدرة الله . وقال السلف : إن الله تعالى له يمين ويد ونحو ذلك ، ولا يعلم حقيقتها إلا هو ـ تعالى . وقال بعضهم : إن له صفة تسمى اليمين ، والحق أن الله ـ تعالى ـ متصف بكل كمال يليق به ، ومنزه عن كل نقص وعن كل مايشبه الحوادث قال تعالى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

الشورى ـ ١١

وعلينا أن ننأى بأنفسنا عن آراء أهل التجسيم والتشبيه الذين يجعلون الله ـ تعالى ـ مشابهاً للحوادث ، تعالى الله عن رأيهم علوا كبيرا .

ومعنى : «سحّاء» أى دائم الصب والهطل والعطاء ، وقد وصفت يمين الله تعالى بـ : الإمتلاء والعطاء ، لكثرة منافعها ، وخص اليمين بالذكر فى الرواية الثانية لأنها مظنة العطاء على طريق المجاز(*) ، أما معنى جملة : «لا يغيضها شيء» أى لا ينقصها ، وهى كناية عن خزائنه التى لا تنفد بالعطاء .

وأبين المعنى العام لهذا الحديث فأقول : إن النبى ﷺ يخبر عن ربه ـ عز وجل ـ بأنه يأمرنا بإنفاق المال فى سبيل الخير . فيشمل الإنفاق : الزكاة المفروضة ، ويشمل ما عداها من صدقات . والمسلم إذا فعل ذلك «أنفق الله عليه» بمعنى : زاده من نعمه وبارك له فى ماله وأثابه على هذا الإنفاق ، قال تعالى :

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾

إبراهيم ـ ٧

وأكد الله ـ تعالى ـ ذلك المعنى بقوله : «يمين الله ملأى سحّاء» . والمراد أن قدرة الله على الإنفاق لا حد لها ، فله ـ عز وجل ـ طلاقة القدرة . وكذلك أكد بلفظ (سحاء) للدلالة على دوام الصبّ والهطل والعطاء ، فكما أن السح نزول المطر بكثرة ، فكذلك إنفاق الله ـ تعالى .

وبين لنا الرسول ﷺ أن يمين الله ملأى لا تتأثر بكثرة الإنفاق وأن الله ـ تعالى ـ مهما أنفق على العباد لا ينقص من عنده شيء مهما توالى الليل والنهار ، وهو المراد بقوله : «لا يغيضها شيء الليل والنهار» فهما إما منصوبان على الظرفية . وإما مرفوعان على الفاعلية .

يقول ـ تعالى ـ فى الحديث القدسى : «ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته . ما نقص مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر» رواه مسلم(٦) .

وأمر الله ـ تعالى ـ العباد بالإنفاق يشمل : الإنفاق الواجب كالزكاة ، والمسنون كسائر الصدقات .

وقد حرص الإسلام على الزكاة ، فذكرها الله تعالى مقرونة بالصلاة فى كثير من آيات القرآن كقوله ـ تعالى :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

البقرة ـ ١١٠

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا

(*) النهاية لابن الأثير ص ٣٤٥ ج ٢ .

(٦) مسلم عن أبى ذر .

﴿ لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾

سورة الروم ـ ٣٩

وقد حذر الرسول ﷺ من ترك الزكاة ، وبين عقاب تاركها في قوله : من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان . يطوقه يوم القيامة . ثم يأخذ بلهزمتيه ـ يعني بشدقيه ـ ثم يقول : أنا مالك أنا كنزك ، ثم تلا قوله تعالى :

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[٧]

آل عمران ـ ١٨٠

وأما عن صدقة التطوع فقد جاء الحث عليها كثيراً في القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، قال تعالى :

﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

البقرة ـ ٢٤٥

وقوله تعالى :

﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾

سورة الحديد ـ ١١

فلماذا يبخل الإنسان بالمال ويترك الإنفاق في الخير ، علما بأنه من الله ـ تعالى ـ واستخلف الإنسان فيه ، قال تعالى :

﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾

سورة الحديد ـ ٧

وقال تعالى :

﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾

سورة النور ـ ٣٣ .

ويقول ﷺ ـ فيما رواه أبو هريرة : «ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا . ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا»[٨] .

فلينفق الله كل مسلم وينفق في وجوه الخير على الفقراء ، والمساكين ، واليتامى ، والأرامل ، والضعفاء ، والمرضى ، والمعوزين ثقة بما عند الله حتى يتحقق مبدأ التكافل والتضامن الاجتماعي بين المسلمين ، والتاريخ شاهد صدق على حل مشكلة الفقر عند العمل بروح الإسلام ، ويكفي أن ننظر إلى صدر الإسلام وعهد الخلفاء الراشدين ، ونحن نقرأ عن عهد الخليفة الخامس الراشد عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ أنه قيل له يوما : لم نجد فقيرا نعطه الزكاة ! فقال لهم : اقضوا الدين عن المدينين . قالوا : قد فعلنا . فقال لهم : زوجوا كل أعزب . فقالوا : قد فعلنا . فقال لهم : أخرجوا للحج من لم يحج .

ولاشك أن ما شرعه الله لعباده من تعاليم ومبادىء وقيم ، إنما تعود بتطبيقها على المجتمع الإسلامي بأسره أفراداً وجماعات ، فما أطيبه من منهج للحكم ودستوراً للحياة .

---

(٧) رواه البخاري .

(٨) البخاري ومسلم .

من أعلام مدرسة الحديث بالحجاز

د/ أحمد المعصراوى

الإمام سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم أخي الضحاك بن مزاحم الإمام الكبير حافظ العصر شيخ الإسلام أبو محمد الهلالى الكوفى المكي .

ولد بالكوفة سنة سبع ومائة وطلب الحديث وهو حدث بل غلام ولقى الكبار وحمل عنهم علما جما وأتقن وجود وجمع وصنف وعُمِّر دهرا وازدحم الخلق عليه وانتهى اليه علو الاسناد ورُحل إليه من البلاد وألحق الأحفاد بالأجداد ..

ـ سير اعلام النبلاء ٨/٤٥٤ ـ

كان لسفيان بن عيينة تسعة أخوة حدّث منهم أربعة محمد وآدم وعمران وابراهيم فأما سفيان فكان له فى العلم قدر كبير ومحل خطير أدرك نيفا وثمانين نفسا من التابعين وسمع ابن شهاب الزهرى وعمرو بن دينار وابا اسحاق السبيعى وعبدالله بن أبى نجيح وخلقا كثيرا .

روى عنه الأعمش والثورى وشعبة واحمد بن حنبل ويحيى بن معين وجماعة من نظرائهم وممن بعدهم /تاريخ بغداد ٩/١٧٤ . ولقد كان خلق من طلبة الحديث فيكلفون الحج وما المحرك لهم سوى لُقيا سفيان بن عيينة لامامته وعلو إسناده ، وجاور عنده غير واحد من الحفاظ/ سير اعلام النبلاء ٨/١٥٦ .

ومن كبار أصحابه المكثرين عنه الحميدى والشافعى وعلى بن المدينى واحمد بن حنبل وابراهيم الرمادى .

لقد كان سفيان بن عيينة من أكابر المحدثين فى عصره ذو باع طويل فى علم الحديث وغيره حتى قال الإمام الشافعى عنه لولا مالك وسفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز ، وقال وجدت أحاديث الأحكام كلها عند مالك سوى ثلاثين حديثا ووجدتها عند ابن عيينة كلها سوى ستة أحاديث .

فهذا يوضح لك سعة دائرة سفيان في العلم وذلك لأنه ضم أحاديث العراقيين إلى أحاديث الحجازيين وارتحل ولقي خلقا كثيرا ما لقيهم مالك وهما نظيران في الإتقان ولكن مالكا أجل وأعلم فعنده نافع وسعيد المقبري .

قال عبدالرحمن بن مهدي كان ابن عيينة من أعلم الناس بحديث الحجاز/ سير أعلام النبلاء ٤٥٧/٨ .

قال حرملة سمعت الشافعي يقول : ما رأيت أحدا فيه من آلة العلم ما في سفيان بن عيينة وما رأيت اكف عن الفتيا منه ، قال : وما رأيت أحدا أحسن تفسيرا للحديث منه وكان بعض أهل الحديث يقول : هو اثبت الناس في حديث الزهري وكان حسن الحديث وكان يعد من حكماء اصحاب الحديث .

ومن الطرائف ما روى عن ابي الربيع النخاس قال لقيت هارون أمير المؤمنين فسألني عن علية الهاشميين ثم قال لي : ما فعل سيد الناس ، قال : قلت : يا أمير المؤمنين ومن سيد الناس غيرك ، قال : سيد الناس سفيان بن عيينة .

قال يحيى بن سعيد ما بقي من معلمّي الذين تعلمت منهم غير سفيان بن عيينة فسأله علي : يا أبا سعيد سفيان إمام في الحديث ، قال : سفيان إمام القوم منذ أربعين سنة .

وقال علي : وسمعت بشر بن المفضل يقول : وقال بيده على الأرض - ما بقي على وجه الأرض أحد يشبه سفيان بن عيينة /تاريخ بغداد ١٨٠/٩ .

وقال ابن مهدي : عن ابن عيينة من معرفته بالقرآن وتفسير الحديث ما لم يكن عند سفيان الثوري .

ومن الطرائف ما روى عن احمد بن النضر الهلالي قال سمعت أبي يقول : كنت في مجلس سفيان بن عيينة فنظر الى صبي فكأن أهل المسجد تهاونوا به لصغره ، فقال سفيان :

﴿ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾

النساء آية ٩٤

ثم قال : يا نضر لو رأيتني ولي عشر سنين طولي خمسة أشبار ، ووجهي كالدينار ، وأنا كشعلة نار ، ثيابي صغار وأكمامي قصار ، وذيلي بمقدار ، ونعلي كآذان الفار ، اختلف إلى علماء الامصار كالزهري وعمرو بن دينار أجلس بينهم كالمسمار ، محبرتي كالجوزة ، ومقلمتي كالموزة ، وقلمي كاللوزة فإذا أتيت قالوا : أوسعوا للشيخ الصغير ، ثم ضحكوا/سيرا اعلام النبلاء ٤٥٩/٨ .

قال سفيان : أول من اسندني إلى الاسطوانة مسعر بن كرام فقلت له أني حدث ، قال : إن عندك الزهري وعمرو ابن دينار .

وقال سفيان كان أبي صيرفيا بالكوفة فركبه دين فحملنا إلى مكة فصرت إلى المسجد فإذا عمرو بن دينار فحدثني بثمانية أحاديث فأمسكت له حماره حتى صلى وخرج فعرضت الأحاديث عليه فقال : بارك الله فيك .

وكان سفيان رضي الله عنه على قدر كبير من الزهد والورع والتقي وكان كثير الخشية لله

والخوف منه وكان يقول : من كانت معصيته فى الشهوة فارج له ، ومن كانت معصيته فى الكبر فأخش عليه ، فإن آدم عصى مشتهيا فغفر له ، وإبليس عصى متكبرا فلعن .

كان سفيان ــ رضى الله عنه ــ متواضعا لا يترفع فى العلم على أصحابه فقد سألوه يوما ان يحدث فقال : ما أراكم للحديث موضعا ولا أرانى أن يؤخذ عنى أهلا وما مثلى ومثلكم إلا ما قاله الأول افتضحوا فاصطلحوا .

وكان يكره أن يتكلم فى القدر فعن أبى عبدالرحمن بن لحقان قال سمعت ابن عيينة فى السنة التى أخذوا فيها بشرا المريسى بمنى فقام سفيان فى المجلس مغضبا فقال : لقد تكلموا فى القدر والاعتزال وامرنا باجتناب القوم رأينا علماءنا ، هذا عمرو بن دينار وهذا محمد بن المنكدر حتى ذكر أيوب بن ... رى والأعمش ومسعر ما يعرفونه إلا كلام الله ولا نعرفه إلا كلام الله فمن قال غير ذا فعليه لعنة الله مرتين فما أشبه هذا بكلام النصارى فلا تجالسوهم/سير ٤٦٨/٨ .

وكان سفيان رضى الله عنه كثير الحج ، حج اثنين وسبعين مرّة ومات عطاء سنة خمس عشرة ومائة وحج سفيان بعد موته بسنة وهو ابن تسع سنين فلم يزل يحج إلى أن مات وأقام بمكة سنة اثنين وعشرين ومائة إلى ست وعشرين ومائة ثم خرج إلى الكوفة .

مات ــ رضى الله عنه ــ يوم السبت الأول من شهر رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ودفن بالحجون .

وقيل مات سنة ثمان وتسعين فى آخر يوم من جمادى الآخرة راجع تاريخ بغداد ١٨٤/٩ .

وقد نعاه الخطيم فقال :

سيرى نجاة وقـاك الله من عطب
حتى تلاقى بعد البـيت سفيانــا
شيخ الأنام ومن جلت مناقبـــة
لاقى الرجال وحاز حلم أزمانا
حوى بيانا وفهما عاليا عجبــا
إذا يَنُصُّ حديثا نَصَّ برهانـــا
يضم عمْرا إلى الزُّهرى يسنــده
وبعد عمر وإلى الزهرى صفوانا
وعبـدةُ وعُبيـد الله ضمَّهمـــا
وابن السُّبيعىُّ أيضا وابن جُدعانا
فعنهم عن رسول الله يُوسِعُنــا
علماً وحكماً وتأويلاً وتبيانــا .

وقال الرياشى : قا الأصمعى يرثى ابن عيينة :

لَيْبَك سُفيان باغى سنة درست
ومستبين آثــارات وآثـــار
أمست منازلـه وحشا معطلــة
من قاطنين وحجـاج وعمــار
من الحديث عن الزهرى يسنده
وللأحاديث عن عمرو بن دينار
ماقام من بعده من قال حدثنــا
الزهرى فى أهل بدو أو بإحضار

تم بحمد الله

أهداف الحج ومقاصده

لسماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز (*)

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله ، وخليله وأمينه على وحيه ، وصفوته من خلقه : نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله إمام الدعاة إلى الله ﷺ وكرّم وبارك عليه ، وعلى آله وعلى أصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

فإنى أشكر - عز وجل - على جميع نعمه ، وأسأل الله أن يوفقنا وجميع حجاج بيت الله الحرام ، وجميع المسلمين لكل مافيه رضاه ، وأن يصلح أحوالهم ، ويمنحهم الفقه فى الدين ، وأن يولى عليهم خيارهم ، وأن ينصر دينه ويعلى كلمته .

إنه - جل وعلا - ولى ذلك والقادر عليه .

أيها الإخوة فى الله حجاج بيت الله الحرام :

الحج له أهداف عظيمة ومقاصد متنوعة وفيه منافع عاجلة وآجلة ؛ منافع فى الدنيا والآخرة من : صلاة ، وصوم ، وزكاة وحـــج وغير ذلك .. كل شرائعه - سبحانه - فيها الخير العظيم ، والمنافع الجمة للعباد فى عاجل أمرهم ، فى هذه الدنيا من : صلاح القلوب ، واستقامة الأحوال ، والرزق الطيب ، وراحة الضمير ، إلى غير ذلك ، مع ما فى ذلك من العاقبة الحميدة ، والفوز الكبير بدار النعيم مع النظر إلى وجهه - جل وعلا ، والفوز برضاه كما قال الله - سبحانه : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾

[الحج : ٢٧ ، ٢٨] .

والحج عبادة عظيمة سنوية شرعها الله للعباد لما فيها من المنافع العظيمة ، وما تهدف إليه من المقاصد الجليلة ، ولما يترتب عليه من خير فى الدنيا والآخرة ، وهى فريضة على جميع المكلفين فى جميع أقطار الدنيا رجالا ونساء ، إذا استطاعوا السبيل إليها كما قال جل وعلا : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

(*) الكاتب : رئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية ، والافتاء بالمملكة العربية السعودية .

وفى الصحيحين

عن ابن عمر - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ أنه قال : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت » .

فهذه الدعائم الخمس هى أركان الإسلام ، وهى عُمْدَةُ التى يقوم بناؤه عليها .. وكان فرضه فى السنة التاسعة أو العاشرة من الهجرة .

وفى صحيح مسلم من حديث عمر - رضى الله تعالى عنه - فى سؤال جبرائيل عن الإسلام والإيمان قال له - عليه الصلاة والسلام : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا » .

وفى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال : « من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .

وهذا يعم الحج والعمرة جميعا .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ أنه قال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

وهذا من مقاصد الحج ومقاصد العمرة فمن أداها على الوجه الشرعى كان جزاؤه الجنة والكرامة وغفران الذنوب وحط الخطايا .

ويا لهذا الهدف من خير عظيم وفضل كبير .

إن من أتى هذا البيت مخلصا لله - جل وعلا - يريد وجهه الكريم من قريب أو بعيد ، ثم أدى هذا الحج على وجه البر لا رَفَثَ فيه ولا فُسُوقَ ؛ فإن الله - جل وعلا - يكتب له به الجنة وغفران الذنوب ، وهكذا العمرة ، لقوله ﷺ : « من أتى هذا البيت » ولقوله ﷺ : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما » .

فهذا الهدف العظيم لقاصدى هذا البلد المبارك هو مطلب كل مؤمن وكل مؤمنة الفوز بالجنة والنجاة من النار وغفران الذنوب وحط الخطايا .

والله - جل وعلا - أخبر عن خليله - إبراهيم عليه الصلاة والسلام - أنه دعا لأهل هذا البلد ، فقال - جل وعلا - على لسان خليله ابراهيم :

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾ سورة البقرة

واستجاب الله هذا الدعاء فبعث خليله محمداً - عليه الصلاة والسلام - بهذه الأمور التى بينها الخليل - عليه الصلاة والسلام - يتلو عليهم كتاب الله المنزل ، ويعلمهم الكتاب وهو : القرآن ، والحكمة وهى : السنة ، ويزكيهم بما بعثه الله به من الأخلاق العظيمة ، والعبادات الرفيعة المتنوعة ، ويطهرهم من الأخلاق الذميمة والصفات المنكرة ، فالإسلام طُهْرَة لهم وزكاة لهم من جميع أعمالهم وجميع أخلاقهم المنحرفة ، وتوجيه لهم إلى طيب الأعمال وزكى الأخلاق ، ومن ذلك الحج .

والله بعث محمدا وسائر الأنبياء بما فيه طهارة القلوب وطهارة الأعمال ، وصلاح القلوب

وصلاح الأعمال ، وصلاح الأخلاق .

فمن الزكاة والطهرة إقامة الصلوات كما شرعها الله ، وأداء الزكاة كما شرعها الله ، وصوم رمضان كما شرعه الله ، وحج البيت كما شرعه الله . وهكذا أداء بقية الأوامر مع اجتناب النواهي ، فالرسل - عليهم الصلاة والسلام - وعلى رأسهم خاتمهم وإمامهم نبينا محمد - عليه الصلاة والسلام - بعثوا ليطهروا الناس من أخلاقهم الذميمة ، وأعمالهم الخبيثة ويزكوهم بالأعمال الطيبة ، والأخلاق الكريمة ، التي أعظمها وأساسها توحيد الله - سبحانه وتعالى - وإخلاص العبادة له - جل وعلا - في جميع الأحوال ، وترك عبادة ماسواه والإيمان به وبرسله ، وبكل ما أخبر الله به ورسله عما كان وما يكون ، والإيمان بنبيه محمد ﷺ والاستقامة على دينه هذا أصل هذا الدين وأساسه ، توحيد الله والإخلاص له وهو أعظم هدف للحج وأعظم مقصد ، أن يأتي العبد مخلصا لله ، يقصد وجهه الكريم ويلبي ويقول : (لبيك لا شريك لك) يريد إخلاص العبادة له وحده يريد توجيه قلبه وعمله لله - سبحانه وتعالى - ويكرر : (لبيك اللهم لبيك) يعني : أنا عبد مقيم لعبادتك إقامة بعد إقامة ، ومجيب لدعوتك على دين رسولك وخليلك إبراهيم وعلى دين حفيده محمد - عليه الصلاة والسلام - مجيب لذلك إجابة بعد إجابة . أقصد وجهك وأخلص لك العمل ، وأنيب إليك في جميع الأعمال من صلاة وحج وغير ذلك .

(لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) .

هذا أول شيء يبدأ به قاصد البيت العتيق إخلاص العبادة لله وحده ، والتوجه إليه ، والإقرار أنه سبحانه الواحد الأحد لا شريك له في الخلق والتدبير والملك ، ولامثيل له في ذلك ، وله العبادة - وحده - دون كل ما سواه ، فهو مختص بالعبادة - وحده - دون كل ما سواه كما قال - جلا وعلا : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] قال - عز وجل :

﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر : ٢ ، ٣] وقال سبحانه :

﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة] ..

وقال - عز وجل :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ ﴾ [لقمان : ٣٠] .

فالعبادة حقُّهُ ، وما سواه معبود بالباطل فمن عبد الرسول أو الأنبياء أو الملائكة أو الصالحين أو الجن أو الأصنام أو غير ذلك فقد عبدهم بالباطل وأشرك بالله الشرك الأكبر .

فالرسل أفضل عباد الله لكن لا حق لهم في العبادة فالعبادة حق الله .

والملائكة والصالحون من خير عباد الله . من جن وإنس لكن لا حق لهم في العبادة .

العبادة حق الله - وحده - ليس له فيها شريك .

كما قال - تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء ٢٣]

وقال - سبحانه : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] وقال - عز وجل :

﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ⑬ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[فاطر : ١٣ ، ١٤]

فبيّن ـ سبحانه ـ أن الدعوة لغيره شرك بالله ـ تعالى ـ سواء كان المدعو ملكاً أو رسولاً أو نبياً أو صالحاً أو جنياً أو صنماً أو غير ذلك .. ويقول ـ جل وعلا :

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ⑰ ﴾ [المؤمنون] فسماهم كفرة بذلك .

فمن أعظم مقاصد الحج وأعظم أهدافه إخلاص العبادة لله ـ وحده ـ وتوجيه القلوب إليه ـ جل وعلا ـ إيماناً بأنه يستحق العبادة ، وإيماناً بأنه المعبود بالحق ، وإيماناً بأنه رب العالمين ـ وحده ـ وأنه صاحب الأسماء والصفات الكريمة ـ وحده ـ لا شريك له ولا شبيه له ولا نِدّ له ـ سبحانه وتعالى ـ وقد أشار إلى هذا في قوله ـ جل وعلا :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ㉖ ﴾ [الحج]

وفي البقرة ـ ١٢٥ قال تعالى :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ بأن يعبدوه وحده عند بيته الكريم ويطهروا ماحول البيت من الأصنام والأوثان ، وسائر ماحرم الله ، ومن النجاسات ، ومن كل مايؤذى الحجيج أو العمار ، أو يشغلهم عن هدفهم .

فالبيت للمصلين وللطائفين وللعاكفين وهم المقيمون عنده يعبدون الله فيه ، وفي حرمه يجب أن يطهر لهم من كل ما يصد عن سبيل الله ، أو يلهي الوافدين إليه من قول أو عمل ، ثم يقول ـ سبحانه ـ بعد ذلك :

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ㉗ ﴾

سورة الحج

وقد أذن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الناس ، وأسمع الله صوته لمن يشاء من العباد ، وأجاب الناس هذه الدعوة المباركة من عهد إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأظهر تحريمه بين الناس ، وقد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض ، فهـو حرام بحرمـة الله إلى يوم القيامة .. ثم قال ـ جل وعلا : ﴿ **ليشهدوا منافع لهم** ﴾ أطلقها وأبهمها لعظمها وكثرتها .. منافع عاجلة وآجلة منافع دنيوية وأخروية ، فمنها ـ وهو أعظمها ـ ليشهدوا توحيـده والإخلاص له ، في الطواف ببيته والصلاة في رحاب بيته ، والدعوة له ـ سبحانه ـ والإنابة إليه والضراعة إليه بأن يقبل حجهم ، ويغفر لهم ذنوبهم ، ويردهم سالمين إلى بلادهم ويمن عليهم بالعودة إليه مرة بعد مرة ، ليضرّعوا إليه ـ جل وعلا .

هذه أعظم المنافع أن يعبدوه ـ وحده ـ وأن يأتوا قاصدين وجهه الكريم لا رياء ولا سمعة ، بل جاؤوا ليطوفوا ببيته ، وليعظموه وليصلوا في

رحاب بيته ، ويسألوه من فضله ـ جل وعلا .

هذه أعظم المنافع وأكبرها توحيـد الله والإخلاص له والإقرار والتواصي بذلك بين العباد الوافدين .. يتعرفون هذا الأمر العظيم ويلبون بأصوات يسمعها كل أحد ، ولهذا شرع الله رفع الصوت بالتلبية ، ليعرفوا هذا المعنى وليحققوه وليتعهدوه في قلوبهم وألسنتهم ، وفي الحديث عن الرسول ﷺ قال : « إن جبرائيل أتاني فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال »[1] فالسنة رفع الصوت بهذه التلبية حتى يعلمها القاصي والداني ويتعلمها الكبير والصغير ، والرجل والمرأة وحتى يستشعر معناها ويتحقق مقتضاها ، وأن معناها إخلاص العبادة لله ـ وحده ـ والإيمان بأنه إلههم الحق وخالقهم ورازقهم ومعبودهم ـ جل وعلا ـ في الحج وغيره .

ومن مقاصد الحج أن يتعارف المسلمون ويتواصوا بالحق ويتناصحوا . يأتون من كل فج عميق من غرب الأرض وشرقها وجنوبها وشمالها . يجتمعون في رحاب بيت الله العتيق في (عرفات) وفي (مزدلفة) وفي (منى) وفي رحاب مكة يتعارفون ويتناصحون ويعلم بعضهم بعضا ، ويرشد بعضهم بعضا ويساعد بعضهم بعضا ، ويواسي بعضهم بعضا ، مصالح عاجلة وآجلة ، مصالح التعليم والتوجيه والإرشاد والدعوة إلى سبيل الله ، وتعليم مناسك الحج ، وتعليم الصلاة وتعليم الزكاة يسمعون من العلماء ما ينفعهم ، لأن الله بعث محمداً ﷺ بما يزكيهم وبما يعلمهم الكتاب والحكمة . فيسمعون في رحاب البيت العتيق وفي رحاب مسجد رسول الله ﷺ يسمعون من العلماء ما فيه الهداية والبلاغ والإرشاد إلى طريق الرشاد ، وسبيل السعادة إلى توحيد الله والإخلاص له ، إلى ما أوجبه الله على عباده من الطاعات ، وإلى ما حرم عليهم من المعاصي ليحذروها ، وليعرفوا حدود الله ويتعاونوا على البر والتقوى ، فمن أعظم المنافع وأجلها أن يتعلموا دين الله ، ويتبصروا في رحاب البيت العتيق ورحاب المسجد النبوي من العلماء والمرشدين والمذكرين ما قد يجهلون من أحكام دينهم ، وما قد يجهلون من أحكام حجهم وعمرتهم حتى يؤدوها على علم وبصيرة ، وحتى يعبدوا الله في أرضهم وأينما كانوا على علم وبصيرة .

من هنـا نبـع هـذا العلم ـ علـم التوحيد ـ وصدر ، ثم من المدينة ثم من سائر هذه الجزيرة ومن سائر بلاد الله التي وصلها العلم واهله لكن أصله من هنا .. من رحاب بيت الله العتيق .

فعلى العلماء أينما كانوا وعلى الدعاة أينما كانوا ولا سيما هنا في رحاب بيت الله أن يعلموا الناس ، والحجيج العُمَّار ويعلموا القاطنين والوافدين والزائرين ، يعلموتهم مناسك حجهم ، يعلموتهم : لماذا خلقوا ، وبماذا أمروا . خلقوا ليعبدوا الله وأمروا بعبادة الله قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[الذاريات : ٥٦]

وقال سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة

فعلى العلماء ـ وفقهم الله ـ أينما كانوا أن يرشدوهم في المساجد وفي الطرقات وفي السيارة

وفى الطائرة وفى السفينة . وفى أى مكان وأن يرشدوهم إلى أسباب النجاة وأن يحذروهم أسباب الهلاك ، وعليهم بوجه خاص أن يعلموهم مناسك حجهم وعمرتهم التى جاؤوا ليؤدوها يعلموهم ذلك فى كل مكان .

والمؤمن لا يدع فرصة إلا انتهزها للتعلم ، والاستفادة من العالم ، وطالب العلم أينما كان ـ ولا سيما فى رحاب بيت الله العتيق فى أيام الحج هذا الموسم العظيم .

فالمسلم مأمور بالتعلم وبالتفقه أينما كان وفى أى مكان وزمان ، ولكن فى رحاب بيت الله العتيق الأمر أعظم والحاجة ماسة للتفقه فى الدين وفى مناسك الحج والعمرة بوجه أخص يقول النبى ﷺ فى الحديث الصحيح :

« من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » متفق على صحته .

فمن علامات الخير لك والسعادة أن تتفقه فى دين الله ، هنا فى بلد الله العتيق وفى بلادك وفى أى أرض كنت من أرض الله متى وجدت العالم بشرع الله ـ سبحانه ـ فانتهز الفرصة ولاتتكبر ولا تكسل ، فالعلم لا يناله المتكبرون ، ولا يناله الكسالى والعاجزون فهو يحتاج إلى نشاط وهمة عالية ، ولا يناله المُسْتَحْيُون ، وليس التأخر عن طلب العلم بحياء ، ولكنه خور وضعف وعجز .

يقول الله ـ سبحانه :

﴿ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾

[الأحزاب ، ٥٣]

ويقول مجاهد التابعى الجليل ـ رحمه الله : « لا يتعلم العلم مستح ولا مستكبر » فالمؤمن البصير لا يستحى فى هذا ؛ بل يتقدم ويسأل ، والمؤمنة كذلك كل منهما يتقدم ويسأل ويبحث ويبدى ماليه من الأشكال حتى يزول إشكاله .

ومن علامات السعادة والتوفيق والخير أن تتعلم وأن تتفقه فى دين الله يقول ﷺ :

« من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة » .

وفى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى أن النبى ﷺ قال :

« مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها نقيّة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، ذلك من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » .

ومن منافع الحج نشر العلم بين الحجاج ممن جاء وافداً ، وعنده علم ينشره بين الناس مع إخوانه فى مكة . يَنشُرُهُ بين الحجيج وبين رفقائه فى الطريق ، بالاعتماد على قول الله ورسوله لا بالآراء الخارجة عن الكتاب والسنة . وتعلّم الناس ما علمت من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ ومما استنبطه أهل العلم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا عن جهل وعدم بصيرة بل بالعلم والبصيرة كما قال تعالى :

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾

[يوسف ـ ١٠٨] .

ومن أهداف الحج ومقاصده ومنافعه الاستكثار من الصلوات والطواف كما قال الله ـ سبحانه ـ : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾

فيشرع للحاج والمعتمر أن يكثر من الطواف متى قدر عليه من غير مزاحمة ولا مشقة ، والإكثار من الصلاة فى الحرم ، وفى مساجد مكة والصواب أن التفضيل فى الثواب يعم المساجد كلها وبمكة يعم الحرم كله فاغتنم الفرصة فى المسجد الحرام وفى مساجد مكة وفى بيتك أكثر من الصلاة وقراءة القرآن الكريم ، وأكثر من التسبيح والتهليل ، والذكر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله .

وعليك أيها الحاج : أن تنتهز فرصة اجتماع هذا الجمع الغفير من الناس من أفريقيا وأوروبا وآسيا وغيرها وتحرص على التبليغ عن الله ـ تعالى ـ وأن تعلم مما أعطاك الله ، ثم احرص على العمل الصالح من صلاة وطواف ، ودعوة إلى الله وتسبيح وتهليل وذكر وقراءة قرآن وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وعيادة المريض ، وإرشاد الحيران إلى غير ذلك من وجوه الخير .

ومن منافع الحج العظيمة الوفاء بما عليك من نذور كالعبادات التى نذرتها بأن تؤدى فى المسجد الحرام ، ومن هدايا تذبحها فى منى وفى مكة ومن صدقات تؤديها . وإن كان النذر لا ينبغى ، فالنبى ﷺ قال « النذر لا يأتى بخير »[1] ولكن متى نذرت طاعة وجب الوفاء بها لقول النبى ﷺ : « من نذر أن يطيع الله فليطعه »[2] فإذا نذرت فى هذا الحرم صلاة أو طوافاً أو غير ذلك من العبادات ، فيجب أن تؤديها فى هذا البلد الحرام لقول الله ـ سبحانه ـ : « وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ » .

ومن المقاصد العظيمة والأهداف الجليلة للحج أن تواسى الفقير ، وتحسن إليه من الحجاج وغير الحجاج ، فى هذا البلد الأمين وفى الطريق وفى المدينة المنورة .. تواسى مما أعطاك الله الحجيج الفقراء ، وتواسى من قصرت به النفقة ممن عدموا القدرة على الهدى ، وهذه الأهداف والمقاصد العظيمة قد أطلقها ـ عز وجل ـ فى قوله ـ سبحانه : « لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ » [الحج ٢٨] فهى منافع كثيرة ومنها مواساة الحجيج الفقراء والإحسان إليهم وسد خلتهم مما أعطاك الله ، ومداوة المريض وعلاجه والشفاعة له لدى من يقوم بذلك ، وإرشاده إلى المستشفيات والمستوصفات حتى يعالج ، وإعانته على ذلك بالمال وبالدواء كل هذا من المنافع .

ومن المنافع العظيمة التى ينبغى لك أن تلزمها دائماً الإكثار من ذكر الله فى هذا البلد الأمين والإكثار من ذكر الله فى كل الأحوال قائماً وقاعداً وعلى فراشك ومن ذلك : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

والدعاء والإلحاح فيه . فمن المنافع العظيمة أن تجتهد فى دعاء ربك والضراعة إليه أن يتقبل منك وأن يصلح قلبك وعملك ، وأن يعينك على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وأن يعينك على أداء الحق الذى عليك على الوجه الذى يرضيه ـ سبحانه ـ وأن يعينك على الإحسان إلى عباده ، ونفعهم وأن لا يتأذوا منك بشىء .



نسأل الله أن يجعلك مباركاً لا تؤذى أحداً ، وتنفع عباده ، فمن المنافع العظيمة أن تحرص على النفع وعدم الأذى .. لا تُؤذِ الناس لا في الطريق ولا في الطواف ولا في السعي ولا في عرفات ولا في مزدلفة ولا في منى ولا في أى مكان ولا في الباخرة ولا في الطائرة ولا في السيارة ولا في الخيمة . لا تُؤذِهِمْ لا بِسَبٍ ولا بكذب ولا بيدك ولا برجلك ولا بغير ذلك . تتحرى أن تنفع ولا تُؤذِ الحجيج ، ولا غيرهم لا بقول ولا بعمل ؛ فذلك من المنافع العظيمة .

ومن المنافع العظيمة للحج أن تؤدى المناسك في غاية من الكمال ، وفي غاية من الإتقان وفي غاية من الإخلاص . وفي طوافك وسعيك ورمى الجمار .. وفي عرفات ، وفي مزدلفة تكون في غاية الإخلاص ، وفي غاية من حضور القلب ، وفي غاية من جمع القلب على الله في دعائك وذكرك وقراءتك وصلاتك ، وغير ذلك .. تجمع قلبك على الله وتحرص أينما كنت على الإخلاص لله .

ومن المنافع الهدايا ، سواء كانت واجبة عند التمتع والقران أو غير واجبة تهديها تقرباً إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ .. وقد أهدى النبى ﷺ في حجة الوداع مائة بدنة ، وأهدى الصحابة ـ رضى الله عنهم ، فالهدى قربة إلى الله ـ عز وجل ـ يوزع على الفقراء والمحاويج ، في أيام مِنًى وفي غيرها .. هدايا تطوّع تنفع بها الناس في منى ، وفي غير منى قبل الحج وبعده .

أما « هدى التمتع » فيذبح في منى ، وفي مكة أيضاً ، وفي بقية الحرم في أيام منى ، وهى أربعة يوم النحر وأيام التشريق الثلاثة .

أما الصدقة بالذبائح وبالمال ففى أى وقت .. لو ذبحت في أيام العشر أو قبلها وتصدقت ووزعتها على الفقراء ، ووزعت أطعمة أو ملابس أو دراهم ، كله خير . إنما الذى يُخصّ به أيام منى ، الأيام الأربعة هدايا التمتع والقران والضحايا . أما التطوعات بالذبائح فوقتها واسع ، في جميع الزمان .

هذا وأسأل الله ـ عز وجل ـ أن يوفقنا وجميع الحجاج وجميع المسلمين للعلم النافع والعمل الصالح ، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعا ، وأن يتقبل منا ومن سائر الحجاج حجنا وعمرتنا ، وأن يعيد الحجاج جميعا إلى بلادهم سالمين موفقين ، مغفوراً لهم ، متعلمين متبصرين ، وقد عرفوا الحق بدليله ، وعرفوا التوحيد على بصيرة ، حتى يرجعوا إلى بلادهم غانمين موفقين قد عرفوا دين الله على بصيرة وقد أدوا حجهم على بصيرة وعمرتهم ومناسكهم على بصيرة .

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلَى أن يوفقنا جميعا لما يرضيه ، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعا ، وأن يمنحنا الفقه في دينه ، وأن يوفق حجاج بيت الله الحرام وعماره لكل ما يرضيه ، وأن يمنحهم الفقه في الدين وأن يعلمهم ما ينفعهم وأن يردهم غانمين موفقين سالمين إلى بلادهم وأن يتقبل من الجميع ، وأن ينصر دينه ، ويعلى كلمته ، وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، وأن يولى عليهم خيارهم ، ويصلح قادتهم ، **وأن يوفق جميع ولاة أمر المسلمين لتحكيم شريعته والتحاكم إليها ، وإلزام الشعوب بها إنه ـ جل وعلا ـ جواد كريم ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، نبينا : محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .**

نورٌ من مكة المكرّمة أضاء، وقد بشّرت به الأنبياء

لفضيلة الشيخ / أحمد بن محمد طاحون

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة المائدة]

شرف النسب وطهارته :

كان النبي محمد ﷺ أوسط قومه نسباً ، وأعظمهم شرفاً من قبل أبيه وأمه .

فأمّه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة .

وأبوه عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم ، وهم منحدرون من صلب نبي الله إسماعيل بن إبراهيم الخليل ـ عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم .

قال ابن هشام : فرسول الله ﷺ أشرف وَلَد آدم حسباً ، وأفضلهم نسباً من قبل أبيه وأمه ﷺ ، إذ هو من أفضل حيين في العرب : هاشم وزهرة .

وورد عنه ﷺ أنه قال : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » [مسلم عن واثلة بن الأسقع] .

وورد أنه قال مشيراً إلى نقاء نسبه الشريف ، وطهارة الأصلاب والترائب التي جاء منها « ما ولدتني بغي قط منذ كنت في صلب آدم ، فلم تزل تنازعني الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت في أفضل حيين في العرب : هاشم وزهرة »[1] .

(1) هامش سيرة ابن هشام صفحة ١١٠ ، تحقيق السقا وصاحبيه .

وأنه صلى الله عليه وسلم الطاهر الزكي أشرف الناس ، وأعزهم ، وأكرمهم على الله ، اصطفاه ربه ، وحفظه ، ورعاه ، وأدبه ، وقد زادت مكة شرفاً بمولده فيها ، ونشأته على أرضها واصطفائه من بين أهلها قال تعالى :

﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ① وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ② ﴾

أقسم بالبلد الحرام وقيّده بحلول الرسول فيه إظهاراً لمزيد فضله .

وإشعاراً بأن شرف المكان بشرف أهله .

قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله » أى يقول ذلك عند العجز عن وصفه ﷺ .

وقال مالك بن عوف : ما رأيت ولا سمعت فى الناس كلهم بمثل « محمد » . حتى لقد آمن بعض الأعراب والأحبار حين رآه لأول وهلة ولما سُئل عن ذلك قال : « حين نظرت إليه قلتُ ـ فى نفسى ـ « هذا ليس بوجه كذاب » .

أعطاه ربه أعلى الصفات اللائقة بالبشر ، وأكملَ الأخلاق ، وأتمَّ الآداب ، ولقد كان ظاهره ينبىء عن طهارة الباطن وصفاء النفس ، وحُلو الشمائل ، فأحبه كل من أحاط به ، ومن لقيه لأول وهلة هابه ، فإذا رأى تواضعه وسعة صدره ازداد قلبه تعلقاً به وحبّاً له ، وود أن يلازمه ويخدمه .

قال صحابى جليل :

خُلقتَ مبرأ من كل عيب
كأنك قد خُلقتَ كما تشاءُ

ولله در القائل :

مكمَّلُ الخلق ما تُحصى خصائصُه
مُنضَّرُ الحُسْنِ قد قلَّت نظائرهُ

ولادته :

قال ابن إسحاق : كانت الناس تتحدث أن آمنه بنت وهب قالت : إنها أُتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وقع على الأرض فقولى :

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ، ثم سميه محمداً ، ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بُصرى من أرض الشام .

ثم مات أبوه عبدالله بن عبدالمطلب وأمه حامل به ، وقيل مات ورسول الله ﷺ فى المهد ابن بضع شهور .

وفى شهر مولده ﷺ خلاف ، من ذلك ما قاله ابن إسحاق : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول عام الفيل .

ويقال : إن ذلك كان قبل مجىء الفيل بخمسين يوماً ، وكان هلاك أبرهة وجيشه من إرهاصات ظهوره ﷺ ، فقد قصد أبرهةُ بالبيت الحرام سوءاً فقصمه الله وأهلكه .

من البركات :

فرح جده عبدالمطلب بمولده وأخــذه ، فدخل الكعبة ، وقام يدعو الله ، ويشكر له ما أعطاه ، ثم عاد به ﷺ إلى أمه ، والتمس له المراضع ، وكان من حظ حليمة ابنة أبى ذؤيب إذ رأت من البركات والخيرات بعد أن أخذتـه ما سعدت به نفوسُهم ، وكان زوجها الحارث بنُ عبدالعزى من بكر بن هوازن يقول لها : « لقد

أخذت نسمة مباركة ، فنشأ ﷺ فى بادية بنى سعد ، ولقد كان أبو بكر - رضى الله عنه - يقول له : ما رأيتُ أفصح منك يارسول الله ؟ فقال : وما يمنعنى وأنا من قريش ، وأرضعت فى بنى سعد » .

ولقد كان من عادة أشراف قريش أنهم يدفعون أولادهم إلى المراضع ، لينشأ الطفل فى البادية فيكون أفصح لساناً ، وأجلد لجسمه ولفوائد جمة أخرى .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه : « أنا أعربكم ، أنا قرشى ، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر » .

سيرة ابن هشام

تعريفه ﷺ بنفسه :

قال ابن إسحاق : حدثنى ثور بن يزيد الكلاعى عن بعض أهل العلم : أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : يارسول الله ، أخبرنا عن نفسك ؟ » قال : نعم ، أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى أخى عيسى ، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاء لها قصورَ الشام ، واسترضعت فى بنى سعد بن بكر » .

هذا بعض ما قاله ﷺ ، وفيه إشارة إلى النور الذى عمّ الآفاق ببعثته ﷺ ، إذ انتشر الإسلام فى كل أرجاء الأرض ، بعد أن عاش الناس قروناً فى جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، فأنقذ الله به من الشرك ، وبصّر من العمى ، وهدى إلى الخير والحق والعلم وخالص الإيمان ﷺ . ودعوة أبيه إبراهيم نسمعها فى قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

سورة البقرة - آية : ١٢٩

وبشرى عيسى عليه السلام فى قوله تعالى :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾

سورة الصف - آية : ٦

موت أمه وكفالة جده له :

وكان رسول الله ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبدالمطلب بن هاشم فى كلاءة الله وحفظه ، ينبته الله نباتاً حسناً لِمَا يريد به من كرامته ، فلما بلغ ﷺ ست سنين توفيت أمه . ثم عاش ﷺ فى كفالة جده يجد الرعاية والحب ممن يحيطون به وكان جده يقول : فوالله إن لابنى هذا لشأناً .

وفى الثامنة من عمره الشريف مات جده فكان رسول الله ﷺ مع عمه أبى طالب - وهو وعبدالله أخوان لأب وأم أمهما فاطمة بنت عمرو من بنى مخزوم - الذى أحله من قلبه منزلة خاصة ، وأحاطه بالرعاية والحنان والحب بفضل

الله ـ سبحانه وتعالى ـ ونرى ذلك في قوله ـ تعالى :

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ .

سورة الضحى

فقد كان الجميع يحلونه منزلة خاصة في قلوبهم وفي نظرتهم إليه وفي رعايتهم له عن حب وحنان وشفقة لما أعطاه الله من كريم الشيم وجميل الخصال .

ونشأ ﷺ نشأة شريفة كريمة ، وقد عُرف بين القوم باستقامة الخلق ، وطيب النفس ، وسلامة الفكر ، وطهارة القلب ، والجد في أموره كلها ، وما كان اسمه بينهم إلا الصادقَ الأمينَ وكانت أخلاقه الشريفة المرضية حديث القوم وموضعَ تقديرهم وسببَ حبهم وتعلقهم به .

تحكيمه في وضع الحجر الأسود

ولما اختلفت قريش فيمن يضع الحجر الأسود في موضعه بعد أن هدموا الكعبة وأعادوا بناءها حتى بلغ البنيانُ موضع الركن ، وكانت كل قبيلة تريد أن يكون لها شرف رفعه إلى موضعه دون الأخرى ، ولما بلغ الأمر حَدَّ التقاتل ، أشار عليهم أسنُّهم : أبو أمية بن المغيرة ، أو أبو حذيفة بن المغيرة أن يجعلوا حَكماً بينهم فيما يختلفون فيه أول من يدخل من باب المسجد ليقضي بينهم في الأمر ويرضون حكمه ، فكان أول داخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن نحو خمس وثلاثين سنة ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد .

وأزال رسول الله ﷺ أسباب الخلاف ، وأطفأ نار الفتنة بثاقب رأيه ، وصائب حكمه ، إذ طلب ثوباً ، ثم حمل الحجر فوضعه فيه بيده الشريفة ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ـ أي بزاوية من زواياه ـ ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا ، حتى إذا بلغوا به موضع الحجر من الركن ، أخذه ووضعه ﷺ بيده الشريفة ، ثم بُنى عليه . وبذلك حلت كلمة الوفاق محل الخلاف والشقاق بفضل حكمته ﷺ ، وفي ذلك يقول هبيرة بن وهب المخزومي من قصيدة له :

رضينا وقلنا : العدلُ أولُ طالع
يجيء من البطحاء من غير موعد
ففاجأنا هذا الأمينُ محمــدٌ
فقلنا رضينا بالأمين محمد

العمل والزواج الأول :

واشتغل ﷺ برعي الغنم وبالتجارة ، ورأى الناس فيه من آيات الذكاء والفطنة والبركة ومحاسن الآداب ما دعاهم إلى أن يضعوا عنده أماناتهم ، وتزداد منزلته في قلوبهم يوماً بعد يوم ، ويتوسموا فيه الخير العظيم ، ولذا كانوا يعرضون عليه العمل في تجارتهم كما فعلت خديجة بنت خويلد معه لعلمها بصدقه وأمانته ، وكانت امرأةً حازمة شريفة لبيبة ، وقد أراد الله بها خيراً فعرضت عليه الزواج قائلة : إني قد رغبت فيك لقرابتك وشرفك في قومك ، وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك .

وكان ﷺ ابن خمس وعشرين سنة فنقل ما قالته خديجة إلى أعمامه فخرج معه عمه حمزة ، فخطبها له ، وكانت أول امرأة تزوجها ﷺ ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت - رضي الله عنها - وهي أم أولاده كلهم ما عدا إبراهيم فإنه من مارية القبطية .

كانت خديجة تحدّث ابن عمها ورقة بن نوفل الذى كان قد تنصر وقرأ الكتب القديمة عن بعض أحواله ﷺ ، فيقول لها : لئن كان هذا حقاً يا خديجة ، إن محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبيٌّ ينتظر هذا زمانه .

وفى الصحيح عن جبير بن مطعم أنه ﷺ قال : « لى خمسة أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد وأنا الحاشر والعاقب والماحي » - صلى الله عليه وسلم .

وكان ورقة يتلهف على بعثة النبي المنتظر ويتوق إلى نزول الوحى على خاتم الأنبياء .
ومن أبيات له فى ذلك يقول :

بأن محمــداً سيسود فينــا
ويخصمُ من يكون له حجيجا
ويظهر فى البلاد ضياءُ نور
يقيم به البريـــةَ أن تموجـــا
فيلقـــى من يحاربـــه خسارا
ويلقـــى من يسالمه فلوجـــا
فياليتـــى إذا ما كان ذاكم
شهدتُ فكنتُ أوّلهم ولوجـا

الحجيج : المجادل
تموجـا : أى تضطرب
الفلوج : الظهور على الخصم ودحره
الولوج : الدخول أى الدخول فى هذا الأمر ومناصرة الرسول ﷺ .

لقد أخذ الله الميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا به ﷺ وسلم وينصروه عند ظهوره وأن يبلغوا أممهم بذلك ويأخذوا عليهم الميثاق به ولذا كان الناس فى القرن السادس للميلاد فى لهف شديد إلى نور جديد ينقذ من الحيرة ويهدى إلى الحق والخير .

ومن البشارات بظهوره ﷺ ما جاء فى الحلية لأبى نعيم : « أوحى الله إلى موسى - عليه السلام : إنه من لقيني وهو جاحد بأحمد أدخلته النار » ، قال : يارب ، ومـــن أحمد ؟ قال : ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منه » .

ثم قال الرب - سبحانه : إن الجنة محرمة على جميع خلقي حتى يدخلها هو وأمته » .

قال موسى - عليه السلام : ومن أمته ؟ قال : الحمادون يحمدون صعودا وهبوطا ، وعلى كل حال ، يشدون أوساطهم ، ويطهرون أطرافهم ، صائمون بالنهار ، رهبان بالليل ، أقبل منهم

اليسير ، وأدخلهم الجنة بشهادة أن لا إله إلا الله » .

« رواه أبو نعيم فى الحلية »

فهذه بشارة بظهور نبينا فى آخر الزمان ، وأنه خاتم النبيين والمرسلين وأمته أمة مرحومة بفضل الله ورحمته ، يقبل منهم العمل اليسير ، ولا يكلفهم التكاليف الشاقة ويجزل لهم العطاء ما داموا يقولون (لا إله إلا الله محمد رسول الله) من قلوبهم ، ويظهر أثر ذلك فى أعمالهم وأقوالهم وخلوص نياتهم .

وفى معنى ما سبق :

وفى فضله ﷺ ، وصفة أمته ومنزلها جاء فى الآثار القديمة : « اسمه أحمد ، صفته المتوكل مولده مكة ، ومهاجرهُ طيبة ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، يجزى بالحسنة الحسنة ، ولا يكافىء السيئة بالسيئة » .

أمته الحمادون ، يأتزرون على أنصافهم ، ويوضئون أطرافهم ، أناجيلهم فى صدورهم ، يُصَفّون للصلاة كما يصفون للقتال قربانهم الذى يتقربون به ، إلىّ دماؤهم ، رهبان بالليل ، ليوث بالنهار » .

ومما أوحى الله به إلى عيسى – عليه السلام : « بلّغ مَنْ بين يديك أنى أنا القائم الذى لا أزول ، صدّقوا بالنبى الأمى العربى » .

وفى الحديث الذى روته عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها : « مكتوب فى الإنجيل : لا فظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة مثلها ، بل يعفو ويصفح » .

وأوحى الله إلى داود كما روى وهب بن مُنبه : « يا داود : إنه سيأتى من بعدك نبىٌّ يُسَمّى أحمد ، ومحمد ، صادقاً سيدا ، لا أغضب عليه أبداً ولا يغضبنى أبداً ، وأمته مرحومة » .

ياداود : إنه من لقينى من أمة محمد يشهد أن لا إله إلا الله أنا وحدى لا شريك لى صادقاً بها ، فهو معى فى جنتى وكرامتى .

ومن لقينى وقد كذب محمدا ، وكذب بما جاء به ، واستهزأ بكتابى ، صببت عليه فى قبره العذاب صبا ، وضربت الملائكة وجهه ودبره عند منشره من قبره ثم أدخله فى الدرك الأسفل من النار » .

وسمع أبو موسى الأشعرى – رضى الله عنه – النجاشى صاحب الحبشة يرحمه الله – تعالى – يقول : « أشهد أن محمداً رسول الله ، وأنه الذى بشر به عيسى – عليه السلام – ولولا ما أنا فيه من الملك ، وما تحملت من أمور الناس لأتيته حتى أحمل نعليه »

أخرجه أبو داود

هذا بعض ما جاء من البشارات بظهور خاتم الأنبياء النبى العربى الأمى صلى الله عليه وسلم .

حق الطريق في الإسلام

بقلم فضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان (*)

يقول رسول الله ﷺ « إياكم والجلوس على الطرقات : قالوا يا رسول الله ما لنا بُدٌّ من مجالسنا نتحدث فيها : قال فأمّا إنْ أبيتم فأعطُوا الطريق حقه ، قالوا وما حقه ؟ قال غضُّ البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . » رواه البخارى ومسلم » .

وهذا من الأدب النبوى الكريم وهو الأدب المثالى الرفيع الصادر من صاحب الخلق العظيم الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه ، فهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى : وهو الذى بعثه ربه ليتمم مكارم الأخلاق وجعله رحمة للعالمين فهو معلم الإنسانية وأستاذ البشرية وهو قائد الخلق إلى الحق لأنه أرسل للناس كافة مع اختلاف ألوانهم وأوطانهم : فهو الأسوة الحسنة للمسلمين فى كل وقت وحين إلى يوم الدين : فليس بعده رسول وليس بعد كتاب الله كتاب فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

وفى هذا الحديث الشريف يبين لنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن الطريق ما جعلت إلا سبيلا يسلكه الناس فى ذهابهم وإيابهم لإنجاز أعمالهم وقضاء مصالحهم اليومية .

والله هو : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾

سورة طه ـ الآية : ٥٣

فلم تكن الطريق سوقا لتعطيل السير ، ولا مأوى للسوقة من أهل البطالة والتعطل ولم تكن مصدر أذى للناس الجالسين أو للمارة تخلق المشاكل وصنع المنازعات والاختلاط المريب بين البنين والبنات إلى غير ذلك مما يمقته الذوق السليم والخلق القويم ، فليست الطريق سوقا : فلا تقبل شرا ولا فسوقا ولا لغوا ولا بذاءة ولا شذوذا ولا دناءة ولا اعتداء ولا افتراء .

ولكن الإسلام يريد من كل مَنْ يسير فى الطريق راجلا أو راكبا أن يكون ذا عفة وعزة وإباء وسمو ونبل وحياء ، لأن احترام حقوق

(*) مدير عام الوعظ والإرشاد بالأزهر سابقاً .

الطريق أمر حضارى وسلوك دينى وعمل أخلاق يؤديه أهل الشرف والكرامة والمروءة والشهامة ليحفظوا للطريق حقه المَصُون وأمنه المضمون فلا معازلات . ولا خروج عن الحدود والقيود الشرعية والتقاليد الأخلاقية المرعية كما جاء فى التربية القرآنية والسنة النبوية لهداية الضالين وإرشاد الحائرين وتقويم المعوجين وفى هذا الحديث بيان للناس الذين يجهلون حق الطريق الذى يريده الإسلام منهم .

قبول العذر وتوجيه النصح

فأرشدهم أولا إلى عدم اتخاذ الطريق مجالسَ يتجمع فيها ناس يختلفون فى اتجاهاتهم النفسية والسلوكية ، ولكن المؤمنين لمّا اعتذروا له بأنهم لا يريدون إلا الخير والحديث فى الصالح العام ولا يريدون منكرا من القول أو زوراً ولا عبثا ولا شرورا ولكنهم مضطرون إليها فليس لهم سواها . قبل عذرهم هذا ولكنه لم يتركهم دون أن يبين لهم وللمسلمين أجمعين حق الطريق الذى يجب مراعاته : فلا صخب ولا ازدحام ولا شذوذ ولا شرود عن تعاليم الإسلام والحق أحق أن يتّبع فهو باق إلى يوم القيامة لكيلا ينهار بناء المجتمع الإنسانى بسبب الاستهتار بالقيم ولا يصح لنا أن نقلد غيرنا فى المساوىء وأما عن الحسنات فنحن عنها معرضون ، ولكن الإسلام يقول للمسلمين « لا يكن أحدكم إمّعة يقول أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » من هدى النبوة

(غضُّ البصر)

أولا :

غضُّ البصر وقد ركزه الله فى الطبائع الكريمة ؛ والأذْوَاق السليمة عن ذوى الأخلاق النبيلة ،

غض البصر من الحياء والحياء من الإيمان ، والإيمان قادر على أن يملأ جوانب النفس القوية ضياءً واستعدادا لتلقى الفُيوضات الإلهية والفتوحات الربانية ، فهو مشكاة نورانية ومرقاة لمن أراد الهداية وأن يستنير له قلبه ويرتفع قدره ويعلو شأنه والله يقول :

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ .. ﴾ سورة المجادلة

سورة المجادلة ـ الآية : ١١

غضُّ البصر عبادة وطاعة وقدرة وطاقة : لأن كل عمل يرضى الله ـ تعالى ـ يعتبر عبادة لله ـ تعالى ـ الذى يراقب عباده سراً وعلانية (وهو معكم أينما كنتم) :

وغضُّ البصر يحمى الأعراض لأن الوقاية خير من العلاج : (والنظرة سهم مسموم من سهام إبليس)

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء ، ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟!!! إن النساء ليست نهبا للنواظر والأبصار التى تصوِّبُ نحو المتبرجات والسافرات وهذا مما يُعرِّضُ للخروج عن الحدود ، ومن القُنَّاص ذوى الخيانة والمهانة ؛ فإذا فقد المرء الحياء فلا عليه أن يفعل ما يشاء لأنه لا يعيبه شئ .

[إذا لم تستح فاصنع ما شئت]

وطرفك إن أرسلته لك رائدا
لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كلّه أنت قادر
عليه ولا عن بعضه أنت صابر

هذا ما قالته امرأة بدوية أبعد نظرا وأرجح عقلا بموطن الداء لأن النظر يبعث على الفتنة ، وقديما قالوا لو أن عرق رجل بمغرب وامرأة بمشرق لحنّ كل منهما لصاحبه فكيف بمن يجدها بجانبه

« تحــــذير »

[رب نظرة كانت بذرة لأخبث شجرة]

كل الحوادث مبدأها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذا عين يقـــلبها
فى أعين الغيد موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها
فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظـــره ما ضر خاطـــره
لا مرحبـــا بسرور جاء بالضرر

« العين أو القيد »

إن صيانة الأعراض وحفظ الأنساب وصيانة أواصر الأسرة من أن تلعب بها الأهواء وإحكام الروابط من أن تعبث بها يد الفساد دليل على سمو النفوس وطهارة السيرة ونقاء السريرة ونفاذ البصيرة لدى قوم مؤمنين بالله رب العالمين

« ثانيا : كف الأذى »

لقد منّ الله على المؤمنين بنعمة الإيمان ، وجعلهم إخوة متحابين وبمقتضى هذه الأخوة الإسلامية عليهم أن يكونوا رحماء بينهم يُحبُّ أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه فيحس بإحساسه ويشعر بشعوره وينفعه ولا يضره :ـ وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه البخارى . وقال : « إن من أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا .. »

رواه الترمذى

وليست كل النفوس بواصلة إلى تحقيق آداب الأخوة الإسلامية ، وإن كان منها ما يدرك معنى التعاون على البر مع الأقارب والجيران أو أهل البلد أو الوطن أو الناس أجمعين فيتعامل بمكارم الأخلاق فى كل مكان وزمان بإيمان صادق بالحق الواضح المستبين ، حق المسلم على المسلم لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وبهذا تطمئن النفـــوس فلا ضرر ولا ضرار ولا شرور ولا فجور ، ولا استعلاء ولا كبرياء ، ولا أذى ولا عداء لأن كل فرد محتاج لأخيه يسانده ويساعده ويؤيده ويناصره .. إلى غير ذلك من الأمور النافعة التى تخرج الإنسان من أنانيته الضيقة أو الواسعة إلى حب الخير للغير والتعامل بالحسنى فى القول والفعل مع الآخرين والله يقول :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾

سورة إبراهيم ـ الآيات : ٢٤ ـ ٢٦

• ثالثاً : رد السلام •

السلام كلمة طيبة يحبها الناس جميعاً : لأن معناها الأمن والطمأنينة والاستقرار ، وهى تحية المسلمين أجمعين فى كل وقت وحين وفى كل زمان ومكان ، فاذا أدوها تحابوا وتآلفوا وتعاونوا وتقاربوا ، ورد السلام حق من حقوق الطريق : فإذا قال المسلم السلام عليكم وجب على السامع أن يرد عليه بقوله وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وهذا هو أدب المخالطة والمعاشرة وأدب الروابط بين المسلمين ، وهو حق المسلم على المسلم أينما حلّ ، وهو صلة وثيقة بين الناس وعلاقة متينة . وكلمة السلام لا يساويها قول آخر ولا يدانيها لفظ مستورد شائع بين الناس ، كلمة طيبة لا يصح استبدالها بما يقوله أكثر الناس يحيى به بعضهم بعضا مما لا يعتبر تحية إسلامية كريمة ذات مثوبة ومن الناس من يحرف كلمة السلام فيقول : (سام عليكم) فيكون غير حريص على سلامة أخيه فيُردّ عليه وعليكم ، ومنهم من يقول وعليكم السلام دون أن يقول ورحمة الله وبركاته والله يقول :

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾

النساء : ٨٦

وقد كانوا فى الجاهلية يقولون « عِمْ صباحا » إلى غير ذلك فاستبدلها الإسلام بتحية فى شريعته الباقية التى لا تقبل تعطيلا ولا تبديلا ولا تعديلا ، وردُّ السلام أكملُ تحية وأجمل شعار لذلك جعله الرسول ﷺ حقا من حقوق الطريق، يسلم الراكب على الجالس والمار، وعلى المار إذا بدأه بالسلام لكى يحاط الطريق بالوقار والاحترام ، وفى رد السلام احترام متبادل وتنقية للقلوب وتطييب للنفوس وإصلاح للعلاقات وتأكيد للصلات بين الشركاء والأقرباء والأصدقاء بإفشاء السلام عند اللقاء والفراق .

• والسلام من أسماء الله تعالى •

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ .. ﴾

سورة الحشر ـ آية : ٢٤

والسلام من صفات ليلة القدر

﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾

سورة القدر ـ آية : ٥

والسلام تحية أهل الجنة :

﴿ ... وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾

سورة الزمر

وقد أمرنا الله أن نصلى على رسوله ونسلم عليه

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

سورة الأحزاب ـ آية : ٥٦

فالسلام تحية للمسلمين فى الدنيا والآخرة : وفى صلاتنا : نصلى عليه فى التشهد نقول له السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، ولا نخرج من الصلاة إلا بكلمة السلام عليكم عن اليمين وعن اليسار ، والله يقول فى سورة الصافات

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ .

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ .

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ .

﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

سورة الصافات

رابعاً : الأمر بالمعروف

من حق المسلم على المسلم أن يهديه إذا ضل وأن يرشده إذا زل لأن الأخلاق الإسلامية تنأى بالمسلمين عن مزالق الزلات ومواطن السيئات فإن الدين النصيحة وبالتناصح يسلك المسلمون سُبُلَ المصلحين ومناهج المتقين والله يقول :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾

سورة التوبة ـ آية : ٧١

ومن حق الطريق الإرشاد إلى ما فيه صلاح الحال بالأفعال والأقوال باللين دون الغلظة .

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾

سورة آل عمران ـ آية : ١٥٩

والدعوة إلى الخير واجب كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، والواجب على الكفاية واجب على الجميع ولكنه يسقط إذا أداه البعض ، ويأثم الجميع بتركه ، لا فرق بين العلماء وغيرهم ، ولكن الأمر بالمعروف مفروض على المتفقهين في الدين فهم الأمناء على الدعوة الإسلامية التي فرضت متابعتها منذ أن بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها والله يقول :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

سورة التوبة ـ آية : ١٢٢

ذلك لأن علماء الدين أعرف من غيرهم بالحلال والحرام والله قد ائتمنهم على نشر دينه .

﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ ؟ .

والدعوة إلى الخير واجبة على الجالسين في الطريق وغير الطريق من المسلمين أما الذين يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف فهم المنافقون

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

سورة التوبة ـ آية : ٦٧

خامساً : النهى عن المنكر

الجالسون والقائمون والقاعدون يتعاملون بالدعوة إلى الخير ولا يتعاملون بالشر والضر ، ومن حق الطريق على المسلمين النهى عن المنكر على

قد الاستطاعة وذلك لأن المنكر هو ما أنكره الشرع الحكيم ويأباه الذوق السليم فمن الخطأ أن يترك المسلم الفساد والعدوان على حق الطريق أو وسائل المواصلات دون أن يرشد بالهدوء وبالحكمة والموعظة الحسنة إلى ترك العبث بالمرافق العامة والخدمات المعدة للجميع .

من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، وهذا واجب على من يملك الرادع لمن ترك الوازع ، فإن لم يستطع فبلسانه ، وهذا واجب المرشدين والناصحين لأن الدين النصيحة ... فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان لأنه لم ينكر المنكر فكأنه راض عنه أما من اعتقد أن المنكر حق ومساغ قبوله بين الناس فحسابه عند ربه .

﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

سورة المائدة ـ آية : ٦٤

تحية من المخلصين المصلحين إلى الذين يحافظون على أمن الطريق وسلامته وعلى نظافته وصيانته وتحية للذين يؤدون حقوق الطريق بغض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر والنهى عن الشر وثناء ودعاء للذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، فهم يحترمون أنفسهم ، فإذا ساروا فى الطريق ساروا بعقل وروية وأناة وبعد نظر وهدوء أعصاب وصفاء ذهن .

ونسأل الله الهداية والرشد للغافلين عن أنفسهم التائهين فى أعمالهم من الذين يقودون السيارات وهم لاهون وفى غمرة ساهون بسبب هومهم المتراكمة ومشاكلهم المتزايدة الكامنة فى رءوسهم حتى أفقدتهم قوة الحذر من الضرر والخطر فتعرضوا للحوادث والكوارث باستهتارهم وعبثهم ولاسيما بعض الشباب الطائش الذى يقود السيارات برعونة وسرعة مجنونة وبلا مبالاة وهؤلاء حرام عليهم وعلى ذويهم قيادة سيارات إلا أن يتأكدوا من نضوج عقولهم وحسن قيادتهم ضمانا لسلامة الأرواح البريئة وسلامة الطريق الآمنة المستقيمة والله يقول :

﴿ وسلك لكم فيها سبلا .. ﴾ أى الطرق فوق الأرض .

فماذا على الناس جميعاً لو سلكوا سبيل المؤمنين لأن الإسلام هو الصراط المستقيم ، والمنهاج القويم والاعتقاد السليم والخلق الكريم الذى يؤلف النافر ويهدى الحائر : ؟

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

سورة الأنعام ـ آية : ٥٣

المعصية بين الفرد والمجتمع

أ.د/ محمود محمد رسلان

بقدر ما هي مستقبحة هذه «المعصية» في قلوب المتقين ، بقدر ما هي نشوى يحرص عليها العابثون ، ويرونها عنوانا لحريتهم الشخصية ، وإشباعا لمدنية ليست من ديننا ، ولا من عاداتنا . إنها من هذا الغرب الذي اتخذوه إماما : رجالهم ونسائهم على سواء ، فإذا حرصت التقية على ستر جسدها إشباعا لحيائها بدت المتحررة من كل القيود تشبع شهواتها ، ومن ورائها رجال يطربونها بثنائهم وما حرك الشيطان به شفاههم لما حسرت عن وجه وكشفت عن ساق .

وتحمل اللغة معانى عدة لهذه الكلمة ، وخصها الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي بهذا التعريف ، فقال :

هي ما نهى الله سبحانه ورسوله عنه في الكتاب والسنة ، والأثر عن السلف الصالح .

وقد ضمن الله – سبحانه وتعالى – في كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر والمعاصي والمحرمات أن يكفر عنه الصغائر من الذنوب والمعاصي . فقال جل ذكره : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا (٣١) ﴾ سورة النساء

والفارق كبير بين معصية تتبعها توبة ، ومعصية يستمر فيها صاحبها ، ويعكف عليها ، وربما يتمادى فيفخر بها :

فأما الذين تابوا ، فإن الله – سبحانه – يتوب عليهم – قال – تعالى :

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١١٨) ﴾ التوبة

أي شرع لهم التوبة وفتح بابها ليتوبوا .. وفي الكتاب العزيز ضراعة آدم وحواء – على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام .

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ (٢٣) ﴾ الأعراف

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه : أن أحب الكلام إلى الله – تعالى – ما قال أبو البشر آدم – عليه السلام – حين اقترف المعصية :

سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

وما أولى بنا أن نكون على سنة أبوينا الأولين .

ويذكرنا أبونا آدم ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام بعدوه ـ وعدونا ـ إبليس نموذج المعصية التي أصر عليها كبرا واستكباراً ، فلعنه الله عز وجل ـ وطرده ، ومن على شاكلته ، وتصور الآيات الكريمة الآتية ـ بأبلغ تعبير ـ صور تكبره :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ سورة الحجر

وقال تبارك ـ تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ سورة ص

وتتسع المعصية ، وتأبى أن تلوذ بفرد أو أفراد من النساء والرجال ، فتتجاوز الفردية لتشمل أمماً بأكملها ، تغريها بالفسق والكفر والجحود ، فتنسى ربها الواحد الأحد ، وتسجد لألوان عديدة من مخلوقاته في الأرض وفي السماء، فنراها قد سجدت للشمس والقمر ، وقدست النجوم ، وسجدت للحجر والشجر ، بل منها من عبد المرأة ، أو عبد الرجل ، وهذا كتاب الله بين أيدينا يقص علينا ، والقاصُّ هو الله ـ عز وجل ـ الذي لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء .

وتلك الأمم ـ جميعا ـ ما كان الله ـ تعالى ـ لينتقم منهم دون أن ينذرهم ، وقصصُهُ ـ تعالى ـ شاهدٌ منذ كان قوم نوح ـ عليه السلام ـ ومن بعدهم فنالهم سخط الله ـ تعالى ـ بأنواع انتقامه .

يقول ـ تعالى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة العنكبوت

إن الذين مارسوا الإثم عُلُوّاً واستكباراً ، وأنفوا من توبة تغسل حَوْبَهُمْ نالهم الجزاء العادل من رب كريم يرزقهم ويطعمهم ، ويعلمهم فيجحدون فضله ، ويتمادون في غيهم يعمهون .

فإليه ـ تعالى ـ إيابهم وعليه حسابهم . نسأله الله ـ تعالى ـ توبة وبصيرة إنه سميع قريب .

من رجال القضاء في دولة الإسلام

أسد بن الفرات

الفقيه القاضي فاتح جزيرة صقلية

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

●● هو أبو عبد الله أسد بن الفرات بن سنان، قاضى مدينة القيروان فى تونس، كان عالما من أعظم علماء عصره ، مؤمنا غاية الإيمان بقدسية الجهاد لتكون كلمة الله هى العليا ، فكان جنديا جريئا وبحارا مغامرا ، قام بغزوات سابقة فى البحر المتوسط ــ وقد كان يدعى قديما بحر الروم ــ حيث افتتح جزيرة قوصرة وتسمى جزيرة بنتلاريا وتقع شرق تونس ، كما اشترك فى غزوة جزيرة كورسيكا مرات عديدة وتقع جنوب الدولة الفرنسية[1] ●●

مولده ونشأته :

ولد ــ رحمه الله ــ فى حران عام ١٤٢ هجرية التى توافق عام ٧٥٩ للميلاد ، فحمله أبوه (وكان جنديا فى جيش محمد بن الأشعث الخزاعى) إلى مدينة القيروان وهو يومئذ ابن سنتين فأقاما بها مدة خمس سنين ، ثم رحلا إلى

(١) كتاب مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام تأليف الأستاذ محمد عبدالله عنان الطبعة الثالثة ١٩٥٢م .

تونس وعاشا بها نحو تسع سنين ، وعندما بلغ ثماني عشرة سنة تعلم القرآن في قرية على وادي (مجردة) ثم عاد إلى تونس حيث سمع الموطأ وتعلم العلم على فقيهها علي بن زياد[2] .

رحلاته في طلب العلم :

خرج أسد بن الفرات إلى حواضر الإسلام في المشرق عام ١٧٢هـ وذلك لطلب العلم .. فقصد أول رحلاته إلى المدينة المنورة ؛ ليسمع من فقيهها الكبير الإمام مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ وواظب على حضور مجالسه وسمع منه كتابه الموطأ .. ثم عول بعد ذلك على الخروج إلى العراق ، وقبل مغادرته المدينة قال الإمام مالك : (أوصيك بتقوى الله والقرآن والمناصحة لهذه الأمة) .

ولما وصل إلى بغداد لم يجد الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي لوفاته ، لكنه لقي من أصحابه القاضي أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم ، والإمام محمد بن الحسن الشيباني ثم طلب من هذا الإمام أن يخصه بوقت يدرس عليه فيه ؛ لأنه غريب وقليل النفقة ، وطلاب العلم عند أستاذه كثير ؛ فرحب الإمام الشيباني باستزادة تلميذه من العلم ، وقال له : (اسمع من العراقيين بالنهار وقد جعلت لك الليل وحدك فتأتي فتبيت عندي فأسمعك) وهكذا كان دأبه حتى أتى أسد بن الفرات على ما يريد سماعه من علم عند الإمام الشيباني ، فضلا عن رعايته له ماديا ومعنويا ، كما كان يفعل السلف الصالح من الأساتذة العلماء بتلامذتهم .

ثم انتقل أسد بن الفرات إلى مصر ، حيث حضر بها مجالس أشهب بن عبد العزيز وعبد الرحمن بن القاسم وغيرهما من أصحاب الإمام مالك بن أنس ، لكنه لزم عبد الرحمن بن القاسم وأخذ عنه ما طاب له من علم وأجوبة ، ولما هم بالرجوع إلى المغرب ودعه أستاذه ابن القاسم قبل مغادرته مصر ، وقال له : (أوصيك بتقوى الله والقرآن ونشر هذا العلم) ، ولما وصل إلى بلده قام بترتيب ما أخذه من علم في فصول فسميت (المدونة الأسدية) أو (الأسدية) فقط[3] .

صفاته وأخلاقه وولايته للقضاء ثم قاضيا للقضاة :

كان ـ رحمه الله ـ رجلا صالحا فقيها عالما ورعا ، وكان إذا قرأ على سامعيه يقول : (اسكتوا على أسرد عليكم دويا في أذني) وربما يدق بيده على صدره ويقول (يا حسرتا إن مت ليدخلن القبر مني علم كثير) وكان له بيان وبلاغة ، إلا أنه بالعلم اشهر منه بالأدب ، وقد سمع منه العلم والفقه خلق كثير من كتاب الموطأ ومن كتابه الأسدية السابق الإشارة إليه .

وقد تولى القضاء في عهد إبراهيم ابن الأغلب مؤسس أسرة الأغالبة في تونس واستمر إلى جانبه مخلصا له ولأسرته ، في عهد زيادة الله بن ابراهيم

---

(٢) مقال تحت عنوان الفقيه القائد مصنف كتاب الأسدية وفاتح جزيرتي قوصرة وصقلية بقلم اللواء الركن محمود شيت خطاب عضو المجمع العلمي العراقي نشر بمجلة العربي الكويتية عدد ربيع الأول ١٣٨٧هـ يوليو (تموز) ١٩٦٧م .

(٣) المرجع السابق .

ابن الأغلب عين فوق منصبه شيخا للفتيا وقاضيا للقضاة[4] .

الباعث لقيام المسلمين فى تونس لغزو جزيرة صقلية :

تذكر الرواية البيزنطية أن سيدا من أشراف صقلية يدعى (بوفيموس) ويسميه العرب (فيمى) هام بحب راهبة حسناء فاختطفها من الدير الذى تقيم فيه ، ولما وصلت هذه الأخبار إلى الامبراطور البيزنطى ـ الذى تتبعه الجزيرة ـ وكان يدعى ميخائيل الثانى قضى بجدع أنفه عقابا له على جرمه ، فلما سمع (بوفيموس) بالحكم الصادر عليه ، جزع وثار فى عصبته وأنصاره على حاكم الجزيرة من قبل دولة بيزنطة ، وفى حربه له انتزع منه سرقوسه وبسط حكمه عليها ، لكن حاكم الجزيرة صمد لقتاله حتى انتصر عليه فلاذ (بوفيموس) بالفرار إلى تونس واستغاث بأميرها زيادة الله بن الأغلب وزين له فتح صقلية والاستيلاء عليها .

لكن الرواية الإسلامية لا تذكر شيئا عن قصة الراهبة المخطوفة ، وتروى فقط أن الأمبراطور البيزنطى غضب على (فيمى) وقد كان مقدم أسطوله فأمر بالقبض عليه ، وأنه لما علم بذلك سار فى شيعته واستولى على سرقوسه ، لكن زعيما آخر يدعى بلاطة انتزعها منه فسار (فيمى) فى سفنه إلى إفريقية ـ أى تونس ـ واستنجد بأميرها زيادة الله فاستجاب إلى دعوته وسيَّر أسطوله وجيشه إلى صقلية ؛ لافتتاحها بقيادة قاضى القيروان أسد بن الفرات[5] .

عرض أمر الغزو على مجلس للشورى كان من ضمنه أسد بن الفرات :

وقبل أن يبت حاكم تونس زيادة الله بن الأغلب فى أمر الغزو جمع مجلسا حربيا مؤلفا من وجوه أهل القيروان وفقهائها ومنهم أسد بن الفرات ، لكنهم انقسموا إلى فريقين :

١ ـ أقلية لا ترى الغزو ولا تشير به .

٢ ـ وأكثرية ترى ضرورة الغزو ، ومن هذا الفريق كان أسد بن الفرات .

وعندئذ انحاز حاكم تونس إلى رأى الأغلبية وعين أسد بن الفرات قائدا لجيش الغزو ، وعزم عليه فى ذلك ؛ لأن ابن الفرات قال له : (أصلح الله الأمير ، من بعد القضاء والنظر فى حلال الله ـ تعالى ـ وحرامه تعزلنى وتولينى الإمارة) فرد عليه الأمير بقوله : (إننى لم أعزلك عن القضاء بل وليتك الإمارة وأبقيت لك اسم القضاء فأنت قاض أمير) فخرج ابن الفرات فى مهمته للغزو على ذلك ، ولم تجتمع الإمارة للجيش والقضاء ببلد فى أفريقية إلا لأسد بن الفرات وحده[6] .

كيف جهز ابن الفرات حملته ومسيرة بها :

كانت هذه الحملة الأولى فى غزو تلك الجزيرة ولم تكن من السرايا الصغيرة بل كانت أعظم حملة عربية إسلامية قادها أسد بن الفرات وذلك فى ربيع أول سنة ٢١٢هـ ، إذ كانت تضم عشرة آلاف رجل وتسعمائة فارس من خيرة الرجال الأشداء ، غير النواتية ، وزودت بعظيم المؤن

---

(٤) المرجع السابق .

(٥) كتاب مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام .. مرجع سابق .

(٦) مقال الفقيه القائد مصنف كتاب الأسدية .. مرجع سابق وكذلك كتاب الإسلام والحضارة العربية تأليف الأستاذ محمد كرد على الجزء الأول الطبعة الثانية ١٩٥٠ لجنة التأليف والترجمة والنشر .



وأقوى الأسلحة فى ذلك الزمان ، وسارت متجهة فى أسطول مؤلف من ٣٠٠ سفينة صوب صقلية فوصلتها بعد أيام قليلة ، حيث رست فى ثغر (مازارا) الواقع بالطرف الغربى للجزيرة ثم نفذت الحملة وعلى رأسها قائدها ابن الفرات إلى شرق الجزيرة ، وهناك التقى بجيوش الصقليين بزعامة قائدهم (بلاطة) حيث نشبت بين الجيوش معركة عنيفة ، كان النصر فيها حليف ابن الفرات وجيشه ، وانهزم الصقليون وقتل قائدهم (بلاطة) بعد أن حاول الفرار بعد الهزيمة[٧] .

وبعد ذلك سار ابن الفرات فى الجزيرة يستولى على أرضها وحصونها حتى وصل إلى أكبر قلعة بها ، وتدعى (كلنا جيروتى) وفيها احتشدت كل قوى الصقليين لمقابلة الجيش الإسلامى العربى ، وكان خط القتال الناشب بين جيش الفتح وقوى الصقليين ممتدا من مدينة « سرقوسة » فى شرق الجزيرة إلى « بالرمو » فى شمالها الغربى فانقض ابن الفرات بقواته على هاتين المدينتين ، لكنهما استعصتا عليه ، واشتدت المقاومة ضد قواته خصوصا بعد أن أرسلت الدولة البيزنطية أسطولا لمساعدة الصقليين ، فضلا عن انتشار الوباء فى جيش الغزو ، الذى أصاب القائد ابن الفرات نفسه ضمن من أصابهم ، فاحتمل كل ذلك صابرا صامدا ، وهنا كانت قوة الجيش الإسلامى قد بدأت تخور ، وتحرج موقفه ، إذ تكاثر على جنوده جيش بيزنطة الرومى ، فأصبحوا يصاولون جيش الامبراطورية لا جيش صقلية المحلى .

ولولا صلابة ابن الفرات لكانت الهزيمة محققة فى جيشه ، وواقعة لا ريب فيها ، لكنه وقف صامدا رابط الجأش غير وجل ولا هياب ، يناضل بكل قوة ، ويبث فى جنوده من روحه القوية ويحذرهم مغبة الاستسلام والهزيمة ، لأن الله لن يخذلهم فهو نعم المولى ونعم النصير ، وفى الوقت الذى بلغت فيه روح قواته الحلقوم أتت الأنباء تؤكد له أن أسطولا أندلسيا قد جاء لمساعدة جيش الفتح ، وأن إمدادات من تونس ـ أيضا ـ قد جاءت بدورها تناصرهم وتشد من أزرهم[٨] .

وفاة أسد بن الفرات وتولية محمد بن أبى الجوارى قيادة جيش الفتح :

وفى الوقت الذى نشط فيه الجيش الإسلامى وتحمس عساكره عن ساعد الجد بعد وصول أنباء تلك الإمدادات إليه ، توفى الفقيه القائد أسد بن الفرات وهو محاصر لسرقوسة ، وكان ذلك فى ربيع الآخر ٢١٣هـ التى توافق ٨٢٨ للميلاد ؛ فحزن عليه جنوده وودعوه بدموعهم إلى قبره وداعهم الأخير فى ثرى تلك الجزيرة .

وقد خلفه فى قيادة جيش الفتح قائد فطن هو (محمد بن أبى الجوارى) وبعد توليه القيادة بأيام قليلة وصلت فعلا إمدادات الأندلس وإمدادات تونس العسكرية ، فقام ـ بقواته وما وصل إليه

---

(٧) راجع : تاريخ الإسلام تأليف الدكتور حسين مؤنس الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ ـ يناير سنة ١٩٨٧م ـ الزهراء للإعلام العربى بالقاهرة ، وكتاب تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط تأليف الأمير شكيب أرسلان طبعة ١٣٥٢هـ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه .

(٨) كتاب صور وبطولات من حضارتنا الإسلامية تأليف الدكتور عبد الحليم عويس طبعة ٢ ـ ١٤٠٢هـ دار الصحوة للنشر بالقاهرة .

من إمدادات ـ باستكمال الفتوحات فى الجزيرة حتى وقعت معظم المدن الصقلية فى يد الجيش الفاتح وذلك بالاستيلاء على سرقوسة آخر معاقلها[9].

ماذا قال القائد الجديد أمام قبر أسد بن الفرات بعد الفتح ؟

وقف القائد محمد بن أبى الجوارى أمام قبر قائده السابق بعد وفاته يخاطبه فى عبارات مؤثرة فكان مما قاله : (لقد انتصرنا يابن الفرات ، ووالله لولاك بعد الله ما انتصرنا ، ثم انحدرت دموعه على خديه وأردف قائلا : ولولا الليالى الحالكة التى وقفت فيها صامدا ماانجونا ، ألا فلتنعم بالفردوس فى الآخرة والخلود فى الدنيا) .

ثم ودعه بالتحية اللائقة وعاد أدراجه ليوطد دعائم الدولة العادلة فى جزيرة صقلية ، تلك الدولة التى ساهم بجهاده فى إنشائها الفقيه القائد أسد ابن الفرات[10] .

تقييم خطط بن الفرات فى فتح الجزيرة من الوجهة العسكرية :

يرى خبراء العسكرية أن ابن الفرات كان يتمتع بعقلية منظمة فى إحكام أمور قيادته ، نتيجة لدراساته الفقهية الطويلة وورعه فى تصريف أمور جنده ، وقد بلغ من تقواه أنه كان يقرأ فى معمعة المعارك ما شاء له من سور القرآن الكريم خصوصا سورة (يس) ويرفض أى معاونة له من غير المسلمين ؛ لأنه كان يؤمن إيمانا عميقا أن النصر من عند الله وليس من عند أحد غيره .

لكنه كان يفتقر إلى الخبرة العملية فى شئون الحرب ، إذ كانت تعوزه الممارسة الكافية الضرورية لمعالجة متطلباتها ، ولا يكون ذلك بالدراسة النظرية بل بالتدريب العملى المستمر على فنون القتال تطبيقا لمبادىء الحرب فى ساحات الحروب والمعارك ، وأيا ما كان ذلك فإن تلك المآخذ ماكانت لتنقص من قدره ؛ لأنه كان مجاهدا صامدا له فى قتال الروم آثار مشهورة ومقامات لاتنكر[11] .

مصير الجزيرة بعد فتح المسلمين لها :

يذكر التاريخ أن المسلمين أسسوا فى تلك الجزيرة إمارة إسلامية كانت تابعة فى البداية لحكومة تونس ثم استقلت بعد ذلك عنها حينما سقطت دولة الأغالبة التى قامت بغزوها وفتحها ، إذ قامت فى صقلية دولة إسلامية لبثت زهاء قرنين من الزمان ، ازدهرت فى ظلها حضارة مستنيرة متقدمة تزهو بعلومها وصناعاتها وتجارتها ، لكن القوى المعادية للعروبة والإسلام تكالبت عليها فى حملات للفرنجة الحاقدة على المسلمين وحضارتهم ، حتى سقطت فى يد الدوق « روجر النورمانى » ٤٦٤هـ التى توافق ١٠٧٢ للميلاد وبسقوطها انتهت هناك دولة عربية إسلامية كما تنتهى الأحلام السعيدة فى أى زمن من الأزمان[12] .

---

(٩) مقال الفقيه القائد مصنف كتاب الأسدية مرجع سابق .

(١٠) كتاب صور وبطولات من حضارتنا الأسلامية مرجع سابق .

(١١) مقال الفقيه مصنف كتاب الأسدية المرجع السابق .

(١٢) كتاب مواقف حاسمة فى تاريخ الأسلام مرجع سابق .

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها	فضيلة الشيخ / السيد العراقي

ورد إلينا السؤالان من السيد ع . أ يقول فيهما : ١ ـ أريد أن استوضح (حكم شرب الدخان) .

وحكم الاتجار فيه .

وحكم الربح الناتج عن بيعه ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد :

عرف الدخان فى البلاد الإسلامية بعد نقله من أمريكا وانتشاره فى أوربا فى القرن السادس عشر ، ولكثرة إقبال الناس عليه إذ ذاك اتخذ كثير من الحكام إجراءات شديدة ضد المدخنين كان من بينها : النفى وكسر الأنف ، بل القتل بصب الرصاص فى أفواه المدخنين .

ولم يتحدث عنه فقهاء المذاهب الأربعة فى العصور الإسلامية الأولى وبعد أن عرفوه فى القرن التاسع الهجرى ، ألف العلماء فيه عدة رسائل بلغت الثلاثين ، كانوا فيها ما بين محرم ، وغير محرم ، كما عنى الأطباء ببيان ضرره على الصحة وقالوا : إن النيكوتين السام الموجود فى الدخان يخلص الجسم من ٨٥٪ منه بالتفاعلات الكيماوية وبالتبول .

هناك ثلاثة آراء فى حكم شربه :

الرأى الأول : التحريم مطلقا .

واستدل أصحاب هذا الرأى بنصوص عده منها قوله ـ تعالى :

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾

الاعراف ـ ١٥٧

والدخان حيث فيكون حراما . وقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾

النساء ـ ٢٩

وفيه موت لبعض الناس فيكون منهيا عنه .
وقوله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾

الإسراء ـ ٢٦

ودفع المال فيه تبذير ؛ لأنه فى غير موضعه ، فيكون منهيا عنه .

وقوله ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار » رواه مالك مرسلاً .

والرأى الثانى :

الحل بناء على أن الأصل فى كل شىء الإباحة ، وأن الأصل فى كل مطعوم ومشروب أن يبقى على حله حتى يرد النص بتحريمه ، أو يندرج تحت دليل أو قاعدة عامة توجب التحريم ، أو يقاس على أصل محرم لعلة مشتركة فيهما ، ولم يرد فى (التدخين) شىء من ذلك فيبقى على الحل .

والرأى الثالث : وسط بين الرأيين

فيقول أصحابه : بالتفصيل ، أى قد يكون التدخين حراما وقد يكون حلالا .

يكون حراما إذا كان فيه ضرر صحى لا يحتمل وذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال ، ولابد من إخبار الطبيب الثقة بخطورته على الشخص ، وكذلك إذا كان فيه إسراف محرم بأن كان المدخن محتاجا إلى ثمنه فى نفقات واجبة عليه ، ويكون مباحا إذا لم يكن فيه ضرر صحى وقد أفتى بحله العلامة الأجهورى المالكى فى رسالته .

وقال العلامة عبد الغنى النابلسى ـ فى رسالته التى ألفها فى حله : إنه لم يقم دليل شرعى على حرمته أو كراهته ، ولم يثبت إسكاره أو تغيره أو إضراره بعامة الشاربين حتى يكون حراما أو مكروها تحريما فيدخل فى قاعدة الأصل فى الأشياء الإباحة .

وقال العلامة الطحاوى : يكره تعاطيه كراهة التحريم لعارض ككونه فى المسجد للنهى الوارد فى الثوم والبصل ، وهو ملحق بهما . ويكره تعاطيه أثناء القراءة لكل من التالى والسامع ، والكراهة لعارض لا تنافى حكم الإباحة فى عامة الأحوال .

ومن ذلك يعلم : أن الاتجار فيه مباح على الراجح ، وأن الربح الناتج عنه حلال طيب .

وترى لجنة الفتوى أن المال الذى ينفق فيه أولى أن يوجه إلى مجالات مفيدة وهى كثيرة ، وقد تكون الحاجة فيها ملحة .

وكذلك يكره التدخين تورعا ، لأن بعض الفقهاء قال بحرمته .

كما أن له أثرا سيئا على كثير من المدخنين صحيا وآخر سيئا على الاقتصاد القومى على مجموع الأمة التى هى فى أشد الحاجة إلى توفير المطالب الأساسية أو تحسينها ، وما يحرق يوميا من الدخان يمكن أن يستفاد به فى مشروعات إنتاجية هامة لرفع مستوى المعيشة ، ولعل السائل قد وجد جوابا شافيا لكل ما أثاره فى تساؤلاته ، فإن أراد المزيد فليرجع إلى رسالة فضيلة الشيخ عطية صقر عن التدخين فى نظر ، الإسلام والله تعالى أعلم .

وردت إلينا الأسئلة الأربعة الآتية من ع . ا . ع عربية يقول فيه .

شاب خطب فتاة وأثناء فترة الخطوبة كانا يخرجان معا دون ثالث وحدث ما لا تحمد عقباه . فقد زنا بها ، ثم تزوجا بعد ذلك فما حكم الدين فى هذا السلوك .

وماذا يجب عليهما ؟

وهل تعتبر هذه زانية برغم أنهما تزوجا وأنجبا الطفل ؟

٢ ـ شخص أدركته صلاة العشاء ولم يصل المغرب ، ولكنه أدرك سنة العشاء . فصلى المغرب قبل إقامة العشاء فهل هذا صحيح ؟

٣ ـ شخص أدركته صلاة العصر ولم يصل الظهر ، فهل يصلى معهم بنية الظهر ، ثم يصلى العصر بعد ذلك ؟

٤ ـ ما حكم الإسلام فى زواج المسلم (بالنصرانية) مع بقاء كل على دينه وما الحكم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .

فنفيد ـ بادىء ذى بدء ـ بأنه غير جائز شرعا خروج الخاطب مع خطيبته دون محرم ، كما أنه لا يجوز للخاطب أن يختلى بمخطوبته ؛ لأنها مازالت أجنبية عنه ، فإن الخطبة ليست زواجا .

ومادام الزنى قد حصل ، وجب فيه الحد ، وهو الرجم للمحصن ، والجلد لغير المحصن ، فإن أقيم عليه الحد كان ذلك توبة يرفع الله بها الإثم كما قال النبى ﷺ فى الجهنية التى رجمت للزنى ـ وصلى عليها : أنها تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لو سعتهم ، وهل وجدت أعظم ممن جادت بنفسها لله ؟

وإذا لم يُقَمْ الحد على الزانى ، وهو مستعد له راض به ، فلا يغفر الذنب إلا بالتوبة النصوح ، القائمة على الإقلاع عنه ، والندم عليه ، والعزم الأكيد على عدم العودة للعصيان ، وطلب العفو والسماح ... إذا حدث ذلك يرجى أن يغفر الله هذا الذنب ، وبدون ذلك لا يكون مجرد الزواج بها مسقطاً للعقوبة ، لا عقوبة الدنيا ، ولا عقوبة الآخرة ، وإذا كان الزواج بها مظهرا من مظاهر التوبة فالله وحده هو الذى يقدرها والولد قطعا هو ابنهما .

ذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد (فى كتاب النكاح) باب : الرجل يزنى بالمرأة ثم يتزوجها قال عن ابن سيرين قال : سئل ابن مسعود عن الرجل يزنى بالمرأة ثم ينكحها قال : هما زانيان ما اجتمعا فقيل : لابن مسعود أرأيت إن تابا وأصلحا قال :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾

الآية رقم ـ ٢٥ من سورة الشورى

قال الهيثمى رواه الطبرانى وابن سيرين .

وعن الثانى والثالث : بأنه لا يجوز للمسلم أن يتكاسل عن تأدية الصلاة فى وقتها بدون عذر لقوله تعالى :

﴿ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾

النساء ١٠٣

ولقوله : ﷺ حينما سئل عن أفضل الأعمال فقال : الصلاة لوقتها : وحيث إن السائل فضّل صلاة المغرب بدل سنة العشاء وكان هناك وقت وقبل إقامة جماعة العشاء جاز له ذلك لمراعاة الترتيب وهذا أفضل ، وإذا لم يجد الوقت وخاف فوات الجماعة فإنه يدرك العشاء مع الجماعة ، ثم يأتى بالمغرب بعد العشاء ، وعند الشافعية يجوز صلاة المغرب خلف الإمام الذى يصلى العشاء وبعد تمام الركعة الثالثة فهنا يجلس المأموم الذى يصلى بنية المغرب وينوى المفارقة فى قلبه ويتشهد ثم يسلم والله تعالى أعلم .

وعن الرابع : لا مانع شرعا من زواج المسلم بكتابية نصرانية كانت ، أو يهودية لقوله تعالى :

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ الْمُؤْمِنَٰتِ وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾

سورة المائدة آية رقم ـ ٥

والله الموفق والهادى والله تعالى أعلم

السؤال من السيد / أ . أ يقول فيه :

١ ـ نظرا لأننى طالب فى جامعة الأزهر بالقاهرة وأقطن بالمنوفية ، ومحاضراتى تبدأ فى الثامنة أو الثامنة والنصف تقريبا ، فاحتاج إلى الاستيقاظ قبل الفجر والسفر أيضاً ، فماذا يجب علىّ نحو صلاة الصبح . هل أصليها قبلما أسافر ؟

٢ ـ مسافة السفر تبلغ مسافة القصر وتزيد فهل أصلى القصر يوميا ، علما بأننى أخرج قبل صلاة الصبح وأرجع بعد صلاة العصر وقبل المغرب ، فمتى أصليها ؟ وأين ؟ هل فى بلدى أم فى مكان الدراسة ؟ وما الأوقات التى أقصر فيها ؟ وهل أصلى صلاة القصر للمغرب والعشاء أم لا ؟

٣ ـ ثمن الكتب الدراسية الجامعية غال إلى حد ما فهل يجوز لى تصويرها دون الرجوع إلى صاحب الكتاب (الدكتور) أم ماذا وما الحكم ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد :

عن الأول : بالنسبة لصلاة الفجر لا تجزىء إلا إذا صليت بعد طلوع الفجر الصادق ، وقبل ذلك تبطل صلاتها كما يحرم تأخيرها إلى ما بعد شروق الشمس بغير عذر النوم وما شابهه ، فاجتهد أن تصلى الصبح قبل أن تبدأ فى السفر وبعد ما يدخل الوقت ، أما إن دخل عليك الوقت وأنت فى حالة السفر فيمكنك أن تصليها فى القطار أو السيارة .

وعن الثانى : مسافة القصر هى مازادت على ثمانين كيلو مترا ، فلك الحق فى قصر الظهر والعصر مادمت فى السفر قبل أن ترجع إلى منزلك ، فإذا رجعت قبل صلاة الظهر أو العصر فصل الصلاة تامة لأنك برجوعك إلى بلدك انقطع عنك حكم السفر .

أما المغرب والعشاء فإنك تكون فى بلدك أثناءهما ، والمغرب لا تقصر لا فى السفر ولا فى الحضر ، والعشاء لا تقصر لأنك فى بلدك .

وعن الثالث : فلك أن تصور أى كتاب من زميلك دون استئذان مؤلفة ، وهذا من التيسير الذى يساعدك على طلب العلم ولظروفك الخاصة والله تعالى علم .

السؤال من السيد / م . ع . غ يقول فيه .

١ ـ هل صح حديث عن رسول الله ﷺ أنه ائتدم بخل وقال خير الإدام الخل ؟ فمم كانوا يصنعون خلهم ؟ وما حكم صناعة الخل من الخمر ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فقد صح عن رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود وغيره عن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : نعم الإدام الخل . روى ابن ماجه عن أم سعد ـ رضى الله عنها ـ قالت : دخل رسول الله ﷺ على عائشة وأنا عندها فقال : هل من غداء ؟ قالت : عندنا خبز وتمر وخل . فقال رسول الله ﷺ : نعم الإدام الخل ، اللهم بارك فى الخل فإنه كان إدام الأنبياء قبلى ولم يفتقر بيت فيه خل .

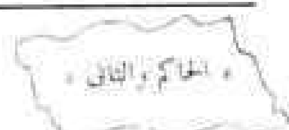
والقاعدة الفقهية أن الخمر إذا صارت خلا طهرت وحل أكلها . وذلك إذا تخللت بنفسها ، أما معالجة الخمر ليحولها الإنسان إلى خل ، فقد روى الإمام مسلم وأصحاب السنن عن أنس ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ﷺ سئل عن الخمر يتخذ خلا فقال : لا . والله ـ تعالى ـ أعلم .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم



سأل سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ رجلا عن شيء ، فقال : الله أعلم ، فقال سيدنا عمر ـ رضي الله عنه : لقد شقينا إن كنا لا نعلم : أن الله أعلم . إذا سئل أحدكم عن شيء لا يعلمه فليقل : لا أعلم .



لما استخلف عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ أرسل إلى سالم بن عبد الله ، ومحمد بن كعب ـ رضي الله عنهما ـ فقال لهما : أشيرا عليَّ فقال سالم : اجعل الناس أبا ، وأخا وابنا ، فبرَّ أباك ، واحفظ أخاك وارحم ابنك .

وقال محمد بن كعب : أحب للناس ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك .



حب الله وحب المعاصي ،

وحب الجهاد وحب الحياة ،

وحب التضحية وحب المال ،

وحب العدل وحب الاستبداد .



قال يحيى بن معاذ : ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال من خصال المحسنين :

إن لم تنفعه فلا تضره ؟

والثانية : إن لم تسره فلا تغمه .

والثالثة : إن لم تمدحه فلا تذمه .

سادات الدنيا والآخرة

قال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما : سادات الناس في الدنيا : الأسخياء ، وفي الآخرة : الأتقياء .



ومن العداوة ما ينالك نفعه
ومن الصداقة ما يضر ويؤلم



الحلم : حلمان ، أشرفهما حلمك على من دونك

والصدق : صدقان ، أعظمهما صدقك فيما يضرك

والوفاء : وفاءان ، أحسنهما وفاؤك لمن لا ترجوه .

«حقيقة»

من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد . ومن حافظ على الفرائض في أول مواقيتها فهو عابد . ومن رأى الأفعال كلها من الله ـ عز وجل ـ فهو موحد .

«ثلاثة»

ثلاث يعز الصبر عند حلولها
ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها
وفرقة إخوان ، وفقد حبيب

ومن وماء

ياحبذا جبل الريان من جبل
وحبذا ساكن الريان من كانا

لما قال جرير هذا البيت ، قال له الفرزدق : ولو كان ساكنه قرودا ؟ فقال له جرير : لو أردت هذا ، لقلت : ما كانا ، ولم أقل من كانا .

دعــاء

يامن لاتنقصه المغفرة ، ولا تضره المعصية ، هب لي ما لا ينقصك ، واغفر لي ما لا يضرك .

وداعاً

شيخ الإسلام الإمام جاد الحق على جاد الحق

بقلم الأستاذ الدكتور/ مصطفى الشكعة

قبيل فجر الجمعة ٢٥ شوال ، ١٥ مارس الحالى اهتز كيان الأمة الإسلامية من أقصى المشارق إلى منتهى المغارب حزنا على فراق إمامها ورائدها الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الذى فاضت روحه الطاهرة فى هدوء مثلما عالج قضايا أمته ــ على خطرها ــ فى هدوء وتعقل واتزان .

لقد بكته جماهير المسلمين بقلوبها ، وشيعته بدموعها ، وودعته بأنات الأفئدة وزفرات الصدور ، هاتفة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، مرددة قول رب العزة :

﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾

كان الشيخ الجليل حميد الصفات ، جم الأدب شديد التواضع حلو الشمائل ، ما رأيناه ثائراً أو متجهما حتى فى أشد المواقف تعقيداً ، وقد كان حاملا هموم أمته ، متلفعاً بمشكلاتها ، غارقاً فى قضاياها ومصائبها ، وكان مجاملا فى غير ترخص إلى المدى الذى كان يحيرنا نحن القريبين منه الملازمين له ، وأذكر أن رجل الدين المسيحى كبير أساقفة كنتربرى زار جامعة الأزهر قبل شهور وألقى فيها محاضرة عامة ، وقد جرت العادة أن يجرى نقاش بين المحاضر والمستمعين إليه فى مثل تلك المناسبات ، وحين أحس الشيخ الجليل أن الضيف سوف يتعرض لبعض الحرج من بعض الأسئلة التى يتوقع أن تطرح عليه ، سارع إلى شكر ضيفه والاكتفاء بالسماع دون التعليق ، فكان بذلك مثالا رائعاً لإكرام الضيف الذى كانت محاضرته تستدعى كثيرا من الحوار والنقاش .

والإمام جاد الحق ـ رحمه الله ـ واحد من علماء الشريعة القلائل الذين يمتلكون ناصية المعرفة فى تخصصه وغير تخصصه ، وكان حياؤه وتواضعه يمنعانه من كثرة الكلام إلا حين تدعو الضرورة إلى ذلك ، وكم رأيناه يتدفق بالعلم تدفق النيل بالماء الزلال قبل أن يدنسه الجهلاء ، كان الشيخ يرأس عددا من لجان مجمع البحوث الإسلامية ويقود سفينة الحوار فى حذق ولباقة ، ثم لا يلبث أن يتدفق حين تدعو الضرورة إلى التعليق بفيض من علمه وغدق من أدبه ، دون أن يمس لعضو من أعضاء المجلس طرفاً أو يعكر له صفواً .

وأما مؤلفات الشيخ فهى من الكثرة والنفاسة بمكان ، وهى تناهز خمسة عشر مؤلفا ، من أشهرها : « النبى فى القرآن الكريم » و « الفقه الإسلامى ـ مرونته وتطوره » و « بيان للناس » و « الشريعة الإسلامية » ومجلدات خمس تضم فتاواه فى قضايا الدين والمجتمع .

وللشيخ الجليل ـ رحمه الله ـ مواقف جريئة معلنة فى عدد من الحالات التى تعرض فيها الإسلام والمسلمون إلى العدوان على أرضهم وأرواحهم وعقائدهم وتراثهم ، وإن من أكثر هذه المواقف عظمة وشجاعة وجرأة موقفه من العدوان الأوروبى بل الأممى على المسلمين فى البوسنة والهرسك ، وأذكر أن عددا من المفكرين والعلماء المسلمين طلبوا إلىّ أن أرجو الشيخ العظيم فى أن يصدر موافقته على إقامة مؤتمر عام بعد صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر ، ولم تكن تأمل أو تطمع فى أكثر من الموافقة ، وما أن خاطبت الإمام الجليل حتى أسرع إلى الإجابة بالموافقة والاشتراك بشخصه لرئاسة المؤتمر وانعقد المؤتمر الكبير الذى ضم عشرات الآلاف من المصلين ، وافتتحه الشيخ بخطاب يليق بقدره ومقامه فى وقت كان للحكومات كلها رأى مخالف لرأى الشيخ ولرأى جماهير المسلمين .

وأما موقف الشيخ الفقيد من مؤتمر السكان الذى عقد قبل عام ونصف ، وأريد له أن يصدر من قاهرة الأزهر قرارات تناقض الأديان وتعتدى على عفاف البشر وكرامة الإنسانية ، مثل إباحة العلاقات الجنسية الشاذة بين الرجل والرجل ، وبين المرأة والمرأة ، وإباحة حمل العذارى الصغيرات والحفاظ على حملهن ، وإباحة إجهاض الزوجات الشرعيات الحرائر ، وغير ذلك ، فقد تصدى له الإمام الجليل بالبيان الصاق الذى صدر عن مجمع البحوث الإسلامية بعد دراسة متمعنة لوثيقة المؤتمر باللغتين العربية والإنجليزية ، فكان للبيان وما تبعه من بيانات فعل الزلزال الذى أجهض المؤامرة ، ثم سارعت الدولة رئيسا وحكومة إلى تبنى عناصر بيان شيخ الأزهر ، وأصدر الرئيس حسنى مبارك بيانه العظيم الذى أكد فيه أن مصر المسلمة لن تسمح للمؤتمر بأن يصدر أى قرار يصطدم مع ديننا وعاداتنا وآدابنا وتقاليدنا ، وخرج المؤتمرون المتآمرون من مصر

يجرون أذيال الخيبة والفشل التى لاحقتهم فى مؤتمرهم التالى الذى عقد فى بكين فى الخريف الماضى ، وكان الفضل فى ذلك إلى عزم الشيخ جاد الحق وصلابته فإنه لم يكن يخشى فى مواقف العدل والمروءة لومة لائم .

أن مواقف الشيخ الفقيد جليلة وكثيرة وحازمة ، ولا يزال المسلمون يذكرون له ـ رحمة الله ـ مواقفه من العدوان على الشيشان وإدانة المعتدى الروسى ، ومواقفه من العدوان على كشمير وغيرها مما يصعب إحصاؤه ويعسر استقصاؤه .

فإذا ما تحول الحديث إلى ذكر مآثر الشيخ وجهوده فى ميدان التعليم الأزهرى ، وجدناه قد زرع المعاهد الأزهرية فى قرى مصر ونجوعها كما تزرع النخيل فى الصحراء فتحيلها إلى مروج وارفة الظلال ، وقد بلغ عدد المعاهد فى عهدة ستة آلاف معهد وعدة مئات ، كما اشترط الشيخ ـ رحمه الله ـ أن يكون القرآن الكريم حفظا وتجويداً شرطا إجبارياً على الطالب الأزهرى وكان هذا الشرط قد امحى حتى صار أثراً بعد عين أو كاد .

ولم يقف جهد شيخ الإسلام الفقيد عند العناية بزرع المعاهد فى مصر ، وإنما امتد هذا الجانب العظيم من نشاطه إلى إنشاء معاهد أزهرية فى البلاد الإسلامية مثل : تنزانيا وكينيا والصومال وجنوب أفريقية ، وقد رأيت بعينى رأسى أطفال معهد الأزهر فى مدينة الكاب يلبسون العمامة الأزهرية ويكتسون « بالكاكولة » الأزهرية المعروفة ، وسمعتهم بأذنى يرتلون القرآن ترتيلا مجوداً ، وكأنما قد ولدوا لآباء وأمهات لا عجمة فيهم ولا لكنه ، وإنما أصحاب لسان عربى مبين .

ولقد بلغ حب المسلمين فى أقطار الأرض جميعاً للشيخ الجليل ، وثقتهم فيه ، واحترامهم له ، مدى جعلهم يؤثرون تعليم أبنائهم فى الأزهر على غيره من معاهد العالم ، حتى إن عدد الطلاب الماليزيين وحدهم فى الأزهر قد تجاوز خمسة آلاف طالب وطالبة ، يتعلمون جميعاً على نفقة أهاليهم ، ويسددون رسوم الدراسة بالعملة الصعبة ، باستثناء بضع وخمسين طالبا يتمتعون بمنح دراسية ، والشىء نفسه أو قريب منه يقال عن أندونيسيا ونيجيريا وتركيا .

ورأى الشيخ جاد الحق بثاقب فكره وعميق إيمانه أن ينشىء دورات تعليمية تدريبية للدعاة والأئمة من أبناء الدول الإسلامية غير العربية ، وأبناء الأقليات الإسلامية فى الدول غير المسلمة ، فرتب لهم الأزهر بتوجيه الإمام الجليل وإشراف شخصى منه أربع دورات كل عام تستمر كل دورة ثلاثة أشهر ، يتلقى القادة خلالها دراسات مكثفة فى مختلف العلوم الإسلامية والعربية يقوم على تدريسها أساتذة مرموقون اختارهم الشيخ بنفسه ، وفى آخر كل دورة يمنح هؤلاء القادة شهادات تقدير ، ومكتبة نفيسة لكل منهم تضم أكثر من مائة وخمسين كتابا تكون مدداً علميا

لهم حين يعودون إلى بلادهم ، ومن نافلة القول أن نذكر أن هؤلاء الدعاة يعيشون ضيوفا على الأزهر فى مدينة البعوث ، ويتلقون رواتب شهرية ، ويمنحون تذاكر السفر بالطائرات من بلادهم وإليها .

وأما جامعة الأزهر وكلياتها وطلابها فقد انتشرت فى عهده على صفحة خريطة مصر العزيزة من أسوان جنوباً حتى الأسكندرية شمالا ، وقد بلغ عددها نحواً من خمسين كلية تقدم العلم الإسلامى والعلم التطبيقى الدنيوى إلى أكثر من مائة وخمسين ألفا من الطلاب والطالبات .

على أن الأمر المبهر الذى أقدم عليه الإمام الجليل قبل وفاته هو الخروج بجامعة الأزهر عن حدود مصر إلى داخل أوربا وأمريكا ، فقد لا يعلم الناس أن الأزهر بسبيل إنشاء معهد عال للدراسات الإسلامية فى روما عاصمة إيطاليا ، وسيكون هذا المعهد العالى تابعا لجامعة روما ويقوم على تدريس المواد الإسلامية فيه أساتذة أزهريون .

كذلك الحال فيما يتعلق بأمريكا التى لها فى مصر جامعة كبيرة ، وقد فاضت روح الشيخ الإمام وبين يديه مشروع إنشاء فرع لجامعة الأزهر فى واشنطون التى تضم سبع جامعات ملحق بها أقسام لدراسة المواد الإسلامية ، يقدمها أساتذة غير مسلمين مما يعرض هذه الدراسات لعدم الدقة طالما أن مدرسيها غير متخصصين ، ومن ثم فقد رئى إنشاء فرع لجامعة الأزهر فى تلك المدينة الكبيرة ذات الجامعات العديدة لكى تقدم الإسلام بريئاً من كل شائبة ، سليماً من أى خطأ أو زيف .

إن الحديث عن شيخ الإسلام جاد الحق على جاد الحق من الثراء بحيث لا ينتهى ، ومن الطهر بحيث لا يمل ، ولئن أهمل حق الشيخ فى حياته فقد آن له أن يعترف به بعد وفاته .

رحم الله الشيخ جاد الحق رحمة واسعة بقدر ما قدم لأمته ، وما بذل لقومة ، وما سهر للحفاظ على دين الله ، وأنزله الله منازل الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

الدكتور مصطفى الشكعة
عضو مجمع البحوث الإسلامية

من أعلام الأزهر

الشيخ محمد الغزالي رحمه الله

للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي

انتقل إلى رحمة الله أستاذنا الكبير محمد الغزالي ، ومثل الغزالي لا يغيب عن الحياة إلاّ بجسمه فمؤلفاته الرائعة ، ومواقفه الجهيرة ، وسلوكه المثالي قد كتب له في سجل الخلود صفحات تقرأها الأجيال ، فتردد ذكره العاطر بألسنة الثناء والتقدير .

كان الغزالي مدينة حافلة ذات ميادين شتى ، متسعة الأرجاء ، فهو مؤلف بارع ، ومجاهد صادق ، وخطيب مؤثر ، وعالم بأدواء المجتمع الإسلامي في شتى ربوعه ، ومثل هذا المقال المتواضع لا يكفي في إيضاح جانب واحد من جوانبه ، كما لا يكفي أن تصف شارعاً واحداً من مدينة آهلة لتقول إنك قد وصفت المدينة . بل الحق أن تقول إنك تسطر ما يفد على خاطرك في ساعة من الزمان .

كلنا يعرف نشأة الأستاذ الغزالي العلمية ، فقد تربى في بيئة مؤمنة بإحدى قرى مديرية البحيرة ، وحفظ القرآن ، وقرأ الحديث في منزل والده قبل أن يلتحق بالأزهر ، ومضت حياته العلمية في هذا المعهد الخالد حتى نال درجة التخصص في الوعظ والإرشاد ، وعُيّن واعظاً فور تخرجه ، ولعل من توفيق الله أن يلتحق بكلية العقيدة والفلسفة لأن ميوله الأدبية ، وتمتعه بالبيان العربي المشرق في زمن الطلب واطلاعه على أمهات الكتب في عهد الدراسة الثانوية مما كان يرشحه لكلية اللغة العربية ولكن الله يعلم أنه سيكون مناضلاً باسلاً في ميدان الدعوة الإسلامية ، وسيصير

زعيماً إسلاميا تلتف حوله القلوب ، فهيأله أن يلتحق بكلية أصول الدين ، وأنْ يخرج منها مجاهدا بقلمه ولسانه معا ، بلسانه فى الندوات وفوق المنابر ، وبقلمه فى حقل التأليف العلمى ، وهو حقلٌ مديد .

لقد كان الغزالى من أكبر دعاة الإسلام فى عصره ، إذ يملك من روعة البيان وقوة الإيمان وصلابة العقيدة أسلوباً حاراً يتوهج حمية ، ويلتهبُ غيرة ، أسلوباً يملك مشاعر المستمع حين يكون الغزالى خطيباً ، ويأسر عواطفه حين يكون الغزالى كاتبا ، إذ تكفلت كتبه الكثيرة بشرح الفكرة الإسلامية الصحيحة فى عصر الالحاد والانبهار بمغريات الغرب ، فكوّنت مكتبةً إسلامية تقف فى وجه الطوفان الزاحف من بلاد الافتراء الصارخ على الإسلام ، فاكتسحت الأراجيف ، وتركت ذوى الريبة حفاة عراة .

إن الدارس لفكر الأستاذ الغزالى يجد مشابه كثيرةً بين كفاح الإمام محمد عبده ، والأستاذ محمد الغزالى ، فقد واجه الأستاذ الإمام منذ قرابة قرن وربع حقد الأوروبين فى وقت كانت لهم السيطرة على أكثر بلاد الإسلام ، وقد مكنت لهم قوتُهم السياسية من الإرجاف بالإسلام على أوسع نطاق فادّعوا عليه كثيراً من المثالب المفتراة ، ورأوا أنْ لاصلاح للمسلمين إلا بهجر مبادئه التى تصادم العقل ، وتعرقل أسباب الحضارة ، وتصدّ عن العلم والثقافة ، فانبرى الأستاذ الإمام لنسف هذه الأراجيف بحجج نارية تحرق المفترين حتى استطاع بمنطقه المفحم أن يوضح قيادة الإسلام الرشيدة للإنسانية ، فى سبيلها الحضارى ، فكون رأياً عاما إسلاميا يقف امام هذه المفتريات فإذا هى هباء .

ومضى الإمام إلى ربه . واستكبر الغرب بقوته المادية ، وجبروته الحربى ، فازداد بغياً وتطاولا ، ولهُ ذيولٌ ينهجون نهجه ، ويتبعون سبيله ، فجددّوا الهجوم الآفك على الإسلام بأسلحة جديدة غير التى شرعوها فى عهد الإمام ، فهيأ الله الأستاذ الغزالى ليكون فى طليعة من حملوا الراية فى ميدان الجهاد العلمى المناضل ، وقد ترك من المؤلفات ما يملأ مكتبة مستقلة يمكن أن تسمى (مكتبة الغزالى) ، وليست المسألة مسألة كم فقط ، ولكنها مسألة كيف أصيل ممتاز فى كل ورقة خطّها الكاتب الغيور فكل مؤلف من مؤلفاته يُؤدّى رسالة ضرورية كان أداؤها فرض عين يلزم القادر عليه ، وكانت المعركة حامية الأوار ، ولكنها انجلت عن ظهور الحق واكتساح الضلال ، وقد اضطهد الداعية الكبير فعرف مرارة السجون مرات متعددة لا مرة واحدة ، وحورب فى وظيفته ، فانتقل إلى بلاد الله الفسيحة ، وكانت النقلة خيراً وبركةً على البلاد التى أمها أستاذاً بالجامعات ، لأن الطلاب فى الدول الشقيقة رأوا فى دروسه ما لم يروه عند الكثرة ، بل عند نفر اصطفاهم الله ليكونوا مصابيح تضيء الظلام ، والدرس الواحد من هؤلاء الأجلاء يُغنى عن عشرات من الدروس التقليدية ، لأناس يحملون الشهادات فحسب !

كان الغزالى ومن شابهه من هذه الصفوة المختارة يحادثون الطلاب بأعصابهم قبل أن ينطقوا بألسنتهم ، وإن فى وجوههم الكريمة لساناً آخر ينطق بأفصح بيان ، لساناً يقول للطلاب : إنه لقول فصل ، وما هو بالهزل ، لذلك يشغفون من التلاميذ من يهيمون بهم ، ويعكفون على آثارهم ، وهؤلاء هُم الذين عناهم شوقى حين قال :

أعلمت أشرف أو أجلّ من الــذى   يبنى وينشىء أنـفـسا وعقـــولا !

كان الغزالى أول من ألف فى محاربة المذاهب الاقتصادية التى يتشدق بها المأجورون ، حاربها بالدليل القاطع الذى يثبت أن للإسلام من الفكر الاقتصادى ما يدفع إلى الثروة والنماء ، والتكافل الاجتماعى العام ! لقد صدر كتابه « الإسلام والأوضاع الاقتصادية » ليقول – فى طبعته الأولى سنة ١٩٤٧ م كلمة الحق عن الطبقات المترفة والطبقات البائسة ، ورأى الإسلام فيهما ، وقد اقتحم القول فى إيضاح الأسباب الاقتصادية للرذائل المنتشرة فى المجتمع الإسلامى ومردُّها إلى الفقر الكاسح ، والجهل الطاغى والمرض الموغل ، متحدثاً عن أوباء السرقة والزنا والبطالة ، ومنتقلاً إلى ما تسببه المعيشة الكريمة من ترفع وإباء ، معيشة الكفاح المثمر ، لا معيشة الترف العاطل المبيد .

وكان حديث المؤلف صريحاً عن الاستعمار الداخلى المنكفىء على لذاته وأنانيته حين كان السبب فى الاستعمار الخارجى ، ولم يلبث أن صار أداته فى البطش والقهر ، أما العلاج الصحيح فهو ما اتجه إليه المؤلف مستقياً أدلته من نصوص التشريع الإسلامى الحاسمة ؛ إذ وضح حق الناس فى المال ، وبين مكان الزكاة من الاقتصاد الإسلامى ، وفرض الضرائب للصالح العام ثم ختم الكلام بما سماه (الحقائق المؤسفة) وهى حقائق مؤسفة ومخجلة لمن يتدبر عن قلب ذكى ، وفكر رحيم ، وماكاد كتاب (الإسلام والأوضاع الاقتصادية) يشغل أذهان الناس ، وينتهى بهم إلى ضرورة حل إسلامى مريح ، حتى أصدر الغزالى كتابه (الإسلام والمناهج الاشتراكية) مكملاً للحلقة الأولى فى ميدان الإصلاح الاقتصادى ، فشرح ما يراد بالتأمين الاجتماعى ، وتوزيع الملكيات على السنن الصحيح ، وموضع الفرد من الأمة ، ومسئولية الأمة عن الفرد .

وكان صريحاً حين تحدث عن الملكيات الزراعية فى مصر ، وعما يجر الوبال مما يجرى بعيداً عن حكم الإسلام فى مؤسسات الربا والاحتكار والاستغلال ، وشركات التأمين ، وحقوق العمال ، وقد فاجأ الأستاذ قراءه بذلك كله ؛ لأن حديث الاقتصاد الإسلامى لم يكن يجرى على ألسنة الوعاظ والمرشدين قبل أن ينهض الكاتب الواعظ برسالته ، إذ كان همهم الأكبر متجها إلى محاربة البدع والمنكرات من أمثال التبرج والنذور وشرب المسكرات ، أما الطرق الملح على الإصلاح الاقتصادى فى ضوء الإسلام فقد بدأه الغزالى فى قومه وسار وراءه معجبون متبعون !

لم يتحدث الغزالى عن مشكلات الاقتصاد والعدالة الاجتماعية فى كتبه فحسب ، بل كان منبر الجمعة كل أسبوع مذياعاً خطيراً يبشر به الغزالى مستمعيه بآرائه الجريئة ، فأعاد للخطبة الدينية يوم الجمعة اعتبارها المفقود ، وأخذت الجموع تهرع إلى المسجد قبل الميعاد لتجد المكان المطمئن فإذا ضاقت رحاب المسجد تكتل الناس فى الطرقات من حوله ، وقد بسطوا السجاد ليؤدوا الفريضة مستمعين إلى النقد الجرىء الحر بلسان عربى صادق لا يعرف الجبن والخداع ، وحين كان الأستاذ خطيباً للجامع الأزهر حقبة من الدهر ، أصبحت خطبه النقدية حديث الناس جميعاً ، وسجلتها الأشرطة لتتناقل فى الربوع النائية فيعيدها خطباء المساجد فى الأقاليم مرة ثانية ، وقد اجتمع أحد وزراء الداخلية مع نفر من الصحفيين ليقول لهم : إنهم فقدوا التأثير الشعبى لأنهم يكتبون فى مناصرة الحكومة ولا يستمع إليهم أحد ، ومحمد الغزالى يلقى خطبة فى مسجد مصطفى محمود يوم العيد فيرددها الخطباء فى عشرات الآلاف من المساجد فى القرى والمدن ، ولا يستطيع أحد أن يمنع خطيب الجمعة إذا استند إلى القرآن والحديث ونقل كلام الغزالى فى قدرته على الإبداع والإقناع !! وإذا كان الجامع الأزهر فى قلب العاصمة ، والذهاب إليه يسير غير عسير ، فقد رأى المغرضون أن ينقلوا الخطيب إلى مسجد عمرو بن العاص بأقصى المدينة فى مصر القديمة ظناً منهم أن الطريق إليه وعر ، ولن يهرع الجموع إلى سماعه بمكانه القاصى ، ولكن الناس هم الناس فقد تقاطروا على مسجد عمرو بن العاص تقاطرهم على الجامع الأزهر من قبل ، وتعرض الخطيب فيما تعرض له ذات جمعة إلى قانون مشبوه بشأن الأسرة حاولت بعض الجهات تمريره ، فأحدث كلامه دوياً فى الناس ، وتناقلت الإذاعات الأجنبية ـ وأقول الأجنبية عن عمد ـ كل ما هاجم به الخطيب هذا المشروع الجائر ، وضاقت مصر على الرجل فآثر الهجرة إلى السعودية أستاذاً بالدراسات العليا بجامعة أم القرى حتى جاء نصر الله . وذهب عهد وجاء عهد ، فرجع الشيخ ليصدع بحكم الله كما يراه دون تهيب أو انتظار ! أليس فى ذلك ما يعيد أمجاد خطباء الإسلام من قبل ، كالمنذر بن سعيد الأندلسى . والعز بن عبد السلام ، وابن تيمية حين واجهوا الباطل فى المسجد الجامع ، وما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا .

هذه لفتة جانبية أعود بعدها إلى جولتى السريعة فى فكر الأستاذ الغزالى ، فأعلن أنه بعد كتابيه السابقين ألف كتابه المزعج (الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين) وأقول : (المزعج) عن خبرة واعية بأثره البعيد ، لأنه أزعج طائفتين متعارضين كلتاهما تتمسح بالإسلام وهو منها برىء : طائفة الرأسمالية التى تعلن أن الإسلام يؤيد اكتناز الذهب والفضة والعقار عملاً بمبدأ الحرية فى الامتلاك ، وهى واهمة مخطئة ، وطائفة الشيوعية التى تتمسح بنصوص قرآنية تفسرها على غير وجهها ، فجاء الكتاب الفذ ليعلن أن الإسلام ذو منهج عادل فى تحقيق التكافل الاجتماعى ، ولم يبتغ إرضاء المذاهب المغرضة ، وهذا الكلام يحتاج إلى بسط ، شرحه المؤلف فى كتابه ، فتحدث عن آثار الرأسمالية البارزة فى الاستغلال المادى الصارخ فإليها يرجع ما يفشو فى

الشرق الإسلامي من تأخر وانحطاط ، وقد سببت الشلل العقلي لكثير من البسطاء السذج فأصبحوا يدورون حول سادتهم كالآلة في المصنع ، لا يناقشونهم الرأي أو يقاسمونهم الربح ، كما يهبط بنفوسهم إلى مستوى العبيد ، وفي مبادىء الإسلام علاج لهذا الانحطاط ، تهتف به أقوال القرآن ونصوص السنة ومواقف الصحابة والخلفاء ؛ إذ كانت أعمال محمد ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهم أجمعين – عماداً يرتكز عليه الإصلاح المنشود ، هذا إلى القواعد الأصولية المقررة في الفقه الإسلامي : كسد الذرائع ، ورفع الضرر ، ومنع الحرج ، وتضييق المباحات .

وقد دار في ذهن المؤلف ما سيستغله الشيوعيون من هذه النصوص استغلالاً يُرضي وجهتهم الخاصة فتحدث عن الشيوعية الملحدة الكافرة ، وأظهر أن دعوى العدالة الاجتماعية لديهم لا تجد تطبيقها العادل ، فكبار الشيوعيين يعيشون عيشة كبار الرأسماليين في منازلهم ، ويقولون غير مايفعلون ، كما أنها تهدم الأصول المقررة في الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، وتجعل العالم قطيعاً يقترف المنكرات دون خوف من حساب رباني ، إذ كثيراً ما يفلت المجرم من قانون الأرض ، ولكن اعتقاده في عدالة السماء يؤرقه ويضنيه ، فإذا زال هذا الاعتقاد تحول المجتمع إلى وحوش كواسر ، يقول الأستاذ الغزالي :

« ولو كانت الشيوعية هدماً للآداب والأعراض فقط لتقبلها من يصدون عن سبيل الله ؛ بل لوجدوا فيها متنفسهم العميق ، أما وهي لدى الرأسماليين هدم لما يملك ويقتنى ، فيجب أن تحارب باسم الدين ، ولكن الدين يسأل هؤلاء : كيف ملكتم أموالكم ؟ وأين حق الله وحق الناس فيما أخذتم ؟ وهم يضيقون بهذا السؤال !

لقد جاء كتاب (الإسلام المفترى عليه من الشيوعيين والرأسماليين) ليكشف عوار الفريقين ، ويعلن أن الإسلام ذو منهج عادل متفرد ، وما بالرأسمالية من مظالم يحاربها الإسلام ، كما يحارب تهجم الشيوعية على الدين ، وتحريم الملكية الفردية العادلة ! ولم يرسل المؤلف حديثه إرسالاً ، بل كان لكل حكم دعامته من القرآن والحديث وسير السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، مع الإفاضة في آراء أعلام الشريعة الأثبات من أمثال : ابن حزم وأبي حامد الغزالي ، ومحيي الدين النووي وابن تيمية وغيرهم ، ولا يظن أحد أن الكتاب قد أدى مهمته بسقوط الشيوعية ، وانحدار الرأسمالية المستغلة في أكثر شعوب أوروبا ؛ فإن للتاريخ دورته وسيبقى هذا الأثر شاهد عدل حين تختلط الأوراق ، وتختل الموازين ، وقد ترجم الكتاب إلى لغات شرقية وغربية ، وقابل موافقة ومعارضة شأنه في ذلك شأن كل أثر فكري جريء ، وأنا أعرف أن كل كتب الغزالي ذات ردود مفحمة ، ونقاش لا ينقطع ؛ لأنه يعمد دائماً إلى إزالة الأراجيف المختلفة في كل موضوع يتناوله بالتحليل ، ولو كان لدينا احترام علمي في تاريخ حركة النقد المعاصر ، لما قصرناه على ما يخص الفنون الأدبية وحدها ؛ بل لامتد بنا النظر إلى كل خيال فكري يتجاوز الفنون الأدبية إلى



الفلسفة والدين والتاريخ وسائر فروع المعرفة فى الدراسات الإنسانية .

والغزالى ناقد بهذا الاعتبار ، لأنه كشف أوهاماً كثيرة لأناس كبار أو صغار ، وسلط مجهره النقدى على كتب وقضايا فى دنيا الدين والتاريخ والاجتماع ، تنطق بذلك آثاره التى جاوزت التسعين ، وسأشير هنا إلى ثلاثة كتب خلصت للفقيد ، من آثار الأستاذ ، هى : كتاب (العقيدة والشريعة) الذى نقد به كتاب المستشرق جولد تسيهر فى الموضوع نفسه ، و (كتاب التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام) الذى نقض به كتاب (جاك تاجر) المعروف ، وكتاب (من هنا نعلم) الذى نقد به كتاب (من هنا نبدأ) للأستاذ خالد محمد خالد ــ رحمه الله .

وكتاب العقيدة والشريعة لجولد تسيهر خادع مغرر إذ قام بترجمته لفيف من العلماء لم يقوموا بحق التعقيب عليه فى كل صفحة من صفحاته كما تحتم ذلك رسالتهم العلمية ، وكأنهم تركوا القارىء ليقوم بالنقد من تلقاء ذاته ، وقد اعترفوا فى المقدمة أن بالكتاب آراء لا يوافقون عليها ، وكان عليهم أن يمحصوا هذه الآراء ، قبل أن تنشر السموم فى عقول القراء ، وكان من رحمة الله أن قام الأستاذ الغزالى بهذا العبء الثقيل وحده ، وأقول : الثقيل عن عمد ، لأن المستشرق الداهية يصطنع الحيدة ظاهريا ، ولكنه ينقل النصوص مبتورة منقطعة عن مبدئها ومنتهاها ؛ فيعطى القارىء انطباعاً مخطئا حول القضية التى يتحدث عنها ، كما أنه مع النقل المبتور ينحرف بالتعليل والتفسير إلى غير وجهه ، وهو ما يجعل الكتاب تبشيراً لا علماً .

لقد لاحظ ذلك الأستاذ الغزالى فتفرغ لنقد الكتاب مؤكدا أنه حرص فى الرد على هذا المستشرق أن يستوفى الحقائق العلمية التى توضح ما عماه أو غاب عنه ، وقد اعترف الناقد أنه كان قاسى اللهجة فى فترة ، وهو أمر لا حيلة للغزالى فى تلافيه ؛ لأنه يكتب ويخطب بكل مشاعره ، ولا يدع عاطفته سجينة فى حجرة معتزلة ليقف عقله وحده فى حلبة النقاش ، ومثل الغزالى لابد أن يضيق صدره حين يرى إفكا يفترى ، وتبذل الحيل فى تأكيده وتثبيته ؛ لأن المسألة لو كانت مسألة خطأ فقط دون تمويه لاكتفى الناقد بإيضاح الخطأ فى جو حيادى لا يعمد إلى القذائف الصائبة ، ولكن المسألة مسألة تدليس متعمد ، تدليس من يقتطع النصوص ، ليسير بها فى الوجه الذى يرتضيه ، وقد تساءل الأستاذ الغزالى ــ فى مقدمة كتابه قائلاً : وهل يلومنا أحد إذا وطدنا العزم على استخراج هؤلاء المستشرقين من مكامنهم ، ومزقنا الأغشية التى يلفونها على وجوههم ، ونازلناهم فى ميدان الجدل وجها لوجه ؟ إنهم يريدون الإتيان على الإسلام ، فكيف نتحرج نحن أن نأتى على بنيانهم من القواعد ؟ وهم يريدون الاستمتاع بحق الباحث المحايد ، أو بحق العالم المجاهد فى أن يخطىء ويصيب ، ولو أنهم عشاق معرفة مجردة ، يبحثون عنها فى حرارة وإخلاص لعذرنا المخطىء منهم وأقلنا عثرته ، وساعدناه على الوقوف واستئناف البحث والاجتهاد . أما وهم محاربون خبثاء يصطنعون الطيبة للتوغل والاستمكان فهيهات أن نعاملهم إلا بذات أسلحتهم .

(يتبع)

رثاء مفتي استراليا

لفقيد الأزهر

الشيخ الغزالي

رحمه الله تعالى

أرسل فضيلة مفتى استراليا بهذه الكلمة رثاء صادقا فى فضيلة الشيخ الغزالى ـ رحمه الله الرحمن الرحيم .

يا أيها الناعـى أبـا العلمـاء ... هذا أوان جلائـل الأنبـاء
لم تبـق للأحيـاء غير ذخيرة ... ولت وغير بقيـة الكرمـاء
أودى الـردى بمهـذب لا تنتهى ... إلا إليـه شمائـل العلمـاء
يا أيها الشيـخ الفقيـد تحيـة ... أنـدى لقبرك من زلال الماء
يا أيها العلـم الجريح صبابـة ... النهج باق فى شعبـة النجبـاء

إن الدعوة الإسلامية قد خسرت علما من أعلامها ، وركنا من أركانها ، وفارسا من فرسانها ، طالما صدع بقول الحق ، وزاد عن حمى الإسلام بالكلمة الجريئة متحليا بالحكمة والموعظة الحسنة .

ذلكم هو العلم الزاهر ، والبحر الزاخر فقيد العلم والعالم الإسلامى قاطبة المغفور له فضيلة الداعية الكبير الشيخ / محمد الغزالى .

حقا لقد كان ـ رحمه الله ـ من عدول الخلف قضى حياته ينفى عن هذا الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين .

إننا إذ نستقبل النبأ الحزين فى خطب جلل ، ومصاب جليل ، لا نملك أمامه إلا الرضى والتسليم بقضاء الحكيم العليم ؛ فإن عزاءنا وسلوانا أن فقيدنا من العلماء العاملين فطوبى له مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

هذا ووفاء لإمام الدعاة الفقيد الراحل الشيخ / محمد الغزالى .

تقرر إقامة صلاة الغائب على روحه الطاهرة بجميع مساجد قارة استراليا عقب صلاة الجمعة القادمة . عظم الله أجرنا فى مصابنا ، وعوض أمتنا خيرا ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

تاج الدين حامد الهلالي

مفتي استراليا



الشعر والشعراء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

مع الإمام البوصيرى

منذ أشرق نور الرسالة المحمدية وقد توالت المدائح النبوية فى مدح صاحب الرسالة ﷺ ، وهو من شرح الله صدره ورفع ذكره فى العالمين .

ويعد الإمام البوصيرى[١] واحداً من أبرز الذين مدحوا سيدنا رسول الله ﷺ من بعد حسان بن ثابت وكعب بن زهير ـ رضى الله عنهما ـ ثم الكميت وغيرهم ممن ظهرت نفحات حبه ﷺ فى قصائدهم ، وفى هذا العدد نسم عبيراً من « همزية » الإمام البوصيرى فى مدح المصطفى ﷺ ، تلك الهمزية التى تعد من روائع الشعر العربى وفرائده ، والتى يقول فى مطلعها :

كيف ترقى رقيك الأنبياء … يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك فى علاك وقد حا … ل سنىً منك دونهم وسناء
إنما مثلوا صفاتك للنا … س كما مثل النجوم الماء
أنت مصباح كل فضل فما تصد … ر إلا عن ضوئك الأضواء
لك ذات العلوم من عالم الغيـ … ـب ومنها لآدم الأسماء
لم تزل فى ضمائر الكون تختا … ر لك الأمهات والآباء
ما مضت فترة من الرسل إلا … بشرت قومها بك الأنبياء



تتباهى بك العصور وتسمو … بك علياء بعدها علياء
وبدا للوجود منك كريم … من كريم آباؤه كرماء
نسب تحسب العلا بحلاه … قلدتها نجومها الجوزاء
حبذا عقد سؤدد وفخار … أنت فيه اليتيمة العصماء
ومحيا كالشمس منك مضىء … أسفرت عنه ليلة غراء
ليلة المولد الذى كان للديـ … ـن سرور بيومه وازدهاء
وتوالت بشرى الهواتف أن قد … ولد المصطفى وحق الهناء

---

(١) نشرت ترجمة موجزة عنه فى عدد رمضان ١٤١٦ هـ .

مع المتنبى

المتنبى هو : أحمد بن الحسين الجعفى الكندى ، ولد بالكوفة ونشأ بها ، ويعتبر أشهر شعراء المحدثين ، فلم يحظ شعر شاعر بالذيوع والشرح والبحث والنقد بقدر ما حظى شعره ، وكان يدرك شيوع شعره ، ومن ثم غلبت عليه الذاتية تمكنه وقوته الشاعرية ، ومن ذلك قوله :

أنا الذى نظر الأعجمى إلى أدبى .. وأسمعت كلماتى من به صمم

وكان « المعرى » ـ وهو من أشد المعجبين به ـ إذا أنشد هذا البيت أمامه يقول « أنا الأعمى » ، ولعل سر ذيوع أدبه وشيوعه يرجع إلى ما يمتاز به من دقة المعانى وإبداعها وشيوع الحكمة فيها .

قتل المتنبى قرب بغداد سنة ٣٥٤ هـ .

وهذه قصيدة للمتنبى يخاطم فيها سيف الدولة إلى نفسه لأنه ملك ؛ فلا يشكوه إلى غيره ، ويمدحه فيها بما يشبه الذم عتاباً على ظلمه له ، فعلى الرغم من أنه أعدل الناس ـ لدى المتنبى ـ إلا أن عدله لا يشمله ، يقول :

يا أعدل الناس إلا فى معاملتى ... فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

أعيذها نظرات منك صادقة ... أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره ... إذا استوت عنده الأنوار والظلم

أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى ... وأسمعت كلماتى مَنْ به صَمَم

أنام ملء جفونى عن شواردها ... ويسهر الخلق جرّاها ويختصم

وجاهل مده فى جهله ضحكى ... حتى أتته يدٌ فرّاسةٌ وفم

وإذا رأيت نيوب الليث بارزة ... فلا تظنن أن الليث يبتسم

يا من يعز علينا أن نفارقهم ... وجداننا كلَّ شيءٍ بعدكم عدم

ما كان أخلقنا منك بتكرمة ... لو أن أمرَكم من أمرنا أَمَم(٢)

إن كان سرَّكم ما قال حاسدنا ... فما لجرح إذا أرضاكم ألم

كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم ... ويكره الله ما تأتون والكرمُ

ما أبعد العيب والنقصان عن شرفى ... أنا الثريا وذان الشيب والهرَمُ

ليت الغمام الذى عندى صواعقه ... يزيلهن إلى من عنده الديم(٣)

---

(٢) الأمم : القريب ، أى لو تقارب ما بيننا بالحب لكنا أحق بكرمكم لأننا أهل للكرامة .

(٣) الغمام : السحاب ، والصواعق جمع صاعقة وهى نار تسقط من السماء فى رعد شديد ، والديم : مطر يدوم فى سكون

ابتهال

للشاعر/ ياسر صلاح قطامش (*)

سعيتُ إليك يا ربِّى .. سعيتُ   ففى كَنَفِ الغواية كم لبثتُ
وآن اليومَ أن أحظى بعفوٍ   لأنى فى ضلالى قد هلكتُ
تقبَّلْ توبتى يا ربُّ .. إنى   من الكأس الذميمة قد غصصتُ
وهاجتْ بى الظنون وشرَّدتنى   فلا أدرى بأى الأرض سِرْتُ !

* * *

وفى بحر الذنوب فقدتُ رشدى   وأغرقتُ السفينَ .. وما نجوت
وهاأنذا أمُدُّ الخطوَ .. علِّى   أعوِّض ما به حينا .. أسأتُ

أتيتُ اليومَ فى ندمى ذليلا   ومن فيض الدموع .. قد اغتسلْتُ
لتغفرلى ذنوب العمر طُرًّا   فعفوك لا يضيق بما اقترفتُ
لعلِّى بعد عِصيانٍ وإثم   يعود النورُ يَقْشع ما جنيتُ

* * *

إلهى كم بِمَنِّك جُدتَ فضلا   علىَّ وكم سترْتَ لِمَا اجترحْتُ
إلهى إنَّ قلبى فى عذاب   يؤرقنى الضميرُ بما أسأتُ
ونار الإثم لم تترك بصدرى   من الآمال إلا ما رجوتُ
أتيتُ الآن أُلقى عبْءَ وزرى   علَى باب المحبةَ قد وقفتُ
إلهى ليس يخفى عنك شىء   وتعلم ما فعلْتُ وما انتويتُ
فهَبْ لى من لدنك العفوَ إنى   إلى باب الهداية قد مضيتُ
وإنى رغم عصيانى وإثمى   لغيرك ما ركعتُ ولا سجدتُ
لغير علاك لم يخفقْ فؤادى   وللنبع الكريم .. لكم ظَمِئْتُ

(*) عضو ندوة شعراء العروبة

إلى الصرح الخالد

للشاعر : محمد صان الدين

مازلت بعد الألف غضا يافعا ... مازلت روضا للمعارف يانعا
قد كنت فى كل العصور حديقة ... للروح والعقل الأريب ومرتعا
ومنارة للعلم لا يخبو لها ... ضوء ، وصوتا للحنيفة مُسْمِعا
عبث الزمان بكل صرح باذخ ... لكنه أحنى أمامك خاشعا
خطَّتْ على جدرانك الأحقاب سفـ ... ـرا بالجلائل والجلال مُرصَّعا
ما السر فى هذا الخلود وما الذى ... أبقاك من سطو الدهور مُمَنَّعا
الله صانك حيث صنت كتابه ... وحرمته ، والسنة الغرا معا
يا معقل الفصحى التى بلسانها ... نزل الكتاب مفصلا ومُجَمَّعا
نشأت به كل اللغات وفاخرت ... ببيانه مغمورها والشائعا
تأتى الوفود إليك من شتى البقا ... ع تروم ورداً فى رحابك مترعا
وتعود للأوطان حاملة إليها ... الرِّىَّ والنور البهى الساطعا

* * *

كم عالم أفنى الحياة بقبلتيـ ... ـك محصلا ومعلما ومدافعا
قد صدَّ عن غرض الحياة وعاش فى ... كنف التقى والعلم بَرًّا قانعا
هل فى الحياة أجل من أن يغنـ ... ـم الإنسان فى مسعاه علما نافعا
وأجل علم فى الوجود هو الذى ... قد ماط عن وجه الحقيقة برقعا
كم حاكم دانت لسطوته الرقا ... ب أتىَ يَخُبُّ إلى شيوخك خاضعا
يستلهم الرأى المسدد منهم ... ويعود منبسط السريرة وادعا
كم جاهل وافاك فى أسماله ... يمشى على الأقدام غِرًّا جائعا
فضممته مترفقا وغذوته ... حتى غدا بالعلم نجما لامعا
عند السماك مكانه لكنه ... يرنو إلى طُلَّابه متواضعا

* * *

يا منصفا فى حكمه قل للذى ... شرد الغرور به فمارى وادَّعى
ما الأزهر المعمور إلا درة ... فى جيد مصر تجل عن أن تُبْدعا
لو أنطق الرحمن فيه دعائما ... لوجدتها فى كل فن مرجعا
وكأنما الأصداء قد نقشت على ... صفحاتها علم الثقاة مُرَجَّعا

* * *

أتراه يبقى والسهام تنوشه ... من كل صوب للمعارف منبعا ؟!
يا رب : مشكاة الشريعة أبقه ... للمسلمين على الزمان مُدَرَّعا

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

وأذن في الناس بالحج

للأستاذ / محمد فريد وجدي

رحمه الله

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

هل لك فى رحلة طيبة تشاهد فيها أطهر بقعة على سطح الأرض ؟

وهل لك فى رحلة روحية ، يعمر بها الفؤاد بفيض من رحمة الله - تعالى - وتخفف عنها لغوب الحياة ووعثاء طريقها ؟

هل لك فى رحلة إلى الله ، وفى الله ، تجدد نشاطك التعبدى وتزيل ما ران على القلب من شوائب الحياة التى تشغل عن ذكر الله .

إذن هيا إلى الحج . فريضة الله الخامسة التى فرضها على عباده المؤمنين يؤدونها طاعة لربهم وشكرا على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، فالحج فريضة ترجع المرء إلى نفسه ، وإذا رجع الإنسان إلى نفسه رجع إلى الله طائعاً . خاشعاً . ملبياً . شاكراً لأنعمه .

فيا أيها الذى تتوافر لديه وسائل الحج وشروطه ، هيا إلى اغتنام هذه الفرصة التى جاءت إليك من الله مفروضة فحرام عليك إن تكاسلت بلا عذر مشروع ، فذلك هو الخسران المبين ، قال الأستاذ :

وأذن فى الناس بالحج

إنه نظراً لاقتراب موسم الحج ، نهيب بكل مسلم إلى انتهاز الفرصة إذا سنحت لهم لأداء هذه الفريضة لا سيما وقد تيسرت سبل الوصول إلى البلاد المقدسة الآن ، وأصبح الحاج يستطيع أن يجد حتى فى البلاد العربية من وسائل الراحة ما كان يحلم به آباؤنا من قبل .

وقد فرض الله الحج على المستطيعين له ، الذين

تتوافر لهم الصحة والمقدرة المالية ، فمن آنس فى نفسه الاستطاعة المشروعة وخف إليه ، فقد وقع أجره على الله ، وأصبح فى كلائته وحمايته بفضله وكرمه .

ونحن نريد فى هذه المناسبة أن نذكر كلمة فى الحج نضمنها ضروباً من الفوائد العلمية والحكم الإسلامية ، فنقول :

تاريخ الحج :

الحج من الشئون الدينية التى كانت تعرف من لدن أقدم العصور عن جميع الأمم ، فما من أمة إلا ولها مكان معين أو أمكنة تحج إليها ، وحاداً أو جماعات ، فى وقت واحد أو أوقات متعددة .

فكان لقدماء المصريين هياكل مقدسة يحجون إليها .

وكان الصينيون ولا يزالون يحجون إلى هياكل معينة فى بلاد التبت وبلاد التتار وغيرها .

أما الهنود فحجهم إلى هيكل تحت الأرض فى جزيرة اليفانتا على سواحل مالابار ، أو إلى هيكل جاجرنات أو غيرها .

أما اليونانيون القدماء فكان لهم فى بلادهم وفى مستعمراتهم بآسيا هياكل يقصدونها ليمضوا فيها وقتاً فى العبادة والنسك ، أشهرها هياكل جوبتير وديانا ومنيرفا الخ .

وقد أمر الإسرائيليون أن يؤموا أورشليم يمضوا فيه عيد الفصيح متعبدين مخبتين . ولما جاءت المسيحية جعلت أمكنة الحج فى أول عهدها قبور الأولياء والشهداء . ثم حولته إلى أورشليم ، فكانوا طوال عهد القرون الوسطى يقصدونها لأداء هذ الواجب .

الحجاج من أهل الملل السابقة على الإسلام كانوا يرون أن من وجوه الزلفى من الله أن يتكبدوا فى حجهم حرجاً شديداً ، فكانوا يتعمدون إرهاق أبدانهم ، كأن يقصدوا مواطن الحج مشياً على الأقدام ، أو حفاة تُدمى أرجلهم الرمضاء . ومنهم من كانوا يتوجهون إلى الحج موقرين بسلاسل حديد تهد القوى ، أو يقطعون إليه المسافات الشاسعة وهم داخل أكياس ليتعثروا فى كل خطوة من خطواتهم .

أما الأتقياء من الصينيين فينذرون أن يطوفوا بتلك الهياكل زحفاً على بطونهم ، معتمدين على مرافقهم ، أو حاملين أثقالاً باهظة على ظهورهم . وكان على الكهان أن يعينوا لهم أى أنواع الإرهاق الجثمانى أحب إلى الله من غيره .

الحج فى الإسلام :

كان العرب قبل الإسلام كسائر الأمم يحجون فى عهد جاهليتهم إلى البيت الذى بناه إبراهيم وابنه إسماعيل – عليهما السلام – فى مكة ، حتى أن أبرهة عامل أصحمة ملك الحبشة باليمن ابتنى قبل مبعث النبى – ﷺ – بنحو أربعين سنة كنيسة فى صنعاء ، وحاول أن يحمل العرب على الحج إليها . فلما لم ينجح فى محاولته اعتزم أن يهدم

---

(١) جمع مسافة . انظر المعجم الوسيط ٤٨٢/١ .

الكعبة ، فقصدها على رأس جيش ممتطياً صهوة فيل له ، فرده الله عنها ، ولم يبلغ مراده منها .

ولما جاء الإسلام جعل الحج ركناً من أركانه الخمسة ، وهو أشد أركانه كلفة ، لذلك أحاطه بكثير من وجوه الإعفاء جرياً على أسلوبه الحكيم في دفع الحرج عن متبعه مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ وقوله : **﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمتـــه عليكم ﴾** .

فاشترط له الاستطاعة من صحة ومال ، وكره أن يرهق فيه أحد نفسه ولو تطوعاً وتطلباً لزيادة الأجر . فقد روى أن النبى ـ ﷺ ـ رأى رجلاً ماشياً يتهادى بين ولدين له يريد الحج ، فسأل عن شأنه ، فقيل : يا رسول الله إنه نذر أن يزور البيت ماشياً . فقال : « كلا ! إن الله غنى عن تعذيب هذا نفسه ، احملوه » . أى على بعير .

قلنا : أقر الإسلام الحج ، ولكنه لم يدعه على ما كان عليه فى عهد الجاهلية ، فإن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الأجساد رجالاً ونساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون . وقد سجل الله عليهم ذلك ، فقال تعالى :

﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكَاءً وتصْدِيَة ﴾

المكاء : الصفير ، والتصدية : التصفيق . وأمر النبى ـ ﷺ ـ لما قوى سلطان الإسلام أن لا يدخل البيت عريان .

ونظم ـ سلام الله عليه ـ الحج فجعل له أميراً يتقدم الناس ويتفقدهم ، ويدفع بوائق الطريق عنهم ، حتى إذا انتهوا إلى البيت تولاهم هو وخطباؤه بالإرشاد لخيرى الدنيا والدين .

وكان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا أراد تعميم العلم بأمر من الأمور خطب به الناس فى الموسم ، أو أوعز إلى أميره أن يخطب الناس به هنالك .

فحوّل الإسلام الحج على هذا الوجه من عبادة جسدية لا روح فيها ، إلى عبادة اجتماعية روحية ذات أثر بليغ فى ترقية شئون المسلمين . وقد أشار الله تعالى إلى هذه المزايا العظيمة بقوله تعالى :

﴿ وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِى أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾

وقد فسر العلماء المنافع بأنها دينية ودنيوية معاً . وهذا شأن الإسلام فى كل ما فرضه على الناس : يراعى فيه مصلحة الحياتين جميعاً .

فلو أردنا أن نستقصى ما يمكن أن يثمره الحج للمسلمين كافة من وجوه المنافع الأدبية والمادية لضاق علينا المجال ، فإن لم يكن فيها إلا تعارف الشعوب الإسلامية ، وإلمام بعضها بحاجات بعض ، لكفاها ذلك عاملاً قوياً فى دفعها إلى تبادل الوسائل والتعاون على سد المفاقـر ، ولوصلت جميعاً على هذا النحو من التكافل إلى مستوى رفيع بين شعوب العالم .

ولكن هذه الثمرات الاجتماعية الجليلة لا يمكن أن تكون إلا إذا تطورت فكرة الحج لدى المسلمين حتى تبلغ المفهوم من مراد الله من الحج . فإن

المشاهد لدى أكثر المسلمين الآن أنهم لا يلحظون فيه إلا الناحية الروحية وحدها ، وكان لتجريده هذه الناحية أثر ظاهر فى حصره فى طبقة من المسلمين لا تتعداها إلا نادراً .

إذا تقرر هذا كان من أوجب واجباتنا أن ننوه بمنافع الحج للدين والدنيا معا ، وأن نكثر من ترويج هذه الحقيقة فى الأذهان ، وأن ننبه خطباء المساجد إلى ملاحظة هذا الأمر الجلل فى شهور الموسم من كل عام .

ولكنا نعلم من ناحية أخرى أن هذه الدعوة لا تنتج كل ما يرجى منها إلا بارتقاء العمران فى البلاد المقدسة ، وتيسير سبل الوصول إليها . أما الشطر الثانى من هذا الشرط فقد تم بما خصص للحج من بواخر إسلامية تعنى جد العناية براحة الحجاج فى ذهابهم وإيابهم ، مما أصبح مفخرة لمصر ، ونرجو أن يحذو حذوها جميع الأقطار الإسلامية . وأما الشطر الأول منه وهو انتشار العمران فى البلاد المقدسة فأدعى للعناية . فقد مر على الناس زمان كانت الشقة بين مكة والمدينة مخوفة إلى حد أنه كان من المخاطرة بالنفس اجتيازها . هذا فضلاً عن أنها كانت تقطع على الإبل فتظل هذه الحيوانات تسير سيرها الوئيد اثنى عشر يوماً ، ويضطر من عليها من الشيوخ والنساء أن يمضوا لياليها فى وسط فياف جرداء ، أو وديان موحشة ، محرومين من جميع وسائل الإسعاف .

وقد تغير ذلك اليوم فتعلم أذكياء تسيير الأوتوموبيلات ، فصارت تقطع تلك الشقة فى ثلاث ، ولكن الثلاث كثيرة على الناس أيضاً فى مثل هذا العصر ، فلابد من اختصارها إلى يوم واحد بواسطة خط حديدى يمد بين مدينتى الحرمين ، يكون فيه كل وسائل الراحة لقاصدى أداء هذه الفريضة .

ويجب أن تنشأ فى مكة والمدينة فنادق على الطراز الحديث ، وأن يستكثر فيهما من عدد الأطباء والصيدلات ، وأن يدخل إليهما جميع المستحدثات النافعة من الأنوار الكهربائية والخطوط التلغرافية والتليفونية ، السلكية واللاسلكية ، والبُرد الجوية ، حتى لا يشعر الحجاج بانقطاعهم عن العالم .

نعم : إن هذه التجديدات سائرة هنالك بحيث يرجى لها أن تنتهى إلى هذه النهاية ، ولكن يجب العمل على تنشيطها بكل ما يستطيعه المسلمون من وسيلة(*) ، سواء أكان ذلك بتأليف الشركات ، أو بالتبرع بالمال لجماعة تنتدب لإحداث هذه الأعمال . بهذه الوسيلة يتضاعف عدد الحجاج ، فبعد أن يكون أكبر عدد للحجاج مائتى ألف من سائر الأقطار قد يبلغ المليونين بل أكثر من ذلك ، وفى هذا رواج عظيم للشركات التى تقوم بهذه المنشآت ، وباب رزق واسع للعرب الذين يعتبرون موسم الحج حليتهم الوحيدة فى الحياة .

محمد فريد وجدى

المجلد السادس

(*) يعبر الكاتب عن احتياجات الحرمين فى ذلك الزمن البعيد ولو عاش إلى وقتنا الحاضر ورأى تيسير الله - تعالى - على الحجيج بتوسعة الحرمين وسهولة النقل البرى والجوى وتوفر الخدمات لحمد الله كثيرا . (مجلة الأزهر) .



بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا

مقدمة لابد منها :

إن المسلمين مطالبون فى كل زمان ومكان باستنهاض عزائمهم وشحذ عقولهم نحو فهم القرآن الكريم فهماً يغير من حياتهم إلى الأفضل دائماً ويضعهم فى موضع يمكنهم من نشر لواء الإسلام فى كل ربوع الأرض ، باعتباره منهجاً ربانياً متكاملاً يحمل للناس كل ما فيه سعادتهم فى الدنيا وفوزهم فى الآخرة . وكما أنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ على رسوله الأمين محمد ﷺ كتاباً مقروءاً يبلغه للناس ، فإن الحق ـ جل وعلا ـ خلق لنا الكون كتاباً منظوراً يعبّر بلسان الحال عما جاء فى الكتاب المسطور بألطف الإشارات ، وكلا الكتابين مصدران للحقائق الدينية والعلمية على حد سواء ، وهما من عند الحق المطلق ، فلا ينبغى طلب الحق إلا فيهما ، ومن ثمّ لا يمكن لعاقل أن يتصور وجود تعارض بين الدين الصحيح والعلم الصحيح ، وهل يُعقل أن يتعارض الحق مع نفسه ؟!!

وبالرغم من وضوح هذه الحقيقة وجلائها ، فإن هناك من يثير بين الحين والحين قضيّة مفتعلة عن الصراع والتعارض بين الدين والعلم ، تلك القضية التي رمانا بها بعض المغالين والمتعصبين من المستشرقين و « المبشرين » ثم جازت على نفر من أبناء جلدتنا شاءوا لأنفسهم أن يقعوا فريسة « أيديولوجيات » تعصبية أو فلسفات وضعية « متسرعة » تنفي الدين من مجال التأثير في توجيه شئون الحياة والدنيا ، وتستدعي العلم وحده لكي يقوم بهذا التأثير . وإذا كان هذا الفصل التام بين العلم والدين قد ساد ولايزال ، لأسباب خاصة في بلاد الغرب ، فإنه مرفوض رفضاً باتاً في عرف الإسلام الذي حث على طلب العلم ، ورفع من قدر العلماء ، وجعل جوهر الدين في دعوته إلى الهدى والحق والخير ، وجوهر العلم في نفعه وسعيه الدائب لإسعاد البشرية ، كما جعل العلم قرين الإيمان ، وقصر خشية الله على العلماء بما يتدبرون من عجيب آيات الله في الآفاق وفي الأنفس ، فقال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[1] .

وكان طبيعياً أن يظهر على ساحة « الفكر الإسلامي » مبحث خاص من مباحث علوم القرآن الكريم يعنى بدراسة الآيات الكونية ، واستنباط الأدلة العقلية على وجود الله وبالغ قدرته وجلال عظمته وصدق وحدانيته ، في إطار من توافق الحقائق العلمية مع ما أنبأ به القرآن الكريم أو أشار إليه ، سواء كان الهدف من هذه الدراسة هو الكشف عن بعض معاني الآيات الكونية في ضوء معطيات العلم الصحيحة ، أو كشف وجوه الهداية القرآنية في آفاق النفس والكون بعامة .

ومما يؤسف له أن الموضوع على هذا النحو استهوى كثيراً من غير المؤهلين تأهيلاً كافياً للقيام بهذه الدراسة كما ينبغي . فأساءوا إلى الهدف النبيل ، وضاعفوا بذلك من تيار المعارضين لاتجاه الكشف عما يسمى « بأوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم » .

وهكذا وقعت قضية الربط بين العلم والدين بعامة ، وقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم خاصة ـ لظروف عديدة ومتناقضة ـ ضحية إفراط بعض المتحمسين لهذا الجانب من الدراسات القرآنية ، وتفريط البعض الآخر بالرفض التام لأي ربط بين العلم وإنجازاته من جهة وبين القرآن وآياته من جهة أخرى . ولو وقعت القضية منهم موقع العدل الوسط ، وحظيت بنظرة فاحصة دقيقة ، بعيدة عن إفراط هؤلاء وتفريط أولئك ، لاستوت المسألة على الطريق السليم في الدعوة إلى الله على هدى وبصيرة ، ولامتدت جسور اللقاء بين الباحثين الإسلاميين واسعة وسوية « لتكشف عن وجوه الهداية القرآنية لكل جوانب الحياة واهتمامات الإنسان ، تستوي في ذلك علومه الشرعية وعلومه الكونية »[2] .

---

(١) سورة فاطر : ٢٧ ـ ٢٨ .

(٢) لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع راجع :

ـ د. عبدالحافظ حلمي محمد ، العلوم البيولوجية في خدمة تفسير القرآن الكريم ، مجلة عالم الفكر ، المجلد الثاني عشر ، الكويت ١٩٨٢م .

ـ د. محمد إبراهيم شريف ، هداية القرآن في الآفاق والأنفس ، وإعجازه العلمي ، دعوة ضرورية ومنهج واجب ، القاهرة ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

ولعـل جزءاً من الخلاف بين المؤيديـن والمعارضين لقضية الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم يعزى إلى خطأ شائع فى استخدامنا لكلمة « العلم » التى تعنى فى لغتنا العربية « الإدراك الصحيح لحقائق الأشياء » ، بينما يقتصر معناها فى الأذهان عادة على ما يعرف فى الثقافة الغربية باسم « العلوم الطبيعية » (Natural Sciences) . والعلم الذى يحث الإسلام ـ إسلام القرآن والسنة ـ على تحصيله يشمل كل علم نافع يهدف إلى تكوين الإنسان الصالح ـ ويزيد من صلته بخالقه ويمكّنه من القيام بواجبات الخلافة وإعمار الحياة على الأرض ، يستوى فى ذلك أن يكون العلم نقلياً أو عقلياً ، دينياً أو دنيوياً ، نظرياً أو تجريبياً ، أو غير ذلك من مسميات لفروع المعرفة بحسب موضوعاتها أو مصادرها أو الطرائق المتبعة فى تحصيلها[3]. وكل ما يساعد من العلوم النافعة على فهم معانى القرآن الكريم وتعميق الإيمان الخالص بالله ـ سبحانه وتعالى ـ إنما يجب الأخذ به والتعويل عليه .

فكم فى القرآن الكريم من آية إذا مستها يد العلم أبانت أسرارها وأظهرت إعجازها . وهل تكذيب الكفار بالقرآن وقت نزوله إلا لأنهم اعتزوا بعلمهم . وما أتفه علمهم آنذاك ، فشهَّر القرآن الكريم بجهلهم فى قوله تعالى :

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾[4] .

ولقد وعد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بإظهار الحقائق التى أودعها فى الآفاق وفى الأنفس ؛ لتكون دليلا إلى الإيمان ، مصداقاً لقوله جل شأنه :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[5] .

حقائق العلم وموضوعيته :

هناك من يعارض اجتهادات العلماء الذين يستعينون بحقائق العلم فى فهم وتعميق معانى الآيات القرآنية بحجة أن ما يسمى « حقائق العلم » ليس سوى فروض ونظريات لم يثبت العلم ذاته يقينها النهائى ، وهذا القول ـ على إطلاقه هكذا ـ لا يقل خطأ عما يقوله آخرون من أن العلم هو المصدر الوحيد للحقيقة وكل ما سواه وهم باطل لا يمت إلى الواقع بصلة . والقائلون بهذا وذاك يخلطون بين مفاهيم من قبيل « القانون العلمى » و « الحقيقة العلمية » و « الموضوعية العلمية » وغير ذلك مما يستخدم فى وصف لغة العلوم الكونية نظراً لتداخل مدلولات هذه المفاهيم من الناحية العملية إلى الحد الذى يتعذر معه وضع حدود فاصلة بين استخداماتها . ويعزى هذا الخلط ـ فيما نرى ـ بصورة رئيسية إلى غياب القواعد والمعايير التى تحكم مثل هذه المفاهيم ، وهى بطبيعة الحال قواعد ومعايير لا يمكن تحديدها بطرق تجريبية ، ولكن يمكن توضيحها والتعرف على ملامحها من خلال تحليل لغة القانون العلمى وفهم طبيعته ، بدءاً من فروضه الأساسيـة ومقومات صياغته اللفظية ، وانتهاء بنتائجه العملية واحتمالات تطبيقاته المستقبلية .

---

(3) د. أحمد فؤاد باشا ، فريضة العلم الغائبة فى العالم الإسلامى المعاصر ، مجلة الأزهر ، الجزء الرابع ، ربيع الآخر ١٤١٥ هـ ـ سبتمبر ١٩٩٤ م ، ص ٥٠٤ ـ ٥٠٨ .

(4) سورة يونس : ٣٩ .

(5) سورة فصلت : ٥٣ .



وربما يستند بعض المعارضين لبحث « الإعجاز العلمى » فى القرآن الكريم إلى واقع العلم ذاته عندما يبدو لهم كما لو كان قد تخلى فى بعض قوانينه الجديدة عن مفاهيم أساسية قامت عليها قوانينه القديمة ، مما يعنى أن نتائج العلم غير يقينية ، وأن العلماء عرضة للخطأ والقصور . لكن هذا فى الوقت نفسه يجب ألا يعنى أن القوانين العلمية التى يتوصل إليها الباحثون بعد اختبار تجريبى دقيق غير صحيحة ، فقوانين نيوتن عن الحركة والجاذبية ـ على سبيل المثال ـ تعبر عن حقائق علمية موضوعية بأعلى درجة ممكنة من الصدق واليقين لأننا اختبرنا صحتها أمام أعيننا وأخذنا من نتائجها فى تحقيق تقنيات متقدمة ساعدتنا على ارتياد الفضاء، وأكدت تصوراتنا عن كروية الأرض ودورانها مع الكواكب الأخرى فى أفلاك محدودة ، وليس من الصواب أبداً أن نعتبر هذه الحقائق الجزئية دليلًا على قصور العلم أو منقصة فيه ، فطبيعة المعرفة العلمية تتميز بالنمو المطرد فى اكتشاف القوانين التى تلقى الضوء تدريجيا على حقائق الواقع الثابت فى هذا الكون كما أشارت إليها آيات من الذكر الحكيم[6].

إن كلا من القرآن الكريم والعلم المنهجى السليم قد جاءا على موعد بعد أن بلغت البشرية مستوى الرشد والنضوج الفكرى القادرين على استيعاب علاقة الإنسان بخالقه وبالكون الذى يعيش فيه . ولقد أصبح « الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم » مبحثاً هاماً من مباحث علوم القرآن ، يستأثر باهتمام المخلصين من علماء المسلمين فى العلوم الشرعية والكونية على حد سواء ، ولعل من أهم ضرورات الاهتمام به وترشيد البحث فيه وفق ضوابط منهجية يقرها أهل الاختصاص أن تكشف الحجب المصطنعة حول مصدرى العلم الإسلامى فى القرآن والكون ، فتظهر كنوزهما المنوط بها هداية الإنسان فى كل زمان ومكان ، وتتحقق بفضلها أهداف الدعوة الإسلامية الرشيدة فى عصر العلم المتجدد .

وبقدر ما نؤكد على أهمية هذا المبحث وضرورته ، فإن واجب الأمانة يقتضى أن ننبّه إلى مزالق الخطأ والزلل وكبوات الاجتهاد ، وأن نذكّر بعظم إثم التكلم فى كتاب الله بغير علم . ونهيب بكل من يتعرض للاجتهاد من أهل العلم أن يستوفوا من الإعداد والكفاية ما يناسب جلال القرآن وقدسيته .

وسوف نعرض بإذن الله ، فى ضوء الشروط والمحاذير التى قدمنا ، لعدد من الآيات الكونية وبيان بعض معانيها فى ضوء حقائق العلوم المعاصرة ، ونبدأ ببعض الآيات الدالة على القدرة الإلهية فى عالم البحار والظواهر البحرية .

من فوائد البحار والأنهار :

قال تعالى :

﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ

---

(6) راجع فى ذلك : د. عبدالحافظ حلمى ، مرجع سابق .
ـ د. أحمد فؤاد باشا ، مستويات الموضوعية العلمية ودلالاتها فى إطار نظرية العلم الإسلامية ، مجلة المسلم المعاصر ، الكويت ، عدد ٦٧ (١٩٩٣) ، ص ص ٧٥ ـ ١٠٠ .

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٧).

تشير هذه الآية الكريمة إلى ما أودعه الله – سبحانه وتعالى – فى البحار والأنهار من نعم عديدة تتعلق بالغذاء والكساء ومصادر الرزق الأخرى. ويظهر الإعجاز واضحاً فى التعبير القرآنى حين يصف لحم الحيوانات البحرية بأنه لحم طرى، ذلك أن أجسام هذه الحيوانات التى تقضى كل حياتها فى البحر تحتوى على نسبة من الماء تفوق كل نسب الماء الموجودة فى لحوم الحيوانات الأرضية التى يتناولها الإنسان، كالأبقار والأغنام والماعز والجمال وغيرها. وقد أحل الله صيدها لتكون طعاماً للإنسان. قال تعالى:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ﴾(٨)

وتعتبر الأسماك بصفة عامة أهم الحيوانات البحرية التى يتناول الإنسان لحومها، وينقطع لصيدها أو تصنيعها مئات الألوف من الأشخاص فى مختلف بلاد العالم، كما أن الدول التى تعتمد فى اقتصادياتها على هذه الثروة تحدد مياهها الإقليمية التى لا تسمح للدول الأخرى بالصيد فيها، ويحصى العلماء ما يقرب من عشرين ألف نوع من الأسماك مختلفة الأشكال والأحجام والألوان تعيش فى البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات الداخلية المغلقة أو المتصلة بالبحار، أو غير ذلك من البيئات المائية.

وهناك أيضاً «الحيوانات الرخوة» التى تحاط من الخارج بهياكل جيرية صلبة كما فى القواقع والمحارات، و «الحيوانات القشرية» التى تحاط من الخارج بقشرة صلبة من مادة «الكيتين» التى تحمى العضلات والأجزاء الداخلية اللينة من الجسم كما فى الجمبرى والكابوريا والاستاكوزا.

وفيما يتعلق باستخراج الحلى من البحار والأنهار فيكفى أن نشير إلى اللؤلؤ والمرجان اللذين ورد ذكرهما فى مواضع أخرى من القرآن الكريم مرتبطاً بقيمتهما المادية والجمالية، حيث أن لكل منهما تاريخاً طويلاً مع الإنسان الذى كان ولا يزال يبحث عنهما بين المحارات البحرية والشعب المرجانية. ويعتبر تكوين اللآلىء داخل أجسام الحيوانات الرخوة ضرورة للدفاع عن النفس إذا ما أصيب الحيوان بإحدى «الديدان الطفيلية»، حيث تبدأ أنسجته اللينة على الفور فى إفراز «المادة اللؤلؤية» حول جسم هذا الطفيل وقاية لها من أضراره الجسيمة، ويكون إفرازها فى طبقات متتالية حتى يتم عزل هذا الطفيل عزلاً تاماً للقضاء عليه، وقد اكتشف بالفعل بقايا تلك الديدان الطفيلية، داخل بعض اللآلىء التى تم تشريحها. وبالنسبة للمرجان الأحمر الذى يستخدم فى صناعة الحلى فهو عبارة عن الهيكل الصلب لأنواع معينة من الأحياء البحرية التى تعيش فى مستعمرات معقدة تتفرع كالأشجار ويحيط بها من الخارج غلاف رقيق من «المادة البروتوبلازمية» الحية.

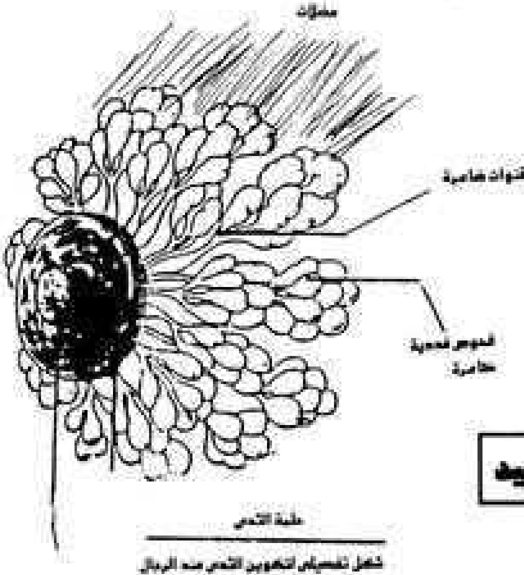
أما الثروات المعدنية ومصادر الطاقة الكامنة فى مياه الأنهار والبحار فهى تفوق الحصر وتنتظر جهود العلم البشرى للإفادة منها.

ولازال للموضوع بقية فى العدد القادم إن شاء الله

(٧) سورة فاطر : ١٢.

(٨) سورة المائدة : ٩٦.

متاعب الثدى فى الرجال والنساء



شكل تفصيلى لتكوين الثدى عند الرجال

للدكتور / أحمد رجائى عبدالحميد

تكوين الثدى العام (رجالاً ونساءً) :

يتكون الثدى من نوعين من الأنسجة :

أ ـ نسيج دهنى : يتكون من الخلايا الدهنية ، وهو الذى يعطى الثدى شكله الدائرى .

ب ـ نسيج غددى : يتكون من غدد لبنية وقنواتها ، وينتهى عند السطح بحلمة الثدى ، وهذا النسيج هو المسئول عن تكوين وإفراز اللبن .

يظل حجم الثدى فى الأطفال متشابها إلى أن تبدأ مرحلة البلوغ . فعند بدء هذه المرحلة ينمو الثدى فى البنات بصورة أكبر كثيرا منه فى الأولاد ، وذلك تحت تأثير هرمون الأنوثة «الاستروجين» الذى يسبب نمو وتضخم النسيجين الدهنى والغددى . أما الثدى بالنسبة للأولاد الذكور فإنه يبقى فى صورة ضامرة ، وذلك تحت تأثير زيادة هرمون (التستوستيرون) ونقص هرمون (الاستروجين) .

تكوين الثدى عند الذكور

الثدى عند الذكور بسيط التركيب وهو يتكون من قنوات عديدة مع كمية من النسيج الضام والدهني ، وفى فترة البلوغ قد تنمو هذه القنوات قليلاً ، وتكون الحلمة غالباً فى مستوى جلد الصدر .

أسباب تضخم الثدى بالنسبة للرجال :

يوجد نوعين من التضخم فى ثدى الرجال :

أولاً : التضخم الظاهرى : وهو ينتج عن تجمع الخلايا الدهنية بكثرة فى منطقة الثدى وذلك مثل بعض حالات السمنة .

ثانياً : التضخم الحقيقى وهو المهم : حيث ينتج عن نمو وكبر النسيج الغددى المكون من غدد لبنية وقنوات .

التشخيص :

يمكن التفريق بين التضخم الحقيقى والتضخم الظاهرى حيث إنه فى حالة التضخم الظاهرى يكون الثديان متماثلين ، ويصاحبها تجمع الدهون فى أماكن أخرى من الجسم ، أما فى حالة التضخم الحقيقى فقد يكون الثديان غير متماثل الحجم ، وعند فحص المريض نجد خلف حلمة الثدى غدة صلبة يصحبها ألم بسيط ويتفاوت حجمها من حجم نبات (الفولة) إلى حجم الكرة متوسطة الحجم .

أسباب التضخم فى الثدى عند الرجال

تنقسم أسباب تضخم الثدى فى الرجال إلى قسمين : أسباب فسيولوجية (..وظيفية) وأسباب باثولوجية (مرضية) .

الأسباب الفسيولوجية :

١ ــ الأولاد حديثى الولادة :

وذلك نتيجة لتسرب هرمون الاستروجين من الأم (من خلال المشيمة) إلى دم الطفل الذكر ، وتعتبر هذه الحالة مؤقتة ، ثم يرجع الثدى إلى حجمه الطبيعى خلال أسابيع ولا تحتاج هذه الحالة إلى علاج .

٢ ــ الأولاد فى سن البلوغ :

يحدث فى معظم الأطفال الذكور فى سن البلوغ أن يتضخم أحد الثديين أو كلاهما مع حدوث ألم خفيف عند الضغط ، وذلك بسبب عدم الاستقرار الهرمونى ما بين هرمون الذكورة (التستوستيرون) وهرمون الأنوثة (الاستروجين) المصاحب لفترة البلوغ ، ويسمى العامة هذا التضخم : «ترمسة البلوغ» ، ولا تحتاج هذه الحالة إلى علاج حيث يختفى التضخم خلال سنة أو سنتين تلقائياً .

٣ ــ الرجال فى سن الشيخوخة :

يعانى حوالى ٤٠ ٪ من الرجال المسنين من تضخم فى الثدى بسبب قلة نشاط هرمون الذكورة ، وكذلك نتيجة كسل فى وظائف الكبد مما يؤدى إلى تحويل التستوستيرون (هرمون الذكورة) إلى الاستروجين (هرمون الأنوثة) ولكن

لابد فى هذه الحالة من الفحص الدقيق لاستبعاد أى سبب باثولوجى (مرضى) .

ثانيا : الأسباب الباثولوجية (المرضية) :

غالبا ما تحدث هذه الحالة بسبب خلل فى التوازن الهرمونى فى الذكور (٣٠٠ تستوستيرون إلى ١ أستروجين) .

ومن أسباب هذه الحالة :

١ ـ إصابات الخصية :

إصابة الخصية بالتلف أو الضمور يؤدى إلى نقص شديد فى هرمون التستوستيرون مما يؤدى إلى تضخم الثدى بصورة كبيرة ومن أسباب تلف الخصية العيوب الوراثية ، والإصابة بفيروس الحمى النكافية ، والالتهابات الدرنية ، والإصابة ببعض الأمراض التناسلية ، أو مرض الفشل الكلوى .

٢ ـ أمراض الكبد :

يعتبر الكبد عضوا هاما فى التمثيل الغذائى للهرمونات ، وأى خلل فى الكبد يؤدى إلى خلل فى نسبة هرمونى : التستوستيرون والاستروجين . ومن أمراض الكبد : الالتهاب الكبدى الوبائى ، وتليف الكبد نتيجة مرض البلهارسيا .

٣ ـ الغدد الصماء :

تعتبر من الأسباب المرضية بعض أمراض الغدد الصماء مثل زيادة نشاط الغدة الدرقية ، وأمراض (الغدة جار الكلوية) .

٤ ـ تأثير بعض الأدوية :

بعض الأدوية التى يتعاطاها المرضى لمدة طويلة قد تؤدى إلى تضخم الكبد مثل بعض أدوية أمراض القلب ، وقرحة الاثنى عشر .

٥ ـ أورام سرطانية :

بعض الأورام السرطانية فى الخصية والرئة تؤدى إلى نقص هرمون التستوستيرون وزيادة هرمون الاستروجين .

● التشخيص :

١ ـ يتم أخذ تاريخ مرضى عن كل الأدوية التى يتعاطاها المريض وعن الأمراض السابقة مثل الإصابة بالبلهارسيا ، التهابات الكلى ، التهاب الكبد الوبائى .

٢ ـ فحص المريض فحصا كاملا لمعرفة وجود أمراض الكبد ، والكلى ، والغدد الصماء .

٣ ـ تحاليل لمستوى الهرمونات فى الدم .

٤ ـ تحاليل لوظائف الكبد .

٥ ـ فحص دقيق للخصية و(عمل عينة) إذا كان هناك شك فى وجود أورام .

● العلاج :

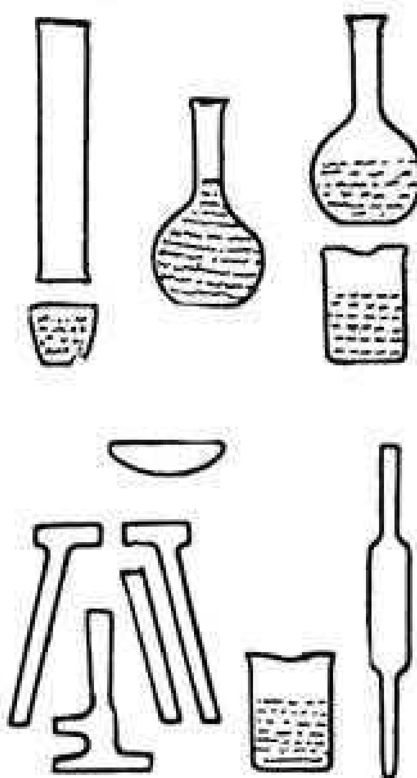
فى الحالات (الفسيولوجية) يكون العلاج هو طمأنة المريض بأن هذه حالة وقتية مع متابعة الحالة .

أما فى الحالات (الباثولوجية) فيكون العلاج موجها إلى السبب فإذا كان ورماً كان العلاج إزالته ، وإذا كان دواءً فيجب تقييم حالة المريض ، وهل هو فى احتياج إلى هذا الدواء أم يمكن أخذ بديل لا يتسبب فى مرض الحالة .

«ويخلق ما لا تعلمون»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد: د/ نجوى السيد أحمد[*]



حاسب آلي تعليمي متعدد اللغات

قامت إحدى الشركات العالمية للصناعات التكنولوجية بإنتاج جهاز حاسب آلي تعليمي يحتوي على برامج تعليمية ناطقة في جميع المواد الدراسية ، بجانب العديد من الألعاب العلمية والترفيهية ، ويتميز بصغر حجمه وسهولة حمله والتنقل به من مكان لآخر ، وبواسطة استخدام أقراص صوتية مختلفة يمكن جعله يتحدث بالفرنسية أو الإيطالية أو الألمانية أو الأسبانية بجانب اللغة الإنجليزية .

سيارة ذكية لضعاف الذاكرة

عرضت إحدى الشركات الألمانية ابتكارها الذي أطلقت عليه إسم « المراقبة التلقائية الذكية للقيادة » وسوف يستخدم في إنتاج سيارة ذكية لضعاف الذاكرة ، ويعتمد هذا الابتكار على

---

[*] أستاذ باحث مساعد بالمركز القومي للبحوث

تزويد السيارة بأشعة الليزر والموجات تحت الحمراء لاستشعار العوائق على طول الطريق بالإضافة إلى تزويدها بجهاز إلكترونى يقوم بتخفيض السرعة تلقائيا أو بوقف السيارة، تبعا لحالات الزحام أو اقتراب الخطر، وإحكام الدوران المحفوف بالخطر فى المنحنيات.

مجفف صناعى للأخشاب

أنتجت شركة فرنسية مجففات صناعية صغيرة الحجم واقتصادية لتجفيف الأخشاب الصمغية فى درجة حرارة عالية تصل إلى ١٣٠ درجة مئوية، وهى أسرع بثلاثة أضعاف عن الطريقة التقليدية، كما أنها تقلل من التشوهات والتشققات فى الخشب بنسبة ٣٠٪ وتؤدى إلى تقليل النفقات ومعدل استهلاك الطاقة، وتعمل بالغاز ولا تسبب أى تلوث للبيئة، ويتحكم فى درجة التجفيف والحصول على نوعية جيدة من الأخشاب جهاز حاسب آلى متصل بالمجفف.

مجهر يصور اختراق «الفيروس» للخلية

تمكن مجموعة من العلماء السويسريين من ابتكار مجهر جديد يسمى القوة الكاشفة، يعمل بأشعة الليزر، ويستخدم فى مشاهدة اختراق «الفيروسات» لجدار الخلايا الحية، ويحتوى المجهر على رأس صغيرة جداً مثبتة إلى ذراع متحرك، تقوم بالمرور فوق عينة الخلايا وقياس جميع حركاتها الصغيرة، ويتم الحصول على صورة مجسمة للخلايا بواسطة الحاسب الآلى المتصل بالمجهر، وسيتيح هذا الابتكار للعلماء التعرف من جديد على كيفية حدوث عملية العدوى، وأفضل الطرق فى مكافحة الأمراض «الفيروسية».

أصغر جهاز «ليزر» لقياس الجودة

أنتجت إحدى الشركات العالمية جهاز «ليزر» صغير الحجم يمكن حمله فى الجيب ويعمل بواسطة «ميكروبروسيسور» وصمام ضوئى ثنائى مما يساعد أثناء عملية التشغيل على التخلص من التحركات النظامية لعناصر الليزر المرتبطة بتغيرات درجة الحرارة المحيطة به، والجهاز يستخدم لقياس المعطيات ودرجات الجودة والبيانات فى مصانع الإنتاج.

خليط معدنى جديد مقاوم للحرارة

صنع مجموعة من الباحثين فى معهد «التكنولوجيا» اليابانى خليطاً معدنياً يتحمل الحرارة حتى ١٥٠٠ درجة مئوية أطلقوا عليه اسم «مركب الكريستال المنفرد»، ويتكون من مجموعة معادن متداخلة عن طريق إضافة مزيج من عنصر «هفنيوم» الفلزى إلى قاعدة من النيكل والألومنيوم، ويتميز الخليط المعدنى الجديد بمقاومته للحرارة ومتانته ومقاومته للشروخ والانكسار، ويمكن أن يصلح لصنع توربينات الغاز والبخار فى مصانع الطاقة الكهربائية ومحركات الطائرات النفاثة.

مبيدات طبيعية لحماية النبات

نجح فريق بحثى فى أحد الجامعات الأمريكية من استخلاص مادة بيولوجية من كائنات عضوية مجهرية تقضى على الحشرات فى المحاصيل الزراعية ونباتات الزينة، والمادة تحتوى على مضادات حيوية نباتية طبيعية يحاول العلماء استخدامها كبدائل بيولوجيه بدلا من المبيدات الكيميائية.

جهاز ضوئى للكشف عن اللحم الفاسد

توصل علماء بريطانيون إلى أسلوب بسيط للكشف عن اللحم الفاسد عن طريق استخدام صبغة معينة تشبع بها ورقة ترشيح تثبت فى جهاز قياسى يمر من خلاله شعاع ضوئى يعمل على تفاعل هذه الصبغة مع المادة الكيميائية التى تفرزها البكتريا الموجودة فى اللحم ، وتتناسب درجة الضوء التى تصل إلى جهاز القياس تناسبا عكسيا مع درجة فساد اللحم ، وينطلق جرس تنبيه عندما تكون عينة اللحم غير صالحة للأكل .

جهاز «إلكترونى» مسكن للآلام

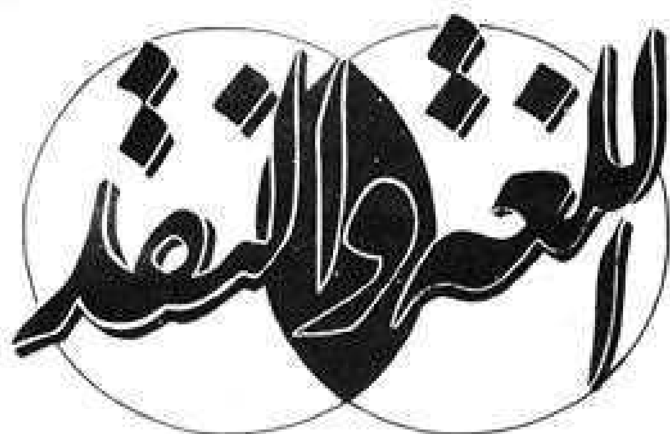
قام الباحثون فى أحد المختبرات « بكاليفورنيا » بتطوير وإنتاج جهاز إلكترونى صغير يضعه الشخص حول معصمه مثل ساعة اليد ، لتسكين الآلام المختلفة مثل : مضايقات الغثيان ودوار البحر والصداع واضطرابات المعدة ، ويستخدم الجهاز الإلكترونى القنوات العصبية فى الجسم لتوصيل صدمات كهربائية صغيرة تؤدى فى الحال لكبت الألم عن طريق وقف إشارات التنبيه بالألم الصادرة من المخ ، ويمكن الاستغناء تماماً عن العقاقير المسكنة للألم ، وتشير الدراسات الميدانية ، أن ٩٥ فى المائة من الذين يعانون من الاضطرابات السابق ذكرها قد تخلصوا منها بعد استخدامهم للجهاز الجديد .

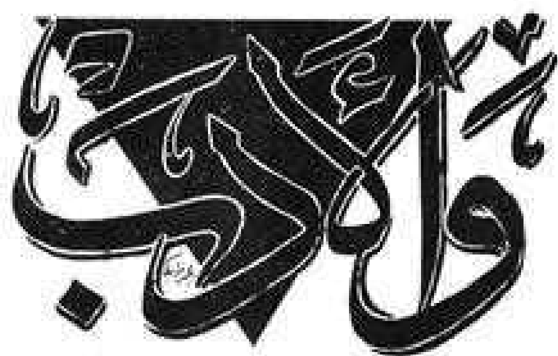
أحدث الأبحاث على بذور الكتان

بيضة منخفضة الكوليسترول

استطاع أحد العلماء بجامعة « البرتا » الكندية من إنتاج بيضة منخفضة الكوليسترول ولا تؤدى إلى ارتفاع مستويات الكوليسترول أو الدهون فى دم من يتناولونه يومياً ، وقد حصل العالم على هذه البيضة بعد ١٢ عاما من التجارب المستمرة بواسطة استخدام أعلاف خاصة فى تغذية الدواجن .

اتفق مجموعة من علماء الدول الغربية على أهمية بذور الكتان لصحة الإنسان وخفضه لنسبة الكوليسترول فى الدم ، ومقاومة السرطان ، حيث أثبت أحد العلماء الكنديين من التجارب التى أجريت على فئران التجارب أن بذور الكتان تؤدى إلى انخفاض كبير فى « الكوليسترول » و « الترايجليسريد » فى فئران التجارب دون أى آثار جانبية ، كما أوضحت الأبحاث التى أجريت على فئران التجارب فى المعهد القومى للسرطان بأمريكا أن بذور الكتان تدمر الأورام السرطانية وتساعد على الحد من التهاب الشرايين .


اللغة والنقد


والأدب

طبقات المحققين والمصححين

الجيل الثاني أو الطبقة الثانية من المحققين الأعلام

الشيخ أحمد محمد شاكر

رحمه الله (١٨٩٢ - ١٩٥٨)

للأستاذ الدكتور: السيد الجميلي

(٥)

أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر ، من آل أبي علياء ، منسوب إلى الإمام الشهيد الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة ـ رضي الله ـ تعالى ـ عنه .

كان الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ عالما بالحديث ، والتفسير ، ذا باع طويل ، ويداً مبسوطة ، وقدماً راسخة في العلوم الشرعية ، حفظ القرآن الكريم في صباه ، وكان نجماً متألقة في سماء الفكر الإسلامي ، وله أدوار مشهورة ، ومصنفات نفيسة ، وتحقيقات رصينة ، وشروح مكينة تدل على سبق فريد ، وفضل سابغ ، وعلم وافر ، ورصيد ثرى من الأخلاق المرضية .

ولد لأبوين مصريين من (جرجا) بصعيد مصر ، لذلك فهو جرجاوى أو جرجوى النشأة والميلاد .



الشيخ أحمد محمد شاكر

ولد ـ رحمه الله ـ سنة تسع وثلثمائة وألف للهجرة ، الموافق سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وألف للميلاد ، وقد سمّاه أبوه ـ رحمه الله ـ (شمس الأئمة) أو (أبو الأشبال) .

ولما أن ولي أبوه منصب القضاء في السودان سنة ألف وتسعمائة اصطحبه معه ، ثم أدخله (كلية غوردون) ، ثم انتقل بمعية أبيه إلى الإسكندرية ، ثم التحق بمعهد الإسكندرية الديني سنة أربع وتسعمائة وألف للميلاد ، ثم بعد ذلك تحولا إلى القاهرة ، حيث التحق الشيخ أحمد محمد شاكر بالأزهر الشريف ، وكان بمعاونة أبيه على درجة من التفوق والنبوغ والتبريز ، حيث ظفر بشهادة العالمية سنة سبع عشرة وتسعمائة وألف .

ثم تم تعيين أحمد محمد شاكر في كثير من الوظائف القضائية فتنقل من محكمة إلى محكمة في المنصورة وشبين الكوم وغيرها ، ثم كان رئيساً للمحكمة الشرعية العليا ، ثم أحيل إلى المعاش إلى أن توفي إلى رحمة الله سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة ، الموافق سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وألف للميلاد .

ومن المفارقات العجيبة ، الجديرة بالذكر والاعتبار أن الشيخ أحمد محمد شاكر ، وهو رئيس محكمة برغم عمله المستمر المرهق كان مضطلعا بنشاط علمي كبير ، لم يتقاعس ولم يتوان فيه لحظة واحدة في همة عالية .

ولي في هذا الصدد قصة طريفة .. فلقد قرأت فقرة في أحد كتب اللغة مفادها أن المبرد الأديب الكبير المشهور قال في إحدى مأثوراته : « ما رأيت كتابا للبغداديين أحسن من كتاب أبي يوسف يعقوب بن السكيت في المنطق » .

ونظراً لحرصي الشديد ـ كاتب هذه الدراسة ـ على كتب اللغة العربية ولاسيما فقه اللغة ، وكوني مفتوناً بها لدرجة أتعبتني كثيراً ، ولم أكن أعرف شيئاً عن مخطوطات هذا الكتاب المسمى (إصلاح المنطق) لابن السكيت ، لكن قرأت أكثر كتبه وعرفت له فضله وخطره وسبقه في عالم العربية .

فعلمت أن هناك نسخاً خطية في دار الكتب المصرية ، ووُعِدتُ بتصويرها ، ولم يتحقق الوعد ، فسمعت أن هناك نسخة خطية بمكتبة بلدية المنصورة ، وهي بلدي العزيز ، فسارعت على الفور ، وقد كان هذا شاقاً عليّ في ذلك الوقت ، إذ كنت في زحمة من عملي ، وركبت سيارتي على أن أعود بعد يوم أو يومين على الأكثر .

وفي مكتبة بلدية المنصورة اطلعت على فهارسها فوجدت امام اسم هذا الكتاب : تم سحب هذا الكتاب من عهدة الدار ، لتقديمه هدية للسدة الملكية سنة ١٩٥١ م .

وشعرت بخيبة أمل شديدة ، فرجعت أدراجي وكأنني قد ضاع عليّ وفاتني خيرٌ عميم ؟ وهأنذا أعود بخفي حنين أقلب في ذهني المظان المتوقع وجود نسخة خطية فيها .. وزاد من حسرتي أني عند بحثي عن هذا الكتاب وما كتب عنه قرأت ـ بعد وصولي إلى القاهرة ـ أن ابن خلكان قال : « قال بعض العلماء : ما عبر على جسر بغداد كتابٌ في اللغة مثل كتاب «إصلاح المنطق» ووجدني صديق حميم مهموماً ، فقلت له السبب ، فذكر أنه توجد نسخة خطية من

الكتاب فى مكتبة الاسكوريال ، وأغلب الظن أن تكون هى النسخة أو المخطوطة الأم للكتاب .

ووعدنى بإحضارها ، وظللت مترقبا لوفائه بوعده ، ولكن هذا الصديق بدلاً من إحضاره لى هذه النسخة المخطوطة فاجأنى بعد بضعة أيام بنسخة محققة مطبوعة بدار المعارف ، بتحقيق الشيخ العلامة أحمد محمد شاكر وابن خاله العلامة الثبت اللغوى المحقق الكبير الأستاذ عبد السلام محمد هارون . واجتمع فرحى بعجبى : كيف فاتنى الأطلاع على هذا الكتاب النادر المثال فلعله كان الكتاب الوحيد الذى غاب عن مكتبتى لابن السكيت ، وما إن تناولته حتى قرأته مرات ومرات وأنا فى ملاحاة وإنحاء وتثريب ومحاسبة قاسية صارمة لنفسى كيف أسأت إلى نفسى كل هذه الإساءة البليغة بحرمانها من التوفر على هذا السفر الشائق الممتع ؟! ، ولم أغفر لنفسى هذا الخطأ إلى يومى هذا .

عمدت إلى إثارة هذه المسألة لسبب واحد وهو أن الفضل فى إظهار هذا الكنز المخبوء ، المطروح فى مدارج النسيان كان لله ـ تعالى ـ قبل كل شيء ، ثم من بعد للشيخ أحمد محمد شاكر ، بمعاونة ابن خاله الشيخ عبد السلام محمد هارون ـ رحمهما الله رحمة واسعة .

وللشيخ أحمد شاكر مع هذا الكتاب قصة طريفة من خلالها يجدر بنا تقويم شخصية هذا العملاق المنطيق ، والعالم المحقق .

لما أسند إليه ـ رحمه الله ـ منصب رئيس محكمة المنصورة الابتدائية الشرعية بالمرسوم الصادر يوم الاثنين الثامن من ديسمبر سنة سبع وأربعين وتسعمائة وألف ـ ألقى فيها عصاه ، وضرب بجرانه ، وكان بدهياً ومنطقياً أن يزور مكتبة المنصورة التابعة لمجلس البلدية ، فزارها يوم الثالث والعشرين من ديسمبر سنة سبع وأربعين أى بعد خمسة عشر يوماً من سُكْناه فيها ، وهنا يقول هو نفسه عن هذه الزيارة :

فوقعت إلى كنز من أثمن الكنوز النوادر ، (كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت) ، وهو كتاب جليل من خير ما أخرجت المكتبة العربية فى علوم اللغة وآدابها ، وهو كتاب فذ فى بابه ، ونُسْخهُ المخطوطة نادرة فى المكتبات العامة ، وزاد فى نفاسة هذه النسخة وأنها أصل من الأصول العالية المعتمدة ، أنها قرئت فى سنة ٣٧٢ هـ على الإمام الكبير أحمد بن فارس أستاذ الصاحب ابن عباد ، ومؤلف «مقاييس اللغة» ، «والصاحبي» ، و «المجمل» وغيرها . ا هـ بتصرف .

ثم يقول عندما استشعر بخطورة هذا الكتاب ورفيع شأنه وكونه بالغاً أعلى درجات التأليف الدقيق ، وصعوبة قيامه بتحقيقه وحده :

ولم أشأ أن أضطلع بعبء تحقيقه وحدى ، فقد يكون هذا فوق مقدورى . فتفضل أخى وابن خالى الأستاذ العلامة عبدالسلام محمد هارون ، المدرس بجامعة الإسكندرية ـ وقتذاك ـ وعضو (لجنة إحياء آثار أبى العلاء المعرى) بالقاهرة ، فأعاننى على هذا العمل الخطير ، بل كان له الجهد الأوفى فيه ، مشكورَ الفضل ، مذكور الأثر . ا هـ .

وبهذه المناسبة أُهيب بالمعنيين بالأمر أن يُدرجوا هذا الكتاب ضمن خُطة النشر على نطاق واسع ، وبسعر رمزى ، خدمةً للغة العربية : لغة القرآن

الكريم .. ليكون هذا العمل محفوظاً لهم ، ولن ينساه هذا الجيل ولا الأجيال القادمة لأن الكتاب لازال متروكاً مهجوراً لم يشعر به أحد ماخلا العلماء والباحثين .

من الآثار المذخورة الباقية للشيخ أحمد شاكر إسهاماته القيمة التي أثرى بها المكتبة العلمية الدينية واللغوية والأدبية بهذه المؤلفات والتحقيقات التي نذكر منها :

١ ـ المؤلفات :

ـ مختصر تفسير ابن كثير المسمى بـ «عمدة التفسير» وهو مطبوع في أربعة مجلدات .

ـ نظام الطلاق في الإسلام ، ولم يتقيد فيه بمذهب معين .

ـ الشرع واللغة .

ـ رسالة في الرد على عبد العزيز فهمي باشا عندما اقترح كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية .

ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة .

ذلك ما وقفنا عليه .

٢ ـ تحقيقات وشروح :

ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل وقد ذكر لي د / علي الخطيب رئيس تحرير المجلة ، نقلا عن بعض العلماء أن الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله تعالى ـ حقق المسند كله ، ولم يطبع منه أثناء حياته إلا نحو من ستة عشر جزءاً ، أو خمسة عشر ، ولعل مما يؤكد أن الشيخ ـ رحمه الله ـ حققه كله أن فضيلة الأستاذ الدكتور الحسيني هاشم وكيل الأزهر الأسبق أخرج من تحقيق الشيخ شاكر جزأين بعد وفاته ، ثم توفي هو الآخر وتوقف طبع الكتاب .

ـ الرسالة للإمام الشافعي .

ـ ألفية العراقي في مصطلح الحديث .

ـ جماع العلم للشافعي .

ـ لباب الآداب لأسامة بن منقذ .

ـ المعرب للجواليقي .

ـ إصلاح المنطق لابن السكيت بالمشاركة مع ابن خاله المرحوم عبد السلام محمد هارون .

توفي فضيلة الشيخ شاكر ـ رحمه الله ـ في القاهرة سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وألف عن ستة وستين عاماً .

ما طبعه وحققه من التراث (مصدرنا في ذلك مجلة معهد المخطوطات العربية ـ المجلد الرابع الجزء الثاني ـ نوفمبر ١٩٥٨ م ـ ربيع الآخر ١٣٧٨ هـ)

١ ـ المحلى لابن حزم الظاهري ـ ٤٥٦ هـ حقق منه الأجزاء الستة الأولى ، المطبعة المنيرية ـ ١٩٢٩ م .

٢ ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري ـ ٨٣٣ هـ نشرته مكتبة القدسي ، القاهرة ١٩٣١ م .

٣ ـ لباب الآداب لأسامة بن منقذ ، نشرته مكتبة سركيس ، القاهرة ١٩٣٥ م .

٤ ـ سنن الترمذي المسماة بالجامع الصحيح لأبي عيسى الترمذي ـ ٢٧٩ هـ طبع منه جزءان فقط مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ـ ١٩٣٧ م .

٥ ـ الكامل في الأدب للمبرد ـ ٢٨٥ هـ حقق منه الثاني والثالث ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٣٧ م .

٦ ـ الرسالة في أصول الفقه للإمام الشافعي ـ

٢٠٤ هـ مكتبة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ١٩٤٠ م .

٧ ـ جماع العلم للإمام الشافعي ـ ٢٠٤ هـ مكتبة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ١٩٤٠ م .

٨ ـ المعرّب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم لأبى منصور الجواليقى ـ ٥٤٠ هـ دار الكتب المصرية ، القاهرة ـ ١٩٤٢ م .

٩ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة ـ ٢٧٦ هـ .

١٠ ـ المصعد الأحمد فى ختم مسند الإمام أحمد لابن الجزرى ٨٣٣ هـ دار المعارف ، القاهرة ١٩٤٦ م .

١١ ـ خصائص مسند الإمام أحمد للحافظ أبى يوسف المدينى ـ ٥٨١ هـ دار المعارف ، القاهرة ١٩٤٦ م .

١٢ ـ ترجمة الإمام أحمد بن حنبل للذهبى ـ ٧٤٨ هـ دار المعارف ، القاهرة ١٩٤٦ م .

١٣ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ـ ٢٤١ هـ ـ صدر منه خمسة عشر جزءًا ـ دار المعارف ، القاهرة ـ ١٩٤٦ / ١٩٥٧ م .

١٤ ـ إصلاح المنطق لابن السكيت ـ ٢٤٤ هـ بالاشتراك مع الأستاذ عبد السلام هارون دار المعارف ، القاهرة ـ ١٩٤٩ م .

١٥ ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير ـ ٧٧٤ هـ مكتبة محمد على صبيح ، القاهرة ١٩٥١ م .

١٦ ـ صحيح ابن حبان بترتيب علاء الدين الفارسى ـ ٧٣٩ هـ ـ صدر منه الجزء الأول فقط ـ دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٢ م .

١٧ ـ المفضليات للضبى بالاشتراك مع الأستاذ عبد السلام هارون دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٢ م ط ٢ .

١٨ ـ فتوى فى إبطال وقف الجنف والإثم لمحمد بن عبد الوهاب دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٣ م .

١٩ ـ تفسير الجلالين بالاشتراك مع الأستاذ على محمد شاكر دار المعارف ، القاهرة بدون تاريخ ، ظهر فى سنة ـ ١٩٥٤ م .

٢٠ ـ شرح نخبة الفكر فى مصطلح أهل الأثر لابن حجر العسقلانى ـ ٨٥٢ هـ دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ ظهر فى ١٩٥٤ م .

٢١ ـ شرح الطحاوية فى العقيدة السلفية لابن أبى العز الحنفى ـ ٧٩٢ هـ دار المعارف ، القاهرة ـ ١٩٥٤ م

٢٢ ـ الأصمعيات للأصمعى بالاشتراك مع الأستاذ عبد السلام هارون دار المعارف ، القاهرة ـ ١٩٥٥ م .

٢٣ ـ تفسير الطبرى المسمى جامع البيان فى تأويل القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير ـ ٣١٠ هـ راجعه وخرج أحاديثه وحقق النص الأستاذ محمود شاكر .

صدر منه أربعة عشر جزءا دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٦ / ١٩٥٨ م .

٢٤ ـ عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ـ

٧٧٤ هـ وهو اختصار تفسير ابن كثير ـ صدر منه أربعة أجزاء فقط ـ دار المعارف القاهرة ١٩٥٦ / ١٩٥٧ م .. أ هـ .

من الفهارس :

الاحكام فى أصول الأحكام لابن حزم ٤٥٦ مطبعة السعادة ١٣٤٥ هـ ٨ أجزاء فى مجلدين (مصحح) .

أوائل الشهور العربية ـ هل يجوز شرعاً إثباتها بالحساب الفلكي مجلد ـ ط مصطفى البابى الحلبى ١٩٣٩ م (تأليف) .

جامع البيان فى تفسير القرآن لمعين الدين محمد الإيجى الصفوى تصحيح محمد حامد الفقى ـ ط ١٩٣٦ م (مراجع) .

الخراج لـ يحى بن آدم القرشى المطبعة السلفية ـ ١٣٤٧ هـ (مصحح) .

الشرع واللغة ـ دار المعارف ١٩٤٤ م (مؤلف) .

الشعر والشعراء لـ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ٢٧٦ هـ دار المعارف ١٩٦٦ جزءان (محقق) .

صفة نبى النبى ﷺ ـ دار المعارف ١٩٤٠ (محقق) .

رسالة فى ترجمة حياة فضيلة الأستاذ المرحوم الشيخ محمد شاكر وكيل مشيخة الأزهر سابقا المتوفى ١٩٣٩ م نشرت فى المقتطف فى أغسطس ١٩٤٩ م فى مجلد طبع مصر . ط ثانية ـ دار المعارف ١٩٥٣ م (مؤلف)

مذكرة فى قضية المحرومين وابطال شروط الواقفين دار المعارف ١٩٥٣ م (مؤلف) .

مفتاح كنوز السنة لـ أ . ى . فنسنك ترجمة محمد فؤاد عبد الباقى ، تقديم محمد رشيد رضا ، أحمد محمد شاكر مطبعة مصر ١٩٣٤ م (تقديم) .

نظام الطلاق فى الإسلام مطبعة النهضة ١٣٥٤ هـ ١٩٣٦ م (مؤلف) .

ثم بعد :

فإن الشيخ أحمد لم يتقيد بمذهب فى كتابه « نظام الطلاق » وقد ردّ عليه ردًّا شديدا ـ العلامة محمد زاهر الكوثرى فى كتاب له سماه (الإشفاق من أحكام الطلاق) .

وللشيخ شاكر رسالة فى «تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتاب، وسبق المسلمين الإفرنج فى ذلك ، وهى فى الأصل تقدمه على صحيح الترمذى ، دعته إليها الحاجة فى بيان أسلوب تحقيقه وتصحيحه ، وقد نشرت تلك التقدمة باختصار فى ١٩٨٥ فى المجلة الفصلية (البصائر) التى يصدرها الأستاذ بسام الجابى فى دمشق عن الاتحاد الثقافى فى فرنسا ، العدد ٢٣ بعنوان «دليل المحقق للنص العربى » ونشرت فى سنة ١٤٠٨ بآخر كتاب «أضواء على أخطاء المستشرقين فى المعجم المفهرس لألفاظ الحديث » وطبعت أخيراً فى كتاب مستقل بعناية العلامة الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ، عن دار البشائر بيروت .

رحم الله أحمد محمد شاكر رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى فى دار الكرامة . وهو حسبنا ونعم الوكيل .



الشيخ محمود محمد شاكر

هو محمود محمد شاكر ابن العلامة الأستاذ المصحح الكبير الشيخ محمد شاكر ، وكيل الأزهر سابقا - رحمهما الله رحمة واسعة - وأخو المحقق المتقدم ذكره الشيخ أحمد محمد شاكر وكان أبوهما قاضياً شرعياً بالحكومة المصرية سنة تسعين وثمانمائة وألف ، ثم قاضيــاً لقضاة السودان سنة ألف وتسعمائة ، ثم بعد ذلك شيخاً لعلماء الإسكندرية سنة أربع وتسعمائة وألف ، وولى مشيخة الأزهر سنــة تسع وتسعمائة وألف .

فى كنف هذا الوالد العالم القاضى الشرعى درج محمود وأخوه أحمد رضيعا لبان ، وغصنا دوحة فينانة مورقة كثيرة الإبراق ، منفوحة بالعلم الشرعى وموسومة بالخلق المرضى ، والهمة الرفيعة ، والاستقامة على سواء المحجة الواضحة ، وعلى سنن طريق الحق اللاحب المهيع عرجا إلى سماوات التفوق ، وأشخصنا إلى أبعد الغايات من التفوق والتبريز .

إن كثيراً من معاصريهم عاشوا ظروفهما لكن لم يبلغوا من التسديد والتمكين مبلغ أى منهما .

فشكر الله لهما سعيهما ، وأنزلهما منزل الأخيار السالكين ، والراشدين المنافحين ، والصابرين المحتسبين ، فقد أسديا للعلم والدين واللغة والأدب زاداً سخياً ووِرداً فياضاً ، وأعمالا مبرورة مذكورة ، وقدم كلا الرجلين من جلائل الأعمال المذخورة ما يضيق المقام عن حصره والتعريج عليه .

ولد محمود بمدينة الإسكندرية سنة تسع وتسعمائة وألف ، ثم انتقل إلى القاهرة فى نفس السنة بعد أن نقل أبوه الشيخ محمد شاكر إليها ليعمل وكيلاً للأزهر .

تلقى تعليمه الأول فى مدرسة أم عباس بالقاهرة ، ثم فى مدرسة القربية ، ثم حصل على شهادة البكالوريا من المدرسة الخديوية الثانوية سنة خمس وعشرين وتسعمائة وألف ، وفى سنة ست وعشرين التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة ، (جامعة فؤاد الأول آنذاك) .

ولما حدث خلاف بينه وبين الدكتور طه حسين وقتذاك ترك الجامعة وجعلها دبر أذنه ، وطوى كشحه عنها وأشاح ، ثم ارتحل إلى المملكة العربية السعودية سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وألف ، وأنشأ بجدة مدرسة ابتدائية عمل مديراً لها ، والظروف لا نعلمها تركها بعد تأسيسها بعام واحد ، ثم قفل راجعاً مشخصاً إلى مصر العزيزة سنة تسع وعشرين وتسعمائة وألف .

يذكر الدكتور محمد مهدى علام أنه تتلمذ على يد الشيخ اللغوى سيد المرصفى صاحب «رغبة الآمل» ، وقرأ عليه «الكامل» للمبرد وحماسة أبى تمام ، وجزءاً من الأمالى لأبى على القالى ، ثم اتصل بالعلماء والسياسيين الذين كان لوالده صلة بهم .

ثم انتخب عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية بدمشق سنة ثمانين وتسعمائة وألف ، ثم حصل على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب سنة إحدى وثمانين وتسعمائة وألف .

ثم انتخب عضواً عاملاً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وألف .

لقد شهدت حياته الحافلة إسهامات واعية وافية واسعة فى مجال البحث والتأليف والتحقيق ، وكلها شواهد عدل وصدق على رسوخه وتمكنه ، وقوة عارضته ، وعمق إحاطته بالعلوم اللغوية والشرعية فإن انتاجه العلمى التأليفى والتحقيقى موسوم بأمارات الجدة المطلقة ، مُعْلَمٌ . بالإصالة ، وله شعر رصين متميز منشور فى مجلات عديدة .

وللشيخ محمود محمد شاكر مقالاتٌ مشهورةٌ منشورةٌ فى دوريات عربية مرموقة .

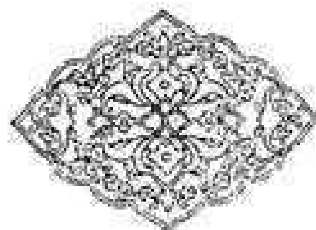
من أهم كتبه المؤلفة : «مع المتنبى» وهو فى غاية الروعة ، وله أيضاً كتاب : «أباطيل وأسمار» . وقد لقى كلا الكتابين من الأدباء والكتاب والمتخصصين كل عناية وتقدير وعرفان بليغ .

ومن كتبه المحققة :

- إمتاع الأسماع للمقريزى .
- تفسير الطبرى (ستة عشر جزءاً من أجزائه) .
- جمهرة نسب قريش وأخبارها لنسابة العرب الشهير الزبير بن بكار .
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى .
- تهذيب الآثار للإمام الطبرى .

ثم اختير عضوا بمجمع اللغة العربية ، وظل يشارك فى عمل لجان المجمع المختلفة بنشاط وهمة لا تعرف الملل ولا الكلل .

وحصل - أخيراً - على جائزة الملك فيصل العالمية لإسهاماته المشهورة فى الأدب العربى .







الدكتور حسن جاد .. شاعرا

بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

يقول شاعرنا العربي القديم :

ولابـــدَّ من شكـــوى إلى ذى مروءة ... يُواسيك أو يُسْلـــيك أو .. يتوجَّـــعُ

وظروف حياة شاعرنا حسن جاد ، فى كنف اليُتْم المبكر ــ بعد انتقال والده إلى رحمة الله ــ تعالى ــ وهو فى الخامسة من عمره ، وما لاقى من عَنَتٍ وحرمان ، وقسوة من بعض الناس الذين كان لهم أثر عميق فى تنشئته ، باستثناء والدته الرءوم ، التى بذلت أقصى ما فى وسعها ، لإحاطته بالعطف والرعاية والتشجيع ، كى يصل إلى أقصى ما ترجوه له من منزلة ، حتى استكمل عُدَّته للإبداع والتفوق .. كل ذلك كان له أثره فى صهره فى بوتقة الألم ، الممزوج بالأمل ، حتى نضج واحتل المنزلة الرفيعة التى كان يصبو إليها ويهفو لها ... وكأنه كان مُعْنياً بقول القائل :

لـــي قلـــب لا يهـــابْ | فزعت منـــه الصعـــابْ
أنـــا ربـــان سفينتـــي | هاج أو قرّ العبـــاب
بين أيامـــي وبينـــي | حادثـــات وغـــلاب
فليلـــنْ أو يقْـــسُ خطـــي | إن قلبـــي .. لا يهاب

ولذلك لا نعجب حينما نجده يستهل ديوانه (المخطوط) ـ بتعريفه للشعر ، كما يفهمه ويتذوقه ويبدعه ، بقوله :

الشعـــر فيض خواطـــر تتدفّـــقُ | والشعـــر ومض مشاعـــر تتألّـــقُ
والشعر نبض القلـــب في خفقاتـــه | وعبيـــر روح عبقـــرى يعبـــق

إلى أن يقول في ختام هذه القصيدة عن الشعر :

نفثات أشجانٍ ، زحمْـن خواطـــرى | ومن الشجون : سجينها والمُطْلَقُ

وهذا البيت يُعدّ بمثابة إرهاص لما انتابه ـ بعد ذلك ـ من وَجْدٍ مُذيب ، عقب وفاة وحيده (محمد) ، إذا انسابت شاعريته ، متدفّقة بانسكاب حار ، في زهاء مائة بيت من الشعر المُوجع العبقرى ، فقد كان الشعر متنفَّسه ، مُواسيه الحادب في محنته .

ودَعْ عنك ما حاول بعض النقاد ـ بُحسن نية ـ أن يُظْهر مدى تأثر حسن جاد (بداليّة) ابن الرومى في رثاء هذا الشاعر أوسط أبنائه ، مُبْديا القول بأن حسن جاد ـ بلا شك ـ قد استوعب من قبل هذه الدالية فيما استوعب من ذخائر الشعر العربي ونفائسه .

ولا عبرة في القول بأنه ضاهَى ، أو حتى تفوق على ابن الرومى بصدق التجربة الشعورية أو عمقها فالشاعر الحق (بفنّ) وهو في غمرة الفيضان الشعورى ، لا يستطيع أن يعبر عن غير ذات نفسه ، ولا يمكنه استعارة أفكار الآخرين ، بله مشاعرهم ـ فإن لديه ما يقوله ، بل ما لا يستطيع إلا أن يقوله ، طرح لما يجيش في وجدانه ، إثر الصدمة الشديدة التى تلقاها دون ترقب ، والتى لا يستطيع أحد أن يشاركه فيها ، أو يحس بها إحساسه .. وكما نقول في أمثالنا السائرة : ومن كانت يده في الماء ، ليس كمن يده في النار، فالأول لا أنين له ولا معاناة ، والثانى يعانى ذروة ما يفوق طاقة البشر . وكما لا يجتمع سيفان في غمد ، تبْقى لكل شاعر ذاتيته الخاصة طالما كان صادق التجربة ، صادق الشاعرية .. وليست الثقافة الأدبية وحدها بكافية لإبداع الأوابد ، بل يقتصر الأمر على الملكة أو الموهبة فحسب ، كى تُرفد العمل الأدبى بمادة تكوينه ، وصيرورته نتاجا ـ أو

وليدا جديدا ، له قسماته المتميزة ، أو طعما فريداً له نكهته الخاصة .. وقلّ مثل ذلك ، عن صاحب كل فن إنسانى خالص ، فحسن جاد ـ مفن موهوب ـ استطاع أن يسكب ذات نفسه على آفاق أحزانه ، فإحساسه وإبداعه كُلُّ لا ينفصم ولا يتجزأ ، فهما توأمان ملتحمان فى مزاج هذا الملتاع ، مزاج لا علاقة له بإبداع من سبقه ، وهل تستعار المشاعر ؟ ، فالمصاب مصابه هو بالدرجة الأولى ، فلا يستطيع (نادب) أن يطلق زفراته ، أو يبكى بكاءه فشتان بين نائحة ثكلى ، وأخرى مستأجرة وعندى أن فجيعة ابن الرومى كانت فى (واسطة العقد) من أولاده وهى ـ على كافة الأقيسة ـ أهون من الفجيعة فيما إذا كان الفقيد هو الابن الوحيد .. ومن ثم كان الأسى وأمام صورة هذا الوحيد نجد من حسن جاد هذا الأنين :

لم يبق منك سوى رسم نلـــوذ به ... من لوعة القلب ، أو من حرقة الكبد
وأى جدوى لرسم لا حيـــــاة به ... يحكيك .. لكنْ : بلا روح ولا جسد
لم تشف صورتك الخرساء لوعتنـــا ... هل السراب شفى يوما .. غليل صدِى ؟!

تستدرى الدموع ، وتصوِّر مرارة الفقْد وأهواله .. بل إن ابن الرومى هو الذى تأثر بالغير فى مرثيته ، حينما قال :

فيــالك من نفس تساقــط أنــفسا ... تساقــط دُرُّ من نظــام بلا عقــد

فامرىء القيس يقول فى رثائه لنفسه :

فلـــو أنها نفس تموت جميعــة ... ولـكنها : نفس تساقــط أنــفسا

ولى تجربة شخصية لا أنساها ، اتفقت لى حينما كنت فى زيارة للأديب الكبير محمد مفيد الشوباشى ، رحمه الله ، بمنزله بالقاهرة ، فى أخريات أيامه ، وتناول حديثنا معا بعض الذكريات فرويت له بيت النشار فى وحيدته السيدة رفيعة ، بعد أن هاجرت مع والدتها إلى الريف إثر اشتداد الغارات الجوية على الإسكندرية فى الحرب العالمية الثانية وبقى النشار بالاسكندرية ، بحكم وظيفته فقال :

وبخاطرى ـ من لا تغادر خاطــرى ... إنْ تسلَمِى .. تحلو الحياةُ وتُحمَــد

وقوله من قصيدة إخرى :

(رفيعة) عُودى .. إن شهرين حطمـا ... فؤادى .. وإنى بالرثـــاء خليــق
تعـــالى إلى أحضان من أنت بعضه ... فيسرى ـ من الرمضاء ـ فىَّ .. حريق

وقوله فى قصيدة ثالثة :

أبوك الذى لم يحفل النور مفردا ... كأنا وُلدنا ـ يوم ميلاد معا

فاغرورق الأستاذ الشوباشى فى بكاء مرير ، ولم أستطع معرفة سبب ذلك ، إلى أن ذكرت لى السيدة الفاضلة قرينة الأستاذ الشوباشى أن هذه هى حالته ، حينما يتذكر كريمة له ، انتقلت إلى جوار ربها ، منذ أكثر من عشرين عاما ، وكان شديد التعلق بها .. ولذلك لم أعجب من قراءة قصائد أخرى فى ديوان حسن جاد ، فى رثاء نجله ووحيده (محمد) ، بعد مرور سنوات على رحيله ، ومن ذلك قوله فى إحدى مراثيه :

على دمعى أنام أنىّ وأصحو ... وفى قلبى من التذكار جُرح

وفى أخرى :

قالوا سينسيك الزمانُ ، وكلما ... مضت الليالى .. زادت الآلام

وفى ثالثة ـ مناجيا طيف وحيده :

واحسرتى حين أمشى ، لا ترافقنى ... وكُنتَ ظِلّىَ : أحميه ويحمينى

وهذا البيت ، يذكرنى بقول المرحوم الدكتور عزت شندى موسى ـ رحمه الله ـ فى قصيدة بعنوان : (من وحى صورة والدى) :

هى صورة أحيتْ بفكرى حقبة ... قضيّتُ من عمرى بها .. أحلاهُ :
قد كنتُ ثالث لازمين ، يضمنا ... حبا ، ويمنحنا جميل رضاه
كنا نلازمه النهار .. كظلّه ... بمَرَاه تهدينا إلى مَمْشاه
فأنا أروح وأغتدى ، بجواره ... آنّى يُرى .. وكتابةُ وعصاه !

وعندى أن قلادة العقد فى شعر الدكتور حسن جاد ، رحمه الله ، هى تلك التى جادت بها شاعريته فى صديق عمره وزميل مرحلة الدراسة ، فضيلة الإمام محمد متولى الشعراوى .. وقد قدّم لها ـ نثرا ـ بقوله ، موضّحا أنها «من وحى الفتح الربانى ، الذى يفيضه الله على بعض عباده المخلصين» ، ثم يسوق لنا هذه القصيدة المتفردة بموسيقاها العذبة ، وصورها البديعة ، يقول فى مستهلها :

ساقٍ من الخُلْد روحي من ندامــاهُ ... تفــوح من عبق الفــردوس ريّــاهُ
يطوف بالكأس سكرى من أناملـه ... ويسكب الــروح نشوى من سجايـاه
دَعْ شارب الإثم مُغتــرا بنشوتـــه ... وخــلِّ ساقيــه مفتونـــا بدنيـــاه

وهذه الأبيات تذكرنا بخمرية ابن الفارض الرمزية ، التي يقول فيها :

شربنــا على ذكــر الحبيب مُدامــةً ... سكرنا بها .. من قبل أن يُخلق الكَرْمُ

وهو ـ أي الدكتور حسن جاد ، يفرّق ما بين خمر الدنيا المذمومة ، التي يشربها الآثمون ، وخمر الأرواح ، التي ينتشي بها العابدون ، فيقول مستطرداً :

للــروح خمــر ، وللأجســام خمــرتها ... شتان بينهمــا .. والكــل قد تاهــوا
فخمـــرة الفـــم كم تهوى بشاربها ... إلى حضيض من الأرجـــاس مهـــواه
وخمرة الـــروح كم يرقـــى بذائقهـــا ... شوق ، إلى سِدْرة الـــرحمن مَرْقـــاه

وكيف لا ؟ وقد وصف لنا هذه الخمر ، من قبل ، ابن الفارض بقوله عنها ، إنها :

صفـــاءٌ ولا ماءٌ ، ولُطْـــفٌ ولا هَوَا ... ونـــور ولا نار ، وروح ولا جسم
ولطـــف الأواني في الحقيقـــة تابـــع ... لِلُطْف المعاني ، والمعـــاني بها تنمـــو

وقول حسن جاد :

ومَـــنْ يَمُت بفنـــاء القُـــرْب يحيـــا به ... فموته ـ عن حظوظ النفس ـ : محياه

إلى أن ينتهي إلى هذه النجوى الرائعة :

إنْ يكـــن ليَ من جاهٍ ليلحقنـــي ... بالســالكين ، ففـــي حبـــي لهم جاه
أو كان لي من ذنـــوبي ما أســـوءُ به ... فرُبّ ذنبٍ .. كريم الصفـــح غطّـــاه

والبيت الأول ، يذكرنا بقول الشافعي ـ رضي الله عنه :

أحب الصالحين ، ولســت منهم ... وأرجـــو أن أنـــال بهم شفاعـــة

ويختتم حسن جاد أبياته العامرة ، بقوله :

وَمْض من الشعلـــة الـــكبرى تضيء به ... نفسي ، وتعرج روحـــي فوق مَرقـــاه
ونفحة من عبير القُـــدس ، تنفحنـــي ... فأنْتشـــي ، وأنـــا .. بالعطـــر تيّـــاه
يارب بابك حِصْن ، من يلـــوذ به ... ينجـــو ، وتُؤْمَـــنُ في الداريْـــن عقبـــاه

ويقرع الشعرُ الشعرَ فتسمو عبقرية حسن جاد حين يتحدث عن شاعر الإسلام (محمد إقبال) ، في مهرجان إقبال ، الذي أقيم في (بني غازي) ١٩٧٣ ، بمناسبة مرور مائة عام على مولد إقبال ، يقول :

شاقه الخُلْد : رونقا وجلالا وشجاه : جمالا وظلالا
لطيه رُبَا الفراديس أيكاً عبقرى الرُّؤى : سَنا وجمالا
يُطلق الروح في سماه ، فتطوى في مداها : الآباد والآزالا

ثم يتحدث عن فلسفة إقبال (الذاتية) ، بقوله :

فاز مَنْ واجه الحياة قويا لا يبالي الصِّعاب والأهوالا
فتخطَّ العقابَ واقتحم الصعب وحقِّق لذاتك استقلالا
قوة الذات للجماعة درع تحتامي به ، وتقوى صيالا
إنما قوة الكيان وليس الضعف إلا .. تفككاً وانخذالا

ثم يترجم قولا مشهوراً لإقبال ، في البيت التالي :

قوةُ الماء ماسةٌ حين تقوى فدع الضعف واطْرحِ الاتكالا

فعلى الرغم من أن (إقبال) قد درس حضارة الغرب في عقر دارها أثناء حياته الخصبة ، وإقامته ببعض الدول الغربية السنين الطوال ، أثناء عهد طلب العلم بها ، إلا أنه من النادرين الذين لم يعبدوا الغرب ويلوثوا بعبادته أوطانهم فنبذ حضارته وكشف زيفها وقد تبينت له سلبياتها وزيفها وماديتها ، بالقياس إلى حضارة الإسلام الأصيلة ، وسماحته الخيِّرة المؤمنة .

ومن ثم يقول د . حسن جاد ، مُناجيا (إقبال) :

شاعر الشرق ، كم تغنَّيْتَ بالشر ق ، وباهيْتَ باسْمِهِ مُختالا
لا ترى في حضارة الغرب إلا خُلَّبا ، فضلَّتْ : تمزُّقا والحلالا
أصبحتْ من ضراوة العلم غابا وغدتْ من شعاره .. أدْغالا
وإذا العلم كان سيف غرور حوّل الأرض كلها أطلالا

وكذلك كانت قبلنا : هروشيما ونجازاكي

وكذلك ينعي ما انتهت إليه الحضارة ، من استعمار واستلاب لحقوق الشعوب ، فيقول :

ومتى كانت الحضارة غدرا ؟ وانتهابا وخدعة واحتيالا ؟!
واعتداءً على الشعوب وبطشا وانتهاكا لحقها ، واغتيالا ..

وهذا كله يؤذن بسقوط الحضارة الغربية وأفول نجمها ، كما تنبأ بذلك (اشبنجلر)[1] وتشف شاعرية د . حسن جاد ورتف ، في أبياته التي اتخذ لها عنوان : (حنين قلب) ، إذ يقول :

صَبَــا حين هَبَّ صبـا يثـرب فحــنَّ إلى البلـــد الطيِّب
فيــا مَنْ قصـــدت إلى أرضهـــا وفـــزْت بما رُمْـــت من مأرب
تَشوقٌ يصفـــق بين الضلــــوع هيامـــا .. إلى المورد الأعـــذب
بربك قُبــــلْ لرى طاهــــرا تعَطــــر من خطـــوات النبـــى
وقــلْ ياحمـــد نفحـــة سُقْيـــا لظمـــآن يهفـــو .. إلى المشرب

والبيت قبل الأخير ـ يذكرنا بتهجُّدات الشاعر الراحل محمد فضل إسماعيل ، رحمه الله ، التي ترنم بها المنشدون في أواخر أيامه والتي يقول في بعضها :

جاءنــا القــرآن يطــرى أحمَـــدا بالتجلّـــى في ثنـــاء عطــــر

ياشفيـــع الخلْـــق إنْ جئنـــا غدا مالنـــا فعْـــلٌ جيـــد الأثـــر
صلـــــوات الله ما طير شدا أو تغنّـــى بلبـــلٌ في السَّحَـــر
صلـــــوات الله ما طير سدا أو تغنّـــى بلبـــلٌ في السَّحَـــر
هل لعينــــى ، ياحبيـــى ، أن ترى لوز (طـــه) .. قبـــل فوت الأجل
واضعـــاً خدِّى على ذاك الثرى مُمْعِنـــاً في تُربـِــه .. بالقُبَـــل

وحينما كان مبعوثا للرياض ، وزار نجدا ، قال فيها د . حسن جاد ما يُعَد ذخيرة جديدة ، لما قيل في نجد من روائع القصائد :

تلك الريـــاض وهـــذه نجـــد : الشعـــر والتـــاريخ والمجـــد
ماضى العروبـــة في مفاخرهـــا وعلى رُباهـــا رَفْـــرَف الخلْـــد
وأرومـــة الفصحـــى ، وقـــد درجت في حجرهـــا ، وصفـــا لها الـــورْدُ
شَبَّ البيـــانُ العبقـــرىُّ بها فرعتـــه ـ وهـــى لعبقـــر .. مَهْـــد
وعلى ثراهـــا من مشارعـــــه قطْـــلّ الحيـــا ، وتفجّـــر الصلـــد
كم أطْلَعَـــتْ من شاعـــر ، هتـــفت بقصيـــــده : الآرام والأسْـــد

ومن طرائف شعره الذى ارتجله في تقديم (مهرجان الربيع) الذى أقامته كلية اللغة العربية ١٩٧٩ م ، وتولى د . حسن جاد تقديم الشعراء بأبيات من الشعر ، ذكر فيه اسم الشاعر ، ومزاياه .. فقال في تقديم الشاعر : إبراهيم عيسى ، مثلا :

سماء المهرجـــــــان صفتْ وراقتْ　　وأطلـعتْ الكـواكب والشمـــوسا
وأبك الشعـــر صدّاح تُغنّـــى　　بلا بلــــه ، فتستهوى النفـــوسا
فيــا عُرس الربيـع جلَوْتَ حتـى　　جعلت الكـون أجمعـه : عروسا
يغـــرد فيـــه شادٍ عبقـــرى　　وهل هو .. غير : (إبراهيم عيسى) ؟

وقال فى تقديم الشاعر الدكتور مختار الوكيل ، رحمه الله :

أديبٌ شاعــــر فذٌ أصيــــل　　له فى فنّــــه باعٌ طويــــل
إذا غنــــىٰ .. أجابتــه الـــروابى　　وصفّق وِرْدُهـا وصبَـا الخميـــل
قد اختـــار البـــانَ له وكيـــلا　　لدينـــا .. وهْوَ : (مختـــار الوكيـــل)

وبتقديم الشاعر محمود شاور ربيع ، رحمه الله ، قال :

ولستُ أرى الربيــــع سوى حكيم　　تُرجّــى عنـده المُثـــل الرفيعـــا
تحل فيـــه متـــع الله حتــــى　　تعـــالى صانعـــا وسما صنيعـــا
فخُــذْ عنـــه العطـــاء بلا حدود　　وعانِقــه : تجـد حضنـــا منيعـــا
ويامـــن أرهقتـــه خطـــى الليـــالى　　ورام مشورة .. (شاورْ ربيعـــا)

وقدّم الشاعر (إبراهيم صبرى) ، بقوله :

سألت الـــطير لما بيـــلّ صبرى　　وضاق من الهمـــوم الكُثْـــر صدرى
أعـــدك أيها الشادى نشيـــد　　يخفّـــف أو يُعَـــزى أو يُسَرّى
فقـــال : إذا فقـــدت الصبر يومـــا　　فرَدّدْ شعـــرَ (إبـــراهيم صبرى)

وقال فى تقديم الشاعرة الكبيرة عليّة الجعار :

حلّقـــى فى سمائك العُلْويـــة　　واصدحـــى فى رحابـــه الروحيـــة
وتحـــدّى فى الحـــبّ دنياكـــى واسقينا شـــراب المحبـــة الفارضيّـــة

يا ابنـــة الحـــب أنـــت رابعـــة العصـــر وإن كـــت فى الهـــوى مصريـــة
إن هـــذ الربيـــــع تسبيحـــة لأمجـــاد ذاتـــه القدسيـــة
فغنّـــى به وأعـــذب لحـــن فى الهـــوى ما شـــدتِ يا صـــوفيـــة
أشـــهديا ســـنا الجمـــال وأذكـــى بالمواجيـــد شـــوقنا يا (عليّـــة)

وبعد أن طال بنا نفس القول ، نعود فى العدد القادم بإذن الله ــ تعالى ــ لنقدم ختام الحديث عن فقيدنا الدكتور حسن جاد ، وعن ترشيحه لعمادة الأدب العربى .

لم يبق في الروح ما يغري بتغريد

إلى أستاذي الراحل الدكتور الشاعر حسن جاد مع كل الألم والحزن والشعور الأسيف

للأستاذ الدكتور
سعد ظلام

لم يبق فى الروح ما يغرى بتغريد   إلا بقايا البقايا من أغاريد
نامت على كبدى الحرّى .. موزّعة   كأنها فى مخيطات من البيد
يلفّها الصمتُ .. والآلام تعصفها   عصفَ الأعاصير .. فى عسف وتهديد
قد شفّها الحزنُ فارتاعت بواسقُها   واستسلمت لخريف .. من مناكيد
لا الحسن فيما أراه فى الرؤى حسن   ولا سفائنة أرست على الجودى
شيحى .. وكل خطوب هان موقعها   إلا مُصابى فيكم غير محدود
قد لقّنى ما يلفُّ النفس من غسق   لمّا تراع بتصويب .. وتسديد
إذا تراءى بأيّاق دُجىً ولظًى   فالسهم فى القلب .. والنيران فى العود
وإن بدت فى ثياب القهر راسفةً   ففقدُها العيد خلاّها من العيد
تخطى المنايا لأطيارى مُفزّعة   تسير نحوى بأقدام رعاديد
وتخطف الصادح العملاق من غدنا   وكان منجمه مهد المواليد
بالوداع .. وما أقسى تحمّله   والنفس من أسره فى قيد مفقود
هذا الندىَ .. ولكن أين شاعره ؟   وكان زهرته فى كل تغريد



وأيـن ياشيخنا شعر توقّعه | كالبحتريّ بوشي غير مقصود
نرى على وقعه الشادى خواطرنا | مصوّراتٍ لحالي غير مسعود
وأين .. أين شداة الشعر قد رحلوا ؟ | وخلّفوه بأيدٍ .. كالرّدى سُود
قد ألبسوه لباساً غير ملبسه | وبعثروه على إيقاع عربيد
قد كنت يا «حسن» يا «جاد» بزهرةٌ | والفنّ بعض التزامات الأماجيد
وللفنون كما للناس آصرةٌ | بكلّ أصلٍ ترىٰ بالتقاليد
يا قيّمَ الشعر هذى الضاد ملعبها | خاوٍ .. وليس به إطلالة الجيد
فأين لمسةُ راعيه وحارسه ؟ | وأين للشعر منه صولةُ الجُود ؟
وأين كل جديدٍ من قريضكُمُ ؟ | قد كان لحبزى فى فنّى وعنقودى
أصبو إليه وأُسقى من مناهله | فيا شهيّ الرؤى .. حُلوَ الأناشيد
ياما شدونا وكان الشعر أغصُننا | فى دوحة «الضّاد» .. معسول العناقيد
تذودُ كلّ دعيٍّ عن أصالتنا | شلّت يداه على غيٍّ .. وتفنيد
نبوح بالشعر .. نغنى فى تذكُّره | بوحَ العصافير فى نجوى التحاميد
وذكرياتٌ لنا مازلت أحفظها | كالغيد فى العيد ، أو كالعيد فى الغيد
يأيها الراحل الغالى .. على كبدى | سلبتَ عذب أحاسيسى وتنضيدى
قد كنتُ من شعركم فى محفلٍ عجبٍ | ومهرجانٍ من الإفصاح مشهود
يهزّنى حرفك الفنان .. مُفتتناً | من مهجة الحسن والوجدان مولود
وتستهيمُ ترياقٌ بعالمه | وتشرئبُّ لإيقاع الأغاريد
ورنّةُ اللحن فى القيثار أسمعها | فتشرق الروح فى ترنيمة العود
ما كنت أحسبنى أحيا إلى زمن | أنعى بناةَ القوافى فى أناشيدى
ومن أكون ؟ وما شعرى ؟ وما نغمى ؟ | إلا احتشادةُ معمود لمعمود
إن أجفلوا .. أو تراخوْا فى وفائهم | فلم أزل من وفاقٍ فى مقاليدى
يأيها الشاعر المزجى يراعته | نحو السماء خيالاً غير مكدود
مازال فلك فينا .. وهو مؤتلقٌ | فى رونق الحسن مخضلّ الأماليد
كل اليراعة فى أبياته سكتت | واستوثقت بأصالاتٍ .. وتجديد
لولا التحيّز .. قلت : الشعر شعركمُ | هذا الجمال به ضخم الأسانيد
ورعشة الواهب الفنان تلمسها | فى كلّ فنٍّ بتاج الحسن معقود
يدٌ صناعٌ .. وروح جدّ ملهمةٌ | ولفظها البكر فى نظمٍ .. وتقصيد
«أبو الشمقمق» «ديك الجنّ» «أخطلهم» | بكل ما أبدعوا .. حتى التجاعيد
صوّرتهم أطُراً شعريّةً عذُبت | وأنت منهم بيان الألسُن الصِّيد

قدَّمت فيهم فريقاً .. لم يزل غردا   منه الضحايا .. وصرعى كل تغريد
جسَّدت فى صُوَرٍ غُرٍّ مُنَضَّدة   بعضَ الشخوص رماها الحظُّ فى البيد
أضحكتنا ثم أبكانا تخيلها   فكنت ناقدنا فى كل منقود
فأين يا شيخى الأشعار مطهمة   كالخيل فى الركض ، أو كالسيف فى الجيد
رحلت عنا .. ولكن لا يودِّعنا   خفق الكمان .. ولا نبض المواجيد
وبوحة الناى نامت فوق مزهرها   لحناً سبوحا .. بتوقيع .. وتضييدى
قد كنت منظومةً للفن مُزهِرة   ما بين شعرٍ .. وتلحين .. وتجويد
وكنت فى روضة الآداب باسقةً   من النشاط بتزهير وتوريد
أنجبت فى درسك اللجنىِّ ملحمةً   من الأئمة غُرًّا .. والصناديد
وكلُّهم فى سماء الضاد أجنحةٌ   تعلو بإسهامها فى كلِّ موجود
ما أغرب الفنَّ والفنَّان فى بلدى   وفى جوانحه أصحاب أخدود
تدغدغه عن سماه كلُّ ناعبةٍ   فتلتقى فيه إحساسات مجلود
لكنكم أبفتْ لهذى الحال .. وأسفى   وكم رثيت لموهوب .. ومجهود
هى الحياة ، وكم ضاقت بموهبةٍ   وطوقت بالسنا هام المطاريد
لم يأت فذٌّ من الأفذاذ مثلكم   بمثل ما جئتم .. إلا به عُودى
قد حطَّموه أحاسيساً وأجنحةً   وحاصروه بمفنودٍ ومفؤود
وخرَّجوا وزنه إفكاً .. ومنقصة   ما بين حقٍ وإيلام وتنكيد
حتى إذا ما ثوى هاموا بسيرته   وأمطروه بإطراءٍ وتمجيد
لو كنت يا شيخنا فى غير شاطئنا   لأترغوك بأضواء وتقديد
وأطلقوا نجمك اللألاء مفخرةً   فى كل محفلة مهرتية .. قود
لكنَّ شاطئك الموعود شاطئنا   فكنت فيه غنيًّا بالمواعيد
بكيت فيك أباً لا ينتهى أبداً   عطاؤه العذب .. باقٍ غير محدود
إلى اللقاء غداً فى ظل مغفرةٍ   وفى نعيم .. وفى خلدٍ .. وتخليد

الإسرائيليات
في التفسير والحديث
لفضيلة الدكتور
محمد السيد حسين الذهبي

سلسلة البحوث الإسلامية
السنة السادسة والعشرون - الكتاب الخامس
١٤١٥هـ/١٩٩٥م
عرض وتقديم الأستاذ/ عبد السلام ناصف

« الإسرائيليات في التفسير والحديث » لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد السيد حسين الذهبي - رحمه الله - من أحدث ما نشرت سلسلة التراث بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ، ومن عمل مطابعه التي تقوم بطباعة المصحف الشريف .

والأستاذ الباحث واحد من كبار العلماء الأجلاء وعضو مجمع البحوث الإسلامية ، تولى منصب وزير الأوقاف ردحاً من الزمن ، رفع خلالها أسلوب الدعوة ، ورفع من شأن رجالها . حتى اغتالته يد آثمة ، وهو يتبوأ تلك المناصب الرفيعة - رحمه الله - ونفع المسلمين بعلمه .

ولنبق مع الكتاب :

فالكتاب من القطع المتوسط ويقع فى ست وسبعين ومائتى صفحة مقسم إلى ثلاثة فصول ومقدمة .. ولقد قدم له فضيلة الأستاذ الجليل وكيل الأزهر بعبارات رشيقة موجزة على أنه نبراس يميز بين الحق والباطل ، وعين واعية متبصرة تنقى تراثنا الإسلامى مما دُسَّ فيه من خرافات وأباطيل ، وذلك بتوجيه كريم من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر .

وتركز مقدمة الباحث على أن تفسير القرآن الكريم والسنة الشريفة لم يسلما من عبث العابثين ، فالتبس الصحيح بالعليل بدوافع مُبَيَّتة ، سيئة الهدف ، وشارك المسلمون أنفسهم فى هذا العمل بحسن نية أو عن جهالة أو غفلة أو سذاجة . لكن الله ـ جلت قدرته ـ قيد صفوة من الأعلام لكشف هذا العبث ، فالكتب السماوية المنزلة كلها تدعو إلى الإيمان بالله والعمل بما جاء بها ، إذ العقيدة واحدة فى كل الأديان مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾

[الشورى : ١٣] .

والقرآن الكريم يجدد الدعوة إلى أصول العقيدة والشريعة بعدما تطرق التبديل والتحريف إلى الكتب السماوية السابقة .. إذ كتب له الخلود والصحة من رب العزة :

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [فصلت : ٤١ ، ٤٢]

وقال عز من قائل :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝ ﴾

[الحجر : ٩] .

فالقرآن مهيمن على ماعداه من الكتب السماوية بالتصديق والتصحيح لما فيها من الجانب العقائدى ويتعداه إلى الجانب التشريعى لتصحيح ما تم تحريفه أو تبديله .. وكفى به شاهداً ودليلاً .

والفصل الأول من البحث يدور حول معنى الإسرائيليات التى مفردها : إسرائيلية وهى المقولة التى تنسب إلى مصدر إسرائيلى أو يهودى ، ومثلهم أعداء الإسلام الذين يكيدون له بأساليب ماكرة على شكل روايات أو قصص تجذب الأسماع لتشويه العقيدة وتعاليم الإسلام ، ولقد تسربت هذه الإسرائيليات فى عصور ما قبل الإسلام حين اختلطت الثقافة اليهودية بالثقافة العربية ، وأثرت فيها ، ثم بعد ظهور الإسلام ازداد تسربها إلى كل الميادين ـ بما فيها علما : التفسير والحديث ـ بما حملته تلك الروايات والقصص من انبهار السابقين بها رغم ما تحمله من أكاذيب وخرافات وتُرهات ، وساعد على ذلك عدم تدوين التفسير والحديث فى عصر ظهور الإسلام ، فاختلط الصحيح بالعليل وكثر الوضع وفشا الكذب خاصة عند من لم يهتم بالأسانيد ، ولم يتحرَّ الدقة ومن أغرم بالقصص والروايات .

ولقد انتقد ابن خلدون ـ رحمه الله ، فى مقدمته ـ العرب الذين لم يكونوا أهل علم ولا ثقافة ؛ فكانوا يسألون أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون من علمهم ، فجمعوا منهم الغث

والسمين والمقبول والمردود في كتب التفسير والحديث دون تدقيق أو احتياط عن جهل أو غفلة أو سذاجة .

واليهود من أشد الناس عداوة وكرهاً للمسلمين فحاكوا الروايات والقصص الطريفة التي تنطلي على البسطاء والعامة وتسبوها لآل البيت والتابعين ، بل تجرأ البعض منهم إلى نسبتها إلى رسول الله ﷺ ـ فانتشرت تلك الإسرائيليات وشوهت وجه ديننا الحنيف بما حوته من خيالات مضللة وأباطيل . كما جاء في تفسير القرطبي بالجزء الخامس عشر ص ٢٩٤ من أن حملة العرش أرجلهم في الأرض ورؤوسهم تخرق العرش . وما رواه كعب الأحبار مما لا يحمل نقله . وذلك لإضعاف ثقة المسلمين بمقدساتهم وتدينهم .

أما الفصل الثاني : فقد قسم الإسرائيليات إلى صحيح وضعيف .

فالصحيح كما أخرج ابن كثير في تفسيره حين قال عن صفة رسول الله ﷺ : إنه موصوف في التوارة كصفته في القرآن الكريم : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا ، وحرزاً للأميين ... أنت عبدى ورسولى ، اسمك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولن يقبضه الله حتى يقيم ، الملة العوجاء وبأن تقول لا إله إلا الله ، ويفتح الله به قلوباً غلفاً ، وآذاناً صماً ، وأعينا عميا .

قال عطاء : ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك فلم يختلف حرفاً إلا أنه قال بلغته : (قلوبا غلوفيا وآذانا صموميا ، وأعينا عموميا) .

ورواه البخارى ـ في صحيحه في كتاب البيوع وزاد عليه بأنه : ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزى السيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح .. كما جاء في تفسير ابن كثير ص ٢٥٣ جـ ١ .

أما الضعيف فهو كما جاء في شرح سورة (ق) في ذات الكتاب ص ٢٢١ جـ ٢ من أن (ق) اسم لجبل شاهق صفته كذا وكذا .

أمام هذه الحقائق وجب على المسلمين أن يتقبلوا ما يتفق وشريعتهم ويرفضوا ما يخالفها .. ولقد كان بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أمثال أبي هريرة وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهم ـ يسألون أهل الكتاب عما في كتبهم بمنهج دقيق فيما ينقلون ؛ أما تابعوهم من أمثال (كعب الأحبار) و (وهب بن منبه) اللذين دخلا الإسلام بعد اليهودية ـ فقد نسب إليها بعض الإسرائيليات ، لذا كان على المسلمين التحرى عن كل ما ينقل عنهم بدقة وروية ، دون اتهام في ذمتهم ـ وكذلك الحال مع أتباعهم وأتباع أتباعهم ، فهؤلاء لهم مكانتهم في الدين ويحتمل أن يكون ما نسب إليهم قد دُسَّ عليهم زوراً وبهتانا .

أما كيف تسللت هذه الإسرائيليات إلى كتب التفسير والحديث ؛ فمنها ما تسرب مسندا إلى راويها ، ومنها ما روى بنقد وتجريح ، ومنها ما ورد عن جهل أو غفلة أو سذاجة أو بقصد سيء ، ومنها ما ورد نتيجة لانزلاق أو تردُّ دون تحفظ .

فمما ورد مسندا إلى رواية ما جاء بتفسير الطبرى في شرح قصة سفينة نوح ـ عليه

السلام ـ فقال إنها بطول ألف ومائتى ذراع وعرض ستمائة ذراع وكانت ثلاثة طوابق الأول للدواب والثانى للبشر وثالثة للطير . فلما وقع الفأر بحبل السفينة (يقرضه) . أوحى الله إلى نوح أن اضرب بين عينى الأسد فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر .. إلخ .

وهى أباطيل يردها الشرع ولا يقبلها عقل .. لكن (ابن جرير الطبرى) اكتفى بذكر أسانيدها .. مبدأ : العهدة على الراوى .

ثم جاء فى تفسيره للآية السابقة من سورة مريم أن جبرائيل نادى زكريا : ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

فلما سمع النداء جاءه الشيطان فقال إن الصوت الذى سمعت ليس من الله وإنما من الشيطان يسخر بك ، ولو كان من الله أوحاه إليك ـ كما يوحى إليك .

فشك وقال : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ ﴾ .

ولا يخفى أن ذلك باطل ولا أصل له ، لأنه لا يجوز أن يشك نبى فيما أوحى إليه . وكيف يكون للشيطان سلطان على قلب نبى ؟

أما تفسير (ابن كثير) فهو يروى الإسرائيليات ولكنه يعقب عليها لبيان ما فيها من بطلان . إذ كان ـ رحمه الله ـ مؤرخاً يغلب على تفسيره الجانب الإخبارى . ولكن ملكة المحدث جعلته يتوخى فى تفسيره الصحيح ويكشف فيه عن مواطن الضعف وما يروى فيه من فساد وزيف الإسرائيليات المدسوسة .

فإذا ما تتبعنا (ابن كثير) فى تفسيره نجده ينبه إلى الإسرائيليات التى أباح الرسول ﷺ التحديث بها .

ففى قصة (البقرة) يقص قصة طويلة غريبة ، ثم يعلق عليها بأنها من كتب بنى إسرائيل .

وفى تفسيره للآية ١٠٢ من سورة (البقرة) يورد قصصاً غريبة ، لكنه ينسبها إلى أخبار بنى إسرائيل ثم ينكرها بدقة وبراعة .

وفى تفسيرة للآية ٢٢ من سورة (المائدة) ، نراه يذكر بعض ما روى على أنه كذب خارج عن الشرع .

فابن كثير يعرض عن القصص الإسرائيلى ، ويرى أن الإمساك عن ذكره خير من روايته ـ غير أنه ذكر بعض هذه الروايات فى تفسيره، ولكنه خير من قرأنا له من حيث تفنيده للإسرائيليات إلا فى النادر القليل .

أما كتب التفسير التى حوت إسرائيليات دون نقد أو تعقيب فهى كتب (مقاتل بن سليمان بن بشير الخراسانى) المتوفى سنة ١٥٠هـ . وقد جاء فى تفسيره بعض ما دس على الإسلام من أباطيل دون أن يفندها أو حتى يسنده ؛ ومثله تفسير الثعلبى الذى تحتفظ مكتبة الأزهر بمخطوطة كاملة منه فهو يشمل خرافات وأباطيل دون تعقيب ببيان ما فيها من كذب أو اختلاق ـ رغم قسوتها وعدم موافقتها للشرع ـ وقصصه الإسرائيلية مكشوفة ومفضوحة كقصة (أهل الكهف) و (ذئب يوسف) ففيهما غث كثير .

أما تفسير الألوسى فقد حذر من تصديق الإسرائيليات وسخر منها - حيث كان لا يقبلها ولا يرضى بالسكوت عنها ؛ لأنها فى رأيه من صنع زنادقة أهل الكتاب .

وهناك بعض كتب التفسير التى حملت على من أغرم بالاسرائيليات فعابوهم ثم تورطوا فيما حذروا منه كتفسير السيد (محمد رشيد رضا) فى (المنار) فقد عاب على من رووا منها ، ولقد كان يقارن بعض ما يذكر منها بما فى التوراة المتداولة دليلاً على افترائها وكأن هذه التوراة هى الأصل المعتمد الذى تقاس عليه الروايات متناسياً أنها قد حرِّفت وبُدِّلت والاحتكام إليها غير صحيح .

ومن عجب أنه يرى أن بعض نصوص التوراة تصلح تفسيراً لبعض نصوص القرآن كما جاء فى تفسير الآية (١٣٣) من سورة الأعراف :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ .... ﴾ الآية حين ساق ما جاء فى شأن الطوفان فى الفصل التاسع من سفر الخروج . وفيه من الأخبار الإسرائيلية مالا يقوم على دليل صحيح من القرآن والسنة (تفسير المنار جـ ٩ ص٩٠) .

ومن عجب أنه رد عن غفلة بعض الأحاديث الشريفة بزعم أنها من قبيل الإسرائيليات ؛ بل إنه رمى صحابة رسول الله ﷺ بالغفلة عندما تعرض لحديث شريف مرفوع فى الصحيحين كما جاء فى تفسيره بالجزء التاسع ص ٣٧٣ .

ويختم الباحث - رحمه الله - بحثه بتنبيه المفسرين باليقظة والدقة فى التحرى والنقل الصحيح السليم والإعراض عن مالا يجزم بصحته لحماية كتاب الله - عز وجل - من كل لغو . وعلى العلماء أن يلتزموا بذلك ، وأن يصنِّفوا كتب التفسير والحديث لانتقاء الصالح منها وإجازته ، وإعادة طبع كتب الصحاح من الأحاديث مع حل مشكلات الأحاديث التى بها غرابة .

ولقد اهتم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بطبع مصادر السنة ؛ والأمل فى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر أن يحرر كتب التفسير مما لحق بها من مرويات إسرائيلية - مهما كلف ذلك من جهد ومن مال بإعادة طبع هذه التفاسير القديمة اعتماداً على أساتذته وعلمائه ومتخصصيه - ليبقى الأزهر الشريف قبلة للعلم ومناراً للإسلام .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وعلى أصحابه وأتباعه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

بين المجلة والقارئ

تقديم الأستاذ عادل رفاعي خفاجة

شيوخ الأزهر

بنى الجامع الأزهر فى عهد (المعز لدين الله) الفاطمى وأقيمت أول جمعة فيه فى السابع من رمضان عام واحد وستين وثلاثمائة ٣٦١ هـ ، ومنذ ذلك الحين وحتى اليوم ـ وإلى ما شاء الله ـ يفد طلاب العلم ـ من كل أنحاء العالم ـ ينهلون من معين مورده .

والأزهر قلعة صامدة تكافح وتنافح عن الإسلام والمسلمين وتصد الغزو الفكرى ، وتدفع كيد الظالمين والمعتدين .

ولشيوخ الأزهر دورهم البارز ، فى مقاومة العدوان : ما كان منه عسكرياً كالحملة الفرنسية .. وغيرها ، وما كان فكريا يهدف إلى إلقاء البلدان الإسلامية فى أتون فكر سافل من غثاء البشر وزعزعة إيمان البلدان الإسلامية وإبعادها عن دورها الريادى .

وشيخ الأزهر .. هو شيخ العلماء كافة وإمامهم الأكبر .

وأول من تولى هذا المنصب هو الشيخ محمد عبد الله الخراشى ثم توالى بعد ذلك واحد وأربعون شيخاً .. آخرهم فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق .

رحمه الله ـ تعالى ـ وأسكنه فسيح جناته .

● الشيخ/ فراج حسن فراج - المدرس الأول بمعهد الشربينى الابتدائى الأزهرى بالزقازيق .

● الشيـخ : رمضان إبـراهيم الأقـرع - إمام بطنطا .

نشكر لكما حسن ظنكما وندعو الله العظيم أن يتقبل طيب دعائكما ، ويشملنا جميعاً بلطفه ورحمته إنه قريب مجيب .

طلبتم سيادتكم أن توافيكم المجلة بذكر أسماء أصحاب الفضيلة العلمـاء الذيـن تولـوا مشيخة الجامع الأزهر وإعداد دراسة مستفيضة عنهم تخرج ضمن هدايا مجلة الأزهر .

ونحن لا يسعنا إلا أن نقدم هذا البيان المختصر آملين ان يكون كافيا ، حتى نتمكن من إعداد دراسة وافية وتسمح الظروف بنشرها .

وهم :

١ - الامام : محمد بن عبدالله الخراشى .

٢ - الامام : ابراهيم بن محمد البرماوى .

٣ - الشيخ : محمد النشرتى .

٤ - الامام : عبدالباقى القلينى .

٥ - الشيخ : محمد شنن .

٦ - الشيخ : ابراهيم بن موسى الفيومى .

٧ - الامام : عبدالله بن محمد بن عامر الشبراوى .

٨ - الشيخ : محمد بن سالم الحفنى .

٩ - الشيـخ : عبدالـرءوف بن محمـد السجينى .

١٠ - الشيخ : أحمد بن عبدالمنعم بن صيام الدمنهورى .

١١ - الامام : أحمد بن موسى العروسى .

١٢ - الشيخ : عبدالله الشرقاوى .

١٣ - الامام : محمد بن على بن منصور الشنوانى .

١٤ - الامام : محمد بن احمد بن موسى بن داود العروسى .

١٥ - الامام : أحمد زيـن على بن احمد الدمهوجى .

١٦ - الشيخ : حسن بن محمد بن العطار .

١٧ - الامام : حسن بن درويش القويسنى .

١٨ - الشيـخ : أحمد بن عبـدالجواد السفطى .

١٩ - الشيخ : ابراهيم بن محمد بن أحمد الباجورى .

٢٠ - الشيخ : مصطفى بن محمد بن أحمد ابن موسى بن داود العروسى .

٢١ - الشيخ : محمد المهدى العبـاسى الحنفى .

٢٢ - الشيخ : شمس الدين محمد بن محمد ابن حسين الانبابى .

٢٣ - الشيخ : حسونة بن عبدالله النواوى .

٢٤ - الشيخ : عبدالرحمن القطب النواوى .

٢٥ - الشيخ : سليم بن أبى فراج البشرى .

٢٦ - الامام : على بن محمد البلاوى .

٢٧ - الامام : عبدالرحمن بن محمد بن أحمد الشربينى .

٢٨ - الشيخ : محمد ابو الفضل الجيزاوى .

٢٩ - الشيخ : محمد بن مصطفى بن محمد المراغى .

٣٠ - الشيخ : محمد الأحمدى ابـراهيم الظواهرى .

٣١ ــ الشيخ : محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالرازق .

٣٢ ــ الشيخ : محمد مأمون الشناوى .

٣٣ ــ الشيخ : عبدالمجيد سليم .

٣٤ ــ الشيخ : إبراهيم حمروش .

٣٥ ــ الشيخ : محمد الخضر حسين .

٣٦ ــ الشيخ : عبدالرحمن تاج .

٣٧ ــ الشيخ : محمود شلتوت .

٣٨ ــ الشيخ : حسن مصطفى مأمون .

٣٩ ــ الامام الدكتور : محمد محمد الفحام .

٤٠ ــ الامام الدكتور : عبدالحليم محمود .

٤١ ــ الامام الأكبر الدكتور : محمد عبد الرحمن بيصار .

٤٢ ــ الامام الأكبر الشيخ : جاد الحق على جاد الحق .



فضل لا إله إلا الله

وعن فضل «لا إله إلا الله» وردت رسالة القارئة أم هاشم حسين يوسف على تقول :

روى مسلم وأحمد عن عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ قال قال رسول الله ﷺ : «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» .

وروى الحاكم وابن حبان عن أبى سعيد الخدرى ، أن النبى ﷺ قال : «قال موسى يارب علمنى شيئاً أذكرك وأدعوك به قال : قل لا إله إلا الله ، قال : يارب ، كلُ عبادك يقولون هذا ، قال : قل لا إله إلا الله ، قال لا إله إلا أنت يارب ، إنما أريد شيئاً تخصُنى به ، قال : ياموسى ، لو أن السموات السبع وعامرهن ــ غيرى ــ والأرضين السبع فى كفة ، ولا إله إلا الله فى كفة مالت بهم «لا إله إلا الله» .

وروى الإمام أحمد فى مسنده والطبرانى عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال : قال رسول الله ﷺ : «جددوا إيمانكم . قالوا : يارسول الله وكيف نجدد إيماننا ؟ قال : أكثروا من قول : لا إله إلا الله .

حسن الخلق

كما وردت إلينا رسالة القارئة : رجاء محمد الأسعد الشروان ــ سوهاج ــ جرجا ــ ش مستشفى الحميات .

وهى ــ بحق ــ رسالة جيدة ، بداية من حسن الخط التى كتبت به الرسالة ، وتسلسل أفكارها ثم ذكر المراجع التى اعتمدت عليها فى مقالها .

تقول :

الخلق هيئة راسخة فى النفس ، تصدر منها الأفعال الإرادية الاختيارية من حسنة وسيئة ، وجميلة وقبيحة .

فإذا ما رُبِّيت هذه الهيئة على إيثار الفضيلة والحق، وحب المعروف، والرغبة فى الخير، ورُوِّضت على حب الجميل، وكراهية القبيح، وأصبح ذلك طبعاً لها، تصدر عنه الأفعال الجميلة بسهولة، ودون تكلف قيل فيه: خُلُقٌ حسن.

ومن هنا نوّه الإسلام بالخلق الحسن، ودعا إلى تربيته فى المسلمين، وتنميته فى نفوسهم، وأثنى الله ـ تعالى ـ على نبيه ﷺ بحسن خلقه، فقال:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

القلم ـ ٤

وأمر بمحاسن الأخلاق فقال:

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾

فصلت ـ ٣٤

وَبُعِث رسول الله ﷺ لإتمام حسن الخلق فقال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» رواه البخارى.

وبيّن ﷺ فضل حسن الخُلق فقال:

«ما من شىء فى الميزان أثقل من حسن الخلق» رواه أحمد وأبو داود.

وقال الحسن البصرى فى بيان حسن الخلق: حسن الخلق: بسط الوجه، وبذل الندى، وكف الأذى.

وقال عبد الله بن المبارك: حسن الخلق فى ثلاث خصال: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسعة على العيال.

وقال السلف الصالح: علامة حُسن الخلق: أن يكون كثير الحياء قليل الأذى، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، براً، وَصُولاً صبوراً، شكوراً رضياً، حليما، يحب فى الله ويبغض فى الله، ويرضى فى الله ويسخط فى الله.

الإسلام يحارب التسول

وردت رسالة القارىء حيش حسن حسين ـ طنا ـ بيا ـ بنى سويف

وقد حملت الرسالة نموذجاً لخطبة الجمعة، اعتمدت على ثلاثة عناصر هامة هى:

ـ الإسلام دين الكرامة والعفاف.

ـ شرف العمل فى الإسلام.

ـ لمن تحل المسألة؟

ويتميز ذلك النموذج الهادف بسهولة العبارات، وتقديم الاستشهادات اللازمة وفيما يلى نقدم شطراً من هذه الرسالة:

الإسلام دين يوضح أن التسول وسؤال الناس لغير حاجة ضرورية من المحرمات، والأدلة على ذلك عديدة وكثيرة منها حديث رسول الله ﷺ: «إن المسألة لا تحل إلا لثلاث: لذى فقر مدقع ـ أى شديد ـ ولذى غُرم مفظع ـ أى دَيْنٌ كبير ـ ولذى دم موجع ـ أى لدفع الدية» رواه أبو داوود والبيهقى.

وقول الرسول ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول» أخرجه البخارى ومسلم.

ولقد حث الإسلام على العمل ، مهما كانت نوعية ذلك العمل ، لحديث رسول الله ﷺ الذي رواه الإمامان البخاري ومسلم :

« لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » .

وقوله ﷺ :

« من فتح على نفسه بابا من المسألة فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر » أخرجه الترمذي .

وقوله ﷺ :

« لا تزال المسألة بالعبد حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم » أخرجه البخاري .

مالك بن نبي

القارىء : طه حامد إسماعيل أفندي ـ قلما ـ قليوب أرسل إلينا هذا التعريف للأستاذ الجزائري «مالك بن نبي» يقول :

مالك بن نبي مفكر جزائري تخصصت كتاباته في دراسة مشاكل العالم الإسلامي ـ وخاصة ـ الاستعمار والقابلية للاستعمار ، واشتهر عنه قوله : إنه لكي لا نكون مستعمرين ، يجب ـ أولاً ـ ألا نكون قابلين للاستعمار .

وقد اقترح فكرة (كومنولث) إسلامي لحل مشاكل المسلمين ، ومن أشهر أقواله :

إن إرادة الشعوب طاقة كامنة لا يمكن أن يقاومها أي سد مهما كان متينا منيعاً محكما .

ولهذا الأستاذ الكبير مؤلفات عديدة .

رحم الله هذا العالم الإسلامي الجزائري على ما قدم .

من ابداعات القراء

القـــــرآن

ياسر أنور محمد ـ حلوان .

يأيها القـــرآن بالنـــور الهدى   اقرأ عليّ فلن أملّ مذاقـــا
فالنفسُ تسبحُ في الفصاحةِ ترتوى   والقلبُ يخشع باكيـــا رقراقـــا
فإذا أردت العلـــم كان معلمـــا   وإذا أردت النـــفس كان رفاقـــا
وإذا أردت الديـــن كان مهذبـــا   يسقـى الهدى ويصوغهـــا أخلاقـــا
خلـــق عظيم واستقامـــة منهج   تعنـــو الوجـــوه لشرعـــه إشفاقـــا
يآيـــة القـــرآن رفقـــا إننـــى   قلبـى أسيف قد بكـــى إشفاقـــا
أتلـــو فأسمع كلّ شيء باكيـــا   والدمع يبـــدو سائـــلا رقراقـــا
أدركت معنـى من جديـــد معجـــزا   عذبـــا طريفـــا مبدعـــا ألاقـــا
حسبى خلود الذكر في دنيا الـــورى   يبلى دوامـــا .. من تراه أعاقـــا ؟

ردود وتعليقات

● **القارىء : سلامة محمود إبراهيم مخلوف ـ الوادى الجديد .**

● **القارىء : عماد عبد العال ـ مدرس العلوم البيولوجية ـ أبو تيج .**

رسائلكما الخاصة بـ «هلال شوال» ، و«العيد» وصلت بعد صدور عدد شوال ، مما فوّت المناسبة الخاصة بها . رجاء ملاحظة ذلك مستقبلاً .

● **القارىء : م . ع أويش الحجر ـ المنصورة .**

وصلتنا رسالتك بعنوان «الشرك الخفى» رجاء ذكر المراجع التى اعتمدت عليها وبخاصة أحاديث الرسول ﷺ فلابد أن تذكر مرجعها .

● **القارىء : عبد الناصر عبد ربه محمد ـ قنا ـ الدير الشرق .**

تم تحويل سؤالك إلى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف أما بخصوص الأعداد السابقة من مجلة الأزهر التى طلبتها ، فقد نفدت ، ونأسف لعدم التمكن من تلبية طلبكم .

● **القارى : عماد ميزار عبد العظيم ـ الفيوم ـ قرية الأعلام .**

وصلتنا رسائلك الثلاثية ، ويمكنك مستقبلاً إرسال مثل هذه المساهمات فى مظروف واحد .

● **القارىء : حمادة محمد كمال عطية .**

مرحباً بكم صديقاً للمجلة .. ويسعدنا أن نتلقى مساهماتك .

● **القارىء : أسامة على محمد حماد ـ الأسكندرية .**

النموذج الذى أرسلته جيد ، ويظهر فيه جهد واضح ، ولكنه لا يتفق مع خطة المجلة .

● **القارىء أحمد محمود الطباخ ـ أبو حمص ـ بحيرة .**

مقترحاتكم البناءة جميعها تحت الدراسة ، ونرجو أن تراها تحققت قريباً .

● **القارىء : ربيع عبد الرؤوف الزواوى إمام وخطيب مسجد السلف الصالح ـ الهانوفيل الأسكندرية .**

تهتم إدارة المجلة بتخريج الأحاديث النبوية ، وكثيراً ، تحجب موضوعات جيدة عن النشر ، لعدم تخريج الأحاديث الواردة بها .

أما اقتراحكم : « تكوين لجنة من المجلة لتحقيق ما ينشر بها من أحاديث ، فهو اقتراح طيب نرجو أن يتحقق قريبا .





تقديم الأستاذين / عمر البسطويسى ، مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يستقبل السفير القطرى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر (السيد / مانع عبد الهادى الهاجرى) سفير دولة قطر بالقاهرة ، وذلك بمكتب فضيلته صباح يوم الأحد الموافق ١٥ رمضان ١٤١٦ هـ ـ ٤ فبراير ١٩٩٦ م .

تناول اللقاء بحث دعم أوجه التعاون بين الأزهر الشريف ودولة قطر ، وقد سلم السفير لفضيلة الإمام الأكبر رسالة خطية من معالى الشيخ عبد الله بن خالد آل ثانى وزير الأوقاف القطرى ، تتعلق بطلب إيفاد بعض علماء الأزهر الشريف لدولة قطر للمشاركة فى لجان تحكيم مسابقة القرآن الكريم ، والتى تقيمها سنويا دولة قطر .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بمشاركة الأزهر الشريف فى هذه المسابقة ، مؤكدا استعداد الأزهر لتقديم أى عون أو مساعدة فى هذا المجال .

وفى نهاية اللقاء أعرب سفير دولة قطر عن سعادته لموافقة الأزهر على المشاركة فى المسابقة ، حيث قدم لفضيلة الإمام شكر بلاده حكومة وشعبا على ما يقدمه الأزهر الشريف لدولة قطر من خدمات جليلة .

الإمام الأكبر يستقبل سفير باكستان بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ظهر يوم الأحد ١٥ رمضان ١٤١٦ هـ ـ ٤ فبراير ١٩٩٦ م السيد / منصور علم سفير باكستان فى القاهرة .

تناول اللقاء إبلاغ فضيلة الإمام الأكبر تحيات وتهنئة رئيس وحكومة وشعب باكستان بتمام شفائه.

كذلك تناول اللقاء بحث الزيارة المرتقبة التى من المقرر أن يقوم بها فضيلة الإمام الأكبر لباكستان ، وقد أعرب الضيف عن سعادته البالغة بهذه الزيارة ، مؤكداً على أن هذه الزيارة سيكون لها الأثر الطيب فى قلوب الشعب الباكستانى الشقيق .

تم فى هذا اللقاء بحث أوجه التعاون بين الأزهر الشريف ودولة باكستان فى شتى المجالات الثقافية والدينية ، وما يقدمه الأزهر من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين على مستوى العالم انطلاقا من ريادته فى حمل لواء الدعوة الإسلامية ونور المعرفة الإنسانية . وقد حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير تحياته وشكره لرئيس دولة باكستان والسيدة رئيس الوزراء وحكومة وشعب باكستان الشقيق .

الإمام الأكبر يستقبل سفير جمهورية الجزائر بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر صباح يوم السبت الموافق ٢١ رمضان ١٤١٦ هـ ـ ١٠ فبراير ١٩٩٦ م السيد الدكتور / شريف مصطفى سفير جمهورية الجزائر بالقاهرة والوفد المرافق لسيادته .

فى بداية اللقاء نقل السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر تحيات وتهنئة رئيس جمهورية الجزائر وحكومة وشعب الجزائر لفضيلته بتمام الشفاء ، وحلول شهر رمضان المبارك .

وقد تناول اللقاء بحث سبل التعاون المشترك بين الأزهر الشريف وجمهورية الجزائر فى شتى المجالات الثقافية والدينية ، حيث قدم السيد السفير شكر بلاده للأزهر الشريف على خدماته للإسلام والمسلمين فى بقاع الأرض ، تأكيداً لريادته فى حمل لواء الدعوة الإسلامية .

وقد حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير تحياته وشكره للرئيس الجزائرى ، وحكومة وشعب الجزائر الشقيق .

الإمام الأكبر يستقبل وفد رجال الكنيسة الأرثوذكسية بمصر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم السبت ٥ شوال ١٤١٦ هـ ـ ٢٤ / ٢ / ١٩٩٦ وفد رجال الكنيسة الأرثوذكية برئاسة الأنبا موسى اسقف الشباب ، والأنبا يؤانس الأسقف العام والوفد المرافق لهما نيابة عن البابا شنودة الثالث ، وذلك لتقديم التهانى بمناسبة عيد الفطر المبارك .

وقد أعرب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف عن شكره للوفد ، وحملهم تحياته للبابا شنودة والأخوة المسيحيين ، داعيا الله سبحانه وتعالى أن ينعم على مصرنا الحبيبة بالخير واليمن والبركات ، وأن يحفظها من كل مكروه وسوء .

الإمام الأكبر يستقبل سفير قازاخستان بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ظهر يوم الأحد ٦ شوال ١٤١٦ هـ ـ ٢٥ فبراير ١٩٩٦ م (السيد / بولاتخان تيجان) سفير جمهورية قازاخستان بالقاهرة .

فى بداية اللقاء قدم السيد السفير التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمناسبة عيد الفطر المبارك ، ثم تم بحث أوجه التعاون بين الأزهر الشريف وقازاخستان فى مختلف النواحى الثقافية والعلمية والدينية ، وخاصة تعليم اللغة العربية لأبناء قازاخستان حتى يتمكنوا من مواصلة الدراسة بالأزهر الشريف للالتحاق بجامعته العريقة . كذلك تم بحث زيادة علماء الأزهر الشريف الموفدين ضمن بعثته لقازاخستان ، وإمكانية زيادة المنح الدراسية لأبناء قازاخستان للدراسة بالأزهر ، وإمكانية إنشاء معهد أزهرى فى قازاخستان على نفقة الأزهر وتحت إشرافه ، لتعليم ابناء قازاخستان اللغة العربية ، وإمداد المدارس هناك بالمناهج وخطط الدراسة المطبقة بالأزهر ، حتى تتمكن المدارس هناك من معادلة شهاداتها وفق مناهج الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يستقبل وفد جامعة دمشق

استقبل فضيلة الإمام الأكبر ظهر يوم الإثنين ٧ شوال ١٤١٦ هـ ـ ٢٦ فبراير ١٩٩٦ م وفد جامعة دمشق برئاسة الدكتور / موفق السيد حسن والوفد المرافق لسيادته .

تم خلاله اللقاء دراسة مشروع إتفاق تعاون مشترك بين جامعة الأزهر وجامعة دمشق فى مختلف التخصصات العلمية والثقافية والدينية ، وقد تم عرض ما تم إنجازه فى هذا المشروع بمعرفة المتخصصين فى الجامعتين على فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف .

أشاد رئيس وفد جامعة دمشق بالدور الفعال الذى يقوم به الأزهر الشريف على مستوى العالم بصفة عامة ، والعالمين العربى والإسلامى بصفة خاصة .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر الجهد المبذول فى الاتفاقية المعروضة ، مؤكدا على أن سيكون لها الأثر الطيب والنفع العظيم للجانبين .

شهد اللقاء الأستاذ الدكتور حسين توفيق عويضة نائب رئيس جامعة الأزهر والأستاذ الدكتور عمر الأحمدى عميد كلية الصيدلة بالجامعة .

الإمام الأكبر يستقبل وفد رجال القضاء الفلبينى

التقى فضيلة الإمام الأكبر يوم الأربعاء الموافق ٩ شوال ١٤١٦ هـ ـ ٢٨ فبراير ١٩٩٦ م بوفد رجال القضاء الفلبينى برئاسة السيد / شريف زين جالى .

فى بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام بالسادة الضيوف ، وتحدث إليهم عن مصر ، والأزهر الشريف ، ونشأة القضاء فى الإسلام منذ عهد الرسول الكريم ﷺ ، والخلفاء الراشدين ، وتطور نظم القضاء حتى وقتنا هذا وفى إطار الشريعة الإسلامية الغراء المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

وتحدث فضيلته حديثا علميا عن منزلة الفتوى فى الإسلام ، وكيفية أدائها ، وآثار الكثير من التراث الإسلامى الذى ضم بين دفتيه روائع أعمال القضاة ، وحرصهم على بث العدل بين الناس واستقبال المتقاضين بالبشر والتسوية بينهم ، وإزالة اضطرابهم دون الميل لأحدهم .

فى نهاية اللقاء قدم الوفد لفضيلة الإمام الأكبر وللأزهر الشريف شكره على دوره البارز فى مجال الدعوة الإسلامية ، وما يقدمه للمسلمين على مستوى العالم وبوجه خاص للأقليات الإسلامية .

الإمام الأكبر يستقبل نائب رئيس مجلس الإنقاذ الوطنى بالنيجر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر (السيد تمادومبجا) نائب رئيس مجلس الانقاذ الوطنى لدولة النيجر وذلك بمكتب فضيلته صباح يوم الأحد ١٣ شوال ١٤١٦ هـ ـ ٣ مارس ١٩٩٦ م .

فى بداية اللقاء قدم الضيف والوفد المرافق له جزيل الشكر ، وعظيم الامتنان لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على الدور الذى يقوم به الأزهر الشريف فى دعم الاشعاع الحضارى والثقافى والدينى فى إفريقيا عامة ودولة النيجر بوجه خاص ، مشيراً إلى تلقى عدد كبير من الشخصيات التى تتولى العديد من المناصب القيادية فى النيجر تعليمها فى الأزهر الشريف .

وناشد الضيف فضيلة الإمام الأكبر مزيدا من التعاون ، استمراراً لدور الأزهر الشريف ودعمه المستمر للمسلمين فى شتى انحاء العالم .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة دعم البعثة الأزهرية ، والمنح الدراسية المخصصة لدولة النيجر .

الإمام الأكبر يستقبل السيد سفير السنغال بالقاهرة

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم الأحد الموافق ١٣ شوال ١٤١٦ هـ ـ ٣ مارس ١٩٩٦ م السيد / محمد شمس الدين سفير السنغال بالقاهرة .

في بداية اللقاء نقل السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر تحيات وشكر السيد الرئيس عبده ضيوف رئيس دولة السنغال وتهنئته بحلول عيد الفطر المبارك ، مشيراً إلى الدور البارز الذى تقوم به بعثة الأزهر الشريف هناك في سبيل نشر الدعوة الإسلامية .

كذلك تناول اللقاء استكمال بحث ودراسة مشروع إنشاء جامعة إسلامية بالسنغال . كما تم بحث قبول عضوية السنغال بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة .

وفى نهاية اللقاء حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير تحياته وشكره للرئيس عبده ضيوف والحكومة وشعب السنغال متمنيا له دوام التقدم والرقى .

الإمام الأكبر يشهد حفل تخرج أطباء الأزهر

شهد فضيلة الإمام الأكبر يوم الثلاثاء الموافق ٨ شوال ١٤١٦ هـ ـ ٢٧ فبراير ١٩٩٦ م حفل تخريج دفعتى عام ٩٤ ، ١٩٩٥ من كليـة الطب / جامعة الأزهر الشريف ، وقد قام فضيلته بتوزيع شهادات التخرج والجوائز على أوائل الخريجين .

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر كلمة إلى الخريجين ، طالبهم فيها بأن يكونـــوا قدوة لإخوانهم ، وأن يرعوا الله في تعاملهم مع المرضى والمواطنين وإبداء النصح لهم بوسيلة العلاج والشفاء من الله ـ تعالى .

كذلك حثهم فضيلته على الجد ، والاجتهاد والاخلاص ، والمحافظة على أمانة المهنة ، حتى يلحقوا بركب التقدم العلمى ، وأن يتواضعوا لله ـ تعالى ـ حتى يزيدهم علما فالعلم بحر لا ضفاف له ، والدولة لن تألو جهداً في تقديم امكانياتها العلمية لهم .

شهد الحفل الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر والسادة نواب رئيس الجامعة . كما شهده الأستاذ الدكتور عميد كلية الطب جامعة الأزهر ووكيل الكلية والأستاذ الدكتور مدير عام المستشفيات ولفيف من أساتذة الطب بالجامعة .

الإمام الأكبر يكرم حفظة القرآن الكريم من طلاب المعاهد الأزهرية

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بتوزيع الجوائز على أوائل مسابقة حفظ وتجويد وتفسير القرآن الكريم من طلبة وطالبات الأزهر الشريف ، وذلك في حفل كبير أقيم بمجمع المعاهد الأزهرية النموذجى بمدينة نصر .

شملت المسابقة طلبة وطالبات المعاهد الأزهرية بمراحلها الثلاث الابتدائية والاعدادية والثانوية على مستوى الجمهورية .

شهد حفل التكريم فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف ، وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية الشيخ محمد بشير .

الإمام الأكبر يستقبل مستشرقة ألمانية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر الشريف بمكتبه ظهر يوم الأحد ٢٠ شوال ١٤١٦ هـ ـ ١٠ مارس ١٩٩٦ م السيدة آناماريا شيميل المستشرقة الألمانية التي زارت مصر في الآونة الأخيرة .

تناول اللقاء ترحيب الأزهر الشريف بسيادتها وتقديره لجهودها وكتاباتها ، وتصديها من خلال أعمالها ومؤلفاتها للدفاع عن الإسلام ومبادئه السمحة ، وتوضيح صورته النقية أمام الغرب عامة ، والألمان خاصة .

وقد أوضحت سيادتها أن الغرب مازال يسيء فهم الدين الإسلامي ، حيث يشعر أبناؤه بالحزن من صور التطرف والتعصب والحوادث التي يقرءونها ويشاهدونها من خلال وسائل الإعلام المختلفة ، وتقول : إنها تعمل جاهدة لتصحيح هذه المفاهيم عن الإسلام .

وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن حوادث التطرف والإرهاب التي يضخمونها في الغرب وإن كانت تعبر عن صور إجرامية ، فإنه ليس لها علاقة بالإسلام وسماحته ويسره ، كما أن مثل هذه الأعمال تقع في كل مكان بالعالم .

كذلك أوضح فضيلته أن الإسلام دين سماحة ويسر ، يقر العلاقات الإنسانية ، وينشر دعوته بالحكمة والموعظة الحسنة .

وقد أهدى فضيلة الإمام الأكبر لسيادتها مكتبة إسلامية بعد أن قدم لها نبذة عن الأزهر الشريف ونشأته ، ودوره في العالم ، وعلاقته بمختلف البقاع ، وذلك من خلال علمائه ، والكتب التي ينشرها ، والندوات والمؤتمرات التي يعقدها ، والمنح الدراسية التي يقدمها لأبناء وشعوب العالم الإسلامي .

المصحف الشريف هدية الأزهر الشريف في رمضان المعظم

بتوجيه من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف قامت الادارة العامة للشئون الفنية بمكتب فضيلته بإمداد المساجد ، ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم والهيئات والمصالح والشركات التابعة لمختلف الوزارات ، وكذلك المجالس الشعبية المحلية ، ومراكز الشباب والأندية بمختلف محافظات مصر بمصحف الأزهر الشريف بمختلف أحجامه ، ومجموعات الكتب الدينية والثقافية الصادرة عن مجمع البحوث الإسلامية واللجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف .

كذلك تمت الاستجابة للطلبات المقدمة من بعض الإدارات التعليمية والمناطق الأزهرية ومختلف المدارس والمعاهد والجامعات بوزارة التربية والتعليم والأزهر الشريف وإمدادها بالمصاحف والكتب دعما لمكتبات تلك الجهات مساهمة من الأزهر الشريف في تبصير الشباب والطلاب بأمور دينهم الحنيف ومواصلة لدوره في تثقيف أبناء مصرنا الحبيبة ، وذلك بمناسبة شهر رمضان المعظم . أعاده الله على الأمة الإسلامية بالخير واليمن والبركات إنه سميع قريب مجيب الدعاء .

فضيلة وكيل الأزهر الشريف يستقبل وفد الكنائس العالمى

استقبل فضيلة الشيخ أحمد عطا سعود وكيل الأزهر الشريف نيابة عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم الثلاثاء ٢٤ رمضان ١٤١٦ هـ ـ ١٣ فبراير ١٩٩٦ م وفد الكنائس العالمى برئاسة القس الدكتور / كونراد ريزر الأمين العام لمجلس الكنائس ، يرافقه القس الدكتور صموائيل حبيب رئيس الطائفة الإنجيلية بمصر ، والدكتور رياض جرجور الأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط وبعض القيادات الكنسية .

فى بداية اللقاء رحب فضيلة وكيل الأزهر بالوفد وأطلعه على نشأة الأزهر الشريف وجامعته العريقة ورسالته عبر تاريخه الطويل الذى يربو على أكثر من ألف عام ، ليمثل بذلك أقدم جامعة على مستوى العالم .

وقد أكد فضيلته أن جامعة الأزهر الشريف تنهج نفس نهج الأزهر فى التعاون العلمى مع مختلف جامعات العالم فى أوروبا وأمريكا وغيرها من الدول .

وقد عبر الوفد عن شكره وامتنانه لفضيلة الإمام الأكبر وفضيلة وكيل الأزهر ومختلف قيادات الأزهر لإتاحة هذه الفرصة للزيارة ، حيث حمل الضيف والوفد المرافق له فضيلة وكيل الأزهر إبلاغ تحياته والوفد لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف .

كما أعرب عن شكره وامتنانه لما يقوم به الأزهر الشريف من تعاون مع مختلف الجامعات فى أوروبا وأمريكا ، مؤكداً على أن الجامعات فى أوروبا وأمريكا مدينة بعلمها وكثير من معارفها للأزهر الشريف التى نقلتها عنه .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / محمد عبد الحميد بشير

قمة صانعي السلام

أدانت قمة صانعي السلام مختلف أعمال الإرهاب بجميع أشكالها النكراء مهما كانت دوافعها وأيا كان مرتكبوها .

وأكد الرئيس مبارك أن مستقبل الشرق الأوسط مرهون بتحقيق السلام الشامل والعادل .

وقد أصدرت القمة البيان التالى :

ـ دعم الاتفاقيات الإسرائيلية الفلسطينية واستمرار عملية المفاوضات وتدعيمها سياسيا واقتصاديا ، وتعزيز الوضع الأمنى للطرفين مع توجيه اهتمام خاص للاحتياجات الاقتصادية الحالية والقادمة للفلسطينيين .

ـ دعم استمرار المفاوضات من أجل تحقيق تسوية شاملة .

ـ العمل سويا لتعزيز الأمن والاستقرار فى المنطقة لتطوير إجراءات فعالة وعملية للتعاون ومزيد من المساعدات .

ـ دعم وتنسيق الجهود لوقف أعمال الإرهاب على المستويات الثنائية والإقليمية والدولية لضمان مثول مرتكبى هذه الأعمال أمام العدالة ومساندة جهود كافة الأطراف للحيلولة دون استغلال أراضيهم للأغراض الإرهابية ، ومنع المنظمات الإرهابية من ضم أعضاء إلى صفوفها وتدبير السلاح والحصول على التمويل .

- بذل أقصى الجهد لتحديد مصادر تمويل الجماعات الإرهابية والتعاون على وقف ضخها وتوفير التدريب والمعدات وأشكال الدعم الأخرى للأطراف التى تتخذ خطوات ضد الجماعات التى تستخدم العنف والإرهاب لتهديد السلام والأمن والاستقرار .

- تشكيل مجموعة عمل مفتوحة لكافة المشاركين فى القمة لإعداد توصيات حول أفضل الأساليب لتنفيذ فقرات البيان من خلال الجهود القائمة وتقديم تقرير للمشاركين فى القمة خلال ثلاثين يوما .

فلسطين المحتلة

شددت إسرائيل الحصار البحرى والطوق الأمنى المفروض على قطاع غزة والضفة الغربية وذكرت مصادر فلسطينية أن البحرية الإسرائيلية أطلقت النار على مجموعة من الصيادين الفلسطينيين واحتجزت عدداً من قوارب الصيد تطبيقاً للحظر الذى فرضته يوم الجمعة ١٨ شوال ١٩٩٦/٣/٨ على عمليات صيد الأسماك فى شواطىء غزة بحجة منع الفدائيين الفلسطينيين من القيام بعمليات انتحارية والهروب عن طريق البحر .

أنقرة

ناقش البرلمان التركى بيان الحكومة الجديدة تمهيداً لإجراء اقتراع الثقة عليها يوم الثلاثاء ٢٢ شوال ، وصرح رئيس حزب الوطن الأم ورئيس الوزراء التركى الجديد بأن حكومته حددت الخصخصه ومكافحة الإرهاب فى الداخل كأهم نقاط لبرنامجها ، إلى جانب تحسين العلاقات مع الدول العربية والإسلامية المجاورة والمعروف أن تأييد الأحزاب اليسارية أمر ضرورى للحكومة نظراً لأن عدد أعضائها المؤتلفين مع حزب الطريق القويم لا يكفى للفوز بالثقة . وينهى الائتلاف أزمة سياسية دامت ثلاثة أشهر بعد فوز حزب الرفاه الإسلامى وهو فوز لم يمكنه من تحقيق أغلبية لتشكيل حكومة بمفرده .

بيروت

أكد وزير الدفاع اللبنانى أن لبنان وسوريا متمسكتان بحقوقهما مهما اشتدت عليهما الضغوط ، وفى كلمة ألقاها قال : إن التنسيق بين البلدين الشقيقين مستمر ، وتساءل الوزير قائلا : من هو الإرهابى ؟! هل هو الذى يحمل بندقيته لتحرير أرضه أم الذى يحتل تلك الأرض ..؟ كما دعا وزير المغتربين اللبنانيين إلى تحديد معنى الإرهاب مؤكداً أن الإرهابى الحقيقى هو المحتل وأن المناضل من له هدف لتحرير أرضه .

هذا وتواصل إسرائيل بشكل يومى قصفها المستمر بالمدفعية الثقيلة وغارات طائراتها على مختلف مناطق جنوب لبنان ، مما يؤدى إلى وقوع أضرار مادية جسيمة ظلّ العالم إزاءها ساكتاً .

دمشق

دعت سوريا كلا من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا إلى استئناف مؤتمر مدريد للسلام .

جاء ذلك فى رسالة سلمها وزير الخارجية السورى لسفيرى موسكو وواشنطن فى دمشق . أعرب فيها عن قلق بلاده إزاء المخاطر التى تتعرض لها مسيرة السلام حالياً .

وأكدت سوريا لراعيى السلام فى الشرق الأوسط التزامها بالعملية السلمية . والجدير بالذكر أن المفاوضات السورية الإسرائيلية فى (ولاية ميرى لاند) بأمريكا قد توقفت بعد انسحاب الوفد الإسرائيلى عائداً إلى تل أبيب للمشاركة فى الحداد على قتلى العمليات الانتحارية الخمس والتى تمت فى الذكرى الثانية لمذبحة الحرم الإبراهيمى بالخليل حين قام مستوطن يهودى بقتل عشرات المصلين وهم سجود فى صلاة فجر جمعة منتصف رمضان قبل الماضى .

جروزنى

تستمر الاشتباكات فى العاصمة الشيشانية جروزنى بين المقاتلين الشيشان والقوات الحكومية الموالية لروسيا . واعترف متحدث باسم الحكومة الشيشانية بأن عدداً غير معروف من المقاتلين الشيشان مازال يسيطر على عدد من النقاط (الاستراتيجية) بالمدينة ، وفى قرية بغرب جروزنى منعت القوات الشيوعية منظمات الإغاثة الإنسانية من دخول القرية فى الوقت الذى ذكرته شهود عيان أن جثث ضحايا المعارك مازالت متناثرة فى الشوارع ومن ناحية أخرى انتهت بسلام عملية اختطاف الطائرة التى قام بها مواطن من أصل شيشانى استسلم للسلطات الألمانية ، ونفى عن نفسه تهمة الإرهاب وقال : إنه قام باختطاف الطائرة للفت أنظار العالم إلى قضية بلاده ، وشد انتباهها إلى ما ترتكبه القوات الروسية من فظائع ومجازر فى الشيشان .

باريس

أكد الكاتب والباحث الفرنسى « لسيونيترلان » رئيس جمعية التضامن العرفى الفرنسى أن القصف العنيف للطيران الحربى الإسرائيلى لبيروت عام ١٩٨٢ ـ والذى صاحب الغزو الإسرائيلى للبنان وأدى إلى قتل وإصابة وتمزيق أشلاء مئات المدنيين الأبرياء ـ قد حفر بصماته فى ذاكرة الأجيال القادمة وقال : لقد كنا شهود عيان على هذه الأعمال الوحشية ، وأوضح أن غارات الانتقام الإسرائيلية توالت على لبنان ، ولاسيما جنوبه حتى الآن ولم نر رؤساء الدول الغربية يجتمعون لوضع حد لهذه الأعمال البربرية برغم سقوط آلاف الشهداء العرب الذين ضحوا بأرواحهم دفاعاً عن ذلك البلد الوديع المسالم .

nier dit: "Comment commettrais - je une injustice pareille, alors que j'ai entendu le Prophète (b.s.) dire: celui qui prendra injustement un empan de terre, Allah l'encerclera, le Jour Dernier, des sept terres." Puis Saïd invoqua son Seigneur et dit: "Seigneur si tu sais qu'elle a menti aveugle-la et fais que sa tombe soit dans son puits." Rapporté par Al-Bokhary.

Les jours s'écoulèrent et la femme perdit la vue un jour alors qu'elle tatonnait à travers sa maison, ses pieds la conduisirent vers le puits où elle trouva la mort; c'est ainsi que les invocations de Saïd furent exaucées. Les habitants de Médine propagèrent l'histoire, si bien qu'elle devint un proverbe et une invocation. Les gens disent: "Qu'Allah l'aveugle comme il a aveuglé 'Orwa".

Puis vint l'heure du départ de cet homme pieux dont beaucoup d'hommes ont méconnu la vie et le mérite. Un nombre d'historiens ont omis de mentionner son nom. Saïd mourut après avoir dépassé les 70 ans. Ibn Omar et Sa'ad Ibn Abou Waqas se chargèrent de procéder à la lotion funèbre et de l'ensevelir dans son linceul. Il fut enterré à Al Baki' à côté des premiers alliés et émigrés Musulmans.

Saïd Ibn Zaïd Ibn Nofaïl

Le monothéiste, fils du monothéiste

par Hoda Hussein Chaâraoui

(Suite)

— 2 —

Saïd émigra à Médine et fut l'un des dix promus pour le Paradis. Saïd assista à tous les combats avec le Prophète (b.s.) à l'exception de l'expédition de Badr; car le Prophète (b.s.) l'avait envoyé avec Talha Ibn Obaïdallah pour espionner la caravane de Koraïch arrivant d'Al-Cham. A leur retour ils éprouvèrent de la peine d'avoir manqué ce combat aux côtés du Messager d'Allah (b.s.) et des Musulmans. Mais le Messager d'Allah (b.s.) les rassura en leur garantissant qu'ils auraient une récompense pareille à celle des combattants et il leur donna leur part du butin.

Puis vint l'expédition d'Ohod où se révéla la bravoure de Saïd. Il vécut à Médine adorant Allah avec les adorateurs et luttant pour Sa cause avec les croyants. Le matin, il était le chevalier vaillant et, le soir, l'humble moine. Même après la mort du Prophète (b.s.) il assista à l'expédition d'Al-Yarmok et à l'état de siège de Damas. Saïd n'aspira jamais au pouvoir ni n'accéda à aucune responsabilité de gouvernement, ni fut nommé collecteur de la Zakat. Il passa sa vie à réciter le Coran durant le jour et pendant la nuit, si bien que le Seigneur le combla de Ses bénédictions et exauça ses prières.

Puis vint un temps où les émigrés et les alliés moururent l'un après l'autre et Marawân Ibn al Hakam fut nommé gouverneur de Médine durant le califat de Mou'awiya Ibn Abou Sufyane. On raconte qu'une femme nommée 'Orwa bent Owaïs accusa Saïd auprès de Marawân de s'être emparé de force de sa terre. Lorsque Marawân appela Saïd, ce der-

8 — Chasser le gibier (à l'exception des bêtes nuisibles). Mais la pêche est autorisée.

9 — Couper ou déraciner des arbres ou des plantes du Territoire Sacré (Al Haram).

10 — Commettre des actes de violence, se quereller ou entrer en litige avec quelqu'un.

V. Les Rites prescrits pour le Hadj.

Voici les six piliers fondamentaux du Hadj :

1 — La sacralisation avec la formulation de l'intention "Al Ihram".

2 — La présence à Arafat le 9 du mois de Dhul Hiddja durant une partie de la journée et une partie de la nuit.

3 — L'arrêt durant au moins une partie de la nuit (jusqu'après minuit) du 10 Dhul-Hiddja à Muzdalifa.

4 — Le jet des "Jamarates" (cailloux) ou lapidation de Satan dans l'ordre prescrit.

5 — Le séjour à Mina durant les nuit du 11-12 et 13 Dhul-Hiddja. On peut toutefois passer deux nuits seulement.

6 — Accomplir le "Tawaf Al Ifada" qui est un des piliers fondamentaux du Hadj.

7 — Se couper ou se raser les cheveux eu signe de désacralisation.

Enfin, avant son départ de la Mecque, le pèlerin doit accomplir la tournée processionnelle d'adieu autour de la Ka'ba ou "Tawaf Al Wida".

Rokeya Gabr

d'Al-Tarwiya) il se remet en état d'Ihram (sans se rendre au Miqâte) à partir de son lieu de séjour et accomplit tous les rites du Hadj.

III. Al Ihram ou la Sacralisation

En Islam, l'intention ou "Niya" doit précéder l'action et qui est un engagement du Musulman vis-à-vis d'Allah pour exprimer sa foi, sa soumission et son aspiration à obtenir le pardon de son Seigneur.

Après avoir procédé au "Ghusl" on lavage total du corps, le pèlerin quitte ses vêtements pour ne porter (tant qu'il sera en état d'Ihram) que deux pièces d'étoffe blanche sans coutures. La première ou "Izar" entoure la taille comme un pagne et la seconde ou "Rida'" couvre le buste à l'exception de l'épaule droite[1]. Sa tête doit rester découverte et il porte aux pieds des sandales sans coutures. Le pèlerin fait ses ablutions, accomplit une prière de deux "rak'a" et exprime son intention d'accoumplir le Hadj ou la'Omra ou les deux à la fois.

Par son entrée en état de sacralisation, le pèlerin marque sa volonté de purifier son corps et son âme en se débarrassant de toutes les parures de ce monde. C'est l'homme, couvert de son linceul, qui va comparaître devant son Créateur, connu au jour du Jugement Dernier.

IV. Ce qu'il est interdit de faire lorsqu'on est en état d'Ihram

1 — Porter des vêtements cousus, (pour les hommes).
2 — Porter des bijoux (pour les hommes).
3 — Se couvrir la tête (on peut tenir une ombrelle).
4 — Se parfumer.
5 — Se couper un ongle.
6 — Se couper ou faire tomber des cheveux.
7 — Avoir des rapports sexuels.

---

1. Notons qu'en état d'Ihram la femme porte ses vêtements ordinaires en ne découvrant que son visage et ses mains.

2) **Miqât de lieu:** l'endroit à partir duquel le pèlerin entre en état de sacralisation dépend du lieu d'où vient le pèlerin. Ces Miqâts sont:

a - Al Djahfa: pour les pèlerins d'Egypte, de Syrie et d'Afrique du Nord.

b - Dhâtu - 'Irq: pour les pèlerins d'Iraq et de tous les pays de l'Est.

c - Dhoul - Halîfa (Abâr 'Ali) pour les habitants de Médine

d - Yalamlam pour les pèlerins de l'Inde, du Pakistan et du Yémen.

e - Qarn Al Manazil pour les habitants du Koweit et de Nadjd.

Alors que les pèlerins qui empruntent la voie terrestre commencent leur sacralisation à partir de ces lieux, les pèlerins qui se rendent à la Mecque par avion ou par bateau doivent se sacraliser dès leur départ ou, du moins, à la dernière escale de leur voyage. Toutefois, les pèlerins qui se rendent d'abord à Médine pour la visite de la tombe du Prophète Mohammad - b.s. - peuvent se sacraliser avant de quitter cette ville pour se rendre à la Mecque.

II. Les trois modalités du "Hadj"

Le pèlerin peut choisir entre trois formules :

1 — **Al Ifrâde :** lorsqu'on veut accomplir le "Hadj" séparément de la'Omra (effectuée après le Hadj). Dans ce cas le pèlerin se met en état d'Ihram, accomplit Tawaf Al Qudum (ou tournée processionnelle d'arrivée) puis le Sa'y (ou parcours rituel) entre Al Safa et Al Marwa et tous les rites du pèlerinage Ensuite il se resacralise et accomplit la'Omra.

2 — **Al Qirân:** il accomplit conjointement la'Omra et le Hadj en se sacralisant une seule fois pour les deux et en faisant un seul Sa'y et un seul Tawaf.

3 — **Al-Tamattu:** le pèlerin se sacralise au Miqâte avec l'intention d'accomplir la'Omra seule; puis, après la'Omra, il se désacralise et mène une vie normale et, le 8ème-jour de Dhul-Hiddjah. (jour

Ce qu'il faut savoir au sujet du pèlerinage

par Dr. Rokeya GABR

Le grand pèlerinage (Al Hadj) est une obligation rituelle prescrite pour ceux qui sont en mesure de l'accomplir. Toutefois, le Musulman n'est pas tenu d'accomplir ce qui est au-dessus de ses forces ou de ses moyens; aussi celui qui se trouve empêché par la pauvreté, le vieillesse ou la maladie de se rendre en pèlerinage à la Mecque ne commet point de péché.

La condition indispensable dans toute action accomplie par le pèlerin, c'est l'intention ou "niya" qui donne toute leur portée aux différents rites du pèlerinage qui commencent par la formule:
"Labbayk Allahumma Labbayk" (Je viens à Toi Ô Allah! Me voici, répondant à Ton appel).

Les différents rites du Hadj sont, successivement:

1 — "Al Ihram" ou la sacralisation
2 — "Al Tawaf" ou tournée processionnelle
3 — "Al Sa'y" ou parcours rituel.
4 — La Station à Arafat.
5 — L'arrêt à Muzdalifa.
6 — Le séjour à Mina: la lapidation de Satan - l'immolation du bétail - Tawaf Al Ifada - la coupe ou le rasage des cheveux.

"Al Ihram"

C'est l'entrée en état de sacralisation en vue d'accomplir le Grand pèlerinage (Al Hadj) ou le petit pèlerinage (Al'Omra)

L'Ihram est soumis à des assignations de temps et de lieu: ce sont les "Miqâts".

1) **Miqât de temps:** le pèlerin ne peut entrer en état d'Ihram pour le Hadj qu'à partir du 1er Chawal (juste après le mois de Ramadan) et jusqu'à l'aube du 10 Dhul-Hiddjah.

REVUE AL AZHAR

Vol. 68 Part XI

Zu-l-Qeeda 1416 H / Mar. / Apr. 1996

Section Française

linguistic meaning or function in a language may have more than one form in another.

V: The reader of the translated version:

Apart from the nature of the text and the attitude of the translator, is the reader himself, his knowledge and response to the different approaches of translators as well as his various attitudes and tastes. In some respects, these factors are parallel to those of the translator which we have been discussing, except for slight differences.

i- As for knowledge, the reader may not understand what he is reading or the circumstances of the revelation of certain verses. This would prevent him from sympathizing or siding with the translators' method of dealing with conjoined structures. In other words, since the reader is unable to grasp the intent of the original text fully, he will not be able to assess the translator's attitude as regards Coordination, nor will he be able to judge the translated version, in consequence.

ii- The order's attitude is also essential. It implies his previous knowledge of what he is going to read, his feeling about it, his opinion about the Qur'an and Islam in general and his grammatical background of which conjunctions, and particularly coordinators, occupy major part in both languages. Bearing in mind all these considerations, the reader can be able to discover the various mismatches of translators and to reject the features which he dislikes in their versions for being strange or odd when transferred into English. Some of these features which entail the use of Coordination, in preference to Subordination, for instance, and the repetition of coordinators for emphasis, may influence the effectiveness of expression and, at the same time, confuse the reader himself.

iii- Finally, the reader's taste is a crucial factor since it determines how a given translation will affect him. If he does not like or sympathize with a certain style, he may not enjoy anything relating to it. Moreover, it is to be noted that what sounds excellent in one language may be silly or dull in another.

This overlapping and wide substitution domain of coordinators in CA and English poses a complex problem for a translator. It makes him believe that it is impossible to transfer the original Qur'anic text, word by word and particle by particle into another language, including all the shades of meanings expressed by the words of the Qur'an. For this reason, Nida (1964:77) suggests that a translator.

Must make certain that in finding a cooresponding term in the receptor language he has represented not only a possible equivalent on' some level, but the appropriate equivalent at the right level.

However, even though common coordinators like the/wa̅w/ and the /fa̅?/ are the easiest to classify and to understand, yet these coordinators have certain distributional patterns involving other relationships which will be covered in the following point.

IV: Functional relations with their distinctive features:

This is another criterion that determines meaningful relationships of words to one another, where such coordinators may be substituted for subordinators or sentence connectors. Yet it has been found out that substitutions could be grouped into two categories of functional mismatches. One involves simple mismatches or substitutions, more or less retaining the meaning of the original. The other involves more serious mismatches resulting in substantial or total change of meaning. Moreover, it has been realized that translors made certain additions to the original text.

There are also a number of inversions in the translation of the order of lexical items presented in the SL text. Such mismatches as Brown & Yule (1983:91) state, result from the fact that when linguists analyze the meaning of words in a language, "they are normally interested in characterizing the conceptual meaning and less concerned with the associative or stylistic meanings of words." Conceptual meaning, as Brown & Yule (1983:91) explain, "covers those basic essential components of meaning which are conveyed by the literal use of a word." Consequently, differences between both features, syntactic and functional, may in fact result in that we may have one form structure in one language that has more than one meaning and function in another: or on the contrary, one

ferent levels. For example, the /wăw/ denoting addition, may contrast with /?aw/ on one level, but includes the /fă?/ on another. Moreover, it may have a more particular as well as a more general meaning. Such ambiguities of using coordinators in CA can also exist in English. The coordinator 'and', for instance, bears more than one implication, other than addition. This mainly depends on the context in which it occurs. Examples are as follows :

1. a) Mona washed the dishes and Salma dried, (Addition)
   b) Work hard and you will get your reward. (Condition)
   c) Come and help me to lift these boxes. (Purpose)
   d) I went to the shopping centre and didn't buy any shirts. (Adversation)
   e) Try and solve the problem. (Encouragement)
   f) He said that he would try and finish the work by tomorrow. (Promise)

The coordinator 'and' in the above examples can thus express one of the following implications : addition, accompanied by a sequence of time, as in (a) which means 'then', condition, as in (b) which means 'so that' or 'in order that', purpose, as in (c) which means 'to' or 'inorder to', adversation, as in example (d) which is semantically analyzed as 'but'. It may also imply encouragement or promise, as illustrated in sentences (e&f) respectively. In this case, grammarians like Eckersley & Eckersley (1977:309, 1st ed, (1960) suggest that the expression 'try and...' can replace 'try to...'.

Similarly, the coordinator 'or' in English has several semantic implications, as illustrated in the following examples:

a- He will travel by bus or by train. (Alternation)

b - Put on this shirt or that one. (Allowability)

c - Come early or you won't be able to catch the bus. (Condition)

d - The nearest telephone is ten or fifteen mils from here. (Approximation)

are two types of analysis, the first of which is syntactic. It is mainly concerned with the associative phrase relations on the surface level, indicated by the order of words in a sentence. The other type is the semantic analysis which is mainly concerned with the functional and logical relational concepts on the deeper level, expressing the internal relations among the words and phrases within a context. Coordination on the surface level exists, not only in CA but also in English. In this respect, Lester (1976:332) states that Coordination is a process which "links two surface sentences together to form a longer single surface-sentence."

As Nida (1969:198) points out;

> "translators in general, not only must they know the rules for generating sentences in different languages, but they must also know the levels at which the rule systems correspond."

Hence, it is believed that this can only be achieved, first of all, by transmitting the SL message into some abstract form before rendering it into the TL. Having syntactic rules applied, it becomes an easy task to arrange the categories into permissible orders in actual sentences. Lexical entries from the dictionary are then inserted into such syntactic frames. Functional words are then introduced, then transformations are applicable.

III: Language of the Qur'an :

Qur'anic language owes its power not only to its structure but also to the rich vocabulary used. Nevertheless, translators mostly used words which do not have the same effect created by the original text. The same applies to coordinators such as the /wāw/ which, as previously discussed, has its own syntactic features and numerous referents. However, in most cases it has only one equivalent in English, that is 'and', but if it implies adversation then it is equivalent to 'but'. The same applies to the coordinators /fā?/ and /Θumma/. This is very evident when translating sentences having such coordinators, we discover that there are various types of ambiguity which result from differences of usage and are resolved on dif-

Finally Y. Ali and Pickthall, being Muslims, are extremely cautious in their approach to the task of translating the Qur'an. This is clear in their use of comments within brackets in their rendering of the original text, in addition to the explanations in footnotes which are extremely useful, especially to western readers. Their faithfulness is clear from the titles of their versions. Their translation of the meaning of the Qur'an and their separation of verses (i.e. each verse is written on a separate line for more accuracy) are due to their belief as Muslims that the Qur'an can never by fully translated, content as well as form. This is due to the fact that it consists of the very words of Allah and, therefore, cannot be replaced by any other words chosen by man. Both translators resort to different exegeses in an attempt to realize the different possibilities for different interpretations of the same text.

However, their concept of translation which seems to be tied up to syntactic and lexical accuracy is, at times, somewhat defective.

II: Nature of the Qur'anic text

The nature of the Qur'anic text plays a major role in the process of translation. Both Arabic and English languages have two quite different sentece structures. Consequently, many kinds of problems in translation arise from the gaps between those two structural differences. The Qur'anic language, in particular, is mainly distinguished by many features such as ellipsis (i.e. deletion of one of the lexical items) elaboration, parallelism and repetition for emphasis. although these features may not be absent in English, yet they are only likely to be unacceptable in English translations of the Qur'an, especially when they have no equivalents in the original. The use of any of these features to excess is discouraged in the style of writing. This is obvious in Y. Ali's version, where the reader may sometimes find him exaggerating and disrupting the flow of the discourse.

The question now is how to account for the grammaticality and the ungrammaticality of any given conjoined structure. According to Huddleston (1988:203), the coordinator 'and' "can coordinate elements at almost any place in the structure of sentences. The other coordinators, by contrast, are subject to such restrictions." In this respect, there

associations. In addition, they nearly succeed in most cases in presenting an approximate stylistic effect on the semantic, functional and, consequently, on the communicative level. This stylistic effect is equivalent to that of the SL text, as far as the very nature of literary translation allows, and as compared to Y. Ali's and Pickthall's failure in this field.

THIRD : From the two previous points it is deduced that the basic difference between the two groups, Pickthall and Y. Ali, on the one hand, and Arberry and Khatib, on the other, lies in the differences between the two approaches adopted in their translations, rather thatn other individual factors and personal limitations. Pickthatll's and Y. Ali's insistence upon the so called lexical or syntactic approach to translation leads to their failure on the functional and communicative level. However, Arberry's and Khatib's main interest in the communicative approach leads them to abandon some of the syntactic and stylistic factors which should be taken into consideration. Some of these factors are represented as follows :

I : Attitude of translators :

Arberry (1953:31) identifies his main aim of translating the Qur'an by trying "to show what the Koran means to the unquestioning soul of the believer." Moreover, since he believes that no translation could ever be an exact copy of the grandeur of the original text, his main concern with his "interpretation" is to produce a stylistic effect echoing, as far as possible, that of the original.

As regards Khatib's attitude, despite being a Muslim scholar, he seems to have copied Arberry's translation of several verses, particularly in "Amma" Part, not only word for word, but even punctuation marks (commas, semicolons, fullstops). Translations of the last ten Suras in "Amma" Part are cases in point with the exception of Sura 113 in which Khatib introduces few changes to Arberry's Translation. Nevertheless, these changes adopted by Khatib distort both the functional as well as the glorious style of the SL text.

Difficulties in Translating Coordination in Qur'anic Verses Part XI

By : Maha Yousry El Tagouri Ph.D.

Having presented in the previous editions some of the difficulties the four translators have faced in translating coordination with special reference to "Amma" Part, we may now attempt to sum up the basic merits and demerits of each. These can be grouped into two divisions due to their similarity in their approaches towards the translation of coordinators.

FIRST : Regarding the translations given by Pickthall and Y. Ali, we realize that they sacrifice the communicative effect of the original for the sake of accuracy on the lexial level. They seek the denotations of coordinators at the expense of connotations and the different shades of meaning. In other words, whenever there is a difference between the lexical meaning of a given coordinator such as the /wāw/, on the one hand, and its contextual meaning and communicative value, on the other hand, Y. Ali and Pickthall usually keep to the lexical and denotative meaning of the given coordinator. This takes place regardless of its associated or functional meaning of the SL text.

SECOND : From the translations given by Arberry and Khatib, we realize that, in most cases, they resort to the most appropriate functional and semantic equivalents of coordinators. These equivalents do not carry the proper referential meaning of the original text, but also the required connotations and

"Every single thing is with Him in (due) proportion" (13/8)

"And We send down water from the sky according to (due) measure" (23/18)

"Thou bringest the living out of the dead; and Thou bringest the dead out of the living" (3/27

"He causes the living to issue from the dead. And He is the One to cause the dead to issue from the living" (6/95)

"And who is it that brings the living from the dead and the dead from the living" (10/31)

"He is the One Who brings out the living from the dead, and brings out the dead from the living" (30/19)

"That sends down (from time to time) rain from the sky in due measure" (43/21)

"But We only send down thereof in due and ascertainable measure" (15/21)

"And produced therein all kinds of things in due balance" (15/19)

2 — Life cycles :

All creatures, whether animal, plant or solid are linked together in common cycles of change. Atoms and molecules are incessantly exchanged between the lifeless solids and live plants and/or animals. Examples are :

i - Decomposition and regeneration of human and animal cells.

ii - The carbon cycle between plant or animal cells and carbon dioxide of the atmosphere.

iii - The nitrogen cycle, involving live cells, atmospheric nitrogen and soil fertilizers.

The presence of these cycles is explicitly summed up in the verses :

"... He knoweth whatever there is on the earth and in the sea. Not a leaf doth fall but with His knowledge ..." (6/59).

"... Nor is hidden from Allah (so much as) the weight of an atom on the earth or in heaven. (10/61)

"The Holy Quraan, English translation of the meanings and commentary", King Fahd Holy Quraan Printing Complex.

That particular work was based on a thorough revision of a well-known much earlier interpretation:

"The Glorious Quraan, Translation and commentary", Abdalla Yousuf Ali, Dar ul-Fikr.

It is stressed here that it is almost impossible to translate the original Arabic text, such as to precisely convey the Arabic meaning. Hence, whenever necessary, some English terms have been replaced with appropriately more precise terms; and shown in ***Italic.*** For this purpose, the following references were also consulted:

"The Glorious Quraan", M. Pickthall, Taj Co., Karachi.

"The Quraan Interpreted", A.J. Arberry, Oxford Univ. Press.

"(Translation) of the Glorious Quraan", Ahmad Zidan and Dina Zidan.

"Arabic-English Dictionary: The Hans-Wehr dictionary of Modern Arabic", J.M. Cowan (Editor), Spoken Language Services.

References to Quraanic verses are shown between brackets as: Surah (chapter) number / verse number.

1 — The laws of science :

Everything in the universe follows strict scientific laws and conforms to delicate equilibria, leaving no room for chance or haphazardness. That is the very essence of modern science. The Quraan repeatedly stresses these concepts :

"Verily, all things have We created in proportion and measure" (54/49)

"He is the One Who created all things, and ordered them in due proportions" (25/2)

"The sun and the moon follow courses (exactly) computed" (55/5)

"And the Heaven has He raised high, and He has set up the Balance..." (55/7)

WHY ISLAM ?
Proofs of Modern Science
Part I

By Nabil Abdel-Salam Haroun

INTRODUCTION

Why should an intellectual embrace Islam? We shall try to prove herein that the truth and perfection of the Quraan, revealed between the years 611 and 632 A.C., could not have possibly been the work of Muhammad the Prophet of Islam (peace be upon him), nor of any human being in history. It could only have been an outside revelation to Muhammad from a most knowledgeable super - natural source. The role of the Prophet did not exceed that of an honest Messenger, as well as a human model for all mankind...

Our approach will be both scientific and historical. We shall repeatedly underline certain verses of the Quraan that have stated or pointed to some modern scientific facts and concepts, in unequivocally precise terms. Such facts and concepts were beyond the reach of human knowledge at the time of revelation and for centuries thereafter. This establishes beyond doubt that the source of Quraan is: Superior to mankind, Absolutely Knowledgeable, and True. Such perfection can only be possessed by the Creator of this infinite universe, the One God (in Arabic) "Allah", Praise be upon Him:

"Do they not ponder on the Quraan? Had it not been from other than Allah, they would surely found therein much discrepancy" (4/82)

Here are several pieces of evidence, each of which could prove the scientific truth of the text of the Quraan. The work is an English translation of :

"Moujaz ul-Borhan Ala Sedq Tanzeel ul-Quraan", Dar un-Nashr lel-Jameaat al-Masreyyah, 1995.

Citations from the Glorious Quraan have been quoted mainly from the recent English interpretation.

AL-AZHAR MAGAZINE

ENGLISH SECTION

Shaw'wal 1416 Hijrah,

Vol. 68 part X



الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah :
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Depf . of English Language and Translation
Al. - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهرس



الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فاضل خفاجة

المراسلات باسم رئيس التحرير - الإدارة العامة بالقاهرة

ت ٥٩٠٥٤٧٣ - ٥٩٠٦٢٣٨٥٩٩

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

الأئمة العباقرة

هؤلاء الأئمة الكبار : مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد ، وتلاميذهم ، هل كان بينهم حدود تفصل علمهم أو مجالسهم بعضهم عن بعض ، فيتقوقع بها علمُ كل منهم في كَنَف يخصه وتلاميذه فقط ؟.. أم كانوا حلقة مفرغة يأخذ بعضها ببعض فلا تدرى أين طرفاها ..؟

مع هؤلاء الأئمة ونوابغ تلاميذهم تعرف الإجابة ..!

هذا هو الإمام أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن حبتة تلميذ الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، وسليل الصحابي الجليل « سعد بن حبتة » الذى شارك في مطلع شبابه في غزوات رسول الله ﷺ فمسح رأسه ودعا له قائلا : « أسعد الله جدك » .

إلى هذا الإمام النابغة جلس الإمام أحمد بن حنبل ـ وهو ـ بعد ـ في نحو الخامسة عشرة من عمره ـ ليتلقى دروساً في الحديث الشريف والفقه ، وكان ذلك في السنوات الأخيرة من عمر الإمام أبي يوسف الذى مات عام ثلاثة وثمانين ومائة ، وعمر الإمام أحمد حينئذ نحوٌ من تسعة عشر عاماً .. وإلى هذا الإمام يعود دفعُ الرأى إلى الحديث ، وعنه يقول « يحيى بن معين » أستاذ الجرح والتعديل : « أبو يوسف صاحب حديث .. وصاحب فقه .. ليس في أصحاب الرأى أكثر حديثاً ، ولا أثبت من أبي يوسف » .

وإلى « أسد بن الفرات » جلس أبو يوسف هذا الإمام الحنفي ليتلقى عنه (موطأ مالك) الذى تلقاه أسد من مالك مباشرة .

فأما الإمام أحمد فيقول عن أستاذه أبي يوسف :

« أوّل من كتبت الحديث عنه أبو يوسف » .

أما أبو حنيفة ـ رضى الله عنه ـ فقد مات قبل ولادة الإمام أحمد ، إذ كانت وفاته عام خمسين ومائة ، وولد أحمد ببغداد عام أربعة وستين ومائة من الهجرة .

ولا ندرى : هل كان صغر الإمام أحمد ، أم ضيق النفقة مانعاً له عن لُقيا الإمام مالك ـ رضى الله عنهما ..؟ بينما كان ثَرِيّةً في التلمذة على أبي يوسف ، من بعد أبي حنيفة « الإمام محمد بن الحسن الشيبانى » ـ أوفر حظاً وأوسع مالا فتمكن من الرحيل إلى الإمام مالك ، ولازمه ثلاث سنين وبعض سنة ، فروى الحديث عنه ، وَدَوَّنَ الموطأ ، وحَدَّث به كما جاء في « الجواهر المضيئة » . وقد طبع هذا الموطأ برواية الشيبانى في الهند ، ثم طبعته وزارة الأوقاف المصرية بتحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف من أساتذة الأزهر .

وكانت مجالس هذه التلمذة بمسجد رسول الله ﷺ وللشيبانى هذا الإمام الحنفي الكبير أثر مُسَلَّم في فقه المذاهب جميعاً ، وعنه أخذ الإمام أسد بن الفرات معالم كثيرة من الأسئلة التى كانت عماد ابن الفرات في تدوينه « المدونة » لمالك ـــ رضى الله عنهم أجمعين .

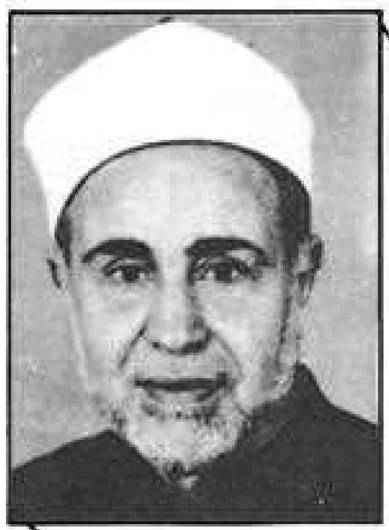
على أن الدائرة كانت وثيقة الالتحام ؛ فإن الشافعي ـ رضي الله ـ تعالى ـ عنه ـ كان تلميذاً لمالك وأستاذاً لأحمد ؛ فبلغ أحمد بهذه التلمذة صميم فكر مالك كما يقول أستاذنا المستشار عبدالحليم الجندى .

ذلك أن الإمام الشافعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ ارتحل إلى الإمام مالك ، وسنه ثلاثة عشر عاما ، وذلك نحو عام ثلاثة وستين ومائة (١٦٣) ، وقد أعد نفسه إعداداً تاماً للتلمذة إذ حفظ الموطأ كله قبل قدومه عليه ، فجلس إلى مالك دارساً راغباً فقيهاً مستوعباً ، وأعجب به مالك ـ رحمه الله ـ يقول ابن فرحون : « وكان مالك يثني على فهمه وحفظه ، ووصله بهدية جزيلة لما رحل عنه » وأما الشافعي فيقول : « مالك معلمي وأستاذى ومنه تعلمنا العلم ، وما أحدٌ أمنّ عليَّ من مالك ، وجعلت مالكاً حجة فيما بيني وبين الله ـ تعالى ـ » وأشار الشافعي إلى دقة مالك في الأخذ بحديث رسول الله ﷺ فقال : « كان مالك إذا شك في الحديث طرحه كله » .

كذلك تزود الشافعي من فقه محمد بن الحسن الشيباني ؛ فكتبه من أهم ما قرأ الشافعي ، فكانت ـ بالتالي ـ زاداً لأحمد ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ لاسيما ما كان من الشيباني في تزويد أسد بن الفرات من أسئلة كان لها رصيدها الضخم في « المدونة » . وسئل أحمد يوماً : من أين لك هذه المسائل الدقاق ؟ فأجاب : من كتب محمد بن الحسن .

أولئك أئمتنا الذين علمونا أن نبسط أذهاننا ونحترم آراء الآخرين معتقدين : أن صوابنا يمكن أن يناله الخطأ ، وخطأ غيرنا يمكن أن يأتيه الصواب .

د. علي أحمد الخطيب



الإمام الأكبر

فضيلة الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوى

تهنئة وشكر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ومن والاه .

وبعد :

فيسعدنى ويسعد جميع العاملين بالأزهر الشريف ، أن نتقدم بخالص التهنئة إلى الشعب المصرى الكريم وإلى المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بمناسبة عيد الأضحى المبارك ، داعيا المولى - عز وجل - أن يرزق الجميع نعمة الصحة والعافية ، وأن يعيد علينا جميعا أمثال هذه الأيام باليمن والإيمان والسلامة والإسلام.

وكل عام وأنتم بخير

شيخ الأزهر الشريف

(دكتور/ محمد سيد طنطاوى)

تعريف
بفضيلة الإمام الأكبر
الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

١ ـ ولد فضيلته بقرية (سُلّيم) الشرقية ـ مركز طما ـ محافظة سوهاج ـ فى ٢٨ من أكتوبر سنة ١٩٢٨م .

٢ ـ تلقى تعليمه الأساسى بقريته ، وبعد أن حفظ القرآن الكريم ، التحق بمعهد الإسكندرية الدينى سنة ١٩٤٤ ، وبعد انتهاء دراسته الثانوية ، التحق بكلية أصول الدين ، وتخرج فيها سنة ١٩٥٨ ، ثم حصل على (العالمية درجة تخصص التدريس) سنة ١٩٥٩ ، ثم على الدكتوراه فى التفسير والحديث بتقدير ممتاز فى ١٩٦٦/٩/٥ .

٣ ـ عين فضيلته مدرساً بكلية أصول الدين سنة ١٩٦٨ ، ثم عميداً لكلية أصول الدين بأسيوط سنة ١٩٧٦ ، ثم عميداً لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين سنة ١٩٨٥ ، ثم مفتياً لجمهورية مصر العربية فى ١٩٨٦/١٠/٢٨ .

٤ ـ أعير خلال عمله بجامعة الأزهر إلى الجامعة الإسلامية بليبيا من سنة ١٩٧٢ إلى ١٩٧٦ ، ثم رئيساً لقسم التفسير بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من سنة ١٩٨٠ إلى سنة ١٩٨٤م .

من مؤلفاته

١ ـ « التفسير الوسيط للقرآن الكريم » :

فى خمسة عشر مجلدا ، طبع عدة طبعات آخرها طبعة دار المعارف سنة ١٩٩٣ .

كتبه فضيلته فى بضعة عشر عاما . وقد بذل فيه أقصى جهده ، ليكون تفسيراً محرراً من الأقوال الضعيفة ، والشبه الباطلة ، والمعانى السقيمة ، والآراء التى لا سند لها من النقل الصحيح ، أو العقل السليم ، وقد كان منهجه فيه :

البدء بشرح الألفاظ القرآنية شرحاً لغوياً مناسباً ، ثم بيان سبب النزول ـ إن وجد وكان مقبولا ـ ثم ذكر المعنى الإجمالى للآية أو الآيات ، ثم تفصيل ما اشتملت عليه الآية أو الآيات ، من وجوه بلاغية ، ومن أحكام شرعية ، ومن آداب سامية ، وعظات بليغة ، وتوجيهات حكيمة ، مدعما كل ذلك بالآيات الأخرى ، وبالأحاديث النبوية الشريفة ، وبأقوال المحققين من علماء السلف والخلف .

٢ ـ « **بنو إسرائيل فى القرآن والسنة** » ويقع فى مجلدين ، طبع ـ أيضاً ـ عدة طبعات .

وقد تناول فضيلته فى المجلد الأول منه : تاريخ بنى إسرائيل فى مختلف عصورهم ، ثم تحدث عن منهاج القرآن فى دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام ومظاهر إنصافه لهم ، ثم عن مسالك اليهود فى العهد النبوى لكيد الإسلام والمسلمين . ثم عن لقاء السيف بينهم وبين المسلمين ثم عن نعم الله ـ تعالى ـ عليهم وموقفهم الجحودى من هذه النعم .

وفى المجلد الثانى تحدث فضيلته عن : رذائلهم كما صورها القرآن الكريم . ثم عن دعاويهم الباطلة وكيف رد القرآن عليها . ثم عن وعيد الله ـ تعالى ـ وعقوباته لهم ، ثم عن فلسطين ومراحل الغزو الصهيونى لها .

٣ ـ « **معاملات البنوك وأحكامها الشرعية** » وقد طبع هذا الكتاب حتى الآن ثلاث عشرة طبعة ، تحدث فضيلته عن : الشريعة الإسلامية ـ خصائصها ـ مصادرها ـ ثم تحدث فى الفصل الثانى عن : المعاملات فى الإسلام ـ أسسها ـ آدابها ـ أنواعها ـ حاجة الناس . ثم تحدث فى الفصل الثالث عن : الربا ـ ومنهج الإسلام فى تحريمه ، واختلاف العلماء فى الربا المحرم شرعا ـ وأقوالهم فى ربا الجاهلية ـ ونماذج للربا المحرم شرعا . وفى الفصل الرابع تحدث بالتفصيل عن : القروض ـ الديون ـ الودائع ـ الاستثمار .

ثم ساق فى الفصلين الخامس والسادس أمثلة وتطبيقات للمعاملات الحلال وللمعاملات الحرام ، ثم ذكر فضيلته بالتفصيل فى الفصل السابع الحكم الشرعى للتعامل فى :

١ ـ شهادات الاستثمار
٢ ـ البنوك العقارية
٣ ـ سندات التنمية الإدارية
٤ ـ أذون الخزانة
٥ ـ صناديق التوفير

وقد أيد فضيلته ما رآه راجحاً من أقوال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وبأقوال المحققين من العلماء السابقين واللاحقين .

٤ ـ « **الدعاء** » وهو كتاب طبع أكثر من عشر طبعات ، تناول فيها فضيلته معنى : الدعاء ـ آدابه ـ فضله ـ حديث القرآن عنه ـ شروطه ـ فوائده ـ الدعاء والقضاء والقدر ـ نماذج من الدعاء المستجاب ـ جوامع الدعاء من القرآن والسنة ـ أدعية مأثورة فى أحوال مختلفة ـ خاتمة ورجاء .

٥ ـ « **السرايا الحربية فى العهد النبوى** » وهو كتاب اهتم فيه فضيلته ببيان معنى السرية والغزوة ـ وعدد الغزوات ـ والسرايا ـ وأهداف السرايا ـ وسرايا السنوات الأولى والثانية والثالثة والرابعة والسادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة بعد الهجرة . وقد حقق فضيلته الأقوال فى عدد الغزوات والسرايا وأسبابها وأهدافها .

٦ ـ « **القصة فى القرآن الكريم** » وقد صدر منه حتى الآن كتابان : أولهما عن قصة آدم ونوح ـ عليهما السلام ـ وثانيهما عن قصة : هود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ـ عليهم السلام ـ وعما قريب سيصدر لفضيلته تباعاً قصص بقية الأنبياء ، وقصص غيرهم ممن تحدث القرآن الكريم عنهم .

هذا ، ولفضيلته سوى هذه المؤلفات كثير من البحوث والمقالات التى شارك بها فى المؤتمرات العلمية المتعددة ، وفى المجلات العلمية المتخصصة . ومن الله ـ تعالى ـ وحده نستمد الهداية والسداد فى القول والعمل .



جلسة الوفاء

إعداد الأستاذ
مصطفى عبدالمجيد عبدالفتاح

في هذا اليوم من صباح الخميس التاسع من ذى القعدة ١٤١٦ هـ الموافق للثامن والعشرين من مارس ١٩٩٦م . وقبل أن يخطو فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر خطاه ليلتقى بأعضاء مجمع البحوث الإسلامية ، توجه في هذا اليوم إلى الجامع الأزهر ليؤدى فيه ركعتين اعتاد أن يصليهما كبار علماء الأزهر في مواقف مشهودة .

ثم التقى ـ بعد ـ بأعضاء مجمع البحوث حيث كان للأعضاء الموقرين جلسة خاصة لتأبين فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ رحمه الله ـ تعالى .

ونقدم هنا من كلمات هذا التأبين ما نرجو أن تتسع له صفحات المجلة حفظا على محتواها من المواقف التى تحفظ للعلماء العاملين خلاصة طيبة لما أدوه من جلائل الأعمال التى نرجو الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن ينفع بها المسلمين كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ليأتى بأعظم الثمار بركة ورزقا :

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف

الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى

فى جلسة مجمع البحوث الإسلامية لتأبين فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين ، وبعد

فنسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى هذه الأيام المباركة أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه ، وأن يجعل أقوالنا وأعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يجعل أخوتنا دائمة وباقية وفى خدمة ديننا وفى خدمة أوطاننا .

إن الإنسان منا عندما يفارق من يحبهم يشعر بالحزن العميق وبالتأثر البالغ ، لأن النفس الإنسانية من طبيعتها أنها تتأثر بفراق من تحبه .

ولنا فى سيدنا رسول الله ﷺ القدوة الحسنة ، فقد تأثر ﷺ لفقد زوجه السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ وتأثر لفقد ابنه إبراهيم وقال حديثه المشهور : « إن العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، ولكن لا نقول إلا ما يرضى الرب ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون »

وتأثر ﷺ لفقد عمه حمزة ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ ونظر إلى جبل أحد ، وقال : « يا جبل ، لو كان بك بعض ما بى لهددت » (١)

وتأثر ﷺ لفقد عدد من أصحابه غدر بهم الغادرون ، فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يدعو على أولئك الغادرين .

ونحن عندما نجلس هذا المجلس الموقر نرى أن هذا المجلس قد خلا من شخص أستاذنا وشيخنا فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الأزهر تأثر كثيراً ونحزن كثيراً .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه .

لكننا كمسلمين وكعلماء نقرأ قرآننا ونطالع سنة نبينا ﷺ نشعر بأن هذا شأن الحياة ، وكما يقول سيدنا رسول الله ﷺ : « عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزى به »[1] .

والقرآن الكريم قد أكد هذه الحقيقة فى آيات متعددة لعل من أوضحها تلك الآيات الكريمة التى فى سورة آل عمران ، والتى نزلت فى أعقاب غزوة أحد بعد أن أشاع المشركون أن النبى ﷺ قد قتل ، وحزن من حزن من الصحابة ، واضطرب من اضطرب منهم ، لكن القرآن الكريم

أراد أن يغرس فى نفوس أتباعه ــ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ــ أن كل موجود ــ سوى الخالق ــ عز وجل ــ مهما طال عمره ، ومهما طالت حياته ــ فإلى زوال وإلى موت وإلى نهاية :

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[2] . ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[3]

أيضاً مما يعزى نفوسنا أن شيخنا وإمامنا ــ رحمه الله وطيب ثراه ــ فضيلة الأستاذ الشيخ جاد الحق على جاد الحق ــ قد أدى رسالته ... أداها بشرف ، وأداها بأمانة ، وأداها بنظافة يد ، وأداها بالكلمة الطيبة ، وأداها بالشعور بالمسئولية التى هى أمانة فى أعناقنا .

أداها بكل ما تحمله كل هذه الكلمة من معان سامية ، ومن مقاصد كريمة أداها بعفاف .. أداها بطهارة ... أداها بنظافة لسان ... أداها بعقل راجح ... أداها بعزيمة صادقة وهمة عالية .

أداها بثبات على مبدئه ، وهى مبادىء ــ والحمد لله ــ مبادىء قويمة ، مبادىء رشيدة ، مبادىء سامية ، مستمدة من كتاب الله ــ سبحانه وتعالى ــ ومن سنة سيدنا رسول الله ﷺ .

وسيدنا رسول الله ﷺ هو القائل : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »[4] .

وقد اجتمعت هذه الأمور الثلاثة فى شيخنا ــ رحمه الله وطيب ثراه ــ اجتمعت هذه الأمور الثلاثة فى شخص فضيلته ، فقد كان سخياً بماله ينفق منه على المحتاجين فى السر أكثر مما ينفق فى العلن ، وأنا شخصياً قد صحبت فضيلته فى بعض الأسفار ، ورأيت بعينى كيف كان ــ رحمه الله ــ يبذل الكثير من ماله فى السر قبل العلن ، وكانت دائماً مواقفه مواقف تشرف الأزهر : فى عفافه ، وفى نقائه ، وفى طهارة يده ، فالصدقة الجارية ــ والحمد لله ــ تحققت فى فضيلته ، كذلك العلم الذى ننتفع به : لقد ترك علماً نافعاً فى مؤلفاته ، وفى كتبه ، وفى بحوثه ، وفى

(١) ذكره القرطبى فى التذكرة ، وانظر كشف الخفا (٢ /٧٨) ، والفوائد المجموعة (٢٥٧) ، واللآلىء المصنوعة (١٦/٢) .

(٢) الزمر : ٣٠ .

(٣) الرحمن : ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) رواه الترمذى ومسلم والبيهقى .

ندواته ، وفى دروسه ، وفيما كان يكتبه فى المجلات وفى الصحف وفى وسائل الإعلام ، وفيما كان يلقيه من أحاديث فى الإذاعات المرئية والمسموعة ؛ فالعلم الذى ينتفع به قد تحقق ـ والحمد لله ـ فى شيخنا ، فقد ترك ثروة علمية رصينة من البحوث ، ومن المؤلفات ، ومن المحاضرات ، ومن الندوات .

أما الذرية الصالحة بالنسبة لفضيلته فقد ترك ثلاثة من الأبناء البررة الذين ما عرفنا عنهم إلا كل خير ، وما سمعنا عنهم إلا كل خير ، لذا فنحن فى هذا المجلس الموقر عندما نؤبن أستاذنا وشيخنا إنما نؤبنه بقلوبنا قبل أن نؤبنه بألسنتنا .

وإننا عندما نتحدث عن فضيلته نتحدث بلغة الإيمان الصادق ، وبلغة الإخاء الخالص لوجه الله ـ عز وجل ـ وبلغة المحبة التى ربطت بين قلوبنا جميعا ، والتى علمنا إياها ديننا الذى جعل من صفات أهل الجنة أن نزع الله ـ سبحانه وتعالى ـ من قلوبهم الغل : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾(٥)

إننا نتضرع إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى هذا المجلس الموقر الذى انعقد على طاعة الله وعلى سنة دينه ، نتضرع إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يتغمد فقيدنا ؛ بل وفقيد الأمة الإسلامية جمعاء ، أن يتغمده برحمته ، وندعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ فنقول : اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله ، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وألحقنا به فى زمرة عبادك الصالحين ، واجعلنا ممن يسير على درب الصالحين ، واجعلنا ممن يقولون فيخلصون ، ويخلصون فيقبلون .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(٥) سورة الأعراف : آية ٤٣ .



فضيلة الشيخ سيد مسعود وكيل الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

كان من المقرر أن تكون هذه الجلسة خاصة بتأبين فضيلة مولانا الإمام الراحل شيخ الأزهر ، ولكن شاء الله ـ سبحانه وتعالى ـ ألا يحرمنا مقعده ، وألا يحرمنا جهد العلماء ، فشرف السيد رئيس الجمهورية السيد الإمام الأكبر الدكتور/محمد سيد طنطاوى بمشيخة الأزهر ، وهو شرف لكل عالم أن يتبوأ هذا المنصب ، إذ هو أمانة كبرى نرجو من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يعينه عليها ، وأن يسير على درب العلماء ، وأن يكون مع إخوانه أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ـ وهم أفاضل علماء مصر ، والحمد لله ـ أن يكونوا فى طريق واحد ، وعلى درب واحد ، درب الهدى والحق والصراط المستقيم ـ إن شاء الله ..

نرجو له كل توفيق ، وأن يمنحه الله ـ سبحانه وتعالى ـ القدرة على مواجهة الباطل ، وعلى الادعاءات الباطلة التى يُحارب بها المسلمون والأمة المسلمة فى كل بقاع العالم .

وفضيلة مولانا الإمام الراحل أعماله ومواقفه الخالدة لن تنسى مدى التاريخ ؛ فهو أول من أدرك خطورة وضع المسلمين فى الاتحاد السوفيتى عند تفككه ، وأرسل أول وفد إلى بلاد روسيا ليروا إخوانهم المسلمين هناك ، وكان وفداً مكوناً من عشرة علماء ، وتشرفت بأن كنت واحداً منهم .

وقمنا بالتنقل بين الجمهوريات الإسلامية ، ورأينا بأعيننا ما عليه المسلمون من ذل وضعف ومهانة ، ورفعنا تقاريرنا هذه التى لم يتوصل إليها أحد بعد ذلك من جميع الوفود إلى فضيلة الإمام الأكبر .

وفضيلته ـ طيب الله ثراه ـ أرسله إلى رئاسة الجمهورية .

فمواقفه من قضية الشيشان لا يماريه فيها أحد ، ومواقفه من مؤتمر السكان ، كان دائماً مع إخوانه أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ، وكلفهم جميعاً بأن يأخذوا ويتدارسوا ، وكان لهم صوت مسموع فى هذا المؤتمر فغيروا وجه التاريخ فيه ، وأظهروا وجه مصر الحضارى والإسلامى .

نحن لا نستطيع أن نعدد مآثره وقدرته على مواجهة الباطل مهما كان ، وقوله الحق مهما كلفه .

كل هذا كان واضحاً فيه نرجو من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يثيبه على ما قدمه ونرجو منه ـ سبحانه وتعالى ـ أن يعيننا على أن نسير على هذا الدرب .. وفقكم الله وسدد خطاكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق

وزير الأوقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .. وبعد :

فنحن نجتمع اليوم فى هذه الجلسة المخصصة لتأبين فضيلة الإمام الراحل **الشيخ/جاد الحق على جاد الحق** ، وهى جلسة الوفاء ولقاء الإخلاص لنتذكر مآثر هذا الإمام الجليل الذى رحل عنا منذ أيام ، والواقع أنه لا يختلف أحد على ما كان لفضيلة الإمام الراحل من مآثر عظيمة وجوانب متعددة نذكرها له بالخير .

وهو فى جانبه الإنسانى كان كل من يقترب منه ، ويتعامل معه يخصه الإمام الراحل بالود والمحبة والإخاء لدرجة أنه ربما اعتقد أنه هو المفضل عنده ، ولكنها كانت قاعدة عامة يتعامل من خلالها الإمام الراحل مع كل الناس .

وأما جانبه الإدارى فكان إداريا من الطراز الأول كما نعرفه جميعاً . يعرف كل صغيرة وكبيرة فى هذا الأزهر الشامخ فى كل مكان من أنحاء مصر .

أما الجانب العلمى والمواقف فهذه أيضاً يمكن أن يتحدث فيها المرء كثيراً ولكنى بطبيعة الحال لن أخوض فى ذلك .

إننا إذ نتحدث اليوم عن مآثر فضيلة الإمام الراحل شيخ الأزهر الشيخ/جاد الحق على جاد الحق ــ فإننا نرحب فى نفس الوقت وباغتباط وسرور أن وفق الله ــ سبحانه وتعالى ــ السيد رئيس الجمهورية لاختيار فضيلة الإمام الأكبر الجليل الدكتور/محمد سيد طنطاوى ــ وهو زميل عزيز

وعالم جليل ، له رصيد علمي كبير نذكر منه فى هذا الصدد أنه صاحب تفسير كامل للقرآن الكريم فى خمسة عشر مجلدا بالإضافة إلى مؤلفاته العديدة الأخرى وأبحاثه ومقالاته ومحاضراته وندواته فالرجل غنى عن التعريف .

تبقى كلمة أخيرة عن الأزهر كمؤسسة ، الأزهر له رصيد ضخم وتاريخ طويل حافل .. وسنة الحياة أن الإنسان ــ مهما عاش فى هذه الحياة ، فإنه سوف يرحل ... وتبقى المؤسسة ، وهى الأزهر الشامخ الذى نعتز به ...

ومن هنا فإننى أشير إلى ضخامة المسئولية وجسامة التبعة الملقاة الآن على فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى ...

نحن على ثقة تامة من أن فضيلة الإمام الأكبر الشيخ/محمد سيد طنطاوى ــ سيقوم بهذه المهمة خير قيام ، ولكن هذا المجمع الموقر هو سنده ، وهو الذى يدعمه وهو قوته الذى يستمد منها المدد إن شاء الله ، بعد أن يستمد المدد من الله ــ سبحانه وتعالى ــ وسنكون جميعاً يداً واحدة نتعاون معا على الخير فى سبيل رفعة الإسلام والمسلمين حتى نعيد لهذا الأزهر أمجاده ، وحتى يؤدى رسالته على خير وجه وأسأل الله الرحمة والرضوان لفضيلة الإمام الراحل الشيخ/جاد الحق على جاد الحق ــ ونسأل الله التوفيق والسداد لفضيلة الإمام الأكبر الجليل فضيلة الدكتور/محمد سيد طنطاوى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين : سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فقد كتب الله ـ تعالى ـ على البرية الزوال والفناء ، وتفرد وحده ـ سبحانه وتعالى ـ بالخلود والبقاء ، ووقت ـ جل شأنه ـ بكل نفس ميقات أجل لا تستأخر عنه ساعة ولا تستقدم عنه أخرى ، ونعى إلينا أشرف خلق الله ، وأطهر من مشى على الأرض ، وهو سيدنا رسول الله ﷺ حين قال ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1] ، ومن هذا المنطلق نترحم على شيخنا الجليل وإمامنا النبيل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر **جاد الحق على جاد الحق** رحمه الله رحمة واسعة .

وكم يستطيع الإنسان أن يتحدث عن هذه الشخصية العالمية التى حملت نور العلم والإسلام فى قلبها قبل أن تتحدث عنه بلسانها ، وسطرتها بخطاها الطاهرة المبرورة قبل أن تسطره كلاما فى كتب فكان حركة وموقفا .

ولنا معه ذكريات تجل عن النظير ليس المقام الآن يسمح بسردها ، ولكن حسبنا أن نذكر من تواضعه الجم كيف كان يتلقى الإنسان خارجاً من مكتبه متهللا مستبشراً بقدومه فى تواضع العلماء وشموخ العظماء .

وكيف كان فى علمه فى روية وأناة رغم أنه الإمام الأكبر ، ولكنه لا يرى فى نفسه استعلاء أن يسأل أحد زملائه ، أو أحد أبنائه ، وهو بهذا يستعيد لنا مجد سلفنا القدماء حين قال : لا يمهل الرجل حتى يأخذ العلم عما هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه ، وكم كانت له مواقفه التى تجل عن النظر ، والتى كلفنى أنا شخصياً بها والأستاذ الدكتور/مصطفى الشكعة يوم أن كنا فى مؤتمر السكان ، وحملنا عبء القضايا نناقع عنها بجسارة واقتدار وبروية وأناة حتى كان الحق الذى شاء الله ـ تعالى ـ له أن ينتصر ، وكم كانت له مواقف كثيرة فى مجالات متعددة ، وفى أسفار كثيرة أسهمنا فيها ، فى ندوات علمية لتوضيح رسالة الإسلام ورسالة الأزهر الشريف ، نذكر كل هذا بكل تقدير وإكبار فى هذا اليوم العظيم ، نذكر بالوفاء هذه الشخصية العظيمة ، ونذكر أسلافها الشوامخ الذين أسلم كل واحد منهم الراية لمن بعده منذ أول واحد فيهم إلى فضيلة الشيخ جاد الحق .

(١) الزمر : ٣٠ .

يُسلم كل واحد منهم الراية لمن يأتى من بعده ، وكأنى بهم ولا أمثلهم بالأنبياء فقد قال سيدنا المصطفى ﷺ : « العلماء ورثة الأنبياء »[1] .

نذكر بكل تقدير أن الأزهر إرادة إلـٰهية لا يمكن أن ينطفىء له نور ، ولا يمكن أن تخمد له حركة لأنه إرادة إلـٰهية ، وكما أن الكعبة فى أم القرى قبلة الصلاة فالأزهر فى كنانة الله فى أرضه مصر القبلة العلمية للعالم الإسلامى ، وللبيت رب يحميه ، فما أن ودعنا هذا العالم الشامخ العظيم إلا وأرادت الحكمة الإلـٰهية لنا بواحد من خيرة الرواد هو فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فضيلة الدكتور/محمد سيد طنطاوى الذى قدمه إلى هذا المجمع رصيده من السلوك القويم والخلق العظيم والأدب العام والذوق الرفيع والتواضع الجم الذى لا يختلف عليه اثنان فى عالم الحياة ممن يعرفونه ، يقدم على نفسه حتى من يصغره سنا وعلما ومكانة ، وهذا تواضع العلماء نموذج فريد شاءت الإرادة الإلـٰهية أن يكون .

يبعث فى القلوب الأمل ويجدد فى نفوسنا انطلاقة إلى الإمام قدمه لنا رصيد من السلوك قبل العلم ، ورصيد من الخلق قبل المؤلفات ، أما مؤلفاته ، أما رصيده العلمى ، أما تفسيره للقرآن الكريم بأجمعه فى مجلداته الضخمة أما ندواته وأحاديثه فى وسائل الإعلام ، أما موقفه لخدمة الإسلام فتحدث عن ذلك ولا حرج ، لأن الرجل اقتحم أعقد المشاكل فى عصره واقتحم كثيراً من قضايا العصر .

وشاء الله أن يكون واحدا من المجددين ومن المجتهدين ، وهو إذ يجلس هذه الجلسة اليوم نعتبر أن الله تعالى قد استجاب دعاءنا حين دعوناه ، وحين قلنا : اللهم إنا نحتسب عندك إمامنا الجليل الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، وعوضنا من يسد الفراغ فعوضنا الله تعالى من يقف ليسد الفراغ وليقود قافلة التنوير والدعوة والإسلام ورسالة الأزهر على أكمل وجه .

وواجبنا أن نكون يداً واحدة وهو أمر طبيعى وكائن والحمد لله ، وواجبنا كذلك أن ننهض وأن نضاعف الجهد خاصة أن المرحلة التى تعيشها أمتنا الإسلامية الآن مرحلة تواجه تحديات كثيرة فى الداخل وفى الخارج ، تستوجب علينا مضاعفة الجهد فيما نبذل وفيما نقول ونحن والحمد لله جميعاً نخلص لله وحده لا شريك له ، رائدنا فى ذلك الإخلاص ، رائدنا فى ذلك حب الله وحده وحب سيدنا رسول الله ﷺ وحب عقيدتنا وديننا وحب أزهرنا الشريف الذى له تاريخه المجيد والذى له عظمته ومرجعيته .. فسلام الله عليك يا إمامنا الراحل مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ووفقك الله ــ يا إمامنا ــ فضيلة الإمام الأكبر ، فضيلة الدكتور/محمد سيد طنطاوى إلى قيادة القافلة إلى ما فيه خير أمتنا وديننا والله من وراء القصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) رواه البخارى فى التاريخ ، والبيهقى فى السنن الكبرى .

كلمة فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود

رئيس جامعة الأزهر الأسبق

بسم الله الرحمن الرحيم

شكرا لفضيلة الإمام الأكبر ، وأجد نفسى مضطرا للإيجاز لأن الأسرة الكريمة تريد أن تتحدث كلها .

وأولا أبدأ بالدعاء لك يا إمام بالتوفيق فيما أنت بصدده ، وخاصة فيما يخص مجمع البحوث الإسلامية الذى ينتظر العالم الإسلام منه كلمته فى شئون الحياة ، وإذا كان تداولنا لهذه الأمور فيما سبق ، فإنى أرجو أن يستمر ، وأن يزداد ، وأن يكون توجهنا إلى مستجدات الأمور ، ومستجدات الحياة لنقدم واجبنا نحو الإفتاء فيها ، وتنوير الناس بالأساس الإسلامى لما يدور فى المجتمع ، ولا أقصد المجتمع المصرى فحسب ، ولكن أقصد المجتمع الإسلامى وهو واسع ، وهو يريد منا الكلمة التى تؤكد العقيدة الإسلامية فى قلوب الناس وفى قلوب الحكام أيضاً ، وفى قلوب من بيدهم الأمر ، وخاصة نحن نواجه حملة شرسة من الذين لا يقتنعون بالإسلام ، ولا أريد أن أسميهم بأسمائهم فأنتم أعلم بهم ربما أكثر منى .

حديث موجز فى أمور عرفتها عن الفقيد الراحل ـ طيب الله ثراه ـ ربما لم يعرفها غيرى أو ربما عرفها أقل القليل .

أول ما استقبلته وكنت وكيلا للأزهر سار فضيلته على سنة السلف الصالح فذهب إلى الجامع الأزهر ليؤدى صلاة شكر ، وقد فرحت فرحا شديدا عندما علمت أن فضيلتكم صنعتم هذا الصنيع فعل سنة أسلافنا الصالحين كان فضيلة مولانا الشيخ/جاد الحق على جاد الحق ـ وعلى هذه السنة كنتم خير خلف لخير سلف .

فى ذلك الوقت أيضاً كنت أمارس إلى جانب الوظيفة أمانة الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر الشريف ، وكانت هناك هيئة اختصتنى أن أدير الأمر كله من الناحية الإعلامية والناحية الثقافية

والناحية الجماهيرية للاحتفال اللائق بمكانة الأزهر الشريف بوصوله إلى سن الألف ، وكانت قد فاتت الألف بقليل فعرضت عليه وهو رئيس هذه الهيئة المؤقتة فى هذا الوقت فلم يشأ ـ رحمه الله ـ إلا أن يدعونى إلى الاستمرار فى مهمتى دون ولاية منه ولا وصاية ، ولكنى كنت دائماً أعرض عليه ما يستجد من الأمور ، وانتهى الاحتفال بخير ، والحمد لله .

وكان معنا مال نتصرف فيه أيضاً فأعددت قائمة بتوزيع المال المتبقى كمكافأة لمن عاونوه ، وتعفف هو عن أن يأخذ منه شيئاً ورده ، وحتى أكون أميناً فإنه لم يصنع صنيعة إلا الفريق/يوسف صبرى أبو طالب ـ محافظ القاهرة فى ذلك الوقت ، وهذه شهادة لوجه الله .

أوقاف الأزهر :

أول ما عنى به فضيلة الإمام الراحل أوقاف الأزهر ، فكوّن وهو وزير للأوقاف مجموعة لتسجل أوقاف الأزهر التى لدى وزارة الأوقاف علمٌ بها ، فلما عين شيخاً للأزهر أنشأ مجموعة أخرى هنا فى مشيخة الأزهر ، تقوم بدورها بحصر هذه الأوقاف وبالتنسيق مع المجموعة الموجودة بوزارة الأوقاف .

وأوصى فضيلة وزير الأوقاف الذى أتى بعده ـ بارك الله فى عمره ـ بأن يرعى هذه المجموعة هناك ، وأن يكلفها بما كلف به فضيلة الإمام أيام كان وزيراً للأوقاف .

ثم ماذا ، كان ـ رحمه الله ـ مشيراً بالحق والصدق ونعم المشير وإخواننا جميعاً يعرفون توجيهاته التى تأتينا فى اللجان ، أو تأتينا كأشخاص ، منها الحرص على استدامة الوسطية الإسلامية للأزهر الشريف .

وكان يستشار فنعم المستشار أيضاً تنطق محاضر الجلسات فى مجمع البحوث الإسلامية وفى اجتماعات اللجان المتعددة بهذه الإشارات والتوجيهات السديدة الرشيدة .

أذكر شيئاً شخصياً جداً ، كنت فى ذلك الوقت بدأت فى تفسير القرآن الكريم وبدأت فى إذاعته فيما يسمى « على هامش التلاوة » فطلب منى أن يعرف مواعيد الإذاعة فإذا هو بعد أسبوع يقول لى ما قاله السابقون : أذع ثم أذع ثم أذع ، فرضيت نفساً وطبت قلباً بهذا التوجيه الذى أعتز به ، وهى شهادة منه لا أزال أذكرها له بالخير دون أن أتعرف إلى أسبابها ، ثم ثقته فى كثير من الأخوة الذين بعثهم إلى بلاد مختلفة فى أوربا وفى آسيا وفى أفريقيا نالنى منها توجيه و كان توجيهاً صعباً أن أذهب إلى نيجيريا لأصلح بين الطائفتين المتعاديتين فى الإسلام ، وأذكر بالخير توجيهه لى بما أعالج به الأمور هناك ، وكأنه كان معنا يعرف كل صغيرة وكبيرة بين هاتين الفئتين المسلمتين مما دفعنا إلى أن نضع دستوراً لهم يلتزم به الفريقان ، وتركنا لهم الوقت ليجعلوا هذا الدستور موضع التطبيق ، ثم وجهنا إلى أن نطمئن إلى تطبيقاتهم .

وبرعاية رئيس الجمهورية هناك ذهبت مرة ثانية للاطمئنان على أنهم ارتضوا الدستور وأنهم بدأوا فى تنفيذه ورجونا لهم التوفيق ومازلنا نرجو لهم التوفيق ، ولكن الفضل كل الفضل فيما تحقق كان من توجيه فضيلة الإمام الراحل .

أما تبادل الرأى كفرد لفرد فكان هذا كثيراً .

أسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يتغمده برحمته وأن يسكنه فسيح جناته وأن يجعله مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

أما أخى الكبير فضيلة الإمام الجديد الأستاذ الشيخ الدكتور/محمد سيد طنطاوى فقد دعوت له بالتوفيق قبل أن يختار ، وكانت عبارتى التى أعتز بها أرجو أن يوفق من يختار وأن يوفق من يُختار .

هذه سمعتها من ألوف ولا أقول ملايين فى لقاء مباشر وعبر الصحف أو عبر الهاتف أسأل الله لك يا فضيلة الإمام الأكبر أن توفق توفيقاً كبيراً فيما أنت بصدده ، وفيما حملت من مسئولية وإنها لمسئولية كبيرة خطيرة ، ولكن أنت لها وستجد من هذا المجمع الكريم كل معونة ومساعدة لإعزاز الإسلام فى بلاد الإسلام أولا ، وفيما وراء بلاد الإسلام ثانياً أعنى فى العالم كله إن شاء الله ، سدد الله خطاك وبارك فيك ورزقنا منك حسن المشورة كما رزقناها من قبل وشكراً ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الشيخ رئيس جامعة الأزهر السابق

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فضيلة الإمام الأكبر ، السادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية أعلى مجلس على مستوى العالم العربي والإسلامي ، أحييكم جميعاً بتحية الإسلام .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخنا الجليل الشيخ جاد الحق على جاد الحق الإمام الأكبر السابق للأزهر الشريف تسامحت حيث كان التسامح عزا للإسلام ، وزدت تواضعا حيث كنت رمزاً للإسلام ، وكنت الطود الراسخ حيث كان التمسك بشرع الإسلام ، فهنيئاً لك بما خصك الله به .

شيخنا الجليل من أجل ذلك كله أبنتك مصر كلها والعالم الإسلامي والعربي كله من خلال تلك الأرض الطيبة التي أبنتك ، فكنت كالزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه .

شيخنا الجليل توليت القضاء فكنت العدل المطلوب من شرع السماء .

ثم توليت الإفتاء فكنت الصوت الحق والنور الساطع لشرع السماء .

وتوليت الأوقاف فكنت الراعي والموجه في الأخذ بالموعظة الحسنة والدفع بالتي هي أحسن .

وتوجت بمشيخة الأزهر فازداد انتشاره وعادت إليه هيبته وتوسعت جامعته وبلغت شأناً لم تبلغه في أي عهد كان حيث كانت توجيهاتك السديدة والرشيدة ، فهنيئاً لك في قبرك بما أنجزت وحققت ، وهنيئاً لك ، لكل دعوات أهل مصر والعروبة الإسلام بالرحمة والمغفرة ، واسمحوا لي أن أفيض أمامكم بشهادة كان قد طلب منى أن لا أتحدث بها وهو على قيد الحياة فأصبحت في حل الآن في أن أتحدث فقد كنت رفيقاً له في رحلة من الرحلات إلى دولة من الدول فلما كان في مقابلة حاكمها ، قدم له شيكا بمبلغ كبير من الدولارات له شخصيا ، فأخذ الشيك ولم يتحدث في أمره مع صاحبه ، ولكنه حينما حضر إلى هذا المقر كتب خطابا للسيد رئيس الجمهورية أخبره فيه بما تم ، وأنه أودع هذا المبلغ في إدارة الأزهر للإنفاق منه على الموظفين والعاملين الفقراء ، فإن دل هذا على شيء إنما يدل على عزة النفس وطهارة اليد التي ينبغي أن تتوفر في كل من يتقلد هذا المنصب ؛ لأنه رمز للإسلام ورمز للأمة الإسلامية .

أسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه ويوفق خلقه لما يحبه ويرضاه إنه سميع الدعاء .

أشكركم ....

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



الأستاذ الدكتور أحمد كمال أبو المجد

السادة العلماء :

فى هذا الزمان الصعب ، زمان الحيرة والشك والاتهام ، كتب علينا ألا نعرف قدر كثير من الناس إلا بعد أن يرحلوا عنا .

والعلماء الذين هم ورثة الأنبياء نأخذهم نحن أبناء هذا الزمان مأخذ المسلمات حين نألف كلمتهم بيننا وبقاءهم حولنا حتى إذا رحلوا اقشعرت الأبدان ، وانزعجت الأفئدة ، واستشعرنا حجم الخسارة الكبيرة وذكرنا قول النبى ﷺ :

« إن الله لا ينزع العلم انتزاعا ، ينتزعه من الصدور ولكن ينتزعه بقبض العلماء »[1] إذا قبض عالم جزعنا وخفنا على هذا الدين .

هذا اللقاء الكريم هو وقفة يعلن فيها هذا المجمع الموقر الكبير أن المروءة لا تزال فى الناس ، وأن الوفاء لا يزال فى أهل مصر ، وفى الأزهر الشريف قيمة حية باقية ، وأنه إذا كان كثير من الناس يحسبون الوجاهة قيمة ، ويظنون المال قيمة ، فإن العارفين المحققين يعرفون فضل العلماء على سائر الناس ، وأنهم كما قال النبى ﷺ : « ورثة الأنبياء »[2] .

ولا أريد أن أطيل ، ولكننى عرفت فضيلة الإمام الراحل الشيخ/جاد الحق على جاد الحق . عرفت فيه أمرين :

أنه كان صاحب فقه ..
وأنه كان صاحب موقف .

كان صاحب فقه بما أصدره من فتاوى وما أعلنه من آراء كان فيها محددا واضحا منضبطا وقافا ملتزما اجتهد رأيه بقدر ما آتاه الله من عمق الرأى وسعة النظر .

ولكن الذى لا يعرفه كثير من الناس أنه كان صاحب مواقف يعرف الناس أقلها ولا يعرفون أكثرها وكنت ممن لا يعرفون هذه المواقف إلا حين أتيح لى أن أقترب منه :

أذكر أنى زرته مرة فى مرضه بأحد المستشفيات فلم يحدثنى عن مرضه إلا قليلا ، وانطلق يتحدث كمن يحمل هما ثقيلا على كتفيه عما يجرى فى الشيشان وعما يجرى فى البوسنة وكان شديد الألم ؛ لأن تعقيدات السياسة واختلاط الأوراق حالت دون أن يصل العون كما كان ينبغى أن يصل إلى أهل الشيشان ، وإلى أهل البوسنة ، ويكاد يبكى من تفرق كلمة المسلمين حكاما ومحكومين .

هذا الرجل كان قمة فى العالم ، وكان صاحب مواقف ينبغى أن نذكرها له بحق الوفاء ، وبحق الحرص على أن تبقى صورة العلم والعلماء مشرقة زاهية ، وأن يعرف الناس عنها ما لا يعرفون .

فى آخر جلسة أو فى الجلسات الأخيرة لهذا المجمع اختار الله أن تفجر قضايا تتعلق بأمر الإسلام فى عمومه ، والأزهر فى خصوصه باعتباره حصناً يحافظ على الإسلام ، وينطلق به ويحرص على هموم المسلم : أثيرت قضية الأزهر وقضية المجمع وقضية المؤسسات الدينية فى مصر وفى العالم الإسلامى والحاجة إلى وقفة يرشد بها العمل وتقوى بها الساحة وينهض بها الأزهر ، وتسترد بها المؤسسة الدينية كرامتها ، وقدرتها وسلاحها الذى به تستطيع أن تنصر الإسلام وأن تنصر المسلمين .

ثم اختار الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يقبض إليه هذا العالم الجليل وهذا الجهد لا يزال فى أوله يرعاه برفق وحرص وتشجيع وتنشيط لتنتقل الراية إلى أخ له عزيز كريم هو فضيلة العالم الجليل الأستاذ الدكتور/محمد سيد طنطاوى .

وهكذا سيدى العالم الجليل كتب الله لك وكتب عليك أن تحمل راية كريمة نبيلة لتظل تلك الراية مرفوعة ، وأن تحمل أمانة نبيلة ثقيلة هى أمانة النهوض بهذا المجمع وأمانة النهوض بهذا الأزهر فى عصر تغيرت فيه الأمور ، وتغيرت فيه النفوس ، وتبدلت كثير من القيم ولكن أقول لك :

أنك محفوف بقلوب وعقول وجهود هذا الجمع من الصفوة فى هذا المجمع ، ومجمع أكبر هو جمع ملايين المصريين الذين يحبون الله ورسوله ويعرفون أن نهضة الدنيا فى هذا الإسلام ، ويعرفون فضل الأزهر حين ينكره الكثير ، فسر على بركة الله محفوفا برعايته محفوفا بقلوب كل من عرفوك ومن عرفوا الإمام الراحل ، وكل من بقيت فى نفوسهم بقية إكبار وإجلال للعلم والعلماء وغيرة على دين الله نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل الفقيد الراحل بكل ما يتقبل به العلماء وأن ينزله منازل الصديقين والشهداء والصالحين ، وأن يمنحك قوة الكتفين وسعة الصدر وعلو الهمة والصبر على المكاره ، وأنه ما جاء أحد قومه بمثل ما يخرج به الأزهر على الناس إلا أوذى فى نفسه وماله ، ولكن الله تبارك وتعالى أحق أن نخشاه ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ . (الزمر ٣٦)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

نحن لا نزال فى غمرة الحزن الشديد على فراق الإمام الذى أحبنا وأحببناه ، ونحن فى موقف رثاء ، لأن الرجل أكبر من أن يرثى بمعنى أن عبارات الرثاء مهما صادفت فى البلاغة فإنها لا تستطيع أن توفيه حقه وإنما هناك مواقف ، والرجال مواقف ، ينبغى أن تذكر : بعضها معروف جملة ومجهول تفصيلا والبعض الآخر غير معروف .

سأعرض بسرعة لهذه المواقف للذكرى استجابة لقول العزيز الحكيم :

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ سورة الذاريات

الموقف الأول الخالد هو موقفه رحمه الله من مجازر المسلمين فى البوسنة والهرسك حينما اتفق العالم أجمع ـ وكلمة أجمع أنا أعنيها ـ يعنى : العالم بحكوماته غير مسلمة ومسلمة على إذلال هذا الشعب وقتله وسفك دمائه وتجويعه وهتك عرضه .

المسلمون غلت الدماء فى عروقهم ، واتصل بى أخى العزيز الدكتور/عبدالصبور مرزوق تليفونياً ، وقال لى : نحن نريد أن نتناول هذه القضية ، وليس ثمة مكان صالح لها إلا الأزهر فأت لنا بإذن من شيخ الأزهر ، لأننا لا نستطيع أن نعقد مؤتمرا فى الأزهر إلا بإذن الشيخ ، وأنا بين الرجاء والأمل وخطورة الموقف .

الدنيا كلها ضد المسلمين فى البوسنة والهرسك كلها بلا استثناء تقدمت إلى الرجل الجليل فقال : اعقدوا المؤتمر وأنا فى الصدارة من صفوفكم ، وانعقد المؤتمر وكان أول المتكلمين ..

هذا موقف ينبغى أن يعرف للشيخ الجليل ، ثم تتابعت مواقفه بعد ذلك عن البوسنة والهرسك .

الموقف الثانى موقفه من مؤتمر السكان ، وقد كفانى أخى العزيز الدكتور أحمد عمر هاشم الحديث فيه .

وهو أكثر بيانا منى . والذى أريد أن أقوله : إن الشيخ أصدر توجيهاته بأن يكون هذا المجمع فى انعقاد دائم ، وكلف بعضنا بقراءة الوثيقة بالعربية فوجدناها مشوهة فكلف البعض بقراءتها بالإنجليزية ، وانتهينا بالبيان الدقيق الفاصل الذى تقبله العالم الإسلامى كله بالشكر .

الموقف الثالث أنه كان لا يصدر قراراً إلا باتفاق هذا المجمع ولو خالفه المجمع فى الرأى وبالفعل حينما أعد العدة للسفر إلى أمريكا استجابة لدعوة صادرة من هيئة لها صلة بالأمم المتحدة قال أعضاء المجمع : لا تسافر يا فضيلة الإمام فليسافر من ينوب عنك فنزل الرجل ـ رحمه الله ـ تعالى ـ عند إرادة المجمع .

وشرف ثلاثة من أعضاء المجمع بالسفر إلى أمريكا ، أخى العزيز معالى الدكتور/محمود زقزوق ، والمغفور له الشيخ/محمد الغزالى ، والشخص الضعيف ، ولسبب من الأسباب القاهرة لم يتشرف برسالة الدكتور/زقزوق وسافرت أنا وفضيلة الشيخ الغزالى وكان فتحا عظيما بإذن الله لكن الثمرة الكبرى هى أننا عدنا بعد دراسة الأحوال الأكاديمية للدراسات الإسلامية بضرورة أن يكون للأزهر امتداد فى واشنطن ؛ لأن فيها سبع جامعات بها أقسام تدرس الإسلام مشوها عن عمد أو جهل ، واهتم الرجل ـــ طيب الله ثراه ـــ وجعل الموضوع أمانة الآن فى يد أخى أحمد عمر هاشم ، ونحن نرجو الأخ العزيز الإمام الأكبر الجديد أن يضع هذا المشروع فى سويداء قلبه واهتمامه .

الشيء الآخر هو أن الرجل كان يمتد ببصره وبصيرته إلى الأفق البعيد مهما كانت المسافة ، ونتيجة لهذا أصبح فى جنوب أفريقيا معهد أزهرى يلبس أبناؤه العمامة الأزهرية فى قلب « الكيب تاون » ، والبنات يلبسن ما يلبسه بناتنا هنا فى الأزهر ، وقد رجوته فى أن يكون بدل المعهد أربعة وكتبنا له مذكرة بذلك ، ونسأل الله أن يشرح صدركم أيضاً لامتداد الأزهر ليس إلى جنوب أفريقيا فحسب ، وإنما إلى آفاق كثيرة بعيدة تفتقده وتحتاج إليه .

مواقفه من الذين ناصبوا الإسلام العداء فى مصر وغير مصر ، وكلنا يعرف أستاذاً فى جامعة ما كتب كتباً ضد الإسلام لكى يرق بها فلم يرق فظلت جريدة كبرى لمدة أربعة أشهر كاملة وهى تجعل من هذا الرجل المنحرف على الأقل دينا شيئاً له قيمة حتى ضج الجميع فما كان من الشيخ الجليل إلا أن اتصل برئيس الجمهورية ، وقال له : يا سيادة الرئيس الذى يحدث يضر الإسلام والمسلمين فأصدر رئيس الجمهورية أمراً إلى رئيس التحرير وأنهى هذه المهزلة ، وهكذا كان يتصدى لكل هذه المواقف التى تجرح احساس وكبرياء كل مسلم فى بلد مسلم .

ـ جائزة فيصل لابد أن أتحدث عن جائزة فيصل لأنه لم يكن هناك مفر من أن تعطى جائزة فيصل لخدمة الإسلام للشيخ ، لأن إخواننا فى السعودية عرفوا بعض ما بذله الشيخ فى مؤتمر السكان ؛ فكانت النتيجة أن منحوه هذه الجائزة التى أقول الآن أنه لم يدخل جيبه منها مليما واحدا .

وردا على الذين كانوا يقولون أرفض الجائزة يا مولانا فى صحف عرفت بعداوتها للإسلام ومجلات عرفت بخصومتها للإسلام ، فلم يرد المبلغ إلى هناك وإنما دفعه إلى فقراء هذه الأمة الذين احتاجوه ولم يدخل جيبه ولا جيب أولاده مليما واحدا ، وهذه حقيقة ينبغى أن تذكر عن الإمام العظيم الفقيد .

سيدى الإمام الأكبر :

أنا أعرف أدبك وفضلك عن معايشة وعن تجربة ، ولذلك فإن الموقف لا يستدعينى أن أهنئك لماذا ؟ لأن التهنئة أمر قد يصدر من القلوب حينا وقد يصدر مجاملة ولا أقول نفاقا حينا آخر ، ومن ثم فأنت لست فى حاجة إلى ذلك ، ولكنك فى حاجة إلى الخوض فى الفعل الذى تعودنا أن نعامل به أحبابنا حينما تسند إليهم مخاطر الأمور ، وليس أخطر من مشيخة الإسلام ، وأنت لست فى حاجة إلى التهنئة ، ولكنك فى حاجة إلى الدعاء بالتوفيق والسداد ، وأن يكون لا أقول كل همك وإنما جل همك منصرفاً إلى هذا المجمع الذى ينبغى أن تصدر قراراته عن قلب رجل واحد وعن عقل رجل واحد وعن دين رجل واحد ، سدد الله خطاك وألهمك التوفيق ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقي وزير الأوقاف الأسبق

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع سبيله واهتدى بهداه ، وبعد ..

ففي مستهل حديثي أذكر قول الله ـ عز وجل ـ لحبيبه ﷺ : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ الأنبياء وعزاؤنا دائماً فيمن نودع بما خلفوا من آثار يشعر بها القريب والبعيد .

وأنا قد عايشت فضيلة إمامنا الراحل ـ طيب الله ثراه وأعلى في الجنة مثواه ـ ، حينما عايشته في مستهل حياته ، كان الداعية الذى يعتلي المنابر ويقف فيها موقف الداعية المخلص .

لقد عاش ـ رحمه الله ـ يقدم النصح للمسلمين في كل مكان ، وهو بهذا أرسى المبادىء التي نحن بحاجة إليها والعالم كله بحاجة إليها كذلك .

لقد أعطى إمامنا الراحل القدوة في تحمل الأمانة فكان بحق خير من قام بحملها وأدائها حق الأداء .

لقد اختاره الله شيخاً للأزهر فرأيناه ينفذ بالدعوة إلى القرى وإلى النجوع عن طريق المعاهد الأزهرية ، وهي عامرة بالعلماء والدعاة الذين لا يبخلون بالكلمة الطيبة في محيط العمل الذى يؤدونه .

لقد كان ـ رحمه الله ـ يعالج كافة المشاكل بالحكمة والحسنى ، وكان يرى أن علاج المشاكل لا يكون إطلاقاً بالصوت العالي أو القلم الشديد ولكن يُدرك بالرفق لا بالعنف .

هذا ما أردت أن أقوله بإيجاز عن المبادىء والقيم التي أرساها إمامنا الراحل ـ طيب الله ثراه وأعلى في الجنة مثواه .

أيها الأخوة : لقد ساق لنا الحق ـ تبارك وتعالى ـ أخاً كريماً وشيخاً جليلا عرفناه بقدره وبصوته وبكل ما يكون به في قمة الذين يتصدى للباطل ليدحضه وللحق ليؤيده .

وهو الأخ الفاضل الإمام الأكبر الدكتور **محمد سيد طنطاوى** ـ الذى أسأل الله ـ تعالى ـ أن يوفقه لما يحب ويرضاه ، وأن يكون له العون والسند ، وهو سبحانه السميع القريب المجيب الدعاء .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة فضيلة الشيخ أحمد مسلم عضو لجنة الفتوى بالأزهر

أحمد الله تعالى واهب نعمة الحياة .

وأذكر هنا قول الله عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ سورة الأحزاب (٣٦)

وهذا الأمر الذي نتحدث عنه عن فقيد الإسلام إمامنا الراحل شيخ الأزهر ـ رضي الله عنه وأحسن إليه ـ فلا يسعنا إلا أن نقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فنحن لله تعالى ملكا وخلقا وعبيدا .

فقيد الإسلام ـ رحمه الله ورضي عنه ـ كان عنواناً لجميع من الكمالات ، عنواناً لجميع من العلوم وأنواع الثقافات .

كان يجاهد في سبيل الله ، يجاهد الباطل ، يجاهد الإلحاد والزنادقة ، وكان عنواناً في التواضع والسماحة مع رفعة القدر ..

أذكر أن أول اتصال بفضيلته كان في مجلس الشعب عندما كنا نضع التقنين لأحكام الشريعة ، وكنا أحياناً نلتقي في مكتبه في العباسية ، وكان مفتياً للديار المصرية ، وكان يتفضل بإحضار المراجع والكتب الكبيرة الضخمة بنفسه ، وكنا نقول له يا مولانا عندك من العمال والموظفين من يستطيع إحضار ما نحتاج إليه من هذه المراجع ، ولكنه كان يحضرها بنفسه رغبة في المثوبة من الله ـ عز وجل .

هكذا كان وأذكر أن جمعاً من العلماء الذين يعملون في الريف زاروه في مكتبه فبالغ في الحفاوة بهم والإكرام والرعاية لهم فقلت له : يا مولانا ، لقد بالغت في إكرام العلم فقال : إذا لم أكن أنا فمن يكون ؟

كان فقيدنا الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر مثلا أعلى في النبل وفي الصبر وفي الكمال وفي رفعة الشأن .

ونحمد الله ـ تبارك وتعالى ـ أن عوضنا عنه شيخاً كبيراً وعالماً جليلا له في التأليف وفي نشر الدعوة الإسلامية ما يشرح الصدور ، وهو فضيلة مولانا الإمام الأكبر الشيخ/محمد سيد طنطاوى أدام الله له نعمة التوفيق ، ورحم الله الراحل الذى نتحدث عنه رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ، وشكراً .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) سورة الفاتحة
مكية وآياتها سبع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ①
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ③
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ⑤ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

نزلت بعد المدثر





لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى



سورة الفاتحة هى السورة الوحيدة التى أمر الإسلام أتباعه أن يقرأوها فى كل صلاة . وفى جميع الركعات فى كل الأوقات ، ولهذا أصبح حفظها ميسوراً لكل مؤمن .

وهذه السورة على صغر حجمها ، وقلة آياتها ، قد اشتملت بوجه إجمالى على مقاصد الدين من توحيد ، وتعبد ، وأحكام ، ووعد ووعيد .

ونرى من الخير قبل أن نبدأ فى تفسيرها بالتفصيل ، أن نمهد لذلك بالكلام عما يأتى :

أولا : متى نزلت سورة الفاتحة ؟

للإجابة على هذا السؤال نقول : إن الرأى الراجح بين المحققين من العلماء أنها نزلت بمكة ؛ بل هى من أوائل ما نزل من القرآن بمكة .

وقيل : إنها مدنية ، وقيل : إنها نزلت مرتين : مرة بمكة حين فرضت الصلاة ، ومرة بالمدينة حين حولت القبلة .

قال القرطبي : الأول أصح لقوله ـ تعالى ـ في سورة الحجر : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ وسورة الحجر مكية بالإجماع . ولا خلاف في أن فرض الصلاة كان بمكة ، وما حفظ أنه كان في الإسلام قط صلاة بغير ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ ويدل على ذلك قوله ﷺ : « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب » . وهذا خبر عن الحكم لا عن الابتداء[1] .

ثانياً : عدد آياتها :

وهي سبع آيات لقوله ـ تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ قال العلماء : السبع المثاني هي الفاتحة .

وقال ابن كثير : هي سبع آيات بلا خلاف : وقال عمرو بن عبيد : هي ثماني آيات ، لأنه جعل ﴿ **إياك نعبد** ﴾ **آية . وقال حسين الجعفي : هي ست آيات وهذان القولان شاذان**[2] .

ثالثاً : أسماؤها :

لسورة الفاتحة أسماء كثيرة من أشهرها :

١ ـ « الفاتحة أو فاتحة الكتاب » وسميت بذلك لأنه تفتتح قراءة القرآن بها لفظاً . وتفتتح بها الكتابة في المصحف خطاً ، وتفتتح بها الصلوات ، وإن لم تكن هي أول ما نزل من القرآن ، وقد اشتهرت بهذا الاسم في أيام النبوة .

وقد أصبح هذا الاسم علماً بالغلبة لتلك الطائفة من الآيات التي مبدؤها ﴿ **الحمد لله** ﴾ .. ونهايتها .. ﴿ **ولا الضالين** ﴾ .

٢ ـ « أم القرآن أو الكتاب » وسميت بذلك لاشتمالها إجمالا على المقاصد التي ذكرت فيه تفصيلا ، أو لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله بما هو أهله ، والتعبد بأمره ونهيه ، وبيان وعده ووعيده ، أو على جملة معانيه من الحكم النظرية ، والأحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم ، والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء .

قال ابن جرير : « والعرب تسمى كل أمر جامع أمًّا ، وكل مقدم له توابع تتبعه « أمًّا » فتقول للجلدة التي تجمع الدماغ : « أم الرأس » ، وتُسَمِّي لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها « أمًّا »[3] .

٣ ـ « السبع المثاني » جمع مَثْنَى كمَفْعَل : اسم مكان . أو مُثَنَّى ـ بالتشديد ـ من التثنية على غير قياس . وسميت بذلك ؛ لأنها سبع آيات في الصلاة ، أي تكرر فيها ؛ أخرج الإمام أحمد ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : « هي أم القرآن ، وهي السبع المثاني ، وهي القرآن العظيم »[4] .

٤ ـ وتسمى ـ أيضاً ـ سورة « الحمد » .

٥ ـ و« الكنز » .

٦ ـ و« الواقية » .

٧ ـ و« الشفاء » ، لحديث . هي الشفاء من كل داء .

٨ ـ و« الكافية » لأنها تكفى عن سواها ولا

---

(١) تفسير القرطبي . جـ ١ ص ١١٥ طبعة دار الكاتب العربي ، والحديث رواه أبوداود كما ورد بألفاظ متقاربة عند البخاري وأحمد والترمذي وابن حبان والبيهقي والحاكم في المستدرك .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٨ طبعة عيسى الحلبي .

(٣) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ١٠٧ طبعة دار المعارف .

(٤) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٩ .

يكفى سواها عنها .

٩ ـ « الأساس » .

١٠ ـ « الرقية » .

هذا ، وقد ذكر القرطبى للفاتحة اثنى عشر اسماً ، كما ذكر السيوطى لها فى كتابه « الإتقان » خمسة وعشرين اسماً .

رابعاً : فضلها :

ورد فى فضل سورة الفاتحة أحاديث كثيرة منها :

ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى سعيد بن المعلى ـ رضى الله عنه ـ قال : كنت أصلى فى المسجد ، فدعانى النبى ﷺ فلم أجبه ، فقلت : يارسول الله ، إنى كنت أصلى . فقال : ألم يقل الله : ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ .

ثم قال لى : « لأعلمنك سورة هى أعظم السور فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد ؛ ثم أخذ بيدى ، فلما أراد أن يخرج ، قلت : يا رسول الله ، ألم تقل : لأعلمنك سورة هى أعظم سورة فى القرآن . قال : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ ، هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته »[٥] .

وروى مسلم والنسائى ، عن ابن عباس ، قال :

« بينا جبريل قاعد عند النبى ﷺ سمع نقيضا من فوقه ـ أى : صوتاً ـ فرفع رأسه فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم ، لم يفتح قط إلا اليوم . فسلم وقال : أبشر بنورين قد أوتيتهما ، ولم يؤتهما نبى قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لم تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته »[٦] .

وروى مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خِداج (ثلاثاً) » غير تمام » فقيل لأبى هريرة : إنا نكون وراء الإمام ؟ فقال : اقرأ بها فى نفسك ؛ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله ـ تعالى ـ : « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ماسأل » ، فإذا قال العبد : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ . قال الله : حمدنى عبدى ، وإذا قال : ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ . قال الله تعالى : أثنى على عبدى . وإذا قال : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ قال الله : مجدنى عبدى . فإذا قال : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ . قال الله : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل . فإذا قال : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ . **قال الله : « هذا لعبدى ولعبدى ما سأل »**[٧] .

وأخرج الإمام أحمد فى مسنده ، عن عبد الله ابن جابر ، أن رسول الله ﷺ قال له : ألا أخبرك بأخير سورة فى القرآن ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : اقرأ : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ حتى تختمها[٨] .

---

(٥) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب ما جاء فى فاتحة الكتاب جـ ٦ ص ٢١ .

(٦) أخرجه مسلم فى كتاب : صلاة المسافرين وقصرها جـ ٢ ص ١٩٨ .

(٧) أخرجه مسلم فى كتاب الصلاة جـ ٢ ص ٩ .

(٨) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٠ .

تلك هي بعض الأحاديث التي وردت في فضل هذه السورة الكريمة .

● ● ●

وقد ذكر العلماء أنه يسن للمسلم قبل القراءة أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، استجابة لقوله ـ تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾[9] .

ومعنى « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » : ألتجىء إلى الله وأتحصن به ، وأستجير بجنابه من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي .

قال ابن كثير : « والشيطان في لغة العرب : كل متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شيء . وهو مشتق من شَطَنَ إذا بَعُدَ ، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر ، وبعيد بفسقه عن كل خير .

وقيل : مشتق من شاط لأنه مخلوق من نار : والأول أصح إذ عليه يدل كلام العرب ، فهم يقولون : تشيطن فلان إذا فعل أفعال الشيطان ، ولو كان من شاط ، لقالوا : تَشَيَّطَ ، فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح[10] .

والرجيم : فعيل بمعنى مفعول أي أنه مرجوم مطرود من رحمة الله ومن كل خير ، وقيل : رجيم بمعنى راجم لأنه يرجم الناس بالوساوس والشكوك .

قال بعض العلماء : « وإنما خصت القراءة بطلب الاستعاذة مع أنه قد أمر بها على وجه العموم في جميع الشئون ، لأن القرآن مصدر الهداية والشيطان مصدر الضلال ، فهو يقف للإنسان بالمرصاد في هذا الشأن على وجه خاص ، فيثير أمامه ألواناً من الشكوك فيما يقرأ ، وفيما يفيد من قراءته ، وفيما يقصد بها ، فيفوت عليه الانتفاع بهدى الله وآياته ، فعلمنا الله أن نتقي ذلك كله بهذه الاستعاذة التي هي في الواقع عنوان صدق ، وتعبير حق ، عن امتلاء قلب المؤمن بمعنى اللجوء إلى الله ، وقوة عزيمته في طرد الوساوس والشكوك ، واستقبال الهداية بقلب طاهر ، وعقل واع ، وإيمان ثابت[11] .

قال القرطبي : وقد أجمع العلماء على أن التعوذ ليس من القرآن ولا آية منه ، وهو قول القارىء : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[12] .

والآن وبعد هذا التمهيد الموجز الذي تكلمنا فيه عن نزول سورة الفاتحة ، وعن عدد آياتها ، وعن أشهر أسمائها ، وعن بعض الأحاديث التي وردت في فضلها نحب أن نبدأ في تفسير السورة الكريمة فنقول ـ وبالله التوفيق ـ :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الاسم : اللفظ الذي يدل على ذات أو معنى . وقد اختلف النحويون في اشتقاقه على وجهين ، فقال البصريون : هو مشتق من السمو ، وهو العلو والرفعة ، فقيل : اسم ؛ لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به .

وقال الكوفيون : إنه مشتق من السمة وهي العلامة ، لأن الاسم علامة لمن وضع له ، فأصل (اسم) على هذا « وَسْم » .

---

(9) سورة النحل الآية ٩٨ .

(10) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٤ .

(11) تفسير القرآن الكريم ص ١٦ لفضيلة الإمام الأكبر المرحوم محمود شلتوت .

(12) تفسير القرطبي جـ ١ ص ٨٦ .

ويرى المحققون أن رأى البصريين أرجح ، لأنه يقال فى تصغير « اسم » سُمَىّ ، وفى جمعه أسماء ، والتصغير والجمع يردان الأشياء إلى أصولها ، ولو كان أصله وسم ـ كما قال الكوفيون ـ لقيل فى جمعه : أوسام ، وفى تصغيره وسيم .

ولفظ الجلالة وهو « الله » عَلَمٌ على ذات الخالق ـ عز وجل ـ تفرد به ـ سبحانه ـ ولا يطلق على غيره ، ولا يشاركه فيه أحد .

قال القرطبى : قوله « الله » هذا الاسم أكبر أسمائه ـ سبحانه ـ وأجمعها حتى قال بعض العلماء : إنه اسم الله الأعظم ، ولم يتسم به غيره ، ولذلك لم يثن ولم يجمع : فالله اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية ، المنعوت بنعوت الربوبية ، المتفرد الحقيقى ، لا إله إلا هو ـ سبحانه[13] .

و﴿ الرحمن الرحيم ﴾ صفتان مشتقتان من الرحمة . والرحمة فى أصل اللغة : رقة فى القلب تقتضى الإحسان ، وهذا المعنى لا يليق أن يكون وصفا لله ـ تعالى ـ ، ولذا فسرها بعض العلماء بإرادة الإحسان . وفسرها آخرون بالإحسان نفسه .

والموافق لمذهب السلف أن يقال : هى صفة قائمة بذاته ـ تعالى ـ لا نعرف حقيقتها ، وإنما نعرف أثرها الذى هو الإحسان .

وقد كثرت أقوال المفسرين فى العلاقة بين هاتين الصفتين ، فبعضهم يرى أن ﴿ الرحمن ﴾ هو المنعم على جميع الخلق ، وأن ﴿ الرحيم ﴾ هو المنعم على المؤمنين خاصة .

ويرى آخرون أن ﴿ الرحمن ﴾ هو المنعم بجلائل النعم ، وأن ﴿ الرحيم ﴾ هو المنعم بدقائقها .

ويرى فريق ثالث أن الوصفين بمعنى واحد ، وأن الثانى منهما تأكيد للأول .

والذى يراه المحققون من العلماء أن الصفتين ليستا بمعنى واحد ، بل روعى فى كل منهما معنى لم يراع فى الآخر : **فالرحمن** بمعنى عظيم الرحمة ، لأن فَعْلان صيغة مبالغة فى كثرة الشىء وعظمته ، ويلزم منه الدوام كغضبان وسكران . **والرحيم** بمعنى دائم الرحمة ، لأن صيغته (فعيل) تستعمل فى الصفات الدائمة ككريم وظريف . فكأنه قيل : العظيم الرحمة الدائمة[14] .

أو أن ﴿ الرحمن ﴾ صفة ذاتية هى مبدأ الرحمة والإحسان . و﴿ الرحيم ﴾ صفة فعل تدل على وصول الرحمة والإحسان وتعديهما إلى المنعم عليه .

ولعل مما يؤيد ذلك أن لفظ الرحمن لم يذكر فى القرآن إلا مجرى عليه الصفات كما هو الشأن فى أسماء الذات . قال ـ تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ ۞ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾[15] ، و﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾[16] ، و﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ﴾[17] ، وهكذا ..

(١٣) تفسير القرطبى جـ ١ ص ١٠٢ .

(١٤) تفسير سورة الفاتحة لفضيلة المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين . مجلة لواء الإسلام العدد الأول من السنة الأولى ص ٨ .

(١٥) أول سورة الرحمن ١ ـ ٢ .

(١٦) طه ـ ٥ .

(١٧) الإسراء ـ ١١٠ .

أما لفظ ﴿ الرحيم ﴾ فقد كثر فى القرآن استعماله وصفاً فعلياً ، وجاء فى الغالب بأسلوب التعدية والتعلق بالمنعم عليه . قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٨) ، ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾(١٩)، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾(٢٠) .. إلخ .

قال بعض العلماء « وهذا الرأى فى نظرنا هو أقوى الآراء ، فإن تخصيص أحد الوصفين بدقائق النعم ، أو ببعض المنعم عليهم لا دليل عليه ، كما أنه ليس مستساغاً أن يقال فى القرآن : إن كلمة ذكرت بعد أخرى لمجرد تأكيد المعنى المستفاد منها »(٢١) .

والجار والمجرور «بسم» متعلق بمحذوف تقديره ابتدىء .

والمعنى : ابتدىء قراءتى متبركاً ومتيمناً باسم الله الذى هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، والذى رحمته وسعت كل شىء ، وأتبرأ مما كان يفعله المشركون والضالون ، من ابتدائهم قراءاتهم وأفعالهم باسم اللات أو باسم العزى أو باسم غيرهما من الآلهة الباطلة .

هذا وقد أجمع العلماء على أن البسملة جزء آية من سورة النمل فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [النمل : ٣٠] .

ثم اختلفوا بعد ذلك فى كونها آية مستقلة أنزلت للفصل بين السور مرة واحدة ، أو هى آية من سورة الفاتحة ومن كل سورة أهـ .

فبعضهم يرى أن البسملة آية من الفاتحة ومن كل سورة ، ومن حججهم أن السلف قد أثبتوها فى المصحف مع الأمر بتجريد القرآن مما ليس منه ، ولذا لم يكتبوا « آمين » . فثبت بهذا أن البسملة جزء من الفاتحة ومن كل سورة .

وبهذا الرأى قال ابن عباس وابن عمر وأبو هريرة وسعيد بن جبير والشافعى ، وأحمد فى أحد قوليه .

ويرى آخرون أن البسملة ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور ، وقالوا : إنها آية فذة(٢٢) من القرآن أنزلت للفصل والتبرك للابتداء بها ، ومن حججهم أنها لو كانت آية من الفاتحة ومن كل سورة ، لما اختلف الناس فى ذلك ، ولما اضطربت أقوالهم فى كونها آية من كل سورة أو من الفاتحة فقط .

وكما وقع الخلاف بين العلماء فى كونها آية مستقلة أو آية من كل سورة ، فقد وقع الخلاف بينهم ـ أيضاً ـ فى وجوب قراءتها فى الصلاة ، وفى الجهر بها أو الإسرار إذا قرئت .

وتحقيق القول فى ذلك مرجعه إلى كتب الفقه ، وإلى كتب التفسير التى عنيت بتفسير آيات الأحكام .

البقية فى العدد القادم

(١٨) البقرة ـ ١٤٣ .
(١٩) الأحزاب ـ ٤٣ .
(٢٠) الإسراء ـ ٦٦ .
(٢١) تفسير القرآن العظيم ص ٢٤ لفضيلة المرحوم الشيخ محمود شلتوت .
(٢٢) فذة : مفردة مستقلة .

مع سورة يس

بقلم د. ابراهيم خميس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٤٧) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
(٤٨) مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
(٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠)
وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
(٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ
وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤) ﴾

تذكر هذه الآية الأولى جناية أخرى من جنايات الكفار وقبيحة من قبائحهم . وهى أنهم إذا أمروا بالإنفاق على الفقراء سخروا من النبى والمؤمنين وقالوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ..

عن ابن عباس – رضى الله عنهما – وكان بمكة زنادقة – الزنديق من لا دين له – فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا : لا والله . أيفقره الله

ونطعمه نحن ؟ . وكان هذا الاحتجاج باطلا .

ولأن الله تعالى إذا ملك عبدا مالا ثم أوجب عليه فيه حقا فكأنه انتزع ذلك القدر منه فلا معنى للاعتراض ولأن المال مال الله والإنسان مستخلف في هذا المال .

قال تعالى :

﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ الحديد ـ ٧

وقد صدقوا في قولهم لو شاء الله لأطعمهم ولكنهم كذبوا في الاحتجاج به على عدم الإنفاق .

وقوله تعالى :

﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

يحتمل أن يكون من قول الكفار للمؤمنين أي في سؤال المال وفي اتباعكم محمدا ، وأن يكون من قول أصحاب النبي ﷺ لهم ، أو من قول الله ـ تعالى ـ للكفار حين ردوا بهذا الجواب .

روى أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ كان يطعم المساكين المسلمين فلقيه أبو جهل فقال يا أبا بكر أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء ، وهو لا يطعمهم ثم تطعمهم أنت ؟ .

فنزلت هذه الآية «من القرطبي» وكأن أبا بكر في رده هذا يعني قول الله ـ تعالى ـ ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾ النحل ـ ٧١

وقال الحسن إن هذا القول من كلام اليهود ، أمروا بإطعام الفقراء فقالوا هذا ، وكأنهم حاولوا بهذا إلزام المسلمين وقالوا : نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله .

إن قول أولئك الفجار في الرد على الدعوة إلى الإنفاق بقولهم «أنطعم من لو يشاء الله أطعمه» جهل منهم بحكمة الله في الحياة وتطاولهم على الداعين إلى الإنفاق بقولهم «إن أنتم إلا في ضلال مبين» وعجز عن إدراك سنن الله في الكون وعن إدراك حركة الحياة وناموسها الطبيعي وعن عظمة الغاية التي تتوزع من أجلها المواهب وتتوزع بسببها الأرزاق لأن الله رازق الجميع وما في أيديهم من ثروة لم يخلقوا هم منشيئا وما هم بقادرين على خلق شيء منه ، ولكن إرادة الله في عمارة الكون لم تشأ أن تمنح بلا كد ولا معاناة وإنما اقتضت من الناس كي ينالوا حاجاتهم أن يجدوا ويبذلوا ويجتهدوا في النشاط ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، فهم لن ينالوا هذه الحاجات إلا ببذلك الجهاد كفلاحة الأرض وصناعة الخامات وتداولها في الأسواق ونقلها من مكان إلى آخر هكذا يقتضي قانون الاستخلاف في الأرض والناس لا شك متفاوتون في بذل ذلك الجهد ، فمنهم الكسول العاقل أو الخامل النائم أو الذي لا يملك الذكاء والموهبة والاستعداد الذي يمكنه من استغلال خامات الأرض والانتفاع بها كما يمكنه من سائر عناصر الاستخلاف في الأرض في خضم الحياة الذي يجمع بين ثرى واحد وفقير فاقد فرضت الزكاة لإحداث التوازن فلا يحقد فاقد على واحد ولا فقير على غني مما يؤدي إلى إفساد المجتمع والحياة معا .

فالإسلام بالزكاة يعالج هذا التناقض بحيث يظل الكد والعمل والبذل قانونا لتحويل الحياة دون أن

بثأر حقد حاقد أو موجدة فاقد ومن هنا جعلت الزكاة طهارة للنفس وللمال وجعلت عبادة بل ركناً من أركان الإسلام لتحقيق هذا الهدف النبيل .

وفى أمر المؤمنين الكفار بالإنفاق دلالة على أن الزكاة فرضت بمكة إلا أن تحديد القدر الواجب وبيان من تدفع إليهم كان بالمدينة ومما يدل على ذلك فى قوله تعالى

﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ الأنعام ـ ١٤١

وقوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ المؤمنون ـ ٤

وفى الآية الثانية من هذه الآيات أنهم لم يتوقفوا عند حدود التكذيب والاستهزاء بل تجاوزوا ذلك إلى التحدى فكانوا يقولون .. متى هذا الوعد إن كنتم صادقين .

والمعنى . متى الساعة التى تتحدثون عنها ؟! ومتى يقع الموعود به ؟ ، إن كنتم صادقين فى وقوع الحشر فقولوا متى يكون ؟ ، أفصحوا إن كنتم صادقين .

والتعبير بالمضارع «ويقولون» يوحى بأن هذا هو منطق الكافرين فى وجه أنبياء الله ورسله جميعا منذ «آدم» عليه السلام إلى خاتمهم محمد ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وفى معنى هذه الآية قولهم

﴿ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة الأنفال

والتحدى والتهكم والسخرية فى قولهم هذا أظهر وأبين .

والخطاب فى الآية مع الأنبياء والمؤمنين كانوا يتلون عليهم الآيات الدالة على البعث والآمرة بالإيمان به وقد وقع الإنكار من الكافرين بالبعث فى كثير من آى القرآن الكريم . مثل قوله تعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ الملك ـ ٢٥

والجواب عليهم :

﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ الملك ـ ٢٦

وفى سورة يونس :

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ يونس ـ ٤٨

والجواب :

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ يونس ـ ٤٩

وقوله تعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ سبأ ـ ٢٩

والجواب :

﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ سبأ ـ ٣٠

وعلم الساعة غيب من غيب الله الذى استأثر بعلمه فلم يطلع عليه أحد من خلقه لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾

لقمان ـ ٣٤

وقال تعالى :

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾

سورة الجن

فالساعة إذا من الغيب الذى لم يطلع الله عليه أحدا أما غيرها فقد يظهر عليه من ارتضى من رسول وهذا يظهر جليا فى قوله تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾

سورة الأعراف

ومن كل هذه الآيات يتبين أن وعد الله لا يتقدم لاستعجال البشر ولا يتأخر لرجائهم فى تأخيره فكل شىء عنده بمقدار وكل أمر مرهون وقته المرسوم إنما تقع الأمور فى مواعيدها وفق حكمة الله الأزلية التى تضع كل شىء فى مكانه .

﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾

جواب عن تساؤلهم فى مشهد خاطف سريع .. فما هى إلا صيحة تأخذهم وهم يتخاصمون ويتجادلون فإذا هم أموات لا يملكون حتى التوصية ولا العودة إلى أهلهم يموتوا بين أيديهم ، وبهذا يرتسم المشهد الأول بعد الصيحة الأولى وتلك هى النفخة الأولى التى جاء ذكرها فى قوله تعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الزمر ـ ٦٨

وعند هذه الصيحة يموت أهل الأرض ، ومعنى ينظرون ينتظرون ، وإنما جعلوا منتظرين وقوعها من إنكارهم لها ـ والمنكر للشىء لا ينتظره ـ لأمرين :

الأول أنهم كانوا يعملون من الشرور والآرقام ما يستحقون به تعجيل العذاب وتقريب الساعة لولا حكم الله بأنها مؤخرة إلى وقت علمه سبحانه .

الثانى : أن قولهم ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ استفهام غير حقيقى فكان انتظارهم كذلك غير حقيقى لأن القائل «متى» يفهم منه الانتظار ، وتنكير الصيحة يوحى بعظمها ، وكذلك وصفها بواحدة فلا تحتاج إلى ثانية ، تأخذهم- تعمهم بالأخذ وتصل إلى من فى مشارق الأرض ومغاربها ، ولا شك أن مثلها لا يكون الا عظيما .

«وهم يخصمون» تعبير يوحى بعد الشدة والقوة أنها تقع وهم غافلون مشغلون بخصوماتهم فيكون الارتجاف أتم والا يخاف أعظم لعدم ورودها على خاطرهم .

قال عكرمة هى النفخة الأولى فى الصور ، وقال أبو هريرة ينفخ فى الصور والناس فى

أسواقهم فمن حالب لقحته ، ومن ذارع ثوبا ومن مار فى حاجة . وروى نعيم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فلا يطويانه حتى تقوم الساعة ، والرجل يليط حوضه ليسقى ما شيته فما يسقيها حتى تقوم الساعة ، والرجل يرفع أكلته إلى فيه فما يبتلعها حتى تقوم الساعة أخرجه البخارى .

إنها تأخذهم وهم مشغولون فى الأسواق بين بيع وشراء وغدو ورواح وأقدام تطرق الأرض ومعاول تضرب فى التربة وأفراح وأعراس ومآتم وأحزان ومهرجانات وتجميعات ومدارس ومعاهد وجامعات تزخر بالمتعلمين والمعلمين ، كل أولئك تأخذهم الصيحة تأخذهم فتملك عليهم أنفاسهم وحركتهم وقد جمدت عيونهم فى مآقيهم واحتبست فى صدورهم وتوقف نبض قلوبهم قد أخذوا بالحدث حين فقدوا القدرة على التمييز .

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾

الغرض من هذه الآية : بيان شدة الأخذ وأن الصيحة لا تمهلهم حتى يوصوا إن كانوا بين أهلهم ولا يرجعون إلى أهليهم إن كانوا خارج بيوتهم وبعد هذا توحى بأمور أخرى منها عدم الاستطاعة فإن قول القائل فلان فى هذه الحال لا يوصى دون قوله لا يستطيع التوصية لأن من لا يوصى قد يستطيعها فإذا عجزوا عن التوصية بالقول فهم عن الفعل أعجز ، واختيار كلمة «التوصية» من بين سائر الكلمات يدل على العجز التام حيث لا قدرة له على أهم الكلمات فإن الحاجة إليها عند الموت أشد وأمس . والتنكير فى «توصية» للتعميم أى لا يقدرون على توصية «ما» ولو كانت بكلمة يسيرة ولأن التوصية قد تحصل بالإشارة فالعاجز عن الإشارة عاجز عن غيرها .

« وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ » .

تفيد معنيين : أحدهما القطع بأنهم لايمهلون إلى أن يجتمعوا بأهاليهم وذلك يوجب الحاجة إلى الوصية ، الثانى : أنهم يموتون ولا رجوع لهم إلى الدنيا فيأتون بالوصية .

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾

هى النفخة الثانية ، والصور ، القرن ، والنافخ إسرافيل ، والتعبير بالماضى «نفخ» لتحقق الوقوع ، والأجداث جمع جدث وهى القبور ، ينسلون يسرعون بطريق الجبر والقهر لا بطريق الاختيار .

والغرض من هذه الآية بيان ما بعد الصيحة الأولى . أى ونفخ فى الصور نفخة ثانية للبعث والنشور من القبور . فإذا جميع المخلوقين يخرجون من القبور يسرعون المشى إلى لقاء ربهم للحساب والجزاء ويوحى التعبير بالفاء وإذا «فإذا هم» بأن خروجهم فجأة وفى وقت واحد . كما قال تعالى :

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾

لقمان ــ ٢٨

وقوله تعالى :

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾

الزمر ــ ٦٨

وقال تعالى :

﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ القمر ــ ٧

وقال تعالى :

﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴾

المعارج ــ ٤٣

وقال تعالى :

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾

النبأ ــ ١٧

والمراد بكل هذه الآيات النفخة الثانية التى هى نفخة البعث والنشور .

روى عن الحسن قال بين النفختين أربعون سنة الأولى يميت الله بها كل حى والأخرى يحيى الله بها كل ميت ، ولا منافاة بين هذه الآية وبين قوله تعالى «ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون» لجواز اجتماع القيام والنظر والإسراع فى المشى فى وقت واحد .

﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾

هذه الآية تذكر ما يطرأ عليهم بعد البعث من الأهوال والمخاوف والويل والهلاك .

قالوا فى ابتداء بعثهم من القبور «ياويلنا» أى ياهلاكنا احضر فهذا أوانك ، وقيل المعنى ياقومنا انظروا ويلنا وتعجبوا منه وهى كلمة يقولها كل واحد منهم ، والمرقد . يجوز أن يكون بمعنى الرقاد أو محل الرقاد وهو القبر ، واطلاق المرقد على القبر أو على الموت من قبيل تشبيه الموت بالرقاد بجامع عدم ظهور الفعل والاستراحة من الأفعال الاختيارية ، ويجوز أن يكون المرقد على غير حقيقته ، وقالوا ذلك لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا .

وعن مجاهد أنهم يستريحون من العذاب قبيل النفخة الثانية ويذوقون طعم النوم . فالله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فإذا بعثوا فى الثانية وعاينوا أهوال القيامة دعوا بالويل ووجه ارتباط قوله «من بعثنا من مرقدنا» بقولهم «ياويلنا» : أنهم لما بعثوا تذكروا ماكانوا يسمعون من الرسل فقالوا «ياويلنا من بعثنا من مرقدنا» أبعثنا الله البعث الموعود به أم كنا نياما فنبهنا ؟ ومن هذا يتبين أنهم ترددوا بين أن يكون هذا هو البعث الموعود به أم كانوا نياما فنبهوا .

يدل على ذلك قولهم «من مرقدنا» حيث جعلوا القبور موضع الرقاد إشارة إلى أنهم شكوا فى أنهم كانوا نياما فنبهوا أو كانوا موتى وكان الغالب على ظنهم هو البعث فجمعوا بين الأمرين .

وجملة«هـذا ما وعـد الـرحمن وصدق المرسلون» .

يجوز أن تكون من كلام الكفار . ويكون المعنى : أنهم قالوا السؤال وجوابه فلما سألوا فلم يجابوا أجابوا من تلقاء أنفسهم ، ويجوز أن تكون الجملة من كلام المؤمنين أو من كلام الملائكة أو من الله . والمعنى قال المبعوثون ياهلاكنا من الذى

بعثنا من قبورنا بعد موتنا ؟ وهى قبورهم التى كانوا يعتقدون وهم فى دار الدنيا أنهم لا يبعثون منها وظنوا لما شاهدوا من الأهوال وما استبد بهم من الفزع أنهم كانوا نياما ، وهذا لا ينفى عذابهم فى قبورهم لأنه بالنسبة إلى ما بعده فى الشدة كالرقاد .

وقوله :

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

أى هذا ما وعد به الله وصدق فى الإخبار عنه الأنبياء والمرسلون فهم رجعوا إلى أنفسهم فاعترفوا أنهم بعثوا من الموت وأقروا بصدق الرسل يوم لا ينفع التصديق فهذا الكلام من قول الكفار ويجوز أن يكون هذا جواب الملائكة أو جواب المؤمنين ، كقوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾

الصافات ـ ٢٠ ـ ٢١

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾

فى هذه الآية بيان لسرعة البعث ، والمعنى ما كانت النفخة إلا صيحة واحدة لا تثنى ولا تكرر فإذا هم مجموعون لدينا بسرعة للحساب والجزاء كما قال تعالى :

﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ النحل ـ ٧٧

﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾

النازعات ١٣ ـ ١٤

وقال تعالى :

﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾

الصافات ـ ١٩

وقد قرئت «إن كانت إلا صيحة» بنصب «صيحة» ورفعها . فالرفع على أن «كان» تامة وصيحة فاعلها ، والنصب على أن «كان» ناقصة وصيحة خبرها ، واسمها ضمير يعود على النفخة المفهومة من «نفخ» أو على الواقعة المفهومة من السياق أى ما كانت الفعلة أو النفخة التى حكيت أنفا فى قوله تعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾

إلا صيحة واحدة حصلت من نفخ «اسرافيل» فى الصور ، وقيل هى من قول «اسرافيل عليه السلام أيتها العظام النخرة ، والأوصال المتقطعة ، والشعور المتمزقة ، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء . وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾

«ق» ـ ٤٢

وقوله :

﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾

القمر ـ ٨

ومعنى «محضرون» مجموعون أحضروا موقف الحساب .

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

قرار علوى فى طبيعة الموقف وطبيعة الحساب والجزاء يعلن على الجميع ـ وهو قرار يتضمن العدل التام بين الخلائق فلا تبخس نفس شيئا من عملها مهما قل ، ولا توفون إلا ما عملتم من خير أو شر :

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾
الزلزلة ـ ٨

وقال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾

النساء ـ ٤٠

وقوله ﴿لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ ليأمن المؤمن ، وقوله ﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ لييأس المجرم الكافر .

يستفاد من هذه الآيات الأمور الآتية

١ ـ كان الرد الحاسم على استعجال الكفار قيام الساعة استهزاء أنها تأتى فجأة كلمح البصر أو هى أقرب وتحدث بنفخة واحدة هى نفخة إسرافيل فى وقت يختصم الناس فى أمور دنياهم فيموتون فى مكانهم وهذه نفخة الصعق .

٢ ـ من آثار الموت المفاجىء بتلك النفخة أنهم لا يتمكنون من العودة إلى ديارهم إذا كانوا خارجين منها ولا يستطيعون الإيصاء إلى غيرهم مما لهم وما عليهم وقيل لا يستطيع أن يوصى بعضهم بعضا بالتوبة بل يموتون فى أسواقهم ومواضعهم .

٣ ـ ثم تأتى النفخة الثانية وهى نفخة البعث والنشور من القبور فهما نفختان لا ثلاث يدل على ذلك قوله تعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾

وغيرها من الآيات .

٤ ـ يتعجب أهل البعث ويذهلون ويفزعون مما يرون من شدائد الأهوال فيتساءلون . من أخرجهم من قبورهم ؟ مفضلين عذاب القبر لأنه بالنسبة لما بعده فى الشدة كالرقاد .

٥ ـ النفخة ـ وهى نفخة البعث ـ سريعة جدا فإذا حدثت تجمع الناس جميعا وحضروا مسرعين إلى لقاء ربهم للحساب والجزاء .

٦ ـ الحساب حق وعدل والجزاء قائم على العدل المطلق فلا ينقص من ثواب العمل أى شىء مهما قل ولا يجزى الناس إلا على وفق ما عملوا من خير أو شر .

وبالله التوفيق

نظرات في ألفاظ القرآن الكريم

مادة حج

بقلم فضيلة الشيخ / عبد الفتاح السيد جمعان(*)

ذكرت مشتقات هذه المادة في كتاب الله عز وجل تسعا وعشرين مرة موزعة على أربع صيغ هي الحجّ والحجّة والحجة والحاجة ، وسنتناول إن شاء الله ـ تعالى ـ الصيغة الأولى في مقالنا هذا ، فنقول وبالله التوفيق :

أولا : الحجّ

مادة الكلمة ومعناها : فعلها حجّ بمعنى قصد وزار بالحاء والجيم المدغمة من باب نصر أى : مضمومة العين في المضارع ، والمصدر حجّ ، وأصل الحج الزيارة .. يقال :رجل محجوج إذا كان مقصوداً ، ومن ذلك محجة الطريق لأنه يقصد كثيراً ليسير الناس فيه .

وفي الشرع : قصد بيت الله تعالى إقامة للنسك ، فكأن البيت لما كان مقصودا بهذا النوع من العبادة سمى ذلك حجا ، والاسم منه حج بكسر الحاء قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

آل عمران ـ آية ٩٧

ويوم الحج الأكبر هو يوم النحر أو يوم عرفة[١] .

وقيل : الحج كثرة الاختلاف إلى الشيء والتردد عليه ؛ فمن زار البيت فإنه يأتيه مرات :

(*) الكاتب : مدير عام شئون القرآن ـ بالأزهر .

(١) بصائر ذوى التمييز للفيروز آبادى ج ٢ ص ٤٣٢ .

مرة فى القدوم ، ومرة بعد منى وعرفة لطواف الإفاضة ، ومرة عند الوداع ، وقال قطرب : الحج : الحلق يقال «احجج شجتك» وذلك بأن يقطع الشعر من نواحى الشجة ، فيكون المعنى حج فلان أى حلق ، قال القفال محتمل لقوله ـ تعالى :

﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾

الفتح ـ آية ٢٧

أى حجاجا وعمارا فعبّر عن ذلك بالحلق فلا يبعد أن يكون الحج سمى بهذا الاسم لمعنى الحلق[٢] .

واسم الفاعل : حاجّ ، وقد يراد به الجمع والفوج من الحجاج[٣] قال تعالى :

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ﴾ .

التوبة ـ آية ١٩

أى : أجعلتم أهل سقاية الحجيج وأهل العمارة كالمؤمنين بالله المجاهدين فى سبيله ، وذلك أن الكفار قالوا : عمارة بيت الله والقيام على سقاية الحجاج خير من الإيمان والجهاد فأنكر الله عليهم ذلك ونزلت هذه الآية .

ولنستعرض الآن الآيات التى وردت فيها كلمة الحج .

(١) قوله ـ تعالى :

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ .

البقرة ـ آية ١٥٨

---

(٢) مفاتيح الغيب للرازى ص ٥٥٥ ـ المجلد الثانى .

(٣) القاموس القويم ج ١ ص ١٤٢ .

أى إن السعى بين الصفا والمروة من المناسك ومن شعائر دين الله فى الحج والعمرة ، فلا جناح على الحاج أو المعتمر فى السعى بينهما ، ونفى الإثم والحرج يشمل الواجب والمندوب ، وذلك أنه كان على الصفا صنم اسمه أساف وعلى المروة صنم اسمه نائلة ، وكان الكفار يتبركون بهما فكره المسلمون السعى بينهما حتى لا يكونوا متشبهين بالمشركين ؛ فنزلت هذه الآية وليس فيها دلالة على أن السعى واجب أو غير واجب ، ولذا اختلف فيه العلماء : فذهب الشافعى إلى أنه ركن بدليل آخر ، وذهب أبو حنيفة إلى أنه ليس واجبا مستدلا بهذه الآية ، والخلاف يطلب فى مظانه من كتب الفقه لمن يشاء .

(٢) والآية الثانية التى ورد فيها الحج هى قوله تعالى :

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ .

البقرة ـ آية ١٨٩

والآية نزلت حين وجه إلى رسول الله ﷺ سؤال فقيل له : « يارسول الله ما بال الهلال يبدو ويطلع دقيقا مثل الخيط ، ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ويستدير ، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان ؟ لكن الآية لم تجب عن سؤالهم السابق ؛ بل أجابت عن السؤال الذى كان ينبغى أن يكون سؤال السائلين متجها إليه على طريقة الأسلوب الحكيم ، فبينت لهم أن الأهلة جعلها الله مواقيت للناس فى عباداتهم كالصوم والحج وتحديد حول الزكاة ومعاملاتهم فى العقود والآجال ؛ لأن التوقيت بالسنة القمرية سهل ومناسب للعرب[1] .

(٣) والآية الثالثة التى جاء فيها كلمة الحج هى قوله تعالى :

﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ .

سورة البقرة ـ الآية ١٩٦

والمعنى : أدوا الحج والعمرة تامين كاملين بشروطهما وآدابهما ، فإن أحصرتم : أى منعتم من إتمامهما فلا يتحلل أحدكم من إحرامه إلا إذا قدم ما تيسر له من الهدى ناقة أو بقرة أو شاة

---

(١) التفسير الواضح ج ٢ ص ٣٠ .

ولا يتحلل حتى يبلغ الهدى المكان الذى يذبح فيه ، فإن لم يجد شيئاً يذبحه اشترى بقيمة الذبيحة طعاماً وتصدق به ، فإن لم يجد صام ثلاثة أيام ، وللإحرام بالحج والعمرة محظورات كالحلق ولبس المخيط ؛ فمن كان به عذر فى رأسه أو جسده واضطر لفعل محظور من محظورات الحج أو فعله ناسيا فعليه فدية ؛ وهى صيام ثلاثة أيام أو اطعام ستة مساكين أو ذبح شاة .

وأفادت الآية حكما ثالثا ، وهو أن من أدى العمرة قبل الحج ثم تحلل من إحرامه وتمتع بهذا التحلل إلى أن أحرم مرة أخرى بالحج ، فعليه ما تيسر من الهدى ؛ لأنه أحرم من غير الميقات ، وأقل الهدى شاة فمن لم يجد فصيام ثلاثة فى الحج ، تنتهى بانتهاء يوم عرفة وسبعة إذا رجع إلى أهله فهذه عشرة كاملة ، وهذا الحكم خاص بمن كان من خارج مكة شرفها الله تعالى .

(٤) أما الآية الرابعة التى ذكر فيها لفظ الحج فقوله تعالى بعد الآية السابقة :

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾

سورة البقرة ـ الآية ١٩٧

وهى تفيد أن الحج له أشهر معلومة هى : شوال وذو القعدة وذو الحجة أو عشر منه بمعنى أنه لا يجوز الإحرام بالحج قبل هذه الأشهر ، وإن كانت مناسكه كلها تؤدى من الثامن إلى الثانى عشر من ذى الحجة ، فمن أوجب على نفسه الحج وجب أن يبتعد عن الجماع ومقدماته والكلام فيه فإنه رفث ويبتعد كذلك عن الفسوق والخروج عن طاعة الله فلا يأتى أى شيء محرم على المحرم كالصيد والطيب والزينة ولبس المخيط والجدال والخصام والتنابذ بالألقاب ، وكل ما يفعله الإنسان من خير فالله عليم به ويجازى بالحسنى عليه ، ثم تأمرنا الآية بالتزود بالأعمال الصالحة لأن خير الزاد التقوى عند أولى الألباب .

(٥) وخامس الآيات التى ورد فيها لفظ الحج هى قوله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾

سورة آل عمران ـ آية ٩٧

فبعد أن بين الله ـ تعالى ـ قبل هذا القول الكريم أن البيت الحرام بمكة ، الذى ساقت إليه عناية الله أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام ليجدد بناءه ، فكان مصلاه ومقامه استعدادا لاستقبال الرسالة الخاتمة على يد خاتم المرسلين محمد «صلوات الله عليه» ، هذا البيت هو أول بيت وضع

للناس فى الأرض ليكون مصدر الخير ومعلم الهدى(*) بعد أن بين الحق فى هذه الآية أن الله فرض على الناس ـ كل الناس ـ حج البيت بشرط الاستطاعة .

والآية الكريمة ساقت الأمر فى صورة الخبر ، وهو أبلغ كأن الأمر الإلهى صدر إلى الناس فامتثلوه فأخبر عن ذلك .

والاستطاعة التى قيد بها هذا الأمر استطاعة عامة تشمل القدرة المالية والجسدية وأمن الطريق .

(٦) والآية السادسة من الآيات المذكور فيها كلمة الحج هى قوله تعالى :

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ .

سورة التوبة ـ الآية ٣

ويوم الحج الأكبر هو يوم النحر ، لما روى عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ وقف يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فيها فقال :

« أى يوم هذا ؟ قالوا : يوم النحر قال : هذا يوم الحج الأكبر » .

رواه أبو داود وابن ماجة ، وروى ذلك عن على وابن عباس ومجاهد وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين .

وسمى يوم الحج الأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر ، أو لأن ما وقع فى هذا اليوم من أعمال الحج أكبر من باقى الأعمال ، أو لأنه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين(٦) .

وقيل : إن يوم الحج الأكبر هو يوم عرفة لقول الرسول ﷺ : « الحج عرفة » .

ومعنى الآية باختصار أن الله ـ تعالى ـ بعد أن أعلم براءة الله ورسوله من المشركين ، وأمهل المعاهدين منهم أربعة أشهر ، ثم تنتهى معاهداتهم ، عاد فأكد هذه البراءة وأعلم الناس جميعا يوم الحج الأكبر الذى اجتمع فيه المسلمون والمشركون لآخر مرة أن الله سبحانه برىء من المشركين وكذا رسوله برىء منهم ومن عهودهم ، فإن تابوا من الكفر بالإيمان فذلك خير لهم ، وإن تولوا وظلوا على كفرهم فليعلموا أنهم لن يعجزوا الله أبدا ، واستحقوا عند ذلك أن يبشروا على سبيل التهكم بعذاب أليم .

(٧) والآية السابعة التى جاءت فيها كلمة الحج هى قوله تعالى فى السورة المسماة بهذا الاسم :

(*) التفسير القرآنى للأستاذ عبد الكريم الخطيب بتصرف ـ مجلد ١ ص ٥٣٣ وما بعدها .

(٦) روح المعانى للألوسى ج ١٠ ص ٤٦ .

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾

سورة الحج ـ الآية ٢٧

وهي خطاب لسيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ على الأرجح فبعد أن أتم البناء أمره الله تعالى أن ينادى الناس داعيا لهم إلى حج هذا البيت الذى بناه امتثالا لأمر الله ـ تعالى ـ فقال :

«يارب وما يبلغ صوتى ، فقال : ناد وعلينا البلاغ ، فقام على مقامه ، وقيل : على الحجر ، وقيل : على الصفا ، وقيل : على أبى قبيس ، وقال :

« يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه ، فيقال : إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض وأسمع من فى الأرحام والأصلاب ، وأجابه كل من سمعه من حجر وشجر ومدر ، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك » .

روى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف[٧] .

فإذا أذنت يا إبراهيم يأتيك الحجاج رجالا أى راجلين ، ويأتونك على كل بعير ضامر من طول السفر أتعبه بعد الشقة فهزله وزاد فى هزاله ، هؤلاء وأولئك يأتون من كل فج عميق أى من كل طريق واسع بعيد .

واستدل بعض العلماء بتقديم «رجالا» فى الآية على أن المشى أفضل فى الحج من الركوب .

روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال : « ما آسى على شىء فاتنى إلا أنى لم أحج ماشيا حتى أدركنى الكبر اسمع الله تعالى يقول : ﴿ **يأتوك رجالا وعلى كل ضامر** ﴾ فبدأ بالرجال قبل الركبان » .

رواه البيهقى وابن أبى شيبة

وأخرج ابن سعد وابن مردويه عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة وللماشى سبعمائة حسنة من حسنات الحرم » .

قيل يا رسول الله ، وما حسنات الحرم ؟ قال :

« الحسنة مائة ألف حسنة »[٨] .

والذى عليه الأكثرون أن الحج راكبا أفضل اقتداء برسول الله ﷺ ؛ فإنه حج راكبا مع كمال قوته عليه السلام[٩] .

---

(٧) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٧ .

(٨) روح المعانى للألوسى ج ١٧ ص ١٤٤ .

(٩) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٧ .

ستر الله - عز وجل - للمؤمن

بقلم أ. د محمود سالم الخطيب

سئل عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن حديث النجوى ، فقال . قال رسول الله ﷺ :

« إن الله يدني المؤمن ، فيضع عليه كنفه ويستره ، ويقول : أتعرف ذنب كذا .. أتعرف ذنب كذا ، فيقول : نعم ، أى رب ـ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال : سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته .

وأما الكافر والمنافق فيقول :

« هؤلاء الذين كذبوا على ربهم . ألا لعنة الله على الظالمين »

رواه البخارى في المظالم والتفسير والأدب والتوحيد ، وأخرجه مسلم في التوبة ، والنسائى وابن ماجه .

النجوى : هى المسارة التى تقع بين العبد وربه يوم القيامة أو هى ما تكلم به المرء ويسمع نفسه ولا يسمع ، أو يسمع غيره سرا دون من عليه ، قال الراغب ناجيته إذا ساررته وأصله أن تخلوا في نجوة من الأرض ، وقيل أصله النجاة وهى أن تنجو بسرك من أن يُطلع عليه (المفردات للراغب بتصرف) .

يدنى : أى يقربه ربه منه دنو كرامة ورتبة ومنزلة ، وليس المراد الدنو المكانى .

يضع عليه كنفه : الكنف أى الجانب والستر والعون ، أو يحيطه بعنايته التامة أو يعفو عنه .

وهذه الألفاظ الثلاثة : من قبيل المتشابه الذى يلجأ في فهم معناه إلى التأويل بما يليق بذاته ـ تعالى ، أو إلى تفويض معناه إلى علم الله

ـ تعالى ، المهم أن المؤمن ينزه الله ـ تعالى ـ عن كل ما لا يليق به أو ما يوهم مشابهته للحوادث . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال ـ تعالى :

﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾

سورة الشورى الآية ١١

ترجمة راوى الحديث

هو عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشى العدوى ، ولد سنة ثلاث من البعثة النبوية ، وهو من السابقين فى الإسلام ، شهد مع النبى ﷺ غزوة الخندق وما بعدها ولم يقبل فى بدر ولا فى أحد لصغر سنه إذ ذاك ، وكان من زهاد الصحابة وعبادهم وأعلامهم وأجوادهم وعقلائهم ، وهو من المكثرين فى رواية الحديث ، أخذ بفقهه أهل المدينة وتفرع منه مذهب الامام مالك ـ رضى الله عنه ـ وتوفى سنة ٧٣ هـ وكان عمره ٨٧ عاما .

المعنى العام للحديث

يخبر النبى ﷺ عن مدى عفو الله وسعة فضله وعظيم كرمه وحلمه بالمؤمن الذى أذنب ذنبا ثم ستره الله ـ تعالى ـ فى الدنيا ولم يطلع على ذنبه أحداً ، ففى يوم القيامة ـ عند الحساب ـ يناجيه ويدنيه منه ويجعله تحت كنفه ويقرره بذنوبه ، فيقول له فعلت ذنب كذا وذنب كذا ، فيقول العبد نعم ، وفى رواية أخرى فيقول إى ربى ـ أى نعم ـ وفى رواية أعرف ، وفى أخرى يعطى صحيفة أعماله .

فإذا أقر العبد بذنوبه التى فعلها ورأى نفسه هالكاً مستحقاً للعذاب لا محالة على ما أذنب ، فيقول ـ سبحانه وتعالى : سترت ذنوبك فى الدنيا وأنا أغفرك لك ثم يعطى كتاب حسناته .

وأما بالنسبة للكافر والمنافق فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يفضحهما على رؤوس الأشهاد ، ـ أى الملائكة ـ .

ويقول الأشهاد تبكيتا لهما : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بنسبه الولد والشريك له تعالى ، ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ ألا لعنة الله على الظالمين .

والمراد باللعن : الطرد والابعاد عن رحمة الله ـ تعالى ، والمراد بالظالمين : الكفار والمنافقين ، فلا ظلم أكثر من الكفر والنفاق ، وأتى بلفظ « ألا » لتوكيد اللعن والطرد .

ونلحظ أن الرسول ﷺ ذكر هذه الآية ضمن الحديث ليقابل بين إكرام الله للمؤمن وغضبه ومقته للكافر والمنافق .

أهمية التحلل من مظالم الدنيا

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : (من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله[1] منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه) رواه البخارى .

وكذلك أخبرنا الصادق الأمين أن المؤمن العاصى لا يدخل الجنة إلا إذا قضى ما عليه من سيئات بينه وبين غيره ، فعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال : (إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون

---

(١) فليتحلله : أى يسأله أن يجعله فى حل ، ويطلب منه براءة ذمته

مظالم كانت بينهم فى الدنيا ، حتى إذا نقوا وهُذبوا أذن لهم بدخول الجنة ، فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أدل بمنزله كان فى الدنيا) رواه البخارى ص١٤ جـ٢ .

خلص المؤمنون : أى نجوا من الصراط ، **ويتقاصون** : من القصاص والمظالم التى كانت بينهم فى الدنيا من أنواع المظالم المتعلقة بالأبدان والأموال ، فلا يدخل الجنة أحد وعليه تبعات لأحد .

ونقوا : أى أكملوا القصاص الذى بينهم

وهذبوا : أى خلصوا من الآثام .

الذى نفسى بيده : أى روحى بقدرته .

أدل بمنزله : أى أكثر دلالة على مسكنه الذى فى الجنة فقد عرفه الله له فى البرزخ .

خطر الجهر بالمعاصى

وأما المؤمن الذى يرتكب الذنب ويستره الله فى الدنيا ثم يفضح نفسه فى الصباح فلا يستحق عفو الله ـ تعالى ـ لمجاهرته بذنبه ومباهاته به ، فإن لم يتب يعذبه الله بقدر ذنبه ثم يدخله الجنة ، وإن تاب فعسى أن يعفو الله عنه .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : (كل أمتى معافى إلا المجاهرون[٢] وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره الله عليه ويصبح يكشف ستر الله عنه) رواه البخارى .

ومعافى : أى يعفو الله عن ذنبه ولا يؤاخذ به .

المجاهـــرون : أى المعلنـــون لفسقهـــم لاستخفافهم بحق الله تعالى ورسوله والمؤمنين .

من هذا الحديث وغيره من الأحـــاديث الصحيحة نعرف أن من الذنوب ما يتعلق بالله ـ سبحانه وتعالى ـ وهى قسمان : قسم لا يجاهر صاحبه بذنبه ويتوب منه فيغفر الله له ، وقسم يجاهر بذنبه ولا يتوب منه فلا يستحق العفو من الله ـ تعالى .

ومن الذنوب ما يتعلق بالعباد بعضهـم مع بعض ، وهؤلاء يتقاصون المظالم التى كانت بينهم فى الدنيا كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة ، وسبحانه يفعل باختياره ما يشاء فى عبادة يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، إن عذّب فبمحض عدله وإن غفر فبمحض فضله .

وهذا الحديث وغيره حجة لأهل السنة من أن الله تعالى لا يخلد أحدا من المؤمنين فى النار على التفصيل السابق من المقاصة والشفاعة والعفو بشرط أن لا يعتقد المؤمن حل المعصية أو الذنب الذى ارتكبه ، وأن لا يكون هذا الذنب مكفرا ، وهو حجة على الخوارج الذين يكفرون مرتكب المعصية ويقولون بخلوده فى النار ، وحجة أيضا على المعتزلة الذين يقولون : إن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا مطلقا ولا كافرا مطلقا وإنما هو فى منزلة بين المنزلتين فيعذب عذاب الفساق .

جنبنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذنوب صغيرها وكبيرها ، وحفظنا من المعاصى كلها وجعل بيننا وبين النار وقاية وشملنا بعفوه ولطفه وستره ومنّه وكرمه فى الدنيا إنه سميع الدعاء .

---

(٢) المجاهرون : تقرأ بالنصب على الاستثناء ، وبالرفع على الابتداء ، والخبر محذوف ، تقديره : المجاهرون لا يعفو الله عنهم .

قبس من أنوار النبوة

خذوا عنى مناسككم

لفضيلة الشيخ / على حامد عبدالرحيم

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : انطلق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المدينة بعدما ترجل وادَّهن ولبس إزاره ورداءه هو وأصحابه ، فلم ينه عن شىء من الأردية والأزر تُلبس إلا المزعفرة التى تروغ ـ تلطخ ـ على الجلد فأصبح (بذى الحليفة) ركب راحلته حتى استوى على البيداء أهل هو وأصحابه ، وقلد بُدنه ، وذلك لخمس بقين من ذى القعدة ، فقدم مكة لأربع خلون من ذى الحجة ؛ فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة ولم يحل من أجل بُدنه ، لأنه قلدها ، ثم نزل بأعلى مكة عند (الحجون) وهو مهل بالحج ، ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة ، وأقر أصحابه أن يطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة ثم يقصروا من رءوسهم ثم يحلوا ، وذلك لمن لم يكن معه بدنة قلدها ، ومن كانت معه امرأته فهى له حلال ، والطيب والثياب .. رواه البخارى .

عبر السنين والأعوام ، وفى السنة العاشرة من هجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نعيش مع هَدْيه وأدائه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لمناسك الحج ، نستلهم الدروس النافعة ، ونأخذ القدوة الحسنة ، والأسوة الطيبة ، والالتزام

بأحكام الشرع ، والارتباط بميثاق الله ، والانضباط فى المنهج والسلوك .

ففى الإحرام رمز للمساواة ، والتجرد من شهوات النفس وسلطان المادة .

وفى التلبية إعلان عن الإذعان لله ، وخروج من مشاغل الدنيا وما فيها من مشاغل ومنافسات ومنازعات ، امتثالا لقول الله تعالى - :

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ . سورة البقرة

وفى الطواف بالكعبة المشرفة تأكيد لوحدة المسلمين على اختلاف أوطانهم وألوانهم يطوفون حول بيت واحد ، ويعبدون ربا واحدا .

وفى سعيهم بين الصفا والمروة يرفلون تحف بهم الرحمة ، ويعيشون ذكرى هاجر أم إسماعيل - عليه السلام - وقد أعوزها الماء ، فقامت تسعى ضارعة إلى الله لإرواء ظمئها وابنها ، وقد أجاب الله رجاءها فتفجر عين زمزم فياضة النبع ذات خير عميم وعطاء كريم إلى يوم الدين .

وفى الوقوف بعرفة مؤتمر عام لذوى الخبرة من الوافدين للحج تكون القوة الكبرى بالتشاور والتحالف ، والقوة الاجتماعية بالتلاق والتعارف . والقوة الاقتصادية بالبيع والشراء ، والقوة الروحية بتعظيم شعائر الله وأداء المناسك . يعالجون فيه حاجات المسلمين

لقد أذن فى الناس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حاج ، فقدم المدينة خلق كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويعمل مثل عمله فى أداء هذه الشعيرة .

خرج - صلوات الله وسلامه عليه - من المدينة بعد أن صلى بها الظهر أربعا إلى ذى الحليفة حيث صلى بها العصر ركعتين ، ثم تجرد فى إزار ورداء وصلى ركعتين ، وأهل محرما بالحج حين استقل ناقته القصواء ، ثم أدخل على حجه العمرة ، فكان بذلك قارنا ، ليبين لهم تشريع العمرة حيث كانوا يرون العمرة فى أشهر الحج من أفجر الفجور ، كما جاء فى رواية البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - حتى بلغ مكة فى اليوم الرابع من ذى الحجة . بادر بالذهاب إلى المسجد الحرام لطواف القدوم فبدأ من الحجر الأسود مسرعا فى الأشواط الثلاثة الأولى ، ماشيا فى الأربعة الأخيرة .

روى مسلم عن جابر - رضى الله عنه - لا .. حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن فرمل - أى أسرع - ثلاثا ومشى أربعا ، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم فقرأ : واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، فجعل المقام بينه وبين البيت ، وصلى ركعتين : قرأفيهما بعد الفاتحة : قل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد . ثم رجع إلى الركن مستلما ومقبلا للحجر الأسود . ثم تضلع وشرب كثيرا من ماء زمزم مبينا لأمته أن ماء زمزم - طعام طعم ، وشفاء سقم .

ثم اتجه إلى الصفا تاليا لقول الله - تعالى - :

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ .

سورة البقرة - آية : ١٥٨

وقائلا : أبدأ بما بدأ الله به - وارتقى عليه حتى رأى البيت فوحد الله وكبره ثم نزل إلى المروة ففعل

عندها كما فعل على الصفا حتى إذا كان آخرُ سعيه على المروة قال : لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة ؛ فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة .

قال جابر ـ رضى الله عنه ـ : فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن كان معه هدى فلما كان يوم التروية ـ الثامن من ذى الحجة توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج ، وركب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصلى ـ بمنى ـ الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس فسار حتى عرفة .. حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فأتى بطن الوادى فخطب الناس ... ثم إذن ثم أقام فصلى الظهر ـ ركعتين ـ ثم أقام فصلى العصر ـ ركعتين ـ ولم يصل بينهما شيئا .. ثم ركب حتى أتى الصخرات[1] وظل يدعو حتى غربت الشمس ، فدفع من عرفات ـ أى أفاض ـ إلى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين ، ولم يسبح بينهما ، ثم اضطجع حتى إذا صلى الفجر أتى المشعر الحرام ، فدعا الله وكبر حتى أسفر[2] جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس ، فحرك حين أتى « مُحَسِّر » ثم سلك الطريق الوسطى حتى أتى الجمرة الكبرى فرماها بسبع حصيات كبر مع كل حصاة ، ثم انصرف إلى النحر فنحر ثلاثا وستين بدنه ، ودعا الحلاق فحلق ـ صلى الله عليه وسلم ـ شعر رأسه .. ودعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة . ثم ركب فأفاض إلى البيت ، وبعد أن طاف طواف الإفاضة شرب من ماء زمزم وصلى الظهر ، ثم رجع إلى منى فلما أصبح انتظر زوال الشمس فبدأ بالجمرة الأولى ثم الوسطى ثم الكبرى فرمى كل واحدة سبع حصيات يكبر مع كل حصاة .

ثم خطب فى الناس يوم النحر ، وكذلك اليوم الثانى ، ولما أكمل أيام التشريق الثلاثة أفاض بعد الظهر .. ثم نهض إلى مكة فطاف للوداع ليلا سحرا . ونادى بالرحيل راجعا إلى المدينة وكبر ثلاث مرات ، وقال : آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون . صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

---

(١) الصخرات : مكان أسفل جبل الرحمة .

(٢) أى أبيض النهار قبل الشروق .

الأصل الشرعي لمشروعية التأمين التبادلي

(٥)

للدكتور / عبدالله مبروك النجار

والفقهاء القائلون بجواز هذا النوع من التأمين ، قد أسسوا هذا الجواز على مصادر التشريع الإسلامي بعد دراسة مستفيضة تم عن حقيقته ، وانتهوا إلى أنه يعد تطبيقا لمبادئ الشريعة العامة ومقاصدها الكلية التي تدعوا إلى التعاون على البر والتقوى ، وتنهى عن الأثم والعدوان ، وتأمر بترابط أبناء المجتمع الإسلامي وتراحمهم وتضامنهم ، وهذه المقاصد تجد أساسا لها من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .

أما الكتاب : فيقول الله ـ تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[١] .

حيث أمر الله ـ تعالى ـ بالتعاون على البر والتقوى ، ونهى عن التعاون على الإثم والعدوان ، ومن البر أن يتعاون الناس في دفع الأخطار التي يمكن أن تتهدد حياتهم ، على نحو ما هو حاصل في التأمين التبادلي أو التعاوني ، ومن مظاهر تقوى الله في التعاون أن يخلو من كل ما يعد خروجا على ما يقتضيه حكمه ، وليس في التأمين التبادلي على حسب ما قرر الباحثون ، خروج على ما تقتضيه الأحكام الشرعية ، وإن كان لا يخلو من غرر ، إلا أن القدر الموجود فيه منه معفو عنه ، لقيامه على التضامن والتعاون واتخاذه شكل التبرع .

ومن السنة النبوية : ما رواه البخاري عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى »[٢] .

وبما روى عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من نفس عن مؤمن كربة ، من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »[٣] .

---

(١) سورة المائدة ـ آية ٢ .

(٢) مختصر صحيح البخاري ـ حديث رقم ٢٠١٨ ، وصحيح مسلم بشرح النووي ـ جـ١٦ ـ ص١٤٠ ـ المطبعة المصرية ومكتبتها .

(٣) سبل السلام للصنعاني ـ جـ٤ ـ ص١٦٨ .



وبما روى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ أنه قال : « من كان له فضل ظهر ، فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » قال : « فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى الفضل »[4] .

ووجه الدلالة من هذه الأحـــاديث على المطلوب : أن الحديث الأول يصور معنى التعاون فى المجتمع ، وأنه يجعل أفراده بمثابة الجسد الواحد الذى يتألم لألم أى عضو فيه ، وأن الحديث الثانى يحدد واجب التعاون وهو ما يتمثل فى تنفيس الكربة ، وأن يكون الإنسان دائما فى عون أخيه ، وأما الحديث الثالث فإنه يبرز جانبا آخر من جوانب التعاون فى المجتمع ، وهو أن يجود الواحد على من لم يجد ، والتعاون لا يخرج عن هذه المبادىء فيكون مطلوبا بتلك الأحاديث .

الغرر مغتفر فى عقود التبرع :

ولئن كانت هذه الأحاديث تدل على طلب التعاون فى الجملة ، فإن ما قد يصاحبه من تفاوت فى مقدار الأخذ والعطاء ، قد يدخل كثيرا من أنواع التعاون المطلوب شرعا تحت باب الغرر والقمار ، ولكن ما يصرف هذا النوع من التعاون عن باب الغرر المحرم شرعا : أن ذلك التفاوت فى البذل المصاحب للتعاون يقوم فى أساسه على التبرع ، وصيغة التبرع هى الصيغة التى ارتضاها الإسلام أسلوبا للتعاون والتراحم بين الناس ، لأن المتبرع لا يبغى من ورائها ربحا ، ولا يطلب عوضا ماليا مقابلا لما بذل ، وبالتالى فإن العقد المبرم لتنظيمه لا تفسده الجهالة الفاحشة[5] .

أدلة اغتفار الغرر فى عقود التبرع :

ولئن كان الأصل أن التعامل المشوب بالغرر يكتنفه الفساد ، وتعتريه الحرمة ، فإن هذا الأصل معدول عنه فى عقد التبرع ، وليس العدول هنا بالرأى والاجتهاد ولكنه ثابت بنص هو أقوى فى العمل به من أدلة الأصل الذى يفيد التحريم ، فالعدول بالحكم هنا عن أصله إلى التحريم ، ثبت بأدلة أخرى اعتبرها بعض الباحثين مما يفيد حصول ذلك العدول فى موضوع التأمين التعاونى وهذه الأدلة ثابتة من سنة النبى ﷺ والقياس .

أما السنة النبوية فمنها :

أولا : ما رواه جابر بن عبدالله أنه قال : بعث رسول الله ﷺ بعثا قبل الساحل فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح ، وهم ثلاثمائة وأنا منهم فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فنى الزاد ، فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش ، فجمع ذلك كله فكان مزودى تمرا ، فكان يقوتناه كل يوم قليلا قليلا حتى فنى فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة[6] .

---

(4) الفتح الكبير فى ضم الزيادة للجامع الصغير ، للسيوطى – جـ٣ – ص ٢٣١ – مراجعة وترتيب الشيخ يوسف النبهانى – طبعة الحلبى سنة ١٣٥٠هـ .

(5) ويلاحظ أن هيئة الرقابة الشرعية لبنك فيصل الإسلامى السودانى ، قد أوصت فى حيثيات جوازها للتأمين التعاونى : أنه لكى يكون التأمين تعاونيا طاهرا ، يجب النص صراحة فى عقد التأمين على أن المبلغ الذى يدفعه المشترك يكون تبرعا منه للشركة يعان منه من يحتاج إلى المعونة من المشتركين ، حسب النظام المتفق عليه بشرط ألا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية ، راجع : غريب الجمال – التأمين التجارى والبديل الإسلامى – ص ٢٦٤ ، ٢٨٤ .

(6) صحيح البخارى بشرح فتح البارى – جـ٥ – ص ١٢٨ رقم ٢٤٨٣ ، وصحيح مسلم بشرح النووى – جـ ١٣ – ص ٨٤ وما بعدها – المطبعة المصرية ومكتبتها .

وجه الدلالة فى هذا الحديث :

يقول النووى : جمع أبى عبيدة للطعام محمول على أنه جمعه برضاهم وخلطه ليبارك لهم فيه كما فعل النبى ﷺ ذلك فى مواطن ، وكما كان الأشعريون يفعلون وأثنى عليهم النبى ﷺ بذلك ، وقد قال أصحابنا ، وغيرهم من العلماء يستحب للرفقة من المسافرين خلط أزوادهم ليكون أبرك وأحسن فى العشرة ، وأن لايختص بعضهم بأكل دون بعض[7] .

وجمع الطعام فى السفر يدخل فى النهد ، والتناهد هو إخراج القوم نفقاتهم على قدر عدد الرفقة ، ولئن كان النووى وغيره[8] ، قد قيده بالسفر فإن هناك رأيا آخر فى الفقه يجيز حصوله فى الحضر[9] ، والحديث يفيد أن الاشتراك فى الأكل لايقتضى التسوية ، لاختلاف حال الآكلين ، ولأن الذى يوضع للأكل سبيلـه المكارمـة لاالتشاح ، وقد اغتفر الربا فى النهد لثبوت الدليل على جوازه ، وذلك أن الإنسان قد يأكل أكثر أو أقل مما أخذ منه ، لكنه اغتفر هذا الفضل للدليل الدال على جوازه[10] ، وما حصل عن طريق النهد وإن كان لايتم عن طريق التعاقد والالتزام بدفع شيء معين أو غير معين مقابل التزام آخر ، وإنما يتم عن طريق المواساة فى أوقات الحاجة والمجاعة .

وقياس البذل فى المال عن طريق التأمين التعاونى يمكن أن يقاس على هذا .

مناقشة الاستدلال بالحديث :

وقد نوقش الاستـدلال بهذا الحديث من وجهين :

الأول : أن ما حصل فيما ذكر فيه لم يتم عن طريق التعاقد والالتزام بين أطراف عقد ؛ وإنما الأمر أمر مواساة فى أوقات الحاجة .

الثانى : أن ما ورد فيه إنما هو حالة استثنائية خاصة ، فيمكن أن يطبق حكمها على ما يماثلها فقط ، ولايصح أن تجعل قاعدة عامة يبنى عليها تنظيم عام كنظام التأمين التعاونى[11] .

رد هذه المناقشة :

وهذه المناقشة مردودة بأن نفى حصول التعاقد غير مؤكد فلا يعول عليه ، وحصول الفعل يرجح وجود التعاقد الضمنى ، يقول النووى : « هذا محمول على أنه جمعه برضاهم ، وخلطه ليبارك لهم فيه كما فعل النبى ﷺ ذلك فى مواطن كما كان الأشعريون يفعلون وأثنى عليهم النبى ﷺ بذلك ، وقد قال أصحابنا وغيرهم من العلماء : يستحب للرفقة من المسافرين خلط أزوادهم ليكون أبرك وأحسن فى العشرة وأن لايختص بعضهم بأكل دون بعض »[12] .

---

(7) شرح النووى على صحيح مسلم ـ جـ١٣ ـ ص٨٥ .

(8) النووى على صحيح مسلم المكان السابق ـ والنهاية فى غريب الحديث والأثر ـ جـ٥ ـ ص١٣٥ ـ تحقيق الطناحى ـ طبعة عيسى البابى الحلبى ، حيث قيده ابن الأثير بسفر الغزو ، وهو أن يقتسموا نفقتهم بالسوية حتى لايتغابنوا ولا يكون لأحدهم على الآخر فضل ومنة ، والحديث لا يفيد هذا القيد .

(9) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ـ جـ٥ ـ ص١٢٩ .

(10) فتح البارى ـ المكان السابق ـ وعمدة القارى بشرح صحيح البخارى للعينى ـ جـ١٣ ـ ص٤٥ وما بعدها ـ دار الفكر .

(11) د. محمد بن أحمد الصالح ـ عقود التأمين ـ حقيقتها وحكمها ـ ص٣٣ ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة .

(12) النووى على صحيح مسلم ـ المكان السابق .

وأما ما قيل من أنه حالة خاصة ، فذلك ما لم يقم دليل عليه ، مع أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فقصر دلالة الحديث على تلك الحالة الخاصة يعتبر تخصيصا بلا مخصص وهو باطل ، وتقييد العلماء بالسفر جرى مجرى الغالب ، فلا يمنع من حصول النهد فى الحضر ، وقد سبق تقرير ذلك .

ثانيا : ما رواه سلمة بن الأكوع - رضى الله عنه - قال : خفت أزواد القوم وأملقوا ، فأتوا النبى ﷺ فى نحر إبلهم فأذن لهم ، فلقيهم عمر فأخبروه ، فقال : ما بقاؤكم بعد إبلكم ؟ ، فدخل على النبى ﷺ فقال يا رسول الله : ما بقاؤهم بعد إبلهم ، فقال رسول الله ﷺ : « ناد فى الناس يأتون بفضل أزوادهم ، فبسط لذلك نطع وجعلوه على النطع ، فقام رسول الله ﷺ ، فدعا وبرك عليه ثم دعاهم بأوعيتهم فأحتثى الناس حتى فرغوا »[13] .

وقد دل هذا الحديث على جواز التعاون مع الفضل ، لأن ما مع كل واحد من الصحابة يختلف فى مقداره عن ما مع الآخر ، وإذا كان هذا الأمر قد ورد فى باب الطعام إلا أنه لا مانع من أن يقاس عليه غيره ، والتأمين التعاونى من هذا القبيل .

ثالثا : ما رواه أبو موسى الأشعرى قال : قال النبى ﷺ : « إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم »[14] .

ووجه الدلالة فى هذا الحديث :

يقول النووى : الحديث يبين فضيلة الأشعريين ، وفضيلة الإيثار والمواساة ، وفضيلة خلط الأزواد فى السفر وفضيلة جمعها فى شىء عند قلتها فى الحضر ثم يقسم ، وليس المراد بهذا القسمة المعروفة فى كتب الفقه بشروطها ، ومنعها فى الربويات واشتراط المواساة وغيرها ، وإنما المراد هنا إباحة بعضهم بعضا ومواساتهم بالموجود[15] .

وإذا كان الحديث يدل على إباحة بعضهم بعضا ، فإنه يكون دالا على إباحة التأمين التعاونى ، لأن كل واحد من المؤمنين يبيح صاحبه فى ماله .

وهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن التعاون فى مقدار الالتزام الناشىء عن عقود الضمان التعاونى مما يغتفر وبالتالى يكون مباحا .

وأما القياس :

فإن التأمين التعاونى يقوم على التبرع ، ولما كان كذلك فإنه ينتفى عنه مفسدة الجهالة والغرر والغبن وشبهة الربا ، قياسا على عقود التبرع ، فإن الجهالة فيها لا تفسدها كما لا يفسدها الغرر ، وليس يشترط فى جواز التبرع أن يعرف المتبرع مقدار ما يتبرع به على وجه التحديد ، وهذا هو معنى قول الفقهاء : إن الغرر والجهالة يغتفران فى التبرعات

(13) صحيح البخارى - بشرح فتح البارى - جـ ٥ - ص ١٢٨ رقم ٢٤٨٤ ، وصحيح مسلم بشرح النووى جـ ١ - ص ٢٢٤ وما بعدها - الطبعة المشار إليها ، والإملاق : الفقر والنطع : بكسر النون وسكون الطاء أو فتحها : بساط من الجلد (القاموس المحيط - جـ ٣ - ص ٨٢ الطبعة الثانية) .

(14) الحديث متفق عليه ، راجع : صحيح البخارى بشرح فتح البارى - جـ ٥ - ص ١٢٨ وما بعدها رقم ٢٤٨٦ ، وصحيح مسلم بشرح النووى - جـ ١٦ - ص ٦١ وما بعدها .

(15) النووى على صحيح مسلم - السابق - ص ٦٢ .

تشجيعا على فعل البر من جهة ، ولعدم تضرر المتبرع إليه بالغرر والجهالة من جهة أخرى لأنه لم يبذل عوضا فى مقابل هذا التبرع[16] .

الأسس التى يقوم عليها التأمين التبادلى

وحتى يقوم التأمين التبادلى برسالته كبديل للتأمين التجارى فإنه يجب أن يقوم على الأسس الآتية :

أولا : اجتماع صفة المؤمن والمؤمن له فى كل عضو :

يعتبر من أهم الأسس التى يقوم عليها التأمين التعاونى : اجتماع صفة المؤمن والمؤمن له فى كل عضو ، وذلك ليوجد تبادل المنافع والتضحيات ، والجهاز الذى يقوم بالتنسيق بين الأعضاء فى إطار الهدف التعاونى ، يوجد على شكل جمعية أو مؤسسة أو هيئة للتأمين التبادلى ، لاتعمل للربح ، فليس لها رأس مال ، وليس فيها مساهمون يتقاضون أرباحا على أسهمهم ، ويكونون هم المؤمنين ، ويكون العملاء هم المؤمن لهم ، بل إن أعضاء جمعية التأمين التعاونى يتبادلون التأمين فيما بينهم ، واجتماع صفة المؤمن والمؤمن له فى شخصية المشتركين جميعا يجعل الغبن والاستغلال منتفى ، فالأموال المرصودة من أقساط المشتركين مالها لهم ، إما على شكل أرباح تعود إليهم من خلال تخفيض الأقساط مستقبلا ، أو على شكل عائد يعود إليهم لاحقا ، فعنصر الاستغلال والمخاطرة والغرر الذى من أجله يحرم عقد التأمين التجارى منتف هنا ، وعلة تحريم التأمين التجارى منتفية ، ومتى انتفت علة التحريم يبقى أمر التأمين التعاونى على أصل الحل[17] .

ثانيا : التضامن بين أعضاء جمعية التأمين التبادلى :

ومن أسس التأمين التعاونى التضامن بين الأعضاء فى تغطية المخاطر التى تصيب أحدهم ، ولكن هذا التضامن يتوقف مداه على قيمة الاشتراك ، وما إذا كان مطلقا غير محدد بمبلغ ، أو نسبيا : أى محددا بحد أقصى لايطالب المشترك بأعلى منه ، وقابلية القسط أحيانا للزيادة يجعل التأمين التعاونى مرنا ، يقوى على تغطية الأخطار المتحققة دون أن يتركها بلا تعويض .

---

(16) راجع الفروق - للقرافى - جـ1 - ص151 - عالم الكتب ، د. حسين حامد حسان - السابق - ص47 ، د. عبد الناصر العطار - السابق - ص71 وقد سبق أن رأينا أن مجمع البحوث الإسلامية فى مؤتمره الثانى المنعقد سنة 1965 ، قد قرر : أن التأمين الذى تقوم به جمعيات تعاونية يشترك فيها جميع المستأمنين لتؤدى لأعضائها ما يحتاجون إليه من معونات وخدمات ، أمر مشروع وهو من التعاون على البر ، كما أكد المؤتمر الثالث المنعقد بتاريخ 1966/10/27 بأن التأمين التعاونى والاجتماعى وما يندرج تحتهما من التأمين المسمى ضد العجز والبطالة والشيخوخة وإصابات العمل وما إليها فقد قرر المؤتمر جوازها ، كما أوصى المؤتمر العالمى للاقتصاد الإسلامى المنعقد فى مكة المكرمة سنة 1976 ، باقتراح تأليف لجنة من ذوى الاختصاص من علماء الشريعة وعلماء الاقتصاد المسلمين لاقتراح صيغة للتأمين خالية من الربا والغرر وتحقق التعاون المنشود بدلا من التأمين التجارى ، كما وافقت هيئة الرقابة الشرعية لبنك فيصل الإسلامى السودانى على إقامة شركة للتأمين التعاونى ، وجاء فى حيثيات تلك الموافقة : أن التأمين التعاونى جائز شرعا باتفاق جميع الفقهاء ، بل هو أمر مرغوب فيه لأنه قبيل التعاون على البر ، راجع : د. غريب الجمال - التأمين التجارى والبديل الإسلامى - ص264 وما بعدها .

(17) د. غريب الجمال - السابق ص255 وما بعدها ، وعقد التأمين - دراسة مقارنة بين القانون الوضعى والفقه الإسلامى - رسالة دكتوراه من جامعة القاهرة ، سنة 1982 ، للدكتور محمد يوسف الزغبى - ص521 .

الإسلام دين أكمله الله

بقلم فضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ سورة المائدة (٣)

الإسلام دين الله القيّم قد أكمل الله به الملة وأتم به النعمة فلا يقبل تبديلا ولا تعطيلا ولا تعديلا ، لأن الله شرعه لسعادة الإنسانية وإصلاح شئون البشرية واستنارة العقول الآدمية .. فهو يعرف للحياة قيمتها وللعمر قدره وللعمل الجاد النافع شأنه وأجره : يربى أتباعه على سمو الأخلاق ونبل المقصد واجتلاء الحقائق العلمية بأسلوب مهذب تزكو به ثمراتها وتعم به خيراتها : لأن المؤمن بالله لا يذل لسواه ، فهو أرفع الناس قوة وأكثرهم إحساسا بالواجب المنبعث من وجدان الإنسان صاحب السماحة والكياسة : ولن تسعد أمة إلا بمكارم أخلاقها ونبل شبابها وشيبها وهذا يتم بمراعاة الفضائل وتجنب الرذائل وسلامة الإحساس وعلو الهمة وطهارة الذمة والصدق فى الفعل والقول . والمؤمن ـ حقا ـ هو الذى يعرف فضل الله عليه وآلاءه التى بين جنبيه : ونعم الله كثيرة لا تحصى والله يقول : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) ﴾ سورة إبراهيم

الإسلام دين الأنبياء والمرسلين

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ (٢٥) ﴾ سورة الأنبياء

وفى كلمة لا إله إلا الله تكمن قوة العقيدة : لأنها أفضل ما قاله خاتم المرسلين والنبيون من قبله ، منذ أن بعثهم الله مبشرين ومنذرين إلى يوم الدين ؛ لأن الرسالات الإلهية واحدة فهى تصحح الاعتقاد من الإلحاد فكل رسول كان يقول للناس :

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

سورة البقرة ـ الآية : ١٦٣

﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ۝ ﴾ سورة الصافات

ولقد فرض الله مُتابعة الدعوة على بصيرة لإرشاد الضالين ـ وهداية الحائرين وقوام أخلاق المعوجين وإلى التي هي أقوم ليكون للحق دعاة صدقوا ما عاهدوا الله عليه في مواجهة الكفر وصد دعاة الأباطيل والأضاليل الذين غلبت عليهم شقوتهم فاتبعوا أهواءهم ، لأن تربيتهم غير رشيدة وآراؤهم غير سديدة وقدوتهم السيئة قادتهم إلى مهاوى الانحراف والزيغ فمنهم من يرى أن الهمجية مدنية ويعتقد أن الإباحية حرية وأن الدعارة حضارة ، ومنهم من نسى الله فأنساه نفسه ، وويل لمن نسى نفسه فتجبر واختال ونسى الله الكبير المتعال فلا يعرف للخير سبيلا ولا للهداية طريقاً :

﴿ .. أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۝ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۝ ﴾

سورة محمد

والدعوة إلى الله فريضة دينية وضرورة اجتماعية بدليل قوله ـ عز وجل :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

سورة آل عمران ـ الآية ١٠٤

وفى قوله تعالى : ﴿ ولتكن ﴾ أمر إلهى للوجوب الذى جعل الله الفلاح منوطا به لقوله ـ عز وجل : ﴿ أولئك هم المفلحون ﴾ .

والمفلحون فى شتى الدهور والعصور هم الذين جاء وصفهم فى قول الله ـ جل جلاله ـ :

﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ ﴾ . سورة التوبة

والبشرى إنما تكون للمفلحين دعاة الخير والبر والرشد وليس الغى والبغى والضلالة :

ثم ما هى الأمة ؟؟ هى الجماعة المكلفة بالدعوة إلى الهداية والاستقامة :

وهذا أمر يفرضه القرآن على العلماء المتفقهين فى الدين لأن مِنْ فى قوله :

ولتكن منكم ، إما أن تكون للبعض فيكون الأمر هنا فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين وهذا يتماشى مع قوله ـ تبارك وتعالى :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾

سورة التوبة ـ الآية : ١٢٢

والمراد هم العلماء المتخصصون فى علوم الإسلام وهم الموثوق بهم فلا ينبغى طلب الهدى من الضلالات ولا النور من الظلمات ولا العلم من الجهالات ، وذلك ؛ لأن العلم بحر لا ساحل له وهو نور (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) ونور العلم النافع لا ينطفىء أما العلم الذى استعاذ منه الرسول الكريم يقول : « وأعوذ بك من علم لا ينفع » فهو كالمصباح الذى انقطع عنه التيار الكهربائى فانطفأ نوره فلا تمحى به جهالة ولا ضلالة : هذا وإما أن تكون مِنْ (هنا) للبيان فى قوله ﴿ ولتكن منكم ﴾ فيكون المعنى : كونوا



أمة ... وهذا يتمشى مع قوله جل جلاله :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... ﴾ .

سورة آل عمران ـ الآية : ١١٠

وعندئذ تكون الدعوة إلى الخير ... فرض عين على الجميع : يبدأ بالنفس ثم الغير فى حدود الاستطاعة من غير غلظة تنفر السامع :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

سورة آل عمران ـ الآية : ١٥٩

وهذه صفات المؤمنين والمؤمنات حقا الذين سيرحمهم ربهم بقوله عز وجل :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

سورة التوبة ـ آية : ٧١

إنما يخشى الله من عباده العلماء

والعلماء الأتقياء هم الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل وينهون عن الفساد فى الأرض وقد جعل الله لهم فى الدنيا مقاما كريما وفى الآخرة أجرا عظيماً ؛ لأنهم يعتزون بالله وحده ولا يوادون من حاد الله ورسوله ، والله يقول لرسوله الكريم :

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٧ ﴾ سورة آل عمران

والراسخون فى العلم هم أهل المعرفة بعلوم الدين واللغة وهم أهل الذمة والأمانة وذووا الذوق السليم والعقل القويم يراقبون ربهم سراً وعلانية فيما يستنبطونه من أحكام شرعية مصدرها القرآن والسنة المطهرة (دراية ورواية) مع العلم بالقياس وبالإجماع . والله لا يعصم من سوء التأويل إلا أصحاب تلكم المواهب الإلهية والفتوحات الربانية الواقية من أخطاء التخريج والتأويل ، والإسلام يحترم العقل الواعى ، لأن الآيات القرآنية تتلاقى مع آيات الله الكونية فبراهين القرآن واضحة والأدلة الكونية ساطعة « وما يعقلهـــا إلا العالمون » .

الدعـــوة والقدوة

وبالدعوة والقدوة انتشر الإسلام ، وقدوة المسلمين أجمعين فى كل وقت وحين هو خاتم المرسلين المبعوث رحمة للعالمين ... سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

سورة الأحزاب ـ الآية : ٢١

الإسلام دين الفطرة

السر فى سرعة انتشار الإسلام أنه دين الفطرة (السليمة) التى فطر الله الناس عليها والله يقول :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠ ﴾ سورة الروم

وما المراد بالفطرة ؟ هل الفطرة هي الإسلام ؟ أم هي الاستعداد لقبول الإسلام ؟ وهل الإنسان إذا نشأ في شاهق جبل – كما يقول علماؤنا – أمكنه بفطرته أن يعرف الإسلام كله ؟ أم لابد من إرسال الرسل وإنزال الكتب للتوجيه والتعليم والتربية ؟

هناك أمور بديهية فطرية يشترك في معرفتها الصغير والكبير ولا يختلف فيها اثنان كمعرفة أن كل صنعة لابد لها من صانع ، : وهذا الكون له صانع خلقه ودبر أمره وقدر الشهور والدهور وهو مخالف للحوادث وبيده ملكوت كل شيء لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو الله – عز وجل – فهو الذى ليس كمثله شيء ؛ فليس المراد أن يعرف تفاصيل الشريعة وعلوم العقيدة بفطرته وحدها ، بل المراد أن الإسلام في عقيدته (التوحيد) هو مغروس في الطبائع البشرية لأن للطفل معلومات غرسها الله في فطرته كإدراك أن الجزء أقل من الكل يدرك هذا بعلمه الفطرى . فلو أعطيت طفلا نصف تفاحة لا يرضى إلا أن يأخذ واحدة صحيحة إذا رآها : يعني أنه لو خير بين الجزء والكل لاختار الكل ، ولو لم يوجهه أحد إلى ذلك ، فهو أيضاً يفهم بفطرته ويعرف أن كل عمل يحتاج لوقت ما . كأن تقول له : حدث كذا وكذا فيقول لك متى كان هذا ؟ فإذا أخبرته بزمنه المعين اقتنع وسكن وسكت : وهذا أمر فطرى بديهي وهذا دليل على أن كل مولود يولد على الفطرة ....

إذا تقرر هذا ؛ اعلم أن الاعتراف بالصانع الواحد من الأمور الفطرية لأن الأثر لا يوجد بدون مؤثر وأن الفعل لابد له من فاعل وهكذا ولكن من الناس من قد تفسد إنسانيته بفساد فطرته بعوامل البيئة أو صحبة الأشرار أو انعدام القدوة الحسنة المؤمنة فيضل عن سواء السبيل .

ومما لا ريب فيه أن التقوى تنفع الذرية

﴿ .. وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا .. ﴾ .

سورة الكهف – الآية ٨٢

وتعمر الديار وتفرج الكروب وتيسر الأرزاق والله يقول :

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ . سورة الطلاق

لابد من دين الله لدنيا الناس

إنه لا تسعد المجتمعات ولا تتقدم إلا بمكارم الأخلاق كالصدق والأمانة والصبر والحلم والعلم النافع وبأداء الواجبات والانتفاع بالأوقات ، لأن العمر فرصة وحيدة للعمل وكل غائب قد يعود إلا الوقت الضائع المفقود : ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ۝٣١ ﴾ سورة إبراهيم

وعلى المسلم أن يكون وفياً مع ربه تائباً من ذنبه قبل فوات الأوان : ﴿ اتق الله حيثما كنت ... ﴾ رواه الترمذى . ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾

سورة هود – الآية : ١١٤

ولقد علمتنا التجارب وحدثتنا الأيام – ماضيها وحاضرها – أن بيوت المتقين عامرة ، وديارهم صالحة ، وأن بيوت الفاسقين خاوية فقد أحلوا قومهم دار البوار لأنهم بدلوا نعمة الله كفرا (بها) : ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾

سورة الأعراف – الآية : ١٤٥

﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا .. ﴾

سورة النمل – الآية : ٥٢

لماذا يخاف الغرب الإسلام ؟

للأستاذ الدكتور :
محمد إبراهيم الفيومى

يمر المجتمع الإسلامى اليوم ـ شأن بقية المجتمعات ـ بمرحلة انتقال خطيرة ، غير أن الذى يميز هذا المجتمع أن أعضاءه يواجهون الحياة العصرية ، بحريتها وفرصها ، بوصفهم ورثة تراث دينى فريد منبعه : الإسلام والإيمان ، كذلك يتميز هذا المجتمع الإسلامى عن بقية المجتمعات الإنسانية بالماضى العظيم .

فأولى خصائص هذا المجتمع : أنه «مسلم» وهذه الخاصية كما يراها الاستشراق أو الغرب : هى أهم مايميز عالم الجنوب ، وذلك يعنى الكثير مما يتصل بالتاريخ الحديث من وَحْدة ، وإيمان وعقيدة ، وتوجه نحو الارتباط بالماضى الذى يشحن النفوس بالتطلع إلى المستقبل المشرق ، وتلك هى السمات المشتركة مهما اختلف العالم الإسلامى فيما بينه وتباينت مراميه .

من هنا يرى الغرب : أن متابعة العالم الإسلامى من خلال التطورات التى تحدث فى التاريخ المعاصر ـ وهى كثيرة وجوهرية لدرجة تجعلها تدق على الفهم ـ لهم عظيم الأهمية . وذلك لا يتم إلا بدراسة الأوضاع القائمة فى الأقطار الإسلامية واحدا بعد الآخر ، وهذا هو مايجرى عليه الآن التوجه الغربى ، وإذا قامت دراسة العالم الإسلامى على هذا المنهج لتقطع بأن فهم الأحداث الجارية فيه يؤدى بالضرورة إلى فهم صفتها «الإسلامية» فيما يظنون ، لكننا نرى إنه إذا كان التاريخ من صنع الأفراد ، ومن صنع النشاط الإنسانى فهو أيضا يتأثر بحركة القوة الروحية ، وهى ولاشك تصنع النشاط الإنسانى ، فعقيدة المسلم ، تصنع إيمانه وسلوكه ، وتؤثر فى تصور مجتمعه سياسيا واقتصاديا ، وذلك ماتعنيه هذه الخاصة المميزة ، وسط ضروب الاختلاف والتباين القائمة فى أنحاء العالم الإسلامى ، وهذا هو مايبرر القول ويفزع الغرب ، بأن التاريخ الإسلامى مازال حثيث

الخطى نحو ترابط ماضيه بمستقبله .

ذلك الذى يؤرق الغرب من الإسلام فى التاريخ الحديث ألا وهو : الصفة «الإسلامية» تلك التى تتميز بها الشعوب الإسلامية ، وهذه الصفة بالرغم من أن عمرها خمسة عشر قرنا فمازالت تقود حركة التاريخ وتقترن بفكرة التطور .

ويظهر لنا من خلال اهتمام الغرب الثقافى بالإسلام أنه يهدف إلى توجيه الانتباه إلى دور الإسلام فى تحول وبعث «مما كان إلى ماسيكون» غير أن الغرب يرى أنه من الصعب أن يتنبأ بما سيكون عليه الحال فى المستقبل ، ولكن فى الوقت نفسه يستطيع أن يرقب مرحلة التطور المعاصرة والتى يتكون فى أطوائها الغد المرتقب ، يستحيل فيها تراث الماضى إلى بشير المستقبل وذلك مايخاف منه الغرب .

ومما يلفت النظر فى شأن «الغرب والإسلام» أن فكرة التطور تصدق على كل مراحل التاريخ ، فلماذا يعتبرها الغرب شيئا خاصا بالإسلام ، ويجعل تحوله مرحلة تحول خطير يسبب قلقا للغرب ؟

يعرب الغرب وهو بصدد الإجابة على هذا السؤال : أنه من المتفق عليه أن كل شيء فى العالم موضع للتغير المستمر إلا أن الذى يميز هذا العصر سمتان :

الأولى : أن التحول يتم بسرعة كيفا وكما .

الثانية : أن هذا التحول أو التطور يتم على نطاق واسع وبشكل واع .

وعلى الإنسان أن يعيش خليف التحول سواء كان إلى أحسن أم إلى أسوأ .

وكما يرى الغرب أن عليه أن يسيطر على مايطرأ على حياته من تغيير يرى ـ كذلك إنه بالإضافة إلى ماسبق ـ أن الإسلام فى أسلوبه الحديث يشترك فى وضوح مع بقية عالم اليوم غير أنه يتميز باعتبارات خاصة تخصه وحده ، وهذه العوامل النوعية أو الخاصة يرى الغرب أنها لم تحظ بنصيب ملحوظ من الدارسة على حين أنه يجب عرضها بعناية وماتوليه الأزمة الحالية من اعتبار .

من هنا اشتدت وطأة الغرب على الإسلام ، وانقيادا لازدواجية الغرب الفكرية يقدم الإسلام لأهله على أنه إرهاب وبداوه ، وتطرف وعرق وجنس ، وأنه عدو التطور ، وأنه شيء جامد يعوق التقدم .

بتلك الصفات السلبية يقدم الإسلام . فى وقت تشتد دعوات المصلحين المعتدلين إلى تجديد الفكر الإسلامى .

لو كان الأمر كذلك كما يصف الغرب الإسلام بأنه جمود وعدو الحضارة لما كان بحاجة إلى تلك الدراسة الواسعة عنه .

إنما الغرب ـ وهو يشيع ذلك عن الإسلام ـ يرى أنه فى حاجة إلى فهم شامل وواضح لماهية الإسلام ، وماهية الحياة العصرية التى تعيشها المجتمعات الإسلامية ، فهو يرى أن الإسلام قوة ، وفى حركة منذ خمسة عشر قرنا ، وما من شك أنه فريد فى هذه الناحية ، وتزداد حركة التاريخ الإسلامى فى العصر الحاضر حتى ليعتبر أن التطور

التاريخي بوجه عام يعتبر خاصا بالنسبة للإسلام .

ووجهة نظر الدارسين للإسلام فى الغرب : «أن فى الإسلام قدرات فائقة للتطور» .

وهذا يمكن إدراكه فى الدور العملى للإسلام فى التاريخ الحديث ، وهو القول بأن الإسلام : دين . هذا القول يعنى الكثير وأكثر مما قد يستطيع أحد إدراكه ، معناه : أنه يمثل النقطة التى يلتقى عندها المؤمن خلال الزاخر من التقاليد والأعراف والعقيدة بأبدية الله ، وهو الوسيلة المثلى التى بها آمن الإنسان بالله ، ومهما اختلف المسلمون : عمقا أو سطحية ، اعوجاجا أو استقامة ، إثما أو طهرا ، فالإسلام هو الحياة الدينية لكل فرد منهم .

لذلك لايكفى لمعرفة الإسلام ، الإلمام بنظمه وأنماطه وتاريخه ؛ بل يجب التعمق والإحاطة بما يعنيه هذا كله لدى معتنقيه .

وواضح أن الإسلام ـ وإن اشترك مع غيره من الأديان السماوية ـ غير أنه تميز بالمرونة وبملاءمته لظروف الحياة ، وقدرات الأفراد ، وأساليبهم المختلفة .

وهو عقيدة حية تتجدد كل صباح فى قلوب المسلمين ـ والإسلام عند المسلم (دين الله) وهذا يعنى أشياء كثيرة ، من بينها : أنه لم يبدأ فى القرن السابع الميلادى بل بدأ مع الخليقة نفسها ، أو هو سابق عليها .

نزل الإسلام الذى وجد منذ الأزل إلى التاريخ فى القرن السابع الميلادى ، وبدأ دوره النهائى الكامل بين الناس ، فى الكتاب ـ القرآن الكريم ـ وتكفل الله بحفظه فى لغة عربية فيها جمال وإعجاز ، وكان أول توجيه مثمر ونافع فى سبيل بناء الدولة الإسلامية وإقامة شأن الجماعة التى عرفت باسم : المسلمين ، وبظهور هذه الجماعة اندفعت عقيدة الإسلام «دين الإسلام» فى العالم مترجمة إلى عمل منظم مستمر الحركة ، وهكذا ولد عصر جديد فى تاريخ البشرية بقيادة محمد رسول الله ﷺ وامتدت فى موجات موفقة إلى أقاليم العالم المختلفة ، وأخذت على عاتقها تنظيم حياتها ومجتمعها وفق تعاليم الله ـ عز وجل .

أخذ شكل المجتمع المسلم يتخذ شكل القوة السياسية منذ أن هاجر الرسول ﷺ وجماعته القليلة إلى المدينة حتى جعلوا من أنفسهم مجتمعا ذا حكم ذاتى ، ومنها بدأ تاريخ الإسلام .

فالقرآن عند المسلم مقدس ، وكذلك مجتمعه وتاريخه إذ المجتمع الإسلامى مجتمع يسير وفق هداية الله ـ تعالى ـ وتعاليمه ، وعلى من يريد أن يصبح مسلما أن ينضم إلى هذا المجتمع ويشارك بقية أفراده فى العمل على تحقيق رضوان الله ـ عز وجل ـ فى هذه الأرض .

وفى هذا الاتجاه يصبح الإنسان قريبا من الله «ويهم مصير البشرية ، بقدر ما يقرب العمل من الخير ، والخير هنا أسلوب الحياة الذى يتخذ من القرآن وحيه ، ومن المجتمع الإسلامى تعبيره .

إن التاريخ الإسلامى بالنسبة للمسلم يعتبر بمثابة القنطرة التى تصل الإنسان بماضيه ذلك هو النموذج الأمثل ، ويمثل لدى الإنسان فى السلوك الخلقى لقاء الخالق بالمخلوق .

إن للمجتمع وظيفة ضخمة وعظيمة فى الإسلام غير أنها لم تنل أهمية فى دراستها ، والتاريخ

الإسلامى هو المجتمع نفسه فحركة التاريخ هى حركة المجتمع ، وتلك الحركة تستحق التفكير وذلك مايخيف الغرب ، فالمجتمع الإسلامى فيه تضامن ملحوظ وتماسك أعضائه وولائهم شديد ، وليس المجتمع الإسلامى بالوحدة الاجتماعية فحسب ؛ ولكنه أيضا وحدة دينية تمتزج فيها الدولة بالدين ، ويقوم على العقيدة الفردية وهو - أى المجتمع - مظهر المثل الأعلى الدينى ، ومظهر عملى لعقيدة المسلم الشخصية ، فعضوية الفرد المسلم فى مجتمعه ليست بالشىء المضاف أو التابع ، إنما هى مظهر لإسلامه الشخصى .

ومما يميز الإسلام أن المسلمين قد يختلفون فيما بينهم إلا أن هذا الخلاف لم يكن يتصل بأصول الدين ، وإنما فى الغـــالب يدور حول طرق ممارسته ، والمسلم الصالح هو الذى يستطيع أن يعبر عن اعتقاده تعبيرا عمليا يتفق والقانون أو الشريعة .

وإن نواحى النزاع الأساسية فى الإسلام تنصب أساسا على الاتجاه الذى يأخذ فى التطور التاريخى الإسلامى .

والفكرة الأساسية التى تحكم المجتمع الإسلامى فى حركة التطور هى : أن الفرد يجب ألايشذ عن المجموع بأن يرتد عن عقيدته .

وأن تكون القيادة فيه مسئولة عن معرفة المجموع للطريق واتباعهم إياه ، وفى سبيل هذه « المعرفة » يوجد « العالم » و « المفتى » و « القدوة » « الاتباع » ، فالحقيقة الدينية التى هى وليدة الإيمان لدى المسلم متعادلة والحقيقة التاريخية .

وتاريخ الإسلام على الأرض يمتاز فى قرونه الأولى بالعظمة والإبداع ، سواء من الناحية الدنيوية أو الناحية الروحية ، امتلأ بالغزو والفتح وهوت أمامه امبراطورية الفرس وامبراطورية الرومان ، حتى فاقت فى اتساعها امبراطورية الرومان .

ولم تكن المسألة مجرد جيوش منتصرة ومعارك وحسب ، وإنما كانت هذه الجيوش تحمل معها مدنية جديدة ، فكان ثمة تقدم فى العلوم والفنون واللغة والأدب والتشريع والإدارة والتجارة ، إلى غير ذلك من ضروب التقدم والرقى . لقد كان فتحا وبناءا تمخض عن مجتمع عظيم جديد اكتملت فيه عناصر القوة والمجد .

وكان من عوامل النجاح ذلك الحوار الثقافى الذى عقده المسلمون مع غيرهم من شعوب الأرض وثقافاتها ، كالإغريق والثقافات السامية المنحدرة من الشرق الأدنى والقديم وإيران والهند ، وعمل المسلمون على مزج هذه العناصر الثقافية مزجا متجانسا ثم ساروا بها فى تقدمهم وقد طبع الإسلام كل نواحى الحياة فى هذه العصور بطابعه . وكان التشريع الدينى مركز القوة الموحدة التى تولت تنظيم كل شىء فى الحياة فأضفى التشريع بذلك وحدة على العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه ؛ فكانت مهمة الإسلام بناء نوع من النظام الاجتماعى يتفق وأوامر الله .
وبذلك يختلف الإسلام عن بقية ماتبقى من الأديان السماوية بأنه نظام دينى واجتماعى وسياسى وثقافى واقتصادى من أول مانزل .

كذب المنجمون ولو صدقوا

للشيخ : محمد محمد الحسيني

أعلن فريق من العلماء والأطباء فى الولايات المتحدة ، أن الإيمان بالتنجيم والمنجمين ، وتصديق ما ينشر حول تأثير البروج على حياة الأفراد . يتسبب فى مشاكل طبية واجتماعية . تصل أحيانا إلى حد الانتحار .. وقال العلماء فى مؤتمر انعقد فى ولاية كاليفورنيا : أن ٥٥٪ من المراهقين والمراهقات يؤمنون بالتنجيم . ومن بينهم فئة تتأثر كثيرا ، بما ينشر عن الطالع والبروج ، إلى حد يجعلهم لا يقدمون على عمل ، إلا إذا تأكدوا من موافقة الأبراج على حسن طالعهم فى هذا اليوم .. بل إن الإيمان الشديد بهذه الخرافات . يدفع البعض إلى الانتحار . حيث ثبت أن ضعاف الإرادة لم يتحملوا نتائج التنبؤات القاتمة التى تتعلق بمصيرهم . كما تحدده الأبراج ..

هذا خبر نشرته صحيفة الأخبار المصرية . فى عدد الجمعة ٢٠ شعبان ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥/٥/١٠ م .

والواقع أن هذا العصر يزخر بكثير من الأمراض النفسية ، والمساوىء الأخلاقية . والتمزق الاجتماعى ، نتيجة للبعد عن طهارة الإيمان ونقاء الروح .. وفى هذا المناخ الفاسد ، يفقد كثير من الناس ، طمأنينة القلب ، ويقين النفس ، فينتابهم القلق فى حاضرهم ، والخوف من مستقبلهم .. وتتهيأ بذلك فرصة سانحة لطائفة من الناس لا تعيش إلا على الاستغلال والانتهازية . فتركب الموجة الجامحة إلى الكسب المادى الرخيص وهكذا نسمع أو نقرأ ، بين وقت وآخر عن نشاط المنجمين . أو العلماء الروحانيين ، أو الفلكيين ، أو أشهر المتنبئين .... الخ .

ومدلول هذه الأوصاف ، ادعاء هؤلاء أن لهم قدرات متميزة ، على اكتشاف المجهول ، ويزداد نشاط هؤلاء المدعين فى أوائل العام الميلادى ، وفى المناسبات الاجتماعية ، أو الأحداث التاريخية ، وتتبارى صحافة الغرب فى نشر هذه الادعاءات . والإعلان عنها ، وتشارك فى هذا للأسف

الشديد ، بعض الصحف العربية .. ونحن نعترض على تنبؤات هؤلاء المنجمين ، فإن ما يعتبرونه يقينا قاطعا .. يرفضه العقل ، ويكذبه الواقع ، منذ وجه نشاط هؤلاء ، حتى اليوم .. وربما من أجل هذا ، وأمام استمرار أكاذيب هؤلاء المنجمين .

تألفت فى أمريكا لجنة عالمية ، لبحث هذا الموضوع ، وأعلنت عن مكافأة مغرية ، تبلغ (٣٠٠) ألف دولار ، لمن يحضر أمامها ، من أى مكان فى العالم ، ويقدم الدليل الحاسم على تمتعه بقدرات ، تمكنه من الكشف عن المجهول ، والعلم بالغيب ، ورغم ضخامة هذه المكافأة ، لم يتقدم - حتى اليوم - سوى (٤٥) شخصا ، من كافة أنحاء الولايات المتحدة ، لإظهار ما لديهم من قدرات روحانية ، و - طبعا - أخفقوا جميعا بينما رفض آلاف المنجمين - ممن ذاعت شهرتهم فى أمريكا وبريطانيا وأوروبا عامة - الحضور أمام اللجنة ..

وعندنا - نحن المسلمين - كتاب الله الكريم ، يقرر فى حسم لا تجوز فيه : أن العلم بالغيب أمر من الأمور التى خصّ الله تعالى - بها ذاته - عز وجل .

ذلك قول الله تعالى فى سورة النمل - آية : ٦٥ .

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ .

وفى سورة يونس - آية : ٢٠ .

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ .

وفى سورة هود - آية : ١٢٣ .

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾

وفى سورة سبأ - آية : ٤٨ .

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ .

وفى سورة فاطر - آية : ٣٨ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

وفى سورة الحجرات - آية : ١٨ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

وفى سورة الحشر - آية : ٢٢ .

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾

وزيادة فى تأكيد ذلك وتقريره ، يوضح القرآن الكريم : أن العلم بالغيب لا يتأتى لأى مخلوق إلا لمن ارتضاه الله من رسله ، وفى أمر أو بضع أمور معدودة ، من علم الغيب ، وذلك فيقوله تعالى فى سورة الجن :

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (٢٥ - ٢٧) .

وفي سورة آل عمران ـ آية : ٤٤ .

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ ﴾

وفي سورة يوسف ـ آية : ١٠٢

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾

ومع هذا التكريم لمن ارتضاه الله من رسله ، في بعض أمور الغيب ، الغيب ، فإن محمدا رسول الله

وخاتم الأنبياء والمرسلين . ومعه غاية التكريم الإلهي . لم يدع لنفسه القدرة على استكشاف الغيب . ويطلب منه رب العزة سبحانه . أن يقول هذا للناس ، حتى لا يكون هناك ، مجال لادعاء مدع بعلم الغيب .

ذلك قول الله في سورة الأعراف ـ آية : ١٨٨

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾

وقديما حاول نفر من الجن أن يستمعوا إلى غيب الله ، وتخيروا أماكن من السماء يتصنتون منها . بعيدا عن حرس السماء الشديد . فسلط الله عليهم الشهب . ترصد من يستمع منهم فتطارده وتدمره .. ذلك قوله تعالى . في سورة الجن :

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝ ﴾

ولقد شغل هؤلاء المدعون أنفسهم بالتنبؤ بيوم القيامة ، وحدد البعض منهم موعده بالعام والشهر واليوم .. ويأتي الموعد فيفضح أكاذيبهم أمام العالم كله .. ومع هذا يعودون في كل عام . إلى التنبؤ من جديد .

لقد شغل يوم القيامة تفكير الكفار أيام محمد ﷺ في مظهر من مظاهر العناد والإصرار على الغي والضلال . فطلبوا من رسول الله أن يخبرهم بهذا اليوم . تحديا له ، ورد الله ـ عز وجل ـ عليهم بأن هذا اليوم من علم الغيب ، وأنه لا يعلم الغيب إلا الله .. وجاء رد القرآن الكريم من طريقين :

الطريق الأول : الربط بين يوم القيامة وعلم الغيب ، على أساس أن علم الغيب أمر يضم ـ فيما يضم ـ العلم بيوم القيامة .. وعلم الغيب كاملا غير منقوص لا يعلمه إلا الله نقرأ هذا في قوله تعالى في سورة النحل آية ٧٧

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

وفي سورة سبأ آية : ٣

﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾ .

الطريق الثانى : أن الله سبحانه وتعالى ، جعل أفضلية خاصة لبعض الأمور الجليلة فى علم الغيب ، لا يعلمها إلا هو ، وأولها يوم القيامة ، ذلك فى قوله تعالى فى سورة الأعراف آية ١٨٧

﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ﴾ .

وفى سورة لقمان آية : ٣٤

﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾ .

وفى سورة فصلت آية : ٤٧

﴿ إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ .

ثم نقرأ قول الله تعالى ـ فى سورة الأنعام آية : ٥٩

﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾

وفى سورة الرعد آية : ٨ ، ٩

﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار (٨) عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال (٩) ﴾ ..

وأمام إصرار الكفار ، على تحدى رسول الله ، وإلحاحهم فى السؤال عن يوم القيامة ، نزل القرآن الكريم بأسلوب جديد أكثر وأشد إغراقا فى الغيب .. نرى ذلك فى قوله تعالى فى سورة النمل آية : ٦٥

﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون ﴾

وفى سورة الأحزاب آية : ٦٣

﴿ يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ﴾ .

وفى سورة النحل آية : ٧٧

﴿ ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير ﴾ .

وفى سورة الشورى آية : ١٧

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ .

وفى سورة الزخرف آية : ٦٦

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

وفى سورة النازعات آية : ٤٢ — ٤٦

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ .

ومع إخفاء القرآن الكريم الحديث عن يوم القيامة . فإن الله سبحانه . ذكر بعض الدلائل . على اقتراب ذلك اليوم . فى قوله تعالى . فى سورة يونس آية : ٢٤

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ .

ولكن تعبير القرآن الكريم : **﴿ أتاها أمرنا ليلا أو نهارا ﴾** لا يحدد اليوم الذى تقوم فيه الساعة . وإنما يزيد فى غموض الكشف عن هذا اليوم لحكمة لا يعلمها إلا الله .

ثم إن قدرة الإنسان على امتلاك ناصية الدنيا ، تظل عاجزة قاصرة ، مهما وصل إليه من إنجازات علمية .. وما يزال الجهد الإنسانى عاجزا عن اكتشاف كذا أو اختراع كذا . أو التحكم فى كذا . فى حياتنا الدنيا . ولن يكف الإنسان عن مواصلة الاختراع والاكتشاف . وكلما زادت مخترعاته واستكشافاته . كلما ظهر مدى عجزه عن امتلاك ناصية الأرض .

والله تعالى يقول فى سورة يونس آية : ١٠١

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

وفى سورة الأعراف آية : ١٨٥

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ .

ولم يحدد الله لنظر الإنسان فى السموات والأرض نهاية ينتهى إليها ، والذى يبدو الآن اعجازا علميا . يتحول بعد فترة إلى ابتكار متداول بين الجميع .

ومن المهم جدا . أن نشير إلى أن هذه الدلائل التى أوردها القرآن الكريم . على قرب يوم القيامة — بهذا الخفاء الشديد — تختلف عن تلك المشاهد التى تسبق لحظة قيام الساعة ، فى مثل قوله تعالى فى سورة القمر آية : ١

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ ﴾ .

وغير تلك الأحداث المذهلة التى تحدث فى ذلك اليوم ، كما صورها القرآن الكريم . أفبعد هذا ينشط المنجمون ، ويدعون العلم بالغيب ، والقدرة على تحديد يوم القيامة ؟ .

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾

استفتاءات القـــراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها فضيلة الشيخ / السيد العراقى

السؤال :

السؤال من السيد/ عبدالناصر عبدربه محمد ـ قنا الدير الشرق يقول فيه ماحكم الدين فى صلاة الجماعة وتكون المسافة فيها بين الصفوف كبيرة ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد ؛ بأن المطلوب فى صلاة الجماعة أن تكون الصفوف متقاربة ليس بينها فجوات طويلة حتى تكون مثل صفوف القتال التى قال الله ـ تعالى ـ فى شأنها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ الصف

فهذا التباعد بين الصفوف مكروه ولكن صلاة الجميع صحيحة ؛ لأنه لم يوجد مايبطلها

والله تعالى أعلم

السؤال من السيد/ م. ف ـ شبين الكوم منوفية

هل العمل فى مجال السياحة حلال أم حرام ؟ مع العلم أننى أعمل فى الإشراف الداخلى ولاعلاقة لى بالخمور أو حملها . ولكن هناك دخل منها حيث إننى أعمل بالفندق ، فما الحكم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد ؛ بأنه إذا كان عملك ـ أيها السائل ـ يقتضى الاشتراك فى تقديم الخمور أو إعداد الموائد التى يلعب عليها القمار فأنت شريك فى الإثم ويكون دخلك محرما أما إذا لم تشترك فى هذه الأمور وكان عملك هو الإشراف الداخلى بعيدا عن الإشراف على شارب الخمر ولاعبى

القمار فإن عملك لايكون حراما . وإذا كان للفندق دخل من طرق أخرى سوى بيع الخمر وأجرة أماكن القمار كان الأجر الذى تأخذه ، قد اختلط فيه الحلال بالحرام فيكون الأجر مكروها، وليس حراما ؛ لأن الدخل لم يكن كله من حرام والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/ ع. خ

توضأ ، وصلى جماعة بالناس ، وظل على وضوئه ، ثم وجد على ذراعيه من قشور السمك قشرة ذات دائرة لايزيد قطرها على اثنين ملليمتر أو ثلاثة . قد لصقت بجلد ذراعه ..

هل هى من اليسير الذى يعفى عنه .. أو لا يعفى .. وماحكم صلاته ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ؛ فنفيد بأن المطلوب فى الوضوء أن يعم الماء كل أعضائه ، ومن شروط صحته : عدم الحائل ، فقطعة قشر السمك التى التصقت بالذراع بين المرفق وطرف الأصابع قد حالت دون وصول الماء إلى ماتحتها ومهمـــا كانت صغيرة ؛ فإنه لايعفى عنها ،وعلى السائل أن يجدد وضوءه ويعيد هذه الصلاة .

والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/ عبدالله بن قاسم السعيطى . أبو العدا ـ أبوالمطامير ـ بحيرة

ماراى الشريعة الإسلامية وحكمها فى :

١ ـ هل يجوز للمسلم أن يتبرع بالدم أو أعضاء جسمه كالكلى مثلا وخلافه لغير المسلمين على سبيل المثال النصارى وهل يجوزالعكس . وماالحكم ؟

الجـــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد ؛ فنفيد . بادىء ذى بدء ، أنه لا مانع شرعا من رضاع المسلم من غير المسلمة ، ولامانع أيضا ـ من رضاع غير المسلم من المسلمة ، كما أنه لامانع من نقل دم المسلم لغير المسلم ودم غير المسلم إلى المسلم ، وكذا نقل الأعضاء ، وذلك لعدم وجود دليل على التحريم .

لكن اختلفت آراء الفقهاء ورجال القانون حول نقل عضو من شخص إلى آخر وبعد استعراض أدلتهم وماجاء فى كتب الفقه نرى ماياتى :

أولا : إذا كان المنقول منه ميتا : فإن كان قد أوصى أو أذن قبل وفاته بهذا النقل فلا مانع من ذلك ، حيث لايوجد دليل يعتمد عليه فى التحريم . وكرامة أجزاء الميت لاتمنع من انتفاع الحى بها تقديما للأهم على المهم ، والضرورات تبيح المحظورات كما هو مقرر .

وإن لم يوص ، أو لم يأذن قبل موته ؛ فإن أذن أولياؤه جاز ، وإن لم يأذنوا : قيل بالمنع ، وقيل

بالجواز ، ولاشك أن الضرورة فى إنقاذ الحى تبيح المحظور وهذا النقل لايصار إليه إلا للضرورة .

ثانيا : إذا كان المنقول منه حيا ، فإن كان الجزء المنقول يفضى إلى موته مثل القلب كان النقل حراما مطلقا ، أى سواء أذن فيه أو لم يأذن ، لأنه أن أذن كان انتحارا ، وإن لم يأذن كان قتلاً لنفس بغير حق ، وكلاهما محرم كما هو معروف . وإن لم يكن الجزء المنقول مفضيا إلى موته على معنى أنه يمكن أن يعيش بدونه فينظر :

إن كان فيه تعطيل له عن واجب ، أو إعانة على محرم كان حراما ، وذلك كاليدين معا أو الرجلين معا ، بحيث يعجز عن كسب عيشه ، أو يسلك سبلا غير مشروعه ، فى هذه الحالة يستوى فى الحرمة الإذن وعدم الإذن ، وإن لم يكن فيه ذلك كنقل إحدى الكليتين أو العينين أو الأسنان أو الدم فإن كان النقل بغير إذن حرم ، ووجب فيه العوض ، على ماهو مفصل فى كتب الفقه فى الجناية على النفس والأعضاء ، وإن كان بإذنه قال : جماعة بالتحريم ، واحتج بعضهم عليه بكرامة الآدمى التى تتنافى مع انتفاع الغير بأجزائه وبأن ماينقطع منه يجب دفنه .

واحتج بعض المحرمين ـ أيضا ـ بأن جسم الإنسان ليس ملكا له فلا يجوز التصرف فيه ،

هذا هو ملخص الحكم فى موضوع نقل الدم والرضاع ونقل الأعضاء من مسلم لغير مسلم أو من مسلم لمسلم أو من غير المسلم للمسلم ، على أن الحكم فى بقاء الجسم وعدمه بعد نقل العضو منه يرجع إلى الثقات المختصين . وعلى أن يكون هناك يقين أو ظن غالب بانتفاع المنقول إليه بهذه الأجزاء ، وإلا كان النقل عبثا وإيلاما لغير حاجة ونحن نعلم أن بعض الأجسام ترفض الأجزاء المنقولة إليها ، ويحاول العلم أن يتغلب على هذا الرفض بالمنع أو الحد منه .

وإذا كنا نختار جواز النقل للأعضاء ؛ فهل يجوز أن يؤخذ عوض للعضو المنقول ؟

يرى جماعة عدم جوازه محتجين بحرمة بيع الآدمى الحر ، كله ، أو بعضه لحديث (قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطى بى ثم غدر ـ ورجل باع حرا وأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى ولم يوفه) رواه البخارى وغيره .

ويرى آخرون : جواز أخذ العوض كثمن أو هبة ، قياسا على بيع المرضع لبنها ، ولعدم ورود دليل يحرمه ، والحديث المذكور هو للنهى عن ضرب الرق على غير الرقيق والاتجار فيه بالبيع كما كان يحصل فى الجاهلية من خطف الأحرار وبيعهم فالاستدلال بالحديث غير مسلم .

ومهما يكن من شىء فإن الأفضل عدم المساومة على العضو المنقول ، فإن إنقاذ حياة المحتاج إليه لا يعدله أى عوض ، ولكن لا مانع من قبول الهدية التى تعطى بسخاء نفس دون شرط سابق .. والله تعالى أعلم .



الشعر والشعراء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد



مع كعب بن زهير

مدح وإنابة

كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني ، نسبة إلى «مزينة» من قبائل «مضر» ، يعد من فحول العرب المخضرمين المجيدين ، ولد في الجاهلية وأسلم ، ويصف الرواة شعره بقوة التماسك وجزالة اللفظ وسمو المعنى ، ويتفقون على أن الشعر لم يتصل في ولد أحد من فحول الشعراء في الجاهلية اتصاله في ولد زهير .

قيل ـ للراوية خلف الأحمر : أيهما أشعر زهير أم ابنه كعب ؟ فقال : لولا قصائد لزهير يذكرها الناس ما فضلته على ابنه كعب(١) .

ويتحدث الرواة في سبب هذه القصيدة ـ التي معنا ـ أنه اشتد على «بجير» أخيه لأنه أسلم وترك وثنيته فأرسل إليه « بجير » : أن النبي ﷺ يهم بقتل كل من يؤذيه من شعراء المشركين ، وخيّره بين المجيء تائباً إلى رسول الله ﷺ أو الهرب نجاة بنفسه ، فلما أتاه كتاب أخيه «بجير» ضاقت به الأرض وأشفق على نفسه من القتل وهداه الله ـ تعالى ـ فآثر الإتيان إلى رسول الله ﷺ ـ تائباً مُسْلماً ، فوثب رجل من الأنصار يريد ضرب عنقه ، فمنعه النبي ﷺ ، فأنشد كعب هذه القصيدة :

بانت سعـــاد فقلبي اليـــوم متبـــول ... متيم إثرهـــا لم يفـــد مكبـــول
وما سعـــاد غداة البين إذ رحلـــوا ... إلا أغنُّ غضيض الطـــرف مكحـــول
تجلو عوارض ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت ... كأنـــه منهـــل بالـــراح معلـــول
أرجـــو وآمـــل أن تدنـــو مودتها ... إن الأمـــاني والأحـــلام تضليـــل
أمست سعـــاد بأرض لا يبلغهـــا ... إلا العتـــاق النجيـــات المراسيـــل

(١) مختارات أدبية من عصرين : النبوة والأموي للدكتور عبد الحميد شيحة (١٩٨٢) .

يسعى الوشاة بجنبيها وقولهم ... إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول
وقال كل خليل كنت آمله ... لا ألهينك إني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم ... فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يوماً على آلة حدباء محمول
أنبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة ... القرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم ... أذنب ولو كثرت في الأقاويل
إني أقوم مقاماً لو يقوم به ... أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
لظل يرعد إلا أن يكون له ... من الرسول بإذن الله تنويل
مازلت أقطع البيداء مدرعاً ... جنح الظلام وثوب الليل مسبول
إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

النبي محمد ﷺ للإمام البوصيري

محمد أشرف الأعراب والعجم ... محمد خير من يمشي على قدم
محمد باسط المعروف جامعة ... محمد صاحب الإحسان والكرم
محمد تاج رسل الله قاطبة ... محمد صادق الأقوال والكلم
محمد ثابت الميثاق حافظه ... محمد طيب الأخلاق والشيم
محمد حاكم بالعدل ذو شرف ... محمد معدن الإنعام والحكم
محمد خير خلق الله من مضر ... محمد خير رسل الله كلهم
محمد دينه حق ندين به ... محمد مجملاً حقاً على علم
محمد ذكره روح لأنفسنا ... محمد شكره فرض على الأمم
محمد زينة الدنيا وبهجتها ... محمد كاشف الغمات والظلم
محمد سيد طابت مناقبه ... محمد صاغه الرحمن بالنعم
محمد صفوة الباري وخيرته ... محمد طاهر من سائر التهم
محمد ضاحك للضيف مكرمه ... محمد جاره والله لم يضم
محمد طابت الدنيا ببعثته ... محمد نوره الهادي من الظلم
محمد قائم لله ذو همم ... محمد خاتم للرسل كلهم

من وحي الحرم

للشاعر بهاء الدين رجب إبراهيم(*)

حيّاك رب العرش أسمى مسجد — تصفو بك الأرواح عند المورد
فيك التواصل والتسامح والسنا — فيك الأمانُ لعابد متهجد
ذلّت لك الأشواق في أفراحها — تهفو إلى روض الغفور المنجد
تجفو المضاجع والمرابع في رضى — والله يقبل من يفي بالموعد
لبّوا نداء الله في عليائه — فسعوا إليك - إلى الوصال الخالد
وحدتهم تحت اللواء فأصبحت — كل الخلائق في صعيد واحد
ساويت بينهم فصاروا صحبة — في روضة من راكع أو ساجد
أنّى نظرت فطائف ومهرول — ومسبحٌ للمستعان الواحد

(*) موجه لغة انجليزية بإدارة أجا التعليمية.

يدعو الخليل : وديحى أسكنتها | بجوار بيتك في أمانِ المرقَد
فاجعل جموعَ المؤمنين تعودهم | وارزقهمو من فضلك المُتفَرّد
فالأرض قفرٌ والحياة حزينة | والأمر أمرك ياغياث المنهد



أبشر خليلَ الله فاضت زمزمُ | بُشراكِ هاجرُ فاطمئنى واسعدى
يا دعوة الخلّ الكريم لك الوفا | من رامَ وَجهَ الله دَوْماً يَهْتدى
جاء النداءُ من السماوات العُلىَ | هيا اعمروا بيتى لأكرم وافد
إذ يرفع الخلُ الكريم عمادَهُ | يرجو القبول من القوىِ الأمجد
ها قد بَنَيْتُ فما عساى بفاعل | كيف السبيل إلى حجيج في غد
وإذا برب العرش يوحى أمْرهُ | أذّنْ تجد من كل فج عُوّد
باللجلال العبقرى وسحره | والكعبةُ الغراءُ أبهى مشهد
والكعبةُ الغراءُ أبهى مشهد
وقلوب أهل الأرض في أستارها | يتعلقون بعبرة وتنهد
وقلوب أهل الأرض في أستارها
جاءوا إلى باب الكريم بتوبة | وضراعة ـ لله درُ العائد



هذى الرحابُ تعيش بملء خواطرى | فياضة بالحب والكرم الندى
في كل صوب جنة من سندس | أجرى بها الرحمن أصفى مَوْرِد
يارب هب للعالمين زيارةً | للمصطفى والبيت أول مسجد
وأرزقهمو من فيض جودك توبة | أنت الملاذُ من الجحيم المجهد
والقدس ياربَّاه في أصفادها | تشكو إليك من القوى المعتدى
فاهْدِ العباد لوحدة ـ ولِعِزّةٍ | والعز منك ـ به نعيش ونهتدى

لبيك يارب

للشاعر: رشاد محمد يوسف

أصداء ، لبيك ، عبر الأفــق تلقــانى … تفيض أنوارهــا ، تسمــو بوجــدانى
أصداء ، لبيك ،تكسو الكون ضارعة … تــوق للـــرى من عفــو وغفـــران
أم القرى فى لباب العـرس رافلـــة … وزمـــزم فى حنايـــا كل إنسـان
زهت أساريرهــا والبيت فى ألـــق … يفيض بالعطــر من روح وريحان
ترتــج آفاقهـــا مع كل تلبيـــة … تصافــح الكــون فى ود وتحنــان
والركن والساحة البيضاء عامــرة … تموج كالبحــر يجرى دون شطـــآن
حدائق النــور يسرى عطرهــا عبقاً … يضوع فى كل آفـــاق وأكـــوان
لبيك يا رب تسمـــو كل جارحـــة … وكل جانحة تعنـــو بإذعــــان
لبيك يا رب أنفـــاس وأفئـــدة … وأعين ضوأت من نور إيمان
وأدمــع تغسل الأعمـــاق تائبـــة … عن أى ذنب مضى أو أى نسيـــان
من كل فج عميــق أقبلــوا زمــرا … مهلـــلين بأحبـــاب وأركان
تخففــوا من قيـود الأرض وارتفعــوا … إلى سماء الهدى من غير أبـــدان

• • •

وخلفهــم خلفــوا دنيــا بزخرفهـــا … وخلفــوا كل أصحـــاب وأقــران
جاؤوا عراة نقـــاة ليس يسترهـــم … سوى التقــى والــرضا من كف رحمنْ
عيــونهم كحـــلت من فيض خشيتهم … فمـــا بدت أعين من غير تحنـــان
أكفهـــم تطـــرق الآفاق ضارعـــة … وقـــد ندت دعـــوة من كل شريـــان
وفى الحنايـــا جراحـــات مخضبـــة … مغلفـــات بأشجـــان وأحـــزان
رحماك يا رب هذا الأفـــق معتكـــر … مجلـــل بسحابـــات وأشجـــان
ولفهـــا ألـــف إعصار وعاصفـــة … وحاطهـــا ألـــف بركان وطوفـــان
فكيـــف يارب والمختـــار قدوتنـــا … نسير خلـــف أباطيـــل وبهتـــان ؟
وكيـــف يارب ترضى عن تخلفنـــا … وكيـــف نغفـــو وفينـــا هدى قرآن
ضيـــوف بيتك يا رحمن ضارعـــة … بكـــــل ماحملت أشواق إنسان
ندعوك أن تكشف البلـــوى وتغمرنـــا … بجود كفك من فضل وإحسان

وداعاً.. شيخ الأزهر

بسماحة الإسلام كنت موائماً ... بين الحياة وبين قدس المسجد
ما مات من غمر المحافل علمُه ... بسطوع برهان وفقه مجدد
رحل الإمام وغاب عن أبصارنا ... لكنه في قلب كل موحد



رحم الله الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر ، كان باحثاً إسلاميا نادرا ، وعالماً فذاً ، وداعية متمكناً ، أنفق عمره في خير ما تنفق الأعمار ، وكان أكثر حركة ونشاطا ومشاركة في العمل الإسلامي محليا وإقليميا ودوليا ، ويذكر له العالم الإسلامي مواقفه الفذة في كل ما عرض للمسلمين من جديد ، وكل ما رُزئوا به من أرزاء .

رحل فضيلته بعد جهاد طويل في حقل الدعوة الإسلامية ، فمنذ تولى مشيخة الأزهر في مارس ١٩٨٢ ـ وكان من قبل مفتيا للديار المصرية ثم وزيراً للأوقاف ـ وهو يحمل رسالة الأزهر خلفاً للدكتور محمد عبد الرحيم بيصار ـ (١٩٧٩ ـ ١٩٨٢) ـ ويواصل مسيرة السلف علما وجهاداً وعطاءً ونضالا ، إلى أن وافته منيته في ساعة مبكرة من فجر الجمعة ٢٥ شوال ١٤١٦ ـ الموافق ١٥ مارس ١٩٩٦ م . فجزاه الله خير ما جازى به عالماً عن علمه وأستاذاً عن تلاميذه ومجاهداً في سبيل نصرة الإسلام وعز المسلمين ، هذا وتجدر الإشارة إلى أن باب الشعر تلقى العديد من قصائد الرثاء التي تعبر عن فجيعة أصحابها في الإمام الراحل ، حال دون نشرها ضيق المساحة ، وعسى أن تجد طريقها في كتاب يصدر قريبا عن الإمام الراحل ، خالص تقديرنا لمشاعرهم وقدرتهم على التصوير والتعبير .. المحرر .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم



صفات سيدنا عمر — رضى الله عنه —

قال معاوية بن أبى سفيان — رضى الله عنه — لصعصعة بن صوحان : صف لى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فقال :

كان عالما برعيته ، عادلا فى قضيته ، عاريا عن الكبر ، قبولا للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحريا للصواب ، رفيقا بالضعيف ، غير محاب للقريب ، ولا جاف للغريب .



لاتتهافت على اللئيم فتتهم فى مروءتك ، ولا على الغنى فتتهم فى عفتك ، ولا على الجاهل فتتهم فى فطنتك .



قيل لأحد العلماء الأئمة — رضى الله عنهم : كيف أصبحت ؟

قال : أصبحت تطلبنى ثمانية : الله تبارك وتعالى — بالفروض ، ورسوله — عليه الصلاة والسلام — بالسنة ، والدهر بصروفه ، والعيال بقوتهم ، والحفظة بما ينطق لسانى ، والشيطان بالمعاصى ، والنفس بالشهوات ، وملك الموت بقبض روحى .



أخسها : أن تشكو الله إلى خلقه .
وأوسطها : أن تشكو خلقه إليه .
وأعلاها : أن تشكو نفسك إليه .

«كيف تركت الناس في بلدك ؟»

خرج عمر بن عبدالعزيز يوما متنكرا إلى مفارق طرق تعبرها قوافل المسافرين . فسأل أحدهم : كيف تركت الناس في بلدك ؟ فأجابه : تركت البلاد ، الظالم فيها مقهور ، والمظلوم منصور ، والغني موفق ، والفقير مجبور .

وابتعد ـ رضي الله عنه ـ ودموع الشكر في عينيه قائلا لغلامه :

والله لئن البلاد كلها على ماوصف هذا الرجل ، أحب إلى مما طلعت عليه الشمس .

«خير الزاد»

خطب أبوذر ـ رضي الله عنه ـ عند الكعبة فقال :

أليس إذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ فقالوا : نعم . فقال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون .

فقالوا : دلنا على زاده . فقال : حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين في وحشة الليل لظلمة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور .

أعجب شيء !!

قيل لرجل من الصالحين : أي شيء أعجب عندك ؟

قال : قلب عرف الله ـ تعالى ـ ثم عصاه .

«حقا»

قيل لأعرابي : ما السقم الذي لايبرأ ، والجرح الذي لايندمل ؟

قال : حاجة الكريم إلى اللئيم .

«إذا لم يحفظ ثلاثا»

قال الشاعر :

إذا ما المرء لم يحفظ ثلاثا

فبعه ولو بكف من رماد

وفاء للصديق وبذل مال

وكتمان السرائر في الفؤاد

«أقبح الأعمال»

قال يحيى بن خالد البرمكي :

أقبح عمل الظافرين : الانتقام .

وأقبح عمل الواعدين : البخل .

وأقبح عمل القادرين : الظلم .

وأقبح عمل المؤمنين : الخيانة .

وأقبح عمل الأشراف : الكبر .

وأقبح عمل السلطان : الجور .

دعـــاء

اللهم أيقظنا من رقدات الغفلة ، ووفقنا للتزود قبل النقلة ، وألهمنا اغتنام الزمان وقت المهلة .

اللهم الطف بنا في قضائك ، وهب لنا ما وهبت لأوليائك ، واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك .



الشيخ محمد الغزالي رحمه الله

٢

للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى

هكذا مضى الغزالى يتتبع عثرات المستشرق الخرى خطوة خطوة ، فوقف وقفة ناقدة عند قول الباحث إن الإسلام ليس من صنع محمد . ولكنه من صنع الأجيال بعده وأن رسول الله جاء بتعاليم استقاها من اليهودية والمسيحية حين اتصل بهما ؟ أما كيف اتصل بهما على الوجه المثبت لانتفاعه بتعاليمهما فهذا مما يعجز المؤلف عن إثباته ، ثم يحول المؤلف فى إيضاح فروق بين التشريع المدنى والمكى ، لا لينتهى إلى ما قرره الفقهاء ومؤرخو التشريع بشأن هذه الفروق ، بل ليقول بتأثير اليهود فى شريعة محمد واتجاهه ؟ ولا أطيل فى تسجيل هذه العورات فقد كشف عنها الغزالى بما جعلها رمادا تذروه الرياح .

وهكذا ـ مرة أخرى ـ مضى الغزالى يشرح فى حلال نقوده الحاسمة رسالة الإسلام الخالدة ، ويدفع الهجوم الظالم على السنة المطهرة ، ومحاولة توهين مصادرها ذات الأصل الراسخ متحدثا عن رأى الإسلام فى مسائل القضاء والقدر والجبر والاختيار ، ومجال العقل ومجال الوحى ، وموقف جولد تسيهر من علم الكلام ، وتتبعه أقوال المبتدعة والمنحرفين ليلصقها بالإسلام لصقا منكرها كله احتيال وتعمل ، حتى انتهى الناقد إلى ايضاح مرونة الفكر الإسلامى ، ومدى

الحكام ، والوحدة الإسلامية ، ولابد لقارىء كتاب الحقيقة والشريعة الذى ألفه المفقود الجرىء أن يتابع نقد الغزالى فى كتابه ليقذف الله بالحق على الباطل فيمحوه .

أما كتاب (التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام) فقد كتبه الأستاذ الغزالى على مضض ، لأنه لا يريد إثارة الشدائد بين عنصرى الأمة المصرية ، فالغزالى فى كل اتجاهاته داعية وفاق لا شقاق ، ولكنه وجد كاتبا يثير الشقاق إلى درجة الالتهاب ، ويقذف بالاتهامات الظالمة فى وجوه المسلمين من المصريين منذ دخل عمرو بن العاص الكنانة فاتحا حتى عهد المؤلف المتعصب ، ولم يدع سطرا من السطور فى أسفار التاريخ البعيدة والقريبة يُشَمُّ منها تنابذ بين العنصرين ؛ إلا جسده وغلظه ، ونادى به من فوق مرتفع شاهق ليسمعه جميع الناس ، وقد غفل غفلة مقصودة عن مظاهر الالتحام بين العنصرين كما سجلتها كتب التاريخ التى تحث فيها عن الهنات ليلتقطها متعسفا وليبالغ فى تحليلها مبالغة تدعو القارىء المحايد إلى النفور والانقباض ، وما هكذا سبيل البحث التاريخى النزيه ! وقد ذكر الأستاذ الغزالى فى مقدمته أن ناصحا أمينا حدثه بشأن العرض فقال : « قد طلب إلى أن ألتزم حسن العرض ، وأن أكتفى بتنحية القذى عن طريق الإسلام دون غضب أو تحد ، وقد بذلت الجهد فى إجابة نصحه ، وإن كنت أشعر أحيانا بسورات الغيظ تملكنى وتعرفنى إذ أجد حقا يغطى الهوى وجهه المبين ، وعسفا يراد فرضه على الطريق المستقيم ، وما كان الإسلام ينتظر ممن أحسن لهم فى أرضه أن يتربصوا به ، ويعيبوا عليه ، أو يتلمسوا لأهله الأبرياء العيوب » .

وفصول الكتاب قوية منصفة ، فقد تحدث عن الإسلام بين العصبية والتعصب ، وعن المسلمين وأهل الذمة وعن مسلك عمر الفاروق فى معاملة أهل الكتاب ، وعن الفتح الإسلامى فى العصر الأول ، وعن أسلوب التوسع والمعاملة فى تاريخ الديانتين ، ووقف وقفات متأنية فى الحديث عن دخول المسيحية فى مصر وكيف دخلها الإسلام . مسجلا موقف الصليبيين من نصارى الشرق ، وموقف الأقباط من الاحتلال الفرنسى ، وفى هذه العناصر ما يعطى فكرة كافية عن الكتاب السديد .

أما كتاب (من هنا نعلم) الخاص بنقد كتاب (من هنا نبدأ) فيسرنا أن نعلن أن الكاتب الكبير الأستاذ خالد محمد خالد مؤلف الكتاب قد رجع عن كل سطر قاله فيه وألف كتابا آخر تحت عنوان (دين ودولة) يمضى مع كتاب الأستاذ الغزالى فى كل حقائقه ، وقد رجع الكاتب إلى الحق بعد بحث شاق متصل فأعطى مثلا صادقا لمن يكتبون الخطأ ثم يبادرون إلى تصحيحه ، وأعجب العجب أن ذيول الشيوعيين فى مصر كانوا يصفقون للأستاذ خالد محمد خالد ، وينعتونه بالكاتب الكبير ، وينقلون ما جاء به فى كتابه محتفلين منوهين ، حتى إذا ألف الأستاذ كتابه الجديد همدت حماستهم تلقاءه ، وضاع وصف الكاتب الكبير الذى كانوا يصفونه به ، ولم يدعوا

الكتاب بعد أن نقده مؤلفه ، بل حرصوا على إذاعة ما دون فيه ، ولذلك سيظل كتاب (من هنا نعلم) يؤدى رسالته فى تسفيه من يعتنقون الضلال عن عمد راسخ .

لقد كان من خطأ الأستاذ خالد فى كتابه أنه اعتقد أن الإسلام كالمسيحية ، لا صلة له بأمور الدنيا ، وهو خطأ جوهرى عرفه الأستاذ فيما بعد فتجافى عنه ، كما جعل فى الإسلام رؤساء من رجال الدين يحللون ويحرمون ، كما يفعل الباباوات فى كنائس أوربا ، والإسلام برىء من سيطرة إنسان يحلل ويحرم دون اعتماد على نص من الكتاب والسنة وما أجمع عليه الفقهاء ، وإذا جد حدث لم يأت من قبل ، فلدينا القياس وهو من أوسع أبواب الاجتهاد فى الفقه الإسلامى ، كل ذلك مقرر مدروس ، وقد أجاد الغزالى فى تأييده ، بحيث أدى رسالة ضرورية كان من المحتم أداؤها ، واذكر أن الكاتب الكبير الأستاذ محمد فريد وجدى ـ رحمه الله ـ قد نقد كتاب الأستاذ خالد نقدا واعيا على صفحات مجلة الأزهر فى حلقات متتابعة لم تجمع فى كتاب مستقل ، وقد قرأت ما كتبه الأستاذ وجدى ـ وهو من الغزالى بمنزلة الأستاذ ، بسبقه المحمود فى حلبة الجهاد العلمى النزيه ـ فوجدت توافقا كبيرا فى الحقائق العلمية التى اهتدى إليها الرجلان الفاضلان ، لا لأن أحدهما قد نقل عن الآخر ، فمنطق البحثين لا يوحى باطلاع أحدهما على ما قال صاحبه ، ولكن حقائق الإسلام وحدها كانت من الرسوخ لديهما بحيث استطاعا أن يتحدثا عنها حديث الرجل الواحد ، وهذا مما يؤيد أن الحق أبلج لا مرية فيه ، وأن النفوس إذا خلت من الغرض أتضح لها وجه الحقيقة بعد البحث الجاد دون لبس أو تدليس ، وقد كان فيما كتبه الباحثان الكبيران مقنع لمن يعرف الحق ، أو يسعى إلى معرفته ، ولكننا نرى كتبا ضالة تظهر متحدية الحقائق الصريحة لتعلن انفصال الدين عن السياسة ، وتجد هذه الكتب من وسائل الإعلام والتنويه فى الصحف والإذاعات المختلفة ماتضيق به الصدور ، ولكن العجب حقا أن هذه الدعاية الواسعة على هذا النحو الممتد الفسيح ، لم تحظ بقبول الجماهير القارئة ، فهم يميزون بين الطيب والخبيث عن نظر بصير .

هذا بعض ما اتجه إليه الأستاذ الغزالى فى تفنيد أباطيل خدعت الناس ، ورانت على عقولهم ، فظلوا الاهتداء إلى الحق ، ووجدوا لدى الأستاذ ما يريح ، وهو كدأبه يتحسس أماكن الحاجة إلى التثقيف الضرورى للمسلم ، بنهض إلى ساحاتها غير وان ! لقد لمس تعسورا شنيعا فى توضيح عقيدة المسلم حيث اقتصرت معرفة هذه العقيدة على ما جاء فى كتب علم الكلام ، المسمى بعلم التوحيد ، وهذه الكتب فى تراثها الماضى لم تعد تؤدى رسالتها فى إحياء العقيدة ، وإذكائها فى نفس المسلم على وضع يجعلها تترقرق دما فى عروقه ، لأن هذه الكتب تعرضت لآفات كثيرة ، أهمها أنها سلكت سبيل الفلاسفة فى تقرير حقائقها الإيمانية فجعلت المنطق الأرسطى سبيل التدليل وآية الاقناع ، والمنطق الجدلى ـ كما نشهد فى أمور كثيرة ـ يثبت الشىء ونقيضه ، لأنه يفترض صحة المقدمات ولا يهتم إلا بالنتائج ، وإذ ذاك تجىء النتيجة باطلة وفق المقدمة إذا كانت باطلة ، كما أنه

فرع من البحث يؤدي إلى الجفاف الفكري ، وغايته أن يكون تمرينا عقليا ، لا اهتداء قلبيا ، لذلك يشك الشاكون عن وسوسة الشيطان ثم يقدمون إلى هذه الكتب آملين أن يجدوا بها برد اليقين ، فتزيدهم غليلا ، ومن أراد التعمق في المطولات الكبيرة بدل المختصرات الموجزة فماذا يجد ؟ يجد حربا ضروسا بين طوائف مختلفة عفى عليها الزمن ولم يعد لها وجود بيننا الآن ، هذه الطوائف تتنازع في أمور عقلية أو سياسية لم تعد مجال التنازع اليوم ، وقد حرص مؤلفوا علم الكلام على تتبع أقوالها ، وترداد أدلتها ، والقارىء المعاصر تحوطه الشبه في كل اتجاه ، شبه الكفرة من الماديين والملاحدة والعلمانيين ولا تجد في كتب التوحيد ما يشفي الغلة لذلك شاء الأستاذ الغزالي أن يضع ما يعرف بعلم التوحيد وضعا جديدا ، يقنع العقل ، ويرضي العاطفة معا ، وضعا يأخذ أدلته من كتاب الله وسنة رسوله ، ثم من المشاهد المحسوس في ملكوت السموات والأرض ، فبدأ كتاب (عقيدة المسلم) بحديث مقنع عن أدلة وجود الله عز وجل بدأه بقوله (وجود الله من البداهات التي يدركها الإنسان بفطرته ، ويهتدى إليها بطبيعته ، وليس من وسائل العلوم المعقدة ولا من حقائق التفكير العريضة ، ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء ، واقتراب المسافة جدا قد يعطل الرؤية ، ما اختلف على ذلك مؤمن أو ملحد ، ثم قال :

وقد اقترنت حضارة الغرب . التي تسود العالم اليوم . بنزوع حاد إلى المماراة في وجود الله ، والنظر إلى الأديان جملة نظرة منتقص ، أو قبولها كمسكنات اجتماعية لأنصارها والعاطفين عليها ، ولا شك أن المحنة التي يعانيها العالم الآن أزمة روحية منشؤها كفره بالمثل العليا ، فلا نجاة له مما يرتكس فيها إلا بالعودة إلى هذه المثل ، يهتدى إليها بفطرته ، كما يهتدى سبيله الجنين في ولادته ، والفرخ في بيضته ..

بهذا الأسلوب النير سار الأستاذ في فصول الكتاب ، حين تحدث عن العالم وهل خلق صدفة ؟ وعن صفات الخالق جل علاه ، وعن الوحدة المطلقة ، وعن القضاء والقدر ، والجبر والاختيار ، وقيمة العمل ومنزلته من الإيمان ، وعن الخطيئة والمتاب ، وعن النبوة والوحي والعصمة والمعجزة ، وعن الحياة الأخرى فيما وراء الحياة الدنيا ، وعن البعث والجزاء ، ولا يكفي القارىء أن يعلم رءوس هذه الموضوعات ، بل من واجبه أن يسارع إلى قراءتها ليجد العقيدة الإسلامية قد برزت في ثوب قشيب .

ولم ينس الأستاذ أن يكتب عن السلوك في الحياة كتابا رائعا تحت عنوان : (خلق المسلم) كما كتب مؤلفه عن (عقيدة المسلم) وهو بهذا يهيىء الاطمئنان النفسي للمسلم روحيا وعمليا ، فاقتناعه بما جاء في كتاب العقيدة سبيل إلى الاطمئنان الروحي واقتناعه بما كتب في (خلق المسلم) سبيل إلى الاهتداء العملي في دروب الحياة .

لقد درس الأستاذ الغزالي كتب الأخلاق في مظانها المختلفة ، وألمّ بما ذكره الفلاسفة والعلماء عن الخير والشر من لدن أفلاطون ولا بد لمن يكتب كتابا في الأخلاق أن يدرس هذه الدراسة

المستوعبة ، غير أن المؤلف لا يفاجئك بآراء الأخلاقيين ، ولا يصدمك بالمصطلحات العلمية ، وكلها منطقى جاف ، ولا يحشد لك النقول الصافية ، لأن مطالعات الغزالى قد تفاعلت واختمرت ، حتى أصبحت فكرا هادئة مرتبطة بالتوجيه الإسلامى للأخلاق فهو فى تحليله الهادىء يبرز ثمار معارفه ، وقد تمثلت فى نفسه ، فكادت تكون مادة أخرى بعد أن صهرت فى بوتقة الذاتية دون أن يفقد القارىء الحصيف بذور آرائه ، ومقدماته الأصيلة ، وقد يقول قائل : إنه يكتب الأخلاق من زاوية الإسلام فلا صلة له بآراء الفلاسفة وعلماء الأخلاق ، ولكننا نعلم أن الأخلاق الإسلامية نهضت قمة عالية تضم فى لبناتها المتراصة أجزاء من الفكرة الإنسانية العامة التى تهدف إلى الحق والخير وإلى الجمال فهى فى نسقها القرآنى مجال للدراسة والموازنة والتحليل .

وكتاب (خلق المسلم) يؤدى رسالة دائمة لا تتقيد بزمان أو مكان ، فهو دستور المسلم أنى وجد ، وحيث كان ، وهو بهذا الوضع لا يغفل حاجات عصره ، وأخطاء زمنه ، بل يتخذ منها أمثلة يكشف بها القناع عما يريد فهو حين يتحدث عن الصدق يوضح ما تجره الصحافة الكاذبة من نكبات ، إذ يتسع ضررها ويمتد حتى تشمل الكذبة الواحدة آلاف القراء ، ثم يتكلم عن الانتخاب البرلمانى فيرى فى تزكية غير الكفء كذبا وزورا أى زور ، وحين يتحدث عن الأمانة يرى من الخيانة إسناد المناصب فى الدولة إلى غير أربابها ، كما يشوى الوساطات والشفاعات والمحسوبية بسياط ملهبة ، ثم حين يتكلم عن الوفاء بالعهد يعلن أن الشروط المكتوبة لا حرمة لها إذا تعارضت مع الدين ، وحين يتحدث عن القصد والعفاف ينعى على الشباب ما فتن به من الأناقة والطراوة والولوع بالمظهر والملابس ، حتى صار الواحد منهم معرضا للأزياء ، وهكذا يطارد الكاتب أوبئة العصر فى علاج شامل لما يتعاقب من الأجيال ، لأن الداء ممتد يستطيل .

وإذا جاز أن تكون هناك كتب للقراءة ذات الموضوع الواحد لطلاب المدارس الثانوية فمن الخير لهؤلاء الطلاب أن يكون كتاب (خلق المسلم) أحد هذه الكتب التى تقدم لهم ، لأنه جمع الأسلوب الجيد ، والنصوص الأدبية المنتقاة من كتاب الله وسنة الرسول ، وله بعد ذلك صحة الهدف ، ونبل الغاية وشرفها ، إذ يرسم الطريق إلى حياة صحيحة ، وسلوك سليم ، مع وضوح التعبير ، بل مع إشراقه الوضىء .

لقد سئل الأستاذ الغزالى عن أحب كتبه إلى نفسه فلم يذكر كتابا من الكتب التى تعرضت لها فى هذه العجالة ببعض التحليل ، ولكنه ذكر كتاب (فقه السيرة) وهو كتاب خاص بتدوين سيرة رسول الله مشفوعة بما نفحه إيمان الكاتب من التحليل الشارح ، والتعليل الموجه ، وأشهد أن كتاب فقه السيرة يمس شغاف قارئه مسا قويا ، لأن حب الكاتب لرسوله قد تجسد فى كل كلمة خطها ، وليس هذا مأخذا ، لأن الحب يكون مأخذا متحازا إذا كان حبا أعمى لا يعتمد

على دليل صادق ، أو برهان كاشف ، أما إذا كان الحب وليد اعتقاد قوى راسخ الأركان وطيد البناء فإنه يدفع قلم الكاتب دفعا إلى تسطير عواطفه المؤمنة دون تريث ، إذ يجد من فيضها الزاخر ما يتيح له أن يسود عشر صفحات فى مجلس واد فالينبوع دافق والمعانى واضحة لامعة ، والإعجاب دافع سائق ، وأذكر أنى قرأت عشرات الكتب عن السيرة المطهرة ، ومازلت أقرأ كل ما يقع فى يدى من حديث هذه السيرة مما يكتبه الفضلاء ذوو العطاء السخى المشبع ، ولكنى وقفت فيما قرأت عند كتابين قد احتلا مكانتهما الكبيرة فى نفسى ، إذ وجدت فيهما ما لا أجد فى سواهما ، فكتاب عبقرية محمد للأستاذ العقاد على صغر حجمه يعطيه من المعانى المبتكرة النادرة ما لا تكاد تجده فى سواه لأن ملكة التحليل العقلى التى اشتهر بها الكاتب قد بدت فى تألقها الزاهر وضيئة فيما كتب عن رسول الله تحليلا وتدليلا واستكناها ، ومأخذه الأوحد - إن عد هذا مأخذا - هو الصرامة الجافة فى الإيجاز لأن بعض البسط كان يشفى الغلة قطعا ، أما الكتاب الثانى فهو فقه السيرة للأستاذ الغزالى حيث أتم رسالة العقاد من ناحية ثانية لأن العقاد قد اهتم بالنظر العقلى ، والصيال الفكرى دون أن يلتفت إلى سبحات الروح ، وخلجات النفس وهذا ما التفت إليه الأستاذ الغزالى فجاء كتابه جامعا بين منطق العقاد وروحانية الغزالى الداعية المتصوف ، وأقول المتصوف عن عمد لأن تصوف الغزالى تصوف عمل مكافح يدفع إلى التأمل ، ويدعو إلى البناء ، فى ظل من حب الله ، وخشية من عقابه ، ولم يكن الغزالى بعيدا عن رسول الله حين كتب مؤلفاته الأخرى فالرسول ﷺ ماثل بروحه فى كل خط كتبه الغزالى توجيها وطاعة وامتثالا ، ولكن كتابة سيرته المطهرة بقلم الغزالى قد ساعدت على إكمال الصورة الجميلة التى يراها الأستاذ لنبيه الكريم .

قلت إن الغزالى أديب مطبوع ، لو ترك له المجال للعكوف على الأدب وحده لكان أديبا من طراز حجة الأدب ونابغة الإسلام الأستاذ مصطفى صادق الرافعى - رحمه الله - ولكن مشيئة الله قد وجهته إلى الدعوة والنضال فى حومة الأفكار المتصارعة ، فكان أديب دعوة ، وأديب الدعوة الإسلامية أشمل وأعم وأوفى من أديب ، إنه دعوة أخرى لأن دعوة الإسلام هى دعوة الحياة .

وبعد فهل ترانى - فى هذا البحث السريع - قد بلغت بعض ما أريد من جولتى الخاطفة فى بعض كتب الغزالى ، أشهد أنى قصرت - لأن الحديث الطائر عن بعض الكتب الغزالية لا يغنى عن التحليل الدقيق لكل كتاب على حدة ، وأذكر أنى كتبت منذ زمن بعيد تحليلا وافيا لكتاب (كفاح دين) للأستاذ الغزالى ، ووجدت من الأوفق أن أخصه فيما بعد بمقال منفرد فى غير هذا المكان ليكون نموذجا متواضعا للحديث عن منهج الغزالى ، كما أراه على قدر ما فى طاقتى من توضيح !!

من روائع الماضي بمجلة الأزهر



سوانح ونصائح

لصاحب الفضيلة الشيخ يوسف الدجوى

إعداد وتقديم : د . عبد الفتاح حسين الزيات

ما بال ابن آدم يهوى الجدال بغير علم ، ويهرف بما لا يعرف ، ويحاول أن يسبح في بحر متلاطم الأمواج ، وهو فاقد لفن السباحة ، فتراه تارة يقحم نفسه في مساجلات لا يعرف عنها إلا القليل ، وتارة يرمي بنفسه في مناظرات لا يدري ما الغرض منها ، ويشارك في معارك كلامية مع افتقاده لأدواتها . فهل هو حب الظهور والغوغائية ، أم محاولة إثبات لوجوده ؟! .

سواء كان هذا أو ذاك فإن الأمر جد خطير ، فلماذا لا يأخذ الإنسان نفسه بالموضوعية والعقلانية والاتزان في كل ما يأتي أو يدع ، ويترك كل صنعة لصانعها فهذا خير له ألف مرة من خبط العشواء واتباع الأهواء ، وليأخذ العبرة من قول سيدنا رسول الله ﷺ : « أخوف ما أخاف على أمتي ثلاث : ضلالة الأهواء ، واتباع الشهوات في البطن والفرج ، والعُجب » رواه الحكيم عن أفلح ـ رضي الله عنه ـ وهو مولى رسول الله ﷺ .

قال الشيخ ـ رحمه الله :

سوانح ونصائح

١ ـ المجادلات لا توصل إلى الحق ، والكلام لا ينتهي ولا يفرغ مهما كان الحق واضحا لمن أراد أن يشاغب . وإنك لتعلم أن إبليس لم يخضع للأمر الإلهي ، بل جادل كل المجادلة في سجوده لآدم ،

ولم يقتنع بشيء مع كون خصمه هو الله . وقد قال – تعالى – فى حق قوم من المعاندين :

﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ سورة الأعراف (١٤٦)

وقال :

﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (١٥) ﴾ سورة الحجر

وقال فى المتعنتين أيضاً :

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ سورة الأنعام (١١١)

... إلى آخر ما جاء فى القرآن وهو كثير .

ومن درس استعداد الإنسان عرف أنه مجمع العجائب والغرائب ، ومظهر المتضادات والمتناقضات .

٢ – المحبة ، أو نقول العواطف والأميال ، تجعلك عميا عن كل شيء إلا ما يوافق هواك ونزعاتك . وقد قال الله فى حق قوم :

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ سورة الإسراء (٤٦)

فإذا كان هذا فى حق القرآن الذى هو آيات بينات فكيف بغيره !

٣ – عرفنا الحوادث السياسية بعد الحوادث التاريخية كيف تضل الأمم فى الواضحات ولا تدرك الجليات . وبهذا عرفنا مقدار الأنبياء وقوة استشعارهم بالحق ، حتى لم يؤثر فيهم الوسط الذى هم فيه ، ولم يرعهم إجماع البيئة التى نشئوا فيها ، ولم تشككهم مخالفة جميع الناس لهم ، ولا أوحشهم انفرادهم فى طريق الهدى ، والناس مطبقون على الضلال يسيرون على غير هدى ولا بصيرة كأنهم لايبصرون ولايعقلون . فانظر كيف لم تتسرب الوساوس إلى نفوسهم – عليهم السلام – مع كونهم يرون إطباق الناس على الباطل ، بل اعتقدوا بقوة نور بصيرتهم أن الناس سائرون فى الظلمات ، فهم مساكين يرثى لهم ، وجهلة يبكى عليهم ، حيث إنهم يجهلون ولا يعلمون أنهم يجهلون .

فليت شعرى ما مقدار ذلك النور الذى لم تؤثر فيه تلك الظلمات ، ولا أطفأته عواصف الشكوك والشبهات ، ولا قوة المخاصمات والمجادلات ، ولا كثرة الوجدانات والاعتقادات . وكأنهم يرون الغيب شهادة ، وما وراء الطبيعة محسوسا ، حتى قبل الرسالة والوحى ، بفضل ما أوتوا من استعداد رفيع وطهارة ذاتية : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) .

فحاذر أن يغرك إجماع ذوى الجهالات وإطباق ذوى الظلمات ، واعرف استعداد الإنسان واعتقد أنه قابل لكل شيء من الحق والباطل والضلال والهدى.. الخ ، فلا تغترهم فى السياسات ولا فى الطبيعيات ، ولا فى شيء من الأشياء إلا بالبرهان الساطع ، وسل الله التأييد والتسديد .

٤ – يمكنك أن تعيش فى عصر السلف الأول ، بل فى عصر النبى ﷺ ، وذلك بقصرك نفسك على كتب الدين وسيرة الصالحين . ويمكنك أن تعيش فى أى عصر من العصور بتلك الوسيلة . فإن

الإنسان ليس إلا عبارة عما يُنقش فى نفسه ، وما يصدر منه إنما هو مقتضى تلك النقوش .

٥ - لا عبرة بغير الأشياء العملية واكتساب العلم الصحيح ، وتكوينُ ملكته فى النفوس لا يكون بغير العمل . ولاقيمة لتلك النظريات وإن تبعها كثير من التشدق والثرثرة . وما الانسان إلا صورة مما يحيط به وينقشه فى نفسه . فمن الغلط البين اغترار كثير من الناس بالعلوم النظرية ، حتى يظن ذووها أنهم اتصفوا بها وفازوا بثمرتها . مع أن هذا الصنف من الناس فى علمه هو بمنزلة من قال الله فيهم :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ سورة الحجرات (١٤)

وقد قالوا : العلم يهتف بالعمل ، فإن أجاب وإلا ارتحل . فذوق العلم وتكيف النفس به لا يكون إلا بالعمل ، وإلا كان شقشقة فى العلماء تشبه النفاق فى المؤمنين ، وكان ممن حق عليهم قول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾ سورة الصف

وقد أذكرنى هذا لمناسبة ما ، ما يحكى من أن الشيخ محيى الدين بن العربى رأى جنازة الفيلسوف ابن رشد ومؤلفاته محملة أمامه ،فسأل عنه ، فقيل : إنه الإمام ابن رشد وهذه كتبه ، فقال :

هذا الإمام وهذه أعماله
ياليت شعرى هل أتت آماله

يريد بذلك أن هناك فرقا كبيرا بين العلم العملى الذى يسيطر على القلوب وتكيف به الأذواق وتصبغ به النفوس ، وبين العلم النظرى الذى تؤديه الألسنة ويبرع فيه المتشدقون :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) ﴾ سورة البقرة

ومن ذلك الوادى ما يزعمه كثير من الجهلة أو من ذوى الأغراض الخبيثة من تحبيذ السفور والاختلاط ، خصوصا فى المتعلمات ، اعتمادا على ما تلقنّه فى تعليمهن من تلك النظريات التى لا تسمن ولا تغنى .

وهؤلاء المغرورون كأنهم ليسوا فى الوجود ، فلم يختبروا بالتجربة والمشاهدة والنتائج السيئة التى نراها كل يوم من جراء ذلك الاختلاط ، فقد جهلوا الفلسفة والدين ، فإن الأمر طبيعى شديد له أكبر سلطان على النفوس بمقتضى الغريزة والنظريات لا تقاوم الطبيعيات . ولكن ما لهم ولتلك التحليلات الفلسفية وهم أرباب شهوات وأهواء لا دين وفلسفة ! ولهذا لم يكتف الله تعالى بالعظات النيرات والزواجر البالغات ، بل شرع الحدود والتعذيرات ، علما منه بما جبلت عليه النفوس البشرية .

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) ﴾ سورة الملك

وقد كان عندنا وظيفة تسمى وظيفة الحسبة ولعلنا نكتب فيها بعد .

أسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم ، وألا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين بمنه وكرمه ؟

العلوم الكونية

من دلائل القدرة الإلهية

في بعض الظواهر البحرية

ظلمات البحار وتراكب الأمواج
(٢)

بقلم أ. د أحمد فؤاد باشا

قال تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾[1]

يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أن حياة الكافرين وأعمالهم أشبه بظلمات البحار والمحيطات العميقة ، حيث يزداد الظلام وتسود العتمة الشديدة نتيجة لتراكم الأمواج المائجة فوق بعضها ، وحيث تخيم السحب الكثيفة المعتمة إلى حد انعدام رؤية الأجسام ، فيتعذر على المرء أن يرى حتى يده التي في جسده . ذلك أنه لا هداية لبشر بدون النور الإلهي الأعظم .

ولقد أودع الخالق العظيم هذا النور الهادي في قرآنه الكريم ، وأرسل نبيه العربي الأمي الصادق الأمين ليبلغه إلى العالمين ، ويدعوهم إلى اتباع طريقه الأقوم وسبيله الأرشد وصراطه المستقيم . ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2] . وقد جاء في كتب التفسير أن الكافر يتقلب في خمس من الظلم : فكلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار[3]

---

(١) سورة النور : ٤٠ .

(٢) سورة الأنعام : ١٥٣ .

(٣) الطبري ١٨/١١٦ ، عن : صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، القسم العاشر ، ص٢٣ . ومختصر تفسير ابن كثير ، محمد علي الصابوني ، المجلد الثاني ، ص٦١١ .

فنسأل الله العظيم أن يجعل فى قلوبنا نوراً ، وعن أيماننا نوراً ، وعن شمائلنا نوراً ، وأن يعظم لنا نوراً .

كذلك أودع الله - سبحانه وتعالى - نوره الهادى فى آياته الكونية الباهرة ونواميسه المبثة فى جنبات الوجود ، وجعل البحث عن هذه الآيات والنواميس فى الآفاق وفى الأنفس طريقاً مؤدية إلى معرفة الحق وموصلة إلى الإيمان الخالص بالخالق الواحد على هدى وبصيرة ، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[4].

ولعل فى هذا المعنى ما يوضح طبيعة العلاقة بين القرآن والعلم ، ويؤكد حقيقة التكامل والتوافق التامين بين الوحى والكون باعتبارهما مصدرين متكاملين للمعرفة الصحيحة ، ولا ينبغى لعاقل أن ينشد الحق إلا فيهما طبقاً للأصول المنهجية السليمة فى التعامل معهما .

وتظل علاقة التوافق والانسجام بين القرآن والعلم قائمة طالما كان المفسرون والعلماء مدركين لحدود علمهم فى فهم الآيات القرآنية والآيات الكونية فى الآفاق وفى الأنفس . فما كان من حقائق العلم قطعياً لا شبهة فيه ، لزم تصديقه والتسليم به وتغليبه على ما كان ظنى الدلالة ، لأن ما كان ظنى الدلالة يحتمل التأويل على وجهين أو أكثر . والإيمان بوحدة المصدر والغاية للآيات القرآنية والآيات الكونية يقتضى بالضرورة العقلية أن يكون ما هو قطعى الدلالة فى كتاب الله موافقاً لقطعى البرهان والثبوت فى العلم ، ويقتضى بالضرورة العقلية أيضا أن نسخر التقدم العلمى ليساعد على فهم أعمق لمعانى القرآن الكريم ويزيد من تمسك المسلم بدينه القويم . أما إذا ضل العلم البشرى طريقه وغايته ، فإنه لا محالة مخفق فى مهمته ، خاصة إذا ما حاول البعض - عن قصد أو غير قصد - أن يربط بين ظنيات العلم من جهة ، وبين القطعى المصرح به أو المسكوت عنه فى الدين من جهة أخرى ، وعندئذ فقط ينشأ التعارض بين العلم والدين ، ويكون التصادم بين العقل والنقل .

ماذا يقول العلم عن ظلمات البحار وتراكب الأمواج ؟! :

يمدنا العلم الحديث ببعض الحقائق التى تلقى مزيداً من الضوء على معانى الآية ٤٠ من سورة النور ، فيخبرنا علماء البحار[5] بأن درجة الحرارة فى الأعماق التى تزيد على الألف متر تتراوح بين ١ - ٢ درجة مئوية ، أى أعلى بدرجة أو اثنتين فقط من درجة الصفر المئوى التى يتجمد عندها الماء العذب . ويلاحظ أن ماء البحر - على خلاف الماء العذب - لا يتجمد عند درجة الصفر المئوى ، بل عند درجة أدنى بكثير من ذلك ، لأن الأملاح الذائبة فى الماء تزيد من كثافته وتمنعه من التجمد عند درجة الصفر المذكورة ، وتتميز البيئة البحرية على هذه الأعماق البعيدة بأنها لا تعرف تقلبات الفصول من صيف وخريف وشتاء وربيع ، مثلمـا هى لا تعـرف ضوء النهار ولا تصلها أشعة الشمس ، فضلا عن أنها بيئة

---

(٤) سورة فصلت : ٥٣ .

(٥) د. أنور عبدالعليم ، أضواء على قاع البحر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ .

باردة فى برودة الثلج ، لا تتأثر بموقعها من خطوط العرض المختلفة بين القطبين وخط الاستواء ، ومن ثم فهى بيئة متجانسة الخصائص إلى حد كبير .

وفى أوائل هذا القرن تمكن العلماء من اكتشاف نوع من الأمواج الداخلية العملاقة غير الأمواج السطحية التى نراها واضحة أمامنا على الشاطىء ، وتؤثر مباشرة على هدوء السطح أو اضطرابه . وقد دعمت أبحاث الأقمار الصناعية هذا الاكتشاف باستخدام تقنية « الاستشعار عن بعد » سنة ١٩٧٣م . وأمكن بالفعل تصوير أمواج البحر الداخلية والتأكد من وجودها عمليا عند السطح البينى Interface الذى يفصل بين الطبقة الكثيفة السفلى فى البحر والطبقة العليا الأقل كثافة[٦] .

ويعزى اختلاف كثافة كل من الطبقتين إلى اختلافهما فى درجة الحرارة ودرجة الملوحة[٧] . وهناك عدة عوامل تسبب اندفاع الماء فى أمواج داخلية بالبحر أهمها : تغير الضغط الجوى وحدوث المد والجزر ، واختلاف شدة الرياح من مكان لآخر .

ومن الجدير بالذكر أن هذا النوع من الأمواج الداخلية يسود فى البحار والمحيطات العميقة ، مثل المحيط الهادى الذى يعتبر أكثر محيطات العالم عمقا ، وفيه أخدود « الماريانا ز » Marianas Trench الذى يبلغ عمقه نحو أحد عشر كيلو مترا .

وهنا نتأمل دقة التعبير القرآنى الذى تحدث عن وجود هذه الظاهرة فى « بحر لجى » ، أى عميق كثير الماء ، كالمحيط الهادى ، وليس أى بحر .

من ناحية أخرى ، نعرف أن مناطق البحار والمحيطات العميقة يخيم عليها دائما سحب كثيفة معتمة بسبب عمليات التبخر المستمر ، ومن يتتبع مسار الأشعة الضوئية القادمة من الشمس فى هذه المناطق يجد أن جزءاً كبيرا منها يتم انعكاسه أو امتصاصه بواسطة السحاب ، ثم ينعكس جزء آخر بواسطة موجات البحر السطحية التى تعمل بسبب ميلها كأنها مرايا عاكسة ، ويتم امتصاص الجزء الباقى من الأشعة الضوئية بواسطة طبقات مياه البحر الداخلية على أبعاد معينة تحت السطح ، حيث يبدأ امتصاص ألوان الطيف المرئى تباعا حسب أطوالها الموجية ، فتمتص الأشعة الحمراء ذات الموجات الطويلة قريبا من سطح البحر لعدم مقدرتها على اختراق الماء إلى أعماق كبيرة ، وفى أغلب الأحيان يتم امتصاص الأشعة الحمراء فى العشرين مترا الأولى تحت سطح البحر ، ويحدث عندئذ ما يمكن أن نسميه « إظلام اللون الأحمر » ، ونعنى به انعدام رؤية الأجسام

---

(٦) د. عبدالعليم عبدالرحمن خضر ، الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ، ص ٣٢ وما بعدها .

د. محمد عبدالله الشرقاوى ، القرآن والكون ، دراسة تبين الصلة الوثقى بين العقيدة والنظر فى الآفاق والأنفس ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، بدون تاريخ للنشر ، وفيه نقل الدكتور شوقى أبو خليل عن الدكتور فاروق الباز قوله : « إن التصوير الذى خرق المياه ليصور تضاريس قاع المحيطات أثبت كحقيقة علمية أن الأمواج والتيارات العميقة هى أضخم وأكبر من أمواج السطح » (شوقى أبو خليل ، مجلة العلم والإيمان ، ١٩٨٤ ص ١٢ تونس) .

الشيخ عبدالمجيد الزندانى ، الإسلام أو الضياع ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، تاريخ الإيداع ١٩٩٣م .

(٧) إذا أخذنا لترا واحدا من ماء البحر فى وعاء وسخناه حتى يتبخر جميع الماء منه فإن مقدار ما يتبقى من أملاح فى الوعاء بالجرامات يسمى « درجة ملوحة البحر » . وهى فى البحار المفتوحة بعيداً عن الساحل حوالى ٣٥ جراما من الأملاح لكل لتر ، وفى البحر الأحمر تبلغ ٤١ جراما من الأملاح فى اللتر الواحد ، بينما تبلغ فى البحر الميت ٢٧٥ جراما من الأملاح لكل لتر ، أى نحو ثمانية أضعاف ملوحة البحار العادية .

الحمراء ، فلو كان هناك غواص يسبح على عمق حوالى ٢٠ متراً فإنه لا يرى الدم الذى ينزف من جرح فى يده مثلا . ويتوالى بعد ذلك امتصاص باقى ألوان الطيف المرئى : البرتقالى ، الأصفر ، الأخضر ، الأزرق ، النيلى ، البنفسجى ، وتتكون ظلمات بعضها فوق بعض ، ويتلاشى أثر الضوء بعد ذلك ، بحيث يخيم الظلام الدامس فى المناطق اللجية (أى العميقة) من البحر أو المحيط ، ولا يستطيع العيش هناك إلا كائنات حية عمياء لا حاجة لها إلى عيون الإبصار ، مثل حيوان الإسفنج وبعض أنواع الأسماك .

ولقد أمكن التأكد عملياً من هذه الحقائق العلمية عام ١٩٣٤م ، بعد أن تمكن عالمان أمريكيان ، أحدهما مهندس يدعى « بارتون » O. Barton والآخر عالم فى الأحياء البحرية يدعى « بيبى » W. Beebe ، من تصميم كرة معدنية تتحمل ضغوطاً عالية ، بها نافذة من البللور السميك محكمة القفل ، ليهبطا بها إلى قاع البحر على أغوار بعيدة ، وليدرسا طبيعة الأحياء الموجودة هناك[٨] .

وهبط العالمان بهذه الكرة التى أطلق عليها اسم « الباثيسفير » Bathysphere ، أو كرة الأعماق ، إلى عمق ٩٠٨ أمتار بالقرب من جزيرة برمودا فى المحيط الأطلسى . وقد ورد فى تقرير العالم « بيبى » ، وهو يصف ما شاهده من نافذة الكرة أثناء هبوطها فى رائعة النهار ، قوله : « عند عمق نحو ١٨ متراً اختفى الضوء الأحمر ، وعلى عمق ١٠٠ متر كان الضوء الأصفر قد اختفى هو الآخر ، وعند عمق ٢٤٠ متراً تلاشى ذلك الجزء الأخضر والأزرق من ألوان الطيف ، وعندما هبطنا إلى أبعد من ذلك لم نجد وصفاً لما حولنا أبلغ من القول بأنه لون أزرق غامق عميق ، ثم إنه بين عمق ٥٢٠ متراً إلى ٥٨٠ متراً كان ما يكتنفنا هو الظلام الدامس بعينه »[٩] .

إن هذه الحقائق العلمية القطعية هى مما يمكن أن يفاد منه فى بيان جوانب الإعجاز القرآنى ، فمن الثابت قطعاً أن رسول الله ﷺ لم يسافر قط عبر تلك المحيطات العميقة حتى يذكر مثل هذا الوصف العلمى الدقيق « لظلمات بعضها فوق بعض » ، أو يرى ما تم اكتشافه حديثاً من أمواج داخلية عملاقة ، من فوقها أمواج سطحية ، من فوقها سحاب . وهكذا نجد أن معجزة القرآن الخالدة تتجدد مع تقدم العلوم الكونية ، وكشف المزيد من حقائقها القطعية ، وكأنما رسول الإسلام ــ عليه الصلاة والسلام ــ قائم فى كل عصر يدعو الناس إلى دين الله ، ويريهم الدليل إثر الدليل على أن خالق الكون هو منزل القرآن الكريم ، ﴿ الٓمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١٠] صدق الله العظيم .

وللحديث بقية فى العدد القادم إن شاء الله .

---

(٨) هذه الكرة مصنوعة من قطعة واحدة من الصلب قطرها نحو متر ونصف متر ، وتزن نحو ٢٢٥٠ كيلو متر ، وسمك جدارها ثلاثة سنتيمترات ، ولها باب من الصلب يزن وحده ١٨٠ كيلو جراما .

وهى مزودة من الداخل باسطوانات الهواء اللازمة للتنفس ، وبها مواد لنقص الرطوبة ، ولها مقعدان يجلس فيهما العالمان قبالة بعضهما ليشاهدا من خلال نافذة البللور أغوار البحر من حول الكرة ، ونظراً لقلة الضوء تحت سطح الماء ، فقد زودت الكرة بالكشافات الكهربائية لتنير جوف البحر أو المحيط من حولها . وهى مشدودة بأمراس وحبال متينة إلى سطح سفينة ، حتى إذا ما هيئت للاستعمال أدليت فى البحر إلى العمق المطلوب بواسطة تلك الحبال (راجع : د. أنور عبدالعليم ، مرجع سابق) .

(٩) د. أنور عبدالعليم ، مرجع سابق .

(١٠) سورة السجدة : ١ ــ ٢ .

متاعب الثدى لدى النساء

للدكتور / أحمد رجائى عبد الحميد

الثدى فى النساء :

متاعبه :

الثدى فى المرأة فى سن الإخصاب الذى يمتد على مدى فترة تتراوح بين سن الرابعة عشرة وسن التاسعة والأربعين يتخذ شكلا نصف كروى ، ويمتد أمام القفص الصدرى من الضلع الثانى إلى الضلع السادس فى الاتجاه الرأسى .. ومن حافة عظمة القفص إلى قرب الإبط فى الاتجاه الأفقى على كلا الجانبين .

وتقع حلمة الثدى تحت مركز السطح الأمامى للثدى بقليل ، وبين الضلع الرابع والضلع الخامس ، وتحاط بهالة يميل لونها إلى اللون الوردى فى السيدات التى لم يسبق لهن الحمل ، ثم يتحول إلى اللون الأسمر مع حدوث الحمل وتكراره .

ويتكون الثدى من فصوص يتراوح عددها بين خمسة عشر وأربعة وعشرين،ولكل فص قناة تفتح بفتحة مستقلة على سطح حلمة الثدى . وكل فص من هذه الفصوص يتكون من فصيصات صغيرة تحتوى على الحويصلات التى تقوم بإفراز اللبن عند حدوث الحمل والولادة تحت تأثير (هرمونات) معينة ، ويحيط بفصوص الثدى نسيج ضام يربطها بعضها ببعض ، كما تتراكم فيه الدهون التى تعطى للثدى شكله العام وملمسه .

وتنتشر أعصاب الإحساس فى جلد الثدى ، وتتركز المستقبلات الحسية فى منطقة الحلمة مما يجعلها أكثر حساسية .

أورام الثدى

من أكثر الأورام انتشاراً لدى الإناث أورام الثدى ، وهى نوعان :

ـ أورام حميدة : وهى التى لا يوجد لها مضاعفات ، ولكن لابد من متابعتها .

ـ أورام سرطانية (خبيثة) : وهى التى تصاحبها مضاعفات ، وتحتاج إلى تدخل طبى سريع .

أولا : الأورام الحميدة :

تنقسم الأورام الحميدة إلى :

ـ أورام غددية ليفية .

ـ أورام القناة اللبنية الناقلة .

ـ الأورام الغددية المتحوصلة .

وفيما يلى نفصل بعض هذه الأورام .

الأورام الغددية الليفية

تتكون من نوعين :

نوع صلب ونوع غير صلب ، ولا يوجد سبب معروف لحدوث هذه الحالة ولكن يرجح أنها تتسبب عن اختلال فى (هرمون الاستروجين) الأنثوى .

أ ـ النوع الصلب (المحيط بالقنوات) :

تكتشف السيدة الورم ـ حين يشاء الله ـ تعالى ـ فتصادفها معرفته حيث إنه ينمو ببطء ويكون صغير الحجم ويتحرك الورم بحرية داخل الثدى ، إذ أنه غير مثبت بأنسجة الثدى أو الحلمة أو الأنسجة خلف الثدى ، ويطلق عليه «فأر الثدى» حيث إنه سهل الحركة ، ويكون صلب الملمس ولا توجد غدد ليمفاوية متضخمة بالإبط .

● العلاج :

الاستئصال الجراحى والتحليل الباثولوجى .

ب ـ النوع غير الصلب (داخل القنوات) :

هذا النوع قليل الحدوث ويحدث فى أعمار تتراوح بين ثلاثين وخمسين ، وينمو هذا النوع من الأورام بسرعة ، وقد يصل إلى حجم كبير جداً ، وقد يضغط على الجلد من الداخل ثم ينفجر للخارج ، ويكون الورم غير صلب وقد تكون هناك أجزاء بها تكيس وهو أكثر تعرضاً للتحول إلى أورام خبيثة .

ويتم العلاج إما بالاستئصال الجراحى للورم إذا كان صغيراً ، أو باستئصال الثدى إذ كان كبيراً ، ويجب التحليل (الباثولوجى) الذى يفضل أن يكون أثناء إجراء العملية بحيث أنه فى حالة وجود

تحولات خبيثة يتم استئصال جذرى للثدى والأنسجة المحيطة والمتعلقة والغدد الليمفاوية .

أورام القناة اللبنية الناقلة :

يحدث فى الإناث فى سن الأربعين ، ويتكون الورم من الخلايا العمودية المبطنة للقنوات اللبنية الناقلة الرئيسية بالقرب من الحلمة ، وقد يكون واحداً أو أكثر ، ويكون طرى الملمس ، ويبرز داخل القناة . وهذا الورم قابل للتحول إلى النوع الخبيث ، وكذلك حدوث نزيف من الحلمة وقد يسد القناة اللبنية مما يؤدى إلى تكون حويصلة دموية ، كما أنه من الممكن حدوث (خُرّاج) خلف الورم فى حالة حدوث عدوى ، وفى هذه الحالة تشكو المريضة من نزف من حلمة الثدى ، وقد تحس بوجود ورم فى حالة حدوث تجمع دموى (حويصلة) .

ويتم العلاج باستئصال الجزء الموجود به الورم والأنسجة المحيطة به ، وعمل تحليل (باثولوجى) للتأكد من عدم وجود تحول لورم خبيث .

الأورام الغددية المتحوصلة

والورم الغددى المتحوصل نادر الحدوث ، ويكون متحوصلاً (أى محاطا بغلاف) وهو ينمو بسرعة كبيرة حتى أنه قد يحتل كل الثدى وربما ينفجر خارج الثدى وهذا الورم لديه القابلية للتحول إلى النوع الخبيث .

والعلاج هو الاستئصال الجراحى البسيط للثدى مع إجراء تحليل للورم للتأكد من عدم وجود تحولات سرطانية .

ثانياً : الأورام الخبيثة للثدى

تحدث الأورام الخبيثة فى حوالى أربعة فى المائة من النساء ، ولا توجد سن محددة لذلك ، ولكن يكثر فى السيدات بعد سن الأربعين ، ولا يوجد سبب معروف حتى الآن ، ولكن هناك نظريات تشير إلى اضطرابات فى (التوازن الهرمونى) خصوصا فى حالة زيادة نسبة الاستروجين ويوجد منه أنواع أهمها :

١ ـ سرطان الخلايا الغددية :

ويوجد منه نوع صلب ، ضامر ، ونوع طرىّ وهو الذى قد يلتهب أثناء الحمل والرضاعة

٢ ـ سرطان الخلايا الغددية

ومنه سرطان القنوات اللبنية الناقلة ، وسرطان داخل الحويصلات الغددية .

٣ ـ سرطان حلمة الثدى (مرض باجيت) :

ومن أهم مضاعفات هذا المرض انتشاره إلى أجزاء أخرى من الثدى ، وأماكن كثيرة من الجسم أهمها : الكبد وأنسجة المخ .

وقد يحدث انفجار الورم للخارج وحدوث قرحة سرطانية ، أو حدوث نزيف كما قد تحدث عدوى ثانوية لأنسجة الثدى مع حدوث تقيّح ، وقد يحدث أن يمتص الجسم هذه الأنسجة والخلايا التالفة مما يسبب حدوث تسمم بالجسم كما قد تحدث (أنيميا) وضعف عام شديدان .

ويتم التشخيص بوجود ورم فى الثدى عندما تكتشفه المريضة أثناء أخذ حمام ـ مثلا .

ـ وجود تضخم بالثدى فوق الورم عند رفع الذراع لأعلى .

ـ تضخم بحجم الثدى ووضع الحلمة .

– وجود تضخم بالغدد الليمفاوية تحت الإبط .
– وجود الورم فى صورة أشعة سينية على الصدر (الماموجرام) .

ويقسم المرض إلى أربع مراحل حسب حجم الورم ومدى انتشاره .

● العلاج :

يعتمد العلاج على سن المريضة ، وحالتها الصحية العامة ، ومرحلة المرض .

المرأة فى سن الخصوبة :

يفضل استئصال المبيضين مع العلاج الجراحى للثدى .

المرحلة الأولى والثانية :

استئصال جذرى للثدى ، والعلاج بالإشعاع العلاجى بعد الجراحة ، والعلاج الهرمونى والأدوية المضادة للخلايا السرطانية .

المرحلة الثالثة والرابعة :

يكون فيها استئصال الثدى والغدد الليمفاوية الإبطية مع إعطاء علاج هرمونى وإشعاعى ومضاد للخلايا السرطانية .

إفرازات الثدى غير الطبيعية

الإفرازات غير الطبيعية من الثدى هى أى إفرازات من الثدى فى غير أوقات الرضاعة ، أو أثناء الرضاعة مع تغير خواص لبن الأم .

أنواعه :

١ – الإفراز اللبنى أو المائى فى غير وقت الرضاعة :

قد يحدث أن يفرز الثدى إفرازات لبنية مع توقف أو عدم وجود رضاعة على الإطلاق وهذه الحالة قد يكون سببها زيادة نسبة (هرمون البرولاكتين) فى الدم وهذه الحالة تكون غالبا مصحوبة بعقم (تأخر حمل) ، كما قد يكون سببها تكون نوع من الحويصلات اللبنية فى الثدى .

٢ – الإفراز الصديدى :

ويحدث غالبا فى حالات التهابات الثدى الحادة وخُرّاج الثدى .

٣ – الإفرازات الدموية :

وهى الإفرازات التى تكون مختلطة بلون أحمر دموى، أو إفرازات دموية وغالبا ما تحدث نتيجة لوجود أورام فى القنوات، وغالبا ما تكون حميدة. وقد تنزل هذه الإفرازات تلقائيا بدون ضغط فتجد السيدة ملابسها الداخلية ملوثة بالدماء، وأحيانا أخرى لاتنزل إلا بالضغط على جزء معين مما يسهل تشخيص الحالة .

مما سبق يتضح أن إفرازات الثدى أغلبها لايحمل أى خطورة، ولكن يجب الفحص الجيد للثدى فى هذه الحالة، وتشخيص السبب ، وإعطاء العلاج المناسب إما بالأدوية كما فى حالات الاضطرابات الهرمونية ، أو الالتهاب الحاد بالثدى ، أو بالجراحة فى حالة وجود خراج أو أورام .

الفحص الذاتى للصدر

من المهم الفحص الدورى للثدى ، وهذا قد يسبب حرجا لبعض السيدات ، كما أنه يشكل عبئا اقتصاديا عليهن ، وأهمية الفحص الدورى تكمن فى القدرة على الاكتشاف المبكر لأى تغييرات فى الثدى قد تؤدى إلى وجود أورام ، كما أن اكتشاف

الأورام مبكراً قد يؤدى إلى تبسيط العلاج ، ولهذه الأسباب ولسهولة عملية الفحص الذاتى يمكن للسيدة أن تفحص نفسها ، وإذا وجدت أى تغييرات عليها بالتوجه الفورى إلى الطبيب لكى يزيل - أو يتأكد من - شكوكها .

طريقة الفحص الذاتى :

١ - يتم تعرية النصف الأعلى من الجسم .

٢ - تقف السيدة امام المرآة مدلاة الذراعين وتلاحظ وجود أية تغييرات وبالذات بالمقارنة بالمرة السابقة مثل تغيير حجم أحد الثديين أو كلاهما ، أو وجود تجعدات أو بروز بمنطقة سطح الصدر أو تغيير وضع الحلمة .

٣ - رفع الذراعين إلى أعلى وملاحظة حركة الثديين ، أو بروز منطقة معينة .

٤ - مع رفع الذراعين تستدير السيدة من ناحية إلى أخرى لرؤية الثدى من جميع الزوايا مع البحث عن وجود أية تغييرات لم تكن موجودة فى المرة السابقة .

٥ - تستلقى السيدة على السرير وتضع وسادة صغيرة تحت الكتف الأيسر مما يسهل عملية الفحص حيث إنه يساعد على فرد أنسجة الثدى ثم تضع السيدة يدها اليسرى تحت رأسها،وتستخدم اليد اليمنى لفحص ثديها الأيسر .

٦ - تبدأ السيدة بوضع كامل الكف على الثدى لملاحظة وجود أى أجسام صلبة أو طرية داخل نسيج الثدى .

٧ - تقوم السيدة بعد ذلك بتخيل أن الثدى ينقسم إلى أربعة أجزاء متساوية من دائرة وعليها البدء فى فحص هذه الأجزاء بنظام .

٨ - من المستحسن أن تبدأ الفحص بالربع العلوى الداخلى ، وتبدأ الفحص من خارج الثدى من الضلوع التى تعلوه ، ومن عظمة القص التى توجد فى منتصف الصدر ، وتضغط برفق ، وهى تخرج أصابعها تجاه الحلمة .

٩ - تقوم السيدة بفحص المنطقة المحيطة بالحلمة .

١٠ - بنفس الطريقة تفحص السيدة الربع السفلى الداخلى بداية من عظمة القص ومن الضلوع التى أسفل الثدى .

١١ - يتم تحريك الذراع الأيسر من تحت الرأس إلى الجنب لإتمام فحص الربعينْ الآخرين .

١٢ - بعد ذلك تمد السيدة يدها إلى تحت الإبط لتحسس وجود أى غدد ليمفاوية متضخمة .

١٣ - بذلك ينتهى فحص الثدى الأيسر وبنفس الخطوات السابقة يتم فحص الثدى الأيمن ، ويستحسن أن يتم الفحص مرة واحدة شهرياً .

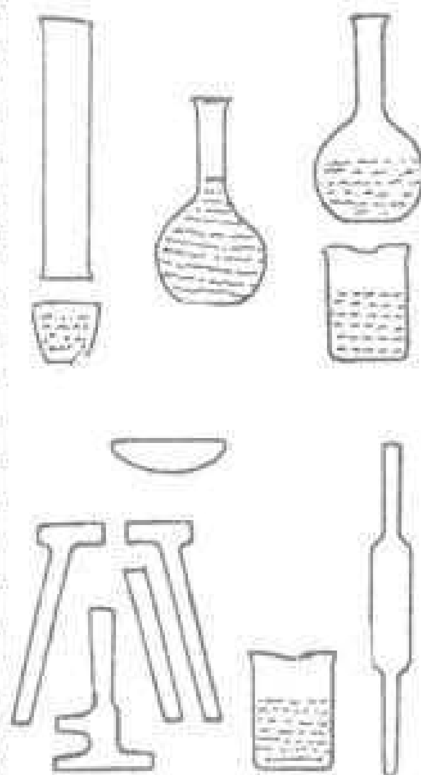
استدراك

«نشرت فى العدد الماضى قصيدة الأستاذ الدكتور/ سعد ظلام - عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة تحت عنوان : لم يبق فى الروح مايغرى بتغريد ، وصحتها «الدوح» لذا لزم التنويه » .

«ويخلق ما لا تعلمون..»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد
د. نجوى السيد أحمد



جهاز الكترونى لمراقبة الصيانة

ابتكرت شركة أمريكية للإلكترونيات أحدث جهاز الكترونى يقوم بعملية القياسات والمتابعة والاتصال لمراقبة الصيانة وضبط الأجهزة، والتحكم فى جميع أنواع الإنشاءات وجميع المسجلات القياسية فى الصناعة، ويتميز الجهاز بتكيفه مع جميع أنواع مسجلات القياس والمقاومات والذبذبات والإنذارات، ويسمح بتقويم وتخزين قياسات درجة الحرارة ونسبة الرطوبة والضغط والسرعة والتلوث وغيرها من العوامل المحيطة الأخرى.

أستاذ باحث مساعد ـ المركز القومى للبحوث ـ الدقى

جهاز آلي يقيس طلاء الفولاذ والحديد

طورت شركة بريطانية جهازاً آلياً لقياس سمك الأصباغ والبلاستيك المستخدم في طلاء الفولاذ والحديد ، والجهاز سهل الحمل والنقل لصغر حجمه ، ويمكنه إعطاء ٣٥ قراءة في الدقيقة الواحدة ، كما يتميز بدقته العالية ، ويمكن توصيله بجهاز حاسب آلي وطابع الكتروني للحصول على البيانات والقراءات مكتوبة .

أنابيب تنقل ضوء الشمس للمنازل

أنتجت إحدى الشركات العالمية أنبوبة من الألومنيوم قطرها حوالي ٣٠ سنتيمتر ، يمكنها نقل ضوء الشمس من خارج المنزل إلى داخله ، وتوزيعه على جميع الحجرات ، حتى في عدم وجود نوافذ بالمنزل ، وتعمل الأنبوبة بواسطة مواد عاكسة موجودة بداخلها تمتص أشعة الشمس ، ثم تعكسها داخل المكان المراد إضاءته ، ويوجد مع الأنبوبة غطاء يعمل كفلتر لأشعة الشمس للتقليل من شدة الضوء حسب رغبة أصحاب المنزل .

تبطين الحوائط بألواح وقائية

صممت إحدى شركات البناء الأوربية ألواحاً متعددة الألوان يمكن تثبيتها بسهولة لتبطين الحوائط وحمايتها من مشاكل الشقوق والتشوهات وتقشير الدهانات والرطوبة في المباني العامة والخاصة ، وتستخدم أيضاً كعازل للصوت والحرارة ، ويمكن تركيب وحدات إضاءة عليها لأنها تقاوم الحرارة ، وتتميز بسهولة تركيبها وفكها ونظافتها بواسطة غسلها بالماء ، حيث إنها غير منفذة للماء .

تحويل عادم السيارات إلى مواد غير ضارة

بدأت إحدى الشركات الأمريكية في إنتاج جهاز يحول عادم السيارات إلى مواد غير ضارة بالبيئة ، والجهاز به مواد حافزة تعمل على تحويل عوادم الغازات التي تحدث التلوث الضار بالبيئة إلى مركبات غير ملوثة من ثاني أكسيد الكربون وبخار الماء ، وتؤدي إلى تخفيض مادة أكسيد النيتروجين ، ويعمل الجهاز على تقليل درجات الحرارة القصوى للاحتراق ، ويقلل الغازات العضوية غير المثالية إلى النصف تقريباً ، وهي الغازات الناتجة عن المركبات البترولية التي لم تحرق تماما .

جهاز جديد لتعقيم غرف العمليات

قامت شركة أوربية بتصنيع وتسويق جهاز لتطهير الجو وتعقيم غرف العمليات في خلال ساعات ، ومزود بمنظم قوة للحصول على أقصى عائد ، إلى جانب وجود مفتاح لتحديد البرنامج المرغوب فيه بعد تشغيل الجهاز ، ولا يحتاج إلى أية صيانة ، كما أنه صغير الحجم ، مركب فوق أربع عجلات ليسهل نقله إلى المكان المراد تنقيته ، والجهاز يمكن استخدامه في مختلف المجالات الطبية مثل حجرة العمليات ووحدات الإسعاف المتنقلة وغرف العناية المركزة .

تحذير من استعمال ألعاب « الكمبيوتر » أثناء الطيران

تحاول شركات الطيران أن تفرض حظرا على الركاب الذين يمارسون ألعاب « الكمبيوتر » وذلك وسط تخوفات من أن ذلك قد يتداخل مع عمل أجهزة القيادة فى الطائرة ، وتقول رابطة النقل الدولية : إن هناك دليلا يدعو للقلق على أن الألعاب الالكترونيــة ، و « الكمبيوتــرات » الصغيرة يمكن أن تؤثر سلباً على أنظمة الملاحة الجوية و « كمبيوترات » الطيران ، ومن المحتمل أن توصى بحظر استعمال الأدوات والأجهزة التى تعطى إشارات الكترونية أثناء إقلاع الطائرة وهبوطها فى المطار .

عزل « جين » جديد يسبب سرطان الثدى

نجح فريق من العلماء البريطانيين فى معهد أبحاث السرطان بلندن فى عزل « جين » وراثى يسبب سرطان الثدى ينتقل من جيل إلى جيل فى بعض العائلات التى ظهر فيها هذا المرض ، ويعتقد أيضاً أن هذا الجين هو المسئول عن إصابة بعض الرجال فى بريطانيا بسرطان الثدى .

دواء جديد يعمل على التئام الجروح

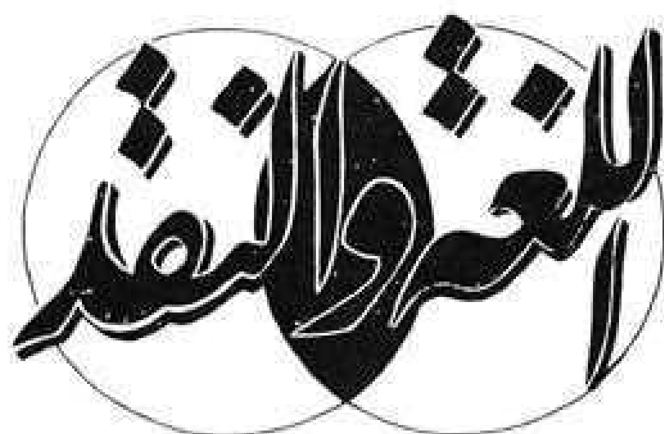
أنتجت شركة أمريكية لتصنيع الدواء علاجا جديدا يعمل على التئام الجروح فى أقل من دقيقتين ، والمنتج عبارة عن « كولاجين » طبيعى درجة نقاوته عالية ، يستطيع الجسم أن يمتصه فى خلال أسبوعين ، وسوف يستخدم هذا العلاج بصورة كبيرة فى التئام جروح الساق الناتجة من دخول قسطرة توسيع الشرايين ، بدلا من استخدام الأسلوب القديم الذى يعتمد على قيام الممرضة بالضغط على ساق المريض بعد إزالة القسطرة لإيقاف النزيف من شريان الساق .

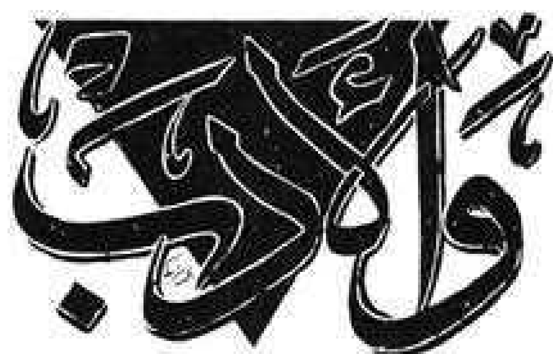
حقنة بدون إبرة

تمكن الباحثون فى أحد المعامل الأمريكية للعلوم الحيوية من تطوير حقنة تعتمد على تقنية الطلقات فوق السمعية (موجات صوتية عالية التردد) كبديل عن الإبرة ، ومن ثم لن يشعر متلقيها إلا بمجرد لمسة خفيفة لجلده ، إذ أنّ الطلقة الفوق السمعية ستتكفل بقذف الدواء مباشرة داخل الجسد ، وتتميز الحقنة الجديدة بأنها تلاشى أى احتمال لإدخال هواء إلى الأوعية الدموية أثناء الحقن ، كما أنها تعتبر اقتصادية حيث يمكن حقن بودرة الدواء مباشرة ، والأكثر ثباتاً كيميائياً دون الحاجة إلى تحويلها إلى سائل للحقن .

دراسة تؤكد خطورة الديدان الطفيلية على التلاميذ

قامت مجموعة من العلماء البريطانيين بدراسة طبية على الأطفال لمعرفة مدى خطورة الديدان الطفيلية على التلاميذ ، وأكدت النتائج أن الديدان الطفيلية المعوية تؤثر على النشاط الذهنى للأطفال وعلى نموهم الجسدى ، وأن مجموعة الأطفال التى تم علاجها بمضادات الديدان أصبحت أكثر نشاطاً وقدرة على التركيز والتذكر وتحسن أداؤها ، ووصل إلى درجة الأطفال الذين لم يصابوا أصلا بالديدان .


الشعر والنقد


والأدب

ابن دريد

ومنهجه فى جمهرة اللغة

د/ محمد رياض السيد كريم

الفصل الأخير

٢ ـ صعوبة البحث فى الكتاب ، إذ على الرغم من أن ابن دريد وضع (نظام التقليبات المجالية) وطبقه فى كتابه تيسيرا على الخاصة والعامة ، وتخفيفا من عبء (نظام التقليبات الصوتية) الذى وضعه الخليل بن أحمد فى كتاب العين ، إلا أنه فى تطبيق هذا المنهج سلك مسلكا صعبا حال دون ذلك ، مما جعل نظام التقليبات الصوتية يكاد يكون أخف وطأة من نظام التقليبات المجالية الذى طبقه ابن دريد فى معجمه ، والذى كنا نتوقع أن يكون أيسر وأسهل ، وذلك للتعقيد الناشىء عن كثرة التقسيمات للأبنية وتشعبها فى كتابه ، وإدخال بعض المواد فى بعضها ، إلى جانب الملحقات التى جاءت فى آخر كتابه ، والتى لا تخضع لنظام معجمى محكم .

٣ ـ مخالفة منهجه الذى ذكره فى مقدمة كتابه ، وهو إلغاء الوحشى المستنكر واختيار الجمهور من كلام العرب ، إذا لم يلتزم بذلك فى كتابه ، فقد وقع فيه منه الكثير ، من ذلك قوله : « الطُّعْزية ، زعموا : الهزء والسخرية ، ولا أدرى ما حقيقته »[1] . وقوله : « العَزلبة ، زعموا يكنى به عن النكاح ، ولا أحقه »[2] .

ولذا قال فى ختام كتابه : « إنما كان غرضنا فى هذا الكتاب قصد جمهور اللغة وإلغاء الوحشى المستنكر ، فإن كنا أغفلنا من ذلك شيئا لم ينكر علينا ذلك ، لأنا أمليناه حفظا ، والشذوذ مع الإملاء لا تدفع[3] » .

٤ ـ النقص فى الاستشهاد على الرغم من اعتنائه به ، وذلك ظاهر فى تصريحه بأن اللفظ ورد فى الشعر ، ثم لا يذكر هذا الشعر الذى ورد فيه ، من ذلك قوله : « لؤلؤ جمع لؤلؤة ، معروف ، واللؤلؤان ذكره ابن أحمر فى شعره »[4] .

ولم يذكر شعر ابن أحمر ، وهو قوله كما فى اللسان :

مارِيَّةٌ لؤلؤانُ اللون أَوْدَها
طَلٌّ وبَنَّسَ عنها فَرْقَدٌ خَصِرُ[5]

---

(١) الجمهرة : ٣/٣١٠ .
(٢) الجمهرة : ٣/٣١٠ .
(٣) الجمهرة : ٣/٥١٤ .
(٤) الجمهرة : ١/١٦٤ ، ١٦٥ .
(٥) اللسان : (لألأ) وفيه بعد البيت : « أراد لؤلؤية : بَرّاقة » . وقول ابن أحمر فى اللسان أيضا فى مادة (ب ن س) وبنّس : تأخر .



وقوله : « هَيْجَبُوس : خسيس دنىء ، وقد جاء فى الشعر الفصيح »[6] . ولم يذكر الشعر الذى ورد فيه ذلك ، وهو موجود فى اللسان ، ففيه نقلا عن التهذيب : « الهَيْجَبُوسُ : الرجل الأهوج الحالق ، وأنشد :

أحَقُّ ما يُلْقَيـــى ابـنُ تُرْنَـــى
من الأقوامِ أهْوجُ هَيْجَبُوسُ »[7]

وقوله : « فأما قوله : الصَّيْدَنُ الثعلب فليس بشىء ، ولم يجىء إلا فى شعر كُثَيِّر[8] ، ولم يروه الأصمعى ، وقال : ليس بشىء »[9] . ولم يذكر شعر كُثَيِّر الذى ورد فيه هذا ، وقد جاء فى اللسان ، وهو قوله يصف ناقة :

كأنَّ خَلِيفَىْ زَوْرِها وَرَحاهُما
بُنَى مَكَوَيْنِ ثُلِّمَا بعد صَيْدَنِ[10]

وقوله فى أبواب الثلاثى الصحيح : « جاء أمية ابن أبى الصلت[11] فى شعره بالشَّيْتَعُور ، وزعم قوم أنه الشعير ، ولا أدرى ما صحته »[12] .

وفى أبواب الخماسى ذكر (الشيتعور) أيضا ، وقال : « الشيتعور وهو الشعير ، وقد جاء فى الشعر الفصيح »[13] . ولم يظهر هنا شكه فى صحته ، ولم يذكر الشعر الذى ورد فيه فى الموضعين .

قال الصاغانى[14] فى التكملة والذيل والصلة : « قال ابن دريد : وجاء أمية بن أبى الصلت فى شعره بالشيتعور ، وزعم أنه الشعير ، ولم يذكر ابن دريد الشعر »[15] .

وفى تاج العروس للزبيدى[16] : « الشيتعور أهمله الجوهرى[17] ، وقال ابن دريد : زعموا أنه الشعير ، قال : وقد جاء فى الشعر الفصيح ابن أبى الصلت ، فقال : « ولم أجـده فى شعره »[18] .

وقد بحثت عنه فى شرح ديوانه[19] فلم أجده أيضا .

ومن ذلك أيضا قوله : « الطُّنْثَارُ : البعوض ، وقد جاء فى الشعر الفصيح ، وقد جاء فى بعض الشعر : الطُّنْثَارُ الأسد ، ومـا أدرى ما صحته »[20] . ولم يذكر الشعر الذى ورد فيه هذا .

---

(6) الجمهرة : 403/3 .
(7) اللسان : هـ ج ب س .
(8) هو كثيّر بن عبد الرحمن الخزاعى المعروف بكثيّر عزة . مات سنة 105 هـ (معجم الشعراء : ص 30) .
(9) الجمهرة : 356/3 .
(10) اللسان : (خ ل ف ـ ص د ن) . وفيه : خليفا الناقة : إبطاها . والمكا : حجر الثعلب والأرنب ونحوه . والرحى : الكركرة . وبُنى جمع بُنية .
(11) هو أمية بن عبد الله بن أبى الصلت الثقفى مات سنة 5 هـ . (الأعلام : 23/2) .
(12) الجمهرة : 432/2 ، 343 .
(13) الجمهرة : 403/3 .
(14) هو الحسن بن محمد الصاغانى الهندى : مات سنة 650 هـ (هدية العارفين : 281/1) .
(15) التكملة والذيل والصلة للصغانى : 48/3 .
(16) هو محمد بن محمد الزبيدى الملقب بمرتضى المتوفى سنة 1205 هـ . (الأعلام : 70/7) .
(17) هو إسماعيل بن حماد الجوهرى . مات سنة 398 هـ . (هدية العارفين 209/1) .
(18) تاج العروس : ش ت ع ر .
(19) شرح ديوان أمية بن أبى الصلت بتحقيق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب ـ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت .
(20) الجمهرة : 39/2 .

وقوله : « قد قالوا : رحيق ورُحاق ، وقد جاء رُحاق فى الشعر الفصيح ، ولم أسمع له فعلا متصرفا »[21] . ولم يذكر الشعر الفصيح الذى ورد فيه هذا أيضا .

وقوله : « الخُنجودُ : السَّفَطُ أو الوعاء كالسفط ، وقد جاء فى بعض الرجز الفصيح »[22] . وقال فى موضع آخر : « خُنجود اسم ، وأحسبه دويبة ، وقال بعضهم : هو السُّفَيْطُ الصغير ، وقد جاء فى الرجز »[23] . ولم يذكر الرجز فى الموضعين .

ولم يقتصر مسلك ابن دريد هذا على الاستشهاد بالشعر ، بل تجاوزه إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث ، من ذلك قوله : « ترِب الرجل إذا افتقر ، وأترب إذا استغنى ، والمتربة : الفقر ، وكذلك فُسّر فى التنزيل »[24] . ولم يذكر الآية التى ورد فيها لفظ المتربة ، وقد ورد فى قوله ـ تعالى ـ فى سورة البلد :

﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾[25] .

وقوله : « ومن معكوسه (أى الرش) : الشرّ وهو ضد الخير ، ورجل شِرِّير : كثير الشر ، وزعم بعض أهل اللغة أن الشر يجمع شرورا ، فأما شرار النار ، فيقال : شَرَرَة وشَرارة ، فمن قال شررة قال فى الجمع شَرَر ، وكذلك جاء فى التنزيل ـ والله أعلم ـ ومن قال شرارة قال شرار فى الجمع »[26] . ولم يذكر الشاهد من القرآن الكريم كما ترى ، واكتفى بالإشارة إليه ، وقد جاء فى سورة المرسلات فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴾[27] .

وقوله : « الشِّرْبُ : الحظ من الماء ، وكذلك فُسّر فى التنزيل ، والله أعلم »[28] . ولم يذكر الشاهد من القرآن الكريم أيضا ، وهو فى سورة الشعراء فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾[29]

وفى سورة القمر فى قوله تعالى :

﴿ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴾[30] .

وقوله : « والبَرْدَةُ : التُّخَمَة ، وكذلك فُسّر فى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه[31] ، أى من داء البَرْدَة »[32] . ولم يذكر حديث ابن مسعود رضى الله عنه . وقد ورد الحديث فى الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى[33] والنهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، ولفظه فيهما : (أصلُ كُلِّ داءٍ البَرْدَةُ)[34] .

(٢١) الجمهرة : ١٤٠/٢ .

(٢٢) الجمهرة : ٣١٩/٣ .

(٢٣) الجمهرة : ٣٧٩/٣ .

(٢٤) الجمهرة : ١٩٤/١ .

(٢٥) آية : ١٦ .

(٢٦) الجمهرة : ٨٢/١ .

(٢٧) آية : ٣٢ .

(٢٨) الجمهرة : ٢٥٨/١ .

(٢٩) آية : ١٥٥ .

(٣٠) آية : ٢٨ .

(٣١) صحابى جليل مات سنة ٣٢ هـ . (الإصابة : ٣٦٨/٢ هـ) .

(٣٢) الجمهرة : ٢٤١/١ .

(٣٣) هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ : هدية العارفين : ٤٠٢/٢) .

(٣٤) الفائق : ١٠٢/١ والنهاية : ١١٥/١ .

٥ ـ تفسيره الشيء بأنه معروف ، وما يكون معروفا لديه أو في عصره قد يكون غير معروف عند غيره ، وفي غير عصره ، ومن ذلك قوله : « اليُؤيُؤ عربي معروف »[٣٥] .

فمن الذي يعرف اليؤيؤ اليوم دون الرجوع إلى معاجم اللغة ؟

وقد ورد اليؤيؤ في اللسان وله معنيان : الأول : طائر يشبه الباشق من الجوارح . والثاني عن أبي عمرو : رأس المُكْحُلَة . فأيهما يقصد ابن دريد ؟

٦ ـ إهماله بعض تقليبات المواد المستعملة وعدم ذكرها ، من ذلك إهمال بناء (ل س م) من تقليبات (س ل م) الثلاثي وهو مستعمل ، وقد نص على استعماله الخليل بن أحمد في كتابه العين ، ففيه : « لسم : ألسمته حجته : ألزمته إياها ، كما يُلسَم ولدُ المتوجة ضَرْعَها »[٣٦] .

وهو موجود في اللسان أيضا ، ففيه : « لسم ـ ألسمه حُجته : ألزمه ، كما يُلسَم ولدُ المتوجة ضَرْعَها ، وقال ابن شُمَيْل[٣٧] : الإلسام : إلقام الفصيل الضرع أول ما يولد ، ويقال : ألسمته إلساما ، فهو مُلْسَمٌ . ويقال : ألسمتُ حُجَّتَه إلساما ، أي لقَّنْتُهُ إياها ، وأنشد :

لا يُلْسِمَنْ أبا عمران حُجَّتَـهُ
فلا تكونَنْ له عَوْناً على عُمَرا

ابن الأعرابي[٣٨] : اللَّسْمُ : السكوت حياء لا عقلا »[٣٩] .



وبعد ، فتلك المآخذ لا تقلل من قيمة الكتاب أو قدر صاحبه ، فإن (كتاب الجمهرة) من تلك الكتب التي رسمت معلماً من معالم التأليف المعجمي ، ونهجت نهجا جديدا فيه جدة وابتكار ، ولقيمته اللغوية عرف قدره « وأثنى عليه كثير من العلماء ... وقال بعضهم : إنه من أحسن الكتب المؤلفة على الحروف ، وأصحها لغة ، وقد أخذه أبو علي الفارسي النحوي ، وأبو علي البغدادي القالي ، وأبو سعيد السيرافي النحوي ، وغيرهم من الأئمة »[٤٠] .

وكان أبو علي القالي يحرص على اقتنائه ، « قال بعضهم : كان لأبي علي القالي نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها ، وكان قد أعطى بها ثلاثمائة مثقال فأبى ، فاشتدت به الحاجة ، فباعها بأربعين مثقالا ، وكتب عليها هذه الأبيات :

أنستُ بها عشرين عاما وبعتها
وقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها
ولو خلدتني في السجون ديوني

---

(٣٥) الجمهرة : ٢٩٢/٣ .

في الحق ليس ذلك لدى ابن دريد فقط ، فكم من نبات ـ بعد الحيوان أيضاً ـ يقال فيه في المعاجم : نبت معروف ، ولا نجد من يعرفه ونسأل الله ـ تعالى ـ أن يشاء فيدفع بعض الناس إلى تصوير النباتات العربية بألوانها الذاتية فنعرف ... مجلة الأزهر .

(٣٦) العين : ٢٨٦/٦ .

(٣٧) هو النضر بن شميل تلميذ الخليل ـ مات سنة ٢٠٣ هـ (الفهرست : ص٧٧) .

(٣٨) هو محمد بن زياد الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١ هـ

(الفهرست ص١٠٢) .

(٣٩) اللسان : ل س م .

(٤٠) المزهر : ٨٩/١ .

ولكن لعجز وافتقار وصبية
صغار عليهم تستهل شئونى
فقلت ـ ولم أملك سوابق عبرتى ـ
مقالة مكوى الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
كرائم من ربّ بهن ضنين

قال : فأرسلها الذى اشتراها ، وأرسل معها أربعين دينارا أخرى »(٤١) .

رحم الله ابن دريد ، وجزاه خيرا ، جزاء ما قدم من خدمات للغة القرآن الكريم .

المراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر للبناء الدمياطى تصحيح وتعليق على الضباع ـ طبع ونشر مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى .

٣ ـ الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ـ ط مطبعة السعادة بالقاهرة ـ الطبعة الأولى ١٣٢٨ هـ .

٤ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى تحقيق محمد أبو الفضل نشر دار الفكر العربى بالقاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦ م .

٥ ـ بغية الوعاة للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل ـ ط عيسى الحلبى ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤م .

٦ ـ تاج العروس للزبيدى ط المطبعة الخيرية بالقاهرة ١٣٠٧ هـ .

٧ ـ التكملة والذيل والصلة للصغانى تحقيق محمد أبو الفضل ـ مطبعة دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٧٣ م .

٨ ـ تهذيب اللغة للأزهرى تحقيق عبدالسلام هارون ـ دار القومية العربية للطباعة بالقاهرة سنة ١٩٦٤ م .

٩ ـ جمهرة اللغة لابن دريد ـ دار صادر بيروت .

١٠ ـ حاشية على شرح بانت سعاد لابن هشام تأليف عبدالقادر البغدادى تحقيق نظيف محرم ـ مطابع دار صادر بيروت ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .

١١ ـ حسن المحاضرة للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل ط عيسى الحلبى ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧ م .

١٢ ـ الخصائص لابن جنى تحقيق محمد النجار ـ دار الهدى للطباعة والنشر بيروت ـ الطبعة الثانية .

١٣ ـ شرح درة الغواص لشهاب الدين الخفاجى تحقيق د. محمد رياض كريم (رسالة دكتوراه) .

(٤١) المزهر : ٩٥/١ .



١٤ ـ شرح ديوان أمية بن أبي الصلت بتعليق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام ـ منشورات دار مكتبة الحياة بيروت .

١٥ ـ شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف تحقيق عبدالعزيز أحمد ـ ط مصطفى الحلبي ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٠ م .

١٦ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد شاكر ـ دار المعارف ـ الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٧ م .

١٧ ـ العين للخليل بن أحمد تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ـ دار الرشيد للنشر سنة ١٩٨٢ م .

١٨ ـ الفائق في غريب الحديث للزمخشري تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل ـ ط عيسى الحلبي ـ الطبعة الثانية .

١٩ ـ الفهرست لابن النديم ـ دار المعرفة بيروت .

٢٠ ـ القاموس المحيط للفيروزآبادي ـ مطبعة مصطفى الحلبي ـ الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م .

٢١ ـ كشف الظنون لحاجي خليفة ـ منشورات مكتبة المثنى ببغداد .

٢٢ ـ لسان العرب لابن منظور تحقيق عبدالله الكبير وآخرين ـ ط دار المعارف .

٢٣ ـ مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي تحقيق محمد أبو الفضل ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة .

٢٤ ـ المزهر للسيوطي تحقيق محمد جاد المولى وآخرين ـ دار إحياء الكتب العربية .

٢٥ ـ مشاهير علماء الأمصار لمحمد بن حيان البستي بتصحيح م . فلا يشهمر ـ دار الكتب العلمية بيروت .

٢٦ ـ المصباح المنير للفيومي تحقيق د. عبدالعظيم الشناوي ـ دار المعارف .

٢٧ ـ معاجم اللغة العربية د. محمد حسن جبل (مكتوب بالآلة الكاتبة) .

٢٨ ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي ـ دار إحياء التراث العربي بيروت .

٢٩ ـ معجم الشعراء للمرزباني بتصحيح د. ف . كرنكو ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

٣٠ ـ المعجم العربي د. حسين نصار ـ دار مصر للطباعة .

٣١ ـ نزهة الألباء لأبي البركات الأنباري تحقيق محمد أبو الفضل ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة .

٣٢ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ـ دار الفكر ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م .

٣٣ ـ هدية العارفين للبغدادي ـ منشورات مكتبة المثنى ببغداد .

٣٤ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق محمد محيي الدين ـ مطبعة السعادة بالقاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٤٨ م .



الدكتور حسن جاد .. أديباً

تتمة

بقلم الأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

هناك واقعة أدبية هامة ، ونقطة ارتكاز جوهرية ، تصادفنا ونحن نتتبّع السيرة الذاتية للدكتور حسن جاد رحمه الله ، يتعين الوقوف عندها مليًا ، لندرك مدى المنزلة الأدبية الرفيعة ، التي احتلّها في حقل الأدب والثقافة .. فقد حدث أن أُقيم مهرجان شعرى كبير في جامعة الأزهر ضم صفوة من كبار الشعراء والنقاد ، في أوائل إبريل ١٩٧٨ م ، استقر الرأى فيه بالإجماع ، على اختيار الدكتور حسن جاد ، أميرا للشعراء ، وعميدا للأدب في الأزهر ..، بل وذهب البعض إلى تنصيبه عميدا للأدب العربى بأسره ، خلفا للدكتور طه حسين عميد الأدب العربى ، بعد مرور خمسة أعوام على رحيله ..

وقد أحدث ذلك كله ضجة كبرى في الصحف المصرية والعربية ، ووسائل الإعلام عامة ، خاصة بعد أن نشرت جريدة الأخبار القاهرية نبأ مثيرا بالخط العريض في عددها الصادر في ١٢

من إبريل ١٩٧٨ م : الدكتور حسن جاد يعلن رفضه للتيارات الوافدة التى تتمثل فى الشعر الحر ، أو الشعر المُرّ ! كما يُسمِّيه .. ويستطرد فيقول : إن الأزهر سيظل ـ بدينه ولغته وشريعته ـ لا تزعجه الأحداث ، ولا تغربه الأهواء ولا (الموضات) الوافدة .. كما أوردت الجريدة رأى الشاعر الكبير «إبراهيم عيسى» ، الذى أعلن فيه تأييده لما قاله الدكتور حسن جاد : أى أن الشعر عندنا الآن ، هو الشعر المر فعلا ..

وبالنسبة لتنصيب الدكتور حسن جاد عميدا للأدب العربى ، عادت (الأخبار) فى عددها الصادر ، بعد ذلك ، فى يوم ١٩ من إبريل ١٩٧٨ ، بصفحة الأدب ، فنشرت له مقالا إضافيا ، تحت العنوان التالى :

عمادة الأدب : بين الحقيقة والدعاية

عقَّب فيه بموضوعية وتجرد وتواضع ، على ما نُصِّب له .. ولأهمية هذا التعقيب ، كوثيقة بارزة لشخصيته ، تظهر بجلاء ووضوح رأيه العلمى الممتاز فى هذا الموضوع ، بل وفى طبيعة العمادة الأدبية على إطلاقها ، بتفهم عميق صحيح ، يتعين علينا أن نثبت هذا الرأى بُرمَّته ، للحقيقة والتاريخ ، وقد جاء فيه قوله :

فوجئت ـ فى خجل شديد ، واستحياء جم ، بما نُشر فى جريدة الأخبار من ادعاء تنصيبى عميداً للأدب العربى ، والسر فى هذه المفاجأة ، وذلك الخجل ، أننى لم أفكر ـ مجرد تفكير ـ فى أن أكون أهلا لهذا الشرف ، أو أتطاول إلى أن أكون جديرا به .. ثم يروى أن (القصة) : « تتلخص فى أن أدباء الأزهر وشعراءه ، أقاموا مهرجانا شعريا ، فاجأونى فيه بالإصرار على أن أقدِّمه [أى المهرجان] .. فتناولت فى تقديمه له ، بعض القضايا الأدبية ، ثم نهض أحد المعلقين ، فخلع علىّ لقب : (عمادة الأدب) .. بالأزهر » ثم استطرد قائلا : « هى إذن عمادة محلية ، لست أدّعى أنى أهل لها ، فلست أفضل من زملائى فى جامعة الأزهر ، ولا أجدر منهم بهذا اللقب .. إن لم أكن أقلهم وأدناهم ..

ثم ينتقل إلى إبداء رأيه الثاقب الصريح ، فى عمادة الأدب عامة ، بقوله :

« فما لك بعمادة تتسع آفاقها ، وتمتد أطرافها ، حتى تشمل الأدب العربى كله ، فى سائر البلاد العربية ؟! :

أين أنا من أساتذة الأدب والنقد فى جامعاتنا العربية ، وفى غير الجامعات ، ممن يملأون المكتبات الأدبية بنتاجهم الغزير ؟ ...

أنا لست أكثر من أستاذ فى جامعة الأزهر (كان عميداً لكلية اللغة العربية فى ذلك الوقت) .. وكل ما أعتز به ، إنما هو الثقة والحب من تلاميذى ، الذين تخرَّجوا على يدىّ ، على مَدَى أجيال طويلة ، حتى لا يكاد يخلو منهم معهد أو جامعة ، فى جميع البلاد العربية والإسلامية .. ثم إن

إشراف على أكثر من خمسين رسالة فى الأدب العربى ، ومتابعتى المضنية لهذه الرسائل ، تحُول بينى وبين كثرة التأليف .

هذه هى الحقيقة ...

ثم أبدى رأيه فى عمادة العرب فقال :

لقد كانت إمارة شوقى للشعر العربى ، فى عراقته وأصالته ، إلى جانب ما استوعبه من الجديد فى عصره – وعلى هذا النحو كانت عمادة الدكتور طه حسين للأدب العربى(*) ..

ويختم مقاله ، أو (وثيقته) ، تحت عنوان (أنا لست جديراً بالعمادة) فيقول : « فإذا جاز أن تكون هناك إمارة ، أو عمادة فى الجيل الماضى – حيث كانت الثقافة العربية الأصيلة غالبة ، والاتجاهات والمدارس الجديدة محدودة – فإنى لا أتصور تلك الإمارة ، ولا هذه العمادة .. الآن » ثم يُورد القول الفصل فى النهاية ، بقوله :

« لقد تعدّدت الاتجاهات الشعرية والأدبية والنقدية اليوم ، بحيث لا يمكن أن تجد من يستوعبها ويمثّلها ، ويكون أميرا أو عميدا لها ..

إنّ السِّمَة الغالبة الآن ، هى التخصص فى فروع النقد والأدب ، فكيف يمكن أن يكون عميدا .. مَنْ تخصّص فى ناحية من النواحى ؟

لقد استوعب (شوقى) معظم الاتجاهات الشعرية فى عصره ، واستوعب (طه حسين) الاتجاهات الأدبية كذلك .. فلم تكن هناك غضاضة فى أن يكونا أميرين أوعميدين ..

(*) لا نشك فى أن د / طه حسين كتب أعمالا غيرت شيئا من اتجاهاته الأولى .. هذه الاتجاهات التى تناول عنها فى حينها مضطرا تحت أمر النيابة ، وكم كنا نود لو أنه أعلن خطأه فيما كتبه فى الشعر الجاهلى .. وأمثاله .. لاسيما ، وقد دالت الأيام ، وأخذ النابشون يستخرجون القديم على ما هو عليه ويعيدون نشره ، ولو أنه – رحمه الله تعالى – أعلن خطأه فيه وتبرأ منه لما كان له صدى ، وإذا كان الدكتور طه قد سبقنا إلى المولى – عز وجل – فإننا نسأل الله لنا وله المغفرة ، فإن رعاية الأدب تعنى – فى المقدمة – الحفاظ على قومية ، وليس فيما نشر بالشعر الجاهلى حفاظ على قومية ، ولا رعاية لتراث .. يغفر الله لنا وله .. الخطيب .

أما الآن :

أما الآن ، فإنى لا أتصور هذه الإمارة ، أو العمادة .. على أن (العبقرية) فلتة من الفلتات الطبيعية ، قلما تتكرر ..

وبعد :

فلعلى بهذه الكلمة الموجزة ، قد كشفت عن حقيقة هذه الضجة ، وأوضحت رأيى فيه . .

ثم يعقب بالقول الفصل الذى نؤيده فيه كل التأييد : « وأخيرا ، فإذا جاز أن نتصور العمادة فى هذه الأيام ، فإنما يمكن أن نتصورها : (عمادة معنوية) ، تتمثل فى (الأزهر الشريف) ، الذى أصبح الآن ، هو : الحصن الحصين الوفى ، للتراث العربى الأصيل ، واللغة العربية الفصحى .. وهو الجبهة الصامدة ، التى تقاوم كل التيارات المنحرفة الوافدة ، فى مجال الدين والعقيدة واللغة » .

مؤلفاته :

١ ــ الأدب العربى / بين الجاهلية والإسلام .
٢ ــ الأدب العربى / فى ظلال الأمويين ..
٣ ــ الأدب العربى / فى المهجر .
٤ ــ دراسات فى النقد العربى القديم .
٥ ــ الأدب المقارن .
٦ ــ ميزان الشاعر فى العروض والقوافى (بالاشتراك مع الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى) .
٧ ــ مناهج البحث الأدبى .
٨ ــ ابن زيدون (عصره وحياته وأدبه) .

وقد نال الدكتور حسن جاد بهذا الكتاب درجة الدكتوراه ، وفيه يزفّ (الأندلس) بعبارات نثرية ، مضمخة بعبير الشعر وأريجه ، إذ يقول عنها إنها «كلمة تدل على طبيعة ، هى بين طبائع البلدان ، كطبيعة الربيع بين الفصول والأيام ، صاغها الله آية سامية ، من فرائد آياته .. ومثلا رائعا ، من بدائع آثاره ، فجاءت ــ كما يشاء الفن الطبيعى الرفيع : عروس الكون ، وغرّة البلاد ، وقبّة الآفاق ، ودُمْية الجمال ، ومَجْلى البهجة ، وأغنية الوجود» .

ثم يصف الطبيعة بأنها « تُرسل النسمات أنفاسا موسيقية ، تؤخذ شعرا ، وتُلفظ ألحانا .. تفرض نفسها على الناس فرضا ، حتى على مَنْ لم يكن فى طَبْعه الشعر أو مَلَكته » .

ثم يقول فى وصف أنهارها أنها تلتف كالأساور على معاصم الهضاب .. وفى كل ذلك ، ما يستوقف الشاعر ، فيقول له : «أنا الخيال والجمال ، والسحر والإلهام .. فاسْتَوْحِنى ! » .

عضوية لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب :

.. ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى

ولم يقتصر التكريم الذى ظفر به الدكتور حسن جاد على محاولة تنصيبه عميدا للأدب ، فقد سبق أن عُيِّن ١٩٧٦ عضوا بلجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، عن جدارة واستحقاق ، كما أنه بعد تقاعده عن العمل لبلوغ السن القانونية ، منحه الرئيس الراحل أنور السادات وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى ، عام ١٩٨١ ، وجاء به ما نصه : « من أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية ، إلى فضيلة الدكتور حسن جاد عميد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر سابقا ، تقديرا لحميد صفاتكم وجليل خدماتكم للأزهر ، وقد منحناكم وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ، وأمرنا بإصدار هذه البراءة إيذانا بذلك فى ٣٠ / ٣ / ١٩٨١ » .

وفى ختام هذا البحث يطيب لنا أن نقدم إضمامة من شعره ـ مستثنين من هذه الإضمامة ـ شعره فى الهجاء الذى كان شديداً فيه ـ ونقتطف غيره من الشعر ، الذى يصوِّر بعض وقائع حياته ، وخاصة بعد أن أصيب بضعف شديد فى النظر فى أخريات أيامه ، مما كان يحدو كاتب هذه السطور إلى تأبط ساعده عند السير معا فى الطريق العام ، ولعل هذا كان دافعه إلى نظم قصيدته التى اختار لها عنوان (الكفيف) ، والتى يقول فى مستهلها :

مَنْ لسارٍ فى الليـــــل طال سُراهُ ضلَّ فى دَرْبِـه وطـالت لحظـاه ؟
كل ليـل يمضى فياليـت شعـرى ليلـه السَّرمـدىُّ ما .. مُنتهاه ؟
الضحـى والأصيـل والصبـح والليـل تساوتْ ، فكلهـا أشبـاه
وضُروب الألـوان مُتفقـاتٌ فى سَوادٍ تملُّـه عُقْبـاه
لا يرى جَلْـوة الربيـع إذا اخـتـال ،ولا البـدر حين يبـدو سنـاه
لا ولا يجتلى سنـا الشمس رَقْـرا قا ، إذا فضفضَ الوجـود ضُحـاه

وبرغم ذلك ، فقد كان كثيرا ما يتفكَّه ويميل إلى الدعابة فى شعره ، ومن ذلك قوله فى رثاء (ديك رومى) ، دعاه إليه صديق له ، وفى ليلة الوليمة المنتظرة ، مات الديك وهم يزقُّونه بالحَبِّ ! فقال شاعرنا :

ياسليـل الـروم القيـاصر نفـديك ، ونفـدى من أجـلك الـرُّومَ طُرًّا
أيـن منك الداوجـن الغـرب ، لا بل أيـن من قيصر الدواجـن .. كسرى ؟!
ياطويـل النجـاد تبكيـك بطـن أنت خلّفْتَهـا من الجوع حرّى !
إن (عبد الحميـد) أكـرم مثـوا ك ، ولم يألُ فى شرائك سعـرا !
لم يرد أن تموت من وفـرة الحَـبِّ ، ولكـن .. قد يُعقِـبُ الخيـرُ .. شرا !

وهذا يذكّرنا بشاعر آخر ، لعله (عبد الحميد الديب) رفيق الصبا لحسن جاد ، حين قال فى موضوع مماثل :

أعـــانى من ديـــوك الـــروم صدًا ولكـــى أراهـــا فى المنـــام !
فيــا مَنْ زُفتْ رومیـــا كبيرا لذيـذ الطعـم .. بلِّغـه سلامـــى !

وقال د . حسن جاد فى (أكُول) :

استجزنـــا بالله منـــه أكـــولا عمـــرك الله .. هل رأيت الغـــولا ؟!
تفـــزعُ الأرضُ والخلائـــق منـــه مثلمـــا يفزعـــون من عزريـــلا
لم يتـمْ عمـــره ، حفاظـــا على الأكل ، وخوفـــا من نومـــه أن يطـــولا
لو عزاه الإغمـــاء يومـــا لنُقّـــم شمْمْـــزه : كوارعـــا أو بُقُـــولا ! .

وله مسرحية طريفة ، فكاهية أيضاً ، نظمها عام ١٩٥٥ ، بعنوان : (محكمة المجاذيب)(١) .
وله طائفة من القصائد اتخذ لها عنوان : (سوط النقد : مواقف ونماذج) تحمل عناوين : (الأقنعة الزائفة) و (العبيد) و (الأحمق الحقود) و (صريع الغرور) و (وسام الجهل) و (يسين البوّاب) و (كافور الجديد)(٢) .

وصفوة القول أن الدكتور حسن جاد كان شديد الاعجاب بشعر (شوقى) ، ويستظهر الكثير من قصائده ، إلا أن إعجابه هذا لم يجىء على حساب استقلاله الفنى ، كما يقول الدكتور حسن عبد القادر (بالعدد الثانى من مجلة اللغة العربية بالمنصورة) : « فلم يقف موقف المحاكاة والتقليد ، وكان له ذوقه الشخصى ، وملَكته الفنية ، وثقافته العربية الواسعة ، ونظرته المتأنّية فى تناول الحياة والمجتمع ، والإحساس بهما إحساسا أصيلا وعميقا ،يكفل له استقلالية الشاعر وذاتية الفنان » .

رحم الله الدكتور حسن جاد رحمة واسعة .

---

(١) أعطى د / حسن جاد هذه المسرحية للباحث محمد خضير الذى أعد بحث الماجستير عن الدكتور « حسن جاد .. حياته وشعره » .

(٢) هذه القصائد مودعة فى الجزء الثانى من رسالة الماجستير المذكورة ، هذا الجزء الذى جمله الباحث وقفا على شعره .

أبو حنيفة
بطل الحرية والتسامح فى الإسلام
تأليف
عبد الحليم الجندى
جنيه ١٩٧٠
القاهرة
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م

عرض الأستاذ

عبد السلام ناصف

أبو حنيفة .. بطل الحرية والتسامح فى الإسلام لمؤلفه الأستاذ المستشار عبد الحليم الجندى عضو مجمع اللغة العربية ومجمع البحوث الإسلامية الذى ترجم للأئمة الأربعة الكبار ترجمة على مستوى علمى رفيع ، والكتاب من القطع الكبير ويقع فى أربع عشرة وثلاثمائة صفحة من طباعة المطابع الأميرية ببولاق عام ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م .

أخرجه مؤلفه فى عشرة أبواب عدا مقدمة وخاتمة ، يتضمن سيرة الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان بطل الحرية والتسامح بدءًا من مولده حتى وفاته — رضى الله عنه — وهو كتاب يلزم لدارس هذا الإمام العظيم النعمان بن ثابت .. المكنى بأبى حنيفة .. أخلد رجال الإسلام بما مكن للشريعة السمحة من أسباب التعميم والانتشار .. فقد أسس مذهبا تدين به الدنيا . ولد بالعراق فى العام الثمانين للهجرة ونشأ فى جو رهيب خلفه الحجاج بن يوسف الثقفى ببطشه وجبروته ، ولم يلتحق بمدرسة أو جامعة وإنما التحق بالمسجد الجامع بالكوفة ، وتخرج فى مدرسة الدنيا ، وحين لاحت نجابته دعاه الإمام الشعبى إلى مجالسته ومجالسة العلماء .

ولقد بدأ بدراسة «علم الكلام» أعنى «علم التوحيد» بما فيه من جدال ونقاش ونزل إلى معاركه فى بلد كانت السياسة فيه هى الخبز

اليومى .. فجلس إلى أستاذ الأساتذة آنذاك أى اسماعيل بن سليمان الكوفى وانفرد به وظفقا يجلسان لنفسيهما عشر سنوات ، توثقت بينهما العرى حتى أنابه فى حلقته ، فأقبل عليه الناس يستفتونه فى أشياء لم يحفظها عن الشيخ ، فأجاب عن بعضها وأرجأ البعض حتى عاد أستاذه فوافقه على إجابته فى أربعين مسألة وأنكر عشرين .. وكانت بداية التدوين وأخذ نفسه بالاستبحار فى العلم والدين حتى وجد الناس عنده ما لم يجدوه عند غيره فى كل أبواب الفقه فلزموه خاصة بعد وفاة أستاذه وغدت حلقته أعظم حلقة وأوسعها فى الجواب ، فذاع صيته وأكرمه الحكام وكثر حساده .

وكان شديد الورع ، طويل الصمت ، دائم الفكر ، ذا علم واسع ولم يكن مهذاراً ولا ثرثاراً ، لا يميل إلى طمع ، ولا يذكر الناس إلا بخير ، كان قرة عينه فى الصلاة ، يتعبد ، ويتهجد ، ويصلى ، ويبكى ، ويدعو ربه ، ختم القرآن الكريم سبعة آلاف ختمة وختمه فى رمضان ستين ختمة ، وذاعت فى الناس أحاديث تقواه ، وكان يصلى العشاء والفجر بوضوء واحد ، لذا سمى (الوتد) وكان يصلى معطراً ، إذ كان يرى أن التزين لله أولى من التزين للناس .

وكان جم الوفاء ، كثير العطاء سخيا كأن عطاءه مصدر غناه ، وكان أرحب الناس صدراً فلا يجهل ولا يتعصب ، وإنما يحلم ويصبر حتى سما إلى الذروة خلقا وخلقا ، سمتا ونطقا ، صلة بالناس وبالله حتى صار فخار الأمة الإسلامية .

والباب الثانى يفرده مؤلفه لأبى حنيفة التاجر الذى كان يتجر فى الحرير الخالص ، وكان موفقا فى فكره وفى تجارته . وحل بالجمع بينهما العقدة التى يقف بإزائها المفكرون حتى أصبح من أكبر تجار الكوفة ، ومن أعلم علمائها وأفقه فقهائها ... فبُعد عن الحاجة وقربت فتواه من الله، وكلما أغناه الخالق قربه إلى الحق .. ولعل هذا ما دعا الشافعى إلى أن يقول بعد نصف قرن: (لا تشاور من ليس فى بيته دقيق ، فإنه موله العقل) .

ولقد كان متجره حسن الترتيب ، يفوح العطر من زواياه ، يعلن حريره الحر عن نفسه ، وكان يأسر الناس بصدق كلماته ونزاهته ونقاء معاملته ، وكانت بضاعته نادرة لا يجلبها غيره ولا تعرض فى حوانيت أخرى ، فكما كان التفكير أداته فى الفقه كان الفكر أداته فى التجارة ، ولقد ربطت التجارة بين دنيا الفقه ودنيا الناس فى أفكاره . فغدا فقهه فقه الحياة ووفق بين العلم والعمل والمعقول والمنقول ، وامتد بصره فشمل المستقبل ووضع لاحتمالاته ما يحكمها من الأصول متحرزاً من البلاء قبل نزوله .

كان ينصف البائع له ، والمشترى منه ، وينصف من لا يبيع له أو يشترى منه فى لين ، وخفض جناح ، وسلامة طبع وسلامة أسلوب ورقة حس ودقة نفس فى ورع حق .

كان وسيما أمينا ازدهرت تجارته فحارب الفقر ونشر العلم وأجزل العطايا والصدقات ، وكانت أعماله قدوة للعاملين قبل علمه ، وكان يرى الله ولا يرى البشر . ويفتى للناس ، ولا يرى لنفسه الرخص ولا المنادح إذ كان يأخذ من الدنيا سبيلا للآخرة ، لا يعرف الرهبة ولا الطقوس وإنما يجاهد النفس ويجاهد الكفر ، فالدين عنده جهاد واجتهاد .

أما الباب الثالث فقد خصصه المؤلف للمسجد الذى يؤمه الناس للطهارة والصلاة والتعليم والتقاضى والعزاء ولقد أخذ أبو حنيفة حلقة بالمسجد الجامع بالكوفة لتدريس فقهه .

وكان - رضى الله عنه - يتمسك بالاستياك عند كل صلاة ، ولقد كانت المسائل تعرض على الحلقة وتستمر مناقشتها أياماً طوالاً ومنها مايستمر شهوراً عدة تنقيبا وتخريجا - لقد كان وجه العلم لديهم هو وجه الله يولون وجوههم شطره فى المحراب أو فى الحلقة . وكان تلاميذه يجلونه ويحترمونه لعلمه بما لا يعلمون ، كانوا خشعا فى محراب العلم يأخذ ألبابهم جلال الدرس وكان إذا تحدث تفتحت الآذان والأذهان ، فلحلقته قانون مهيب فى القلوب ؛ إذ الفقه أرفع العلوم وأسماها وأولاها بالتهيب والاستعداد والحرص والتدقيق وكأنها فى مؤتمر دائم .

ولم يكن يهوى الهزل أو المزاح ، وكان يقسم حياته بين يدى الله فى داره بين العلم والعبادة والعمل والجد والنوم اليسير ولم ير ضاحكا مقهقها - كان مجلسه مهيب الجانب وكلماته قطرات تهب عليها نفحة من منطق الرسول وكان يدلى برأيه وفقهه كالسيل المنهمر .

وظلت حلقته ثلاثين عاما تعمل فى مؤتمرها الدائم لتخريج المسائل الفقهية واستنباط أحكامها . تتلقى المسألة فتقسمها أقساماً ثم تحللها وتعللها وتحدد أسبابها وتضع لها الفروض والحلول الممكنة بحكمة بعد دراسة تمحيص .

وكان أبو حنيفة دائم الزيارة لمكة والمدينة فقد حج أكثر من خمسين حجة التقى خلالها بأعظم علماء وفقهاء الإسلام وكان الناس يزدحمون حوله فى المسجد الحرام يفتيهم وكأن الاجابات فى كمه . ولقد التقى بالإمام مالك فى المدينة وناقشه وجادله وتدارس معه فى حوار المصطفى - صلى الله عليه وسلم - .

وساعد طول العمر ، وارتفاع المكانة ، وأسفار الشيخ على اتساع الدائرة واشتهار مدرسته فجمع خلاصة الفكر فى الامبراطورية الإسلامية ولقحها بلقاح جديد لبطبعها بالشمول والتعميم .

أما الباب الرابع فيفرده المؤلف لأبى حنيفة المفكر الذى جاء بما لم يأت به غيره من العلماء ، فنشر التسامح والتيسير والحرية ، تسامح بين الإنسان وأخيه ، وحرية فى الرأى لا يحدها إلا العقل والعدل وعمارة الدنيا .

فالدين عنده يسر ، ولا قنوط من رحمة الله فالأمل فى الله وفى مغفرته كبير ومن قال لا إله إلا الله فقد عصم نفسه وحسابه على الله ... ويتوب الله على الناس .. هذا هو تسامح أبى حنيفة .

- وهو ينادى بترك الأمر لله ، والله يغفر لمن يشاء . فبث الأمل والأمان فى النفوس وزرع فلسفة التيسير والتسامح فى الأقوال والأفعال والآراء والعبادات والمعاملات فقال : **اللهم من ضاق بنا صدره ، فإن قلوبنا قد اتسعت له ، ومن جاءنا برأى أحسن من رأينا قبلناه** .

وبهذه الحرية سمت آراؤه وانتشرت وارتفعت مكانتها ، أليس هو الذى قال بعدم جواز الحجر على السفيه حفاظا على آدميته ، وهو الذى قال بحق عمل المرأة فى القضاء وفى حقها فى اختيار من تتزوج بكراً كانت أوثيبا وتعدت آراؤه فى الحرية إلى عالم الاقتصاد ، فأقر قانون : العرض والطلب وإن كان لا يبيح الاحتكار .. وكان

يخفف على الناس فى الكثير من المعاملات والعبادات وحسبه أنه أنشأ مدرسة الرأى لتكون أم الفقه على مر الدهور وكان أسلوبه يضاهى الأسلوب العلمى فى أحدث الجامعات اليوم من حيث التحليل ، والتعليل وتأصيل الأصول وترتيب النتائج مع التجرد الذاتى فطبق التجارب على الوقائع الحية ، لأن العمل يثبت العلم ويثبته – كما يجرى فى المعامل وفى قاعات البحث .

والباب الخامس يعرض لتلاميذ أبى حنيفة الذين كان يقدم لهم العلم فى وعاء من الحب ، وكانوا يقتدون بأدبه وعلمه وخلقه وسلوكه ، ولقد استولى على أرواحهم وبعث فى نفوسهم شعاعا دافئا دافقا وسيطر عليهم فى ترفق وترفع ، فملك ألبابهم وبهر أبصارهم حتى تيقنوا أن العلم والمحبة صنوان يسقيان من ماء التسامح والإخاء .. ولما كان متواضعا لله فقد رفعه الله ، وكان يسأل عمن يغيب ، ويعود من يمرض منهم ، ومن سواهم ، وكان يعاملهم معاملة ولده .

هذه مدرسة أبى حنيفة فى كلمات يضيق المجال عن الاستفاضة بها – والتى كان يمولها ماليا وتعليميا وتهذيبيا كأنها نوع من العبادة لله . لقد بنى رجالاً كباراً عظماء وأورثهم من علمه ومن نفسه ما ورثهم فى جهد جهيد متصل ، يهدف إلى غاية كبرى تتجمع عندها أهداف كما تتجمع الفروع وتتلاقى الينابيع فى النهر لتصير فيضانا هادراً ، فكـــون مدرسة لها طنين فى سمع التاريخ ، فخرجت القضاة والفقهاء والنساك والزهاد ولعل أبا يوسف ومحمد بن الحسن وزفر بن الهزيل وحماد ولده ومن تبعهم من فطاحل الرجال قد احدثوا اتجاها فكريا خالداً مدوّنا كتب له البقاء ، ودان بمذهبهم أكثر من ثلثى المسلمين فى شتى أنحاء المعمورة .. لقد كانوا كأطيار الفجر يبشرون بالنور الذى سيجىء .

والباب السادس من الكتاب يحكى حال العراق فى عصره وما شهده من خلافات وصراعات وفتن بين المذاهب والأحزاب والفرق وما تبع ذلك من نهضة علمية فكرية .

دوّى صوت أبى حنيفة عالياً فى النصف الأول من القرن الثانى للهجرة بعلم جديد قيدته العناية الإلهية لنصرة دين الإسلام ، وبلغ أوج عظمته فى مسجد الكوفة .. ألا وهو علم الفقه .. الذى سبق كل العلوم فى تلك النهضة واستمرت حلقاته أكثر من ستة عشر عاماً حتى أصبح العراق جوهرة التاج ومفخرة الخلفاء .

أما الباب السابع فقد خصصه أستاذنا لمدينة الكوفة التى تعتز باختيار – الإمام على – رضى الله عنه – لها بأن تكون (قصبة الخلافة) فكانت تعتز بذاتها ورجالها . وكان الاجتهاد ميراث أهلها فى تسامح فكانت مدرسة الكوفة على يد شيخها الإمام الأعظم أبى حنيفة تقول بالخلق والابتكار متمسكا بالرأى والتشدد فى قبول الأحـــاديث ورواتها .. وكان منهجه معارضا لمنهج علماء المدينة فتحولت المعارضة إلى خلاف فقهى ، ثم إلى خصام فأعلنت حرب المذاهب وغدا فقه العراق الجديد همّ الحجاز المقيم المقعد – وتأرجح المفكرون بين الآراء حتى

ذهب الزبد جفاء ومكث ما ينفع الناس في الأرض ، وأنزل الله على قلوب الحزين سكينة وأمنا .. وغدت وجوه النزاع سباقا لنصرة الله ونصرة دينه .. فقال الإمام مالك : (اختلاف العلماء رحمة من الله ، كلٌ يتبع ما صحّ عنده ، وكلٌ على هدى) .

وقال الخليفة عمر بن عبد العزيز : (لو لم يختلفوا .. لم تكن رخصة) .

ويعرض الباب الثامن للفقيه أبى حنيفة الذى كان يرى ويؤمن ثم يتخذ مما يرى ويؤمن أسلوبا ومنهاجاً لفكره . إذ كان مصدر آرائه آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم ﷺ وأحاديث أصحابه ويتحوط لأحاديث من سواهم من التابعين ، فيأخذ أقوالهم بحذر إذ هو يجتهد كما اجتهدوا ..وبذا برز ما عرف بالاتجاه العلمى للمجتهدين ، فقــد نادى بالاجتهاد والتفكير وتمحيص النصوص قبل ابداء الرأى بغية الفتيا فالمجتهد فى رأيه مثاب، وقال : (المجتهدان مصيبان والحق واحد) .

فمضى بذلك الحجب وجأر بقول : (إنى أرى) . إذ كان لا يحتج إلا بالثابت من قول النبى ﷺ وأصحابه الثقات . ثم يوجب البحث والتدقيق والاجتهاد وإعمال الفكر فى اختيار ما يتفق مع الشريعة وأحكامها ، أما ما خالفها فله أن يستبعدها وقال : (عندى صناديق من الحديث ما أخرجت منها إلا اليسير الذى ينتفع به) .

لقد أدخل الاجتهاد والتدوين فى الفقه .. فحماه ونقله للأجيال اللاحقة وربط اسمه بالقلم والدواة ، بل أن تكنيته بأبى حنيفة تعود إلى ملازمته للدواة التى كانت تسمى بالحنيفة فى لغة أهل العراق ـ ولذا تنسب النهضة الرائعة فى التدوين إليه ، وإلى تلاميذه فقد دون الفقه ورتبه مبتدئا بالطهارة ثم بالصلاة ، ثم بسائر العبادات ثم بالمعاملات وانتهاءاً بالمواريث :

وهو أول من وضع كتاب الفرائض وكتاب الشروط . روى عن مالك ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : وضع ابو حنيفة ستين ألف مسألة ، وقيل ثلاثة وثمانين ألف أصل فى العبادات وخمسة وأربعين الف أصل فى المعاملات وقيل بل خمسمائة ألف .

كان يقيس المسألة على أخرى ليردها إلى أصل من أصول الكتاب أو السنة أو اتفاق الأئمة فيجتهد ويدور حول الاتباع .

أما الباب التاسع فيدور حول كونه إمام أهل الرأى إذ هو القائل :(عليكم بالكتاب والسنة والاجماع وإلا فردوه إلى النظائر ، واستشهدوا عليه الأصول ، ثم اعملوا بما كان إلى الأصول أقرب وبها أشبه). فقد كان القياس هو النبع الذى سال منه فقه أبى حنيفة فبلغ شأنا بعيداً من التفصيل والشمول والانتشار وأضحى فى متناول الكافة حلولا لكل ما يعرض لهم من شئون المعاش والعبادات .

وكان الناس فى حاجة إلى معالم توضح لهم طريقهم فى الحياة ـ وكان الاجتهاد ضرورة للعالم والقاضى والفقيه ، بل للكافة وذلك باستنباط القواعد العامة من الشريعة لتقاس عليها المسائل

التى تحدث للناس . والقياس فى كتاب الله كثير ، وفى السنة اجتهادات وقياسات .

جاء أبو حنيفة ووضع يده على القياس أو الاستنتاج أو الاجتهاد أو الرأى وقلبه فى كفه كعصا موسى فجاء بالأعاجيب ـ وسار الأئمة على نهجه بعده وإذا بالفقه يرتفع إلى أعلى مستوى . ومن ثم قال الإمام الشافعى : (من أراد أن يعرف الفقه فليلزم أبا حنيفة وأصحابه، فإن الناس كلهم عيال عليه فى الفقه) .

ولقد انتقلت عصاه السحرية إلى اللغة وإلى النحو كما يذيع الخير ويشيع النور فإذا بالقياس فى البصرة والكوفة يهب اللغة العربية طرازات جديدة كأنها الاختراعات .

فالقياس الصحيح دائر مع أوامر الشريعة ونواهيها وجوداً أو عدما ، كما أن المعقول دائر مع أخبارها وجوداً وعدماً . فلم يخبر الله ولا رسوله ﷺ بما يناقض صريح العقل ولم يشرع ما يناقض العدل ـ وعلى ذلك ففى كل ما يحدث حكم سواء بنص أو باجتهاد حيث لا نص .

وإذن فليعمل المفكرون للتعرف على العلل وإضافة الأحكام إليها وضبط النتائج ـ فلما نزل أبو حنيفة ميدان الاجتهاد أثمر جهده بما لا يمكن حصره. ويتصل بمذهبه فى القياس مذهبه فى الاستحسان وهو الأخذ بمصلحة جزئية فى مقابل دليل كلى ، يلجأ إليه إذا كانت نتائج القياس لا تستساغ ولقد قال الإمام مالك بعده : (تسعة اعشار العلم .. الاستحسان) .

ولكن القياس والاستحسان يحتاجان إلى فكر ثاقب وعين باصرة وهكذا كان ابو حنيفة ـ رضى الله عنه ـ الذى وضع يده على أداة الاجتهاد وأداة القياس والاستحسان وصارتا كالمولد للقوى وجرى اسمهما على أنهما (الرأى) وأصبحا إسمين لمعنى واحد يهب الفقه حياته حتى اليوم ، فالعقل والنقل أو الفكر والنص هما الأساس الذى بنى عليه أصول الفقه .

ترى ماذا كان مصير الحضارة الإسلامية إذا لم تستند إلى قواعد مستنبطة من المنقول والمعقول من أصول الحنفية السمحة التى يهدف إلى نشرها هذا الدين ؟

لقد قال ابو حنيفة : (أرى) أو (رأيت) فرفع الفقه على عمد الحرية فلم يبق فى الأمة مشاكل بلا حلول ، ولم يعد الفقه محجوراً عليه وستذكر الإنسانية هذا الفضل له ما بقيت .

ولقد أتهم باتهامات شتى هو منها براء نعفى القارىء من ذكرها والرد عليها .

والباب الأخير من الكتاب فى القضاء صدره الكاتب بمقولة أبى حنيفة التى تقول : (كن من السلطان كما أنت من النار ، تنتفع منها وتتباعد عنها ، ولا تدن منها فإنك تحترق) . فلقد كان الولاة يرغبون فى أن يستقضوا أفقه الفقهاء .. ومن ثم كان طبيعيا أن تشرئب أعناق الولاة إلى أبى حنيفة ليتولى منصب القضاء ، فاتجه إليه عامل مروان على العراق يعرضه عليه لكنه أبى فسجنه وعذبه فترك الكوفة إلى مكة المكرمة سنة ثلاثين ومائة وبقى إلى جوار بيت الله الحرام بضع سنين حتى تولى الخلافة أبو جعفر المنصور ، فبدا له أن يبنى عاصمة للدولة غير الكوفة وكانت (بغداد) فحشر إليها العلماء والفقهاء والشعراء ـ ثم دعا أبا حنيفة إلى ولاية القضاء ، وقبل دعاه ليوليه قضاء القضاة فحزم أمره واستخار الله ورفض ما طلبه

إليه أمير المؤمنين فغضب لذلك وداروا به فى الأسواق ثم ردوه إلى السجن .. وأن كان قد أمر بإخراجه من السجن وجعله فى بيته ومنعه من الفتوى والخروج من المنزل . فما لبث كذلك حتى مات .

ويختم المؤلف بأن نظريات أبى حنيفة فى الإيمان والحرية وفى الاجتهاد بالرأى قد سمت إلى أسمى ذرا المجد حتى تبوأ منزلة الإمام الأعظم لأهل الإسلام . ولقد انتهت حياته نهاية بائسة بسبب الحرية ، تلك التى قضت على حياته .

لقد وافته المنية فى أحد أيام شهر رجب من عام خمسين ومائة بعد الهجرة الشريفة بعد سبعين عاماً قضاها مجاهداً مجتهداً ينشر الحرية والتسامح والتيسير أينما حل وأينما أقام ـ وتجرد عن الدنيا فزهد فيها وأنفق أمواله الطائلة على البائسين والمحتاجين . فقد سما بالوجود الإنسانى إلى مستوى يرتفع عن المستوى البشرى ـ لقد اختارت له السماء (مجد الخلود) على مجد السلطان .

ولقد سجد حين أحس بالموت فصعدت روحه وهو ساجد وكأنه وكان يسابق ملك الموت إلى لقاء ربه فى الصلاة . وغسله قاضى بغداد ، وصلّى عليه أكثر من خمسين ألفاً أو يزيدون وأعيدت الصلاة عليه ست مرات ـ ومكث الناس يصلون عليه أكثر من عشرين يوماً متتالية . ودفن بالخيزران كوصيته ـ ورثاه المسلمون فى كل بقاع الدنيا ولقد شُيد لقبره مشهد وقبة ومدرسة للحنفية ولا يزال قبره مزاراً للمسلمين حتى اليوم ولقد زاره الإمام الشافعى .

وبعـد ..

فقد شاءت إرادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ وحده أن أعرض سيرة الإمام أحمد ابن حنبل ومناقبه فى بداية عرض سير وتراجم الأئمة الأربعة الكبار ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ ثم عرضت سيرة الإمام الشافعى فالإمام مالك وانتهيت لعرض سيرة الإمام أبى حنيفة النعمان .

أسس كل منهم مذهبه الذى يتبعه الملايين من المسلمين فى المشرق والمغرب ـ ولكل منهم تراثه الفقهى الذى ابتغى صالح البشر وتيسير العبادات والمعاملات ـ ولعل قول الإمام مالك فى هذا المقام خير دليل وبرهان على ما نقول ـ فلقد قال : اختلاف العلماء رحمة من الله على هذه الأمة كل يتبع ما صح عنده وكلٌ على هدى وكل يريد الله تعالى .

والكتاب ذو أسلوب بلاغى هادف رفيع ، يعرض للحوادث بثقة وأمانة فدخلت معانيه الجذلة لب القلوب ـ ولا غرو فهو المستشار الحاذق الذى تناول سير هؤلاء الأئمة الأفذاذ بحب وعلم ودراسة وتمحيص .

ولقد كنا نأمل أن يكفينا ـ سيادته ـ مشكلة البحث والتنقيب عن تاريخ ميلاد الإمام الأعظم ـ الذى بين أيدينا ـ لكنه أكتفى بالعام الذى ولد فيه ـ ولعله تدارك ذلك فى تاريخ وفاته فذكره شهراً وعاماً .

أثابه الله عن عمله خيراً ورحم الله أئمتنا الكبار ورضى عنهم ـ فقد خلدوا الفقه الإسلامى ورفعوه بين العلوم عالى القدر ـ وتدارسه الناس لتحديد معالم طريقهم فى الحياة الدنيا واتخذوا منه سبيلاً لآخرتهم ونفعنا الله بعلمهم . إنه نعم المولى ونعم النصير .

مفهوم الإيمان

فضيلة الشيخ : طوسون إبراهيم هواش(*)

لا شك أن الإيمان بالله ـ تعالى ـ الإله الحق الذى لا إله غيره ولا ربَّ سواه .. هو الإيمان الفاصل بين عقيدة الإيمان وعقيدة الكفر .

لقد كثر استعمال لفظ الإيمان مرتبطا بمسميات مختلفة كالديمقراطية والرأسمالية والحرية وغيرها .. وهذه المسميات جميعا لا تعنى شيئا ما .. يرتبط بالإيمان الدينى ، ذلك أن هذا الإيمان فى مفهومه الحقيقى يعنى الإيمان بالله وحده ، ذلك الإيمان الذى صحب البشرية منذ خلق الله سيدنا آدم أبا البشرية ، ولم يفارقها ، بل ولن يفارقها إلى يوم الساعة بما أودع الله ـ تعالى ـ فيها ـ من فطرة الإيمان به ..

هذا هو الإيمان الذى تجسَّد فى رسالة سيدنا محمد الخاتمة ـ صلوات الله وسلامه على صاحبها ـ كما بين ذلك القرآن الكريم ، والسنة الشريفة .

هذا الإيمان الذى جاء به السابقون من الرسل ، ولم يكن أبدا من مستحدثات الرسالة الخاتمة

يقول بعض العلماء : « إنها العقيدة المصفاة التى بعث بها أنبياء الله جميعاً ،

ونزلت بها كتب السماء قاطبة ، قبل أن ينال منها التحريف والتبديل ، إنها الحقائق التى لا تتطور ولا تتغير .. عن حقيقة هذه الحياة ودور الإنسان فيها وعاقبته بعدها .

إنها الحقائق التى علمها آدم لبنيه ، وأعلنها نوح فى قومه ، ودعا إليها هود وصالح .. عاد وثمود ، ونادى بها إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وغيرهم من رسل الله . وأكدها موسى فى توراته وداود فى زبوره ، وعيسى فى إنجيله ـ صلوات الله عليهم أجمعين ..

الإيمان بين الشكل والجوهر

ونحن نريد أن نسأل هل الإيمان بالله مجرد قول أو عمل خال من اليقين المطلق ؟ .

والجواب : إن الإيمان لابد فيه من التصديق القلبى المبنى على اليقين الجازم ، والقول المؤكد لهذا اليقين ، والعمل الذى يدل على صدق اليقين وصحة القول .

(*) الكاتب مدير سلسلة إحياء التراث بالأزهر .

لقد قالت الأعراب لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « آمنا » فهل دل ذلك على إيمانهم ، وهل عبر ذلك عن صدقهم ، وهل دل هذا القول المجرد على أن الإيمان أخذ من وجدانهم ما يجعلهم يتأثرون به عملا وتطبيقا .

لما كان قولهم هذا مجردا من التصديق كان رد القرآن الحاسم المبين لموقفهم في قولــه ـ تعالى ـ :

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾

سورة الحجرات ـ آية : ١٤

أي لم تؤمنوا حقيقة بالإسلام ، وإنما أعلنتم ذلك القول أمام الناس ، إما خوفا أو طمعا في دنيا .

مطالب الإيمان :

والإيمان له مطالب تستوجب التضحية ، بالنفس والمال والولد ، وليس الإيمان لمجرد النفع والمغانم ، وليس سبيلا وطريقا إلى الحياة ومتعها الفانية ، يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ .

الحجرات ـ ١٥

وهذا الرد ـ إذا تأملناه ـ يجعل من الإيمان رسالة وهدفا ، وليس وسيلة ولا طريقا إلى غاية أخرى .

وسبل الإيمان لا تخلو من الصعاب والمحن والأزمات .. يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

آل عمران ـ ١٨٦

ونحن نرى في هذه الأيام كثيرا ممن يقول آمنا حتى أصبحت الكلمات التي تنسب إلى الإسلام عنوانا على بعض السلع ، يقصد بها ربح زائل وكسب لا يغني يوم القيامة .

يقول ـ سبحانه :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۞ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ ﴾ .

البقرة ـ ٨ ـ ٩

ولقد كان المنافقون يقومون بأعمال كثيرة من صلاة وصيام ، يقوم بها الدجالون والمخادعون وقلوبهم خاوية من الإيمان ، خراب من الصلاح والإخلاص ، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

النساء ـ ١٤٢

نماذج تحتذى من الرجال :

ولنضرب مثلا لرجل ملك الإيمان عليه كل جوارحه وأحاسيسه ، أنه ـ من خوفه لله عز وجل ـ يرفض الولاية ، وما يتبعها من مال

وجاه وسلطان ، ويبيع نفسه فداء لدينه ، وطلبا للشهادة ، هذا الرجل هو الصحابى الجليل « **النعمان بن مقرن** » ـ رضى الله عنه ـ .

لقد كان النعمان بن مقرن ـ فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ واليا على (كسكر)[1] والولاية منصب تتطلع إليه النفوس البشرية وتحرص عليه ، بل ربما بذلت فى سبيل الحصول عليه ما يتعارض مع تعاليم الشريعة ، ولكن النعمان ـ رضى الله عنه ـ ضاق بهذا المنصب ، واحتقر ما يحيط به من جاه ونفوذ ، وأرسل إلى الخليفة الثانى «عمر بن الخطاب» رسالة يقول فيها : (يا أمير المؤمنين) إن مثلى ومثل الولاية التى أنا فيها كمثل شاب عند امرأة جميلة تراوده عن نفسه لكى يرتكب معها الفاحشة وهو ممتنع عن ذلك ، وإنى أناشدك الله يا أمير المؤمنين أن تعزلنى عن هذه الرئاسة وأن ترسلنى فى جيش من جيوش المسلمين لأقاتل فى سبيل إعلاء كلمة الله ، وبعد إلحاح استجاب أمير المؤمنين عمر ـ رضى الله عنه ـ وأرسله قائدا لجيش المسلمين فى إحدى المعارك التى دارت بينهم وبين الفرس ، واستشهد النعمان فى هذه المعركة بعد أن انتصر المسلمون ، هذا هو الإيمان الذى هان فى سبيله كل شىء حتى الروح .

فهل لنا أن نصحح فهمنا ونضع كلمة الإيمان موضعها اللائق بها فنترفع عن أن نبتذلها من أجل عرض زائل ، ودنيا فانية ، مدركين أن الله مطلع على السرائر وهو ـ سبحانه ـ علام الغيوب .

وهذا نموذج آخر جدير بالاحتذاء ، ألم نقرأ ونسمع عن : صهيب الرومى ، عندما أراد الهجرة إلى المدينة توقف المشركون فى طريقه وقالوا له إذا أردت الخروج فاعطنا ما معك من مال ، فقد جئتنا فقيرا لا مال لك فاخرج كما جئت .

فقال لهم : إن أعطيتكم مالى خليتم بينى وبين دينى ؟ .

قالوا نعم : فأعطاهم صهيب ماله وهو سعيد بذلك سعادة لا حدود لها ، لأنه يدرك تماما أنه الرابح فى هذه الصفقة ، فالمال يكسبه الرجال ، والإيمان يصنع الرجال فالفرق كبير بين هذا وذاك .

وبعد ...

إن العاقل هو الذى يدرك أن عرض الدنيا مهما كانت كثرته لا يساوى سجدة صادقة لله الواحد الأحد ، لقد قرأت ضمن ما قرأت أن سليمان ـ عليه السلام ـ مرّ فى جمع من جنوده على شيخ عجوز فلما رأى ما فيه سليمان من ملك قال : لقد أوتى ابن داود ملكاً عظيماً ، فقال ـ عليه السلام ـ : ياعم والله لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أوتى ابن داود . اللهم اهدنا ووفقنا وارزقنا كمال الإيمان .

---

(١) كسكر : بلدة على الشاطىء الغربى من دجلة بين بغداد والبصرة .

سلسلة وثائق الإسلام - ٧

الوثائق السياسية والإدارية

تأليف
محمد ماهر حمادة
دكتور في علم المكتبات
أستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مؤسسة الرسالة

عرض وتقديم الأستاذ / أحمد تقي الدين

من الحقائق المؤكدة : أنه قد انقضى ذلك العصر الذى اعتبر فيه التاريخ مجرد سرد للحوادث الماضية ، أو أنه نوع من الثقافة العامة اللازمة لإعداد الرجال للحياة السياسية أو الحربية ، فقد استقر رأى العلماء مع بدايات القرن العشرين على أن التاريخ نوع من أنواع البحث العلمى له أصوله وطرائقه ومناهجه ، ووجد بذلك (البحث العلمى التاريخى) ذلك الميدان الرحب الذى طرقه العديد من الدارسين العرب والمسلمين ، بعد أن كان وقفا على الغربيين فقط .

وتعتبر الوثائق ودراستها ومحتوياتها ونقدها العمود الفقرى للتاريخ ودراسته دراسة علمية موضوعية ، بحيث صح القول بأنه (لا تاريخ بدون وثائق) .

والوثيقة لغة : هى الشيء الموثوق الذى يمكن الركون إليه أو الإعتماد على ما تحويه من معلومات ، وهى مشتقة من مصدر الثقة والوثوق ، وكلها كلمات توحى بالصدق والاعتماد على الشيء الموصوف به .

والوثيقة فنياً : صك يحوى معلومات تصدرها هيئة رسمية معترف بها ومعترف لها بالحق بإصدار مثل هذه الأشياء ، وتحمل من السمات العائدة إلى تلك الهيئة ما يمكن من الاطمئنان إلى صحة صدورها عن تلك الهيئة ويقطع دابر تزويرها .

من هنا جاء تناولنا لمؤلف الدكتور محمد ماهر حماده ، الوثائق السياسية والإدارية فى ثمانية أجزاء جمعها عنوان جانبى صغير : « سلسلة وثائق الإسلام » .

جاء الجزء الأول بعنوان : الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموى ٤٠ ـ ١٣٢هـ / ٦٦١ ـ ٧٥٠م . (٦١٣ صفحة) .

والثانى : الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسى الأول ـ دراسة ونصوص (٤٤٥ صفحة) .

والثالث : الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة ٢٤٧ ـ ٦٥٦هـ / ٨٦١ ـ ١٢٥٨م . (٥١٦ صفحة) .

والرابع : الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية ـ دراسة ونصوص . (٤٤٥ صفحة) .

وحمل الجزء الخامس عنوان : وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولى للعالم الإسلامى . (٤٨٨ صفحة) .

ثم تلاه الجزء السادس : الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكى ٦٥٦ ـ ٩٢٢هـ / ١٢٥٨ ـ ١٥١٦م . (٥٤٠ صفحة) .

واشتمل الجزء السابع على : الوثائق السياسية والإدارية فى الأندلس وشمال إفريقية . (٦٠٥ صفحات) .

ثم الجزء الثامن والأخير : الوثائق السياسية والإدارية العائدة للجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية المتتابعة . (٣٧٢ صفحة) .

وفى عرضنا لهذا المؤلف القيم لن نتناول كل جزء على حدة حيث التزم الباحث الدكتور محمد ماهر حماده منهجاً علمياً واحداً مما يمكننا من عرض سفره إطار تحولى واحد .

حاجة ملحة :

سار الباحث فى مؤلفه وجمع مادته وعرضها على نسق واحد لم يحد عنه ، حيث جمع ألوف الوثائق الإسلامية المنتشرة فى بطون كتب التراث وقام بدراستها وترتيبها بداية من عصر الدولة الأموية وانتهاء بالسيطرة العثمانية على سورية ومصر .

فى أكثر من موضع وأشار الباحث إلى أن الدارس للتاريخ الإسلامى بشكل خاص يستشعر حاجته الملحة إلى الوثائق التى تبحث فى تاريخ العصور الإسلامية والتى تعطى صورة أقرب إلى الصحة من المعلومات التى تستقى عادة من المصادر المعروفة ؛ ولكن ـ والكلام للباحث ـ يغمرنا الأسف عندما نذكر أنه لايوجد فى العالم الإسلامى عدد كبير من الوثائق الأصلية العائدة لعصور الإسلام الأولى ، بل والتالية عليها ، باستثناء أوراق البردى العربية التى اكتشفت فى مصر والعائدة للعصر الأموى وأوائل العصر العباسى ، إذيمكن اعتبارها وثائق أصلية .

ندرة الوثائق :

ويتعجب الدكتور محمد ماهر حماده من قلة أو ندرة الوثائق التاريخية الإسلامية برغم أن العرب كما هو معلوم كانت لهم دواوين رسمية تحفظ سجلاتهم كديوان الخراج وديوان الرسائل وغيرهما من الدواوين ، وقد كانت تحفظ فيها الوثائق الرسمية . وقد أكد ذلك المؤرخون ، والأخبار التى وصلتنا عن تلك العهود . يذكر الجاحظ فى كتابه (الحيوان) : « ذكر الهيثم بن عدى عن أبى يعقوب الثقفى عن عبد الملك بن عمير قال : رأيت فى ديوان معاوية بعد موته كتابا من ملك الصين » .

ويرى الباحث أن ندرة الوثائق تعود بالدرجة الأولى إلى أن التراث الإسلامى فقد منه جانب

ضخم في المصائب والكوارث التي مرت على العالم الإسلامي زمن الحروب الصليبية، وغزوات المغول وتدمير الحضارة الإسلامية على أيدي أولئك الغزاة . بل تعرضت وثائق التاريخ الأندلسي للنهب والإحراق في ظلال محاكم التفتيش الشهيرة حيث لم يبق منها إلا النذر اليسير ، ولكن ليس في خزائن المسلمين، وإنما في بعض الكنائس والأديرة الإسبانية .

إهمال هنا .. واهتمام هناك

يقول الباحث : « ولسوء الحظ فإن الوثائق في العالم العربي قليلة كل القلة وقسم كبير منها دمره الجهل والإهمال وسوء الاستعمال ، ولا سيما في العصور الغابرة ، حيث لم يكن القوم يدركون أهمية هذه المواد فأهملوها إهمالا أدى إلى تلفها تلفا كليا .

ولم يبدأ الاهتمام بالوثائق وجمعها ودراستها إلا في العصور الحديثة ، وأول من اهتم بجمع وثائقنا وتراثنا بشكل عام هم الأوربيون الذين أغاروا منذ أواخر القرن الثامن عشر على العالم العربي الإسلامي ، وبدأوا التنقيب والجمع والدراسة والشحن إلى أوربا ، وإذا قدر لأحدنا أن يزور متاحف أوروبا أو إحدى مكتباتها أو إحدى دور مخطوطاتها ، فإنه سيجد أن الوثائق المأخوذة من العالم العربي سواء كانت لوحات فخارية أم أوراق بردى أم مخطوطات تملأ تلك المؤسسات الثقافية وتشكل أرق وأثمن وأجمل مجموعة مما تملكه تلك المعاهد من وثائق في حين أن معاهدنا ومؤسساتنا الثقافية تخلو أو تكاد من مثل هذه النفائس .

فالمتحف البريطاني في لندن يمتلك أثمن وأضخم وأكمل مجموعة من اللوحات الفخارية المستخرجة من بلاد الرافدين خاصة . كذلك تمتلك مكتبته مجموعة رائعة من أوراق البردى المكتشفة في أرض النيل ، وهي تمتلك مجموعة رائعة جدا ، وثمينة جدا ، ونادرة كل الندرة من المخطوطات العربية والفارسية والتركية وحتى الصينية . والشيء نفسه صحيح لبقية المؤسسات العلمية الأهلية في فيينا وبقية مكتبات العالم الأوربي .

الغارة الأوروبية

ويرى المؤلف أن هذا هو الوضع الطبيعي بالنسبة للعالم العربي الإسلامي ، الذي لم يستيقظ من غفلته إلا مؤخرا . ولذلك لم يكن هذا العالم في وضع يمكنه من اكتشاف تراثه والحفاظ عليه . وكان الأوروبيون آنذاك متعلمين وأقوياء ومهتمين بمثل هذه الموضوعات ، وكانوا قد بدأوا الإغارة على الشرق لاحتلاله واستعباد شعوبه واستثمار خيراته . ولذلك كان من البديهي أن يبدأ القوم بدراسة الشرق واستكشافه ومعرفة كنوزه حتى يتمكنوا من معرفة مواطن الضعف فيزيدوها ضعفا ومواطن القوة ليضعفوها .

وهكذا استكشف الأوربيون الشرق واستغلوه ودرسوه أفضل دراسة ممكنة وجمعوا ما وصلت أيديهم إليه من تراثه ونقلوه إلى بلادهم ، وكان موقفهم في هذا المجال موقف من يمتلك بقرة حلوبا اهتم بها لا لمصلحتها بل لمصلحته الخاصة به .

الوثائق السياسية والادارية

والوثائق التي جمعها المؤلف هي في أغلبها سياسية وإدارية ، وهذا شيء طبيعي ومتوقع لأن

اهتمام المؤرخين الأوائل كان اهتماماً سياسياً بالدرجة الأولى ، فسجلوا أحداث الملوك والخلفاء ووقائعهم وحروبهم وأعمالهم بالتفصيل ، على حين أغفلوا النواحي الأخرى للحياة العربية ، مما يعطى انطباعا سيئاً عن تلك الحضارة وعن التاريخ الإسلامي كله وكأن التاريخ الإسلامي كله مجموع وقائع وحروب ولا شيء أكثر .

وعلى الرغم من أن الحقيقة تخالف ذلك كل المخالفة إذ العرب المسلمون بنوا حضارة عظيمة لعبت دوراً ممتازاً في تاريخ الحضارة العالمية وكانت الأساس الذى استندت إليه النهضة الأوربية في العصور الحديثة ، إلا أن المصادر لم تعط إلا الوثائق ذات الطابع الحربى والسياسى والإدارى وتهمل - كما لاحظ المؤلف - الوثائق الأخرى ، وبالتالى فقد جاء بحث الدكتور محمد ماهر حماده قاصرا على النواحي السياسية والإدارية .

أما أنواع الوثائق التى ضمها الباحث كتابه فقد تمثلت في : الخطب ، والرسائل ، والعهود ، والحوارات ، والمناظرات ، والوصايا وقد تركز اهتمام المؤلف على الخطب والرسائل والعهود والمواثيق لأنها بطبيعتها أقرب إلى المفهوم العلمى للوثائق من الحوار والمناظرات ذلك أن الخطاب أو الرسالة أو العهد شيء محدد يقوم به شخص واحد معروف أو هيئة محددة على حين أن الحوار يكون بين شخصين على الأقل ، وقد يشترك فيه عدد كبير من الأشخاص .

تعقيب :

والمؤكد أننا عبر هذه الصفحات لايمكننا عرض محتويات كل الكتاب لضخامته من ناحية ولاعتماده على الوثائق فقط لذا نكتفى بتقديم ملاحظاتنا على هذا المؤلف .

بداية عنوان الكتاب ، استخدم المؤلف عنوانا جانبياً صغيرا (سلسلة وثائق الإسلام) كان هو الرابط بين أجزاء الكتاب ، ثم استخدم عنواناً رئيسياً كبيراً توحد فقط في جزء منه (الوثائق السياسية والإدارية) ماعدا الجزء الخامس - واختلف الجزء الثانى من العنوان تبعاً لتغير العصور الإسلامية ، ولست أدرى لم لم يستخدم الباحث عنواناً رئيسياً كبيراً موحداً وليكن : (الوثائق السياسية والإدارية للعصور الإسلامية المتتابعة) ثم يستخدم عنواناً آخر صغيرا يوضح العصر الذى يدرسه كل جزء على حده .

ملاحظة أخرى وهى لماذا بدأ الدكتور محمد ماهر حماده دراسته بالوثائق المتعلقة بالعصر الأموى ؟ وهو تساؤل يجيب عنه المؤلف إجابة رائعة تعد نموذجا يحتذى به في حقل الدراسات التاريخية إذ قال في ص٨ : (هذا وإن بدأنا عملنا مع الوثائق العائدة للعصر الأموى ، فأخرجنا بهذا الوثائق العائدة للعهد النبوى والخلافة الراشدة وذلك بسبب أن هذا العمل أنجز أو أنجز القسم الأكبر منه ، فقد جمع الدكتور محمد حميد الله هذه الوثائق في كتابه الموسوم باسم : (مجموعة الوثائق السياسية لعصر النبوة والخلافة الراشدة) .. لذا رأينا من الأفضل تجنب التكرار فبدأنا عملنا مع العهد الأموى وتابعنا سيرنا مع مسيرة التاريخ الإسلامي .. حتى انتهى بنا المطاف مع الفتح العثمانى لسورية ومصر) .

فهذا الموقف أكثر من رائع وهو أن تبدأ من حيث انتهى الآخرون ولكن كان الأجدر به أن يورد تلك الملاحظة الهامة والجوهرية فى جزء كتابه الأول وليس فى الجزء الأخير .

وكم كان مستغربا أن يفرد الباحث فصلاً تمهيدياً لكل جزء من أجزاء كتابه خاصة وأن هذا الفصل خصصه الباحث للحديث عن صعوبة البحث ومشكلاته وناقش فيه كذلك المصادر التى استقى منها وثائقه متناولاً سيرة مؤلفيها ومنهجهم فى البحث ومزايا مؤلفاتهم وعيوبها فهو - مثلا - تناول بالحديث مؤلف محمد بن جرير الطبرى (تاريخ الأمم والملوك) فى معظم أجزاء كتابه وكذلك فعل مع كتاب (الكامل فى التاريخ) لابن الأثير .. وغيره فكان يمكن أن يفرد الباحث مقدمة واحدة يناقش فيها مشكلات بحثه ومصادره ويكتفى فقط بتمهيد تاريخى فى بداية كل جزء .

ويلاحظ أن الدكتور محمد ماهر حماده أورد ملاحظة فى سائر أجزاء كتابه إذ يقول فى جـ٣ ص٥١ : « نحب أن نؤكد عدم مسؤوليتنا عن هذه الوثائق ومدى صحتها ، إذ أن همنا فقط هو جمع الوثائق بصرف النظر عن طبيعتها ، أو محتوياتها ، وما إذا كانت منحولة أم صادقة ، أم تمثل رأيا معيناً ، أم فكرة معينة . أما قضية إظهار صدقها من زيفها وبيان أصالتها من تزويرها فتقع على عاتق البحاثة الذين سعينا هو تقديم المادة اللازمة لهم وجعلها فى متناول أيديهم » . إذا فما هو هدف البحث

أعتقد أن البحث فى المصادر أفضل من ناحية حتى تقف أجيالنا على حقيقة جهد ضخم بذله علماء أفذاذ نذروا أنفسهم للإسلام من خلال تسجيل حقائقه ووقائعه، هؤلاء العلماء لابد للباحث ، أى باحث أن يقلب نتاجهم وينظر فيه حتى لانجد أنفسنا أمام واقع - بدأ للأسف يترسخ - وهو الاغتراب عن الأصول والمصادر فكتاب الطبرى مثلا (تاريخ الأمم والملوك) كيف يمكن تخيل أن يكون هناك باحث فى التاريخ لم يطلع عليه ، ويطلع عوضا عنه على وثائق

والمؤكد أن الكتاب على حالته جاء بمثابة مال مكتنز لم يزك عنه صاحبه فالمؤلف جمع فى خزينته - أو كتابه - ثروة علمية بذل فيها جهدا ولا شك ولكنه بخل بالزكاة فلم يسع إلى نقد الوثائق من حيث إثبات صحتها ، وتعيين شخصية المؤلف وتحديد زمان التدوين ومكانه ، وتحرى نصوص الأصول وتحديد العلاقة بينها ، لم يقم بتحليل النص التاريخى ، وتحديد المعنى الحرفى للألفاظ ، والمعنى الحقيقى وغرض الكاتب ،

لماذا إذن لم يحاول المؤلف أن يجلو الحقائق

فالتعرف على المصادر ودراسة محتوياتها ومنهج البحث فيها بشكل استفادة لاتعدلها استفادة ولا أعتقد أنه يوجد مؤلف واحد يغنى عن مصادر هامة مثل (تاريخ الأمم والملوك) لمحمد بن جرير الطبرى ، أو (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة ، أو كتاب القلقشندى المسمى بـ (صبح الأعشى فى صناعة الإنشا)

بين المجلة والقراء

تقديم الأستاذ عادل رضا خفاجة

حج البيت

قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

سئل النبي ﷺ : أي الأعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله . قيل ثم ماذا ؟

قال : جهاد في سبيل الله . قيل ثم ماذا ؟

قال : حج مبرور .

رواه البخاري

وعن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : سمعت النبي ﷺ يقول :

« من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .

رواه البخاري

وقد ورد إلى الباب ـ بهذه المناسبة الطيبة ـ العديد من المساهمات ، نقدم أجزاء منها بقدر ما يسع المقام . وبهذه المناسبة الطيبة نتقدم إلى قرائنا والعالم الإسلامي أجمع بأخلص التهاني وأمنياتنا الصادقة بأن يعز الله الإسلام والمسلمين ، وأن تعلو رايات الحق والسلام ديار المسلمين في العالم أجمع .

المحرر

الحج رحلة إيمانية

أرسل القارىء : يحيى السيد النجار ـ دمياط يشارك في هذه المناسبة الطيبة يقول :

الحج رحلة إيمانية ، وقد شرع الله الحج ، فحدد زمانه ومكانه ومدته ووسائله وأهدافه ، وذكر ذلك في سور : البقرة وآل عمران والحج .

والحج يرقى الإنسان على العطاء والارتقاء والطهر والتزكية والصفاء .. بعيداً عن المصالح أو السمعة أو الرياء .. وفيه اجتماع أبناء الأمة لوحدانية الله ـ عز وجل ـ

وفي الحج يوم مشهود هو يوم عرفة ـ تكفر فيه

الذنوب .. وبتذكر الأمة بسنة الأضحية ، والمكافأة الإلهية بفداء إسماعيل - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - ومن ذبح الأضحية تأتى التوسعة على الفقراء .

وللملتقى الحج النفع الكثير فى الحياة الدنيا والآخرة والحج ركنٌ يدعو أبناء الأمة لليقظة والتخلص من الأحقاد والخلافات .

أما القارىء / محمد محمد السيد مرسى - المدرس بمعهد القنطرة شرق فقد ارسل كلمة يقول فيها :

ونحن فى أيام الحج المباركة يجمل بنا أن نذكر عباداً مُخلَصاً ومؤمنين على حق ، حتى تتشبع أرواحنا بأنوارهم .. ثم يسرد قصة نبى الله إبراهيم - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - مع السيدة هاجر ، وكيف تركها وابنه فى أرض لا نبات فيها ولا ماء استجابة لأمر الله تعالى ، وامتثالا للأمر بعد ما علمت أنه أمر الله .

ويختم رسالته بقوله :

إن إبراهيم - عليه السلام - يأتمر بأمر الله - تعالى - كما أن السيدة هاجر تأتمر بأمر الله - تعالى - فنور الله قلبه كما نور قلبها ، فجاء فعلهما نوراً فى فم الزمان ، ودرساً للأزواج والزوجات على مدى الأيام .

الحجر الأسود

أما رسالة القارىء محروس عبد الفتاح يس - الاسماعيلية حى السلام ، فجاءت تحمل كلمة عن الحجر الأسود .

يقول فيها :

الحجر الأسود حجر مبارك ، نلثمه ونقبله اقتداء برسولنا ﷺ .

ومن لم يستطع تقبيله واستلامه ؛ لشدة ما يكون فى الحج من زحام فيكتفى أن يشير إليه بيده .

والحجر الأسود أحد أحجار الجنة ، فعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : أنزل الحجر من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن ، فسوّدته خطايا بنى آدم[1] .

مجلة الأزهر :

ما من صلاة يصليها المسلم والمسلمة ، ويسجد لها بأية أرض إلا كانت هذه الأرض شاهدة له بنص قوله تعالى عن - (الأرض) - بسورة الزلزلة :

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ ﴾

والطواف حول الكعبة عبادة ، ولما كان الطواف لا يضع فيه الطائف جبهته ولا يديه على الأرض كان لابد له من شاهد يسجل له هذه العبادة ، فكان تقبيل الحجر أو استلامه أو الاشارة إليه .. كل شاهد له بهذه العبادة التى ينفرد به البيت الحرام .

المؤمنون وفرحة العيد

ويشارك القارىء : عماد الدين عبد المنعم - دار طباعة النقود بهذه الكلمة عن العيد يقول :

ليس العيد لمن لبس الجديد ، إنما العيد لمن أمن الوعيد ، ليس العيد لمن لبس الملابس الفاخرة ، وإنما العيد لمن بَعُد عن عذاب الآخرة .

والله ـ تعالى ـ يمن على المؤمنين ـ بعد قضاء أركان المناسك والعبادات من صيام وحج بأعياد لهم يتزاورون فيها ، ويهنىء بعضهم بعضاً ، راجين الخير والسعادة فيحل لهم ما حرمه عليهم أثناء أداء هذه العبادات : كالإمساك عن الطعام والشراب طوال نهار رمضان ، والالتزام بملابس الإحرام في الحج وسائر ما كان يتعين على الحاج عمله أثناء حجه .

فعلى المؤمنين أن يلتزموا في فرحهم بما أمر الله تعالى .

القارىء : صلاح محمد ديش محمد على السايس . بمعهد محمد أحمد عثمان الثانوى ـ بالحرانية جيزة

أرسل ينعى وفاة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق إلى المسلمين ، ومما قاله :

إننا لا نقول إلا ما يرضى ربنا ـ تبارك وتعالى ـ «إنا لله وإنا إليه راجعون» .

أما القارىء : فتوح السيد على الأنصارى قرية دونية ـ محافظة كفر الشيخ .

فأرسل «رسالة رثاء» لكل من العالمين الجليلين الإمام الأكبر والشيخ الغزالى يقول فيها :

لقد جاهد كل من هذين العالمين في سبيل الله جهاداً عظيماً ، وكنا نراهما يجاهدان في هذه الحياة ؛ لنشر العلم في جميع أنحاء العالم ، ونشر كلمة التوحيد ، إنها حقيقة ، نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعل الجنة مثواهما ، فكلنا كان يسمع أن الإمام الأكبر قد قام بافتتاح مجمع علم في بلد كذا وبلد كذا ، وأنه قد ألقى محاضرة في بلد كذا ، وأنه كان يشجع الأطفال على حفظ القرآن الكريم ، ويعطيهم الجوائز القيمة ، وصدق الله تعالى إذ يقول :

﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾

سورة البقرة / ٥

وصدق الشاعر حينما قال في حقه :

ياقوم جاد الحق بالرجل الذى ... قد يلتقى بالأمر غير ميسر

أسموه «جاد الحق» نعم اسماً له ... نعم المسمى للإمام الأكبر

وهو التقى ويرتجى من ربه ... خير الجوائز عند يوم المحشر

لقد كان العالمان الكريمان لا يدخران وسعاً في تبليغ كلمة الله ـ تعالى ـ إلى العالم كله .

ومهما تكتب الأقلام وتتبارى القرائح مادحة ومتحدثة عنهما فستظل جميعاً كأن لم يبرحا مكانيهما ، ولم يصمت بالقول لسانهما .

وصدق الله ـ تعالى ـ إذ يقول في مثل هؤلاء :

﴿ أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده ﴾ .

---

(١) رواه الترمذى وقال حسن صحيح .

ردود وتعليقات

القارىء : حسن رمضان فتوح واعظ مركز مغاغة ـ المنيا .

ليس لدى المجلة مانع من نشر كل ما هو جيد ويخدم الدعوة ، ولكننا لا نعد بالنشر قبل الاطلاع على المادة كاملة قبل النشر .

القارىء : غالب رباح ـ شارع عبد السلام ب ٦ رقم ٣٣ تفرت ٣٠٢٠٠ ـ الجزائر .

عن طريقة وثمن الاشتراك بمجلة الأزهر نفيد بأنه يمكنك الاتصال بقسم الاشتراكات بالأهرام وعنوانها كالتالى :

جريدة الأهرام ـ قسم الاشتراكات ـ شارع الجلاء ـ القاهرة ج . م . ع .

القارىء : عبد الرازق كامل حسن مبروك فاقوس ـ شرقية .

نسأل الله ـ تعالى ـ أن تتوفر دراسات مبسطة ومتميزة عن الموضوعات التى تود قراءتها فى المجلة . والتى منها : أسباب النزول .

القارىء : وسيم عبد العليم عزب شمال سيناء ـ العريش ـ مدرسة خيرى ع . م .

يمكنك صياغة موضوع يتضمن هذه الحقائق ، موثقة وسنقوم بنشرها ـ بإذن الله تعالى ـ وهذا أوقع لتصحيح الأوضاع . المهم التوثيق .

القارىء عبد رب النبى عبد رب الرسول محمد على ـ الأسكندرية .

تتساءل : أين أبواب السيرة والحديث والتاريخ .. بمجلة الأزهر ؟

نقول : هى متوفرة بالمجلة بعناوين أخر

أما اقتراحك بإضافة مواد بعينها ضمن أبواب المجلة كالمسابقات مثلاً .

فالمجلة : لا تستطيع أن تعد بشىء لا يمكننا تنفيذه .

أما اقتراحك بإعادة نشر جميع هدايا المجلة السابقة . فهذا اقتراح يحتاج إلى سنوات ، ونتيجته أننا ننشر ما سبق نشره ولا نقدم للقارىء جديداً .

القارئة : نشوى أحمد محمود أحمد ـ الطالبة بمعهد فتيات أبو دشيشة ـ بلقاس ـ دقهلية

قصيدتك موضوع دراسة ستريس نتيجتها قريبا .

القارىء : محمد أحمد جمعه السحرى بلقينا م المحلة الكبرى ـ غربية .

أهلاً ومرحباً بك وبكل تعليقاتك فى كل المجالات والمجلة على استعداد لنشر ما تراه مناسباً لقرائها .

القارىء : خيرى محمد أبو الروس ـ بلقاس ـ دقهلية .

وصلتنا رسالتك بعنوان «وداعاً شيخ الأزهر» نشكر لك هذه المساهمة وقد تكاثرت هذه الخطابات بطريقة صارت أضخم من مساحة النشر ، ونسأل الله أن يرحم شيخنا رحمة واسعة ويسكنه فسيح جناته .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذ / عمر البسطويسي

الدكتور طنطاوى شيخاً للأزهر الشريف

أصدر الرئيس محمد حسنى مبارك القرار الجمهورى رقم ١١٢ لسنة ١٩٩٦ بتعيين فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخاً للأزهر الشريف .

وقد وجه فضيلة الإمام الأكبر الشكر للسيد الرئيس مبارك على الثقة التى أولاها سيادته لفضيلته موضحاً أن وظيفة شيخ الأزهر لها مسئولياتها الجسيمة ، ولكن عندما تكون المقاصد شريفة والنيات طيبة والخطة حكيمة ، فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يحول العسير إلى يسير ويحول البعيد إلى قريب .

● باشر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر عمله بمكتبه فى ساعة مبكرة من صباح الخميس الموافق التاسع من ذى القعدة ١٤١٦هـ الثامن والعشرين من مارس ١٩٩٦م .

كان فى استقبال فضيلته : فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، ولفيف من قيادات الأزهر الشريف والعاملين به ، وجمع غفير من رجال الصحافة والإعلام ، وقد ألقى فضيلته كلمة فى جموع مستقبليه شكرهم فيها على حسن استقباله داعيا المولى ـ عز وجل ـ أن يحفظ أزهرنا الشريف ومصرنا الحبيبة من كل سوء .

● واستقبل فضيلته السيد الأستاذ عمر عبد الآخر محافظ القاهرة ، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمود

حمدى زقزوق وزير الأوقاف ، والدكتور / محمود شريف وزير الإدارة المحلية ، وفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ، والسادة نواب رئيس الجامعة وأساتذة وعمداء الكليات بالجامعة .

● كذلك استقبل فضيلته على مدى أسبوع كامل جمع كبير من المهنئين منهم الأستاذ الدكتور فتحى سرور رئيس مجلس الشعب ، والدكتور مصطفى كمال حلمى رئيس مجلس الشورى ، والسيد اللواء حسن الألفى وزير الداخلية ، والأستاذ الدكتور إسماعيل سلام وزير الصحة ، والدكتور عبدالمنعم عمارة والسيد سليمان متولى وزير النقل والمواصلات ، والسادة الوزراء والمحافظون والسفراء ، والعلماء وعلى رأسهم فضيلة الداعية الكبير فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى .

● كذلك استقبل فضيلته وفداً من رجال الكنائس المصرية على رأسهم رؤساؤها وقادتها حيث قدموا لفضيلته التهنئة بتوليه منصب شيخ الأزهر .

كذلك استقبل فضيلته السيد الأستاذ عبدالرحمن عبدالهادى مدير بيت الزكاة الكويتى ، والسيد السفير فيصل الخالد سفير دولة الكويت بالقاهرة ، والسيد المستشار حمود الروضان القائم بالأعمال الكويتى ، والسفير عبدالرازق الكندرى سفير دولة الكويت بلبنان .

وقد نقل السيد سفير الكويت بالقاهرة لفضيلة الإمام الأكبر تهنئة الكويت حكومة وشعباً لفضيلته باختياره شيخاً للأزهر .

كذلك استقبل فضيلته سفراء دول ماليزيا / الجزائر / الكاميرون / النيجر / مالى / تشاد / اليمن / نيجيريا / زيمبابوى / موريشيوس / بوركينافاسو / غينيا حيث قدموا جميعاً التهنئة لفضيلته .

شهد اللقاءات فضيلته الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر ، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف الأمين لعام للمجلس الأعلى للأزهر ، ولفيف من قيادات الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يستقبل السيد وزير الإعلام

● واستقبل فضيلته السيد الأستاذ صفوت الشريف وزير الإعلام ، الذى حضر لتقديم التهنئة لفضيلته مؤكداً على أن وزارة الإعلام برجالها ووسائلها الإعلامية دائماً فى خدمة الإسلام والأزهر الشريف ورسالته المجيدة ، وتمنى سيادته للأزهر فى عهد فضيلته مزيداً من التقدم والازدهار فى حمل رسالة الدعوة الإسلامية فى مختلف ربوع الأرض على مر الزمان .

وقد شكر فضيلته الإمام الأكبر السيد وزير الإعلام على تهنئته الرقيقة .

الإمام الأكبر يستقبل سفير الصومال فى القاهرة

● استقبل فضيلته صباح الأربعاء الموافق ١٥ ذو القعدة ١٤١٦هـ ٣ أبريل ١٩٩٦م السيد عبدالله حسن محمود سفير الصومال بالقاهرة ومندوبها الدائم لدى جامعة الدول العربية ، وذلك لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمناسبة تعيينه شيخاً للأزهر الشريف .

وقد أحاط سعادته فضيلة الإمام الأكبر علما بما يجرى حاليا بالصومال ، حيث تجتمع جميع فصائل الشعب الصومالى للاتفاق على كلمة سواء تمهيداً لاستقرار الوضع فى الصومال وتشكيل حكومة وطنية .

وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على التهنئة ، ودعا الله - سبحانه وتعالى - أن ينعم على شعب الصومال الشقيق بنعمة السلام والأمان وأن يوحد صفوفهم فتستقر أوضاعهم . فالإسلام يدعو إلى الوحدة ، وبالنيات الطيبة والمقاصد الشريفة يصبح العسير يسيراً والصعب سهلا .

الإمام الأكبر يستقبل سفير سلطنة عمان بالقاهرة

● كذلك استقبل فضيلته السبت الموافق ١٨ ذو القعدة ١٤١٦هـ ٦ أبريل ١٩٩٦م السيد السفير عبدالله البوسعيدى سفير سلطنة عمان بالقاهرة الذى حمل تهنئة شفهية من جلالة السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان للثقة الغالية التى أولاها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك لفضيلته وتعيينه شيخاً للأزهر الشريف مع تمنيات جلالة السلطان لفضيلته بالتوفيق والسداد .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير على زيارته وتهنئة جلالة السلطان قابوس لفضيلته ، وحمله رسالة شفهية تضمنت شكر وتقدير فضيلته للمشاعر الطيبة التى تجمع بين سلطنة عمان ومصر الأزهر معربا عن حرص فضيلته على استكمال مسيرة التعاون الوثيق بين الأزهر الشريف وسلطنة عمان وأمتنا العربية الإسلامية .

تصريح للإمام الأكبر

أكد فضيلة الإمام الأكبر فى تصريح صحفى على : حرص الأزهر على التعاون والتنسيق مع كل المؤسسات الإسلامية فى مختلف أنحاء العالم لصالح الإسلام والمسلمين والارتقاء بمسيرة العمل الإسلامى فى مختلف المجالات .

وقال فضيلته فى حديث نشرته صحيفة (الاتحاد) الاماراتية فى عددها الصادر فى أول أبريل ١٩٩٦ : إن علماء الأزهر يؤدون واجبهم فى هذا المجال على أفضل وجه لرفع راية الإسلام والدفاع عن قضايا المسلمين ومناصرتهم فى جميع الميادين .

وأكد فضيلته أن القدس أمانة فى أعناق المسلمين مشيرا إلى أن التاريخ شاهد صدق على أنها مدينة إسلامية ، وأنها فى ظل الحكم الإسلامى كانت مفتوحة أمام أصحاب الديانات الثلاث (الإسلام - المسيحية - اليهودية) .

الإمام الأكبر يفتتح برنامج الدراسات الإسلامية الحرة

وافتتح فضيلة الإمام الأكبر ظهر الإثنين الموافق ١٣ ذو القعدة ١٤١٦هـ ١ أبريل ١٩٩٦م بمسجد الجامع الأزهر برنامج الدراسات الإسلامية الحرة التي تنظمها جامعة الأزهر الشريف برئاسة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس الجامعة الذي أعلن بدء البرنامج بصحن الأزهر الشريف ابتداء من يوم الاثنين ١٣ ذو القعدة الموافق ١/٤/١٩٩٦م عقب صلاة ظهر نفس اليوم دون شرط للسن أو المؤهل أو النوع أو الجنسية أو الدين استمرارا لرسالة الأزهر الشريف منذ بدأ في أول عهوده الماضية التي تربو على أكثر من ألف عام وأعلن فضيلته كذلك أن برنامج الدراسات الحرة تحدد ليكون أيام السبت والإثنين والأربعاء للرجال ، وأيام الاحد والثلاثاء والخميس للنساء .

وقال فضيلة رئيس الجامعة : إنه سيقوم بالتدريس نخبة مختارة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر من أساتذة العقيدة والتفسير والحديث والفقه والأخلاق والتاريخ الإسلامي ، وأشار فضيلته إلى أن الدراسة ستستمر طوال العام على أن تبدأ عقب صلاة الظهر وحتى صلاة المغرب بإشراف فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة حيا فيها الجمع الحضور ، وفي مقدمتهم فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس الجامعة ، وأعضاء هيئة التدريس بها لجهودهم في خدمة العلم والدين ، وحيا فضيلته قرار الجامعة بعودة الدراسات الحرة إلى الأزهر كسابق عهدها الأول وعودة الحلقات الدراسية بصحن الأزهر على يد علمائه الأجلاء .

وأعلن فضيلة الإمام الأكبر أن مشيخة الأزهر الشريف بعلمائها تتضافر جهودها مع جامعة الأزهر الشريف للسير قدما في هذا المضمار الهام ، وفي هذه المرحلة الهامة من أجل خدمة العلم والدين ونشر رسالة الإسلام بالعلم النافع ، فالأزهر له السبق في ذلك منذ أكثر من ألف عام ، والأمم إنما تقاس وتحترم بعلمها ومنهجها الصحيح ، يستوى في ذلك الرجل والمرأة ، الفقير والغنى .

وأكد فضيلته على أن الدراسات الحرة التي تبدأ اليوم هي فتح للعقول والقلوب وإبلاغ رسالة الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وشكر فضيلته جامعة الأزهر الشريف على ماقدمته اليوم وما تقدمه في كل وقت وحين على امتداد مسيرتها الطويلة وباعها الأمثل ولخدمة أزهرنا الشريف ومصر الحبيبة ووطننا العربي العزيز وأمتنا الإسلامية والعالم أجمع في ظل القيادة الرشيدة للرئيس محمد حسني مبارك .

الإمام الأكبر يشهد ندوة «الإسلام وصحة الإنسان»

شهد فضيلة الإمام الأكبر الندوة التى أقامتها جامعة الإسكندرية برعاية السيد الوزير محافظ الإسكندرية بعنوان «الإسلام وصحة الإنسان» ضمن خطة البرنامج الثقافى للجامعة عن العام الجامعى ١٩٩٦/٩٥ .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر محاضرة بهذا الشأن ، وأجاب فضيلته عن الأسئلة التى وجهت إليه . كما تناول فضيلته بالشرح تطور الأزهر الشريف .

حضر الندوة عمداء وأساتذة كليات جامعة الإسكندرية ولفيف من المهتمين بالثقافة وصحة الإنسان .

وأثناء وجود فضيلة الإمام الأكبر بمدينة الإسكندرية قام فضيلته بزيارة لكلية الدراسات الإسلامية جامعة الأزهر فرع الإسكندرية ، والتقى فضيلته بعميد وأساتذة الكلية والطلاب بها .

ثم قام فضيلته بزيارة لمقر منطقة الإسكندرية الأزهرية ، وزار عدداً من المعاهد الأزهرية بالإسكندرية .

رافق فضيلته أثناء الجولة علماء وقيادات من الأزهر الشريف بالإسكندرية .

تهنئة الإمام الأكبر للإخوة النصارى بأعياد الفصح

كما وجه فضيلة الإمام الأكبر كلمة تهنئة للأخوة النصارى بمختلف مشارق الأرض ومغاربها بمناسبة الاحتفال بأعياد الفصح عبر القناة الفضائية بالتليفزيون الإيطالى .

وقد ألقى فضيلته الكلمة من ساحة الأزهر الشريف الذى يضرب بجذوره فى أعماق التاريخ لأكثر من ألف عام ، وهو يشع نوره فى الأرض معرباً عن تهنئته القلبية للأخوة النصارى فى قارات العالم أجمع ، وهم يستقبلون أعيادهم الدينية المجيدة داعيا الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يعيد عليهم أمثال هذه الأيام المباركة الطيبة بالسلام والأمان والرخاء والاستقرار ، تلك الأيام التى يتوافد فيها المسلمون على بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج .

كما دعا فضيلته الأخوة النصارى ، وهم يحتفلون بأعيادهم أن يقفوا إلى جانب المظلومين فى فلسطين والشيشان والبوسنة والهرسك وجنوب لبنان وكشمير والفلبين وغيرها من جماعات الأقليات الإسلامية التى تعانى من الاضطهاد والظلم .

فالأعياد مناسبة عظيمة وفرصة كبيرة لتعاون الجميع على نشر روح المحبة والمودة والإخاء والسلام والعدل ، واختتم فضيلته كلمته بالدعوة إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يعيد أمثال هذه الأيام على العالم أجمع بالسلام والاخاء والاستقرار .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس دولة المالديف

كذلك استقبل فضيلته بمكتبه ظهر يوم الثلاثاء الموافق ٢٠ ذو القعدة ١٤١٦هـ ٩ أبريل ١٩٩٦م فخامة الرئيس / مأمون عبدالقيوم رئيس دولة المالديف الذى زار القاهرة مؤخراً لتهنئة فضيلة الإمام الأكبر بمناسبة اختياره شيخاً للأزهر الشريف والثقة الغالية التى أولاها الرئيس محمد حسنى مبارك استكمالا لدعم الرسالة السامية التى يحملها الأزهر ، ولريادته فى نشر الثقافة والدعوة الإسلامية فى العالم أجمع من خلال بعثاته التى يوفدها لمختلف الأقطار وبوجه خاص لدولة المالديف .

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بفخامة الرئيس مأمون عبدالقيوم والوفد المرافق لسيادته ، وشكره على زيارته للأزهر وتهنئته الرقيقة معربا عن سعادته بهذا اللقاء الأخوى ، ودعا فضيلته المولى ـ عز وجل ـ أن ينعم على شعب المالديف بالسلام والرخاء والأمن والأمان فى ظل القيادة الحكيمة للرئيس مأمون عبدالقيوم .

هذا وقد وجه فخامة الرئيس مأمون عبدالقيوم الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة المالديف حيث وعد فضيلته بتلبية الدعوة فى الوقت المناسب ـ إن شاء الله .

الإمام الأكبر يشهد ندوة (دعوة الأديان لمحو الأمية)

شهد فضيلة الإمام الأكبر الندوة التى نظمها معهد الأهرام الإقليمى للصحافة تحت عنوان (دعوة الأديان لمحو الأمية) .

وقد دعا فضيلته فى الكلمة التى ألقاها أمام الندوة إلى الاهتمام بقضية محو الأمية لتحقيق تقدم المجتمع ورقيه مؤكداً على أن الأديان حريصة كل الحرص على الدعوة للعلم والتعليم ، لأن الذين يخدمون أوطانهم عن طريق العلم والثقافة لايقلون منزلة عند الله تعالى عن الذين يقدمون أرواحهم وأموالهم لخدمة الوطن وإعلاء كلمة الحق .

وأضاف فضيلته أن كلمة العلم ومشتقاتها وردت فى القرآن فى أكثر من ثلثمائة موضع مشيراً إلى أن تفضيل أبينا آدم على الملائكة كان بسبب العلم .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / محمد عبد الحميد بشير

دمشق :

ذكرت وسائل الإعلام السورية أن موافقة تركيا ـ الجارة المسلمة ـ على السماح للقوات الجوية الإسرائيلية بالتدريب فى أجوائها تشكل تهديدا لأمن سوريا ، وتقويضاً لأواصر علاقاتها مع تركيا .

وذكرت الإذاعة السورية نقلا عن صحيفة «تشرين» تعليقا على الاتفاقية المذكورة التى أعلنت يوم الجمعة ١٧ من ذى القعدة الماضى والتى يتم بموجبها تبادل تدريب القــوات ، واستخدام القواعد الجوية فى كلا البلدين بأن هذه الاتفاقية تعد تحديا صارخا لمشاعر المسلمين فى تركيا .

ليبيا :

صرح وزير الخارجية المصرى السيد عمرو موسى أنه ليست لدى مصر أية أدلة ملموسة على الاعتقاد بأن ليبيا تقوم بإنشاء مصنع ضخم لإنتاج الأسلحة الكيماوية سرا فى «ترهونا» التى تبعد عن طرابلس بمقدار ٦٥ كم ، ونفت ليبيا أيضا ـ بشدة ـ اتهامات وزير الدفاع الأمريكى أثناء زيارته للقاهرة فى ١٥ من ذى القعدة الماضى ، وهى الذريعة التى تريد أن تستند إليها أمريكا فى توجيه ضربات جوية لليبيا ، وهو الأمر الذى حذر منه الرئيس حسنى مبارك .

القاهرة :

فى مؤتمر صحفى أعلن الرئيس الفرنسى شيراك الذى زار مصر فى الفترة من ١٨ ـ ٢٠ من ذى القعدة الماضى : أن بلاده تعتزم القيام بدور أكبر فى عملية سلام الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل ، وقد عقد سيادته محادثات رسمية مع الرئيس حسنى مبارك وأكد أن الشواغل الأمنية يجب أن ترتبط بالتنمية الاقتصادية للمناطق الفلسطينية ودعا لاجتماع قمة لدول حوض البحر المتوسط ، وإنشاء منطقة للسلام والتنمية ، كما التقى أثناء زيارته بالأمين العام للجامعة العربية ،

ووجه خطابا للشباب من جامعة القاهرة ـ كما زار الاسكندرية فى إطار تنمية العلاقات الثقافية ، كذلك وقد شارك الرئيس الفرنسى فى افتتاح قصر العينى الذى بنى بخبرة فرنسية بتكلفة ٦٠٠ مليون جنيه والمرحلة الجديدة من مترو الانفاق ـ من رمسيس إلى شبرا الخيمة ـ والذى أقيم بخبرة فرنسية .

فلسطين :

قام الرئيس الفلسطينى بزيارة إلى السعودية وصرح لوكالة الأنباء الفرنسية بأنه طلب من مضيفه تأييد جهوده الرامية لرفع الحصار الإسرائيلى المفروض على الضفة والقطاع منذ شوال الماضى ، وهو ما أصاب الاقتصاد الفلسطينى المهترىء بالشلل وحرم ٦٠ ألف عامل فلسطينى من دخول مالية .

البوسنة :

قال المسئول عن تطبيق الجوانب المدنية لاتفاق دايتون للسلام فى البوسنة أن عدم تسليم صرب البوسنة لما لديهم من أسرى حرب سيحرمهم من حضور المؤتمر الدولى لإعمار البوسنة ، والمعروف أن صرب البوسنة يحتجزون الكثير من أسرى البوسنة حيث لم يفرجوا عنهم بزعم ارتكابهم جرائم حرب ، وقال المسئول المذكور فى حديث لـ B.B.C أنه إذا لم يتغير الوضع فسيأمر باستبعاد الصرب من المؤتمر المزمع لإعادة إعمار البوسنة .

الشيشان :

بعث الرئيس الروسى رسالة إلى جوهر داود زعيم المقاومة الشيشانية مقراً فيها ببطلان الخيار العسكرى ، وأنه لا بديل عن التحاور بين الجانبين المتحاربين لحل الأزمة المستعصية عبر وسطاء ، وقال أنه رشح رئيسى جمهوريتى « كازاخستان وتتارستان» كوسيطين .

وأكدت أنباء الجمهورية الشيشانية أن العمليات العسكرية الوحشية للجيش الروسى على أشدها بزعم وقف إطلاق النار الذى زعمه الرئيس الروسى الشهر الماضى ، ويرى المحللون السياسيون فى المبادرة الروسية الأخيرة أنها تنطوى على مناورة سياسية مفضوحة تهدف إلى إنقاذ مستقبل يلسين السياسى ، حيث إن الانتخابات الرياسية فى روسيا تجرى الشهر القادم ، فهل يصدق يلسين فى نيته ؟

قطر :

اتفقت السعودية وقطر على إتمام ترسيم الحدود بينهما ، وهى المشكلة التى كانت مثار خلاف استمر لأكثر من ثلاثين عاما ، أعلن عن ذلك بعد محادثات فى الرياض بين ولى العهد السعودى ووزير الخارجية القطرى .

ثبت أسماء الكتاب للعام الهجرى ١٤١٦هـ

إعداد
أ. عز الرجال المرسى سلام
أ. محيى الدين حسين يوسف



حـرف التـاء

حـرف الثـاء

حـرف الجيـم

حــرف الحــاء

حــرف الــراء



حرف الفاء

حرف اللام

حرف الميم



حـــرف النـــون

حـــرف اليـــاء

فهرس الهدية للعام الهجرى ١٤١٦ هـ

الشهر	الموضوع	المؤلف
هدية شهر المحرم	شيخ الأزهر فى السنغال	قسم التحرير بالمجلة
هدية شهر صفر	اتفاقية القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة	للإمام الراحل جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الأسبق
هدية ربيع الأول	خصائص التربية الإسلامية عند الإمام أبى حامد الغزالى	الدكتور أحمد عرفات القاضى
هدية ربيع الآخر	الطفولة فى ظل الشريعة الإسلامية	شيخ الأزهر الأسبق
هدية جمادى الأولى	الاكتساب فى الرزق المستطاب	الإمام محمد بن الحسن الشيبانى
هدية جمادى الآخرة	الإمام الأكبر فى أندونيسيا	قسم التحرير المجلة
هدية رجب	الاكتساب فى الرزق المستطاب	الإمام محمد بن الحسن الشيبانى تعليق الأستاذ محمود عرنوس
هدية شعبان	المركز القانونى الدولى للقدس	للدكتور جعفر عبدالسلام
هدية رمضان	المسجد رسالة وتاريخا	شيخ الأزهر الأسبق
هدية شوال	الاكتساب فى الرزق المستطاب	الإمام محمد بن الحسن الشيبانى تعليق الأستاذ محمد عرنوس
هدية ذى القعدة	المسائل الفقهية التى لايعذر فيها بالجهل	للإمام محمد الأمير السناوى تعليق الشيخ إبراهيم الزيلعى
هدية ذى الحجة	سجود الشكر وأحكامه فى الفقه الإسلامى دراسة فقهية مقارنة	للدكتور أحمد محيد كريمة

ثبت الموضوعات للعام الهجرى ١٤١٦ هـ

إعداد
أ. محمود الفقى
أ/أيمن سعد زغلول



حرف الباء







حـرف الكاف

حـرف اللام

حرف الميم

حـرف الـنون

RAMADAN 1416 H. (Janvier-Février - 1996)

1. **Les preuves scientifiques de l'Islam Extrait de l'ouvrage (suite)**
   traduit par Dr. Rokeya Gabr
2. **Le Jeûne en Islam**
   par Dr. Amr Ahmad Mokhtar

CHAWAL 1416 H. (Février-Mars - 1996)

ZHOUL KEIDA 1416 H. (Mars-Avril - 1996)

1. **Ce qu'il faut savoir au sujet du pèlerinage**
   par Dr. Rokeya Gabr
2. **Said Ibn Zaid Ibn Nofail (suite)**
   par Hoda Hussein Chaaraoui

ZHOUL HIGJA 1416 H. (Avril-1996)

1. **Les pèlerins à Mina**
   par Dr. Rokeya Gabr
2. **Le mérite des dix promus pour le Paradis**
   par Hoda Hussein Chaaraoui

Mohammad Omar Mohammad



LA REVUE D'AL AZHAR

EN 1416 H. (1995-1996)

Prophète (b.s.) lors de l'émigration pour Médine. Allah a voulu graver cela dans le souvenir des générations futures grâce à Sa Parole révélée :

> *[Allah l'a déjà secouru, lorsque les incroyants l'ont renvoyé; il était lui et le deuxième des deux (compagnons) quand ils se trouvaient dans la grotte et qu'il disait à son compagnon: "Ne t'affige pas, car Allah est avec nous !".]*
>
> **Sourate (9) "Al-Tawba" (Le Repentir), v.40.**

Le Prophète (b.s.) dit alors à Abu Bakr : "Tu étais mon compagnon dans la caverne et tu seras mon compagnon près du Bassin, le Jour du Jugement Dernier." (Hadith rapporté par Al Tirmidhi).

Celui qui s'est distingué par sa générosité et ses dépenses pour la cause d'Allah, fut Othmân qui acheta le puits de Ruma[1] et équipa l'armée musulmane pour la bataille de Tabuk[2].

On peut citer une multitude d'autres exemples, en fait ces hommes n'étaient qu'un exemple de ce qu'étaient les compagnons du Prophète (b.s.). Si Allah leur a annoncé le Paradis, cela ne veut pas dire que les autres en seront privés; car si l'un est décoré pour son courage, cela ne signifie pas que les autres sont lâches. Ces dix sont pourvus de certaines qualités qui les rendent aptes à gouverner l'état; c'est pour cela qu'on trouve parmi eux les quatre califes ainsi que les six du Conseil de consultation qu'Omar choisit pour accéder au califat après lui.

Ces hommes et ces femmes éduqués par le Messager d'Alah (b.s.) formaient le type même de la société islamique. Après la mort du Messager d'Allah (b.s.) c'est eux qui ont oeuvré en vue d'instaurer une société qui, par sa foi et sa législation, mettait en application les enseignements de l'Islam.

Note (1) Lorsque les musulmans émigrèrent à Médine ils étaient pauvres. Un juif détenait le puits de Ruma et l'exploitait en leur vendant l'outre en échange d'une grande somme d'argent. Alors le Prophète (b.s.) souhaite qu'un de ses compagnons l'achetât pour faciliter la vie des musulmans : Othmân s'empressa de répondre à ce souhait.

Note (2) La bataille de Tabuk eut lieu durant l'été torride d'une année de sécheresse et de disette. Les musulmans manquaient d'équipement ... C'est pourquoi le Prophète (b.s.) incita à participer à cette bataille et à approvisionner l'armée. Chaque musulman donna selon ses moyens; même les femmes firent don de tous leurs bijoux; mais cela ne suffisait pas, alors le Prophète (b.s.) prononça sa fameuse parole : "Celui qui équipe l'armée en ces moments difficiles (Al 'Usra) obtiendra le Pardon d'Allah." Ce fut Othmân qui répondit à l'appel et qui mérita donc cet honneur et cette gratification.

Jardins sous lesquels coulent les rivières, et ils y demeureront éternellement. Voilà l'énorme succès].

Sourate (9) "Al-Tawba" (Le Repentir), v.100.

L'annonce de la bonne nouvelle a été aussi faite à ceux qui ont juré fidélité au Prophète (b.s.) sous l'arbre baptisé (Ridhuâne) Allah a dit à leur sujet :

[Allah a très certainement agréé les croyants quand ils t'ont prêté le serment d'allégeance sous l'arbre. Il a su ce qu'il y avait dans leurs coeurs et a fait descendre sur eux la quiétude et Il les a récompensés par une victoire proche].

Sourate (48) "Al-Fath" (La Victoire échatante), v.18.

Ainsi l'annonce de la bonne nouvelle s'adresse à tous les émigrés et à tous les alliés, Allah dit en leur faveur :

[Allah a agréé le repentir du Prophète, celui des émigrés et des alliés qui l'ont suivi dans un moment difficile, après que les coeurs d'un groupe d'entre eux étaient sur le point de faiblir. Puis Il accueillit leur repentir car Il est Compâtissant et Miséricordieux à leur égard.]

Sourate (9) "Al Tawba" (Le Repentir), v.117.

Néanmoins les dix promus pour Le Paradis se distinguent tout particulièrement par quatre qualités. La première de ces qualités c'est qu'ils ont été les premiers à embrasser l'Islam. Nous savons que dès que le Prophète (b.s.) annonça sa mission, Abu Bakr fut le premier homme à répondre à son appel et à adhérer à l'Islam. Puis suivirent Ali Ibn Abou Taleb, Sa'ad Ibn Abou Wakas était le quatrième des musulmans. La deuxième qualité c'est l'émigration: tous les dix ont émigré pour Médine. La troisième qualité c'est le combat pour la cause d'Allah: les dix ont combattu, ils étaient derrière le Prophète (b.s.) dans la prière, mais le dévançaient dans les combats. Enfin la dernière qualité c'est que l'annonce de la rétribution par le Paradis ne les a pas tous inclus dans un même Hadith; mais chacun séparément dans une circonstance particulière ... ainsi, par exemple, nous citans Abu Bakr qui accompagna le



Le mérite des dix promus pour le Paradis

par Hoda Hussein Chaâraoui

Les articles que nous avons mis entre les mains des lecteurs - durant plusieurs semaines - ont révélé les côtés lumineux et les attitudes glorieuses - dans les circonstances les plus difficiles - d'une petit groupe d'hommes qui ont vécu du temps du Prophète Mohammad (b.s.)

Ce sont les meilleurs de ses compagnons ... Ils ont cru en lui, l'ont assisté, soutenu et ont suivi la lumière de la Vérité qu'il apportait avec lui. C'étaient des hommes qui étaient restés fidèles au pacte qu'ils avaient conclu avec Allah. Qui sont-ils ? D'abord les quatre Califes: Abu Bakr, Omar, Othmân et 'Ali. Viennent ensuite les six autres: Abu 'Ubaïda Ibn Al Garrah, Talha Ibn 'Ubaïdallah, Az-Zobaïr Ibn Al-Awam, Abd Ar-Rahman Ibn Ouf, Sa'ad Ibn Abu Wakas et Saïd Ibn Zaïd Ibn Nufaïl.

En fait, ils n'étaient pas dix seulement, mais ils étaient bien plus nombreux. A travers leur portrait, nous pouvons reconnaître celui de tous les autres compagnons qui ont été promus pour le Paradis et dont ils ne sont que les représentants. Allah - qu'Il soit exalté - a également promis le Paradis aux émigrés et aux alliés (Muhadjerines et Ançars) Il a dit à leur sujet:

[Les tout premiers croyant parmi les émigrés et les alliés et ceux qui les ont suivis dans un beau comportement, Allah les agrée et ils l'agréent. Il a préparé pour eux des

Section Française

Les pèlerins à Mina

Après la station à 'Arafat, les pèlerins déferlent sur la vallée de Muzdalifa où ils accomplissent-en les groupant-les prières du coucher du soleil (Al Maghrib) et celle la nuit close (Al 'Isha'). C'est à Muzdalifa qu'ils doivent ramasser quarante-neuf cailloux avec lesquels ils lapident les stèles de Satan. Ensuite, après avoir passé une grande partie de la nuit dans cette vallée, ils se dirigent vers Mina.

Comme la station de 'Arafat, le séjour à Mina est l'un des piliers fondamentaux du Hadj (ou Grand Pèlerinage). Les pèlerins passent au moins deux jours, trois de préférence: (du 10 au 12 ou même au 13) du mois de Dhul-Hiddjah à Mina. Ce sont en fait les trois premiers jours de la Fête du Sacrifice'' (''Id Al Adha'').

Durant ces trois journées appelées ''Ayam Al Tachriq'' les pèlerins viennent lancer les caillaux (Al Jamarates) pour lapider Satan symbolisé par trois stèles: ils expriment par ce geste symbolique leur volonté de résister à toutes les tentations de Satan visant à les écarter du Droit Chemin.

Durant l'une de ces trois journées, les pèlerins se rendent à la Mecque en vue d'accomplir la tournée processionnelle autour de la Ka'ba. Cette circumambulation appelée ''Tawaf al Ifada'' est l'un des rites fondamentaux du Hadj. Après l'avoir accompli et avoir immolé son offrande, le pèlerin se désacralise entièrement et peut reprendre sa vie normale.

Ô Allah, agrée le pèlerinage deTes pieux serviteurs, fais qu'ils rentrent dans leur pays laves de leurs souillures et pardonne leurs péchés.

par Dr. Rokeya Gabr.

Index 1416 H



day to the Prophet about being badly treated by his nextdoor neighbour. The Prophet sent three of His most important companions — Abu Bark. Omar and Ali — to annouce at the doors of the mosque that "even 40 houses away, people are still neighbours" and that "a man who frightens his neighbour will not go to heaven".

Islam says neighbours are supposed to help and look after each other, whatever their race or religion. The Prophet blessed and consecrated the tie between neighbours in a famous Hadith: "The angel Gabriel urged me so strongly to look after my neighbour that it seemed he wanted me to make him my heir." Islam also decrees a family which is bound by sufficiently strong blood and spiritual ties to act as a safety valve for society.

Islam is above all a humanitarian religion which can raise humanity to the greatest heights of morality and civilization. It is like a cloth coloured black, white and red.

No sorrow or pain

Because of its balance between materialism and spirituality, Islam has united humanity in solidarity and love. If governments followed its principles, people would be much happier and more prosperous and communications between them-the inhabitants of this "global village" -would throb flawlessly and joyously with life. There would be no sorrow or pain. It would unite, not divide, and recall the blessing of Allah as described in the Holy Koran: "O mankind, we have created you male and female, and appointed you races and tribes, that you may know one another. Surely the noblest among you in the sight of Allah is the most righteous of you. Allah is All-knowing, All-aware.[5]

5. Sura XLIX, Apartments, verse 13.

rituality through marriage, productive work and the strengthening of social relations. So a fin balance has been struck between the spiritual and the material. It has made secular and religious actions complementary instead of antagonistic.

Islam encourages young people to marry quite early, so as to protect their chastity and encourage them to have children to people the world and stimulate life on earth. It extols work and prefers the worker to the idle person.

Allah founded rites such as prayer, zakat, fasting and pilgrimage to Mecca so as to maintain His link to each human being, making a person think night and day of the blessings of the Almighty, to protect him from error, encourage him to do good and to prevent him from sliding into the abyss of corruption.

So Islam has devised a marvellous whole by trying to blend the material and the spiritual, and action and worship, while encouraging people to enjoy life on earth and to build the world. As the Holy Koran says: "Say: 'Who has forbidden the ornament of Allah which He brought forth for His servants, and the good things of His providing?"[4]

Islam has thus forged solid ties of friendship, love sympathy and altruism between people, putting aside differences of colour, race or religion.

A neighbourhood acts as a bond between people through houses and work in fields, factories or offices. So Islam has laid down clear rules for governing relations between neighbours, especially between households.

He who goes to sleep after eating well while his neighbour has no food is not a good Muslim, any more than someone who harms his neighbour.

Islam says that your neighbour is not just the person who lives next door. A neighbour is anyone living in the 40 houses nearest to yours. The life of the Prophet tells us of the man who complained one

4. Sura VII, The Battlements, verse 32.

The Islamic constitution, which has been tried and tested over a long period, is in the best position to be applied because it guarantees the right of all to a life of dignity, equality pursuit of knowledge as the duty of all Muslim men and women. It also guarantees freedom of thought, which some Islamic thinkers have considered a religious requirement. Islam has also stipulated equal rights and duties between men and women. It considers women a haven of peace and a source of tenderness and compassion for men.

Many other tenets have been developed by Islam to ensure the happiness of people, and the most effective is the wonderful balance between the material and the spiritual.

The five sins

Human happiness cannot of course be based just on material preoccupations, like making money by all means legal or illegal, or like leading a dissolute life of alcohol, gambling, drugs or lust, all of which are now common. Social life today has become sad and miserabe, unemployment has risen, bringing despair and suicide. Virtue is in decline. Abortions among girls have increased, as has homosexuality among boys. Deadly epidemics are spreading and the science of man has not yet managed to defeat them. The Prophet foresaw this when He spoke of the "five sins which will precede your fall and sow among you plague and suffering."

Just as excessive materialism eats away at human societies, so excessive spirituality limits the ability to work and the potential for creativity. Devoting oneself to religion and not marrying is an obstacle to society's well-being, development and prosperity. Exaggerated devotion, which scorns life's material necessities, harms human communities just as excessive pursuit of material goods without religious activity does.

The abyss of corruption

Based on these tolerant principles, Islam has overcome the obstacle of materialism through devoutness, as it has broken excessive spi-

towards the noble goal of making every human being happy, whatever his colour, sex, race or religion.

This respect for human beings which we preach for the good of humanity is called for by the Islamic faith, as revealed by Allah in the Holy Koran: "We have honoured the Children of Adam and carried them on land and sea, and provided them with good things, and preferred them greatly over many of those We created."[1]

This praise of the Sons of Adam extended as far as Allah preferring them to the angels who sung His praises. Did He not command them to bow down before Adam? "And when We said to the angels, 'Bow yourselves to Adam', so they bowed themselves, save Iblis; he refused and waxed proud, and so he became one of the unbelivers."[2]

Differences of colour and language are some of the prejudices human communities use against others, but these differences are seen by Islam as a manifestation of Allah and a marvel of the Creator. Allah tells us in the Holy Koran: "And of His signs is the creation of the heavens and earth and the variety of your tongues and lives. Surely in that are signs for all living beings."[3] The Prophet Muhammad said in His Holy Hadith that "the only difference between an Arab and a stranger, between a black and a white person, is in his degree of piety".

So there is complete equality between all people. Islam has laid this down, built it up and applied it to everyone who has lived under the protection of the Islamic state, regardless of their beliefs, colour or languauge. We should remember the story of the young Egyptian Christian who complained to the Caliph Omar after being attacked by a son of the Islamic ruler of Egypt, Amr Ibn al-A'ass. The Caliph addressed the following memorable words to the governor and his son: "By what right do you enslave people? Were they not born free?" And he gave a whip to the young Copt and ordered him to chastise the governor's son, saying twice: "Strike this noble's son."

---

1. Sura XVII, The Night Journey, verse 70 (interpretation by Arthir J. Arberry).
2. Sura II, The Cow, verse 34.
3. Sura XXX, The Greeks, verse 22.

Islam as a source of balance and unity

By the Late Grand Sheikh Gad Al-Haq Ali Gad Al-Haq

Neither the market economy, scientific and technological progress nor democratization have been harnessed to serve humanity. (A presentation of the dossier's theme preceded, Ed.)

We see just the contrary with ambiguities and questions surrounding the market economy as it benefits one sector of humanity at the expense of another. For the rich get richer while the poor stay hungry, despite owning and producing the world's raw materials. It is disgraceful that millions of people die of hunger every year while a few thousand rich people die of indigestion. Scientific and technological progress would be a wonderful feature of civilization if it was not used to wipe out human beings, start wars, destroy property and distort the image Allah has created of man. Such progress is infinitely more harmful than good.

Democratic but racist

As for democracy, some countries boast of it while denying it to developing peoples by methods well-known to sharp-eyed observers. And some countries even call themselves democratic while continuing to discriminate on the basis of colour, race and religion. This is happening in Bosnia-Herzegovina, Chechnya, Palestine, Kashmir and other places and is a black mark against supposed democracy.

Man is the basis of the world's prosperity. Allah has chosen him from all the other creatures which He made to serve and comfort Him. So man is the cornerstone of the planet. Which means that any reform is in vain as long as one human being is deprived of his rights, his freedom and his ability to decide for himself. Since our job is to tell the truth, we must grasp the rudder of humanity and guide it

*** Verily a Day *with* thy Lord is like a thousand years of your reckoning*** [22/47]

*** Then it *winds* (unto) him, on a day the measure of which is a thousand years of your reckoning*** [32/5]

*** The angels and the Spirit *wind* (unto) Him in a Day the measure whereof is (as) fifty thousand years*** [70/4]

7- The Sun and the moon :

The sun is an incandescent star that supplies light and thermal energy to the surrounding planets. The cold moon surface reflects solar light that illuminates the earth nights. This contrast in nature and role between the sun and the moon is quite defined in the Qur'anic texts :

*** And placed therein a blazing lamp*** [78/13]

*** Blessed is He Who made constellations in the *Heaven* and placed therein a lamp and a Moon giving light*** [25/61]

*** And made the moon a light in their midst, and made the sun as a (glorious) lamp*** [71/16]

The apparent shape of the moon changes in a cyclic fashion each lunar month, from crescent to quarter to gibbous to full moon. These phases are a result of the relative positions of the moon to both the sun and the earth. The Qur'an says :

*** And the moon to be a light (of beauty), and measured out stages for it*** [10/5]

*** And the moon We have measured for *its* stations to traverse*** [36/39]

A solar year = 365.2422 days, while a lunar year = 354.6036 days. Hence, 300 solar years precisely equal 309 lunar years, to the fourth decimal, no more no less. How precise is the Qur'an in stating that the People of the Cave stayed there for 300 years; that are also 300 "and" 9 more years, i.e. 300 solar years or 309 lunar years :

*** So they stayed in their cave three hundred years, and Nine more*** [18/25]

(To be Continued)



Other verses in the Qur'an refer to the continuous penetration of the earth atmosphere by meteors. These are counted in billions daily, and are of widely varying sizes. Most of these are burnt away before striking the earth, as these verses indicate :

" But any that gains a hearing by stealth, is pursued by a firey *meteor*, bright (to see)" [15/18]

" And we pried into the (secrets of) heaven; but we found it filled with stern guards and *meteors*" [72/8]

The Quraan also describes the hardships exercised during rising to high altitudes, such as chest narrowness and difficulty of respiration :

" Those whom He willeth to leave straying, - He maketh their breast close and constricted, as if they had to climb up to the skies" [6/125]

Reference is also made to vision impairment as a possible effect of space travel. Such symptoms have been reported by space astronauts during space swimming experiments outside space vehicles :

" Even if We opened out to them a gate from heaven, and they were to continue (All day) ascending therein, They would only say: "Our eyes have been intoxicated: Nay, we have been bewitched by sorcery"" [15/14-15]

6- Time relativilty :

On earth, time is measured by the rotation of the earth around its own axis (days), and its orbiting around the sun (years); or by the rotation of moon around the earth (lunar months and years). Other units of time e.g. solar months, hours, minutes and seconds; are all conventional units devised by us; to subdivide the naturally observed days and years into appropriate units. However, all these units are peculiar to our planet earth. They have no physical meaning anywhere else outside. In the universe at large, time is only relative. This concept of relativity of time in the universe is underlined in the following Qur'anic statements :

Parts of this "smoke" has condensed (and some are still condensing) into galaxies of stars, planets and moons.

According to recent measurements and calculations, the whole universe is continuously expanding. This was referred to in the following verse:

"We have built the Heaven with might and We indeed are extending (it)" (51/47)

5- Space travel :

Everything in space: the stars; the planets; or the moons are continuously moving in well defined trajectories and speeds. According to the General Relativity theory, the direct path between any two moving points in the universe should be curvilinear. The Qur'an describes such motion in space by the word "urooj", which in Arabic means: winding, deflection or curving :

" ... what comes down from the heaven and what *winds (up)* to it" [57/4]

" All that comes down from the *Heaven* and all that *winds (up)* thereto" [34/2]

" *(A penalty) from Allah, Lord of the windings.* The angels and the Spirit *wind* (unto) Him in a Day the measure whereof is (as) fifty thousand years" [70/3-4]

The Qur'an points out to the possibility, in principle, of human travel into space, once the necessary power and technological capabilities are acquired. However, risks e.g. meteors and radiation are expected and are also referred to in the verses :

" O ye assembly of Jinns and men! If it be ye can pass beyond the zones of the heavens and the earth, pass ye! Not without authority *(through science or knowledge)* shall ye be able to pass!" [55/33]

" On you will be sent (O ye evil ones twain!) a flame of fire (to burn) and a (flash of) molten brass. No defence will ye have" [55/35]

"The angels and the Spirit ascend unto Him in a Day the measure whereof is (as) fifty thousand years" (70/4)

The non-central role of the earth is consistently implied in the Quraanic expressions. Whenever the words "earth" and "heavens" come adjacently in the Quraan, "heavens" comes first (174 different verses). An example is:

"We created not the heavens and the earth and all between but with just ends, and for a term appointed" (46/3)

Obviously, an endless universe should contain endless types of creatures and forms of life, beyong what we could possibly imagine. Life is not confined to the human and other biologic forms of earthly life. This is what the following verses imply:

"And among His Signs is the creation of the heavens and the earth and the living creatures that He has scattered through them" (42/29)

"And to Allah doth prostrate all that is in the heavens and on earth, whether moving creatures or the angels" (16/49)

"The Trumpet will (just) be sounded, when all that are in the heavens and on earth will swoon" (39/68)

The origin of earth, as well as the whole of the visible universe, is believed to be a high density material that have exploded; through what scientists nowadays call: the "big-bang". This concept agrees with the verse:

"Do not unbelievers see that the heavens and the earth were joined together (as one unit of creation), before We clove them asunder?" (21/30)

The exploded mass formed large nebulae of dust and gas that spread in space, as the following verse states:

"Then He turned to the Heaven, and it had been (as) smoke. He said to it and to the earth: "Come ye together, willingly or unwillingly". They said: "We do come (together), in willing obedience"." (41/11)

WHY ISLAM
Proofs of Modern Science
Part II

by Nabil Abdel-Salam Haroun

More Proofs

3 — pairity of creatures:

The Quraan states in an affirmative manner that "everything" in nature exists in pairs :

"And of everything We have created pairs" (51/49)

We now know that this applies to the whole animal kingdom; the hugest creatures as well as the infinitesimally small i.e. viruses, bacteria and microbes, all being in pairs: male and female. Pairity also applies to plants that have stamens carrying pollen (male) grains and carpels whose ovule carries (female) eggs, a fact that was not known at the time of the revelation of the Quraan:

"and fruit of every kind He made in pairs, two and two" (13/3)

Pairity even applies to solid matter. On the smaller end, we have atoms consisting of positively charged protons and negatively charged electrons, in pairs. The existence of negative anti-protons and positive electrons (positrons), as well as several pair varieties of other nuclear particles has been verified. On the other end of the scale, in the universe at large, cosmic bodies are believed to have their "negative" counterparts; the so called "black holes"

4 — The nature of the cosmos:

The planet earth is not - as the ancient Greek philosophers believed -the centre of the universe. Rather, it is no more than a tiny spot in the limitless universe. Limitlessness is expressed by the verse:

AL-AZHAR MAGAZINE

Zu - l - Hejja 1416 H



ENGLISH SECTION

Vol . 68 Part XII

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

*"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah : .
Indeed it was the truth."*

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
Al. - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهـــرس